يوليو ١٩٨٨ • الثمن ٦٠ قرشا

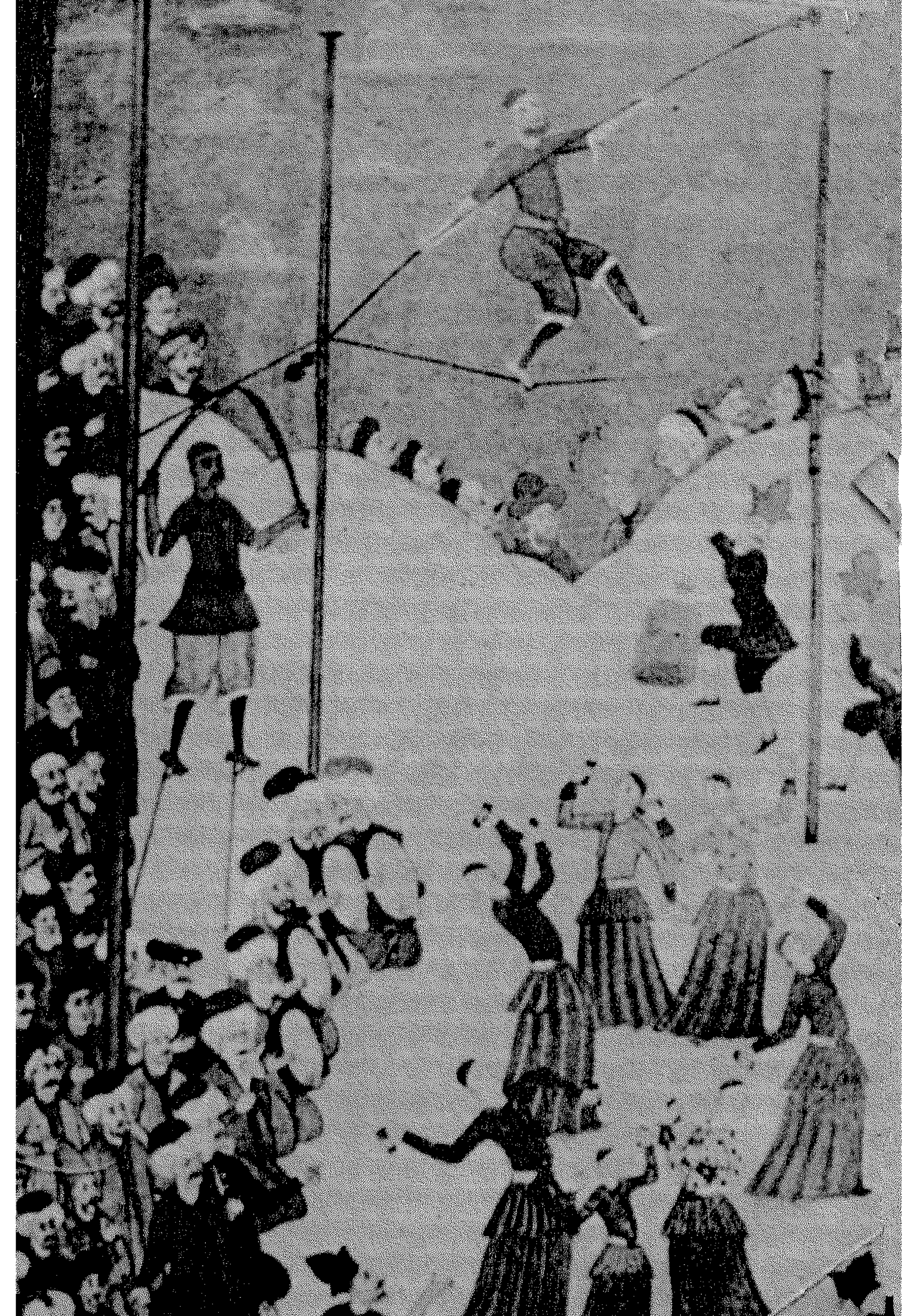
الهلال والموسيقى

جزء خاص

مُعلّمة الإنسانِ ما ليس يعلمُ
وقائلة ما لا يبوحُ به الفم

■ عبد الوهاب.. صانع الأغنية الحديثة

■ الإمام محمد عبده وحركة التجديد الإسلامي



من روائع الفن الإسلامى

لوحة من الفن التركى القديم تحمل عنوان « المهرجون » تصور سيركا مقاما فى الهواء الطلق . يضم ايضا مجموعة من الراقصين .. وتكشف اللوحة عن مدى الشفافية التى يتسم بها الفنان ومدى شغفه بالالوان الفضفاضة والمبهجة .. والاهتمام بعنصرى الرصد والحركة .

الهلال

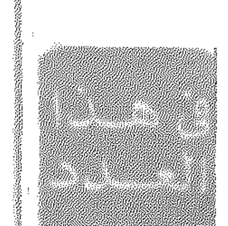
السنة الخامسة والتسعون

مجله سهرية ثقافية تصدر من دار الهلال لسسها جورجى زيدان عام ١٨٩٢ م . اول يوليه سنة ١٩٨٨ ـ ١٧ ذو القعدة سنة ١٤٠٨ هـ



الغلاف الأول : تصميم الفنان محمد أبو طالب

الغلاف الأخير : لوحة من أعمال الفنان فؤاد كامل



● فكر وثقافة ●

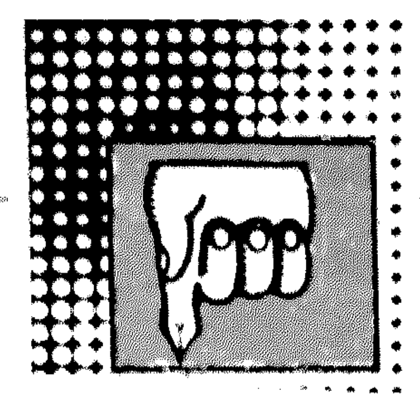
● قضايا حيوية ●

● جزء خاص .. الغناء والموسيقى ●

● قصة وشعر ●

● دراسة الهلال ●

● الابواب الثابتة ●



عزيزى القارئ

المصطبة القومية للثقافة!

المجلس القومى للثقافة فرع هزيل من « المجالس القومية المتخصصة » الكثيرة العدد ، القليلة الجدوى ، التى يرأسها الدكتور عبدالقادر حاتم منذ بضعة عشر عاما ، لم يتزحزح يوما واحدا عن كرسى الرئاسة فيها ، كما لم يتزحزح أعضاء هذه المجالس عن أماكنهم فوق المصطبة الرسمية التى حشد فوقها الدكتور حاتم إلى جانب المتخصصين الحقيقيين ، كثيرا من أصدقائه الذين ليس لهم تخصص حقيقى ولاخصوصية إلا فى صداقته والالتفاف حوله فى جميع الأحوال ..

ولئن كان لبعض تلك المجالس المتخصصة نشاط نظرى أو فكرى شفوى أو مسجل أو مخطوط فى تقاريرها وأضابيرها ، فإن المجلس الوحيد الذى يفتقر إلى أدنى نشاط نظرى أو عملى أو شفوى حقيقى ، هو مايسمى بالمجلس القومى للثقافة ..

لقد ضم هذا المجلس بعض فضلاء المثقفين ولكنهم ضاعوا فى خضم عواجيز فرح الثقافة القومية الواغلين فيها ، والمتربحين من ورائها ، والمحسوبين عليها .. ممن لاشغل لهم إلا الوثوب على هذه الفرصة أو تلك هنا أو هناك ، رافعين قميص عثمان الثقافة المصرية المفترى عليها ، والمغلوبة على أمرها ! ..

وماظنك ياعزيزى القارىء الكريم بمجلس رسمى يدَّعى التخصص القومى للثقافة ثم يجهل أو يتجاهل المجلات الثقافية المصرية الكبرى ذات التاريخ المجيد ، وينكرها أو يتنكر لها ، وينساها أو يتناساها ، ويتغابى فى النظر إليها كأنه غبى يدعى الحصافة والذكاء ؟! ..

إن المجلس القومى الثقافى « المتخصص » يجهل المعلومات العامة البسيطة عن الصحافة الثقافية المصرية ، فهو يجهل - مثلا - أن أعرق مجلة ثقافية فى الوطن العربى كله تصدر فى مصر منذ بضعة وتسعين عاما بلا انقطاع ، كانت خلالها ومازالت سجل الأدب العربى والثقافة المصرية .. وعلى صفحاتها تعاقبت أجيال متتابعة من عمالقة

الأدباء المصريين والعرب منذ أواخر القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا فى أواخر القرن العشرين ! .. ولايوجد أديب ولامفكر مصرى أو عربى ظهر خلال هذا القرن الذى عاشته مجلة « الهلال » حتى الآن لم يكتب على صفحاتها ، حتى غدت بجدارة أولى المجلات الثقافية القومية العالية المستوى ، واستطاعت وحدها ـ دون جميع المجلات الشهرية والأسبوعية ـ أن تعيش مائة عام تقريبا ، وتسجل تطور الثقافة المصرية والعربية من جيل جرجى زيدان ولطفى السيد ، إلى جيل طه حسين والعقاد ، إلى الجيل الحاضر .. وقدمت خلال هذه الحقبة المديدة للقارىء العربى ألوان الابداع الفكرى العربى والعالمى ، وكانت دائما سفيرا ثقافيا لمصر فى كل مكان ..

إن الهلال بتاريخها هذا الحافل المجيد الذى مازالت تحمل تبعاته وتنهض بأعبائه ، لجديرة بالاعزاز والاجلال من كل غيور على الثقافة المصرية ، وإنها لترضى منه بكلمة تشجيع أو اعتراف أو دعوة إلى دعمها وإزالة العقبات من طريقها لتصبح أقدر على المضى فى رسالتها التى واصلتها عشرات السنين .

ولكن هذا المعنى البديهى لم يخطر على بال المجلس القومى للثقافة ، بل غاب عن باله تماما وجود مجلة ثقافية فى مصر تصدر منذ سنة ١٨٩٢ حتى اليوم بلا انقطاع .. وهذه المدة المديدة خليقة فى حد ذاتها بلفت انتباه كل من له عينان ينظر بهما ، وكل من لم يُصِبْ أذنيه الصمم .. ولكن مجلة الهلال التى ينطبق عليها قول أبى الطيب المتنبى :

أنا الذى نظر الأعمى إلى أدبى
وأسمعت كلماتى من به صممُ

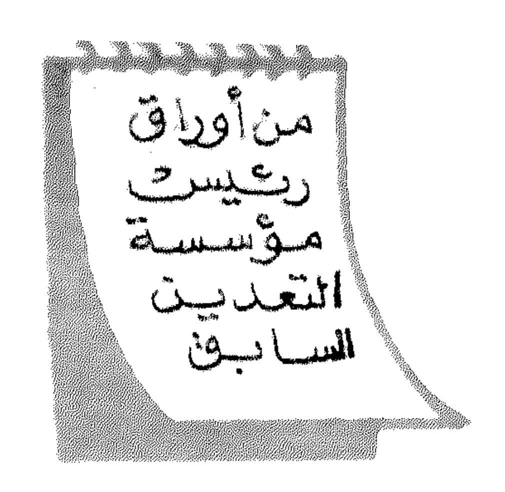
.. مجلة الهلال وهذا شأنها ، غابت عمن أصابهم العمى والصمم فى ذلك المجلس الثقافى المزعوم ، فرفعوا عقائرهم يطلبون إصدار مجلة ثقافية قومية ! ..

إن دعوتهم هذه لاغبار عليها ، لو لم تتضمن بصراحة إنكار وجود مجلة ثقافية مصرية ، إلى جانبها مجلات ! .. ولو لم تتستر تلك الدعوة على ماوراءها من أغراض شخصية محضة ، تطفح بالانتهازية والوصولية والرغبة فى الانتفاع الذاتى ! ..

إن صدور مجلات جديدة للثقافة فى مصر ، يمكن أن يكون برهان يقظة ، لو كان وراءه سبب موضوعى لامجرد تعلات شخصية ينفخ أصحابها فى مشروعات وهمية ، ويتاجرون بكلمات جوفاء ! ..

وعندما يتحدث الجالسون الكرام على مصطبة المجلس القومى للثقافة عن مجلات ثقافية جديدة متجاهلين المجلات الثقافية الموجودة من مائة عام ، غامزين إياها ، كائدين لها ، حاقدين عليها ، فهذا تهريج وتفكير شخصى مريض ، وعماية مطبقة ، وجهل عميق بالواقع الثقافى المصرى والعربى وحاجاته الحقيقية ! ..

وما أتعس ثقافتنا بمجلسها القومى الأعلى المتخصص فى الجلوس على مصطبة الثقافية ، دون أن يصنع شيئا إلا مايصنعه عجائز الرجال والنساء فى الريف من الثرثرة ليلا على المصاطب حتى يغلبهم التثاؤب ويدب إلى أجفانهم النوم الثقيل ! ..

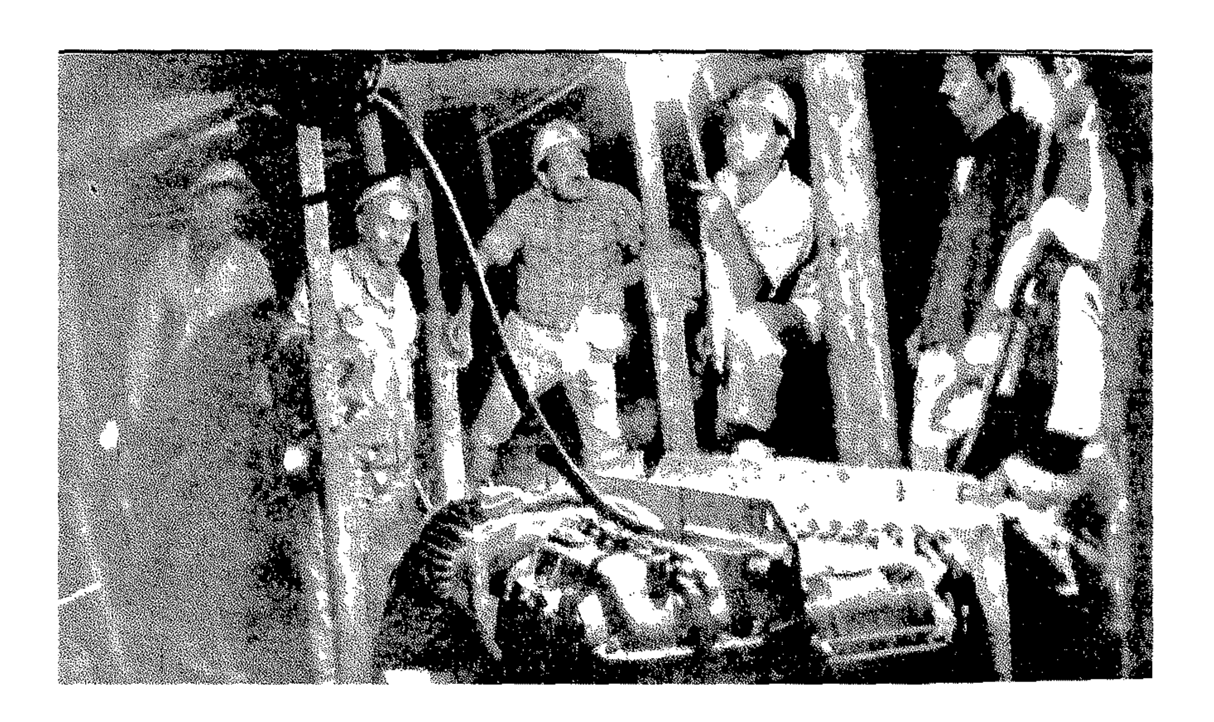


قصة اكتشاف خام الفوسفات بهضبة أبوطرطور بالصحراء الغربية

بقلم : د. رشدى سعيد

كتبت المقال التالى عام ١٩٧٠ كمقدمة لكتيب أصدرته مؤسسة التعدين المصرية عن فوسفات أبو طرطور وفيه تسجيل لقصة هذا الكشف التعدينى الكبير الذى يقع فى قلب الصحراء الغربية المصرية فى الهضبة المقفرة فيما بين الواحتين الخارجة والداخلة . وقد يكون لإعادة طبع هذا المقال ونشره فائدة ، ففيه نفحة من تلك الروح التى أثارتها فى جيلى تجربة التنمية الوطنية المستقلة التى مرت بها مصر فى اواخر الخمسينيات والستينيات .

وتعتبر هذه التجربة فريدة بكافة المقاييس فقد جندت مصر فيها كفاءاتها وأموالها لتنمية مواردها على كافة الجبهات وتوزيع نتائج هذه التنمية فى إطار من العدل الاجتماعى المقبول . ولم تهدف عمليات التنمية هذه إلى التصدير أو إلى ادخال مصر فى فلك النظام المالى العالمى بل كان هدفها اشباع حاجات المستهلكين والاستغناء عن الاستيراد كلما كان ذلك ممكنا ـ وقد استطاعت مصر خلال معظم الفترة أن تلهم شبابها وشيوخها وأن تثير حماسهم لدرجة قد يصعب على الكثيرين أن يتخيلوها اليوم ـ وقد تمت عمليات التنمية هذه دون اللجوء إلى قروض واسعة كما هدفت فيما هدفت إليه إلى تشغيل أكبر عدد من الأيدى العاملة فقد كان القطاع العام ولا يزال أكبر موظف فى مصر . وفى هذه الفترة كان

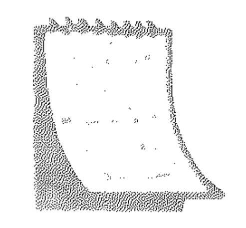


الأبطال الذين غزوا أعماق الأرض من أجل المعادن

هنــاك اهتمام كبيــر بالبحث العلمى وبمؤسسات الدولة الصناعية التى كان يقع عليها عبء انشاء الصناعة والقيام بدراسة جدواها وتحديد مواصفاتهـا والاشراف عليها فلم يكن فى ذلك الوقت مكان للمكاتب الاستشارية الخاصة ولا لممثلى الشركات المتعددة الجنسية .

ولما كان احتياطى خام فوسفات "ابو طرطور" كبيرا فقد بنيت خطة استغلاله على تصدير فائض كبير منه وهو الأمر الذى حدا بنا إلى دراسة عملية تسويقه قبل الإقدام على تنميته ، ولما كان الاستخدام الأساسى للخام هو فى صناعة الأسمدة فقد قمنا بمسح توسعات هذه الصناعة فى العالم الصناعى فوجدنا أن لدول أوربا الغربية معينا لا ينضب من هذا الخام فى شمال أفريقيا والمغرب بالذات حيث تداخلت الاحتكارات العالمية مع المصالح المحلية فى تشغيل رواسب هذه المنطقة الغنية بالخام . أما الولايات المتحدة وكندا فلهما مناجمهما المحلية الكبيرة ولم يعد أمام مصر من سوق يمكن أن تستوعب انتاجها غير كتلة الدول الشرقية والصين فقد كانت لها خطط لتوسيع مصانع أسمدتها تفوق ما كان لديها من احتياطى للخام ومن هنا كان اهتمام هذه الدول بالمساهمة فى تمويل مشروع "أبو طرطور" وبـذا التقت مصلحتانا .

وفى منتصف السبعينيـات تغيرت سياسة التنمية المصرية وتوجهـاتها وتغيرت معها أشياء كثيرة وكان أبو طرطور أحد ضحايا هذا التغير . فبعد أن نقل الاشراف من هذا الكشف إلى هيئة أخرى بغيز رصيد فى أعمال التعدين ، أصبح المشروع ملعبا حرا للمقاولين ومكاتب الاستشارات التى كسبت من ورائه مكـاسب كبيرة فـارتفعت فى أرضه العمارات العالية قبل أن تخرج منه حبة واحدة من الخام وكتبت عنه عشرات من دراسات الجدوى بواسطة مختلف المكاتب الاستشارية واستجلبت له شركات أجنبية لإعادة دراسته وتقييمه وارسلت تحت أسمه الوفود الى مختلف أرجاء الأرض لاستجداء تمويله وجاءت إليه وفود من صناديق الانماء العربية وهيئات المعونة الأجنبية والبنوك الدولية . ولما كانت فكرة التنمية الوطنية المستقلة قد سقطت



وامكانية الاستعانة أو حتى التجارة مع كتلة الدولة الشرقية غير واردة فَقَدَ فقدَ المشروع المقترح أهم اركانه فتعثر بناؤه ومازال متوقفا بعد عشرين سنة من وضع خطة استغلاله .

ومن الطريف أن نذكر هنا أن كتلة الدول الشرقية قد تعاقدت مع بلاد المغرب لاستيراد ما تحتاجه من خام الفوسفات لمجابهة متطلبات توسعات مصانعها .

وخطة استغلال الراسب ، الموصوفة فى المقال التالى ، هى بنت زمانها ، فقد وضعت فى عام ١٩٦٩ لتناسب احوال مصر والعالم فى ذلك الوقت وهى فى أغلب الظن غير ذات جدوى ولا تتناسب وأحوال مصر اليوم فقد ارتفعت أسعار العدد والفائدة على القروض . واختلفت طرق التمويل المتاحة كما أصبح الإقراض صعبا بالنسبة للدول المقترضة كما تدنت أسعار الخام واقفلت فى وجه مصر السوق التى كان من الممكن أن تحتاج إلى هذا الانتاج الكبير . ولكن يبقى أن الخام المكتشف ثروة كبيرة فى يد مصر يمكن الاستفادة منها بخطط أخرى تتناسب وعالم اليوم فقد يكون من المفيد دراسة تصنيع الخام فى مكانه أو تحت الأرض دون اللجوء إلى حفر الانفاق المكلفة إلى غير ذلك من الطرق .

وأريد من القارىء أن يلاحظ ضآلة أرقام الاستثمار التى كنا نطمع أن ننشىء بها مشروعنا الجبار فى عام ١٩٦٩ وهى أرقام واقعية قدرت بالمقارنة إلى ارقام استثمار مشروع مماثل هو مشروع تنمية منجم حديد الواحات البحرية والذى بدىء العمل فيه فى عام ١٩٦٤ وربط بالقاهرة بخط للسكة الحديد وخط للكهرباء وهو المشروع الذى يعتبر بحق فخرا لمصر وللجيل الذى أنتمى إليه . كنا فى وقت لم تفسده مكاتب السماسرة وعالم لم يعرف العمولات أو يقبل عمليات "تسليم المفتاح" فقد كان بمصر فى ذلك الوقت مؤسسات على درجة كبيرة من الكفاءة وأجهزة قادرة على القيام بمختلف الأعمال . لم نكن فى حاجة إلى أن نستورد أجنبيا ليبنى لنا مبانينا أو ليدرس مشاريعنا أو ليصنع لنا خططنا .

نص المقال (★)

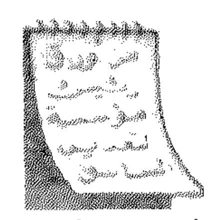
فوسفات "أبو طرطور" أحد الكشوف الكبرى لمؤسسة التعدين

عندما توليت شئون مؤسسة التعدين عام ١٩٦٨ قمت برحلة أزور فيها مناطق مناجم الفوسفات فى مصر ، وبدأت رحلتى فى شهر يولية من ذلك العام مبتدئا بمنطقة البحر الأحمر ، ثم عبرت الصحراء لأزور مناجم فوسفات وادى النيل حول السباعية بالقرب من إسنا . وعندما رجعت من رحلتى كان انطباعى الذى كنت قد كونته من معرفتى بجيولوجية هذه المناطق عن قلة احتياطياتها من خام الفوسفات القابل للاستخراج الاقتصادى فى إطار ظروف العالم الجديد قد استقر تماما فى الذهن . ففى منطقة البحر الأحمر بالذات كانت هناك مناجم قديمة بدىء فى استغلالها منذ عشرينيات هذا القرن عن طريق التشغيل اليدوى فى ظروف اجتماعية كانت تسمح باستغلال العمال

المهين[١] ، وفى اطار اقتصاديات عالم لم يكن يتطور سواء فى تكنولوجية الاستخراج أو فى توسعاته الاقتصادية إلا فى حدود معدلات بسيطة ، مما كان يسمح لمثل هذه المناجم بالقدرة على التواؤم مع متطلبات ذلك العصر . وعندما جاء عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية بتوسعاته الاقتصادية المذهلة وتقدمه التكنولوجى المهيب وثورته الاجتماعية التى حصل فيها العمال على حقوقهم المشروعة ، انحدرت مناجم الفوسفات التى ظلت تمثل جزءا غير قليل من الإنتاج العالمى حتى عام ١٩٤٠ إلى مكانة ثانوية لأنها لم تستطع التواؤم مع ظروف هذا العالم الجديد السريع التطور وعندما زرت هذه المناجم فى عام ١٩٦٨ لم أجد فقط أنها لم تتطور مع هذا العالم الجديد بل إنها كانت متخلفة حتى بمقاييس عالم ما قبل الحرب العالمية الثانية ، كما كانت الروح المعنوية للعاملين قد بلغت أسفل الدرك بعد أن منيت شركاتهم بالخسائر عاما وراء الآخر .

وعندما عدت إلى القاهرة بدأت مباشرة فى دراسة مشروعات تطوير منطقة البحر الأحمر ووادى النيل فاذا بى أجد بالإضافة إلى مشروع الحمراوين الذى كان قد بدىء فيه فعلا[٢] ، مشروعين مدرجين فى الخطة لإنتاج ٨٠٠,٠٠٠ طن فوسفات مركز من منطقة القصير وواحد لانتاج ٦٠٠,٠٠٠ طن مركز من منطقة سفاجا ، وكان كلا المشروعين قد أوكلا للجانب البولندى نتيجة لاتفاقية التعاون الفنى والاقتصادى بين البلدين التى كانت قد أبرمت فى عام ١٩٦٤ ، هذا بالاضافة إلى مشروع لتطوير مناجم القصير وزيادة كفاءتها ، وكان واضحا لى أن هذه المشاريع الثلاثة لا تستند إلى أساس ، ذلك لأنى أعرف على وجه اليقين أن منطقة البحر الأحمر لا تملك من الاحتياطيات ما يتيح لها إدراج مثل هذه المشروعات كما أعرف أن مناجم البحر الأحمر قد نضبت تماما بحيث إنه من باب إضاعة الوقت التفكير فى تطويرها . وزادت دهشتى عندما علمت أن وزارة التربية والتعليم تقوم ببناء مدرسة إعدادية فى الحماضات بجوار منجم من المؤكد أنه على وشك الإغلاق .

وعندما رجعت إلى خرائط المنطقة التى كانت المساحة الجيولوجية قد قامت بها فى محاولة لإنقاذ هذه المشروعات التى كان لابد من إثبات احتياطات لا تقل بحال عن ١٠٠ مليون طن قبل البدء فيها ، فانى لم أجد بها إلا ثلاث مناطق مأمولة وصغيرة لا يزيد سمك طبقات الفوسفات فيها على المتر الواحد ، إلا أنى لم أستطع أن أحدد قيمة الاحتياطى بها لأن آبارا لم تكن قد دقت بها لتحديد مساحتها ومعرفة تغيراتها ، فاتصلت بالجانب البولندى وعقدت معه عدة اجتماعات للبدء فى وضع برامج مخططة لمعرفة المتاح من احتياطيات الخام بالمنطقة حتى يمكن تحديد الأهداف لهذه المشروعات ، وقررت إرسال بعثة للحفر الآلى فى منطقة أبو شجيلة بالقصير وغيرها من مناطق القصير لإثبات احتياطياتها ـ وزرت البعثة وتابعت أعمالها وبين الفينة والأخرى كنت أغير البرنامج لكى ندق بعض الآبار فى أماكن أخرى غير المناطق المؤمولة حتى نقرر مرة واحدة الإمكانيات الكاملة للمنطقة بكاملها ـ وعندما انتهى برنامج الحفر الذى بلغ حوالى ٥٠٠٠ متر لم نستطع أن نثبت احتياطيا لخام الفوسفات فى منطقة



القصير بما يزيد بأى حال على ١٢ مليون طن كان أغلبها يقع فى مناطق مغمورة بالماء وفى طبقات رفيعة السمك ومفتتة فى كتل مفصولة بكثير من الفوالق .

وفى نفس الوقت كان مشروع الحمراوين الذى بدىء فى تنفيذه تنقصه الاحتياطيات ولم تكن الطبقات التى بدىء فى استغلالها بأحسن حال من "أبو شجيلة" من حيث السمك أو الامتداد ، كما كانت دراستى عن منطقة السباعية بوادى النيل وخاصة فى منطقتها الشرقية التى حفظت لكى تكون الاحتياطى اللازم لتطوير شركة النصر للفوسفات وقد أثبتت لى أن الاحتياطى القابل للاستخراج كان قليلا كما كانت الطبقات قليلة السمك ونوع الخام مما ينذر بصعوبة تركيزه .

وفى ضوء هذه الدراسات عدت إلى مجلس إدارة المؤسسة وأعدنا تخطيط أهداف المشروعات إلى أرقام أكثر واقعية وأكثر ارتباطا بواقع الحال ، إلا أنى كنت خلال كل ذلك ضيق الصدر أمام هذه المشروعات الصغيرة التى وإن ملأت فراغا وأصلحت حالا مال تمام الميل إلا أنها لم تكن تعبر عما يجيش فى صدرى من آمال لنقل صناعة التعدين من أصغر صناعات مصر وأكثرها تخلفا إلى ما ينبغى أن تحتله من مكانة .

وفى لحظة من اللحظات التى ازداد فيها ضيقى بهذه التواجدات المبعثرة والرفيعة السمك التى لا تصلح للانتاج الكبير ، قابلنى الدكتور بهى عيسوى وذكرنى بملاحظته أثناء عمله الحقلى عام ١٩٥٩ عن وجود طبقات سميكة من خام الفوسفات بالمنطقة بين الواحتين الداخلة والخارجة ، وبما سجله الأستاذ موريس هرمينا فى بحثه المنشور عام ١٩٦٧ عن هذا الوجود لقطاع المغربى ـ اللفية فى هضبة "أبو طرطور"

وعدت إلى البحث ، وأخذت أتخيل حجم الطبقات وقدر الخام .

وعندما جاءت أخبار البعثة التى أوفدتها فى الصحراء فى أوائل عام ١٩٦٩ بتأكيد السمك الكبير لقطاع المغربى ـ اللفية فى هضبة أبو طرطور تأكد لى أننا بصدد اكتشاف كبير فقررت أن أدرج فى الحال عام ٦٩ ـ ١٩٧٠ بعثة للحفر الآلى لدراسة مدىً امتداد الخام تحت الهضبة ورأيت أنه بالرغم من البعد الكبير لهذا الخام إلا أن ذلك يمكن تعويضه لو أننا استطعنا أن ننتج إنتاجا كبيرا . وكنت فى ذلك الحين أجتمع بمجلس الإدارة بانتظام لكى أدعو باصرار إلى ضرورة تطوير العمل عن طريق الميكنة والدخول فى عصر الإنتاج الكتلى الكبير حتى يمكن رفع إنتاجية العامل وإلى نبذ فكرة الإنتاج الصغير حتى يمكن نقل القطاع إلى مستوى العصر .

كان خام فوسفات أبو طرطور مستويا وطبقاته سميكة ودرجتها عالية النسبة فى خامس أكسيد الفوسفور واحتياطييه يبدو كبيرا ، والهضبة غير مكسورة بأية فوالق ذات تأثير معوق مما يجعله راسبا مثاليًا للاستخراج الكمى الكبير مما كان يعطى الفرصة لحل كل مشكلات المشروعات الصغيرة التى أخذت أتعثر فيها خلال معالجتها .



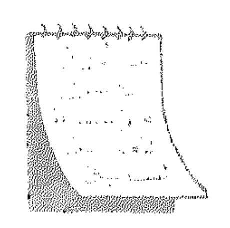
عزيز صدقى

وجلست على مكتبى أتخيل مبلغ الاستثمار المطلوب ومصاريف تشغيل استغلال هذا الخام وحجم الإنتاج الحدى وما يمكن أن تجنيه البلاد لو أنها بدأت فيه ، فقمت بدراسة مبدئية لمشروع استغلال هذا الخام تبين لى فيها أن حجم الاستثمار لم يقل بحال عن ٩٠ مليون جنيه وأن إنتاجا قدره بين ٦ و ٧ ملايين طن سنويا سيعطى المشروع ربحية والتعدين دفعة كبيرة .

وفى أثناء ذلك طلب السيد وزير الصناعة (هو الدكتور عزيز صدقى رائد التنمية الوطنية المستقلة) من مختلف المؤسسات الصناعية أن تقدم اقتراحاتها بشأن الخطة الخمسية الثالثة فقررت أن أقترح إدراج مشروع تنمية فوسفات "أبو طرطور" فأعدت صياغة أفكارى الأولية وتقدمت بالمشروع وكان مما شجعنى على ذلك أن نتائج حفر بنرين داخل الهضبة أثبتت امتداد طبقات الفوسفات فى مساحة كبيرة كما أن نتائج التحاليل الكيماوية بدأت تأتى مبشرة بنوع جيد من الخام العالى الدرجة والقابل للمعالجة دون فاقد كبير ودون الحاجة إلى عمليات معقدة فى التركيز .

وعندما اجتمعت مع السيد وزير الصناعة فى ذلك الوقت كان كعادته لماحا فقد رأى ما يمكن أن يضيفه تنمية هذا الراسب ، ولكنه رأى أيضا أن مبلغ الاستثمار المطلوب كان كبيرا فدفعه جانبا وأبلغنى أنه لا ينتظر أن تأتى الخطة الخمسية الثالثة بكل هذه المبالغ التى طلبتها مختلف فروع الصناعة ، وإن كان من الواضح أنه كان مقدرا لمبلغ النفع الكبير فيه ، فطلبت منه أن يسمح لنا بأن نستمر فى أعمالنا لتقييم الخام وأبلغته املى الكبير أنه عندما تتم أبحاثنا سنرى أن الكثير من دول العالم ستأتى لتساهم معنا فى تنمية هذا الحقل .

وفى أعقاب هذه المقابلة كان الوفد البولندى للجنة التعدين المشتركة قد حضر إلى مصر للتشاور فى الأعمال موضع العقود بين الجانبين وبعد أن تم استعراض مختلف الأعمال المشتركة التى كان الكثير منها يسير فى تعثر نتيجة أن معظمها - كما بينت - مبنى على احتياطيات مرغمة وأعمال صغيرة ومبعثرة شرحت للوفد أبعاد كشفنا الجديد فى أبى طرطور وطلبت من الوفد أن يزور المنطقة . وقد قبل أعضاء الوفد ذلك وسافروا فى طائرة خاصة استؤجرت لهم وعادوا بانطباع طيب إلا أنهم كرروا ما قاله لى السيد وزير الصناعة من أن الاستثمار المطلوب كبير جدا لن تتحمله دولة فى حجم بولندا إلا انهم ألمحوا بأنهم سيفكرون فى عرض الأمر على بعض الدول الاشتراكية التى ترغب فى استيراد الفوسفات للمشاركة فى تنمية هذا الحقل .



وفى ديسمبر ١٩٧٠ طلب الملحق التجارى السوفييتى أن يزور هضبة "أبو طرطور" ومعه كبير الخبراء السوفييت بالهيئة فاصطحبتهما إلى الحقل حيث تدارسنا الوضع على الطبيعة ثم عاد الملحق ومر على بعد أسبوعين لكى يبلغنى أن الاتحاد السوفييتى سينظر فى إمكان تمويل هذا المشروع .

وفى مارس ١٩٧١ شرفنى السيد نائب رئيس الوزراء ووزير الصناعة والبترول والثروة المعدنية (هو الدكتور عزيز صدقى) باختيارى عضوا فى الوفد المرافق لسيادته عند إمضائه لاتفاقية التعاون الفنى والاقتصادى بين مصر والاتحاد السوفييتى ، وقد تم إدراج تنمية حقل فوسفات أبى طرطور ضمن هذه الاتفاقية .

وإذا كنت قد سجلت قصة اكتشاف حقل فوسفات أبى طرطور فان الدور العظيم الذى قام به الدكتور عزيز صدقى للمشاركة فى أعمال تمويل المشروع لهو أمر أريد أن أسجله هنا بغاية الفخار ، فبدون استجابته وإيمانه بهذا الكشف فان الأمر ما كان ليزيد عن كونه سجلا من سجلات الكشوف التى ما كانت لترى النور . كما أن قصة العمل المشرف الذى قام به زملائى وأبنائى فى الحقل ذاته وقدر الجهد والتفانى اللذين أبدوهما فى عملهم فى ظروف تعتبر من أصعب الظروف المعيشية على قدر ما رأيت خلال حياتى الطويلة من العمل بالصحراء لهى قصة تستحق أن تسجل فان هضبة أبى طرطور هضبة وعرة المطلع وعورة شديدة والوصول إليها من أصعب الأمور سيرا على القدم فضلا عن تسيير حملة ميكانيكية بها كما أن سطحها مغطى بتراب رفيع أحمر اللون . سرعان ما يثور غبارا عالقا يكسو الأجسام والأكل والخيام بلونه القانى فى أول زوبعة أو مسيرة عليها كما أنها هضبة مكشوفة فى مهب الرياح قاسية الجو قارسة البرودة فى الشتاء شديدة الحرارة فى الصيف .

ماذا يعنى اكتشاف "أبو طرطور" :

تحتل صناعة التعدين فى عام ١٩٧٠ مركزا ثانويا فى الاقتصاد القومى للبلاد إذ لا يزيد قيمة إنتاجها خلال هذا العام على ٠٫٦٪ من جملة الإنتاج الصناعى . وهذه النسبة تشمل الجملة الكلية لكافة الإنتاج التعدينى وأعمال التحجير شاملة قيمة ناتج مؤسسة التعدين وجميع الأنشطة التعدينية المشغلة بمؤسسات الصناعة الأخرى أو أعمال التحجير المشغلة بالقطاع الخاص والمقدرة فى إجمالها بحوالى ٩ ملايين جنيه ، ولم تزد كمية الخامات والأحجار والأملاح المستخرجة من جميع أرجاء الجمهورية على ٦ ملايين من الأطنان نصفها من الرمال والزلط . ونود أن ننوه أن هذا الإنتاج سواء من حيث الكمية أو القيمة قد ظل ثابتا تقريبا خلال السنوات العشر السابقة لعام ١٩٧٠ فى نفس الوقت الذى تضاعف فيه الإنتاج الصناعى مما أدى إلى اتخاذ التعدين مركزا أكثر ثانوية فى الاقتصاد القومى عاما بعد آخر .

وعندما تتم تنمية حقل فوسفات "أبو طرطور" ، فانه سيعطى بلادنا إنتاجا تعدينيا يفوق كل ما تنتجه أرض مصر

اليوم من خامات معدنية أو أحجار أو أملاح مجتمعة ، وسيفوق فى قيمته ثمن كل ما تستخرجه مصر اليوم بأربع مرات على الأقل . وهذه الحقيقة وحدها تثبت حجم العمل الذى تقوم به الهيئة ومقدار ما اكتنبته فى تقدم التعدين ودفعه لكى يأخذ مكانه الذى يستحقه فى الاقتصاد القومى للبلاد .

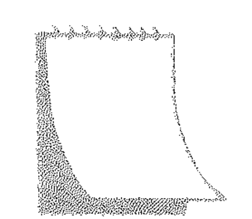
وإذا أريد بعد كل ذلك تقييم هذا الكشف العظيم فانه يمكن حسابه على أساس القيمة الفعلية للخام قبل استخراجه للمعالجة على أساس ٣ جنيهات للطن الواحد أى ما يوازى ١٨٠٠ مليون جنيه لعله واحد من أكبر احتياطيات الثروة التى وجدتها مصر حتى الآن . وهذا الكشف لا يعتبر فقط من أكبر اكتشافات التعدين فى مصر بل يعتبر أيضا من أكبر كشوف التعدين فى العالم إذ أن الاحتياطى المثبت لا يقل بأى حال عن ٥٪ من جملة الاحتياطى المثبت لهذا الخام فى العالم .

ماهو مشروع فوسفات "ابو طرطور" :

يهدف مشروع تنمية فوسفات أبى طرطور إلى إنتاج ٧ ملايين طن فوسفات مركز (٣٢ - ٣٣٪ خامس أكسيد الفوسفور) يقدر الحصول عليها من ١٠ ملايين طن تستخرج من فوهة المنجم . وتبعا للأنماط التى وضعتها المساحة الجيولوجية المصرية مؤخرا فان مثل هذا الهدف لا يمكن البدء فيه قبل إثبات احتياطات تكفى الاستخراج لخمسين عاما مضافا إليها نسبة ٢٠٪ ستبقى فى المناجم دون إزالة كحوائط أو غير ذلك وعلى هذا فقد وضعت المساحة الجيولوجية خطتها لإثبات احتياطيات تبلغ كميتها ٦٠٠ مليون طن من هذا الخام . كما أن درجة إثبات الاحتياطيات المطلوبة يسير تبعا لأنماط المساحة الجيولوجية المصرية التى تتبعها بحيث يكون ١٠٪ من هذا الاحتياطى بدرجة تأكيد **A** ، ٣٠٪ بدرجة تأكيد **B** ، ٦٠٪ بدرجة تأكيد **C** (راجع دليل المساحة الجيولوجية ١٩٧١) .

وتحتوى الصفحات التالية على ملخص للخطة التى وضعتها المساحة الجيولوجية المصرية للقيام بهذا العمل وما تم منها حتى الآن . ومن المقرر أن تنتهى جميع أعمال إثبات احتياطات الخام فى أخر عام ١٩٧٢ .

وإثبات الاحتياطات فى هضبة "أبو طرطور" يحتاج إلى برامج للحفر الآلى لتقدير مدى امتداد الخام تحت الهضبة وتقدر أطوال الحفر بحوالى ٣٢,٠٠٠ متر على كل المساحة المشغلة وكذلك إلى برامج لحفر الأنفاق والترنشات التى تقدر بحوالى ٣٠٠ متر وكذلك إلى الدراسة الكيميائية والمعدنية والطبيعية وإجراء التجارب التكنولوجية على العينة الممثلة للراسب لإعداد الخرائط الكاملة لتخطيط دقيق لفتح المناجم واستغلالها على مدى خمسين عاما لإمكان الاستخراج المنتظم على طول مدة الاستغلال وحتى يمكن إعداد المنشآت الصناعية الموائمة لمواصفات هذا الخام وأنواع هذه الخرائط والبيانات معدة تفصيلا فى دليل أعمال المساحة الجيولوجية المصرية وهى لا تقل عن ٢٠٠ خريطة من أنواع ومقاييس مختلفة . وتقدر ساعات العمل المطلوبة لتنفيذ هذا البرنامج بأكثر من مليون ساعة عمل لحوالى ٢٠٠ فرد ابتداء من مدير المشروع والجيولوجيين والمهندسين



والحفارين والميكانيكيين والسائقين والعمال ومن ورائهم الإداريون والماليون وصناع الحملة الميكانيكية الهائلة التى ستخدم هذا المشروع ، كما تقدر تكاليف تنفيذ هذه الأبحاث بحوالى مليونى جنيه .

ونظرا لوعورة الصعود إلى هضبة "أبو طرطور" ولأن الجزء الأكبر من القطاع المنتظر حفره يتكون من حجر جيرى شديد المسامية مما يستدعى استخدام كميات كبيرة من المياه فى عمليات الحفر الآلى التى يتم نقلها بصعوبة كبيرة فقد قامت الهيئة أخيرا بتطوير أجهزة الحفر الآلى بحيث. تعمل باستخدام الهواء المضغوط مما سيوفر أكبر التوفير فى نقل المياه إلى أعلى الهضبة .

ويبلغ جملة الاستثمار المقدر لإتمام المشروع حوالى مائة مليون جنيه منها سبعون مليون جنيه فى صورة استثمارات تكميلية لا تمس التعدين فى ذاته بمعنى أن معظم الاستثمار سيذهب فى عمليات تعميرية ستنقل البلاد إلى مصاف الدول المتقدمة ،

أما مصاريف التشغيل السنوية فحسبت على أساس زيادة إنتاجية العامل لحوالى عشرة أضعاف إنتاجيته الحالية التى لا تزيد فى جملتها على مائة طن فى العام الواحد وهذه النسبة الجديدة ملزالت بالرغم من ذلك تعادل نصف إنتاجية العامل الأوروبى وعلى أساس الاستخدام الأفضل للوقود والكهرباء والمياه والمفرقعات ومستلزمات التدعيم ومختلف المواد الأخرى تبعا للأنماط التى وضعتها المساحة الجيولوجية المصرية أخيرا .

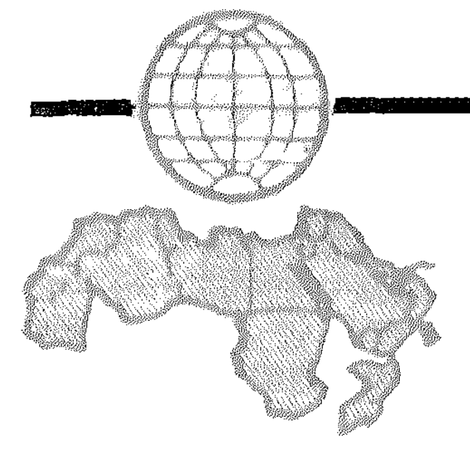
ولعل من المفيد أن أبين فى نهاية هذه المقدمة أن مشروعات التعدين هى مشروعات طويلة المدى لا يقل الوقت الذى ينقضى بين البدء فى كشوفها حتى استغلالها الكامل عن عقد من الزمان فى أحسن الأحوال . وهذا من الأمور التى ينبغى أن تكون راسخة فى ذهن العاملين بهذا القطاع لأنها تحتاج إلى نوع من القيادة ذات الخيال وعدم الأثرة ، فأغلب الظن أن الكثيرين منا لن يحصدوا ما نزرعه الآن ولكنا نتركه للأبناء .

الهوامش

★ نص التقديم الذى كتبته للكتاب الذى سقط من قوائم مطبوعات المؤسسة بعد أن تركت عملى بها فى عام ١٩٧٧ .

(١) كان عمال مناجم الفوسفات حتى ثورة ١٩٥٢ يأتون فى ترحيلات دون عائلاتهم عن طريق المقاولين من الصعيد بأجر يومى يتراوح بين ٣ ، ٥ قروش ولم تكن لهم أى ضمانات اجتماعية من قبل الشركة كما كانت ظروف عملهم تحت الأرض وبداخل الانفاق على غاية القسوة وعندما تنحدر صحتهم بعد أعوام الشباب كان يعاد تصديرهم إلى الريف .

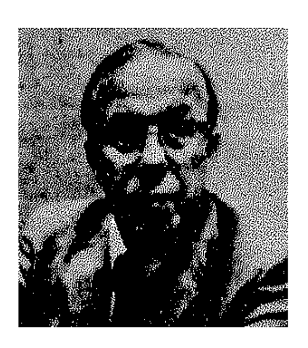
(٢) تقع منطقة الحمراوية على ساحل البحر الأحمر شمال القصير بها احتياطى صغير من خام الفوسفات كان المأمول تنميته لإحلال المناجم القديمة بالقصير .



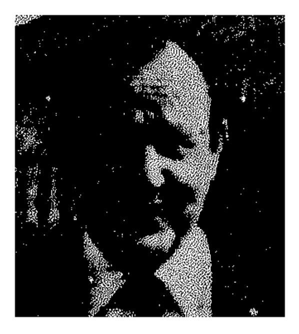
أقــوال معــاصــرة



حسنى مبارك



جورج شولتز



هانز ديتريش جينشر

● « لن يصادر كتاب او صحيفة فى عهدى »
الرئيس حسنى مبارك

● « لم اتوقع أن أجد نفسى هنا »
الرئيس الامريكى
ريجان فى موسكو

● « السعادة غير موجودة ، الرغبة فى تحقيقها هى الشىء الوحيد الموجود »
المخرجة الالمانية
مارجريت فون تروتا

● « التعايش مع الوضع القائم فى الضفةالغربية اسوأ الاختيارات » .

جورج شولتز
وزير خارجية الولايات المتحدة

● من الغباء عدم الاعتراف بان الولايات المتحدة هى قائدة العالم » .

فيليب جونز الس
رئيس وزراء اسبانيا الاشتراكى

● حتى محترقو كراهية الروس لا يمكنهم الا ان يعترفوا ان الامور تتطور الى احسن » .

جورجى ارباتوف
السياسى السوفيتى

● التقارب بين القوتين الاعظم فى صالح اوروبا»
هانز ديتريش جنشر
وزير خارجية المانيا الاتحادية

● التاتشرية تصبب .. هى حرية لاصحـــــاب الاعمال وانتقاص من حرية الفنانين »
ديفيد هوكنى
الفنان الانجليزى

الأشواك



بقلم: د. شكري محمد عياد

عن الحب

لنتحدث هذه المرة عن الحب !

الحب بمعناه الشائع . الحب الذى يكون بين الرجل والمراة .

فالصوفية يتحدثون عن الحب الالهى . والسياسيون يتحدثون عن الحب الذى هو ضد الحقد . وقد طلع علينا بعض الكتاب السياسيين - فى وقت من الأوقات - ببدعة ماعرفنا لها مثيلا فى شرق ولاغرب ، فى شمال ولاجنوب ، فى ماض ولاحاضر . فكانوا يذيلون مقالاتهم السياسية بفقرة غزل . وكان بعض القراء يعزون هذه الفقرة الوردية إلى خرف الشيخوخة ، ولكن القراء الأكثر حصافة كانوا يعزونها إلى توجيه سياسي . وبما ان كل شىء من أجل المعركة فلماذا لايكون الحب أيضا ... ؟ وما أظرفها معركة حين يكون الحب احد طرفيها والحقد هو الطرف الآخر !

أليس من الطبيعى أن يصبح الحب حاقدا حتى يستطيع ان يقاتل الحقد ؟ وهكذا تعلمنا وقتها أن « الحب » يمكن أن يكشر عن أنيابه ، وان يزج بالناس فى المعتقلات ، وأن يتوعد بالويل والثبور وعظائم الامور . وقال لنا الخبراء ببواطن النفوس إن بين الحب والكره علاقة « حميمة » وإن الامثال الشعبية - كعادتها لم تخطىء حين قالت إنه « ما محبة إلا بعد عداوة » ، ولا حين قالت إن « القط يحب خنّاقه » ولا إن الانسان العاقل يجب عليه أن يقبل اليد التى لايقدر أن يعضها .

وإذن فليس هناك مايدعو الى الانزعاج اذا تنمر الحب ، وتطامن الحقد مراعاة للظروف ، مادامت اللعبة مفهومة ، وتبادل الأدوار فى الحب والكره يجرى بانسجام وتناغم بين الطرفين الحبيبين العدوين . ولكن المصائب كلها يمكن أن تقع إذا اختل التوازن ، ورفض الطرف المظلوم أن يتلقى صولة الحبيب الظالم بالخضوع والشكر ، كما قال جميل بثينة :

خليليَّ فيما عشتما هل رأيتما
قتيلا بكى من حب قاتله مثلى ؟

وهنا يمكن أن يكفهر الجو فجأة ، ويحدث القتل الفعلى كما هو معروف .

والكلام طبعا عن الحب بين الرجل والمرأة ! إلا أن الناس الذين خلطوا الحب بالسياسة أوقعونا فى هذا اللبس غير المقصود . وكنا نسمع قديما أن السياسة مبنية على المصالح ، وأن الحب مبنى على ... على ماذا ؟ لا أحد يدرى ، فروعة الحب أنه مجهول الأسباب ، أو هكذا كان إلى وقت غير بعيد ، ثم كانت نتيجة خلط الأوراق بين الحب والسياسة أن أصبحت السياسة معرضا مفزعا لكل درجات الانحراف الساديّ ـ المازوكيّ ، وأصبح الحب ـ أو ما كان يعرف قديما باسم الحب ـ مبنيا على المصالح .

وقد وضع أفلاطون على لسان سقراط فى « المأدبة » وصفا طريفا للحب ، على طريقة اليونان القدماء فى تشخيص المعانى : أن الحب روح صعلوك متشرد . يسير حافيا ، وينام على الأرض أو فى مداخل البيوت ، ولكنه شجاع وشهم وواسع الحيلة ، وقد كان من حسن حظه أو سوئه أنه ولد مع الجمال فى يوم واحد ، فهو موكل بالجمال يتبعه ويخدمه ، ويحاول كلما استطاع أن يستولى عليه ويتملكه . وما احرى هذا الوصف أن ينطبق على الحب فى أيامنا ، الا ان الحب لم يعد ذلك الماكر الظريف بل أصبح خشنا جافيا معتديا ، فقد راح يبحث عن أخيه الجمال فلا يجده فى أى مكان ، فاذا صعد الى مبنى التليفزيون رأى « دُمى » تبتسم بلا روح ، واذا هبط الى فناء الجامعة رأى خياما سوداً تمشى على قدمين ، واذا ذهب الى احد الشواطىء لم تقع عيناه الا على ثدى مهدلة ، وكروش مدلاة ، فينكفىء حزينا يغمغم بقول العقاد رحمه الله :

دعتك العرائس فى بحرها
ففيم الوقوف على الساحل ؟
إلى الماء ! لا بل الى السابحين
(م) لا بل إلى الغرق العاجل
فليس على البحر الا غريقٌ
وإن لم يكن فيه بالنازل
سواحره احتشدت كلها
علينا فيا ويح للغافل !

ويا طالما عاث الصبى مرحا على هذه الشواطىء نفسها فى الزمن الغابر ، فخدع الغافلين امثالنا ولا حظّ لنا من كل ذلك الجمال المحتشد الا النظر . ولكن أين تنظر ؟ هنا أو هنا أو هنا ؟ ويلعب « الحب » لعبته فاذا الشاب منا لا يفتن بجميلة بعينها بل يسحر بالجمال كله ، وانى لأعلم ان الكثيرين منا ربما ذهبوا بعد ذلك الى دور الريبة (وكان البغاء العلنى قائما) ففر هلعا من مناظر الساقطات .

فلا تلوموا ذلك الروح الماكر الظريف اذا انقلب شيطانا مريدا . لاتلوموه اذا شمر عن ساعديه وحشد البنين والبنات فى مراقص « الديسكو » ولاتلوموه اذا شمر عن ساعديه مرة اخرى وبعث عصبة من الشبـاب المتحمسين بـالعصى و« الجنازير » ليهدموا « الديسكو » على من فيه فأخطئوه ودخلوا مسرحا . لاتلوموا « الحب » اذا اقترف كل الشناعات فى الخفاء ، مادامت أبواب العمل المشروع





قد سدت في وجهه . حتى حرم الحب الهادىء ـ البيت ـ لم يعد له مكان فيه !

ومعلوم أن الحب طائر نزق ، يسأم التكرار وتقتله العادة ، وتستهويه المغامرة ، ويلذ له ان ينصب حبائله للغافلين لهذا لايطمع احد الزوجين أن تدوم لهما نشوة الحب اكثر من بضعة أشهر واحيانا بضعة اسابيع او ايام . الا ان للحب الزوجي أعوانا يخلفونه إذا غاب ، ويلتفون حوله ويسعون بين يديه اذا نزل : اعوانا نسميهم العشرة ، والوفاء ، والمودة ، والحنان ، ولاسيما اذا أثمر الحب صغارا يؤرخ الزوجان حبهما باعمارهم ، ويحلمان بالمستقبل في عيونهم ولكن هؤلاء الأعوان لا يألفون سوى البيت المستقر ، وليس لهم حكم على سيدهم ، فهو يغيب اذا شاء ويحضر انى شاء ، أما على الزوجين الحبيبين فحكمهم نافذ وكلمتهم قانون : فهم لايقبلون من أحد الزوجين أن يختفى شهورا بمحض ارادته ، تلك عندهم كبيرة الكبائر ، فما بالك اذا كان الاختفاء لسبب تافه ، كأن يشترى ثلاجة او فيديو او يضع جهاز تكييف فى غرفة النوم ؟ فالحب وأعوانه معه لايكرهون شيئا كما يكرهون هذه الأشياء . وقد علمت أن الحب صعلوك ليس له هو شخصيا بيت ينام فيه . وهو يعرف بالطبع ان هذه حالة لا يمكن ان يصبر عليها أحد من البشر ، لأنه روح هائمة ، وهم أجساد لابد ان تشغل حيزا من المكان ، ولذلك يبارك البيت الصغير الذي يسكن فيه الزوجان الحبيبان . وهو بطبيعته يكره المادة ، ولكنه يعلم ان البشر مخلوقون من طين ، فهو يغمض عينيه خجلا كلما غلبتهما جبلّة الطين حتى يفيقا ، وعندئذ يتنهد ويضع على جبين كل منهما قبلة ، فقد تخففا من ثقل الجسد ، وعاد الى روحيهما الصفاء ولكنه اذا رأى الطين يبسط سلطانه على الروح ويسخرها لخدمته : مرة ملابس غالية يستر بها قبحه ، ومرة اصباغ ودهانات يغير بها شخصيته ، ومرة اجهزة تقيه الحر والبرد والرطوبة كي لا يتلف ، ومرة اجهزة اخرى تخدر الروح لتظل مطيعة لأوامره ـ فهنا ينفض الحب ذراعيه وربما رحل الى الأبد . وماله يبقى فى بيت لاتنتهى له مطالب ، ولاتهدأ له ضجة ، ولا يعرف الواحد ممن فيه غير شهوة نفسه ، ولا يشعر بوجود الآخرين الا حيث يحتاج اليهم لقضاء بعض مآربه ؟ وماله يبقى فى بيت لم يعد يرى فيه أبا يضع ابنه فى حجره ويقص عليه حكاية ، ولا أخا يجلس مع أخيه ويعلمه لعبة ، ولابنتا تغنى لعروستها ، ولازوجة تحادث زوجها في غير هموم البيت ؟ وهم على ذلك قد ملئوا جوانب المنزل بأشياء ، لا لزوم لها ! كراسيّ لايجلس عليها احد ، ودواليب مملوءة بأوان وملابس والحفة لم تعد تستعمل ، فاذا بحث الواحد منهم عن شيء يطلبه فى هذا الركام لم يجده . والأدهى تلك « التحف » التى حصلوا عليها لا أدرى من أين ، وزينوا بها الأركان والجدران مع ان منظرها يؤذى العين ويملأ النفس كآبة ، لاسيما والغبار يعلوها ويلتصق بها حتى يصبح جزءا منها . فماذا يصنع الحب فى منزل كهذا وهو يكاد يعثر فى كل خطوة ، مع انه يسير على قدم كما هو معلوم ؟يذهب الحب ويذهب بعده اعوانه . وتسكن الشياطين بدلا منهم ،

وهذه لامانع عندها من ان تسرب بين قطع الاثاث ، وتلبد فى الدواليب وتعشش تحت الكتب وتتكيف بحسب الموضع حتى تقيم بين المخدة وبياضتها ، فلا ينجو من وسوستها أحد فى يقظته أو نومه . وهكذا تلوث المرأة شرف زوجها فى غيابه وتستقبله مع عشيقها بالساطور إذا رجع . وتقتل البنت أخاها الذى حسب نفسه رجل البيت وراح يرصد تحركاتها ويفسد عليها تدابيرها .

● الحب شوق النفس

الحب لايعيش ابدا بين اناس فقدوا احترامهم لأنفسهم فالحب ليس شهوة من شهوات الجسد التى يشارك فيها الانسان الحيوان مثل شهوة الطعام والشراب . والدليل على ذلك ان شهوة الجنس اذا تملكت الانسان لم تنته باشباع حاجة معلومة فى وقت معلوم ، ولكنها تطغى وتتسلط ولاتبغى الا اذلال روحه ، شأن السلطان المستبد اذا انتزع الحكم من ولى الأمر الشرعى . الحب لايرضى شهوة الجسد الا ليطامن من كبريائه هو ، وليذكر نفسه بأن خالقه اودعه فى سلالة من طين . الحب شوق النفس الى مايعوزها . ولأن النفس نزاعة دائما الى الافضل فهى تطلب الجمال فيما تحب . ومن شأن من يطلب الجمال والكمال الا يقف عند حد . فليس من شىء يراه المرء جميلا الا وفوقه ماهو أجمل منه ، فاذا حصل على الأول وأصبح جزءا منه سمت به همة نفسه الى الثانى . ومن ثم كان الحب فضيلة والجمال باعثا على الفضيلة .

وربما كان الحب فى أرقى صوره حبا للخير ، بل حبا لله ، وهنا يوشك الحب ان يتجرد من بشريته ويصبح حبا روحيا خالصا . ولكن الانسان الذى خلق من طين ثم من ماء مهين وجعل له السمع والبصر والفؤاد ليحس ويشعر ويعقل ، ليس من شأنه أن يصل الى هذه المرتبة العالية دفعة واحدة . واذا كان الله جلت قدرته قد شاء أن يكون شعورنا بجمال المرأة هو أول نبضة فى حركة نفوسنا نحو الجمال - لحكمة بقاء النوع واستمرار خلافة الله فى الأرض - فليس فى مقدور أحد ان يدعى انه يحب الله وقلبه لم يخفق بحب المرأة . إن العيون التى لاترى جمال المرأة لاترى جمال الكون ولاتشعر بعظمة خالقه . وكان العرب الذين أكرمهم الله بأن خاطب الانسانية بلغتهم وحملهم قبل غيرهم رسالة الى الناس كافة - كان العرب هم أساتذة العالم أيضا فى حب المرأة على اختلاف ضروبه وأشكاله . والذين لم يروا فى غزل الشعراء العرب بالمرأة سوى جانبه الحسى قد تعمدوا ألا يروا غيره ، انتقاصا من العرب وحضارتهم - ثم دينهم بعد ذلك . أو هم إن أحسنا الظن من مرضى النفوس الذين تؤرقهم خيالات الجنس بالليل وينكرونها بالنهار . إن غزل الشعراء العرب بالمرأة - وقد آن الأوان لينصفه الدارسون - يمزج الاعجاب بمفاتن الجسد - وهذه تتغير معاييرها من عصر الى عصر - بأشواق النفس التى اختص بها الانسان دون غيره من الكائنات ، ولازمت البشرية فى كل عصر وقبيل . والعرب رأوا فى جمال المرأة كل جميل فى بيئتهم الطبيعية : عيون البقر ورشاقة الغزال وبهاء الشمس والقمر . وكان هؤلاء الأعراب الجفاة - كما يصفونهم - أعظم احتراما للمرأة من اليونان والرومان .

ثم ان الحب مادام نابعا من شوق النفس الى الجمال والكمال فلا يمكن ان ينبض الا فى نفس حرة ، ولايمكن أن يفرض بقانون او توجيه . حتى ولاحب الوطن (رغم قول المغنّى - حتى ولا حب الله !

الشيخ محمد عبده
في حركة التجديد الإسلامي

بقلم : د . أحمد عبد الرحيم مصطفى

كان محمد عبده ذا أثر بالغ في تطور الفكرين السياسي والديني في مصر في أعقاب الاحتلال البريطاني فقد شهد ظلم إسماعيل وعاصر الثورة العرابية التي أيدها بكل قوة واهتز لفشلها خاصة وأنه تلقى بعض العقوبات التي طبقت على أقطابها . ولقد عرف أسرار هذه الثورة وعاني من ضعف النفوس آلاما اجترها وهضمها أثناء منفاه في الشام ومقامه في باريس حيث كان يصدر جريدة «العروة الوثقى» بالاشتراك مع أستاذه جمال الدين الأفغاني . وحين عاد إلى مصر بنى خطته على أساس الضرب على يد الأوتوقراطية الخديوية التي تسببت في الديون ومهدت للاحتلال الأجنبي وأوقعت بالمصريين صنوفا من الظلم لا حصر لها . ولهذا فإنه ركز على الإصلاح الداخلي لأنه اقتنع بأن النهضة السياسية إذا لم تقترن بنضج اجتماعي وعلمي وثقافي لم تكن حرية بأن تؤتي مايرجى لها من ثمرات ، ولهذا هادن هو وتلامذته الاحتلال واعتمد على مساندة اللورد كرومر في كل مااستهدفه من مشروعات إصلاح الأزهر والقضاء الشرعي وأكد النواحي العملية في الفكر والسياسة مما جعله زعيما للاتجاه الليبرالي الإسلامي الذي مالبث أن أصبح الإطار الفكري لتلاميذه الذين تركوا بصماتهم على تاريخ مصر الحديث والمعاصر ، ولو أنهم اتهموا بالدفاع عن الاحتلال ، كما واجهوا الهجوم من جانب ذوي الفكر التقليدي بعد أن دعوا إلى تنقية الدين من الشوائب وفتح باب الاجتهاد .

وإذا كان جمال الدين الافغانى قد لعب دور سقراط بالنسبة إلى حركة التجديد الإسلامى فى مصر ، فقد لعب تلميذه محمد عبده دور أفلاطون : ولقد أوضح آراء أستاذه ونظمها وطورها . وكان من رأيه ضرورة إثارة روح المسلمين وتوجيههم صوب أخوة إسلامية مشتركة مع الاحساس بكونهم مسلمين . فأحوالهم الاجتماعية والأخلاقية والثقافية يرثى لها ونواحى ضعفهم كثيرة بحكم أنهم كانوا يرزحون تحت عادات كثيرة ترتبط بالفساد والانحلال ولاتمت بصلة إلى الدين الإسلامى بمقدار ما كانت نتيجة لجهلهم بالإسلام الصحيح وفشلهم فى ممارسة مايعرفون . وعلاج كل ذلك لديه كامن فى الرجوع إلى الاسلام الصحيح .

ولكن ما هو الإسلام الصحيح الذى يجب أن يتمسك به المسلمون ؟ لقد حدد الاجابة على الوجه التالى : «ارتفع صوتى بالدعوة إلى أمرين عظيمين : الأول تحرير الفكر من قيد التقليد وفهم الدين على طريقة سلف الأمة قبل ظهور الخلاف والرجوع فى كسب معارفه إلى ينابيعها الأولى واعتباره من ضمن موازين العقل البشرى التى وضعها الله لترد من شططه وتقلل من خلطه وضبطه ... وأنه على هذا الوجه يعد صديقا للعلم باعثا على البحث فى أسرار الكون داعيا إلى احترام الحقائق الثابتة مطالبا عليها فى أدب النفس وإصلاح العمل »

● فهم صحيح للإسلام

وكان يرى أن الأمل الوحيد فى إحياء المسلمين يكمن فى العودة إلى أسس دينهم ووجوب اثارة يقظة ذهنية جديدة عن



الشيخ محمد عبده فى بيروت عام ١٨٨٣ م

طريق التعليم والأخذ بالدراسات العلمية الحديثة بحيث يمكن للأمم الإسلامية أن تنافس الأمم الغربية ـ إذ أنه كان يعتقد أنه لايوجد شىء فى روح الحضارة الحديثة يناقض الإسلام الصحيح إذا ما أمكن فهمه فهما سليماوالتعبير عنه تعبيرا سليما . فهو دين توحيد لا شرك فيه ، تنزيه لاتجسيم فيه ، وهو يعتمد على العقل ويستنهضه لادراك أن العالم له صانع واحد عالم قادر . والعقل لازم للدين لأنه المرشد إليه ، فى حين أن الدين لازم للعقل لأنه يكمله ويقومه . والإسلام الصحيح يفسح صدره للعلم ويدعو إليه ، لأن العلم يكشف أسرار الكون بحيث تتسنى معرفة الله وإجلاله ، وهو فى

الشيخ محمد عبده

تفسيره حاول التوفيق بين الإسلام ونظرية المدنية الحديثة واتبع طرقا من التأويل للتوفيق بين الدين ونظريات العلم .

وكان محمد عبده يرى أن إصلاح المسلمين عن طريق دينهم أسهل واجدى من إصلاحهم عن طريق الاحتكام إلى العقل والأخذ بأساليب المدنية الأوربية . كما أنه دعا إلى الاحتكام الى العقل وفتح باب الاجتهاد بحيث تتسنى مواجهة المتغيرات الحديثة وبذلك تتخلص الشعوب الإسلامية من تخلفها وتستعيد مجدها الغابر . فمن رأيه أن سبب تدهور المسلمين ناتج عن الربط بين الدين والسياسة وبين الفلسفة والفقه وعن الموقف المحافظ الذى كان يقفه «العلماء» المتزمتون من هذين التحديين ، ولهذا ذهب إلى أن أوضاع المسلمين لن تتغير إلا بتطوير العلم بالشكل الذى يتمشى مع الإسلام عن طريق السياسة . وكان شديد الإعجاب بمنجزات أوربا فى العصور الحديثة وبجدية مجتمعنا وإن كان يلمس صعوبة نقل قوانينها ونظمها ، بحكم أن القوانين التى نبتت فى أرض مخالفة لاتنسجم وأوضاع البلدان التى تستوردها ، بل قد تمعن عملية النقل فى تعقيد الأمور حين يتعذر فهمها ، وبالتالى لن تكون مرعاة للاحترام . فالأخذ بالنظم الغربية لديه لايكفى وحده لحفز الاصلاح الذى لن يتم إلا بالرجوع إلى مجموعة صغيرة من المبادىء التى يقبلها العقل . ولما كان يرى أن القانون الإسلامى هو التطبيق العملى للمبادىء على ظروف العالم المتغيرة فقد اتجه إلى إعادة تفسيرد بالصورة التى تسمح باقتباس الجوانب الصالحة من الأخلاق الأوربية . وحين سعى إلى المصالحة بين العلم والدين ، وحين أقر ضرورة إعادة النظر فى القانون الإسلامى بحيث يتمشى مع متطلبات العصر مهد الأذهان دون أن يدرى لظهور أفكار خاصة بكل من الدين والدولة تختلف عن أفكار الماضى .

● خطأ فى فهم أفكاره ●

على أن محمد عبده لم يوفق فى إخفاء الصبغة الإسلامية على التقليد اللبرالى القائل بوجوب الفصل بين الدين والدولة . كما لم يوفق فى التغلب على الاتجاهات العلمانية لدى أنصار العلم الحديث . ولقد عمل على التغلب على الشكوك التى احاطت بكل من العلم والحضارة الغربية ، كما عمل على إضعاف الحلف القائم بين رجال الدين وبين السلطات التقليدية . ورفض الأساس التاريخى للأجماع الإسلامى وذهب إلى أن إجماع العقل وحده هو الصحيح والمعقول . وبالاضافة إلى هذا فقد ذهب إلى أن نظام الخلافة لا يدخل فى نطاق العقيدة الإسلامية وهو الرأى الذى اتيح لتلميذه على عبد الرازق ان يطوره ويحدث به ضجة خلال العشرينيات من القرن العشرين . وعلى اى حال فقد وفق محمد عبده فى فصل الجانب السياسى عن الجانب الدينى ، فأصبح كل منهما مستقلاً عن الآخر ولو ان انفصالهما لم يكن كاملاً .

ومن الطبيعي أن يخطىء معاصرو محمد عبده في فهم أفكاره . فقد رفض المحافظون دعوته من أساسها ، على حين فضل تلامذته السير على نهج الأفغاني الذى كرس دعوته للنشاط السياسى وبخاصة ضد الاستعمار الغربي ، ولو أن نشاطه أدى إلى ظهور مايعرف بالسلفية التى قيض لتلميذه رشيد رضا ـ الذى كتب سيرته ـ أن يكون أهم دعاتها .. ولقد اتهم محمد عبده بأنه «لا أدرى» وأنه «معتزلى» و «ماتوريدى» كما اتهمته بعض الدراسات الغربية الحديثة بالالحاد ، وذلك كله رغم صعوبة ربطه باتجاه معين . حقيقة أن أحكام ابن تيمية كانت مصدرا لالهامه فى الوقت الذى شغل فيه وظيفة الافتاء إلا أنه لم يقبل تزمته ، وإن يكن الدكتور عثمان أمين ينفى تأثره بابن تيمية ومدرسته «المحافظة» التى ناصبت الفلسفة العداء ، وحين مزج محمد عبده بين عدة عناصر ليقيم نظاما عقائديا كان مبدؤه فى الاختيار عمليا قبل أى شىء آخر . فالعمل لديه هو أعلى مراتب الكمال ، والمفاهيم الدينية من الواجب الأخذ بها لحث الناس على العمل والتمسك بالفضيلة ، ومن ثم فإنه كان يرى أن المفاهيم الوحيدة ذات القيمة هى التى تؤثر فى حياة الناس العملية وتساعد على إطلاق الطاقات لتحسين الذات . وفى رأيه أن الفكر الإسلامى قد أخطأ حين انفصل عن الحياة وتأثر بالفلسفة الاغريقية مما شغله بمشكلات لم يكن لها أثر فى الحياة . وربما كان محمد عبده متعدد الجوانب ، ولكنه كان تجريبيا قبل أى شىء آخر . وليس ثمة شك فى أن المنهج الذى اتبعه كان أكثر ملاءمة للفكر العصرى لأنه دخل فى الاطار التاريخى وبالتالى أصبح ذا معنى . ومع ذلك فقد يكون من الخطأ افتراض أن تحليله تاريخى بكل ماتعنيه هذه الكلمة من معنى وذلك لأن تاريخ علم التوحيد ليس علم التوحيد ذاته ، بل هو قصة انحراف الفقه الإسلامى عن أهدافه الحقيقية .

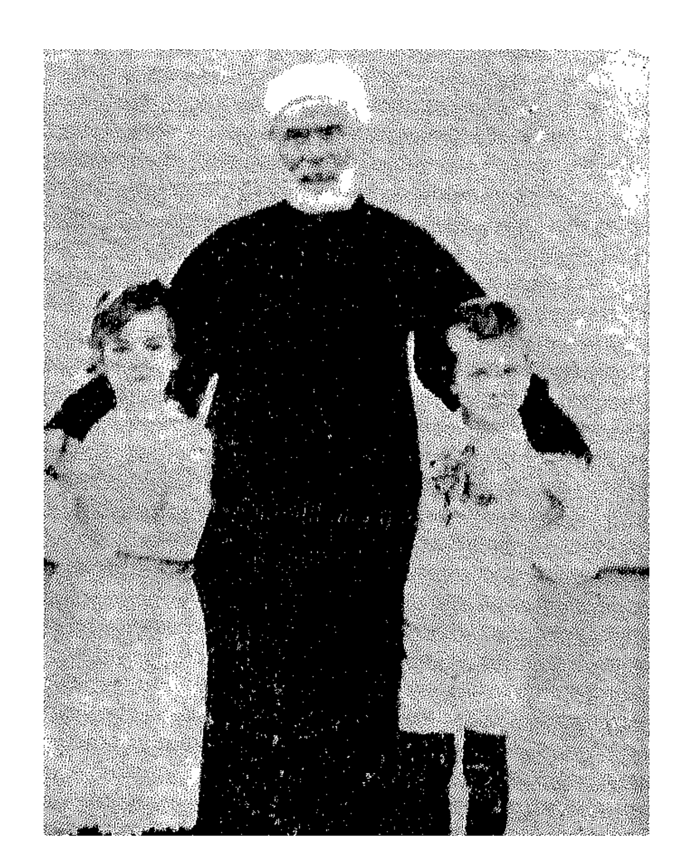
ولنا بعد كل هذا ان نتساءل : كيف أتيح لهذا الشيخ ، برغم اتجاهه السلفى أن يأخذ بمنهج من أحدث مناهج التحليل العصرية ؟ والاجابة على هذا التساؤل أنه كان ملما بعض الشىء بالفكر التاريخى الأوربى ونظريات التطور التاريخى ، وبخاصة نظريات علماء الاجتماع والانتروبولوجيا الانجليز : سبنسر وفريزر ووسترمارك ، كما اطلع على مؤلفات رينان وتين وحيون وجوستاف لبون وماكس نورداو . كما اعتمد فى معظم مادة مقدمة كتابه «رسالة التوحيد» على مقدمة ابن خلدون التى قام بعض الوقت بتدريسها ، وكان يتفق مع ابن خلدون فى اعتبار الدين أمرا لاغنى عنه فى تحقيق السعادة الفردية والاجتماعية ومع الغزالى فى اعتباره مسألة تتعلق بالقلب ولو أنه تجاوزهما فى الدعوة إلى كبح جماح العاطفة الدينية بالاحتكام إلى العقل ، خاصة وقد تبين من تاريخ المتصوفة مضار هذه العاطفة .

وأغلب الظن أن تأثر محمد عبده بابن خلدون راجع إلى اشتراكهما فى مواجهة صعوبة التوفيق بين المتناقضات الكامنة فى التاريخ والفكر الإسلاميين وإلى اهتمامهما بإيضاح أسباب تخلف المسلمين . ولاتتمثل عصرية محمد عبده فى تقبله للإطار التايخى كما لاتدخل فى نطاق المحتوى الإسلامى نظرا لقبولها

المنهاج العربى فى التحليل بل تتمثل فى الفكرة السائدة لدى كثير من المسلمين عن التاريخ الذى يمثل لديهم الحق والصدق من الزاوية الدينية . ولهذا تكمل عصريته فى رفضه للتاريخ والأوضاع المسلمين فى زمانه . ومن دلائل شدة ثقته فى فعالية العقل أنه اعتنق مبادىء حركة الاستنارة الأوربية فى القرن الثامن عشر ، ومن ثم ايمانه بالتعليم الذى مهد له الطريق بتمرده على تعاليم العصور الوسطى المدرسية وأخذه بالعلمية فى الطبيعة والمجتمع وتأكيده لحرية الإنسان فى الاختيار وللطبيعة الاجتماعية ـ النفعية للأخلاق ولتحكيم العقل فى جميع مجالات الحياة

ولقد أدى تأكيد محمد عبده للنواحى العملية إلى تحويل ليبراليته الإسلامية بالتدريج ـ على أيدى تلامذته إلى ليبرالية إنسانية . فعلى حين أنه كان يرى أن الدين هو أساس الرابطة الاجتماعية مال تلامذته إلى إحلال الدافع الوطنى محل الدافع الدينى دون أن يمسوا أسس الإسلام ولهذا كانوا أكثر فعالية من كل من العلمانيين الصرف والمتدينين المحافظين . وبذلك شكلوا مجموعة تقف فى منتصف الطريق بين طرفين متناقضين هما التقليديون المحافظون والعلمانيون الصرف . مع ميلهم بمرور الزمن إلى الفئة الثانية التى قيض لها أن تتصدر الحياة العامة فى مصر فى أعقاب الحرب العالمية الأولى حين بدا عجز المحافظين الجامدين عن فهم العالم الحديث أو السيطرة عليه مما حتم اختفاءهم عن المسرح على العكس من رافعى لواء الأفكار الحديثة التى لم يكن من السهل مقاومتها فقدر لها ان تزعزع أسس المجتمع التقليدى وتحاول إعادة تشكيله فلم يعد فى وسع الإطار الإسلامى التقليدى الذى شكل أسس النظام الثقافى فترة طويلة أن يجتذب قطاعات واسعة من المثقفين بعد أن حولته عصور الركود السابقة إلى طقوس جامدة مشدودة إلى الماضى وعاجزة عن التكيف . خاصة وأن الإسلام باعتباره نظاما عقائديا ، قد اضطر إلى الوقوف موقف الدفاع إزاء الحملات المتلاحقة التى شنها عليه الغرب . وكانت نتيجة كل ذلك ظهور فراغ فى المجتمع العربى بوجه عام والمصرى بوجه خاص وهو الفراغ الذى تصدت الوطنية والقومية لسده لدى المثقفين الذين اعتبروهما مجموعة من القيم الثقافية التى تحول إليها كثير من العواطف الجياشة التى ارتبطت فى الماضى بالدين ومن ثم توجيههم لها لكى تكسب ولاء الجماهير .

ولهذا كان الافغانى قد ارتبط بحركة الجامعة الإسلامية فقد ارتبط محمد عبده بالمرحلتين اللاحقتين وهما مرحلتا البعث السياسى للإسلام وإصلاح النظرية القانونية والفلسفية فى الإسلام . وكانت اراء شبيهة بتلك التى بلورها محمد عبده قد بدت فى الأفق خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر حين بدت نفس الاتجاهات الاصلاحية لدى بعض المفكرين فى أكثر البلدان العربية تقدما .





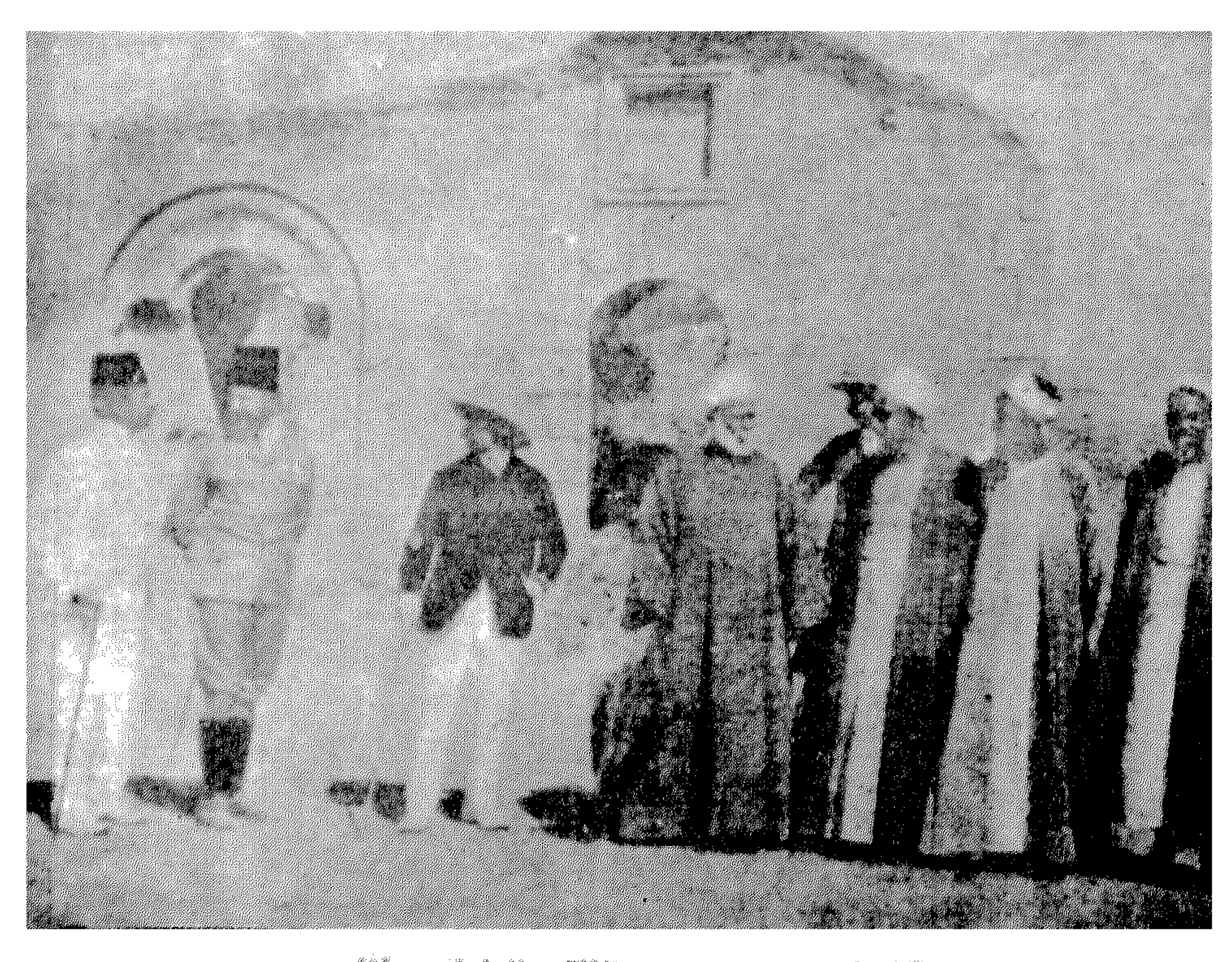
الشيخ محمد عبده فى تونس ١٩٠٣ م



الشيخ مع طفلى أستاذه السويسرى

وقد يكون من دواعى تبسيط الأمور أن نعزو هذه الأفكار إلى تأثير كل من جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده ، بل إنه يمكن القول بأن أفكار هذين الرائدين لم تكن لتلقى النجاح الذى لقيته لولا وجود نفس التيار الذى عبرا عنه وإن تكن قد لقيت قدرا غير قليل من المعارضة التى استغلتها بعض الفئات ذات المصالح السياسية الضيقة فى تأليب الجماهير على دعوتهما خاصة وأن محمد عبده اصطدم بالخديو عباس الثانى الذى كان له أنصار فى دوائر الأزهرية وتصدى له محمد عبده حين تفتحت شهيته لأراضى الأوقاف ، ومن ثم استناد محمد عبده إلى اللورد كرومر للضرب على يد الأوتوقراطية الخديوية ومحاولة كرومر الاستناد إلى تلامذة محمد عبده الذين أطلق عليهم اسم «العقلاء» وهم الذين أسسوا حزب الأمة وأمنوا بالمبادىء والنظريات الأوربية اللبرالية ومن ثم إيمانهم بالتأنى والحيطة والعمل للوطن بمداراة الاحتلال مادام أنه لم يكن من الممكن زحزحته بالقوة . وكان أحمد لطفى السيد رئيس تحرير «الجريدة» هو أبرز تلامذة محمد عبده هؤلاء وطفق يقدم لقرائه الأفكار الغربية ويتصدى للأستبداد وانعكاساته المباشرة فى الاخلاق والفكر وينادى بالدستور والحريات والحكم النيابى والاحتكام الى العقل ولشدة تأثيره فى التقدميين من أبناء الجيل الجديد أطلق عليه لقب «أستاذ الجيل» .

ومن ناحية أخرى فإن تلميذا آخر لمحمد عبده هو رشيد رضا قد فسر أراء أستاذه تفسيرا سلفيا . فحين تكلم محمد



الشيخ محمد عبده مع طائفة من العلماء ومفتش انجليــــزى وسلاتين باشا عام ١٩٠٥ م

عبده عن السلف الصالح كان يقصد بوجه عام مؤسس التقاليد للفكر الإسلامى من الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى الغزالى ، على حين أن رشيد رضا كان أكثر جمودا من أستاذه ، ففسر السنية فى اتجاه الحنبلية الصارمة واستمد الكثير من تعاليمه من ابن تيمية وتأثر بالغزالى وحاول أن يحدد مجال العقل الذى أطلق محمد عبده سراحه وذلك بزيادة المصادر الملزمة إلى حد كبير لتشمل عددا من الأحاديث إلى جانب القرآن وبإعادة مبدأ الاجماع الذى ارتبط بفتـرة الخلفاء الراشدين .

وهكذا كان «الأستاذ الإمام» الشيخ محمد عبده يمثل مدرسة متعددة الجوانب طور تلامذته بعض مبادئها حسب تصورهم الخاص ولعبوا دورهم فى إثارة النهضة الفكرية والدينية التى شهدتها مصر بوجه خاص فى القرن العشرين .

رأى الإمام محمد عبده في الفن



اذا كنت تدرى السبب فى حفظ سلفك للشعر ، وضبطه فى دواوينه ، والمبالغة فى تحريره . خصوصا شعر الجاهلية ، وما عنى الاوائل ، رحمهم الله ، بجمعه وترتيبه ، أمكنك أن تعرف السبب فى محافظة القوم على هذه المصنوعات من الرسوم والتماثيل . فان الرسم ضرب من الشعر الذى يرى ولا يسمع ، والشعر ضرب من الرسم الذى يسمع ولا يرى . ان هذه الرسوم والتماثيل قد حفظت من أحوال الاشخاص فى الشئون المختلفة ، ومن أحوال الجماعات فى

الواقع المتنوعة ما تستحق به أن تسمى ديوان الهيئات والاحوال البشرية ، يصورون الانسان أو الحيوان فى حال الفرح والرضا ، والطمأنينة والتسليم ، وهذه المعانى المدرجة فى هذه الالفاظ متقاربة لا يسهل عليك تمييز بعضها من بعض ، ولكنك تنظر فى رسوم مختلفة فتجد الفرق ظاهرا باهرا ، يصورونه مثلا فى حالة الجزع والفزع ، والخوف والخشية ، والجزع والفزع مختلفان فى المعنى ، ولم أجمعهما ههنا طمعا فى جمع عينين فى سطر واحد بل لانهما مختلفان حقيقة ، ولكنك ربما تعتصر ذهنك لتحديد الفرق بينهما وبين الخوف والخشية ، ولا يسهل عليك أن تعرف متى يكون الفزع ومتى يكون الجزع ؟ وما الهيأة التى يكون عليها الشخص فى هذه الحال او تلك ؟ أما اذا نظرت الى الرسم ، وهو ذلك الشعر الساكت ، فانك تجد الحقيقة بارزة لك ، تتمتع بها نفسك ، كما يتلذذ بالنظر فيها حسك - اذا نزعت نفسك الى تحقيق الاستعارة المصرحة فى قولك : رأيت أسدا : تريد رجلا شجاعا ، فانظر الى صورة أبى الهول بجانب الهرم الكبير تجد الاسد رجلا أو الرجل أسدا ، فحفظ هذه الاثار حفظ للعلم فى الحقيقة ، وشكر لصاحب الصنعة على الابداع فيها .

ربما تعرض لك مسألة عند قراءة هذا الكلام ، وهى ما حكم هذه الصور فى الشريعة الاسلامية ، اذا كان القصد منها ما ذكر من تصوير هيئات البشر فى انفعالاتهم النفسية ، أو أوضاعهم الجسمانية ، هل هذا حرام ؟ أو جائز ؟ أو مكروه ؟ أو مندوب ؟ أو واجب ؟ فاقول لك : ان الراسم قد رسم ، والفائدة محققة لا نزاع فيها ، ومعنى العبادة وتعظيم التمثال أو الصورة قد محى من الاذهان ، فاما أن تفهم الحكم من نفسك بعد ظهور الواقعة ، واما أن ترفع سؤالا الى المفتى وهو يجيبك مشافهة ، فاذا أوردت عليه حديث : « ان أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون » ، أو ما فى معناه مما ورد فى الصحيح ، فالذى يغلب على ظنى انه سيقول لك ان الحديث جاء فى أيام الوثنية ، وكانت الصور تتخذ فى ذلك العهد لسببين : الاول : اللهو والثانى : التبرك بمثال من ترسم صورته من الصالحين ، والاول مما يبغضه الدين ، والثانى مما جاء الاسلام لمحوه ، والمصور فى الحالين شاغل عن الله أو ممهد للاشراك به ، فاذا زال هذان العارضان وقصدت الفائدة ، كان تصوير الاشخاص بمنزلة تصوير النبات والشجر فى المصنوعات ، وقد صنع ذلك فى حواشى المصاحف ، وأوائل السور ، ولم يمنعه أحد من العلماء ، مع أن الفائدة فى نقش المصاحف موضع النزاع ، أما فائدة الصور فمما لا نزاع فيه على الوجه الذى ذكر ، واما اذا أردت أن ترتكب بعض السيئات فى محل فيه صور طمعا فى أن الملكين الكاتبين أو كاتب السيئات على الاقل لا يدخل محلا فيه صور ، كما ورد ، فاياك أن

تظن ان ذلك ينجيك من احصاء ما تفعل ، فان الله رقيب عليك وناظر اليك حتى فى البيت الذى فيه صور ، ولا أظن أن الملك يتأخر عن مرافقتك اذا تعمدت دخول البيت لان فيه صورا !! ولا يمكنك أن تجيب المفتى بأن الصورة على كل حال مظنة العبادة ، فانى أظن أنه يقول لك ان لسانك أيضا مظنة الكذب ، فهل يجب ربطه مع أنه يجوز أن يصدق كما يجوز أن يكذب ؟!

وبالجملة ، انه يغلب على ظنى أن الشريعة الاسلامية أبعد من أن تحرم وسيلة من أفضل وسائل العلم ، بعد تحقيق انه لا خطر فيها على الدين ، لا من جهة العقيدة ولا من وجهة العمل . على ان المسلمين لا يتساءلون الا فيما تظهر فائدته ليحرموا أنفسهم منها ، والا فما بالهم لا يتساءلون عن زيارة قبور الاولياء ، أو ما سماهم بعضهم بالاولياء ، وهم ممن لا تعرف لهم سيرة ، ولم يطلع لهم أحد على سريرة، ولا يستفتون فيما يفعلون عندها من ضروب التوسل والضراعة ، وما يعرضون عليها من الاموال والمتاع ، وهم يخشونها كخشية الله أو أشد ، ويطلبون منها ما يخشون أن لا يجيبهم الله فيه ، ويظنون أنها أسرع الى اجابتهم من عنايته سبحانه وتعالى ، لا شك أنه لا يمكنهم الجمع بين هذه العقائد وعقيدة التوحيد ، ولكن يمكنهم الجمع بين التوحيد ورسم صور الانسان والحيوان لتحقيق المعانى العلمية ، وتمثيل الصور الذهنية .

لو نظرت الى ما كان يوجب الدين علينا أن نحافظ عليه لوجدته كثيرا لا يحصى عده ، ولم نحفظ منه شيئا ، فلنتركه كما تركه من كان قبلنا ، ولكن ما نقول فى الكتب وودائع العلم هل حفظناها كما كان ينبغى أن نحفظها ؟ أو أضعناها كما لا ينبغى أن نضيعها؟ ضاعت كتب العلم وفارقت ديارنا نفائسه ، فاذا أردت ان تبحث عن كتاب نادر أو مؤلف فاخر أو مصنف جليل أو أثر مفيد فاذهب الى خزائن بلاد أوربا تجد ذلك فيها . أما بلادنا فقلما تجد فيها الا ما ترك الاوربيون ولم يحفلوا به من نفائس الكتب التاريخية والادبية والعلمية ، وقد نجد بعض النسخة من الكتاب فى دار الكتب المصرية مثلا وبعضها الاخر فى دار الكتب بمدينة « كمبردج » من البلاد الانجليزية . ولو أردت أن أسرد لك ما حفظوا وضيعنا من دفاتر العلم لكتبت لك فى ذلك كتابا يضيع كما ضاع غيره وتجده بعد مدة فى يد أوروبى فى فرنسا أو غيرها من بلاد أوربا !!

نحن لا نعنى بحفظ شىء نستبقى نفعه لمن يأتى بعدنا ، ولو خطر ببال أحد منا أن يترك لمن بعده شيئا جاء ذلك الذى بعده أشد الناس كفرا بتلك النعمة ، وأخذ فى اضاعة ما عنى السابق بحفظه له ، فليست ملكة الحفظ مما يتوارث عندنا ، وانما الذى يتوارث هو ملكات الضغائن والاحقاد تنتقل من الاباء الى الاولاد حتى تفسد العباد ، وتخرب البلاد ، ويلتقى بها أربابها على شفير جهنم يوم المعاد .

العلمية والتاريخ وحقوق الإنسان .. الشق الثاني لثورة جورباتشوف

بقلم : عبد الرحمن شاكر

مفاجآت السياسة الجديدة التى يتبعها ميخائيل جورباتشوف ، السكرتير العام للحزب الشيوعى السوفييتى ، وآخرها ـ حتى كتابة هذه السطور ـ كان ما أعلنته جريدة «ازفستيا» ، الناطقة بلسان الحكومة السوفييتية ،من الغاء امتحانات مادة التاريخ للطلاب الصغار ، من سن ست سنوات الى ست عشرة لان مايدرسه الطلاب فى هذه المرحلة ، كان مجرد مجموعة من « الاكاذيب » ـ على حد تعبير الجريدة ، يجرى تناقلها من جيل الى جيل !

وبالطبع ، يندر أن يحدث فى بلد آخر شىء كهذا ، واقصى ما يحدث عادة هو تغيير برنامج التاريخ فى صمت ، بالحذف أو الاضافة أو التعديل ، أما ادانة المادة برمتها على هذا النحو فهو يكاد يكون ادانة للتاريخ ! وتغيير النظرة اليه من جذورها ، ومن الطبيعى أن تكون هناك اعادة لكتابة منهج التاريخ للطلاب فى سن التلقى • وقد سبق لخروشوف أن أدان كتاب تاريخ الحزب البلشفى الذى تمت صياغته فى عهد ستالين ، على أساس أنه قد ركز على تمجيد ستالين واخفاء أخطائه ، وأمر باعادة كتابة تاريخ الحزب البلشفى من جديد ، ولا أدرى ما اذا كان بريجنيف ـ بعد اطاحته بخروشوف فى عام ١٩٦٤ ، قد أصدر طبعة ثالثة من كتاب تاريخ الحزب البلشفى ، يبين فيها ما اعتبره أخطاء لخروشوف استحق من أجلها عزله ! على أن ما حدث أخيرا فى عهد جورباتشوف ، يتجاوز تاريخ الحزب البلشفى ، الى التاريخ العام للبلاد بأسرها !



جورباتشوف

ومن المعروف أن « الجلاسنوست » أو العلنية ، وعدم اخفاء الحقائق ، هى الشق الثانى من ثورة جورباتشوف ، المعروفة باسم « بيريسترويكا » أو اعادة البناء (أنظر عدد يونيو الفائت من الهلال) ، والعلنية هذه تشمل أمورا معاصرة ، من ذلك مثلا كارثة تشيرنوبيل النووية منذ أعوام قليلة ، فقد حاولت السلطات السوفييتية ، جريا على عادتها ـ التقليل من حجم الخسائر ، وبالتالى التهوين من حجم الكارثة ، وكان ذلك موضع استياء جورباتشوف ، الحديث العهد بالسلطة فى ذلك الحين ، وقد استند الى تلك الواقعة فى اعلان سياسته الجديدة باسم « جلاسنوست » ، وعدم اخفاء الحقائق ، أو تدليسها وتزويقها ، حتى يضمن مشاركة الشعب فى محاولة تدارك الاخطاء ، وخاصة الفئات المثقفة منه ، القادرة على التفكير والتعبير ، كما دعا فى بداية ممارسة السلطة الى تشجيع ممارسة النقد العلنى على جميع المستويات السياسية والحزبية والحكومية ، واعتبر أن الاشتراكية لا يدعمها اخفاء الحقائق وانكار العيوب والاخطاء ، بل اعتبر أن تدعيم الاشتراكية رهن بتدعيم الديمقراطية وربطها بها ، ولا ديمقراطية بلا حرية فى النقد أو علنية فى الحديث عن الحقائق .

ان كثيرا من وجوه النقد كان يهمس بها المواطنون سرا ، خوفا من « الحكام » من القادة الحزبيين والبيروقراطيين ، أصحاب المصلحة فى اخفاء الحقائق ، حرصا على مكاسبهم المغتصبة أحيانا عن غير وجه حق ، وربما بالفساد والرشوة أيضا !

وهؤلاء هم الخصوم الفعليون لجورباتشوف من داخل حزبه ذاته ، ومصدر المقاومة لسياسته ، حتى لقد قيل انهم نجحوا فى اسقاط ثمانية من أنصاره البارزين وحرمانهم من حضور مؤتمر الحزب الاخير ، ولم يسمحوا الا لاربعة منهم فقط بحضور هذا المؤتمر ، وهذا فى حد ذاته ، دال على مدى الصراع الذى يدور داخل المجتمع السوفييتى فى الوقت الحاضر، مما يجعل بعض الدوائر تشفق على جورباتشوف ذاته والسياسة الجديدة، أو « الثورة » التى يريد احداثها داخل هذا المجتمع الضخم الكبير ، من مغبة هذا الصراع واتساع نطاقه ، واستغلاله أيضا !

● الماضى والحاضر

على أن كثيرا من صراعات الحاضر ، كثيرا ما تتلبس بالماضى ، ويصبح الحكم على بعض وقائع التاريخ ليس مقصودا لذاته ، وانما

خدمة لموقف سياسى معاصر ! ولقد كان ستالين وتاريخه هو محور الخلاف حول تقويم التاريخ من عهد خروشوف الى الآن ، حيث أن أحدا لم يجرؤ أو يفكر فى توجيه النقد الى مر[illegible]ة لينين ، مؤسس الدولة السوفييتية ، قبل أن يتولى ستالين الحكم ، بل كل من ينقد مرحلة ستالين ، يقول أنه يريد العودة الى اللينينية ، وجوهرها الصحيح ، بمن فيهم جورباتشوف فى كتابه « بيريسترويكا » ، وهو فى هذا الكتاب يكثر من الاستشهاد بكتابات لينين ، [illegible] أصول سياسته الجديدة فى الاقتصاد السوفييتى ، بما فى ذلك السماح ببعض وجوه النشاط الاقتصادى « القطاع الخاص » . الى فترة السياسة الاقتصادية الجديدة ، التى اتبعها لينين ، بعد انتهاء الحرب الاهلية وحروب التدخل ، وما صحبها من مشاعية الحرب • والواقع أن تلك السياسة التى اقتضت تشجيع التجارة من ناحية ، والسماح للمزارعين ببيع منتجاتهم فى السوق بدلا من تسليمها للدولة بالسعر الذى تحدده من ناحية أخرى ، كانت نوعا من الاقتصاد المختلط ، بما فى ذلك المشاريع التى تدخل الدولة فيها شريكا للقطاع الخاص ، وهو ما أطلق عليه لينين اسم « رأسمالية الدولة » ، واعتبرها خطوة نحو الاشتراكية ، وليست ردة فيها كما كان يرجف خصومه ومنتقدوه من أصحاب التفكير الحرفى المتسم بالجمود ، وتغيير تلك السياسة كما كان هو أهم ما أحدثه ستالين بعد موت لينين ، وذلك بفرضه سياسة المزارع الجماعية على الفلاحين ، الذين قاوموا تلك السياسة وقاموا أحيانا بحرق محاصيلهم وقتل ماشيتهم كنوع من العصيان المدنى ، وضربت السلطة السوفييتية على أيدى هؤلاء المتمردين بشدة ، وقد انتقلت أصداء المعركة الى داخل الحزب البلشفى الحاكم ذاته ، حيث تزعم «بوخارين» الدفاع عن صغار الملاك من الفلاحين ومنهم الاغنياء المعروفون باسم « الكولاك » ، ووصل الصراع بينه وبين ستالين الى حد أن ألقى ستالين القبض عليه وأمر بمحاكمته ونفذ فيه حكم الاعدام ! هو وكثير ممن أيدوه من أعضاء الحزب وقادته •

وقد جرى أخيرا ـ فى عهد جورباتشوف رد اعتبار بوخارين ـ وقد غالى بعض المعلقين المعاصرين فى هذا الشأن ، والارجح انهم من اليهود ، وقالوا انه لو أعيد كتابة التاريخ السوفييتى لسميت المرحلة الماضية منه بانها مرحلة بوخارين وليست مرحلة ستالين ! ذلك لان بوخارين كان يهوديا مثلهم !

على أن ستالين ـ لو كان له عذر فيما فعل ـ فهو أنه كان على وشك الدخول فى صدام واسع النطاق مع ألمانيا النازية بوصول هتلر الى الحكم، وكان يريد بانشاء المزارع الجماعية ضمان توفير الغذاء للعمال الصناعيين فى الصناعات العسكرية أساسا • وقد وقع هذا الصدام بالفعل ، وانتصر الاتحاد السوفييتى فى الحرب العالمية الثانية ضد النازية ، وخرج منها بزعامة ستالين وهو احدى القوتين العظميين ، بل معسكرا دوليا كبيرا يضم دولا أخرى خلاف الاتحاد السوفييتى ، ولم يذهب جورباتشوف رغم نقده مرحلة ستالين الى حد انكار الانجازات الكبرى لتلك المرحلة ، وسوف يبقى طويلا الجدل حول الحكم التاريخى على مرحلة

ستالين ، سواء فى الاتحاد السوفييتى أو خـارجه ، ولكن من الواضح أن الادانة المعاصرة لمرحلة فرض نظـام المزارع الجمـاعية أيام سـتالين ، والاشادة بالفترة التى سبقتها ، فترة « السياسة الاقتصادية الجديدة » التى اتبعها لينين ، انمـا المقصـود منهـا العودة الى سياسة مماثلة ، وهو مـا يعتقد جورباتشوف أنه ضرورى لاعادة بناء الاقتصاد السوفييتى ، الـذى تخلف طويلا ، وخاصة بسبب ما ألقى عليه من أعباء ضخمة فى صـناعة السلاح المتطور ٠

● حقوق الانسان

ومن أجل أن يتخلص جورباتشوف من تلك الاعباء ، لجأ الى طلب التفاهم مع الامريكان منافسيه الرئيسيين فى هذا المضمار ، على انهـاء سباق التسلح ، وخاصـة فى العصـر النووى ، الذى لن يؤدى فيـه سباق التسلح اذا ما استمر ، الى انتصار أحد الطرفين ، بل تدمير الحيـاة الانسانية كلها ٠ وفى هذا السياق ، كانت مؤتمرات القمة المتكررة بينه وبين الرئيس الامريكى ريجان ، وآخـر اجتماع لهما كان فى موسكو فى أواخر مايو المنصرم وأوائل يونيو ٠

وكعادة الامريكان ، كما طلب منهم السوفييت التفاهم حول العلاقات بين الدولتين العظميين ، أثار الجـانب الامريكى ما اصطلح على تسـميته باسم مسألة حقوق الانسـان ! وهى لا تعنى من وجهة نظر هذا الجانب الا حق اليهود فى الهجرة من الاتحـاد السـوفييتى ، وحق نشر الدعـاية الصهيونية بينهم ! وفى سبيل هـذا الغرض ، التقى ريجـان فى موسكو ببعض المنشقين اليهود واستمع اليهم، وقدم قائمة لجورباتشوف تضم مطالب بعض اليهود بالهجرة للحاق بذويهم ٠٠ الخ ، وموضع اعتراض السوفييت الرئيسى أن اليهود الذين يهاجرون من الاتحاد السوفييتى لا يذهب كلهم ولا معظمهم الى اسرائيل ، بل الى الولايات المتحدة الامريكية ، وغيرها من الدول الغربية ، وكثير منهم يشغلون مواقع حساسة فى الاتحاد السوفييتى ولهم اطلاع على كثير من أسراره العلمية والاقتصادية والعسـكرية ! ويقـول السـوفييت فى احتجـاجهم على الامريكان أن حقوق الانسان ليست مقصورة على حق هذا الفرد أو ذاك فى الهجرة والتنقل من بلـد الى آخر ، ولكن أيضا فى حقه فى الحياة الكريمـة ، وقـد قدموا بدورهم الى الامريكان بعض « قوائم » عن حالات من ضربهم الفقر بجرانه فى المجتمع الامريكى ذاته ! فضـلا عن حقوق الانسان المهـدرة فى الشعوب التى تعانى من القهر والتفـرقة العنصرية من جانب حلفاء أمريكا ، مثل السود فى جنوب افريقيا ، ومثـل الشعب الفلسطينى ، الذى يطالب الامريكان باطلاق الهجرة اليهـودية الى أرضه المغتصبة ، لمـزيد من التنكيـل به واغتصاب حقوقه الوطنية المشروعة !

وعلى سبيل الترضية للامريكان ، للوصول الى تفاهم معهم حول نزع السـلاح النووى أو تخفيضه على الاقـل ، كـرم السوفييت « أرمان هامر » المليارديرالیهودى الامريكى من أصل روسى ، الذى كـان معروفا بأنه صـديق لينين مؤسس الـدولة السوفييتية ، وأهدوه نماذج مختـارة من متعلقات صديقه الكبير الراحل !

على أنه ـ اذا كانت اعادة كتـابة التـاريخ من جديد ، أو على نحـو صحيح مما يخدم الاغراض السياسية المعاصرة ، فقـد احتفل الاتحـاد السوفييتى منذ أيام بمرور الف عام على دخول المسيحية فى روسيا ، وقد

شارك الانبا شنودة بطريرك الاقباط في مصر ، وعدد من ممثلي كنائس العالم في هذا الاحتفال الكبير ، الذي يعتبر مجرد اقامته ، دليلا على اعتراف الاتحاد السوفييتي بحرية « الضمير » أو حرية المعتقد الديني •

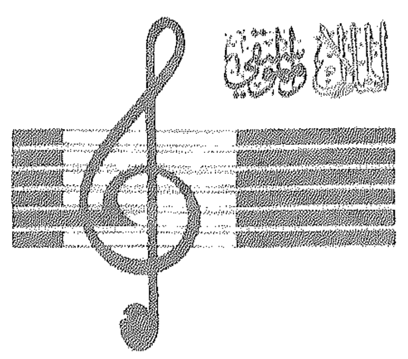
واذا كان السوفييت الان بصدد وضع منهج جديد للتاريخ لتدريسه في المدارس بدلا من « الاكاذيب » التي تتناقلها الاجيال ، فهلا أقدم المؤرخون السوفييت على اعادة كتابة التاريخ الروسي في الفترة السابقة مباشرة على المرحلة التي احتفلوا بها أخيرا وهي دخول المسيحية روسيا ؟

ان وقائع التاريخ تقول ، ان بعض الامراء قد اعتنقوا المسيحية في مقاطعة كييف ، عاصمة أوكرانيا حاليا ، وأن هذه المقاطعة كانت جزءا من « امبراطورية » يهودية اسمها « خزريا » ، كانت عاصمتها هي مدينة « اتل » عند مصب نهر اتل — المسمى حاليا بالفولجا — في بحر قزوين ، الذي كان يعرف ، ولا يزال الفرس يعرفونه حتى الان باسم بحر الخزر • وأن هذه الدولة اليهودية انما قامت — قبل دخول المسيحية الى روسيا — بعدة قرون ، وكان حكامها المعروفون باسم « الخاقانات » وثنيين •• حتى قرر واحد منهم ، بعد الحروب المتوالية بين تلك الدولة ، والدولتين الاموية والعباسية في العالم العربي ، اعتناق اليهودية ، كان أول من اعتنقها من حكام تلك الدولة هو الخاقان بولان ، ثم جاء من بعده الخاقان « عبديه » ، الذي اتخذ هذا الاسم « العبراني » ، وقضى بأن لا يتولى ملك الخزر الا من يعتنق الديانة اليهودية ، فاعتنقها معظم رجال البلاط في عهده ، وتبعه معظم أبناء شعب الخزر ، حتى اعتنق الامراء الروس في كييف المسيحية ، وتغلبوا بالتحالف مع بيزنطة على دولة الخزر ، وأطلقوا على البلاد اسم روسيا ، وجعلوا المسيحية ديانتها السائدة •

وفي عصور متأخرة حاول بعض القياصرة الروس فرض « الترويس » على رعاياهم من الاجناس الاخرى ، بمن فيهم المسلمون التتر ، واليهود الخزر ، وأن اضطهاد اليهود في عهد هؤلاء القياصرة ، انما كان جزءا من سياسة الترويس ، وهو أصل الحركة الصهيونية ، التي تحاول انكار هذا التاريخ ، واستبداله بواحدة من الاكاذيب الكبرى به ، بادعاء أن يهود العالم هم سلالة شعب اسرائيل الذي تشتت في أرجاء الارض ! بينما الحقيقة التاريخية هي أن معظم يهود العالم هم من شعب الخزر الذي اعتنق اليهودية في زمن متأخر جدا عن انتهاء اسرائيل التوراتية ، بمن فيهم الجالية اليهودية الكبرى في العالم ، وهي الجالية الامريكية ، الراعية الكبرى حاليا للصهيونية المعاصرة ودولتها المغتصبة لارض فلسطين •

بقي أن نقول ان جورباتشوف ذاته يقول عن نفسه انه جاء من جنوب روسيا ، حيث كان يعيش الخزر ، وربما يكون سليل أسرة خزرية فرض عليها الترويس واعتناق المسيحية في عصر نقولا الاول ومن تلاه •

اذا كان جورباتشوف لا تعجبه « الاكاذيب » التي تدرس باسم مادة التاريخ للتلاميذ الصغار ، فلماذا لا يأمر باعادة كتابة التاريخ ، بدءا من تاريخ قومه الاقربين ؟!



لقاء خاص بالغناء والموسيقى

■ تعودنا ـ عزيزى القارىء ـ أن نلتقى من حين الى حين فى جزء خاص من «الهلال» للفن التشكيلى أو الشعر أو القصة أو السينما أو المسرح .. ولم يسبق لنا أن التقينا فى جزء خاص بالغناء والموسيقى . ولعل هذه أول مرة تفرد مجلة مصرية أو عربية من مجلات الأدب والفكر جزءا خاصا بالموسيقى والغناء .. ومن حسن حظ «الهلال» أن يكون هو صاحب المبادرة فى هذا المضمار ..

الغناء هو الفن الثانى عند الانسان العربى بعد الشعر أو مع الشعر ، لأن الغناء بضروبه وأوزانه وإيقاعاته كان دائما الصديق الملازم للشعر .. وقد اكتمل بالغناء معنى الكلمة القديمة التى تقول : «الشعر ديوان العرب» .. ولامناص لاكتمال هذا المعنى من ضم الغناء الى الشعر فى هذا الديوان العربى القومى العريق الذى كان ومازال سجل وجدان الانسان العربى وطربه وشوقه ورقته وحماسته ! ..

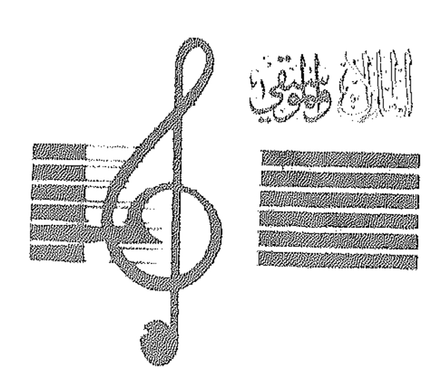
وفى الغناء العربى مقام يسمى «راحة الأرواح» .. وهو باسمه هذا يصف الغناء بأبلغ وصف ، فالغناء راحة الأرواح حقا ، بل ان الغناء هو الفارق بين الروح الحى والجماد الميت ! .

وفى الغناء العربى أيضا مقام يسمى «الصَّبا» ـ بتشديد الصاد وفتحها ـ والصبا هى الرياح الطيبة العليلة التى تَغنَّى بها شعراء العرب قديما فقال أحدهم :

ألا ياصبا نجد متى هجت من نجد
لقد زادنى مسراك وجدا على وجد

وقد استعار المغنون العرب اسم الصبا لهذا المقام كأنهم أحسوا من هبوب أنغامه الشجية على أسماعهم وأكبادهم ، ما يحسونه من هبوب ريح الصبا بعطر الأحباب ! ..

وفى الربيع الماضى التقينا فى «الهلال» بجزء خاص عن الشعر ، وها نحن أولاء نلتقى فى هذا الصيف بهذا الجزء عن الغناء والموسيقى ، وقد اخترنا لك هذه البحوث والكلمات ذات المستوى الرفيع ، وندعوك يا عزيزى القارىء الى سماع هذه الكلمات ـ كلها أو بعضها ـ بحسب ذوقك واختيارك ، وكأننا ندعوك إلى حفل حافل يضج بالموسيقى والغناء ونرجو أن تتقبل الدعوة .. ■



حول الموسيقى
أفكار وأحاسيس

بقلم : د. محمد عبد الهادى أبوريده

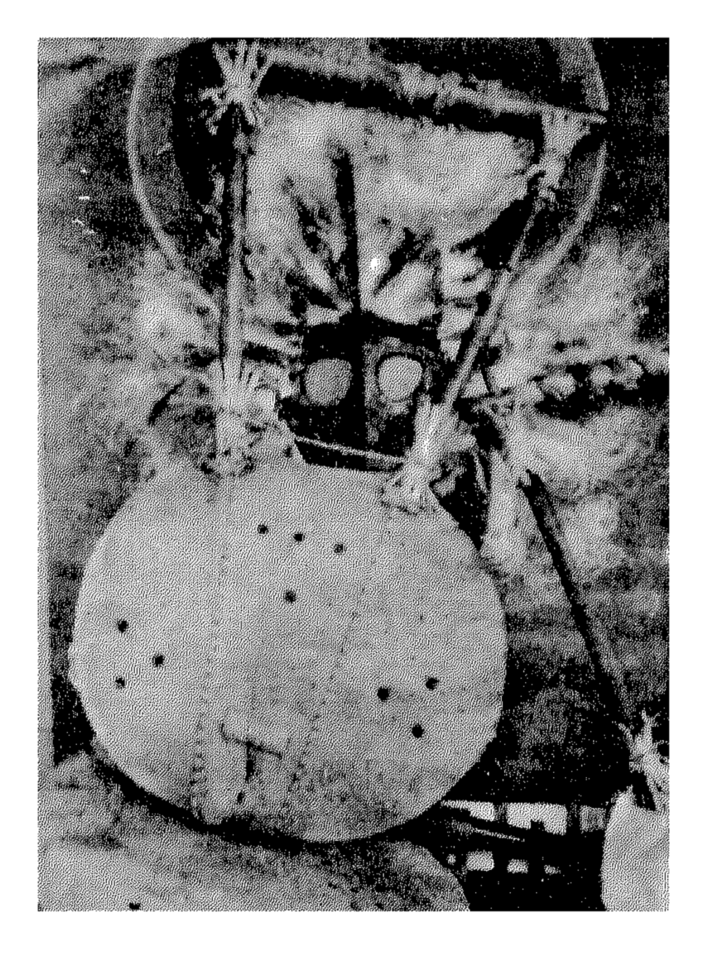
الموسيقى ظاهرة عامة فى حياة الانسان ، وهى قد نشأت على نحو تلقائى بمقتضى فطرة الانسان فى التعبير عما فى نفسه بالصوت ، وهذا ليس مقصورا على الانسان ، بل إن كل حيوان مصوِّت ، كما يرى الفارابى فى «كتاب الموسيقى الكبير» ، له فى كل حال من أحواله أنغام يعبر بها عن نفسه ، وما يلم بها من لذة أو ألم أو خوف أو طرب أو رحمة أو غضب ... وهذا شىء غير مجرد الكلمات التى يستعملها الانسان أو الأصوات التى تخرج من الحيوان للتعبير عن أمر من الأمور يريد أن يعلم غيره بها .

ونحن نصرف النظر عن الأصوات التى تصدر عن الأشياء الطبيعية مثل خرير الماء وصوت أمواج البحر الهادئة وحفيف الأشجار وجلجلة الرعد بما فيها من روعة أصوات الطبيعة وجلالها .

وربما كان النغم على أبسط صوره من الأمور الملازمة للانسان ، ويرى البعض أنه «ليس من أحد ، كائنا من كان ، إلا وهو يطرب من صوت نفسه ويعجبه طنين رأسه» ، وهذا كثيرا ما يحدث عند أهل الصناعات ليتغلبوا به على الملل والفتور فى نشاطهم ، ولذلك يترنمون بالألحان فتستريح اليها أنفسهم .

لكن النغم ، كما نعرفه فى صناعة الغناء ، شىء آخر ظهر مع تطور الحضارة وتفتح المواهب الغنائية الكامنة فى النفوس وصار فنا وعلما كبيرا .





٣آلة الطنبور

وإذا كانت الألحان والأنغام ، سواء صدرت من صوت انسان أو عزفها بآلة ، شيئا يعيشه الانسان الا انه يصعب تحديد طبيعة موسيقاه أو تعريف الموسيقى نفسها .

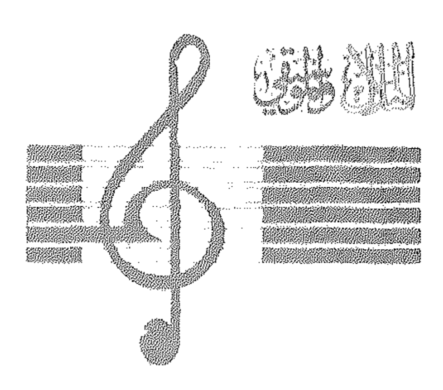
وقد نجد من يعرف صناعة الموسيقى من الغربيين بأنها **«صناعة تأليف الأصوات الانسانية أو أصوات الآلات بقصد اظهار الجمال فى الأداء أو التعبير عن الانفعالات»** . ويعرفها الفارابى بأنها **«الصناعة التى تشتمل على الألحان وما بها تلتئم وما بها تصير أكمل وأجود»** .

لكن مثل هذه التعريفات وصفى موضوعى ، أما عند من يلحن أو يعزف أو يغنى أو يستمع ويتقبل ، فكل ذلك تجربة ذاتية . وهنا نجد عبارات تشير الى أحاسيس أخرى وفيها اشادة بصناعة الألحان وتأثيرها المتنوع فى الانسان . ولنقرأ ما يقوله الإبشيهى فى «المستطرف» فى صناعة الأصوات ، هى :

"مراد السمع ، ومرتع النفس ، وربيع القلب ، ومجال الهوى ، وسلاة الكئيب ، وأنس الوحيد ، وزاد الراكب ، لعظم موقع الصوت الحسن من القلب وأخذه بمجامع النفس" .

ويحكى الإبشيهى من قول الفلاسفة : **«ان النغم فصل من المنطق لم يقدر اللسان على استخراجه ، فاستخرجته الطبيعة بالألحان ، على الترجيع لا على التقطيع ، فما ظهر عشقته النفس وحنت اليه الروح»** .

وهذا الكلام ليس عجيبا ، لأن الأحوال النفسية التى تصدر عنها الأنغام ويتقبلها السامع شىء تعيشه النفس ، وفى كثير من الأحيان لا يمكن التعبير عنه تعبيرا كافيا ، لا بالأنغام ولا بالكلام العادى ولا حتى بالشعر الذى ربما كان قد اقترن بالموسيقى



من أول الأمر ، لكن فى الألحان والأنغام سلوى وعزاء وتهدئة للنفس وشفاء ، عند الملحن والمتقبل على حد سواء .

● صلة وثيقة

والأحاسيس العظيمة لا يمكن التعبير عنها ، وقد صدق الشاعر الايطالى بيتراركا Petrarca (ت ١٣٧٤ م) فى قوله على سبيل الرمز فى هذا الصدد : "ان النار التى يمكننا ان تقول الى أى حد تتأجج هى نار صغيرة" ، يقصد أن كل ما نستطيع التعبير عنه فهو شىء صغير . لكن الصلة بين اللغة العادية خصوصا الشعر ، وبين موسيقى الآلات صلة وثيقة على أساس المجانسة فى التأليف والوزن والايقاع .

واذا اجتمع المعنى الشعرى الحسن وجودة الصناعة الموسيقية فى لحن تام الايقاع من صوت جميل ، وكذلك اذا كان المغنى حسن الوجه ، تضافرت عند ذلك عناصر الجمال ، وكملت المتعة الجمالية . ولم يقتصر ادراك ذلك على أصحاب صناعة الموسيقى ، بل هو أيضا عند أهل الروح الرفيعة من علماء الدين .

ثم إن الأمر هنا لا يقف عند المتعة الجمالية ، بل هو يتعداها الى أمور انسانية أخرى . ومنذ قديم لوحظ تأثير الألحان والأنغام فى تخفيف آلام المرض ، بل فى الشفاء أيضا بفضل التأثير فى مزاج النفس وامتداد التأثير الى مزاج البدن .

والذين تكلموا فى الأنغام والألحان عرفوا ما كان يقوله الأطباء من أن «الصوت الحسن يجرى فى الجسم مجرى الدم فى العروق ، فيصفو له الدم ، وتنمو له النفس ، ويرتاح له القلب ، وتهتز له الجوارح ، وتخف له الحركات ، ولذلك كرهوا للطفل أن ينام على أثر البكاء حتى يرقص ويطرب» .

ومن الأصوات الجميلة العادية مايجب الانسان أن يطول سماعه له فى الحديث العادى . وقد فهم بعض المفسرين من قوله تعالى : «يزيد فى الخلق ما يشاء» أن ذلك هو الصوت الحسن ، لكن الحق أن الصوت الحسن ، وان كان موهبة طبيعية جميلة ، الا أن هناك مواهب أخرى كثيرة يزيد الله فيها ما يشاء .

● ميتافيزيقا الألحان والأنغام

وقد كان جمال الألحان والأنغام وأخذها بمجامع القلوب موضع حيرة نشأت عنها تصورات للموسيقى وما يمكن أن تسميه ميتافيزيقا الألحان والأنغام .

وأول ذلك هو التسمية نفسها ، فلفظ «موسيقى» يرجع الى لفظ يونانى mousiké: وهو بدوره يرجع الى لفظ «موزا» mousa اليونانى ، وهو اسم كان يطلق على إحدى بنات الآله زيوس التسع التى كان اليونان يتصورون أنها توحى الفنون الجميلة كالشعر والموسيقى وفنون العلم والمعرفة . وكان لفظ «موسيقى» يطلق على فنون عدة ، لكنه صار يطلق على صناعة الأنغام والألحان وحدها .

وكان من الفلاسفة القدماء والى العصور الحديثة من يزعم أن للأفلاك موسيقاها ، وأنه على مثالها ظهرت الموسيقى على يد البشر ، بل إن أحد فلاسفة اليونان زعم أنه سمع موسيقى تلك الأفلاك .

وآخرون ذهبوا الى أن موسيقى أهل الأرض ظل ومحاكاة لموسيقى فى عالم أعلى تصوروه ... ونحو ذلك من آراء .

هذا ، وقد جاءت موسيقى بعض الأمم نتيجة لنظرة كل منها للأشياء ، وتمثلت فى عدد الأوتار : عند الهند وتر واحد ، فعندهم أن النفس واحدة ، أما عند بعض أهل ايران فهناك وتران ، على أساس تصورهم الاثنينية فى كل شىء . وعند الروم ثلاثة أوتار .....

والإنسان قد يعجب لمثل هذه التصورات ، كأن النفس البشرية بما يختلج فيها من أحاسيس وانفعالات لا تكفى لتفسير صدور أنغام تصوغها النفس بوسائل النطق أو تصنع لاخراجها أنواع الآلات التى تحاكيها .

والحق أن النفس الانسانية بعيدة الغور ، وأعمق من كل ما يتصوره الكثيرون . واذا كان بعض الفلاسفة مثل هيردر Herder (ت ١٧٧٤ م) قد ذهبوا الى أن فى النفس بطبيعتها أنغاما ومنها تتشكل أنواع من الأنغام تصدر عن النفس ، فان أحد فلاسفة الاسلام وهو أبو سليمان السجستانى ، فى القرن الرابع الهجرى ، ذهب الى مثل ذلك وان النفس فيها الأنغام والألحان ، وهى تتجلى وتتفتح بفضل الصناعة والتدريب .

ومن المعلوم أن الأنغام والايقاعات ، كما يرى الكندى أول فلاسفة الاسلام الذى ألف فى الموسيقى ، لا تحصى ولا يمكن الإحاطة بها ، ومن هنا تتسنى امكانيات للتعبير الموسيقى أو الغنائى لا حدود لها ، اذا لم تتقيد النفس بمعايير معينة فى عصر معين فتأخذ صورة ثابتة تحول دون الاستمرار فى الإبداع .

وعلى كل حال فان الموسيقار الموهوب والمغنى المبدع يبلغ فى اتقان صنعته حدا كبيرا حتى يوصف ابراهيم الموصلى ذلك المغنى المشهور بأنه «**بستان فيه جميع الأزهار والرياحين**» وقد قيل أيضا فى ابن محرز المغنى الكبير للدلالة على مقدرته على تنويع ابداعاته بما يرضى كل انسان : «كأنه خُلق من قلب كل انسان» .

ويقول الكندى فى هذا المعنى «**إن الموسيقارى الباهر الفيلسوف هو الذى يعرف ما يشاكل كل من يلتمس إطرابه من صنوف الإيقاع والنغم والشعر ، مثل حاجة الطبيب الفيلسوف الى أن يعرف أحوال من يلتمس علاجه أو حفظ صحته**» .



وإذا كان لا حدود لإمكانيات تركيب الإيقاعات والأنغام فهل النفس التى تتقبلها تقف عند ما قد تدفعها إليه الأنغام والألحان أو تحدثه فيها من سرور وطرب أو حماس وغضب أو حزن أو هدوء أو جود وكرم ... أم أن للنفس أنواعا من الأشواق والتطلعات الرفعية ؟

الحق أن القلوب كما وصفها الامام الغزالى «خزائن الأسرار ومعادن الجواهر ، وقد طويت فيها جواهرها ، كما طويت النار فى الحديد والحجر ...» وسماع الألحان والأنغام هو الوسيلة الى استثارة خفايا القلوب ، وهى تخرج من كل قلب ما كمن فيه .

● تأثير الموسيقى

للموسيقى تأثير فى جميع أنواع الحيوان ، ولعل لها تأثيرها فى النبات أيضا ، ونحن حتى الآن لم ندرس النبات دراسة كافية . والمهم أن الفلاسفة كما يقول الكندي صنعوا من الآلات ما يناسب اجناس الحيوان فتأتى منقادة للصوت وتطرب له . ولكل جنس من الحيوان آلة سمعية تحركه عند سمع الأصوات الموسيقية ، حتى لقد يخرج التمساح ويطفو ويقترب من السفن وكذلك عتاق الخيل ، والطواويس اذا سمعت موسيقى الأوتار نشرت أذنابها وجلت نفسها . وقد لوحظ أن النحل أطرب أنواع الحيوان .

أما الذى تخلب الألحان والأنغام لبه فهو الانسان ، وذلك يرجع الى أنه أرقى تكوينا وأوسع خيالا ، وروحه اكثر استجابة وأوسع فهما . ولا ننسى أن الأنغام والألحان تصدر عن نفس كأنها لغة تخاطب بها نفسا أخرى . والمتخصصون فى تأليف الألحان والأنغام يقولون ان التجربة الموسيقية تشترك فيها العاطفة والفكر . والحق أنه لا يمكن أن تنفعل النفس بالألحان والأنغام الا اذا مرت بالفكر على نحو حدسى مباشر لا يفطن اليه الانسان ، وبعد ذلك يأتى الانفعال أو الانبعاث للعمل ، وهذا يجعل عالم الألحان والأنغام عالما إنسانيا متكاملا .

ونحن قد نلاحظ فى انفسنا أن الأنغام والألحان الجميلة المتناسبة ، من غير لغة تصحبها ، قد تحرك نفوسنا ، كأنها توقظنا من غفلة ، وعند ذلك يبدأ التأثر والانفعال من غير ان يكون هناك موضوع معين ، لكن يحدث على كل حال نوع من الشوق والحنين ، وهذا ربما يكون حنينا لشيء مضى أو كان أملا ولم يتحقق ، ثم توارى هو وذكراه فى أعماق الوعى .

غير أنه توجد هنا آراء فلسفية ودينية : فيتحدث بعض الفلاسفة عن «العالم الشريف» الروحانى الذى تنتمى اليه النفس ، فتتذكره اذا سمعت الألحان والأنغام . والإمام الغزالى يفسر هذا الشوق الذى لا يعرف الانسان الى أى شيء هو ، فيرى

أن هناك مناسبة بين نفس الانسان وبين العالم الأعلى الذي يتحدث عنه الدين وما فيه من أنواع السعادة ، لكن الانسان فى غمرة اشتغاله بالدنيا ينساه فتحركه الأنغام الجميلة من غير أن يستطيع التعبير .

أما أهل الوجد من الصوفية فان كل ما يسمعونه من ألحان أو أنغام ومن أغانى الحب أو الشوق يحرك قلوبهم الى الله تعالى ، ولهم فى ذلك أقوال رائعة وأشعار بديعة أشتملت عليها مصنفاتهم .

وأحسن من ذلك تفسيرا وأوقع فى النفس قبولا ما يؤخذ من آيات القرآن وما جاء فيه من أن الله تعالى خاطب الأرواح فى الأزل وأشهدها على أنفسها بربوبيته لمَّا خاطبها بقوله :

«ألست بربكم ؟» فقالوا : «بلى شهدنا»

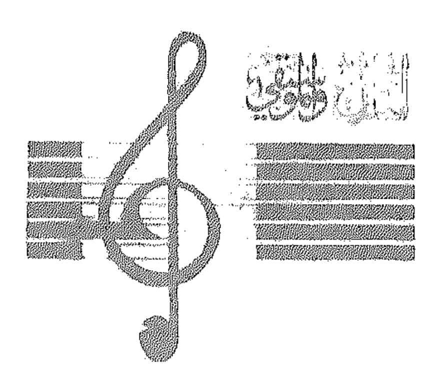
ومن هنا فان الأرواح اذا سمعت ما يذكرها بذلك الميثاق الأول فانها تتحرك بالشوق اليه . وقد ردد شعراء الصوفية هذا المعنى وأهابوا بالانسان أن يزكى نفسه ويطهر قلبه حتى يسمع ذلك الخطاب الالهى ويستجيب له .

ومن الشعر الرائع فى هذا المعنى ، الأبيات الأولى التى افتتح بها جلال الدين الرومى (ت ٦٧٢ هـ/ ١٢٧٣ م) ديوانه «المثنوى» وهى أبيات أعجب بها الأوربيون وترجموها شعرا الى لغاتهم . وفيها يجعل الرومى من الناى وشوقه الى أرض الغاب التى نزع منها ، رمزا للشوق الأصيل فى نفس الانسان الى العالم الشريف الذى كان فيه . وها هى ذى الترجمة ، كما أخذتها من كتاب الأستاذ الكبير الدكتور عمر فروخ «التصوف فى الاسلام» :

اسمع الناى ما يقصُّ ويحكى ... هو يشكو من الفراق ويبكى
قال : إنى قُطعت من قصباءِ ... فبكى الناس كلهم من غنائى
هات صدراً مُقطعا بالفراق ... لأبث الآلام من أشواقى
كل من غاب عن ذويه وكيدا ... رام عود الزمان حتى يعودا
أنا فى كل مجمع وفق أهله ... فى عسير الزمان أو فى سهله
كلهم ظن أنه لى حبيبُ ... وهو عن سر خاطرى محجوبُ
ان سرى ياصاحِ لحنى يُذيعه ... غير أن الآذان لا تستطيعه
صوت نايى نار وما هو رِيح ... كل خالٍ من ناره فهو ريح
هى نار الغرام فى الناى تُلفى ... وهى غلىُ الغرام فى الخمر عُنفاً
ان ذا الناى إن تمادى أنينهُ ... كان خِدنا لمن جفاه خدينهُ

● التعبير الموسيقى

يحسب بعض الناس أن دور الموسيقى فى الحياة مقصور على أنها تعبر عن انفعالات النفس البشرية . نعم ، للانفعالات مكان كبير فى ذلك ، وفى بعض العصور



التى تطغى فيها العواطف على العقل والحكمة تتغلب التعبيرات العاطفية عن أمور الحب والتذلل والشكوى من الهجر والغدر ، وقد تنحدر الموسيقى الغنائية الى التفاهات فى الأغانى التى تتجاوز اللهو الطبيعى المقبول الى العبث الذى لا يصلح لتربية أى أمة وليس فيه معان تسمو بالعاطفة الانسانية .

أما فى عصور الحضارة القوية الجادة فان الموسيقى ، وكذلك الشعر ، يصبحان لغة بالألحان وبالكلام تصف أمورا كثيرة ، فالألحان قد تعبر عن ظاهرات الطبيعة فى روعتها الديناميكية ثم فى هدوئها الجميل أو تصف الطبيعة فى الريف الجميل الوديع وقد يتكلم الملحن العميق الروح بلسان الطبيعة نفسها : السماء فى روعتها ، وهى تمجد الخالق وتشهد له بالعظمة والجلال ، أو يعبر عن قضايا كبرى فى حياة الانسان أو عن البطل وروح البطولة ، أو يترجم الى لغة الألحان قصيدة فى المعانى الانسانية . ويكون لهذا كله تأثيره فى تربية الانسان .

● اللذة الروحية

لا شك ان من الألحان والأنغام ما يختلس من الانسان عقله ، ويكون مصدر لذة روحانية حقيقية . ففى القطعة الموسيقية أو الأغنية الكبيرة لحن أو نغمة تكون بمثابة الروح أو ذروة الحسن فى الصوت والأداء . والانسان لا يمل سماعها مهما تكررت ، وهذه اللذة هى نظير المتعة البصرية الجمالية التى يدل عليها قولهم :

يزيدك وجهه حسنا اذا ما زدته نظرا .

وقد عبر أصحاب صناعة الألحان والأنغام عن هذه المعاني ورأوا فى الموسيقى عنصر السمو بالروح . وان سماعها يدل على الروحانية . وهم يؤكدون أن كل اللذات البدنية فيها معاياة على البدن وتعب على الجوارح ، الا لذة السماع للألحان والأنغام ، فهى بعيدة عن ذلك . وهى تدعو إلى مكارم الأخلاق وتبعث على الشجاعة والاقدام .

وللإمام الغزالى عبارات فى انفعال الانسان أمام الجمال بوجه عام ، فيقول : "من لم يحركه الربيع وأزهاره والعود وأوتاره فهو فاسد المزاج وليس له علاج" ، ومن لم يتأثر بسماع الأنغام والألحان الجميلة فهو مائل فى طبيعته عن الاعتدال ، وبعيد عن الروحانية ، واذا كانت الألحان تؤثر فى أنواع الحيوان فان الانسان أولى بأن يتأثر بها وان يستفيد منها رقة فى الطبع وفى أحوال القلب .

● الموسيقى والأخلاق

منذ العصور القديمة ، فى الحضارة الانسانية ، فطن الساسة والحكماء الى دور

الموسيقى فى التربية . فقد اهتم كونفوشيوس (ت حوالى ٥٥١ ق . م) بأن يجعل الموسيقى جزءاً من تكوين "الانسان الرفيع" وأن يستفيد منها فى تكوين مجتمع منظم سعيد ، وعنده أن الموسيقى مرآة تتجلى فيها شخصية الانسان من شتى جوانبها ، والانسان الذى يتذوق الألحان هو المؤهل للاضطلاع بمهام الحكم وتدبير الأمور .

ثم جاء أفلاطون (ت ٣٤٧ ق . م) فاهتم بالموسيقى ، وجعل منها ، الى جانب الرياضة البدنية ، عنصراً أساسياً فى تربية الشباب ، لكن مع تجنب التعقيد والألحان العاطفية المائعة . وعنى حكماء اليونان بوجه عام بالموسيقى وجعلوا منها عنصراً فى الحياة الطيبة فى حدود الاعتدال والفضيلة .

ولم يزل الاعتراف بالدور الأخلاقى للموسيقى موجوداً عند فلاسفة الغرب ، مع الاهتمام بالبساطة والبعد عما يثير تخيلات غير أخلاقية (ديكارت ، وليبنتز) . **ورغماً عما فى الموسيقى من بهجة وسرور فانها يجب أن تفرض على الانسان واجبات السمو الخلقى والروحى . واذا كانت الموسيقى تحرر الانسان وأحاسيسه من بعض شوائب الحياة وقيودها ، الا أنها توجب على الانسان أن يدرك واجباته وأن يحتمل مسئولياته بقرارات يتخذها عن حرية واختيار .**

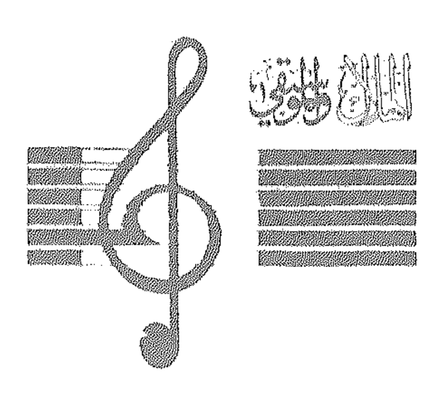
● الموسيقى عند أهل الأديان

كان للموسيقى شأن كبير فى المسيحية ، خصوصاً مع استعمالها عنصراً مساعداً للكلام ، وكل ما أوصى به علماء العقائد هو توخى البساطة والبعد عن الألحان التى تثير الشهوات . وعند بعضهم أن الموسيقى تمثل شيئاً علوياً ، ومنهم من أرادها عنصراً مساعداً على التقوى والأخلاق الرفيعة .

● الموسيقى فى الاسلام

كان عند العرب فى جاهليتهم غناء وقيان ، فلما جاء الاسلام وجههم الى حياة الروحانية والجهاد ، لكن الغناء كان فى مدن الحجاز .

ولما استقرت الدولة وعرف المسلمون حضارات الأمم اهتموا بالتراث الموسيقى ودرسوه ، وسرعان ما شرعوا يؤلفون فى الغناء والموسيقى ، الى أن ظهر الكندى أول فلاسفة الاسلام (ت حوالى ٢٥٢هـ / ٨٦٦ م) فدرس الموسيقى وألف فيها كثيراً



من الكتب ، وتابعه فى ذلك فلاسفة الاسلام ، وكلهم كانوا على فضل ودين .
ولا يتسع المقام للكلام فى الموسيقى عند المسلمين وعن ابداعاتهم واستحداثهم

الحانا وأنغاما لم يعرفها أحد قبلهم . ونكتفى بالاشارة الى أن الكندى اهتم بتأثيرالموسيقى فى الانسان من ناحية تأثيرها فى الصحة ، الى حد القول بأنها تؤثر فى الطعام "بالتلطيف والتنظيف" ، بعد فعل المعدة فيه ، لكن يظهر أنه أدرك العلاقة بين الألحان والأنغام وبين مراكز الادراك فى الدماغ (الخ) وما قد يصيبها .

وقد حكى جمال الدين القفطى فى كتابه "أخبار الحكماء" ما يدل على أن الكندى كان يعالج بعض ما يصيب الانسان ، مستعملاً الألحان ، فيقول :

"ومن عجيب ما يحكى عن يعقوب بن اسحق الكندى هذا ، أنه كان فى جواره رجل من كبار التجار .. وكان له ابن قد كفاه أمر بيعه وشرائه وضبط دخله وخرجه" لكن ذلك التاجر كان كثير الإزراء على الكندى والطعن عليه . فأصيب ابنه بالسكتة فجأة ، فأذهله الحزب ولجأ الى كبار الأطباء فى بغداد ، فلم يستطيعوا عمل أى شىء ، فقيل له : أنت فى جوار فيلسوف زمانه وأعلم الناس بعلاج هذه العلة .. فاضطر الرجل الى الذهاب للكندى فأجابه وذهب الى منزله ، فبعد أن فحص الولد أمر بأن يحضر اليه بعض تلاميذه ممن يحسن ضرب العود ويعرف أنواع الطرائق المحزنة والمفرحة والمقوية للنفوس ، وأمرهم بأن يضربوا عند رأسه على طريقة بينها لهم ، فلم يزالوا يضربون على تلك الطريقة ، والكندى آخذ بنبض الغلام ، فلاحظ أن نفسه يمتد ونبضه يقوى ويرجع الى نفسه شيئاً فشيئاً الى أن تحرك وجلس وتكلم والعازفون يضربون على تلك الطريقة دون توقف . فقال الكندى لوالد الغلام : سل إبنك عما تريد فاكتبه ، فتكلم الغلام ، وكتب الرجل ما أراد ، ثم توقف العازفون عن الضرب على تلك الطريقة ، فعاد الصبى الى ما كان عليه من السكات ، فأخذ الرجل يرجو الفيلسوف ان يأمر تلاميذه بمعاودة العزف ، فقال له : "هيهات ، إنما كانت صبابة قد بقيت من حياته .. ولا سبيل لى ولا لأحد من البشر الى الزيادة فى مدة من قد انقطعت مدته ، اذ قد استوفى العطية والقسم الذى قسمه الله له"

ومن الواضح أن الغلام كان قد أصابه شيء فى منطقة الكلام من الدماغ ، ولم يكن التلف قد بلغ حده ، فأمكن تنبيه مركز الكلام بواسطة الأنغام بمقدار ما كان قد بقى من سلامة تلك النقطة المحددة .

● الأنغام والألحان فى الاسلام

فى الاسلام :

أولاً ـ الأذان ، ما فيه من حسن الأداء وجمال الصوت ، ومراعاة أصول معينة فى هذا الأمر العظيم .

ولأداء الأذان طرق متنوعة ، بحسب البلاد ، ونظراً لحسن الأداء وجمال الصوت فانه يؤثر حتى فى غير المسلمين تأثيراً كبيراً ، ومنهم فى بعض مدن الاسلام من كان يصيبه القلق الى أن يأتى الأذان فتهدأ نفسه وينام ، حتى كان يطلب من المؤذن أن يزيد فى حسن الأداء . والطريقة التى يتم بها الأذان استلفتت المهتمين بالنغم من الغربيين فصنفوها بتسمية : "المؤذن" .

ثانياً ـ تجويد القرآن : بحسب هذا الفن العظيم ، وما فيه من تأثير كبير من ناحية تفهيم المعانى والتأثير من طريق كمال الأداء وما فيه من تعبير بالصوت عن شتى المعانى والأحوال وإذا كان تجويد القرآن فناً عظيماً أبدعه المسلمون ، فإنه فيما أعتقد "الهام" من الله تعالى لتبليغ معانى القرآن الى العقول واقرارها فى القلوب .

أما كل ماهو معروف اليوم من أنواع الغناء والألحان فله جانبان :

الأول ـ الناحية الجمالية الخاصة فى الصوت واللحن ، وهى أمر يؤثر فى النفس تأثيراً طبيعياً ، لا مفر منه ، والمهم هو أن يكون كل ذلك فى حدود الغايات الرفيعة للألحان والأنغام وتهذيبها للنفس وتأثيرها فى ترقية الأحاسيس .

ويعجبنى ما قاله إخوان الصفا فى رسائلهم من أن صناعة الموسيقى قد استخرجها الحكماء ثم تعلمها منهم الناس واستعملوها بحسب أغارضهم . وأهل الأديان اتخذوا منها وسائل "لرقة القلوب ولخضوع النفوس والانقياد لأوامر الله تعالى ونواهيه ..

ومن أراد الدراسة التحليلية للمشكلة من النواحى الانسانية والدينية فليرجع مثلاً الى ما كتبه العلماء بهذه الأمور كالامام الغزالى فى كتابه "كتاب السماع" فى المجلد الثانى من "الاحياء" .

وأحب أن أقول للقارىء : اننا قد سمعنا ما لا يحصى من أنواع الألحان والأغانى عند مختلف الأمم وفى شتى أمور الحياة . ولابد أن أؤكد القول بأن التربية الجيدة للانسان المسلم كفيلة عند سماع الألحان والأنغام والأغانى بتصفية ما فيها واستخراج ما يسمو بالفكر والشعور من طريق جمال الصوت واللحن الذى جعله الله ، كما جعل كل ما خلق ، وسيلة لإصلاح أمور الانسان من حسن الاستعمال والقصد الى الخير .



شعر: عباس محمود العقاد

لعل قصيدة « الموسيقى » التى نظمها الأديب الكبير عباس محمود العقاد قبل ستين عاما هى القصيدة الوحيدة فى الشعر العربى التى تحمل هذا العنوان ولاتتحدث عن شىء الا عن الموسيقى .. وهى قصيدة طويلة اخترنا لك منها هذه الأبيات .

معلمة الانسان ما ليس يعلم
وقائلة ما لا يبوح به الفم

وكامنة بين النفوس بداهة
وما علمت فى مهدها ما التكلم

ومخرجة الأوهام من ظلماتها
على أنها من سطوة النور تحجم

ومسمعة الانسان اشجان نفسه
فيطربه ترجيعها وهى تؤلم

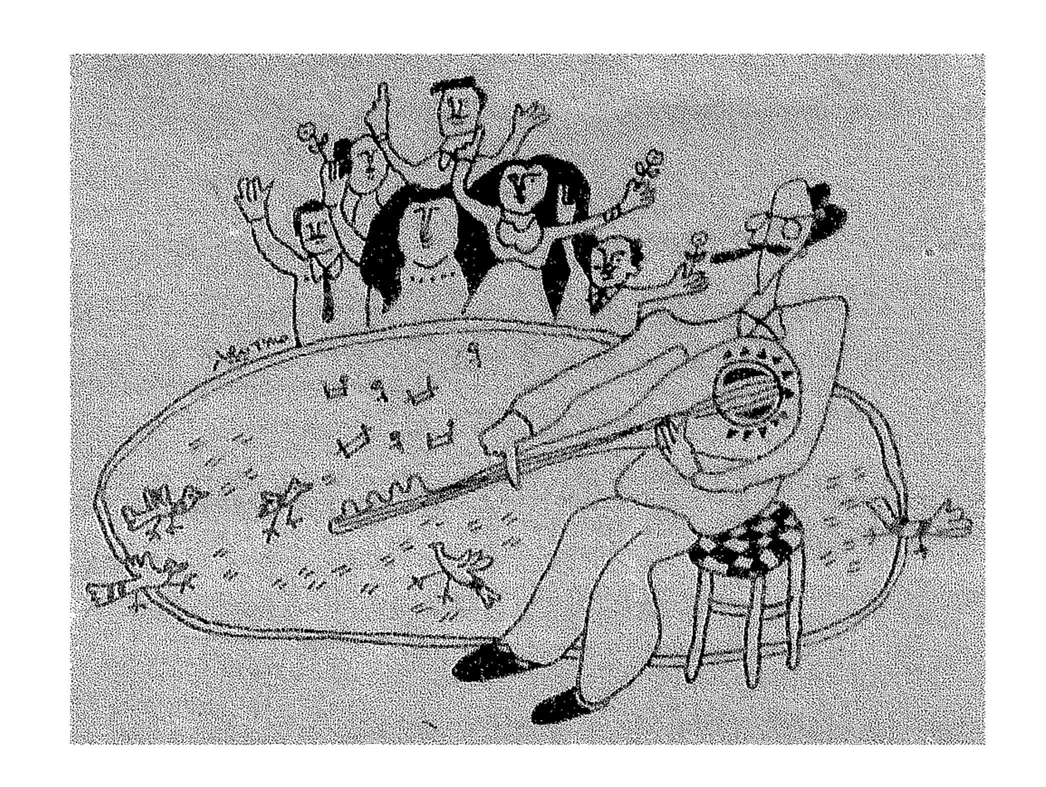
أملهمة الانسان ما لا يزيده
فصيح ولا يزرى بمعناه ابكم

اليك تناهى كل علم ومنطق
فسيان منطيق لديك واعجم

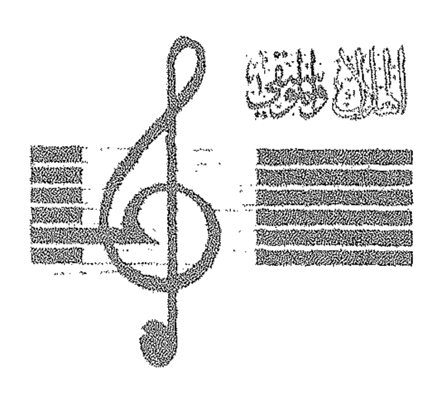
حديثك من كل اللغات منظم
ومعناك فى كل النفوس مقسم

فالوحش فيه والأناسى عولة
وللنار والاعصار فيه تهزم

جوار كأن الطرد منه محرك
وخفق كأن النجم منه مُهوِّم



وهمس كهمس الجن فى خلواتها
له رعدة فى الجلد ينكرها الدم
ولا مهجة الا لصوتك مسرب
اليها وسلطان عليها مُحكم
تروضك أسراب النفوس كأنما
على كل لحن مارد لك يخدم
تهزين أعطاف البخيل فيكرم
ويصغى اليك المشمخر فيرحم
ويمنحك الشيخ الجليل وقاره
وقاراً شراه بالصبا وهو قيم
ويسعد منك الوالهون ببسلم
الا رب جرح لا يداويه بلسم
فياربة الألحان لو تسمعيننى
أمنك السجايا الغُرُّ ام هن منهم ؟؟
ويا ربة الالحان : هذى قلوبنا
فأنت بها منا أبر وأعلم
أفيضى على قلبى السكينة واسكبى
عليه رضى ، انى على العيش أنقم
هل العيش الا نغمة قد تعارضت
مذاهبها فهو الشتيت المنظم
كذلك موسيقى الحياة وانها
لصوت على اسماعنا متقدم



محمد عبدالوهاب صانع الغناء المصرى الحديث

بقلم : كمال النجمى

فى عصر يوسف المنيلاوى وعبدالحى حلمى وسيد الصفتى وسلامة حجازى بدأ المطرب محمد عبدالوهاب خطواته الأولى فى عالم الغناء ، وهو يومئذ فى أواخر العقد الأول من عمره المديد ..

كان صغير السن عندما بدأ يغنى فى « تياترو » فوزى الجزايرلى سنة ١٩٠٩ وبعدها بسنة أو سنتين ، ثم انتقل إلى « تياترو » عبدالرحمن رشدى قبيل الحرب العالمية الأولى ، ولما رآه أمير الشعراء أحمد شوقى واقفا بقوامه الصغير النحيل يغنى بين الفصول ، أشفق عليه ، وطلب إلى « حكمدار » القاهرة الانجليزى حينذاك أن يمنعه من العمل بصناعة الغناء إلا بعد أن تكبر سنه ويشتد عوده ، فمنعه الحكمدار ..



عبدالوهاب

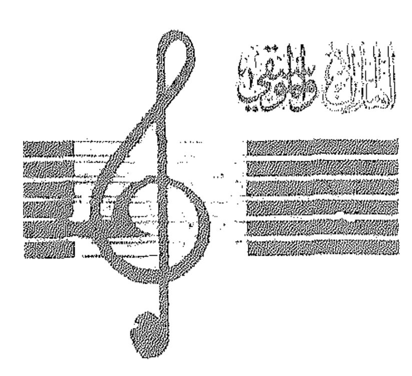
كان ذلك فى سنة ١٩١٢ وشوقى يومئذ رجل الخديو عباس حلمى حاكم مصر لايُرد له طلب ، فلما نفى الانجليز شوقى بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى وعزلهم للخديو ، عاد عبدالوهاب يغنى ، وقد نضج صوته قليلا ، وتجاوز العقد الأول من عمره ببضع سنوات ، ولكنه لم يكن فى تلك الأيام إلا مجرد مطرب ناشىء بين عمالقة الطرب المشاهير الذين صار على رأسهم ـ بعد رحيل المنيلاوى وعبدالحى حلمى وطبقتهما ـ مطرب المسرح الأشهر الشيخ سلامة حجازى ، ومطرب الأدوار البارع صالح عبدالحى ومطرب الأفراح والليالى الملاح عبداللطيف البنا ، فضلا عن المطربات المشهورات وفى مقدمتهن سلطانة الطرب منيرة المهدية ..

وفى سنة ١٩١٧ توفى الشيخ سلامة حجازى ، فالتفتت الأوساط الفنية إلى المطرب الشاب الصغير محمد عبدالوهاب ، واتاحت له ان يسجل آغنية « وياله ماحيلتى » على اسطوانة ، وكانت هذه الأغنية مما سجله الشيخ سلامة من قبل ، ومازالت اسطوانة عبدالوهاب التى مضى عليها أكثر من سبعين عاما تحمل صوته الغض النحيل الذى لم يكن قد نضج بعد فى تلك السن الباكرة ، وهو دون العشرين ..

وبعد الحرب العالمية الأولى بسنتين أو ثلاث كان عبدالوهاب قد نضج صوتا وفنا ولم يعد يبهره الشيخ سلامة حجازى بصوته الحاد المرتعش وألحانه التقليدية الرتيبة ، وآخذ يقتفى آثار الملحن الجديد الشيخ سيد درويش ، وانقلب عبدالوهاب من يمين فن الغناء إلى يساره ، ومن مطرب قديم الأسلوب على غرار سلامة حجازى إلى مطرب مجدد على مذهب سيد درويش .

كان سيد درويش هو نقطة انطلاق عبدالوهاب فى تحديد الغناء المصرى ـ ثم الغناء العربى كله ـ فكثر اتهام النقاد له بانتهاب ألحان سيد درويش وانتحالها ، والحقيقة آن اكثر ما اتهموه بانتهابه وانتحاله لم يكن إلا محاولات للتقليد الذى لم يكن منه بد فى نشأته ..

وقد ابتعد عبدالوهاب بعد ذلك عن طريق سيد درويش واختلف عنه ، لأن عبدالوهاب كان ذا موهبة عظيمة فى تذوق الألحان واستيلادها واختراع جديدها ، وتجديد قديمها ، ومزجها أو تفريقها على فروع ذات اصول معروفة أو مجهولة ، واكتملت له فى التلحين ، كما اكتملت له فى الصوت اسباب التفوق على معاصريه فاطفأهم جميعا ، وتفرد وحده بالسيطرة على الاسماع سيطرة لم يظفر بمثلها مطرب منذ عهد عبده الحمولى ..



محمد عبد الوهاب
صانع الغناء المصرى الحديث

وبين بروز عبدالوهاب فى أوائل العشرينيات ، وبلوغه أوج الشهرة والنجاح فى مطلع الثلاثينيات ، كانت حنجرته تتألف من أجمل وأكمل وأرقى الأوتار الغنائية المعروفة فى أصوات الرجال .

كان صوتا جديدا تماما فى ذلك الزمان كأنه شعاع انبعث من نجم بعيد مجهول ..

● نبرات من ذهب خالص

وكان صوتا صادحا ــ على حسب مصطلحات مجمع اللغة العربية ــ أو صوتا من قسم « التينور » بحسب مصطلحات الغناء الأوربى . ولكن جماله واكتماله لم يكونا فى كثرة طبقاته فقط ، بل كانا ــ قبل ذلك ــ فى نفاسة نبراته ، فكأنها نبرات من الذهب الخالص ، أو قطع الألماس النادرة ..

كان عبدالوهاب كروانا حقيقيا لامثيل له عندما غنى « كلنا نحب القمر » و « اللى انكتب ع الجبين » و « كل اللى حب اتنصف » و « حسدونى وباين ف عينهم » و « لما انت ناوى تغيب على طول » و « خايف أقول اللى ف قلبى » و « اللى راح راح ياقلبى » و « ياجارة الوادى » و « فى الليل لما خلى » .. وبقية تلك الروائع الكثيرة فى العشرينيات وأول الثلاثينيات ..

ويمكن أن يقال إن عبدالوهاب كان متفوقا بصوته وألحانه وكلام اغانيه على أم كلثوم منذ ظهورهما معا فى العشرينيات إلى بداية الثلاثينيات لأن صوته فى تلك الفترة كان قد نضج واتخذ سمته فى الأداء والتلحين ، وكان مؤلفو أغانيه الكثيرون أبرع من المؤلف الأوحد لأم كلثوم وهو أحمد رامى ، حتى إن مطالع أغانى عبدالوهاب وبعض كلماتها كانت تجرى فى تلك الأيام على ألسنة الناس مجرى الأمثال .. وكانت ألحانه أيضا أكثر جدة وطلاوة من الألحان التى تغنيها أم كلثوم ، ولم يكن صوتها قد نضج بعد ، وانما أخذ صوتها فى النضج منذ أواخر العشرينيات واكتمل الطور الأول من نضجه فى بداية الثلاثينيات ، اى فى الوقت الذى أخذ فيه صوت عبدالوهاب ينحدر ويغلظ ويفقد الكثير من خصائصه ، فكان هذا الوقت ذاته هو بداية انفراد أم كلثوم بساحة الغناء ، صوتا أوحد لامنافس له من مطرب أو مطربة ، حتى فارقت هذه الدنيا .. وكان عبدالوهاب ــ بسماحة نفس الفنان ــ أول من اعترف بذلك ، وانقلب من منافس لها لايكاد يعترف بها إلى معجب بها ، عاشق لغنائها ..

إن قصة مرض عبدالوهاب بالجيوب الأنفية سنة ١٩٣٢ قصة معروفة فى تاريخه ، وقد كان لهذا المرض ــ مع أسباب فسيولوجية اخرى ــ اثر حاسم فى هذا الصوت العظيم . فقد أصابه بتغيرات وتحولات سريعة منذ سنة ١٩٣٢ ، حتى ان حرف الميم كان يختلط أحيانا بحرف النون فى نطق عبدالوهاب لبعض كلمات اغانيه ، وصار صوته بطىء الذبذبات فاكتسى

غلاظة فوجىء بها المستمعون ، لأن انتقاله من الرقة والنعومة وسرعة الذبذبات جاء على غير انتظار .. ومنذ ذلك الحين صارت المشكلات الصحية هى الشغل الشاغل لعبدالوهاب ، فالتزم نظاما صحيا بالغ الدقة جعله يبدو حتى يومنا هذا فى ريعان شبابه ، متعه الله بالصحة والعافية ، ومد فى بقائه ، وأمتع به ..

● صوت جميل مؤثر

انتهت المرحلة الأولى لصوته الذهبى ، وفى أواخر سنة ١٩٣٢ سجل أغانى فيلمه الأول « الوردة البيضاء » بصوته الجديد الذى بدت فيه تلك التغيرات التى لاتخطئها الأذن ، فقد انطفأت جذوة طبقاته العالية ، واكتسبت نبراته خشونة طفيفة تمتزج برخامة تنم عن معدنه النفيس ، ولاتحجب حلاوته القديمة حجبا تاما ..

ثم جاء فيلم « دموع الحب » سنة ١٩٣٥ وفيه أوشك صوت عبدالوهاب القديم أن يختفى تماما ، ولكنه ظل صوتا جميلا مؤثرا فى السمع والوجدان .. ثم جاء فيلمه « يحيا الحب » فكان خاتمة المرحلة الثانية لصوت عبدالوهاب .. اختفى الصوت الذهبى بجميع ملامحه تقريبا واستقر فى مكانه الجديد من طبقة « الباص » التى يسميها المجمع اللغوى « طبقة الجهير الثانى » ..

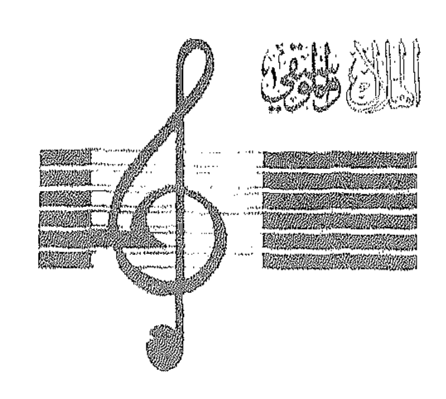
لقد سجلت أفلام عبدالوهاب السينمائية مراحل صوته عاما بعد عام ، وسجلت صراعه مع « الجيوب الأنفية » منذ سنة ١٩٣٢ .. ويمكن أن يقال إن عبدالوهاب لم يتغلب على هذه الجيوب المؤذية إلا سنة ١٩٣٧ حين سجل أغانى فيلمه « يوم سعيد » فبدا وقد تخلص من تلك الجيوب ، ولكن آثارها فى صوته بقيت إلى الأبد ، وصارت هذه الآثار مبعث تطورات سريعة متلاحقة فى صوته إلى آخر أفلامه « لست ملاكا » واستمرت كذلك بعد أن توقف عبدالوهاب عن الظهور فى أفلام السينما .. وقد انصرف عبدالوهاب عن الغناء منذ ثمانية وعشرين عاما تقريبا ، إلا ماسجله من « دندنة » على العود يتذكر بها محبوه الكثيرون ماقدمه لفن الغناء المصرى والعربى من أياد بيضاء ..

نعم طرأت على صوت عبدالوهاب تغيرات سريعة متلاحقة ، حولته من حال إلى حال ، ولكنه لبث برغم مافقده أكثر أصوات المطربين تأثيرا فى الأسماع ، لأنه كان فى بدايته عظيم الثراء ، فاستطاع أن يتحمل ماوقع عليه من خسائر ، ويحتفظ ببقية صالحة أبقته على رأس المطربين طوال عصره ..

ومما يذكر لعبدالوهاب بأجزل الثناء أنه لم ييأس ولم يضطرب عندما ألمت بصوته بوادر التغير ، فمنذ سنة ١٩٣٢ بدأ يطور غناءه والموسيقى المصاحبة له ، تطويرا سريعا مؤثرا فى الجماهير ، وأخضع طريقة تلحينه لامكانات صوته التى أخذت تتغير وتتناقص ، ووظف نبراته توظيفا جديدا بالغ الذكاء والمرونة .. ونجحت طريقته الجديدة هذه نجاحا عظيما ، حتى ليقال إن عبدالوهاب إنما جمع ثروته « الذهبية » من ألحانه وأفلامه التى صنعها بعد اختفاء صوته الذهبى القديم ! ..

● ثروة لحنية

إن اختفاء صوته الذهبى الأول ، كان



محمد عبد الوهاب
صانع الغناء المصرى الحديث

من بعض وجوهه نعمة وبركة على فن الغناء ، لأنه كان الحافز له على البحث عن أساليب جديدة فى الغناء ، وقد وجدها وأضافها إلى المكتبة الغنائية ، ومنها اقتبس الملحنون الجدد وتعلموا ، ولعل عبد الوهاب لو احتفظ بصوته الأول لما وجد حاجة إلى اساليب جديدة تتجدد بلا انقطاع من عام إلى عام ، بل من أغنية إلى أغنية ، ولو حدث ذلك لخسر فن الغناء المصرى ثروة لحنية طائلة ، ولكان ذلك سببا لتخلف هذا الفن ، ولما استطاعت أم كلثوم نفسها أن تطور غناءها .

لقد اهتدى عبد الوهاب فى هذه المرحلة من تطوره الصوتى إلى توظيف الموسيقى إلى جانب الصوت فى غنائه ، ليجمع أثر الصوت مع أثر العزف المتطور بالآلات الموسيقية ، ونجح فى هذا السبيل حتى صارت أغانيه معرضا لألوان من الموسيقى البحتة لم يعرفها المستمع المصرى من قبل ، وفرضت هذه الطريقة نفسها على جميع المغنين والملحنين ، وكان عبد الوهاب هو الرائد فيها ، وعلى دربه سار الآخرون واقتبسوا منه وتتلمذوا عليه ..

وتحولت الأغنية على يد عبد الوهاب إلى مستودع للتعبير بالجمل اللحنية المتنوعة ، واللازمات الموسيقية المبتكرة ، وأعطاه هذا الحقل محصولا ضخما من المقدمات الموسيقية واللازمات التى تقوم عند المستمع العربى فى الوقت الحاضر مقام الموسيقى البحتة عند المستمع الأوربى ..

والموسيقى البحتة الناضجة المستقلة عن الغناء هى مطلب الموسيقى العربية للمستقبل .. وقد نتعجب لأن كل الدلائل تدل الآن على أن هذه الموسيقى المنشودة سوف تنبثق من الأغنية الفردية ذات المقدمات الموسيقية واللازمات .. ولكن لاعجب - عند التدقيق - لأن الموسيقى الأوربية إنما بدأت فى الواقع من مثل هذه النقطة ، على اختلاف مابين موسيقانا وموسيقاهم ..

ومعنى هذا أن الأغنية الفردية لاتعوق انبعاث الموسيقى البحتة عندنا ، فها هى ذى بعض الأشكال الأولية للموسيقى العربية البحتة تنبعث من قلب الأغنية الفردية انبعاثا عفويا لا افتعال فيه .. والفضل الأول فى ذلك يعود إلى عبد الوهاب ..

وقد كتب عبد الوهاب مقطوعات موسيقية ميلودية للتخت الحديث المدعم بآلات أوركسترالية ، وهذه المقطوعات تشبه أن تكون محاولة جديدة لاستخدام المقامات العربية استخداما لم يخطر على بال مؤلفى السماعيات والبشارف القديمة ، وفيها حاول عبد الوهاب التعبير عن شىء ، أو وصف شىء ، على غرار ماهو معروف فى الموسيقى الأوربية التى أتيح له أن يسمعها منذ نشأته الفنية ويتأثر بها ..

وإذا كانت قطع الموسيقى الوهابية لاتحكمها الصيغ والقوالب التى تحكم

السماعيات والبشارف واللونجات ، فإنها - كذلك - لاتحكمها الصيغ والقوالب الأوربية .. ويمكن أن يقال إن عبدالوهاب حين تحرر من قوالب الموسيقى العربية التقليدية ، لم يشأ له ذوقه أن يتقيد بقوالب الموسيقى الأوربية فجاءت موسيقاه مفتوحة الصيغة - إن صح التعبير - أو متحررة من القالب .. فليس في الموسيقى ولا فى أى فن قاعدة قالبية يتحتم أن يلتزم بها الفنان أو يتوخاها ، والقاعدة الذهبية الوحيدة - كما يقول برناردشو - هى عدم التمسك بأية قاعدة ذهبية ! ..

على أن هذا فى الحقيقة هو مذهب جميع مؤلفى القطع الموسيقية العربية ، لأنهم ينسجون على غير مثال سابق ، ولم يجدوا حتى الآن الحلقة المفقودة بين علوم الموسيقى الأوربية وعلوم الموسيقى العربية ..

● رائد الغناء والموسيقى

وعبدالوهاب - على كونه رائد الغناء والموسيقى - يعرف تماما حدود دوره التاريخى فى الموسيقى العربية ، ويرى أن الجيل القادم هو الذى سيبلغ الهدف .. فلو استطاع هذا الجيل أن يحل مشكلات الموسيقى العربية المتعلقة باختصار عدد المقامات وتثبيتها وعمل « الميتودات » للآلات الموسيقية ، وتطبيق مايصلح تطبيقه من قواعد الهارمونى والكونتربوينت الأوربية أو ابتكار قواعد أخرى للموسيقى العربية فى هذا المجال ، وتحديد علاقة الآلات الموسيقية العربية بالتوزيع الأوركسترالى الخ ... لو استطاع الجيل القادم من الموسيقيين حل هذه المشكلات لأمكن عندئذ أن تتطور الموسيقى من مقدمات الأغانى ولوازمها إلى الصيغ السيمفونية .. بطريقة عربية ! .. ولأصبح لنا فوق ذلك مسرح غنائى حقيقى لايكون ذيلا للمسرح الغنائى الأوربى ! ..

المهم ألا يكون معنى تطوير الموسيقى العربية هو الاستغناء عنها وإيداعها المتاحف ، ثم التطفل على مائدة الموسيقى الأوربية ..

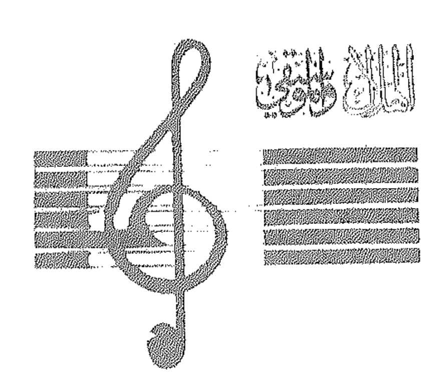
إن الصهيونيين فى فلسطين يلفقون لأنفسهم موسيقى يسمونها « الموسيقى اليهودية » زاعمين أنها من تراثهم ، بينما يحاول بعضنا إلغاء موسيقانا العربية وغناءنا العربى ! ..

وقد اتجه محمد عبدالوهاب وجيله فى هذا المجال اتجاها صحيحا منذ البداية وحتى الآن ، وأنجز عبدالوهاب وجيله ماكان عليهم أن ينجزوه ، فلهم أجزل الشكر والعرفان من شعبهم العربى فى كل مكان ..

وبعد ..

فإن عبدالوهاب الذى كان صوتا مسيطرا على الأسماع فى جميع مراحله الفنية ، كان أيضا رائد الموسيقى العربية ، ولكن الطريق إلى تطوير هذه الموسيقى طريق وعر طويل ، لأنه طريق التطور المستقل لاطريق التقليد القرودى الأعمى والتطفل على مائدة الموسيقى الأوربية ..

ولقد انغمس عبدالوهاب فى الموسيقى الأوربية مرة بعد مرة ، ولكنه خرج فى كل مرة عربى الوجه واليد واللسان ، عربى الصوت واللحن والوجدان ! ..



الإبداع الموسيقى والهوية الثقافية

تنمية الذوق الفنى ... جزء من السياسة الثقافية

بقلم : د. أحمد أبو زيد

حين كنا أطفالا وتلاميذ صغارا فى أولى مراحل التعليم العام ، كان يوجد فى كل مدرسة (ابتدائية حجرة للموسيقى تضم عددا من آلات العزف ويتصدرها بيانو ضخم . وكان يشرف على الحجرة ومحتوياتها مدرس متخصص يقوم بتدريس (مادة) الموسيقى والأناشيد لتلاميذ المدرسة ، فقد كانت المناهج الدراسية حينذاك تقضى بأن يتلقى التلاميذ فى تلك السن المبكرة دروسا أسبوعية في الموسيقى يستمعون اثناءها الى العزف على الآلات الموسيقية ويلقون الاناشيد والأغانى الوطنية والاجتماعية الجميلة الهادئة البعيدة عن الصراخ والحماس الزائف المتشنج ؟ كما كانت تتاح لهم الفرصة للالتحاق بالجمعية الموسيقية بالمدرسة فيعرفون شيئا عن مبادىء علم الموسيقى والسلم الموسيقى كما يتلقون قدرا من التدريب على آلات العزف يسمح لهم بالمشاركة بعد ذلك في احياء حفل نهاية العام الدراسي . وكان ذلك يعتبر جزءا من العملية التعليمية أو على الأصح العملية التربوية التى كانت تضطلع بها المدارس فى مصر فى ذلك الحين ، والتى كانت تهدف الى الكشف عن الملكات والقدرات وتنميتها . فلم تكن رسالة المدرسة حينذاك مقصورة على حشو أدمغة التلاميذ الصغار ببعض قشور المعلومات كما هو الوضع الآن بعد أن تغيرت الحال بمصر وضاع الطريق فيما يبدو من رجال التربية والتعليم ، وأصبح هم الوزارة وهم المدارس والمدرسين هو تقديم تلك القشور من المعرفة ونسيان كل شىء تقريبا عن تنمية المواهب والقدرات .

ولست أهدف من هذا الى المقارنة بين فلسفة التعليم أو أسلوبه فى الماضى القريب وفى الحاضر القائم الآن . فهذا حديث مؤلم وطويل ويصعب الاحاطة به هنا . وإنما الذى أهدف اليه هو أن أبين أن تربية الذوق الفنى بشكل عام والتذوق الموسيقى بوجه خاص كانت تحظى باهتمام المدارس والمشرفين على التعليم وكانت تبدأ فى المدارس منذ سنى الطفولة المبكرة . فقد كان التعليم الرسمى يعتبر جزءا من عملية التنشئة الاجتماعية التى تحرص على تكوين الشخصية المتكاملة ، وتعمل على صقل وتهذيب وتنمية الامكانات والمهارات العقلية والوجدانية والجسمية على السواء ، ولذا كان الاهتمام بالانشطة الفنية المختلفة يشغل قدرا لا بأس به من النشاط المدرس اليومى وهو ما تفتقر إليه مدارسنا الآن الا فيما ندر . بل إن كثيرا من مظاهر الحياة اليومية العادية كانت تسهم بشكل فعال وبطريقة تلقائية بحتة وغير مقصودة فى تربية الذوق الموسيقى ، فقد كانت الموسيقى بألوانها وأشكالها المختلفة تؤلف عنصرا أساسيا فى كثير من أنواع النشاط الاجتماعى ويتراوح ذلك ما بين الموسيقى الخالصة الى الاناشيد الى الموسيقى المصاحبة للغناء إلى الترانيم والتواشيح الدينية الى الموسيقى المصاحبة لبعض الفرق الصوفية وحلقات الذكر ، إلى فرق الموسيقى النحاسية (الأهلية) التى كانت تقوم باستعراضاتها الرائعة فى شوارع المدن الكبرى ويلازمها الأطفال والشباب فى مسيرتها الى فرق الموسيقى النحاسية (الرسمية) الخاصة بالجيش والشرطة (أو البوليس كما كانت تدعى حينذاك) والتى كانت



فاجنر موزار

تعزف موسيقاها العسكرية فى الميادين فى المناسبات الرسمية وغير ذلك من أشكال الأداء الموسيقى المتنوع الرائع . وهذه كلها أمور تفتقر اليها الحياة فى مصر الآن وكادت تختفى من حياتنا تماما .

وتعتبر التربية الفنية وتنمية القدرة على التذوق الفنى وبخاصة تذوق الموسيقى جزءا هاما من السياسات الثقافية فى كثير من دول العالم وبخاصة الدول الأكثر تقدما

ولقد كانت الفنون - ولا تزال - تحظى هناك بدرجة عالية جدا من الفهم والتقدير والاحترام . والذين يتابعون نشاط اليونسكو فى مجال السياسة الثقافية فى العالم يعرفون بغير شك النشرات والمطبوعات الكثيرة التى تنشرها حول وضع الفنون وبخاصة الموسيقى فى دول العالم . ويكفى أن أشير هنا الى الكتيب القصير الهام الذى أصدرته هذه المنظمة عام ١٩٧٠ عن السياسة الثقافية فى الاتحاد السوفييتى ضمن سلسلة منشوراتها عن « السياسة الثقافية » ، ففيه نجد عرضا دقيقا ومفصلاً لجهود الاتحاد السوفييتى فى نشر الثقافة



الموسيقية ونوع الاهتمام الذى تبذله الدولة فى مجال مناهج ومقررات دروس الفنون فى كل مراحل التعليم ابتداء من رياض الأطفال حيث تدرس الفنون المختلفة مع التركيز بوجه خاص على الموسيقى والرقص الايقاعى والغناء . الى جانب الاهتمام بزيارة المتاحف واستوديوهات السينما والاذاعة والتليفزيون ومعارض الصور إلى تشجيع اقامة الجمعيات الموسيقية والفنية للأطفال الهواة والموهوبين ، كما أنشأت الدولة ضمن أكاديمية العلوم التربوية معهدا خاصا للتربية الفنية يضع ضمن أهدافه دراسة طرق ومناهج تعليم الأطفال التذوق الفنى والتقييم الجمالى يقوم باجراء البحوث الاجتماعية عن مستوى التربية الفنية فى مدارس الأطفال وأساليب رفع ذلك المستوى . وهذه السياسة التى تهدف إلى إعداد أفراد المجتمع منذ الطفولة المبكرة اعدادا فنيا وموسيقيا هى التى جعلت الاتحاد السوفييتى يصل الى تلك المكانة العالية المرموقة فى الابداع الفنى والابداع الموسيقى بالذات . بحيث أصبح مركزا من أهم مراكز الموسيقى العالمية الراقية . ومما له دلالة فى هذا الصدد أن محطات الإذاعة المختلفة فى الاتحاد السوفييتى تذيع حوالى ٦٨ ساعة من الموسيقى بأنواعها المختلفة كل أربع وعشرين ساعة ، مما يكشف عن مدى الاهتمام بهذا اللون الرفيع من الفنون ومكانة الموسيقى فى حياة الناس هناك

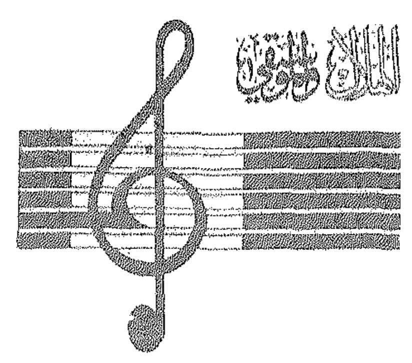
● تذوق الموسيقى

وليس الاتحاد السوفييتى هو المثال الوحيد لذلك الاهتمام بالفنون والموسيقى واعتبارها عنصرا اساسيا فى نسق التنشئة الاجتماعية والتطبيع الثقافى ، إذ قد يمكن الاستشهاد فى هذا الصدد بالوضع فى عدد كبير جدا من الدول وبخاصة فى الغرب ، وهى أمثلة تبين أن هذه الدول المتقدمة الراقية لا تعتبر الموسيقى نوعا من الترف و نشاطا ترفيهيا ثانويا وانما هى على العكس من ذلك تماما جزء من العملية التربوية الاساسية بشقيها الرسمى (التعليم) وغير الرسمى (التنشئة فى البيت بوجه خاص) من أجل تكوين أجيال جديدة ومتتالية تكون على درجة عالية من الثقافة الرقيقة المتكاملة وللارتفاع فى الوقت ذاته بالمستوى الثقافى للمجتمع ككل . فالاهتمام بصقل وتهذيب ذوق الفرد وتنمية القدرة على التذوق الفنى بوجه عام وتذوق الموسيقى بوجه خاص منذ تلك السن الصغيرة المبكرة هو الذى يهيىء الفرد لأن يميز فيما بعد بين الموسيقى الرفيعة الراقية أو الموسيقى العظيمة ـ كما تسمى فى الخارج أحيانا ـ وبين مجموعات الأصوات الموسيقية المتنافرة التى تكشف عن السطحية والضحولة . أى أن هذه التربية منذ الصغر تحمل بين ثناياها مبادىء الحكم على الابداع أو الانتاج الفنى أيا كان شكله وتقديره وتقييمه فى ضوء التجربة التى حصل عليها الفرد

خلال سنوات طويلة من التدريب على التذوق والفهم . وهذه القدرة على التقدير والحكم كفيلة فى ذاتها بوضع حد لانتشار الموسيقى الهابطة والانتاج الفنى الفج أو على الأقل مواجهة مثل هذا الانتاج بابداعات فنية على مستوى راق يجمع بين الجلال والجمال ويحافظ على القيم الفنية والجمالية الراقية .

فالاهتمام بالموسيقى والفنون عموما كجزء من العملية التعليمية والتنشئة الثقافية بل واعتبارها جزءا من السياسة الثقافية للدولة ليس الغرض منه هو الكشف عن القدرات والمهارات والمواهب وتشجيع أصحابها من أجل خلق فئة من الفنانين المبدعين فى مختلف الفنون فحسب ، وانما الهدف من ذلك الاهتمام هو فى المحل الأول تربية الذوق الفنى والارتفاع بمستوى الإنسان العادى الى مرتبة عالية من الوعى بالجمال وتذوقه والبحث عنه باعتبار ذلك أحد المقاييس الاساسية التى تؤخذ فى الاعتبار فى الحكم على مدى تقدم المجتمعات والشعوب من ناحية ، وعنصرا أساسيا فى الوقت ذاته فى تكوين الشخصية المتكاملة للفرد .

فالموسيقى إذن ـ وكذلك بقية الفنون العليا ليست نشاطا ترفيهيا بقدر ماهى جزء من خبز الحياة اليومية ، على الأقل عند الشعوب الراقية التى تعطى الموسيقى والفنون قدرا كبيرا من عنايتها واهتمامها وتخضعها للدراسة والتحليل وإن كان هذا لا ينفى فى الوقت ذاته الجانب الترفيهى للموسيقى أو يقلل من أهميته وقيمته . فالترفيه الذى يتخذ شكل المتعة الفنية هو أحد الوظائف الهامة الاساسية للفن وان لم يكن هو الوظيفة الوحيدة أو حتى الوظيفة الأكثر أهمية فى نظر بعض الناس ، انما الموسيقى ـ وشأنها فى ذلك شأن غيرها من الفنون الرقيقة ـ شكل من أشكال التعبير الذى يحمل رسالة معينة يراد توصيلها ، أو أنها هى الرسالة ذاتها ، وذلك لو أننا قبلنا التعبير البسيط العميق الذى قاله منذ سنين طويلة عالم الاجتماع الكندى الشهير مارشال ماكلوان من أن الرسائل هى الوسائل فالموسيقى وسيلة ورسالة معا ، أو أنها تعبير بالاصوات والأنغام عن رسالة تحمل فى ثناياها كثيرا من عناصر الفكر والاحساس والعاطفة مع تفاوت بين هذه العناصر من فنان موسيقى مبدع لآخر ، بل ومن مقطوعة موسيقية لأخرى ، كما أنها تختلف على هذا الاساس فى مخاطبة العقل أو الوجدان أو حتى الاحساس والغريزة بما فى ذلك استثارة الغرائز الجنسية أحيانا عن طريق التطريب السطحى الفج الذى يعكس ثقافة مؤلفيها وثقافة المستمعين اليها على السواء . والموسيقى الراقية الرفيعة تعبر عن المشاعر والافكار بل وعن الفلسفات الانسانية الراقية كما تتركز فى وجدانات وأذهان الفنانين الموسيقيين العظام ، ومن هنا كانت الموسيقى الرفيعة ـ التى تسمى أحيانا الموسيقى العظيمة ـ تعتبر لغة انسانية عامة لانها تعلو على قيود الذات والزمان والمكان وتلخص التجربة الانسانية كلها . فالموسيقى الألمانى العظيم ريتشارد فاجنر ـ على سبيل المثال ـ حاول أن يعبر فى بعض أعماله العظيمة وبالذات فى مسرحيته الشهيرة (ترليستان وايزولده) ان يحقق فلسفة



شوبنهاور عن الارادة وبخاصة فكرته عن الارادة العمياء . وشوبنهاور نفسه يقول عن بعض أعمال الموسيقى الألمانى بيتهوفن « إن كل المشاعر والوجدانات الانسانية تتكلم فيها ، من الفرح والحزن والحب والبغض والخوف والأمل .. بكل درجاتها ومظاهرها التى لايمكن احصاؤها » . كما أنه هو الذى يقول ايضا أن « الطريقة التى تمس بها الموسيقى قلوبنا ترجع الى أنها تعكس كل نبضة من نبضات وجودنا وكياننا نفسه » ..

وهذا هو إذن سر الموسيقى الراقية الرفيعة العميقة الخالدة والتساؤل الذى يثور الآن فى الذهن والذى لن يجد له جوابا هو : إلى أى حد يصدق كلام شوبنهاور على موسيقانا المصرية ؟ وهل من سبيل الى الارتقاء بموسيقانا المصرية الى هذه المستويات الرفيعة العالية أو الى مستويات تَقْرب منها بعض القرب ؟

ولقد كانت الموسيقى تؤلف دائما جزءا أساسيا وهاما فى الحياه اليومية لدى كل الشعوب كما أن دورها كان دائما أكبر بكثير مما قد يبدو لأول وهلة ، ابتداء من قرع الطبول عند القبائل البدائية الى الموسيقى المصاحبة للتراتيل والطقوس والشعائر الدينية بمختلف أشكالها وعند مختلف الشعوب وفى مختلف الثقافات وباختلاف درجات التقدم الحضارى الى الموسيقى العسكرية التى كانت حتى عند الجماعات القبلية البدائية تصاحب الحروب والاغارات وتثير روح القتال بين الجماعات المتصارعة الى الموسيقى المصاحبة لكل أشكال الاحتفالات المتعلقة بالمناسبات الفردية والاجتماعية والقومية الى الموسيقى الخالصة أو الموسيقى غير الوظيفية التى تراد لذاتها دون أن يكون لها هدف نفعى ملموس . وهذا الصدق على المجتمع المصرى خلال كل تاريخه . وهناك من العلماء من يذهبون الى القول بأن المصريين القدماء كانوا أول من استطاع الجمع بين أصوات عدد من آلات العزف الموسيقى ومزجها معا فى تناغم واتساق وانسجام متكامل وأن ذلك كان البداية الحقيقية لتكوين الاوركسترا ، وأن الاغريق لم يستطيعوا تطوير الموسيقى بنفس السرعة التى تحققت فى مصر القديمة وذلك رغم كل ما أحرزوه من تقدم فى مجالات الفكر والفلسفة والأدب والمسرح . وربما كان ذلك راجعا الى اهتمامهم فى المحل الأول بأشكال الابداع الأدبى وبالشعر بوجه خاص عنهم بالانشغال بالموسيقى ، وأن الاستماع الى الشعر كان أولى فى نظرهم وأهم من الاستماع الى الموسيقى ، وإن كان ذلك لايعنى أنهم أهملوا الموسيقى تماما كما هو واضح من أساطيرهم ومن ربات الفنون عندهم .

كذلك شغلت الموسيقى دائما جانبا هاما من الفكر الانسانى فى كل العصور وفى كل الثقافات والحضارات وبينما نجد عند بعض قبائل الفلبين مثلا بعض العبارات المأثورة التى تقول « إننى أعزف على آلة الكوبنج لأن هناك من يسمع عزفى ولذا فلابد لى من أن أجيد العزف » وهو

قول قد يبدو بسيطا ولكنه فى بساطته وسذاجته يعبر تعبيرا صادقا عن قيمة الموسيقى من حيث هى ابداع فردى ينبغى العمل على تنميته وتهذيبه والاعتزاز به كما أنه نوع من السلوك الاجتماعى ووسيلة للتواصل ونقل المشاعر والوجدانات ، وتجربة الحياة الى الآخرين ممن يسمعون تلك الموسيقى ، نجد بعض القبائل الافريقية تنظر بعين الاجلال والرهبة الى بعض الالات الموسيقية وتقيم حولها كثيرا من القصص والاساطير ذات الدلالة الاجتماعية ، ويصدق هذا بوجه خاص على الطبول التى تحظى بمكانة شعائرية معينة تكاد تقترب من حد القداسة . ففى شرق افريقيا مثلا يصل الأمر بتقديس الطبول - أو أنواع معينة بالذات منها - الى حد أن المجرم الهارب من العدالة يستطيع أن يجد الأمن إذا تمكن من الالتجاء الى القاعات التى تحفظ فيها تلك الطبول باعتبار أن تلك القاعات أماكن مقدسة يحرم الصراع فيها وأن من يلجأ اليها فهو آمن على نفسه . والأمر لايقتصر على أية حالة على الشعوب والقبائل البدائية . فقد كانت الموسيقى مركز اهتمام كثير من الفلاسفة والمفكرين الذين اهتموا بالبحث فى طبيعة الموسيقى ابتداء من أفلاطون منذ عصر الفلسفة الاغريقية حتى بنديتوكردوتشه وكونجوود بل وحتى كارل بوبر فى النصف الثانى من هذا القرن كما يبدو من تاريخ حياته . **وكثير من الفلاسفة والمفكرين درسوا الموسيقى ومارسوها ، بل إن أحد كبار المصلحين الدينيين فى الغرب وهو مارتين لوثر الذى كان فى الوقت نفسه موسيقيا بارعا يعطى أهمية بالغة للتربية الموسيقية ويرى أن الموسيقى (العظيمة) تطرد الشيطان وتجلب السعادة والحبور لقلوب البشر ، وقد وصل به الأمر فى ذلك إلى أنه كان يضع الموسيقى فى المرتبة التالية مباشرة للاهوت الذى كان يحتل عنده بطبيعة الحال مكان الأولوية المطلقة فى ترتيب العلوم والمعارف .**

واذا كانت الموسيقى تؤلف دائما جزءا من التراث الانسانى فانها كانت تؤلف دائما ايضا عنصرا هاما من عناصر الحضارة المصرية والحياة المصرية القديمة على السواء . ولذا فان اى حديث عن الثقافة الموسيقية والتربية الموسيقية والاهتمام بالموسيقى فى مصر يجب أن يأخذ فى الاعتبار ذلك الاهتمام الطويل بهذا الجانب من جوانب الابداع الفنى المصرى . فالتراث المصرى فى الموسيقى تراث غزير وخليق بالاعتزاز والاهتمام به ليس فقط من حيث هو جزء من التاريخ الثقافى المصرى بل وايضا من جانب هو تعبير صادق عن الروح المصرية بل وسجل واف ودقيق تستطيع ان تقرأ فيه تاريخ الحضارة المصرية والمجتمع المصرى فى تقلباته وما تعرض له من عوامل التقدم والتدهور ومراحل هذا التقدم او ذلك التدهور والانحطاط . وعلى الرغم من كل مايقال عن ان الموسيقى لغة انسانية عامة - وهو قول صحيح بغير شك ويصدق بوجه ادق على التأليفات الموسيقية العظيمة - فان لكل ثقافة موسيقاها الخاصة المميزة التى تعبر عن روحها وقيمها وشخصيتها ، شأنها فى ذلك شأن بقية الفنون ، كما أن الأوضاع والتقاليد والتاريخ تتدخل فى تكوين الذوق



العام السائد فى المجتمع . فلكل شعب خصوصيته الفنية والموسيقية المتميزة . ومن هنا كنا نجد ان المقطوعة الموسيقية التى يطرب لها شعب من الشعوب قد يرفضها شعب أخر ولايكاد يستسيغها . فالموسيقى الشرقية والموسيقى العربية بوجه عام فنون غير مقبولة فى الأغلب عند الشعوب الغربية كما ان الغناء العربى يبدو للأذن الغربية على انه نوع من العويل الرتيب البطىء الممل الذى يبعث الضجر فى النفس . والموسيقى الافريقية التقليدية ـ اى موسيقى القبائل الاصلية. تبدو فى الأغلب على انها نوع من قرع الطبول الذى يخلو من المعنى والتوافق والتناغم . وهذا يصدق بالمثل على الموسيقى الغربية الحديثة التى تبدو فى نظر كثير من غير الغربيين نوعا من الضجيج والصخب الذى يصم الآذان ويخلو من الفن الرفيع ، وانها تحتاج الى وقت طويل حتى تتعود الاذن على سماعها . اى ان المسألة هنا مسألة تعود وليست مسألة تذوق .

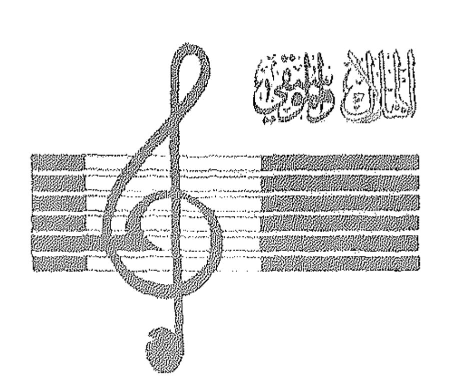
بل ان الموسيقى التى يتقبلها جيل معين بالذات فى مجتمع معين قد تثير الملل والسأم فى نفوس افراد جيل أخر بحيث يكادون يرفضونها ويتنكرون لها تماما . ولقد كانت الأجيال الشابة تنكر حتى عهد قريب الموسيقى العربية القديمة وتسخر من طريقة الغناء القديم البطىء القائم على التكرار وان كان هذا الموقف قد بدأ يتغير فى السنوات الاخيرة تغيرا ملموسا بعد ازدياد الاهتمام بتقديم هذا النوع من الموسيقى كجزء من سياسة احياء التراث الثقافى العربى المصرى . وقد أفلحت المثابرة والاصرار والاستمرار فى تقديم هذا اللون من التراث الفنى فى جذب اعداد متزايدة من الشباب ، ونجحت الموسيقى العربية الأصيلة او التقليدية ـ فى فرض نفسها من جديد بحيث تحتل الآن مساحة عريضة من النشاط الفنى الموسيقى ومن الاهتمام العام . فالذوق يمكن تربيته وتدريبه وترويضه وتوجيهه عن طريق التكرار والمثابرة التى تحمل ثناياها التوعية والتبصير والتنوير . وهذا مبدأ هام وخليق بأن يؤخذ فى الاعتبار فى اية محاولة لنشر الثقافية الموسيقية وتنشئة اجيال تتذوق الموسيقى العربية والمصرية بل والانواع الراقية من الموسيقى العالمية الرفيعة التى لاتزال حتى الآن بعيدة الى حد كبير عن الكثيرين فى مصر حتى من بين الفئات المتعلمة تعليما عاليا ـ ولا اقول الفئات المثقفة ثقافة حقيقية .

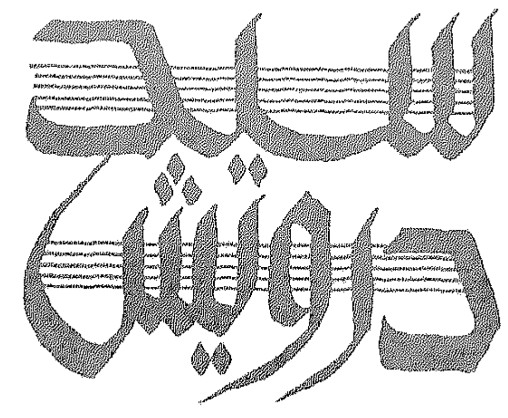
● التراث مصدر للالهام

إنما الى جانب ذلك يمكن ان يكون هذا التراث الموسيقى العربى المصرى مصدرا خصبا للالهام فى ابداع موسيقى مصرية معاصرة تستمد عناصرها من ذلك التراث الضخم بعد تطويره وتحديثه بناء على دراسات علمية متعمقة تقوم على فحص الكتابات والمصادر الموسيقية العربية القديمة وتنقيحها ونشرها وتذليلها وكذلك تسجيل التراث الموسيقى التقليدى المسموع واخضاعه للمدرسة العلمية الدقيقة ونشره على اوسع نطاق ممكن مع الاهتمام بتطوير الآلة الموسيقية العربية

التقليدية واعادة الاستعانة بالآلات التى اغفل استخدامها فى السنوات الاخيرة او التى كادت تختفى لكى يحل محلها آلات العزف الموسيقى الغربية .. وتطوير استخدام هذه الآلات العربية التقليدية بحيث تستجيب لمتطلبات العصر مع الاحتفاظ فى الوقت ذاته وبقدر الامكان باشكالها الاصلية وبطابع اصواتها الاصيلة .

والامر هنا اشبه شيء بدراسة التراث الادبى والفكرى والعلمى العربى الاسلامى لمعرفة المبادىء المنهجية التى يقوم عليها ذلك التراث للاسترشاد بها فى تحديد ملامح الفكر العربى والهوية الثقافية . وهذا وضع يختلف تماما عن حركات (التجديد) التى تهدف الى تقليد ومحاكاة موسيقى الغرب سواء فى الالحان او الآلات الموسيقية او حتى انتشار الغناء باللغات الاجنبية وذلك على حساب الموسيقى والغناء المصرى والعربى الاصيل . وصحيح كما يقول كارل بوبر ان (الموضات) مسألة لايمكن تجنبها او تحاشيها تماما فى الفنون او غيرها من شئون الثقافة والحياة ، ولكن من الواضح - كما يرى بوبر ايضا - ان الفنانين المبدعين العظام الذين يتمتعون بأصالة حقيقية فى ابداعهم ولكن من الواضح - كما يرى بوبر أيضا - ان الفنانين المبدعين العظام الذين يتمتعون بأصالة حقيقية فى ابداعهم لم يكونوا يهتمون قط باتباع اى (موضة) من الموضات بل ولم يكونوا يأبهون بابتداع موضات جديدة تلتصق باسمائهم او تنسب اليهم . ففى الموسيقى الغربية الراقية مثلا التى تعرف باسم الموسيقى الكلاسيكية لانجد موسيقيين من امثال باخ او موتسارت او شوبيرت ، ومن اليهم من عظام الموسيقيين قد اخترعوا موضات او حتى (اساليب) موسيقية جديدة تماما تعتبر بدعة فى التراث الموسيقى التقليدى وان الذين قلدوا ذلك كانوا فى العادة من الموسيقيين الاقل شأنا واصالة من هؤلاء العظام الافذاذ ويبدو أن ذلك يصدق على كل (الموضات) فى كل المجالات . وعلى ذلك فان تقليد موسيقى الغرب الحديثة تحت اسم التجديد هو مسخ للتراث الموسيقى المصرى وللروح المصرية فى الموسيقى والفن كما انه دليل على العجز والقصور والافلاس فى القدرة على الخلق والابداع الاصيل . وليس معنى ذلك أن نمنع الفنان أو الموسيقى من ان يقدم شيئا جديدا خاصا به وانما معناه ان مجرد التقليد القائم على عدم الفهم وعدم الدراسة والذى ينبعث من الرغبة فى مسايرة التيارات الجديدة التى تظهر فى مجتمعات ونطاقات لها تاريخها وتقاليدها وظروفها وتصوراتها الخاصة بها والتى تختلف كل الاختلاف - عن الظروف والتقاليد والتاريخ الخاص بالمجتمع المصرى والثقافة المصرى والروح المصرية هو اتجاه خاطىء ينبغى تقويمه . وان الطريق الوحيد لهذا التقويم هو الاهتمام باحياء وبعث ودراسة التراث الموسيقى ، والفنى المصرى ، والعربى ، والعمل على تطوير ذلك التراث حسب اصول علمية دقيقة تأخذ فى الاعتبار روح العصر ومتطلباته مع الدراسة الواعية فى الوقت ذاته لموسيقى الشعوب الأخرى والأخذ منها بما لايتعارض على مع التقاليد الفنية المصرية والعربية وبما يساعد على الاحتفاظ طيلة الوقت بالذاتية الفنية والثقافية الخاصة بمصر .







مغني الشعب

● سيد درويش هو رائد الغناء المصرى الحديث بعد الرعيل الاول الذى بدأ نهضة الغناء المصرى في القرن التاسع عشر ، امثال الشيخ محمد عبد الرحيم المسلوب وعبده الحامولى ومحمد عثمان ·

● ولد سيد درويش فى ١٧ مارس سنة ١٨٩٢ فى منزل والده « درويش البحر » بشارع سوق كوم الدكة فى حى كوم الدكة بالاسكندرية ·

● والدة سيد درويش اسمها « ملوك » وأخواته هن : فريدة وستوتة وزينب ولم يكن له اشقاء ·

● التحق سيد درويش فى الخامسة من عمره بكتاب الشيخ حسن حلاوة ، وتوفى والده وهو فى السابعة من عمره فترك سيد الكتاب ، ثم الحقته والدته بمدرسة « شمس المدارس » فى حى راس التين ·

● فى سنة ١٩٠٥ التحق سيد درويش بالمعهد الدينى فى الاسكندرية وكان مقره فى مسجد أبى العباس المرسى ، وارتدى ملابس الشيوخ ، وبدأ يحفظ القرآن الكريم ويجوده ·

● اجتذبته الموالد وحفلات الذكر والافراح ، فتفرغ لها وهجر المعهد ففصل منه وهو فى السنة الثانية الدراسية ، فالتحق بفرقة صغيرة للغناء ، ثم بمقهى صغير ، وانتقل الى غناء القطع الرخيصة الشائعة ، وعرف منذ ذلك الحين طريق الخمر والمخدرات ·

● كسدت سوق الغناء فى المقاهى فاشتغل « فاعلا » فى بناء وطلاء المنازل والعمارات ، ولكنه لم يستمر والتحق بفرقة أمين عطا الله وأخيه سليم عطا الله ثم رحل مع الفرقة الى فلسطين ولبنان وسوريا سنة ١٩٠٩ فى رحلة

فنية ، وفشلت الرحلة ، وعاد منها يشبق النفس ، مفلسا ، جائعا ٠

● انتقل الى القاهرة وعمل فيفرقة القرداحي ، ثم أنشأ مع صديقهاسكندر فرح فرقة صغيرة ، ثم ما لبث أنأنشأ لنفسه فرقة خاصة سافر بها الىالشام « فلسطين وسوريا ولبنان » ٠٠ ولم يلاق هناك النجاح المنشود ٠

● عاد الى الاسكندرية وانهمك فى حياة المقاهى والملاهى الليلية وساءت حاله ، وصار يغنى فى الحانات بأجر زهيد ٠

● انتزعه زوجشقيقته فريدةواسمه « المعلم رفاعى » واقنعه بترك الغناء ، وأسند اليه وظيفة كاتب فى محل الاثاث الذى يملكه المعلم رفاعى ٠

● رحل الى الشام مرة أخرى ثم عاد الى الاسكندرية فقضى بها سنوات الحرب العالمية الاولى ، وسافر الى القاهرة سنة ١٩١٧ ليقيم بها الى نهاية حياته سنة ١٩٢٣ ، وهذه السنوات الست هى الفترة التى صنع فيها سيد درويش مجده الفنى كله ٠٠

● **لحنسيد درويش عشرةموشحات وعشرة أدوار وأكثر من خمسين طقطوقة ، ودلت الحانه كلها على درايته العظيمة بالمقامات الغنائية وحسن تصرفه فيها ، مع التجديد ، والتوفيق بين معانى كلمات الاغانى والحانها ، بحيث يعبر اللحن عن المعنى ٠٠**

● اشتغل فى التلحين للمسرح الغنائى ، فأنتج الحانا لم يسبقه اليها أحد ، ولحن لفرقة الريحانى والكسار ومنيرة المهدية وجورج أبيض وأولاد عكاشة ، فضلا عن فرقته الخاصة ، وتبلغ ألحانه مائتى لحن موزعة على عشرين مسرحية ٠

● عاش سيد درويش مسرفا على نفسه فى الطعام والشراب والكيوف والعلاقات النسائية، وكان قوى البدن، ولكن قوته هذه لم تصمد لحياته العاصفة ففاجأه الموت فى ١٥ سبتمبر سنة ١٩٢٣ ودخل بعد موته دائرة النسيان ، حتى كتب عنه الاستاذعباس العقاد مقالا قال فيه : « اذا قلت سيد درويش فقد قلت امام الملحنين ونابغة الموسيقى المفرد فى هذا الزمان٠٠ولكن الامة عجزت عنقضاء حقه فمات وهى لا تعلم أنها أصيبت من فقده بمصيبة قومية ، ولم تبال حكومتها أن تشترك فى تشييع جنازته! ٠٠ وانت لا تعرف أنك فى أمة أحرار حقا ، كارهين للاستبداد حقا ، الا اذا رأيت بينهم لعظماء المطربين شأنا لا يقل عن شأن أندادهم ذوى المواهب والاقدار ٠٠ »

● عاد سيد درويش الى أسماع الجمهور بعد افتتاح اذاعة القاهرة سنة ١٩٣٤ ثم أصبح ملء الاسماع والابصار بعد تاليف التليفزيون لفرقة الغنائية لاحياء التراث الشعبى خلال الستينيات ٠

● **فى عام ١٩٥٨ اصدرت وزارة المواصلات طابع بريد يحمل صورة سيد درويش ، واقيمت له لوحةتذكارية فى ردهة دار الاوبرا القديمة التى احترقت سنة ١٩٧٠ ٠٠ وصنعت بلدية الاسكندرية له تمثالين واطلقت اسمه على الشارع الذى ولد به وهو شارع سوق كوم الدكة ٠٠ واطلقت بلدية القاهرة اسمه على شارع جلال فصار شارع سيد درويش متصلا بشارع زكريا احمد وقريبا من شارع نجيب الريحانى ٠**



الموسيقى وأزمة المرض النفسى

بقلم : د. يحيى الرخاوى

أقر واعترف أن علاقتى بالموسيقى لاتسمح لى بالافتاء فى هذا المجال ، فرغم أنها - الموسيقى - دائمة الحضور فى خلفية يقظتى ، فإننى لست من أهلها . بمعنى أننى لم أبذل فيها من الجهد ما هو واجب تجاهها ، ولم أمنحها من الوقت ماهو خليق بها ، وحين اشاهد ابنتى وهى تجلس مقبلة مختارة إلى البيان (البيانو) فى استغراق مجتهد لم اشهده منها تجاه دراستها الطبية أبدا ، أو أرى ابنى وهو ينقر أبواب عوده ولمّا تفتح له بعد ، أحسدهما حسدا غير قليل ، وأتذكر أمنية داروين أنه إذا عاد إلى طفولته ليرسم حياته من جديد فإنه سوف يهتم منذ صغره بالعناية بهذا الجانب الذى اكتشف حرمانه منه فى كبره بعد فوات الأوان ، وأقول لنفسى : وأنا كذلك .

وكان خليقا بى والأمر هكذا أن أعتذر عن كتابة هذا المقال ، لكن ثقة رئيس التحرير وتكليفه لى بكتابته جعلانى أقدم على المحاولة من باب آخر ، فأنا أمثل بذلك الأغلبية التى حرمت تذوق الموسيقى كما ينبغى لما ينبغى ، ثم إن اختصاصى فيما هو طب نفسى قد أتاح لى عديدا من الملاحظات التى يمكن أن تفيد ، وأخيرا فإن علاقتى بنظم الشعر ونقده قد تسمح لى بأن أقول ما يفيد فى هذا الصدد .

محاذير :

ثم اجدنى أنبه من البداية لعدة محاذير :

١ - ذلك أن من الخطورة بمكان تسطيح مسألة الموسيقى وعلاقتها بالنفس بعرض تلك المعلومات المحدودة والمسطحة عن فوائد الموسيقى فى علاج بعض الأمراض ، مثل إزالة القلق ، وخفض ضغط الدم ، وتخفيف آلام القرحة ، والترويح عن المكتئب ، إذ حتى لو صحت مثل هذه الدراسات فهى ، من بعد بذاته ، تشويه لدور الموسيقى واختزال لماهيتها ،

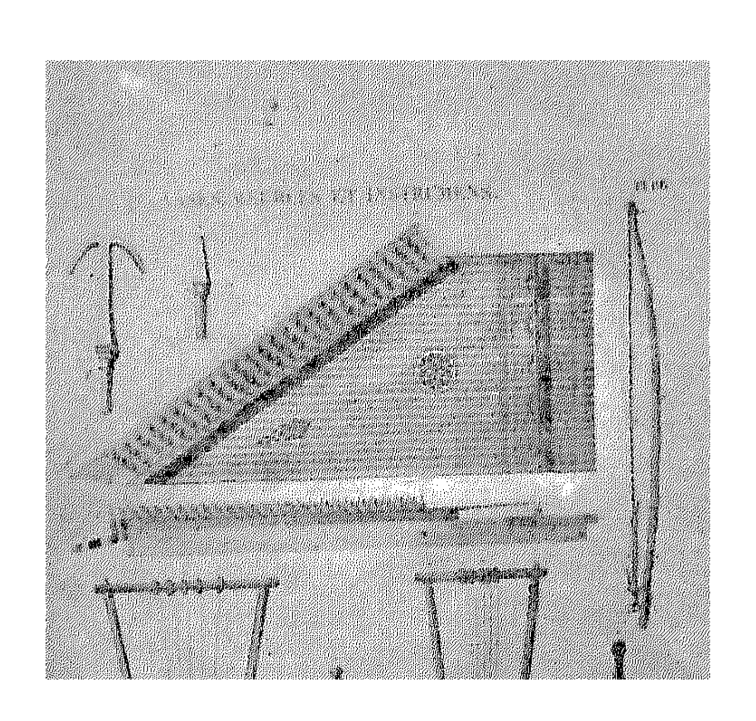
ورغم ان الناس عامة يرحبون بهذا الذى ينشر بين الحين والحين عن علاج الأمراض بالموسيقى فإننى أخشى أن تكون دلالته هى أن الموسيقى فى سبيلها الى أن تصبح سلعة تسكينية ، أو مهدئا للأعصاب كما يحب الناس أن ينعتوا مثل ذلك ، وبالتالى تدخل فى سوق الشطارة العلاجية والنفع اللاهث . وهذا خطأ وتشويه .

٢ ـ كذلك فإن استعمال تعبير تهذيب النفس الوارد فى العنوان المقترح ينبغى أن يشير إلى جانب واحد من جوانب «فعل» الموسيقى ، فليست وظيفة الموسيقى مقصورة على تخليص النفس من شوائبها (تهذيب) أو حذف ما فيها من إضافات مقحمة ، وإنما يمتد فعل الموسيقى إلى : كشف اغوار النفس ، وتفجير طاقاتها ، وإعادة تنظيمها على سلم تصعيد لايتوقف حتى يتكامل الإنسان مع المطلق الذى ليس له آخر ، والذى لم يكن له أول ـ الحق تعالى !!

٣ ـ ثم أنبه أخيرا إلى ضرورة تذكر أن التعامل مع الموسيقى بلغة غير لغتها هو أمر اضطرارى ، إذ هو تجاوز محفوف بالمخاطر ، حيث أتصور أن الموسيقى أخطر وأرحب من أن يحيط بها رمز لفظى يسمى الكتابة ، وهو ما أقع فيه الآن مضطرا بداهة ، فالموسيقى تعاش بما هى ، ولا توصف بغيرها ، ولكن ما باليد حيلة فى هذا المقام .

● **تأصيل :**

إن علاقة الموسيقى بالنفس ، لابد أن نرجع بها إلى علاقة الموسيقى بالحياة ذاتها ، فالنفس ليست كيانا مجردا بعيدا عن ماهو جسم وما هو بيولوجى ، ولكنها



الواجهة المتقدمة للكيان البشرى الذى هو ملخص لتاريخ حيوى رائع ، وفى نفس الوقت هو ممثل لكون أصغر ممتد ، ومن هذا المنطلق فإن الحياة بما هى حياة ليست إلا ترادفا دقيقا للهارمونى الكونى الأصغر (الإنسان) فى حركيته الممتدة ، والمتضفرة الى الهارمونى الكونى الأكبر (الحق تعالى) ، وعبر هذه الرحلة الرائعة تخرج الانغام لتعبر عن بعض مآزق ومفارج الجدل التنسيقى المتصارع ، وبألفاظ أخرى فالموسيقى هى الحياة ، والنشاز هو بدوره عكس الحياة ، وأعنى بالنشاز تلك التأثيرات المنشقة ، والهابطة على الوعى والوجود كالنيازك الساقطة ، وكثير ماهى .

● مسيرة الحياة والايقاع الحيوى وهنا أحب أن أشير إلى أصل من أصول فكرى عن النفس والحياة ، وهو رؤيتى لمسيرة النمو (تطور النوع ونمو الفرد على حد سواء) من منظور مايسمى بالايقاع



الموسيقى وأزمة المرض النفسي

الحيوى Biorhythm فهو ظاهرة بيولوجية راسخة لاتقتصر على وصف نبضات القلب فحسب ، وإنما هى اساسية فى كل تفاعل حيوى تقريبا من أول التفاعل الكيميائى المحدود حتى الدورة الليلنهارية Circadian ، وكذلك تبادل دورات النوم والاحلام ، ولا احب ان اقصر اصل الموسيقى على هذا الايقاع الحيوى لانه – فى ظاهره – معاد ورتيب ، لكننى فقط انبه الى طبيعة تشكيل الزمن المواكبة ، بل ربما السباقة لطبيعة تشكيل التركيب الحيوى ذاته .

فاخلص من هذا وذاك – مرة اخرى – الى أن الموسيقى هى الحياة بكل اوجه ايجابياتها الخلاقة ، بما فى ذلك تكامل النفس البشرية .

● المازق ، وخبرة شخصية

فإذا كان الأمر كذلك ، أن الموسيقى هى الأصل ، وهى الحياة ، فلماذا توارى دور الموسيقى (الحقيقية) فى خلفية وجودنا المعاصر ، وخاصة فى وطننا هذا فى وقتنا هذا ؟

احسب أن الأجابة عن مثل هذا التساؤل تكمن فى أمرين :

أولا : طغيان الجانب اللفظى على التواصل البشرى الكلى الرحب .

ثانيا : الاغتراب الطاغى المؤدى الى الابتعاد عن الأصل الكونى : فى صورة أديان ونظم تشوهت عن أصلها حتى اصبحت حاجزا بين الانسان وأصله (علما بأنها فى الأصل جاءت معبرا من الإنسان إلى أصله) .

وقد ظهرت الموسيقى بشكلها الأحدث لتعيد التوازن ، فترجح لغة موازية للغة الألفاظ ، وفى نفس الوقت تخترق حواجز الاغتراب التى فرضتها معاجم الالفاظ فى تعريفات محددة .

وقد وجدت نفسى أتوقف للمرة « الكذا» بعد الألف «الكذا» امام معنى التنزيل الكريم «الذين يؤمنون بالغيب» فوجدتنى افتح باب أن الغيب هو – أساسا وأصلا – ماليس كذلك» ، فهو كل بديع مبتكر ، وهو كل مستقبل واعد ، وهو كل تأليف مخترق للظاهر حتى وجدتنى فجأة اكتشف أن الموسيقى – بما هى – إنما تقع فيما ليس كذلك (ماليس لفظا ظاهرا متفقا على معناه) إذ هى لغة أخرى ، تكشف مساحة أخرى ، لتصنع وجودا أرقى .

ولعل فى هذا التفسير ما يشرح ما حدث لى وأنا أحضر الحفل الذى عشته أخيرا مع أوركسترا القاهرة السيمفونى ، لأحاول أن أتلقى بعض نبض صديق لم ييأس من تحريكى اليها (الموسيقى) .

ذلك أن الصديق طارق على حسن لايريد أن يصدق انه لا علاقة لى بالموسيقى الكلاسيكية خاصة وهو يكاد يصر على أننى لم العب فى مفاتيحى بالقدر الكافى واننى متى ما عثرت عليها – مفاتيحى – فستتفتح لى آفاق بلا حدود (وكأنى قادر على آفاق جديدة غير ما يلاحقنى من كل داخل خارج !!!) ومن هذا المنطلق دعتنى زوجته الرقيقة لحضور سيمفونيتا للوتريات على الحان مصرية وتنويعات على الانغام الشعبية المصرية

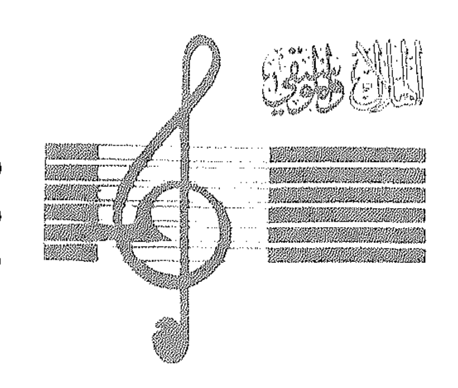
من تأليف د . طارق زوجها ، فحضرت تلميذا خائبا مطيعا وكان فى نفس الحفل (الجمعة ١٣ مايو ١٩٨٨) كونشرتو رقم ٣ (٣٧) لبيتهوفن ، ثم افتتاحية ليونورا رقم ٣ لبيتهوفن ايضا وبعد أن عشت الحفل من أوله الى أخره تلميذا مجتهدا محاولا للمرة الكذا بلا فائدة ظاهرة وجدتنى وأنا أصفق لعازف البيانو وهو فى حالة من الوجد الصوفى المتألق ، وجدتنى استمع لآية تتردد فى وعيي بلا مناسبة ظاهرة تقول : «يريدون أن يطفئوا نور الله بافواههم ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره» ولم أتعجب كثيرا لاقتحام هذه الآية لوعيى فى هذا الوقت هكذا ، فهذه عادتى مع آيات القرآن الكريم ، تأتينى كما أذهب إليها فى حوار غير مرتب مسبقا ، فجعلت أتأمل معنى تذكرى لها الآن ، هنا ، فوجدتنى خلال هذا التذكر المتجدد أرفض بكل عنف تلك الوصاية الجديدة على النفس البشرية بالالفاظ والنصوص الجامدة والثابتة ، ثم وجدتنى اخترق جمود الأوصياء الجدد لأمتد الى آفاق تتصاعد فى نوره الموقد من شجرة مباركة لاشرقية ولا غربية (موسيقى جديدة !!!) فحمدت الله ، واستغفرت لهم ، وقلت : فهذه الموسيقى هى من نور الله ولو كره الكافرون .

ثم عدت اتبين تلك العلاقة التى شغلتنى طويلا بين الايمان الحقيقى والتناسق العميق ، والابداع والصحة النفسية فى أرقى مراتبها ، فقلت : متأكدا : هذا هو هذا هو .

● موسيقى الطبيعة وهدير الصمت

وإذا كنا نتحدث عن أثر الموسيقى على النفس ، فلا ينبغى ان نقصر حديثنا على تلك الموسيقى المسموعة باذاننا فحسب كما لاينبغى أن نتصور - كما المحت سابقا - أن المسالة هى دغدغة الحواس وتفريغ المكنون لخفض التوتر ، بل إن الموسيقى باعتبارها لغة من أقوى وأخطر لغات الغيب (ما ليس كذلك) ، هى حركة ولافيّة وثابة . وهى اقتحام منظم لطبقات النفس ، وهى تحريك مبدع ، وهى اكتشاف مبهر ، وهى كل مافوق ذلك مما لا أستطيع أن أذكره من موقعى الخائب هذا .

ذلك أننى من خلال علاقتى بالشعر وبالطبيعة (بعد الاعتراف بخيبة تلمذتى للموسيقى المبدعة بواسطة البشر الأرقى والأحدق) ، أدركت أن ما ينبغى علينا هو أن نطلق الموسيقى الحرة من داخلنا ، وان الموسيقى المصنوعة ربما توظف اساسا لذلك ، فرحت مباشرة أحرر داخلى بمحاولة تخطى أسوار وحواجز اغترابنا المترتب على إغارة العالم الملفظن ، والمناهج الرقمية على أكبر مساحة من وعينا ، وكذلك نتيجة لاغارة الأصوات النشاز المقتحمة ، فنحن نعيش فى عالم حرمنا فيه من حسن الانصات للصمت ، الصمت المطلق الذى يفجر موسيقى الداخل ، كما حرمنا من معايشة الصمت الحى الذى تتخلله همسات الطبيعة العارية إلا من حديث القطرة وهديرها المتناسق ونظرا لعجزى عن معايشة الموسيقى الصعبة المنسوجة بمهارة أهلها بما تستحق - كما ذكرت - أقول إننى حاولت أن أعوض ذلك بمحاولة حسن الانصات الى موسيقى الصمت وهدير الطبيعة . ثم رحت أحاورها بما أملك من وسائل متواضعة ما أمكن ذلك فذات مرة رحت أحاور موجة حانية فى بحر هائج بما يشبه الموسيقى .



الموسيقى وازمة المرض النفسي

تغمرني ، تذوب قطرتي ببحرها ، اغوص في مدارها ، تدفعني أتوه في رحاب صدها فتنحني فأنحني لها ، تلطمني ، فالثم الرذاذ والزبد ، وتفلت السيقان من جوف الرحم ، تردني فاختبيء ، متى تراني أمي الحنون ؟ اطل من تحت العباءة تبتسم .

ومرة أخرى تصورت موت نبض الصمت حين زحف هجير اليأس فكدت أرى الحريق يلتهم موسيقى الطبيعة : حيث قلت :

تقول همسة التخلق الوليد قبلما تكونت : تقول للنواة لانجاة ، لا عود للتضفر النغم ، يغوص نبض الورد في مزاج صرخة التخثر / العدم .

● الموسيقى والشعر والصحة النفسية :

فاذا تكلمنا عن الموسيقى والصحة النفسية .. فنحن نتكلم عن اعادة تركيب بنية الذات (الذوات متضفرة) من خلال حركة واعية تقوم بتشكيل الزمان والمكان في توليف جديد .. والشعر من هذا المنطلق هو خير مايمثل الموسيقى بالمعنى الأرحب .. وبالرغم من أنه يستعمل الكلمات .. فإنه يستعملها كابجدية خاصة لتشكيل صورة موسيقية بالمعنى الاشمل ، ونحن نؤكد انه لايوجد شعر بلا موسيقى ، والقصيدة الحديثة لا تكون قصيدة الا بموسيقاها حتى لو لم تتبع ايا من الأوزان المعروفة .

وحين نواجه ازمة المرض النفسى ، فنحن انما نواجه لحنا ناقصا .. أو تنويعات خائبة على لحن باهت سابق ، تنويعات عجزت عن أن تلتحم بالقديم ـ بعد ان اهدرته ـ كما عجزت عن أن تتخلق من جديد بعد ان توقفت فكان المرض ، وتوظيف الشعر ، الموسيقى في اعادة تنظيم الذات ، هو نوع من احياء الهارمونى بمساعدة ملحن قادر على احترام المحاولة (المعالج) رغم الفشل المبدئى . وحين نشاهد معالجا يقود مجموعة علاجية فيما يسمى العلاج النفسى الجمعى فأننا نراه يقود هذا الأوركسترا الذى لا يصدر لحنا متسقا ، اذ كل ما يصدر عن افراده ليس سوى ضبط أوتار متلاحق لآلات انقطعت اوتارها . حين نشاهد مثل هذا المعالج وقد احال هذا النشاز المتفرق الى لحن الحياة (الصحة النفسية) تعزفه المجموعة في اقتدار صعب ، نعلم أننا لسنا الا امام مايسترو يقوم بمهمة شديدة الصعوبة وهو يؤلف لحنا جديدا من نشاز ملح . وبألفاظ أخرى : فالمرض النفسى يجهز الآلات لكنه يعلن النشاز ، والعلاج النفسى الحقيقي يؤلف اللحن من هذه الاصوات والحياة المغتربة تختزن الآلات وتكتفى صفارة أحادية الرنين .

والشعر (والعلاج بالشعر) ـ بالمعنى الأعمق لما هو موسيقى ـ هو هذا النشاط

المعيد تخليق الانغام والقادر على تشكيل الزمان والمكان معا فى هارمونية جديدة . والصحة النفسية فى ارقى صورها الابداعية هى شعر بكل معنى الكلمة من حيث انها هارمونية متخلقة ، ولحن متصاعد ابدا .

فنحن اذ نستعمل ما يسمى العلاج بالشعر او بالموسيقى انمـا نستلهم التنسيق المبدع ، ونوازى بين تخليق الصور والانغام فى الشعر ، وبين تخليق الحياة والبنية الجديدة فى العـلاج النفسى .

● خلاصة :

ونستطيع ان نخلص مما تقدم الى بعض المؤشرات الدالة تقول :

١ ـ ان الموسيقى لاتقوم بتهذيب النفس فحسب ، بل انها تقوم بأحياء وتحريك وتخليق النفس ابدا .

٢ ـ ان الحياة فى صورتها البيولوجية المتخلقة ، المتصاعدة هى لحن الخالق الذى لايكف عن العزف ، والتناسق المتجدد ، وأى حبس لهذا اللحن فى أى صورة مجمدة (حتى لو سميت دينا) هو تشويه للفطرة وبالتالى هو كفر خفى أو صريح .

٣ ـ ان الموسيقى ليست دغدغة للحواس ولا تسكينا للقلق ، ولا هى تفريغ للتوتر او تمهيد للاندفاعة ، وانما هى تشكيل للزمان / المكان فى وحدة الكيان البشرى بحيث تترجم فى ظاهر السلوك الى لغة خاصة ورحبة ، ليست لفظية تسمى الموسيقى .

٤ ـ ان موسيقى الطبيعة وموسيقى الصمت وموسيقى الحلم وموسيقى الخلق هى من أروع وأهم اشكال ماهو موسيقى ، وعلى ذلك فإن حوار الانسان مع كل هذه الاشكال الموسيقية هو من أهم مقومات الصحة النفسية .

٥ ـ ان الشعر ـ رغم لغته اللفظية ظاهرا ـ ليس سوى نوع من انواع الموسيقى فى اعقد تشكيلاتها التصويرية اللغوية البديعة ، والعلاج بالشعر ليس ملء فراغ بنغم رتيب ، وانما هو تحريك بنية لتناسق جديد .

٦ ـ إنّ المرض النفسى يحيى قدرة الآلات البشرية المهملة بالاغتراب على اصدار اصوات جديدة ، لكنه لحن ناقص مجهض ، وبالتالى فهو ليس موسيقى اصلا لافتقاده الهارمونى والتـواصل التكاملى .

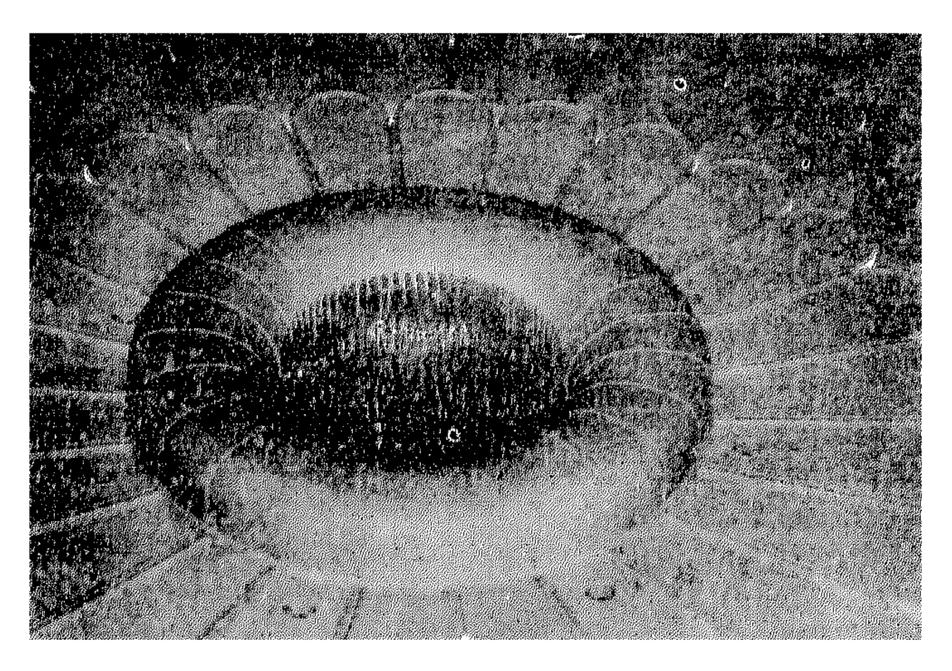
٧ ـ ان العلاج النفسى ـ فى أرقى صوره ـ (مع الاستعانة بالكيمياء والفيزياء بتوقيت ماهر وجرعة منضبطة) هو القدرة على تحويل النغم النشاز الى لحن راق ، ولكن لا ينبغى ابدا ان يكون العلاج النفسى هو القدرة على تحطيم ماتبقى من اوتار حتى لا تصدر نغما اصلا : نشازا او غير ذلك .

٨ ـ ان الاستفادة من هذا المفهوم الأوسع لما هو موسيقى ينبغى ان يوضع فى الاعتبار منذ الصغر كنوع من الوقاية ، وفرصة لاطلاق قدرات النفس وعدم الاكتفاء بهذا التعليم الرمزى اللفظى الكمى المغترب . وكذلك ينبغى ان يكون هاديا لنا نرفض به اى سجن لحركتنا الداخلية والخارجية فى طريقنا الصعب الى نور وجهه .

الأوبرا المصرية تولد من جديد

بقلم المايسترو: يوسف السيسى

تم افتتاح دار الاوبرا المصرية منذ مايزيد عن ١٢٠ عاما ، بمناسبة افتتاح قناة السويس . وكانت اول دار اوبرا فى الشرق سبقت بها مصر دولا كثيرة فى الشرق وفى الغرب ، وارتبطت بالاشعاع والنمو الفنى فى مصر ، ثم شاءت لها يد الاهمال ان تحترق عام ١٩٧١ وهاهى الاوبرا المصرية تولد من جديد ، وتحيى امالا فنية واسعة لكى تبقى مشعلا للفن يعيد للوجدان العربى اعتباره واعتزازه بارتباطه بفنون العالم .





الاوبرا القديمة .. ليل خارجى

● ارتبطت أوبرا القاهرة بافتتاح قناة السويس وبالرفاهية الثقافية التى أضافها الخديوى اسماعيل الى مصر وكان قد كلف المؤلف الموسيقى العالمى (فردى) بكتابة أوبرا عايدة لافتتاح هذه الدار واصبحت هذه الاوبرا تتغنى باسم مصر (والمجد لمصر) فى كل موقع وعلى مدى ١٢٠ عاما وحققت لمصر خلالها دعاية لا تستطيع أية قوة دبلوماسية أن تحققها ، وعاشت دار أوبرا القاهرة تستضيف فرق الاوبرا وأشهر الفنانين فى مجالات الغناء والعزف والقيادة حتى تمكنت من تكوين فرقة الكورال المصرية عام ١٩٥٤ ومن ضم أوركسترا القاهرة السيمفونى عام ١٩٥٩ ومن تكوين أول فرقة أوبرا مصرية عام ١٩٦٧ ، كما شهدت فى السنوات العشر الاخيرة من عمر دار الاوبرا المصرية اشتراك بعض فنانى الاوبرا المصريين مع فرق الاوبرا العالمية الزائرة ، هذا الى جانب اشتراك فرقة البالية المصرية وفرقة كورال الاوبرا وأوركسترا القاهرة السيمفونى فى عروض الفرق الفنية الزاهرة ، أى أن أعظم فرق الاوبرا العالمية لم تكن تستحضر معها الى مصر سوى بضعة مغنيين منفردين من ذوى الاسماء الشهيرة فى العالم •

أما بقيةمكونات العروض الاوبرالية فقد كانت تنتمى الى قطاع الموسيقى والاوبرا الذى كانت دار الاوبرا المصرية بيتا لها •

● الاحتراق

الا أن ذلك لم يقف عقبة فى وجه المخلصين الذين استمروا فى العمل



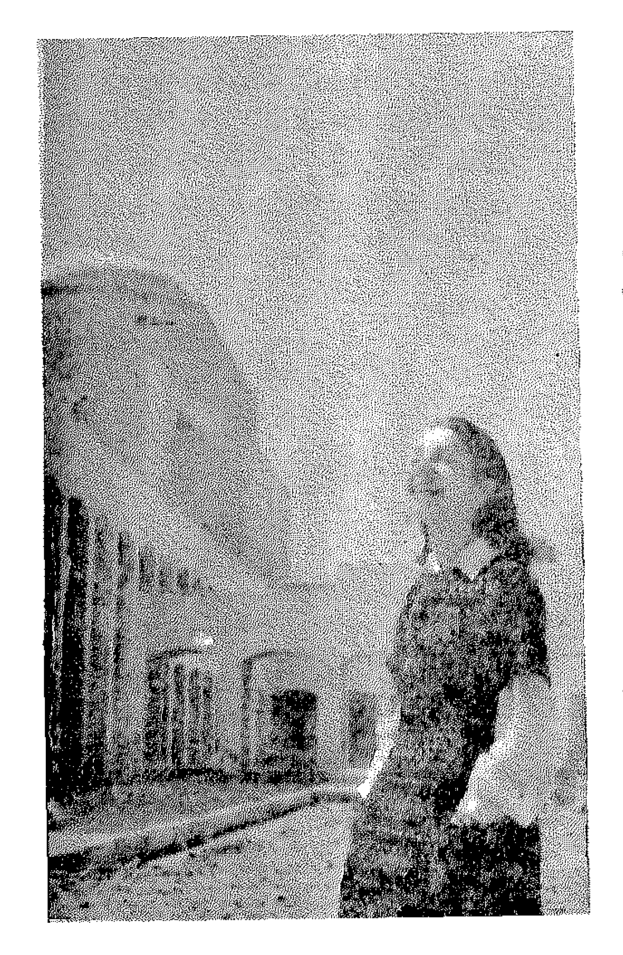
مرتبطين بالقيم والمبادىء النادرة التي تربوا عليها في دار اوبرا القاهرة النادرة وواصلوا العمل فنانين واداريين في سباحة ضد التيار : وهو التيار الذي شهد الهبوط في الذوق العام وفنون الموسيقى والغناء التي ارتبطت بالملاهي الليلية والمواخير والكاسيت الهابط الذي يجامل مشاعر البدائيين من البشر والتي ترفه عن عقولهم وقيمهم المرتبطة بالفراغ والضياع ٠

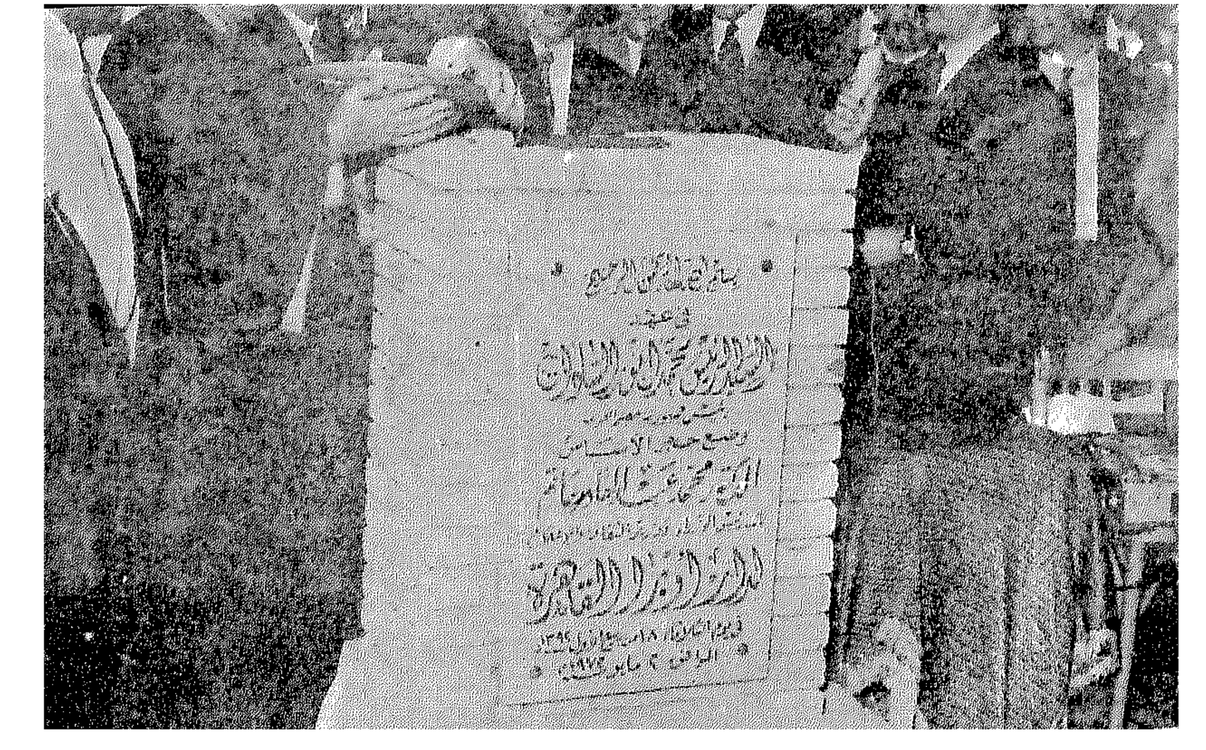
واستمر قطاع الموسيقى والاوبرا يعرض فنون الاوبرا والموسيقى بشكل مكثف بواقع برنامج أسبوعي جديد دون توقف رغم انعدام الامكانيات الخاصة بقيم المجتمع والتقدير الادبي الكافي والاعتمادات المالية حتى جاء الى مصر سفير ياباني فنان كان أول ما فعله قبل أن يقدم أوراق اعتماده هو حضور حفل لاوركسترا القاهرة السيمفوني بقيادة يوسف السيسي وتوطدت أواصر الصداقة بينه وبين العمل الجاد ونقلت اليه الرغبة في حصول أجهزة قطاع الموسيقى والاوبرا على بيت جديد بدلا من الدار التي احترقت عام ١٩٧١ ٠

● قصة الاوبرا الجديدة

كان ذلك في صيف عام ١٩٨٣ واختمرت الفكرة في عقل الياباني « ناكاي » الذي دعا حكومته الى تقديم منحة لا ترد في صورة دار للاوبرا بدلا من المبنى الذي احترق ليكون تمجيدا لبلاده اليابان في مجال المعونات والمنح التي تقدمها اليابان للعالم الخارجي ٠ وفي مارس ١٩٨٣ تسلم الرئيس حسني مبارك هدية اليابان الى مصر أثناء زيارة له لليابان وكانت دار الاوبرا والتي حملت اسم المركز التعليمي الثقافي ٠ وقد جاءت هذه التسمية (المركز الثقافي التعليمي) لتتمشى مع رغبة اليابان وارتباطها بالمعونات الخارجية والتي لا توجه الى أغراض ترفيهية بل يجب أن ترتبط بالتعليم والثقافة ، والى جانب ذلك فان تسمية أوبرا لا ترتبط لليابان بنفس المعنى الذي تعرف به في العالم الغربي ، لذلك التزمت مصر بهذا المسمى حتى تتسلم المبنى وارتضت اليابان المسمى المصري (أوبرا) والذي لا نستطيع أن ننفصل

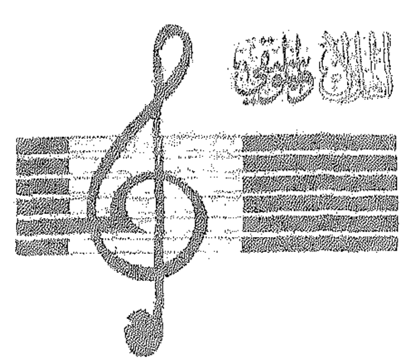
د. ماجدة صالح .. امام الاوبرا الجديدة





د . حاتم يضع حجر الاساس لدار الأوبرا الجديدة

● واحترق مبنى الاوبرا القديم .. واحترق معه تاريخ فني عتيـــد ..



عنه لانه يرتبط بهذه الحضارة العالمية العريقة التى أصبحت مصر جزءا منها منذ بناء دار أوبرا القاهرة الاولى كما أن « المركز الثقافى التعليمى » عندما يبدأ فى ممارسة نشاطه ابتداء من أكتوبر القادم باذن الله فانه سيضم أيضا مراكز تدريبية فى مجالات الغناء والعزف والباليه ·

● امكانات حديثة

والمبنى الجديد يضم قاعة كبرى تصلح لعروض الاوبرا بما فى ذلك من حفرة للاوركسترا ، ويمكن اغلاق الحفرة عندما تستخدم خشبة المسرح فى عروض موسيقية بحتة كعروض الاوركسترا السيمفونى او العازفين المنفردين الافذاذ من مصر والعالم ·

تضم هذه القاعة ١٠٠٠ مقعد وامكانيات للتسجيل الصوتى والمرئى ومقصورة لكبار الزوار كما تضم خشبة المسرح امكانيات هائلة تضعها فى مصاف المسارح الاولى فى العالم وتسمح بضم كل الامكانيات الالكترونية الحديثة التى تستخدم فى أعظم عروض الاوبرا والدراما بأكبر وسائل الايهار والحركة المسرحية التى عرفها العالم حتى الان ، كما يضم المبنى قاعة أخرى للحفلات الموسيقية ذات مقاعد غير ثابتة وهى تخصص للعروض الموسيقية الاقل عددا سواء فى جانب الفنانين أو جمهور المستمعين فهى تتسع لـ ٥٠٠ مقعد ويمكن تحويلها لقاعة للمؤتمرات الموسيقية أو الفنية الرفيعة ، كما يضم المبنى مسرحا مفتوحا فى الهواء الطلق للعروض الصيفية ويتسع لـ ٥٠٠ مشاهد أيضا والمبنى يضم ما يميز دور الاوبرا عن المسارح العادية فهو أساسا صالة لتدريبات الاوركسترا بحجم خشبة المسرح وأخرى لتدريب الكورال وقاعتين لتدريب الباليه وعدد من الغرف الصغيرة لتدريبات الفنيين المنفردين وذلك حتى يصبح المبنى بوتقة لتدريبات الفنانين كل فى موقعه قبل أن يتجمعوا على خشبة المسرح وفقا لبرامج التدريبات الجماعية أو العروض الفنية ، يضم المبنى أيضا متحفا للفنون الموسيقية المتوقع أن يضم آلات وأزياء ومدونات موسيقية ذات قيمة متحفية ، كما يضم المبنى أيضا معرضا للفن التشكيلى جرت العادة أن يكون مرتبطا بفنون الاوبرا والموسيقى أى يضم لوحات وتماثيل للالات الموسيقية وأشهر الفنانين فرادى أو جماعات فى مشاهد الاوبرا العالمية والباليه الكلاسيكى · وتضم الدار أيضا استراحات للفنانين والموظفين والجمهور تشتمل على مطابخ للوجبات والمشروبات الخفيفة · أما عن الادارة فان هيكلا اداريا يتم الاعداد له بشكل يتمشى مع الاصول المتبعة فى دور الاوبرا المماثلة فى العالم ، والمنتظر أن تتم من خلال مجلس ادارة يضم كافة المتخصصين فى فنون الموسيقى والاوبرا والمهتمين بها والمسئولين عن العلاقات الخارجية والاعتمادات المالية والدعاية والتسويق ·· الخ ·

● مولد أوبرا

تقرر لافتتاح المبنى ١٠ أكتوبر القادم وتشكلت لجنة برئاسة السيد / وزير الثقافة لتحديد برامج الافتتاح ·· والمتوقع أن تضم الحفلات الاولى

مهرجانا خارج المبنى يضم الزهور والاستعراضات المائية على صفحات النيل والموسيقات العسكرية ، وفى داخل المبنى يشتمل على كلمات لرئيس الدولة وكبار الشخصيات واستعراض لفنون مصر فى مجالات الموسيقى والاوبرا بشكل متنوع ومتميز بالاضافة الى فقرة من اليابان التى منحتنا هذا المبنى الهائل والتى تطلب الاشتراك فى الاحتفال بتشغيل هذه الدار . وتتضمن عروض الافتتاح « الكابوكى » وهو رقص شعبى يابانى شديد التميز لدرجة أن اليابانيين يقدسونه ولا يسمحون بخروجه من اليابان كفرقة للرقص الشعبى الا أن افتتاح هذا المبنى جعلهم يهدوننا أجمل ما فى بلادهم من فنون .

وفى ٢٥ اكتوبر تحضر الى مصر واحدة من أعظم فرق الباليه فى العالم وهى فرقة المهرجان البريطانية، وقد حققت مصر فوزا هائلا من خلال أوركسترا القاهرة السيمفونى الذى تفوق فى أدائه ليجعل المتخصصين الانجليز ينحنون أمام قدراته ويوافقون على أن يصاحب عروض هذا الباليه أو تكرر نفس الوضع مع باليه أوبرا باريس وهى الفرقة التى يعتبرونها فى فرنسا الاولى فى العالم ، وقد رجعوا أيضا بأن يعزف معهم أوركسترا القاهرة السيمفونى المصرى وهو بذلك يعود من خلال قطاع الموسيقى والاوبرا الى دوره السابق الذى كان يفوق فيه مع فرق الاوبرا والباليه العالمية التى شهدها المثقفون طوال هذا القرن فى أوبرا القاهرة قبل أن ترحل .

والمتوقع الان هو أن يشارك كورال الاوبرا أيضا الذى لازال يعمل فى انتظار المبنى الجديد وينضم اليه فرقة باليه القاهرة التى تتبع الان أكاديمية الفنون بوزارة الثقافة ، وكل هذه الفرق تجعل الاداء بالنسبة لاعظم فرق الاوبرا فى العالم شيئا بسيطا للغاية لاننا لا نحتاج لاكثر من ٥ أو ٦ من فنانى الاوبرا العالميين نستكملهم من مصر ونشرك معهم المئات من المنشدين فى الكورس والراقصين والعازفين . هذا الى جانب فرق مصر فى مجالات الاوبرا والرقص والعزف السيمفونى ومجموعات موسيقى الحجرة والعازفين المنفردين من مصر والعالم .

ان كل ذلك سيؤدى الى احتكاك هائل لاعظم الفنانين العالميين الوافدين ، وسيؤدى المبنى بامكانياته فى التدريب الى خلق أجيال جديدة من فنانى الاوبرا والمنشدين فى الكورال والعازفين بالاوركسترا والراقصين لانهم سيجدون القيم وامكانيات التدريب وصومعته فى هذا المبنى الذى أراد اليابان تسميته المركز الثقافى التعليمى والذى نحتاج نحن أيضا الى الابقاء على هذه التسمية الى جانب المسمى الذى يربطنا بتاريخ فن الاوبرا فى العالم والذى ارتبطت به مصر منذ مائة وعشرين عاما .

مع دعواتى لدار الاوبرا الجديدة بالادارة الجديرة والقيم النادرة لتصحيح السلوك المصرى والارتقاء بالتقاليد الى مستوى دور الاوبرا العالمية التى تشع حضارة كانت مصر سباقة اليه .

الإبداع الموسيقي ومشاكله في مصر

بقلم : سليمان جميل

يستجيب الانسان للموسيقى بفطرته ، والسبب الاساسى هو ان الجهاز العصبى للانسان يعمل وفق نظام ذبذبى محكم يشيع فى كل خلايا الجسم وينعكس فى شكل الايقاع المنتظم لنبضات المخ ونبضات القلب. ومن الطاقة الذبذبية المنتظمة فى الجهـــاز العصبى للانسان تتكون تشكيلات صوتية ذات كميات ترددات ذبذبية منتظمة متناسقة فى تسلسلها هى التى نقول عنها ((الحان وايقاعات)) . تتكون فى خيال الانسان الذى ينتج جهازه العصبى هذه التشكيلات الصوتية الاولية وهذا الانسان هو الذى نصفه بانه ((ملحن)) لديه موهبة موسيقية فطرية . وهذه الموهبة هى التى دفعت الانسان منذ فجر نشاطه فى الارض الى تجربة صياغة الالحان والايقاعات فى اشكال صوتية نسميها تصورات موسيقية أو قوالت موسيقية . ولقد تنوعت هــذه القوالب الموسيقية عبر الزمن ، وابسطها هو قالب ((الاغنية)) واكثرها تركيبا هو قالب ((الاوبرا ، و ((السيمفونية)) و ((الكونشرتو)) وغيرها من قوالب الابداع الموسيقى التى تشبه ((بناء عمارة من طبقات الاصوات)) وهذه العمارة الموسيقية هى التى تطورت ونضجت فى البلاد الاوربية المختلفة ولا سيما ((ايطاليا وفرنسا والمانيا واسبانيا)) خلال الاربعة قرون الاخيرة .

ـ معنى ذلك أن لكل مرحلة من مراحل الانجاز الحضارى للجماعات البشرية الصغيرة ثم الشعوب ابداعات موسيقية فى أشكال معينة ذات مستويات تتفاوت بين البساطة والتركيب تتميز بها المراحل الحضارية المختلفة على مدى تاريخ النشاط الانسانى فى الارض · المهم أن التصورات الموسيقية لمختلف الشعوب تجسدت فى حناجر بشرية تؤديها ، وهذا ما نسميه «الغناء» وكذلك تجسدت فى آلات موسيقية تصاحب المغنى أو تعزف مستقلة عنه وفى هذه الحالة نسمى ما تعزفه الآلات الموسيقية فقط « مقطوعة موسيقية » وبذلك تنقسم الموسيقى الى نوعين **أولا** : موسيقى غنائية يؤديها المغنون بمصاحبة الآلات أو بدون هذه المصاحبة ثانيا : موسيقى الآلات الخالية من الغناء البشرى وهى التى نسمعها الموسيقى الخالصة او الموسيقى البحتة أو الموسيقى الاوركسترالية ـ ومن الشائع خطأ تسمية هذه الموسيقى بالموسيقى الصامتة تمييزا لها عن « الموسيقى الغنائية البشرية » ·

● الاوبرا والسيمفونية

ـ وهكذا فان أبسط أشكال الموسيقى بنوعيها هى « الاغنية والمقطوعة الموسيقية القصيرة » وأكثرها تركيبا هى « الاوبرا والسيمفونية » أما الاوبرا فهى تتكون من ثلاثة عناصر هى :

أولا : نص شعرى درامى

ثانيا : غناء كامل لهذا النص الشعرى ·

ثالثا : عرض مسرحى ، والنص الشعرى الدرامى يتكون من عدد من الفصول يأخذ شكل الحوار بين اثنين من أبطال الغناء او بين المغنى ومجموع المغنين الذين نسميهم « كورال » كما يشتمل النص الشعرى أيضا على أغنيات فردية يغنيها المغنى أو المغنية وكذلك يشتمل على فقرات تؤديها مجموعات « الكورال » فقط · وتحتوى « الاوبرا » عادة على افتتاحية تعزفها آلات الاوركسترا ثم يواصل الاوركسترا مصاحبة النص الشعرى الغنائى بالكامل وبحيث يكون للاوركسترا دور فى الحوار الدرامى الغنائى وتجسيد الجو النفسى للمواقف والاحداث · وهكذا يبدو قالب فن الاوبرا من أهم القوالب الفنية لاحتوائه على كافة عناصر التعبير الموسيقى « الغناء البشرى والالات الموسيقية بالاضافة الى الشعر وعناصر العرض المسرحى » ·

ـ أما السيمفونية فهى تتكون من عدد من الفصول تسمى « حركات » وهى ذات بناء موسيقى درامى يعتمد على استخدام عناصر التناقض فى طبيعة التأثير النفسى للسلالم الموسيقية التى تتكون منها الالحان وتركيبات

قارعة الدف .. نموذج شعبى مشهور





الانغام ، وكذلك يعتمد على التباين فى استخدام الوان الصوت المختلفة باختلاف نوعية الالات الموسيقية التى يتكون منها الاوركسترا الكبير والذى تسميه أوركسترا سيمفونى نسبة الى تخصصه فى عزف أنواع الموسيقى السيمفونية • وقد تضاف أصوات الغناء البشرى فى بعض أجزاء السيمفونية مثل السيمفونية التاسعة للموسيقار الالمانى بيتهوفن ، ولكن الاصل هو أن السيمفونية تاليف تعزفه الات الاوركسترا فقط •

● اللحن والوزع الموسيقى
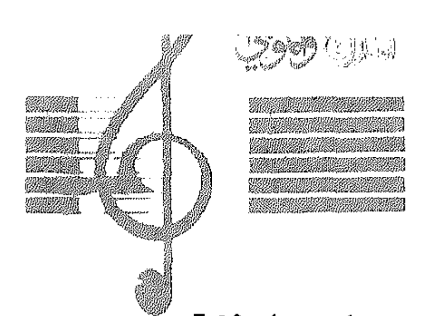
ـ وعندما يكون الابداع الموسيقى مجرد لحن بسيط أو عدد من الالحان البسيطة المتكررة فى شكل « الاغنية » فاننا يمكن أن نصف الفنان صاحب هذا الابداع بأنه « ملحن أغانى » وقد يضيف ملحن الاغانى الى الحان الاغنية تركيبات أنغام تضاف الى أنغام اللحن الاساسى للاغنية ، **وهذه التركيبات تتكون من طبقات انغام مختلفة تعزف فى وقت واحد مع انغام اللحن الاساسى للاغنية او بعض انغام هذا اللحن فتزيده كثافة نغمية وعمقا فى التاثير** وتسمى هذه التركيبات النغمية المضافة « تآلفات هارمونية » وهى تسمى « هارمونية » لانها منسجمة مع النغمات الاصلية للحن الاساسى لنص كلمات الاغنية • وكذلك قد يضيف ملحن الاغنية الحانا الى لحن الاغنية الاساسى وبهذه الاضافة يتكون تركيبة من عدد من الالحان بما فيها اللحن الاساسى للاغنية لانه الاصل ـ وتسمى هذه التركيبة اللحنية «بوليفونية» وهى كلمة تتكون من مقطعين « بولى » ومعناها « متعدد » و « فونية » ومعناها «صوت» اى متعددة الاصوات • وعملية اضافة التركيبات « الهارمونية والبوليفونية » الى اللحن الاساسى للاغنية تتطلب من « ملحن الاغانى » أن يدرس علوم الصياغة الهارمونية والبوليفونية وهى من أساسيات علوم التاليف الموسيقى التى تطورت فى أوربا مع تطور أشكال التاليف الموسيقى المعمارية المركبة كما سبق أن وضحنا • ثم بعد أن يقوم « ملحن الاغانى » بوضع الحان أغنيته فى هذه الصياغة المركبة والتى تسمى « النسيج النغمى المركب لموسيقى الاغنية » فان عليه بعد ذلك أن يوزع تركيبات الانغام المختلفة التى يحتويها النسيج الموسيقى للاغنية على آلات الاوركسترا المختلفة لتعزف كل هذه التركيبات النغمية المصاحبة للحن الاساسى لنص كلمات الاغنية فى وقت واحد ، وهذه العملية هى ما نسميها « التوزيع الاوركسترالى » • وهكذا تمر عملية الابداع الموسيقى فى مرحلتها المعاصرة المتقدمة بمراحل ثلاثة هى أولا : ابداع التكوين اللحنى المفرد الاساسى والملائم لكلمات نص الاغنية • ثانيا : اضافة الصياغة الهارمونية أو البوليفونية أو كليهما الى اللحن الاساسى للاغنية ، ثالثا : توزيع هذه التركيبات النغمية المضافة فى مختلف الطبقات الصوتية على آلات الاوركسترا المختلفة هى الاخرى فى طبقات الصوت وأيضا فى لون الصوت ، ولذلك تسمى عملية التوزيع الاوركسترالى أيضا بعملية « التلوين الاوركسترالى » حيث أن لكل آلة موسيقية « نوع صوت » أى « لون صوت » ونحن نستعير هذا

التعبير من ألوان الرسم المختلفة فى التأثير النفسى ، وحتى يتم لنا بتدريب الاذن على التمييز بين انواع صوت من آلات الاوركسترا المختلفة فيزداد تذوقنا للنسيج الموسيقى الذى تعزفه هذه الالات سواء فى شكل الاغنية أو المقطوعة الموسيقية القصيرة أو الاشكال الموسيقية ذات التركيب المعمارى الكبير كالسيمونية والاوبرا الكنشرتو الخ ٠

● الابداع المزدوج

وفى مصر يوجد كثير من « ملحنى الاغانى » الموهوبين الذين يبدعون ألحان أغانيهم بالفطرة الموسيقية السليمة ويلجأون لموسيقيين اخرين دارسين وأساليب الصياغة الموسيقية الهارمونية والبوليفونية والتوزيع الاوركسترالى ليضيفوا هذه الصياغات الفنية للتكوين اللحنى المنفرد الاساسى للاغنية ٠ وفى هذه الحالة فان موسيقى الاغنية تكون قد أصبحت تضم عمليتين ابداعيتين الاولى : هى ابداع اللحن للتكوين اللحنى المفرد لكلمات الاغنية والثانية : هى التركيبات النغمية المضافة والتى يبدعها من تعودنا على أن نسميه فى مصر « الموزع الموسيقى » والصحيح هو أن نسميه «مبدع الاعداد الموسيقى» لانه يقوم بعملية اعداد الصياغة الهارومونية والبوليفونية أو ايهما لالحان الاغنية الاساسية ثم يقوم بعملية تالية لهذه العملية وهى توزيع النسيج النغمى للصياغة الهارمونية والبوليفونية مع اللحن الاساسى للاغنية على الالات المختلفة للاوركسترا ٠

وكثيرا ما تحدث خلافات فى تقدير مدى اهمية الدور الفنى الابداعى الذى يقوم به « مبدع الاعداد الموسيقى لالحان الاغنية» فهو نفسه يرى أن دوره الفنى اهم من دور الملحن مبدع اللحن الاساسى لكلمات الاغنية وسبب هذا التقدير فى حقيقة الامر يرجع الى أن « مبدع الاعداد الموسيقى » قد أفنى سنوات طويلة من عمره فى دراسة علوم صياغة الانغام والالحان فى تركيباتها المختلفة ، ودراسة الالات الموسيقية من مساحات أصواتها ، وألوان أصواتها ، وطرق الاداء عليها وأجمل مناطقها الصوتية ، ومناطقها الصوتية غير المستحب استخدامها ـ ولكن تبقى حقيقة أخرى هامة وهى أن « ملحن الاغنية » الذى يبدع اللحن بفطرته الموسيقية وعادة بدون عناء يذكر حيث يظل يردد اللحن الذى جادت به فطرته الموسيقية بحنجرته أو بعزفه على آلة العود حتى يتثبت اللحن فى ذاكرته السمعية ثم ينقله الى العازفين على آلات الاوركسترا بنفس الطريقة ٠ هذا الملحن رغم انه يبدع بفطرته الموسيقية دون دراسة موسيقية تذكر يظل ابداعه الابداع الاساسى الذى ينطلق منه ابداع معد الصياغة الموسيقية التركيبية وتوزيعها على الات الاوركسترا ـ وقد يكون اللحن الاساسى الفطرى ذا تأثير عظيم لدى المستمعين ثم اذا أضيفت اليه صياغات المعد الموسيقى والموزع فان هذا التأثير التعبيرى للحن الاساسى يفسد ٠ واذا حدث ذلك فان الحقيقة التى تصبح واضحة بطريقة عملية هى أن « ملحن الاغنية » نقول عنه انه موهوب بينما « المعد الموسيقى والموزع » نقول عنه انه متعلم موسيقى وليس موهوبا موسيقيا ٠ **ذلك لان عملية الصياغة الموسيقية التركيبية لا تصبح ذات قيمة فنية تعبيرية الا اذا نبعت ايضا من انسان موهوب موسيقيا ٠ وقد يتم التوافق فى الموهبة الموسيقية بين**



« ملحن الاغنية » و « معد صياغتها الموسيقية التركيبية » وفي هذه الحالة تكون عملية «الابداع الموسيقي المزدوج» ناضجة. ولكن قليلا مايحدث ذلك في انتاج الاغنية المصرية . وتظل الظاهرة الموسيقية العامة والسائدة هي أن معظم ملحني الاغاني الموهوبين فعلا لم يدرسوا علوم الصياغة الموسيقية التركيبية والتلوين الاوركسترالي . ولكن الخطأ الجسيم هو أن ننادى بابعاد هؤلاء الملحنين الموهوبين عن مجال ابداع الالحان بل على النقابات الفنية واقسام الدراسة الحرة في المعاهد الموسيقية أن تعنى بتثقيف هؤلاء الملحنين الموهوبين وفي نفس الوقت وبالدرجة الاولى من الاهمية فانه من الواجب اعطاء الفرصة كاملة للحني الاغاني الذين يجمعون بين الموهبة الموسيقية ودراسة الصياغات الموسيقية والاوركسترالية لتقديم أعمالهم في أجهزة الاعلام والثقافة بانتظام وتكثيف مستمر .

● تذوق الموسيقى السيمفونية

واذا كان هذا هو الحال بالنسبة للابداع الموسيقي في شكل الاغنية والتي تعتبر هي الغذاء الموسيقي اليومي للشعوب . فان المؤلفين الموسيقيين المصريين الذين درسوا علوم التأليف الموسيقي في شكل دراسات خاصة جادة أو في شكل دراسات اكاديمية في معاهد موسيقية في مصر والخارج . تتبلور مشاكلهم في أنهم يبدعون الموسيقى في أشكال موسيقية تطورت في أوربا كما قلنا خلال القرون الاربع الاخيرة ، مثل الاوبرا والسيمفونية والكونشرتو الخ ، ولم يتعود المستمع المصري العادي الاستماع الى هذه الاشكال الموسيقية أو لم يستمع اليها أصلا وهذا هو الواقع الصحيح بالنسبة للجماهير العامة . وكما أن هذه الاشكال الموسيقية المركبة تحتاج من المؤلف الذي يبدعها تحصيل دراسات علمية متنوعة ولمدى سنوات طويلة من عمره ، فانها أيضا تحتاج من المستمع أن يحصل على معلومات تاريخية وأدبية وموسيقية أولية ليستطيع تذوقها . وهكذا فأول مشكلة تواجه المؤلف الموسيقي المصري الذي يؤلف سيمفونية مثلا هي الجمهور المصري والعربي العام الذي تبدو هذه السيمفونية غريبة على أذنه تماما . ومع ذلك فانه يوجد جمهور مصري ولو أنه قليل الا انه يتذوق الموسيقى السيمفونية عن دراية جمالية وثقافة خاصة بأدب الموسيقى الاوربية الكلاسيكية . وهذا الجمهور المصري يمكن أن يشجع المؤلف السيمفوني المصري ويساعده اذا صفق له فيعرف المؤلف أن عمله السيمفوني ناجح لانه أثر في الجمهور وانتزع منه التصفيق وقد يحدث العكس فاذا لم يصفق الجمهور لعمل المؤلف المصري فان هذا المؤلف يعرف ما ينقص مؤلفاته في عناصر التعبير في ضوء الموقف السلبي للجمهور من هذه المؤلفات . **ومن هذا نتبين أهمية تقديم المؤلفات الموسيقية السيمفونية للمؤلفين المصريين بانتظام للجماهير حتى تنضج التجربة الموسيقية الابداعية كهؤلاء المؤلفين والتي لا يمكن أن تنضج الا بارتباطها بالجماهير .**

أوربا عصر النهضة ترقص على أنغام عربية

بقلم : د . الطاهر أحمد مكى

« تغنم روح الانسان عدة منافع من الغناء .. منها السكينة التى تهبط عليها فى ساعة الهموم والآلام »

الحسين بن زيلة المتوفى ١٠٤٨ هـ فى كتابه « الكافى فى الموسيقا »

يقال إن الرصانة ليست الا نقصا فى المزاج غالبا ! واذا اتخذنا من الشعر الأندلسى ، وهو فن ، وثيقة على حياة أهله ، وجدنا الجانب الأكبر وقفا على وصف مغامراتهم العاطفية ، البهجة ، صحبة كأس لاتفرغ ، وموسيقا لاتتوقف ، ورقص يأخذ بالعقول ويسحر الألباب ، وكلها شواهد كافية على ارتشافهم الحياة حتى آخر قطرة !

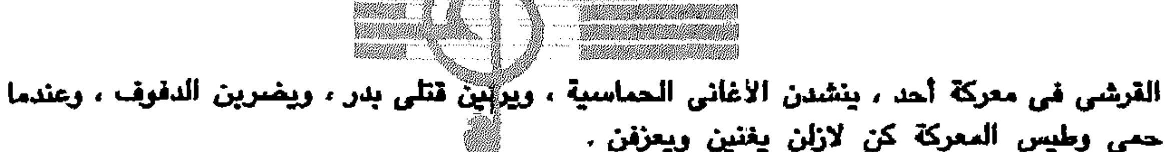
ولم يكن المسلمون حين هبطوا اسبانيا فاتحين فى مطلع القرن الثامن الميلادى يحملون معهم غير موسيقا بدائية ، وغناء لمّا يتطور ، وهما متلازمان ، فلم تكن الموسيقا ، وحتى قرون بعد ، قد استقلت بنفسها أداء وتعبيرا ، وكلمة مغنٍ تعنى موسيقيا أيضا ، والعكس صحيح ، وأحيانا كانت تعرف الموسيقا بأنها الطرب ، ويدعى الموسيقِى مطربا .

وهذه الموسيقا العربية كانت بدائية ، وليدة الحداء ، وغناء الركبان ، وآهات المكروبين ومن يعانون ، ويستخدمها العرافون والسحرة ، وفى ممارسة طقوس الحج الجاهلية حين يهلل الحجاج أو يلبون أو يرتلون .. ولكن ذلك كان قليلا ومحدودا ، لأن العربى البدوى لم يكن يعنى بغير « الحب والخمر والميسر والصيد .. ولذات الغناء والمخاطرة والتعبير الموجز الملمح البليغ عن اللباقة والحكمة ، ويستجيد هذه الأمور ولايرى بعدها غير القبر» .

وكانت النساء تشارك فى هذه الموسيقا البدائية فى الأفراح العائلية أو القبلية ، فى السلم والحرب ، وهى أشياء استمرت حتى عصر النبوة ، فقد تضمن الاحتفال بتزويج النبى من خديجة فرحا فيه غناء ورقص وموسيقا ، وحين سار المكيون الى معركة بدر عام ٦٢٤ م .. أخذوا معهم « جميع آلات اللهو ، والقيان يعزفون على الآلات ، ويغنين على كل ماء حيث يعرسون» .

وعندما سمع المكيون باقتراب الرسول أشاروا على رئيسهم بالانسحاب بدل المخاطرة فأجاب : « والله لانرجع حتى نرد بدرا ، فنقيم عليه ثلاثا ، وننحر الجزر ، ونطعم الطعام ، ونسقى الخمور ، وتعزف عليه القيان» .

وكانت هند بنت عتبة ، وروج أبى سفيان زعيم القرشيين ، على رأس النسوة اللائى صحبن الجيش



القرشي فى معركة أحد ، ينشدن الأغانى الحماسية ، ويرثين قتلى بدر ، ويضربن الدفوف ، وعندما حمي وطيس المعركة كن لازلن يغنين ويعزفن .

وكانت المراكز الأسبق تحضرا فى أطراف الجزيرة الشمالية والشرقية تعرف الوانا أكثر تقدما من الموسيقا ، بتأثيرات فارسية أو بيزنطية ، فكان فى بلاط الغساسنة على أيام جبلة بن الأيهم ، فيما يحكي حسان بن ثابت الصحابي شاعر الرسول ، عشر قيان : « خمس روميات يغنين بالرومية ، وخمسا يغنين غناء أهل الحيرة » وكان يفد إليه من يغنيه من العرب من مكة وغيرها .

وكان بين هؤلاء المغنيات الاحرار الهاويات ، والقيان المحترفات ، وهؤلاء كن فى منزل أى عربى ذى قيمة اجتماعية ، فى مكة ، ويثرب ، والحيرة ، وفارس من أصول عربية أو فارسية أو اغريقية ، يغنين بلغتهن أحيانا ، وقصائد عربية أحيانا أخرى ، ومن المحتمل أن التلحين كان أجنبيا .

غير أن من الحق أيضا أن نقرر أن « هذه الموسيقا الجاهلية لم تكن أكثر من ترنم ساذج ينوعه المغنى أو المغنية أو يجمله ، تبعا لذوقه وانفعاله ، أو مايريده من تأثير .. ويطوله فى مقطع أو كلمة أو شطر بيت ، بصورة تجعل غناء المقطوعة ذات البيتين أو الثلاثة يمكن أن يستغرق ساعات .. وميزة المغنى فى جمال صوته وخفته وذبذبته ، والشعور الذى يجعل الصوت مستمرا أو متموّجا » .

وكل مغن يغنى فى نغمة واحدة أو مقام ، إذ لم يعرفوا تأليف اللحون المتفرقة ، أى الهرموني .. كما نعرفها نحن .. والنوع الوحيد من التأليف المعروف عندهم هو الأنغام التى تبعثها آلات القرع المختلفة من الطبل والدف والقضيب .. وتشكيل اللحن بالزخارف من التموجات والدورات التى سموها الزوائد .

ولكن العرب وهم يجتاحون العالم المتحضر على أيامهم لم يقفوا من الحضارات التى وقعوا عليها موقفا عاديا ، وانما كانوا طلاب علم نهمين ، فتمثلوا كل شيء جميل فيها ، وطوعوه لحياتهم ، وبدأت الموسيقا العربية الأولى تتلقى إضافات جديدة وعميقة ، وفارسية وبيزنطية .. حتى بلغت أوجها رقيا على يد اسحاق الموصلى ، فى عصر هارون الرشيد .

الموسيقا العربية فى ارض اوربية

لم يحمل العرب معهم حين هبطوا اسبانيا فاتحين للمرة الأولى فى مطلع القرن الثامن الميلادى موسيقا متقدمة ، ولم يجدوا أيضا عند الاسبان شيئا يمكن أن يضيفوه الى ماعندهم ، فقد كانت الموسيقا الكنسية برتابتها وجمودها هى السائدة ، وتمثلت مباهج الطبقة العليا فى الصيد ومشاهد السيرك ، وفقد المسرح أهميته ، وانفض عنه الناس ، ومع ذلك لايمكن القول عن عامة الناس أنهم كانوا صامتين ، يكتفون بسماع موسيقى القداس ، اذ من الطبيعى أن يعيش المرء حياته الخاصة ، ورغم غيبة الوثائق والنصوص استطعنا أن نعرف شيئا مما كان يجرى فى المجال الشعبى ، ذلك أن المجامع الكنسية المختلفة التى كانت تعقد فى تلك الايام ، أخذت تشدد على منع الغناء والرقص الذى يقوم به العامة داخل الكنائس ، وذهبت كل جهود الكنيسة عبثا فى أن تحل الموسيقا الكنسية محل الموسيقا الشعبية .

كانت هناك موسيقا شعبية اسبانية لانعرف طابعها ولا خصائصها وموسيقا عربية وافدة ليست بأرقى من تلك ، ولكن المناخ كانت مواتيا للرقى والتقدم ، فقد اشتهرت قادس فى جنوب غربى اسبانيا ، وهى مدينة أسسها الفينيقيون قديما ، بأنها قدمت للعالم القديم ، أجمل الراقصات والمغنيات ، وأصبحت لهن شهرة عالمية ، وفتن بهن المثقفون والاغنياء والقادة فى روما ، وانعكس الاعجاب بهن فى قصائد الشعراء ونثر الكتاب .

ولما كان الاندلس يعيش ثقافيا فى مراحل تكوينه الأولى على ما يبدعه المشرق ، ويحتذى أثره ، ويطلب ملحا كل جديد فيه ، فقد أصغى واعيا الى تطور الحضارة العربية فى العصر العباسى فى مجالاتها المختلفة ، وعرف أن الموسيقا ذهبت بالنصيب الأوفى من ذلك التقدم ، فازدحم بلاط الخلافة بالموسيقيين المحترفين ، ولقوا معاملة حسنة لم يسمع بمثلها من قبل ، وسعد هذا العصر بموسيقا عبقرى هو إسحاق الموصلى ، فجدد فى الألحان ، وأشاع الموسيقا ، واشرف على تدريب المغنيات ، وكان الخليل بن احمد الفراهيدى مبتدع علم العروض عالما فى الموسيقا ، وأبدع فيها نظريا كتابين هما . كتاب النغم وكتاب الايقاع .. ولكن أيا منهما لم يصلنا .

فى البدء كان الأندلسيون يستقدمون الموسيقيين والمغنيات من المشرق ، أو يرسلون بهم ليتدربوا هناك ، ولكنهم مالبثوا أن بدأوا يستقدمون كبار الأساتذة ، فى مجالات الثقافة المختلفة ، لكى يعلموا أبناءهم فى الأندلس نفسه .

● زرياب يحدث ثورة !

وفيما يتصل بالموسيقا واتتهم الفرصة مع على بن نافع الملقب بزرياب ، وكان موسيقيا عبقريا فذا ، ومن انبه تلاميذ اسحاق الموصلى ، وحدث بينه وبين أستاذه خلاف لايعنينا أمره هنا ، فارق زرياب بغداد على أثره واتجه غربا ، وفى القيروان خاطب الحكم الأول أمير الأندلس يعرض فنه فرحب به .. وعندما بلغ الجزيرة الخضراء ، أول حدود الأندلس علم بوفاة الحكم فأوشك أن يعود من حيث أتى ، ولكن الأمير الجديد ، عبد الرحمن الثانى ، أكد الدعوة ، ولقى زرياب حفاوة بالغة عند وصوله قرطبة ، فقد استقبله الأمير بظاهر المدينة ، وأنزله قصرا فاخرا ، وأجرى عليه راتبا كبيرا .

وكان وصول زرياب خطا فاصلا بين عصرين من الموسيقا .. لقد جاء الأندلس بأحدث ماوصل إليه فن التلحين فى المشرق ، وابتدع هو نفسه وترا خامسا أضافه الى أوتار العود الأربعة ، واتخذ المضراب من قوادم النسر ، معتاضا به عن مرهف الخشب ، وهى فكرة بارعة موفقة ، فهى تجمع الى لطف حفتها على الأصابع طول سلامة الوتر ، وعلى كثرة ملازمته إياه ، والضرب عليه ، وأخذ فى انشاء المعاهد الموسيقية على امتداد الأندلس ، فى مدنه الكبرى : قرطبة ، واشبيلية ، وطليطلة ، وسرقسطة ، ومالقة وغيرها .. وكان الطلاب يدخلون هذه المعاهد بامتحان خاص لدينا تفصيلات لاباس بها عن طريقته .

● مناهج التدريس

ولكن الابتداع الأهم ، والجوهرى ، والذى جعل زرياب أستاذا عظيما ، ماهرا ومثقفا ، منهجه الممتاز فى تعليم الغناء ، فقد كان الأساتذة الفنانون قبله يعلمون تلاميذهم عن طريق التقليد ، يغنى الأستاذ ويحاول التلميذ أن يقلده ، وبقوة التكرار فحسب يحقق الطلاب النتائج التى يبتغونها .. أما زرياب فقسم العمل الى ثلاث مراحل : الأولى تعليم الايقاع .. فيبدأ بالنشيد بأى نقر كان .. والثانية تعليم الايقاع فى بساطته دون أن يضيف اليه أى طبقة ... والثالثة أن يختم «بالمحركات والأهزاج» .. ومعها تعود أن يضفى على الغناء تعبيرا وحركة ولطفا ، وبها تتضح مهارة الفنان .

موسيقيان اندلسيان من القرن الثالث عشر الميلادى ، والصورة كذلك ، اندلسى مسلم واخر مسيحى



واستطاع زرياب بهذا المنهج ، وبفرقة تتكون من أجمل المغنين صوتا ، بين مجموعة كانت تبلغ عشرة آلاف فيما يقال ، أن يبلغ شهرة شعبية واسعة ، وارسل إلى زوايا النسيان كل من سبقوه ، وأخمل كل أولئك الذين كانوا على أيامه .

ووضع نظاما لارتداء الأزياء المختلفة ، وأوقاتا محددة لتغييرها ، ولكل فصل زيه المناسب فيرتدى الناس الملابس البيضاء الخفيفة صيفا ، والأزياء الحريرية غير المبطنة ، والسترات ذات الالوان الزاهية في الربيع ، ويلبسون فى الخريف والشتاء الفراء والمعاطف ذات الحشو ، والبطائن الكثيفة ، وينتقلون فيها تدريجيا حسب شدة البرد ، من الأخف الى الأقوى .

وكان الناس يلتمسون آراءه ويطبقونها نصا وروحا ، وما من تأثير لأناقة الحضارة العباسية ورقيها يمكن أن يكون أشد نفاذا ، وأبعد عمقا ، عما كان عليه فى قرطبة ، ونزولا على رأى زرياب الذى لايناقش ، ويقبل على علاته ، غيّر أهل البلاط وسكان المدينة أزياءهم ، وأثاث بيوتهم ، وأساليب طبخهم ، وظل اسم زرياب المغنى يتردد بعد ذلك لقرون عديدة ، كلما ظهر فى صالونات شبه الجزيرة زى جديد أو مبتكر .

● شيوع الموسيقا

أصبحت الموسيقا وماتتطلبه من غناء ورقص فى القرن الرابع الهجرى ، أى العاشر الميلادى ، فى الأندلس .. كما فى بقية العالم الاسلامى .. اكثر الملاهى قيمة .. ولم تكن هناك سهرة ولا احتفال ولامهرجان لايفسح للموسيقا المقام الأول فيه ، وترك لنا المؤرخون أوصافا دقيقة الى حد ما لبعض الحفلات الليلية التى تقام فى بيوت الخاصة ، ونفهم منها أن المدعوين لايكادون ينتهون من طعامهم وشرابهم حتى تبدأ المشاهد الغنائية الراقصة ، تقدمها فرقة موسيقية تتكون من الجنسين .. وربما أكثر هذه الشواهد إثارة وتفصيلا ماارواه لنا مؤرخ مصرى هو أحمد بن محمد اليمنى ، رواية عن أديب اقام بمدينة مالقة الأندلسية عام ٤٠٦ هـ ـ ١٠١٥ م .. وهى شهادة لمايقع عليها أحد من الباحثين قبلا ، وجديرة بأن تروى كاملة يقول :

« حكى بعض الأدباء قال : كنت بمدينة مالقة من بلاد الأندلس سنة ست وأربعمائة ، فاعتللت بها مديدة انقطعت فيها عن التصرف ولزمت المنزل .. وكان يمرضنى حينئذ رفيقان كانا معى ، ويرفقان بى .

« وكنت اذا جن الليل اشتد سهرى .. وخفقت حولى أوتار العيدان والطنابير والمعازف من كل ناحية ، واختلطت الأصوات بالغناء .. وكان ذلك شديدا علىّ وزائدا فى قلقى وتألمى وكانت نفسى تعاف تلك الضروب طبعا ، وتكره تلك الأصوات الجميلة جبلة ، وأود أن أجد مسكنا لا أسمع فيه شيئا من ذلك ، ويتعذر علىّ وجوده لغلبة ذلك الشأن على أهل تلك الناحية وكثرته عندهم .

. وانى لساهر ليلة بعد إغفائى فى أول ليلتى ، وقد سكنت تلك الألفاظ المكروهة ، وهدأت تلك الضروب المضطربة ، واذا ضرب خفى معتدل حسن لا أسمع غيره .. فكأن نفسى أنست به ، وسكنت اليه .. ولم تنفر منه نفارها من غيره .. ولم أسمع معه صوتا ، وجعل الضرب يرتفع شيئا فشيئا ، ونفسى تتبعه ، وسمعى يصغى اليه ، الى أن بلغ فى الارتفاع الى ما لاغاية وراءه .. فارتحت له ، ونسيت الألم .. وتداخلنى سرور وطرب خيل إلى معه أن أرض المنزل ارتفعت بى ، وأن حيطانه تمور حولى ، وأنا فى كل ذلك لا أسمع صوتا ، فقلت فى نفسى .. أما هذا الضرب فلا زيادة عليه ، فليت شعرى كيف صوت الضارب ، وأين يقع من ضربه .

ولم ألبث أن اندفعت جارية تغنى فى هذا الشعر بصوت أندى من النّواد غب القطار ، وأحلى من البارد العذب على كبد الهائم الصب ، فلم أملك نفسى أن قمت ، ورفيقاى نائمان ففتحت الباب ، وتبعت الصوت ، وكان قريبا منى ، فأشرفت من وسط منزلى على دار فسيحة ، وفى وسط الدار بستان كبير ، وفى وسط البستان يثرب ، نحوا من عشرين رجلا قد اصطفوا ، وبين أيديهم شراب وفاكهة وجوار قيام بعيدان وطنابير وآلات لهو ومزامير لايحركنها ، والجارية جالسة ناحية وعودها فى حجرها ، وكل يرمقها ببصره ، ويوعيها سمعه ، وهى تغنى وتضرب ، وأنا قائم بحيث أراهم ولايروننى .. وكلما غنت بيتا حفظته .. الى أن غنت عدة أبيات وقطعت .. فعدت الى موضعى ويشهد الله كأنما أنشطت من عقال ، وكأن لم يكن بى ألم .. »

ولم تكن الموسيقا وقفا على المحترفين وحدهم .. ، يحيونها بأجر ، ويقدمونها لمن يطلب .. ويتكسبون بها فى القصور والبيوت والأسواق والميادين ، وإنما كانت تكون جانبا أساسيا من تكوين الشخصية المتحضرة للفتيان والفتيات على السواء .. ويحكى لنا ابن حزم ، وابن حزم دائما ! فى كتابه طوق الحمامة أن ضنى العامرية كريمة المظفر عبدالملك صاحب الأندلس القوى .. وحاكمها الأوحد ، طلبت منه أن ينظم لها أبياتا من الشعر تصنع لها لحنا ، فاستجاب لما طلبت .. ويثنى ابن حزم على موسيقاها فيقول : ولها فيها صنعة فى طريقة النشيد والبسيط رائقة جدا »

وكانت تربية الفتيات بخاصة تتضمن تعليمهن الموسيقا وتدريبهن عمليا على العزف بالعود والرباب والأدوات الموسيقية الأخرى ، وعلى ألوان من الرقص الفنى العالى .. وهو تقليد واصل سيره ، ولما يتوقف ونجد أثره واضحا فى الفتيات الاسبانيات حتى يومنا هذا .

وكانت مشاهد الرقص متنوعة ، وقدم لنا ابن خلدون صورة لأحدى اللوحات الراقصة ، تظهر فيها الفتيات فى شكل غلمان ويعلقن الكرج فى ملابسهن ، ويمتطين صهوات أفراس خفيفة من الخشب يمثلن دور الفرسان .. يهاجمن مسرعات ، ويقاتلن منسحبات .. ثم يعدن الى المعركة من جديد .. وكان لباسهن .. فى ضوء أوصاف الشعراء فى شكل عباءه يمكن أن تتفتح من أعلى الى أسفل ، لكى يسمح للراقصة أن تتعرى فجاءة الا مما هو ضرورى .. وتصبح مثل « زهرة توشك أن تتفتح » .

وقد يكون مفيدا أن نشير هنا الى أن راسمى هذه اللوحات ومنفذيها كانوا مصـريين ، اذ كان التبادل الفنى بين مصـر والمغرب الاسلامى قويا ومتواصلا .. وظلت مصـر دائما فيما يرون أرض السحر والعجائب والذكاء .. وكان هؤلاء الفنانون المصـريون موضع الاعجاب والتقدير فى اشبيلية وقرطبة والمرية وغيرها .

● شعر جديد لموسيقا جديدة

مع الزمن قويت الصلة بين الأندلس ومصـر فيما يتصل بالفنون رقصا وموسيقا وغناء وتمثيلا .. أو كما كان يطلق عليهم القدامى « الخياليون والمشعوذون » ولم يعد للمدينة أو بغداد تأثيرهما القديم .. ومحى زرياب من الذاكرة موسيقيا ، ونقلت مصـر الى الاندلس فن « خيال الظل » وبدأت الموسيقا الأندلسية تسلك طريقا جديدا ، ذاتيا وأصيلا ، وأفسحت مجالا واسعا للالهام الشعبى .. **وعندما التقط الفنانون الترانيم ، والأغانى الشعبية الأندلسية ، وليدة الواقع الاجتماعى ، كان على الشعراء أن يستجيبوا بدورهم لهذا التطور ، فولدت الموشحة ، بعد وصول زرياب ، وشيوع الموسيقا ، والحاجة الى أشعار جديدة توائم الألحان المتجددة ، وقد عجزت القصيدة العربية التقليدية فى شكلها الثابت عن أن تستجيب لمتطلبات انغامها المتحررة .**

واذا كانت الموشحة التزمت العربية الفصيحة لترضى أذواق الطبقة العليا المثقفة ، وان سهلت ألفاظها وعذبت ورقت ، فان المبدعين بالكلمة لم ينسوا أيضا حاجة « الناس اللى تحت » فألفوا لهم موشحات فى عامية أهل الأندلس ، دخلت التاريخ تحت اسم الزجل .. وخلدها وخلد بها زجال عظيم هو

ابن قزمان ، ودفع بالشكل وموسيقاه فيما وراء حدود الأندلس على ماسيأتى ، فى الشمال عند النصارى ، وفى الجنوب عند المغاربة ، ولايزال هذا اللون من الغناء والموسيقا سائدا ومزدهرا فى المغرب العربى كله .. ويحمل اسم : الغناء الأندلسى أو كلام غرناطة .

● ردود فعل

ظلت الموسيقى مع رفيقيها الغناء والرقص مطلوبة ومرغوبة ، تبحث عنها الجماهير التى هدتها الحروب ، وأرهقتها الضرائب التى تتطلبها آلة الحرب ، وفى المشرق والمغرب على السواء ، فهى تبحث عن المرح والبهجة تذيب فيهما هموما لاقدرة لها على دفعها ، وكلما اقبل الناس عليها ارتفع أجر الفنان ، ونفقت سوقه ، وعظمت مكانته ، واشتد الطلب عليه ، فحسدته طوائف كثيرة ترى نفسها الأحق والأجدر بهذا التكريم .. وعلى رأسهم الفقهاء .. ويعبر عبد الملك بن حبيب كبير فقهاء الأندلس فى عصر عبد الرحمن الثانى عن هذا الاتجاه خير تعبير ، فقد نفس على زرياب أن يعيش فى بحبوحة من العيش ، فى أبيات شائعة :

الف من الحمر واقلل بها
لعالم اربى على بغيته
زرياب قد اعطيها جملة
وحرفتى اشرف من حرفته

ومن جانب آخر ، حين رأى الكسالى والقانطون والجهلة تردى العالم الاسلامى ، وتراجعه أمام اعدائه ، شرقا وغربا ، القوا بالتبعة على الموسيقا ، وحملوها وزر كل النكبات السياسية والحربية ، وجعلوا الهزيمة عقاب الاقبال عليها ، بدل ان يبحثوا عن الأسباب الموضوعية .. ومع التشاؤم من الغد ، والعجز عن تدبير الحل ، والبحث عن تبرير لما وقع .. ارتد المتزمتون الى الهمسات التى نسيها الناس فى لحظات المجد والانتصارات ، ورفعوا راية « الموسيقا رجس من عمل الشيطان » وغذى الفساد السياسى والادارى الذى كانت تتخبط فيه الدولة هذا الاتجاه عندهم .. وأفسح له فى أذهان العامة مكان ، بأكثر مما غذته النصوص الدينية الصحيحة ، أو الاقتناع المطمئن بها .

كان الناس ضائقين بالدولة ، عاجزين عن تغيير الواقع ، يرون المظالم ولايملكون لها دفعا .. ويلمسون الفساد ولايستطيعون له اجتثاثا ، فما عليهم اذن .. ان هرولوا وراء مخبول ، وماذا يخسرون اذا استجابوا لمشعوذ .. وهكذا راجت فى فترة التخلف والفساد ، أفكار تحرم الفن ، وتجرم الحياة .

● الموسيقا الأندلسية وتأثيرها فى اسبانيا

حين يسمع المرء الموسيقا الأسبانية الأصيلة ، وغناء الأندلسيين اليوم فى جنوب أسبانيا ، ويعرف باسم الفلامنكو ، FLAMENCO فانه يشعر فى الحال بأن هناك علاقة وثيقة جدا بينه وبين الموسيقا والغناء العربيين ، ويرد على خاطره فى الحال فكرة تأثير الموسيقا العربية فى الموسيقا الاسبانية هذه ، وأن هذه العلاقة من بقايا هذا التأثير .

ومن الثابت تاريخيا أن الجانب الاسلامى فى الأندلس ، وهو الأقوى والأكثر تقدما ، كان مهوى أفئدة الطبقة العليا فى الجانب المسيحى ، يهبطون اليه طلبا للعلاج .. أو لشراء الملابس الفاخرة ،، ويجلبون

منه الفنانين لحفلاتهم .. ولعب التهادى بالقيان بين ملوك الجانبين دورا بالغ الأهمية الى جانب قنوات أخرى أسهمت فى نقل الحضارة الاسلامية إلى بلاط الملوك المسيحيين فى الشمال .

وقد شكا مجمع القساوسة الذى انعقد فى بلد الوليد عام ١٣٢٢ م من أن المسيحيين يدخلون المسلمين واليهود فى الكنائس ، وهم يغنون ويعزفون على الآلات الموسيقية ، وفى بلاط شانجه الرابع ملك قشتالة كان عدد الموسيقيين عام ١٢٩٣ الذين يتقاضون مرتبا من القصر سبعة وعشرين : ثلاثة عشر مسلما .. منهم أمراتان ، ويهودى ، واثنى عشر مسيحيا .. وفى القرن الخامس عشر وجد فى تقارير بلدية ترويل بتاريخ ٣٠ أغسطس ١٤٤٣ طلب من الأعضاء بدفع عشر قطع نقدية لمن يسمى محمد شاشو من أهل الفونت « لأنه قام بالعزف على آلته الموسيقية فى الاحتفالات الماضية »

● .... وتاثيرها فى اوربا !

وقد أثرت الموسيقا الأندلسية بدورها على امتداد القرون الثالث والرابع والخامس عشر فى الموسيقا الأوربية ، مباشرة أو عن طريق الموسيقا الاسبانية ، وبواسطة التجار والرحلات والحج المسيحى الى شنت ياقب ، وقبل ذلك كله عن طريق الأسيرات ، وهن عادة من بنات الطبقة الراقية .. وكانت موقعة بربشتر ، وحدثت عام ١٠٦٤ مثلا حيا لهذا التأثير الايجابى .

ففى أغسطس من ذلك العام قامت القوات المسيحية الأوربية ، بدعم من البابا بمحاصرة المدينة ، وهى فى الشمال الشرقى من الأندلس لمدة أربعين يوما ، استسلمت المدينة بعدها ، وغنم المنتصرون كل شىء فيها ، البيوت والقصور والنساء ، ووقع هؤلاء فى أسر الحياة العربية فاحتذوها ، فارتدوا الملابس العربية ، وسحرتهم الموسيقا الأندلسية ، وحين قفل ملك الروم (النورمان) عائدا الى بلده « تخير من بنات المسلمين الجوارى الأبكار ، والثيبيان ذوات الجمال » وحملهن معه ، ليهديهن الى من فوقه .

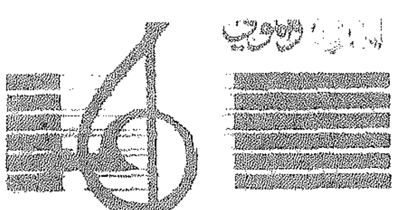
ويقدم لنا ابن حيان مؤرخ الأندلس الكبير صورة لواقع احدى الأسيرات الثقافى ، وكلهن فى مستواها يقول : ان والد أحداهن وسط تاجرا يهوديا أن يأتى المدينة .. وهى فى يد الأعداء وأن يتجسس خبر ابنته وأن يفتديها بكل مايريدون من مال ..

جاء اليهودى الى بربشتر ، وعرف أنها نصيب قوس (كونت) فذهب اليه ، ووجده يسكن بيت ذلك الثرى العربى ، لم يغير منه شيئا ، وعلى رأسه وصائف قائمات يسارعن الى خدمته ، فرحب باليهودى ، وسأله عن قصده ، فعرفه اليهودى بغايته ، وأنه يدفع له مايريد فداء احدى الفتيات القائمات على رأسه ، فرفض رفضا قاطعا ، ولو دفع له فيها خير مافى الدنيا .

ثم نادى فتاة أخرى قائمة على رأسه ، وكانت تأسره بثقافتها ، والموسيقية من بينها بخاصة ، وطلب اليها أن تغنى فأخذت العود ، وقعدت تسويه واندفعت تغنى بشعر مافهمته أنا فضلا عن العلج ، ولكن الموسيقا أطربته أيما طرب .. فحث شربه ، واستزادها اعجابا ، ولما يئست منه ، تركته ومضيت لحالى ..

وقبل هذا كانت هناك بعثات عديدة تأتى الى قرطبة للدراسة ، ومن بين من يدرسون الموسيقا على التأكيد ، وبلغ عددهم عام ٢١٣ هـ ــ ٨٢٨ م سبع مائة طالب وطالبة من مختلف مقاطعات اسبانيا والمانيا وفرنسا .. جاءت بهم شهرة زرياب فيما يبدو .. فقد وصلوا بعد سبعة أعوام من مجيئه الى قرطبة .. والتحقوا بالمعاهد التى انشاها يدرسون أصول الموسيقا ويتدربون على العزف بمختلف الآلات ، وعلى فنون الشعر والرقص والغناء .

وكان الشعراء الجوالون ، أو المداحون كما ندعوهم فى الصعيد ، أو القوالون كما يطلق فى المغرب الكبير ، يذهبون ويجيئون ، ويزرعون الأندلس ، وشمال اسبانيا وجنوب فرنسا ، يتغنون بالقصائد الغرامية أو الملاحم الأسطورية ولايعترفون بالحدود السياسية أو الدينية أو اللغوية .. ويمثل الأولون



ابن قزمان .. ووصلنا ديوان أزجاله كاملا ، ويحتل اليوم مكانة ممتازة بين من يدرسون الموسيقا والرومانيات والمستشرقين .

● بعثة انجليزية فى قرطبة

وتذكر الباحثة الالمانية سيجريد هونكه فى كتابها « شمس الله تشرق على الغرب » أن جورج الثانى ملك الانجليز ارسل أبنة أخيه الاميرة دوبانت على رأس من بعثة من بنات الأشراف يرافقهن رئيس موظفى القصر الملكى ، ويحمل كتابا من الملك الى الخليفة هشام الثالث (١٠٢٧ ـ ١٠٣١) وهو آخر خلفاء بنى أمية يلتمس منه أن تكون مع زميلاتها موضع عناية الخليفة وحماية حاشيته ، وحدب اللائى سوف يتوفرن على تعليمهن ، وحملت الأميرة معها هدية الى الخليفة ، تتكون من شمعدانين من الذهب الخالص ، طول الواحد ثلاث أذرع مع أوان ذهبية أخرى ، عددها اثنتان وعشرون قطعة ، مرصعة بأبدع النقوش .

وقد وافق الخليفة هشام الثالث على قبول البعثة ، وأمر بعد استشارة من يعنيهم الأمر أن ينفق عليها من بيت مال المسلمين ، ورد على الهدية بأخرى من الطنافس الأندلسية .

مع القرن الحادى عشر بدات جماعات التروبادور تظهر فى جنوب فرنسا .. ثم فى المانيا ، وبعدها جماعات المينيسجر ، تتغنى باشعار جديدة ، جاءت فى شكل الموشحات الاندلسية ، وعلى الحان هى صدى مدرسه مبعوثوهم من موسيقا فى المعاهد الاندلسية ، أو سمعوه من الفنانين الأندلسيين ، محترفين وهواة ، وكان محتوى هذه الأغانى هو نفس محتوى الموشحات من غزل عف أحيانا ، وغير محتشم أحيانا أخرى ، ولكنه يوقر المرأة فى كل الحالات ، ويذوب أمامها خضوعا وامتثالا ، ويتغنى بجمال الطبيعة ، ويعبر قبل كل شىء عن هموم المرء انسانا ، له طموحاته وأشواقه واحباطاته أيضا .

● دراسة التأثير العربى

اتفق مؤرخو الموسيقا على أن الموسيقا الأوربية الحديثة لاتدين بشىء للموسيقا الاغريقية ، فثمة فجوة واسعة تفصل بين المرحلتين ، وبخاصة ان الألحان الاغريقية لم تدون ، وأتى الزمن تماما على صدى أنغامها ، ثم اختلفوا بعد ذلك ..

رأى فريق منهم أن الموسيقا الحديثه وليدة التأثير السلتى ، والسلت قوم ينتمون الى العنصر الهندى الآرى ، ويعودون إلى عصر ماقبل التاريخ ، تجمعوا أولا فى أوربا الوسطى ، ثم زحفوا على بلاد الغال (فرنسا) واسبانيا وانجلترا .. ثم ذابوا فيما بعد فى الرومان ، وهى نظرية لم تجد من الأدلة مايدعمها علميا .

والقى آخرون بفرض غير علمى ، وهو أن الموسيقا الأوربية الحديثة تفجرت عفويا على غير مثال سابق .

ولكن المستشرق الاسبانى العظيم خوليان دبيبرا عكف خلال اثنى عشر عاما ، من ١٩١٢ الى ١٩٢٤ على دراسة الموسيقا الأوربية الوسيطة ، كنسية وشعبية ، والموسيقا الأوربية الحديثة ، والشائعة على أيامه فى المقاطعات الأسبانية ، وعند عدد كبير من بقية الشعوب الأوربية ، فى دقة فنية متناهية ، درس الايقاع والتناسق والتغيير ، وانتهى بعد أن استعرض جوانب القضية ، ولاحقها فرضا بعد فرض وتمعن موادها وثيقة بعد وثيقة ، الى حل أسرار هذا اللغز ، وكان غامضا على جمهرة الباحثين ، وبعيدا

عن تناولهم ، وأكد في بحثة على أهمية الاستمرار التاريخي في هذا الجانب الثقافي ، وانتهى الى أن الموسيقا الأوربية الحديثة ليست الا تطورا وصدى للموسيقا الأندلسية .

فقد كان العرب ، فيمايرى .. في الموسيقا .. كما في بقية العلوم والفنون الأخرى والفلسفة ، وبخاصة الأندلسيون منهم ، ورثوا الثقافة الكلاسية ونقلوها الى أوربا ، ودورة الحياة لاتتوقف ، فقد ورثت بيزنطة وفارس حضارة اليونان .. والتقط الاسلام حضارة الاثنين ومزج بينهما وبين حضارة ثالثة قادمة من أقصى المشرق ، وهى الحضارة الهندية ، وكلها انتقلت الى اسبانيا الاسلامية ، فأثرت وأغتنت بعناصر أخرى أخصبتها في الأرض الجديدة ، وقدمتها الى أوربا .

ذلك أن الموسيقا الأندلسية ليست مجرد صدى للموسيقا العربية المشرقية ، وان حافظت على خصائصها الجوهرية ، فقد أضفى عليها الأندلسيون طابعا شعبيا ، ونقلوها من الغناء الفردى الى الغناء الجماعي ، وابتدعوا أوزان الموشحات ، والأزجال لقوائم صدى الألحان الجديدة وتتفق مع ايقاعها .. وتسرب هذا الطابع الأندلسي عن طريق التعليم أو التقليد الى اسبانيا المسيحية ، الملوك والشعوب على السواء ، في حفلات القصور ، ومهرجانات الميادين ، في سمر الطبقة العليا وفي تجمعات العامة ، وحتى في الحفلات الدينية كان يستخدمون فنانين مسلمين ، وبدأ الشعراء المسيحيون يكتبون قصائدهم في شكل موشحة لتغنى أو أن شئت لتوائم الايقاع الموسيقي العربي ، وأصبح شكل الموشحة أو الزجل شعبيا وشائعا في كل الأندلس بجانبيه الاسلامي والمسيحي ، وظل كذلك حتى منتصف القرن السابع عشر ، أى بعد قرن ونصف من سقوط دولة الاسلام في الأندلس .

وقد استخدم الأوربيون آلات الموسيقا العربية في النفخ أو النقر .. وأخذوها بأسمائها العربية ، وألحانها المتصلة بها ، فقد استخدموا : العود ، والرباب ، والقيثارة ، والناى ، والنفير ، والبوق ، والدف وغيرها(١) .

وقد عرفت أوربا لأول مرة في القرن الثالث عشر مذهبا جديدا في الموسيقا اسمه « فن الميزان » وضعه المؤلفون الأوربيون عنه في ذلك القرن ، تشبه في معالجتها لأنواع الأنغام ماكتبه العرب ، والأغاني الشعبية من الموسيقا الغربية التي ألفت وفقا لفن الميزان مثل « الروندو » Rondo وبلاداس Baladasلها صور ثابتة ، وتركيبها الفني هو بعينه تركيب الأغاني الأندلسية التي كانت سائدة في القرنين الثامن والتاسع الميلاديين ، وشاعت في فرنسا ، ونجدها في انجلترا أيضا في الأناشيد الدينية القديمة التي تمجد العذراء ، وبمناسبة أعياد الميلاد ، وذهبت هذه في تقليد الموشحة أبعد من غيرها ، فاذا كانت الخرجة في الموشحة العربية تجيء في اللغة الرومانثية ، أو في عامية أهل الأندلس ، فكذلك القصيدة الانجليزية تجيء فيها الأغصان باللغة الانجليزية الشعبية على حين يجيء القفل أو البيت الرابع ان شئت ، في اللغة اللاتينية .

● ● ● ●

في البدء واجهت نظرية ريبيرا رفضا شديدا ، مصدره عنصرية تتعالى على كل ماهو عربي ، أو تعصبا دينيا يرفض كل ماهو اسلامي ، أو تعاليا قوميا يدير ظهره لكل تأثير أجنبي ، أو جهلا باللغة الاسبانية وفيها كتب البحث بدءا ، ولكن ما ان أخذ البحث طريقه الى اللغات الانجليزية والألمانية والفرنسية والايطالية مترجما ، حتى تلاشت الصعوبات وتآلف التقنيون الموسيقيون مع النظرية الجديدة ، وأصبحت مقبولة عند قطاع عريض من المؤرخين والدارسين .

بقى أن أشير الى أن البحث لما يترجم الى العربية حتى الآن ، رغم كثرة أقسام اللغة الاسبانية في جامعات القاهرة ، وعين شمس ، والاسكندرية والأزهر .

حاجة تكسف !!

1- Laud, rabel, gaıt, du Izaina , a na fil alboue, adufe



حول أساليب الصراع الفكرى
... التاريخ والواقع
... المطلقات والنسبيات

بقلم : مصطفى الحسينى

عندما كتب طارق البشرى عن ((اساليب الصراع الفكرى)) ((الهلال ـ مارس ومايو ١٩٨٨)) فتح بابا كان يجب ان يفتح ، والخير فوق هذا الخير ان الذى فتح هذا الباب مفكر له وزن طارق البشرى واقتداره واحترامه ، مازالت الجسور بين فكره وبين مايخالفه من فكر ممدودة ، ومازالت ((المناطق الوسطية)) ـ كمااحب ان يسميها ـ قائمة ولعلها فسيحة بين جهده فى المدرسة الفكرية التى ينطلق منها وبين غيرها من مدارس الفكر .

وربما لهذه الاسباب لن يتطرق هذا المقال الى مواضع الخلاف مع ما طرحه فى المقال ، مثل قوله أن « قائمة رصد المشكلات تكاد تكون سليمة وكاملة ، وقائمة رصد الحلول تكاد تكون كذلك » وأن المشكلة هى « فى توصيل المخيوط بين كل من بنود القائمتين » . ففى الحديث عن « أساليب الصراع الفكرى » هذا الخلاف مؤجل ، لان المهم هو الاتفاق على هذه الاساليب حتى لا يتحول النقاش الى سجال ، ويتحول الصراع الى حرب . ولعل المدارس والاتجاهات والقوى الفكرية اذا اتفقت على الاساليب ، أن تباشر اعمالها أولا للاتفاق على تحديد القائمتين على الترتيب وعلى تنظيم الاولويات فيهما ، قبل أن تنتقل الى وسط المخيوط بين القائمتين وصلا سليما .

وربما لهذه الاسباب أيضا لايتطرق هذا المقال من بعض الذى ورد فى مقالة طارق البشرى يحمل شبهة

المصادرة على الصراع الفكرى ، مثل قوله ان « الطريق الى هذه النهاية (« لم شمل هذه الامة وترميم ما انصدع من أبنيتها وهياكلها ») يحتاج الى « نوع من الجراحات الفكرية ، اقرارا عاما ومتبادلا للاصل المرجعى العام للشريعة الاسلامية كنظام قانونى حاكم يهيمن على الشرعية فى المجتمع واقرارا عاما ومتبادلا أيضا لحركة التجديد فى الفقه الآخذ عن الشريعة ، بما يثبت أصولها ويدفع أحكامها فى مجال الاستجابة لتحديات العصر الذى نعيش فيه ، ويقيم منها بصفة خاصة درعا يحمى الجماعة السياسية وترابطها بين المواطنين كلهم ، واقرارا عاما ومتبادلا بحقوق المواطنة التى يتمتع بها الجميع وان اختلفت اديانهم » ٠

لا يتطرق هذا المقال الى مقولة كهذه لان كاتب هذه السطور يتفق معها بكليتها ، وان كان يرى فى ادراجها ضمن سياق الحديث عن أساليب الصراع الفكرى مصادرة على صراع فكرى يفرضه الواقع حولها ٠ فلعلنا متفقون على أن بعض أطراف هذا الصراع الفكرى الذى ننشده قد لا يتفقون عليها كنقطة ابتداء ، وأن هذا يؤدى الى ضرورة أن تكون هى ذاتها من بين موضوعات هذا الصراع الفكرى ٠

وربما للاسباب ذاتها ثالثا ، لا يتوقف هذا المجال عند ادراج مقالة طارق البشرى قول القائلين بأن فى الموروث وافدا وفى الوافد موروثا ، وسيلة فى الحرب الفكرية هدفها « تمويه الظواهر وافساد خصائصها وسماتها الاساسية » لا يتوقف المقال عند تعامل طارق البشرى مع هذه المقولة على هذا النحو ، الا ليقول أن المقولة صحيحة ، وأنها قد تستخدم ذلك الاستخدام الخبيث ، لكن التأكيد عليها لا يفقد ضرورته وفائدته حتى لا يحرم الموروث والوافد من تبادل الافادة والاستفادة ٠

ثم ان هذا المقال ، سيقبل التشخيص والتقسيم الذى اعتمده طارق البشرى عندما تحدث عن « الانفصام الحادث بين تيارات الفكر الموروث وتيارات الفكر الوافد » ، وسينطلق منه فى محاولة لتوسيع مجال هذا الحوار المفيد ٠

— أ —

لعل ثمة خاصية مشتركة بين غالبية دعاة الموروث ودعاة الوافد ٠ هى أن كل منهما يخرج ما يدعو اليه من اطار التاريخ وسياقه ٠

فالغالب أن دعاة الموروث يقيمون الحجة والشرعية فيما يدعون اليه على حد وقوعه فى الماضى ٠ ويفوتهم أن الماضى يستمد قيمته من أنه تاريخ أى من كونه حصيلة التفاعل بين فكرة أو قيمة أو مثال أو هذه جميعا وبين تكوين واقعى معين كان هو النسيج الحى لذلك الماضى ٠ نسيج حى يشمل فيما يشمل ناسا فى مكان وزمان ، ينقسمون على أسس من الثروة كما على أسس من السلطة ، كما على أسس من المعرفة ، بينهم ما يجمعهم وبينهم ما يزرع فى صفوفهم التمايز ، ناس متصلون بغيرهم من الناس قد يخالفونهم فى العقائد ويمايزونهم فى المعارف ، يؤثرون فيهم وبهم يتأثرون، لان العقول لا توصد ، ولان ضرورات الحياة تملى الاستفادة والاستعارة وربما التقليد ٠ وأن المعيار فى قيمة ما حدث فى الماضى يقاس بمقياسين متكاملين : مدى اتساقه مع المثل التى رفع دعاواها من مارسوه (العقيدة) ومدى صلاحه للاتباع مع ما يستجد فى حياة الناس وما يتغير ٠



لكن تجريد الماضى من تاريخيتـــه يحوله كما هو الى عقيـدة أو يلحقـه بأصول العقيدة ، ويخرجه بالتـــالى من آفاق التقييم والمراجعة والنقاش ، يضعه خارج الحجة لانه يصبح هـو الحجة ٠

كما أن غالبية دعاة الوافد ، حولوا بدورهم خبرة الاخرين الى عقيدة ، وتجاهلوا أيضا تاريخية هذه الخبرة، باعتبارها تجربة ناس اخرين يميزهم ويوحدهم ويقسمهم ما يميز النـــاس ويوحدهم ويقسمهم فى المكان والزمان، وتجاهلوا فوق هـذا أن خبرة هـؤلاء الاخرين انطلقت من منظومة مثـــل (عقيدة) تتمايز عن منظومة المثـل (العقيدة) التى ميـــزت تجربتنـا التاريخية ٠ وبدلا من أن يروا فى التجربة التاريخية للاخـرين موضوعا للدرس من منظور تجربتنا التاريخية اعتمدوها مثالا واجب الاتباع ٠

ومن حصيلة هذه الخاصيةالمشتركة بين غالبية دعـاة الموروث وغالبيـــة دعاة الوافد : أن الحقت غالبية دعاة الموروث الماضى بالعقيدة وبغض النظر عن تاريخيتـــه ، أو فى الحقيقة عن طريق اسقاط تاريخيته ، وان اعتنقت غالبية دعاة الموروث تجربة الاخرين اعتناقا عقيديا ، وأيضـــا عن طريق اسقاط تاريخيتها ، وبالاضافة الى ذلك عن طريق اسقاط غربتها أو خارجيتها القيمية ٠

ومن انعكاسات هذه الحصيلة أو هاتين الحصيلتين أن اقـــام دعاة الموروث من حول دعواهم سياجا قوامه الايمان والكفر ومقياسه الحـــلال والحرام ، وأن أقام دعاة الوافد من حول دعواهم سـياجا آخـــر قوامه الاستنارة والكلامية ، ومقيـــاسه العصرية والسلفية ٠

فأوقع كل منهما نفسه وأوقع الاخر تحت الحصار ٠

— ٢ —

لان الغالبية من كـل من دعـــاة الموروث ودعاة الوافد يقيمون دعواهم خارج التاريخ ، فان كـلا الفريقين يسوق حججه خارج الواقع ، تيارات من دعاة الموروث تقيم حجتها عـلى أساس من الاسناد ، ويرون حجيته فى الثقة فى أمانة المسند اليهم وتقواهم وعدلهم ، وبغض النظر عن أنهـذه الثقة هى مسألة تقدير وتقبل الخلاف أحيانا على الاقل ، فان قصـــارى حجية الاسناد مع التسليم بالثقة فى المسند اليهم هى التسليم بأن الواقعة ، التى يتناولها قد حدثت أو أن المقولة وردت ، أما سلامتها فىزمانها ومكانها وظروفها فالحدان اللذان يقررانها هى اتفاقها مع مثل العقيدة من ناحيـة وصلاحها لـــذلك المكان والزمان من ناحية أخرى لانه « جل من لا يخطىء » ٠٠ أما قابليتها للانطبـــاق فى مكان مختلف وزمان مختلف ، فالحـــدان اللذان يقررانهما هما الحدان ذاتهما، مع احتساب تفاوت الزمان وتمـــايز المكان ، وتيارات من دعاة الوافد تقيم حجتها على أساس أنه طالما أن محتوى دعواهم قـد صلح فى مكان آخـــر وأصلحه (وزمان اخر أحيانا) فانها تصلح لكل زمان ولكل مكان ، مع أن قصارى هذه الحجية أنه ما يحتجون عليه قد صلح فى ذلك المكان وفى ذلك الزمان وأصلحهوبالاضافة الى هذا أنه صلح وأصلح (أن كان قد فعل) مع ناس تنتظم وجدانهم منظومة مغايرة من القيم والمثل ٠

واذا دار الجدل خارج الواقع ، فان

الامل فى التفهم أو التفاهم ، وقدر من اللقاء ، ناهيك عن الاتفاق ، هو بعيد ... بعيد ، ان لم يكن سرابا ، لان الواقع هو الذىيقول لتلك التيارات من دعاة الموروث أننا نعيش فى زمان آخر ، فى عصر اخر ، وهو الذى يقول لتلك التيارات من دعاة الوافد أن لنا مثلا مغايرة ، وأن لنا تجربة تاريخية مغايرة ، جديرة بان تحمل الينا تمايزا من الدروس والطرق والاساليب والاهداف .

ولا يقوم أمل فى اللقاء الا اذا أدرك دعاة الموروث مسألة العصر بكل ما تحفل به من مكونات ، والا اذا أدرك دعاة الوافد مسألة تمايز المثل والتراث .

ـ ٢ ـ

من بين ما يغيب عن لغة دعاة العقائد جميعا ـ سواء كانت العقائد ديانات أو نتاجا من فكر البشر ـ أن العقائد مطلقات بينما الحياة نسيج من النسبيات ، وأن العقائد مثل ، بينما حياة الناس فى أفضل ممارساتها سعى الى بلوغ هذه المثل ، وأن المثل بحكم كونها كذلك ليست هى قانون الحياة لانها لو أصبحت كذلك ، أى لو تطابقت الحياة مع المثل بلغت المثل ذاتها غاية وجودها أى نهايته ، وبدأ نزوع الانسان الى مثل أخرى . وأن أعلى المثل ـ الاديان ـ بحكم أنها تحمل اقتناعا بأبديتها غير قابلة للبلوغ بالتمام والكمال . وبالتالى فان مقياس وفاء المؤمن لعقيدته الدينية أن يسعى الى بلوغ ما يستطيع بلوغه منها صادق النية قوى العزم ، وأن حسابه يكون على هذا السعى وصدق النية فيه وقوة العزم عليه ، وليس على ما يبلغه أو يقصر عن بلوغه منها .

لكن أصحاب العقائد هنا ، أو أغلبهم ، يرون المطلق ولا يرون النسبى ، يرون المنتهى ولا يرون السعى اليه ، ولذلك تسرع السنتهم وسباباتهم الى الاتهام والحكم فيه .

وهو ما يوصد أبواب الحوار بل ونوافذه .

ويؤدى الوقوف عند المطلقات ودون النسبيات الى توحيد بين المثل ـ العقائد بين وسائل بلوغها ، فالكل « مقدس » أو « منصوص عليه » .. بينما الوسائل مسائل أى يحق فيها ومن حولها الخلاف ، ويجوز فيها الاجتهاد بل يجب . ولا يسوغ فى الحكم للوسائل أو عليها الا كفاءاتها على الاقتراب من تحقيق المثال ولاى مسافة ممكنة ، والا اتساقها مع القيم الاساسية الاصولية التى يدعو اليها المثال ، أو الا تخدشه .

لكن « تقديس » الوسائل المساقا بالعقائد يقود الى جدل من نوع اللجاجة فى ما هو غير ذى موضوع ، ويقيم جدران التصامم مكان أبواب التفاهم .

وأظننا رأينا هذا ونراه عند تيارات من دعاة الموروث ونراه عند تيارات من دعاة الوافد ، يحضر الى الذهن منهم الماركسيون ، رغم هزات وقعت وزلزلت كثيرا من النظرية أو العقيدة ، أو لولا هزاتمن هذا القبيل.

ان هذا الا اجتهاد يرمى الى رد بعض الحواجز فى طريق الحوار المنشود والمفقود ، ربما أخطأ وربما أصاب ، فغنى عن القول أنه معروض للفحص والتمحيص .

ولا يتجاهل هذا الاجتهاد أن لبعض الحواجز أصول أخرى غير هذه الاصول ، منها جهد أصحاب المصلحة فى الداخل والخارج فى ألا يتحقق هذا الحوار ، ومنها احتمالاتالاختراق التى ربما وقعت هنا وهناك ، هنا أو هناك .



الصراع الفكرى نظرة إسلامية

بقلم : د. محمد سليم العوا

في عددى مارس ومايو الماضيين من ((الهلال)) نشر الاستاذ طارق البشرى دراسة موجزة عن الصراع الفكرى واساليبه .. وخصص البحث لدراسة هذا الصراع وتلك الأساليب فى تمثلهما بين التيارات الفكرية السائدة او القائمة ((الان)) فى بلادنا ..

والموضوع ــ بغير شك ــ جدير بعناية الممثلين لتلك التيارات الفكرية جميعا ، وجدير ــ قبل ذلك ــ بعناية الذين يستشعرون المسئولية العامة عن المساهمة فى الحركة الفكرية المصرية بقصد الاسهام فى تطوير الحركة السياسية الرامية الى تخليص الواقع المصرى ــ بل والعربى الاسلامى ــ الراهن من ((مازق)) يجمع المخلصون على أستحكامه ، وخطورة النتائج المترتبة عليه ، سواء فى المدى القصير وفى المدى البعيد .

ولكل « مراقب » أو «مشارك» أن يصف المأزق كما يراه ، وأن يتمثل الحل كما يمليه عليه انتماؤه أو تجربتــه أو حتى هــواه ٠٠ ويكــون الوصف أو « التشــخيص » ٠٠ والتمثــل أو « العلاج » مقبولين ، وقابلين للنقاش مادامـا ينبعان من البحث عن المصلحة المصرية ــ والعربية والاســلامية ــ العــامة ، ويتجهان الى تحقيقها ٠٠ ويكون الجــدال أو الصراع الفكرى حول هذه « التشخيصات » وما يتصل

بها من « وصفات عـــلاج » جدالا او صراعا بناء ، ومرغوبا فيـــه ، لانه يقود ـ فى النهاية ـ الى تقدمنا ولو خطوات معدودة نحو واقع افضل او خلاص ـ مهما كان مكلفا ـ من مازق حياتنا الفكرية الراهن ٠

والصدع الرئيسى فى حياتنا الفكرية ـ كما يقدمه المفكر طارق البشرى ـ ياتى من المواقف المتبـاينة للتيارات الفكرية الســـائدة حول الشريعـة الاسلامية ، ومدى ما يعترف لها به من هيمنة على الشرعية العليـــا فى المجتمع ٠٠ « وموضـوع الشريعـة الاسلامية هو ميـــدان الالتقـــاء أو الافتراق ٠٠ فينبغى علينا ان نوليـه اعظم عناية باعتباره الشاغل العظيم الذى يتصل بالجماعة السياسية فى بلادنا » ٠

فما الذى تمثله هذه الشريعة ؟٠٠ وما الـــذى يقصده الداعـون الى سيادتها حين يطالبون بان تكون لها الهيمنة على الشرعية العليـــا فى المجتمع ؟ ولماذا يختلف الناس حولها حتى تغدو « موضعا للافتراق » ؟

● منهاج حياة

ان الشريعة الاسلامية ـ بغيـــر دخول فى تفاصيل اصولية او فقهيـة او لغوية ـ منهاج حياة ٠٠ يقدم على نسق عقيدى ، ونظام قانونى ، وفلسفة حضارية ٠

فاما النسق العقيـــدى فعمـــاده توحيد الله تعالى وافراده بالعبادة :

● « ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره » (المؤمنون : ٣٢) ٠

● « وانا ربـــكم فاعبـــدون » (الانبياء : ٩٢) ٠

● « شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط » (آل عمران : ١٨) ٠

والانبيـــاء رســـل من البشر ، اصطفاهم ربهم لتجديد البلاغ وتاكيد البيان لهذه الحقيقة الازلية :

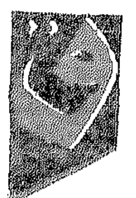
● « الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس » (الحج : ٧٥) ٠

● « وما ارسلنا من قبـــلك من رسول الا نوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون » (الانبياء : ٢٥) ٠

● « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ، والذى اوحينا اليك ، وما وصـينا به ابراهيم وموسى وعيسى : ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، كبر على المشركين ما تدعوهم اليه ، الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب » (الشورى : ١٣) ٠

واما النظـــام القانونى فاساسه تحقيق المصالح البشرية فى مختلف مجالات الحياة ، ولانها ـ بطبيعتها ـ متغيرة تغيرات لا يمـكن حصرها او تنبؤ الناس بما يستجد من احوالها ، فقـــد جاءت الاحـــكام التشريعيـة التفصيلية (اى التى تتضمن حكمـا محددا) محدودة العدد ، مقتصرة على تنظيم العلاقات التى لا تتغيـــر مواقع الاطراف فيهـــا ٠٠ كالزواج والطلاق وعدد قليل جدا من صـــور العدوان على الانفس والاموال ومـا شابهها ٠٠ ثم تركت الامور الاخرى كلها للاجتهاد البشرى فى اطـــار قواعد الشريعة العامة التى تقوم على « تحقيق المصالح ومنع المفاسد » ٠٠ او على تحقيق المصالح فحسب لان « منع المفاسد » يدخـــل فى تحقيق المصالح ، اذ هو صورة من صوره ٠

واما الفلسفة الحضارية فتقوم على وجوب تعمير الكون الذى خلقه الله لاستمتاع الانسان به ، مع مراقبـة



الحلال والحرام المتمثلين فى القيم الاسلامية الآمرة بالمعروف والخير والناهية عن المنكر والفساد والشر ، المذكرة بيوم يرجع الخلق فيه الى الله ليجدوا ثمرة ما صنعوا فى هذه الحياة .

● « هو انشأكم من الارض واستعمركم فيها » (هود : ٦١) .

● « هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا » (البقرة : ٢٩) .

● « وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه » (الجاثية : ١٣) .

● « أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض ، أم نجعل المتقين كالفجار » (ص : ٢٨).

● « أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون ؟ فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم » (المؤمنون : ١١٥ – ١١٦)

● « واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون » (البقرة : ٢٨١) .

● « ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا » (الكهف : ٤٩) .

● الدعوة لسيادة الشريعة

والذين يدعون الى سيادة الشريعة فى المجتمع المصرى – بل فى المجتمعات العربية والاسلامية كافة – أو الذين يريدون أن تكون لها الهيمنة على الشرعية العليا فى المجتمع يفهمون الشريعة فى عمومها وشمولها على النحو الذى « رمزت » اليه رمزا فيما أسلفت .

وهم يقيمون دعوتهم على اعتبارات متعددة : فهم يرون – أولا – أن الايمان بالنسق العقيدى الاسلامى يقتضى الايمان بالنظام القانونى ويقتضى تشكيل السلوك الاجتماعى على فوق قواعده أو ما تؤدى اليه هذه القواعد من أحكام يجتهد الناس – العلماء – فى صياغتها و «اكتشافها» فيتفقون ويختلفون لكنهم لا يتنازعون فى وجوب النزول على حكم الشرع ابتداء وانتهاء

وهم يرون – ثانيا – أن الايمان بالنسق العقيدى الاسلامى يقتضى أن نقيم بناء وجودنا الحضارى على أساس نظرة الاسلام الى العناصر الثلاثة الفاعلة أو المتفاعلة فى هذا البناء : الانسان ، ونشاطه الابداعى ، والكون الذى يتعامل معه ويتحرك فى حدوده .. وهى النظرة التى سميناها « فلسفة حضارية » للشريعة الاسلامية .

وهم يرون – ثالثا – أن من حق الكثرة الغالبة فى أى مجتمع كان – على طول الدنيا وعرضها – أن تعيش حياتها ، وتمارس نشاطها ، وتصنع مصيرها ، وتنشىء أجيالها وفق القيم التى تؤمن بها والعقائد التى تعتقدها، حقا كانت هذه القيم أم باطلا ، وسماوية كانت تلك العقائد أم ارضية .. ومع ذلك فان الامة المصرية منذ حيل بينهما وبين « الديمقراطية » وعاشت تحت ظل التسلط الثورى ، فالنظام الشمولى ، فديمقراطية « الانياب » و « الجرعات » .. حرمت فى خلال هذه المراحل كلها – أن تعيش كما تعيش أمم الارض جميعا فى ظل النظام الذى تختاره الكثرة الغالبة من أبنائها وتؤمن به وتدين

له .. وليس هناك اهدار لتلك « الديمقراطية » أعظم من استخدامها وسيلة لحرمان الكثرة من حقها في الاختيار ، فان تبدى اختيارها فهى محرومة من التمتع بممارسة حياتها على وفقه .. وما يجرى على مصر في ذلك أو يصدق عليها يجرى ويصدق على جمهرة الديار التى تسمى بالوطن العربى وبالعالم الاسلامى .

وهم يرون ـ رابعا ـ أن شركاء الوطن من غير المسلمين ، وعلى الاخص أقباط مصر ، ينتمون الى الاسلام من حيث هو وعاء الحضارة ودعوة التميز بين أمم الارض وشعوبها بقدر ما ينتمى اليه المسلمون أنفسهم من هذا المنظور ذاته .. أما الاسلام من حيث هو نظام قانونى فان حقوق شركاء الوطن فيه من غير المسلمين لا يحفظها نص قانونى تعدله الجماعة كيف شاءت ومتى أرادت ، ولكن يحفظها نصوص دينية تكفل لهم كل ما تكفله الدولة للمسلمين الذين يعيشون فى ظلها اللهم الا ما كان متصلا بالدين نفسه من مناصب واختصاصات ووظائف فبديهى أنه ليس انسانيا ولا معقولا أن يكلف غير المؤمنين بدين ما بممارسة مناصب هذا الدين واختصاصاته ووظائفه ..

وهذه النصوص التى تكفل لغير المسلمين حقوقهم فى الوطن المشترك تستعصى على التبديل والتغيير وفق الاهواء أو الاراء ، بل ان الحاكم الذى يخرج على حدودها يعد مخالفا للشريعة نفسها بما يوجب مساءلته التى قد تبلغ به الى عزله باعتبار مخالفة الشريعة فسوقا مسقطا لحقه فى الطاعة . وليس ذلك غريبا فى دين يتضمن كتابه أنه « لا اكراه فى الدين » ، الامر الذى يجعل طبيعيا أن تعد أحكامه صالحة لاستيعاب مخالفة المخالفين فى الدين ضمن اطاره الحضارى والتشريعى ، والا قضى على نفسه بالعزلة الدائمة ، أو الحرب الدائبة .. وكلاهما لا يقيم حياة ولا يبنى حضارة .

وهم يرون ـ خامسا ـ أنه بقدر ضرورة الالتزام بثوابت الاحكام التشريعية ـ وهى قليلة بصورة مثيرة للتامل ـ ينبغى الاجتهاد فى متغيراتها .. ولا يكفى لهذا الاجتهاد أن ننظر فى أقوال الفقهاء السابقين وننقل بعض اجتهاداتهم ، وانما يجب علينا أن يكون فى كل عصر مجتهدوه الذين يقدمون لاهل عصرهم ، فى ظل ظروفه وفى حدود أعرافه وتطوراته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، أحكام الشريعة النابعة من قواعدها الثابتة ، أو المتفقة معها ، أو الموافقة لها ، أو غير المخالفة لشىء من أحكامها ، بحسب مقتضى الحال ونوع الحكم الذى نحن بصدده ، والواقعة التى يجتهد لمعرفة حكمها من كان مؤهلا لذلك .

وفى الوقت الذى لا نتعبد فيه بنصوص الفقهاء السابقين ولا نجمد عليها ، فان السخرية بها والتهزء بأصحابها والاختيار سيىء النية لامثلة مما سطرته أقلام بعض طلاب الفقه فى عصور الانحطاط العلمى والتأخر الفكرى ثم حمل الفقه الاسلامى كله عليها والتشنيع عليه بها .. كل ذلك سلوك معيب ، ومنهج مرذول يصدق فيه ما وصفه طارق

البشرى بأنه « بحث عن أمراض الطرف الاخر لا لعلاجها ولكن للطعن عليه بها ومحاولة اغتياله منها » .

ولقائل آن يقول الان : ان تكن تلك هى الشريعة ، وذاك معنى هيمنتها على الشرعية العليا فى المجتمع ، فلم يختلف الناس حولها .. وكيف تكون هى موضع الافتراق أو موضع الاتفاق ؟

ان طارق البشرى يرجع ذلك الى شيوع النظرة العلمانية فـ « لقد جاهدنا عشرات السنين لنقيم الجماعة السياسية لدينا بصورتها الجامعة للمسلمين والمسيحيين ولكننا لم نتصل باليقظة وروح الجهاد نفسها ازاء النظرة العلمانية ، فقد تسبب عن شيوعها فتق آخر بين العلمانيين وبين اسلامية المسلمين أو التيار الاسلامى بعامة » .

وموقف العلمانيين من « الاسلامية» موقف معلن وبين ، وليست خطورته متمثلة فى رفض الاسلام من حيث هو دين ونظام شامل على النحو الذى يفهمه عليه ويدعو اليه دعاة « الاسلامية » فحسب ، وانما يزيد من هذه الخطورة أن هناك تعتيما كاملا تقريبا على الدعوة الاسلامية بالمفهوم العقيدى ـ الحضارى ـ القانونى التكامل الشامل ، فهى لا تجد لها منبرا تتقدم منه الى الناس فى طمانينة ودوام يكفلان لها أن تبلغ الى الناس ما ينبغى تبليغه اليهم على نحو من الوضوح والبيان يناسب الافهام كلها والثقافات كلها والاعمار القابلة لان تعى وتفهم كلها .

هذا فى الوقت الذى لا تحصى فيه منابر الفكر العلمانى وصحفه ومراكز التوجيه المفتوحة له .. مع ضرورة حسبان الفارق بين أثر دعوة الى التزام دقيق منضبط فى كل ناحية من نواحى الحياة ؛ ودعوة الى تحرر من كل قيد سوى قيد العقل الذاتى أو الفردى (!) .

ولذلك لا يؤدى شيوع النظرة العلمانية الا الى مزيد من أمراض الصراع الفكرى ومثالب وسائله .. فالقوى الوطنية تمزقها الخلافات اللانهائية ، والافكار يمزقها البحث عن نقائصها ونقائضها ، والتاريخ تلوثه خطايا من عاشوه أو شاركوا فى صنعه فنسب اليهم أو حسب عليهم .. وهكذا تفقد الامة فى النهاية نفسها ، وتقع فريسة سائغة لعدوها الذى أعدت نفسها له وهيأت جسدها لانيابه السامة القاطعة !

ولكن القاء التبعة كلها على « النظرة العلمانية » لا يصف الواقع كله ، ولا يشخص الداء بجميع أعراضه ومظاهره .

فالنظرة الاسلامية ، أو بتعبير طارق البشرى : « الفكر الموروث » لا يؤدى كل الواجب عليه ، ولا يحسن فى أحيان كثيرة اختيار مواقفه ولا تحديد مواقعه .

فالبيان الذى يجب أن يصل الى عقل الامة ، ويطرق سمعها ، ويخايل فى كل مكان بصرها ليس موجودا بالقدر الكافى ولا بالنوع المؤثر .. فالوعظ وحده لا يجدى ، والعيش فى ظلال الماضى ـ جميلا كان أم اليما ـ اهدار للطاقة وتبديد للقوة والانتقاد المستمر للاخرين تأسيسا على أن كل مخالفة مهما صغرت فى الرأى

أو فى الاسلوب هى انعكاس لتأثيرات الصهيونية والاستعمار والصليبية الحاقدة ، ينفر ولا يقرب .

والاصرار فى مجالات القول كلها ومجالات العمل كلها على ارتداء زى واحد لا يتغير ، وترديد مقولات بعينها لا تتبدل ، لا يقنع الذين لم يقتنعوا ولا يعلم الذين يريدون أن يتعلموا .

وغض البصر عن أخطاء المنتمين أو المدعين انتماء الى الاسلام والكف عن التنبيه اليها والتبرؤ منها يحمل الدعاة الى « الاسلامية » الراشدة أوزار هؤلاء وخطايا أعمالهم ، ويشجعهم فى الوقت نفسه على الاستمرار فيها والاستهانة بها .. ولذلك ذم شيخ الاسلام ابن تيمية من « يتعصبون لمن دخل فى حزبهم بالحق أو بالباطل ، ويتعصبون على من لم يدخل فى حزبهم بالحق أو بالباطل » .

والغفلة عن التغير المستمر فى التركيب السياسى والاقتصادى للمجتمع تؤدى الى غفلة أكبر وأخطر فى مجال الدعوة الواجبة ، وفى مجال التعاون المثمر أو العمل الهادىء مع الجماعات الاخرى والاتجاهات المتعددة : سياسيا واجتماعيا واقتصاديا ..

فليس المرض الفكرى المزق فى الصراع الفكرى وأساليبه وحدها ، وانما هو فى الجماعات المتصارعة والتيارات التى تدير هذا الصراع .. من داخلها وبين جنباتها .

واذا كنت قد حاولت لمس بعض مظاهر التقصير التى يقع فيها دعاة « الاسلامية » فلأنهم ـ عندى ـ أولى الناس بألا يقعوا فيها وأحق الناس بأن ينتبهوا اليها .. وليس ذلك تعصبا لفكرة أو تحيزا لجماعة .. وانما ذلك لأن الاسلام هو الرداء الذى يجمع هذه الامة كلها .. وهو الدثار الذى تتخذه لخطوب الايام ، ولاختلاف الليل والنهار ، ولتغيرات الدهر الذى يداول الله أيامه بين الناس .

فاذا كان حملة هذا الرداء لا يقدمونه الى أصحاب الحق فيه ، أو يبخلون به على من يجب أن يشتمل به ، أو لا يعرفون قيمته وسعته ورحابته وجودة مادته حتى انهم يظنونه ثوبا مخصوصا يمزقه أن يحاول الدخول فيه شخصان وهو مخيط بواحد دون الاخر .. اذا كان الامر على أى نحو من هذه الانحاء فيجب على هؤلاء الدعاة أن يعيدوا النظر فى علمهم بما يحملون من هدى، وبما أورثوا من كتاب حتى يعرفوا موقعهم منه :

● « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ، ذلك هو الفضل الكبير » (فاطر ـ ٣٢) .

وأحسب أن الفريقين فى بلادنا ـ مصر بوجه خاص ، والوطن العربى والاسلامى بوجه عام ـ اذا انعموا النظر فى حقيقة ما يدعو كل منهم اليه ، وفى مدى ما يمثل لهذه الامة من « ألم » أو من « أمل » ، وفى الذى يعنيه لها : وجودا ومكانة وحضارة ، أن يكون الغد غده هو لا غد الطرف الاخر .. أحسب ان هما فعلا ذلك أن كثيرا من امراض الذات قد تشفى ، وان بعض اساليب الصراع الفكرى قد تختلف ، وان مشروع « تشييد جسور العمل الوطنى العام » التى يسعى كثيرون الى تشييدها قد يمكن اقامتها او وضع اساسها .. واننا بذلك نبدأ الطريق الى الخروج من « مأزقنا » .



قمة موسكو بين العملاقين ونزع السلاح

بقلم : د. عصام الدين جلال

لايكف الراى العام العالمى عن تاكيد اهتمامه بنزع السلاح وتامين مستقبل الانسانية ضد الدمار الذرى والكيمائى والبيولوجى الى جانب آلات الحرب المتعددة المتطورة فى الجو والبحر والارض ..

ورغم ان معاهدة ازالة الاسلحة الذرية متوسطة المدى من اوروبا لاتغطى الا ٣ فى المائة من جملة اسلحة الدمار الذرية التى تملكها الدول العظمى فان الترحيب باعتمادها عم العالم كله . لان هذه الاسلحة بالذات تؤدى الى زعزعة التوازن والاستقرار فى معادلة التهديد بالدمار الشامل المتبادلة .

ويرجع ذلك الى طبيعة التقدم التكنولوجى التى أزالت الفروق بين أسلحة الدفاع والهجوم الذرى والاسلحة الاستراتيجية والتكتيكية كذلك . فمثلا صاروخ س ٢٠ الروسى والذى جاء بديلا عن س ٤ ـ ٥ اشد قوة انفجارية وتدميرية ولكن الصاروخ الجديد س ٢٠ متعدد الرءوس وأكثر دقة وقابل للحركة ، ومن ثم جعل كل قيادة وعاصمة أوروبية تحس بأنها معرضة للازالة عند بداية اى حرب ومن ثم فى حين كانت النظرة الى صواريخ س ٤ ـ ٥ انها اسلحة ردع اصبحت النظرة الى س ٢٠ انه صاروخ هجوم .

وكذلك صاروخ برشنج الامريكى والذى يمكن باطلاقه من المانيا الغربية ان يدمر مراكز القيادة السوفيتية فى ٣ او ٤ دقائق ومن ثم كان لا يمكن للاتحاد السوفييتى اعتباره سلاحا تكتيكيا حسب العرف العسكرى المتفق عليه بل هو سلاح استراتيجى هجومى وصالح للاستخدام لضربة مفاجئة ومباغتة .

ومن ثم فكل من الطرفين كان لهما مصلحة فى ازالة عوامل عدم



لقاء القمة الاخير .. بين جورباتشوف وريجان

الاستقرار هذه خاصة وان كلا منهما لازال يحتفظ بـ ٩٧٪ من قـــدرته التدميرية الساحقة وهى كفيلة بتدمير العالم ـ العدو منها والصديق ـ عدة مرات ٠

اما الصواريخ السابحة المنطلقة من الارض لمسافات طويلة فهى ايضا اسلحة عدم استقرار لانه بالاضـافة الى دقتها وقدرتها على التدمير الشامل فهى سهلة الاخفاء والتضليل ورخيصة الثمن نسبيا مما يتيح انتاج اعـداد كبيرة منها لا يمكن للخصم حصـرها

● رقابة صارمة

وفى العصر الذرى لا يمكن قبـول سلاح تدميرى لا يمكن مراقبته وحصره بل ان كل خصم له مصلحة فى توفيـر المعلومات الدقيقة والرقابة للطـــرف الاخر حتى لا يثير مخاوفه وشـــكه مما يدفعه لهجوم مفاجىء ٠

وفى الدورة الاستثنائية للجمعيـة العامة المخصصة لنزع السلاح والتى عقدت اخيرا فى نيويورك تصر الدول التى ليس لديها اسلحة ذرية بوجـوب تخفيض الترسانة الذرية على الاقـــل بواقع ٥٠٪ لان ١٠٪ اكثر من كافية لضمان القدرة لكل طرف على تدميـر الطرف الاخر وحلفائه وجيرانه ٠ كما تصر الدول المحايدة على اثارة مشاكل الحروب المائة والخمسين التى اجتاحت العالم الثالث فى العصر الـــــذرى واصابته بالخسائر والدمار ، الضحايا بما يفوق ما سببته الحرب العالميـة الثانية وتهور الدول الازمات المستعصية التى تتحمل الدول الكبرى مسئوليات مباشرة عن تأسيسها مثل احتـــلال فلسطين واستعباد جنوب افريقيـــا



والمسئولية السافرة للولايات المتحدة والدول الغربية وكذلك الحروب الاهلية المدمرة فى امريكا الوسطى ونيكاراجو والحرب فى افغانستان التى استجاب الاتحاد السوفييتى اخيرا لمطالبة دول عدم الانحياز بانسحاب جيوشه منها .

وفى الحقيقة لا ينتظر ان يتحسن موقف امن الدول الصغرى من جراء قمة موسكو والتفاهم السوفييتى الامريكى ولا من جراء قرارات الدورة الخاصة للجمعية العمومية للامم المتحدة والتى تؤكد ان الدول الكبرى لن توليها عناية اكثر من الدورات السابقة ومن ثم ستبقى قرارات سياسية غير قابلة للتنفيذ .

ان تخفيض الاسلحة الذرية على اهميته القصوى لا يكفى لتوفير الامن للدول الصغرى فى العالم الثالث والتفاهم او الخلاف بين العمالقة ليس فيه اى ضمان لذلك .

لان اساس امن هذه الدول لاوجود له . وهذا الاساس هو نظام امن عالمى يرتكز الى احترام للقانون الدولى ولمبادىء العدالة والمساواة فى ميثاق الامم المتحدة ، وقد وضع حد الاحتكار الدول العظمى لحرية التصرف بما يخالف هذه الاسس الاخرى على احتكار وشلل مجلس الامن والامم المتحدة والمنظمات الاقليمية مثل منظمة الوحدة الافريقية والجامعة العربية .

وأسس النظام الامنى العالمى لابد وان تعطى القدرة للامم المتحدة لمنع اى من الدول العظمى من فرض حلول غير عادلة وفردية فى اى نزاع اقليمى ، وفكرة المؤتمر الدولى للمشكلة الفلسطينية هى تطبيق لهذا المبدا ومحاولة لوضع حد للدور المخرب الذى قامت به الولايات المتحدة بمساندة اسرائيل فى عدوانها وهمجيتها .

وأساس اخر من اسس النظام الامنى العالمى هو منع تدخل الدول الكبرى لشل محاولات الخصوم فى نزاع اقليمى للتوصل لحل عادل لمشاكلهم كما تحاول دول امريكا الوسطى ايجاد حل لو منع تدخل الدول الكبرى من عرقلته .

واساس اخر هو وقف التدخل المباشر وغير المباشر لاشعال الخلافات والحروب كما حدث فى افغانستان وما حدث فى حرب الخليج وما حدث فى حروب فلسطين وما يحدث فى جنوب افريقيا واسيا .

ايضا تدعيم دور الامم المتحدة وميثاقها واحترام قراراتها واتجاهات الرأى العام العالمى فبدون نظام وقانون وادارة دولية ستبقى الدول الصغرى وامنها نهبا للضياع الذرية ، وستشتعل الخلافات بينها ومنها الخلافات العنصرية والفئوية وتستنزف موارد الجياع والفقراء فى شراء كميات هائلة من الاسلحة لا تحقق للدول الصغرى امنا ولا استقرارا ولا تنمية .

فهل يمكن ان نفاجأ بالمستحيل وهوان هذه الاجتماعات العليا ستضع يوما ما حدا لقانون الغاب فى العلاقات الدولية وتنتقل بالحضارة الانسانية خطوة بحيث تسود بين علاقات الدول الاصول الحضارية وهى القانون والعدالة واحترام القيم الانسانية .

حوار الوردتين

شعر: محمد محمد السنباطي

ماذا تقول الوردتان ؟
(احداهما آدميّة)
ينساب مابينهما نهر من الحنان
والشاعريـة ..
تأرجح الجمال فوق كفتيهما
وبعدها رنا اليهما
وقال : أنتما ـ بلا مبالغة ـ
سعادتى الخفية
لكل منكما لغة
وأبجدية
حروفها عطر ، تبسم ، تلعثم حيناً .
وضحكة اذا استحمت بالدموع أو بحبات الندى
تلفت الحنان فى العيون ، وارتدى
درب قميصه العشبىَّ والمخملا
والوردتان : يصعد العبير
يهبط العبير .. من .. إلى ...
من منهما التى تعرفت على الربيع أولا ؟!



في الذكرى السابعة لوفاة الروائي

يحيى الطاهر عبد الله

الجنس والثأر في قصة الدف والصندوق

بقلم: د. ناجي نجيب

بعد رحيله عن عالمنا ، ترك فقيد الأدب والنقد الدكتور ناجي نجيب هذا المقال ، بعد أن ظل يكتب إلى آخر أيام حياته ، ويدور مقاله حول يحيي الطاهر عبد الله ، الذي رحل عن عالمنا في شهر يونيو سنة ١٩٨١ .

لقد رحلا في سن الأربعينيات ، وقبل مرحلة العطاء الكبير ، وتركا ـ كل في مجاله ـ عطاءً مهماً ومتميزا ، الأول مات في الغربة والثاني رحل بعد حادث في طريق الواحات .. وراحل يكتب عن راحل .

"الكون عاكف عن الكلام ـ منذ أمس ـ والأشياء أيضا تحدثت مع مريم على هواها وقد عادت من النهر ، أنفجر ثديان كانا مخبوءين طوال أربعة عشر عاما هي عمر مريم اليوم .

تركت مريم الجرة تطفو فجرفها سطح الماء المتحرك ، لمت ذيل ثوبها ـ كي لا يبتل ـ وأنامته بين فخذيها وضغطت عليه ، خاضت في الماء بتعثر حتى لحقت بالجرة وأمالت عنقها ، جرى الماء في العنق الى الجوف وهو يقول : بك .. بك ..."

في "الدف والصندوق" يمزج يحيى



يحيى الطاهر عبد الله

د . ناجى نجيب

الطاهر بين تفتح الجنس والثأر ، بين مريم وصالح . فلحظة الثأر تحين فى اليوم الذى تصبح فيه مريم انثى .

منذ أن ولدت لم تعرف مريم غير أخيها صالح وأمها تفيدة . قُتل "الأمين الطواب" والدها وهى ثمرة فى رحم الغيب اردته رصاصة خاطئة ، فهجرت الام قرية "الكرنك القديم" . طلقت العمران ، وبنت بيتا منعزلا فى "حوض الخمسين" ، فى الأرض الواسعة التى خلفها زوجها القتيل ، ومنذ مقتل زوجها لم تغادر الدار .

قُتل الأمين الطواب ، ولكنه لم يخلد الى الأموات ، مازال هو السيد الذى يحرك كل شىء طالما لم يُقتل قاتله ، مازالت حياة الآخرين رَهْناً بالأب الغائب . توقف الزمن عند اللحظة التى سقط فيها . فأى قوة تلك التى تُوقف الزمن عند هذه اللحظة إلا أن يكون قتل الأب هو اعتداء على حرمة الحرمات ، على الأب الإله ، وعلى الأم ، أم هى شهوة الانتقام !

عادت مريم من النهر بصدر مبتل ، وقد استيقظ فى اعماقها الجنس .. وحين تبصر الأم هذا الصدر المبتل ، تعى وتفهم ، ولكن لسانها ينعقد . تعجز عن الحديث ، فتصنع بهذه الغفلة ذلك الحاجز الذى يعوق التواصل بينهما . تدرك الأم فى مرآة ابنتها أنها تتحول سريعا الى امرأة عجوز ، ولكنها مازالت تدير دفة الأمور . وفى نفس اليوم تصيح فى ابنها بصوت مخنوق حاد : "الليلة .. الليلة .. يموت شبيب الليلة .. لتعرف روح أبوك ياصالح الراحة وتذوق نوم الميتين .. الأمين أبوك .."

فليست شهوة الانتقام هى التى تحرك الأم فحسب ، وإنما هو شىء بعيد الأغوار يتخطى عالم المحسوسات (ويبرز هذا البعد بوضوح فى قصة "المهر" التى يتابع فيها يحيى الطاهر وقائع "الدف والصندوق" ، ففى أُذُن صالح الكامن فى الظلام تحت شجر النخيل ، انتظاراً لمرور

الجنس والثأر
في قصة الدف والصندوق

شبيب ، تتردد كلمات أمه "قاتل أبوك عدوك ليوم الدين" ، "اقتل شبيب .. قتل أباك .. نام مع امك ثم تزوج غيرها" والعبارة الأخيرة بمعنى أن قتل الأب هو اعتداء على حرمة الأم ، وليس بمعناها اللفظى ، **ثم إن صالح فى هذا المجتمع القديم ليس ابن ابيه ، وإنما ابن تفيدة فحسب طالما لم يأخذ بالثأر** . ولكن فى الأمر ظلما وخداعا عظيمين ، فالقاتل مجهول . شبيب لم يقتل الأمين ، وإنما قُتل الأمين خطأ ، لأنه كان يركب حمار شبيب الأبيض ، وبهذا يحدث صالح نفسه

"كان الظلام ، وكان شبيب صديقا لأبى .. وكان أبى يركب حمار شبيب الأبيض ، والرصاصة المجهولة كان مقصود بها شبيب .. حين سقط الحمار الأبيض سقط أبى ، والثأر هو رأس شبيب ارميه فى حجر أمى ."

هو فى دخيلته رافض لهذا الجور ، "غائب ومجبر على الحضور" ، ضحية لميراث أصم ثقيل : لذلك "القديم الغابر المتقيح المكوم على الصدر .. هكذا لتجرى الكلمات بطرقات الكرنك القديم .. مجنونة تلطم الحوائط .. تهز جدران العالم الأربعة .. تدك جدران الحجرة التى تحوطهم"

ولكن لماذا الليلة دون غيرها من الليالى ؟

● أحداث الماضى

فى هـذه الليلة تستيقظ أحداث الماضى ، وتجتمع شخوص هذه الدراما القديمة : الأم والابن والابنة وسعيد ابن الخالة ، والأب المقتـول ممددا بين شجيرات العدس الصفراء فى حوض الخمسين . تجمع الحاضرين وشائج ظاهرة وأخرى خفية ، شعـورية ولا شعورية .

يقبل سعيد على الدار ، ومعه السلاح ، الذى على صالح أن يقتل به قاتل أبيه ، وحين يبصر مريم ، يدرك أنها قد أصبحت عَرُوسا ، فيتراءى له حلم الزفاف بها ، أما مريم فيفزعها حضور سعيد هذه الليلة ، ينفرها وجوده ، وتحدث نفسها فتقول "يقصدون العبيط يصبح سيدى وله الكلمة .. هو الراجل !"

مريم جزء من الصفقة التى تعدها تفيدة . فقد ارتكب سعيد الصعاب وأحضر السلاح ، وستزفه تفيدة ابنتها ، على الرغم من أنه أبله وقبيح ، كما يبدو لها حين يبتسم .

ومن البين ـ وهذا هو محور القصة ـ أن هناك روابط شبقية عميقة تربط مريم بشقيقها صالح . ففى غياب الأب ، وفى تلك العزلة التى نشأت فيها ، كان صالح موضوعا للإثارة الجنسية ، كان من ضـرورات نموهـا النفسى والجنسى (**والانجذاب الجنس الى المحارم هو عنصر قصصى دال فى قصص يحيى الطاهر عبد الله . والانجذاب الى**

المحارم أشد فى الدوائر الاجتماعية المغلقة عنه فى الدوائر الأخرى ، وإن غلفه الصمت ، وإن انتفى من الوعى تحت نواهى التحريم الصارمة) .

يتشكل نسيج القصة الداخلية من خلال تتابع من الإيماءات والصور الحسية والأخيلة التى تجسم هذا التعلق الشبقى الانفعالى بين مريم وصالح ، وأخيرا يرتفع النقاب عن هذه الرابطة الخفية فى الحلم الذى تنتهى به القصة والذى تبلغ به ذروتها . أما وقائع هذه الليلة فهى الإطار الخارجى الذى يغلف هذا الصراع الخفى .

من "فسحة" جانبية تتابع مريم ما يدور فى "الغرفة البحرية" بين أمها وبين صالح وسعيد ، وعلى الرغم من أن الحجرة مغلقة ، فهى حاضرة بينهم ، وتعرف ما يدور . الأم تطالب برأس شبيب ، وصالح مطرق صامت ، تعصف به شتى المشاعر المتضاربة ، ومريم فى حلم من أحلام اليقظة بصحبة صالح فى مغارة أو مكان . ضيق ومعتم ، وسعيد خلفهما : "كان سعيد يطاردهما وهى خائفة .. كانت ملابسها قد تمزقت" .

وبمقدار ما تلح تفيدة وتطغى بالكلمات والصمت والنحيب ، يحس صالح بضغط ذلك الشىء الغليظ القديم ، وتحتدم نفسه بالخنق والكراهية ، وتتجسم فى وجدان مريم الاشباح والمخاوف ، وتطفو تلك الرابطة العميقة التى تربطها بصالح على السطح ، فأمها ستفرق بينها وبينه . إنها تريد الانطلاق ولكنها لا تستطيع ، وتحاول التسرية عن نفسها بالدموع ، ولكن البكاء يمتنع عليها ، وتحس بالاختناق فى هذا الجو الفاسد :

"امسكت بالثوب شقته الى نصفين وانفجر ثديان (أربعة عشر عاما .. يمامتان فزعتان تأهبتا للانطلاق ، لكنهما محشوتان من الداخل برمل وحصى ساخن" .

وفى "الغرفة البحرية" تترنح وتسقط فى شبه غيبوبة وهى تهذى باسم صالح ، فامها تسوق صالح الى الموت ، وأخيرا يغلبها النوم والحلم .

فى الحلم ترتفع المحاظير ، ولكنها ترتفع بقدر فحسب . يظل الرقيب الداخلى فعالا ، وإن تعطلت فى هذا المجال المقاييس والمفاهيم المألوفة ، فالحلم يلمح ولا يصرح ، ويعبر بالصور والألوان والأشكال الغريبة ، وعلى غرابة الصور نتبين من السياق تلك الأحاسيس والقوى التى تتجاذب مريم : الشعور بالمطارة والدنس والألم ، ثم التطهر والانفراج أو الراحة . والذى يولد فى وجدانها تلك الاحاسيس المزدوجة هو صحو الجنس وما يرتبط به من شعور بالذنب .

وفى هذا العالم السحرى أو فوق الحسى تتكشف تلك الرابطة الشبقية أو الجنسية التى تربط مريم بشقيقها ، إنها تنتمى اليه وهو ينتمى إليها . فعالم الحلم لا يخضع لأحكام عالم الأحياء الواقعى ، ولا خطر فيه من تحقق هذه الرابطة (بمعنى أن تحقيق هذه الرابطة غير قائم) . الحلم بهذا يخفف من عبء الواقع ويؤدى وظيفة تعويضية .

بعد التطهر فى النهر يلم بها "شعور جديد وحار .. وراحة مخبوءة" . ويقودها الآن صالح خلال عالم الأسرار السفلى : يمسكها بذراعيه ، وينزلقان خلال هوة عميقة مظلمة غائرة الجوف . وينزاح عنها الخوف وتضحك فى صفاء · "قالت له

وهى تضحك .. إنها كانت خائفة لأنها لم تكن تعرف أنه هو" . فمن هو ، هذه هى وسيلة الحلم فى التصريح أو الافصاح .

لقد حاولنا فى السابق أن نوضح بنية هذا الحلم ، ولكن أى تفسير لا يرتفع الى لغة هذا الحلم الفريد الذى تنتهى به هذه القصة الفريدة .

"وكانت مريم غير قادرة على الصراخ أو حتى على الحركة ونوم ثقيل قادم لا تريد أن تسلم نفسها له .

اعطته يدها .. تأرجح كثمرة صلبة .. سمعت صوت دف وندب معولة وصوت قفص يتكسر .. جرت على الأرض الدامية .. الحصى لامع وخشن ويؤلم قدميها . هى خائفة من ذلك الذى يتبعها فى فضاء شديد الزرقة .. طائر محموم مقطوع الرأس ريشه شديد البياض يصبغه الدم .. استقام النهر لعينيها .. وانكسر بصرها أمام سطحه المتوهج الاحمرار .. طفت صابونة على السطح .. تولاها فرح أطفال .. وقذف النهر فوق سطحه بألياف النخيل وبعلق كثير أحاط بها وغطى فخذيها العاريتين .. كانت عارية .. السواد زال من ثدييها عندما غطتها رغوة الصابون .. البقع السوداء كانت ثابتة بين فخذيها وتحت ابطها .. الألياف خشنة والدم حار وتدفقه لا يجعلها تشعر بأدنى ألم .. شعور جديد وحار .. وراحة مخبوءة .. عاد الوهج الأحمر يضىء من جديد .. برهان مفاجىء عكسه سطح الماء وتراجعت له جفونها .. أطبقت على نظرها المنكسر .. أمسكها من الخلف .. بكلتا ذراعيه القويتين .. لامس صدره ظهرها .. كان يغطيه الشوك .. وهى معه ـ كانا يتدحرجان .. كانت الهوة عميقة ومعتمة وغائرة الجوف .. كان الافق بسمائه الزرقاء وقمره البارد ونجومه اللامعة منطبقا على أحراش الأرض ورملها الحار .. لم تعد خائفة . حيث هما يتدحرجان .. ظلت تضحك فى جلجلة وجهه الآن .. إنها تعرفه .. قالت له وهى تضحك .. إنها كانت خائفة .. لأنها لم تكن تعرف انه هو" .

يعنون يحيى الطاهر عبد الله قصته : "الدف والصندوق" ، و"الدف" هو دف الزفاف ، و"الصندوق" هو الصندوق الخشبى التقليدى التى توضع فيه ملابس العروس . ومن البين أن مفهوم "العرس" فى إطار المجتمع أو التكوين الاجتماعى الذى تصفه القصة متعدد المستويات : **فصحو الجنس هو عرس الحياة ، والثأر هو عرس الميت المقتول ، ومن ثم كان الترابط بين تفتح الجنس والثأر** . على أن "مهر" عرس المقتول فادح ومرير ، والذى يدفع هذا "المهر" هو الابن صالح ، وأيضا مريم التى حرمت الأب ، ومن هذه المستويات المتداخلة تشكلت تلك الرابطة الدفينة التى تربط الأخت والأخ .

ومن البين أن يحيى الطاهر عبد الله كان يزمع نسج رواية فى فصول أو وحدات حول قصة "الدف والصندوق" . ولكنه لم يكتب منها غير فصلين ، وهما "المهر" و"الجثة" .



ليلة القبح

قصة مترجمة

تأليف: ماريو بنيديتي (الأورجواي)

ترجمة: طلعت شاهين

كلانا قبيح الوجه ، قبحا غير عادى ، هى كانت لها وجنة عميقة ، كاثر لعملية جراحية ، عندما كانت فى الثامنة من عمرها ، اما العلامة البائسة بالقرب من فمى فقد جاءت على اثر حريق وحشى ، حدث فى بداية مراهقتى .

ولا يمكن تجاهل ان لنا عيونا واثقة من نبل المسألة الأوربية التى نزعت منا كل جمال، لا، هذا لا يمكن تعليله كذلك فعيونها تماما كعيونى مليئة بالاحساسيس الرقيقة وربما كانت فقط تعكس القليل من سوء حظنا ، وربما كان هذا السبب الذى وحدنا ، وربما كلمة « وحدنا » ليست الكلمة المناسبة ، انا اشير الى الكراهية التى يشعر بها كلانا تجاه قبح وجهه .

لقد تعارفنا على مدخل السينما ، كنا نقف فى طابور لمشاهدة فيلم ، هناك فحص كل منا الاخر ، دون احساس بالحب ولكن بتضامن مظلم، هناك بدأ احساس كل منا بعزلة الاخر ، من النظرة الاولى ، فى الطابور كان الجميع يكونون ازواجا ازواجا، وكانوا يشكلون تناغما بشكل لافت للنظر ،

ليلة القبح

ازواج، عرسان ،عشاق، كل منهم يحتضن الاخر او يمسك بيديه ، كل شاب الى جانبه امراة ، فقط هي وانا كانت ايدينا طليقة متشنجة .

تأمل كل منا بشاعة الاخر ، بعجرفة وفضول جريت بعيني على وجنتها العميقة الخشنة ، مما جعلني اشعر بخدي المكرمش ، هي لم تخجل، اعجبتني جراتها ، كانت ترمقني بنظرة متفحصة، كانت تتفحص وجنتي الملساء الخالية من الشعر ، تلك العلامة التي بقيت من الحريق القديم .

اخيرا دخلنا ،جلسنا في مكانين مختلفين ، لكنهما على مسافة قريبة ، هي لم تكن تستطيع ان تراني ،اما انا ، فقد كنت في الظل، وكان يمكنني ان اميز عنقها بشعره الاشقر ، اذنها الرقيقة ، الحسنة التكوين ، لقد كانت الاذن الموجودة في الجانب الطبيعي .

طوال ساعة واربعين دقيقة ، كنا معجبين بجمال البطل ، وبمسحة الجنس الرقيقة ، على الاقل كان باستطاعتي ان اعجب بالجمال ، اما الكراهية فقد كنت احتفظ بها لوجهي ، واحيانا من اجل الله ، وايضا كنت اكره الوجوه القبيحة ، ربما كان علي ان اشعر بالشفقة ، تجاه الوجوه القبيحة الاخرى ، لكني لا استطيع ذلك ، في الحقيقة كانوا كالمراة بالنسبة لي ، احيانا كنت افكر ، اى شىء كان يمكن ان يحدث لو ان اسطورة نرجس كانت لوجه قبيح او على الاقل كانت له وجنة عميقة،او اخرى احرقها الحامض ، او انه كان بنصف انف او اصيب بكسر في جبهته .

انتظرتها عند الخروج ، سرت الى جانبها عدة خطوات ، وبعد ذلك حدثتها ، عندئذ توقفت ونظرت الي، شعرت بانها مترددة ، دعوتها لنتحدث فيمقهى او محل حلوى فوافقت على الفور .

محل الحلوى كان غاصا بالزبائن ، لكن لحظة دخولنا خلت مائدة ، وعندما مررنا بين الزبائن ، كنا نشعر خلفنا بالاشارات والاحساس بالمفاجاة ، لقد كانت دائما قرون استشعاري مستعدة لالتقاط هذا الفضول ، انه الاحساس السادى للذين لهم وجوه طبيعية ومتناسقة ، لكن هذه المرة لم اكن في حاجة الى هذا الاحساس ،فقد استطاعت اذني ان تلتقط المهمهمات ، القحقحة ، والبحات المصطنعة ، وجه مرعب وحيد يثير الفضول،لكن وجهين قبيحين يشكلان فضولا اكبر ، شيء متكامل ، شيء يجب ان يشاهد مع الاخرين ، الى جانبرجل او امراة، هذه الاشياء تستحق ان نشارك فيها الاخرين .

جلسنا ، طلبنا كاسين من الجيلاتي ، وهي كان لديها الشجاعة (وهذا اعجبني ايضا) فاخرجت من حقيبتها مراة صغيرة ومشطت شعرها ، شعرها الجميل سالتها :

- فيم تفكرين ؟

وضعت المراة في الحقيبة وابتسمت ،البئر العميق في وجنتها تغير وضعه .

قالت :

- مكان مشترك ، اى مكان .

تحدثنا طويلا ، بعد ساعة ونصف طلبنا قهوة لاستمرار جلستنا الطويلة ، فجاة شعرت اننا كنا نتحدث بصراحة

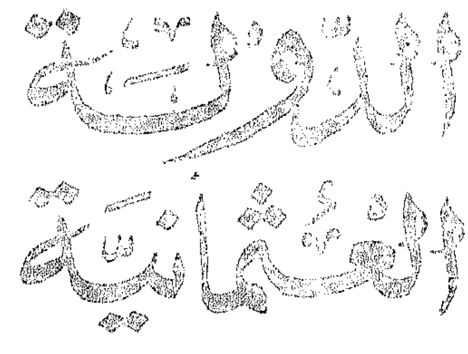
مؤلة تهدد الجـدية ، وتتحول الى ما يشـبه النفاق ، فقـررت ان اتجه الى الهدف مباشرة
– انت تشـعرين بالعزلة في هذا العالم، اليس كذلك ؟
قالت وهى لا تـزال تنظر الى :
– نعم ٠
– بالطبع انت معجبه بذوى الوجـوه الجميلة والطبيعية ، وتتمنين ان يكون لك وجـه طبيعي كوجه تلك الفتـاة التى على يمينك ، رغـم انك ذكية ، وهى لو حـكمنا بالنظرة الاولى تبـدو ظاهرة الغباء ٠
– نعم ٠
ولاول مرة لم استطع ان أؤكد نظرتى ٠
– انا ايضـا اتمنى هذا ، لكن هناك احتمال واحد ، اتعـرفين ذلك ؟ وهو ان نصل الى شيء معـا ٠
– ما هو هذا الشيء؟
– مثـل ان نحب بعضـنا البعض ، او نصـل الى نوع من التفاهم ، سمه ما شئت لكن هناك احتمال واحد فقط ٠
قطبت جبينهـا ، لم تكن ترغب فى استيعاب الفكرة ، فكرة الامل فى اى شيء ٠
– عديلى الا تاخـذى المسالة على سـبيل الهزل ؟

– اعدك ٠
– الاحتمـال الوحيد هـو ان ندخل الليل ، الليل الكامل ، بـكامل ظلمته ، هل تفهمين ما اعنى ؟
– لا ٠
– يجب ان تفهمينى ، الظـلام الكامل حيث لا تستطيعين ان تريني، ولا اراك ٠ لك جسـد جميل ، هل تعرفين هذا؟
ابتسمت، فتغير وضع العمق فى وجنتهـا واصابه الاحمـرار القرمزى ٠
انا اعيش فى شـقة صغيرة ، بالقـرب من هنا ٠
رفعت رأسها متسائلة ونظرت الى ، فىمحاولة للتعرف على ، محـاولة يائسة ، للوصـول الى تشخيصى ٠

– هيا بنا ٠
لم أطفىء النـور فقط ، بل احـكمت الستائر المزدوجـة على النوافـذ ، كانت تتنفس الى جوارى ، لم يكـن تنفسها مجهـدا ، لم ترغب فى ان اساعدها على نزع ملابسها ٠
انـا لم اكـن ارى شيئا ، لكنى اسـتطعت ان اشعر انهـا كانت ساكنة تمـاما بلا ادنى حركة ، كانت تنتظـر ، مددت ذراعى بحـرص شديد ، الى ان التقيت

بصدرها ، لمسـة يدى نقلت اليها شـعورا بالانتعاش ، والجراة ، وعبر يدى شاهدتاجزاء جسدها ، ويداها ايضا شاهدتا جسدى ٠
فى هذه اللحظة كان على ان ابدأ وانتزعهـا من هذه الاكـذوبة التى صنعتهـا بنفسى ، او حاولت ان اصنعها ، من كل شيء كالبـرق ، لـم نكن كذلك ، لم نـكن كذلك ٠
كان على ان استخدم كل ما لدى من شجاعة، وفعلت ذلك ، زحفـت يدى ببطء ، باتجـاه وجهها ، التقت بالجـزء الغائر المرعب ، وبدأت عملية مداعبة بطيئـة ، فى الحقيقـة مرت اصابعى عدة مـرات على دموعها (كانت من البداية مرتعشة ثم بعد ذلك تقدمت بشجاعة)٠
وفى اللحظة التى لم اكن انتظرها ، وصلت يدها الى وجهى ،ومرت واعادت تمريرهـا على الجزء المحتـرق من وجنتى ، ذلك الجـزء الاملس الخـالى من الشـعر ، علامة الاحتراق التى فى وجهى
فظللنا نبـكى حتى الفجر ، كتعسـاء ، كسعداء ، بعـد ذلك وقفت انا ونزعـت الستائر المزدوجـة عن النوافذ ٠





اذا كان عثمان مؤسس الدولة العثمانية قد تولى عام ١٢٨١ وحكم ٣٧ سنة واحاط نفسه بعلماء ومشايخ قبيلته الذين كانوا يعنون بحفظ القرآن الكريم ، وتحفيظه ، ومن هنا نعلم متى بدا العثمانيون الاهتمام باللغة العربية .

بقلم: د. محمد حرب

ومع تولى أورخان بن عثمان، خرج التعليم من المسجد اذ فتح العثمانيون فى السنة الثالثة من حكم أورخان يعنى فى عام ١٣٢٧ م مدينة ازميد وفتحوا فيها أول مدرسة فى تاريخ الدولة العثمانية (ولم تكن قد أصبحت دولة بعد لانها لم تكن وقتها أكثر من امارة) وهذه المدرسة هى « مدرسة ازميد » . وكان أول مدرس بها هو داود القيصرى . وكانت الكتب المقررة فيها — وبالتالى فى المدارس العثمانية المتعاقبة — فى مادة التفسير : كتاب الكشاف عن حقائق التنزيل ويعرف اختصارا باسم تفسير الكشاف ومؤلفه هو أبو القاسم جار الله محمود بن عمار الزمخشرى العالم المعروف فى نحو اللغة العربية والتفسير والحديث والفقه . وكتاب انوار التنزيل وأسرار التاويل والمعروف باسم تفسير القاضى البيضاوى ومؤلفه ناصر الدين سعيد عبد الله بن عمر البيضاوى . وفى مادة الحديث النبوى : الكتب الستة الصحاح وهى الجامع الصحيح للبخارى ثم الجامع الصحيح لمسلم والجامع الصحيح للترمذى وسنن ابن ماجه وسنن أبى داود والسنن الكبير للنسئى ، ومصابيح السنة لحسين بن مسعود الفراء البغوى .

فى مادة الفقه كانت المدارس العثمانية تدرس كتاب الهداية لشيخ الاسلام برهان الدين على بن أبى بكر المرغنانى ، وكتاب الوقاية لبرهان الشريعة ، والعناية فى شرح الوقاية لعلاء الدين على بن عمر الاسود ، ومختصر القدورى لاحمد بن محمد

القدورى البغدادى وكتاب الفرائض لسراج الدين محمد السجاوند ويعرف الكتاب باسم فرائض السراجية • وفى أصول الفقه كانت الكتب المقررة هى التلويح للتفتازانى ومنار الانوار للنسفى والمغنى لجلال الدين عمر ، ومختصر ابن حاجب • وفى العقائد كتاب القاضى الايجى وكتاب النسفى والطحاوى • وفى علم الكلام تجريد الكلام للطوسى وطوالع الانوار للبيضاوى والمواقف للايجى • وفى علم البلاغة كتاب مفتاح العلوم للسكاكى وتلخيص المفتاح فى المعانى والبيان للقزوينى ، وفى المنطق كتاب الايساغوجى والشمسية والغرة فى المنطق للشريف نور الدين محمد ابن السيد الشريف الجرجانى ، وكتاب مطالع الانوار للقاضى سراج الدين الارموى ، وفى الفلك كتاب المخلص لمحمود بن محمد الجغمينى •

***

اما فى اللغة العربية - كمادة مستقلة - فكانت على قسمين : الصرف ويدرس فيه كتاب أساس التصريف لشمس الدين الفنارى والشافية لابن حاجب والعزى للشيخ عز الدين أبو الفضائل الزنجسانى وكتاب المقصود وينسب الى أبى حنيفة النعمان ، وكتاب مرح الارواح لاحمد بن على بن مسعود • اما فى النحو : فقد كانت الكتب المقررة هى : ألفية ابن مالك والعوامل للشيخ عبد القادر الجرجانى والكافية فى النحو لابن حاجب وشذور الذهب لابن هشام وقطر الندى لابن هشام • ومغنى اللبيب • وكتاب الاعراب عن هقائد الاعراب ، والمصباح للماتريزى •

وفى وثيقة عثمانية مؤرخة عام ١٥٦٥ (٩٧٢ هـ) برقم ٢٨٠٣ - فى ارشيف طوبقابو فى استانبول قائمة بالكتب الموزعة على المدرسين فى المدارس العثمانية وبيانها كالتالى : فى التفسير : الكشاف - قطب الدين - سعد الدين - القاضى البيضاوى - القرطبى - الكاشانى - الاصفهانى - وفى الفقه واللغة : الهداية - النهاية - غاية البيان - قاضى خان - البزدوى - النووى (شرح مسلم) •

● مكانة مرموقة

وفى مجال الثقافة الاسلامية المكتوبة باللغة العربية : تحتل الاسماء العثمانية مكانة كبيرة والنطاق هنا لا يمكن أن يتسع لذلك لابد من مثال أو اثنين ممن عمت شهرته الافاق من العثمانيين ذاكرا فى البداية صاحب كشف الظنون ، كاتب جلبى ، الذى غلب عليه لقبه حاجى خليفة ، وهو كتاب ببليوجرافى هام له مكانته فى الدراسات العربية الاسلامية ، واجتمع فيه من أسماء الكتب ١٤٥٠٠ كتاب ومن المؤلفين ٩٥٠٠ مؤلف وتناول فيه نحوا من ٣٠٠ فن أو علم • حوى كشف الظنون عيون المصادر فى الفكر الاسلامى مما صنفه أصحابه باللغة العربية وبغيرها من لغات المسلمين مثل الفارسية والتركية وهذه ميزة انفرد بها •• كما ذكر الدكتور عمر الداقوقى فى كتابه القيم مصادر التراث العربى • ولكاتب جلبى (أو حاجى خليفة) موسوعته الكبيرة فى ميدانها وهو كتاب سلم الوصول الى طبقات الفحول •

من هذه الاسماء أيضا طاشكوبرى زاده واسمه عصام الدين أبو الخير أحمد بن مصطفى صاحب كتاب الشقائق النعمانية فى علماء الدولة العثمانية وهو كتاب شائع فى العالم العربى صدرت منه طبعات مختلفة تناول فيه مؤلفه اكثر من خمسمائة عالم وشيخ من الذين عاشوا فى

الدولة العثمانية منذ عثمان الى سليمان القانونى وهو العهد الذى عاش فيه طاشكوبرى زاده ٠

والشقائق النعمانية فى علماء الدولة العثمانية ترجم من لغته العربية الى اللغة التركية فى عهد مؤلفه التركى ٠ طبع الكتاب باللغة العربية عدة طبعات ، وأصدر معهد الشرقيات بجامعة استانبول طبعة محققة للشقائق النعمانية عام ١٩٨٥ ، وهذا يعد حدثا هاما فى تاريخ الثقافة العربية ٠

الشقائق النعمانية فى علماء الدولة العثمانية ، هذا الذى نتحدث عنه ، من تحقيق الدكتور صبحى فرات ٠ يلفت المحقق فى مقدمته ، انظارنا الى الاتى : « ان القسم الاكبر من تلك الشخصيات التى احتواها هذا الكتاب ، كان قد خلف مؤلفات كثيرة فى مجال العلوم الاسلامية كالفقه والتفسير والحديث وعلم الكلام والادب ٠٠ وهذا ما يظهر لنا قوة نمو وتطور العلوم الاسلامية باللغة العربية على الساحة العثمانية من القرن السابع الى القرن العاشر الهجرى ، أى من القرن الثالث عشر الميلادى حتى القرن السادس عشر الميلادى ٠٠٠ » ٠

أحب أن أضيف الى قول الدكتور أحمد صبحى فرات ، محقق الشقائق النعمانية « ان تطور العلوم الاسلامية باللغة العربية على الساحة العثمانية امتد بعد ذلك الى نهاية القرن العشرين الميلادى » ٠

ان اخر ما يحضرنى فى هذا الموضوع هو كتاب من تأليف المعلم جودت ، وهو تربوى وكاتب تركى (١٨٨٣ ـ ١٩٣٥) جمع بين الثقافة الاسلامية وثقافة الغرب ٠ أصدر قبل وفاته بعامين وفى استانبول كتابا قيما باللغة العربية بعنوان ذيل على ابن بطوطة تحدث فيه عن الاخية الفتيان التركية فى الاناضول الذين تحدث عنهم ابن بطوطة ٠ وقدم لنا المعلم جودت فى كتابه هذا دراسة من أعمق الدراسات فى موضوع تشكيلات الفتوة فى الاسلام ٠

واذا عدنا مرة أخرى الى العهود العثمانية الاولى نذكر من عصر السلطان سليم الاول فاتح الشام ومصر ، ابن كمال باشا وهو شمس الدين أحمد بن سليمان ٠ عن ابن كمال باشا قال باحث عربى هو الدكتور ناصر سعد الرشيد مدير مركز البحث العلمى واحياء التراث الاسلامى بجامعة الملك عبد العزيز ، فى دراسة له عن جهود ابن كمال فى الدراسات اللغوية العربية بعنوان رسائل ابن كمال اللغوية (الجزء الاول ـ الرياض ١٩٨٠ م) ما يلى : « اشتهر ابن كمال باشا بكثرة تآليفه ورسائله وهو بهذا يشبه السيوطى وابن الجوزى وابن حزم وابن تيمية وغيرهم ، ممن اشتهر فى تاريخ الاسلام بكثرة التأليف ٠ وعلى هذا فليس من اليسير احصاء جميع تآليفه أما حين نأتى الى ذكر رسائله فنكتفى بأن نقول بأن له رسائل كثيرة ٠ ومن خبر فهارس المخطوطات ، عرف كثرة ما ألفه ابن كمال باشا من رسائل فى فنون مختلفة » وقال اللكنوى بأن لابن كمال باشا « رسائل كثيرة فى فنون عديدة لعلها تزيد على ثلاثمائة ، غير تصانيف له فى لغات اسلامية أخرى كالفارسية والتركية » ٠

***

وقبل عهد سليم الاول ، كان جده

محمد الفاتح وعهده زاخر بالتأليف العربية ، ونجد فى عهد الفاتح ان للعربية الحظ الاوفر فى التصنيف . وأساتذة الفاتح الذين اضطلعوا بمهمة تعليمه وتثقيفه لهم باعهم فى هذا الامر : الشيخ الكوراني وتفسيره ، والشيخ خسرو ورسائله الفقهية وكتابه مرآة الاصول .

ويعد عهد سليم الاول مباشرة ، عهد ابنه القانوني سليمان ، يظهر شيخ الاسلام أبو السعود افندى صاحب التفسير المشهور (ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم) .

هذا غير ما ظهر فى اللغة العربية من دراسات وتأليف كتبها عثمانيون فى العلوم والجغرافيا والطب والتاريخ وعلم الكلام ، مما لا يسعه المقام فى مقالة .

وهناك علامة بارزة على الاهتمام السامى باللغة العربية فى الدولة العثمانية ، وهى أن كل أمير وسلطان وخليفة عثمانى ، كان يجيد اللغة العربية ، تعلم ودرس بها ، واتخذها وسيلة لتعلم الدراسات الاسلامية المنصوص عليها فى نظام تربية الامراء فى القصر العثمانى .

وأحب هنا أن أنقل لقارىء الهلال وقراء العربية عموما عبارة كتبها مؤرخ التربية التركى المشهور عثمان أركين فى كتابه تاريخ التربية التركية (فى خمسة أجزاء ، استانبول ١٩٣٩ - ١٩٤٣ م) هى :

« اتخذ السلاجقة الاتراك فى دولتهم السلجوقية ، اللغة الفارسية لغة رسمية لهم وهم أتراك . والعثمانيون - مع استخدامهم للغتهم التركية فى الاعمال الحكومية - الا أنهم لم يدرسوا هذه اللغة للشعب فى أى مؤسسة من المؤسسات . فاللغة السائدة والمسيطرة فى المدارس والجامعات عند العثمانيين كانت اللغة العربية . ولم تتنح اللغة العربية عن المكانة الاولى فى المؤسسات التعليمية العثمانية الا مع الغاء النظام التربوى العثمانى عندما صدر قانون عام ١٩٢٣ م » .

يعدد عثمان اركين أسماء المدارس فى عهد « اتخاذ التعليم العثمانى اللغة العربية أساسا لغويا » فيذكر مدرسة اعداد الامراء ، ومدرسة اندرون (وهى مدرسة فى القصر السلطانى لاعداد موظفين من الدرجة الاولى العالية لاستخدامهم فى القصر والجيش والحكومة) والمدارس العسكرية ومدارس الموسيقى العسكرية ومدارس الفنون العسكرية .

ونجد فى دور الارشيف فى تركيا الان الوقفيات العديدة مكتوبة باللغة العربية والامثلة أكثر من أن تحصى ، اشير فقط لمثال أو اثنين : وقفية السلطان مراد الثانى لانشاء دار الحديث فى ادرنة (انظر أرشيف طوب قابو وثيقة رقم ٧٠٨١) ووقفية الشيخ المولى فنارى الخاصة بمدرسته فى القدس (ارشيف رياسة الوزراء فى استانبول - قسم الوقفيات رقم ٦/١٦٢) .

وحتى فى اخر ست سنوات من عمر الدولة العثمانية ، واقصد بها فترة حكم حزب الاتحاد والترقى - وهو حزب ثار اساسا على وجود الدولة العثمانية ونجح بالفعل فى تقويضها - اقول انه حتى فى هذه الفترةالقصيرة جدا من التاريخ والتى نادى بعض قادة الاتحاد والترقى فيها بالتتريك . لم تستطع هذه السياسة أن تمس سلطة اللغة العربية فى معاهدالتعليم بانواعها ولم يتوقف التعليم بالعربية فيها ولم ينقص احترام العثمانيين للغة العربية .

فتح ملف المراكز الثقافية

المعهد الثقافى الايطالى

وعشق اللغة !

قبل اسابيع عرض نادى سينما القاهرة نسخة مدبلجة من فيلم « حالة حصار » من اخراج كوستا جافراس وقد تم هذا العرض فى ظروف غير عادية .. فرغم ان الفيلم فرنسى الجنسية فانه جاء الى مصر عن طريق المركز الثقافى الايطالى الذى لم يعد يهمه كثيرا أن تتم عروض افلامه خارج جدران قاعته .. وتحايل المسئولون فى نادى السينما بالقاهرة لعرض هذا الفيلم بشكل غير طبيعى ..

وعند عرضه . ومع وجود ترجمة فورية بالغة الرداءة لاحداث الفيلم كان السؤال المطروح هو لماذا تمت دبلجة الفيلم الفرنسى باللغة الايطالية .. ؟ ..

الاجابة على هذا السؤال هى المدخل الاساسى لقراءة الثقافة الايطالية خارج حدود ايط .. فالايطاليون قوم بالغو التعصـ ب للغتهم . يدبلجون كل الافلام مهما كانت نوعيتها الى لغتهم سواء المعروضة فى ايطاليا أم التى توزعها مؤسساتهم الثقافية للعرض فى المراكز الثقافية .

وتجىء ملامح هذا التعصب الشديد فى أن الايطالى يحب لغته ويريد أن يتكلم بها ولا يطيق أن يسمع أية لغات اخرى ، وهكذا جاءت أفلام عديدة مدبلجة الى لغتهم ذات الرنين الموسيقى .

وليس خفيا أن اللغة الايطالية هى احدى اللغات العالمية السهلة النطق والحديث والتعليم . كما أنها لغة موسيقية جذابة لمن يسمعها أو يتكلمها تكثر بها الحروف المتحركة خاصة فى

نهايات مقاطعها . ولهذا فهى اللغة الموسيقية الاولى فى اللغات المنبثقة عن اللاتينية .. ان لم يكن بين اللغات جميعا ولعله السبب فى مولد الاوبرا على أرض ايطاليا ، وبالتحديد فى مدينتهم الجميلة فلورنسا .

● ثقافة لغة الاسباجتى

انطلاقا من هذا فان المتتبع للانشطة الثقافية الايطالية فى مصر لابد وان يلاحظ ان كثافة هذه الانشطة تترتب حسب علاقتها باللغة الايطالية .. فنظرا الى أن السينما هى أكثر الفنون ارتباطا باللغة ، فان السينما تجىء دائما فى المقدمة قياسا الى الفنون الاخرى ثم تجىء الفنون الاخرى وهى على التوالى الموسيقى ثم الفن التشكيلى .. وهذه الفنون الثلاثة تكاد تطغى على سائر النشاطات الثقافية الاخرى .. ليس فقط فى المركز الثقافى الايطالى فى الزمالك فحسب بل فى مركز مشابه له بالاسكندرية .. وكذلك فى معهد دانتى الليجيرى للهندسة والفنون وتعليم اللغات بشارع الجلاء ..



لويجى بيرانديللو



صوفيا لورين



احد المقتنيات الفنية لفنان مصرى

وجميع الافلام المعروضة فى المركز الثقافى الايطالى ناطقة باللغة الايطالية ·· ونقصد « ناطقة » هنا هو انه ليس ثمة ترجمة قط لاى من الافلام الى أية لغة أخرى مهما كانت الظروف ومهما كانت جنسية الفيلم · وذلك خلافا لما يحدث فى جميع المراكز الثقافية الاخرى عدا المركز الامريكى · فبينما تقوم هذه المراكز بترجمة أفلامها الى اللغتين الانجليزية أو العربية فان هذا أمر لا يحدث اطلاقا فى المركز الايطالى ·

وللتركيز على أهمية هذه النقطة ، فلابد أن نشير الى أن السينما الايطالية بشكل عام تعتمد على الحوار المكثف مما يصعب على المرء أن يتابعها لو لم يكن يعرف اللغة الناطقة بها · مثلما نرى فى أفلام بازولينى وفيللينى وفيسكونتى وزيفيريللى واخرين · ·

وقد يكون الامر مقنعا ــ الى حد ما ــ بالنسبة للافلام الايطالية الصنع اى تلك القادمة مباشرة من استوديوهات مدينة السينما بروما ، بما فى ذلك الافلام الاسباجتى (المقلدة لافلام الغرب الامريكية) بكافة أنواعها ومستوياتها · لكن ذلك يبدو غريبا بالنسبة للافلام غير الايطالية المتكلمة أصلا بلغات أخرى مثلما حدث فى حالة حصاره لكوستا جافراس ·· حيث يمكنك أن ترى العناوين مكتوبة بالفرنسية · لكن عليك أن تستمع الى ممثل اخر يتكلم نيابة عن ايف مونتان باللغة الايطالية ·· وترى ان حركة الشفاه لا تنطبق مع مخارج الالفاظ والحروف ·· وهذا أمر دائم الحدوث · ومن أبرز أمثلته عندما عرض فيلم « لقاءات قريبة من النوع الثالث » من اخراج الامريكى ستيفن سبيلبرج · والغريب انه عرض فى اطار برامج الاطفال ·· والفيلم كما هو معروف من نوع الخيال العلمى الذى يعتمد على الابهار وكان على المتفرجين ــ سواء كانوا صغارا أم كبارا ــ أن يستمعوا الى ريتشارد دريفوس وزملائه وهم يتكلمون اللغة الايطالية بأصوات الاخرين ·

والبرامج الشهرية فى المركز الايطالى مزحومة بأفلام كثيرة من كافة المستويات والنوعيات ·· فشهريا يعرض قرابة عشرة أفلام قد تزيد فى مواسم المهرجانات السينمائية خاصة ديسمبر ويناير ·· وعادة ما يتم عرض فيلمين فى يوم واحد · يبدأ الاول فى الخامسة والنصف عصرا · ويبدأ الثانى فى الثامنة مساء ·· وفى الشهور الاخيرة مثلا عرضت بانوراما لافلام فردريكو فيللينى تضمنت أكثر من عشرة أفلام منها « اللقاء » و « سانيركون » و « الحياة اللذيذة » و « كازانوفا » و « انى أتذكر » و « جوليتا والاشباح » وقد استمر عرض بعض هذه الافلام لعدة أسابيع ضمن برامج المركز الشهرية ·

اما أبرز الافلام التى اعيد عرضها فهو « صحراء التتار » المأخوذ عن رواية لدينوبوتزاتى حول علاقة الانسان بالانتظار ·· وهو فيلم ممتاز ولا يمكن متابعة احداثه فيما لو لم تفهم اللغة الناطق بها ·· فالضابط الذى يرحل شابا الى احدى القلاع البعيدة التى تنتظر وصول العدو بين لحظة وأخرى يكتشف أنه أضاع حياته فى الانتظار ·· وان العمر كله ليس الا لحظات انتظار متراكبة متشابكة ·

والى جوار هذه النوعية من الافلام لا تخلو العروض من أفلام اخرى أقل أهميـــة ، ويدعى المركز انهـا تتم خصيصا للاطفال · مثل أفلام يقوم ببطولتها الممثل الكوميدى الشــهير توتو · وأفـــلام أخرى من تمثيـــل بد سبنسر وترنس هيل · وبعــض أفلام الكاوبوى الاسباجتى ·

● الموسيقى .. مجهود مشترك

تجيء الموسيقى فى المقام الثــانى من حيث الاهتمام بها كنشاط ثقافى فى المركز الثقافى الايطالى · حتى وأن تم ذلك بالتعاون مع ســفارات أخرى ·· ومنذ عدة اشهر وبالتعاون مع أكاديمية الفنون بالقاهرة تمت اقامة حفل غناء على نغمات موسيقى كل من بونشونى ودورانتيه وموتســـارت ، وبيزيه ، وفيردى ، وشتراوس · وقد غنى الفريق المصرى مجمـــوعة من المقاطع الاوبرالية بمصاحبة عـازفة البيانو الايطالية بياتا سفاترزيه ··

ومن أبرز أوجـــــه التعـــاون مع السفارات الاخرى ذلك الحفل الراقص الهندى الذى تم فى شهر مارس الماضى بالتعاون مع جمعية الصداقة الهندية ـ المصرية قام بالعزف فيه والرقص طلبة مدرسة الرقص الهنـــدى تحت ادارة الفنان شيترافينو جوبال وتلك الامسية للعزف على البيانو التى اقامتهـــا السفارة اليابانية بالتعاون مع براعم موسيقية من مدرسة البيـــانو تحت قيادة الفنان اليابانى مانامى كاكينوكى كما تمت دعـــوة فرقة شـــاريفارى الايطالية لعزف مجموعة من المقطوعات الموسيقية واداء رقصات تنتمى الى العصور الوسطى وعصر النهضة فى ايطاليا ·· وبدا عرضا مهيبـــا من خلال هذا الحشد الهائل من الفنانين الذين قاموا بالمعـــزف والرقص ·· وأيضا من خلال الجمهور الذى ازدحم فى القــاعة ·

والجدير بالذكر هنا ان الحفلات الموسيقية يقبل عليها الجمهور اقبالا شديدا ومع ذلك فهو جمهور لا يتغير هو نفس الجمهور الميال الى ســماع الموسيقى الكلاسيكية ·

● فنون .. فى المقام الثالث

تجيء فنون التصـــوير فى انشطة المركز الثقافى الايطـــالى بالقاهرة والاسكندرية فى المقـــام الثـــالث ومعارض هذه الفنون أقل من مثيلاتها فى المركز الثقــافى الفرنسى ـ ومعهد جوته كيفا وكما وعلى كل ففى شهر مارس الماضى تم افتتـــاح معرض الفنان المصرى سعيد عبد الحليم الذى يرسم لوحاته على الشاشة الحريرية وقبل ذلك تم افتتاح معرض « ونحن نســـتطلع روما » وهو عبـارة عن عن مجموعة من الصور الفوتوغرافية التى التقطها المصور « أمير على » اثناء رحلاته الى مدينة روما · كما عرض أيضا فى نفس الاطار مجموعة من اللوحـــات التشـكيلية المصرية لمجموعة من الفنانين الشبان المصريين الذين ينتمون الى مدرسة الاهرام ·

هذه هى وجوه الانشطة الثقـافية الايطالية الثلاث الرئيسية فى مصر · أما بقية الانشـــطة فهى شبه غيـر موجودة تماما ·· كالمسرح والترجمة فيكاد ألا يكون لها وجود فلم يحدث ان قام المركز الثقافى الايطالى بعرض وتمثيـل مسرحية ايطالية باللغـــة العربيـــة مثلمـــا يحدث فى المراكـز الثقافية الاخرى · والمسرحيات التى تعرض فى اطار محدود ليست سوى تسجيلات لبعض المسرحيات الايطالية فوق أشرطة فيديو مثلما حـــدث مع مسرحيات ادواردو دى فيلبو ·· وهذه العروض تتم فى نطاق ضيق ·



رأى فى الثقافة

النشاط الثقافى فى الجامعات المصرية

● ما يجرى من نشاط ثقافى داخل اروقة الجامعات المصرية يحتاج الى مناقشة جادة .. لانه خلال هذه الانشطة يمكن تنمية مواهب الكثير من شبابنا الذين لم تسعفهم الظروف المعقدة فى الالتحاق بمعاهد الدرس التى يرغبون فيها .

وقد كانت الانشطة الثقافية فى الجامعات « المختبر » الاول لعدد كبير من الفنانين البارزين ، خاصة فى ظروف الجامعات المصرية ، ومشكلة المجموع الذى يتحكم فى مصير الدارسين ونوعية الكليات التى يتوجهون اليها مجبرين ، فقد يضطر ممثل موهوب الى دخول كلية الزراعة كما حدث لعادل امام ومحمود عبد العزيز وصلاح السعدنى وغيرهم ، ودون نشاط تمثيلى فى كلياتهم كنا قد فقدناهم كممثلين موهوبين .

والمطلوب الان أن تعود الاسر الثقافية الى العمل والنشاط الثقافى .. وتفتح ابواب الجامعة للفرق الفنية المختلفة لكى تكتسب الخبرة والاحتكاك ،، ومطلوب أن تقيم نشاطها الفنى فى كل المجالات .

نذكر اننا طالبنا هنا ـ وقبل أن يقوم عادل امام برحلته الى اسيوط ـ طالبنا المثقفين والفنانين بالتوجه للارياف ، وهجر التكدس الثقافى فى القاهرة ، وهانحن نطالبهم هنا أن يذهبوا للجامعة ، أن يتفاعلوا معها ، أن يلتقطوا المواهب من اروقتها ، فهنا أرض خصبة للنماء والعطاء .

ان هذه « الحركة الثقافية العملية » هى الحل الوحيد لملء فراغ الشباب والوقوف بهم فى وجه دعاة الظلام القابعين فى اروقة الجامعات المصرية ، يعششون وينتشرون كالسرطان .

انه الخلاص لشبابنا الذين يتعرضون لالتهام وحش الظلام البغيض.

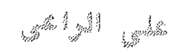
عبده جبير

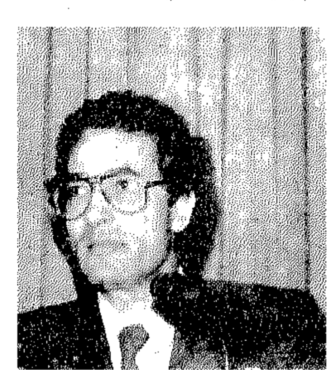
ندوات

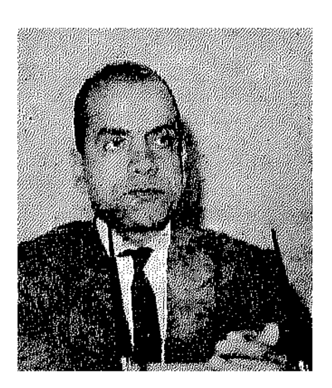
● حوار حول ورقة الثقافة

● دعت اللجنة المصرية لتضامن الشعوب الافرو أسيوية التي يرأسها أحمد حمروش الى حوار (ظن البعض في البداية أنه سيكون حوارا مفتوحا) بين وزير الثقافة فاروق حسنى وحشد كبير من المثقفين المصريين من أغلب الاتجاهات الثقافية السائدة فى مصر ، وان كان العنصر « التقدمى » قد غلب على الحاضرين ، فافتقدنا بذلك العنصر المقابل الذى كان من المفروض وجوده ، لا عملا بالديمقراطية فقط ، بل وعملا على معرفة رأيه ، وتوجهاته وموقفه الحقيقى مما يجرى فى المجال الثقافى .

المهم أن الحوار ـ السيمنار ، قد أقيم فى القاعة الكبرى لمبنى جامعة الدول العربيـة يوم الخميس الموافق ٦/٩ الماضى وكانت مناسبة أن عرض وزير الثقافة للخطوط العريضة لسياسته الثقافية التى صاغها فى ورقته المتداولة ، والتى أكد على أنها مجرد مشروع ثقافى هو فى مرحلة عرضه على أصحاب الامر الذين هم المثقفون ، والمتعاطون للثقافة ، ثم عرج الوزير على أهم ملامح هذا المشروع مؤكدا على أنه يمكن بتضافر الجهود المشتركة عمل الكثير دون انتظار لامكانيات هى غير متاحة ، أى أنه يمكن اقامة نشاط ثقافى حى وفعال بأقل القليل من التكلفة لو أحسن استغلال الطاقات البشرية ثم بين ضرورة النظر بعين الاعتبار الى أن الحياة الثقافية لا يصنعها المثقفون وحدهم ، فالثقافة هى التى ينتجها المثقفون ، أما الحياة الثقافية فهى مجمل النشاط الذى تتفاعل كل الاطراف فى المجتمع للقيام به ، وبذلك فان وزارة الثقافة أو الدولة عليها أن تتعامل مع كل هذه العناصر ، وعلى رأسها عنصرا الجمهور والقيادة الثقافية ، وهو يرى أن الجمهور المصرى فى شوق الى نشاط ثقافى فعال وأن الثقافة موجودة فى « زوايا » المثقفين وليس هناك مشكلة سوى فى هذه القيادة الثقافية ، أى فى الكادر القادر على التعامل مع معطيات الواقع الثقافى الراهن بكل




فاروق حسنى


على الراعى


يوسف إدريس

تعقيداته ، وهــذا هو ما حدا به الى التفكيـــر فى انشاء مراكز ثقــافية متخصصة تكون بمثــابة « ورش » لتدريب الكوادر التى يمكن الاستفادة بهم فى المواقع المختلفة ، وقال انه متحمس للثقافة « الفقيرة » أى غيـر المكلفـــة ، والتى نتوجه بهـــا الى الناس العاديين لا الى المثقفين ، وهذا لن يتأتى الا بالعــودة الى الواقع ، والى تراث هذا الشعب وتنقيته ممـا علق به ، وتقديمه فى صور جديدة مبدعة •• وبهذه الطريقة يمكن تفجير قوى الابداع فى المجتمع •

ثم أشار ، ضمن ما أشار ، الى مسألة تقديم رموز ثقـــافية قومية جديدة ، فليس من المعقول أن يظـــل المجتمـــع المصرى يعيش على رموز قديمة مستهلكة ، فى الوقت الـــذى تتوالد فيه هذه الرموز دون انقطـــاع فقط هى تحتاج الى من يمد لها يد المساعدة •

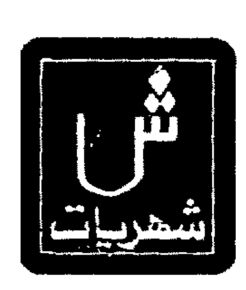
وكان المتحدث الاول هو الدكتـــور على الراعى الـــذى وان أبدى بعض الملاحظات السريعة حول الخطـــوط العريضة للمشروع فانه ركز حديثه للجزء الخاص بالمسرح ، وقـــد أبدى اعجابه بما تضمنه هذا الجزء ، وأكد على فكرة مسرح الشـــارع الفقير ، وضرورة العمل على احياء المســرح التجريبى ، وأشار الى ضرورة تطوير الفكرة الموجودة فى الورقة الخــاصة بالسيرك الى السيرك المسرح ، وأشار الى ضرورة توسيع رقعـــة المسرح ، وأن تقـــدم فرق مسرحية « سريعـة الحركة » قابلة للترحال فى البلدان المختلفة ، بالاضافة الى ما أشار اليه فى تصوره الشامل عن وضع الثقافة المصرية الذى قال انها تعـــانى من سيطرة الطبقة الطفيلية •

كمـا أكد الدكتـــور الراعى على ضرورة التوافق الحى بين المســـرح الحى والدراما التليفـزيونية ، ممـا يتطلب ضرورة التعاون بين جهـــاز التليفزيون ووزارة الثقافة •

وكان المتحدث الثـــانى هو السيد ياسين الذى وضـــح انه قرأ الورقة بعناية شديدة وكون حولهـــا رأيا واضحا وكان أهم ما قاله هو ملاحظته الاســـاسية عن أن الورقة ـ الوثيقة تتحدث عن الحياة الثقافية وكأنها فى الستينيات ، وكأن من صاغهـــا لم ير التغيرات الاجتماعية والاقتصـادية التى أدت الى تغيرات أســـاسية فى « القيم » وأضاف السيد ياسين أن الورقة تتحدث بلهجة قد تؤدى الى الاعتقاد بأن من حق الدولة (وحدها)


احمد حمروش


لطفى الخولى



تخطيط الثقافة فى مجتمع متعددالقوى السياسية ، ومتعـــدد الاحـــزاب وتساءل السيد ياسين عـــدة أسئلة أساسية (قاتلة) لم تكن كما يبدو قد وضعت فى الاعتبـــار حين صـــياغة الورقة ، فتســـاءل : هل تســـتطيع السياسة الثقافية أن تتدخل فى البنية الاساسية للمجتمع ، وكيف يمكن أن يحدث التكـامل بين وزارة الثقـــافة والوزارات والهيئات الاخرى ٠ ورأى ضرورة تغيير المناخ الثقافى السائد ، وهذا يقتضى فى البداية تحليل المنـــاخ الثقافى السائد ، وهذا على ما يبـــدو هو ما افتقدته الورقة ٠

وأشار الســـــيد ياسين الى المد الرجعى ، والى أن مصر تشهد صراعا ثقافيا حادا ، كما تشهد صراعا حول هويتها ٠

أما المتحدث الثـــالث فكسان لطفى الخولى الذى لم يزد فى كـلامه عمـا جاء فى مقاله المنشور قبل النـــدوة بعدة أيام والذى أكد فيه ضرورة أن يتم نشر الثقافة للتصدى للمد الرجعى والجماعات المتطرفة ٠٠ مؤكـدا على ضرورة أن تكـــون للمثقفين سلطتهم المؤثرة وهو ما يفتقـــدونه ، بحيث أصبحوا عنصرا هامشيا فى المجتمع ٠

ثم جاء يوسف ادريس كالعاصفة ، ومنذ أول جملة ، قال ان هذا الــذى تفعلونه ، هذا الاجتماع ، وهـــذا الحوار عبث فى عبث ، وقال ان هذا الرأى قد يبدو به شطط لكنه يفضل هذا ، وقال ان أى شىء نفعله يقـــوم التليفزيون المصرى بتدميره ، ولذلك فهو يرى أن مثل هذه المناقشات لـن تجدى مادام ما يفعله المثقفون يهدمه التليفـــزيون ، لذلك يرى ضرورة أن تخصص احـــدى قنوات التليفزيون للنشاط الثقافى الرفيع ٠

مسرح

الاحتفالات وغياب المسرح

● فى وقت واحـــد يشغل مسرح الطليعة قاعاته باحتفالين بذكـــرى رائدين راحلين هما نعمـــان عاشـور وفؤاد حداد ، يقدم الاول تحت اسم « الناس اللى دوغرى » من اعـــداد ناصر عبد المنعم واخـــراج عصام السيد ، وهو استخلاص لافكار المؤلف من بين ثنايا أعماله ، فى محـــاولة لتقديم الوجه الفعـــال ٠ المفتقـــد لدور المسرح الاجتماعى الذى كان المؤلف أحد أعمدته الاساسية ، ويقدم الثانى تحت اسم « كروان الفن » من اعـــداد ابراهيم عبد الفتاح واخراج ماهـــر سليم وهو تجميع لبعض أشعار الفقيد تظهر وعيه الاجتماعى الكبير ونضج أفكـاره وحسه المرهف بالانســـــان المصرى البسيط ٠

وقد يلاحظ البعض غلبـــة هـــذه الاحتفالات بروادنا على خشـــبات مسارحنا فى السنوات الاخيرة ، وقد أثار العرضان المشار اليهما فيما سبق قضيتين على جانب كبير من الاهمية، الاولى عن انحســـــار دور المسرح الاجتماعى الذى كان رائده الراحـل نعمان عاشور ، والثانية تتعلق بشكل الاحتفالات برواد المسرح والمبدعين

وقد يلاحظ المتتبع للحركة المسرحية منذ بداية السبعينيات غياب هـــذه النوعية التى تناقش قضايا اجتماعية أو تعتمد فى بنائها على معالجة بعض الافكار من خـــلال قالب اجتماعى ، ويحيل بعض نقاد ومبدعى المسرح هذا الانحسار لعدة أسباب ، أهمها : دخول ما يسمى بفن التكنودراما حياة الناس واستحوازه عليهم بواسطة التليفزيون أو الافلام السينمائية المتلفزة ، وخاصة



ان هذا الفن قد أخذ من المسرح عالمه الاجتماعي وقدمه الى الناس من خلال وسائل تكنولوجية مبهرة ، تستخدم الالوان والاضاءة والازياء والحيل المبهرة ... الخ هذه الوسائل التي تتقدم يوما وراء يوم ، ناهيك عن المشكلات الاخرى المتعددة التي تقلص دور المسرح في حياة الناس والتي جعلته يتوارى في ترد سحيق .

والمنطق الذي يسوقه أصحاب هذا الرأي قد يكون صحيحا الى حد ما ، وخاصة حين يعقدون مقارنة بين فن يصل الى الناس في عقر دارهم ، وفن يتحمل الناس الكثير من أجل مشاهدته ، وكذلك حين يميلون الى الانتصار الساحق والفوز النهائي لفن التكنودراما على خصمه الضعيف، لعدم استطاعة المسرح الوقوف في مواجهة هذا الفن المسيطر والمتسلط والجارف ، ولذلك فان أصحاب هذا الرأي يطلبون تسليم معالجات المسرح الاجتماعية والبحث عن أشكال ووسائل تعبير أخرى من أجل الوصول الى الناس أو من أجل وصول الناس الى المسرح ، لانه لا يعقل - في نظرهم - أن يترك مشاهد ما تبثه الوسائل المرئية المرسلة في أشكال براقة ومثيرة وساحرة من أجل الذهاب الى عرض يشاهد فيه نفس المعالجات الاجتماعية بهذه الوسائل البدائية التي لا تداني بكل تقدمها التكنيكي ما وصلت اليه الوسائل المرئية . ولهذا فنحن نرى أن البحث جار منذ بداية السبعينيات عن أشكال جديدة وأساليب مختلفة يمكن أن تجذب اليها المتفرج المنجذب الى الاجمل والاشد بريقا ، وأن المحاولات مازالت قائمة ومازال المتفرج منصرفا عن كل ذلك !

لقد نسي أصحاب هذا الرأي حقيقة هامة تتعلق بفن المسرح ، وهي أن المتفرج يشارك في التجربة المسرحية الحية بوجوده ، وأن هذه المشاركة كفيلة بأن تجذبه من كل ما يشغله ، ولكن كيف تتم المشاركة التي هي جوهر فن المسرح ذاته ؟ والاجابة على هذا السؤال يمكن أن تنسق الرأي السابق نسقا ، لانه كلما ابتعد المسرح عن قضايا الناس الحقيقية ، وكلما أوغل في الطقوس التراثية وكلما تلفع بالتاريخ وغاب عن الواقع، فان حاله سيكون تماما مثل حال مسرحنا .

ان الاكرم في الاحتفال بذكرى واحد من مبدعي مسرحنا المصري هي في تقديم أحد أعماله للجمهور ، ولكنها للعجالة والاستسهال والخفة ، لقد صار كل ذلك هو الاسلوب المتبع في مسار معظم انتاجنا المسرحي اهدار الطاقات المتعمد وتضييع الوقت فيما لا طائل من ورائه

● **محمد الشربيني**

إشارات ثقافية

آفاق علمية .. عودة متجددة

● المطبوعة العلمية العربية الوحيدة في الوطن العربي التي يصدرها المفكر العربي المعروف « هاني الهندي » عن مؤسسة الابحاث العربية تعاني ويلات الصدور ، وها هي بعد انقطاع دام ثمانية أشهر كاملة تعود مرة أخرى

والغريب الغريب أن مثل هذه المجلة في البلدان المتقدمة (!!) تعد حصانا رابحا على كل المستويات ، مستوى المجتمع .. فهل لازلنا مجتمعا متخلفا الى هذا الحد الذي يجعل صدور مثل هذه المطبوعة الراقية المستوى تعاني الصدور وويلاته .. مجرد سؤال ؟ .



الكتاب : الثقافة العربية فى المهجر
تأليف : مجموعة من المؤلفين
الناشر : دار بوبقال للنشر ١٧٦ ص ، ٤٢ درهماً

يضم هذا الكتاب مجموعة الاوراق والمداخلات التى تمت فى الملتقى الاول للمفكرين والكتاب العرب فى المهجر (باريس / ديسمبر ١٩٨٦) الذى نظمته بعثة جامعة الدول العربية فى العاصمة الفرنسية ، وقد ضم الملتقى عددا كبيرا من المثقفين المغتربين على راسهم محمد أركون ، والطاهر بن جلون ، وغسان سلامة ، وهشام شراب ، وحليم بركات، وعبد الوهاب المؤدب ومحمد براده وادونيس وغيرهم .

وقد اقيم اللقاء من أجل التأمل فى معرفة الذات والاخر ، وفى مسألة العلاقة بينهما ، ولئن كانت معرفة الذات تقتضى نوعا من الانفصال فان معرفة الاخر تقتضى على العكس نوعا من الاتصال .

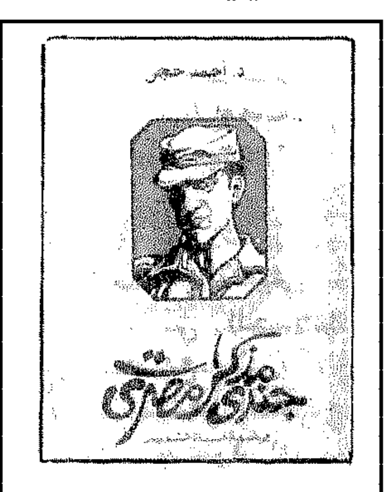


الكتاب : يهودى فى القاهرة
تأليف : شحاته هارون
الناشر : دار الثقافة الجديدة ١٢٠ ص ، ١٥٠ ق م

على الرغم من أن هذا الكتاب يضم مجموعة من الاوراق التى سجلها صاحبها فى مناسبات عديدة يعود احداها الى (١٩٦٧) الا أن مؤلفه تعمد أن يجمع بين دفتيه كل ما يسجل له مواقفه الواضحة من الاحداث السياسية الكبرى حالة تلامسها مع اليهود المصريين وحالة تلامسها مع القضية الفلسطينية وتلك الشرارة التى تلتهب من هذه الملامسة

وشحاته هارون الذى لا يمكن انكار مواقفه الوطنية التى يصوغها هنا بوضوح شديد ، وبناء على مواقفه المبدئية ، ويفاجئنا فى الطريق بصياغة رصينة لها جمالها الخاص ، يستعرض مواقفه وحياته من خلال هذه الحوارات والاوراق التى كتبها فى فترات مختلفة ، لكنه يخدعنا لاننا حينما انجذبنا لعنوان الكتاب يهودى فى القاهرة ، كنا نظن انه سيحكى لنا حكاية اليهودى فى العاصمة المصرية ، بل وظننا انه سيسرد تاريخ اليهود فى مصر ، فاذا به يفاجئنا بشىء اخر سجل جمع بين دفتيه هذه الوثائق الهامة من الناحية السياسية لموقفه المتميز كيهودى

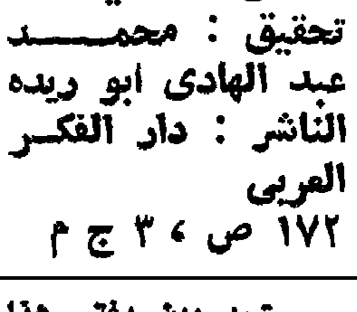
مصرى يسارى ناضل من أجل العدل الاجتماعي ومن أجل الدولة الفلسطينية المستقلة •



الكتاب : مذكرات جندى مصرى فى جبهة قناة السويس
تاليف : أحمد حجى
الناشر : دار الفكر
١٤٠ ص ، ٣ ج م

وكأنه يتنبأ باستشهاده يكتب أحمد حجى الطبيب المجند فى دفتر خصصه لكتابة يومياته أو مذكراته : منذ أن وصلت الى جبهة القتال فى الخط الامامى ، تلح على ذاكرتى أن أسجل ما يحدث وما يجرى فى مواجهتنا للعدو الصهيونى ، وأقول حقيقة بأن الذى اكتبه ومايجرى به قلمى ليس الا النزر اليسير •• واذا لم تواتنى منيتى أو يدركنى الموت فسوف أقص على شعبنا مأساة مقاومته للعدو ، وبطولات جنوده وبسالتهم •• أما اذا كانت نهايتي ستكون على أرض القناة •• فسأموت مستريحا لان أفكارى وجدت طريقها ولم تعجز عن الحركة •• وبذلك تكون هذه المذكرات هى حديث الرصاص الذى يجب أن تتكلم به قضية شعبنا •

انه طبيب شاب مجند ضمن الاف المجندين المصريين •• يدرك ضرورة تسجيل ما يجرى اثناء حرب الاستنزاف ، ويكتب كلامه السابق فى ابريل ١٩٦٩ حيث بدأ تسجيل يومياته لما يتم من تراشق وقتال وصل بالبعض الى أن يصف معارك الاستنزاف بأنها حرب كاملة مع اسرائيل انها وثيقة هامة وصادقة من وثائق الصراع العربي الاسرائيلى ، بل يمكن القول انها واحدة من الوثائق النادرة •

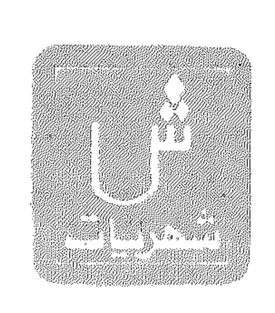


الكتاب : رسائل الكندى الفلسفية
تحقيق : محمد عبد الهادى ابو ريده
الناشر : دار الفكر العربى
١٧٢ ص ، ٣ ج م

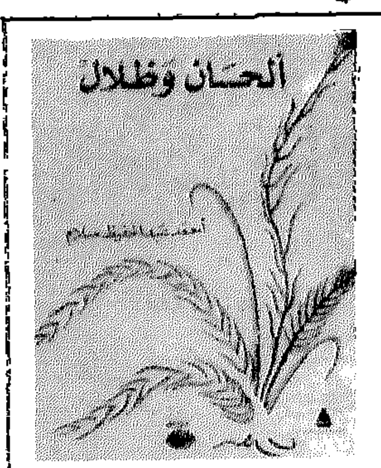
ستجد بين دفتي هذا الكتاب أهم وأكبر مصنفات الكندى الفلسفية ورسائله ذات الصلة •

يضم كتاب الكندى الى المعتصم بالله فى الفلسفة الاولى •

رسالة فى حدود الاشياء ورسومها •• رسالة فى الفاعل الحق الاول التام والفاعل الناقص الذى هو بالمجاز ورسالة ايضاح تناهى جرم العالم ورسالة فيما لا يمكن أن يكون نهاية له •• وما الذى يقال لا نهاية له ورسالة فى وحدانية الله وتناهي جرم العالم •

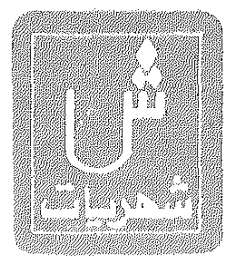


وكل هذه الرسائل مرتبطة في الموضوع ، وبعضها يتناول فكرة أساسية فى تفلسف الكندى شرحها المؤلف بوضوح واتقان .. واستفاضة .



الكتاب: ألحان وظلال — ديوان شعر
تأليف : أحمد عبد الحفيظ سلام
الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٠ ص / ٢٢٥ قرشا

فى أكثر من خمسين قصيدة ومقطوعة شعرية يعبر الشاعر احمد عبد الحفيظ سلام عن رؤيته الشعرية للحياة والمجتمع والكون ، والتاريخ ، فى لغة شعرية صافية جمع فيها بين الجزالة القديمة والعذوبة الحديثة ، وبرهن على انه واحد من الشعراء المصريين



القلائل الذين مازالت أصواتهم تبعث النشوة فى قراء الشعر العربى الان ، بالرغم من انصراف غالبية القراء عن الشعر ، لان الشعر العمودى الذى ينظمه الشعراء الموجودون حاليا ، ينحدر الى الغثاثة والتفاهة والركاكة الا ما ينظمه عدد قليل جدا من الشعراء العموديين .. أما الشعر التفعيلى فانه غرق فى التعقيد والغموض وابتعد عن تقاليد الشعر العربى ، واقتحم ساحة هذا الشعر التفعيلى عدد كبير ممن لا يعرفون شيئا عن أوزان الشعر، بل ولا يعرفون شيئا عن اللغة العربية ذاتها ، مع انها المادة الاساسية التى ينسجون منها كلماتهم ! .

وقد نجا الشاعر أحمد عبد الحفيظ سلام من غثاثة وتفاهة الشعراء العموديين الموجودين الان ، وارتفع شعره العمودى الى مستوى طيب جمع بين أصالة العموديين المجددين وحداثة المجددين الرومانسيين والواقعيين الجدد .

وله محاولات أيضا فى الشعر التفعيلى ، ولكنها فى الحقيقة مجرد تقطيع للاوزان ، وليس الشعر التفعيلى الحقيقى مجرد أوزان مقطعة الى تفعيلات ، وانما هو منهج قائم بذاته فى تناول الشعر شكلا ومضمونا .

ان الشاعر أحمد عبد الحفيظ سلام ينظم الشعر وينشره منذ أربعين عاما تقريبا وقد نشرت له مجلة الهلال عددا من القصائد الجيدة خلال السنوات العشر الماضية ويضم ديوانه الجديد مجموعة منتقاة من قصائده ، ويبدو أنه لم يكن مستطاعا نشر مجموعة اشعاره كلها كما ينشرون الان ما يسمونه « الاعمال الكاملة» لهذا الشاعر أو ذاك .. ولا نظن أن أحمد عبد الحفيظ سلام أقل فى شىء من أصحاب الاعمال الكاملة .

فؤاد كامل
والرومانسية الجديدة

بقلم : محمود بقشيش

على وحدى ان انطلق فى الظـلام ، اتضرع الى « الاشكال » التى تستيقظ على وحدة نفسية . كونيه .. جديدة لاتحدها مقاييس العقل واطواق المنطق . تزاوج الطاقة والحركة باختلاجات المادة الصماء .. التى تتخلص من الملاحظة الوصفية والمعرفة البصرية .

عندما أكون فى رحاب معرض مصرى كبير مثل « المعرض العام » تومض فى الذهن ـ أحيانا ـ خواطر . يتداخل فيها الاعجاب والحسرة فى نسيج معقد ، فأما الاعجاب فلأن ما أراه يمثل درجة ما من انتصار جهود جماعات الحقبة الرابعة من الفنانين .. وبالذات : جماعة « الفن والحرية » ، ودعوتها الحارة الى الاتصال بانجازات الحضارة الاوربية . أما الحسرة فمصدرها أن المتحقق من انجازات الاحياء من الفنانين يخلو من فضائل البدايات الثورية : حرارة البوح والتحدى والاصرار على التغيير . ارتبطت الجماعة بالمدرسة الفرنسية فكرا وفلسفة وفنا ولغه ، وارتبطت بالسيريالية فى صحوتها الاحتجاجية الاولى قبل أن تسكن المتاحف . كانت الجماعة تضم فنانين . هم فى نفس الوقت شعراء مفكرون ، نقاد مترجمون . كانت كتاباتهم تدعو الى (الخيال الطليق) .. والى أن (نكون أنفسنا) .. أى أن نقاوم الاقنعة المستعارة ، وفى نفس الوقت أن نقيم جسور التواصل مع ذوات الاخرين التى تشاركنا فى الوطن وفى تعاسة اللاعدل واللا مساواة .. واللا أخاء !

.. أن نقاوم العقل والمنطق من أجل المناطق المسحورة فى الاعماق .. يقول « رمسيس يونان » (أحد رموز الجماعة) : (ان العلم الحديث ليقامر بالعقل سعيا فى التوصل الى ما لا يمكن أن يتصوره عقل ، وان الفلسفة الحديثة لتقامر بالمنطق شوقا للكشف عما لا يمكن أن يبلغه منطق ، وأن الفن الحديث ليقامر بالصور والرموز والاسماء أملا فى التعبير عما لا يمكن أن تهتدى اليه لغة من



فلنقاوم العقل والمنطق من اجل المناطق المسحورة فى الاعماق

اللغات ·· وهذا التحليق وهذا الغوص وهذا الانطلاق : هذه الحرية التى ربما لم تكن الا وهما من الاوهام ·· هى كل ما يستطيع أن يفخر به الانسان)

●●

قلت للفنـــان « فؤاد كامل » ذات مرة : ألا يعد الاسلوب الفنى لجماعة « الفن والحرية » نقلا أو على الاقل ابتعارة من أفكار الاخريين ·· وأن مبدأ النقل أو الاستعارة يتنافى مع مبدأ أن « تكون نفسك » حيث المفروض أن لا تشـــوبك شائبة من رغـــاب

فــؤاد كامــل
والرومانسية الجديدة

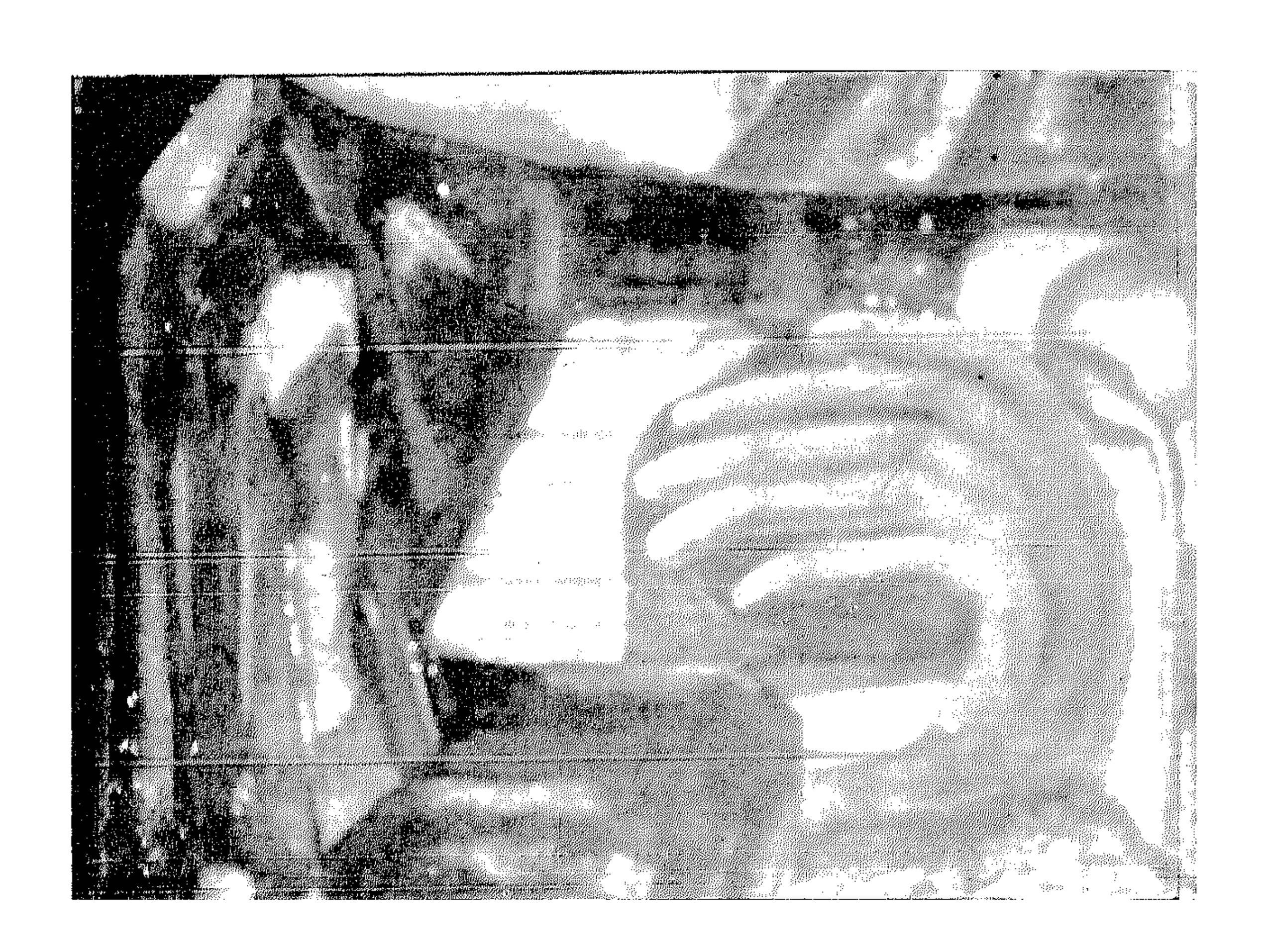
الاخــرين ٠٠ ؟! ٠

قال أرى العكس ٠٠ فكل الاتجاهات الفنية التى وصلتنا تلونت بعواطفنا الشرقية الفياضة ٠ الخطوط المستقيمة تقوست ٠ الحواف القاطعة لانت ٠٠ البرودة صارت دفئا رومانسيا ٠

اتسمت لوحات « فؤاد كامل » ـ بل قل لوحات الجماعة ـ بدرجات متفاوتة من حدة التعبير ٠٠ وصلت ذراها فى لوحات « كامل التلمسانى » الصادمة بلمساتها الشرسة ٠٠ الميتخففة بـأى مشابهة مع ظـاهر الاشياء المرئية ونسبها الواقعية ٠٠ فى حين اتسمت انفعالية « فؤاد كامل » بشىء من الاناقة والرقة ٠٠ غير أن تلك الاسلوب ـ كما نعلم ـ يتضمن درجة من درجات المشابهة مع الواقع المرئى ـ وبمعنى اخر ـ درجة من درجات الالتزام بالوصف ومتابعة الواقع ٠٠ أو بمعنى أدق : التبعية للواقع ، ومن ثم لابد من التنازل عن قدر من الخيال وقدر من الحرية وقدر من الجنون الذى دعوا اليه فى بيان معرضهم الاول فى فبراير ١٩٤٠ ٠٠ فى حين كانت تجريدية

بطاقة تعريف :

- ولد فى ٢٨ ابريل عام ١٩١٩ فى مدينة « بنى سويف »
- اشترك فى تأسيس جماعة الفنانين الشرقيين الجدد عام ١٩٣٧ ، وكانت تدعو تلك الجماعة الى استلهام التراث القومى والتمسك به ٠
- اشترك فى تأسيس جماعة « الفن والحرية » عام ١٩٣٩ ، وكانت تدعو الى فتح قنوات الاتصال مع انجازات الفن الاوربى المعاصر ٠
- حصل على دبلوم « المدرسة العليا للفنون الجميلة » و « والمعهد العالى للتربية الفنية » بالقاهرة ٠
- اشتغل مدرسا للتربية الفنية فى عدة مدارس بوزارة التربية والتعليم ٠٠ قبل أن يتفرغ كلية للفن ٠
- سافر الى الولايات المتحدة الامريكية سنة ١٩٦٨ بدعوة من متحف « بندى » ليحاضر عن الفنون المصرية ٠٠ كما سافر الى عدد من الدول الاوربية ٠
- أسهم فى تحرير واصدار مجلة « التطور » عام ١٩٤٠ ، والمجلة الجديدة عام ١٩٤٢
- اشترك فى معرض السيريالية الدولى بباريس عام ١٩٤٧ ٠
- نال الجائزة الاولى فى بينالى الاسكندرية عام ١٩٦٨ ٠
- توفى فى القاهرة عام ١٩٧٣ ٠

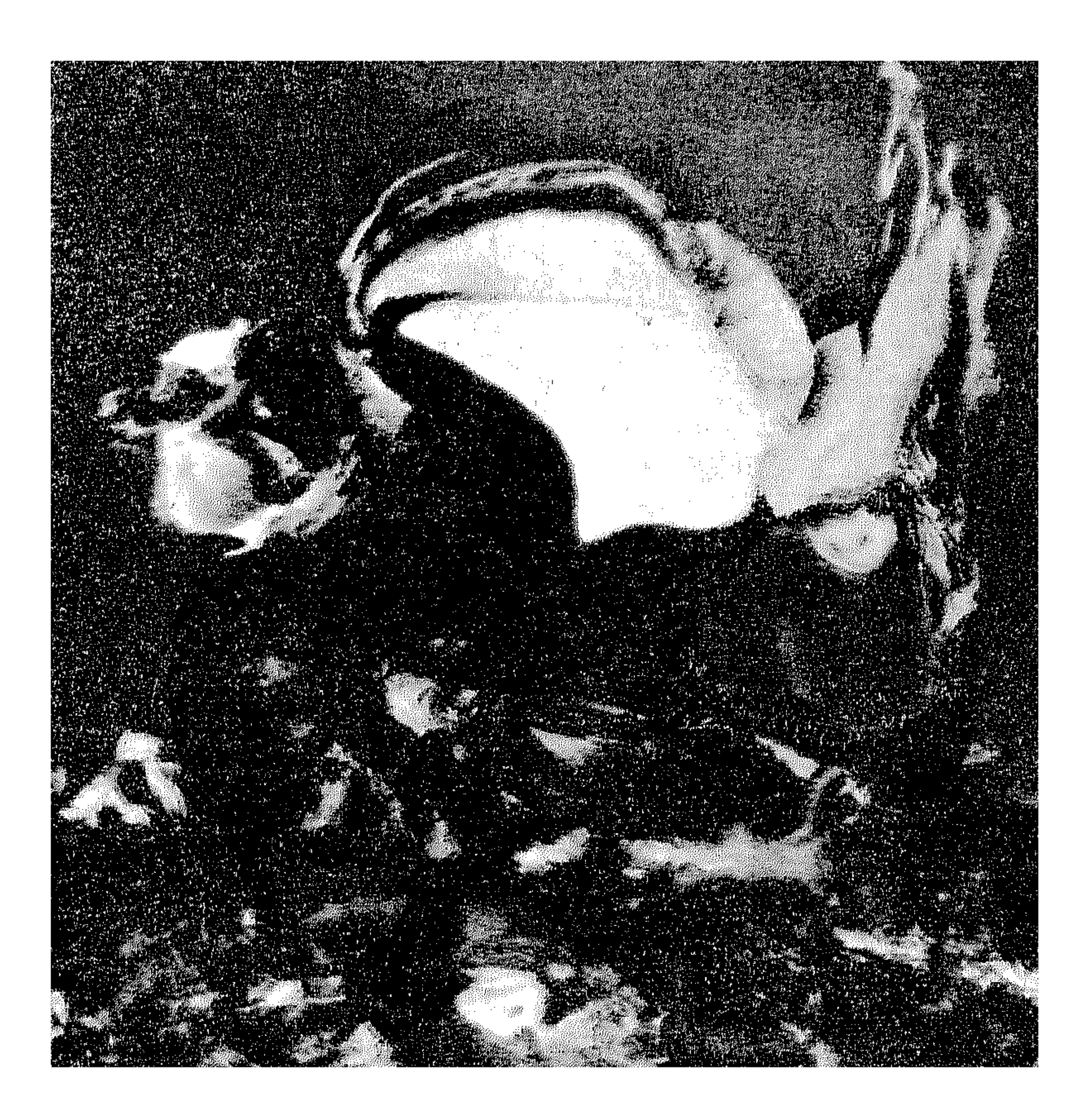


اتسمت لوحات الفنان بدرجات متفاوتة من حدة التعبير

« كاندنسكى » قد تألقت فى « باريس » و « برلين » .. ثم الولايات المتحدة ، ونادى بالانصراف نهائيا عن وصف الواقع المرئى أو التعبير عنه .. ووجد « فؤاد كامل » ضالته فى رحلته الى الولايات المتحدة عندما التقى بتجربة الفنان الامريكى . ذائع الصيت (جاكسون بولوك) وجد فى اسلوبه الطريق الى الحرية المأمولة ، فقد تخلص من كل مشابهه مع الواقع كما تخلص من الرسم وما يفرضه من وصف أو تحديد .. فاللوحة عنده ـ وكذلك صارت عند فؤاد » ـ حالة شعورية . حرة . تخلص من الفرشاة حتى لا تقيده ـ وكذلك فعل أراد أن يكون روحا هائمة فوق سطح اللوحة .. يأتى بعلب الالوان (اللاكيه) لسيولتها . يدلقها فوق سطح اللوحة .

يصطاد من عفرية التداخل ـ الذى يسهم فيه بقدر ـ اشكالا يتوقف عند اكتمالها فى مخيلته .

قال « فؤاد كامل » فى مقدمة كتالوج أحد معارضه بالجامعة الامريكية : (أنا ابن الصدفة التى يتحكم فيها العمى المطلق . الامتثال لالتماع (البرق ـ القلب) أستكشف به طريقا يسوقنى الى هتك ذلك القناع العريض الذى يستر عريى الداخلى ، ويحجب تناقضى الخارجى . انى لا أعلم أبدا ما انتهى اليه بدقة . اذ لا أخضع لخطة أرسمها مقدما ، ولا أشكل مادتى وفق مشروع سابق) .. غير أن تجريدية « فؤاد كامل » لم تنبذ معطيات الواقع بصورة كلية .. فظهرت فى لوحاته ايحاءات طبيعية كالسحب والبحار ، سحب وبحار خاصة ..



احـدى لوحـات عديـدة للفنـان
محفوظة فى متحف الفن الحديث

فـؤاد كامـل
والرومانسـية الجديـدة

لا تنتمى الى وطن نعرفه ·· فوطنها الوحيد هو مخيلة الفنان ·· العاصفة دائمة التوتر والحركة · قد تسيطر على الفنان حالة من الحزن أو الفرح تبقى لفترة · لا تلبث أن تتجسد رموزا ملونة ، تارة بالازرق والاسود وتارة مدوية باللون الاحمر ·· يتصادم مع الدرجات الداكنة الخضراء · ان الفنان فى تقلباته الملونة يقدم لنا ما يشـبه الاعترافات ·· يعبر عنها بكلمات قال فيها :

اننى اثناء تدبير شئون فنى أعمل كما افكر · وأفكر كما أعمل · أى بجميع جوارحى بذهنى وعقلى وعواطفى



القلة والمدفأة .. رسمها فؤاد كامل عام ١٩٥٦

ومزاجى بل وبأحشائى · لا أفصل بين الفعل والفكر ، كما لا أفصل بين ذاتى ذاتى والكون ، فالأثر الفنى الذى يمتص جميع أشعاعات النفس وبصمات الكون هو السطح الصخرى الاخير الذى تطفو فوقه طفوح التصدع والشد والضغط والانكماش والترسب)

وقال عنه د · غالى شكرى : لقد ترك الصنعة والحرفة على الشاطىء القديم ، وأصبح عرافا يرى الصدفة هى اليقين الوحيد والبقعة هى مرادفها اليتيم · ولكن نبوءات « فؤاد كامل » لا ترسم المستقبل وانما تظل أبدا تبحث عنه ·

رسالة طشقند
بقلم : مصطفى درويش

حكاية سمرقند .. ومهرجان طشقند

سمرقند التى أصبحت بفضل فتوحات الغازى « تيمورلنك » عاصمة لامبراطورية تمتد من موسكو الى حائط الصين العظيم .
سمرقند التى ابتغى لها ذلك الغازى الأعرج أن تتسع بها الآفاق حتى تصبح عاصمة العالم القديم .
سمرقند هذه قد تحولت الى مدينة صغيرة أسطورة ذكرها على كل لسان ، ومع ذلك فهى بعيدة ، صعبة المنال .

● فلقد كانت ، وحتى عهد قريب ، لاتزار من احد خارج الاتحاد السوفييتى الا نادرا .
وليس هذا بغريب ..
فالصحراء واعلى جبال فى العالم تحيط بها ، تحاصرها من كل جانب ..

● الطريق الذهبى

وقبل اختراع القطار ، كانت وسيلة الانتقال الوحيدة اليها هى الجمال .
وعلى امتداد قرون كانت طرق التجارة القديمة من سيبريا الى الهند ، من الصين الى مصر تتجمع وتتلاقى فى سمرقند ، الأغريق ، الفرس ، الترك ، المغول ، والعرب .. كل هؤلاء شدوا اليها الرحال .
الاسكندر الأكبر سمع باخبارها ، جنكيزخان حولها الى خرائب ، تيمور الأعرج أعاد بناءها جعل منها درة يحلم بالتلاقى بها الرجال .
ولد « تيمور » فى كاشن « المدينة الخضراء التى تقع فى مكان ليس ببعيد من سمرقند .
لم يكن له من العمر سوى واحد وعشرين عاما عندما بدأ مسيرة غزو العالم .
وبوصفه سيد آسيا بلامنازع ، احتاج الى مدينة ذات جلال تعكس جبروته كحاكم .
وهكذا .. وبعد كل انتصار فى فارس والهند .. كان يجمع ابرع الفنانين وامهر الحرفيين ، يستصحبهم معه فى رحلة العودة لتشييد مدينته الجديدة .

● جنة عدن

وللحق . فان ما قاموا ببنائه لم يكن



الأبيض والاسود فى
« صرخة الحرية »

لاهو بالفارسى ولا هو بالهندى ، بل ولا حتى مستوحى من سمرقند القديمة .

وانما هو شىء آخر مبتكر ، فقد اقاموا صرح مدينة بتصوّر تتارى جديد مذهل .

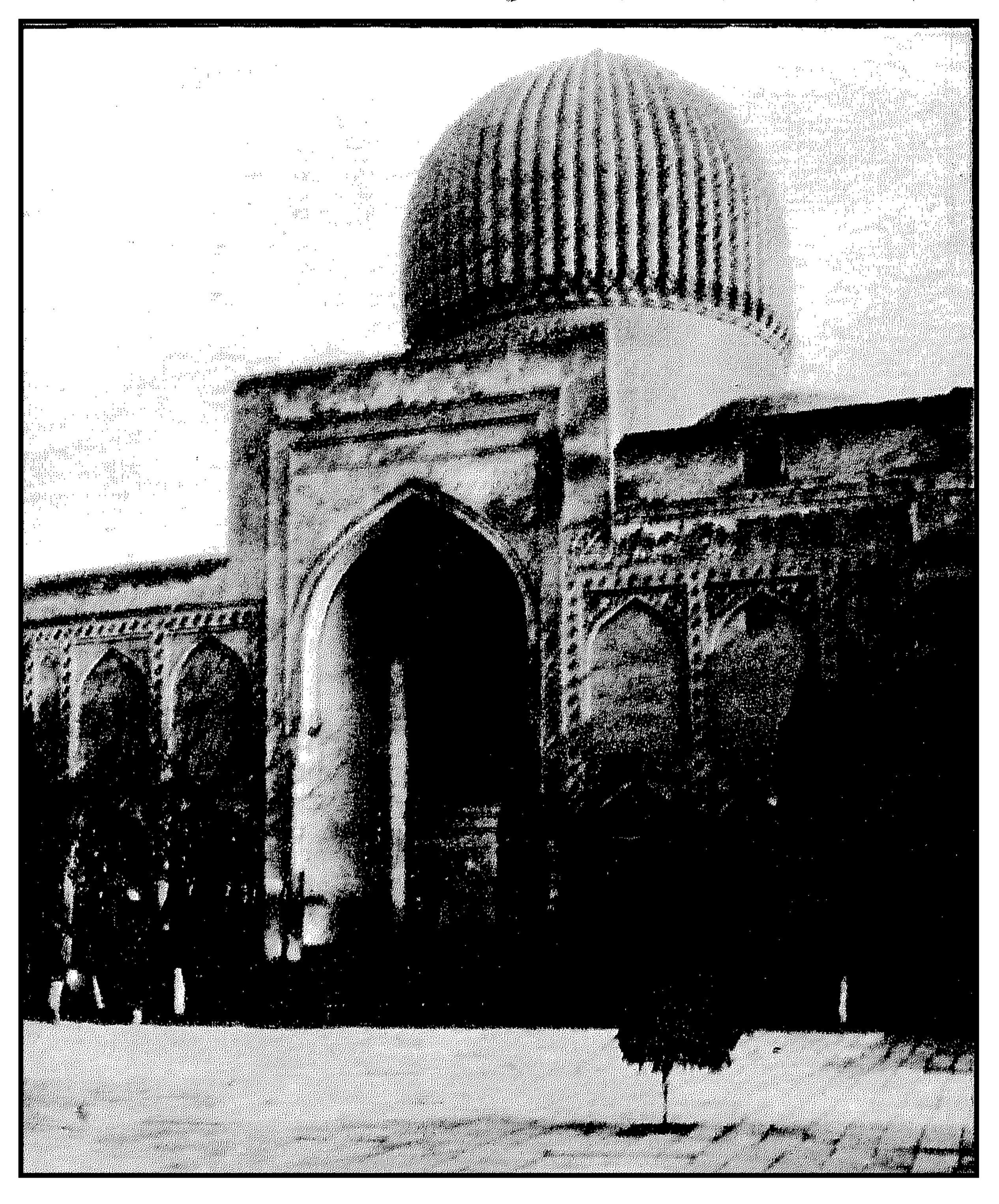
لم تكن ثمة مواد بناء فى سمرقند .. واذا بهؤلاء الحرفيين الاسرى يصنعون من تراب الصحراوات المحيطة مخلوطا بالقش وروث الجمال ، والطين ، المجلوب من نهر « زيرافشان » يصنعون من كل ذلك قوالب طوب ، ابدعوا بفضلها قبابا ضخمة ومآذن من طين غطوها من أعلى الى أسفل بقطع صغيرة من البلاط ذى

اللون الأزرق المتعدد الظلال ، ذلك اللون الذى كان يؤثره تيمورلنك على أى لون آخر .

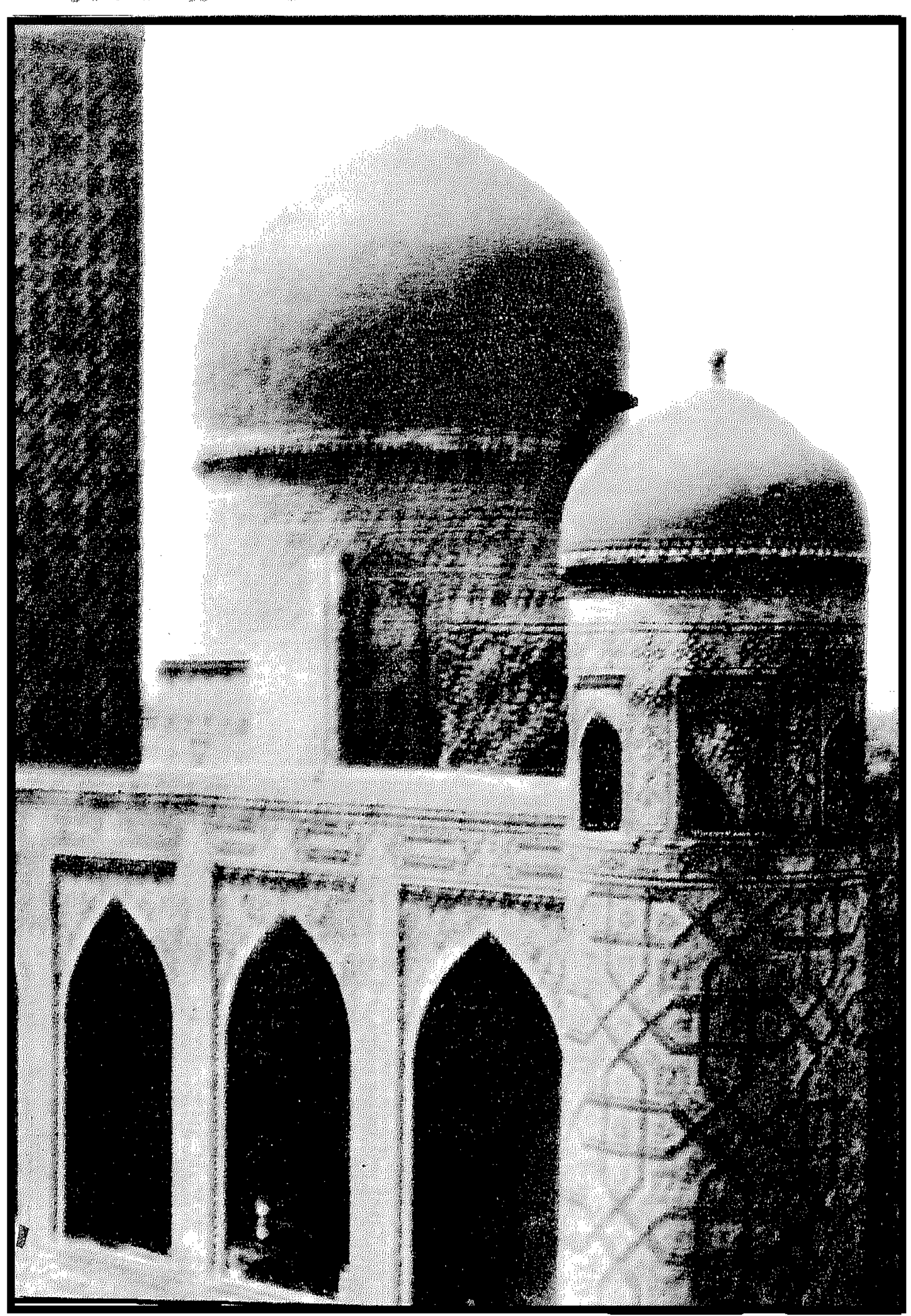
وبالنظر الى انها شيّدت من تراب الصحراء وباستعجال شديد ـ تيمور لنك كان دائما فى عجلة من اموره ـ فان جزءا كبيرا من المدينة الزرقاء قد عاد به الريح الى الصحراء .

ومع ذلك ، فما بقى منها كان كافيا لابهار العقول والقلوب على مر الزمان . « فمارلو » و « ميلتون » كتبا عنها ، وكذلك « روديارد كبلنج » فى وقتنا هذا .

القبة المشهورة لمسجد جورامير بنيت فى القرن ١٥ الميلادى



مبنى الجامع وقبته يشتهر بانه يمكن للمرء مشاهدته بنفس المنظور من جميع الاركان



مع ان احدا منهم لم تتح له فرصة رؤياها .

● **قصة المدينتين**

وما أن جاء القرن الثامن عشر حتى صارت « بخاره » و « سمرقند » مدينتين محرمتين على الجميع فيما عدا المسلمين .

فاذا ما حاول احد من الكفار الذهاب الى هناك ، فمصيره كان الهلاك فى الطريق ، او فقدان الرأس بمجرد الوصول .

وطبعا كانت الدولتان العظميان فى القرن التاسع عشر « روسيا القيصرية » و « بريطانيا العظمى » متربصتين للمدينتين المحرمتين .

ارسلتا مبعوثيها لهما فى مهام سرية ابتغاء الحصول على مزايا من امرائهما ، ولكن دون جدوى .

بل وكثيرا مالقى عملاء الدولتين العظميين مصرعهم فور اكتشاف امرهم ، وذلك لان حكام اسيا الوسطى كانوا مصممين على عدم السماح للكفار بتدنيس الاماكن المقدسة .

وتدور الدائرات ، واذا بروسيا القيصرية تبدأ فى عام ١٨٦١ الاستيلاء على أسيا الوسطى .

● **رحلة العذاب**

وحتى تحت الحكم الروسى ، ظلت الرحلة الى سمرقند شاقة ، يلقى فيها المسافر ألوانا من العناء .

وعلى كل .. فاذا كانت ايام السفر المتخفى وعلى ظهر البعير قد ذهبت ، فان ايام القطارات والبيروقراطية قد بدأت مع الحكم الروسى .

وهاهو دليل السفر « بايديكير » يحذر الاجانب فى نسخة قديمة منه بانه « غير مصرح لهم بزيارة هذه المنطقة الا بعد الحصول على ترخيص بذلك من الحكومة الروسية ، وانه لزام على المسافر ان يرسل طلبه قبل بدء الرحلة بستة شهور على الأقل »

ويالها من رحلة !!

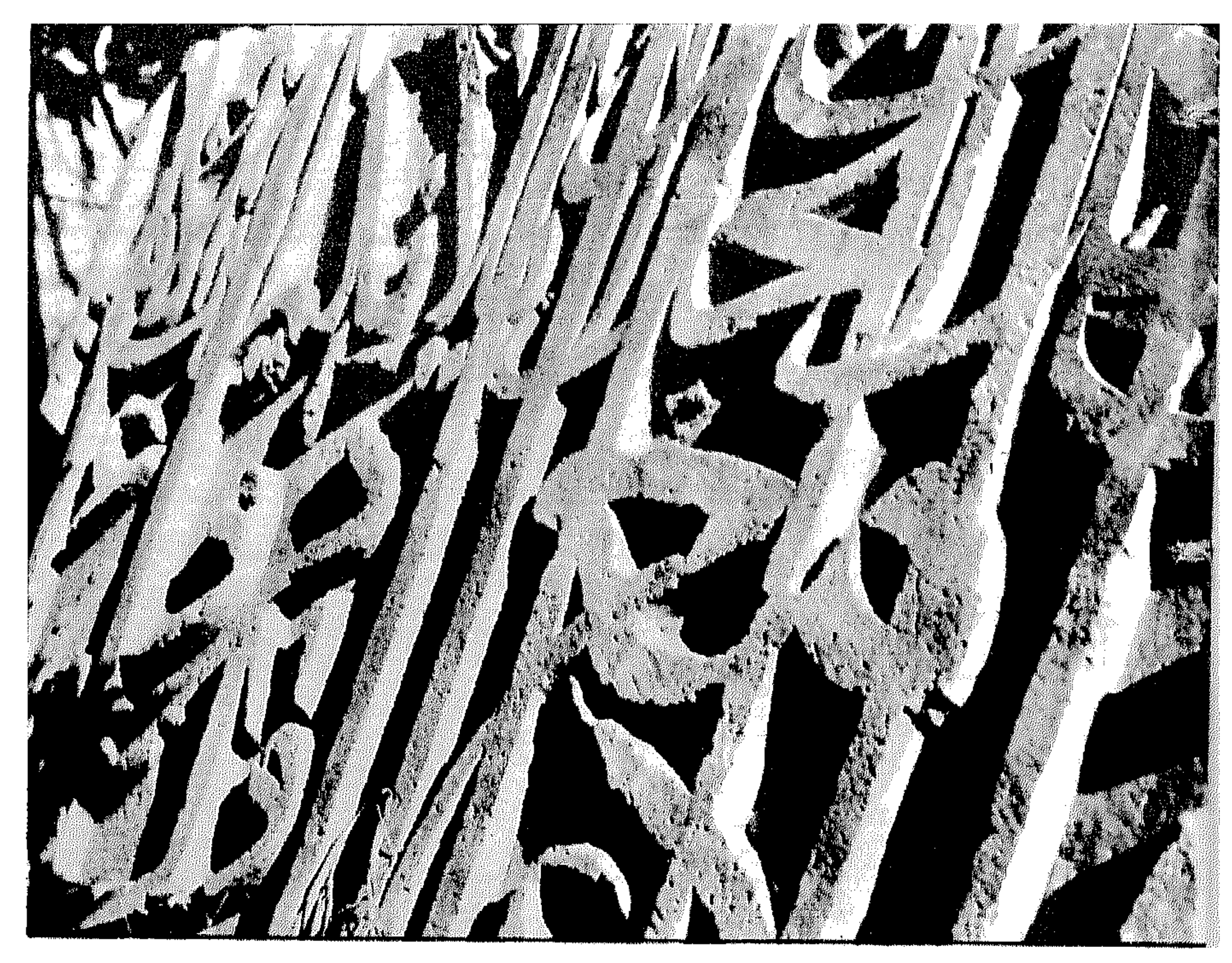
بالقطار من موسكو الى اوديسا فى جنوب روسيا ، ومنها بعبّارة بخارية تجتاز البحر الاسود ، فالى حصان وعربة تشق الطرق فى جبال القوقاز الوعرة ، ثم رحلة بعبّارة اخرى فى بحر قزوين ، وبعد ذلك قافلة جمال تسير الهوينى عبر صحراء « كاراكوم » حتى سمرقند .

وهذه الرحلة تتم الآن بالطائرة تحلق فوق نهر الڤولجا الجبار يتلوى كأفعى من افاعى ماقبل التاريخ ، وفوق الغابات والبحار والصحراوات التى عبرها فى يوم من الأيام الاسكندر وقطعان المغول ، وجنكيزخان .. ومن بعدهم تيمورلنك .. ولا تستغرق سوى ثلاث ساعات وخمسين دقيقة من عمر الزمن .

● **اطلال وبكاء**

وحتى تستطيع ان ترى سمرقند القديمة باثارها التى ترجع الى عهد تيمورلنك ، فعليك ان تترك شارع لينين الواسع ، وتسير فى تيه من الحوارى الضيّقة الملتوية المشبعة بالغبار والتى تنتهى بك الى ماقاوم الزمن ويقى من المدينة الزرقاء .

وفى هذا الجزء الصغير المتبقى لابد ان تزور ميدان ريجستان (الرمل) بمدارسه الثلاث ، ذلك الميدان الذى



سجلت التواريخ على المساجد باحجار المرمر

وصفه لورد بلفور صاحب الوعد المشئوم بأنه أنبل ميدان فى العالم .

وستصدم لانك ستراه فى حالة يرثى لها من إهمال افقده الكثير من السحر الذى جعله فى نظر صاحب الوعد اكثر الميادين نبلا .

ولابد كذلك ان تزور خرائب المسجد العظيم « بيبى خانوم » وهو المسجد الوحيد فى العالم المزين بثمانى مآذن .

ولقد ابتذلت حوادث الدهر هذا المسجد الذى مازال بعظمة خرائبه يطل على سمرقند شامخا ساخرا .

مع ان كل ماتبقى منه قد تقلص الى قوس واحد ضخم وقاعدتى مأذنتين مرصعتين بقطع صغيرة من البلاط الأبيض والأزرق .. فضلا عن قبة هائلة بنفسجية اللون اخترقتها قذيفة انطلقت من فوهة مدفع روسى قيصرى اثناء معركة سمرقند (١٨٦٨) فتركت فيه اثرا عبارة عن فتحة جرى اخفاؤها ببعض عمليات الترميم .

وفى سالف الزمان اعتبروا هذه الأطلال الباقية من المسجد العظيم ، اعتبروها أجمل خرائب فى العالم .

ولكن الاهمال وادعاء اعادة البناء لهذه الخرائب ، قد يعملان على التحوّل بها شيئا فشيئا من اجمل الى اقبح خرائب .

ورحلة البر بالحافلة من سمرقند الى طشقند حيث مهرجان السينما تستهلك من الوقت اربع ساعات او يزيد .

وليس من شك ان السفر جوًا فيما بين هاتين المدينتين افضل بكثير من السفر برا حتى لو طال انتظار التصريح ستة شهور كما كان الحال ايام القياصرة الاوغاد .

● العربية .. أين ؟

ومن هنا ننتقل الى مهرجان طشقند

« نجلاء » نجمة طشقند الاعظم



عاصمة جمهورية اوزبكستان السوفييتية .
هذا مهرجان سينمائى دولى له من العمر عشرون عاما ، تنعقد ايامه بالتناوب مع مهرجان موسكو كل عامين ، وهى لاتزيد على سبعة ايام .. شعاره « السلام والمحبة بين الشعوب والحرية » مكتوب بخمس لغات من بينها الفرنسية التى لايتكلم بها اى فيلم فى المهرجان ، وليس من بينها العربية التى تتكلم بها اربعة افلام روائية طويلة مثلت الوطن العربى فى المهرجان من الجزائر وتونس ومصر والعراق .

كذلك جرى اهمال شأن لغتنا الجميلة فى الترجمة الفورية للزوار فى قاعة العروض الكبرى .

ولعل هذا الاهمال الغريب للغة كانت تكتب بحروفها لغة البلد المضيف « اوزبكستان » فى سالف الاوان ، لعله احد الاسباب التى حدت برئيس لجنة

المسجد العظيم قبل الترميم



تحكيم المهرجان المخرج الشيلى « ميجويل ليتين » الى ان يبدأ كلمته المعدّة لاعلان الجوائز بتحية الحاضرين بكلمتى « السلام عليكم » قالهما بالعربية !!

● **حكمتك يارب**

ومن غرائب المهرجان الاخرى أن يكون من بين عروضه فيلم « نهاية العالم .. الآن » للمخرج الأمريكى « فرنسيس فورد كوبولا » وهو فيلم له من العمر عشرة اعوام .. هل هذا يعقل ؟

وأن يكون « صرخة الحرية » لصاحبه المخرج الانجليزى « ريتشارد اتينبره » من بين افلام العروض الرسمية ، وذلك رغم انه ليس من انتاج اى من القارات الثلاث « امريكا اللاتينية ، افريقيا ، أسيا » التى تقتصر تلك العروض على افلامها وحدها دون غيرها .

وعندى أنه لاتفسير لهذه الظاهرة الشاذة سوى انه فيلم متعدد الجنسيات ، ومن ثم يمكن ان ينسب الى اية قارة من القارات !!

فضلا عن انه واحد من تلك الافلام النادرة التى تناهض نظام التمييز العنصرى البغيض فى جنوب القارة السوداء .

● **المستقبل .. لمن ؟**

ومن هذا التنافر انتقل الى ماعرض فى المهرجان من افلام روائية طويلة انتجتها دول القارات الثلاث .

هذه الافلام سواء ماكان قد دخل منها فى العروض الرسمية او الاعلامية ، لم تزد على ستة وعشرين فيلما ، كان حظ امريكا اللاتينية منها سبعة افلام من بينها الفيلم الكوبى « الحياة فى خطر » الحاصل على جائزة العمل الأول لمخرج ، وكان حظ افريقيا اربعة افلام من بينها « احلام هند وكاميليا » الذى حصلت نجمته « نجلاء فتحى » على جائزة احسن ممثلة .

اما أسيا فقد كان لها نصيب الاسد وهو الباقى من الافلام ، بحيث كادت جميع دول هذه القارة الشاسعة ان تكون ممثلة بواحد او اكثر من اعمالها السينمائية ، وذلك فيما عدا باكستان ودول الخليج باستثناء العراق .

ولعلى لست بعيدا عن الصواب اذا قلت إن مركز السينما العالمية ينتقل بخطى سريعة الى شرقى أسيا وجنوبها الشرقى وبالذات اليابان والصين والهند .

والحق يقال انه لو اجرينا مقارنة بين افلامنا العربية فى المهرجان والافلام الصينية والهندية لاصابنا فزع عظيم وهم مقيم .

فأفلامنا كانت تعانى من ضحالة مهينة وهزال مشين .. اما افلامهم فكانت تشع حيوية وابتكارا .. فلقطة واحدة من فيلم « بعيدا عن الحرب » للمخرجة الصينية « هويى » تفضل افلامنا العربية الأربعة مجتمعة .

وفكرة واحدة من افكار فيلم « الرحيل الابدى » للمخرج الهندى « جوتام جوسش » تجب جميع افكار افلامنا من المحيط الى الخليج .

ومن حسنات طشقند ومهرجانها انه

فهو فيلم مؤلف ما فى ذلك شك لأنه فضلا عن قيام صاحبه بكتابة السيناريو والاخراج .. فقد نهض بالتصوير ووضع الموسيقى .

● انتصار الظلام

وهو فيلم جرىء فى موضوعه ، يعرض صاحبه فيه لمأساة المرأة فى الديانة البراهمية اذا جاء الموت زوجها وهى على قيد الحياة .

فتقاليد هذه الديانة قبل ان يحرمها الحاكم الانجليزى فى النصف الاول من القرن الماضى ، كانت توجب على الزوجة ان تودع الحياة هى الاخرى ، وترافق زوجها المتوفى الى العالم الآخر .

ويبدو ان المتشددين فى الدين يعملون جاهدين الآن على الارتداد بالمجتمع الهندى الى هذه التقاليد البربرية .

والفيلم ينقد هذه الردة نقدا مرا بأسلوب سينمائى خالص خال من التعقيد .

ولعله من الخير ان يعرض عندنا هنا فى مصر .. ومن يدرى لعله يفيد ، لأننا فى الوطن العربى لم نر من الأفلام الجادة التى تتناول المشاكل التى تواجه الانسان المعاصر وبالتحديد انسان عالمنا الثالث حيث يرفع البعض منا لواء العودة الى وراء ، لم نر منها الا القليل .



باب من الخشب فى سمرقند يرجع الى القرن ١٥ الميلادى ويلاحظ تعدد الاشكال الفنية على سطحه

ساعة اعلان النتائج ، اذا بهذا الفيلم الهندى هو المتوج بجائزة المهرجان الكبرى التى استحقها عن جدارة .

من ذخائر الكتب العربية

التعريف بابن خلدون ورحلته.. شرقاً وغرباً

حياة ابن خلدون في مصر

بقلم : مصطفى نبيل

يلاحظ من يقرأ السيرة الذاتية للمفكر الكبير عبد الرحمن ابن خلدون ، أن حياته تنقسم إلى مرحلتين ، المرحلة الأولى قبل وصوله إلى مصر ، والمرحلة الثانية بعد وصوله إليها ..

يروى في المرحلة الأولى ، أصله ونسبه وأساتذته ، والكتب التي قرأها ، والوظائف التي شغلها ، واعتزاله وتأليفه سفره العظيم كتاب « العبر » ، وهو ما استعرضناه في العدد السابق ..

ويصل للمرحلة الثانية عندما يروى قصة رحيله إلى مصر عام ٧٨٤ هـ ـ ١٣٨٢ م ، التي قضى فيها ما تبقى من حياته ، وخاض فيها تجاربه الجديدة ، فأضاف ونقح كتابه « العبر » ، وخط كتاب « التعريف » في ضيعته بالفيوم ..

● غادر ابن خلدون المغرب وتوجه إلى مصر ، هربا من السياسة ، ومن أجل التفرغ للعلم والدراسة ، ولكنه بعد وصوله إلى القاهرة انغمس لا في السياسة وحدها ، بل في المناورات والمنازعات بين الأمراء والسلاطين ..

ولم يستطع ابن خلدون طوال حياته ، الإفلات من تأثير قوتين متضادتين ، ولعه بالدرس والعلم من



جانب ، وحبه للمنصب والجاه من جانب آخر ، بدأ حياته دارسا ثم انتقل إلى العمل والسياسة ، ووصل إلى أعلى المناصب ، ولم يستطع التخلى عن العلم ، فكان يعمل فى تدبير الملك صباحا ويلقى محاضراته عندما يأتى المساء ، ولا نجده يذكر فى سيرته الذاتية انهماكه فى شئون الحكم إلا ويعقبها بذكر حنينه إلى الاعتزال وطلب العلم ، حتى انه كرر ذلك سبع مرات وهو يروى سيرته الذاتية .. !

ربما كان ذلك بسبب شغفه الشديد بمعرفة تفاصيل اللعبة السياسية ، التى لايعرفها ألا من كان فى قلبها ، وجاء تنوع تجاربه من خلال عمله السياسى وطبيعة حياته الصاخبة ، والتى استخرج من رحيقها سفره القيم .. وربما انتقل اليه الحنين للعلم والسياسة ، من عائلته التى كانت تتقلب حسب قوله .. « بين رئاسة سلطانية ورئاسة علمية » ..

ولكن المؤكد أن تجاربه السياسية التى عاشها ، هى التى أمدته بتلك الواقعية التى اتسمت بها مؤلفاته ، وأنها السر وراء وصوله إلى تلك المعادلة الصحيحة بين الوقائع والأفكار ، بين الواقعية والمثالية ، بين الواقع والخيال ، فكتب أهم ما جاء فى التراث العربى ، وجعلته تجربته العملية يرى الواقع وينفذ منه إلى حركة المجتمع وتاريخ المجتمعات البشرية ، فجاء هذا الفكر الخلاق الذى قدمه .

وكتب تلك العبارة النافذة .. « إن المنطق القديم لايطابق الحياة الواقعية ، وأن الواجب يقضى على من يريد فهم الحياة الحقيقية أن ينظر إليها حسب منطقها .. » ، وكان يخط بهذا القول منهجا جديدا ، لايكاد يعرف فى العصور الوسطى ، وانقضت قرون حتى يسود فى العصر الحديث ، وهذا ماجعل مؤرخا مثل أرنولد توينبى

يقول : « إن ابن خلدون آخر نجوم المؤرخين ، فقد صاغ فلسفة للتاريخ ، هي بلاريب أعظم عمل من نوعه ابتكره أى عقل فى أى عصر .. » ..

ومازال الفرق بين النظرية والتطبيق أحد أسباب عجز الكثير من المفكرين ، الذين يهملون الواقع ويحلقون فى نظريات مجردة ، ويتضح ذلك أكثر مايكون فى الحياة اليومية ، فإذا طلب صديق أو قريب نصيحة أحد المفكرين ، تأتى هذه النصيحة عملية مكتسبة من خبرة الحياة ، أما مايعلنه ذات المفكر فوق المنابر العامة فيقتصر غالبا على الأفكار التى لاصلة لها بواقع الحياة ، ولكن مفكرنا قدم فكرا عمليا يقترن بموقف نقدى ، يفحص الأخبار فى معزل عن الأفكار ، حتى وجد من يقيم أفكاره بأنها « منحرفة عن شرعة الأخلاق » ، وجعل سيريان Syrien يبدئ دهشته بقوله : « إن سيرته الذاتية تمتلىء بالمتناقضات التى تعود إلى العبقرية المزدوجة ، فمؤلف تلك الأسفار العظيمة ، لايزال لغزا ، بسبب الفارق بين عقائده وسلوكه ، والتباين بين نظرته للمصلحة العامة وأنانيته الظاهرة ، والتناقض بين عدم تحيزه فى البحث والعلم وتفضيل نفسه على الآخرين ، مما جعل تقييم سيرته الذاتية مهمة صعبة !

فهل هذه الصعوبة هى التى جعلت أغلب الأبحاث حول أعمال ابن خلدون تتناول مقدمته وكتابه « العبر » ، وتتجنب كتاب « التعريف » الذى يروى فيه سيرته الذاتية .. ؟

● أبعد من الخيال ..

ولنصحبه وهو يروى رحلته الغنية بالتجارب إلى مصر ، ونتأمل وقائعها ، وأثرها فى كتابات عصره ، لعلنا نحل اللغز الذى ظهر لسيريان عن قراءته سيرة ابن خلدون الذاتية ..

جذبت القاهرة ابن خلدون ، لأنها عاصمة الفكر والثقافة ، وأجمل عواصم الشرق عمارة ، وهى مقر الخلافة الاسلامية ، وموطن الأزهر الشريف ، وعاصمة أكثر الدول الاسلامية ازدهارا ، وأشهرها تجارة وصناعة ، وقلعة الجهاد التى رد جيشها عن أرض العرب والاسلام ، الصليبين والتتار ..

وكان الإطار السياسى فى مصر مشحونا بالعوامل التى لم تعرض له من قبل فى المغرب ، فلا تحكمها قبائل متنازعة كما عاش خلال تجربته الأولى ..

ولندع ابن خلدون يصف لنا القاهرة ، يقول : « رأيت حاضرة الدنيا ، وبستان العالم ، ومحشر الأمم ، ومدرج الذر (النمل) من البشر ، وايوان الاسلام ، وكرسى الملك ، تلوح القصور والدواوين فى جوه ، وتزهر الخوانك والمدارس بآفاقه ، وتضىء البدور والكواكب من علمائه ، قد مثل بشاطىء بحر النيل نهر الجنة ، ومدفع مياه السماء ، يسقيهم

النهل والعلل سيحه ، ويجبى إليهم الثمرات والخيرات ثجه ..

ومررت في سكك المدينة تغص بزحام المارة ، وأسواقها تزخر بالنعم ، ومازلنا نتحدث عن هذا البلد ، وبعد مداه فى العمران ، واتساع الأحوال .

ولقد اختلفت عبارات من لقيناه من شيوخنا وأصحابنا ، حاجبهم وتاجرهم ، بالحديث .. سألت صاحبنا قاضى الجماعة بفاس ، وكبير العلماء بالمغرب ، أبا عبد الله المقرى ، كيف هذه القاهرة ؟

قال : « من لم يرها لم يعرف عز الاسلام .. » ، وسألت شيخنا أبا العباس بن إدريس كبير العلماء ببجاية قال : « كأنما انطلق أهله من الحساب » ، يشير إلى كثرة أممه وأمنهم العواقب .

وسأل الفقيه الكاتب أبو القاسم البرعى فقال : « إن الذى يتخيله الانسان فإنما يراه دون الصورة التى تخيلها ، لاتساع الخيال عن كل محسوس إلا القاهرة ، فإنها أوسع من كل ما يتخيل فيها .. »

هكذا كانت صورة القاهرة قبل أن يصلها ، وعندما وصلها كان فى الثانية والخمسين من عمره ، وسبقه اليها سفره العظيم « العبر » ، وذاع صيته ، واحتفت به القاهرة واندمج سريعا فى نسيج حياتها ، وأصهر بعد المأساة التى وقعت لأسرته من إحدى عائلاتها ، وأقام بها أربعا وعشرين عاما وحتى آخر أيام حياته ، وسكن على النيل ، وكتب سيرته الذاتية فى ضيعته بالفيوم المهداة إليه من السلطان برقوق .. ويصف لنا استقبال القاهرة له بقوله : « ولما دخلتها أقمت أياما ، وانثال علىَّ طلبة العلم بها ، يلتمسون الافادة مع قلة البضاعة ، ولم يوسعونى عذرا ، فجلست للتدريس بالجامع الأزهر ، ..

ويسجل معاصروه من علماء القاهرة انطباعهم عنه :

● ويذكر تقى الدين المقريزى .. « قدم فى شهر رمضان سنة ٨٧٤ هـ ، شيخنا أبوزيد عبد الرحمن بن خلدون من بلاد المغرب ، وتصدى للاشتغال بالجامع الأزهر ، فأقبل الناس عليه وأعجبوا به » ..

● يقول لنا ابن حجر العسقلانى .. « كان لسنا فصيحا ، حسن الترسل وسط النظم ، مع معرفة تامة بما يتحدث فيه » ..

● ويذكر أبو المحاسن بن تغرى بردى .. « واستوطن القاهرة ، وتصدر للإقراء بالجامع الأزهر مدة ، وإشتغل وأفاد » ..

● العالم والسلطان !

كان ابن خلدون يجيد التعامل مع الحكام ، ويعرف كيف يؤثر عليهم عند لقائهم ، فهو حسن الصورة ، بارع الحديث ، يملك لباقة ومعرفة واسعة ، يحسن عرض معارفه ومواهبه ، وكانت شخصيته الجسورة تجذب إليه السلاطين والأمراء ، وسبق له ونجح مع العديد منهم ، عندما التقى ببدرو ملك قشتالة ، وعندما التقى بالسلطان برقوق ، وعندما التقى بتيمور لنك فى مرحلة لاحقة ..

فماذا كان بين العالم ابن خلدون والسلطان برقوق .. ؟

إنه يعرف كل التفاصيل عن طبيعة الحكم الذى يتعامل معه ، سلبياته وإيجابياته ، يتوق الحاكم ليسمع منه مصائر الدول ومصارعها ، أسباب قوة الحاكم ، وضعفه ، ولايخرج ماقاله للسلطان عن حكم المماليك عن ما سطره في كتابه « التعريف » .. يقول : أهل هذه الدولة التركية بمصر والشام معنيون بإنشاء المدارس لتدريس العلم ، والخوانق لإقامة رسوم الفقراء فى التخلق بآداب الصوفية السنية ، وفى مطارحة الأفكار ونوافل الصلوات ، أخذوا ذلك عمن قبلهم من الدول الخلافية (الخلافة) ، فيختطون مبانيها ، ويقفون الأراضى المغلة للانفاق منها على طلبة العلم ، ومتدربى الفقراء ، وإن استفضل الريع شيئا عن ذلك ، جعلوه فى أعقابهم خوفا على الذرية الضعاف من العيلة (الفقر) ، واقتدى بسنتهم فى ذلك من تحت أيديهم من أهالى الرياسة والثروة ، فكثرت لذلك المدارس والخوانق بمدينة القاهرة ، وأصبحت معاشا للفقراء من الفقهاء والصوفية ، وكان ذاك من محاسن هذه الدولة التركية ، وآثارها الجميلة الخالدة » ..

وكان لديه الكثير ليقوله للسلطان ، فقد وصل إلى القاهرة بعد أن تولى السلطان الظاهر سيف الدين برقوق بحوالى عشرة أيام ، والذى وصل إلى أريكة الحكم بعد صراع مرير ، وعبر موجة من المؤامرات وعمليات القتل والخنق والسجن والإبعاد ، وخاض طريقا طويلا ، بدأ كأحد المماليك فى القاعدة حتى وصل إلى القمة ، وكان آخر ما وصل إليه أتابكا للعسكر (قائدا) ومديرا للسلطنة ..

« ثم كان الاتصال بالسلطان ، فأبر اللقاء ، وآنس الغربة ، ووفر الجراية من صدقاته شأنه مع أهل العلم .. » .

هذا ما ذكره ابن خلدون عن لقائه بالسلطان برقوق ، ومنه نتبين أن أول لقاء ، نتج عنه علاقة حميمة دامت حتى آخر أيام السلطان ، بعد أن ترك انطباعا لدى السلطان بعقليته الفريدة ، ومعارفه الواسعة وفهمه لشئون الدولة ، وسانده بعدها السلطان فى كل أعماله ، وأصبح له حاميا ونصيرا ..

حتى أن السلطان كتب رسالة إلى سلطان المغرب ، يطلب فيها السماح لأسرة ابن خلدون بالقدوم إلى القاهرة ، سجل نصها ابن خلدون ، وجاء فيها .. « لقد آثر ابن خلدون الإقامة عندنا بالديار المصرية ، لا رغبة عن بلاده ، بل تحببا الينا وتقربا إلى خواطرنا بالجواهر النفيسة من ذاته الحسنة ، وصفاته الجميلة » ..

ومنذ هذا اللقاء ، وابن خلدون يشارك في حياة مصر السياسية ..

● العالم الفقيه ..

أشبع ابن خلدون حبه للمعرفة بالتردد على مخازن الكتب العديدة في القاهرة ، والتفاف عدد من التلاميذ حوله ، ولقاء العلماء وإلقاء المحاضرات في مدارسها ، فعلاوة على إلقاء الدروس في الأزهر الشريف ، عين أستاذا في المدرسة القمحية بالفسطاط ، ويذكر درسه الأول الذى كان في موضوع بالغ الدلالة وهو « دور العلماء في الدولة » ، ويقول في ختام المحاضره .. « شيعتنى العيون بالتجلة والوقار ، وتناجت النفوس بالأهلية للمناصب (!) » ، وقيل « محاضراته إليها المنتهى » ، ثم انتقل للتدريس بعدها في المدرسة الظاهرية في بين القصرين بحى الجمالية ، وعقب عودته من الحج عين شيخا للحديث في مدرسة صرغتمش ، وترك كوكبة من التلاميذ على رأسهم تقى الدين المقريزى ، الذى تمثل فيه وفاء التلميذ لأستاذه ، فكان يلقبه شيخنا ، العالم العلامة ، شيخ الفقهاء ، وصل إلى مرتبة .. لم يعمل مثلها ، وإنه لعزيز أن ينال مجتهد منالها ، إذ هى زبدة المعارف والعلوم ، وبهجة العقول السليمة والفهوم ، توقف على كنه الأشياء ، وتعرف حقيقة الحوادث ، والأنباء ، وتعبر عن حال الوجود ، وتنبىء عن أصل كل موجود ، بلفظ أبهى من الدرر النظيم ، وألطف من الماء مر به النسيم »

ومن جانب آخر أحنق عليه المدرسة المحافظة ، وأثارت دروسه وأفكاره الجدل ، واتهمته هذه المدرسة بكل نقيصة !

● قاضى القضاة

فإذا كان ابن خلدون أشبع حبه للعلم والدرس ، فحان ظهور ولعه بالمناصب والجاه ، وها هو يتولى منصب قاضى قضاة المالكية ، ولم يمض على وجوده في القاهرة سوى عامين ، وهو منصب له أهمية بالغة ، وهو واحد من أربعة قضاة يمثلون المذاهب الأربعة ، وإذا كان منصب القاضى في عصر فصل السلطات لاصلة له بالسياسة ، فإنه في عصر ابن خلدون أحد المناصب السياسية الهامة ، فالقضاه يفتون في القضايا الهامة ، ويستشيرهم السلطان في أمور الحكم ، ويتمتع القاضى بنفوذ كبير ، لايقل عن الأمراء المتنازعين في ظل الوضع القبلى في المغرب .

ويمكن تلمس مظاهر الجاه للقاضى في تفاصيل صغيرة سجلها المؤرخون ، مثل عدم جواز سير القاضى على أقدامه ، وكانت بغلة من نوع خاص هى مطية القاضى ، رمادية اللون ، غالية الثمن ، يوازى ثمنها أفضل الجياد ، ولا يسمح لغير القاضى بركوب ذات اللون ، وتمنح للقاضى من السلطان عند تعيينه .

لذلك فالصراع الذى يدور حول منصب القاضى هو أشد الصراعات

السياسية ضراوة ، وتحفل سيرة ابن خلدون الذاتية بالصراعات التى دارت ، حتى أن مؤرخنا تقلد هذا المنصب وعزل منه ست مرات ، وتوفى بعد ولايته السادسة بأيام قليلة .

ويحكى لنا تعيينه فى منصب القاضى بقوله : « وبينما أنا فى ذلك (يقصد التدريس فى المدرسة القمحية) ، إذ سخط السلطان (على) قاضى المالكية فى دولته لبعض النزعات فعزله ... اختصنى السلطان بهذه الولاية تأهيلا لمكانى وتنويها بذكرى ، وشافهته بالتفادى من ذلك ، فأبى إلا إمضاءه ، وخلع على بايوانه ، وبعث من كبار الخاصة من أقعدنى بمجلس الحكم بالمدرسة الصالحية .. »

ويروى ابن حجر العسقلانى فى كتابه « رفع الإصر عن قضاة مصر » قصة توليه القضاء بقوله : « لما دخل الديار المصرية ، تلقاه أهلها وأكرموه وأكثروا ملازمته والتودد له والتردد إليه ، فلما ولى المنصب تنكر لهم ، وفتك فى كثير من أعيان الموقعين ، والشهود » فقد ... « لازم أبطنغا الجوبانى (أحد أمراء المماليك) ، فاعتنى به ، إلى أن قرره الملك الظاهر برقوق فى قضاء المالكية ، فباشره مباشرة صعبة ، وقلب للناس ظهر المجن ، وصار يغرر بالصفع ويسميه « الزج » ، فإذا غضب على إنسان قال « زجوه » فيصفع حتى تحمر رقبته » إلى أن يقول : « لم يغير زيه المغربى ولم يلبس زى قضاة هذه البلاد ، وكان يحب المخالفة فى كل شيء »

أما ابو المحاسن ابن تغرى بردى فله رأى آخر .. ابن خلدون عمل على تحقيق العدل ، وواجه الكبير قبل الصغير .... « باشره بحرمة وافرة ، وعظمة زائدة ، وحمدت سيرته ، ورفع رسائل أكابر الدولة وشناعات الأعيان ... وكان صارما للغاية ، وقد أنكر تدخل الشخصيات الهامة ، ورفض الرشوة ، فشهروا به عند السلطان فعزله .. »

وسجل لنا ابن خلدون تجربته فى القضاء بقوله : « قمت بما دفع السلطان إلى من ذلك المقام المحمود ، ووفيت جهدى بما أمننى عليه من أحكام الله ، لا تأخذنى فى الحق لومة ، ولا يزعنى عنه جاه ولا سطوة ، مسويا فى ذلك بين الخصمين ، آخذا بحق الضعيف من الحكمين ، معرضا عن الشفاعات والوسائل من الجانبين ، جانحا إلى التثبت فى سماع البيانات والنظر فى عدالة المنتصبين لتحمل الشهادات ، فقد كان البر فيهم مختلطا بالفاجر ، والطيب ملتبسا بالخبيث ، والحكام ممسكون عن انتقادهم ، متجاوزون عما يظهرون عليه من هناتهم ، لما يموهون به من الاعتصام بأهل الشوكة ، فإن غالبهم مختلطون بالامراء ، معلمون للقرآن ، وائمة فى الصلوات ، يلبسون عليهم بالعدالة ، فيظنون بهم الخير ، ويقسمون لهم الحظ من الجاه فى

تزكيتهم عند القضاة والتوسل لهم ، فأعضل داؤهم ، وفشت المفاسد بالتزوير والتدليس بين الناس منهم ، ووقفت على بعضها فعاقبت فيه بموجع العقاب ، ومؤلم النكال ..... وكان منهم كتاب لدواوين القضاة والتوقيع في مجالسهم ، وقد دربوا على إملاء الدعاوى ، وتسجيل (الأحكام) ، واستخدموا للأمراء فيما يعرض لهم من العقود ، باحكام كتابتها ، وتوثيق شروطها ، فصار لهم الفضل بذلك على أهل طبقتهم ، وتمويه على القضاة بجاههم ، يذرعون به مما يتوقعونه من عتبهم لتعرضهم لذلك بفعلاتهم ، وقد يسلط بعض منهم قلمه على العقود المحكمة ، فيوجد السبيل إلى حلها بوجه فقهي أو كتابي ، ويبادر إلى ذلك متى دعا اليه داعي جاه أو منحة ، وخصوصا في الأوقاف التي جاوزت حدود النهاية في هذا المصر بكثرة عوالمه ، فأصبحت خافية الشهرة ، ومجهولة الأعيان ، عرضة للبطلان ، باختلاف المذاهب المنسوبة للحكام بالبلد ، فمن اختار فيها بيعا أو تمليكا ، شارطوه وأجابوه ، مفتاتين فيه على الحكام الذين ضربوا دون سد الحظر والمنع حماية عند التلاعب ، وفشا في ذلك الضرر في الأوقاف ، وطرق الغرر في العقود والأملاك .. فعاملت الله في حسم ذلك بما آسفهم وأحقدهم ... وكبحت أعنة أهل الهوى والجهل ، ورددتهم على أعقابهم .. فأرغمهم ذلك مني ، وملأهم حقدا وحسدا علي ... ولم يكن ذلك شأن من رافقتهم من القضاة ، فنكروه عليّ ، وعدوني إلى تبعهم فيما يصطلحون عليه من مرضاة الأكابر ، ومراعاة الأعيان ، والقضاء للجاه بالصور الظاهرة أو دفع الخصوم إذا تعذرت ، فأبيت في ذلك كله إلا إعطاء العهدة حقها ، والوفاء لها ومن قلدنيها ، فأصبح الجميع على ألبا .. وفي النكير على أمه .. وانطلقت الالسنة ، وارتفع الصخب ... فكثر الشغب على من كل جانب ، وأظلم الجو بيني وبين أهل الدولة ، ... واعتزمت الخروج من المنصب ، فلم يوافقني عليه النصيح ممن استشرته ، خشية من نكير السلطان وسخطه »

ولعلي اطلت في الاستشهاد بما جاء على لسان ابن خلدون ، ولكن ألم تلحظ عزيزي القارىء أن تلك الأساليب التي سجل بعضها مفكرنا تتوالى على مر العصور .

محنة !

عندما ينشب صراع في قمة السلطة ، فما الذي على العالم والمفكر أن يفعله ، ومع من يقف في الصراع ؟ مع الحق أم مع المنتصر ؟ كانت هذه هي المحنة التي واجهت ابن خلدون خلال حياته في القاهرة .

وقع ذلك عندما نجحت إحدى المؤامرات ضد السلطان ، وأمكن خلع السلطان برقوق من منصبه ، وقاد هذه المؤامرة يلبغا الناصري في ٥ جمادى الثاني عام ٧٩١هـ - ١٣٨٩م ، وطلب السلطان برقوق من الناصري الأمان وسلمه شعائر السلطة ، ونفي الى قلعة في دمشق .

ولم يكن ذلك سوى أحد فصول الصراع على السلطة بين أمراء المماليك ، وسرعان ما فر السلطان برقوق في جنح الظلام من القلعة ، وتجمع حوله الانصار ، وتوجه إلى القاهرة لاسترداد عرشه ، وقامت

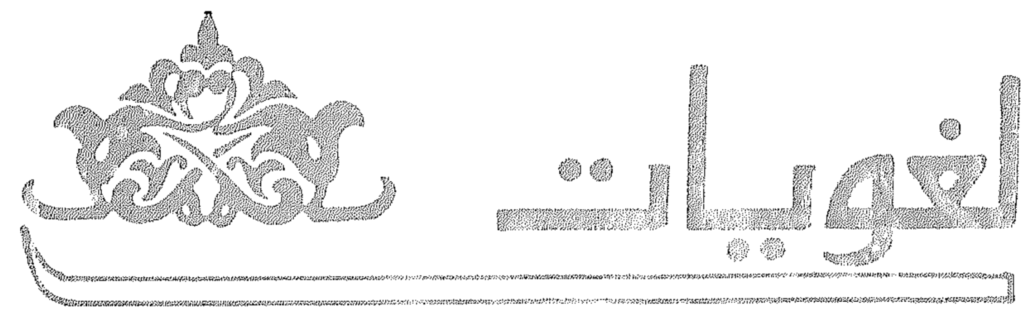
الاستعدادات لمواجهته ، وعزم الاتابكى منطاش على الخروج لمقاتلته ، وجمع منطاش مجلسا يضم الخليفة والقضاة الأربعة وعددا من العلماء بينهم ابن خلدون ، وطلب اليهم إصدار فتوى بشرعية مقاتلة برقوق وقواته ، ورغم أن ابن خلدون تربطه صلات حميمة بالسلطان برقوق ، فإنه وقع الفتوى ، فإذا كان يؤمن بمثالية الاهداف فهو يؤمن أيضا بواقعية الوسائل ، ويرى أمامه شمس الدين محمد الركراكى يرفض توقيع الفتوى فيودع في سجن القلعة ، وربما تذكر ما وقع لصديقه لسان الدين الخطيب الذى أعدم وشوهت جثته ثمنا لموقفه المعارض ..

وتدور الدوائر وينتصر جيش السلطان برقوق ويهزم جيش منطاش ، ويعود برقوق إلى أريكة السلطنة ، وبعين الركراكى قاضيا لقضاة المالكية ويعزل ابن خلدون من الخانقاة البيبرسية .

ويذكر ابن خلدون هذه الواقعة في سيرته الذاتية ، ولكنه يؤكد أن خصومه كانوا وراء عزله من منصبه .... يقول « أغذ الظاهر برقوق السير إلى مصر ، وتلقاه الناس فرحين مسرورين بعوده وجبره ... ، وعادت الدولة إلى ما كانت عليه ، وولى سودون على نيابته ، وكان ناظرا للخانقاه التى كنت فيها ، وكان ينقم علىّ أحوالا من معاصاته فيما يريد من الأحكام في القضاء أزمان كنت عليه ... وكان الظاهر ينقم علينا معشر الفقهاء فتاوى استدعاها منا منطاش ، وأكرهنا على كتابتها فكتبناها ، وورينا فيها بما قدرنا عليه ، ولم يقبل السلطان ذلك ، وعقب عليه وخصوصا على ، فصادف سودون منه إجابة في إخراج الخانقاه عني ، فولى فيها غيرى وعزلنى عنها .. !! ، وكتبت إلى الجوبانى بأبيات أعتذر عن ذلك يطالعه بها فتغافل عنها ، وأعرض عنى مده ، ثم عاد (السلطان) إلى ما أعرف من رضاه واحسانه »

وهو هنا يروى تفاصيل القصة بوضوح ، أى يدافع عن واقعيته في التعامل مع الأحداث السياسية التى اعترضته ، ولا يرى فيما قام به ما هو مشين ، ولا يوائى فيما فعل ولا يعتذر عنه ، بل ويقول بصراحة ... « إن السعادة والكسب إنما يحصل غالبا لأهل الخضوع والتملق .. » !

وفى لقائه بتيمورلنك نجد صورا أوضح لهذا السلوك ، عندما قام بدور المفاوض بين تيمورلنك وأهالى الشام ، وهو ما نتناوله في العدد القادم .



● يقال : « هذا أمر لا يليق بك » ·· أى لا يصلح لك ، أو لا يجمل بك أن تفعله ·· والليافة أصلها لصوق الشيء وامساكه ، فقولهم : لا يليق بك ·· معناه : لا يمسكك ولا يلصق ولا يعلق بك ·· ومنه قول المتنبي :

وما لاقني بلد بعدكم ··
ولا اعتضت من رب نعماى رب

ومعنى قوله « ما لاقني » : ما أمسكني ولا التصق بى ·· فهو غير لائق بى ··

● الصلاة تجيء بمعنى الدعاء ·· وجرت العادة بقصر هذا الدعاء على الانبياء ·· والرافضة الاثنا عشرية وغيرهم من الباطنية يسرفون فى الصلاة على أئمتهم حتى لكأنهم فوق الانبياء ، كما يبالغ بعض الشعراء فى مدح الامراء بالصلاة عليهم ، كقول المتنبى فى مدح سيف الدولة :

وانى لاتبع تذكاره
صلاة الاله وسقى السحب

وقول ابن الرقاع :

صلى الاله على امرىء ودعته
وأتم نعمته عليه وزادها

● « التاليس » عند العامة ، يقصد به السخرية والعبث والتفكه ·· وتاليس فلان على فلان معناه سخريته منه ·· وكلمة التاليس أصلها « التقليس » بمعنى اللهو والتهريج فى الافراح والحفلات ·· والقائمون بالتقليس يسمون « المقلسين » ··

● العامة يصفون الشخص المتعطل أو المتشرد فى الطرقات بانه « صايع » ·· والصائع كلمة عربية ·· وصاع القوم : تعاركوا وحمل بعضهم على بعض ·· وصاعت النحل : تفرقت فى الهواء وتباعدت هنا وهناك ·· ومن ذلك قول أمير الشعراء شوقى ··

وأقبلت الوفود عليه تترى
كسرب النحل فى الثمرات صاعا

● تقول العامة : فلان « حدف » فلانا بطوبة أو بحجر ·· و « حذف » بالذال المعجمة اى التى فوقها نقطة ، تعني - فيما تعنى - الرمى بالحجر أو العصا أو باى شىء ·· فالتعبير العامى صحيح ، لا ينقصه الا نقطة الذال ! ··

● بعض الممثلين يتندرون فى مسرحياتهم على « الصلع » ·· وكانت العرب تمدح الرجل بالصلع ، فيقول الشاعر : « وكل كريم لا ابالك أصلع » ·· وقال صاحب الجمهرة : « الصلع من سمات الشرف والسؤدد » ··



نعرف ان كثيرا من الناس يدعون انهم شعراء ويرون فيما ينظمونه من الكلام المتفق مع الوزن العروضي نمطا رائعا من الشعر يرتفعون به أمام أنفسهم وحدها • فاذا سمعوا ناقدا مهذبا يبدى رأيه الصادق فيما يقولون ضاقوا به ورموه بالهوى المغرض ، نعرف هؤلاء المدعين ، ولكننا لا نعرف غير الشاعر الكبير ابراهيم عبد القادر المازنى شاعرا جياش العاطفة ، صادق الوجدان ، جيد التصور والتصوير ، بارع الصياغة ثم هو مع ذلك كله ينكر أن يكون شاعرا له مقامه الاصيل ، والمازنى ـ بعد ـ ناقد ادبى كبير يعرف معادن القول ومنازع الارتفاع ، ومواضع الانحدار فى البلاغة الشعرية ، وله فى النقد الادبى فصول رائعة كانت احدى البنات القوية التى علا بها الصرح النقدى المعاصر ، أفيجوز لمثله أن ينسف غيره محللا روائعه ، ومفسرا ميوله واتجاهاته فى صدق صائب ؟ ثم يجور على نفسه هذا الجور ! وهل يجوز لنا معشر القراء أن نقرأ شعره الاصيل فنشيح عنه لانه تبرأ منه •

لقد كان موقف المازنى من نفسه غريبا فى بابه ، وموضع تساؤل نحاول ان نجيب عنه ، وفى اصدقائه من تبرع بالاجابة وليس أقرب اليه من زميله فى النضال الادبى ، وصاحبه فى أحرج عواصف النضال الاستاذ عباس محمود العقاد ، حين قال بصدد هذا الاتجاه فى حفلة استقبال المازنى بمجمع اللغة العربية ـ ببعض التصرف « لم أر أحدا يجور على المازنى كما يجور المازنى على فضله وقدره ، وقد طاب له منذ سنوات ان يثابر على الاستخفاف بعمله والاستخفاف بجدواه فأنكر على نفسه الشاعرية ، وأنكر



حافظ ابراهيم — عبد الرحمن شكرى — عباس العقاد

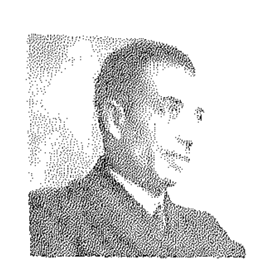
غناء ما يكتب وينظم ، وقد غالطته احيانا فقلت له ان هذه البدعة منه ضرب من المكر المحسن ، الذى لا يستغرب ، كأنه أراد ان ينزل عن مكانه ليجلسه الناس عليه ، وان يجحد حقه ليثبته له الناس .

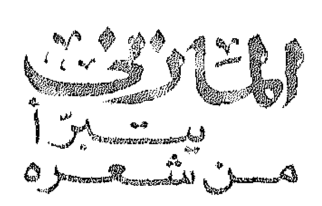
والارجح انى غالطته حين استفززته بمثل هذه التهمة البريئة ، وان حقيقة الامر فى هذه الخصلة ان المازنى يستخف بعمله ، وبغير عمله احيانا ، لانه يستصغر حياة الانسان فى جانب اماد الخلود ومصاير الاقدار ولانه ينظر الى اعلى ، ولا ينظر الى ادنى فيقيس ما عمل بما اراد ان يعمل ، فاذا هو دون ما اراد ، وان كان فوق ما اراده عاملون اخرون » .

فالعقاد يعترف أنه يغالط المازنى حين يستفزه بأنه يتبرأ من شعره ، وينزل عن مكانه ليجلسه الناس عليه فهو اذن صاحب حيلة ماكرة فى هذا الاتجاه ، اما العلة الصحيحة لدى العقاد فهى أنه يقيس ما قال بما كان يجب ان يقول فيرى نفسه مقصرا ، وفى كلام المازنى ما ينبىء عن ذلك ولكن الادباء جميعا ـ الا من حطمه الغرور ـ يقيسون ما قالوه بجانب ما يتمنون أن يقولوه فيجدون الفرق بعيدا ، لان الامال واسعة والمجهود محدودة مهما بلغتمبلغها من الاتساع ، فلماذا لم يتبرأوا مما يقولون كما تبرأ المازنى من شعره فى اصرار .

لقد وجد كلام العقاد صداه القوى فى نفس الشاعر المبدع الاستاذ محمود عماد رحمه الله ، فكتب تقديما شعريا لديوان المازنى الذى قام على مراجعته وضبطه وتفسيره بعد وفاة الشاعر بتكليف من المجلس الاعلى للفنون والاداب ، قال فيه .

نظم الشاعر هذا الشـ
ـعر يوما وارتضاه
وبيوم آخر انكر
ه ثم نفاه :
قال ان الشعر فن
ما له عندى اداه
والذى سطرت منه
دون ما قلبى وعاه
وأوى لا ينظم الشـ
ـعر الى يوم الوفاه
قلت ما انصف ابر
اهيم فيما قد اتاه





أين من بالنظم يسمو
أفد تقضي مبتغاه
ان للنفس كلاما
لا تؤديه الشفاه
خير شعر الشاعر السلس
القوافي ما عصاه

فعماد يوافق العقاد في رأيه أن المازني يرى ان ما سطر دون ما وعى! وهذا حق ، ولكنه ليس العلة المانعة ، ولكنها ظروف تتابعت ، وازمات تلاحقت ، فتركت سحبها الغائمة في نفس صافية شفافة ، فكدرت نظرتها ، وعكست اتجاهها ، اذ رات السلامة في البعد ، والراحة في السكوت .

● أوليات المازني

اتجه المازني في مطلع حياته الى الشعر ينظمه ويكتب عنه ، وكان مع رفيقيه شكري والعقاد ينتحون وجهة جديدة تعطي مفهوما طريفا للشعر غير متداول بين الجمهرة العامة . فالشعر كما يقول المازني : يحلق بالمرء فوق الحياة ، ويرغمه أن يحس ما يرى وان يرى ما يحس ، ويجعل القبح جمالا ، ويزيد الجمال نضرة وجلالا ، ويفجر في النفس ينابيع الالم ، والامل والفزع والسرور ، ويذهب مياه الموت المسمومة المتدفقة في عروق الحياة فلا جرم كان الشاعر أحسن الناس واعمقهم حكمة ،واجمعهم لخلال الخير ، وخصال الفضل ، هذا هو الشعر كما عناه المازني ، اما الشاعر فهو من يقول عنه ايضا :

يرى من ستور الغيب حتى كأنما
يطالع في سفر جليل المراقم
له خاطر يقظان ليس بشائم
يجيش بأصداف اللآلى الكرائم
ولحظ كأن البرق ريش سهامة
يضيء حواشي كل أغبر قاتم
وروح كان البرق ريش سهامة
بها قطرة ، من زاخر متلاطم
كأن رياضافي مثاني حروفه
أرجن بأنفاس الثغور المباسم
وما الشعر الا صرخة طال حبسها
يرن صداها في القلوب الكواتم
يرقرق أنداء العزاء على الاسى
ويضرم طورا خامدات العزائم

هذا هو الشعر وهذا هو الشاعر في رأي المازني ، وقد هيأ نفسه ان يكون منذ تخرج في مدرسة المعلمين العليا هذا الشاعر المرموق ، واخذ ينقد مالا يراه متفقا مع مذهبه من أقوال الكبار من معاصريه ، جريئا غير هياب ، وكانت الوظيفة الحكومية حينئذ أثمن شيء يحرص عليه ذوو الدرجات الرسمية من خريجي المدارس العليا ، ولكن المازني راى ان حملة على الشاعر الكبير حافظ ابراهيم غيرت عليه نفوس رؤسائه في وزارة المعارف ، فكانت تضحيته الاولى من اجل حريته الشعرية أن يستقيل من التدريس بمدارس الوزارة ؟ وان يلاقي مصاعب العيش في التدريس الحر بالمدارس الاهلية التي لم تكن ذات اجر دائم أو مكافيء ، ولكن صاحب الرسالة الادبية شاء ان يكون حرا في رأيه غير عابيء بغضب أحد، وهي حرية ارهقت نفسه ، واقلقت

معاشه ، وكان هذا اول بلاء واجهه حين اعتنق مذهبه الشعرى الجديد !

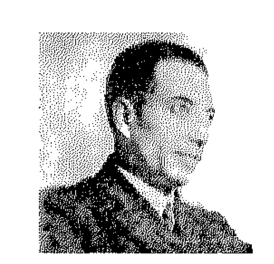
اما البلاء الثانى فمعاداة الصديق الاثير ذى الميل المتفق ،، والرأى المتشابه ، لقد كان المازنى يتصور ان خصومه سيكونون من مخالفى اتجاهه الشعرى ، وهو حينئذ لا يعبأ بهم ، اذ ان لكل وجهة هو موليها ، ولكن صديقه واستاذه وزميله فى آن واحد الشاعر الكبير عبد الرحمن شكرى قد قرأ شعر المازنى فوجد فى الجزء الاول من ديوانه قصائد مترجمة عن الانجليزية لم تنسب الى قائلها ، مع انه نبه المازنى اليها، واشار عليه الا يضمها الى ديوانه حين يهم بطبعه ، فكتب نقدا صريحا لصديقه ، نشره فى مقال ثم كرره فى مقدمة الجزء الخامس من ديوانه ، والمازنى لا يعبأ بنقود خصم مذهبه التجديدى من شعراء البعث ومن يؤيد منحاهم الشعرى ، ولكن النقد حين يوجه من شاعر يؤمن به ، ويكتب المقالات النقدية فى تقدير ادبه ، فهو حينئذ لافتة خطر ذات ضوء باهر تنذر بالسقوط ! وليس المازنى رغم هدوئه الظاهرى بالذى يسكت عن الاذى مصيبا كان او مخطئا ، ولكنه انسان يفرح ويالم ويغضب ويعتب ويمدح ويهجو ، وقد رأى ان يرد على نقدات شكرى فقال فى مقدمة الجزء الثانى من ديوانه من كلام متصل ·

« اما ما اتهمنا بسرقته مما ورد فى الجزء الاول من ديواننا ، فقصيدة « فتى فى سياق الموت ، وهى ثمانية ابيات ولقد راجعنا قصيدة الشاعر (هود) فوجدنا فى قصيدتنا ابياتا ليست له ، ونحن ننزل عن القصيدة كلها راضين ونبرأ الى الله من تعمد اخذها والاغارة عليها ، وقصيدة (قبر الشعر) وهى خمسة ابيات فكلها الى حظ أختها ، ولقد راجعنا الجزء الاول قصيدة لنميط عنه الاذى» وراجعنا دواوين الشعراء التى عندنا فلم نعثر على شىء من اجله اتهامنا بالسرقة الا ابيات فى (رقية حسناء) وهى « لشلى » والجزء الاخير من قصيدة (أمانى وذكر) وهو (لبيرتر) وأول هذا الجزء « ياليت حبى وردة » ولو ان ما اخذ علينا وما نبهنا القراء اليه من تلقاء انفسنا حذف ، لما انقص ذلك من قيمة شعرنا فان فى ديواننا الاول نحو الف بيت ، وليس ما اخذ علينا خيرها ولئن كان هذا دليلا على شىء فهو دليل « على سعة الاطلاع وسرعة النسيان وهو ما يعرفه عنا اخواننا جميعا » ·

هذا اعتراف صريح اضطر اليه المازنى ، دون ان يشفع له قوله « ولئن كان هذا دليلا على شىء فهو دليل على سرعة النسيان وسعة الاطلاع ، لان التعلة بالنسيان تكون فى تشابه معنى ، وتماثل فكرة ، اما ان تكون فى قصيدة مكتملة فالتبرير بالنسيان لا يكفى ·

● خصومة اليمة

فقد يقوم الانسان على حرب لا مفر منها ، وهو فى اعماقه يلعن ظروفها واسبابها ، وهذا الشعور وحده يجعله كالنادم فى كل اصابة يوقعها بغريمه ، وهكذا اضطر المازنى الى ان يشن الحرب النقدية على شكرى ، وهى حرب شاقة عسيرة ،لان شكرى زميل الاتجاه الفكرى ، ورفيق المذهب الشعرى ، واذا كان الهجوم على شوقى وحافظ له اسبابه الداعية من اختلاف وجهة النظر بين شعراء البعث وشعراء الديوان ، فكل مايوجهه المازنى الى شكرى هدم لما اشتركا معا فى بنائه ! ان الرجل يسير على الشوك فى هجومه على صاحبه ، ولن يستطيع السكوت ازاء رميه بالسرقة ، لاسيما ان شكرى كرر الصيال فى مجلة



المازني يتبرأ من شعره

المقتطف مرة ثانية ، وهبت مقـــالات الشامتين تشنع بالمازني ، وكان عجيبا ان يصدر كتاب الديوان ، وبه مقـــال للمازني عن شكري تحت عنوان (صنم الالاعيب) وموضع العجب أن الهجوم على شكري تحطيم لكل ما تقـــدم به المازني والعقاد معا من اراء جـــديدة في الحقل الشعري ، والمهمة كمـــا قلت عسيرة ، ولكن الغضب مـــؤرث الافتيات ، ومن هـــذا الافتيات الظالم قول المازني ان شكري قد تكلف لجهله مالا يحسن اذ اراد ان يكون شـــاعرا وكاتبا من الطـــراز الاول ، وظن ان الاجتهاد يغني عن الاستعداد فلا هـــو بلغ الى درجة مما طمع فيه ولا هـــو قنع بميسور المعين ، ولا نقـــول ان شكري مجنون ، ولكننا نقول انه متجه الى هذا المجنون وان فكرته مالئـــة لجوحياته ، والمخوف منه منغص عليه كل لذاته .

وهكذا دار هجوم المازني في اكثره حول شكري لا حول شعره » واذا كنا نعرف عن شكري شدة الانفعال وضيق الصدر فقد تاثر بهجوم المازني تاثرا ادى الى الاعتزال الادبي حقبة طويلة، فقضى اكثر من سبعة عشر عـــاما في اوج مقدرته الذهنية ، وقـــوته العاطفية لا يكتب ولا ينظم ، وهـــو معروف بشدة مراقبته لنفسه ، وتحليله لشاعره ، وقد افصح عن هذه المشاعر في قصيدة رائعة عدها الاستاذ العقاد من اقوى ما قيل في الشعر العـــربي بعامة ، اذ انحى شكري على نفســـه باللائمة كما انحى على صـــديقه ، واعترف بنوازعه الشخصية التي لـم يستطع أن يسلم منها حينكرر الهجوم على صاحبه ، ولم يرحم زلته الادبية حين اخذ كلام سواه ، وجمال شـــكري الرائع في صدقه الخـــالص من كل شائبة ، لان هذا الصدق الرقيق اتاح له ان يصور النفس الانسانية في شتى اتجاهاتها تصويرا بارع الريشة محكم الاداء ، كما يرسم الضعف الانساني لدى البشر عامة حين تتحكم العاطفة السريعة في موازين العقل فيشـــتعل الضرام اتيا على اعواد ناضرة تحمل جمال الزهر » وعبير الروض . يقول الاستاذ عبد الرحمن شكري منصفا :

حنوت على الود الذى كان بيننا
وان صد عنـــه ما جنينا على الود
ولا اكذبن الناس قلبي كقلبـــه .
له اثة ميـــل عن المنصف والقصد
كلانا جنى شـــرا فعاد اخـــاؤنا
محالا حكى ذكرى الشباب على بعد
ايلتئم الصخران في اليم بعـــد ما
تردد مـــوج اليم بالصدع والهد
وكنا على ما كان من قرب انفس
كنهرين في وادى الغضارة والورد
هو البغض مثل الحب لحظ فمنطق
فنار لها بين الاضـــالم كالوقـــد
فياليت انى قد غفـــرت جفـــاءه
ونبوته حتى يصـــد عن الصـــد

والحق ان المـــازني منذ اعتزل شكري مجال الادب ، كرر اعتـــذاره في مقالات شتى ، واكد اعتـــرافه بسبق شكري ، بفضله في توجيهـــه الادبي وقال فيما قال عنه : ومن طول ما عرفته ، وفرط ما ملأت نفسي بـــه صرت على البعد والقطيعة اســـتطيع ان استوحيه ، فكأننا ما تباعدنـــا

ولا تجافينا ، ولقد تنمرت له وغدرت به ، ولكنى والله ما كرهته ولانطويت له فى احلك ساعات النقمة الا على الود والاكبار .

وقد كان فى مثل هذا التودد ما يجر الى الصفاء بعد الجفاء ولكن شكرى استبعد ان يلتئم الصخران فى البحر بعد أن يصدعهما الموج بضرباته المتتالية فيحدث الانشقاق ، وهكذا نظر المازنى فى أمره مع صديقه فعرف ان الشعر كان سبب القطيعة ، فكان عاملا اخر من عوامل هجره ، واتجاهه الى فن سواه

● أعباء الحياة

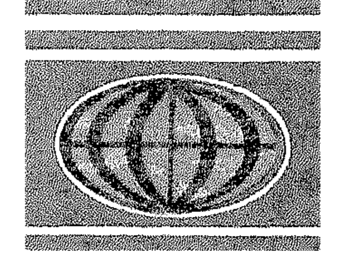
يحتاج الشعر الرائع فى نظمه الى تؤدة واستقرار ، فاذا كانت الانفعالات النفسية ، والخواطر الوجدانية مما يتدفق فى نفس الشاعر، فان صياغة هذه الخواطر الرائعة لدى شاعر كبير كالمازنى يحتفل بالبيان الرصين ، والفصاحة السلسة الشفافة ، تتطلب هدوءا واتئادا ، وقد كان المازنى قبل ان تزحمه اعباء الاسرة الكبيرة يملك هذا الهدوء ، فنظم ديوانين كبيرين نسبيا ، ولكنه مع زحمة الحياة ، وضرورة الكسب اخذ يرهق نفسه بالكتابة فى الصحف ليعيش ، فهو يكثر من المقالات والقصص فى الصحف اليومية والمجلات الاسبوعية والشهرية ، ولا يكاد مع هذا المجهد الجاهد الى هذا يبلغ كثيرا مما يريد،يقول الدكتور احمد أمين فى معرض رثاء المازنى « لقد ظل يحمل مشعله ، ويؤدى رسالته زهاء اربعين عاما ، يغذى الفكر العربى ويرهف شعوره ، وهو فى ذلك لا يمل ، ولا تكاد تفتح عينيك كل يوم من غير ان ترى مقالا لا ينشره او كتابا ، ولذلك كان دائما مضطرا يكتب ليعيش وتعيش اسرته ، يعانى المرض والالم ويحس الحاجة القصوى الى الراحة ، وانى له هذا ، والعيشة لا ترحم ، والحكومة لا ترحم، والاغنياء لا يرحمون ، تتدفق الاموال على الراقصة الخليعة » والمغنى المهرج ، ويعيش الاديب عيشة سوداء كحبر قلمه ، ومن مجرى ضيق كشق قلمه»: ومن كان فى هذه الدوامة الهائلة فله العذر ان ينفض يده من التصيد.

على ان المازنى كتب عدة مرات عن مهزلة الخلود الادبى وكيف اعتقدها فى بدء حياته الفكرية وسعى اليها جاهدا ، ثم مضت الايام وخلود الذكر وهم يتراءى دون ان يكون حقيقة واقعة ، لان ذاكرة التاريخ تطمس اكبر الجهود ، ومن تسمح بذكره وترداد اثاره لا يجاوز معشار من يغمرهم النسيان ، بل ان المأساة كل المأساة ان تسمح ذاكرة الزمن احيانا بذكر الخامل على حين تسحب ذيل العفاء على النابه المطبوع من اساطين البيان فالخلود اسطورة ـ فى رأى المازنى ـ حاكها الادباء لانفسهم ، وكثر تردادها حتى كانها حقيقة : اما المازنى فقد عرف فى المسر الخالص ، وتحدث عن نفسه حين قال يرثى ذاته .

اراد خلود الذكر فى الارض ضلة
فاورده النسيان شر الموارد
فلا تندبوه انه ليس بالاسى
حقيقا ولا اهل الهموم العوائد
وخلوه للديدان تاكل لحمه
وذاك لعمرى خطب كل البوائد

هذه بعض العوامل التى دفعت المازنى الى ان ينكر شاعريته معلنا ذلك لقرائه : ولكن السؤال الذى يجب ان نسأل المازنى عنه هو : أصحيح انه يعتقد فى اطوائه انه غير شاعر ؟ وهل يجوز له ان يصدر حكما تقوم الحيثيات القاطعة على نفيه القاطع ؟ وديوانه الرائع دليل هذه الحيثيات !!

العالم في سطور



نيويورك

● ستنج .. المطرب الذى يكره جيمس بوند

فى عالم الغناء الغربى ، لكل موسم مطربه الذى يلمع فيه بسرعة .. ثم يخبو ويختفى أيضا بنفس السرعة التى ظهر بها .

ومطرب هذا الموسم هو ستنج الذى أصدر البومه الثالث هذا الشهر تحت عنوان « لا شىء اشبه بالشمس » وقد لا يكون ستنج هو وحده اللامع هذا العام .. ولكنه أحد الأذكياء الذين يفهمون لغة الشهرة التى تلحق بمطرب لا يلبث أن يذوب فى الظل كما يأتى غيره مكانه .. ولذا فقد حصر نشاطه خلال الاعوام الماضية فى السينما فعمل فى أفلام مميزة لم يغن فى أحدها أغنية واحدة . بل نوع ادواره وكأنه ليس ذلك المطرب المجنون الذى يملأ قاعات الغناء بالضجيج والحركة وأيضا العنف على طريقة الفرنسي جونى هاليداى .. حيث عرض أخيرا أحدث أفلام ستنج فى اطار مهرجان كان تحت عنوان « يوم الاثنين العاصف » ..

لاتنبع أهمية ستنج فى أدائه الجيد المتميز ولا فى شعبيته الساحقة التى يحققها مع كل البوم فنى جديد .. ولا مع ارتباطه كعازف ومطرب للعديد من الفرق المشهورة مثل الخنافس ورولنج ستون .. بل تتركز أهميته فى الحصيلة الثقافية التى استطاع الحصول عليها . ففى سن الثامنة عشرة درس الأدب



ستنج

الانجليزى فى جامعة وارويك . ولم يصب بالهوس تجاه مطربى الفرق الغنائية قدر جنونه واعجابه بأدب د . هـ . لورانس ، وجيمس جويس .

عمل ستنج فى العديد من المهن البسيطة قبل ان يتجه الى العزف والغناء وهو فى الخامسة والعشرين من العمر . سجل ألبومه الأول عام ١٩٧٨ ، وعقب اصداره ألبومه الثانى عام ١٩٨٠ رحل فى جولة غنائية فى الشرق الأوسط وبعض دول آسيا ثم مالبثت السينما أن اختطفته ومنحته مليونى دولار عن كل فيلم من أفلامه الخمسة . وقد رفض أن يؤدى شخصية جيمس بوند قائلا : احب ان اكون موتسارت ، أو بولجاكوف .

بــــــاريـــــس

● حركات إنسانية سامية

فى مقال جذاب نشرته مجلة « يوليس ٢٠٠٠ » تحت عنوان « الخالدة » حول الرقص الإيقاعى كشفت المجلة ـ ان حركة الجسم الانسانى تكون فى اسمى معانيها عندما تكون فى حالة رقص وقد وقع هذا بتسمية الراقصات والراقصين بالخالدين .

وتقول المجلة «رغم ان التاريخ قد عرف ملايين الراقصين والراقصات الا ان القليلين هم الذين أجادوا أحداث الحركة بشكل اعجازى مثل الفنانة الايطالية ماريا تاليونى ، وكارلوتا جريزى .. والبريطانية ايـزادورا دنكان .

وترى المجلة ان الرقص الفردى الذى كانت ترقصه هؤلاء الفنانات قد رفع من هذا الفن الى معانى اكثر سموا بعيداً عن الحس الجسدى مثلما فعلت الراقصة آنابا فلوفا فى باليه «البجع الميت» وقد دفعت هؤلاء الراقصات الدول الى انشاء معاهد لتدريس هذا الفن وأصبح فى كل مكان بالعالم المتحضر معاهد متخصصة وخاصة معاهد الباليه .

وتقول المجلة أن هذا الفن قد أدهش العديد من الفنانين التشكيليين الذين خصصوا ريشتهم لتصوير حركة الجسم البشرى بأسلوب سامٍ راق ومن ابرز هؤلاء الفنانين تولوز لوتريك وديجا صاحب اللوحات العديدة مثل « درس فى الرقص » .

وتؤكد المجلة على ماتقول بأن الجسم الانسانى عندما تدب فيه الشيخوخة . فإنه لا يتحمل الحركات الايقاعية ولذا فإن اعمار الفنانين قصيرة .. وعلى عجلة الحياة ان تدور دائما ..

درس فى الرقص لوحة ديجا ١٨٦٧



بـــــرودواى

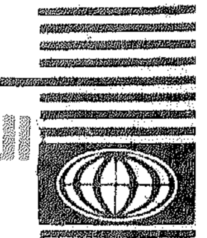
● الكوميديا الموسيقية فى المقدمة

« خط الكورس » .

هو عنوان المسرحية الاستعراضية التى اثبتت ان الكوميديا الموسيقية لا تزال فى القمة .. وانها لم تنته كما يدعى البعض بل إن أحد النقاد قد ذكر أن هذه المسرحية الموسيقية قد كتب انها اكثر العروض جاذبية التى عرضت فرق مسارح برودواى ..

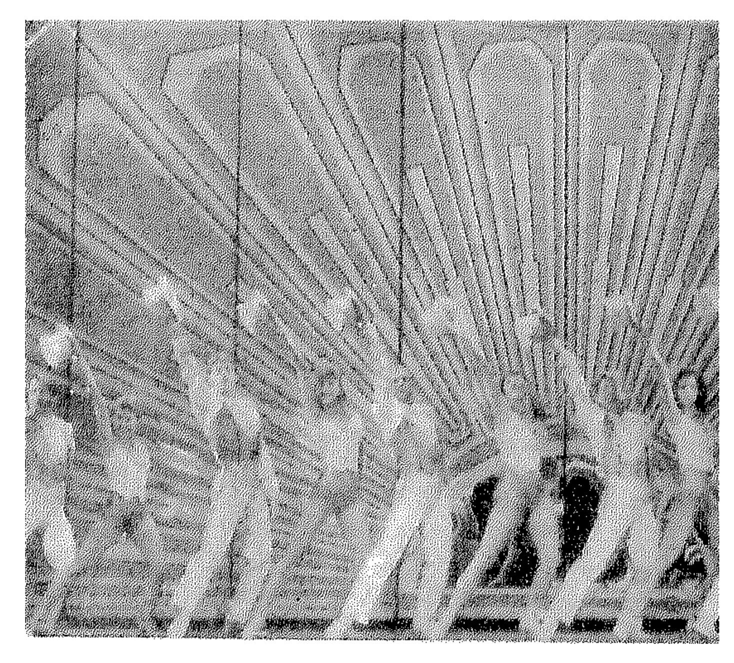
فى الشهور الأخيرة طافت الفرقة المسرحية التى تمثل هذه المسرحية ببعض الدول فحققت نفس النجاح الذى تحققته طوال ثلاثة عشر عاما فى نيويورك . ومن هذه الدول : كندا ، فرنسا ، استراليا ، اليابان ، الأرجنتين ، نيوزلندا .. الـخ .

بدأ عرض المسرحية لأول مرة فى مسرح صغير ـ ابريل ١٩٧٥ ـ لا يسع اكثر من ٣٠٠



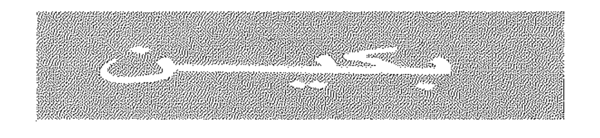
مقعد ضمن مسابقة مسرحية تسمى مهرجان شكسبير .. وفازت المسرحية بالجائزة الأولى فى هذه المسابقة .. ثم فازت بجائزة بوليتزر المخصصة لمثل هذه العروض كما فازت بجائزة النقاد . وصاحب كل هذه الجوائز اتساع فى دوائر المشاهدين والمسارح التى تعرضها . فحققت ايرادات وصلت الى ١٨ مليون دولار على مسارح برودواى . اما العروض التى تمت خارج الولايات المتحدة فقد حققت ٣١ مليون دولار . هذا بالاضافة الى تحويلها عام ١٩٨٦ الى فيلم سينمائى ضخم اخرجه ريتشارد اتبنره ـ مخرج فيلم غاندى ـ وقام ببطولته مايكل دوجلاس ـ الفائز

خط الكورس



بأوسكار احسن ممثل عام ١٩٨٨ ـ وقد تنازعت على انتاج هذا الفيلم ثلاث شركات سينمائية ضخمة ـ فرصد له ٢٥ مليون دولار ـ لكن الفيلم لم يحقق نفس النجاح وبينما اختفى الفيلم فاذا بالمسرحية تنتقل من مسرح لآخر ومن مدينة لمدينة .

وتجىء أهمية حدوتة هذه الكوميديا الموسيقية انها تضم فى احداثها حكايات عديدة لغجر ، وزنوج ، وثوار ، ويهود ، وبنات ليل .. وقد تغير طاقم العاملين بها اكثر من مرة منذ عرضها اول مرة حتى الآن .. حيث انها تستدعى وجود راقصين مهرة من الشباب يرقصون طيلة العرض .



● الموسيقى ... لغة البشر الأولى

تستعد فرقة الأوبرا الرسمية فى الصين هذه الأيام للاشتراك للمرة الثالثة بعرض اوبرالى فى مهرجان الربيع المقرر اقامته بباريس فى شهر سبتمبر القادم . كانت المرة الأولى التى اشتركت فيها الصين فى هذا المهرجان هو عام ١٩٨١ . أما فى المرة الثانية فقد لفتت الفرقة الانظار بعرض اوبرا «الاحلام الثلاثة» المستمدة من التراث الشعبى الصينى ..

وتروى هذه الاوبرا حكاية عازف ناى يقص على مجموعة من الحاضرين مرثاة اسرة صينية تكافح من أجل تأمين غد أفضل لأعضائها . أما المجموعة التى تستمع هذه المرثاة منهم من الموسيقيين الذين يشتركون بدورهم فى الغناء فى خلية الأحداث .

كتبت احداث الأوبرا كاتبة تسمى السيدة لو . وقد سمعت حكايتها ـ وهى صغيرة ـ على لسان أبيها الذى كان يرويها لجيرانه ،

ويدفعهم للغناء مثلما يفعل الراوى فى القص المكتوب «كنت أرى النساء يعزفن الايقاع فوق المائدة بأصابعهن الطويلة لم اكن افهم كلماتهن ، ولا العبارات المكتوبة . ولكننى كنت احس بشىء مهيب يخرج من اعماقهن ، شىء كأنه الشعر . وكأنه قادم من السماء » .

وتقول الكاتبة ان نجاح هذه الأوبرا فى فرنسا يعود الى ان الموسيقيين الصينيين قد استخدموا التونات الأربعة المعروفة فى الموسيقى . وخاصة ان المطرب الصينى قد تدرب على الغناء بهذه التونات فأصبح كأنه مجموعة الات موسيقية . او اوركسترا متكامل ينوع فى نغماته حسبما يشاء .. وحسبما تستدعى الضرورة .

من المعروف ان مهرجان الخريف مخصص لعروض الأوبرات القادمة من العالم . ومهما اختلفت اللغات الشادية ، فإن هذا المهرجان يؤكد أن الموسيقى هى اللغة الأولى التى يفهمها البشر مهما تعددت ألسنتهم .

الاحلام الثلاثة .. اوبرا من الصين



فينيسيا

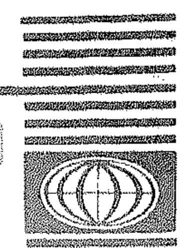
● الفينيقيون سبقوا القرن العشرين

أحدث المعرض الذى يقام فى فينسيا هذه الأيام ضجة كبيرة بين الفنانين ونقاد الفن التشكيلى ، ليس لأن المعرض استغرق اعداده قرابة ربع قرن . بل لأن الجميع اكتشف ان فنون القرن العشرين لم تكن ابدا طليعية مثلما يتصور البعض وانها ليست سوى محاكاة للفنون القديمة خاصة الفن الفينيقى .

فمنذ اكثر من ربع قرن دأب الباحث الاثرى ساباتينو موسكاتى فى البحث عن مجموعة من الاثار الفنية التى تركها الفينيقيون فى قبرص وأسبانيا وسردينيا وصقلية ولبنان .. مؤمنا بما قدمته الحضارة الفينيقية للبشرية فهى أول من ابدعت الحروف الهجائية قبل الميلاد بخمسة عشر قرنا . واستطاع موسكاتى أن يجمع مجموعة من التحف الأثرية النادرة التى ابدعها الفنان الفينيقى ترجع الى قرون مختلفة من هذه الحضارة . واثناء بحثه كان لا يكف عن التعمق فى معرفة التاريخ والحضارة الفينيقية . وتابع رحلات الفينيقيين فى حوض البحر المتوسط . فوجد أنهم تركوا آثارهم فى جميع دول منطقة الحوض ..

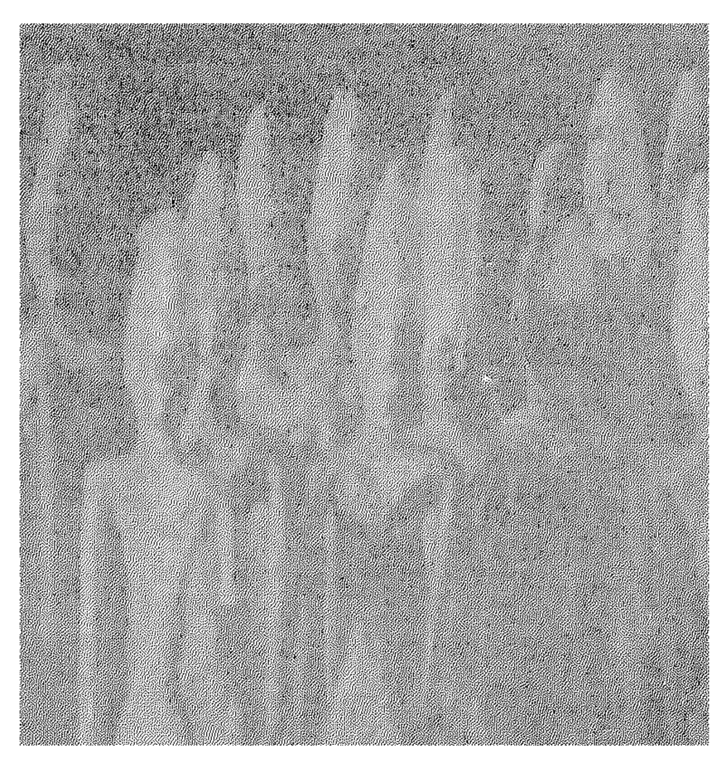
ويعود زمن المقتنيات التى عرضت فى مقر جراسى بفينسيا بين القرنين الخامس عشر والسادس قبل الميلاد . وقد تميزت هذه التحف عن تحف أخرى تعود الى الحضارة اليونانية والرومانية بأن الفنان الفينيقى قد حطم المقاييس المألوفة المعروفة بنظرية الالتزام بالابعاد الثلاثة ـ الطول ـ العرض ـ العمق ـ التى التزم بها الفنان الفرعونى واليونانى والرومانى ..

وقد تم العثور على مجموعة من التماثيل يكاد يخيل لمن يراها انه امام مجموعة فنية



العالم في سطور

للفنان المعاصر جاكومتي ـ انظر الصورة ـ وذلك من حيث تفريغ الجسم البشرى من محتواه . واطالته بشكل يلفت النظر . واذا كانت تماثيل جاكومتي مصابة بانحناء دائم ، فإن التماثيل الفينيقية ممشوقة القوام بشكل ملحوظ . وقد اكتست ملامح هذه التماثيل بحزن باد تكشف عن العلاقة الوجدانية التى تربط بين الفنان وابداعه ..



روما

شرعية .. اللوحات المزيفة

نشرت مجلة "بانوراما" الايطالية مقالا ظريفا يحمل عنوان "لماذا اللوحات المزيفة" أشارت فيه إلى أن تزييف اللوحات الفنية المشهورة أصبح عملا مشروعا فى السنوات الأخيرة طالما أن الفنان الذى يقوم بهذه العملية يشير صراحة الى أن أعماله مزيفة .. وذلك بمناسبة أول معرض من نوعه فى العالم بمدينة روما اشترك فيه ٣٠٠ فنان بلوحاتهم المزيفة .

أبرز ماجاء على لسان الفنانين المزيفين أنهم يسعون لاقامة نقابة تطالب بحقوقهم الفنية والادبية فهم فى المقام الأول فنانون جيدون . ولن يحقق أحد منهم قط شهرة اى من الفنانين الذين يتم تزوير بعض لوحاتهم .

ويقول البعض الآخر من الفنانين المزيفين انهم نساخون للوحات المشهورة وليسوا مزيفين بالمرة طالما أنهم يكشفون عن هوية اعمالهم . ومثلما ارتفعت ارقام مبيعات اللوحات الاصلية . فقد ارتفعت ايضا ارقام مبيعات ـ وأيضا أسعار ـ اللوحات المنسوخة .

وقد كشف هذا المعرض عن هوية اللوحات التى يمكن استنساخها . فأكثر الفنون الحديثة لاتلقى اعتبارا لدى المستنسخين . فهم يهتمون باستنساخ اللوحات غير المشهورة لفنانين كبار مثل شاجال ، وموديلياني ، ورى كريكو ، وڤان جوخ وجوجان .. ولا يسعون قط الى اللوحات الضخمة المعروفة مثل اعمال دافنشى ، وسيزان ، ورينوار وآخرين ..

كما اكشف هذا المعرض ايضا أن استنساخ اللوحات الفنية يتطلب دقة شديدة ليس فى التنفيذ . بل فى إختيار اللوحة . والألوان . والقماش . ثم اختيار الوقت المناسب لعرضها مثل اقامة معرض لفنان مشهور أو مزاد لاحدى اللوحات ..

ويرى ڤاني ديلفرانكو أشهر مستنسخى اللوحات أن المستقبل لزملائه فى عصر أصبحت الدقة تنقص الفنانين المشاهير .

برلين

الموسيقى ليست تسلية

حول الموسيقى فى المانيا خصصت مجلة « اللقاء » عددا خاصا جاء فيه أن أبرز ما نلاحظه في الموسيقى الالمانية انها عبرت طوال العصور الماضية عن روح الامة • وعن ضميرها ولقد كان رجال الموسيقى الالمان يجمعون بين الفلسفة والفكر والابداع • وقل ما نجد منهم أحدا عمد الى التأليف بدافع اللهو والتسلية • وكانت الموسيقى الالمانية فى القرون الوسطى واقعة تحت تأثير الشعراء المغنيين الرحالة الفرنسيين الذين كانوا يعرضون فنهم فى القصور ، بينما ساد فى الاديار آنذاك ترتيل مقتبس من التراث البيزنطى •

وقد استمر عهد موسيقى الرومانتيكية الى عتبة القرن العشرين • وانتهى بأعمال فنانين كبيرين فى مجال الاوبرا هما ريتشارد فاجنر ، وشتراوس • ومع بداية القرن العشرين صارت برلين مركزا للابتكار والتجديد وارتبطت الموسيقى بالسياسة حتى نهاية الحرب العالمية الثانية •

اما موسيقى التسلية التى عرفت فى المانيا بشكل مكثف بعد الحرب فقد جاءت من الولايات المتحدة الامريكية وهى موسيقى الجاز

والروك • وقد أصبحت هذه الموسيقى عنصرا ثابتا فى عروض المانيا الثقافية • وقد اثرت هذه الموسيقى فى المانيا وغيرت من نمط النشاط الموسيقى تغيرا كاملا وعبرت عن مشاعر الشباب وتمرده خاصة فيما يتعلق بثورة الشباب عام ١٩٦٨ •

وفى الفترة الاخيرة لعبت الشرائط والاسطوانات دورا فى ادخال كافة أنواع الموسيقى الكلاسيكية والحديثة الى البيوتات الالمانية •

موسكو

● موسيقى البريسترويكا

شن يورى كوريف رئيس تحرير مجلة الموسيقى السوفييتية هجوما عنيفا عن أحوال الموسيقى فى الاتحاد السوفييتى فى الفترة الاخيرة •• أو ما أسماه بتخوم البيروسترويكا •

ويرى أن من أسهل الامور « أن نعزى كل التقصيرات الى الاتجاهات السلبية العامة التى ظهرت فى الماضى القريب ، وبخاصة قيادة الفن البيروقراطية ولكن الاصح هو أن توجد الملاحظات الانتقادية لانفسنا •• لان ذلك كله يتوقف علينا • وعلينا وحدنا • وأعنى هنا أن نقبل أو لانقبل فى منظمتنا عشرات جدد من الملحنين والاختصاصيين بعلم الموسيقى • حتى ولو كانوا « من حملة الشهادات » ، ولكنهم فى نفس الوقت غير موهوبين واعمالهم غير ناضجة •

ويرى كوريف ان التغلب على المصاعب التى واجهت الموسيقى السوفييتية فى الفترة الاخيرة يتم من خلال السبل الابداعية • واعادة البناء فى اتحاد الملحنين السوفييت واقامة الصلات والتفاهم بين الموسيقيين واقامة الاحترام المتبادل •

سر الصوت القادم من الأعماق

بقلم : محمود قاسم

للارض جاذبيتها وللبحر خريره
ولخرير البحر تاثير خاص على كل من اعتاد سماعه . فهو يسرى فى الاذان . كما يسرى فى الوجدان . يذوب مع الدماء . ويتحول الى جزيئات منها . فيصعب التخلص من سيطرته . انه يصاحب الانسان اينما ذهب . يشده اليه مهما ابتعد ...
وخرير البحر هو بطل ملايين الحكايات . ذلك الصوت الدافىء الذى يمكن للمرء ان يسمعه بوضوح قبيل الغروب . بعد ان تهدأ الامواج ، وتندفع الواحدة وراء الاخرى ناحية الشاطىء فتتدمر على حافات الرمال كى تعاود الرحيل مرة اخرى .. لكن لا مفر .. فلابد لمن عشق البحر ان يعود اليه . ولابد من ادمان سماع الخرير ..

وهذه العلاقة الغريبة الابعاد بين الانسان والبحر ، والتى بدأت منذ أن عرف الانسان المياه الجارية وسجلها الفنان فى اعماله خاصة الاديب ظلت لغزا سرمديا لا يمكن لانسان أن يحل معادلته الصعبة لكن عليه أن يمثل لبنودها فعشق البحر كعشق المرأة . لكل منهما متعته وعذاباته .

واذن الانسان أشبه بالمحارة الضخمة فعندما تسمعها ـ اينما كانت ـ فانك لابد سامع خرير المياه بداخلها . كأن البحر أسلمها كل أسراره .

وقد قدم الانسان العديد من صور ولائه للبحر . فقذف اليه بالقرابين وأحبه فى ثورته وهدوئه . وتاق الى الحل المجهول من الغازه . ورغم المتطور التقنى الهائل الذى وصل اليه الانسان ، فانه لم يتمكن حتى الان من فك لغز ذرة رمال واحدة من

الغاز البحر اللانهائية · من سطحه واعمـــاقه وقد تباينت علاقة الكاتب المبدع بالبحر ، فقد وقف البعض يرقب افقه · ويتطلع الى قرص الشـــمس الساخن الذى يطفىء لهيبه يوميا فى مياه باردة لا نهاية لها · ويأمل دوما أن يغوص في المجهول دون أن يجرؤ على لمس أطراف المياه · فهذا النوع من الكتاب لم يسع أن يبلل قدميه مثلما يفعل قرص الشمس · بل وقف يراقب ما يدور على الشـــاطىء · واختـــار أن يطبق المثل القائل : « امش سنة ، ولا تخطى قنا » وقد بدا هذا الفنـــان معجبا بما يدور على الشاطىء · ولان الســـاحل واسع فخرير المياه ينخر بشدة في مسامعه · من هؤلاء الادباء



سر الصوت القادم من الأعماق

صالح مرسى ، وديتوبوتزاتى ومحمد عبد الحليم عبد الله ، ويوكيو مشيما وآخرون .

● علاقة باللغة الوضوح

ففى اقصوصة « السيد كاف » لدينو بوتزاتى تبدو علاقة الانسان بخرير البحر باللغة الوضوح .فالصبى الصغير الذى أبعده أبوه عن البحر خوفا من المخلوق البحرى «كاف» كان يسمع خرير المياه وهو يعيش فى المدن الداخلية اكثر . ووجد نفسه مرارا يركب القطار عن غير ارادته . كى يقف فوق صخرة عالية يرقب كاف . ويستمع الى الخرير .

اما كينو فى رواية « اللؤلؤة » لجون شتاينيك فقد عثر داخل صدفة مشبعة بالمياه على لؤلؤة ضخمة شكلت بالنسبة له الحلم الطوبوى الذى عليه تحقيقه .. ولكن متاعب اللؤلؤة تزيد عن مزاياها ، فيقرر أن يلقيها مرة اخرى من حيث جاء بها .

ورغم أن روبنسون كروزو قد ركب البحر فى رواية دانييل ديفو ، فانه اختار أن يبقى ثلاثين عاما فوق الجزيرة المطلة على البحر ، لا يخرج كثيرا عن حدود رمالها الصفراء .. واثر البقاء داخل هذه الجزيرة يصنع عالمه الخاص الذى لم يشاركه فيه أحد طوال سنوات . حتى جاء أكلو لحوم البشر الذين يسكنون جزيرة قريبة بفتى أنقذه من أيديهم وأسماه جمعة . ثم جاءت سفينة لنقل روبنسون الى بلاده ومن هؤلاء ايضا الانجليزى ويليام جولدنج الذى صنع جزيرة خيالية عاشت عليها مجموعة من الاطفال حولوا هذه الجنة الى يوتوبيا مضادة فأقاموا الديكتاتورية وقتل بعضهم البعض مثلما يصنع الكبار حتى جاءتهم النجدة فى « الهة الذباب » .

وبطل رواية « للزمن بقية » لمحمد عبد الحليم عبد الله يحلم دوما أن يهجر المدينة عبر سفينة تجتاز به المياه الى حلم طوبوى لا يلبث ان ينهدم عندما يكتشف أمره ..

● صوت جنية البحر

الفرع الثانى الذى ارتبط بأدب البحر ، هو ان البحر ظل بالنسبة لمجموعات كبيرة من البشر التى تعيش على شاطئه بمثابة مصدر رزق أساسى . فيركبونه كى يأتوا منه بالخيرات . سواء كانت سمكا أو مخلوقات بحرية . ومن أشهر هذه النماذج التى تحدثت عن هذا النوع من العلاقة ارنست همنجواى ، وصالح مرسى ، وحنا مينا .

ففى رواية « العجوز والبحر » لهيمنجواى يرحل رجل مسن الى رحلة صيد . وبعد أن اصابه الفشل نيفا وثمانين مرة فى شق عباب البحر واخراج بعض من أسماكه . ويصف الكاتب هنا ـ مثل أغلب الكتاب الذين كتبوا فى هذا المجال ـ حياة الصيادين بدقة شديدة كأنه واحد منهم وخاصة ما يتعلق بحرفتهم وعلاقتهم الازلية بالمياه. فالعجوز استطاع أن يقيم علاقة وجدانية مع سمكة القاروص الضخمة التى أمكن ان يعلقها فى صنارته بعد ثلاثة أيام من الصراع المتبادل بين الطرفين . امتلأت بالمعاناة والاجهاد والحب . وقد جاءت اهمية هذه الرواية فى المعنى العظيم الذى تضمنته فبعد ان انتصر على قاروصته العنيدة . يفاجىء الصياد ان سمك القرش يهاجم سمكته وينال منها .. ويعود الرجل الى الشاطىء يجر هيكلا لسمكة ضخمة مثيرا سؤالا هاما : هل انتصر العجوز فى رحلة الصيد .. أم عاد مهزوما ؟ .

وفى رواية « صوت جنية البحر » ترجمت الى اللغة العربية تحت عنوان « الحب الاول » ـ للكاتب اليابانى يوكيو ميشيما تقع الاحداث فى احدى قرى الصيد اليابانية حيث الجو مفعم بملوحة البحر وبرائحة حبال السفن ، وبدخان النيران ، وفى موسم صيد سمك « الحبار » يتعرف الصبى شنجى على الصبية هاتسو التى يرسلها أهلها الى الجزيرة لتتعلم كيفية الغوص والبحث عن اللؤلؤ .. كما ذهب الصيادون ايضا للبحث عن أسماك الحلزون الباهظ الثمن .

وقد عبر حنا مينا عن هذا العالم من خلال علاقة صياد بعالمه الضيق وهو يهرب من العدالة فى روايتيه « الياطر » ، والشراع والعاصفة » كما عبر عنها الكاتب الجزائرى « الطاهر وطار » فى روايته « الحوات والقصر » رغم انها شكلت العديد من الرموز الاجتماعيةوالسياسية .

● الرجل والموت

أما النوع الثالث من هذا الادب ، فهو مكتوب بأقلام أدباء ركبوا البحر بأنفسهم وعملوا فى مهن البحر سنوات عديدة . فاستطاعوا حل العديد من ألغاز البحار وعشقوا المياه .. والطيور البيضاء السابحة فوق الاسطح من أجل التقاط أسماك عابرة .. وقد خصص هؤلاء كتاباتهم عن هذه التجارب الفريدة . وأشهر هذه الامثلة فى الادب العالمى : جوزيف كونراد ، وهرمان ملفيل .

وحياة جوزيف كونراد . على سبيل المثال ـ تنقسم الى قسمين : الجزء الاول يمتد من عام ١٨٧٥ الى عام ١٨٩٤ ويسمى بسنوات الابحار ، اما الجزء الثانى فقد امتد من ١٨٩٥ وحتى وفاته ١٩٢٤ . وتسمى بسنوات الارض حيث توقف عن الابحار .

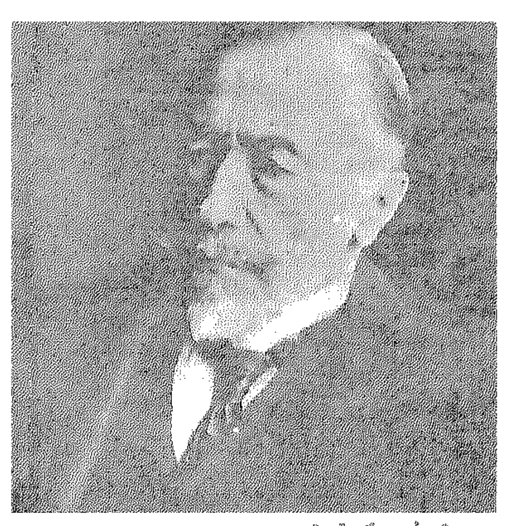
لكنه لم يقطع علاقته بالبحر قط . ففى المرحلة الاولى ركب كونراد كل بحار العالم فوق عشرات السفن وامتهن العديد من مهن البحر . وفى هذه السنوات لم يكتب كونراد كلمة واحدة . الا انه فى أعوامه الارضية راح يحن الى البحر بشكل جنونى ولانه لا يمكن أن يركبه من جديد فقد راح يجتر ذكرياته عنه . ويبتدع قصصا تدور على متنه . مثل قصة البحار « لورد جيم » الذى لاقى فشلا دائما فى مهنته .. ورضى يوما أن يقود سفينة عليها عشرات الحجاج ، لكنها غرقت ومات معاونها . فأصابت الربان حالة من الندم الشديد .. وهناك روايات أخرى حول البحر منها « حد الجزر » و « نوسترومو » و « قلب الظلمات » .

أما الكاتب الثانى الذى ركب البحر لسنوات فهو الامريكى هرمان ملفيل ، انه نسخة مشابهة من كونراد . وقد عاش قبله تجربة العمل فوق البحر لسنوات طويلة . وحول حياته فوق المتن كتب روايته « بيللى بد » عن بحار شاب يتعرض لقوى قهر من قبطانه . ثم هناك روايته المشهورة « موبى ديك » .. وهو اسم حوت أبيض ضخم هتك ساق بحار ذات رحلة فأقسم أن يبحث عنه ويقتله .. ويكرس البحار آهاب سنوات طويلة من حياته للبحث عن حوته ويتعلم مراسيم عديدة لهذا اللقاء المهيب والذى يدفع حياته ثمنا لهذا التحدى .

● خفايا .. الفك المفترس

أما النوع الرابع من الكتاب فلم يختاروا فقط ركوب البحر أو التطلع اليه من الشاطىء والتمتع بما يدور فوق سطحه الهادىء غالبا ، الشاعرى دوما . الثائر فى بعض الاحيان . بل ان هؤلاء الادباء اختاروا الغوص

سر الصوت القادم من الأعماق


جوزيف كونراد

فى مياه المحيطات الى أغوار سحيقة حيث الغموض والاثارة فى أماكن لم يطأها البشر من قبل • يبحثون عن التواصل مع هذا الكون المجهول • ويخرجون من احشاء المياه دررا فنية وكنوزا أدبية • وهذا النوع هو أصعب ما يكون بالنسبة للكاتب • لان كتابا عديدين لا يميلون الى خوض التجربة ، خاصة الغوص فى الاعماق • ومن الواقع المدروس فان جول فيرن لم يغص داخل الاعماق لكن ما حدث فى رواية « ٢٠ ألف فرسخ تحت الماء » كان نتيجة لقراءات متعددة حول البحر واسراره ، لان فيرن كان دائم الاستعانة بثقافاته المستمدة من قراءاته • ومن المعروف أنه لم يركب البحر سوى مرة أخرى •• ولذا فقد امتلأت رواياته بالكثير من الاخطاء العلمية مثل تصوير الاخطبوط على أنه حيوان بحرى شرير يهاجم السفن والبشر وهو أمر غير واقعى •

وفى رواية « صوت جنية البحر » ليشيا غاص شنجى داخل الاعماق يبحث عن الاسماك والاصداف •• وفى هذه الرواية بدا الكاتب عاشقا لاغوار المحيط من خلال قراءاته ومشاهداته لافلام حول الاعماق دون أن يغوص بنفسه داخل المياه •

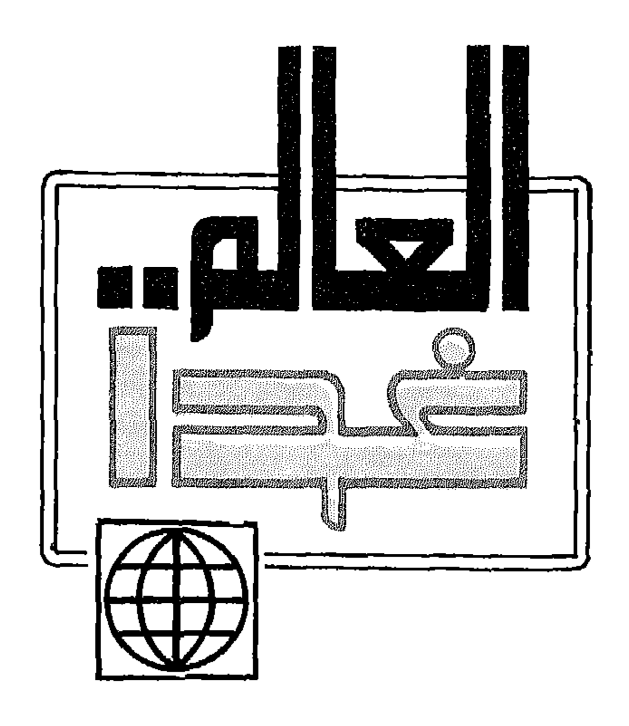
الكاتب الذى غاص فعلا فى البحر هو بيتر بنشلى صاحب روايات عديدة تدور أغلبها فى الاعماق • واذا كان بنشلى قد اهتم فى روايته « فكاك » المعروفة باسم « الفك المفترس » بتصوير سمكة قرش ضخمة غير موجودة فى الواقع يمكنها أن تلتهم البشر وتفسد على المصطافين متعتهم • فصاغ حكاية مثيرة حققت أضخم المبيعات كرواية وفيلم سينمائى فانه فى بقية رواياته : « أعماق » ، « جزيرة » ، « حسناء جزيرة كورتيز » أخذ يصف مخلوقات البحر المتعددة بدقة شديدة لا يمكن لمرء أن يفعله دون أن يكون قد غاص فعلا بكل جسده ووجدانه داخل الاغوار السحيقة • وقد وصل شغف الكاتب فى هذه الروايات بوصف الاعماق أن هذا الاعجاب قد جاء على حساب الحكاية الدرامية التى يهتم بها فى العادة الكتاب الامريكيين المعاصرين أو ما يمكن تسميته بأدب البست سيللرز • والمفروض فى رواياتهم أن تكون بالغة الاثارة • وجاء عنصر التشويق عند الكاتب فى وصفه التفصيلى للاعماق وما تتضمن من غموض ومجاهل فى حاجة الى شرح وتفسير •

بقى ان نشير الى أن علاقة الاديب بالبحر كانت فى غالبيتها علاقة تخص الرجل وحده • وابتعدت المرأة فى أكثر ابداعها عن تصوير حبها للبحر •• حتى هؤلاء النساء اللاتى ركبن البحر بحكم الانتقال مثلما فعلت كاثرين مانسفيلد ومارى شيللى وجورج اليوت وأخريات •



شعر : محيى الدين عطيه

مَنْ لى بشهيقٍ ورْدىٍّ ... يُنجيني من لَفْحِ النارْ
من يسقى نبتا فى صدرى ... مخنوقاً خَلْفَ الاسوارْ
من يمنحنى لحظة صمتٍ ... أستجمعُ فيها الافكارْ
أتأمَّل فيها خفق الريـ ... ـح وأسمع عزف الامطارْ
وأحدِّث فيها قرص الشمـ ... ـس المبحر خلف الأشجارْ
من ينقذنى من قطعان الـ ... ـبشر الزاحف كالاعصار
ويذكرنى دوما أنى ... لست كرأسٍ فى الأبقارْ
من يُنعش ذاكرتى حتى ... لا أنسى لَوْنَ النُّوارْ
أوتنسينى الضجة همسا ... للمستغفر بالأسحارْ
أو ترنيمة طفل يشدو ... شدو ملائكةٍ أطهارْ
من يسرقني من طرقاتى ... من يقذفنى فى الانهارْ
من يغسلنى كُلَّ مساءٍ ... حتى أُولد كُلَّ نهارْ



• عندما التهب المناخ الجوى .. فى مصر

هل اصبحت مصر ضحية للمتغيرات المناخية ؟

هذا هو عنوان المقال الذى نشرته مجلة « العلم والحياة » الفرنسية فى عدد شهر مايو الماضى ، قالت فيه ان بحيرة ناصر الواقعة خلف السد العالى قد خزنت بداخلها ١١٠م٣ من المياه فى عام ١٩٧١ • اما هذا العام فان هذه البحيرة لا تختزن اكثر من ست مليارات متر مكعب من المياه، مما يشكل خطرا شديدا على الطاقة والحياة فى البلاد •

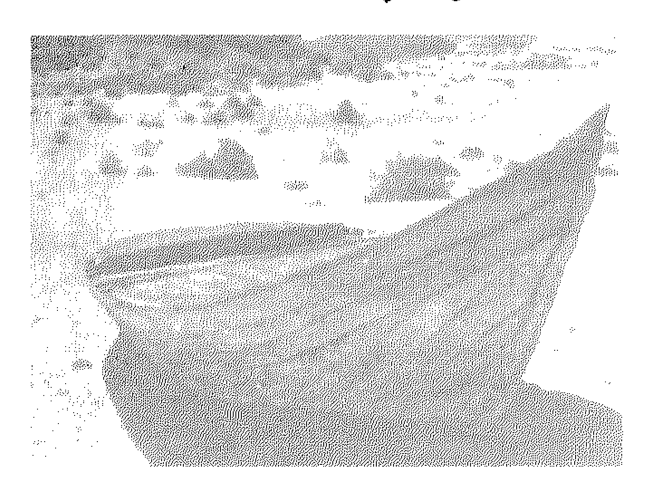
وكما تقول دراسة مردوخ ماكدونالد عضو البنك الدولى لدراسة المشكلة، انه منذ عام ١٩١٢ وحتى ١٩٦٠ فان النيل الازرق كان ياتى باربعة وخمسين مليار متر مكعب عبر فرع الخرطوم بالسودان • بينما يجلب النيل الابيض ٢٦ مليار م٣ • وفى عام ١٩٨٦ انخفض منسوب العطاء الذى آتى من رافدى النيل ، مما شكل تهديدا حقيقيا للبلاد • حيث انخفضت قدرة توربينات السد العالى بنسبة ٤٠٪ بعد ان كانت تنتج ١٠٠٠ ج و/س • لكن هذه النسبة انخفضت شهرا وراء شهر • وينتظر الجميع حلول شهر يوليو الحالى كى يغمر المطر سطحى رافدى النهر من اجل ان تقوم مصر بتوفير نصف طاقتها • اما النصف الثانى فعليها تدبيره بأساليب اخرى

ويقول المقال ان جزءا من المخزون المخصص للمشروعات الجديدة فى استصلاح الاراضى (٥٠ مليار م٣) قد يقل هذا العام ، وذلك بناء على برنامج الانماء التابع للامم المتحدة •

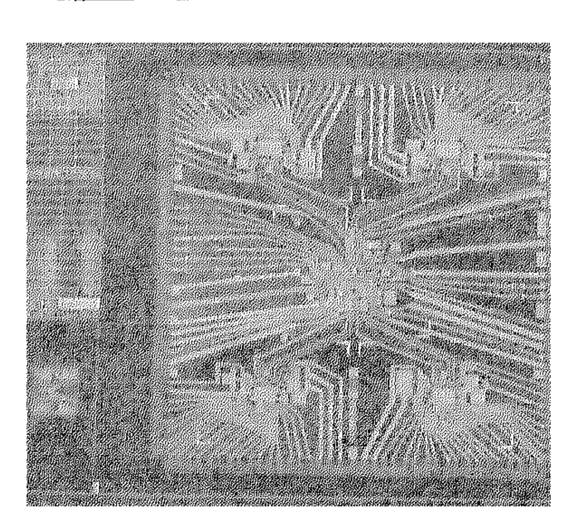
فلا الخبراء الدوليون ولا الخبراء المصريون يمكنهم ان يفعلوا شيئا هذا العام ، وقد اثر هذا على المناخ الجوى فى مصر • فقد ارتفعت درجات الحرارة بشكل لم يسبق له نظير • حيث بدات الرياح فى المهبوب من الجنوب الساخن عكس ما كان يحدث فى السنوات السابقة • ويفسر هذا سبب التغيرات الجوية التى شهدتها البلاد اخيرا •

وترى المجلة ان على مصر ان تستعين بالطاقة النووية من اجل توفير احتياجاتها المفقودة من الكهرباء اما مشكلة الرى فيمكن ايضا من خلال الطاقة النووية الاستعانة بمياه البحر لعمل التوازنات المطلوبة •

هذه الارض الجافة كانت مغمورة بالماء



• شرائح الكترونية ذاتية الاختبار



صارت شريحة السليكون الصغيرة التى تحتوى على وارات أو دوائر الكترونية متكاملة فى ميلليمترات قليلة ، من الاجزاء التى يشيع استخدامها فى تطبيقات لا حصر لها من الحاسبات الالكترونية ، وحتى الاجهزة المنزلية والصناعية التى تحتاج الى التحكم الالكترونى فى أداء وظائفها ..

والشرائح الالكترونية تنتج بكميات ضخمة للاستخدامات الواسعة النطاق وبكميات محدودة للاستخدامات المتخصصة والتجريبية . ومع تعقيد دوائر هذه الشرائح وزيادة تمنمتها اصبح من المحتم اللجوء للحاسبات المتقدمة لانتاج قطاع كبير منها .

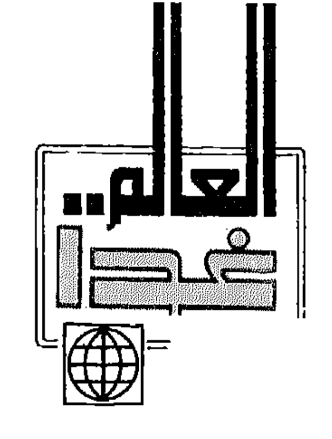
وحتى وقت قريب كانت هناك الى جوار مشاكل التصميم والتصنيع مشكلة اخرى تواجه انتاج الشرائح ، والشرائح التى تنتج بكميات محدودة على وجه الخصوص ، وهى التأكد من تأديتها وظيفتها على النحو الذى صممت عليه ، اذ كانت تكاليف هذه المراجعة التى تحتاج الى اجهزة خاصة وخبراء من ذوى المهارات العالية ، باهظة قياسا على تكلفتها المتواضعة ..

لكن بعد التوسع باستخدام الحاسبات الالكترونية فى انتاجها امكن التوصل الى شرائح تقوم باختبار ادائها كلما طلب منها ذلك . ويمكن ايضاح اهمية مثل هذا الانجاز اذا عرفنا أن غسالة تستخدم شريحة من هذا النوع ستقول لمقتنيها بمجرد لمسة منه ما اذا كانت تعانى عيبا من العيوب ، لانها قادرة على مراجعة ادائها بنفسها ، خلال اجزاء من الثانية ..

• شطرنج عبر الاقمار الصناعية

من مدينة كان الفرنسية لعب جارى كاسباروف بطل العالم فى الشطرنج مباراة غير عادية مع عشرة لاعبين موزعين على رقعة الكرة الارضية ، فى نفس الوقت . وقد قام بالتحكيم فى المباراة طاقم حكام فرنسى ، وتكفلت شبكة من أجهزة الكمبيوتر والاقمار الصناعية بايصال نقلات اللاعبين بصورة فورية ..

قد تطور الموقف على الرقعات العشر لصالح كاسباروف ، الذى لعب بالابيض ، منذ بداية المباراة ، وفى غمرة انشغال البطل ، تمكن البريطانى امز من تحقيق تفوق استراتيجى ، مكنه من الفوز على بطل العالم فى نهاية المطاف . هذا كما تمكن ميخائيل اوليبين بطل الاتحاد السوفييتى بين الشباب من



التعادل مع كاسباروف ، الذى أنهى الادوار الثمانية الاخرى لصالحه ، وهكذا جاءت نتيجة مباراة الواحد ضد عشرة لصالح الواحد بثمان فقط ونصف النقطة مقابل فقطة ونصف

• اهرام صناعية



توجد لدى الجمهور الامريكى عقدتان : عقدة الافتقار الى تراث وعقدة الانفاق بهوس على المراهنات والتراويح • وقد دفع ذلك الملياردير الامريكى جيمس اونان الى بناء نموذج للاهرامات المصرية (بنسبة ٧ : ٩) فى وود وورث على مبعده ٣٠ كم من شيكاغو • وسعيا الى اجتذاب السائحين الذين يدفع الواحد منهم ستة دولارات رسما للزيارة ، الذين يقدر عددهم بالفى زائر فى اليوم •• امعانا فى زيادة الاقبال بطن الملياردير الاهرامات بمياه الذهب ••

من الجدير بالذكر ان الملياردير قرر الاقامة داخل أهراماته المذهبة التى تدر له ذهبا ••

الدكتور الوزير مصطفى كمال طلبه هو مدير برنامج البيئة التنفيذى للامم المتحدة ، والدكتور محمد

عبد الفتاح القصاص كان رئيسا حتى وقت قريب للاتحاد الدولى لحماية البيئة والموارد ، والدكتور الوزير عاطف عبيد هو رئيس مجلس وزراء البيئة الافارقة ، و ..

هذا كما ان مصر كانت من الدول السباقة فى اصدار تشريعات حماية البيئة (منذ عام ١٩٤٩) ، وبها لجنة عليا لحماية الهواء من التلوث منذ عام ١٩٦٩ ، و ..

ولو سمع غريب ذلك لما تصور المستوى الذى وصل اليه تلوث البيئة فى مصر ، حيث لا ينطبق المثل الشعبى « باب النجار مخلع » على شىء مثلما ينطبق علينا فى هذا المجال .

فاذا نظرنا للعاصمة القاهرة لوجدنا نسبة تلوث الهواء - ناهيك عن الضوضاء - اضعاف المستوى العالمى . ذلك أن اكثر من ٥٠ ٪ من سيارات القاهرة تلفظ من الملوثات ما يتجاوز اكثر من ضعف النسب العالمية المسموح بها (دراسة لكلية الهندسة جامعة القاهرة) . بينما تنصب مذابح متوالية للاشجار والمساحات الخضراء و ....

واذا ابتعدنا من العاصمة لهالتنا كمية السموم التى تترسب فى التربة الزراعية وتنتقل مع الغذاء لتضر بصحة الانسان ، نتيجة للرصاص الناتج عن عوادم البنزين ، والكادميوم الناتج عن عوادم الديزل ، وحتى ندرك حجم الخطر المحدق باراضينا الزراعية يكفى معرفة أن المساحة الملوثة حول طريق مصر - اسكندرية الزراعى وحده تبلغ ستة الاف فدان (دراسة لكلية الزراعة جامعة القاهرة) .

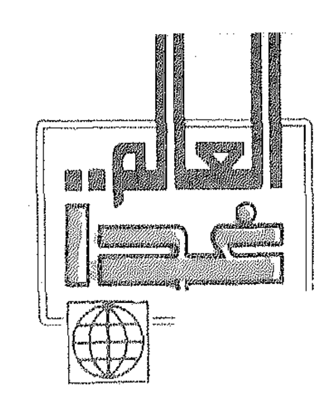
واذا ابتعدنا أكثر لهالتنا ظواهر مثل تجريف التربة وتبوير الاراضى وأغرب ما فى الامر هو غياب الدوافع التقليدية الاساسية لتلوث البيئة .. فحجم الصناعة المصرية متواضع بكل المقاييس ، كما أن الزراعة المصرية من الزراعات الساذجة بكل المقاييس هذا كما ان الوباء السياراتى الانتقالى الذى يشكل العامل الاول فى تلوث البيئة لدينا ليس له اية فعالية اقتصادية منظورة ..

● ٩٠٠ مليون أمى

هل يمكن للقارىء ان يتصور أن عالمنا الذى يدق ابواب المجرات الاخرى ويتحسس متقدموه كواكب المجموعة الشمسية عن قرب وعن بعد .. هل يمكن أن يتصور القارىء وجود حوالى ٩٠٠ مليون أمى (احصاءات الامم المتحدة) وان نسبة هؤلاء الاميين ليست فى تقلص ، بل على العكس فى تزايد مستمر (!) .

والاسباب التى تساق لهذا التزايد فى الامية الابجدية (وحدها) هى ضعف استيعاب المدارس للاطفال الصغار ، وتسرب اعداد كبيرة ممن يلتحقون بها ، وارتداد كثير من الكبار على اعقابهم ، قبل ان يكتمل ويتأكد محو اميتهم ، ..

ورغم انه يمكن الاستمرار فى تعداد مثل هذه الاسباب الوصفية الى مالانهاية فان المرجع الكامن وراءها جميعا يتمثل فى التخلف الاقتصادى والاجتماعى الذى يدفع الى حرمان الصغير من التعليم نظرا للحاجة الى قوة عمله كمصدر للدخل ، وضعف امكانيات اولياء الامور (من الاباء الى اجهزة الدولة) فى رصد مايحتاجه تعليمهم .. وعلى كثرة برامج ومحاولات محو الامية فقد اثبتت



التجار ، فشل كل محاولة لا ترتبط بالعمل على تجاوز حالة التخلف ..

لكن الشيء الاخطر هو ان ارتفاع نسبة الامية في مجتمع من المجتمعات يعد من اسباب استمرار وتعميق تخلفه ، وهكذا يجد المجتمع المتخلف نفسه رهينة في يد حلقة « التخلف الامية » الجهنمية .. ومن هنا ضرورة اعتبار الامية - على المستوى الاستراتيجي مشكلة سياسية من الدرجة الاولى واهمية ربط برامجها بالاوضاع الاجتماعية التي يعيش الاميون في ظلها ، وربط الحروف والكلمات (الابجدية) بمشاكلهم واحتياجاتهم ..

الطريف ان عددا من البلدان التي تشيع فيها الامية مثل مصر (يوجد نص في دستور ١٩٢٣ حول الامية) تتمتع بنسبة عالية ممن اتموا تعليمهم العالي وفوق العالي ، وهذا مظهر من مظاهر الانفصام التي تصاحب التخلف ..

● ملابس ذكية

ابتكر العلماء نوعا جديدا من الاقمشة التي تستخدم في حياكة انواع جديدة من الملابس الذكية التي تعمل على تدفئة مرتديها في الصقيع كما تلطف من حرارة اجسادهم في القيظ .. ذلك ان القماش الجديد الذي يدخل في تركيبه حبيبات البلاستيك وبعض المواد الكيميائية يمتص الحرارة ويحفظها في داخله



عندما يكون الطقس حارا ليعود فيفرزها مجددا في الطقس البارد .

وعلاوة على استخدام الثياب الجديدة من قبل اصحاب المهن الخاصة الذين يتعرضون لدرجات حرارة متفاوته يرى مكتشفو القماش الجديد انه سيكون مفيدا في المستقبل حتى بالنسبة للناس العاديين ، وبالذات لمن ينتقلون خلال عملهم بين مناخات متباينة وان أهمية القماش الجديد لا تقتصر على الراحة التي يوفرها لمرتديه ، اذ ان فائدته الصحية لا تبارى .

● العصر وبصر الطفل

باتت الحياة العصرية تفرض أعباء متزايدة على بصر الانسان منذ نعومة اظفاره فالبرامج المدرسية تحاصر عيون الطفل من جانب بجهود

لم يتعودها اجدادنا ، والتلفــــاز وعائلته (الفيديو والاتـــارى ٠٠) يكملان الحصار بما لم يحلم به هؤلاء الاجداد ٠٠

ولهذا ينصح الاطباء اولياء الامور بعمل كشف نظر للطفل قبل السادسة اذ يمكن عند هذه السن الحــرجة تدارك بعض العيـــوب الخطيرة فى الابصار باجراءات بسيطة للغاية يمكن ان تؤدى الى عواقب وخيمة ان تركت دون علاج ٠٠ ومن هذه الحـــالات على سبيل المثال حالات الحول وضعف البصر فى عين واحدة ،، التى يـكتفى المخ معهما بالصورة الواضـحة التى تنقلها العين السليمة « ويتجـاهل » الصورة غير الواضحة مما يزيـد من ضعف العين المصابة حتى تفقــــد وظيفتها تماما ، ذلك بينما يــؤدى اجراء بسيط مثل تغطية العين السليمة الى اجبار العين الضعيفة او الحولاء على العمل مما يجعلها تستعيد القدرة على العمل رويدا ٠٠ وجدير بالذكـر ان تدارك مثل هذه العيوب قبـــل السادسة يمكن ان يعيد العين الى قوة ابصار ٦/٦ ٠

● وفاق تنجيمى

بعد ما ذكره رونالد ريجـان الذى تراس موظـــفى البيت الابيض حتى واقعة ايران جيت ـ حول ولع أسـرة الرئيس ريجان بالتنجيم تبين ان ريجان اعترف فى مذكراته الخاصة بحرصـه على قراءة باب « الحظ » الذى تعـده اشهر عرافات هوليـــود (كارول رايتر) يوميا . وانه استشـــارها



رونالد ريجان

شخصيا قبل تسلمه العمـل فى البيت الابيض حين اختير رئيسا لامريـكا فى المرة الاولى ، وانه اختار موعـد بدء احتفال تنصيبه حاكما لكاليفورنيا عام ١٩٦٧ فى تمام الساعة ١٢٫١٠ وفقا لنصيحة المنجمين ٠٠

لكن مارلين فيتزووتر المتحدث باسم البيت الابيض اكد بعـــد ذلك لوكالة يونايتدبرس ان الرئيس ريجان لايلجأ الى استشارة المنجمين فى القـرارات الكبيرة ٠٠

الطريف ان مشاهدى التلفـــاز السوفييتى فوجئوا قبل اسابيع ، فى برنامج تليفزيونى مميز يذاع يـــوم الجمعة عشية اجازة نهاية الاسبوع (السبت والاحد) بعرض لرجــل سوفييتى يستطيع التاثير على عـدد من الناس يوجد كل منـهم بعيــدا عن الاخر بالاف الكيلومترات ٠٠ ولما سئل الرجل عن امكان ارسال اشــاراته الى النجوم البعيدة عن مجموعتنـا الشمسية اقر بامكانية ذلك وان كانت الرسالة ستتاخر فى الطريق حتى انها قد لا تصل مقصدها خلال عمـره ٠ لكن الرجل اكد فى المقابل انه يستطيع شفاء مئات المرضى الذين قد تستغرق الوسائل التقليدية سنين طـويلة فى علاجهم خلال ساعات معدودة ٠ وحتى لا يبدو الامر وفاقا تنجيميا صـرحت رئيسة جورباتشوف للصحفيين خلال القمة الاخيرة بانها لا تؤمن بالتنجيم

قصة قصيرة

الشرطى

بقلم : محمد الكاشف

الكل واقف ·
شبان وبنات ..
افندية وعساكر ·
ناس من كل لون ·
الجميع صاروا عيونا تبحلق صوب شباك الحجز ·
لا يكاد احد ينظر فى اتجاه الاخر ·
الرجل القاعد خلف الحاجز الزجاجي يؤدى المهمة ببطء وتثاقل ·
تتحفز العيون بالغضب امام اى قادم جديد يحاول تخطى الدور ·
– القطار رايح فين ؟
– هيطلع الساعة كم ؟
– طيب ·· ممكن تحجزى لى معاك ·· ده انت باين عليك ست طيبة ·
اعتذرت السيدة للشاب الذى كان متعجلا ازدادت العيون بحلقة ترقب ما يجرى خارج صف السيدات · ازداد الزحام ممن يحاولون الوصول للشباك من خارج الصف ·
علت الاصوات ·
نشب شجار ·
جاء رجل نحيل ·· اصفر الوجه · لم يعلم احد كيف انشقت الارض عنه فجأة ·
حاول فض الشجار لكن احدا لم يمتثل له ·
فجأة صرخ الرجل :
– كفاية بقى والا هاخدكم تحرى ·
بهت الواقفون للحظة بداوا يعودون للوقوف بانتظام · لكن الاخرين القادمين عن خارج الصف عادوا يضغطون ازدادت « الزيطة » ·
حدث نوع من الهرج ·
لكن الرجل قال باستكانة بدت شيئا يدعو للدهشة :
– حرام عليكم ·· كلكم هتسافروا ·· وانا بقى لى ايام على ده الحال ماشفتش اولادى
جاء رجل اخر يرتدى بدلة قديمة كالحة اللون ·· تبادلا التحية فهم الواقفون انه زميل له جاء لمساندته ·
قال الرجل النحيل الاصفر الوجه :
– يا اولاد الـ ·· لو ما سكتوش هاخدكم كلكم واحطكم فى السجن :
تعجب الناس لما فى لهجته من وعيد ·· قال احدهم :
– ده باين عليه مباحث
تجرأ اخر وسال :
– يعنى انت تبقى مين ؟
قال – وقد بدأ صبره ينفذ
– يعنى كل واحد هيسالنى ·· مش هنخلص ·
كل واحد يخليه فى حاله ·
سكت الذين تشاجروا عاد النظام من جديد الى الصف ·
صارت العيون تبحلق



من جديد ناحية شباك الحجز كل واحد يحلم بمقعد فى القطار القائم الان ·
أخيرا صرخ الموظف: مفيش اماكن · اللى عايز ينتظر القطار اللى بعده ·
تفرق الناس · نسوا أمر الرجل النحيل الاصفر الوجه ·
لكنه جلس وحيدا فى أحد اركان المحطة · ظل يفكر « كل حاجة ماشية غلط ·· مين يصدق ان كل الناس هتسافر ·· وانا هنا بقى لى شهر من غير ما اشوف اولادى » ·
يمتلىء المكان بعشرات ·· ومئات يأتون فى كل لحظة ·
اللهفة والقلق والترقب فى العيون · يختلط كل شىء بكل شىء
ظل على مقعده متهالك البدن يرقب ما حوله يلعن فى سره تلك المهمة التى تجعله يصب غضبه على الاخرين ويسمع منهم مالا يحب احيانا ·
ثلاثون عاما امضاها كشرطى سرى مهمته ان يمنع الاخرين من خرق النظام ·
يرى الجميع يسافرون الى زوجاتهم واولادهم ·· و ·· و·· هو وحده البعيد اياما وليالى متوالية ·
جاء من الصعيد حين كان شابا يافعا يبحث عن الرزق · اشتغل بأحد المطاعم واشتغل حمالا بالمحطة · ثم جاءت الوظيفة الميرى مضمونة الرزق ·
لكن الراتب قليل · بالكاد تزوج مما يوفره· تركها هناك · تعود أن يسافر اليها بين حين وآخر · فى زمن سبق فكر ان تأتى معه الى المدنية ليقيما معا مثل كل الناس ·· لكن ·· لا ظروف عمله الذى يجعله يتغرب كثيرا ولا ما فى جيبه من مال سمح له بذلك ·· يتمنى لو يستريح · الان كثر الاولاد صارت الفكرة حلما مستحيلا ·
كان كل شىء حوله يتغير فى المحطة الكبيرة ·
ناس من كل لون · يلتقون ·
الاشواق فى العيون تلهب بداخله احساسا غامرا بالحنين ·
تمنى فى اعماقه لو انه كان مثلهم ·· لا يشتم احدا ولا يشخط ولا يهدد ·
سنوات طويلة يؤدى هذا العمل ·
بداخله جبال من السأم ·
وحزن لا ينتهى ·

دراسة الهلال

استراتيجية الاستفادة بالمعلومات بدلا من فوضى الكمبيوتر

بقلم: محمد فتحى

لم يعد يمر يوم الا ونسمع خبرا جديدا عن تغلغل تقنيه المعلومات او الكمبيوتر فى هذه او تلك من مؤسساتنا .. وكان بالامكان ان يكون ذلك مدعاة لسعادة حقيقية ، لولا ان جهودنا فى هذا المجال لم تفلت من دائرة الهدر ، التى تلف مجمل انشطتنا .

ولم يكن الامر يستحق ازعاج القارىء لولا مساس الموضوع بمجال حيوى ، قلب صورة عالمنا راسا على عقب ، ودخل بالبشرية عصرا جديدا ، هو عصر مابعد الصناعة . وليت تأثير التخلف عنه يقف عند حرمان المتخلف من ثمار اضافية،ذلك انه يهز كيان ما اصطلح على تسميته بالبلدان النامية ، ويفقدها عددا من من المزايا النسبية التى كانت تتمتع بها ، ليردى بأحوالها الى هوة جديدة بلا قرار .

ان جوهر تقنية المعلومات هو جمع وتحليل وتصنيف وتخزين ومعالجة واسترجاع المعلومات ، واشاعة استخدامها ، على أكثر الانحاء فعالية ، وعلى أوسع نطاق ، وبطريقة تختصر المدة الزمنية بين لحظتى الجمع والاستخدام .

وقد غزت تقنية المعلومات مختلف الانشطة والقطاعات فى البلدان المتقدمة ، على نحو لم تعرفه الحضارة البشرية مع أى من التقنيات السابقة . وأدى هذا الغزو الى انقلاب هائل فى مختلف مناحى الحياة ، ذلك أن تقنية المعلومات أدت الى تعديل المهياكل التنظيمية فى المؤسسات ، وغيرت من نمط مركزية السلطة ، كما غيرت مصادر بيانات الادارة وأساليب المتابعة والرقابة ، ناهيك عن أساليب

وتقنيات الاعمال وادارتها • وحث ذلك باطراد الطلب على القوى العاملة التى تستوعب تكنولوجيا المعلومات ، وزاد من معدلات الابتكار ، ومن أساليب الاداء كما غير من هياكل الاجور ، ونظم الحوافز والمكافآت ، وأدى فى نهاية المطاف الى اعادة توزيع الادوار فى الحياة الاجتماعية وبدل مجالات التوظيف ، وزاد الطلب على التدريب لمواجهة التغيرات فى ظروف العمل • وكان من نتيجة ذلك كله زيادة الكفاءة التخطيطية والتنفيذية ، وزيادة معدلات الانتاج ، ورفع مستوى الخدمات ، الامر الذى ينعكس فى النهاية زيادة فى الناتج القومى •

● مجتمع المعلومات

ويمكن أن نرى مثالا لهذه التغيرات فى واحد من المجتمعات الاكثراستفادة من تقنية المعلومات فقد خلصت الدراسات الى أن ربع القيمة المضافة فى الاقتصاد الامريكى عام ١٩٦٧ جاءت من قطاع المعلومات الاساسى (المنشآت التى توفر معدات المعلومات وخدماتها فى السوق) بينما جاء الخمس من قطاع المعلومات الثانوى (كل خدمات المعلومات أيا كان مكان استخدامها) • أى أن اجمالى أنشطة المعلومات شكل حوالى نصف اجمالى الناتج القومى ، كما كانت حصة العاملين فى قطاع المعلومات من اجمالى القوى العاملة خلال نفس العام ٤٦٪ ، وحصلوا على نسبة ٥٣٪ من الدخل الاجمالى للعمالة •

وفى عام ١٩٧٩ وصلت نسبة العاملين فى هذا المجال ٥٢٪ ، وحدثت بالطبع تغيرات تتناسب مع الزيادة فى عدد وقدرات العاملين ، فى كافة المؤشرات ذات العلاقة بالمعلومات • والامر لم يقف عند هذا الحد بالطبع، وليته يقتصر على مجرد الاطراد الطبيعى ، ذلك أن مجمل المؤشرات الراهنة تنبىء بطفرة جديدة هائلة وشيكة ، مع ما يسمى بالجيل الخامس من الحاسبات الالكترونية •• وحتى يكون تقويم موقف مجتمعنا من تقنية المعلومات تقويما محددا لا بأس من تصور عام لهذه التقنية •

● مفهوم تقنية المعلومات

يدخل تحت ما اصطلح على تسميته بتقنية المعلومات أول ما يدخل أجهزة الكمبيوتر والوحدات المساعدة لها ، وهى ما تعرف بالعتاد Hard ware وذلك بالاضافة الى البرامج Soft ware التى تتيح عمل أجهزة الكمبيوتر فى هذا المجال أو ذاك لحل هذه المشكلة أو تلك ، ومنها ما يتصل بالمتطلبات العملية applicutions لجمهور المستفيدين ، مثل فاتورة الكهرباء أو المراجعة الاملائية النحوية لنص من النصوص •

والمادة الخام التى يجرى تشغيلها فى هذه البرامج ، عبر أجهزة الكمبيوتر هى المعلومات ، التى تنساب عبر وسائل الاتصال المختلفة • ولم يقتصر الامر فى هذه الوسائل على توظيف الاتصالات السلكية واللاسلكية (الاقدم عمرا من الكمبيوتر) ، على نطاق متزايد الاتساع ، للربط بين مداخل ومخارج وحدات وشبكات الكمبيوتر ، كما أقيمت شبكات Datu Commnications اتصال متخصصة فى نقل البيانات،بل وسرعان ما بدأ تنفيذ شبكات تصلح للاتصال ونقل البيانات فى آن واحد ، تعتمد على لغة الكمبيوتر الرقمية ، التى تحول كل شىء الىرموز الواحد والصفر ، بدلا من طريقة التماثل الطبيعى المستخدمة فى الاتصالات العادية •

ولعله من فضل القول الاشارة الى أن البرامج ، وبالذات ما يختص منها بالتطبيقات ،هى العنصر المحورى الذى يرتبط بالخدمات التنموية مباشرة ٠

● طفرة جديدة

ولا بأس بعد هذه العجالة من العودة الى سياق حديثنا ٠

وان كان الجيل الجديد (الخامس) من الحاسبات الالكترونية سيقفز بامكانيات المعتاد إلى حدود لا نهائية من حيث سرعة العمليات أو من حيث الطاقة التخزينية فان الاهم اطلاقا ، مع هذا الجيل هو التوسع فى البرامج التى تعتمد على الحدس والحلول التقريبية وتفتح المجال أمام تعامل الكمبيوتر مع الانسانيات ٠ ذلك بالاضافة الى اقتراب لغة التعامل مع الكمبيوتر من اللغات الطبيعية البسيطة التى يفهمها الانسان العادى ، عوضا عن اللغات الخاصة والخوارزمات (أساليب الحل الواضحة الدقيقة) ، بحيث يصبح بامكان أى شخص ، فضلا عن الخبراء ، استخدام الكمبيوتر ٠

وان كان فى مجمل تطور تقنية المعلومات ومنها الطفرة المتوقعة ما يهدد العالم النامى بمزيد من التبعية التقنية ، ومن تأصيل الخلل فى التوازن بينه وبين العالم المتقدم ، وفقدان المزايا النسبية التى كانت بلدانه تتمتع بها ، والمتمثلة فى ثرواتها الطبيعية وانخفاض تكلفة الايدى العاملة ، فان فى تطور التقنية ما يلائم قدرات العالم النامى ٠

واذا نحينا جانبا التناقص المطرد فى أثمان الحاسبات بقدراتها المختلفة ، وعلى نحو دراسى (٣٠٪ سنويا) ، الذى يمكن ادراك معناه اذا عرفنا أنه لو حدث مع السيارة الكاديلاك مثلا لما زاد سعرها فى السوق اليوم عن خمسة قروش (!) اذا نحينا ذلك جانبا ، رغم أهميته (مع قصور الموارد المادية) لوقفنا مباشرة أمامالعنصر المحورى الاهم من تقنية المعلومات واستخدامها فى الحياة وهو البرامج التطبيقية التى تتزايد قيمتها النسبية فى اطار هذه التقنية يوما بعد يوم ، ولا تحتاج الى رءوس أموال ضخمة ، حتى اشتهرت على أنها صناعة الصبية المفلسين الذين يتحولون الىمليونيرات خلال أيام معدودة ، ذلك أنها تعتمد فى الاساس على الجهود الفكرية التطبيقية ٠

واذا وضعنا فى الاعتبار اتجاهات تطور تقنية المعلومات (اقترابها من الانسانيات) ومدى انتشارها لاتضح لنا مدى أهمية استخدام اللغة العربية ، عوضا عن اللغات الاجنبية فى هذا المجال ٠ وسوف نفرد لموضوع اللغة العربية والكمبيوتر دراسة خاصة لكنه يلزم التنويه هنا بأن اللغة ترتبط بتقنية المعلومات على نحو عضوى لا مثيل له مع تقنية أخرى ، ذلك فضلا عن ارتباطها الوظيفى بمشاكل التعليم والتدريب التى سنتطرق الى أهميتها حالا ٠

ونكرر هنا مجددا أن مربط الفرس بصدد استخدام اللغة العربية فى تقنية المعلومات هو نتاج الفكر وليس

التوظيفات المالية ، ذلك اذا استطعنا أن تلتفت عن الصورة المزرية التى نبدو عليها حين نقف طامعين فى أن تصلنا المعارف الكمبيوترية الخاصة باللغة العربية من اليابان وأمريكا وبريطانيا ، وكأن اللغة العربية يمكن أن تكون بنحوها وصرفها ودلالاتها وأشكال كتابتها .. فى متناول أبناء هذه البلدان أكثر مما هى فى متناول أبناء الحجاز ونجد وعمان والقاهرة .

● نقص الامكانات المادية وهدرها

ولا بأس قبل الاستطراد فى الحديث من ابعاد شبهة التبسيط أو الطرح الساذج للمسألة ، ذلك أن ما نسعى الى تأكيده مجددا هو وجود مساحة واسعة يمكن بقليل من الدينامية وتشغيل المخ (وليس مجرد تفتيح العين لأكل ..) ، ان تتحرك (بل تصول وتجول) فيها طاقات بشرية يقتلها التعطل اليوم بصورة مزرية . لننجز الكثير بعيدا عن تعليق كل شىء بصورة مرضية على نقص الموارد المادية .

بالقطع المسألة ليست سهلة اذ أن ارتباطاتها تضرب بعيدا .. الى كيفية تكوين القوى البشرية فى المجتمع ، ولا يلائمها بالمرة التعليم بأسلوب الحفظ والتذكر وزيادة كم المعلومات ، ذلك أن جوهر التطبيقات الكمبيوترية الناجعة هو المقدرة على التحليل والاستنتاج والتركيب ووضع الحلول الدقيقة العامه .

ويتضح من ذلك ، بالمناسبة ، أن الحماس لشراء الاجهزة للمدارس والجامعات ، على أهميته ، ليس بيت القصيد ، لكننا فى التركيز عليه نمارس هوايتنا الاثيرة المريضة فى وضع عقدة الامكانات المادية فى طريق تقدمنا ، رغم أن المحصلة النهائية دون انجاز المهمة الاساسية (تعليم الفهم والابتكار) لن يكون الا هدر الامكانات المادية .. وبين المصادر الاخرى لهدر الامكانات مع تقنية المعلومات عدم الاهتمام بالبنى الاساسية التى نتيح أفضل استخدام للاجهزة الغالية ، ونخص بالذكرعملية محورية لابد وأن تصاحب الاستفادة من تقنية المعلومات ، وهى تدريب واعادة تدريب المتخصصين فى مجالاتها .. فبدون أن يتم ذلك بالاعداد اللازمة وفى تزامن مع الحاجة ،وبدون أن يعود المتدرب ليعمل فى مجاله وليس فى مجال اخر بعيد عما تدرب عليه ، وبدون خلق أجواء التعاون المهنى والعمل الجماعى التى تساعد على اشاعة الخبرات .. بدون ذلك كله لا يمكن أن يكون التدريب وتكون الممارسة من بعده الا حلقات فى سلسلة للهدر ..

نعم المسألة ليست سهلة وتمس فلسفتنا فى التعليم والتدريب وعلاقات العمل و .. لكن ذلك كله لا يخص ضعف الامكانات المادية قدر ما يخص وعينا بالمأزق الذى نواجهه ، وقدرتنا على المناورة بالجهد البشرى المعطل بدلا من الوقوف كالبلهاء الذين لا يدركون ما يدور حولهم ، ولا يعرفون كيف يستخدمون طاقاتهم .

● التصنيع وانظمة الجمارك المستوردة

وتأخيرنا للعتاد على سلم اولويات الاستفادة من تقنية المعلومات ، على هذا النحو ، لا يعنى عدم أهميته . ذلك أن انتشار الجهود الابتكارية مستحيل دون أن يكون بامكان قطاع عريض من المجتمع اقتناء وسائل تقنية المعلومات (الميكروكمبيوتر وبرامجه) والتعامل المستمر مع تقنية المعلومات ، ومن هنا ضرورة توفير

مستلزمات هذه التقنية بأيسر الاسعار وتكييفها للاستخدامات المحلية ·

لكن حاجتنا فى هذا الصدد لا تتعدى ابتداء صنع حاسب صغير يتناسب ثمنه مع امكانات جمهورنا (أرخص من التلفاز) · وانتاج مثل هذا الحاسب ليس مشكلة من وجهة النظر الفنية ، على دولة لها تجربة مع انتاج أجهزة التلفاز مثلا ·· لكن ما يحيط بالامور الفنية من ظروف عجيبة هو ما يشكل عقبات كأداء فى هذا الطريق ·· ذلك أن الشركات العالمية الساعية الى الاحتكار تتعمد المبالغة فى رفع أسعار الاجزاء التى تعرف أننا غير قادرين على صناعتها ، بينما تبالغ فى خفض أسعار الاجزاء التى تعرف أننا قادرين على انتاجها بحيث تصبح عملية انتاجها خسارة محققة (بالمعايير التجارية قصيرة النظر) مقارنة بشرائها من الشركات المحتكرة·

وعلى الجانب الآخر تقف قوانين الجمارك المحلية (المستوردة فى واقع الامر)لصناعتنا بالمرصاد· فالاعفاءات الجمركية التى تسرى على أجهزة الكمبيوتر التىتستورد كاملة تزول عند استيراد أجزاءالكمبيوتر متفرقة،وهكذا تحمل الاجزاء التى يمكن أن تستخدم فى التصنيع المحلى بجمارك تقارب٢٥٪ منثمنها، الا أن اثبت المستورد أنهذه الاجزاء ستدخل فى صنع الكمبيوتر··

وطالما وصل الامر الى خطوة من هذا النوعصار بامكان كلمن لن يستخدموا هذه الاجزاء فى صناعة الكمبيوتر الحصول على هذه الاعفاءات ، وربما قبل أو حتى دون صناع الكمبيوتر (لانهم سيكونون قطاعا عاما)

وبين الذكاء الاحتكارى والذكاء الطفيلى الانتهازى البيروقراطى يضيع الصالح العام فيما يخص انتاجحاسب صغير رخيص رغم ان انتاجه مهمة يسيرة وحيوية فى نفس الوقت ·

● استراتيجيتنا او استراتيجيات الاخرين ··

ولعله بالامكان بعد ما سبق أننفهم فهما صحيحا معنى اخر تقرير صدر (عام ١٩٨٨) عن الجهاز المركزى للتنظيم والادارة حول تقويم أداء مراكز المعلومات ، التى تم انشاؤها حسب القرار الجمهورى الصادر فى هذا الشأن (عام ١٩٨١) ، وعددها ٦٨ مركزا فى مختلف القطاعات ، وما ذكره التقرير من أنها تعانى نقصا فى التمويل وندرة فى العتاد اللازم لتشغيلها ، فضلا عن عدم اقتناع بعض القيادات بأهميتها ·

ان بيت القصيد فى الاستفادة من تقنية المعلومات ليس مجرد اقتناع القيادة السياسية بتقنية المعلومات كمورد قوة ، وأداة للسيطرة علىتنمية القطاعات الاقتصادية ، وبضرورة التصدى لما يعترضها من تحديات ·· ذلك أنه من الضرورى وجود وعى عام بأهمية تقنية المعلومات وحاجتنا لها ، ووجود الهيكل التنظيمى المسئول عن وضع الاستراتيجيات ومتابعة تنفيذ خطط التطوير والاستخدام ، مع وجود استراتيجية واضحة للتطبيقات التى تخدم المجتمع ، الواجب أن تحظى بأولويات التنفيذ والتطوير ·· وذلك كله بالاضافة الى ما اشرنا له من سياسات التعريب والتعليم والتدريب والتصنيع المناسبة ، التى تسترشد بمصالحنا القومية وتستفيد منقدراتنا المعطلة ·

لاننا بدون ذلك سنجد أنفسنا مع الاسلوب العشوائى (وعلى طريقة الباب المفتوح أمام أهل الخير) سنجد أنفسنا ندور فى اطار استراتيجيات الآخرين ، فنعلم وندرب الناس ليتسرب نوابغ المتعلمين والمتدربين الى العمل فى اطار مشروعات الآخرين ، ونضخم الثقل النوعى لعنصر الامكانات المادية فنجد المعونات التى تركز على ما يحتاجه من يقدمها لا على ما نحتاجه بالفعل ، ونعتمد على الخبرات الاجنبية فنقع بين سندان عدم استيعابها لظروفنا الخاصة ، ومطرقة المآرب الخاصة التى قد تحركها ٠ ونعمل دون ضوابط فى تأمين المعلومات فنتعرض لاستنزاف معلومات حيوية ، وربما حتى دون أن ندرى ٠

وحتى لو افترضنا جدلا أن بامكاننا الافلات عشوائيا من استراتيجيات الآخرين لقادتنا الجهود العفوية المبعثرة ، والخلط بين احتياجات المستويات الادارية المختلفة من المعلومات، واستخدام التقنيات بأسلوب غير اقتصادى يجعل العائد غير متناسب بالمرة مع الانفاق ٠٠ لقادنا ذلك كله وغيره كثير الى التشكك فى جدوى تقنية المعلومات بالنسبة لمجتمعنا ، حتى ان كانت أثبتت فعاليتها فى المجتمعات المتقدمة ٠ ولاهتزت الثقة بوجه عام فى مثل هذه التقنيات ٠ وسيعزز ذلك بالتأكيد شيوع التطبيقات المنقولة التى لا تشكل احتياجا حقيقيا لنا، وان كان لها قيمتها فى مجتمعاتها الاصلية، كما سيعززه التكاليف الباهظة لتقادم العتاد ، واحتياجات الصيانة المتزايدة و ٠٠ ، دون فعالية حقيقية٠

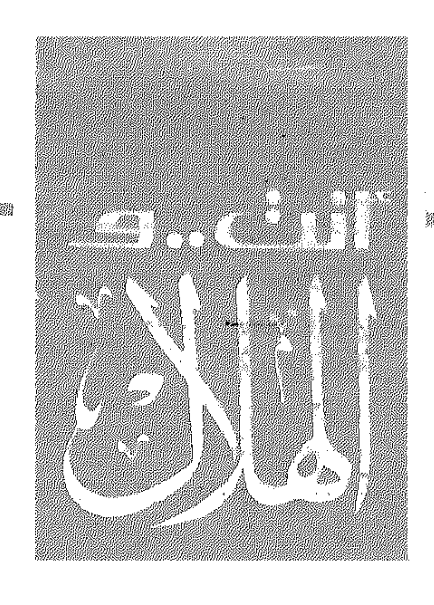
● **الفعالية هى معيار التقدم**

وهكذا فبدون الجهد المدروس المعتمد على قصور استراتيجى يمكن أن يتحول الاهتمام بتقنية المعلومات الى عامل سلبى فى تطورنا ، ذلك أن القضية ليست الانشغال بالمعلومات بل الافادة منها ٠

لقد جاء يوم كان عدد الحاسبات الالكترونية المستخدمة فى مجتمع من المجتمعات هو معيار التقدم ٠ ثم اتى وقت لم يعد بالامكان فيه الخلط بين وجود الاجهزة وفعاليتها بحيث لم يعد عدد الاجهزة ، أو حتى عدد ساعات تشغيلها ، هو المعيار المناسب لتقدير الجدوى، وصار انتشار الاستفادة من التطبيقات على هذه الاجهزة هو المعيار ٠

أن الاحتياجات الاجتماعية والاقتصادية هى مربط الفرس فى السعى الى امتلاك تقنية المعلومات والا لتحولت الى أداة يخفى بها المرء عوراته ليبدو على أكمل درجات الوجاهة والعصرية ٠٠ والا لتحولت الانشاءات والتوسعات والندوات والدورات أهدافا بدلا من كونها وسائل ٠ ذلك ناهيك عن استخدام ، ذلك كله فى دعم الجهاز البيروقراطى ذاته بدلا من المساعدة على مغالبة مثالبه ٠

ومن هنا نعود فنركز على أهمية وجود رأى عام واع بالقضية ، ذلك أنه لا يكفى أن يكون هناك احتياج حقيقى اذ لابد من الاحساس بهذا الاحتياج ، ولابد من وعى حول موضوعه ينقذنا من مشجب الامكانيات المادية الذى نعلق عليه تكاسلنا وارتباكنا ٠٠ فالوعى ، وليس دعاية واعلانات « المجتمعات الكومبيوترية » هو ما يصنع سلسلة من المبادرة والانتشار والاستمرار والفعالية ٠٠ ومن هنا تستأذن « الهلال » القراء فى مواصلة الموضوع عبر دراسات قادمة٠



● كتبت الدكتورة الفضلى نعمات أحمد فؤاد مقالة فى هلال مايو ١٩٨٨ جعلت عنوانها : « النجمة المصرية فى الفن والتاريخ » ولا يتعلق هذا التعليق بمضمون المقالة وانما بكلمة « النجمة » التى تصدرت العنوان ، ذلك أن كلمة « النجمة » بالتأنيث وبمعنى الكوكب لم ترد فى اللغة وانما وردت بمعان اخر ليست هى التى تقصد اليها الدكتورة ، وعلى هذا فقولنا « نجمة » بمعنى الكوكب السماوى خطأ لغوى شائع والصواب « نجم » .. أقول هذا لانه يغلب على ظنى أن الدكتورة متخصصة فى اللغة العربية والادب العربى والله الموفق .

أحمد قاسم أحمد
قنا

● تعليق :

ـ النجمة فى اللغة العربية هى النجم ولكنها اخص منه ، أى انها اكثر تفردا وتحددا ، وهناك النجمتان المزدوجتان اللتان تدوران حول مركز ثقلهما المشترك .. والنجمة نوع من النبات وهناك استعمالات كثيرة للنجمة ، فلا نظن أن الدكتورة نعمات فؤاد أخطأت فى استعمالها ..

واصحاب اللغة يتركون حكم ظاهر اللفظ ويحملونه على معناه ، كقولهم : ثلاثة انفس ، وكان يجب أن يقولوا : ثلاث انفس ، لان النفس مؤنثة ، ولكن قولهم ثلاثة انفس ليس خطأ لانهم حملوه على معنى الشخص أو الانسان كقول الشاعر :

ما عندنا الا ثلاثة انفس ... مثل النجوم تلألأت فى الحندس

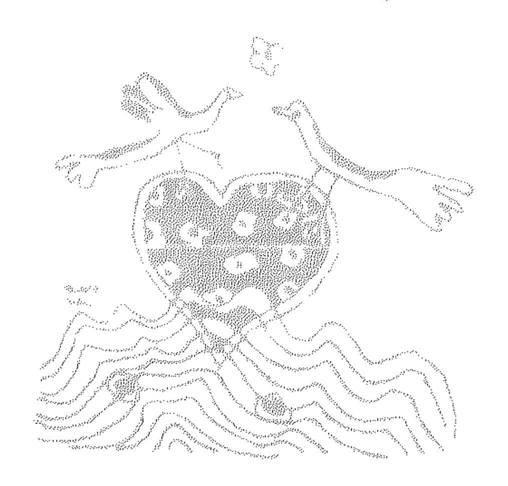
واعجب من هذا قول الشاعر :

يا أيها الراكب المزجي مطيته ... سائل بنى اسد : ما هذه الصوت ؟

أى ما هذه الضوضاء والضجة ، فجعل الصوت مؤنثا لهذا المعنى ..

وقال تعالى : « فاحيينا به بلدة ميتا » .. ولم يقل « ميتة » لانه حمله على المكان وهو مذكر .. واللغة العربية تؤنث بعض الالفاظ المذكرة فيسمون زوجة الاسد : « أسدة » .. ويؤنثون الرجل المذكر ، اعنى كلمة « الرجل » فتتحول الى « رجلة » .. كالمرء والمراة .. فلا تضيق علينا وعليه لغتنا أيها الاستاذ الكريم المفضال ـ اعزك الله ـ فان لغتنا واسعة سمحة ...

● قراءة فى كتاب النيل



قريبا سينبت برق ويشــــتعل الرمل
وردا وأنهار عطــر
وعما قريب سندخل فى موسم القلب
نكتب حبا •• وشعر
ويرسمنا النيل ريح صبا••كي يصورنا
الموج للشط طيــر
قريبا سنخلع عنا رداء الهـزيمة ••
نلبس أيـــام بدر
أيا نيل فافتح كتابك •• حتى تشوف
العيون عرائس نصر

عبد الله السمطى
آداب عين شمس

● أطياف دمى

دمى حرفى ••
تذوب الارض فى كفيه ظلا يحتــوى
ضعفى
وراء الظل يبنى صرحه الاول
شفيفا يعكس الانوار قدامى
على هام الرؤى تغزل ••
لتخفى رعشة الخوف !

عبد الرحيم الماسخ
سوهاج •

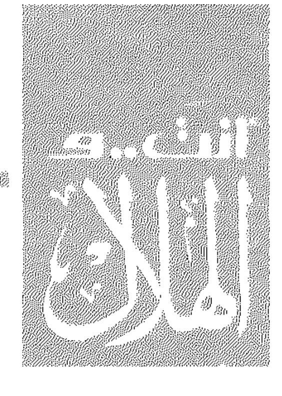


● رسالة من هونج كونج

● انه لمن دواعى فخرى وشرفى أن أكاتبكم مهنئا اياكم ما أحرزتموه فى دنيا الصحافة والنشر والمطبوعات • أرجو لكم كل توفيق •

مرسل لكم طيه عدد من قصائدي الشعرية • ورجائى الحار أن تولونى شرف ذكــــر اسمى وذلك بنشر مــا أسعفتنى به قريحتى من لفحـــات اليراع • وبهذه المناسبة أود أن أعرض عليكم الاقتراح التالى :

هو أن تنشر ست من هذه القصائد فى « اخر ساعة » و « المصــور » و « الكواكب » بحيث تظهر قصيدتان فى عددين لاحقين من « اخر ساعة » وقصيدتان فى عـــددين لاحقين من « المصور » وقصيدتان فى عددين من « الكواكب » بحيث يتم نشر هــــذه القصائد فى أسبوعين • وأعتقد أن



نشر قصيدة « كليوباترا القرن العشرين » فى مجلة « الكواكب » سيكون مناسبا لان هذه المجلة الغراء تعتنى بأخبار الفن ، وحيث ان القصيدة قد قيلت فى فنانة فبديهى أن لا يكون هناك غير تناسب ومنطق • الا اننى أود لو أنكم تتكرمون بارسال نسخ عن الاعداد التى تنشرون فيها هذه القصائد •

وقبل الختام أود أن أعرف ما كنتم توافقون باسداء خدمة جليلة لى : وهى أن تتولوا مشكورين نشر ديوانى •

الرجاء الرد على رسالتى هذه فى أقرب فرصة ممكنة مع جزيل الشكر ووافر الامتنان • وختاما تفضلوا بقبول فائق الاحترام مقرونا بتمنياتى لكم بكل ازدهار •

ممتاز فتحى ممتاز
هونج كونج

● تعليق :

ـ يسرنا أن تكتبوا الينا من مهجركم فى الطرف الشرقى الاقصى من قارة اسيا ، وأن تبقى صلتكم قوية بالشعر العربى فى تلك البيئة غير العربية ، ولكننا مع الاسف لا نملك الوسيلة لتحقيق رغبتكم فى نشر قصائدكم الست فى المجلات التى تفضلتم بذكر أسمائها ، وبعضها من غير صحف دار الهلال •• ونرجو أن تستمروا فى الكتابة الينا •

● عين لا ترانى

● أود من سيادتكم فى خطابى هذا بعد التحية والشكر والثناء على الذين يخرجون لنا هذه المجلة الثقافية أن تفيدونى بالنقص فى هذه الابيات وأريد منكم أن تخبرونى هل لى فى كتابة الشعر أم لا واليكم هذه الابيات بعنوان « عين لا ترى » •

١ ـ يا قرة عين لم ترى الاحشاء ... مالك حائرة بين قلبك واحساسك
٢ ـ مالك لا تنظرى نظرة الى ... لتنقذينى من عالم مملوءا بالشقاء
٣ ـ طال عمرى ولازلت مسامتا ... أرجوك انقذينى من دوامتى الظلماء
٤ ـ أرجوك دعينى أروى ظمئى ... بماء الحب والقلب خير ارتواء

هشام محمد عبد الوهاب

● تعليق :

ـ نشكرك يا بنى على حسن ظنك •• أما أبياتك التسعة فاكتفينا منها بأربعة تدل على سائرها ، وننصارحك بأن أبياتك كلها خالية من الوزن ،

فهى فى الحقيقة نثر وان كانت مقسمة الى مصراعين ، واخطاؤك فى النحو واللغة كثيرة كقولك « مالك لاتنظرى » والصواب « تنظرين » •• وقولك « من عالم مملوءا » •• والصواب « مملوء »بالكسر •• مع ذلك لا نقول لك : دعك من الشعر ، فلعلك لو ثابرت بلغت فيه ما ترجو ان شاء الله •

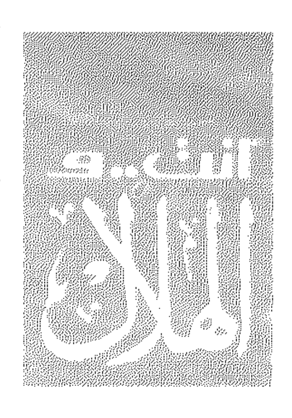
● واحـــد ●

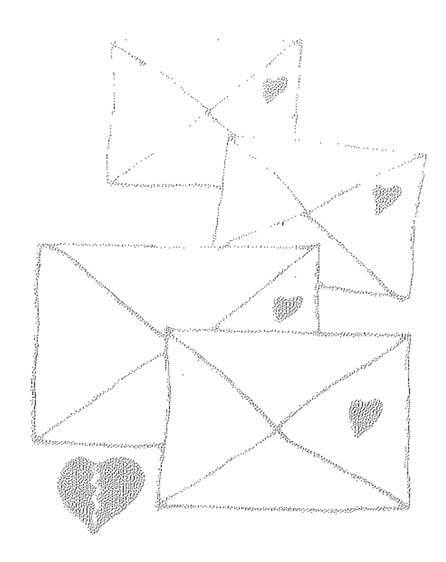
عشرة أعوام أبصرته
فى جلبـاب واحد
ما غيـره
مثلي ما غيـرته
ولـذا صاحبته
وأعطيتـه
مفتاح الحجرة والعشره
ذات مساء حالك
كان قبالتنا فوق المقعـد
فهدا فى موقـد
كنت ذهبت اليه فى صحبة اخر
فلمحت ظلال وميض مر
ولاول مره
يلبس جلبـابا فاخر
مرات قال : ابدله
لكنـه
كان يغيـر مقعده
بعد ذهاب واياب
وتلعثم كعبـه
ذكـــرته
فابتسم الاخر
واستودعنا •• مزلاج الباب
سيد احمد عثمان



● الحب فى آخر لحظة

يا سيدى
اذهب بعيدا حيثما تريد
قد مزقت اوراقنا من زمن بعيد •
وصار قلبى لا يريد حبك البليد
فقدت لهفتى نسيته ولا رجـــوع
للقديم •
حتى رسائلى اليك لا اريدها
كتبتها وكنت ساذجه





والان قد صحوت من سذاجتي
علمتني الكثير والكثير
نزعت نابك الذي غرسته
اطفات في قلبي الحريق
وصرت دمعة لفظتها ودست فوقها
تركتها لاكمل المسير
ولم يعد كلامك الجميل في مسامعي
لا تقترب لا تقترب

عقيد : نبيل خالد
المنصورة ـ قصر الثقافة ـ
نادي الادب

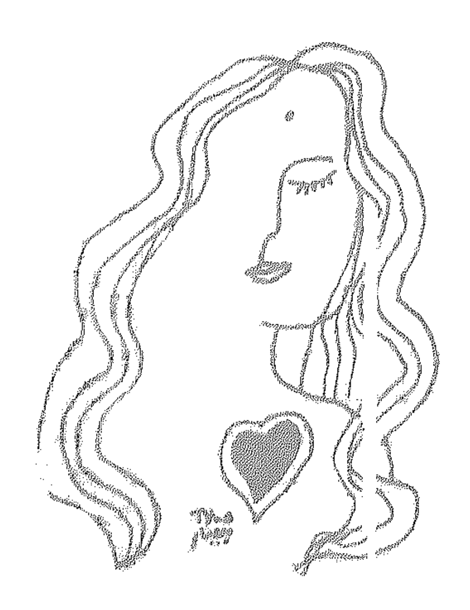
● عودة الامل

ايها العرب ·· لقـــد لاح الامل
فانبذوا عهد التراخي والكسـل
وانبـــذوا عهـــد تقاعسنا به
واختلفنا ثم اعيانا الجـــــدل
ايها العـــرب انهضوا من غفلة
ان امرا في « فلسطين » جلل
ثورة الاحرار فيهـــــا اججت
من لها بالعون حتى تكتمــل ؟
يا شهيد الحق لم تمض سـدى
فكفاح الشعب باق لم يزل
قد درات الظلم حتى ينجلي
دون ان يضنيك ياس او كــلل
هكذا الاحجار ابدت ضـجة
فاعــــادت لفلســـطين الامل
سطرت امجـــاد شعب باسل
كم من الارزاء لاقى واحتمــل

عبده محمد سلطان
صقيل ـ اوسيم ـ جيزة



● طيف



طيف .. لا اعرف لونا له
ينهض مني الان .
يصرخ ...!
يعطيك امانا كي تدخل
يفتح في صدري كل الابواب
طيف ...
بين الفرح .. وبين الغم
ارق نومي
يعصر في قلبي الحب
ايقظ حلمي
لكنه دوما
تصمت في استرخاء

السيد ابراهيم عطية
كفر صقر ـ شرقية

● مع الاصدقاء

● محمد علي الخوربي ـ صنعاء ـ نشكركم على كلماتكم الطيبة .. اما نماذج شعركم التى كتبتموها الينا فجيدة ، وأما قصيدتكم « المخطاب » فانكم فصلتم بين عجز كل بيت وصدره وكلاهما من وزن واحد ، ولا ندرى الحكمة فى ذلك .. ان قصيدتكم من مجزوء الكامل الذى فيـــه يعتنق الشطران ولم يسبق لنا أن رأينا هذا المجزوء فى الشكل الذى صنعتموه ، ولم نستسغه فى الحقيقة فاعـــذرنا ونرجو ارسال ما شئتم غيرها .

● السيد محمـــد علي عصر ـ الواسطى :

ـ قصـــيدتكم « مصريتى » قرأنا بعضها بصعوبة ، وبعضها الاخر لم نستطع قراءته لعدم ظهور الحروف ، ويبدو من الابيات التى قرأناها انهـا جيدة وان كانت طويلة ، أما قصيدتكم الحلمنتيشية التى أولها « فلس على فلس ومثلى يفلس » فهى ظريفة ولكننا لا ننشر الشعر الحلمنتيشى الا فى بحث او نحو ذلك ، وهذا اللون من الشعر مكانه المجلات الفكاهية البحتة .

● عبد المحسن البطة .. محمود محمد العزالي .. أبو بكر محمـــد محمد حسانين .. ســـامي محمد .. ايمن فاروق فؤاد .. اشرف محمد أبو العز .. خميس محمد جبية .. فتحي جهدكم الذى بذلتموه فى قصائدكم ، ونتمنى لكل منكم حظـــا حســنا فى مستقبل ايامه مع الشعر .

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية سبعة جنيهات و ٢٠٠ مليم ، وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات أو مايعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال .

وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة عاليه عند الطلب .

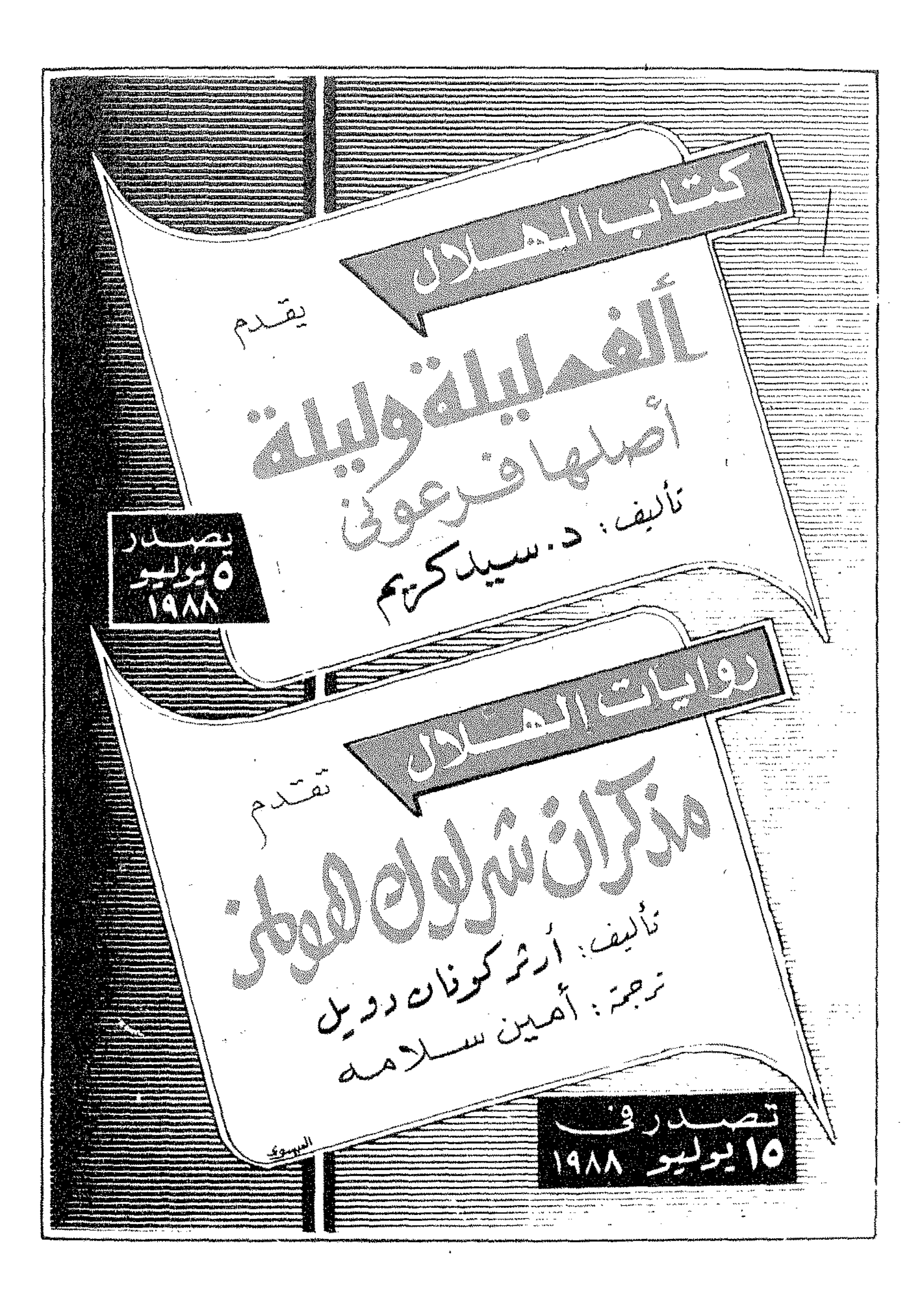
دار الهلال - ١٦ ش محمد عز العرب
القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط مجلة الهلال ت ٣٦٢٥٤٨١

رقم التلكس : **92703 HILAL U . N**

وكيل الاشتراكات بالكويت : السيد / عبدالعال بسيونى زغلول الصفاه - ص.ب ٢١٨٣٣ - 13079 تليفون ٤٧٤١١٦٤

اسعار البيع للعدد العادى فئة ٦٠ قرشا

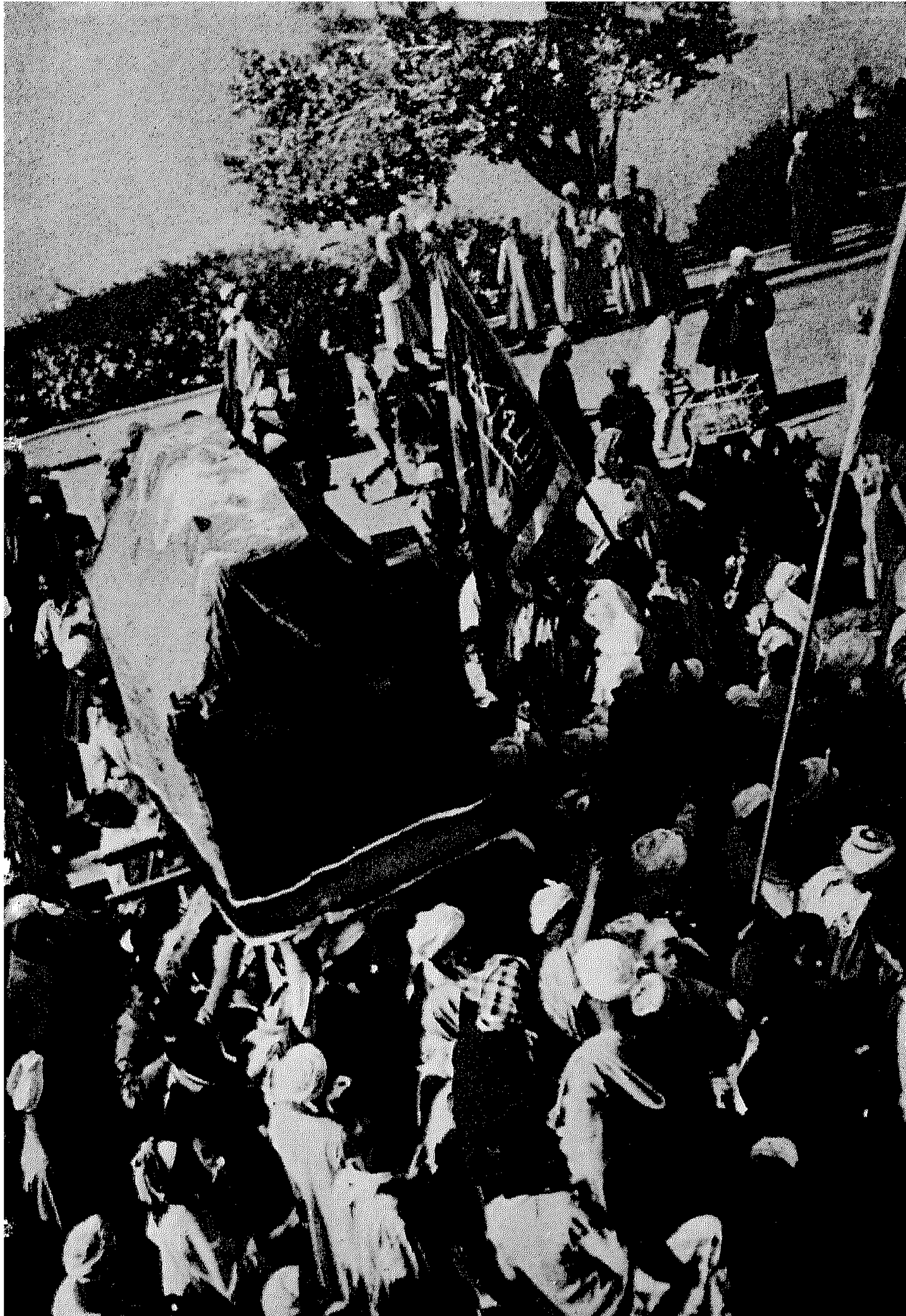
سوريا	١٧٥٠	ق . س	ابوظبى	٦	دراهم
لبنان	٣٠٠	ليرة	مسقط	٦٠٠	بيسة
الاردن	٣٥٠	فلسا	تونس	١٤٠٠	مليم
الكويت	٣٠٠	فلس	المغرب	١٢٥٠	فرنكا
العراق	١٣٠٠	فلس	غزة والضفة	٦٠	سنتا
السعودية	٥	ريالات	داكار	٦٠٠	فرنك
السودان	١٢٥	ق . سودانيا	لندن	١٢٥	بنسا
البحرين	٨٠٠	فلس	ايطاليا	٢٥٠٠	ليرة
الدوحة	٦	ريالات	البرازيل	٥٠٠	سنت
دبى	٦	دراهم	اليمن الشمالية	١٣	ريالا



كتاب الهلال
يقدم
ألف ليلة وليلة
أصلها فرعوني
تأليف: د. سيد كريم
يصدر
٥ يوليو
١٩٨٨
روايات الهلال
تقدم
مذكرات شرلوك هولمز
تأليف: آرثر كونان دويل
ترجمة: أمين سلامه
تصدر في
١٥ يوليو ١٩٨٨




أغسطس ١٩٨٨ • الثمن ٦٠ قرشا
الهلال
• ثورة يوليو
والسينما
السياسية
حسن البنا
والزعامة
الفردية
• مازال الجمل
يخرج من
منفلوط
ع. أبو طالب



الهلال

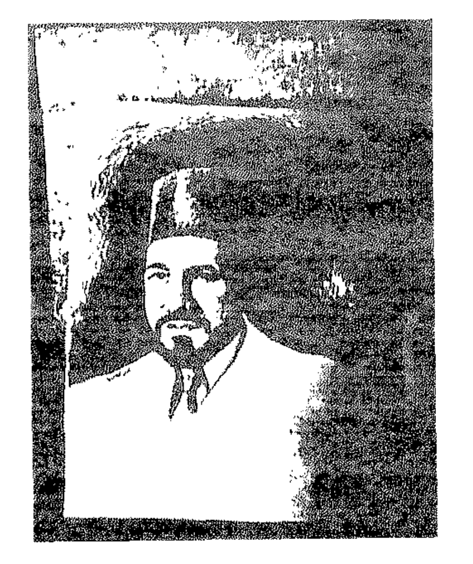
السنة السادسة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية ... تصدر عن مؤسسة دار الهلال أسسها جورجي زيدان عام ١٨٩٢ م أول أغسطس ١٩٨٨ ١٨ ذوالحجة ١٤٠٨ هـ

من روائع الفن الإسلامى

لوحة من الفن التركى تصور السلطان العثمانى أحمد الثالث الذى حكم فى الفترة بين (١٧٢١ ، ١٧٢٣) . وهو يحضر حفلا راقصا يؤدى فيه بعض الرجال دور الراقصات بينما هناك رجال آخرون يرتدون ملابس المهرجين .

وقد اهتم الرسام باختيار ألوان متعددة تعبر عن البهجة التى تتناسب مع هذه الاجواء المسلية .



الغـــلاف الأول بـــريشــة
الفنان : محمد أبوطالب

الغـلاف الأخير مـن احتفالات
منفلوط بالمحمل أنظر ص ٦٦

في هذا العدد

● فكر وثقافة ●

● قضايا حيوية ●

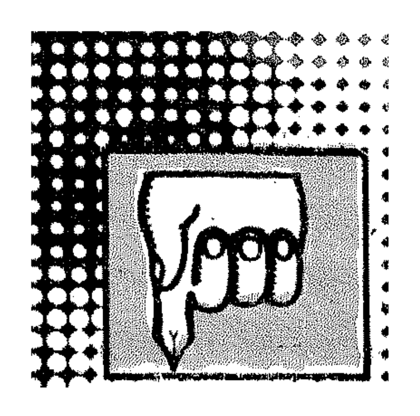
● من ذخائر الكتب العربية ●

● فن تشكيلى ●

● شعر وقصة ●

● دراسة الهلال ●

● الابواب الثابتة ●



عزيزى القارئ

شكرى عياد
وعبقرية القفز على الأشواك

الدكتور شكرى محمد عياد مشغول منذ شهرين بالكتابة فى «الهلال» عن «مسألة الحب» .. وربما استمر يكتب عن «مسألة الحب» شهورا حتى يظنه بعض القراء قيسا جديدا يبحث عن ليلى من بنات العقد الأخير من القرن العشرين !

وقد لبث الدكتور شكرى عياد قبل ذلك بضعة عشر شهرا مشغولا بالكتابة عن «مسألة الاقتصاد» حتى ظنه بعض القراء خبيرا اقتصاديا وتساءلوا بدهشة واعجاب : كيف اجتمعت لهذا الرجل براعة الخبرة الاقتصادية ، وبراعة الكتابة عنها ؟! .. فالعهد بخبراء الاقتصاد أنهم لايحسنون الكتابة .. فضلا عن أن يتفوقوا فيها ، فضلا عن أن يجعلوا من الكتابة فى الاقتصاد فنا فى البلاغة العربية الحديثة ..

ولكن الذين يعرفون شكرى عياد حق المعرفة ، يطالعون مايكتب فى الحب ، ومايكتب فى الاقتصاد ، ومايكتب فى الأدب ، وماينظم من الشعر ، فلايجدون فى ذلك كله عجبا لأنهم يعرفون هذا الكاتب العظيم ، ويرون من حقيقته ومخبره ، أكثر مما يرى الناس من عيانه ومظهره ..

يشتغل شكرى عياد بالتدريس والتأليف والنظم والنثر والكتابة فى الصحف منذ خمسة وأربعين عاما على الأقل ، وقد نشأ وتعلم فى عصر رواد النهضة الفكرية والأدبية ، واجتمع له مالم يجتمع الا لقلة فى

عصره من العلم بالأدب واللغة ، ومن الابداع فى النقد والمقالة والشعر والقصة ، ومن الاطلاع الشامل الدقيق على الثقافة العالمية بلغاتها ، مع النظر الواسع المتقدم الذكى ، والذوق الرفيع المصقول فى الوان الفن والأدب والفكر ..

ويبلغ شكرى عياد فى فن الكتابة بالتحديد ـ وهو ما يلمسه قراء الهلال فى مقالاته كل شهر ـ أفقا عزيز المنال فى بلاغة التعبير العربى الحديث ، لايبالغ من يقول إنه من أعلى الآفاق فى تاريخ الأدب العربى كله ، من عهد ابن المقفع ثم الجاحظ ، إلى عهدنا ..

وهو يوظف هذه البلاغة الجديدة فى الدفاع عن الأهداف والمضامين الجديدة لحياة أمتنا المصرية والعربية فى الحاضر والمستقبل ، ولم تكن مقالاته عن الاقتصاد المصرى والعربى الا توظيفا لهذه البلاغة فى معالجة هموم الأمة ومشكلاتها وأحلامها والامها .. وكذلك كانت كتاباته عن الحب فى هذين الشهرين ، وكتاباته المتنوعة الغزيرة التى بدأها فى «الهلال» قبل خمس سنوات وواصلها بلا انقطاع تحت عنوان : « القفز على الأشواك » ..

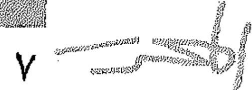
إن هذا العنوان الذى اختاره لكتاباته فى «الهلال» يكاد يمثل موقفه فى حياته المديدة الحافلة مع الأدب والفكر وعلاقتهما بالحياة والناس والمجتمع والكون ..

فإن شكرى عياد لم يمش قط الا على الأشواك ، ولم يجن من الكتابة والثقافة الا أشواكا ، مع أننا لانغالى اذا قلنا انه يمثل الآن قيمة كبيرة نادرة لايقدرها معاصروها حق قدرها ، بل ولاجزءا من قدرها ..

ولكن هذا الرجل الذى يعيش بإبائه وشممه ، يتعالى بتواضعه فوق كل ماتنحنى له جباه بعض الناس ، لأنه يعلم أن النابغين يعملون فى صمت ، بينما تضج الطبول والبوقات فى الاسواق والطرقات .

وتحية للرجل الذى يجلس على قمة من قمم العلم والثقافة والابداع ، يرمى بنظرته الدنيا على رحبها فيرى فى المقدمة الاراذل والعوام والدجالين ، وكل مسيلمة كذاب يهذى بنبوءات جهالته !

تحية لشكرى عياد وهو يقفز على الأشواك ليبلغ هدفه ، وإن كان دونه شوك القتاد !



النقش على



الأشواك

بقلم : د . شكرى محمد عياد

الحب قديماً وحديثاً

قال لى صاحبى : لست مسرورا لأنك بدأت تكتب عن الحب مالك ياصديقى وما للحب ؟ كتبت عن الاقتصاد فسكتنا ، وقلنا عسى أن يكون جهلك حافزا للعلماء كى يكتبوا ، وتجرأت فكتبت عن الديمقراطية والاشتراكية فقلنا كلام لايضر ، وهو على كل حال دليل على أن أحدا فى بلادنا لايمنع من الكتابة فى أى موضوع يشاء وتجرأت أكثر فكتبت مرة أو مرتين عن تطبيق الشريعة ولكن المسألة مرت بسلام . أما الحب فمالك وماله وأنت شيخ فان ، ولو كنت تحسن الكتابة عن الحب لبان ذلك فى قصصك ، ولرأيت واحدة فيها على الأقل تخطر على شاشة السينما أو التليفزيون . فأن تكتب مقالات عن الحب معناه أنك بدأت تفلس من كتابة المقالة ، كما أفلست من كتابة القصة وأحسن لك أن تبحث عن شغل آخر ، أو تشترى جهاز تليفزيون بالريموت كنترول لتنتقل بين المحطات وأنت ممدد على سريرك ، إلى أن يتوقف التليفزيون عن تغيير المحطات فتعلم أنك وصلت الى آخر الخط ●

كنت أتوقع مثل هذا الهجوم فقلت لصاحبى : لا تعجل على فالمسألة كلها أننى صعب على أن أجلس الجلسة التى أشرت اليها أو أرقد الرقدة التى أشرت اليها قبل أن أقول لاولادى وأحفادى كلمتين تحيكان فى صدرى ،

وإذا كان فى الأجل بقية قلتهما . قال وعن الحب ؟ قلت : وعن الحب .

فقد قرأت الكثير مما كتبه الفلاسفة والاجتماعيون وعلماء الجنس وعلماء النفس عن الحب ، فإذا خلاصته أربع كلمات قالهن شوقى : "الحياة الحب والحب الحياة" وما دمنا جميعا نشعر بأن حياتنا مهددة فالحب مهدد . ومن الجائز جدا أن يكون التهديد الواقع للحياة ناتجا عن التهديد الذى وقع للحب . وما دام الموضوع الأبدى الذى يكتب فيه جميع الكتاب هو التهديد الواقع للحياة فلا غرابة إذا انبرى واحد منهم للكتابة عن الحب المهدد . وإذا كان هذا الكاتب إنسانا انقطعت آماله من الحب فهذا أفضل ، لأن مثله يمكنه أن يكتب عن الحب كتابة موضوعية بعيدة عن الاثارة .

وهناك مزية اخرى للكاتب كبير السن حين يتعرض لموضوع مثل الحب . فهو أقدر من غيره على المقارنة ، لأنه يستطيع أن يصنف حالاته حسب الاجيال ، وبذلك يقدم ملاحظات ذات معنى . ولايخفى على من له أدنى نظر فى علم الاجتماع أن "المقارنة" هى العماد الأول للمنهج ، وإذا كان علماء الاجتماع يجرون ملاحظاتهم دائما فى صورة جداول احصائية ، فنحن لاندعى أننا نقوم ببحث اجتماعى ، ولكننا نتحدث فى هموم الناس ، ونشير الى الدلالات الممكنة لحالات خاصة ، وكغيرنا ممن يستعملون الأشكال الأدبية نأبى أن نجرد الحالة الخاصة من خصوصيتها ، لأن ثمة حقيقة مستقرة فى أذهاننا وهى أن الظواهر الانسانية تتشابه ولا تتماثل ، ولذلك فتحت كل مجموعة من الحالات يشملها إحصاء هناك دائما اختلافات لايخلو بعضها من أهمية . وهكذا يبدو لنا أن الملاحظة المباشرة المجردة من أى تصنيف أو إحصاء تظل لها قيمتها ، حتى مع وجود الدراسات الاحصائية (ومبلغ علمنا أننا لا نملك حتى الآن دراسة اجتماعية إحصائية للحب والزواج فى المجتمع المصرى) .

● الحب .. وتحرير المرأة

والحب فى مجتمعنا صغير السن ، حديث الميلاد . دعك من كلمات الشعر والأغانى ، فهذه الفاظ تعلمنا من "التراث" أن الشعر والغناء لايصلحان بدونها ، وأكثرها - إذا تأملتها - غزل بالجوارى والغلمان تلقيناه من العهد التركى . وليس هذا هو الحب الذى يصنع الحياة . الحب الذى يصنع الحياة هو ذلك الذى ينتج صبيانا وبنات ، هذا بديهى ، وهو موجود فى القصص الشعبى ، ولكنه حبٌ ولّده الحرمان وزخرفة الخيال ، فهو حب ينتمى إلى عالم "الحواديت" ولا يعبر عن وجود الانسان إلا كمشروع بعيد عن التحقيق . الحب ، بمعناه الذى نعرفه اليوم ، هو أحد أختراعات الطبقة المتوسطة . وقد بدأت الطبقة المتوسطة تتصدر المجتمع المصرى فى أواخر القرن الماضى ومن ثم يمكننا أن نؤرخ ظهور الحب بتحرير المرأة ، وكتاب قاسم أمين "تحرير المرأة" لم يخترع الحب ولكنه عبر عن صورة جديدة للمجتمع سعت هذه الطبقة الى تحقيقها ، صورة تضمنت - بالضرورة - العلاقات بين الجنسين كأساس للمجتمع المنشود ، وكانت هذه العلاقات مبنية على "الحب" ولو أن قاسم أمين يترفق فى استعمال هذه الكلمة ،




ويقرنها دائما بكلمات مثل "الألفة" "والمودة" الخ ..

وعندما كنا نحن أطفالا ، أى فى الفترة بين الحربين العالميتين ، كانت أفكار قاسم أمين قد وجدت كثيرا من الانصار ، ولكنها لم تضرب بجذورها فى أعماق المجتمع المصرى . ولم يكن ذلك مستغربا ، لأن الطبقة المتوسطة كانت أشبه بقشرة على سطح ذلك المجتمع ، ولو أنها أستمرت فى النمو ، متلقية بعض المدد من الطبقات الأخرى من طبقة كبار الملاك التى تحول بعض افرادها الى التجارة والصناعة ، ومن الطبقات الشعبية التى أستطاعت عن طريق التعليم أن تدفع بعض أفرادها درجات فى السلم الاجتماعى عن طريق شغل مناصب مهمة فى الدولة . تعلمت الفتاة المصرية ودخلت الجامعة ، ولكنها "لم تجلس مع الفتى على مقعد واحد ، حقيقة ومجازا ، إذ كان التقييد فى ذلك العهد ، والى وقت غير بعيد" أن تترك الصفوف الثلاثة الأولى للطالبات ، وكانت بعض الكليات - أذكر منها الهندسة والزراعة - مقصورة على الشبان دون الفتيات . وكان أكثرنا قد نشئوا على فكرة أن الأولاد لا يليق بهم أن يلعبوا مع البنات ، كما أن البنات لايليق بهن أن يلعبن مع الأولاد ، فتكونت فى نفوسنا نحو الجنس الآخر عاطفة مركبة من الرغبة والنفور والاستعلاء والخوف . وكانت قلة من الأثرياء فقط هم الذين ارتبطوا بزميلات لهم بعلاقة حب ، انتهت غالبا بزواج ناجح ، أما الكثرة فقد تخبطوا بين رومنسية بلهاء تقنع بالنظرة وتتلعثم فى تحية الصباح ، وبين عادات ذميمة يمارسونها فى السر بوحشية ملؤها الاشمئزاز . وأكثرنا تزوج أداء لواجب اجتماعى ، والتماسا لحياة أكثر هدوءا أو استقرارا متبعا طريقة الاختيار العائلية التى لاتختلف عن الطريقة التى تزوج بها آباؤنا ، إلا فى أن زوجة المستقبل لم تكن مجهولة لدينا كل الجهل ، ثم حاولنا بعد ذلك أن نبنى الألفة والمودة من خلال العشرة الطيبة .

فقد كان "الحب" هو المثل الأعلى عند ذلك الجيل : يبدأ بالاعجاب والاعزاز ، ويتدرج الى التقارب والتفاهم ، وينتهى بالزمالة والمشاركة فى مسيرة الحياة ، فمن أعوزه من ذلك شيء اصطنعه اصطناعا . وكما كان منّا من يصطنع شيئا من الحب ليكمل به الزواج ، فقد كان مناً مَنْ يصطنع الحب خارج الزواج ، إماً لأنه متزوِّج فعلا - وإما لأنه بحكم تربيته - لايعتقد أن الحب هو المقدمة الطبيعية للزواج .

ويمكن أن يقوم باحث اجتماعى اليوم باظهار المواقف المختلفة من الحب والزواج قبل أربعين سنة أو خمسين عن طريق "تحليل المضمون" لعدد من الافلام والروايات الشعبية ، ولكننا نستطيع أن نكون صورة إجمالية عن هذه المواقف من خلال العناوين : دموع الحب ، يحيا الحب ، شهداء الغرام ، صانع الحب ، بائع الحب ، الخ ، ومع أن العنوان غالبا ما يتجنب التصريح

بالفكرة ، حتى يظل مرتبطا بالعمل ، وحافزا الى رؤيته أو قراءته فأنت لا تعدم بعض العناوين التى تلخص المضمون تلخيصا وافيا ، كأنها الأمثال السائرة ، قارن العناوين السابقة ببعض العناوين المعاصرة : الحب فى الزنزانة ، والحب فى غرفة الانعاش ، كان وهما (أى الحب) ـ هذا ما بقى فى ذاكرة متفرج ردىء ، ولاشك أن هناك عناوين كثيرة اخرى يمكن الاستشهاد بها فى هذا المقام ، ولكن هذه الأمثلة على قلتها كافية للتنبيه على ما أصاب مفهوم الحب ومكانته من تغير فى هذا الزمان .

● فلننظر إلى هذه الصورة الأخرى

والشيوخ متهمون دائما بأنهم يحنون الى الماضى ، لأنه يمثل لهم عهد الشباب وكل ما يرتبط بالشباب من فتن وأهواء . ولكننا كما رأيت لم نحاول أن نرسم صورة زاهية للحب فى أيامنا ، فقد كان جيلنا يتعلم الحب على كبر ، لم ينشأ فى بيئة تعترف بالحب ، أو تجعل له مكانا فى حياتها ، حتى العطف على الابناء والبنات لم يكن فيه كثير من معنى الحب ، وحتى البر بالآباء والأمهات لم يكن فيه كثير من معنى الحب ، كان الواجب هو الذى يحكم العلاقات العائلية ، وكان من علامات الشخصية السوية أن تتحكم فى مشاعر الحب الطبيعية حتى لاتظهر فى سلوكها . وتحضرنى فى هذا السياق نادرة طريفة رواها لى صديق من جيلى عن أحد لداته ، وقد احتال حتى أبلغ أباه انه يحب فتاة معينة ، ويريد أن يتزوجها . فقال الأب مستنكرا : يحب ؟

ما معنى أن يحب ؟ معقول أن يكرة الانسان شخصا ما ، ولكن لماذا يحب ؟ فالكره كان عاطفة معترفا بها ، مثل الخوف والحسد وكل العواطف السلبية ، وكنا نستقبل الحياة بآمال عريضة ، ونريد أن نبنيها من جديد ، ونعرف بفطرتنا أن الحياة لاتبنى إلا بالحب ، ونقرأ ذلك فى الكتب أيضا ولكن بيئتنا تنكره أو على الأقل تتعامى عنه . وهكذا كان الحب فى زماننا كالنبات الغريب يعيش فى بيوت زجاجية من الاحلام اللطيفة ، فإذا خرج الى جو الواقع ذبل وانكمش . ومع ذلك فقد كنا نرعاه ونحرص عليه لأننا كنا نؤمن به ، وحتى عندما نصنعه كنا لا نلبث أن نصدق ما صنعناه ونؤمن به !

الحياة الحب والحب الحياة . كانت الحياة تريد أن تنهض وكان الحب يريد أن ينهض ، كنّا نتمثل مستقبلا لمصر ، بريئا من أفات الفقر والجهل والمرض ، مستقبلا يتمتع فيه الانسان بحريته ، ويمارس الفرد حقه فى طلب السعادة لنفسه وأسرته ، ولكننا لم نكن نعرف كيف نصل الى هذا المستقبل ، وكان الكثيرون منا يقنعون بتحقيق السعادة فى محيطهم الضيق . تحضرنى فى هذه المناسبة صورة بيت فى مدينة صغيرة من مدن الصعيد ، بيت ترفرف عليه السعادة والحب ، فيه كل أسباب الرفاهية التى تتصور فى ذلك العهد ، ولكن أبوابه ونوافذه مغلقة دون شقاء الناس فى الخارج . هذا النموذج الذى رسمه يحيى حقى بحساسية فائقة فى "خليها على الله" يمثل ما كان يستطيع أن يحققه طبيب أو مهندس يعيش فى أعماق الريف ، من السعادة الفردية . كانت



الحياة تهم بالنهوض فلا تسير الا خطوات ثم يقعد بها الضعف المزمن . وكان الحب الذى لم تشتد قوادمه يهم بالطيران فلا يكاد يرتفع قليلا حتى ينحط ويبقى جاثما فى مكانه . ويبقى النهوض والتحليق حلما فى خيال الحياة وخيال الحب .

ها أنت ذا ترانى لا أبالغ فى وصف أيامنا الماضية . لقد كان الحب فرخا ضعيفا يتألم بضعفه كطير عجوز ، ولكنه كان يأمل أن يشتد عوده وتقوى قوادمه . فما باله قد كاد يفتك به المرض حتى أدخلوه غرفة الانعاش ؟

أظن السبب فيما جرى له أننا لم نعد نؤمن به ، ولم يعد يؤمن بنفسه . بعبارة أبسط : لم نعد ننظر الى الحب على أنه حقيقة من حقائق الحياة ، ولا أقول : على أنه الحقيقة الكبرى فى الحياة ، أصبح الحب وهما ، بجانب الثلاجة والبوتاجاز ، ثم التليفزيون والفيديو . كان نموذج الطبيب أو المهندس الذى يجعل من بيته جنة صناعية وسط جحيم من البؤس نموذجا غير عادى ، والآن أصبح هو القاعدة .

الأولاد والبنات ، الذين أصبحوا شبابا اليوم ، نشئوا فى بيوت أكثر تسامحا من البيوت التى نشأنا فيها ، ونشئوا فى جو الأسرة الصغيرة المترابطة (وفى أيامنا كانت الأسرة أكثر عددا ، وكنا نجد انفسنا كالتائهين فيها ، فقلما نعرف معنى العلاقات الانسانية إلا بين رفاقنا خارج المنزل) وشب الأولاد والبنات معا ، تعارفوا فى مقاعد الدرس ، ثم فى أماكن العمل ، وأصبح فى مقدور كل منهم أن يختار شريك حياته وهو على بصيرة من أمره .

كان المظنون إذن أن ينمو الحب بين الفتى والفتاة فى جو صحى برىء من الآفات والعلل ، وأن يكتمل نموه فى زواج متكافىء يزيد الحياة إشراقا وبهجة . ولكن الملاحظة العادية تكذب هذا ، الظن فالحب يثقل من أول أمره بمطالب الحياة . الخطيبان يبحثان عن شقة . الخاطب يدبر المهر الذى يفوق قدراته ، والفتاة وأسرتها يكملان الجهاز بشق الانفس ، حفلة الزفاف يجب أن تقام فى فندق ، أو على الأقل فى ناد . ولايخرج الحب من هذه المعامع كلها إلا وقد شوهت الكدمات والجروح وجهه الجميل . ويبقى مستوى التحقيق دائما دون مستوى الطموح . ويذهب العروسان الى شقتهما الجديدة وهما يتحدثان عن شيء ناقص هنا أو هناك .

ويستمر الجرى واللهاث . ويصل الأطفال . وتتعقد الأمور . ويمشى الزوج كالدائخ ، وتتكلم الزوجة كالتائهة ، ويبكى الصبى . وتصرخ البنت . وتصبح الحياة جحيما . ولا يسأل أحد عن سر هذه المأساة ، أو يسأل ويحار فى معرفة السبب . أو يسأل ويعرف السبب ، ولكنه يعرف فى الوقت نفسه أنه عاجز كل العجز عن إزالته .

فالسر كامن فى نمط الحياة . ذلك أنه

إذا كان الحب ينشىء الحياة ، فالحياة بدورها تنشىء الحب ، ويمكن أن تقتله ايضا . لقد كان نمط الحياة فى أيامنا مزيجا من القيم المادية والمعنوية . كان التعاطف ، والتعاون على تدبير حاجات المنزل ، والصبر على شظف العيش أحيانا .. سمات للبيت السعيد ، تسبق أقتناء الراديو أو الثلاجة ، الآن أصبح "البيت السعيد" بفضل الاعلانات التجارية ، لايعنى إلا الراديو والثلاجة و ... و ... . لم يعد الزوجان الشابان يشعران بالأنس إذا تنزّها معا فى حديقة عامة ، أو زارا متحفا من متاحفنا المهجورة ، لم تعد الأسرة تشعر بالسعادة فى خروج الأطفال مع أبويهم الى أطراف المدينة ، بعيدا عن زحامها الخانق . وإلا فلمن جعلت هذه المطاعم الكثيرة ، الغالية ، التى لم يعد يخلو منها شارع صغير ؟ والطريف أنها تسمى نفسها مطاعم سياحية ، ولكنك إذا جلست فيها لم تجد سائحا واحدا . كلهم مصريون عاديون ، يتمتعون بلذة الصرف ، وشعور كل منهم بأنه ليس أقل من جاره .

سألت زوجا شابا : لماذا لاتخصص يوما فى الأسبوع تقضيه مع زوجتك ؟ فأجابنى ، وكأنها مسألة بديهية : كم يكلفنى الغداء فى مطعم ؟

هكذا سدوا على أنفسهم أبواب الرحمة . ولكنهم معذورون . فقد تبخرت القيم المعنوية من الحياة ، ولم تبق إلا القيم المادية الصلدة . هذه هى المدنية المنحطة التى راحت تنتشر فى عصرنا كالنار فى الهشيم ، ولا تقل لى : إن الحدائق العامة لاتزال مليئة بالكبار والأطفال وإن المطاعم السياحية لاتستوعب إلا نسبة ضئيلة من سكان المدينة ، وأن الاوتوبيسات لا تزال مزدحمة بالناس البسطاء الذين لايملكون سيارات .

فالحقيقة أن هؤلاء جميعا ليسوا بسطاء ، وليسوا سعداء بل أن أحدهم لايفكر فيمن حوله . لايفكر كيف يمكنهم ، معنا ، أن يجعلوا الجياة أسهل ، أو أسعد لهم جميعا ، إنه يضغط على أسنانه ، مفكرا فى طريقة يمكنه بها أن يمتلك سيارة مثل جاره ، ويدخل أبنه مدرسة خاصة مثل جاره ، ويجلس الى مائدة فى المطعم ، أو النادى ، ملاصقة لمائدة زميله ، وعندئذ يمكنه أن ينظر إليه متشفيا ، وسعيدا .

أصبر على قليلا ، لا تشح بوجهك عنى ، ولاتقل إنى تحولت الى واعظ .

فليس فى الدنيا إنسان واحد يؤمن فى قرارة نفسه بأن الحصول على شقة أو أمتلاك سيارة ، أو تجديد أثاث البيت ، شىء يستحق عقوق الأبوين ، أو قطيعة الأهل ، أو تلويث السمعة .

حتى فرويد ـ وهو عندك فيلسوف مادى ـ يقول إن الحياة لاتخلو من نوع من الكبت . فأنت إذا أطلقت العنان لغرائزك الدنيا ، لم يكن لك بد من كبت غرائزك العليا . وإذا أشبعت رغبتك فى التملك والسيطرة حرمت نفسك من لذة الانصاف ، ونعمة المودة .

ولكن العادة تشيع فى زمن ما ، ومجتمع ما ، حتى تصور لك الحق باطلا والباطل حقا ، والجرىء الجرىء من ألقى عن عنقه طوق العبادة .

الحب فى زنزانة . بل الحب فى غرفة الانعاش . بل الحب يحتضر . فأنقذوه ! غيروا الحياة !

صندوق النقد الدولى

وحاجة الشيخ عبد الشكور

بقلم : د. جلال أمين

الدكتور عبدالشكور شعلان المسئول عن الشرق الأوسط فى صندوق النقد الدولى ، والذى يزور مصر كثيرا على رأس بعثة مهمتها التفاوض حول السياسة الاقتصادية فى مصر ، رجل فاضل ودود ، يحب مصر ، كأى مصرى ، ويحمل نفس الصفات المصرية المحببة الشهيرة ، من حب النكتة الى طيبة القلب .. الخ ، ليس للدكتور عبد الشكور إذن من ذنب إلا أنه يعمل فى مؤسسة دولية أخذت على عاتقها خاصة منذ أوائل السبعينيات ، مهمة التعجيل بفتح اقتصاديات العالم الثالث على العالم الصناعي المتقدم ، ومن ثم اشتهرت بوصفة معينة ، أو مجموعة من التوصيات تحاول فرضها على أية دولة من دول العالم الثالث ولا تتغير كثيرا من دولة لأخرى ، فالذى يطلبه صندوق النقد من المكسيك هو الذى يطلبه من مصر ، أو من الهند أو تركيا .. الخ ، وذلك على أساس أن هذه الوصفة أو التوصيات هى التى تتفق مع المبادىء الأساسية لعلم الاقتصاد ، ومن ثم فهى الكفيلة بانتشال هذه الدول من عثرتها . والصندوق ينتهز دائما فرصة وقوع الدولة فى أزمة ليضغط عليها من أجل تطبيق وصفته ، إذ يجعل مساعدته مشروطة بتطبيق الدولة لهذه الوصفة .

وفى ١٩٨٦ ، كما نعلم جميعا ، وقع الاقتصاد المصرى فى ورطة شديدة سببها الأساسى الانخفاض الشديد فى سعر البترول ، فضلا عن حلول بعض أقساط الديون التى كان على مصر الوفاء بها فى تلك السنة ، ومن ثم حانت فرصة ذهبية لصندوق النقد الدولى لممارسة ضغوطه على مصر ، التى أصبحت فى حاجة ماسة اليه للتوصل الى موافقة الدائنين على تأجيل بعض ديونهم على مصر ، أو ما يسمى " بإعادة جدولة الديون " ووقعت المسئولية الأساسية فى ممارسة هذه الضغوط على الدكتور عبد الشكور شعلان .

تغير الموضات الفكرية

وأصارح القارىء من البداية بأننى لم أصدق فى أى وقت من الأوقات أن وصفة صندوق النقد الدولى هى التى تتفق مع

شيء أسمه " المبادى الأساسية لعلم الاقتصاد " ولا أصدق القول بأن هناك مبادىء كهذه تجعل من الضرورى للدولة المتخلفة ، كما هو ضرورى للدولة المتقدمة ، فتح اقتصادها على مصراعيه للاندماج فى الاقتصاد العالمى . فتفرض عليها تحرير الواردات وفتح الباب دون قيود أمام الاستثمارات الاجنبية وتحرير سعر الصرف وقبض يد الدولة عن التدخل فى نظام الأسعار .. الخ . بعبارة أخرى ، ليس هناك "مبادىء أساسية فى علم الاقتصاد " تفرض على مصر فى الربع الأخير من القرن العشرين ، أن تفعل مثل ما كانت تفعله بريطانيا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، والدليل على ذلك أن الدول التى نعتبرها متقدمة اليوم لم تطبق نفس الوصفة طوال تاريخها ، فقد انفتحت أحيانا وانغلقت أحيانا حسب الظروف . بل أنها حتى فى يومنا هذا ، فى نفس الوقت الذى تنصحنا فيه بالانفتاح التام (باعتباره تطبيقا لمبادىء أساسية فى علم الاقتصاد) تفرض هى نفسها القيود المختلفة على تجارتها الخارجية وحركات رءوس الأموال ليس فقط فى مواجهة دول متقدمة مثلها بل وفى مواجهة دول أقل منها تقدما بكثير يؤكد هذا أيضا أن رجال الاقتصاد قد غيروا موقفهم إزاء ما يعتبر أفضل السياسات الاقتصادية الواجبة الاتباع أكثر من مرة خلال القرنين الماضيين ، مع تغير الظروف . ففى ١٧٥٠ م كانت الفلسفة السائدة هى الانغلاق (تذكر مذهب التجاريين) وفى ١٨٠٠م أصبحت هى الانفتاح ، وفى خلال أزمة الثلاثينيات من القرن الحالى أصبح الانغلاق هو الموضة السائدة من جديد ، بل إنه حتى خلال الخمسينيات والستينيات كان اقتصاديو التنمية فى الغرب ومؤسسات التنمية الدولية شديدى التعاطف مع بعض تجارب "الانغلاق" وسياسة الاحلال محل الواردات ومع اتساع دور الدولة فى الاقتصاد ومع سياسة التخطيط المركزى ، ثم عادت الموضة منذ السبعينيات الى الانفتاح .

وليس من الصعب تفسير هذا التقلب فى الفكر الاقتصادى السائد فقد ساير الفكر الاقتصادى تغيرات الاقتصاد الدولى ، ولكن هذا ليس موضوعنا ، والذى يهمنى الآن هو فقط أن أبين أن الزعم بأن هناك مبادىء علمية أقتصادية خالدة صالحة لكل زمان ومكان ، تبرر الانفتاح ، هو زعم باطل من أساسه . ولا يصلح هنا التعلل بأن الاتحاد السوفييتى فى عهد جورباتشوف ، والصين بعد ماوتسى تونج أصبحا يرفعان أيضا شعارات قريبة من شعارات الانفتاح ، فالسؤال هو ليس فقط ماذا تفعل ولكن أيضا متى تفعله ؟ . ولو كان الاتحاد السوفييتى قد "انفتح" على الاقتصاد الرأسمالى قبل أربعين أو خمسين عاما فماذا كان يصبح حاله الآن ؟ وإذا كانت الصين لم تغلق أبوابها بعد ١٩٤٩ لمدة ثلاثين عاما ، فماذا كان يصبح حالها الآن ؟

● الاقتصاديون وأطباء الأسنان :

الذى يغيظ من الاقتصاديين هو أنهم لايريدون الاعتراف بذلك ، فهم مغرمون دائما بأن يقدموا بضائعهم كما لو كانت حقائق علمية خالدة ، بدلا من الاعتراف

صندوق النقد الدولى

بأنها مجرد توصيات عملية تصلح لظرف معين وفى بلد معين وبدرجة معينة فقط . وقد كان الاقتصادى الشهير كينز من أكثر الاقتصاديين إدراكا لهذا النقص الذى يعيب زملاءه الاقتصاديين ، وقد عبر مرة عن معنى قريب من ذلك عندما قال إنه كان يتمنى لو كان الاقتصاديون من التواضع بحيث نظروا الى أنفسهم لا كنظراء لعلماء الكيمياء أو الطبيعة بل كنظراء لأطباء الأسنان مثلا والراجح أن كينز كان يعنى بذلك أن طبيب الأسنان وإن كان يستند فى عمله الى بعض المبادىء العلمية ، فإنه يتعامل فى الأساس مع حالات متباينة يتطلب كل منها علاجا خاصا ، وأن كارثة لابد أن تحدث لوكان « طقم الأسنان » الذى يوصى به الطبيب فى حالة زيد هو نفسه الذى يوصى به لعمرو !

وقد أدى هذا الخطأ الذى وقع فيه الاقتصاديون ، وهو محاولة تصوير النسبى والمؤقت والخاص بأنه مطلق وخالد وعام الى وقوعهم فى كثير من الاحيان فى نوع من "الشعوذة" أساء أكبر إساءة الى سمعة علم الاقتصاد . فمن أجل أن يثبتوا أن وصفاتهم أو نصائحهم تصلح لجميع البلاد وفى كل الأزمنة ، وهو مالا يمكن إثباته لأنه ليس صحيحا ، أخذوا يقرءون التاريخ على مزاجهم . ويختارون من الحقائق والوثائق ما يناسب نظرياتهم ويتناسون غيرها . **فكل نجاح اقتصادى لابد أن يكون سببه الانفتاح ، وكل فشل اقتصادى لابد أن يكون سببه الانغلاق** ، وإذا كان الأداء الاقتصادى لدولة أفضل من أداء غيرها ، فالسبب هو أن الأولى كا[نت م]نفتحة أكثر من غيرها ، مع أنه قد يكون هناك الف سبب غير الانفتاح والانغلاق يمكن أن يفسر به اختلاف الأداء ، إن أشهر الاقتصاديين الأمريكيين اليوم (ميلتون فريد مان) الذى نصبه أنصار الاقتصاد الحر زعيما وعاملوا كتبه معاملة الانجيل ، لايتورع مثلا عن أن يرد كل متاعب بريطانيا الاقتصادية منذ الحرب العالمية الثانية الى " اشتراكيتها " ويقارن سوء الاداء الاقتصادى البريطانى بالاداء الطيب للاقتصاد الألمانى واليابانى منذ ١٩٤٥ وللتدليل على مساوىء " الاشتراكية " ومزايا " الرأسمالية " مع أن هناك عشرات الأسباب التى يمكن أن تكون مسئولة عن الفوارق بين أداء هذا وأداء ذاك غير الرأسمالية والاشتراكية . مثل هذا الكلام وهذه المقارنات لو تأملها عالم طبيعة أو كيمياء بإمعان وأخضعه لنفس المعايير التى يطبقها فى علمه للتحقق من صحة بعض النتائج أو خطئها لاستغرب أشد الاستغراب من تخلف " علم " الاقتصاد الى هذه الدرجة .

● الاقتصاديون العرب يتناقشون

لكل هذا كانت تساورنى دائما شكوك قوية حول مدى استحقاق " الاقتصاد " أن يسمى " علما " وكنت دائما أعتبره بعيدا كل البعد عما يسمى " بالعلوم المنضبطة " كالطبيعة والكيمياء التى يحاول الاقتصاديون دائما تقليدها والتشبه بها . إلا أن هذه الشكوك تضاعفت عندما حضرت منذ شهور قليلة ندوة نظمها صندوق النقد الدولى وصندوق النقد العربى فى أبى ظبى ، لبحث الأوضاع الاقتصادية المتردية فى البلاد العربية وطريقة الخروج منها . كان ممثلو صندوق

النقد الدولى ومنهم بالطبع الدكتور عبد الشكور شعلان ، يدافعون أساسا عما يمكن تسميته اختصارا " بالانفتاح " أو مجموعة من الأجراءات التى تشمل أساسا تخفيض أسعار العملات الوطنية . وتحرير الأسعار الداخلية بحيث تتحدد طبقا لظروف العرض والطلب ، وعلى الأخص الأسعار الزراعية وأسعار الطاقة وتشجيع الاستثمار الاجنبى والغاء التدخل الحكومى فى الاسعار والتوظيف والتقييد الادارى للاستيراد والغاء الاعانات بصفة عامة ، وتضييق نطاق القطاع العام وتحويل مشروعاته ، أو بعضها على الأقل ، الى القطاع الخاص، الى آخر ما يقترن فى أذهاننا فى مصر بلفظ " الانفتاح " .

ولكن والحق يقال ، كان هناك عدد لا بأس به من الاقتصاديين العرب ممن عرف عنهم أنهم ليسوا من أنصار سياسة صندوق النقد الدولى ، ومن ثم فقد كان من المحتم أن يحتدم النقاش ويشتد ولا بأس فى ذلك بالطبع ، ولكن الذى لابد أن يسترعى نظر أى شخص قادم من كوكب آخر أو درس علما آخر غير الاقتصاد ، من العلوم المنضبطة حقيقة ، أن الاقتصاديين لايزالون يتناقشون حول أمور كان لابد أن تكون قد حسمت منذ زمن طويل . لو كنا بصدد علم حقيقى ، وأن الاختلاف بين الاقتصاديين لايزال يدور على أبسط الأمور التى لايمكن الاتفاق على شىء ذى بال إذا لم نتفق عليها . فهل يجوز مثلا ان يختلف اقتصاديان مع المع الاقتصاديين السودانيين وقد كانا من بين الحاضرين فى الندوة ، حول ما إذا كان تخفيض سعر الصرف فى السودان قد انتج نتائج سيئة أم طيبة فبينما ذهب أحدهما الى أن هذا التخفيض كان وبالا على الاقتصاد السودانى ، ذهب الآخر الى أن مشكلة السودان تكمن فى أن سعر الصرف لم يخفض بالدرجة اللازمة ! وعندما ناقشنا مشاكل الاقتصاد الأردنى ذهب أحد الاقتصاديين الاردنيين البارزين الى أن سياسة التصحيح فى الأردن قد نجحت نجاحا كبيرا ، فرد عليه اقتصادى لبنانى بارز أيضا قائلا إن الأردن لم تطبق ، فى الواقع آية سياسة تصحيحية ! نحن إذن لا نستطيع الاتفاق ليس فقط على تقييم نتائج ما نفعله بل ولا حتى على تحديد الشىء الذى فعلناه !

وقد احتدم النقاش على وجه الخصوص حول سياسة سعر الصرف ، فلم نستطع أن نتفق على ما إذا كان الطلب على الواردات فى البلاد العربية أو فى أى بلد معين منها ، مرنا أم غير مرن ، وعما إذا كان الطلب على الصادرات مرنا أم غير مرن ،كما أختلفنا حول ما إذا كان يكفى للحكم على فعالية تخفيض سعر الصرف بحث المرونات وحدها أم أن هناك عوامل أخرى يجب أخذها فى الحسبان ، واختلفنا عما اذا كان تخفيض سعر الصرف يضر بالفقراء ، كما زعمت أنا ، أم ينفعهم ، كما زعم اقتصادى كويتى .

أضف الى ذلك أن البعض ذهب فى البداية الى أن تطبيق توصيات صندوق النقد الدولى كفيل بتحقيق التصحيح المطلوب لمسار الاقتصاديات العربية ثم قيل بعد ذلك إنها لاتكفى ، مالم تقترن بسياسات أخرى فى مجالات أخرى : إذ ما فائدة تخفيض سعر الصرف مثلا فى ظل اتباع سياسة تضخمية .. الخ .

وفى مناقشاتنا لتجارب دول معينة ، لم

صندوق النقد الدولي

نستطع أن نتفق على ما إذا كان تطبيق توصيات الصندوق ناجحا وذا فعالية أو لم يكن ففيما يتعلق بالمغرب لم نستطع أن نجزم بشيء وفيما يتعلق بتركيا قال البعض أن حسن أدائها الاقتصادى فى السنوات الأخيرة كان بسبب تطبيق توصيات الصندوق ، وقال آخرون : بل بسبب نشوب الحرب العراقية الايرانية . بل إننا لم نستطع أن نتفق حتى على ما إذا كانت دولة المغرب قد طبقت بالفعل هذه التوصيات أو لم تطبقها أصلا !

محاولة للانقاذ

كان من الطبيعي إذن ، فى ظل الاختلاف الشديد أن يحاول بعض المشتركين فى الندوة أن يقدم لنا بعض المعايير ، التى يمكن عن طريقها الوصول الى الحكم بفعالية أو عدم فعالية سياسة معينة فتطوع أحد كبار الاقتصاديين بصندوق النقد الدولى ، جزاه الله خيرا ، بتقديم أربع طرق قد تمكننا من الوصول الى هذا الحكم :

الأولى : هى ما يمكن تسميتها بالطريقة التاريخية ، وهى أن نقارن بين ماحدث بعد تطبيق سياسة ما ، وبين الحالة قبل تطبيقها ، فإذا كان الاداء الاقتصادى أفضل بعد تطبيقها حكمنا بفعالية هذه السياسة .

والثانية : هى ما يمكن تسميتها بالطريقة الغائية ، وهى أن نقارن بين ماحدث بعد تطبيق السياسة المراد الحكم عليها ، وما كان ينبغى أو يرجى تحقيقه .

والثالثة : هى الطريقة التصورية ، وهى أن نقارن بين ماحدث بعد تطبيق السياسة المراد الحكم عليها ، وما كان سيحدث لولاها .

والرابعة : هى طريقة البدائل ، وهى أن نقارن بين ماحدث بعد تطبيق سياسة معينة وبين ما كان سيحدث لو اتبعت سياسة أخرى .

الاقتصاديون وأولياء الله الصالحون

ورغم ترحيبى وسرورى بهذا التحديد المنطقى لمختلف طرق التعامل مع المشكلة التى نحن بصددها ، فقد قلت لنفسى أننا نحن الاقتصاديين علينا أن نعترف قبل كل شىء بأنه لو حدث وسمع عالم طبيعة أو كيمياء بأن الاقتصاديين مازالوا يحاولون أن يكتشفوا ما إذا كان تخفيض سعر الصرف سيزيد الصادرات أم لا ، وأنهم مازالوا يحاولون تحديد أفضل الطرق للاجابة على هذا السؤال لأصابته دهشة عظيمة ، إذ أن وضعنا فى هذا الصدد يشبه وضع عالم الطبيعة لو كان لايزال لايعرف على وجه اليقين ما إذا كانت زيادة درجة الحرارة تحول الماء الى بخار أم إلى ثلج ، ولايزال يبحث عن المنهج الذى يتبعه للوصول الى إجابة على هذا السؤال . وفضلا عن ذلك فإننا لو تأملنا هذه الطرق الأربع لوجدنا أن طريقتين منها لايمكن قبولهما على الاطلاق ، مع أنهما الطريقتان الأكثر شيوعا بين الاقتصاديين ، وهما اللتان لايزال يطبقهما الاقتصاديون عندما يحكمون بنجاح وصفة الصندوق فى بلد كتركيا مثلا ، وهما الطريقتان اللتان

اسميتهما التاريخية والغائية . أقول انهما طريقتان لايمكن قبولهما لأنهما أبعد ما تكونان عن المنهج العلمي ، كما أرجو أن يتضح من التشبيه الآتي . لنفرض أننا بصدد أمراة عاقر (وهي هنا تمثل الدولة العربية الراغبة في تصحيح مسارها الاقتصادي) وأرادت أن تحل مشكلتها وتحقق رغبتها في أن يكون لها أولاد فذهبت الى ولي من أولياء الله الصالحين (وهو هنا يمثل صندوق النقد الدولي) فنصحها بأن تأتي بدجاجة سوداء وتذبحها . ولنفرض أنها بعد أن فعلت ذلك رزقت فعلا بولد ! طبقا للطريقة التاريخية تعتبر الوصفة ناجحة تماما ، إذن فلنقارن بين حالها قبل ذبح الدجاجة ، بدون أولاد ، وحالها بعد الذبح وعندها ولد . وطبقا للطريقة الغائية تعتبر الوصفة

ناجحة أيضا وبنسبة ١٠٠٪ ، إذ أن أهدافها قد تحققت بنسبة ١٠٠٪ بعد ذبح الدجاجة .

قال أحد الاقتصاديين الحاضرين بحق :

إنه لامفر من اتباع الطريقتين الأخريين . وهما المقارنة بما كان سيحدث لولا تطبيق الوصفة ، أو بما كان سيحدث لو طبق بديل آخر ، كما لو كانت المرأة قد ذهبت الى ولي آخر من أولياء الله الصالحين . هاتان بالطبع هما الطريقتان اللتان يطبقهما باستمرار عالم الطبيعة أو الكيمياء . ولكن بعض المشتركين في الندوة أشاروا بحق أيضا إلى أن تطبيق هاتين الطريقتين فيما نحن بصددة يكاد يكون مستحيلا : إذ من يستطيع أن يقول ما كانت ستصبح عليه حال فرنسا لو كان نابليون قد انتصر في واترلو ؟

وهذا هو الذي دفع اقتصاديا آخر من الحاضرين في الندوة الى ما يشبه القول بأنه ليس أمامنا إلا أن نتوكل على الله ونتصرف على النحو الذي يدفعنا اليه شعورنا وإحساسنا دون أن نكون على يقين بنتيجة ما نفعل . ولكن هذا هو بالضبط ما نفعله باستمرار نحن الاقتصاديين ، فنحن نتصرف باستمرار لا على أساس من العلم . بل على أساس من الايديولوجية ، التي تحددها في النهاية بعض المصالح الذاتية .

وليس في هذا التصرف على أساس أيديولوجي شيء مستهجن في حد ذاته ، بالنظر الى طبيعة المشكلة الاقتصادية ذاتها ، اللهم إلا أنه يسمح لبعض الاقوياء أن يفرضوا مصالحهم الخاصة على الباقين . فإذا عدنا الى مثل الدجاجة المذبوحة نجد أن الذي له مصلحة اكيدة في استمرار إيمان المرأة العاقر بفعالية ذبح الدجاجة السوداء هو في الأساس الشيخ الصالح ، فهو يرفض رفضا باتا أن يرد الولادة الى ظروف خارجية لاعلاقة لها بذبح الدجاجة ، أو الى محض الصدفة ، كما يستهجن بشدة أن تستمع المرأة الى أية وصفة أخرى .

تماما كما يصر صندوق النقد الدولي على تفسير نجاح دولة كتركيا بتطبيق توصيات الصندوق دون أي دليل أكيد على ذلك . وصندوق النقد له مصلحة اكيدة بالطبع في أن تصدق دول العالم الثالث ، ذلك وقد قلت ذلك بالفعل في تعليق لي قرب نهاية الندوة ، فهمس في أذني اقتصادي سوداني قائلا : ليس الشيخ الصالح وحده هو المستفيد ، بل هناك أيضا بائع الدجاجة الذي يعمل في تفاهم تام مع الشيخ !

كلمة التاريخ

عرفت مصر حياة الدين والتقنين

والمعنى منذ فجر الزمان قبل نزول الأديان

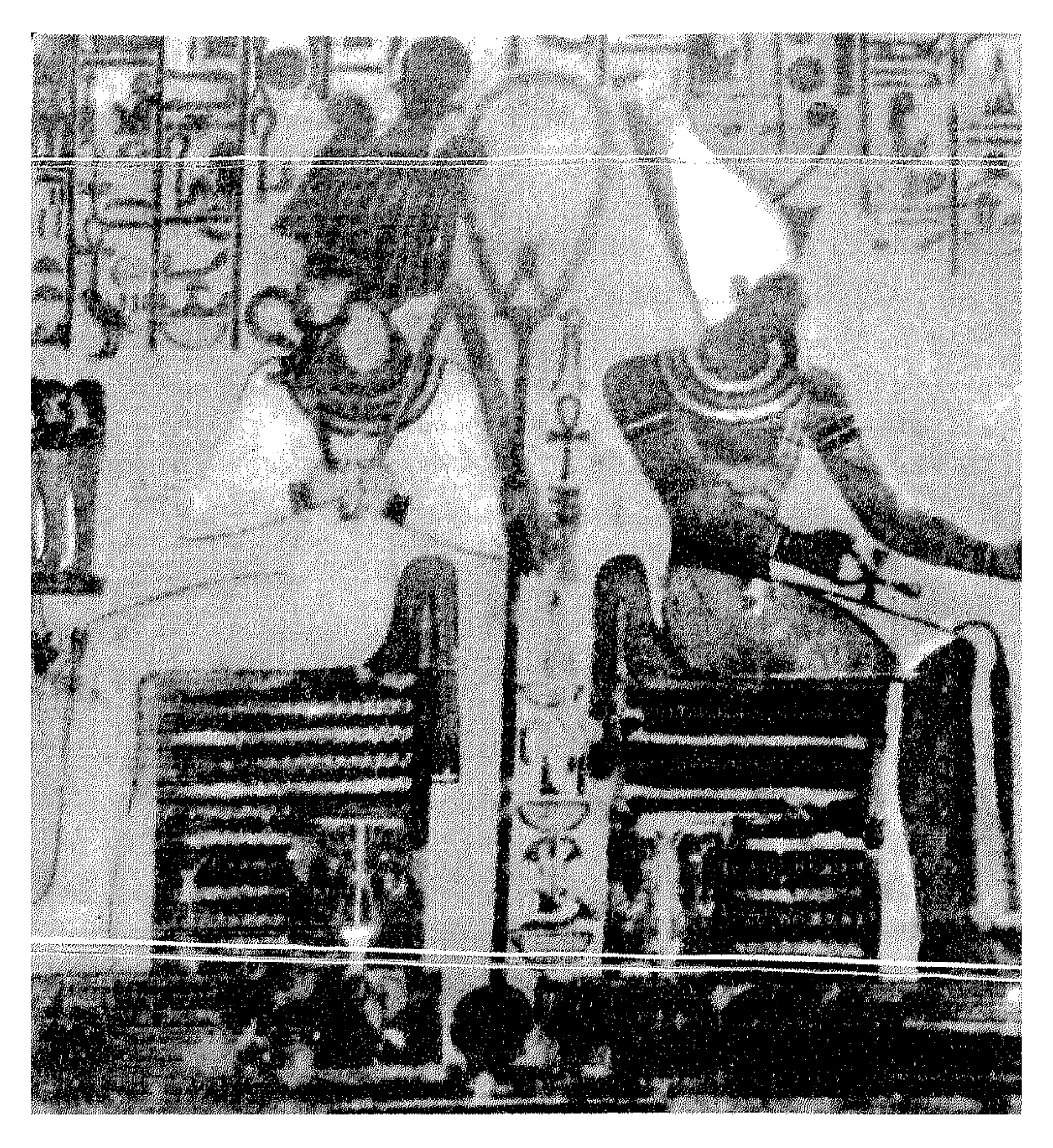
بقلم: د. نعمات أحمد فؤاد

كلمة أرجو أن يصغى إليها التليفزيون الذى أهدر قيمنا بإشاعة أفكار مدمرة من خلال مسلسل همه وهدفه التجارة لا الحضارة ..

وقد تناولت هذا الصحف والمجلات المصرية لهذا أركز على خط آخر ، غائب على أهميته وخطورته . المعنى السائد بين الشعوب ان ارتباط الانسان بالدين يبدأ بنزول الأديان السماوية والواقع ان حاجة الانسان الشديدة الى رب يحميه بدأت بعد وجوده بأزمان مختلفة قبل الأديان وقد تقلب الانسان بين الخوف والرجاء واختلفت محاولاته باختلاف البيئات .. وقد اراد الله بمصر رشدا فأعانتها بيئتها الزراعية على الايمان بما وفرته من الرخاء المادى الذى اعطى فسحة من الوقت للتأمل . وبما عرفت مصر بحكم حياة الزرع والزراع من سببية . وبالتأمل والسببية وصلت الى المنعم الأكبر خطوة خطوة .

اليهودية بدأت فى الدولة الحديثة الفرعونية اى فى الألف الثانية قبل الميلاد .. والمسيحية لم تكتمل الفى سنة خاصة إذا أخذت مصرية بموقعة الشهداء سنة ٢٨٢ م بداية للتاريخ المسيحى .

والاسلام ظهر فى الربع الأخير من القرن السادس الميلادى اما حياة الدين بمصر فقد بدأت قبل «مينا» .. قبل الاسرات أى منذ آلوف السنين .. وفى هذا



اوزيريس اوزيرا حمل اول رسالة للتوحيد عرفتها البشرية

البحث تسير مع التاريخ خطوة خطوة وإن آثرت فى الاستهلال ان اقف عند ملكنا رمسيس تكفيرا عن مسلسل أثم مرفوض . ففى معركة «قادش» التى خاضها الملك رمسيس دفاعا عن مصر ، دعا ربه فى المعركة

إنى آدعوك

وأنا وسط آعداء لاأعرفهم

فأجدك أعز لى من مليون راجل (أى المشاة) .

ومئات الألوف من المركبات .

ومائة ألف رجل من الاخوة والبنين

إن جهد الجمهرة من الناس عدم .

إنه أعز منهم

إنه مستمع لى
ويجيبنى إذا دعوته
إنى أسمعه .
إلى الأمام إلى الامام .
فإنى معك ويدى معك .
وأنا أقرب إليك من مائة ألف من الرجال .
أنا سيد النصر الذى يحب القوة .
وفى القرآن الكريم : (وما النصر إلا من عند الله) .
(يد الله فوق أيديهم)
(وإذا سألك عبادى عنى فاني قريب أجيب دعوة الداعى إذا دعان) .
روح اسلامية قبل الاسلام ..

أبدأ من جديد ... قبل رمسيس تصورت مصر الاله فى روعة فائقة : تصورت مصر الاله قبل ميلاد المسيح بأربعة عشر قرنا (منقطع القرين فى صفاته) . ففى عهد (امنحتب) الثالث ترك لنا رجلان من رجال العمارة في أنشودة سجلها على لوحة توجد الآن فى المتحف البريطانى نقبس منها هذه السطور :

إنك صانعٍ مصّور لنفسك بنفسك .
مصور دون أن تصور .
منقطع القرين فى صفاته .
مرشد الملايين إلى السبل .

لقد نفذت مصر إلى معانى الحق والخير والعدل فى فجر الزمان قبل أن تأتى الأديان وأطلقت عليها كلمة (معات) . و (معات) أقدم اسم معنوى ذى معان متعددة فى تاريخ بنى الانسان .

إن بلوغ هذه المعانى واستشعار القداسة هو الشعور بالقانون الرابط للأشياء ، والرابض وراء الأشياء ..

قالت مصر بالبعث وعودة الروح والحساب والميزان والثواب والعقاب والجنة والنار وفى متون الأهرام هذه الشفاعة التى يقولها المصرى عند الحساب .

أنا لم أرتكب مايغضب الأله .
أنا لم ألوث ماء النيل .
أنا لم أتسبب فى حرمان إنسان من حق له .
أنا لم أنقص المقياس .
أنا لم أطفف فى الميزان .
أنا لم أختطف اللبن من فم الرضيع .

أنا لم اطرد الماشية من مراعيها .
أنا لم أصد الماء فى موسم جريانه .
أنا لم أطفىء شعلة فى وقت الحاجة اليها .
لم أعترض على ارادة الله .

ويرسل اخناتون سبحاته وتترسل ابتهالاته نفاذا الى نور النور ·

(أنت الذى تنفخ في الفرخ وهو مضغة فى بيضته فتهبه الحياة , انت الذى تتم خلقته فينقر البيضة وهو فى باطنها .. فإذا خرج عنها جعل يصيح بقوة تامة وهو يجرى على قدميه ساعة يخرج . أنت خلقت الأرض خلقتها وحدك لاشريك لك وعلي ماأردت .. الأرض بما فيها من بشر ونعام وسائمة وكل مادب فوق ظهرها على قدميه وطار فى جوها بجناحين ، وجميع الاقطار من الشام وكورش وربوع مصر .. سبحانك . أحللت كل إنسان فى موضعه وقضيت له حاجته .. كفلت له رزقه وجعلت لكل أجل كتابا وقد اختلفت السنتهم كما اختلفت صورهم والوانهم لأنك سبحانك جعلتهم أممامختلفة) .

وكما كان اخناتون يترنم بعالم الطبيعة والحياة الانسانية ، كان عيسى يستقى دروسه من سوسن الحقل وطيور الهواء وسحب السماء والناس حوله . ودليل هذا قصص المسيحية (الابن المبذر) و (الطيب السامرى) أو (المرأة التى أضاعت قطعة من نقودها) .

● استشعار القداسة

إن الديانة المصرية القديمة يظلمها من يسميها (وثنية) ويحكم عليها بعد خمود فورتها الحقيقية حين عاشوا ادراك وجود الله من وراء المعبود المحسوس .

إن وعيها بالمقدس واستشعارها القداسة هو الشعور بالغائب الموجود .. هو الاحساس بمعنى الوجود .

ومما يحسب لمصر أن شوقها الى الحقيقة لم تدفع اليه حاجة ملحة ، والحاجة أم الاختراع كما يقولون ولكن مصر استشرفت الى الكمال والى معرفة الله من خلال اخناتون الملك السيد الذى لم تكن عنده مشكلة .. ومع هذا الغى الملك الإمبراطور ألقابه الملكية كلها حين شعر بضآلة الإنسان مهما بلغ ، إلى جانب الله المتفرد بالعظمة والجلال وسمى اخناتون نفسه :

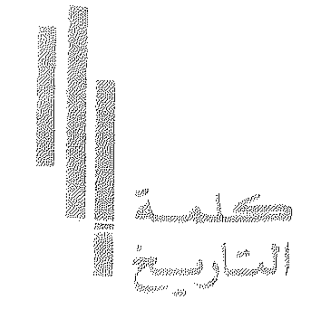
(العائش على الصدق) .

وهنا وصل ، بعد التجريد ، الى التجرد .

وعن اخناتون أخذت مزامير داود كما يقول جيمس هنرى برستد فى كتابه (فجر الضمير) حيث حدد : المزمور ١٠٤ ـ ٢٠ و٢١ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، والمزمور ٥٤١ .

هذا كله قبل ظهور موسى .

لقد عرفت مصر الدين بطريقتها هى ... برؤيتها القلبية . مرة أخرى ابدأ من جديد :



مصر القديمة .

كانت مصر القديمة تقول (اطع الاله الذى فى قلبك) .
اذن الاله الحقيقى ليس آمون أو رع .. إن هى إلا أسماء ترمز إلى الاله الحقيقى .

إن الايمان هو الرحمة كما يقول ابن الفارض .
وحيثما وجدت الرحمة فوراءها إيمان .
ومصر القديمة قالت فى مأثوراتها :
(كن مرضعا للمريض وأبا لليتيم) .

مهما قالت مدارس التمريض الحديثة وفى الغرب ، فإنها لم تصل الى أفق الأمومة فى المريض .. مهما بلغ من العلم والتدريب والاتقان ... تظل الامومة بعد هذا : حبا خالصا وعطاء خالصا سكب روح فى روح .

يقول الحكيم المصرى « امينموبى » .

(إن فضيلة من يؤثر الحق لأحب عند الله من الثور الذى يقدمه المذنب قربانا) ووراء مصر سفر الأمثال (٢١ - ٣) يقول (فعل العدل والحق أفضل عند الرب من الذبيحة)

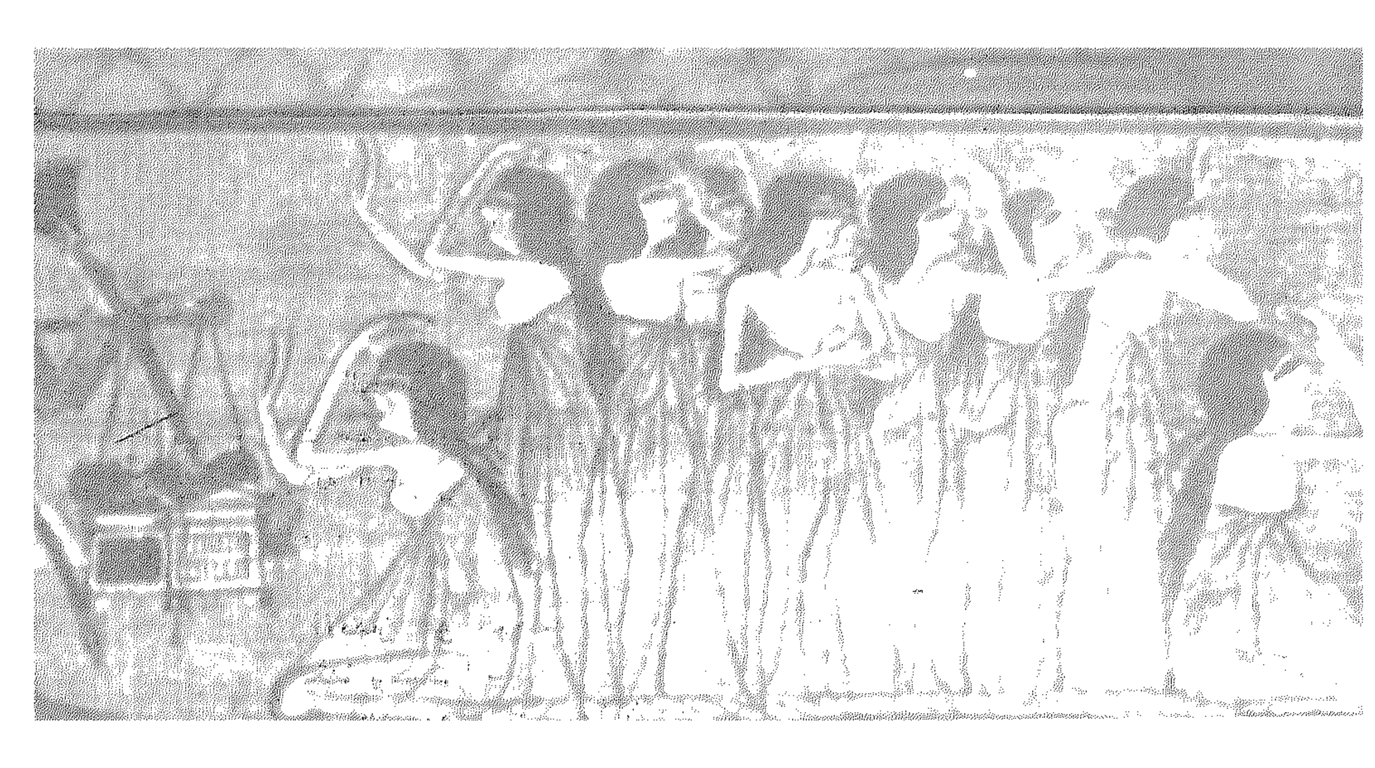
لقد فاقت خلقيات مصر ، الوصايا العشر ومتى ؟ قبل أن تكتب الوصايا العشر بالف سنة بل إن مصر بخلقياتها ومجتمعها سبقت العبريين بثلاثة الاف سنة وكان أدبها ركيزة للتوراة .

يقول فرويد وهو من أكبر علماء اليهود (إن عقدة اليهود سبق مصر فى الحضارة) .

وكما اعتمدت اليهودية على مصر فى (العهد القديم) اعتمدت المسيحية على مصر فى العهد الجديد . فالتثليث والاعتراف بالخطيئة والحلم بالمخلص . قالت بهذا مصر بعد عصر الأهرام يقول المستشرق الفرنسى اميلينو (ان روح الله القدوس فى دستور الايمان المسيحى انما يقوم مقام « الالهة الأم » فى عالم اللاهوت المصرى) .

وعرفت مصر التبتل بل أقدم ماعرف عن الزهد والورع الشخصى فى معناه الروحى العميق .

ويقول اميلينو (إنه على الرغم من أن الشعب المصرى تعددت فيه الآلهة ظاهريا فإن الكهنة والحكماء من بينه كانوا يعلمون علم اليقين ان الله واحد) .



وأقول ليس الكهنة وحدهم بل أفراد عاديون ايضا من سواد الشعب . يؤيد هذا قصة مرقص مع الاسكافى بالاسكندرية وسواء أصحت هذه القصة أم لم تصح فإن دلالتها باقية

● مصر وإيمانها العميق

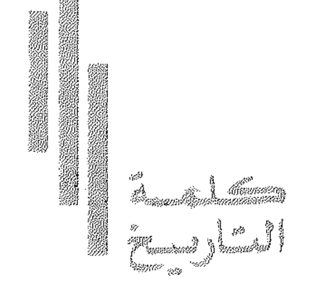
إن الانسان المصرى أول زارع فى التاريخ كما ثبت بالكشف فى الحقبة الأخيرة ولذا يحب الايناس بطبعه والمصريون بعد الأديان السماوية نجد فى كل قرية ومدينة ولياً ، أو صالحاً تتبرك به مع ايمان مصر العميق بالله الواحد . احب المصرى كل شىء كلون من الائتناس . يضفى عليه الايناس .. البشر .. الصمود .. الدعة . ان طرحها الحضارى فى حد ذاته دين.

دين كل عكوف على عمل عظيم .

حتى التماثيل التى يعرضون بها كانت فى مفهومهم مساعدة للانسان على التركيز .. كما كانت دليلا للروح عند عودتها الى صاحبها .

أن الصلاة فى الاسلام تصح فى أى مكان ولكن المسجد يجمع شتات النفس عند الصلاة كما لايستطيع مكان مفتوح خارجه .

لايمكن ان يتفق بلوغ هذا المستوى الفائق فى الهندسة والكيمياء . والطب والزراعة والصناعة والعلم والفن والأدب .. لايمكن ان تتفق هذه الحضارة بمعطياتها وانجازاتها مع عبادة حيوان يذبحونه أو تمثال يسوونه بأيديهم .



يقول « فرانسوا دوماس » فى الفصل الثالث من كتابه (آلهة مصر) .
(من المؤكد ان هذه الالهة كانت تغرس دعائم قوية لنزعة حب الوطن المحلية) .
أى أن الأمر ، لون من الشخصية أو الذاتية كعلم كل محافظة الى جانب علم مصر .
ويقول فرانسوا دوماس : (هذا على التحقيق هو المنهج الذى يمكن أن نطبقه اليوم لمعرفة الدين المسيحى فى فرنسا . ان علم اللاهوت يجب ان يدرس فى ذاته وخارجا عن العبادات الخاصة ومهما تكن خصائص سانت ـ جن Saint-Gens أو سانت ـ آن دوراى Sainte-Anne-D'Auray ومقارس لورد Lourdes أو لاسلت La Salette فانها لاتمس فى شىء صفات الله (عز وجل) أو حتى علم اللاهوت الخاص بالعذراء) .
لقد الّه المصرى : الزهرة والشمس والنيل والتاليه هنا معناه رؤية وجه من وجوه القداسة فى احساس بالكون كله .. بوحدة الوجود . لقد ابدعوا الحضارة ولكنهم وقفوا حيارى امام ظاهرتين : الحياة والموت . فقدسوا الروح حتى ولو حلت فى حيوان .
لقد رسموا البقرة ، شجرة والشجرة لها ثدى ، والانسان يرضع من الشجرة ولم يكن هذا عبثا من الفنان المصرى بل فلسفة كبيرة ، انه يرمز الى وحدة الكون فى غلاف من الرحمة التى وسعت كل شىء .. فالشجرة رمز عالم النبات . والبقرة رمز عالم الحيوان بل رمز العطاء عند قدماء المصريين منذ ارضعت (هاتور) حورس من لبنها .
انها رهافة وجدان مصر التى فطنت من آلاف السنين الى مايسميه الانجليز اليوم وحدة المعرفة . كانت مصر تملك الرؤية .. حتى الثعبان لم تنظر اليه مصر القديمة نظرة مسطحة بل رأت فيه على شره الظاهر ، تعبيرا عن الوجود الجذرى فتشكيل الجسم فى لفات مستديرة رهيبة ، ونمو الرقبة والرأس وارتفاعهما .. هذه الهيئة كالجذع والساق .. ولأمر ما سمت اللغة العربية انثى الثعبان (حية) من حروف الحياة .
وشاع رسم الثعبان وتشكيله فى الحلى خاصة الخواتم والأساور .. ان مصر عندها ادراك رهيف بتيار الحياة السارى من النجوم الى اعماق الأرض من كائنات الخير الى كائنات الشر عندها شعور بسيال الحياة الجارى . لقد نجحت مصر فى الكشف عن مكنون الحيوان كمجلى من مجالى القدسية فى

هذا الوجود . الحيوان هو الحياة . والله يسمى الدار الآخرة (الحيوان) .
ولكن الذين لم يروا فى ديانة مصر الا الوثنية انما نظروا اليها فى عصور الضعف كما تنظر العين الى المصباح الخابى لاترى فيه الا (صماد فانوس) .

ان الحضارة المصرية التى يقال إنها وثنية ، كانت تبشر بالمسيحية والاسلام لأن مستشف دقائقها فى الفن والتفكير يدرك وحدة الخلق فى الحياة . والاحساس الشامل بالكون وهذا اساس الاسلام الذى لايكف عن الدعوة الى التأمل والتفكير .

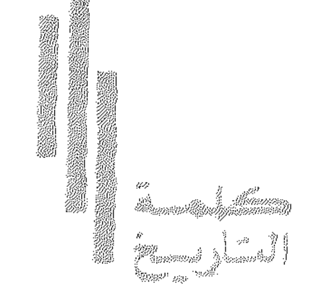
وجاك مارتان يقول فى كتابه عن الفلسفة المدرسية :
« الفن المصرى نبوءة بالمسيحية » .

ومصر حين اعتنقت المسيحية ثم الاسلام كانت تصدر عن هذه الطبيعة لاسيما وان المسيحية والاسلام فيهما منها الكثير .

لم يكن ايمانها إيمان التبعية والضعف بل ايمان الشخصية وقوتها ، فمن قوة الشخصية الا تخاف الجديد لان ما عندها كبير راسخ .. ومن السماحة وقابلية التطور ومرونة الادراك . ان تدرس الرأى الأخر و تنفذ اليه فاذا اقتنعت به ، تقبلته دون جمود . واذا تقبلته نمت به وطورته وأعطته وهو مافعلته مصر .

وبهذا استمر دورها على المسرح فلم تسقط الأضواء من على قسماتها ابدأ .. فقد خرج من هذا التراب اشخاص حققوا معنى الدين فى المرحلتين المسيحية والاسلامية ..





ولولا ان مصر فى قلبها نزوع الى السمو من قديم ، لما تقبلت المسيحية والاسلام بمثل ماتقبلتهما .

إن الحضارة المصرية هى القاعدة الكبيرة للديانات السماوية بشوقها الى المطلق ونزوعها الى التجريد وولوعها بالقيم فى الفكر والروح

إيمان مصر ليس الشكل ولكنه الاتحاد بالكون ايمانها استماع الى المعزوفة الكبرى للخالق الأكبر والأقدر والأعظم .

وينفتح القلب ويشرب النغم .

وتتوهج الروح اذ تلمسها الشرارة المقدسة . ويبصر الانسان بعد أن رأى .

واذ وصلت مصر واتصلت عرفت الخلوة سبيلا الى التأمل والتفكير .. فابتدعت الرهبانية فى المسيحية ووضعت اسس التصوف فى الاسلام .

لقاءات مصر مع الاسلام

ومن الطريف ان مصر قبل الاسلام حرمت لحم الخنزير منذ اتخذ « سيت » هيئة خنزير وفقأ عين « حورس » فحرمت الديانة المصرية أكل لحم الخنزير .

وكان المصريون القدماء يعنون بفحص طهارة الذبائح ومطابقتها لمقتضيات الطقوس الدينية .

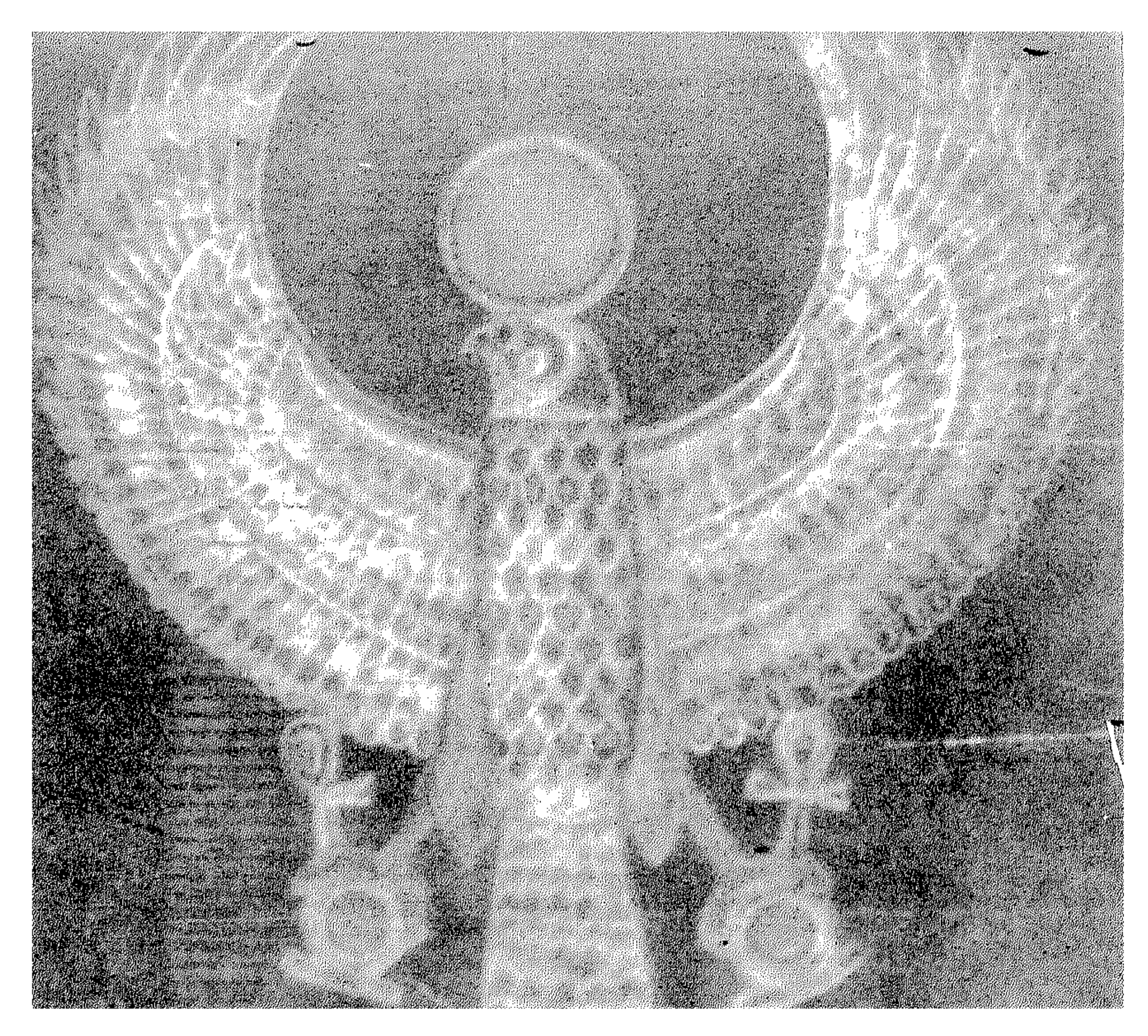
والطهارة فى مصر القديمة كما جاء فى كتاب « الحضارة الطبية فى مصر القديمة » (امر ليس بالغريب خاصة انه نابع عقائديا) كما يقول هذا الكتاب ان : (النظافة كانت عندهم عقيدة قبل ان تكون سبيلا للصحة القومية)

اكرمت مصر الاسرة واوصى بها الاسلام خيرا حتى ابى عليها التفكك ولو اشركت ، الاية (وان جاهداك على أن تشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا) . ١٥ ك لقمان ٣١ .

أكرمت مصر الأم ورفعها الاسلام الى ذرى عالية .

كرمت مصر الزوجة وجعلها الاسلام سكنا آمنا .

ومأثورات مصر فى هذا كله موضوع كبير .



حورس اله .. التوحيد

أقول الوثنى يقف عند الرمز . وكبير القلب والعقل يتجاوز الرمز الى المرموز كما يقول شوقى :

ذهبوا فى الهوى مذاهب شتى ... جمعتها الحقيقة الزهراء
فإذا لقبوا قويا ، الها ... فله بالقوى إليك انتهاء
واذا آثروا جميلا بتنزيـ ... ـه فان الجمال منك حباء
واذا انشأوا التماثيل غرا ... فاليك الرموز والايماء
إن يكن غير ماأتوه فخار ... فانا منك يافخار ، براء

كلمة اخيرة ارجو ان يصغى اليها الذين يعالجون دراما التاريخ المصرى هذه الكلمة قالها عبد القادر حمزة صاحب كتاب (على هامش التاريخ المصرى القديم) [لن تتم على احدكم نعمة الايمان بمصر حتى يحيط بتاريخها علما]

ولكن مَنْ يعرف تاريخها أو حقها ؟!

الأعمدة السبعة للشخصية المصرية

بقلم : د. ميلاد حنا

سوف تشاهد الشوارع ضيقة ومرصوفة بالبلاط من كتل البازلت ومضاءة بالغاز مثلما كان الحال فى حوارى القاهرة قبل الحرب العالمية الثانية ، وبيت العمدة جميل ومتسع ولكن ليس مزودا بمواسير التدفئة المركزية كما هو الحال الآن لأن مصدر التدفئة المتاح هو الفرن وقد تم توصيله بشبكة من المواسير الفخار تحت الأرضية الخشبية ، وكذلك نماذج السراير وغرف الاستقبال من الاثاث الحقيقى الذى جمع منذ أكثر من مائة سنة وليس من الأثاث الخشبى البسيط غير المدهون و« المودرن » والذى اشتهرت به السويد وصدرته الى كل بلدان العالم أخيرا .

وقامت ادارة الجزيرة بتوفير مبالغ لشراء ونقل مزارع قديمة بما تحتويه من وسائل بدائية لحرث الأرض وجمع المحاصيل كما كانت مستخدمة قديما ، وكان كل ذلك موزعا باتقان بين مساكن وحوانيت عدد من الحرف تمثل ماتحتاجه القرية من نجار وحداد وصباغ وبعض الحوانيت لبيع السلع قديمة النمط والوسائل .

وكان طابور الزائرين طويلا وبالذات من الشباب والأطفال لدخول وزيارة الحانوت والبيت القديم لصانع « القنينات » الزجاجية الملونة وقد وقف بملابسه الزرقاء امام الفرن القديم ينفخ الماسورة ويلويها فى رشاقة حتى يشكل القطعة المنصهرة من الرمال البيضاء من الفرن ، لتصبح قنينة او تمثالا ملونا ، يدفع فيه الزائر عشرات امثال ما يدفعه فى تحفة من الكريستال البلورى والذى يصنع فى قوالب ميكانيكية ويباع فى ارقى المحلات ، لأن الأولى صناعة يدوية وتحفة غير نمطية ومن متحف جزيرة اسكانسن .

وكان مصدر إعجابى والذى تجسم فى حديثى هو ما لمسته من ان بلدية

منذ اكثر من عشر سنوات . كنت فى زيارة شبه رسمية إلى السويد كرئيس لجمعية الصداقة المصرية السويدية وبدعوة من الجمعية المقابلة فى استكهولم
وفى اجتماع ودى تبادلنا الكلمات فوجدتها فرصة حسنة لأن ابدى إعجابى بما قامت به مدينة استكهولم عندما قررت ان تخصص إحدى جزرها واسمها «اسكانسن» لكى تكون متحفا مفتوحا وحيا على كامل سطح الجزيرة يصور نمط الحياة فى السويد فى القرن التاسع عشر . وخصصوا لذلك ميزانية ضخمة وكونوا لجانا فنية طافت انحاء البلاد تجمع ماتبقى من مبان خشبية قابلة للنقل . وتصلح لأن تجمع وتنسق بجوار بعضها البعض حتى تتصور بالفعل وانت تجوبها وكأنك قد انتقلت الى قرن مضى وتعيش فى احدى القرى السويدية .

استكهولم قد رغبت فى ان تنقل رسالة هامة الى الأطفال والشباب والذين ينبهرون بالمنجزات التكنولوجية الحالية ودرجة التحضر والرقى ومستوى المعيشة المرتفع ، دون ان يفكروا فى النضال والمعاناة التى عاشها الجدود فى البرد والثلج والصقيع حتى تصل إليهم هذه الحضارة بهذه الصورة .

● مصر متحف العالم

وعندما قام الرئيس السويدى ـ للجمعية المقابلة أى الصداقة السويدية المصرية ـ رغب فى ان يرد التحية بابلغ منها ـ فقد كان خبيرا فى الآثار المصرية فقال ما معناه :

إذا كنت تمتدح بلدية استكهولم وما قامت به من إبراز تراث القرن التاسع عشر لكى يتعلم منه شبابنا وأولادنا ، فإننى أشعر بالعجز والقصور عندما لقارن مصر بالسويد ، فبلادنا لايبدأ تاريخها المعروف والمسجل الا منذ نحو الف عام عندما غزا بلادنا الفايكنج ليأخذوامنها ومن روسيا الفراء وبعض العبيد لتباع فى أسواق الشرق الأوسط وروما وبيزنطة .

أما مصر ـ وقد تجولت فيها كثيرا ـ فهى بحق متحف العالم لأنها تكون سلسلة من الرقائق الحضارية فوق بعضها البعض لقد زرت الأقصر بما تحتويه من روائع معمارية تعبيرا عن عصر الفراعنة ، كما زرت جزيرة فيلة ومعبد أدفو تعبيرا عن العصور الحديثة لحقبة الفراعنة والعصر البطلمى كبداية للحقبة المسماة اليونانية الرومانية ، ثم زرت الكنيسة المعلقة وكنيسة ابو سرجة بمصر القديمة والأديرة فى الصحراء وأعرف فضل مصر على المسيحية واخيرا هناك مصر الاسلامية بكل ماتحمل من تراث حى تعيشونه

الأعمدة السبعة للشخصية المصرية

اليوم ... اننى اتمنى ان تتحول « القاهرة القديمة » الى متحف حى كبير مثل اسكانسن فى استكهولم وستجدون آلافا وملايين الزائرين والذين سوف يستمتعون برقائق من الحضارات فوق بعضها البعض ونتيجة هذا اللقاء ، حفرت هذه العبارات فى وجدانى واختزنتها فى قلبى سنوات طوال كنت خلالها لا أمل من ان أردد أن مصر رقائق من الحضارات Layers of Civilisation وظللت أنقب فى كتب التاريخ حتى أتعرف على هذه الرقائق المتتالية وكيف أثرت فى تركيب الشخصية المصرية .

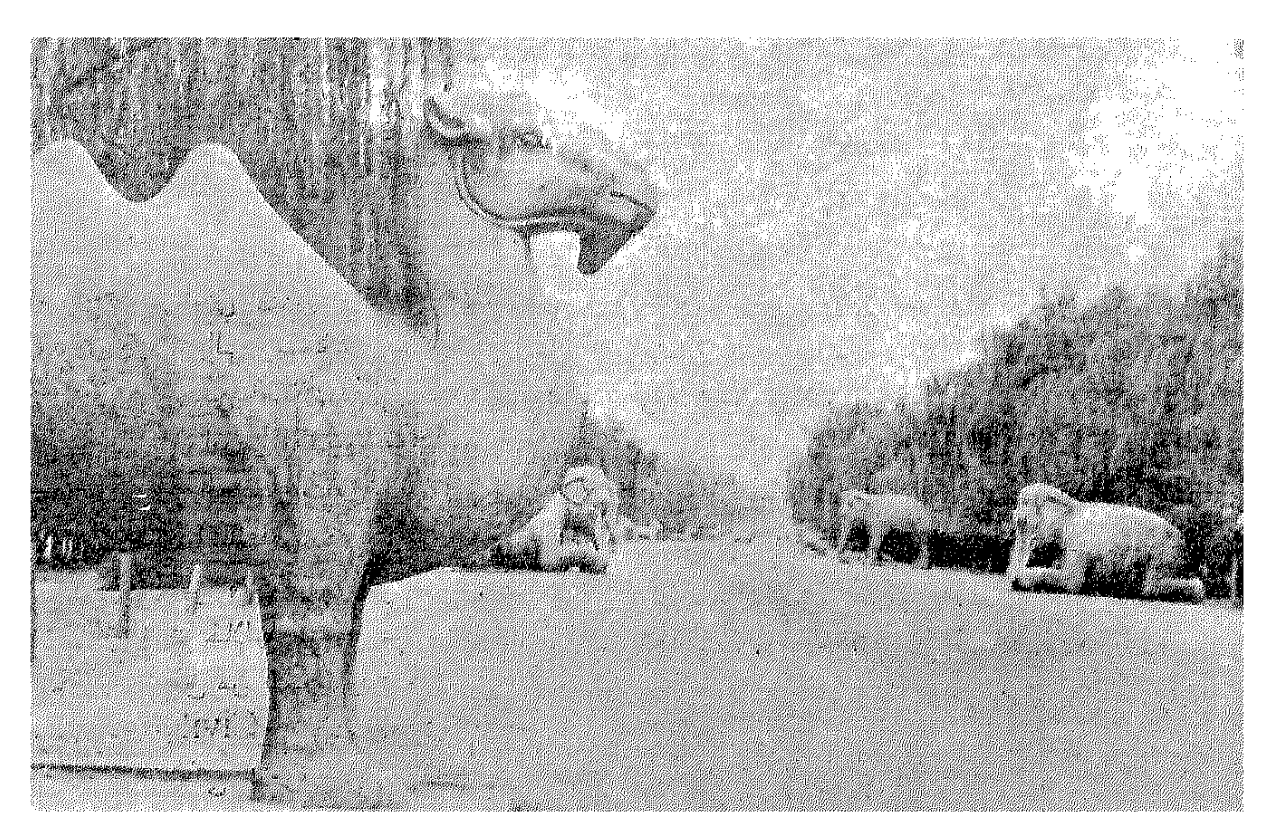
هذه واحدة أو واقعة ، أما الواقعة الثانية فكانتَ فى الصين

وفى عام ١٩٨٥ ـ وعندما كنت رئيسا للجنة الاسكان بمجلس الشعب ـ دعيت فى زيارة رسمية لكل من اليابان والصين وكان هدفى الرئيسى غير المعلن أن أتعرف عن قرب على الشخصيتين الصينية واليابانية واللتين تبدوان لنا كاللغز فشخصيتا الأوروبى والأمريكى معلومتان لدينا لأنهما تنتميان بشكل أو بآخر لذات حضارات حوض البحر المتوسط والتى نفهم مفاتيحها ولذلك عندما نتكلم بالاشارة ولغة العيون يصل المعنى او جزء كبير منه على أى حال

عندما ذهبت الى اليابان انبهرت بحضارتها وادركت ان لها سرا لم ندرك مكمنه بعد لأن الشخصية اليابانية تناقض الشخصيتين الأوروبية والأمريكية وربما تحمل لهما بعض العداء ولكنها بالصبر والاصرار والتقشف شقت الطريق الصعب اصبحت القوة الاقتصادية الثانية فى العالم ، واعتقد شخصيا ان الديانتين « البوذية » و« الشنتو » قد ساهمتا ضمن عوامل اخرى فى تكوين الشخصية اليابانية المنضبطة والملتزمة والصبورة والتى تعمل فى صمت والتى نلمس نتائجها فى الانجازات التكنولوجية والاقتصادية الباهرة .

وعبرت الحدود إلى الصين فإذا بها عالم آخر جديد وادركت لأول وهلة أنها مثل مصرنا تتميز شخصيتها القومية بكل من عقـدة الكبـريـاء Superiority Complex نظرا للتراث الحضارى السحيق وما قدمته الصين للعالم من معرفة واثره المنتشر فى كل بلدان شرق آسيا ولكنها متأثرة كذلك بعقدة النقص مثلنا Inferiority Complex لأن مستوى الحياة فيها الآن هزيل ولاينكرون انهم جزء من العالم الثالث .

دعونى هناك لزيارة مقابر عائلة او اسرة مينج Ming Dynasty (١٤٠٩ ـ ١٦٤٤م) والتى كانت تحكم الصين من القرن الخامس عشر الميلادى وهذه المنطقة تبعد نحو خمسين كيلومترا فى اتجاه الشمال الغربى من العاصمة بيكين ويسمونها « مقبرة الـ ١٣ امبراطورا » ، فإذا بى اجد أوجه شبه كثيرة بينها وبين



الطريق الى مجموعة مقابر اسرة مينج ، على غرار طريق الكباش بمصر

مجموعة مقابر وادى الملوك ، بالبر الغربى امام الأقصر فمجموعة المقابر الصينية منحوتة داخل جبل واخذ نحتها فى مجمله نحو ٢٠٠ عام وقد وضعت التوابيت الحجرية داخل الغرف الجنائزية وبطريقة تقارب ما يوجد لدينا من عهد الفراعنة ، كان الأمر اللافت لنظرى هو ان فى الطريق الى المقابر تم انشاء طريق يشابه كثيرا طريق الكباش فى الأقصر والذى يربط بين الاقصر ومعبد الكرنك على البر الشرقى فيما عدا انهم قد أنشأوا تماثيل لبعض الحيوانات المشهورة لديهم مثل الجمل والفيل والزرافة وغيرها .

● امتزاج الحضارات

ولذلك فإننى لم أستطع ان أمنع خيالى منذ رحلة العودة من زيارة هذه المقابر والى الآن ـ من ان اربط بينها وبين تاريخنا ، وكثيرا ما كنت أجرى حوارات مع مستر تشنج المستشار الثقافى بالسفارة فى القاهرة حول حتمية وجود علاقة ما بين حضارة مصر وحضارة الصين ، وفى تقديرى أو تخمينى فإن عائلة او اسرة مينج لابد ان تكون قد سمعت عن مقابر قدماء المصريين وطريق الكباش ... وهذا ـ على اى حال ـ مجال اكاديمي جيد لم يطرق كثيرا بعد ، لا من علماء الصين ولا من علماء مصر لاكتشاف روابط قديمة بين الصين ومصر .

ولذلك كان محور حديثى فى حفلات العشاء الشهيرة لولائم الضيافة الصينية من عشرات الأطباق الصغيرة التى تقدم على مراحل عبر ساعات ، كان يدور حول

الأعمدة السبعة للشخصية المصرية

العلاقة الحضارية بين مصر والصين وكيف ان كلا منهما من الحضارات العميقة في التاريخ وتسبق ظهور المسيحية بمئات وربما آلاف السنين وان كان هناك إتفاق عام على ان حضارة مصر أسبق وأكثر عمقا وأثرا وآثارا ... !!

ومن هنا فقد رغبت فى ان ابرز ان الشخصية المصرية تختلف عن الشخصية الصينية من مطلق ان حضارة الصين قد امتدت آلاف السنين ولكنها احتفظت بنفس الدين وبذات اللغة فتعاليم كنفوشيوس وبوذا ظلت سائدة حتى الآن رغم التغيرات الجزئية التى تمت بها ، ولكن خط مسارها وممارساتها وعباداتها وعقيدتها ومعابدها واحدة ومستمرة حتى الآن .

وكذلك احتفظت الصين بذات اللغة المبنية على فكرة أو مبدأ الأشكال Characters لمدة تزيد على ستة آلاف سنة الآن فهى ليست بالحروف الابجدية كما نعرفها فى العبرية او اللغات اللاتينية ويحتوى قاموس اللغة على نحو ٤٠ الف شكل وكل منها عبارة عن كلمة ومن بين تلك هناك نحو من خمسة الى ثمانية آلاف شكل هى الشائعة والمستخدمة حاليا وقد تطورت اللغة لتسهيل كتابتها وطباعتها ولتتسع لادخال كلمات وأشكال جديدة تناسب تطور الزمن والانجازات التكنولوجية التى تتطور كل يوم ولكنها ظلت فى جوهرها لغة واحدة ممتدة هذه الآلاف من السنين .

بينما نحن المصريين قد غيرنا اللغة والدين ثلاث مرات أساسية عبر التاريخ فقديما ، كانت عقيدتنا هى معتقدات قدماء المصريين وآلهتهم المتعددة والمتطورة مع الزمن بما فيها ثالوث طيبة ، اوزوريس وايزيس وحورس وكانت لغتنا هى اللغة الهيروغليفية المبنية على اساس الأشكال مثل اللغة الصينية ثم تطورت لتكون ابجدية ، ولكن مع دخول الإسكندر الأكبر مصر عام ٣٢٣ ق . م . تأثر المصريون باللغة اليونانية الجديدة فأخذوا منها حروفها الأبجدية المعروفة وأضافوا اليها سبعة حروف ابجدية اخرى أخذوها من اللغة المصرية القديمة بعد تطويرها ثم كتبوا بها لغتهم المنطوقة فصارت لغة جديدة هى اللغة القبيطة .

وقد تصادف بعد ذلك بقرون قليلة جدا ان ظهرت المسيحية ودخلت مصر فآمن بها شعبها تدريجيا وعلى مراحل ، ورغم حملات اضطهاد شديدة تحول الشعب المصرى فى حدود القرن الثانى الميلادى للايمان بالمسيحية وتكلم اللغة القبطية فى وقت معاصر فجاءت رقيقة جديدة من الحضارة فوق المرحلة الرومانية ـ اليونانية وملازمة ومتداخلة معها ، وقد ساهم اقباط مصر فى تشكيل وصياغة الايمان المسيحى وأرسوا قواعده واصوله من خلال مجامع مسكونية معروفة كما ادخلوا الى العالم نظام الرهبنة .

وفى القرن السابع الميلادى دخل العرب مصر فى ظروف فريدة غير متكررة حيث كان اقباط مصـر المسيحيون يناضلون من اجل الاحتفاظ بعقيدتهم الأرثوذكسية فى تفاصيلها الدقيقة ضد الحكام والغزاة المسيحيين فى بيزنطة ولذا كان لأقباط مصر وقت دخول العرب ـ قيادتان للرئاسة الدينية أولاها من قبل الملك وتسمى « البطريرك الملكانى » والأخرى بطريرك قبطى مصرى شعبى يناضل مع جماهيره المتمسكة بالعقيدة المسيحية المغايرة فى تفاصيلها عن عقيدة الامبراطور البيزنطى والمسيحى ايضا .

وهكذا اعطى عمرو بن العاص ـ الفاتح العربى ـ الأمان لأهـل مصر فـدعا البطريرك بنيامين والذى كان هاربا فى الاديرة والفيافى لمدة ١٣ عاما وأمنه على نفسه وكنائسه وأديرته فرحب الأقباط بالفتح الاسلامى ، ومن هنا جاء الفتح بالرضا وليس غزوا بحد السيف مما أوجد علاقة خاصة جدا بين المسلمين الفاتحين واهـل البلد الاصليين من الاقبـاط المصريين المسيحيين وهذا هو احد اسباب استمرار المسيحية فى مصر حتى الآن وعبر ١٤ قرنا من الزمان واستمرت المسيحية جنبا الى جنب مع الاسلام منذ القرن السابع وظلت الديانتان متعايشتين عدة قرون وكذلك اللغتان القبطية والعربية ظلتا مستخدمتين معا فى مصر لنحو خمسة قرون ، ولم يتحول الاسلام الى اغلبية ولم تسد اللغة العربية وحدها الا فى نحو القرن الثانى عشر ولم يكن ذلك ممكنا ان يحدث الا فى مصر دون دماء او خلافات او عصيان ... فى الوقت الذى كانت البلاد الاسلامية الأخرى غارقة فى النزاعات المذهبية والطائفية .

● إسلام موحد

وبدخول مصر العصر الاسلامى تكونت الرقيقة الرابعة والعليا من الرقـائق الحضارية وهى تتميز بإسلام موحد له نكهة مصرية خاصة فتجده من الناحية الرسمية والمظهرية إسلاما سنيا ومن ناحية الممارسات مع الحسن والحسين وأضرحة اهل البيت بل لعله متأثر ببعض الممارسات القبطية والفرعونية القديمة وبالذات فى الأمور التى تتعلق بالموت والشعائر الجنائزية والاحتفال بالاربعين وزيارات المقابر وما الى ذلك .

وإذا كانت هناك رقائق أربع من الناحية التاريخية وقد أثرت فى تواليها على الشخصية المصرية ، فمن المؤكد أن شخصية مصر والمصريين قد تأثروا فوق ذلك وقبله بالانتماءات التى تمليها ظروف موقعها الجغرافى المتميز .

١ ـ قلب البلاد العربية كلها هو مصر ، ولا دور لمصر فى العالم دون العرب وإلا أصبحنا دولة من الدرجة الثالثة أو الرابعة وكأحد بلدان أمريكا اللاتينية ، كما أنه قد تأكد للعرب الآن أنهم متفرقون مكسورون وبفاعلية محدودة بدون مصر ولا امل من ان اذكر التشبيه الهندسى من ان مصر هى العامود الرئيسى الذى يحمل قماش الخيمة العربية ولذا فان قماش الخيمة يسقط على الأرض حتى وان كان من حرير ومطعم بخيوط من ذهب اصفر أو أسود كما ان عامود الخيمة يصبح مجرد قطعة من الخشب لاقيمة لها بدون الخيمة وسيتعرض وحده للرياح والأنواء فى

الأعمدة السبعة

صحراء السياسات الدولية فيسقط مالم يتوفر له غطاء وحبال الخيمة .

٢ - ولمصر انتماء جغرافى آخر وهو انتماؤها الى حوض البحر الابيض المتوسط وقد تدعم هذا الانتماء الجغرافى حضاريا من خلال الحقبة الرومانية - اليونانية التى اعقبت الفترة الفرعونية ولذا فهناك مفكرون كثيرون ويعتزون بهذا الانتماء من امثال طه حسين وأحمد لطفى السيد ورفاعة الطهطاوى والخديو اسماعيل وغيرهم ولكن الخطأ يكمن فى ان يوضع هذا الانتماء البحر أوسطى كبديل للانتماء العربى واننى لأرى ان الانتماء الأوسطى لايأتى فقط فى مرتبة تالية للانتماء العربى ولكننى اراه مكملاً له .

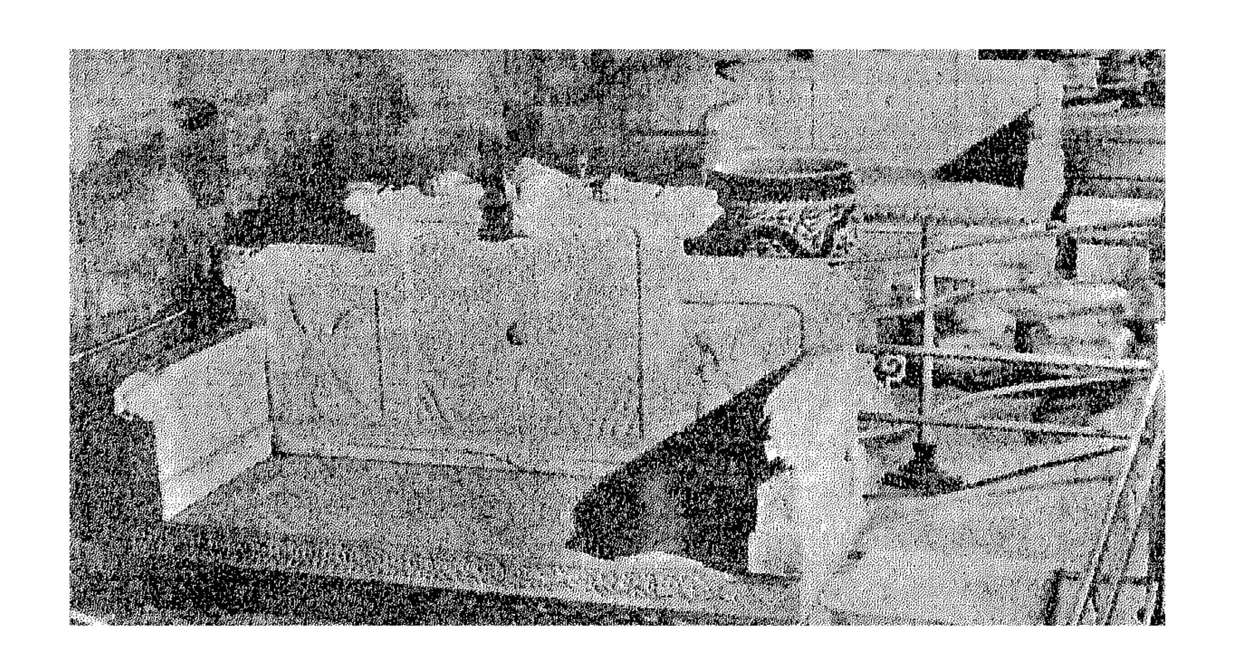
٣ - واخيرا وليس آخرا يأتى العامود السابع وهو انتماء مصر الأفريقى والذى اراه ليس فقط انتماء جغرافيا ولكننى اراه سبيل المستقبل لحل مشاكل مصر الاقتصادية والتى ستتفاقم نتيجة زيادة السكان ، لأن السوق العربية للعمالة المصرية فى سبيلها الى النقصان والى تذبذبات فى ضوء تغيير اسعار النفط ولكن السوق الافريقية قادرة ولسنوات واحقاب قادمة على استيعاب العمالة المصرية ليس فقط بالنسبة للعمال اليدويين فى مجالى التشييد والبناء او غيرهما ولكن بالنسبة لكل المهن من طب وهندسة وإدارة ومحاسبة وزراعة وبيطرة وغيرها .

● المصرى حامل الحضارات

إن مارغبت ان أوضحه للقارىء هو ان المصرى ليس شخصية مسطحة ولكنه حامل لحضارات وانتماءات متعددة تبدأ بالرقائق التاريخية من الفرعونية . ثم الرومانية ثم القبطية ثم الاسلامية وهذه فى مجموعها تكون النسيج النفسى للمصرى ، فضلاً عن انتماءات اصيلة فرضتها ظروف موقع مصر الجغرافى من الانتماء الى الأمة العربية ثم مجموعة حوض البحر المتوسط واخيرا الانتماء الى افريقيا .

على ان هذه الأعمدة السبعة للشخصية المصرية ليست متساوية فى الطول او القطر اى ليست كأسنان المشط ، ولاتتمتع عند كل منا بذات القدر ، فبعض الفئات فى مصر وبالذات اهل الصعيد والأقباط يعتزون بالانتماء الفرعونى ويضعونه فى الصدارة ، وكثير من المتدينين المصريين لايجدون مصر الا اسلامية اولا واخيرا ، والعديد من المثقفين وبالذات ممن اختلطوا او تعلموا فى مدارس اجنبية ينمون مصر الى البحر المتوسط ويدللون على ان الاسكندرية قريبة الشبه من بيريه واثينا ونابلى .

اما اهالى مديرية اسوان وبلاد النوبة فان ارتباطاتهم مع السودان تدفعهم الى تغذية انتماء مصر الى افريقيا ، ومن هنا جاء تباين الوان البشرة من البياض الناصع الى اللون الخمرى الى السمرة الداكنة ولكننا نعرف التفرقة العنصرية ولانحبها وفى هذا الأمر لا اود ان ابرز انتماء على آخر أو أفضل - على سبيل المثال - انتمائى العربى على انتمائى القبطى ، لأننى ارى ان السياسى الذكى



وضعوا اريكة رخامية فى المقبرة مثلما فعل القدماء المصريون

هو الذى يستطيع ان يستثمر هذه الباقة الفريدة من الانتماءات وفقا لمقتضيات الحال والمتغيرات التى تحدث فى عالم سريع التغير، بذات القدرة التى يستخرجها مايسترو الموسيقى من جملة آلات العزف لكى يخرج سيمفونية تطرب لها كل الآذان. ولكى ادلل على وجهة نظرى اذكر كيف أن قرار جامعة الدول العربية بطرد مصر من الجامعة عام ١٩٧٩ ـ عقب توقيعها معاهد كامب دافيد ـ لم يؤد لا الى سقوط النظام ولا لعزل مصر وان كان قد ادى الى اغتيال السادات، ذلك ان مصر ـ حكومة وشعبا ـ وبسرعة قد وطدت علاقاتها مع كل من دول البحر المتوسط وأفريقيا ودول المجموعة الاسلامية وأمكنها أن تقتحم أولا المؤتمر الاسلامى فى يناير ١٩٨٧ وسيكون ذلك ولا شك توطئة لعودتها الرسمية الى الجامعة العربية.

ومن المفارقات أنه فى الوقت الذى حرمت فيه مصر رسميا من عضوية الجامعة العربية، كان عدد العاملين المصريين فى كافة الدول العربية مقدرا بالملايين تعبيرا عن انتماء وعلاقة أصيلة يصعب قطعها بقرار سياسى.

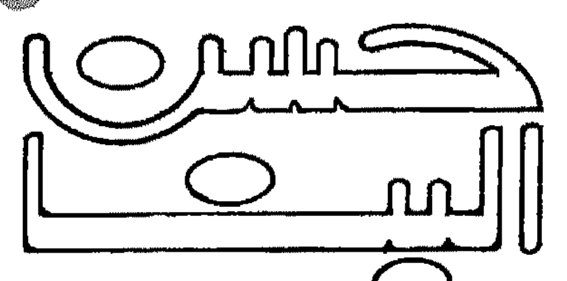
على أن الهدف من كل هذه الدراسة التاريخية للشخصية المصرية هو اكتشاف النواحى التى تدعم الوحدة الوطنية بين المسلمين والاقباط.

خلاصة القول هى ان مصر قد احتضنت الاديان السماوية الثلاثة، ففى المرحلة الفرعونية دخل ثم خرج اليهود «وتعلم موسى بكل حكمة المصريين، وتأثرت اليهودية بمعتقدات المصريين القدماء وكذلك المسيحية فقد احتضنتها مصر وساهمت من خلال اثناسيوس الرسولى وغيره فى صياغة قانون الإيمان، وكذلك ساهمت مصر والأزهر فى صياغة الفقة والشريعة الاسلاميين.

ولذلك فإن شعب مصر هو شعب متدين ولكنه غير متعصب فالتعصب هو تعبير عن أحادية الانتماء أما هذه الباقة الجميلة من الحضارات والانتماءات والتى تكون وجدان المصرى، لابد أن توفر له سبل الانفتاح والتفاهم بالحوار والتعقل دون التعصب.

بقلم :
د. أحمد عبد الرحيم مصطفى





حسن البنا وجماعة الإخوان المسلمين

لاتظهر الشخصيات البارزة فى فراغ ، بل هى فى الواقع نتاج عصرها : تمتص مؤثراته وتتجاوب معها سلبا وإيجابا ، وتنجح أو تفشل بحسب الظروف المحيطة وبحسب تعبيرها عن متطلبات العصر . وحسن البنا ابن عصره ، فقد تجاوب مع اشفاق مسلمى مصر وغيرها من الاقطار الاسلامية على دينهم وتراثهم واستقلالهم فى مواجهة زحف المؤثرات الغربية التى أخذت تدق الأسافين فى البناء الفكرى والاقتصادى والاجتماعى فى مصر وتوجه الهجوم الى الاسلام والمسلمين وبالاضافة الى ذلك فقد تحمس كثير من المصريين ، وبخاصة من أصاب منهم تعليما غربيا ، وأعجبوا بالحضارة الغربية اعجابا مبعثه أن الغرب حقق نظاما ناجحا يقوم على الدستور ويحدد سلطة الحاكم ويقيم العدالة ويقر حرية كل من الفرد والمجموع . كما عزيت حيوية أوربا الى نظامها التعليمى وتنظيمها الاجتماعى ودعمها لروح البحث الحر وما اسهمت به المنظمات والجمعيات الخاصة فى تقدم أوربا اقتصاديا وانسانيا .

ولقد أذنت حركة الاقتباس عن الغرب بزعزعة القالب التقليدى للمجتمع المصرى واستيراد مجموعة من النظم والقوانين والمقاييس الغربية التى ظلت لفترة طويلة غريبة على الكتل الجماهيرية ولا تتمشى مع حاجات ومشاعر وآمال المواطنين . ومما ساعد على ظهور الأزمة المترتبة على المؤثرات الغربية أن أوربا فى ثقتها غير المحدودة بنفسها وما ترتب على ذلك من نزعات عدوانية واستحواذية كانت تبدو وكأنها تضع العالم بأسره فى قبضتها فى الوقت الذى اشتدت فيه الحملات على الدين الاسلامى . وكانت مشكلة الحضارة الغربية وما صاحبها من غزو واستعلاء من أعقد المشكلات التى واجهها المفكرون : فمنهم من اتجهوا الى طرح التقاليد القائمة على زعم أنها مصدر النكوص والجمود والضعف وأبدوا حماسة للاقتباس عن الغرب ونشر علومه ونظم حكمه وأساليبه التعليمية وبثها فى الشعب حتى يستيقظ ويتحرر من السيطرة الغربية . ومنهم من رفضوا الغرب وآبوا مسالمته ودافعوا عن تراثهم باعتباره منبع المقومات الأصيلة . ومنهم من حاولوا التوفيق بين التراث العربى ـ الاسلامى وبين منجزات الغرب .

مقاومة الاضمحلال

وقد ادى كل ذلك إلى ظهور حركات التجديد الإسلامى فى مصر وسائر الأقطار الإسلامية وهى الحركات التى اتخذت إما شكل إحياء سلفى كما هو الحال بالنسبة الى "الوهابية" والسنوسية والمهدية أو شكل تجديد عصرى . ذلك أن المجتمع العربى ـ الاسلامى كانت تتهدده من الخارج قوى نشطة فى الوقت الذى كان يتهدده من الداخل نوع من الاضمحلال والغيبوية ونقص فى الحيوية والتماسك ، وهكذا نجد جمال الدين الافغانى يبذل ما فى وسعه لمقاومة هذا الاضمحلال الداخلى حتى ولو سار على خطى ثورية ، فى حين تصدى "المهدى" فى السودان لمظالم "التركية الأولى" وكانت الحركة السنوسية فى طرابلس





محمد عبده — جمال الدين الافغانى — محمود فهمى النقراشى

وبرقة تمثل فى بعض نواحيها احتجاجا ثوريا على عجز الاتراك وفسادهم واستغلالهم . وقد رفضت هذه الحركات السلفية فى مجملها الغرب فى الوقت الذى جرت فيه محاولات للتوفيق بين الميراث الحضارى الاسلامى وبين الحضارة الغربية المتفوقة **وانبهر فيه الكثيرون بالحضارة الغربية . ومما ساعد على انتشار المؤثرات الغربية فى مصر وغيرها من الأقطار الاسلامية ضعف سيطرة الدين واهتزاز مكانة رجال الدين ووقوفهم موقفا سلبيا من المشكلات التى واجهت منطقة تتعرض لتحديات العلم التطبيقى الغربى وازدياد أهمية الفكر المستند الى العقل والطبيعة .**
ورغم اضمحلال الاسس القديمة التى قام عليها المجتمع المصرى فانه كان لايزال يستند الى هيكل من الولاءات والمسئوليات التى ربطت مختلف الجماعات والطبقات الاجتماعية بعضها ببعض ، ولو أن القالب القديم قد اهتز من اساسه فى الوقت الذى تم فيه استيراد مجموعة من النظم والمقاييس الغربية التى ظلت لفترة طويلة غريبة على الكتل الجماهيرية ولا تتمشى مع حاجيات ومشاعر وآمال السكان المسلمين .
والنتائج الاقتصادية المترتبة على المؤثرات الغربية معروفة بما فيه الكفاية : الانفجار السكانى الذى لم تصحبه زيادة فى المؤن الغذائية واتساع الهوة بين الفقراء والاغنياء وخلق أطماع وشهوات جديدة تفوق ظهور وسائل الوفاء بها

● تحدى المشاعر

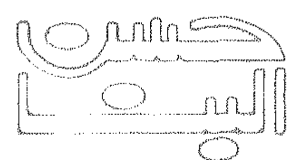
وقد أدى عدم التوازن المترتب على تحلل النظام الاقتصادى التقليدى الى تغييرات هامة أخرى ربما أهمها إضعاف الروابط الاجتماعية القديمة والأساليب والولاءات التقليدية . كما أن ازدياد حجم التصنيع وانتشار الهجرة الى المدن قد أثرا فى عملية الاقتباس من الغرب بحيث كادت تكتسح البنيان الثقافى الفوقى وتدمر الاسس التقليدية التى قام عليها المجتمع المصرى - وكل ذلك أدى الى اضمحلال النظام الثقافى القديم وتفكك القوالب الاجتماعية والثقافية القديمة وبالتالى فقد واجه المجتمع المصرى نوعا من عدم الاتزان أدى الى حدوث أزمة حضارية لم تحسم حتى الآن . وفى اعقاب الحرب العالمية الأولى قامت فى مصر حكومات لبرالية يوجهها العلمانيون المتأثرون بالحضارة الغربية مما كان يعنى الانهيار النهائى لمجتمع العصور الوسطى ، وزوال التأكيد على المميزات الدينية التى كانت شديدة الأهمية حتى ذلك الوقت ، وتراجعت الشريعة الاسلامية التى حلت محلها دساتير ونظم برلمانية وقوانين غربية ، فى حين ألغت الحركة الكمالية فى تركيا الخلافة وفصلت الاسلام عن الدولة ، وهو ما هلل له اللبراليون .
وفى عام ١٩٢٥ والعالم العربى - الاسلامى مشغول بنتائج الغاء الخلافة العثمانية نشر على عبدالرازق - القاضى الشرعى المصرى الذى كان قد أصاب

بعض الثقافة الغربية - كتاب عن "الاسلام وأصول الحكم" الذى صدم عواطف الناس بجراة وعنف ، وتحدى مشاعرهم وشكك - أحيانا بسخرية - فيما تطمئن اليه نفوسهم وربط التقليديون ، وفى طليعتهم الأزهريون ، بين كتاب على عبدالرازق وبين المؤثرات الغربية التى أخذت تتغلغل فى المجتمع وحينئذ اصطدمت المؤثرات الحديثة ، التى كانت ثورية فى طابعها ، بالارتباط العزيزى بالتقاليد الدينية ، ومن ثم الهجوم العنيف عليه وعلى طه حسين الذى اتبع المنهج الديكارتى فى تناول قصص القرآن فى كتابه "الشعر الجاهلى" وفى نفس الوقت الذى تعرض فيه الاسلام للهجوم من جانب المبشرين والاستعماريين .

● حسن البنا والاخوان المسلمون

وجاء رد الفعل ... فى اواخر العشرينيات من القرن العشرين على شكل جمعيات دينية كانت تنشط فى أوساط الطبقة الوسطى فى المدن وتزداد أهميتها بمرور الأيام . وسرعان ما تحولت هذه الجمعيات الى مراكز يتعايش فيها الدين والوطنية ، فى الوقت الذى بدأت تظهر فيه جمعيات اخرى ذات طابع دينى وسياسى أهمها جماعة "مصر الفتاة" وجمعية الاخوان المسلمين التى تأسست فى عام ١٩٢٧ على يد حسن البنا . **وقد تصدت جمعية الاخوان المسلمين للدفاع عن الاسلام والحضارة الاسلامية ونددت بالسياسة التى كانت تتبعها الدول العظمى فى البلدان الاسلامية . كما تصدت لآثار الاقتباس المتسرع من الغرب على العادات الشرقية ولكن لم يثر سخطها شىء مثلما كانت تثيرها الاحكام التى اطلقها المستشرقون على الاسلام وتصريحات المبشرين** وفى نفس الوقت اصابت الحركة الفاشية نجاحا فى ايطاليا بعد ان استولى موسولينى وأتباعه على الحكم ونددوا بالديمقراطية والنظم البرلمانية العربية وركزوا على مزايا الدكتاتورية التى اعجب بها الكثيرون فى مصر والشرق وتوقعوا تحقيق كثير من الانجازات تحت قيادة الزعيم الأوحد والحزب الواحد وكان لذلك اثره على تنظيم جماعتى الاخوان المسلمين ومصر الفتاة الناشئتين .

وقد بدأ حسن البنا نشاطه فى الاسماعيلية التى كانت تقطنها جاليات أوربية متنوعة تحيا حياتها الخاصة المخالفة للأنماط الاسلامية وسرعان ما اجتذب الى صفه جموع ابسط طبقات الشعب والحرفيين الوطنيين والطلاب والبورجوازية الوطنية الصغيرة تم أغراه النجاح الذى اصابه بنقل قاعدة نشاطه الى القاهرة التى أسس فيها شعبا للجماعة واتخذ منها المركز الرئيسى لدعايته ومنها كان ينتقل للقيام بجولات دعائية فى الأرياف والمدن المجاورة . **ومما جذب الكثيرين الى دعوته انه كان يبشر بمنطلق جديد يستلهم التفسير الاصولى للاسلام ويرفض المؤثرات الغربية جملة وتفصيلا . فقد سعى الى بناء المجتمع عى شكل جامعة اسلامية عصرية تلعب دورها فى تحقيق سلام العالم وبناء الحضارة الانسانية على اساس جديد** يقوم على التأكيد على المبادىء العالمية للاسلام الداعية الى الاخاء والقيم الروحية . وهكذا قدم البنا جماعته باعتبارهم بديلا لحكم الساسة



العلمانيين وبالتالى للنمط الأوربى المستورد فيما يتعلق بالحكومة والمجتمع . وقد ساعدت نشاطاته ومقوماته الشخصية وايمانه بمبادئه ، الى جانب اوضاع مصر العامة ، على سرعة انتشار دعوته التى مست وترا حساسا لدى قسط كبير من الكتل الجماهيرية التى قل ايمانها بالزعامات التقليدية المتصارعة . فقد كان متواضعا حاد الذكاء قوى الذاكرة شديد الفصاحة وخطيبا مفوها يهز مشاعر سامعيه ببلاغته واستشهاده بالآيات القرآنية والاحاديث النبوية . مما ادى الى سيطرته على جماعته سيطرة مطلقة بالصورة التى غطت على الزعامات الاخرى المحتملة ، خاصة انه كان من انصار الزعامة الفردية ، وقد التقت جماعته منذ نشأتها مع الانظمة الفاشية فى اقامة تشكيلات شبه عسكرية (الجوالة) ودعوتها لتوحيد القوى والغاء الاحزاب السياسية ومركزية السلطة الفردية وربطها كل ذلك بنوع تفسيرها لنظام الحكم فى الاسلام . **ولهذا كانت طاعة الاخوان المسلمين تشبه غيرها من الحركات السياسية التى شهدتها الساحة المصرية فى أعقاب الحرب العاليمة الاولى من حيث قصور التنظيم وارتباطه على الأغلب بشخص واحد يحتكر الزعامة والتوجيه : وبالتالى فقد تجمدت زعامة الاخوان المسلمين التى اخذت بمبدأ الزعيم والتابع المستند الى القيادة والطاعة .**

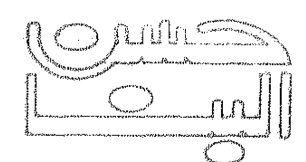
ولما كانت حركة الاخوان المسلمين بالضرورة تشكل رد فعل عنيف ضد الفشل الأيديولوجى الذى منى به قادة المثقفين أيا كانت اتجاهاتهم وضد الفشل السياسى والاجتماعى للنظام الليبرالى فى مصر فقد قامت باعتبارها حركة سياسية ـ دينية استلهمت التفسير الأصولى الاسلامى بصدد المسائل الاجتماعية والسياسية وبالتالى فانها لم تأخذ بالاساليب الحديثة للتنظيم السياسى وان تكن قد قدمت نفسها باعتبارها بديلا لحكم الساسة العلمانيين وبالتالى للنمط الأوربى المستورد دون أن تقدم حلا للمشكلات الايديولوجية والاجتماعية التى كانت تواجه المجتمع المصرى . **ومن العوامل التى ادت الى نجاح الحركة بمرور الزمن جمود علماء الأزهر وتوقف نشاطهم عند حدود معينة من التفسيرات والشروح وبعدهم عن اهتمامات الجماهير الحقيقية وعدم التفات الأحزاب الى المشكلات الاجتماعية فى الوقت الذى كانت فيه الجماهير شديدة الاهتمام بضرورة الاصلاح الاجتماعى** ، ويضاف الى هذا ما كان فى أعقاب الحرب العالمية الثانية من ظهور مجموعة من "اثرياء الحرب" الذين لم يلتزموا بالأخلاق التقليدية مما أدى الى ظهور ألوان من الرذائل والآفات الاخلاقية وأفسح المجال للدعوة الدينية فى الوقت الذى اخذت فيه الجماهير تبحث عن قيادات تعبر عن مطالبها **فكان من السهل عليها أن تقع تحت تأثير حسن البنا الذى كان محور مناقشاته يدور حول فساد الحياة السياسية وضرورة العودة الى الاسلام طلبا للاصلاح** ، وكان البنا **لا يعترف بالقومية التى رأى أنها جاءت من الغرب** ، **ولهذا أكد على ضرورة قيام الجامعة الاسلامية**

والخلافة ذاهبا الى أن دولة ومجتمعا يقومان على القرآن والسنة يستطيعان أن يضعا حدا لكل أمراض المجتمع فى الوقت الذى لم تكن لديه هو وأتباعه فيه أية فكرة واضحة عن المشكلات المعقدة التى تواجه مجتمعا حديثا وبالتالى كانوا على استعداد لاعتبار كل من يعترض على برنامجهم عدوا للاسلام .

● الاخوان وقضية فلسطين

ويمرور الزمن ولدت الدعاية النشطة للاسلام لدى أبسط طبقات الشعب والطلاب وبعض قطاعات البورجوازية المصرية فى المدن الكبرى تيارا قويا معاديا للاجانب . وفيما بين عامى ١٩٤٥ و١٩٤٨ ظلت دعوة الاخوان المسلمين التى صيغت فى جمل بليغة وبسيطة تنمو وتفسر وتنتشر فى كتيبات صغيرة توزع بالمجان أو تباع بأثمان زهيدة وفى صحيفة يومية هى "الاخوان المسلمون" ومجلة شهرية هى "الشهاب" ومن العوامل التى استغلها الاخوان خلال هذه الفترة احتدام القضية الفلسطينية التى واجهت اطماع الصهيونية العالمية دون أن تستطيع الحكومات العربية والاسلامية ان تصيب نجاحا ولو قليلا فى سبيل انقاذ فلسطين من الاخطار المحدقة بها باستثناء الادلاء بالخطب الملتهبة وتهديد المتآمرين على فلسطين بالويل والثبور وعظائم الأمور . وعلى العكس من ذلك كان موقف الاخوان المسلمين الذين تطوع بعضهم للدفاع عن فلسطين بقوة السلاح - بل ان **"المرشد العام" ، وهو اللقب الذى خُلع على حسن البنا ، قام بجولات فى فلسطين آمكنه خلالها ان يفتتح عددا** من الشعب فى الوقت الذى قام فيه الاخوان المسلمون بجمع التبرعات وتكديس السلاح لخدمة القضية الفلسطينية . وهذا الدعم النشط لتلك القضية بالاضافة الى الظروف الموضوعية الاخرى التى سبقت الاشارة اليها هو ماجلب لحركة الاخوان عددا كبيرا من الاتباع الذين يقال انهم وصلوا الى ما يزيد على المليون فى اعقاب الحرب العالمية الثانية لدرجة انهم كادوا يسيطرون على الساحة الجامعية والحركة الطلابية والشبابية ويتصدرون الحياة الدينية والسياسية .

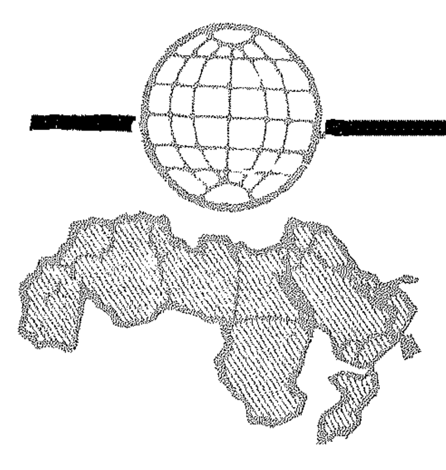
وقد حاولت الاحزاب المصرية دون جدوى أن تشد أزرها باجتذاب الاخوان المسلمين الى صفها - اذ استخدمها حسن البنا اكثر مما استخدمته وأفاد بمهارة من حزازاتها ومنافساتها فى الوقت الذى استطاع فيه أن يهب جماعته تنظيما قويا ، فسرعان ما انتشرت فوق شتى ربوع مصر الشعائر الدينية والتدريب العسكرى فى الوقت الذى كانت فيه الجماعة على قمة الحركة الوطنية والمعادية للأجانب التى ادت حرب فلسطين (١٩٤٨ - ٤٩) الى تأجيجها ، وخلال الهجوم على الصهيونية كان المساس بالحضارة والاساليب الغربية وتدميرها هو الهدف ، وبالتالى كثرت الهجمات على البارات والسينما وبعض المؤسسات التى يمتلكها اليهود والأجانب فى الوقت الذى جرى فيه الاعتداء على بعض الشخصيات العامة التى تصدت لنشاطات الاخوان الذين كان لهم جهاز سرى يشرف على



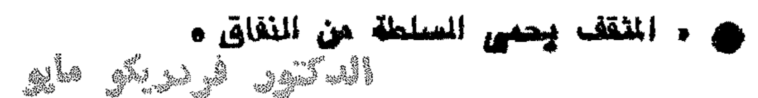
الاغتيالات وإلقاء القنابل ويكدس الاسلحة في القاهرة وغيرها من المناطق المصرية . وفي ٨ ديسمبر ١٩٤٨ اصدر رئيس الوزارة المصرية محمود فهمي النقراشي قرار حل الجماعة ليدفع حياته ثمنا لذلك بعد أيام . وبعد ذلك اغتيل البنا في ١٢ فبراير ١٩٤٩ . وتعرض الاخوان لمطاردة البوليس والاعتقال وان لم يؤد ذلك الى زوال الخطر الذي شكلوه على نظام مصر السياسي

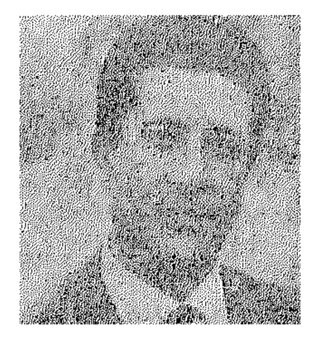
ولم يؤد مقتل البنا الى توقف نشاط جماعة الاخوان بل ساعد على توسيع دعايتها سرا في الوقت الذي انتهت فيه حرب فلسطين الى كارثة ، فوزعت في شوارع القاهرة ومساجدها منشورات هاجمت الحكومة والسراي ، ولم تعد الحكومة تستطيع حفظ النظام الا بصعوبة بالغة في حين اكتشفت مخازن للاسلحة والذخيرة واحبطت مؤامرات كانت تعد ضد سلامة النظام القائم . **الا ان غياب قائد الحركة استتبع زعزعة مكانتها خاصة وقد دبت الخلافات في صفوفها مما مهد لتوجيه الضربة القاضية اليها على يد نظام ٢٣ يوليو ١٩٥٢ مما ادى الى اختفائها عن الساحة السياسية المصرية فترة طويلة ولو ان الاتجاه الذي مثلته لايزال قائما وفعالا ليس فقط في مصر بل في غيرها من الاقطار العربية والاسلامية .** فلايزال المسلمون يشعرون بالاشفاق على مصير دينهم في مواجهة التحديات التي تواجهه ، كما أن الاقطار الاسلامية لم تصب نجاحا كبيرا في حل المشكلات التي تعترضها في الوقت الذي لايزال فيه المسلمون يقارنون أوضاعهم الراهنة بفترة تفوقهم السابقة على مسرح الحضارة العالمية ويسعون جاهدين الى احياء امجادهم في مواجهة قوى متفوقة من الشرق والغرب لاتزال تحكم الملايين من المسلمين الذين - منذ بدء حركة الاستعمار العالمي - وجدوا أنفسهم يخضعون لقوى غير اسلامية وتطبق عليهم قوانين وأنماط لا تتمشى مع المفاهيم الاسلامية .

وهكذا نجد أن حسن البنا ليس سوى أحد أعلام حركة الهجوم الاسلامي المضاد في مواجهة التحديات الداخلية والخارجية التي طالما احاطت بالعالم الاسلامي بحيث يمكن إضافة لسمه الى سجل الزعماء المسلمين الذين سعوا الى حل مشاكل المسلمين سواء عن طريق الاحياء السلفي أو التجديد العصري يستوي في ذلك محمد بن عبدالوهاب والسنوسي الكبير ومحمد أحمد المهدي وجمال الدين الافغاني ومحمد عبده وتلامذته - الى غير ذلك من الدعاة الذين سعوا الى احياء السنة والقضاء على البدعة بهدف حماية المجتمع الاسلامي والقضاء على ما اعتبروه من المفاسد فالاصلاح لدى المجددين في الاسلام هو التنقيب عن الجوهر القديم ونفض ما تراكم عليه عبر عصور الجهل من بدع ، ومقاومة ما اعتبروه خطرا على الاسلام من المؤثرات الخارجية وبخاصة **اذا ما جاءت من "دار الحرب" التي طالما اعتبرت عدوّة لدار الاسلام والمسلمين الذين لا يزالون يحلمون بانتشار الاسلام على وجه الارض قاطبة**



أقوال معاصرة

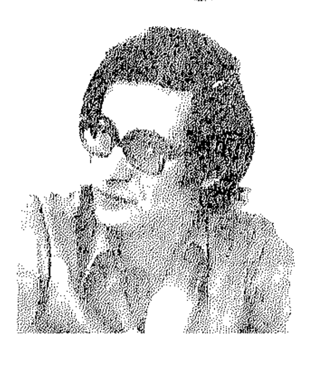




فريديرك مايور



سميح القاسم



محمود درويش

● « المثقف يحمي السلطة من النفاق »

الدكتور فريديكو مايو

مدير منظمة اليونيسكو

● « حينما يصبح المسرح بوقا يهجره الناس »

المخرج التونسى «المنصف سويسى»

● « سأكف عن الكتابة اطلاقا وطلاقا بالثلاث لو فقدت الايمان بعلو يد القلم على يد السوط »

سميح القاسم

الشاعر الفلسطيني

● « ستحتضر الاشتراكية ما لم نصلح النظام السياسى »

جورباتشوف

امين عام الحزب الشيوعى السوفييتى

● « اسرائيل تعيش كملك لا ينام خوفا من ضياع عرشه »

دافيد جروسمان

الكاتب الاسرائيلي

● « لا شيء كان يمكن ان ينافس ما حدث بمؤتمر الحزب حتى ولا قصة بوليسية او مباراة كرة قدم حامية »

نينا برجينسكايا

مواطنة سوفييتية

● « انتهى القرن الامريكى ، واكبر تطور حدث اخيرا هو ظهور اليابان قوة عظمى رئيسية »

كلايد بريستوفيتز

نائب مساعد وزير الخارجية الامريكية سابقا

● « المثقف العربى حائر ، لقد وجد ذاته ، ولم يجد بعد أداته »

الشاعر محمود درويش

المذاهب الشاذة والتغريب

بقلم: د. محمد عمارة

في تراثنا القديم ، كانت « الغنوصية ـ الهلينية » ـ وهى مزيج من الأفلاطونية المحدثة ، ومذاهب الفرس القدماء وإسرائيليات العبرانيين ـ كانت هذه « الغنوصية » هى « التغريب القديم » الذى استهدف مسخ الهويّة الفكرية للشرق القديم ..

ورغم تصدى المعتزلة ، والتيار العقلانى الإسلامى لفكرية « الغنوص » هذه ، فإن تأثيراتها قد عرفت طريقها إلى العديد من المذاهب الشاذة والافكار المغالية ، التى مثلت فى تراثنا آثار « الغزو الفكرى ـ الهلينى ـ الغنوصى » ، وبصمات النجاح الذى حققه ذلك الغزو فى صراعه مع نقاء الفكرية الاسلامية العقلانية وخصوصيتنا الحضارية العربية الإسلامية .. وعلى سبيل المثال :

● **فالإسماعيلية** : بفروعها ، وفرقها ـ قد مثلت نموذجا لهذا الغزو الفكرى الغنوصى فى تراث الإسلام .. فإذا كانت صورة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى القرآن الكريم ، وفى السنة الفعلية التى جسدت حياته بين الناس ، هى صورة « البشر ـ الذى يوحى اليه ».. وهى الصورة التى ألح القرآن على تأكيدها ليزيل بها تراث الغنوصية والباطنية فى الخوارق المادية التى لازمت ذات الرسل فى هذا الفكر غير العقلانى .. فقال القرآن فى مواجهة هذا الفكر ، تنفيذا له « ولقد صرفنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفورا .. وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا ، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا ، أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتى بالله والملائكة قبيلا ، أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ، ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ، قل : سبحان ربى هل كنت إلا بشرا رسولا »[١]؟!

وهذه الصورة القرآنية لحقيقة الرسول ، هى التى نراها فى سلوك النبى ، وفى أحاديثه التى أفاضت فى تبيان وتفصيل

هذا المعنى القرآنى ، من مثل قوله لمن ارتعد فى حضرته .. « هوِّن عليك ، فلست بملك ولا جبار ، وإنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد[٢] !

وإذا كانت صورة « الامام » فى الاسلام هى صورة « الخليفة » ، الذى تختاره الأمة بواسطة أهل الاختيار ـ بالشورى ، وتبايعه على أن ينفذ الشريعة ، تحت سمعها وبصرها ورقابتها وحسابها .. فهو نائب عنها ، وهى مصدر سلطاته .. ولها عليه حق العزل إن هو عجز أو انحرف عن حدود ونطاق التفويض ..

إذا كانت هذه هى صورة النبى والامام فى فكر الاسلام ، فلقد قدم الغنوص ، من خلال فكر الاسماعيلية وبعض فرق الامامية ، للنبى وللأئمة صورة باطنية مليئة بالأسرار ومحملة بالخوارق ، ومثقلة بالخرافات التى تباعد بينها وبين عقلانية الاسلام .. فعندهم أن الأئمة ، ومعهم النبى ، قد وجدوا قبل خلق الدنيا ، وقبل خلق آدم .. وأن حقيقتهم النورانية قد انطبعت فى عرش الرحمن من يومئذ .. وأن الله قد طلب من الملائكة السجود لجواهرهم عندما وضعت فى ظهر آدم ، فلهم ـ لا لآدم ـ كان طلب السجود ! .. « فحين خلق الله آدم وضع فى ظهره محمدا وعليا ، وفاطمة ، وابنيهما الحسن والحسين ، على صورة جواهر منيرة أرسلت نورها فى جميع أنحاء العالمين العلوى والسفلى . ولهذه الجواهر الموضوعة فى جسم آدم كان السجود الذى أمر الله الملائكة به ، فسجدوا الا إبليس أبى واستكبر ، وحينئذ أمر الله آدم أن يرتفع ببصره الى ذروة العرش ، فرأى آدم كيف انطبعت صورة أنوار أشباح محمد وآل البيت فى العرش ، كما ينطبع وجه الانسان فى المرآة الصافية ! ..[٣] »

تلك هى صورة الغنوص الباطنى ، اللاعقلانية ، انتشرت فى كثير من مذاهب الامامية ، وبخاصة الاسماعيلية منهم ، ولازالت تحتل لها ركنا فى هذه المذاهب حتى يومنا هذا .. حتى ليقول أبرز قادتهم المعاصرين فى هذه القضية مانصه : « إن ثبوت الولاية والحاكمية للامام لاتعنى تجرده عن منزلته التى هى له عند الله ، ولا تجعله مثل من عداه من الحكام . فأن للامام مقاما محمودا ودرجة سامية وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون ـ [؟ !] ـ وإن من ضرورات مذهبنا أن لأئمتنا مقاما لا يبلغه ملك مقرب ، ولا نبى مرسل ـ [؟ !] ـ وبموجب مالدينا من الروايات والأحاديث فإن الرسول الأعظم والأئمة كانوا قبل هذا العالم أنوارا ، فجعلهم الله بعرشه محدقين ، وجعل لهم من المنزلة والزلفى مالايعلمه إلا الله[٤] .. » !

وفى « الغنوص ـ الاسماعيلى » تأكيد لهذا الوجود المحمدى السباق على الخلق ، من خلال مقولتهم التى تزعم أن الحقيقة المحمدية هى التى تجلت فى صور الانبياء والرسل المختلفة .. فليست هناك تعددية فى الرسل ، وإنما التعددية فقط « فى المظهر الخارجى ، أما فى الحقيقة ، فإنه رسول واحد ، بعث إلى العالمين فى أزمنة مختلفة وفى مظاهر جسمانية متباينة .. » ! .. وهذه المقولة ـ كما يقول جولد تسيهر GOLDZIHER,Y [١٨٥٠ ـ ١٩٢١ م] : **ترجع فى أصلها الى الغنوصية المسيحية أى إلى الفكرة التى عبرت عنها المواعظ**

المنسوبة الى القديس كليمانس ، فقالت ـ [الموعظة رقم ١٨ ـ فقرة ١٣] ـ : « ليس ثمة غير نبى صادق واحد ، هو إنسان خلقه الله وزوده بروح القدس ، يمر خلال عصور العالم من البدء بأسماء وصور متغيرة .. »(٥) !

وانطلاقا من هذا « الغنوص ـ الاسماعيلى » كان نفى « البابية » و « البهائية » عقيدة ختام النبوة والرسالة بمحمد صلى الله عليه وسلم ، عندما زعموا استمرارية تجلى الحقيقة النبوية ، فى صورة « الباب » ، ثم « البهاء » .. فقال « الباب » عن نفسه : « كنت فى يوم نوح نوحا . وفى يوم إبراهيم إبراهيم . وفى يوم موسى موسى .. وفى يوم عيسى عيسى . وفى يوم محمد محمدا وفى يوم على عليا . ولأكونن فى يوم من يظهره الله من يظهره الله . وفى يوم من يظهره من بعد فى يظهره الله من بعد .... إلى آخر الذى لا آخر له مثل أول الذى لا أول له . كنت فى كل ظهور حجة الله على العالمين .. (٦) !

فهذا « الغنوص ـ الباطنى ـ اللاعقلانى » مازال قائما ـ معبرا عن الغزو الفكرى الهلينى ـ حتى يومنا هذا بدأ من مصدره : « نظرية الصدور فى الافلاطونية المحدثة » وحتى أحدث طبعات « التجليات » البابية والبهائية ؟ ! .

● صراع فكرى شديد

ولذلك ، فلم يكن غريبا أن تكون رحى الصراع الفكرى الأكبر فى علم الكلام الاسلامى ـ فلسفة الأمة ـ قائمة ومنصبة بين فرسان العقلانية الاسلامية ، المعتزلة ، وبين الامامية ، بفرقها وفروعها ، فى مبحث الامامة على وجه الخصوص .. وأن يكون تركيز المعتزلة ضد الفرق الغنوصية الفارسية ، وثمراتها من متصوفة الباطنية ، دعاة « وحدة الوجود » كالحلاج [٣٠٩هـ ٩٢٢م] وأضرابه .. كما لم يكن غريبا أن يستعين المسلمون بالعقلانية اليونانية ، فى صورتها الأرسطية ، لمجابهة الغنوص ذى الجذر اليونانى ! ..

● السهروردى : ويأتى السهروردى المتصوف شهاب الدين [٥٤٩ ـ ٥٨٧هـ ١١٥٤ ـ ١١٩١م] ليعلن فى صراحة ، وشجاعة عن مصادر هذا الغنوص الاسماعيلى ، الذى كان مذهبه فى التصوف تجسيدا له .. فأصحابه وسلفه « هم حكماء وأنبياء الفرس واليونان ، يتجاور فى سلسلتهم : زراد شت وأفلاطون .. وأفلاطون هو الاستمرار لزرادشت .. والحلاج مسلوك فى هذه السلسلة » التى يأتى السهروردى حلقة من حلقاتها .. وعنده أن « نبى إيران زرادشت هو القائم على هذا التداخل الدينى بين اليونان وإيران .. » .. أما الكتاب المقدس لهذا " الدين ـ الغنوصى » فهو مزيج من « محاورات أفلاطون » و « الكتب المستورة » و « الوحى الكلدانى » ! ..

لقد أعلن السهروردى عن مصادر هذا الغنوص .. وأكد بموقفه وإبداعه الغنوصى الحقيقة التى تلح على إبرازها ، وهى أن ترجمة الفلسفة العقلانية الأرسطية كانت مددا من السلاح الذى استخدمه المسلمون فى محاربة هذا الغنوص الباطنى .. « ففكرة النور ، التى أوحت بها الى السهروردى النبوة الايرانية

القديمة » كانت الرد الصوفى الذى واجه به الفلسفة العقلانية .. قدمها ـ فكرة النور ومذهبه ـ « فى مقابل الطبيعيات السماوية عند أرسطو ، معبرا عن نفسه بلغة :علم الملائكة فى إيران القديمة ! » .. كما يقول المستشرق الحجة فى فكر السهروردى هنرى كوربان« Henry Gorbin »(٧)

ولذلك ، فلم يكن غريبا أن يخوض السهروردى معركة ضد العقلانية اليونانية ، التى استعان بها الاسلام فى محاربة هذا الغنوص .. فنرى من بين كتبه كتابا مثل

(كشف القبائح اليونانية ورشف النصائح الايمانية) وكتابه الذى يؤول فيه القرآن كى يشهد « للذوق ـ الباطنى ـ الصوفى ـ الغنوص » ضد « البرهان العقلى » ، وهو الكتاب الذى أسماه . [أدلة العيان على البرهان فى الرد على الفلاسفة بالقرآن](٨)

وبسبب من مكان الديانات والمذاهب الفارسية فى هذا الخليط الهلينى ، الذى تجسد فى هذه الغنوصية ، فلقد ذهبت الحركات الفكرية التى تبنت هذا الوافد المناهض لخصوصية الاسلام وحضارته ، ذهبت لتعلى من مقام الفرس ، ولتضع لهم مكانا متميزا وممتازا فى « الاسلام الغنوصى » الذى تصورته وبشرت به .. فلم تقف عند الغلو الذى أحاطت به آل البيت ، بسبب زواج الامام الحسين بن على بن أبى طالب ، رضى الله عنهما من « الشهبانو » ابنة يزدجرد [٦٣٢ ـ ٦٥١ م] ملك الفرس المهزوم .. وإنما صنعوا بغنوصهم الباطنى لسلمان الفارسى [٣٦ هـ ٦٥٦ م] رضى الله عنه ، مقاما لم يقل به أحد من الذين استخدموا العقل أو التزموا النقل فى فهم الاسلام ؟ ! ..

فسلمان « عند الاسماعيلية هو الذى حمل القرآن كله إلى محمد صلى الله عليه وسلم ـ وإن جبريل لم يكن إلا الاسم الذى أطلق على سلمان بوصفه حامل هذه الرسالة الالهية (") والاحاديث التى يستعينون بها فى هذا موضوعة ـ كما يقول ماسينيون ـ . . وهم ينطلقون فى مقولتهم هذه من الأسرار الغنوصية الباطنية التى جعلها الغنوصيون تحرف (السين) ! ..

وإذا كان جبريل هو « روح التنزيل » ، فإن سلمان ، عندهم ، هو « روح التأويل » ، « التى تفتح لنا معنى الكتاب » وروح التأويل ـ سلمان ـ عندهم أعلى من روح التنزيل ـ جبريل ـ لأنها « روح الأمر » الواردة فى القرآن ، وهى نوع من الفيض الالهى الذى يحقق تدريجيا مقاصد الله الخفية وسلمان احد وسائلها .. وهو عندهم « السبب » المراد فى الآية القرآنية [من كان يظن أن لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده مايغيظ] .. وهكذا ـ كما يقول ماسينيون « اتخذ سلمان فى الغنوص الشيعى صورته النهائية فهو الحلقة المفقودة الضرورية بين محمد وعلى .. » (١٠) .

● والفاطمية الإسماعيلية : سارت على هذا الدرب ، وكانت فرقة من تيار الغنوص الذى تبنى هذه « الصورة الهلينية » للاسلام ، « فكانت الآراء الغنوصية مادة خصبة انتفع بها الفاطميون فى دعوتهم ...(١١)

● ـ وإخوان الصفا : كانوا هم أيضا فصيلا صنع من هذا « التلفيق » الغنوصي تصوره للإسلام .. فلقد نقلوا الافلاطونية المحدثة الى مجالات الحياة السياسية والاجتماعية ، واخترعوا الاحاديث النبوية « التي صور النبي فيها بصورة ترجمان للأفكار الافلاطونية المحدثة والغنوصية » .. كما يقول جولد تسيهر[١٢] ..

● والقرامطة : كانوا فصيلا من فصائل هذا الموكب الغنوصي الاسماعيلي .. فلقد تبنوا الصورة الامامية للخلافة والامامة .. وقالوا بما قالت به الغنوصية من « نسبية الأديان »[١٣] !

● ومتصوفة « وحدة الوجود » : بدءا من الحلاج الذي رفض عقلانية المعتزلة ، ووسائلهم في الاستدلال والحجاج ، ووقف عند القياس اليوناني .. وقال بوحدة الوجود .. وبالعرفان الغنوصي سبيلا للاتحاد بالله والفناء »[١٤] .. وكذلك الحال عند محيي الدين ابن عربي [٥٦٠ ـ ٦٣٨هـ ١١٦٥ ـ ١٢٤٠م] المهندس الاكبر لنظرية وحدة الوجود الغنوصية[١٥] .. إلى كل الفرق الغنوصية التي بثت مذهب الغنوص في نظرية « الانسان الكامل »[١٦] ..

على هذا النحو ، وإلى هذا الحد ـ الذي ضربنا له الأمثلة ـ بلغ « الغزو الفكري » الذي قذف به الغرب اليوناني الشرق الاسلامي .. وهو الغزو الذي بدأ ـ كما أشرنا من قبل ـ منذ انتصار الاسكندر المقدوني على الدولة الفارسية ، وتكوين امبراطوريته الشرقية ، تلك الامبراطورية التي سادت فيها الفكرية الهلينية ، كما تمثلت في مدرسة الاسكندرية ، منذ القرن الثالث الميلادي ، والتي لفقت ما بين . إسرائيليات الديانة الشعبية الاسرائيلية .. وديانة الفرس ومذاهبها .. والأفلاطونية المحدثة ... وتجسدت في « الغنوص ـ الباطني » ، الذي يعتمد « العرفان ـ والذوق » سبيلا للمعرفة ، بدلا من العقل والنقل ..

وبعد أن خاضت هذه الغنوصية معركتها ضد المسيحية الأولى ، ونجحت في « تغبيش » نقاء عقيدة التوحيد فيها .. حاولت ذلك مع الاسلام ... فكان أن تصدى التيار العقلاني الاسلامي لمذاهبها ومقولاتها ونظرياتها بعلم الكلام الاسلامي .. فلما أعرضت المذاهب الغنوصية عن الاحتكام للعقلانية الاسلامية المتميزة بسبب من هيمنة الوافد اليوناني ـ الافلاطونية المحدثة ـ على فكريتها ، وبسبب من علو مقام الفكر اليوناني في هذا المناخ الهليني ، اتجه المدافعون عن الاسلام الى ترجمة الفلسفة العقلية اليونانية ، ليردوا بها على هذه النزعة الغنوصية اليونانية .. فكان الاهتمام الأكبر بعقلانية أرسطو سبيلا لمواجهة الخطر الأكبر في هذا الغزو الفكري ، ولم يكن تبنيا لمبدأ النقل العقلاني المتناقض مع خصوصيتنا العقلانية التي آخت ما بين العقل والنقل في فلسفتنا الاسلامية ـ علم الكلام ـ ويشهد على ذلك ، أيضا اتجاه حركة الترجمة الاسلامية ، بعد ذلك لترجمة أفلاطون (٤٢٧ ـ ٣٤٧ق م) لما لتدينه ـ المكتسب من الشرق ـ من أثر في « تدين العقلانية الأرسطية » بالتوفيق بينهما ، على النحو الذي حاوله فلاسفة الاسلام ،

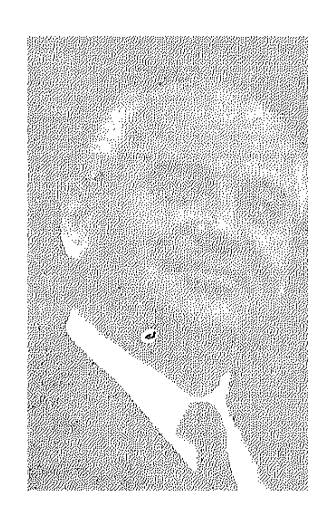
كى لا تفضى العقلانية الارسطية الخالصة الى الاخلال بالتوازن لحساب النزعة المادية والالحاد !

تلك هى « الشهادة » الأولى على « المعنى والسبب » اللذين لأجلهما ترجم المسلمون فلسفة اليونان ..

الهوامش :

(١) الاسراء : ٨٩ ـ ٩٣ .
(٢) فى سنن أبى داود وابن ماجة ، قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله جعلنى عبدا كريما ، ولم يجعلنى جبارا عنيدا » .
(٣) جولد تسيهر (العناصر الأفلاطونية المحدثة والغنوصية فى الحديث) بحث منشور فى كتاب [التراث اليونانى فى الحضارة الاسلامية] ص ٢٢٦ ، ترجمة عبدالرحمن بدوى . طبعة القاهرة ١٩٦٥ م .
(٤) اية الله الخمينى [الحكومة الاسلامية] ص ٥٢ طبعة القاهرة سنة ١٩٧٩ م .
(٥) جولد تسيهر ـ المرجع السابق . ص ٢٣٥ ـ ٢٣٦ .
(٦) المرجع السابق . ص ٢٣٧ ـ ٢٣٨ .
(٧) انظر هنرى كوربان (السهروردى المقتول مؤسس المذهب الاشراقى) ص ٩٩ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١١١ ، ١٣٢ ، بحث منشور فى كتاب (شخصيات قلقة فى الاسلام) للدكتور عبدالرحمن بدوى .
(٨) جولد تسيهر (موقف أهل السنة القدماء بازاء علوم الأوائل) ص ١٢٩ ، ١٣٠ بحث منشور فى كتاب (التراث اليونانى فى الحضارة الاسلامية) .
(٩) الحـج : ١٥ .
(١٠) ماسينيون (سلمان الفارسى والبواكير الروحية للاسلام فى إيران) ص ٣٣ ، ٣٦ ، ٣٧ . بحث منشور بكتاب الدكتور عبدالرحمن بدوى (شخصيات قلقة فى الاسلام) ـ مرجع سابق .
(١١) كرل هينرش (تراث [illegible] فى الشرق والغرب) ص ١٠ ـ مرجع سابق .
(١٢) جولد تسيهر (العناصر الأفلاطونية المحدثة والغنوصية فى الحديث) ص ٢١٩
(١٣) هنرى كوربان (السهروردى المقتول مؤسس المذهب الاشراقى) ص ١٣١ .
(١٤) ماسينيون (المنحنى الشخصى لحياة الحلاج) ص ٦٧ ٠ بحث منشور بكتاب الدكتور عبدالرحمن بدوى (شخصيات قلقة) .
(١٥) نيكلسون (التصوف) ص ٣٢٨ . بحث منشور بكتاب (تراث الاسلام) ـ مرجع سابق .
(١٦) كارل هينرش (تراث الاوائل فى الشرق والغرب) ص ١٣ بحث منشور بكتاب (التراث اليونانى فى الحضارة الاسلامية) .

الرهان التاريخي لجورباتشوف



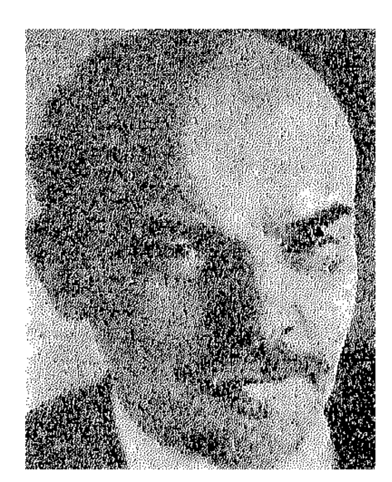
هل تضاعف الحركة المكتسبة من طاقات العمل؟

بقلم : عبد الرحمن شاكر

ربما كان اهم من نتائج المؤتمر الطارىء الأخير للحزب البلشفى (الكونفرس) عرض أعمال هذا المؤتمر فى التليفزيون السوفييتى ، بكل مادار فيه من مناقشات ومجادلات ، وصلت إلى حد الهجوم على رئيس الدولة « العجوز » أندريه جروميكو ، دلالة على صدق توجه الدولة والحزب بقيادة جورباتشوف إلى « الجلاسنوست أى العلانية وحرية النقد والتعبير ، باعتبارها ضرورة « للبيريسترويكا » أى إعادة البناء التى يدعو إليها جورباتشوف ، على أساس الربط مابين الديمقراطية والاشتراكية برباط وثيق .

وربما كان اهم ماشغل جورباتشوف فى إعادة تنظيم الدولة وخاصة العلاقة مابين الحزب البلشفى ، والسوفييتات ، هو زيادة الإنتاج ، وخاصة فى الناحية الزراعية ، حيث لايزال العمال يشكون من نقص انتاج اللحم والمعروض منه فى المجمعات الاستهلاكية ، وتشكو الدولة بدورها من استمرار اضطرارها إلى دعم أسعار اللحم والقمح أيضا ، وفى هذا الصدد توجه المؤتمر إلى التوصية بالتوسع فى تأجير الأرض للمزارعين ، عسى أن يساعد ارتباط الفلاح بالأرض


اندريه جروميكو


لينين


ستالين

على هذه الصورة المباشرة أو شبه المباشرة ، على زيادة الأنتاج الزراعى ، فضلا عن جوانب الأنتاج الأخرى التى تتطلع سياسة « البيريسترويكا » إلى إعادة البناء فيها ، وهى تلك التى تتعلق بتحقيق الثورة التكنولوجية فى الصناعة ، التى أوشك التطور فيها أن يكون مقصورا على الجوانب العسكرية دون الجوانب المدنية التى تلبى حاجات الجماهير المتزايدة بالقياس إلى ماتحقق فى دول الغرب الصناعية الكبرى .

● الحزب والدولة

ولقد شغلت العلاقة مابين الحزب الشيوعى الحاكم ، والدولة السوفييتية جانبا رئيسيا من أعمال المؤتمر ، وقد اتهم جورباتشوف ، فى كتابه عن « البيريسترويكا » الحزب الذى يتزعمه هو من موقع السكرتير العام ، بأنه تقريبا قد اغتصب لأجهزته سلطة السوفييتات ، أو المجالس الشعبية المنتخبة وتمثل هيكل البناء السياسى للدولة التى تحمل اسم هذه المجالس ، فاسمها الرسمى هو « اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية » ويشار إليها اختصارا باسم « الاتحاد السوفييتى » ويطلق على مواطنيها عامة اسم « السوفييت » !

ولقد نشأت العلاقة التاريخية مابين الحزب البلشفى ، والسوفييتات إبّان الثورة الاشتراكية الكبرى فى روسيا عام ١٩١٧ ، تلك الثورة التى قادها الحزب الشيوعى الروسى (البلشفى) بزعامة لينين ، وكان شعار الثورة آنذاك فى مواجهة الحكومة المؤقتة التى قامت برئاسة كيرنسكى بعد سقوط القيصرية هو « كل السلطة للسوفييتات » أى لمجالس العمال والجنود . ولكى تكون كل السلطة للسوفييتات ، أرسل لينين بعد نجاح الثورة قواته لتفض اجتماع الجمعية التأسيسية التى انتخبت فى عهد الحكومة المؤقتة ، بعد انعقادها بساعتين لا أكثر ، وبالرغم من أن « المنشفيك » أى الجناح الآخر من الحزب الاشتراكى الديمقراطى الروسى المناوىء لجناح لينين (البلشفيك) ، كانت لهم الأغلبية فى السوفييتات ، فإن

الرهان التاريخي لجورباتشوف

انشقاق الحزب الاشتراكى الثورى عنهم ، وانحيازه إلى جانب البلاشفة ، وقد كفل لهم الأغلبية فى السوفييتات ، لكى يحكموا البلاد عن طريقها .

كان من الممكن للسوفييتات ، أن تظل إطارا لنوع جديد من الديمقراطية لو بقى مسموحا بتعدد الأحزاب ، لكى تتصارع للفوز بمقاعدها ، ولكن لينين أصر على حل جميع الأحزاب السياسية ماعدا حزبه هو ، أى الحزب البلشفى ، بما فى ذلك حل الحزب الاشتراكى الثورى الذى تحالف معه فى الثورة كما تقدم !

فالحزب الشيوعى فى نظر لينين هو طليعة البروليتاريا ، أى الطبقة العاملة وتمارس البروليتاريا ديكتاتوريتها من خلاله لتصفية جهاز الدولة القديم وبناء المجتمع الاشتراكى .

وإزاء هذا الوضع المتسلط للحزب البلشفى الحاكم ذوت سلطة السوفييتات وأصبحت مجرد « بصمجية » تضع توقيعها على القرارات التى يتخذها الحزب ! ولم يكن مسموحا للتقدم إلى الانتخابات فيها إلا لقائمة الحزب البلشفى ، والمستقلين ، حيث لاتوجد أحزاب أخرى ، وأحيانا كانت تقوم جبهة من المستقلين ومرشحى الحزب ، إمعانا فى إظهار أن هؤلاء المستقلين يرضى الحزب عن وجودهم إلى جانب ممثليه فى السوفييتات !

فهل ستؤدى سياسة « الجلاسنوست » التى دعا إليها جورباتشوف ، إلى زيادة حصة المستقلين من عضوية السوفييتات ؟ علما بأن أعضاء الحزب البلشفى لايزيدون على ٧ ٪ من مجموع المواطنين السوفييت ؟ إن السماح بتشكيل أحزاب سياسية أخرى لم يصبح حقيقة بعد فى الاتحاد السوفييتى ، ولكن بعض الجماعات السياسة قد شرعت تتشكل بالفعل ، منها جماعة « الاتحاد الديمقراطى » التى تطالب باطلاق حرية الأحزاب على الطريقة الغربية ، فهل ستجرؤ تلك الجماعة وأمثالها على التقدم بمرشحين للانتخابات السوفييتية القادمة ؟ فضلا عن الجماعات التى تتشكل حول أهداف قومية ، مثل دعاة الاستقلال فى استونيا ، بمن فيهم أعضاء الحزب الشيوعى هناك ! ودعاة فصل ناجورفو - كاراباخ عن أذربيجان وضمها إلى أرمينيا لأن غالبية أهلها من الأرمن ! فضلا عن المنشقين من الصهاينة ، الذين يريدون اباحة الهجرة لكل اليهود ، وحرية نشر الدعاية الصهيونية بينهم ؟!

ذلك جانب من التحدى الذى يواجهه جورباتشوف ، والحزب الذى يقوده ولكن الجانب الأكبر من التحدى هو النقد الذى توجهه الجماهير ألى الحزب البلشفى وأعضائه ، أنهم هم عماد « الطبقة الجديدة » فى الاتحاد السوفييتى ، والدول الاشتراكية عامة، وأنهم بفضل احتكارهم للسلطة ، يحتكرون المغانم الاقتصادية الكبرى والامتيازات الخاصة ، وإذا كان ذلك الحديث كان يدور همسا فى الماضى ، **فبفضل سياسة الجلاسنوست أصبح يقال علنا ويكتب فى الصحف ،**

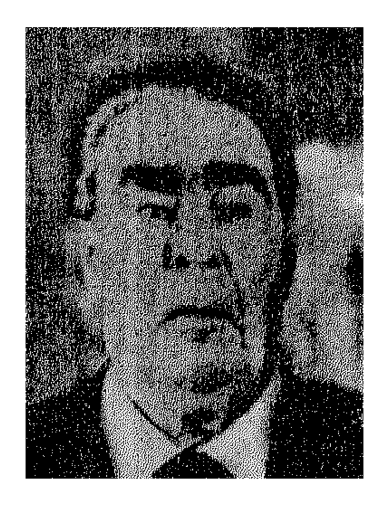
التى أختصها بعض المتكلمين فى المؤتمر الأخير للحزب بسبابها بأقذع الألفاظ ! ولكن تيار الحرية المكتسبة لن يمكن وقفه ، فهل تصل الأمور فى انتخابات قادمة للسوفييتات ، إلى حد تكوين أغلبية من غير أعضاء الحزب !! لقد وصل جورباتشوف فى إصراره على إعادة بناء الدولة من الناحية السياسية ، ورد السلطة للسوفييتات بشكل حقيقى إلى حد استصدار توصية من المؤتمر بأن يكون للدولة نظام حقيقى ، فيكون لرئيس السوفييت الأعلى مسئولية كبرى فى إدارة الأجهزة التنفيذية للدولة ، ويرشح السكرتير العام للحزب البلشفى لهذا المنصب كما يرشح سكرتير الحزب المحلى لرئاسة السوفييت المحلى فى كل من الجمهوريات السوفييتية ، وحينما سئل جورباتشوف عن مصير سكرتير الحزب ، إذا ماتقدم للانتخابات ولم يفز ، أجاب بأن على الحزب فى هذه الحالة أن يتخذ إجراءاته ! وهى إجابة يفهم منها أن على الحزب فى هذه الحالة أن يقصى سكرتيره عن موقفه ، باعتباره عاجزا عن اكتساب ثقة الجماهير ، التى ينبغى أن تعود السلطة إليها من خلال السوفييتات المنتخبة ، بحيث تصبح هذه السوفييتات هى الوصية على الحزب ، وليس العكس !

● المردود الاقتصادى

وبالطبع لم يكن الحزب البلشفى ليوضع فى هذه التجربة القاسية على يد زعيمه الثائر جورباتشوف ، لو أنه كان ناجحا فى تنفيذ معظم برنامجه ، والواقع أن جورباتشوف يدين معظم الفترة التى استأثر فيها هذا الحزب بالحكم منذ قيام الثورة ، فهو يدين فترة عبادة الفرد - أى حكم ستالين - التى دامت تسعة وعشرين عاما ! يضاف إليها فترة « الركود » وهى فترة حكم بريجنيف التى دامت ثمانية عشر عاما ، بمجموع يبلغ سبعة وأربعين عاما ، أى أكثر من ثلثى عمر الدولة السوفييتية ذاتها الذى لم يزد على واحد وسبعين عاما !

ولعل ، أشد جوانب إدانة جورباتشوف لسياسة الحزب الذى


خروتشوف


بريجنيف

الرهان التاريخي لجورباتشوف

« يتزعمه » حاليا ، هو استنكاره للأحلام الاقتصادية الوردية ، التى كانت تنوى صياغتها قيادة الحزب لتخدع بها الجماهير وترتاح هى إلى ماتحت أيديها من مغانم ، مثل ادعاء خروشوف أن الاقتصاد السوفييتى سوف يسبق الاقتصاد الأمريكى من حيث الانتاج الكلى فى الثمانينيات ! وحلم دخول عصر « الشيوعية » بمعنى تحقيق المساواة تقريبا بين جميع الدخول على أساس من الوفرة الكاملة فى المنتجات إلى حد تقديم السلع الأساسية ، بما فيها القمح مجانا ، وغير ذلك مما يعتبره جورباتشوف ضربا من الهلوسة ، وهو يعترف صراحة بأن بلاده قد تخلفت اقتصاديا بشكل واضح عن الغرب ، الذى

ماوتسى تونج



استطاع الاستفادة من منجزات الثورة التكنولوجية على نحو لم يبلغه السوفييت بعد ، وزرايته بنزعة التسوية فى الدخول التى أوشكت أن تكون تسوية بين من يعمل ومن لايعمل ، من ينتج ومن يتكل على سواه فى عملية الانتاج !

لقد أحل جورباتشوف هدف إعادة البناء ، أو البيريسترويكا وخاصة من الناحية الاقتصادية «محل هدف الوصول العاجل إلى المجتمع الشيوعى ، وذلك فى البرنامج الأخير ، الذى أقر فى المؤتمر

السابع والعشرين للحزب الشيوعى ، حتى ليكاد يصبح أولى بهذا الحزب أن يسمى فى عهد زعيمه الجديد باسم « الحزب البيريسترويكى » أى الحزب الذى يهدف إلى إعادة البناء الاقتصادى للبلاد بأية وسيلة حتى لا يكون مصير المجتمع الاشتراكى الأول فى العالم هو مزبلة التاريخ !

ومن أجل إعادة البناء الاقتصادى فى تلك الدولة الكبرى سعى جورباتشوف إلى المصالحة التاريخية مع المعسكر المعادى بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية ، على أساس أن سباق التسلح لايعنى إلا إهدار الطاقات الانتاجية الكبرى لدى الدولتين وحلفائهما ، واستعمال الناتج لايعنى إلا إفناء الجنس البشرى والحضارة الانسانية ! وأن العقل يوجب وقف هذا السباق الجنونى وتوجيه الطاقات المهدرة فيه إلى خير من ذلك ، إلى علاج المشاكل المتفاقمة على الصعيد الانسانى ، مثل نقص الموارد وتلوث البيئة وانتشار الأمراض وما إلى ذلك .

ومن أجل إعادة البناء الاقتصادى

ايضا دعا جورباتشوف الى العودة الى مايشبه السياسة الاقتصادية الجديدة التى اتبعها لينين بعد انتهاء حرب التدخل ضد الثورة السوفييتية الوليدة . وهى السياسة التى كانت تهدف الى انعاش الاقتصاد السوفييتى الممزق بالسماح بصور مختلفة من النشاط الاقتصادى الخاص وخاصة فى مجالى الزراعة والتجارة.تلك السياسة التى أنهاها ستالين بعد موت لينين . بالتطبيق القسرى لسياسة المزارع الجماعية والتى كان جورباتشوف يقر بأنها كانت ضرورة للاسراع فى التنميتين الصناعية والعسكرية بوجه خاص لمواجهة احتمالات الحرب المقبلة . وقد نشبت بالفعل فى عام ١٩٤١ من جانب المانيا النازية .. الا أن هذا التطبيق القسرى قد أوقع مظالم كثيرة بالفلاحين . وأدى إلى علل لم تشف منها الزراعة السوفييتية حتى الآن .

ربَّما لم يلجأ جورباتشوف من أجل اعادة البناء الاقتصادى الى ماذهب اليه دينغ سياوبنج مثلا فى الصين .. فى أن الاقتصاد هناك يحتاج الى جرعات غير ضارة من الرأسمالية ، ولايزال السماح بنشاط اقتصادى خاص مقصورا على الافراد . أو التعاونيات . ولكن من يدرى ماذا سوف يحتاجه اعادة بناء الاقتصاد السوفييتى ، بما فى ذلك التعاون مع مستثمرين أجانب يملكون المال والتكنولوجيا على غرار ماتفعل الصين ؟ إن جورباتشوف يبنى رهانه الكبير فى اعادة البناء على ربط الديمقراطية بالاشتراكية .. وعلى أن المواطنين الاحرار فى التعبير عن ذواتهم ، وفى اختيار من يحكمونهم ، اقدر على العطاء والابداع فى مختلف ميادين الانتاج والتنمية . من أولئك الذين كانوا خاضعين لأدوات القمع من جانب السلطة المركزة فى اجهزة الحزب البلشفى

ولكن تلك الأجهزة ذاتها هى التى كانت تتولى عملية التخطيط المركزى ، وتتولى مسئولية انجاز الخطط الانتاجية وتطويرها ، وهى التى أعطت الاتحاد السوفييتى ماتحقق من بنائه الصناعى الضخم حتى الان فهل سوف تواصل تلك الأجهزة الحزبية القيام بمسئولياتها الانتاجية بذات القدر من الكفاءه أو اكثر وهى توشك ان تحرم من امتيازاتها السلطوية وقد تحرم من كثير من ميزاتها الاقتصادية والاجتماعية التى جعلتها شبه طبقة مميزة ؟ وهل يثبت انسان المجتمع الاشتراكى الأول . أنه اقدر على العطاء فى جو الحرية ، منه فى جو القمع والارهاب ؟ أم أن الحرية لديه سوف تعنى إغراقا فى الثرثرة والمنازعات وخاصة حول الأعراق القومية بحيث يفقد نظامه الاشتراكى ديناميكيته الانتاجية التى انشأها . ويلجأ الى مثل اساليب المجتمعات التى تعنى الحرية عندها حرية تكوين رءوس الاموال الضخمة واستغلال الانسان لأخيه الانسان . حتى ولو كان يقابل ذلك حرية التعطل عند آخرين ، والتسلح على اعانات البطالة . إن لم نقل حرية الموت جوعا وقد كان ذلك واردا ، ومن أجل أن ينتهى كانت مذاهب الاشتراكية وكان الاشتراكيون !!

ذلك هو جوهر الرهان الكبير .

الرمز..

أداة المسلمين السوفييت فى التعبير

ماذا تعنى رواية إيتماتوف؟

بقلم: د. محمد حرب

● قد لا يتفق معى الكثير من المهتمين «بآداب الشعوب الاسلامية داخل الاتحاد السوفييتى» والكثير من نقاد الادب والادباء خاصة اذ تعلق موضوع هذا المقال بكاتب عالى كبير هو الروائى جنكيز ايتماتوف الحائز على جائزة لينين، والذى يكن له الكثير من الكتاب فى مصر اعمق آيات الاحترام والودويميلون اليه ولكن للكاتب أن يكتب وللناقد أن ينقد وللمفسر أن يفسر، فمهما دعى الكاتب وقال عن عمله فانه لايملك من أمر نفسه شيئا لحظات ابداعه وعندما تنتهى هذه اللحظات لنا أن نحاسبه بمقاييسنا ونطبق عليه افكارنا ونحاول وليس للكاتب وقتها الا أن يسمع ويعى .

والواقع انه لم يكن يدور بخلدى عندما قرأت رواية جميلة لجنكيز ايتماتوف منذ سنوات عديدة اننى ساجد لها تفسيرا تاريخيا ، ذلك لاننى قرأتها مع نقدها وتفسيراتها من وجهات متعددة باستثناء النظرة التاريخية للرواية بمعنى ارتباط الرمز فيها باحداث تاريخ قيرغيزيا ويتطور العلاقات الروسية القيرغيزية وهذا ما حدث بعد قراءة وبعد اطلاع ودراسة لتاريخ الادب القيرغيزى وتاريخ قيرغيزيا .

ولابد من القول هنا أن الادب القيرغيزى أدب شعب صديق للعرب ، شعب من شعوب منطقة بلاد التركستان كان مستقلا ذات يوم ، وهو الان جمهورية باسم قيرغيزستان داخل نطاق الاتحاد السوفييتى . وانجب هذا الادب روائع ، وبرزت فى سمائه نجوم ساطعة مثل طوق طوقول (١٨٦٤ ـ ١٩٣٩) الذى يعتبر رائد الادب القيرغيزى الحديث ، وهو

صاحب الكلمة التى شاعت فأصبحت مثلا (للكلمة الصادقة رنين الذهب) وانجب ادب قيرغيزيا ، الروائى الشهير قاسم على باى علينوف وهو مؤلف رواية هجر ، التى يصف فيها ما آل اليه مصير بلاده بعد ثورة القيرغيز على روسيا عام ١٩١٦ • وانجب هذا الادب الشاعر الروائى ناصر الدين باى تميروف مؤلف رواية السهم الاخير عام ١٩٥٥ م والتى صور فيها الحياة فى مشاتى القيرغيز وما صاحب قيام الكولخوزات من ثـــورة الفلاحين القيرغيزيين ابان تطبيق مبادىء ثورة اكتــوبر •

لكن لاجـــدال فى أن أبرز أدباء قيرغيزيا واكثرهم ذيوعا وانتشارا فى العالم أجمع هو : جنكيز أيتماتوف الذى ولد عام ١٩٢٨ ومازال يكتب • وهو روائى وان اشترك مرة واحـدة فى تأليف مسرحية مع كاتب اخر • وابرز رواياته التى ترجمت الى لغات عالميـــة مختلفة هى رواية جميلة ، موضوع مقالتنا هذه ، ثم رواياته : بعد الاسطورة ـ ايها الجواد كـول صارى •• وداعا ـ معـلمى الاول ـ وغيرها ، واخيرا صدرت له روايته : « يمتد اليوم ليصبح قرنا » •

واشهد هنا ان الترجمة العربيـــة لرواية جميلة التى تمت فى موسـكو فى غاية الرداءة والركاكة وكان من الممكن ان تؤدى تاثيرا اجمل لو اعاد صياغتها اديب عربى حتى ترقى الى بعض مستوى تاليفها • واقول هنـا ايضا ان الترجمة التركية لهذه الرواية قام بها اتراك ادباء ونشرت فى تركيا عدة ترجمات لها فاضحت صـــورة جميلة ، جميلة واكثر تبيانا لما هى عليه فى الترجمة العربية •

ولابد هنا أيضا من اشارة سريعة موجزة الى خصـــائص أدب جنكيز ايتماتوف فنقول أنه يعبر بشـــاعرية وانفعال عن وطنه قيرغيزيا وعن بواديه الواسعة وجباله الشـــماء • ومن خصائص أدب جنكيز ايتماتوف روعـة التعبير وبساطته عن حياة القـــرية ومعيشة الفلاحين فى بلاده وعن حياة الرعى التى مازال بعض شعبه يحياها كما يتميز جنكيز ايتماتوف باستلهامه القصص الشعبى والاساطير والملاحم القيرغيزية فى رواياته • ويشكل الحب والحرب عنصرين بارزين فى أدبه •

● جميلة جنكيز ايتماتوف

ولقد حازت رواية جميلة شـــهرة عالمية واسعة خاصة بعد أن ترجمت الى مختلف اللغات العالمية الواسعة الانتشار والى اللغات المحـــدودة الانتشار أيضا • ونالت أعظم جوائز الادب فى الاتحاد السوفييتى •

الشاعر الفرنسى المعروف أراجون اعتبر رواية جميلة (أعظم قصـــة حب ظهرت فى الاداب العالميـــــة)• والناقد السوفييتى توركوف بالغ فى مغازلته لجميلة • ولكثرت الكتـــابات حول جميلة • كل صاحب وجهة يريد تفسيرها حسب وجهته • رآها بعضهم (رمزا للقوى الروحية التى اكتشفها ابطالها فى انفسهم ••) و (هؤلاء الابطالفىرواية جميلة أبطالاستعبدتهم تقاليد الماضى وعاداته خاصـــة تلك التقاليد المتعلقة بالمرأة ووضعها تلك التقاليد التى تقول بأن سعادة المرأة فى الانجاب) و (ان رواية جميلة تعبر عن طموح المرأة حتى لا تكون حياتها عادية لا مكان فيها لطموحات ومشاعر عالية) •

الرمز..
أداة المسلمين السوفييت فى التعبير

● بين الرمز والتاريخ

لكن الرؤية التاريخية أو فلنقل التفسير التاريخى لرواية جميلة تقول ان هذه الرواية رمز يقصد تاريخ شعب قيرغيزيا وتطوراته وواقعه ثم يربط الروائى جنكيز بين هذا الرمز التاريخ ليصل الى استشراف آفاق المستقبل فى قيرغيزيا . لان جميلة بطلة الرواية (= وتمثل أو ترمز للشعب القيرغيزى) فتاة جميلة قوية تنبض بالحياة وبالشباب والحيوية والاصالة . وكانت ترعى الخيول فى جانب من جوانب قريتها . وذات يوم ظهر شاب قوى من قرية كبيرة مجاورة لقرية جميلة، يرعى الخيول ويفخر بقوته . ويبدو أن جميلة لم تعجب به وكان اسمه صديق (ويرمز الى روسيا فى الواقع التاريخى) . ولما وجد صديق ان اعجابه بمفاتن جميلة وامكاناتها الجسدية وحيويتها لم يؤثر فيها من قريب ومن بعيد قام بخطفها ليتزوجها (ويرمز الروائى هنا الى الاحتلال الروسى لقيرغيزيا بالقوة الجبرية المسلحة عام ١٨٧٦) . ومن ثم أودعها بيت أسرته بقريته تلك القرية الاكبر المجاورة لقرية جميلة . وكان بيت أسرة صديق كبيرا يضم افرادا مختلفين مثل اخيه الصغير وزوجات اخوته (وهذا البيت يمثل الاتحاد السوفييتى) وكانت أم صديق تهيمن على البيت الكبير ، تارة بالقوة والشدة وتارة برفق يشوبه السيطرة واظهارها . (ترمز أم صديق وحماة جميلة هنا الى سلطة الحزب الشيوعى المركزى) .

وقامت الحرب العالمية الثانية ، وجند صديق وذهب الى الجبهة . وفى هذه الاثناء كانت الام تطلب فى حزم من كل أفراد الاسرة الكبيرة ـ بما فيهم جميلة قيرغيزيا ـ الطاعة العمياء لها والانقياد دون مناقشة . وكانت الام (= الحزب) تتمنى من جميلة (قيرغيزيا) زوجة ابنها المخطوفة قهرا ، الاخلاص لصديق (= الاتحاد السوفييتى) .

لكن جميلة لم تكن تعرف احناء الرأس ، خاصة أمام الكبار . لا فى البيت الكبير ولا فى القرية فكانت دائما متمردة (ولعل المؤلف يرمز بهذا الى انتفاضات الشعب القيرغيزى المتكررة ضد السلطة السوفييتية) وكانت جميلة تحب ، مع ذلك الزجر وهذه الاهانات نتيجة تمردها على البيت الكبير تحب أن تغنى وتشتاق دائما الى الغناء (بمعنى توق قيرغيزيا جميلة الى الحرية) .

وكان عمل جميلة فى بيت أهل زوجها شاقا ، فكان يوكل اليها من الامور الشاقة فوق طاقة تحملها مما جعلها دائما فى مشقة . وعرفت جميلة مدى اهتمام زوجها بها من خلال رسائله التى كان يرسلها من الجبهة الى امه دائما فكان لا يذكر جميلة فى الخطابات الا فى جملة مقتضبة فى نهاية كل رسائله . (ولعل هذا مما يبرز لنا مجالات أهمية جميلة قيرغيزيا لدولة الاتحاد) .

وعندما صدر قرار السلطة السوفييتية فى البلاد بقيام زوجات الجنود بالمساعدة فى أعمال تموين الجيش قال رئيس عمال القرية أن على جميلة نقل القمح ويساعدها فى هذا الاخ الاصغر لصديق ورجل اخر يدعى دانيار (وسيرمز فى الرواية

الى الحـــــرية التي ينشـــــدها القيرغيزيون) وبالتالى حصلت على عربة ذات حصانين ٠

● دانيار الحب والحريه

كان دانيار جنديا جريحا وفلاحا ، كان يقطن قديما (وهو الحرية) فى نفس المنطقة ، لكنـــه هاجر منهـــا وذهب الى القوقازيين اقـــاربه من ناحية أمه ، ثم عاد الى القرية كبيرا وكـــان به عرج ، لكنه كـــان قويا ، دقيقا فى العمل ، طيبا ، ينظر أمامه الى جهة ما بنظرة كلها ألم وافتقاد (رمز النظر الى التاريخ القيرغيزى القـريب والتطـلع الى الامـل فى المستقبل) ٠ كان فى صوت دانيار قوة ٠ وكان بتعبير الرواية نفسهـــا يغنى أغنيـــات شوق الى الوطن ٠ (وفى هذا رمز لحب شعب قيرغيزيا للحرية) ٠

ومن خـلال العمل المشترك والآلام المشتركة ، أحبت جميلة دانيار وأحبها وتشابكت أيديهما تشابك حب نسيجى قوى ، فتحداهما أهل القرية (رمز الشعوب الروسية المختلفة) فزادهما التحدى حبا ٠

كانت جميلة تطلب من حبيبهـــا دانيـار أن يغنى فكان يغنى ويتغنى بوطن هو أرض آبـــائه وأجـــداده ويقول : « أنت أرض آبائى وأجدادى ٠٠ أنت مهدى » ٠ وفى لحظة حب قالت له جميلة : « أين كنت اذن من قبل يا دانيار » ٠

وعلى حين فجـــأة ، وصلت من الجبهة رسالة من صديق الى زوجته جميلة ، يخبرها بأنه قادم ، أمسكت جميلة بالرسالة ونظرت الى دانيـار فوجدته فى ضيق شديد ٠ قالت له : « وهل من الممكن أن أفضله عليك ؟!

كلا ٠٠ أبدا ٠٠ انه لم يحبنى قط ٠٠ فمنذ زمن بعيد ! وأنا أحبك أنت ٠ وحين كنت لا أعرفك كنت أحبك ٠٠ وكنت أنتظرك ، وها قد جئت كما لو كنت تعلم اننى أنتظرك » ٠

تلتقى جميلة (قيرغيزيا) بدانيار (الحرية) ويهربان معا دون نظـــر الى الوراء ٠ وأراد أهل القريةاللحاق بهما لقتلهما ٠ ولم يتمكنوا ٠

ثم يأتى عقب هـذا ، صديق زوج جميلة ، من الجبهة ٠٠ علم بالامر ، فقال ساخطا : « لقد ذهبت جميلة ، فهذا طريقها » ٠

● وهذا طريق جميلة

رغم التفسيرات العديدة ، لهـذه الرواية العالمية ذات القيمة الادبيـة والفكرية العـــالمية ، فانى أرى أن جنكيز أيتماتوف يعبر فيها ـ لا عن حب بين رجل وامرأة كمـــا تصور آراجون ولا عن شجب عادات قديمـة وطمـوح الى مستقبل فيـــه عادات جديدة تختلف عما كان فى التراث كما تصور توركوف ، وانمـــا أراد جنكيز أيتماتوف ـ فى هذا التفسير التـــاريخى لرواية جميـــلة ، على اختصاره ـ أن يعبر ـ شعر بذلك أم لم يشعر ـ عن مأساة شعبه القيرغيزى بدءا بالاحتلال الروسى القيصــــرى لقيرغيـــزيا عام ١٨٧٦ الى مجىء السلطة الثورية التى كونت الاتحـاد بعد ذلك ، ثم قيام الشعب القيرغيزى بانتفاضاته وثوراته العديدة ـ وقـد سجلها فى أدبه ـ وفشل هذا الشعب فى تلك ، لكنه أخذ يتوق الى الحرية ويتوق الى الامل فى الحـــرية التى أحبها وانتظرها وانه فى النهاية لابد ان تتجه قيرغيزيا الى آفاق رحيبـــة من الحرية « فهذا هو طريقها » كما قال صديق فى رواية جميلة ٠

لماذا كل هذا الاهتمام بالبيريسترويكا؟

بقلم : حافظ أحمد أمين

عندما بدأ ميخائيل جورباتشوف دعوته لاعادة البناء ، أو (البيريسترويكا) اهتم الجميع بها اهتماما غير عادى ، وتساءل الناس لماذا كل هذا الاهتمام بالبيريسترويكا؟ ولماذا تظهر مثل هذه الدعوة فى روسيا؟ وما الذى حتم ظهورها فى النصف الثانى من ثمانينيات القرن العشرين ؟

أما الاجابة على السؤال الاول ، فالواضح أن السر وراء الاهتمام الشديد للعالم كله بالبريسترويكا ، ليس بسبب جدة ما فيها من قيم وأفكار ، فكل ما جاءت به البريسترويكا من دعوات ومبادىء ، كثيراً ما فكر فيه ودعا اليه ونبه الى خطورته مفكرون وفلاسفة كبار ، فى المشرق والغرب ، وانما خطورة البريسترويكا تتجلى فى أمرين :

الامر الاول : ان كل ما فيها من أفكار ومبادىء ، وضعه جورباتشوف فى نسيج واحد متكامل ومتماسك ، وان كل دعوة دعا اليها مرتبطة ومتداخلة ومعتمدة على الدعوات الاخرى فيها .

الامر الثانى : ان جورباتشوف ليس فقط مفكرا أو فيلسوفا ، وانما هو قبل هذا سياسى كبير ، فى دولة كبيرة ، يعرف جيداً كيف يضع أفكاره موضع التنفيذ ، فيؤثر بذلك على العالم كله تأثيرا جبارا .

يقول جورباتشوف فى كتابه (البيريسترويكا) ان الفلاسفة ورجال الدين قد تناولوا – عبر التاريخ – أفكارا مماثلة فى القيم الانسانية الخالدة ، ولكن العالم – وهو يقترب



من نهاية القرن العشرين ، ولاول مرة فى التاريخ ـ يحتاج الى هذه القيم ، لانقاذ البشرية من الكارثة •

« ان اعادة البناء ضرورة لعالم يفيض بالاسلحة النووية ، ويعانى من مشاكل اقتصادية وبيئية خطيرة لعالم يرهقه الفقر والتخلف والمرض لعالم يواجه حاجه ملحة الى ضمان بقائه » • ويقول :

« ان الاهتمام الاول للمثقف الحقيقى ، يجب أن يكون بمستقبل البشرية ، والسياسى الذى لا يضع كل همه لانقاذ البشرية من الفناء سياسى غير جدير بالاحترام » •

لم يكن ميخائيل جورباتشوف أول من دعا الى انقاذ البشرية مما يهددها من أخطار ، فقد سبقه فى ذلك كثير من المفكرين والسياسيين ، ولكن الانتشار السريع لهذه الدعوة ، فى العالم كله ، أدى الى تزايد الاصرار والتماسك فى المؤسسات المعادية ، المؤسسات التى تعمل بعقلية (أن الهدف الاول والاخير هو الربح السريع مهما كان مصدره) وعلى رأسها المؤسسات التى تستفيد من صناعة الاسلحة والاتجار فيها ، ومن انتشار الفتن والحروب فى كل مكان •

من هنا كان لابد من ظهور سياسى كبير ، ينبه الى أن الصراع بين الايديولوجيتين : الراسمالية والاشتراكية ليس الا صراعا تافها بجانب الصراع الجديد ، الذى هو اشد خطورة واكثر اهمية ، الا وهو الصراع بين من يعمل على انقاذ البشرية من الهلاك المحقق ، ومن لا ينظر الا الى مصلحته الوقتية الغبية من هنا جاءت اهمية البيريسترويكا

ولعل هذا يفسر أيضا حتمية ظهور البيريسترويكا فى هذه السنوات الاخيرة ، هذه السنوات التى سيتحدد فيها مصير العالم كله ، لفترات طويلة قادمة •

● لا مكان للتخلف الان

يفخر الغرب بأن نظامه الرأسمالى يوفر لمواطنيه أشكالا من الحريات فى مختلف المجالات ، ويفخر الاتحاد السوفييتى بأن نظامه الاشتراكى يوفر لمواطنيه قدرا عاليا من العدالة الاجتماعية •

لكن شيئا خطيرا بدأ يحدث فى العقود الاخيرة ، شيئا جعل من كل من (الرأسمالية) و (الاشتراكية) نظامين ثانويين بالنسبة لنظام جديد ، تفرضه التكنولوجيا الحديثة على العالم أجمع •

لماذا كل هذا الاهتمام بالبيريسترويكا؟

مع التقدم الهائل فى التكنولوجيا - وخاصة فى الغرب ، وبعد الحرب العالمية الثانية - حدثت ثلاثة امور فى غاية الخطورة :

الامر الاول :

أن عدد العاملين فى الصناعة بدأ فى التناقص السريع ، وبانتقال الكثير من عمال المصانع الى مهن اخرى ، كالمعلومات والاعلام والتجارة والسياحة والفنون .. الخ ، فقد النظام الصناعى غلبته على النظم الاخرى ، وفقدت قيم المجتمع الصناعى وتقاليده أهميتها وسيطرتها على بقية القيم والتقاليد ، فكان الانتقال الاخير من (مجتمع الصناعة) الى (مجتمع ما بعد الصناعة) اخطر كثيرا مما حدث للعالم عندما انتقل من (مجتمع الزراعة) الى (مجتمع الصناعة) .

الامر الثانى :

أن العالم بدأ يتقارب ، وبدأ الناس فى كافة البلاد يشعرون بأن الكرة الارضية مصيرها واحد ، فالمشاكل أصبحت مشاكل الجميع (الخطر النووى - التلوث - تناقص الموارد - الانفجار السكانى - تدهور البيئة .. الخ) ، والامال أصبحت آمال الجميع (السلام - التنمية الشاملة - العدالة الاجتماعية - حرية المشاركة .. الخ .) فلابد من التعاون المخلص الجاد بين كافة البلاد .

الامر الثالث :

أن لا مكان بعد الان للتخلف ، فالعالم - فى ظل التكنولوجيا الحديثة - لن يتحمل التعصب والارهاب ، كما لن يتحمل الركود والجمود ، فلابد للانسان فى هذا العصر أن يكتسب المهارات الحديثة فى الاعمال والتسامح اللازم للتعاون مع الاخرين ، والمرونة الكافية لمواجهة التغيرات السريعة والعنيفة ، والقدرة العقلية لحل المشكلات المعقدة .

ولان الولايات المتحدة الامريكية هى رائدة العالم كله فى التقدم التكنولوجى الاخير ، فقد ظهر فيها العديد من المفكرين الذين يشرحون شكل الحضارة الجديدة ، ويدعون الى مبادئها (مثل دانييل بل ، والفين توفلر ، وجون ناسبيت وغيرهم) كما ظهر فيها العديد من المؤسسات التى تعمل بنظم الحضارة الجديدة ، والتى تخلق التقاليد والقيم الحديثة .

ومع ظهور هذه المؤسسات الجديدة ظهر الصراع بينها وبين المؤسسات التى مازالت تعيش بقيم الحضارة الصناعية ، وتعمل بنظمها ، وهو صراع يشتد تدريجيا بمرور الايام .

أما فى الاتحاد السوفييتى ، حيث التغيرات تحتاج دائما الى ثورة ، فقد ظهرت البيريسترويكا على شكل انتقال عنيف من الحضارة الصناعية الى الحضارة الجديدة .

اذا كان بطرس الاكبر (١٦٧٢ - ١٧٢٥) هو أول من نجح فى نقل روسيا من المجتمع الزراعى الى المجتمع الصناعى ، فان ميخائيل الاكبر (أو ميخائيل جورباتشوف) يعمل الان

على نقلها الى مجتمع ما بعد الصناعة
نعم ، ادخل بطرس الاكبر النظم الصناعية فى الجيش والبصرية ، ووضع النظم الهرميـة فى الادارة الحكومية ، وانشأ طبقة جديدة عليا من كبار الموظفين وضباط الجيش ، وشجع الصناعة ونهض بالتجارة ، واسس المستشفيات وفتح المدارس الحديثة ، ووحد العملة ، وحرر النساء ، والغى بطريركية موسكو ووضع الاديرة وممتلكاتها تحت اشراف الحكومة •

صحيح أن ثورة بطرس الاكبر لم تكن الثورة الصناعية الوحيدة فى روسيا ، فقد تلتها ثورات صناعية أخرى ، لعل آخرها كانت ثورة لينين عام ١٩١٧ ، ولكن هذا هو شأن كل الثورات التى تنقل المجتمعات من شكل حضارى الى شكل اخر شديد الاختلاف او كما يقول جورباتشوف فى كتابه (البيريسترويكا) : « ان الثورة البرجوازية التى قامت فى فرنسا عام ١٧٨٩ تلتها ثلاث ثورات اخرى متماثلة الاهداف (١٨٣٠ ــ ١٨٤٨ ــ ١٨٧١) ، كذلك قامت ثورتان برجوازيتان ذات اهداف واحدة فى المانيا ، الاولى عام ١٨٤٨ والثانية عام ١٩١٨) •

كذلك يمكننا أن نقول « ان الثورة الصناعية التى قام بها جمال عبد الناصر عام ١٩٥٢ ،ليست الا استكمالا لثورات صناعية اخرى بدأها محمد على الكبير •

كذلك يمكننا ان نقول ان الثورة بعد الصناعة التى يقوم بها حاليا جورباتشوف ، لم تكن المحاولة الاولى فى الاتحاد السوفيتى ، فقد حاول خروتشوف القيام بثورة مماثلة عام ١٩٥٦ ، ولكنه كان اضعف ، او كان أعداؤه اقوى ، من أن تستمر •

جاء ميخائيل جورباتشوف لينقل الاتحاد السوفييتى الى حضارة ما بعد الصناعة ، فهو يعمل على أن تصل بلاده الى المستوى العالمي فى المجالات الجوهرية للعلم والتكنولوجيا « كانت بلادنا تلحق بسرعة ببلدان العالم المتقدمة ، ولكنا لاحظنا أخيرا اتساع الفجوة ، فى كفاءة الانتاج وجودته ، وفى التطــــور العلمى والتكنولوجى ، فكان لابد من وقفة حاسمة لعلاج هذه القضية » •
وهو يعمل على أن تنتقل الادارة فى بلاده من البيروقراطية والمركزية الى اشكال جديدة تعتمد على الابداع والمشاركة : « فى السنوات الاخيرة لاحظنا سريان الفساد فى الاخلاق العامة وضعف التعاون بين المواطنين، وانتشـار السلبية واللامبـالاة •• والانفصال بين القــول والعمل ، واستبعاد التفكير الخلاق وتشجيع الدبح والمخنوع ، فكان لابد من ثورة حاسمة للتغيير » •
وهو يعمل على أن تتحول مظاهر النمطية والتماثل فى بـلاده ، الى التنوع والاختلاف ، ومن السياسة التى يحكمها الغموض والمناورات ، الى سياسة يحكمها الوضوح واحترام الغير ، ومن الشمولية والنظم الصارمة الى تشجيع التعدد فى النظم والعقائد ومختلف مظاهر الحياة •
باختصار شديد : « البيريسترويكا ليست الا ثورة الاتحاد السوفييتى للدخول فى الحضارة العالمية الجديدة

فى احتفال شعبى دينى ..

مازالت منفلوط تحتفل



تحقيق: وداد حامد

تقليد شعبى تتبعه مدينة منفلوط ، هو الاحتفال بالمحمل فى موسم الحج ، نظرا لموقعها فى منتصف المسافة بين القاهرة والصعيد .

وترجع تلك العادة الاحتفالية القديمة ، عندما كان المحمل الرسمى الذى اعتاد ملوك مصر وحكامها أن يرسلوه سنويا إلى مكة المكرمة ، مع قوافل الحجاج ، ويمر ركبه بهذه المدينة ، ويبقى بها لعدة أيام قبل أن يواصل سيره فى طريقه للأراضى الحجازية عن طريق ميناء عيذاب أو القصير ومنها يعبر البحر الأحمر إلى جدة .

فى صباح اليوم الأول من أيام عيد الفطر ، يقام فى مدينة منفلوط احد مراكز محافظة أسيوط ، احتفال بالمحمل يشارك فيه أهل المدينة ورجال الدين والطرق الصوفية والهيئات الرسمية ، كما يشارك فيه سكان المناطق المجاورة .

ورغم أن ظاهرة الاحتفال بالمحمل وإرسال الكسوة الشريفة من مصر إلى الكعبة قد توقفت تماما بشكليها الرسمى والشعبى منذ فترة طويلة ، فإن أهالى المدينة ظلوا على تمسكهم بالاحتفال بالمحمل التشريفى . ذلك النموذج المصغر للمحمل الذى تحتفظ به عائلة "أيوب جمال الدين" فى قاعة خاصة بمنزلها فى منفلوط .

وليس من شك فى أن بعض المجتمعات المحلية الصغيرة أو المنعزلة نسبيا ، تتمتع بقدرة أكبر على التمسك ببعض ملامحها الثقافية مقارنة بمجتمع العاصمة أو المدن الكبرى . ويمكننا أن نلاحظ ذلك بصورة واضحة عندما تكون تلك الملامح الثقافية متعلقة بالعادات الشعبية التى من



مازالت منفلوط تحتفل بالمحمل

أهم خصائصها القدرة على الاستمرار والتوارث من جيل إلى آخر ، على الرغم مما قد تتعرض له من اندثار أو تداخل أو إحلال لبعض عناصرها ، بعناصر ثقافية أخرى ، بديلة أو وافدة من الثقافات الأخرى التى تحتك بها .

ويتفق ذلك مع التعريف الذى جاء من قاموس مصطلحات الإثنوجرافيا والفولكلور للعادة الشعبية بأنها هى نمط السلوك الذى يرتضيه الفرد أو الجماعة لأنفسهم ويميل الى الثبات بمرور الوقت ، بل والانتقال الوراثى .

وقبل أن نبدأ فى رصد المظاهر الاحتفالية بمحمل مدينة منفلوط فى ضوء دراستنا الميدانية ، نرجع الى الظاهرة الرئيسية ـ وهى ظاهرة المحمل فى مصـر .

● بداية إرسال المحمل

وظاهرة إرسال المحمل الى مكة المكرمة ترجع إلى عهد بعيد جدا ، كما ذكرت من قبل ، فقد اعتاد ملوك مصـر وحكامها أن يرسلوا كل عام لمكة محملا يحمل " صرتهم " وهداياهم بالاضافة إلى كسوة فاخرة للكعبة . وكانت تلك الهدايا توضع على جمل يُزيّن بأفخر زينة ويسير أمام ركب الحجاج فى موكب عظيم .

وقد اختلفت الآراء حول بداية ارسال المحمل من مصـر الى الكعبة ، فيقال إن الظاهر بيبرس سلطان مصر كان هو أول من ارسل المحمل مع موكب الحجاج الى مكة عام ٦٧٦ هجرية . ويقال أيضا ان تلك العادة ترجع الى عهد سابق ، وذلك حين قامت الملكة "شجرة الدر" زوجة الملك الصالح نجم الدين ، والتى تولت حكم مصر بعد وفاة ولده "طوران شاه" ، لخر ملوك الأيوبين ، بمصاحبة موكب الحجاج الى مكة ، فاتخذت لنفسها هودجا رائعا مزينا يحمله جمل ، وكان ذلك عام ٦٤٥ هجرية . ويروى أن هودجها ظل لعدة سنوات متتالية يُرسل خاليا أمام قافلة الحجاج الى مكة كل عام ـ ثم صارت عادة اتبعها الملوك بعد ذلك .

وطبقا لما جاء فى التواريخ القديمة فان المحمل قديم جدا يرجع الى ما قبل الاسلام . وكان يطلق على الجمل الذى يحمل الهدايا الى مكة . ويروى أن النبى صلى الله عليه وسلم سير محملا الى مكة محملا بهداياه الى البيت المعظم . كما أن هناك بعض الاشارات المتفرقة فى كتب التراث نستشف منها أنه كان هناك محمل شامى واخر عراقى وثالث يمنى ، ومحمل لابن الرشيد ومحمل لابن سعود ومحمل لابن دينار . وكان يحمل صررهم الى الحرمين الشريفين مغطاة بكسوة من الجوخ .

● عناية من قبل الحكام بالمحمل

ويصف المستشرق "إدوارد لين" الذى عاش فى مصر عام ١٨٣٤ ـ المحمل بأنه "عبارة عن اطار مربع من الخشب هرمى القمة ، له ستر من الديباج الأسود ، عليه كتابة وزخارف مطرزة تطريزا فاخرا بالذهب على أرضية من الحرير الأخضر أو الأحمر فى بعض الأجزاء . يحدُّه هدبة حريرية وشراريب تعلوها كرات فضية"

وقد كان لركب المحمل فى الدولة المصرية شأن كبير . وكان الملوك والحكام يبالغون فى العناية به كل عام ـ حيث كان الاحتفال به من أعظم الاحتفالات التى ينتظرها الناس منذ أيام الدولة الأيوبية ، فكان ينادى على الناس قبل موعده بثلاثة أيام أن يزينوا حوانيتهم ودورهم . وفى الليلة المحددة للاحتفال يحرق النفط وتعمل الصواريخ . وكانت العادة أن يحتفل بدوران المحمل مرتين فى العام . مرة عند طلوع الناس للحج ومرة عند عودتهم منه . وفى بعض الأحيان وخاصة فى عصر المماليك ، كان يقام موكب ثالث فى شهر رجب ـ الغرض منه اعلام الناس أن طريق الحج آمن .

وكان يعين فى خدمة المحمل أمير للحج والمحمل ، وأمين صرة ، وأطباء ، وكتبة ، وصيارف ، وكثير من الخدم ، والجمالة ، والخيمية ، والسقاءون وغيرهم .

● الطريق القديم للحج

كانت مصر طريق المسلمين الى حج بيت الله الحرام ـ فى الزمن القديم . فكانت القوافل القادمة من الأندلس ، والمغرب ، والسنغال ، والقوقاز وغيرها . تجتمع فى مدينة القاهرة قبل شهر رمضان ، ثم يسير الحجاج منها الى قوص (فى الصعيد) برا أو فى النيل ، ومنها يقطعون الصحراء الشرقية الى ميناء عيذاب أو القصير ـ حيث يعبرون البحر الأحمر إلى ميناء جدة .

وقد عرف هذا الطريق منذ عهد الفراعنة ـ وكان يستخدم آنذاك للتجارة بين بلاد العرب واليمن والحبشة وبين مصر . ثم زادت أهميته بعد الاسلام حيث صار طريقا للحجاج .

وقد ظل مستخدما للحج منذ القرن الأول الهجرى حتى القرن السابع تقريبا . حيث اتخذ طريق اخر بجانبه هو طريق العقبة البرى .

وكان هناك بعض الحجاج الذين يسافرون بواسطة المراكب الشراعية فى البحر الأحمر من الطور أو السويس ـ إلا أن معظمهم كان يسير مع القافلة الرسمية عن طريق العقبة البرى .

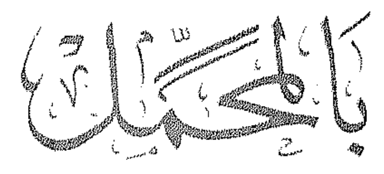
وقد استمر ذلك الطريق الى ان انشىء ميناء السويس ، ومُدَّ خط حديدى يصل ما بين السويس والقاهرة وأصبحت هناك بواخر تنقل الحجاج الى جدة ومنها الى مكة .

● الطريق القديم للمحمل

كانت لمدينة منفلوط ـ أهمية خاصة ـ فى تلك الفترة البعيدة عندما كان طريق الصعيد هو الطريق الرسمى للحجاج والمحمل . فكانت القوافل القادمة من القاهرة ، تتوقف ببعض البلدان فى طريقها الى مدينة قوص . ومن أهم تلك البلدان كانت مدينة منفلوط ـ حيث كانت تمكث بها تلك القوافل لفترة طويلة للراحة وللتزوُّد بالطعام والشراب . وفى نفس الوقت لانتظار الحجاج القادمين عن طريق درب الأربعين .

وكان أهالى مدينة منفلوط ـ يحرصون كل الحرص على المشاركة فى توديع المحمل والحجاج ـ عند مغادرتهم للبلدة صباح أول أيام العيد ، فكانوا يقيمون الاحتفالات ـ ويصحبونهم الى خارج المدينة . ويقال أن الاهالى ظلوا يحتفلون

مازالت منفلوط تحتفل



بهذه المناسبة ـ بعد أن تحول طريق الحج الى طريق العقبة ـ لفترة ـ الى ان جاء أيوب جمال الدين ـ فأعاد إحياء هذه العادة ـ ومازالت قائمة الى الآن .

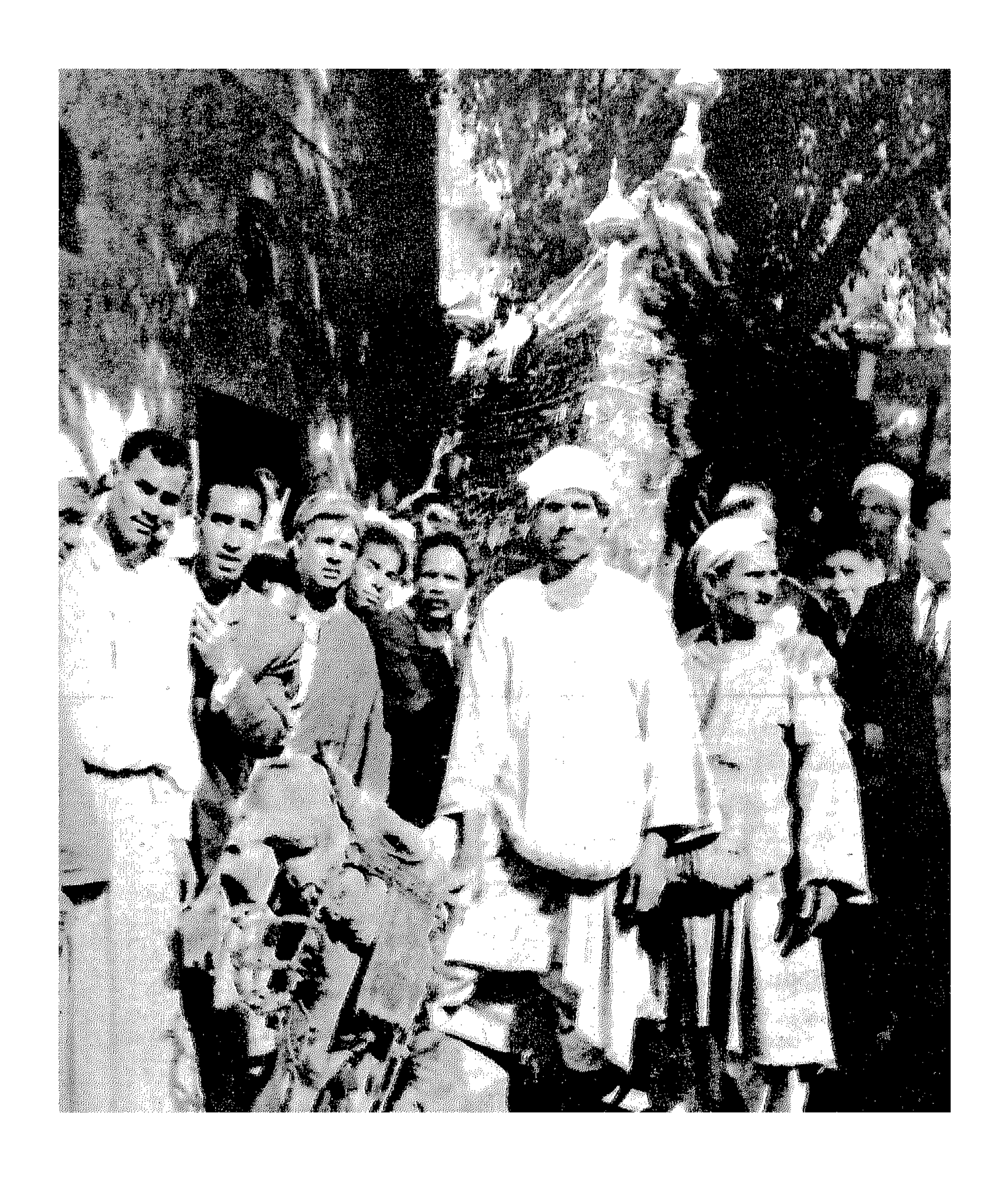
وقد يقال لماذا مدينة منفلوط ؟ ولماذا أيوب جمال الدين ؟

ترجع الأهمية التى حظيت بها مدينة منفلوط فى تلك الفترة الى عدة أسباب .

أولا : لموقعها فى منتصف المسافة بين القاهرة وقوص .

فمدينة منفلوط تقع فى منتصف المسافة بين القاهرة وقوص تقريبا على الشاطىء الغربى للنيل . تجاورها شمالا مدينة ملوى ، وجنوبا مدينة أسيوط .

وقد ذكرها ابن جبير الاندلسى ، الذى حج من هذا الطريق ـ طريق الصعيد ـ عام ٥٧٩ هجرية ، قائلا : (ومن المواقع التى اجتزنا عليها فى الصعيد موقع يعرف بمنفلوط بمقربة من الشط الغربى ميامنا للصاعد فى النيل . فيه الأسواق وسائر ما يحتاج اليه من المرافق ، وهى بلدة فى نهاية من الطيب وليس فى الصعيد مثلها . وقبل الوصول اليها فى بحريها جبل يعرف بجبل المقلة بالشط الشرقى من النيل مياسرا للصاعد فيه . وهو نصف الطريق الى قوص) . أما ابن بطوطة فقد امتدحها عندما زارها ـ فى طريقه لمكة عام ٧٢٥



ـ اهالى مدينة منفـــــلوط يحرصون على المشاركة فى توديع المحمل، فكانوا يقيمون الاحتفالات

طلع يوم الجمعة محملك
للنبى طلع يوم الجمعة

مازالت منفلوط تحتفل بالمحمل

هجرية قائلا : (هى مدينة حسن رواؤها ، مؤنق بناؤها على ضفة النيل . شهيرة البركة) .

ثانيا : موقعها بالقرب من درب الأربعين .

تقع مدينة منفلوط على مقربة من درب الأربعين الذى يعتبر مهبطا للقوافل القادمة من "مملكة دارفور" فى غرب السودان وما يليها من دول غرب إفريقيا . وقد جاء فى الخطط التوفيقية أنها (منذ عهد بعيد كانت مركزا للتجارة السودانية التى تجلبها القوافل القادمة من دارفور ونحوها . فتنزل على "بنى عدى" فيبيعون كثيرا من أشيائهم ، وكان الناس يتلقونهم هناك ثم يتقلون البقية الى هذه المدينة .

ثالثا : مكانتها فى عهد المماليك :

مدينة منقلوط من المدن القديمة جدا . وكانت تسمى منبالوط ـ وهى كلمة قبطية معناها "الحمر الوحشية" . وكانت لمنقلوط فى زمن المماليك أهمية خاصة فقد كانت رأس مديرية ، وكانت إقليما منفصلا . فقد جاء فى الروك الناصرى سنة ١٣١٥ م أنه أنشىء إقليم جديد فصلت قراه عن أعمال الأشمونيين ، وعن السيوطية وعرف بالأعمال المنفلوطية . ومنذ سنة ١٨١٢ م ضمت مأمورية منفلوط الى أسيوط وأصبحت من وقتها قسما من أسيوط .

● أيوب جمال الدين

جاء فى الخطط التوفيقية أيضا ان (أيوب جمال الدين كان رئيسا للولاية المنفلوطية . وهو من بيت تأصل مجده هو بيت جمال الدين ، فهو الابن الأصغر لأحمد الكاشف حفيد على الكاشف الذى عاش فى العقد السابع من القرن الحادى عشر . وقد كان حسن السيرة وبنى عدة مساجد أشهرها مسجده بمدينة منقلوط المجاور لمنزله ومدفنه . أما جده الأكبر جمال الدين فقد كان تاجرا مشهورا وقد تشرف أيوب جمال الدين بالمرتبة الثانية من إحسانات المرحوم محمد سعيد باشا والى مصر سابقا حين شرف مدينة منفلوط وتناول الطعام عنده) .

● مراسم المحمل

كانت المراسم الخاصة بالموكب تبدأ صباح اليوم السابق لطلوع الموكب ـ وهو يوم وقفة عيد الفطر فى منزل عائلة أيوب جمال الدين فى مدينة منفلوط ـ بالقاعة الخاصة بحفظ المحمل . حيث يقوم بعض الرجال باعداد الأجزاء المكونة للمحمل وهى الهيكل الخشبى المربع ذو القمة الهرمية ، وكسوته الخضراء الحريرية المشغولة بوحدات زخرفية بأشكال النباتات ومثبت عليها قطع من المرايا ، والكواكب النحاسية الخمسة التى توضع فى قمم زوايا الهيكل المربع ووسطه .

وكان عمر هذه الكسوة حوالى مائة عام ـ وقد روى أن أيوب جمال الدين كان يقوم بتجديدها سنويا .

وكان بعض الرجال يقومون باعداد الطبول التى سترافق الموكب ـ وهى عبارة عن طبلة كبيرة من النحاس ذات شكل نصف كروى . قطرها حوالى ٦٠ سم مشدود عليها رق من الجلد (طبلة نقارة) وطبلتين أقل حجما تحملهما قاعدة خشبية (نقرازان) .

وعند الانتهاء من تلك الأعمال يقوم أحد الرجال باطلاق البخور فى القاعة ـ ثم تبخير المحمل سبع مرات متتالية ـ بينما كان الموجودون يقومون بقراءة الفاتحة .

العائلات القابضة

وكانت ثلاث عائلات تقوم بخدمة المحمل وقد توارث أبناؤها شرف القيام بخدمته منذ بدأ الاحتفال به . وهذه العائلات الثلاث هى : عائلة حلفا وعائلة مريم وعائلة جلال المنفلوطى الذى كان يعرف بنقيب المحمل . ويطلق على هذه العائلات الثلاث "العائلات القابضة" .

ومن بين الاستعدادات لخروج المحمل كانت تجرى استعدادات فى موضع اخر من المدينة بمنزل عائلة "الديك" . حيث يبدأ اعداد الكسوة الخاصة بالجمل الذى سيقوم بحمل المحمل . وهذه الكسوة من القماش الحريرى الأخضر المزين بشراريب ملونة . أما الجمل فيتم تنظيفه وتزيين رأسه ورقبته وصدره بالأجراس والجلاجل والشراريب الملونة . وقد توارثت عائلة الديك مهمة القيام برعاية جمل المحمل وخدمته منذ عدة أجيال . وهم يروون أنه فى بعض الأحيان يتم صبغ شعر الجمل بالحناء . ويروون أيضا أن هذا الجمل مخصص لحمل المحمل فقط ـ على أن يعفى من العمل بقية العام .

وفى مساء ـ ليلة العيد ـ يتم الاعداد لترتيب أجزاء الموكب والاتفاق على خط سيره فى المدينة . حيث يتوافد رجال الطرق الصوفية ورجال المدينة الى منزل أيوب جمال الدين ـ ثم يقومون بأداء صلاة العشاء ثم صلاة التراويح . ثم يتوجه الجميع بعد ذلك الى القاعة الخاصة بحفظ المحمل حيث يقرءون الفاتحة ثلاث مرات . وأثناء ذلك يقوم رجال " العائلات القابضة " بتبخير المحمل ـ ثانية ـ وتظل القاعة مضاءة حتى الصباح .

● الموكب

بعد صلاة العيد مباشرة توجه الجمال ومن بينها جمل المحمل ـ مزينا ـ الى منزل أيوب جمال الدين فيرفع عليه المحمل وسط زغاريد نساء البلدة .

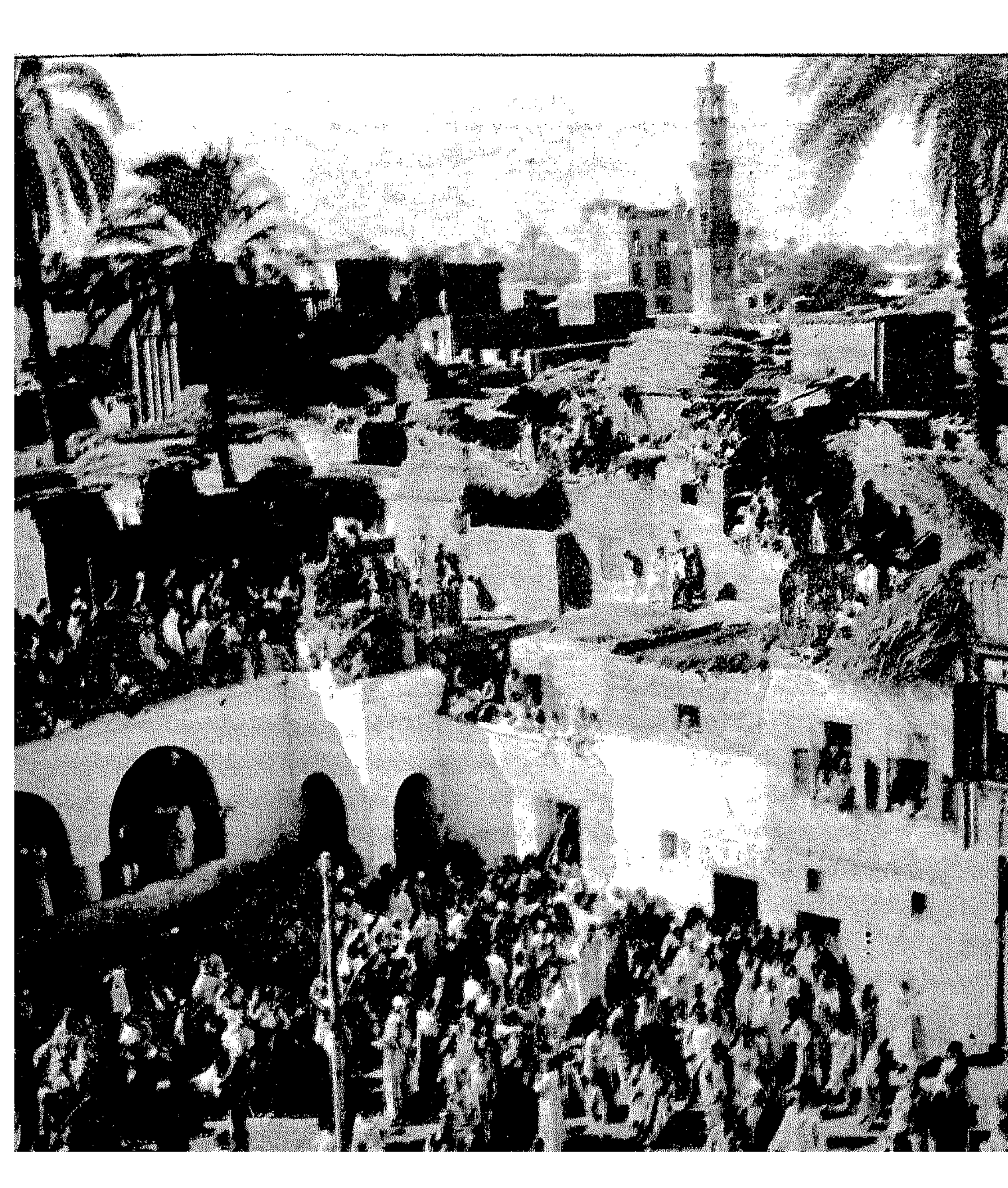
وترديدهن لهذه الأغنية :ـ

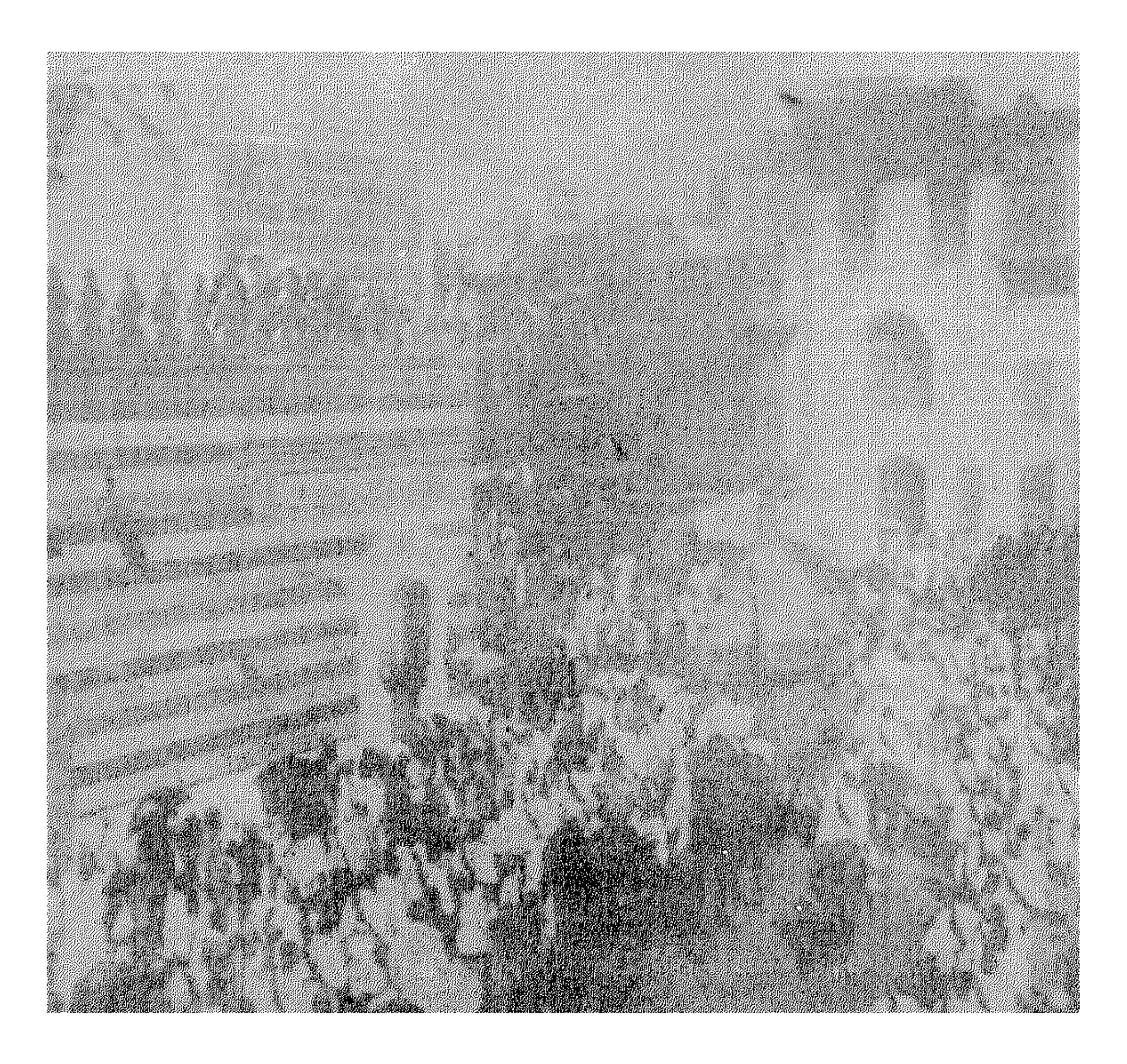
طلع يوم الخميس محملك
للنبى طلع يوم الخميس
طلع يوم الخميس والمواكب
بالذهب والفوانيس
طلع يوم الجمعة محملك
للنبى طلع يوم الجمعة
طلع يوم الجمعة والمواكب
بالذهب وفى الوسط شمعة
شالوه ع المولد محملك
للنبى شالوه ع المولد
شالوه ع المولد خليكوا
يوم جمارنا كرامة للنبى
شالوه ع الهجين محملك
للنبى شالوه ع الهجين
شالوه ع الهجين رشرشوا
له السمسم على باب نبينا

وكان من بين العادات التى تتم زيارة ضريح الشيخ على أبو اسماعيل وهو اخر جمّال قاد المحمل الشريف الى الحجاز عن طريق القصير ثم يبدأ الموكب رجال الشرطة من ضباط ، ومشاة ، وخيالة .. وفى مقدمته موسيقات الجيش ، وخفراء المراكز والقرى وخلفهم عربات المطافىء والنجدة والاسعاف ، ثم يلى ذلك

مازالت منفلوط تحتفل بالمحمل

مجموعات رجال الطرق الصوفية التى تسير فى صفوف منتظمة ، وكانت جماعات من الفتيان تسير حول المحمل ، يحمل كل منهم عصا من الجريد الأخضر يرفعونها لأعلى وهم يهللون : الله أكبر .. ويسمى هؤلاء الفتيان حماة المحمل .





المحمل المصرى الذى يحمل كسوة الكعبة المشرفة ..
استمر منذ العصور الوسطى وحتى سنوات قليلة مضت

وكان للموكب خط سير محدد يبدأ من شارع الجمهورية وينتهى بميدان الأمير جاثم ، حيث يتوقف الموكب لفترة طويلة ، يقوم فيها الفتيان بلعب التحطيب والبرجاس ، ورقص الخيل .

ويروى "محب جمال الدين" حفيد أيوب جمال الدين أن الأمير جاثم كان أميرا للحج والمحمل من قديم الزمان ، وذلك عندما كان الحج الى الكعبة عن طريق القوافل ، وقد توفى هذا الأمير بمدينة منفلوط ودفن بها أثناء رحلاته للحجاز ، وقد اعتاد أمراء الحج من بعده أن يمروا على ضريحه لقراءة الفاتحة .

وقد جاء فى بدائع الزهور لابن إياس أن الأمير جاثم كان أميرا للحج فى عام ٩٢٧ ، وكان كاشف الغيوم فى ذلك الوقت !

ثم يبدأ الموكب فى رحلة العودة ، حيث تنفصل أجزاء الموكب ، ويعاد كل منها الى موضعه لتحفظ فى القاعة المخصصة لها فى منزل أيوب جمال الدين لتبقى الى العام التالى .



القبلية الفكرية

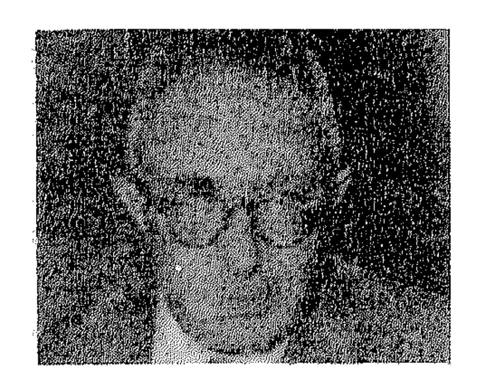
وأزمة البحث في نهضتنا الحديثة

بقلم: جمال سلطان

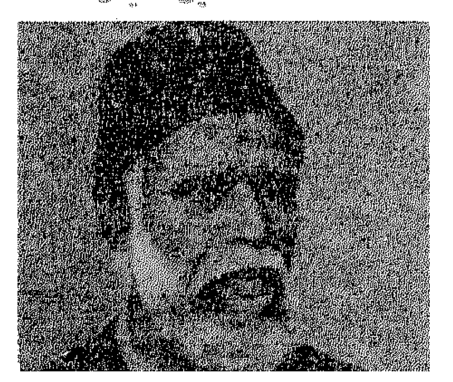
الحركة الفكرية والثقافية التي شهدها المجتمع العربي طوال القرن التاسع عشر ، وعقود عدة من القرن العشرين ، وبكل ماعكسته من آثار وبصمات وملامح ، في الواقع الاجتماعي المتحرك سواء على مستوى الشخصية الانسانية الفردية ، أو على مستوى البنية الاجتماعية وتشابكاتها وعلاقاتها : الروحية والعقائدية والسياسية والتشريعية والاخلاقية ، أو حتى على مستوى وضعية المجتمع المسلم نفسه ككتلة بشرية ذات تميز حضاري معين ، تجاه الحركة العامة للمجتمع الانساني الدولي كله .

اقول : هذه الحركة الفكرية والثقافية بكل ما خلفته من نتائج نفسية واجتماعية ، كانت تمثل انعطافا هاما ، وبالغ الحساسية ، من المسار التاريخي الطويل لهذه الامة ، وكان الالتقاء غير المتوازن ، بين هذه الامة المنهوكة حضاريا ونفسيا ، مع البناء الحضاري الاوربي في فترة شموخه واستعلائه ، بمثابة لحظة الكشف والتعري أمام الذات ، حيث انتبهت الامة ـ بعد سبات طويل ، أغواها فيه ستار العزلة الانسانية ـ وقد أصبحت وجها لوجه ، أمام عوراتها المشينه ، وأمراضها المزمنة الخبيثة ، وخللها النفسي والاجتماعي الخطير ، وسقوطها الحضاري التاريخي المروع ، وتلك اللحظة ، لحظة الانتباه ، هي ما اصطلح الباحثون المعاصرون على وصفها « بالنهضة الحديثة » .

والمتأمل في تراث هذه « اللحظة التاريخية الصعبة ، يلحظ على الفور



د . محمد حسين هيكل



علي مبارك

وجود شعور غامض ، يسرى فى أوصال كتابات أبناء جيلها ، وطلائعها المثقفة، بأن ثمة « خللا » ما ، فى تكوين الامة، وهذا الخلل يمثل « جوهر » المرض الذى دللت عليه تلك الظاهرات الانسانية المنحرفة والفاسدة، فى الفكر والتصور، وفى الفاعلية والسلوك ، وفى الروح الدافعة للبناء والسبق ، وفى التنظيم الاجتماعى ، سياسيا ، واقتصاديا ، وتشريعيا « قانونيا » ، حيث أصبح هذا « التنظيم مكرسا لحالة الجمود الحضارى ، بدلا من أن يكون دافعا للحيوية والانطلاق ، ولم تكن « الحالة الدينية » ذاتها ، بمنأى عن هذا « الفلك الحضارى » المريض ، حيث أصبحت مجرد طقوس متوارثة ، ناقدة لاشعاعاتها الروحية القوية ، التى قرأوا عن سحرها ، وأعاجيب فعالها فى ضمائر السابقين ، وفاعليتهم الحضارية العالمية ، بل لقد أصبحت « الحالة الدينية » مختزلة ـ عقائديا ـ فيما يشبه عقيدة « الارجاء » المنحرفة (١) ، التى ظهرت ـ فى نطاق ضيق ـ فى الزمن الماضى ، وذلك الارجاء الحديث، هو أحد العوامل الاساسية ، التى عمقت من وضعية « الفصام » بين الاسلام والواقع ، فكان مبررا ذاتيا للتخلف الكبير الذى أحرزه الانسان المسلم ومجتمعه أيضا ، فى الواقع الانسانى الحى .

بيد أن لحظة الانتباه ، أو النهضة ، كانت تخضع لمؤثرات داخلية وخارجية، جعلت من هذه المحاولات الاصلاحية ، نحو مراجعة شاملة ، ووقفة جذرية مع النفس ، غير متزنة ، وغير ممتلكة لشرائط العمل الموضوعى الناجح والمثمر والصحيح ، فمن جهة ، كان هناك دولاب الحركة الدولية الصاخبة من حولهم ، ينشط بحركة فكرية واجتماعية متجددة ومتلاحقة ، وذات سرعة واندفاع لم يتعود عليهما العقل العربى المسلم منذ دهر ، ومن جهة أخرى ، كانت هناك ضغوطات سياسية دولية متنوعة، ومربكة ، انتهت الى احتلال عسكرى سياسى ، دام عدة عقود ، تجاوزت القرن فى مناطق ، وقاربته فى مناطق أخرى ، وكل ذلك مما كان يضغط على نفسية الطلائع المثقفة والمستنيرة ، ويجعلها مدفوعة الى توجهات جزئية أو قاصرة ، فبعضهم ـ مثل على مبارك ـ

١ ـ الارجاء ، هى عقيدة احدى الفرق الاسلامية القديمة ، وقد تبلورت هذه العقيدة فى مقولة « لا تضر مع الايمان معصية ، كما لا ينفع مع الكفر طاعة » !

القبلية الفكرية

رأى الداء فى تخلفنا العلمى التقنى والمادى ، وآخرون رأوا ذلك فى تخلفنا التشريعى القانونى ، فراح يترجم ـ كما فعل رفاعة الطهطاوى ومن بعده فتحى زغلول ـ بعض القوانين الفرنسية ، وبعضهم رأى السبب فى تمسكنا بالاسلام حيث خلط بين ما يراه من مسخ مشوه له فى الواقع ، وبين دين الله ، كما بينه فى كتابه ، وكما انفذه رسوله الكريم (ص) فى الواقع الانسانى الاسلامى الاول ، اضافة الى التأثر بالتجربة التاريخية الاوربية الماثلة أمام أعينهم ، وقد انقسم هذا الفريق الاخير الى قسمين : قسم يطالب بعزل الاسلام عن الدولة والحكم والسياسة كشرط للنهضة ، كما فعل « على عبد الرازق » ، وقسم دعا الى نفض أيدينا من الدين جملة ، وبناء ما أسماه « مجتمعا علميا مستنيرا » ، وهذه الوجهة الحادة قد اختلطت ببعض الرواسب العاطفية الطائفية ، وغير ذلك مذاهب أخرى ، من النظرات القاصرة ، أو الجزئية ، والتى نتجت ـ كما قدمنا ـ عن غياب المناخ النفسى ـ الاجتماعى ، الملائم لتوفير شروط «الاتزان» الفكرى لابناء هذا الجيل ، فأتت أطروحاتهم ، تتميز بالسطحية البعيدة عن العمق ، أو النقلية البعيدة عن الابداع الاصيل هذا بالاضافة الى عمل آخر ، هام وجوهرى ، لا يجوز اغفاله فى هذا المقام ، وهو عملية الاختراق الفكرى والثقافى ، الذى قام به نفر من المستشرقين الاوربيين ، المدفوعين بأغراض « مشبوهة » ممن استطاعوا استقطاب عدد من فعاليات أبناء جيل النهضة، بطرق عديدةماكرة، ونجحوا فى أن يبثوا ـ من خلال حناجرهم ـ الكثير من الآراء والتصورات والمناهج ، التى ما زالت تشكل جزءا هاما من تراث ذلك الجيل .

ذلك الاختراق الذى رصد لنا بعض معالمه ، أحد رجالات ذلك الجيل ، حيث كتب الدكتور « محمد حسين هيكل » يقول : «لقد رأينا أخيرا طلابا وطالبات غربيين ، يفدون الى مصر ، والى مختلف جهات الشرق العربى ،يحاولون ـ فيما يقولون ـ تحقيق هذه المسألة ، (مسألة النهضة) ، يتصلون بكل من يتوسمون فيهم انهم رجال الادب الحديث، وأشعر باننى فى حل من القول ، بأن هذه الطليعة الغربية ، متجهة الى مثل هذا البحث ، ربما شابتها غايات تسوغ الاعتقاد ، بأن المسألة لم تثر للبحث العلمى وحده ؟! (١) .

على كل حال ، فقد أفرزت لنا لحظة الانتباه هذه ، أو حقبة « النهضة » نتاجا فكريا وعلميا وأدبيا ودينيا متنوعا ، يمثل مزيجا عجيبا من الافكار المتنافرة، والتصورات المتضادة والآراء المتعاكسة ، والمناهج المتخالفة ، فى المنبع والرؤية والهدف ، شكلت «لوحة اجتماعية وحضارية » ، أقرب ما تكون الى مدرسة الفن الساخر «الكاريكاتور»، الا أنها تتميز« كلوحة » بالتكامل الفنى، فلا تستطيع أن تدرك معالم الجمال فيها ، أو مواطن الخلل فى أبعادها ، أو لفتات السخرية منها ، الا اذا نظرت

---

(١) راجع كتابه «ثورة الادب» ص ١٢ ط . القاهرة « الثالثة » ١٩٦٥

اليها كلوحة متكاملة . واستطعت أن تحدد موقع كل « نتوء » فيها ، مما يجاوره ويحازيه ، ثم استطعت — أيضا — أن تحدد « حجم » و « لون » كل جزء منها بالنسبة للحجم أو اللون الطبيعي له في الحقيقة ، وبالنسبة للخلفية الموضوعية العامة .

ومن هنا تأتي خطورة عرض نتاجات هذه اللحظة الحضارية ، على أجيالنا الجديدة ، بصورة تجزيئية، أو تسليط الضوء على أجزاء من تلك النتاجات ، وتعتيم الضوء على النتاجات الاخرى أو ابراز بعض معالم هذه الجزئيات ، والمتمثلة في فكر رجل ، أو تيار عام ، أو جماعة ما ، واخفاء معالمها الاخرى التي تكمل صورتها ، وتوضح قيمتها على الحقيقة ، أو عرض لناحية من هذه اللوحة ، دون الكشف عن نتائجها وامتداداتها التي تمخضت عنها في الواقع العملي المتحرك .

اذ ليس من شك ، أن هذا الواقع الحي ، الذي تعيشه الامة اليوم ، هو نتاج مباشر ، ووليد طبيعي ، تمخضت عنه التجربة الانسانية التي مرت بها الامةفي « لحظة الانتباه » أو«النهضة»، وبالتالي ، كان ادراكنا لاصل الداء ، وموطن الخلل في الكثير من اشكالياتنا الحضارية والانسانية الحية اليوم ، متوقفا على تبصرنا النافذ ، لجذور هذا الخلل، في تراث حقبة « الميل والحضانة» ، وطبيعي أن هذهالبصيرة، لا تكون نافذة ، وموضوعية ،وصحيحة الا اذا نظرنا الى « اللوحة كلها » نظرة شمولية ، متكاملة ، متوازنة ، متقارنة تضيء جوانب الموقف كله ، وتعريها أمام النقد الفاحص والمتزن ، والصارم أيضا .

فيما سبق ، كشفنا عن المخاطر البالغة ، التي يتعرض لها تكوين العقل العربي الجديد ، من جراء ظاهرة ثقافية شاعت مؤخرا ، وتجسلت في الدراسات التاريخية والتراثية ، التي تتجه نحو عرض أو بحث تراث حقبة النهضة الحديثة ، وهذه الظاهرة ، تتمثل في مجهودات طوائف ، من الباحثين والمؤرخين ، مختلفي الميول الثقافية ، والتكوينات الفكرية ، والخيارات الايديولوجية ، يعمدون الى دراسة« أجزاء معينة » من هذا التراث، ممثلة في أشخاص ، أو تيارات ، أو حركات ، مما يمثل « الجذور الفكرية في حقبة النهضة » لصاحب هذا البحث الجديد ، فيسلطون الاضواء الباهرة ، على هذه الاجزاء ، بل حتى على معالم محددة من هذه الاجزاء ، مع تعتيم الضوء في بقية المعالم ، أو الاجزاء الاخرى الفاعلة في الحقبة ، والتي تمثل الخلفية أو الارضية الموضوعية ، التي تشكل فيها ذلك الجزء ، بل اكثر من ذلك ، يحاولون استقطاب بعض النتاجات المستنيرة في هذه الحقبة ، نجاحات أو مكاسب وطنية أو حدس صائب ونحو ذلك ، الى هذا الجزء المعروض ، مما قد يضفي عليه قداسة هو غير مستحق لها على الطبيعة ، أو يضخم آثارا بصورة لا تتفق والواقع الموضوعي ، وفي كثير من الاحيان ، يعمد هؤلاء الباحثين الى تشويه أجزاء أخرى من هذه الحقبة، أو عرض لمحات مبتورة شائهة لمواقفها ، مما يظهرها في صورة مزرية ، ومثيرة للامتعاض ، تختلق حاجزا نفسيا ، يحول بين القارىء ، وبين تبصر القيمة الحقيقية لهذه الاجزاء الفاعلة في تراث النهضة .

قضايا حيوية

تكنولوجيا جديدة في عالم جديد

بقلم: د. عصام الدين جلال

لاتزال الدول والمجتمعات غير المتقدمة تجاهد فى تحصيل ما حققه العالم المتقدم من استغلال واستخدام المواد التقليدية، ستفاجأ بعد ان تستنفد جهودها فى تحقيق ذلك فى اواخر هذا القرن ، ان تكنولوجية ومواد القرن الجديد والعلم الجديد ، قد انطلقت فى ظل عصر ما بعد المواد التقليدية .

● لقد اصبح استخدام كوابل الالياف الزجاجية كبديل أكثر كفاءة وسعة من الكوابل النحاسية فى الاتصالات التليفونية والتليفزيونية • ونقل كل صور المعلومات استخداما نمطيا يتعاظم دوره بحيث يصبح هو الموصل الاكثر شيوعا واستعمالا حيث يستطيع الكابل الواحد ايجاد الاف القنوات فى حيز محدود عالى الاداء ، ومن ثم لم يعد غريبا ان النحاس أحد المعادن الاستراتيجية التى اثيرت المخاوف من نضوب موارده وقامت الحروب فى افريقيا للتنافس على احتكاره اصبح الان سلعة راكدة لا تحقق مردودا ذا شان

والحقيقة ان التكنولوجيا تطرح مجموعة متزايدة من المواد الجديدة الاكثر كفاءة واقل تكلفة وغير محدودة الارصدة كبديل لكثير من المواد الاساسية التى تقوم عليها دعائم الثورة الصناعية المعاصرة بما يؤكد اننا على ابواب عالم جديد فى امكانياته وادائه ومواده •

ونقل الطاقة الذى مازال يعتمد على كوابل المعادن والنحاس خاصة وهو على ابواب ثورة مماثلة تغير طبيعة اللدائن ، ووظيفتها والتى استخدمت حتى الان كعوازل غير موصلة للكهرباء • فاحد اكثر المواد ناقلية الان مصنع من لدنة بولى استيلين المطعم باليود وهو يمتلك ناقلية ضعف النحاس على اساس وحدة الوزن • ويمثل هذا المركب من الكربون والهيدروجين بداية فصيلة جديدة لاشك انها ستكون ارخص واخف وزنا واكثر طواعية من المعادن

ويرتكز هذا التطور على اكتشاف ان حركة الالكترونات الناقلة للكهرباء اكثر كفاءة فى اللدائن ذات الالياف الاكثر انتظاما وطولا • والمادة الجديدة لا تنحل فى الماء أو الاحماض مما يعطيها ميزة على الموصلات الحالية مثل النحاس •

والحقيقة ان المواد الجديدة الموصلة للكهرباء لاتقف احتمالاتها عند مجرد زيادة نسبية فى كفاءة نقل التيار فان مجموعة جديدة من هذه المواد الجديدة لها خاصية الافراط فى كفاءة النقل وانعدام المقاومة بحيث سميت سوبر موصلات •

ورغم تعدد المواد والتكنولوجيات الجديدة فانها كانت تعانى من صعوبتين الصعوبة الاولى هى احتياجها لدرجات حرارة منخفضة تصل بها الى حالة انعدام المقاومة • وبعض هذه المواد مثل مزيج اكسيد النحاس والباريوم واللانثوم وهى التى تصبح سوبر موصل عند درجة ٣٠ فوق الصفر المطلق • ومع ذلك يمكن رفع درجة العمل الى اربعين درجة تحت ضغط عال (درجة كلفن) الصعوبة انه لا يمكن الحصول على درجة الحرارة المنخفضة المطلوبة الا من الهيليوم المغالى السائل عند درجة ٤ والهيدروجين السائل تصل حرارته الى ٢٠٫٣ ولكنه قابل للاشتعال مما يسبب مخاطر فى توليد ونقل الطاقة والمستهدف ان نحصل على مواد قادرة على العمل كسوبر موصلات عند درجة ٧٧ كلفن باستخدام التبريد بالنيتروجين السائل وهو ارخص الغازات وغير قابل للاشتعال وخامل والمتوفر فى كل مكان •

وقد وصل الباحثون السويسريون أخيرا الى اكاسيد خزفية تملك هذه الخواص الثمينة عند درجة ٣٠٠ كلفن ومازال السباق العالمى المحموم للوصول الى سوبر موصل يعمل عند درجة حرارة البيئة ولا يمكن ان يحصر الخيال التغيرات التى ستدخلها مثل هذه المادة على العالم الجديد المرتكز على توليد الطاقة ونقلها واستخدامها فى كل نواحى الانتاج والخدمات والموصلات الخ ••

والمواد من الالياف الزجاجية الاكثر صلابة من الحديد شائعة الاستخدام الان فى صنع القوارب والسفن والطائرات لخفة وزنها وكذلك اجيال أخرى من اللدائن ذات الخواص المركبة الباهرة التى تجعلها بدائل اقل نفقة واكثر دواما ومقاومة واسهل تشكيلا من الالياف النباتية والمعدنية والياف الكربون الاكثر مقاومة للحرارة بما يجعلها الغشاء الخارجى الامثل للصواريخ الفضائية ليست الا امثلة مبدئية عن بوادر ثورة المواد الجديدة والتى تصنع منها الان القلوب والمفاصل والاسنان وبدائل الدم الصناعية والمنظفات الصناعية والملابس والادوات المنزلية والمنازل نفسها •

فالمعروف ان بعض المحركات لا تؤدى عملها بالكفاءة المتوقعة لانها لا تعمل عند درجة الحرارة العالية التى تسمح لها بتحقيق المردود الكامل لدوران المحرك • فمثلا محرك استرلينج للديزل والذى يعتمد على التسخين العالى لغاز محصور التى تدفع الكابس لم تحقق المرجو منها لان مواد التزليق أو التزييت اللازمة لحركة هذه الكابس لا تتحمل هذه الدرجة العالية من الحرارة فهى تتفكك عند درجة ٣٥٠ فهرنهيت وحتى الجرافيت لا يتحمل اكثر من درجة ٩٠٠ فهرنهيت •

ان عالم الغد لن يكون مختلفا فقط اداء وتنظيما ولكنه ايضا سيكون مختلف المواد •

البحث عن مسرح بديل

بقلم: د. مجدى يوسف

ما هـو ذلك الشىء الذى نحس جميعا ان الثقافة فى بلدنا تفتقر اليه كما يحس الجسم انه يفتقد قيمـة غذائية اساسية ، على الرغم من انه يبتلع كثيرا من الطعام ؟ وكيف يمكن ان نحس بهذا العوز الثقـافى على الرغم ان مصرنا تعـج بالمثقفين فى كل مكان ؟ ولماذا نحن فى حـالة من الخور الثقافى والفنى العـام على الرغم من وجـود هـذا الكم من الكفايات الفنية الرفيعة فى بلدنا ؟

ان نستقبل التجارب الثقافيـة والفنية الجديدة من البلاد الاخـرى هذا شىء جيد ، بل ان الاهم من ذلك هو ما نلاحظه من احتفال جمهـورنا بتلك التجارب . هذا الاحتفال بتجارب الغير الفنية يجعلنا نحس أنه نوع من التعويض عن عدم قيام هذا الجمهور المصرى باكتشاف تجاربه الثقافيـة الفنية النابعة منه .

ولكن : كيف يمكن لجمهور غيـر « مدرب » على تقنيات الفن أن تكون له تجاربه الفنية الابداعية ؟ وأى فن ذاك الذى يمكن ان يكون له بمثـابة الهواء الذى يستنشقه بحيث لا يشعر منتجه او متلقيه انه يقـوم بأى عبء وهو يبدع فيه ؟ وهل يحتاج أداء هذا الفن لتقنيات عالية حتى ينتج ابداعا عالى المستوى ؟

اعتقد ان هذا الفن لابد أن يكون فنا مباشرا ؟ كالخبز الطازج يخبـره متلقية لحظة ميلاده على أيدى منتجيه وليس اقرب الى تحقيق هذه التجربة

الفنية من المسرح الجامع لكل الفنون التعبيرية أو معظمها · ولكن : كيف يكون هذا « المسرح الجامع » ؟ هل يكون « مسرح نجم » مثلا ؟ · لوفعلنا ذلك لما فعلنا شيئا ، لان النجم لا يصبح جماهيريا الا اذا « مثل » دور الانسان البسيط (اى اللانجم) ما المانع اذا فى ان يقدم الانسان البسيط ما يخبره فى حياته اليومية بطريقة فنية الى سواه من « البسطاء » ؟ يبدو ان المانع هنا هو هذه « الطريقة الفنية » ، ولكن هل هو مانع حقا ؟ الا توجد لدى عامة الناس وسائل فنيه تلقائية للتعبير عما يريدون توصيله الى الاخرين ؟ طبعا توجد ، ولكن : كيف تستخرج هذه التلقائية العفوية القابعة فى اعماق الناس العاديين كى تصبح طاقة ابداعية متجسدة فى تواصلها غير العادى ؟ (الفنى التجريبى) مع الاخرين ؟ لايمكن لهذه الطاقة العفوية ان تظهر الى الوجود الا اذا كانت تعبر عن شىء حقيقى يشغل المعبرين عنه · وهذا « الشىء الحقيقى » ليس فنا فى حد ذاته ، وان كان يمكن التعبير عنه بصورة غير « عادية » حتى يمكن ان يصبح توصيله الى الاخرين : اكثر فعالية ، اى ان يجعلهم يكتشفون فيه حقيقته التى لا يرونها اذا عرضت عليهم بالوسائل والطرق المألوفة وهذا هو «فن العرض»

أما تقنياته فيجب ان يكون هذا هو هدفها · اى يجب الا تكون تقنيات معيارية (تدرس فى معهد المسرح مثلا) ، بل تقنيات خاضعة للابتكار الذى يفرضه عليها ما يراد توصيله الى الاخرين ·

ما هى اذا الصيغة العملية لاقامة هذا المسرح الجماهيرى الجامع ؟

هل تتحقق هذه الصيغة بأن تاتى له بمؤلف يضع له المسرحيات ، وبمخرج وبممثلين يؤدون ما يطلب اليهم من « ادوار » ؟ لسنا بحاجة للاجابة على هذا السؤال · اذا فما هو البديل ؟ وهل يمكن للناس ان يؤلفوا لانفسهم ، وان يعرضوا ، ما يألفونه من واقع حياتهم ؟ هذا ممكن طبعا ، ولكنه بحاجة الى تحريك هذه الطاقات الدفينة ، او بالاحرى « المدفونة » فيهم ، بحيث تصبح لها هذه الفعالية الخلاقة · وهذا هو « دور » الشخصية (او الشخصيات) الثقافية التى بامكانها ان تفجر كل تلك الطاقات الابداعية ، بحيث لاتقوم هى وحدها بتأليف العمل المسرحى ، وانما باقتراح فكرته ، وخطوطه العامة على الاخرين ليشاركوا فى ابداعه وبهذا يصبح تأليفا واخراجا وعرضا جماعيا يتميز بتفتح ذهنى ونفسى ، مستمر لاكتشاف كل ما هو جديد فى التجربة ·· ومن اجل هذا اقترح تسمية هذا المشروع : «مسرح الحياة»

إلى أين الأوبرا..

بقلم: د. على الراعى

ونحن نتهيأ لافتتاح مركز فنى كبير ، متعدد النشاط هو ما اصطلحنا على تسميته « دار الاوبرا » ، ينبغى ان نقف قليلا لنتأمل ماحدث فى حقل فنون الأداء الدرامى من تطورات بدأت مع ثورة يوليو ١٩٥٢

● فى حقل مسرح الكلمة قامت وازدهرت فنون التأليف والتمثيل والاخراج . فى ميدان الرقص الشعبى، قامت ثورة فنية وثقافية و - قبل هذا - اجتماعية ، جعلت من هذا الرقص فنا قوميا معترفا به ، ومقدرا . فى حقل عروض المهارة البدنية تجمعت من جديد فنون السيرك واصبحت قوة أدائية وترفيهية تملك القدرة على جذب الجماهير وتوسيع قاعدة متفرجى فنون الاداء المسرحى ، وفى صعيد فنون التمثيل بالوساطة - التمثيل عن طريق العرائس - شق هذا الفن طريقا واضحا وعميقا فى وجدان الناس ، صغارا وكبارا معا . وفي ميدان الباليه استطاع هذا الفن الجميل ان يؤصل نفسه ، ويحصل على تقدير جمهور كبير من المتفرجين المتحمسين ، واعداد

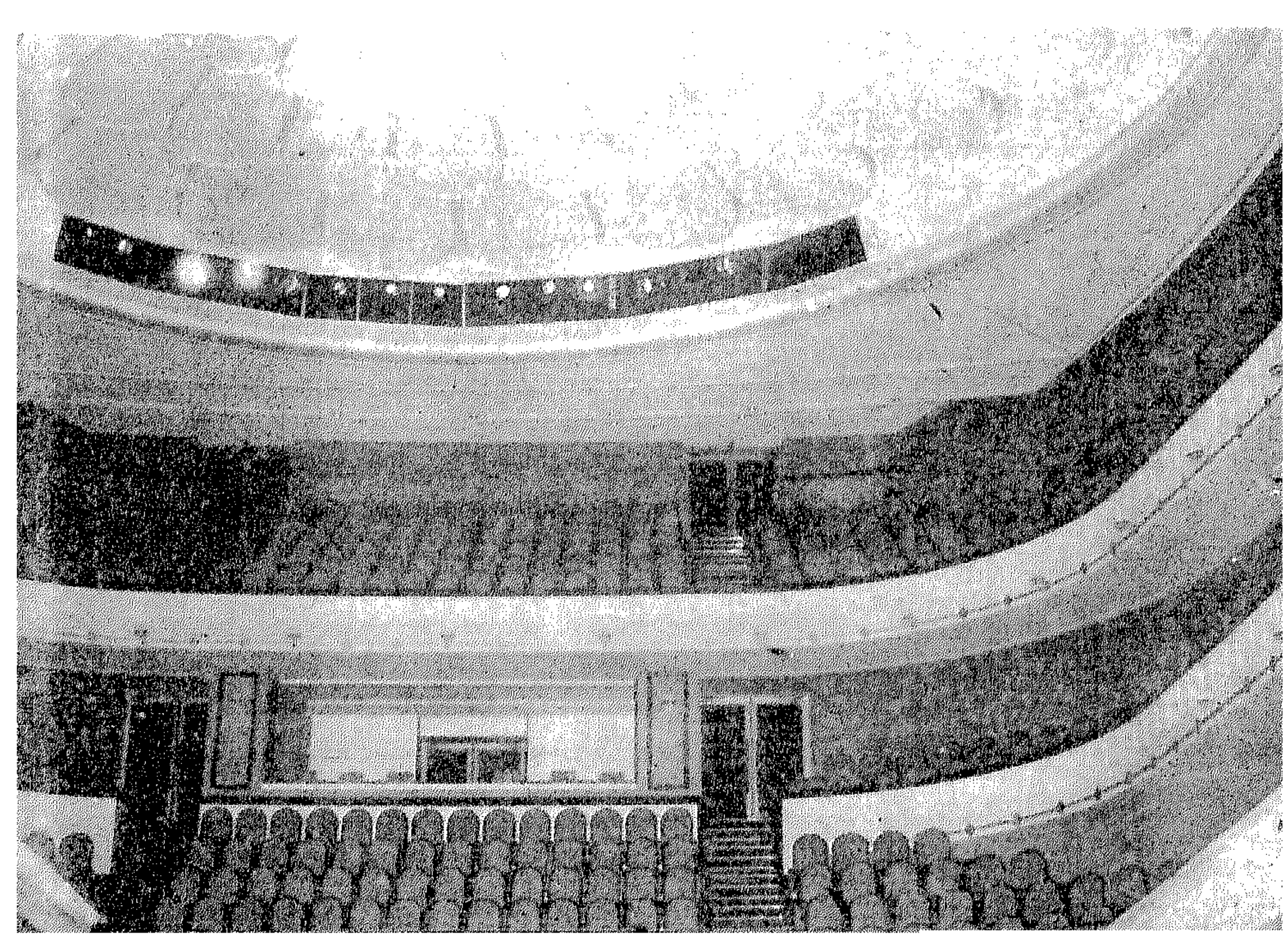
متجددة من راغبى دراسته وممارسته الا فن الاوبرا ! لقد ظل هذا الفن فى مصر فى وضع ثابت يقوم بعملية محلك سر . ويقدم عروضا متقطعة ، لم تخط ابدا بجمهور عريض . وبعض اسباب هذا التوقف ترجع الى طبيعة فن الاوبرا ، فهو فن غنائى خطابى يخرج من الصدر والحنجرة موجها الى الاذن ولايعنى كثيرا بالوصول الى القلب . هو فن استعراض القوة فى الاداء الصوتى - قوة وصلت الى اعلى الذرى فى الاوبرات العالمية . واصبحت فنا رفيعا جديرا بكل تقدير . **ولكنه ظل دائما مقصورا على الصفوة ولم يتعد حدود الارستقراطية الفنية** . لم يحظ ابدا بشعبية الاوبريت ولا المسرحية الموسيقية الغنائية الراقصة وهو فى مصر فى وضع اكثر صعوبة . ذلك ان الجهود التى بذلت حتى الان لانشاء غناء اوبرالى مصرى لم تحرز تقدما يذكر ان هذا الغناء لايمس الوجدان المصرى ولا العربى ، والمتفرج الذى يذهب ليشهد عروض الباليه او حفلات الموسيقى العالمية ربما يضجر حين تعرض عليه اوبرا كاملة . اما المتفرج العادى فانه يضحك ويتندر ويميل الى السخرية من طريقة الغناء التى هى فى اساسها شىء

مصطنع ، فالاوبرا تدعوك الى عالم خيالى ، يغنى الناس فيه الحوار بدل ان يتكلموه .

هذا رأى قلته فى السبعينيات ، وكتبته يومها فى مجلة روزاليوسف ، وقد عبرت عنه اخيرا بصراحة فى ندوة اقيمت فى « الاهرام » قبل اسابيع وحضرها وزير الثقافة فاروق حسنى وقائد الاوركسترا يوسف السيسى والدكتورة ماجدة صالح ، التى كانت ـ انذاك ـ مديرة لدار الاوبرا ، ثم نحيت عن المنصب دون شرح ، او اعتذار ، كما حضرها عبد الله العيوطى المدير الفنى للاوبرا والدكتور فوزى فهمى نائب اكاديمية الفنون ، ومحمد السلماوى المشرف على العلاقات الثقافية مع الخارج ، وفنان الباليه عبد المنعم كامل عبرت عن رايى هذا ، فكانما فجرت قنبلة ! اختلفت ردود الفعل اختلافا بينا بين الاعتراض التام ، والاعتراف المشوب بالحذر ، والرغبة فى تلمس الاسباب ومحاولات التصدى للظاهرة .

وكانت ماجدة صالح اول المعترضين . ففى رايها ان الاوبرا تحظى باقبال كبير ، بدليل ماحدث حين عرضت « عايدة » فى الاقصر والهرم ، اما وزير الثقافة فقد اوضح ان فن الاوبرا هو فن الخاصة

الاوبرا الجديدة .. صرح المستقبل



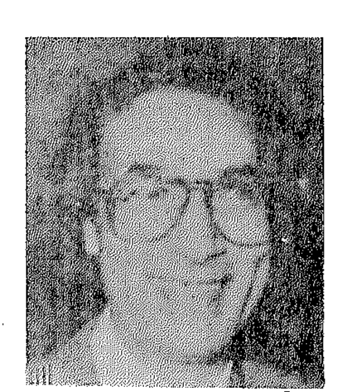
الى فن الاوبرا..

وراى ان عدم وجود المخرج الاوبرالى هو السبب في عجز فن الاوبرا عن الوصول الى الجماهير ، وقال يوسف السيسى ان الحل يكمن فى تعريب الاوبرات العالمية ، واشار الى ان فن الاوبرا ليس غريبا على الوجدان الغنائى المصرى ، بدليل ان اقوى ممثلى هذا الوجدان . فنان الشعب الكبير سيد درويش كان يبكى حين يشاهد الاوبرا . وانه كان يسعى الى السفر الى ايطاليا لدراسة هذا الفن ، وكاد يفعل ، لولا ان عاجله الموت

● تقريب حقيقى لفن الاوبرا !

وقد رددت على هذه الاراء واحدا واحدا ، فقلت لماجدة صالح ان اقبالا كبيرا على حفلتين سياحيتين من حفلات الاوبرا لاينهض دليلا على تقبل واضح ومطمئن لهذا الفن ، وقلت لوزير الثقافة ان مخرج الاوبرا لايصنع وجدان اناس لم يتعودا هذا الفن ولم يتدربوا على تلقية ، وقلت ليوسف السيسى اننى واثق من ان سيد درويش لو كان درس الاوبرا فى ايطاليا لعاد وفى حقيبته محاولات خلاقة لتقريب حقيقى لفن الاوبرا من الناس . تقريب لا يقوم على مجرد ترجمة كلمات الاغانى بل يتناول الصياغة الموسيقية ايضا ، ويسعى الى ان تكون نابعة بالفعل من الوجدان المصرى والعربى روحا وعاطفة وان لم تهمل التكتيك العالمى .. قلت هذا متحاشيا ان اذكر ـ مع ذلك ـ ان اوبريت « الباروكة » الذى وضع موسيقاه سيد درويش ، وكان من اواخر اعماله ، قد شابه الى حد ملحوظ روح غريب عن الوجدان المصرى . جعل هذا الاوبريت بالذات يتراجع تراجعا ملحوظا فى قائمة الاعمال الكثيرة التى قدمها فنان الشعب ، مستوحيا روح مصر وتراثها وطريقتها فى الغناء والاداء .

واغلب الظن ان سيد درويش كان جديرا بان يصل الى القرار الذى وصل اليه الاخوان رحبانى فيما بعد ، والذى يضع الاذن الشرقية وتراثها فى الغناء والموسيقى والشعر ، فى المحل الاول من الاهتمام ، ويضيف الى هذا التراث ماتطيق هذه الاذن تلقيه من التكتيك الغربى فى الغناء والموسيقى معا ، وهو



فاروق حسنى



رتيبة الحفنى



ماجدة صالح

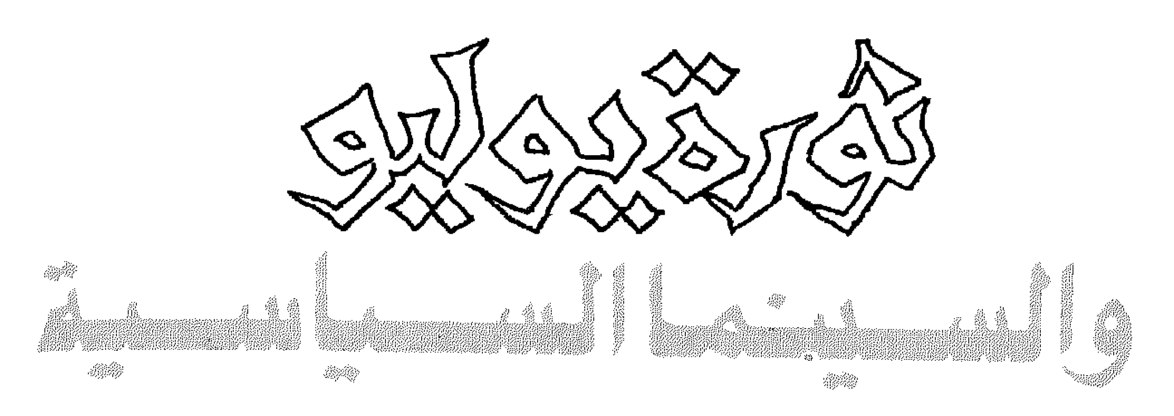
كان خليقا ـ ايضا ـ بان يدرك ـ كما ادرك الرحبانيان ـ ان فن الاوبريت هو اقرب فنون المسرح الغنائي الى روح الشعب ، وان فرص نجاح اعمال اوبرالية كاملة فرص ضئيلة حقا ، لقد نجح مسرح الرحبانية فى الوصول الى الناس لانه افاد من كل محتويات الوجدان العربى ، قدم الاغنية العربية العصرية ، وقدم اغنيات من التراث ، قدم الموشحات القديمة ولحن شعر أبى نواس . طوع الحوار العربى للغة المسرح واستخدم صيغة الاوبريت للتعبير عن هموم الناس البسطاء ووقف الى جوارهم مدافعا عنهم ، ضد الظلم والاستبداد ، ومن ثم كان هذا التقبل الشعبى العارم لمسرح الرحبانية ، رغم حواجز اللهجة اللبنانية ، ومحلية الموضوعات المطروحة فى بعض الاحيان .

ان علينا ان نتريث كثيرا ، وندقق كثيرا قبل المضى فى محاولات تأصيل فن الاوبرا فى بلادنا واولى بنا ان نعى الدرس الذى وعاه الاخوان رحبانى ، ووعاه من قبلهما محمد عبد الوهاب وهو ان الناس غير مستعدين لتلقى فن الاوبرا بصيغته الغربية الحالية ، وانهم ـ على النقيض ـ يقبلون فى جذل على فن الاوبريت ، ان هذه اشارة مؤكدة تضىء الطريق امام كل من يسعى الى ان يقام فن اوبرالى حقيقى . **فهذا الفن لن يقوم فورا ، وانما ينبغى ان تسبقه محاولات متصلة فى تقديم الاوبريت ، قد تتدرج فى العمق والصنعة بحيث تسلم يوما ما الى تقديم الاوبرات الخفيفة ذات** الموضوعات الشعبية المقبولة ـ كارمن مثل طيب لهذه الاوبرات ـ ومن ثم قد يقدم فن أوبرالى مصرى يستوحى الوجدان المصرى ، ويقترب كثيرا من روحه صيغة وموضوعا .

● محاولات مقضى عليها

والى ان يحدث هذا ، فان محاولات غرس فن الاوبرا الغربية ، فى التربة المصرية مقضى عليها بانعدام فاعلية . بل هى تتعرض لما هو اخطر من هذا ، وهو التآكل ، بفعل اختفاء بعض العناصر الفنية ، كما حدث فى حالة الفنانة الراحلة اميرة كامل ، او بانصراف بعض هذه العناصر الى الغناء على الطريقة الغربية مثلما كان حال الفنانة عفاف راضى ، لقد أعلن الشعب المصرى رأيه فى الغناء الاوبرالى الغربى منذ الاربعينيات حينما قدم الى مصر الفنان العربى ذو الصوت القوى العذب عبد الهادى البكار ، فغنى غناء اوبراليا مدة من الزمن واستمع اليه الناس قليلا ، ثم انصرفوا عنه واخذوا يتندرون به وبغنائه، تم تدهور حاله فاذا به يقبل أدوارا فى السينما تسخر من ادائه الاوبرالى وتضحك الناس عليه ، تماما كما حدث فى حالة الفنان حامد مرسى ـ والقياس مع الفارق طبعا ـ فقد استخدم هو الآخر وسيلة اضحاك من الغناء الجهورى شبة الاوبرالى الذى كان يؤديه فى مطلع شبابه .

ان احدا لايصادر على التجريب والمحاولات المخلصة لغرس فنون جديدة فى التربة . غير ان التجريب ليس مقصودا فى حد ذاته ، وانما الذى ينبغى ان يهمنا هو ثمار هذا التجريب ، فان استجابت التربة وانبتت الزرع فهذا دليل واضح على ان البذرة صالحة والأرض مستجيبة ، وان تعثر النبت ، فجاء ضعيفا ، او غير مزدهر فقد وجب ان نقف من فورنا ونعيد الحساب .



ثورة يوليو والسينما السياسية

بقلم: مصطفى درويش

كان للثورة من العمر ستة عشر عاما عندما قدم الى مصر من الولايات المتحدة باحث شاب اسمه « ريموند ويليم بيكر » كي يعمل استاذا زائرا

ولم يمض على قدومه هذا سوى ثلاثة اعوام حتى كان قد انتهى من تاليف بحثه الشهير « مصر ناصر : السلطة الايديولوجية والتطور السياسى » (جامعة هارفارد)

وحتى كان قد شاهد مائة فيلم مصرى او يزيد بعضها قديم وبعضها الاخر جديد .

وعن هذه الافلام يقول « بيكر » ان اختياره لها قد تم بطريقة عفوية من بين ماكان معروضا فى دور السينما الشعبية داخل القاهرة وحولها .

● ذهب المعز

ويبدو ان مشاهدته لهذا الكم الهائل من الافلام خلال عام واحد (٦٨ / ١٩٦٩) من عمر الزمان قد اهله للحصول على منح دراسية من جامعة بوسطن وغيرها من المراكز الامريكية المكرسة ميزانياتها الضخمة لتمويل عمليات وصف العالم ابتغاء الابقاء على هيمنة العم سام الى اخر الدهر .

ومن هنا قيامه بالعديد من الزيارات الى عدد كبير من المراكز السينمائية على امتداد الوطن العربى الفسيح بحثا عن نسخ ما وقع عليه الاختيار النهائى من افلام فى القاهرة وبيروت ودمشق والجزائر .

ومن هنا بحثه الثاني عن مصر ناصر الذى خرج به على الناس والثورة قد بلغت العشرين تحت هذا العنوان الاخاذ « مصر فى الاطياف » .. « الافلام والنظام السياسى »

واول مايلاحظ على منهج « بيكر » فى بحثه الاخير هو جنوحه إلى تجنب الاعتماد فى العرض بالنقد للافلام التى ورد ذكرها ـ وعددها اربعون فيلما ـ على ماكتب منها



توفيق الدقن وشفيق نورالدين فى "المتمردون"

عن السينما المصرية سواء بلغتنا العربية او بغيرها من اللغات ... لماذا ؟ ليس الجواب على هذا السؤال عسيرا

● الأرض الخراب

تعد ما كتب عن هذه السينما فى عمومه مما لايعتمد عليه ، وآية ذلك دراسة المخرج « محمد خان » عنها والمنشورة باللغة الانجليزية (١٩٦٩) : فهى فى رأى « بيكر » جاءت مخيبة للامال ، موجزة مخالفة للحقيقة فى تفاصيلها ، مضللة فى تفسيراتها .

ومن هنا اعتماده اساسا على المشاهدة اكثر من اعتماده على اى شىء اخر حتى وصل به الامر الى حد تكرار المشاهدة لبعض الافلام مرتفعا بعددها فى بعض الحالات الى اربع مرات ..

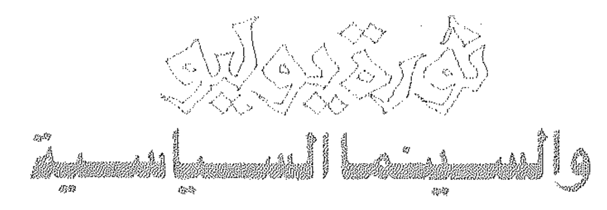
ومما يجعل بحث « بيكر » هذا ذا قيمة كبيرة رغم قصر حجمه (ثلاثون صفحة) هو ان احدا من بعده وحتى هذه الساعة لم يسخر قلمه لكتابة بحث مقارب فى الجدية عن السينما فى مصر

وهذا هو العجب العجاب

والاعجب ان احدا لم يكلف نفسه مشقة ترجمة البحث حتى يومنا هذا

● انقلابات وكلمات

وعلى كل فالبحث يبدأ بكلمات جرت



على لسان المخرج صلاح ابو سيف اثر انقلاب الثالث عشر من مايو ١٩٧١ المسمى بحركة التصحيح ، فيها يصف ليلة العرض الاول لفيلمه « القضية ٦٨ » على الوجه الاتى :

« احاط رجال الشرطة بالسينما ليلة الافتتاح . وبعد انتهاء العرض حاول البوليس السرى المنتشر فى صفوف المتفرجين ان يضربنى ولانى لست الا بشرا فقد كنت فزعا فى كل يوم من ايام العرض ، احس ان اولادى سينتهى بهم الامر الى تحمل نتائج تصرفاتى »

ولقد استخلص صاحب البحث من هذه الكلمات ان الافلام المصرية متورطة بين حين وحين فى معترك سياسات مصر المعاصرة .

واذا بصانعيها مكرهون على المشاركة فيها وتحمل تبعات هذه المشاركة .

وعنده ان مصر لم تنجح فى انتاج الكم المفروض من الافلام الرسمية التى تستهدف تعبئة الجماهير فى مجتمع محكوم بنظام ثورى

● انتصار القديم

فالجهود التى بذلت فى اعقاب ثورة ١٩٥٢ ابتغاء انتاج افلام وطنية مؤيدة للنظام الجديد ، قد باءت جميعها بالفشل فى المجالين الدعائى والتجارى على حد سواء

ولو بحثنا عن اسباب فشل الثورة فى صنع سينما سياسية رسمية ذات تاثير فعال لوجدناها كامنة اولا فى نشأة النظام الناصرى واصوله الاولى حيث بدأ بالاستيلاء على السلطة بفضل تنظيم عسكرى قوامه ضباط احرار من الطبقة المتوسطة ، وليس بفضل ثورة اجتماعية وسياسية عارمة .

وثانيا فى الاستراتيجية التى تبناها هذا النظام من اجل مواجهة مشاكل مصر الاجتماعية والاقتصادية ، وهى استراتيجية تقوم فى جوهرها على اساس سياسة خارجية نشطة متحركة لاتبتغى سوى الحصول على الرأسمال الاجنبى اللازم لتحقيق التنمية ، ومايتبع ذلك من تغلب على المشاكل المستعصية بحيث تصل مصر فى امن وامان الى بر الرخاء والهناء

وليس يعنينا هنا ان نبين ما اتيح لهذه السياسة من نجاح او سقوط بقدر ما يعنينا ان نلاحظ مع صاحب البحث ان سياسة التنمية المعتمدة اساسا على الخارج قد اغنت الثورة عن ضرورة تجنيد الجماهير ، واغنتها كذلك عن مواجهة التخلف الداخلى مواجهة حقيقية ، اى عن النظر الى حقائق الاشياء داخل المجتمع فى غير خداع ولا انخداع .

وكل ذلك استتبع بحكم اللزوم الشعور بعدم الحاجة الى سينما سياسية رسمية ، وبالتالى الاستغناء عما كان قد داعب النظام فى البدايات من احلام فى هذا الشأن .

واذا بالنظام الجديد يؤثر سينما العهد

القديم ، تلك السينما المقيدة باغلال الربح

● بعد السقوط

واذا به يرى الافلام اداة لهو ولعب ومجرد سلعة هامة تصدر الى دنيا العرب

وفى مواجهة وجهة النظر الرسمية هذه للفن السابع تمرد نفر من صانعى الافلام .

وفى الحق فان مادفع هذا النفر الى التمرد ليس ما انجزته الثورة ضد الاستعمار والاقطاع وانما ماعجزت عن انجازه فى مجال التنمية الداخلية بسبب اعتمادها على سياسة خارجية قوامها المغامرة ، ومحاولتها اخفاء هذا الفشل بارتداء ثوب الاشتراكية

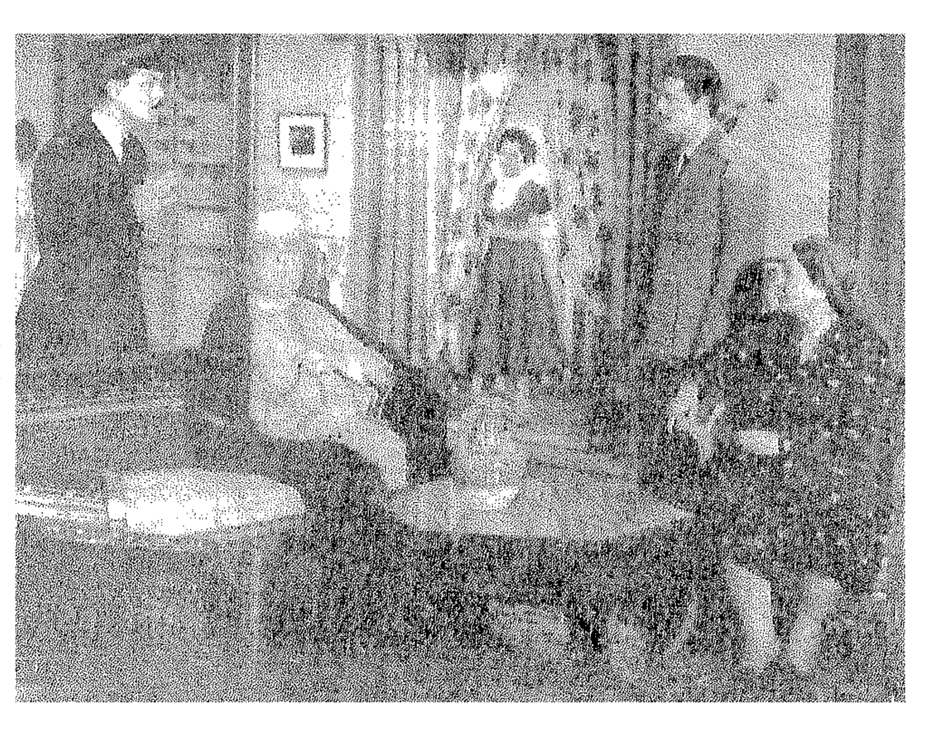
● الخوارج

وفى وصف هذا النفر يقول « بيكر » انهم كانوا متاثرين بماركسية مرنة يرون السينما اداة نقد للمجتمع الذى كانوا ضائقين بما كان يملؤه من فساد . يأملون فى صنع افلام تساعد على الفهم تمهد الى تغيير العالم .

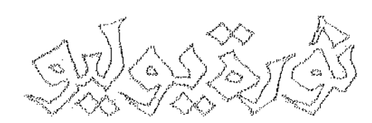
وافلام هذا النفر من المخرجين هى التى ركز « بيكر » عليها بحثه وذلك لانها مرتبطة بالواقع المصرى وهذا مايجعلها وحيدة نوعها ، مختلفة تمام الاختلاف عن ركام الافلام المصرية الاخرى التى لا طائل فيها ولاغناء فهى تهتم بالمشاكل الاجتماعية الحقيقية اشد الاهتمام تلقى الاسئلة المنطوية على نقد المجتمع من منطلق المثل الاشتراكية التى تبناها النظام .

وفى نفس الوقت تلتمس الاجوبة لها فى بعض الاحيان

ومهما يكن من شىء فبعض هذا النوع النادر من الافلام قد ادخله صاحب البحث فى عداد الاعمال السينمائية التى تخلص للنقد الاجتماعى (مع مضمون سياسى كامن)



لقطة من فيلم رد قلبى



ثورة يوليو والسينما السياسية

اما الباقى ـ وهو اقل من القليل ـ فمما يدخل فى عداد الاعمال السينمائية التى تجنح الى النقد السياسى دون لف او دوران .

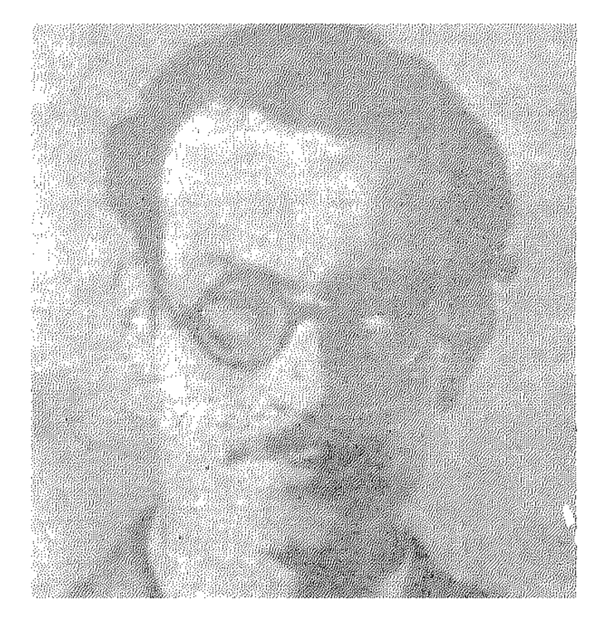
واذا ماتتبعنا هذا التقسيم تتبعا يسيرا لتبين لنا ان اخص مايميز افلام النقد الاجتماعى انها جميعا متصلة اتصالا مستقيما بالعزيمة (١٩٣٩) فهى من حارته قد خرجت كما خرج الادب الروسى من معطف جوجول فى النصف الاول من القرن الماضى .

وهى لا تزال متاثرة بطريقة هذا الفيلم فى النقد الاجتماعى وبالاطار الذى احاطه به صاحبه المخرج الراحل « كمال سليم »

واهم افلام هذه المجموعة فى نظر صاحب البحث خمسة لاتزيد هى « القاهرة ٣٠ » (١٩٦٦) و « القضية ٦٨ » (١٩٦٨) لصلاح ابوسيف و« الرجل الذى فقد ظله » (١٩٦٨) و« ميرامار » (١٩٦٩) و« شروق وغروب (١٩٧٠) لكمال الشيخ

● المشروع ممنوع

اما الافلام ذات المنحى السياسى الظاهر فليس لها عند « بيكر » الا فارس وحيد هو « توفيق صالح . ذلك المخرج الملعون المضطهد الذى لم يخرج طيلة عشرين عاما من الحياة السينمائية فى مصر سوى ستة افلام ، لعل اهمها عند « بيكر » « المتمردون » (١٩٦٧) الذى عرض فيه « توفيق صالح » للثورة وقائدها من خلال طبيب شاب في مصحة يتزعم تمردا للمرضى ضد الظلم .



كمال سليم

ولا يكاد يفعل ذلك حتى تفلت الامور وشيئا فشيئا ينهزم التمرد ، وتعود الامور سيرتها الاولى

وهنا يزعم « بيكر » صاحب البحث ان الدكتور ثروت عكاشة وزير الثقافة وقتذاك قد ناصب رائعة توفيق صالح العداء بحجة تطاولها على قائد الثورة . وينسب اليه انه قال فى هذا الخصوص انه لايستطيع ان يوافق على فيلم يهاجم جمال عبد الناصر (ص ٤١٥ من مجلة اميركان بهفيرال سابنتيست عدد يناير ـ فبراير ١٩٧٤)

والان عندما نرى رائعة المخرج الملعون تندهش لكل هذه الضجة التى ثارت حولها . ونندهش لكل هذه المقاومة التى ووجهت بها .

ولايسعنا الا ان نقول ماعجب امر الحكام .

صلاح جاهين

ومحاولة بطولية لترجمة الرباعيات

مع ان كل الخلق من اصل طيب
وكلهم بينزلوا مغمضين
بعد الدقايق والسنين
تلاقى ناس اشرار وناس طيبين
عجبى

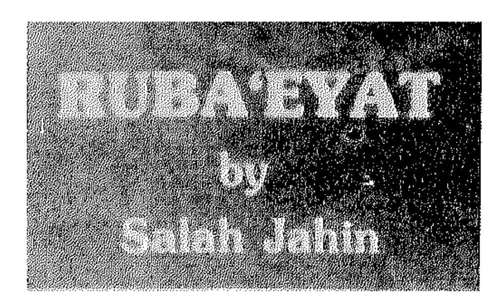
ها هو ذا عمل صعب يكاد يجاور المعجزة ·
ها هو ذا عمل مستحيل ·
فكيف يمكن أن تنقل هذا الشعر الى لغة أخرى ؟

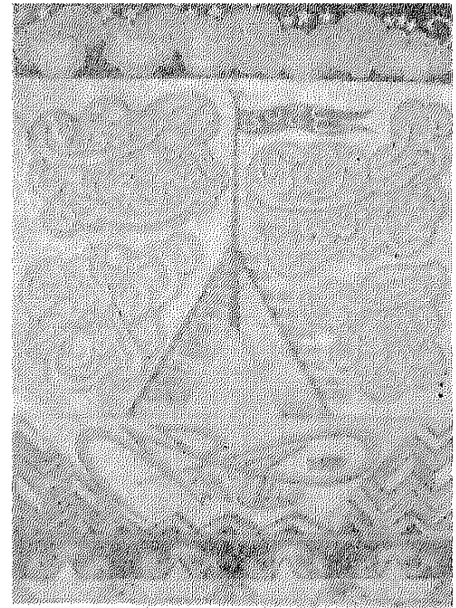
كيف يمكن أن نجد فى كل القواميس معان للكلمات ليس لها قاموس مكتوب ·· كلمات تخلقت عبر مئات السنين ، وعشرات المعارك ·· ومن ركام الحضارات التى جاءت ورحلت ، تكونت وانتشرت ·· فكانت هذه اللغة التى يسمونها بكل شقة « عامية » وهم يقصدون غالبا الاساءة ·

عجبى عليك ·· عجبى عليك يا زمن
يابو البدع يا مبكى عينى دما
ازاى انا اختار لروحى طريق
وانا اللى داخل فى الحياة مرغما
عجبى

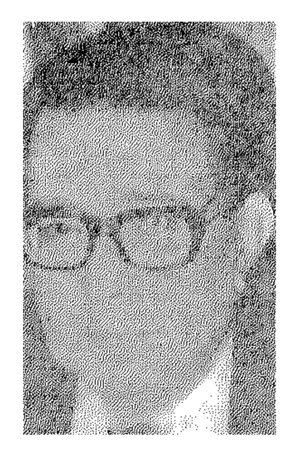
على أى حال اننا لا نستطيع الا أن ننظر فى « النص » الذى أحسن الناشر فجاور فيه بين الترجمة والاصل · فنجد المحاولة وقد بذلت السيدة المترجمة « نهاد سالم » فيها الكثير ، وان كانت فضلت السلامة فى كثير من الاحيان فترجمت المعنى المباشر أو سطح جبل الجليد ، دون أعماقه ·

أولا : هى لم تترجم اللازمة « الرباعية » عجبى · وتخلصت منها · لانها كانت سوف تضفى على النص معنى سخيفا وايقاعا غير مقبول بالانجليزية ، على عكس ما هى عليه فى العربية ، نهاية رباعية ، وضبط ايقاع ، وتأوه جميل عاكس لمتاعب الحياة ·





صلاح جاهين





صلاح جاهين احمد بهاء الدين

ولنقرأ الرباعية التالية التى يقول فيها جاهين :

مرغم عليك يا صبح مغصوب ياليل
لا دخلتها برجليا ولا كانلى ميل
شايلنى شيل دخلت أنا فى الحياة
وبكره ح أخرج منها شايلنى شيل
عجبى

ولنقرأ ترجمتها ـ التى تصل فى هذه الفقرة الى حدود الاستحالة • تقول الترجمة :

Forced on meday , imposed onight
It was not by choice I come to light
By someore borne into this life I come
And when I leave it , it will bethesame ,

ومن أول نظرة يمكنك أن تكتشف ان مثل هذه الفقرة لا يمكن ترجمتها ، ولكن يمكن ان ننقل جزءا من المعنى • لان المعنى الذى يريد أن يقوله صلاح جاهين يستعمل الصورة فى نقل « نفسه » اليك • لذلك فاننا نجد المحاولة من مثل هذه الفقرات ما هى الا محاولة يائسة ، ومع ذلك هى محاولة بطولية •

ولان الكتاب موجه الى قارىء الانجليزية كان لابد من تقديمه له ، وقد أحسن الناشر ، باختياره لاحمد بهاء الدين ، فهو صاحب المصداقية التى اتسعت دائرتها خارج الحدود ، ثم ان هذه الرباعيات ولدت بين يديه ، فكان لها حاضنا اثناء توليه رئاسة تحرير صباح الخير وعمل صلاح جاهين معه •

يقول بهاء الدين فى المقدمة :

● يقدم هذا الكتاب للقارىء المهتم بالفن المصرى فرصة اكتشاف طبيعة الروح المصرية المستترة فى الادب والفن الشعبى •

ومؤلف هذه الرباعيات شخصية غير عادية عاشت بيننا وهو قد عبر بنجاح عن الروح المصري في رسومه وشعره وأغانيه ٠

وفي هذه الرباعيات ـ التي هي شكل قديم من أشكال الشعر كما هي شكل من أشكال الفلكلور المصرى المعبرة ـ يقدم صلاح جاهين خصوصيات الشخصية المصرية ، من حكمه وايمان وحزن وتفاؤل وسخرية وهي تتفاعل لتبرز الطبيعة المميزة لهذه الشخصية ٠

ويقول أحمد بهاء الدين ليطمئننـا عن امكانيات المترجمة واقترابها من شخص وروح الشاعر :

ونهاد سالم مترجمة هذه الرباعيات الى الانجليزية هي مؤهلة بلا شك للاضطلاع بمثـل هذا العمل ، ليس فقط ، لكونها دارسة ومدرسة للأدب الانجليزى ، لكنها فوق ذلك ومثلها في ذلك مثـل صلاح جاهين كانت شخصيه ملحوظه من شخصيات هذه الفترة التى كتب فيها جاهين أشعاره ٠

وهي وان كانت واحدة من أبناء الطبقة العليا المصرية أمضت طفولتها فى مدرسة خاصة فى سويسرا ، ولكنها منذ شبابها الباكر أضحت متورطة ضمن الحركه القومية والشعبية فى مصر ٠٠ أسهمت فى التيارات السياسيه والثقافية التى صاغت صراعاتها الفكرية روح الفترة التى أعطت كلا من الشاعر ومترجمته ٠

وصداقتها الحميمة لصـلاح جاهين ـ الـذى كان يدعوها بـ « لسانى الاجنبى » تجعل منها الشخص الامثل للقيام بمهمة نقل هذه النوعية الخاصة جدا من الشعر ـ الرباعيات ـ الى الانجليزية٠ مما يجعل من هذه الترجمة وثيقة فذة فى اللغة الانجليزية ـ خاصة للقارىء الباحث عن ماهية الروح المصرى ٠

والحقيقة أن المترجمة قد تصدت لهذه المهمة بروح الداخل الى المغامرة وبين يديه أسلحة كافية لتمنع عنه غوائل الطريق ، ولكن كيف يمكن ان تنقل هذا اللعب بحرف الشين :

أنا كنت شىء وصبحت شىء ثم شىء
شوف ربنا ٠٠ قادر على كل شىء
هز الشجر شواشيه وشوشنى قـال :
لابد ما يموت شىء عشان يحيا شىء
عجبى

كيف يمكن أن تنقل ذلك الايقـاع النافر من جسـد الصورة المجسمة فى كل شطر من هذه الرباعيات التى أجمع الناس جميعـا على أنها عمل فذ لشاعر كبير ، واعتبرها نقاده ـ هي والسونيتات ـ افضل أعماله ٠

انها محاولة بطولية تستحق الاشادة والاشارة ولعلها تكون مقدمة لنقل ابداعات صلاح جاهين الى اللغات الاخرى حتى تتسع دائرة التعريف به ٠

● بقلم : رضوان الساعى

الآثار الإيجابية للموسيقى والغناء في المجتمع الإسلامي

بقلم : د. نبيل شوره

الطرب غريزى فى الإنسان مولود معه ، يؤيد ذلك الفقرات والعظام المثقبة المهيأة للزمير والصفير التى عثر عليها علماء الجيولوجيا فى المغارات التى قطن بها الانسان أول ظهوره على سطح الأرض ، فلا يبعد أن يكون الإنسان قد تغنى قبل أن يتكلم ، وهكذا أثرت الموسيقى فى الإنسان الفطرى والإنسان المتمدن ، أثرت فى مزاجه واعتقاداته ، وفى حياته وعاداته .. وامتزجت به اينما كان .

والإسلام دين الفطرة ، فهو لايصادم الفطرة الإنسانية ، ولكنه يواكبها راعيا لها ومرشدا لخطاها يردها إذا جنحت ويقومها إذا انحرفت .

ويهدف بحثنا هذا الى توضيح الجوانب الايجابية للموسيقى والغناء وبحث مدى امكانية توظيفهما لخدمة المجتمع الإسلامى .

ويستمد هذا البحث أهميته من الدور الهام الذى يعتقد الباحث أن الموسيقى والغناء يمكنهما القيام به فى المجتمع الإسلامى .

ويستعرض البحث بعجالة أهم الآثار الايجابية للموسيقى والغناء عبر مختلف العصور وخاصة فى القرن الأخير .

وتحتوى الدراسة على مبحثين :

- علاقة الموسيقى بـ (الدين ـ الوطن ـ التربية ـ العلاج) .
- تأثير السماع (من خلال مقدمة ابن خلدون)

أولا : الموسيقى والدين .

لقد احتضنت الأديان على اختلافها قديما وحديثا ، فنون الموسيقى

لتنسج من ألحانها حلة نورانية تسبغها على المشاعر ، وتجتذب بها العواطف وتوقظ بها الأرواح الصافية لتبعث فيها نورا من الحب الآلهى الأعلى ثم تتدرج بها الى خلق العاطفة والشعور فى الجانب الروحى ثم توجيه تلك العاطفة إلى الخير وبذله للغير ، فالموسيقى السماوية التى تستمد من الدين شعاعا قدسيا ، تلعب دورا خطيرا فى حياة الإنسان ، ويقول (كونفوشيوس) الفيلسوف الصينى :

«أن الغرض الأساسى للموسيقى والطقوس ، هو تنظيم سلوك الأفراد وتعويدهم الطاعة والنظام وتحديد العلاقات الاجتماعية فيما بينهم فالموسيقى هى السبيل الوحيد لصد الأفراد عن الماديات وارجاعهم الى طبيعتهم الخيرة الروحية . لأنها توجه الأفراد الى المعانى السامية والمثل الأخلاقية العليا وتنأى بهم عن الماديات والحقد والشر . وذلك بفضل ماتوجده فى نفوسهم من انسجام .



أفلاطون

ويرى الباحث انه لابد أن يصحب الحضارة المادية حضارة روحية تهذب النفوس وتسمو بالعواطف وتغذى الروح بقدر ما تقوم به الحضارة المادية من توفير اسباب السعادة والراحة للإنسان وتسخير قوى الطبيعة وفق مشيئته وإخضاعها لسلطان .

فهذان الجانبان من الحياة الإنسانية ينبغى لهما أن يجتمعا وأن يصادفا قدرا واحدا من الرعاية وذلك لأن الاندفاع وراء المادة فقط قد يؤدى إلى الانحطاط ، وربما يهبط بالإنسان إلى مرتبة الحيوان .

وإذا كانت الحضارة المادية تقوم على العلم والاختراع ، فإن الحضارة الروحية تقوم على الآداب والفنون . فالعلم والاختراع وسيلتان اوليان تقتحمان أسرار الطبيعة وتسعدان الإنسان فى حياته الخارجية المادية .

أما الأدب والفن فإنهما وسيلتان تفتحان مغاليق النفس البشرية وتنميان قواها الكامنة وتقدمان لها مايلزم من الغذاء الروحى لتلك الحياة الباطنة .

وحاسة السمع التى تعتمد عليها الموسيقى من أرهف الحواس جميعا لأنها تتأثر بالذبذبات والاهتزازات والموجات الصوتية التى تنشأ من احتكاك الأشياء أو اصطدامها دون ملامستها .

وقياسا على هذا تكون الموسيقى أرقى الفنون جميعا لأنها أرهفها وأقلها كثافة ، ولأنها تتجاوز عالم المادة العنصرى وتخاطب النفس دون وساطة بلغة التجريد ، التى لاتنتمى إلى المكونات الأرضية . وقديما قالوا : إن الموسيقى لغة الروح ، ولذلك تقترن بالتراتيل الدينية والألحان المعبدية

التى تخلص النفس من ثقلها المادى وتحلق بها فى أعلى الآفاق بعيدا عن الأرض .

ثانيا : الموسيقى والوطن :

لقد ساهمت الأغنية الوطنية بنصيب كبير فى الدعوة إلى المثل العليا ، حيث أنها تقوم باثارة معانى اليقظة القومية وبث روح الحماسة والاقدام فى جل المناسبات ، كما تعمل على اذكاء الروح المعنوية فى أنحاء الوطن ، بل أنها تخلق من الشعب جيشا مسلحا بالإيمان مستعدا لتلبية النداء يوم يدعى للبذل والفداء ، فالأغنية تقوم بتصفية المشاعر من نزعات الأنانية والجشع وحب الذات .

لقد كان الدعاة المنشدون والضاربون على الطبول والنافخون فى الأبواق ، إعلاما موجها إلى الجند يشحذ الهمم ويثير الشجاعة والاقدام ويقوى العزائم وروح التضحية والفداء عند العرب ، كما كانت الأغنية الوطنية للإنسان المصرى كظله ، فصاحبته يوم أن ثار على نابليون عام ١٧٩٨ م ثم على خليفته كليبر عام ١٨٠٠ م واستمر حتى طرد فرنسا عام ١٨٠١ م ، كما صاحبته أثناء ثورة سنة ١٩١٩ ، ومن قبلها ثورة عرابى سنة ١٨٨١ ... حتى كانت ثورة ١٩٥٢ م فسجلت الأغنية الوطنية بكل صدق وأمانة كل أحداث حياتنا الوطنية ، لقد ساندت الأغنية ثورة يوليو فى معاركها ، كما ناصرتها فى حركة البناء والتعمير ، كما شاركت الشعب كفاحه أثناء العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ م ، كما صاحبته أثناء نكسة ١٩٦٧ م فتخطى بها الأزمة التى تعرض لها حتى كان نصر أكتوبر ١٩٧٣ م .

وهكذا عبرت الأغنية الوطنية ومازالت عن الأحداث التى مر بها شعبنا البطل ، فكانت وثيقة مضيئة ذونت بالنغم والايقاع والكلمة .

ثالثا : الموسيقى والتربية :

التربية عملية توافق بين الفرد والمجتمع ، والتربية الموسيقية جزء لايتجزأ عن التربية بوجه عام ، فالتربية تعمل على خلق مواطن متكامل الشخصية يحس بالجمال ، ويساهم فى بناء وطنه ، والموسيقى تحتاج إلى الأساليب والمفاهيم التربوية لتحقيق ذلك ، فالموسيقى تبدا ببساطة فى اداء دورها فى تربية الطفل ، مستمدة عناصرها من البيئة والتراث (حفل السبوع - نوم الطفل - تعلم الطفل المشى ... الخ) .

لقد خلق الله سبحانه وتعالى حاسة السمع ، وهى الجهاز الذى نعتمد عليه فى التذوق الموسيقى ، وكانت هذه الحاسة أول مركز يأخذ فى

الترقى ، فيسمع الطفل الكلمات ويفهمها قبل آن يستطيع النطق على الوجه الاكمل .

كما أن الأغنية والنشيد يجعلان المدرسة مكانا مرغوبا فيه لدى الطفل ، فهما يُشعرانه بالجانب الجمالى الذى يجعله سعيدا ومتفائلا وبهذا يمكن للمدرسة آن تقوم بأداء وظيفتها على الوجه الامثل .

نستطيع آن نعلم الطفل المسلم عن طريق الاغنية الأشياء المفيدة فى الأكل ، نعلمه كيف يحافظ على صحته ، كيف يكون آمينا ، كيف ينظم وقته ، نعلمه مكارم الاخلاق وبهذا نخلق منه مواطنا صالحا ، متكامل الشخصية .

يتعلم الطفل من خلال الغناء الجماعى كيف يتعاون ويتعامل مع من حوله ، يتعلم كيف يذوب بشخصيته مع الجماعة فيتحدون حسيا ووجدانيا وفكريا وثقافيا ، ويتم بينهما التعارف والتالف والحب . كما يتعود الطفل من خلال الغناء الفردى الاعتماد على النفس والشعور بالمسئولية ، كما ان الغناء الوطنى يعطى للطفل الشعور بالانتماء للوطن فيزرع الحب فى نفسه ، فيتغنى بأمجاده ويعرف زعماءه وتاريخ بلاده .


ابن خلدون

ومن أهم أهداف الغناء التربوية للطفل ، معالجة بعض عيوب النطق والكلام عند الأطفال المتخلفين آو الخجولين ، مثل التهتهة واللجلجة والكلام المتأخر والكلام المضطرب والطمطمة (ابدال الطاء بالتاء) واللعثمة (عدم القدرة على نطق الحروف أو تكرار مقاطعها) والغمغمة (عدم تبيان مقاطع الحروف) وعدم تبيان الكلام ، على النحو الذى ورد فى كتاب «علاج الكلام» لحسين خضر

وهكذا وفى حالة الاختيار الموفق لأغانى الأطفال ، نستطيع أن نفيد الأسرة والمجتمع .

رابعا : الموسيقى والعلاج :

لقد أشار (أفلاطون) الى القوة العلاجية للأغنية ، كما اشار (فيثاغورث) إلى أنه يمكن استخدام الموسيقى كوسيلة لعلاج جنون الانسان ، كذلك يصف (جالينوس) أشهر عباقرة الطب الرومانى ، الموسيقى كترياق ضد سموم الأفاعى والعقارب ، كما أشار الفيلسوف العالم المسلم (ابن سينا) إلى أثر الموسيقى على الإنسان واستخدامها فى علاج المرضى .

«وقد استخدمت الموسيقى منذ فجر التاريخ لادخال البهجة والسرور على النفس بازالة حالة حزن أو توتر نفسى تكون هى أصل العلة النفسية ،

كذلك تبعد الموسيقى المرء عن وساوسه أو اعتقاداته المرضية الخاطئة إذا ما شغل بها وتفرغ للاستماع إلى أنغامها . كما استخدم الفراعنة الموسيقى فى تهدئة النفوس فى أثناء الجراحات ... وفى العصور الوسطى لجأ إليها المغنون والمنشدون لتهدئة نفوس الناس فى أوقات الطاعون وانتشار الأوبئة القتالة . وجدير بالذكر أن دخول الموسيقى فى عالم الطب ، وتوظيف أنغامها فى علاج أمراض كثيرة نفسية وجسدية يعتبر من السمات البارزة لعصرنا الحديث حيث يقول (فولتير) :

«إن الهدف من الذهاب إلى الأوبرا هو مساعدة الهضم» .

فالمعدة تعمل بموجات ايقاعية تسمى التقلصات الدودية ، وهى أبطأ بكثير من ضربات القلب ، ومع ذلك فـ (شوجرمان) يقول إنها يجوز أن تتأثر بالإيقاعات الموسيقية ، فالموسيقى الهادئة تثير عواطف سارة تساعد على تنشيط الافرازات الهضمية .

وكما استخدمت الموسيقى كعنصر ترفيهى أثناء فترات الراحة والفراغ ، دخلت أيضا إلى أماكن العمل لزيادة الإنتاج لأنها تساعد على التخفيف من التوتر والملل والاجهاد المصاحب لهذه الأعمال .

● المبحث الثانى : تأثير السماع من خلال مقدمة ابن خلدون

وقد تحدث ابن خلدون فى مقدمته فى الفصل الخامس والثلاثين عن تأثير السماع ، قائلا :

«إن النفس عند سماع النغم والأصوات يدركها الفرح والطرب بلا شك ، فيصيب مزاج الروح نشوة يستسهل بها الصعب .... ولذلك تتخذ العجم فى مواطن حروبهم الآلات الموسيقية ..... ويغنون فيحركون نفوس الشجعان ... ولقد رأينا فى حروب العرب من يتغنى أمام الموكب بالشعر ويطرب ... إلخ» .

وفى مكان آخر يقول " .. لما خرج العزيز إلى فتح الشام كان معه خمسمائة من الأبواق" .

ومن أنواع الغناء التى عرفها عرب الجاهلية ، كان الغناء الحربى ، الذى كان على شكلين :

أولا : الارتجاز بالشعر

وكان يستخدم فى حالة التأهب لخوض المعركة ، وغالبا مايكون حوارا شعريا بين محاربين .

ثانيا : الأناشيد والأغانى الحماسية

وهى أغان جماعية الآداء ، يؤديها المحاربون ، أو يغنيها النسوة من ورائهم ، لبث روح الشجاعة والحماس فى المقاتلين .

الرجز :-

أن الرجز كان فوق مصاحبته للإنسان العربى فى خصوصيات حياته فى بيته وعمله وسفره ، إطارا للحماسة الحربية والفخر بالنفس أثناء القتال ... الرجز هو الايقاع الذى انصبت فيه هذه الأشعار ، أو فلنسمها الأغانى المرقصة ، فهو الوزن الأقدم للتعبير الشعرى الذى يصلح للصلة القدمى بين الأم ووليدها ، وهو ايقاع أو وزن يحفل بالحركة والنشاط والسرعة والحماسة .

فمن هذه الاشعار ما يرقص بها الذكر ومنها ما ترقص بها الأنثى ، فمن نماذج الأول قول أمنا التراثية :

ياحبذا ريح الولـــــد
ريح الخزامى فى البلـــد
أهكذا كـــل ولـــــد
أم لـم يلـد مثلـى أحـد

«وكان الملك الأشورى (شمس ادد) الأول ، المعاصر للملك البابلى حمورابى ، الذى حكم بلاد آشور قبل (٣٧٣٠ سنة من الآن) ، قد بعث برسالة لأحد عماله فى الأقاليم يطلب فيها منه تجنيد ثلاثة مغنين لمرافقة الحملة العسكرية الآشورية ، لكى يساهموا فى المعركة بتقديم الأغانى الحماسية واثارة حماس المحاربين الأشوريين" .

وهكذا ساهم الغناء منذ الممالك القديمة فى جميع جوانب حياة الإنسان . ثم تناول ابن خلدون قراءة القرآن الكريم ، حيث قال فى مقدمته :

"أنكر مالك رحمه الله تعالى القراءة بالتلحين وأجازها الشافعى رضى الله تعالى عنه ، وليس المراد تلحين الموسيقى الصناعى فانه لاينبغى أن يختلف فى خطره ، اذ صناعة الغناء مباينة للقرآن بكل وجه لأن القراءة والأداء يحتاجان الى مقدار من الصوت لتعيين أداء الحروف من حيث اتباع الحركات فى موضعها ومقدار المد عند من يطلقه أو يقصره ، وأمثال ذلك ، والتلحين ايضا يتعين له مقدار من الصوت لايتم إلا به من أجل التناسب الذى قلناه فى حقيقة التلحين ، واعتبار احدهما قد يخل بالآخر إذا تعرضا ، ... فلا يمكن اجتماع التلحين والآداء المعتبر فى القرآن بوجه وانما مرادهم التلحين البسيط الذى يهتدى اليه صاحب المضمار بطبعه كما قدمناه ، فيردد أصواته ترديدا على نسب يدركها العالم بالغناء وغيره ، ... لأن القرآن محل خشوع بذكر الموت وما بعده ، وليس مقام إلتذاذ بادراك الحسن من الآصوات ، وهكذا كانت قراءة الصحابة رضى الله عنهم كما فى أخبارهم .

وأما قوله صلى الله عليه وسلم ، لقد أوتى مزمارا من مزامير داوود ، فليس المراد به الترديد والتلحين ، إنما معناه حسن الصوت وأداء القراءة والابانة فى

مخارج الحروف والنطق بها .

موقف الإسلام من الغناء من خلال مخطوط (فرح الاسماع برخص السماع)

لاشك أن الغناء ظاهرة إنسانية واجتماعية ، يقوم بدور رئيسى فى تهذيب الذوق والأخلاق ، فهو شيء غريزى فطرى عريق بالنسبة للانسان الذى بدأ يقلد ماحوله من أصوات ، ثم اخترع الآلات الموسيقية ثم شارك بصوته مع الآلة التى صنعها .

وفى عصر صدر الإسلام حيث نشر الدين الحنيف وإقامة دولة الإسلام ، فكان من الطبيعى أن ينشغل الناس عن الموسيقى والغناء ، إلا أن الرسول ﷺ لم يبد أى اعتراض على أنواع الغناء مثل (الحداء) أو (النصب) وأغانى الأعياد والأعراس .

كما يجب أن نتذكر رعاية أشراف القوم لفن الموسيقى منذ خلافة عثمان ، والأثر الهام لأبناء الشعوب المفتوحة وتدفقهم على الحجاز ، فى اخصاب الغناء واثراء محتواه .

لقد احتل اللهو ركنا هاما فى حياة الناس منذ العصر الأموى ، حيث انصرف معظمهم إلى السماع واقتناء الجوارى والمغنيات إلى أن وصل العصر العباسى الذى صارت فيه الموسيقى موضوعا للدراسات الجادة .

تقسيم الإمام الغزالى للأصوات ، المسموعة .

القسم الأول : غناء الحجيج ولو مع الطبل والشاهين (مباح)
القسم الثانى : غناء للتحريض على الغزو والشجاعة (مباح)
القسم الثالث : ما ينشده الأبطال عند اللقاء (مباح)

ملحوظة :

لابد أن تكون الكلمات والألحان والأصوات والآلات قوية صارمة .
القسم الرابع : صوت النياحة ونغماتها .
أ - منها ماهو محمود مثل البكاء على الخطايا والذنوب
ب - منها ماهو مذموم مثل النياحة على الأموات .
القسم الخامس : السماع فى أوقات السرور مثل الأعياد والأعراس (مباح) .

القسم السادس : سماع المغترب المتشوق للعودة للوطن (مباح)
القسم السابع : من أحب الله سبحانه وتعالى واشتاق للقائه (التعبير الصوفى) (مباح)



شريكتى أنت

شعر: أحمد محمود مبارك

لما حجبت الرحيق المشتهى عنى
وأرهقتنى وعود غيمت ظنّى
لثمت كأساً مضيت العمر أنبذها
وكنت أنأى نفوراً إن دنت منى
أما سمعت ندائى والربى عطش
كى تنقذينى بالأنداء والمزن
شحت سماؤك والأنداء تملؤها
وضن قطرك لم يسعد به غصنى
تركتنى لكئوس الليل أرشفها
فأطفأت ومضات الفجر فى عينى
فلا تلومى اذا ما عمنى غَلَس
فالكأس مذ ذقتها لم تبتعد عنى
شريكتى أنت أطفأت الضياء معى
لمّا خنقت الهوى بالشح والمنّ
ماكان زهر الضيا يخبو على فننى
اذا سماؤك عند القيظ روّتنى
فلا تلومى اذا الأنغام بعد سنا
بدت بلون جبين الليل فى لحنى
شريكتى أنت جرّحتِ الرباب ولم
تشاركينى على أنّايهِ حزنى

• قراءة في رواية تنبأت بالانتفاضة •

سحر خليفة

سأطلق ضحكة وأفجر قنبلة

بقلم : فاروق عبد القادر

• السطور التالية ليست عن مجمل أعمال الروائية الفلسطينية سحر خليفة ، لكنها قراءة فى روايتها ذات الجزأين : "الصبار ، ١٩٧٨" و "عباد الشمس" ، ١٩٨٠" ، ولأنها تحاول أن تبقى داخل هذا الاطار فهى لا تقف بالتفصيل عند عمليها : الأول "لم نعد جوارى لكم ، ١٩٧٤" والأخير "مذكرات امرأة غير واقعية ، ١٩٨٦" ثم هى كذلك تصرف النظر عما حملته الأنباء أخيراً (انظر أسبوعية "اليوم السابع" فى ١٩٨٨/٦/١٣) من تطورات فى حياة الروائية الفلسطينية وابداعها ، أهم تلك التطورات روايتها الجديدة التى أعلنت عن الانتهاء من كتابتها بالانجليزية بعنوان "نساء الأرض الحرام WOMEN G IVOMAN'S LAND ، ثم قرارها بالانتقال من مدينتها ومدينة أبطال روايتها التى نعرض لها : نابلس فى الضفة الغربية ، لتقيم وتعمل في الأردن ، لأنها "لم تعد تحتمل البطالة ، خاصة بعد أن حصلت على الدكتوراه" كما جاء بالمصدر السابق .

ولعل الأهمية الأولى لهذه الرواية ذات الجزأين هى أنها تقدم لوحة بانورامية كثيرة التفاصيل للحياة فى كبرى مدن الضفة الغربية فى ظل الاحتلال الاسرائيلى . فالجزء الأول يبدأ بعد الاحتلال بخمس سنوات ، والثانى يبدأ بعده بست سنوات أخرى ، أى أن أحداثه تدور فى ٧٨ / ١٩٧٩ . وعلى نحو من الانحاء يمكن القول بأن صورة الحياة كما تقدمها الروائية فى عملها كله تجعل انبثاق الانتفاضة التى يشهدها الآن جسد فلسطين كله : أرض الاحتلال الجديد (٦٧) و القديم (٤٨) على السواء ، أمراً طبيعياً ، نبع وتراكم على مهل من نسيج العلاقات القائمة بين مختلف فئات الشعب الفلسطينى : عماله وفلاحيه ومثقفيه ، نسائه ورجاله ، كهوله وشبابه وفتيانه ، من جانب ، والوجود الاسرائيلى الثقيل والرازح ، فى وجهيه المدنى والعسكرى ، من الجانب الآخر . هى انتفاضة أصحاب الأرض والحق والتاريخ والذكريات ضد مختلف صور القهر والبطش التى يلقونها فى سعيهم لتأمين خبزهم اليومى ، وحد أدنى من كبريائهم القومى والانسانى : فتصادر أراضيهم ، وتنسف بيوتهم ، ويلقى بأبنائهم وشبابهم فى السجون سنوات قد تطول بغير نهاية ، ويعاملهم الاسرائيليون - المدنيون منهم والعسكريون -



بصلف وتجبر، وليس لهم - في افضل الاحوال - غير مكانة مواطنى الدرجة الثالثة فبينهم وبين مواطنى الدرجة الأولى يقع الاسرائيليون ذوو الأصول العربية والشرقية .

وحين رجع أسامة الكرمى إلى نابلس بعد غيبة طالت خمس سنوات ، قضى أغلبها فى إحدى دول النفط حتى تخلصت منه "لأنه فلسطينى" (بعبارة أخرى : إنه مقبول من حيث هو قوة عمل فقط ، أما قوة محتملة للثورة ، فهذا شيء آخر) ، ومن ثم عرف طريقه الى الجزائر وسوريا ، حيث تدرب ، وعاد محترفاً وملتزماً ، فوجيء بالواقع الذى خلقته سنوات الاحتلال ، وأهم وجوهه أن عمال الضفة قد تخلوا عن أرضهم وأعمالهم ، واتجهوا غرباً للعمل فى مصانع اسرائيل ، بين هؤلاء قريبه ومعلمه قبل الخروج : عادل الكرمى ، ترك المزرعة وذهب يعمل مع العاملين ، يقول لاسامة فى لقائهما الأول : "للصورة أكثر من بعد واحد" ، ويظل الخلاف بين الرؤيتين قائما يبقى على الرواية تماسكها من مونولوجات أسامة وأحاديثه المتناثرة يمكن أجمال رؤيته : الأرض جنة أحالها الاحتلال الاسرائيلى والرضوخ الفلسطينى الذليل الى قمقم - الفلسطينيون يدخنون السجائر الاسرائيلية ، ويلبسون الثياب الاسرائيلية ، ويأكلون خبزاً عليه لغة العدو - السلم الطبقى مال وشبع كل الناس ، لكن الاحتلال مازال احتلالاً ، والكرامة المسحوقة مازالت ملغاة - هذه المنطقة الواقعة بين النهر وشريط العدو أصبحت خطرا على الوعى الثورى فى المنطقة - هذا الشعب يهزمنى أكثر من اسرائيل .. احتلال هذا أم انحلال ؟

بالمقابل حين يسأل أسامة أين الصمود ؟ يأتيه الجواب من عمال الضفة الذين قبضوا ثمنه . وحين يوجه لهم اتهامه الجارح اشتروكم ، وغسلوا أدمغتكم بالأكاذيب والليرات ، يأتيه جواب عادل نحن نتمغص وأنتم تتمخضون ، وتعيروننا بعدم الولادة .. ماذا نلد ؟ هل لقحنا النهر المقدس ولم نلد ؟ .. وفى سياق آخر يلقى عادل فى وجهه ببعض الحقيقة : عن أى ناس تتكلم ؟ عن المغتربين فى الكويت والظهران ودول الخليج ؟ دع هؤلاء يساهمون فى تصنيع الضفة والقطاع فنترك العمل هناك فوراً ، ولكنهم لن يفعلوا .. لأن أى واحد منهم لن يجازف ببعض ماله ، ويريدون منا أن نتحمل عبء المجازفات والتضحيات بكل شيء وحدنا ..

وتتلاحم الخيوط الطبقية بالوطنية فى نسيج التناقضات الذى يكسو وجه الحياة فى ظل الاحتلال ، فعادل الكرمى قد سبقه عماله فى المزرعة الى العمل فى المصانع الاسرائيلية ، وبلسانهم ينطق الشيخ العجوز حارس البيارة الذى يرفض التعرف على هذا العائد من بلاد النفط بعد أن طردته ، يقول له : « أنا ياسيدى أجير .. طول عمرى كنت أجير .. وابنى كان أجيراً كذلك ولم يزل .. لما متنا من الجوع ماحدش سأل عنا .. والساعة بقيتوا تسألوا عناليش ؟»

وهذا العامل يتحدث عن صاحب العمل الذى استغل البطالة المتفشية بعد الاحتلال ليطلب من عماله العمل بنصف الأجر ، أما النصف الثانى فهو خدمة وطنية .. "قلت له : طيب الخدمة الوطنية على وبس ؟ .. وانت ؟ .. رميت الأجرة المخسوفة فى وجهه وقلت له .

خد . بكرة أنا نازل هناك .. قال لى : علموكم العمالة والسفالة .. قلت له : ماحدش سبقنا عليهم غيركم .. وكالة الشركة اللى عندك إيش بتسميها ؟ .. خدمة وطنية ؟ ..»

وحين يستجيبون للضرورة ويعملون فى «كرخاناتهم» كما يقول زهدى - سيأتى الحديث عنه حالاً - فأول ما يواجههم هو التفرقة الحادة ، التى تمتد لكل شىء ، بين العاملين العرب واليهود .. والفرق شاسع بين محمد وكوهين ، الشغلة الثقيلة لمحمد ، والخفيفة لكوهين .. «ليس هذا فقط ، بل ثمة تفرقة أخرى بين العرب الذين يعملون بشكل رسمى ، وأولئك الذين يعملون «تهريب» ، لكن الجميع لا حقوق لهم ، وكلمة «عرافيم» تشملهم دون تمييز ، وهى تعنى - فى قاموس زهدى الذى يعرفهم حق المعرفة - «أنك لص قذر ، وخنزير ابن قواد ! ..» .

إنما لهذا لا يصدق زهدى - العامل البسيط الأمى الذى خرج للعمل ثم عاد لأنه لم يحتمل الغربة - ما يقول به عادل من أن العمال العرب واليهود إنما هم - معا - ضحايا فئة قليلة تستغلهم لصالحها ، وهو يقول لنفسه عن العمال الاسرائيليين : «أصحيح أنهم مظلومون مثله ؟ .. وأنهم ليسوا أكثر من أدوات تستغلها أطماع فئة صغيرة ؟ ولكنهم ساعة الحرب يلبسون خوذاتهم ويحملون الرشاشات ويطلقون الرصاص ويقتلون ..» تلك حقيقة صلبة يعمل اليها زهدى ، وحقيقة أخرى مرتبطة بها . انهم - العمال الاسرائيليين - مميزون - «أقل واحد منهم يقبض ضعف ما يقبض أى عامل عربى مهما بلغ من كفاءة واجتهاد .. يقبضون بدل مواصلات وبدل غلاء وبدل .. وبدل .. ويتمتعون بفوائد التأمين الاجتماعى وتأمين العجز والشيخوخة وما الى ذلك ، كما أنهم ينتخبون أعضاء الكنيست ، ونحن لا كنيست لنا ولا جيش ولا حكومة ..»

لهذا كله لا يصدق زهدى ما يقول به عادل ، وما أن يقول له زميله شلومو عن «المخربين» إنهم «عرافيم ملو خلاخيم» (أى : عرب أقذار) حتى تمتد يده بالمفك الى رأسه «والتحم الفريقان فى معركة ضارية جنونية ، دون أن يتساءل اى واحد منهم عن سبب المعركة ..» ، ويعرف زهدى الطريق الى السجن ، ويصف نفسه بعد خروجه وصفا يوجز ما طرأ عليه من تطور : دخلت أونطجى ، وخرجت رفيقا . نعم . فى السجن أكمل زهدى رحلته ، اكتسب المعرفة التى تدعم انتماءه الطبقى ووعيه الصحيح .

بين عادل وأسامة يجد زهدى طريقه ، صقلته تجربة السجن وأنضجت وعيه وأسقطت من أمام عينيه كل حجب الزيف (ويلفت النظر فى أدب الأرض المحتلة بوجه عام الدور الذى تلعبه السجون فى تطوير وعى من يدخلها ، وتثبيت اقدامه فى الطريق الصحيح ، حتى أسميت «مدرسة الشعب» ، وحق لهم أن يعكسوا فى وصفها المثل السائر ليصبح . الداخل اليها مولود . والخارج مفقود !) ، وحين يخطط أسامة للهجوم على الباصات التى تقل العمال العرب الى اعمالهم فى اسرائيل . وتدور معركة بين جماعته الصغيرة وقوات الجيش الاسرائيلى ، فى هذه المعركة سرعان ما عرف زهدى طريقه الصحيح ، رغم أنه كان بين العمال ، ورغم أنه رأى وجه أسامة وتعرف عليه ، الا أنه لم يتردد لحظة الاشتباك : قتل جنديا اسرائيليا واستولى على رشاشه ، وراح يطلق النار فى الاتجاه الصحيح .

تنتهى «الصبار» بأن يلقى أسامة وزهدى مصرعهما ، وتنسف دار الكرمى لأن باسل - شقيق عادل الأصغر - كان من رفاق أسامة ، وحين ينسى عادل - عامدا متعمدا - الآلة التى تنقى دم أبيه ، فهو يحكم عليه بالموت ، ويبقى هذا هو التعبير الرمزى عن تحرره من سيطرة الضرورة ، والأب الذى يفرض مرضه وتسلطه

معا على الجميع ، ويبقى عادل هو الذى يحمل إمكانات التطور فى الجزء الثانى من مشروع سحر خليفة الروائى ، جنبا لجنب الأمل فى الجيل الفتى : جيل باسل ورفاقه ، وقد عرفت أقدامهم أول الطريق .

أروع صور المرأة الفلسطينية

كان مدهشا أن تغيب المرأة فى "الصبار" أو تكاد ، فنحن لا نرى سوى الأم التقليدية التى لا ترجو لابنها سوى أن يستقر وأن يتزوج ، وتحيطه بالبسملات والتبريكات إن بقى أو ذهب ، ثم "نوار" شقيقة عادل وباسل ، تأخذ من الأول تردده ، لكنها تقترب من الثانى فى تزويجها ، أما لينا ، شقيقة صالح ، التى يبدو أنها اجتازت الصراط الصعب بين الصورة التقليدية للمرأة من جانب ، والمرأة التى دخلت مجال العمل الثورى من الجانب الآخر ، فلا نكاد نسمع لها صوتاً !

فى "عباد الشمس" تقدم لنا سحر خليفة - هى المهمومة بقضية المرأة فى أول أعمالها وآخرها - أروع صور المرأة الفلسطينية التى تخرجها الضرورة الى الحياة والعمل ، فتعمل وتتعلم ، وتقودها الممارسة الى أن تنصهر - تدريجيا - فى بوتقة النضال الحتمى ضد المحتل القاهر ، وحين يتحطم حلمها الفردى بالخلاص تندفع الى الاتون ، وتدفع نحوه أبناءها ، مؤكدة بذلك جوهر وجودها ، ووفاءها للمعنى الحقيقى الذى من أجله قتل زوجها .

إن سعدية - أم حمادة وأرملة زهدى - تبتعد عن هاته النسوة الفارغات ، اللاهيات الثرثارات ، الموليات أردافهن للواقع بمن فيه ، هاربات الى أمريكا ، اللائى عرفناهن فى "لم نعد جوارى لكم" كانت مثل أية امرأة فلسطينية أمية - تعيش فى ظل الزوج ، ينحصر عالمها فى البيت والأطفال ، لكن قتل زهدى على أيدى الاسرائيليين دفع بها إلى ضرورة العمل ، فانكبت على ماكينات الخياطة ، ورتبت بيع ماتصنع فى تل أبيب ، ومن خلال العمل وعلاقاته ، وشيئاً فشيئاً ، تكتسب الثقة فى ذاتها وقدراتها ، ويرتفع صوتها الجديد حين يتطاول عليها أحدهم ، محاولاً فرض وصايته عليها لأنها حرمة : «أنا مش حرمة ، أنا مثلى مثلك ، أنت صاحب مصلحة وأنا صاحبة مصلحة ، وماحدا مسئول عنّى غير الله ونفسى .." لقد خرجت الى العالم الواسع لتواجه بما فيه من قسوة وعداء من جانب ، ومقاومة وانسحاق من جانب آخر ، وراحت - شيئاً فشيئاً - تفقد بكارتها الحياتية والثقافية حتى استوت - هى الأمية المحاصرة بالقيم الموروثة التى تحاصرها وتحد من عالمها حتى تكاد تختنق فيه - نموذجا رائعاً للمرأة العربية الساعية للتحرر ، دون أن تعرف التمزق بين رغبتها فى التحرر من سيطرة الرجل واثبات كيانها المستقل من ناحية ، ورغبتها للذوبان فى صدر الرجل ، من الناحية الأخرى ، على نحو ماتعانى رفيف ، ابنة القدس المعاصرة ، التى تعمل بالصحافة وتشتغل بالقضايا العامة ، لكنها تخوض اقسى معاركها مع ذاتها فى علاقتها بزميلها الشيوعى عادل الكرمى .

رفيف - فى ذات الوقت الذى تتقدم فيه سعدية نحو إدراك أن القهر الخاص لا ينفصل عن القهر العام ، ولا يزول إلا بزواله - تبقى مترددة خطاها دون أن تلقى بنفسها فى أتون الثورة ، تثقل خطاها أولاً رغبتها فى التمايز ، فهى لا تود أن تصبح - فى الثورة رقماً بين الأرقام - .. «ونظل أرقاما بغير عدد» .. والتاريخ يصهر الأرقام فى رقم واحد ؟ لا . إننى أرفض . أنا إنسانة لى خصوصيتى وما يميزنى .. أرفض أن أصهر فى بطن الحوت .. لن أجعل منه آلها - فقد كفرت بالآلهة منذ سنين ليس لها عدد .. وتثقل خطاها - ثانيا - تلك المخاوف - المبررة تاريخيا فى سياق هذا الواقع - حول المصير الذى ستلقاه المرأة المنغمسة فى أتون الثورة بعد انتصارها : ثم

سحر خليفة

.. ماذا يحل بنا ؟ ما حل بالمرأة الجزائرية بعد الاستقلال ؟ ناضلت وحملت السلاح وتعذبت فى السجون الفرنسية .. ثم ماذا ؟ خرجوا للنور وتركوها فى الظلمة ، وكأن الحرية مقصورة على الرجل وحده .. الحرية للرجل والاستقلال للرجل والصلاحيات للرجل ، ونحن ؟ المساندات للثورة حتى يتم التحرير ويتم الاستقلال ، لنا من كل هذا المجد زاوية المرأة ، ثم لنا بعد العشاء حديث آخر . وهذا عادل : المثقف الممزق ، يريدها امرأة ويريدها رجلاً ويريدها ثائرة ويريدها مثقفة ويريدها حمارة كذلك « يطالبنى بأن أكون وقوداً للثورة البردانة ، وأن أكون وقوداً لبروده ، وأن اكون وقودا لرأسه البارد » ..

ولا تكتفى رفيف بذلك ، بل هى تنظر لقضيتها ، وترتفع بها .. فى فصل كامل تفرده سحر خليفة بكرم وسخاء وتدفق ، فتلك هى قضيتها بامتياز ! ـ لأفق شامل ، وتروح تدلل على صدق وصحة ماقال به انجلز من أن المرأة هى "أمة الرجل المستعبد» .. أو هى "بروليتاريا الرجل" ، وتضرب الأمثلة بنصيب المرأة فى الثورات التى لم تكتمل : فى تركيا وفى الجزائر وفى ايران ، وتلقى ـ ببلاغة ـ فى وجوه الرجال مرافعة الادعاء : منذ بداية عصركم وأنا أعيش لغيرى ولا أعيش لنفسى ؛ طبخت فأكلتم ، زرعت فقطفتم ، حملت بذوركم فى بطنى وسقيتها غذاء عينى وأسنانى واشتداد عضلى ، وحين تتلقف ايديكم المولود يحمل اسمكم .. أفقد هويتى وشخصيتى فى مطابخكم ومعابدكم .. وتاجرتم بى شرعاً و بغير شرع ، حين انخمدت عيرتمونى بجهالتى ، وحين استفقت عيرتمونى بغضبتى ، وحين نهشت الغيرة قلبى عيرتمونى بالقصور والمحدودية ، وحين كشفت انفصامكم جارتم فى وجهى الوقت ليس وقتك . تجاوزى . لن اتجاوز ..

التى تتجاوز حقاً هى سعدية ، لا رفيف . فهى كانت تأمل فى الخلاص حين تهجر الحارة فى قاع نابلس ، وتبنى بيتها الخاص على قطعة الأرض التى اشترتها فى الجبل "بدم القلب ودم الأصابع وسهر الليالى ومشاوير الشركة .. بعرقى ودموعى ورملتى وسواد الليل ويتم الأطفال .. ولكن الأرض تصادر ، لتقيم اسرائيل عليها وفيما حولها مستوطنة جديدة ، وتصرخ سعدية : "كل الشقا جمعته بها الأرض .. راح الشقا وراحت الارض .. وأيقنت ـ مرة واحدة وللأبد ـ أين عدوها الحقيقى ، واستجمعت كل الخبرات التى عانتها لتعرف ، كذلك ، كيف تواجهه ، وتجمعت كل الخيوط ـ مثل أشعة الشمس فى بؤرة واحدة ـ لترسم المشهد البطولى الأخير : "وبدأت سعدية تضرب والنسوة تضرب حجارة ، حصى ، تراب ، شظايا زجاج ، صراخ النسوة ، ضرب وحجارة ومقاليع .. جموع وأصوات رصاص ، أفواه مفتوحة ، فتيان وفتيات يقفزون كالجن ، اشتعل الدم فى الجبهة واجتاح النسوة حماس عنيد .. تعثرت الاقدام وقفت سعدية لمحت «رشاد» يضرب من فتحة مقليعة ، من أعمق الأعماق صاحت : عليهم يارشاد .. عليهم ياولدى .. عليهم يا حبيبى يازهدى ! .

وتكاملت سعدية : جسراً انسانياً حياً بين افضل ما فى الماضى وأروع مايعد به المستقبل .

★★★

فى « الصبار » رأينا عادل الكرمى وقد ألجأته الضرورة للعمل فى المصانع الاسرائيلية ، وهو فى صفحاتها الاخيرة ـ ينبىء عن صحوة جديدة تشى باحتمال تحوره من عبودية الالة الكريهة ، وتردده بين الضرورة والاختيار ، ثم هو فى « عباد الشمس » صحفى يعمل بمجلة « البلاد » التى تصدر فى القدس ، لايزال على ولاء لافكاره

الاساسية كشيوعى ، ومن بينها ايمانه باهمية التحالف بين العناصر التقدمية والديمقراطية بين العرب والاسرائيليين ، وهو يتقدم للمجلة باقتراح اصدار ملحق بالعربية والعبرية ويغذى هذا التحالف ، ويصوغ مبرراته . « ان باستطاعتنا كسب ذوى الضمائر فى اسرائيل ، وباستطاعتنا - بل وهذه مسئوليتنا - ان نعمل على زيادة نسبة الوعى وايقاظ روح العدالة فى الجانب الاخر .. وقد يتطلب الامر جهدا كبيرا ، وسنوات طوال ، لكن حلم الدولة الفلسطينية العلمانية لن يصبح حقيقة مالم يصل الشعبان الى نسبة كبيرة من الوعى ، والتعايش بين الشعبين لن يتم بشكل صحى مالم يبلغ الشعبان مرحلة النضج والاقناعات المشتركة وهذا لن يتم دون جهد كبير ونفس طويل . وحين يطرح هذا الموضوع للنقاش فى هيئة تحرير المجلة يتركز الحوار حول اليسار الاسرائيلى، مدى تاثر الشارع الاسرائيلى بطروحاته من جانب ، وتاثيره على النظام الاسرائيلى من الجانب الاخر ، ويدور الجدل طويلا ولايصل لشىء ، ويبقى القرار الاخير خاضعا لحسابات اخرى يجريها مدير المجلة وصاحبها .. حين يطلب التصريح لعبور الجسر الى الضفة الاخرى من النهر ، ثم يعود بما يدعم « الصمود » !

اما باسل الكرمى - وقد رأيناه فى « الصبار » مصدر التحدى لسلطة الاب القاهرة ، وخنوع الاخت والام ، وتردد عادل بين النقمة والضرورة - فقد قضى الفترة بين زمنى الجزء الاول والثانى فى السجن ، ثم خرج منه وقد اكتسب - الى جانب خبراته الثمينة ، والمعرفة التى تدعم وعيه الصحيح وتحميه - اسمه الجديد ، ابا العز ، ومنهجا جديدا فى النضال يستفيد من خبرات من سبقوه ، لكنه يضيف اليهما مايثريها ويغنيها ويكسبها افقا انسانيا رحبا ، وهو حين تحيره تناقضات واقعه ومجتمعه ، يطلق ضحكة ويفجر قنبلة ، ويصفه أخوه عادل فى خواطره فيحسن تقديمه ، « لقد عرف الشاب طريقه ، وقد لاتعدو المسالة صدفة ان تورق العائلة الذابلة برغما شديد الاخضرار كهذا وصدفة ان تتناسب عودة اسامة الى الضفة فى وقت تفتحت فيه روح الفتى واحلامه كتفتح الشمس والكبرياء ، وتلاءمت الظروف وخرج من الطفل العفريت الضاحك ابدا رجل يعتنق دين الارض ودين الشمس .»

باسل الكرمى عشق فى السجن « الكتب واللون الاحمر » وخرج متحررا من شلل اخيه الاكبر عن الفعل فحين بدأ تحويل مزرعة الكرمى الى مستوطنة اسرائيلية جديدة لم يتردد باسل . « تيمموا انتم اما انا فغدا اتوضأ بالبترول لاشتعال بدون احتراق » .. ووجد تحققه الكامل لحظة الفعل . اشتدى ازمة تنفرجى ، وعدك وحدك عباد الشمس وسيدها ، اضرب فى القاع يا ابن الشمس اضرب .. اضرب .. معول ينبثق حريق .. معادن مصهورة وبراكين .. اضرب واهرب »..

وانطلقت قذيفة ، وانسكب اللحم على الارض ، وهددت مكبرات الصوت تعلن منع التجول ..

يفعل هذا دون ان يزايد او يصرخ او يتشنج او يقطع علاقاته بالتقدميين والديمقراطيين فى اسرائيل ، لكنه لايعول عليهم كثيرا كذلك ، القضية قضيته ، والهوية هويته هو : حملها عمرا ودهرا راى العالم منها ، ومنها سيراه العالم وحين اشتعلت نابلس وحوصرت ، لم يكن ثمة سبيل لدخولها الا فى سيارة خضرون اليهودى المصرى - الالمانى الذى ينتمى لحركة « السلام - الان » وشريك عادل فى مشروع الملحق مزدوج اللغة ، وتقدم الكاتبة صورة رمزية رائعة الدلالة الكل فى سيارة واحدة ، مهشمة الزجاج والمصباح ، والطريق مليئة بالحجارة والشظايا والحفر ..

عند مفترق الطرق طلب ابو العز من خضرون ان ينزله : لن احلم اكثر ، ساعود للقرية والناس ، قال له خضرون ان المئات فى

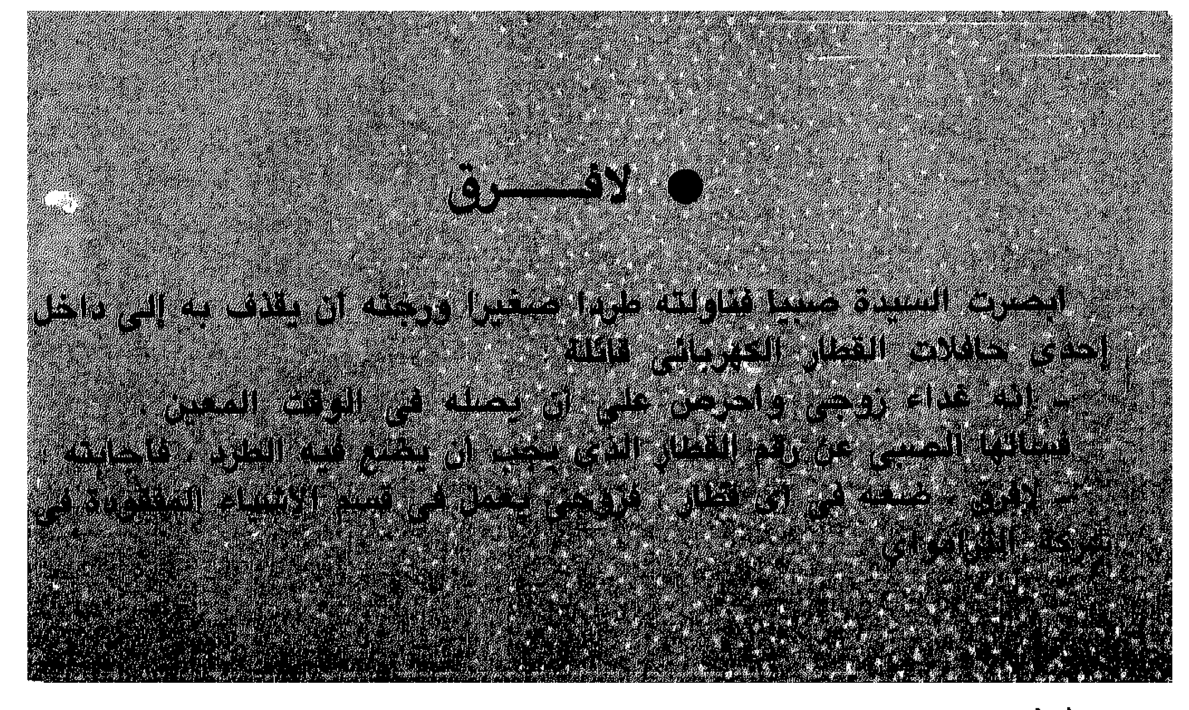
طريقهم الى القرية .

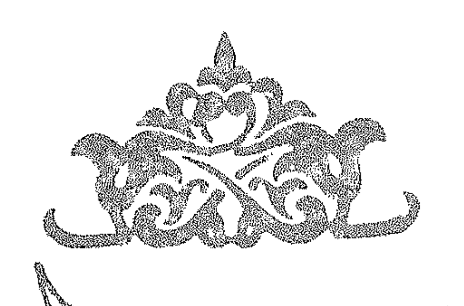
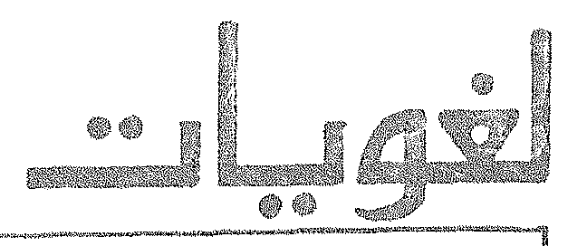
– من هم ؟ جماعات انصاف الحلول واللافتات ؟ انا لا اريد السلام – الان – انا اريد السلام الان – غدا وينزل باسل الكرمى ، ليواصل طريقه الى قلب الناس واللهب .

هذا هو الجيل الذى يشعل النار الان .. فى نابلس وطوكدم وجنين ورام الله – والقدس وغزة ، ومئات القرى باسماء وبغير اسماء على ارض فلسطين .

• • •

سواء بقيت سحر خليفة تعانى البطالة فى نابلس ، او عبرت الجسر الى الضفة الاخرى ، وسواء كتبت عملها التالى بالعربية او بالانجليزية ، فستبقى لروايتها تلك « الصبار – عباد الشمس » مكانتها المتميزة لا فى ابداع صاحبتها فحسب ، بل فى تيار الرواية العربية المعاصرة على العموم ، لا من حيث وجوه امتيازها الفنى – وهى عديدة – فحسب ، بل ومن حيث قيمتها كوثيقة تصور الحياة فى مدن الضفة تحت قهر الاحتلال الاسرائيلى ، وهى تثبت – بين ماتثبت – قدرة الادب الصادق ، لا على حسن رصد الواقع وتسجيله فحسب ، بل وعلى استقرائه والتنبؤ بمسار الاحداث فيه ويكفيها دليلا ان المشهد الاخير الذى تنبأت به صاحبة « عباد الشمس » قد اصبح الان – ولشهور خلت – حياة كل يوم فى ارض الاحتلال الجديد والقديم على السواء فى فلسطين .



● تصف العامة الرجل الضعيف او البخيل أو الكسول بأنه « رخم » بكسر الراء والخاء ، و « الرخم » بفتح الراء وتشديدها وفتح الخاء نوع ضعيف من الطيور الجارحة يعجز عن مقاتلة النسور العظيمة ، ويكثر فى الشعر العربى تفضيل «النسر » على «الرخم » .. قال البحترى .

تغدو الكلاب ولافضلٌ يُعَدُّ لها
سوى الذى بان من نقص الخنازيرِ
قد قلتُ للرَّخَمِ المرذول مكسبها
خَسَّ الجدا فَقَعىِ إن شئت أو طيرى

أخذ المتنبى البيت الثاني فقال :

وَشَرُّ ما قنصته راحتى قَنَصٌ
شُهْبُ البزاة سَوَاءٌ فيه والرَّخَمُ

● فى كتاب النصوص للثانوية العامة يزعم مؤلفوه أن كلمة « الحشا » أى « الأحشاء » لايصح استعمالها فى الشعر لأن معناها «الأمعاء» وقد أخطأ مؤلفو الكتاب لأن المراد بالحشا والأحشاء ما فى داخل الجوف ، اى القلب او الفؤاد ، ولكن المؤلفين ظنوا أن المراد هو الأمعاء والمصران ، وذلك لعدم معرفتهم بأساليب الشعر العربى واللغة العربية .. قال المتنبى :

لاتعذل المشتاق فى اشوقه
حتى يكون حشاك فى أحشائه

أى حتى يكون قلبك فى قلبه ، فتشعر مثل شعوره ، ولم يقصد المتبنى طبعا أن يقول : « حتى تكون أمعاؤك فى أمعائه » كما يظن مؤلفو كتب الثانوية العامة الفضلاء ! »

● وقال البحترى :

فكأنما ضمنت معالمها الذى
ضمنته أحشاءُ المحب الموجعِ

فجعل الاحشاء ـ اى القلب أو الكبد ـ موضع الحب ..

بهاء طاهر وعالمه الخاص

بقلم: عبدالرحمن أبو عوف

لان ابسط مبادىء تقصى عناصر خصوصية وابعاد وجوهر العالم الروائى عند (بهاء طاهر) هو الوقوف طويلا عند السمات النفسية والاخلاقية والفكرية والسلوكية (للانا الراوى) الذى هو قاسم مشترك فى معظم رواياته وقصصه ، وما يهمنا تحليله وتقييمه هنا هو الكشف عن قناع هوية هذا (الانا) الفكرية والجمالية فى رواياته (قالت ضحى) و (شرق النخيل) والقصة القصيرة الطويلة (بالامس حلمت بك) وبعض قصص مجموعته الاولى (الخطوبه) .

ولكن قبل القبض على هذا الخيط فى السرد الروائى ، وبتعمق المفردات الجمالية لاستخدامات (الانا الراوية) هنا فسوف نجده غير راوية الرواية التقليدية الواقعية النقدية المستوفية الشروط الاجتماعية والسيكولوجية أقصد الراوية المتاله ، الذى يعرف كل شىءعن حياة وافكار وسلوكيات الشخصيات الاخرى ، ويوقع القارىء فى وهم كاذب لانه يستحيل ان يعايش الراوية الشخصيات الاخرى ٢٤ ساعة فى اليوم .

● ان عملية السرد الروائي هنا تشبه سيمفونية متعددة الالحان متناغمة ، ولكن انسا نسقها الهارموني ، وتداخل وتقاطع الالحان . ليقدم الحديث بتعدد جوانبه وأستدارته ، وتفاعل الشخصيات معه في ايقاع درامي متصاعد ، عبره تتلمس بانوراما الموضوع الروائي المتشابه الذى نراه بثراء الواقعية الرحبة الممزوجة بشجن رومانسي في روايتي (قالت ضحى) و شرخ النخيل) .

والامر يقتضي فحص مدى الصدق الموضوعي والفنى للبعد البانورامي للاحداث والشخصيات التى قدمها لسيرة ثورة ١٩٥٢ وفهم اسهامات (بهاء طاهر) التى تكشف تتابعها ونشرها في سنوات ٨٤ - ٨٥ وسط كتاب جيله الذين لم يكتفوا بالفرجة على الصراع الاجتماعي والسياسى ، ونالهم قسط من التأزم والاحباط الوجودى والمغرق فى الغربة ، بل خاضوا اتون عملية التمرد السياسى والاجتماعى الى اخر مدى فى الصدام مع السلطة والتكوين السياسى والاجتماعى الذى شكل مرحلتى عبد الناصر والسادات ، ونوعية كل منهما وتوجيهات الثورة فى مدها الوطنى والاجتماعى ثم انحسارها وانقلابها على التوجهات الوطنية والاجتماعية التقدمية .

اولا : تقصى هوية السمات العقلية والنفسية والمزاجية للراوية عند (بهاء طاهر) .

فى تحولاتها : —

بتحليل واستنطاق ابداعه القصصى والروائى سوف نلتقى بتشكلات ومكونات الراوية فى المجموعة الاولى الخجولة (الخطوبة) التى اصدرها للكاتب وهذا امر مثير للغرابة (رشاد



بهاء طاهر

رشدى) فى سلسلة مجلة (الحديد) سنة ١٩٧٢ (اشرس مجلات اليمين انذاك) بعد وفاة عبد الناصر وبداية الطفح الثقافى .

وفى قصة (المظاهرة) بالذات والتى اعتقد انها انتشرت وللغرابة قبل جمعها فى المجموعة فى مجلة (الكتاب) سنة ١٩٦٤ (مجلة اليسار الناصرى انذاك) اننا نتعمد تقصى التواريخ وذلك للدلالة السياسية لموقف الكاتب والتى سنحصل عليها فى النهاية كنتيجة وطرح للتحليل الجدلى لاعماله

ان (الراوية) فى قصة المظاهرة) وهذه هى اول سمات الراوية التى ستتكرر بشكل انضج فيما يأتى من أعمال لاحقة ، هذا (الراوية) ليس هيئة محددة بالبطاقة الشخصية او اللبس أو الشكل أو الاسم أو العنوان مجرد اشارات قليلة وبخيلة نلتقطها اثناء سرده لنوعية حياته ونمط سلوكياته واختباراته او تفاعلاته مع

بهاء طاهر وعالمه الخاص

الاحداث التي غالبا ما تصطدم به وتفرض عليه اكثر مما يصفها .

الراوية هنا في قصة (المظاهرة) يبدو موظفا شابا عزبا مصابا بتورم ذاتي واحساس وجودي ساذج ، فهو دائما يرفض روتين حياته الاسرية والاجتماعية ، انه يرفض رغبة امه في زيارة اخيه الكبير ، يأكل مالا يحب لا يرتبط بموعد للعودة الى المنزل ، رغم ذلك يخرج ويزور اخاه الكبير ويتشاجر معه حول رغبته في بيع ميراث ابيه ،ويتركه وهو لا يدري من (اين جاء والى اين يذهب) فلا يجد لقتل الوقت بعد جهد التسكع واللامبالاة الا الدخول لظلام السينما حفلة الساعة الثالثة ظهرا (رمز واضح طبعا) وطبعا سيجد في السينما حفلة الساعة الثالثة ظهرا جارة له وحيدة ، ومن اول نظرة يجدها تبادله نظرات فاحصة ، نظرات امرأة في الاربعين جميلة ... الخ تدخن بشراهة ، موضوع الفيلم فرقة جنود محاصره ، والقائد يرفض ان يستسلم واثناء الفيلم تتلامس السيقان بين (الراوية) والمرأة ، ويحدث جس نبض فتتلامس الاذرع في استجابة صامتة ، فيتم التفاهم حتى نصل للذروة حتى (تقبض يد المرأة في تشنج وشبق على يده في ظلام السينما) لقد تم التعارف الصامت يتدخل مع نماذج واحداث الفيلم وطبعا يعلق بعض المتفرجين من الرجال على هذا الوضع بين (الراوية) والمرأة بالفاظ تجرح حساسية المرأة ، مما يدفعها لمغادرة السينما ، ولاحظ انها تبكي ، لمجرد ان الرجل المتفرج علق قائلا (هذا فيلم جنسي ممنوع لاقل من خمسين سنة) انها متضخمة الاحساس بعمرها ويلتقط (الراوية) هذا الخيط ، ويبدأ في مغازلتها ، واشعارها انها صغيرة وجميلة ، لقد استكانت له على الفور عبر سيرهما في الطريق ، وغرقا في حديث عرف منه انها عاشت فيباريس فترة كانت تدرس (سوف نلاحظ ان المرأة التي يرتبط بها الرواية دائما من النساء التي لهن تجربة في خارج مصر) سيتضح ذلك في اخر اعماله و (قالت ضحى) بل انه يتعرف على فتاة اوربية في قصة (بالامس حلمت بك) اخذته الى احد مشارب الشاي الهادئة حدثته عن ممارستها لفن الرسم ، وزواجها وتركها لزوجها وسألته : (لماذا انت حزين ، عبر هذه الثرثرة التي تتورم على حساب السرد القصصي وتطور الحدث المبهم ، نتعرف على اكتئاب واختناق وملالة حياة (الراوية) ونتيجة الثرثرة لمناقشة (معنى الحب) ولا تتعدى المناقشة بديهة الرومانسية المعتدلة الساذجة في علاقة الرجل بالمرأة ، ثم تتحول الثرثرة الى البحث عن (معنى للحياة) ان المرأة عملية اكثر من هذه الازمة الهشة المصطنعة التي يعيشها (الراوية) فهي تدرك قصدها منه (امرأة تصيدت شابا متأزما من ظلام صالة السينما) فهي تعرف النهاية الطبيعية ، أما هو فيهرب محاولا اقناعنا بانه ليس مجرد صيد بسيط لمرأة مجربة ، لقد هرول في الطريق مندفعا الى المكان حتى اصطدم بتجمع من الناس واصوات ، وموسيقى وزحام ، فاوقف شخصا ،

وسأله ـ ما الخبر ؟
رد عليه : اخذنا الكأس ٠
لقد خرج من وحدته وانغمس يرقب تحركات هدير التجمع البشرى
ونصل (الى حقيقة هوية وازمة الراوية التى ستشكل الاساس لموقفه كما قلنا فى بداية الدراسة لتحولات وجدلية صراع العملية الاجتماعية والسياسية لثورة ١٩٥٢) ٠
نعود لجوهر هذا الحوار من القصة ٠

وبينما كنت اتابع المظاهرة وانا اسير على الرصيف هجم رجل قصير يرتدى قميصا ازرق وامسكنى من ذراعى وهو يقول متذمرا :ـ
ـ السب معنا ؟
ـ بالطبع انا معكم (لم اكن فى حياتى شاهدت مباراة) قال فى شك لا يبدو عليك الحماس ٠
ـ بل انا متحمس ، خمسة لواحد : تصور ٠

وعلى الفور غرق (الراوية) فى الانتماء الى المظاهرة متحمسا مع هدير الناس حتى افاق على رائحة النشادر النفاذة تملا جوفه كله ـ وسيق الى القسم بتهمة التجمهر ليلا ٠

تلك هى الرؤية المصطنعة لازمة البحث عن انتماء فى مرحلة ١٩٦٤ ، عبر عنها (بهاء طاهر) ، وما يهمنى، هو المصداقية مع لحظة الزمنية التاريخية ، وجوهر ازمة كتاب جيل الستينيات الذى احدث فى القصة القصيرة ثورة فى المبنى والمعنى وشارك فى تشكيل متسق هذه الرؤية التى درسناها وتابعناها نقديا ٠

وفى رواية (قالت ضحى) يضعنا (الراوية) فى حضور اطار (الزمنية التاريخية السياسية للحدث الرئيسى) هو الموظف المثقف فى احدى ادارات هامشية فى وزارة غير محددة ، موقعها الجغرافى امام بورصة الاوراق المالية صباح يوم صيفى فى (اول الستينيات فى اليوم الذى تلا التأميم) وفى حوار له دلالة بينه وبين زميلته (ضحى) تعرف انها من الاسر التى اصابها قرار التأميم ويظهر (سيد) فى خيوط السرد الروائى كمنادى للسيارات كسدت بضاعته بعد اغلاق البورصة ٠

ان (ضحى) رغم تأميم الارض وبطالة زوجها ابن الارستقراطية ، تتقبل بأفق واسع ووعى متجاوز ما حدث لها (فامثالهم فى اوربا المتقدمة ذبحوا امثالنا ايام الثورة الفرنسية والروسية) ، ويجيب (الراوية) محددا موقفه الباهت من (الثورة) الذى يخفى اعماقا ستتكشف فيما بعد (لايهم ان اكون معها او ضدها ، انا مجرد موظف لا افهم كثيرا فى السياسة ، ولا اريد ان افهم) ويردد فى نفس الوقت بينه وبين نفسه (لم اقل لها ان السياسة كانت ذات يوم ماكلى ومشربى ، كنت انا نفسى قد نسيت ذلك) فتجيبه ضحى بتحديد اعمق يكشف عن سمات شخصيتها (لايضيع الدنيا الذين مع او الذين ضد ولكن يضيعها المتفرجون) ٠

الخيط الذى نلتقطه (ان سيد منادى السيارات) طلب من (الرواية) ان يبحث له عن وظيفة فى الوزارة ، فلم يجد الا زميله الناجح وظيفيا (حاتم) وبالتداعى نعلم ان كلا من (حاتم) و (الراوية) زملاء قدامى ، كانا يعملان بالسياسة فى (اى اتجاه لا تعرف) و (لن تعرف حتى نهاية الرواية) اللهم من استنطاق مصداقية الرؤية للتحولات السياسية للثورة (لقد اشتركا معا فى تظاهرة) فى

بهاء طاهر وعالمه الخاص

ميدان الاسماعيلية الذى صـــــار (التحرير) فيما بعد ضد معسكر الانجليز لعله (يقصد تظاهرات ١٩٤٦) وهذا أمر له دلالة ، فى تحديد الزمنية التاريخية لاندلاع وتصاعد الذروة فى الثورة الوطنية الديمقراطيـة التى شاركت فيها كل الاتجاهات المعبـرة عن جدل العملية الاجتماعية وصراع الطبقات وتوحدها ضد الاحتـــلال والقصر وكان ابرزها تعبيـــرا عن المتطلبات السلبية والاقتصادية برنامج (لجنة الطلبة والعمال) التى قـامت انتفاضات ٤٦ ، ٤٨ واسقطت معاهدة صدقى ــ بيفن ٠

● مصداقية بهاء طاهر ●

وعلى ضوء هذا المقياس التـاريخى والسياسى ، سنجد الـــذى نفذ بعض عناصر برنامج لجنة الطلبة والعمـال هو ثورة ١٩٥٢ ولكن بتحويل جهـــاز القمع وهو الجيش الى الانقلاب على القصر والانجليز ولو اســـتقصينا الانتماءات الفكرية والسياسية لقيادة تنظيم الضباط الاحرار لوجدنــاها لا تتجاوز برنامج لجنة الطلبة والعمال ان لم يكن بعضهم متخلفا عنهـــا وتلتقط من هذا التحليل السياســى مدى مصداقية (بهاء طاهر) عـــلى لسان (الراوية) فى (رواية قـالت ضحى) عند ما تختلط اوراق الزمنية التاريخية لسن ووعى (الرواية) فى انه كان هو وزميله (حاتم) من أعضاء هذه التظاهرات وكانوا نوارا من اى اتجاه لا نعلم ٠

نعود لتحليل الرواية ، يؤكـــــد (الراوية) ولم ندخل انا وحــــاتم اى حزب ولكنه بعد الثورة ، وكنـــا قد توظفنا ، داخل (هيئة التحرير) ولم أعد انا أهتـــم بأية سياســـــة اذن (فالراوية) مجرد وطنى كالمـــــاء والهواء ليس له انتماء محدد ، أمـــا (حاتم) فشخص انتهازى ســـرعان ما التحق بتنظيمات الثورة فى فتـرة يحدها البرجماتى عن تنظيمات بديلة للاحزاب الليبرالية واليسارية ، وكانت تتلاعب وقتها بتنظيمات الاخـــوان ، يحاول ان يقنعنا (بهاء طاهر) انـــه سيشهد من رؤية وموقف المتفرج الذى رفض الانتماء فنتساءل نحن بدورنـــا ان تجربة الكاتب ذى الوعى السياسى لابد ان تدرك انه بالرغم رفض قـوى وطنية عديدة الانخراط فى منظمـــة (هيئة التحرير) التى كانت بلا جدال تنظيما سلوطيا فاشيا لم يمنـــــع هذه القوى من النضال العنيف ضدها وحماية .خط الثـــورة الـــــوطنى من تطبيقاتها البرجمانية وهنــــا لا يجب رصد هذه الوضعية السياســـــــية والاجتماعية بهذه البساطة ، (فحاتم) شخص (انتهازى فى نظر الـــراوية) لانه دخل (هيئة التحرير) ولـــــذلك هو فى نفس الـــوقت وصــــولى فى الوظيفة ، وصل الى (وظيفة وكيـــل ادارة المســـــتخدمين) وســــــبقنى بدرجتين) بينما هو ظل راكــــدا فى وظيفة هامشية بالوزارة يحمــــــل حبا صامتا ، لزميلته (ضـــــحى) المرأة ــ النموذج للأستقراطية المصرية فهى تتقن عدة لغات ، مثقفة تقــــرأ رواية الازل لاندريه مالرو لها تعـدد فى جوانب شخصيتها ولها حضـــور غامض لعلها تحمل سرا دفينا ٠

ان (بهاء طاهر) يعطى لنفســـه صلاحيات يجب ان يناقش فى محاولته

التعبير والتحدث باسم الجيـــــل السياسى والادبى الذى وعى وبشـكل مبكر ازمة الديمقراطية ومفترق الطرق للثورة فى عام ١٩٥٤ ، هذا موضوع مازال مطروحا للفكر الســياسى والاجتماعى لتتابعيات وصيرورة ثورة عام ١٩٥٢ وتفاعلاتها وتقلباتهـــا واستمراريتها حتى الان فى مواجهـة ازمة اقتصادية وفـعسكرية وقومية ، وتوازننا بين القوى الكبرى واخطـــر مواجهاتها الاتية مـــع عدو سـياسى وحضارى هو الصهيونية .

لقد اقام ثنائية (سيتمتيرية) اوصد مصنوعة لنموذجين ، المناضل السياسى الذى ضعف لحظة التمرد واكتشف امام اجهزة القمع انه صغير بل ربما خائن وهو (الراوية) اما (حاتم) فنمـط للمتمرد قبل الثورة ثم المتسلق لـكل مؤسسات الثورة السياسية والوطنية من وجهـة النظر تلك سنرصــــد تفصيلات البانوراما الســياسية والاجتماعية للحياة المصـــرية فى مراحل الثورة غير هذه الزمنية .

ولكن هناك شخصية اخرى لهـــا اهميتها، بناها الكاتب بتخطيط وتصميم يقينى (بذكرنا ببناء شخصيات نجيب محفوظ بالمنظور الوضعى الاخـــلاقى البرجوازى) ليس فى بنائه حيـوية وتلقائية وتخلق ابعاد النمط الشخصية النموذج ، الرمز بمزاحهــا النقص وسماتها الحضارية ومبرراتصعودهما الطبقى والسياسى .

ان الراوية يبدأ تعريفنا على(سيد) بانه (صعيدى) (لماذا صـــعيدى بالذات) وبالتالى يقول حاتم وبضحكة صفراء (ضحكة الصياد) (ان سيد لديه حماس ثورى) اما - (ضحى) فتحاور (سيد) حول عمله بالقطـاع الخاص كمنادى سيارات طبقـــة (بورصة الاوراق المالية) ويعمل الان بالحكومة (حكومة الثورة) وفى هذا الحوار يتحـــدد الموقف الطبقى لكل منهما (فسيد ينسف اخلاقيات هـذه الطبقة التى لا تعرف الرحمة) فى حين يهز الراوية دعبا .

وخلال شهور بدأت الوزارة كلبسا تعرف (سيد) فهو قد حصـل على الاعدادية وترقى من فئة السـعاة الى فئة (الموظفين) (عين ملاحـــظ عمال) ، وبدأ يعى مطـــالب العمال فدخل فى معركة مع (حاتم) حول حقوق أجر العمال فى اجـازة (الجمعة) و (حاتم) مفزوع يتساءل (من ملأ رأسه بهذه الافكار) ويهدده بالفصل ولكنه يجتـاز هذه المعركة ، بصـلابة ويرقبه فى عطـف وشـفقة (الراوية) وهو يقول بحماس (كـل شىء قد تغير والبـلد الان أصـبح بلدنا ، الثورة جعلتها بلدنا اليس كذلك يا أستاذ ؟).

سيغادر (الراوية) مصر (هـو) و (ضحى) بعد ان تواصلا عاطفيا الى روما وستعود لما تم فى روما مـن أحداث مكثفة وكشـف عـن جـوانب جديدة فى شخصية (ضحى) كـذلك يتعرض الراوية لعديد من التجارب على المستوى الاعـلى فى روما ستوضـح أزمات حيـاته ، ولكننا الان نتـابع (سيد) وتطور حياته ونمو شخصيته.

عندما عاد (الراويـة) مـن روما محملا بالاشجان والاحبـاط والفجيعة فى حبه لهذه المرأة التى كانت تخفى أعمـاقا رهيبـة من الاسرار فـوجىء ، الراوية أن (سيد) ضـاعت رجله فى حرب اليمن ، ان سيد قـد ادرك بالمعـاناة الرهيبـة فى حـرب اليمـن حقائق جديدة لعـل أبرزهـــا (عندما هجم علينا رجال الامام بالليل وراحوا يضربون علينا بالنار من بيوت عالية فى الجبل كان هـناك فلاحون يقفـون

بهاء طاهر وعالمه الخاص

معنا بعضهم لم يكونوا يعرفون ضرب النار وكانت تلك هى بيوت كبراء البلد » ثم يكتشف من حارب من المصريين ومن تاجر كذلك يقول (أما رجال الامام فكان اول شيء عملوه حين نزلوا القرية هم انهم احرقوا المدرسة الخشبية التى بناها مهندسونا لصناديق الذخيرة) ·

ويغيب (سيد) فترة ويرجع من الحجاز وقد أصبح حاجا ، ويحاول بمناسبة الانتخابات الجديدة للاتحاد الاشتراكى بالوزارة أن يستفهم لماذا يرفض (الراوية) الاشتراك فيها فهو يثق فيه وفى رأيه ومستعد للتراجع لو علم سنه الحقيقية ، ولكن الراوية يتهرب وتتم الانتخابات وينجح (سيد) و (حاتم) ومعظم الناجحين ، كانوا من قائمة وكيل أول الوزارة ومن بينهم (عبد المجيد ، الزوج المنفر لاخت الراوية) التى بدأت هى أيضا تتكلم فى الاشتراكية بافتعال كزوجها ، مما جعل البيت جحيما بالنسبة (للرواية) الحائر المصدوم فى ابسط واهم داخلياته بعد فقدانه (ضحى) وموقفه السلبى الرافض للاتحاد الاشتراكى والثورة) ·

ان (سيد) فى رؤية الكاتب وعلى لسان الراوية هو نموذج ابن الشعب الفقير الذى ظل مؤمنا بالثورة غير انه بالممارسة يكتشف ما وراء الظاهر من تناقضات تخبره واكتشفها فى دفاعه عن أجور العمال ، ثم حرب اليمن وفى الاتحاد الاشتراكى وهو يعى بالممارسة أن (سلطان بك) وكيل الوزارة الاول ورئيس لجنة الاتحاد الاشتراكى بالوزارة هو رأس العصابة التى تضم (حاتم) وعبد المجيد زوج اخت (الراوية) غير ان الاخطر والذىاثار دهشة ورعب (الراوية) أن (ضحى) هى الطرف الاقوى فى العصابة وهى التى تتقاسم الرشاوى مع (سلطان بك)·

ونتساءل هنا ، أليست ساذجة رغم ما يحتمل واقعيتها أن يرمز (بهاء طاهر) للطبقة العاملة أو جماهير الشغيلة بنموذج انسانى ليس له أرضية طبقية محددة ، رجل بدأ حياته فى العمل منادى سيارات ، ثم ساعى ، ثم ملاحظ عمال ، ثم موظف كتابى ، تلك النماذج التى تتكون فى طريقة صعودها الاجتماعى سلوكيات انتهازية مع وعى ضبابى طبقى وبالممارسة تخدم هنا وهناك لقد أراد (بهاء طاهر) أن يصب ضلالة جماهير الثورة ، وتلاعب الثورة بمصيرهم فى نفس الوقت حتى أن (سيد) نفسه (فقد ساقه فى حرب اليمن) وهذا هو التبسيط الساذج ، لجدل عملية الصراع الطبقى فى سياق تحولات ثورة ١٩٥٢ ولعلها منطقية لو أخذنا الطرف الاخر ، وهو الراوية كنموذج للمثقف البرجوازى الصغير الذى اكتشف قدرته الثورية فى محنة بسيطة اثناء ازمة الديمقراطية فى١٩٥٤ وسيد نظرته من لحظتها على تحولات الثورة ومؤساساتها ، بمنطق المكتشف للعبة ، وفى نفس الوقت الشاهد المتفرج السلبى ·

لقد مارس (بهاء طاهر) انبهاره بتقاليد الراوية فى العالم الثالث قضية الشرق والغرب ، والمقاومة الحضارية من (عصفور من الشرق لتوفيق الحكيم وقنديل أم هاشم) ليحيى حقى ·

و (موسم الهجرة الى الشمال) للطيب صالح ، والحى اللاتينى لسهيل ادريس، لقد أراد أن يقرأ الشخصية المصرية وأحداث ثورة مصر والاحساس بها فى روما ، غير أنه وعلى لسان الراوية وبالتحديد ان التى اوردناها غرق فى تورمات الرومانسية الجديدة ، صفحات وصفحات من الوصف لاثار وتنسار الحضارة الرومانية والحدائق والميادين والتماثيل ، لقد استغرق فى نشوة حب (ضحى) وتمازجا حتى وصلا لمرحلة الجنس ، فقد وقعفى براثن امرأة مدربة ابنة الارستقراطية المصرية والتى لها خيوطها التى تكاد تصل للتعامل مع شبكات التجسس الصهيونى ، من خلال صديقة لها وهى التى تعمل بالمعهد الذى يدرس فيه (الراوية) و (ضحى) للدراسة ٠

والقارىء يتساءل ما هو المبرر الروائى لاستعراض ثقافة الكاتب بالاساطير ، واصداء التاريخ فى روما، ثم هذا الحوار والتقريرية الشاعرية التى خلط فيها بين شخصيتى (ضحى) و (اسيت) كيف يبرر لنا استخدام الاسطورة المصرية ايزيس وازوريس فى أبعاد معاصرة لقد سقط فى رمزية الرواية الواقعية المستوفية الشروط التى استنفدها (نجيب محفوظ) فى الرمز لمصر بامرأة فى عديد من رواياته ابرزها (ميرامار) و (الكرنك) ٠

وطبعا لا أنكر على (بهاء طاهر) امكاناته الثقافية ولكن الموضوع هو استخدامات هذه الامكانات الثقافية او تجربة التعرف على عوالم أخرى اللهم الا التورم والظن انه يتجاوز المكان والبيئة الطبقية التى صورتها الرواية المصرية اننا لسنا ضد تصوير الحدث والتشخصية فى الامتداد المكانى خاصة فى أوربا ولكن لابد من منطق يتسق الرواية هو الذى يحدد هذا وليس رغبة التعالى للكاتب ٠

لن نجد بعد تقصى هذه الاحداث ، والنماذج الا استطرادات مملة عن ضياع (الراوية) وغربته واقامته الدائمة فى الصفورة يلعب الطاولة والشطرنج ويمارس اللامبالاة والجنس فى زوايا الاماكن المعتمة كأحياء محيطة بالمدافن وخلال هذا الاملال الرومانسى فى وصف أزمة الراوية يتصاعد (سيد) حتى يصبح عضوا فى التنظيم الطليعى، ويكتشف وكر القمار الذى يديره زوج (ضحى) والذى يتردد عليه (حاتم) ٠

تلك هى رؤية (بهاء طاهر) لتناقضات ثورة ١٩٥٢ وتقلباتها بين اليمين واليسار فى مرحلة ما قبل هزيمة يونية ١٩٦٧ ٠

اننا لا نظلم بهاء طاهر ، فهو فى بناء وتشكيل ابداعه الروائى له مهاراته وأسلوبه وتصويره للحدث الدرامى وغنائيتهالشاعرية وتأثر السرد الروائى عنده بالموسيقى ، فالبناء سيمفونى ، وهناك اكثر من لحن يعزف بتنوعات متناغمة غير ان المهارات التشكيلية تتصدع لشحوب الرؤية ٠

من هذه الرؤية الباهتة الساذجة حاول ان يشهد على اضرابات الحركة الطلابية الشهيرة عام ١٩٧١ ، ١٩٧٢ حيث كتب عن اعتصامالطلاب فى ميدان التحرير (أمل دنقل) قصيدته المشهورة الكحكةالحجرية لقد حاولبهاء طاهر فى رواية (شرق النخيل) ان يشهد على هذه المرحلة من ثورة ١٩٥٢ ، ولكن هذا موضوع يستحق دراسة مستقلة لاننا سنجد نفس (الراوية) الفاقد الهوية الذى كان يعمل بالسياسة ويقرأ ثم قرر الصمت والعزف فى التآكل ٠



الشروق فى بلادى

شعر: سالم خقى

أشرق الصبح يارفاق .. فهيا
نجتلى الحسن فى المروج ندياً
موطن السحر ههنا فى بلادى
مصر فى باقة النجوم الثريا
جنة الأرض .. صاغها مبدع الحسن
فأعطى ماشاء فنا ووشيا
كل شىء ، تراه فيها .. قشيب
مسرف فى الجمال ! طلق المحيا

من تغيا يعيش فى كنف السحر
فطوباه ! .. ههنا مّا تغيا

انظروا الشمس حين تصحو عروسا
ترسل الشعر مخملا عسجديا !

فى سماء زرقاء .. صحو كقلب
ليس يحوى ضغينة .. أو غيا !

توقظ الكون بالشعاع المصفى
فيلبى .. نداءها الشاعريا !!

فتغنى الطيور فى موكب الأنوار
مرحى .. نشيدها الفطريا

وتميل الأغصان ترقص نشوى
ويهيم النسيم جذلا .. شذيا

يلثم الورد .. والسنابل لهفان
ويشكو .. غرامه العذريا! !

وخرير المياه فى الجدول الحالم
شوق .. ينساب لحنا شجيا

للضفاف الخضراء .. للنخلة السمرا
للنور .. سلسلا ذهبيا

وتخال الأنداء فوق خدود الزهر
دُرّاً .. ولؤلؤا .. وحليا ! !

نفحات .. تشيع فى النفس بشرا
وسلاما .. ورونقا قدسيا

أشرق الصبح فى سماء بلادى
فانهضوا .. نجتلى الشروق مليا

واملأوا القلب بهجة وصفاء
وابتغوا الخير والطريق السويا

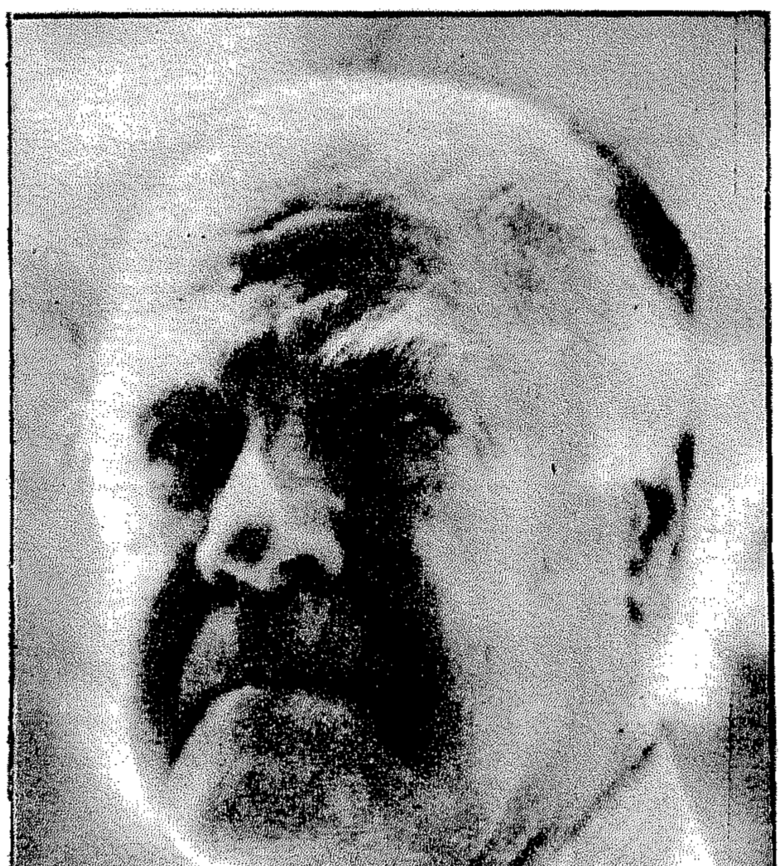
واسجدوا للبديع .. حمدا وشكرا
واذكروا الله .. بكرة وعشيا

الثابت والمتغير في لوحات صلاح طاهر

بقلم : محمود بقشيش

ان لوحات الفنان الكبير « صلاح طاهر » تكشف فى جملتها عن تداخلات وتناقضات اسلوبية تستوقف المتابع ، وأحيانا تثير دهشته ، لما فى أنتقالاته من مفاجات .. تبدو في الظاهر غير مبررة . ان تطوره لم يحدث فى صورة توالد مسلسل منطقي يمكن التكهن به . . بل جاء في شكل انقلاب عاصف على ماسبقه ، ورغم ذلك ــ وهذا هو المدهش ــ ابقى عليه .. ليتعايش النقيضان جنبا الى جنب .. بلا تواصل ! . وفى الوقت الذى تنوعت فيه لوحات مابعد الانقلاب ظلت ، واغلب الظن ستظل لوحات ماقبل الانقلاب ــ واعنى بها لوحات « البورتريه » او الصورة الشخصية ــ على ماهى عليه من التزام بالاصول التقليدية والقوالب المحفوظة .. رغم ادراكه ــ فيما اظن ان تلك القوالب لاتسعف بالكشف عن كوامن الشخصية المرسومه .

وهو لا يمارس المصالحة بين النقيضين الا عندما يكون منصرفا عن (النموذج / المقتنى للوحة) .. عندئذ تتألق لمساته وطريقته البارعة فى تحريك وحذف عجائب اللون كما فى لوحة بعنوان : « فلاحة » .. وهى فلاحة تنتمى الى خيال مبدعها اكثر من انتمائها الى الواقع . عيناها شديدتا الاتساع .. شديدتا الدهشة . وقفتها ساكنة . تذكر بوجوه الفيوم القبطية . تغطى بغطاء قوسى . معبدى . ويبدو أن الفنان لم



الثابت والمتغير في لوحات صلاح طاهر

يكن يريد لنا أن نستدرج الى ايحاءات الوقار والسكون فبث فى خطوطه المؤطرة اندفاعات حاسمة ، وملأ جسد المرأة باللمسات الجريئة • البارعة • المتنوعة • فاشاع نوعا من الحركة المحمومة وان حوصرت بالوضع السكونى • النحتى • للمرأة • قامت اللمسات بدور اخر هو الترجمة البصرية لعناصر المرأة ، فاللمسات تأخذ شكلا لولبيا مع جدائل الشعر ، ودائريا مع كتلتى الثديين ، وعريضا وممتدا مع الملاءة ، بل ان زخارف الفستان ومنديل الشعر وجدت من اللمسات ما عبر عنها •

على الرغم من تناقض هذه اللوحة أسلوبيا مع معظم لوحات «البورتريه» الاخرى له فانه لا يتناقض جوهريا معها •• بمعنى التمسك بنفس الاساس التكوينى والطابع السكونى والموقف التبريرى لعمل صورة شخصية ، أى خلق الملابسات الشكلية لالتقاط صورة (رسمية) •• يظهر فيها النموذج فى أحسن حالاته • وهو تصور ساد جيل « صلاح طاهر » من رسامى البورتريه أمثال « حسين بيكار » •• و « عز الدين حموده » • وجعل هذا التصور مهمة الكشف عن مكنون « النموذج » محفوفا بعوائق الاناقة الخارجية وحاجز الوقار والسكون •• غير أن « صلاح طاهر » كان أقل مبالغة من زميليه فى اغراق سطح اللوحة بما يستوقف العين من المشهيات •

ومهما كانت الاسباب الاجتماعية والاقتصادية التى جعلته يتمسك باسلوب بعينه مع موضوع « الصورة الشخصية » فان العودة الى الطبيعة بين الحين والحين ودراستها تصقل مهارات الفنان وتشحنه بالجديد من الزاد • وفى ظنى انه لكى نجسد أو نصف ما يعتمل فى نفوسنا من انفعالات علينا اولا أن نكون قادرين على وصف ما يدور امام عيوننا من اشكال •

● نقطة التحول

حتى عام ١٩٥٦ ـ أى قبل رحلته الى الولايات المتحدة الامريكية مباشرة ـ كان يدخل فى اطار الفنانين

الاكاديميين الذين يعدون الاسلوب « التأثرى » أقصى درجات ثوريتهم ، ولم يكن يشارك الجماعات الفنية التى عاصرها فى الاربعينيات طموحاتها فى تجديد ملامح الفن المصرى ، أو التمرد على القديم من القوالب الفنية ، أو الاعتـــراض على أوضاع سياســـية واجتماعية تدعو لذلك ٠٠ بل اتخذ دائما من المواقع الرسمية التى كلف بها معبرا الى توصيل الثقافة الفنية ٠ ولم يكن يحفل بالاسلوب الســـيريالى والاسلوب التجريدى الذى ظهر على أيدى جماعة « الفن والحرية » على وجه الخصـــوص ٠٠ ربما بسبب وجودها ـ أى الجماعة ـ فى موقف الضد من الثقافة الرسمية والسياسة الرسمية ٠

وبسبب الغزو السيريالى والتجريدى المرفوض كان يحتمى بعالم لوحـــاته الريفية ، التى كانت تتغنى بحـــياة ريفيين هـــانئين ٠٠ لا عـــلاقة لهم بالواقع ! ٠٠ ثم اعتنق ما سبق أن رفضه فى مدينة « بوسطن » بالولايات المتحدة الامريكية ٠٠ على الرغم من أن الفنـــانين الامريكيين كـــانوا مثل المصريين من حيث أنهـــم لم يبدعوا الاسلوب التجريدى بل نقلوه ! ٠٠ وهناك التقى بلوحة تجريدية لفنـــان مجهول ٠ فوجىء بفوزها بالجـــائزة الاولى ٠٠ فى معرض من المعـــارض السنوية الكبرى ٠ لقد أدرك هناك ـ فيما أظن ـ أن القيم الفنية ثابتة وان تبادلت مواقع التأثير والاهمية ، فقد يحفل اسلوب فنى بالقيمة اللونية أو الملمسية أو الضوئية الخ ٠٠ ويغلبها على بقية العناصر لتحقيق غرض تعبيرى أو تنظيرى ما ٠ جعلته تلك اللوحة التى نسى اسم مبدعها أن يستخلص حكمة ما ٠٠ وكانت الحـــكمة التى استخلصها هى ضرورة الانقلاب على نفسه ! ٠٠ وفى لقاء قريب معه أخبرنى بأنه ظل عاما كاملا مستغرقا فى انتاج اكثر اللوحـــات تطرفا فى التجريد ، غير انه حاســـب نفسه بقسوة فى نهـاية المدة ، فقد اكتشـــف أن كل ما انتج مستعار من لوحات الاخرين فقرر الاقلاع فترة عن التجـــريد ، واستلهام الطبيعة من جديد ٠٠ الى أن استقر على ثوابت شـــكلت فيما بينها ملامحه الاسلوبية الخاصة ٠

ملامح تجريديته

لو اتفقنا مع عدد من النقاد ومع الفنان نفسه فى وصف جزء من انتاجه بالتجريدى فأننا نلاحظ خلافا واضحا بين تجـــريدية « صـــلاح طاهر » والتجريدية الغربية ـ باعتبارها الاطار

الثابت والمتغير في لوحات صلاح طاهر

لوحات صلاح طاهر .. عين مثقفة ، ويد بالغة المهارة





احدى اللوحات الريفية .. فى ثياب سريالية

الثابت والمتغير
في لوحات صلاح طاهر

المرجعي لهذا الاسلوب · وأول نقاط الخلاف وأهمها بين التجريبيتين هي ان اسلوب « صلاح طاهر » لا ينفي بعض المشابهة مع الواقع المرئي ، ولا ينبذ التجسيم ··بل يتجه به احيانا الى أن يكون نحتيا · وابداعه يتسق مع التصور الرامي الى وصف الذاكرة المصرية للفن بأنها ذاكرة الاشكال المجسدة والواصفة للواقع ، والمائلة للبناء ، وتظهر تجلياتها في آثار الفن المصرى القديم والفن القبطى ومدرسة الاسكندرية ، ففى لوحة « موقعة حربية » والتى أنجزها عام ١٩٦٧ تلمح فيها ما ذكرته من خصائص فالعين لا تخطىء التعرف على أشكال السفن المتصادمة ·

كما نشاهد فيها استبقاء لاصول المنظر الواقعى تكوينا واحتراما للفضاء ، ويلمس المتلقى احترامه لاسس التصميم الكلاسيكى فى لوحاته التجريدية وغير التجريبية على السواء ·· بل أن بعض لوحاته تشبه تصميمات يمكن تطبيقها معماريا كما فى مجموعة بعنوان : (معبد) ··

وحتى عندما يصف لحنا موسيقيا فانه يقدمه مجسما · منحوتا · واضح المعالم · كما فى لوحة : (نغم ثلاثى) ان اللافت للنظر فى مرحلة ما بعد الانقلاب هو اتجاه اللون الى التقشف الشديد ، فاللوحة يسيطر عليها لون واحد يساعده لون آخر ·· ليس فقط للترميز أو الاقتصاد الاعلانى ولكن ــ فى تقديرى ــ للتركيز على القيمة الخطية ·

الحروف والكلمات

برر ارتفاع المد الاحتفالى لاستلهام جماليات الحروف العربية بين الفنانين العرب انتقاله الى عالم الحرف العربى · قدم ما لم يتناقض به ــ هذه المرة ــ مع اسلوب فنى سابق فلايزال ملتزما بمنهج الاقتصاد البليغ فى اللمسات · قد تصل عدد لمسات اللوحة الواحدة الى خمس لمسات ·· وربما أقل ، كما فى لوحة تعبر عن حرف الـ « ح » ، حيث رسم هذا الحرف بلمسة عاتية · متقنة وبارعة · يشبه قوساها موجة دوامية ·· تتسيد كل مسطح اللوحة · ولا ينبذ فى رحلته الجديدة ما تعلق به فى مرحلة ما قبل وما بعد الانقلاب : أعنى

التجسيم والاعتراف بالبعد الثالث ، والباس الحروف ايحــاءات بكيانات انسانية ومعمارية · اختار لتجربته الحروفية الجـديدة كلمة « هو » ·· يقول عنها انه قدم نحو ٤٠٠ تنويعة عليها ·

ان ما يتبدى فى حروفه يتسـق من أبرز الملامح فى تراثنا الفنى : اعنى عدم نبذ المشابهة فى الواقع المرئى ، والعناية بالبنائية ·· الى اخـر تلك الملامح التى ذكرتها فى سياق الحديث عن ابداعاته ·

ان لوحاته تجعلك تستشف منها ـ مهما كانت درجة اختلافك معه ـ عينا مثقفة ، ويدا بالغة المهــارة ·· فى تحريك عجينة اللون ، كما تستشف ايضا فنانا عاشقا لموسيقى الخطوط ·

قال لى : أحيانا اعود الى لوحة استلهمها من عمل موسيقى فاكتشف اننى نسيت تصـوير بعض التفعيلات الموسيقية فاضيف نغمة هنا او هناك ! واضــاف : لو لم أكن رســاما لكنت مؤلفا موســيقيا بغير شك ·· ولكنه القـدر ! ·

بطاقة تعريف

- ولد بالقاهرة عام ١٩١٢ ·
- تخــرج فى مدرســة الفنون الجميلة العليا عام ١٩٣٤ ·
- تولى مهمة الاشراف على مرسم كلية الفنون الجمـيلة بالاقصر عام ١٩٤٣ ولمدة عشر سنوات، واحتل عددا من المناصب منها :
- مدير المتاحــف الفنيه ومدير مكتب وزير الثقافة والارشــاد القومى ومدير الادارة العــامة للفنون الجميلة كما تولى ادارة دار الاوبرا واخيرا يعمــــل مستشارا فنيا لمؤسسة الاهرام ·
- قام بترجمة كتاب فى ظلال الفن بالاشتراك مع احمد يوسف ، كما قام بمراجعة ترجمة كتاب (حول الفن الحــديث) الذى ترجمه كمال الملاخ ·
- حصــل على جــائزة الدولة التقديرية عام ١٩٧٤ ·

أسرار السرو

قصة قصيرة :
بقلم : اعتدال عثمان

● فجر صيفى . اشجار السرو متأهبة فى تسامقها ، وكانها جند قد استدعاهم الليل فى نوبة صحيان . قاماتها مشدودة فى اهاب الظلمة . واطراف قممها الابرية حراب تخز كبد السماء ، ولا تسمح للريح ان تفلت اعنة الهبوب الرخى ، او تطلق نسائم الحياة فى هذا الفجر الكابى .

رائحة مفعمة بالسر تفوح فى اركان الكون وبالسماء غموض وابهام ونذر موقوتة ، تتوجس منها طيور متوفزة فى الاعالى .

وحتى الارض المنبسطة فى استواء وسكينة ابدية ، المنداحة فى آفاق ليلكية الزرقة ، بدت اليوم على خلاف حالها ، تتململ . يغلى باطنها بانصهار غير مرئى . تدمدم باصوات حبيسة تحت السطح تتكلم لغة قديمة كالازل ، حاضرة ابدا ، تظهر وكانها منسية او مخفية . لغة يعرفها اهل المكان ويحفظونها فى قلوب غويطة بلا قاع مثل الزمن . لكن ابدا لا تنطق بها الشفاه ، الا فى يوم مثل هذا ، صحت فيه ارضهم على شقوق العطش . تتسع الشقوق مثل الجراح ، وهم على انتظار صبور لفيض غزير مؤجل ، يغمر الارض ، فتلتئم منها الشقوق الجراح ، قبل ان تجار فتمسوق الاحزان والخيبات الدفينة المترسبة .

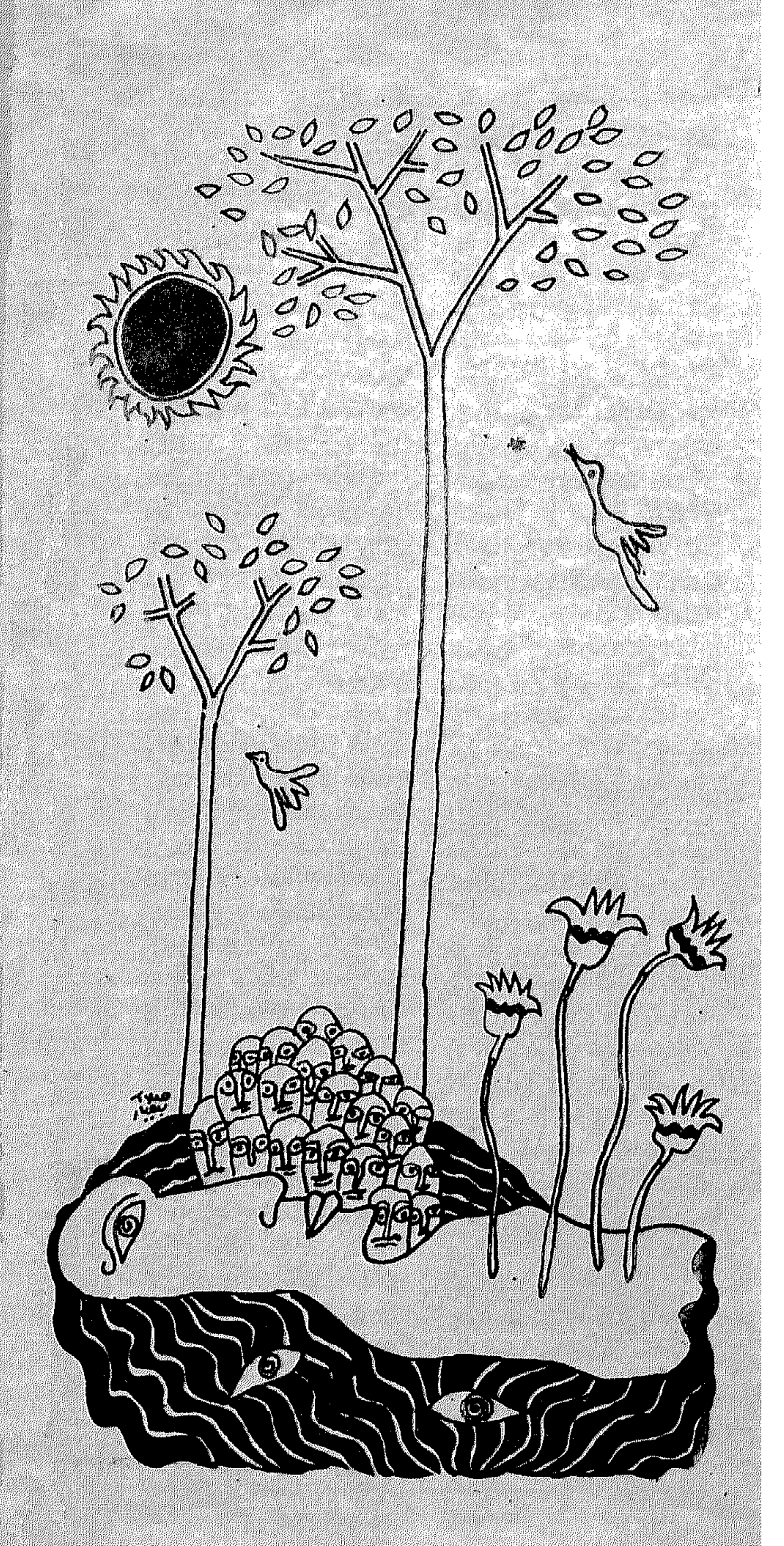
فى العيون كلام صامت الابدان والارجل كلها متواطئة على امر واحد ، عازمة على التوجه صوب مكان واحد ، تبلغه الان الهوينى .

الماء المحتجز الغامض يبين عن جسد تستحثه الايدى . والايدى وجلة تغالب خفوق الصدور العامرة المزدحمة بحرمة الموت وبمحبة الاهل وبالفقد وبالتناحر وبضغائن صغيرة تتحدى كتان فى هشيم ، سرعان ما تنطفىء . وبينها صدور باتت منذ زمن على نية ثأر لارض لها او عرض سليب ، لكنها مع ذلك ، فى القرار ، تتمنى السماح .

وجلة هى الايدى ، والابدان ترتعش منها ارجل غائصة فى الوحل ، لكنها تجاهد كى تسحب الجسد الطافى . تغالب وتواطئها يغلب ويسحب ، حتى يسجى الجسد ، مكشوفا فى وضح الصبح ومن فوقه عين الشمس ، مائلة الى الشرق لا تزال .

لم يكن بالجسد انتفاخ او تشوه . الجلد مغضن لكنه حى ، ناضح باكسير غريب ، ينزوى من ذاته ، فلا يعتريه جفاف او تبخر ، بفعل العين المحدقة ، تلك التى استدمعت لهيبها فى ترقب حذر ، حبست له انفاس الوجود .

الحدث نفسه امر عادى ، طالما كانت العين شاهدة عليه ، منذ ان كانت هذه البقعة من الارض سمحة فى ثوبها



البهى ، تلبس الاخضر على امتداد الفصول وانصرام السنين ، ومحتشدة فى باطنها باسرار ناسها ، احلامهم واشواقهم وخطاياهم • تحملهم على ظهرها وتشكلهم ، تجعل منهم انصاف الهة او طغاة احيانا ، تعزهم او تدمغهم بالطاعة ، ثم تغيبهم فى حناياها • وكل حين ينجلى المخبوء فى ساعة مثل هذه الساعة ، عن جسد يحمله التيار حتى الهويس

لكن ما بال الارض اليوم تتشقق احشاؤها• والناس صبار شوكى تطل منه عيون بكماء ، تتزين صدورهم بعقد محموم من خفق القلوب، وشىء ما قد ختم على الافواه • الجسد مسجى فى مركز الارض وجند شجر السرو ما برح مشرع الاسنة ، والصمت يريم على المكان ، ثم يحوم • والكل وكان على رءوسهم الطير •

اخيرا •• اخيرا ، انقض طير الكلام ، جارحا نهما •

الجمع يتكلم فى آن واحد،ولا احد يسمع

ينعقد الكلام فى سماء الناس ويدوم • سحابة من اصوات مختلطة تهمى برذاذ عبارات ناقصة • تكهنات ولعنات واسترحامات لا تنتهى •

أسرار السرو

ارتجافات شفاه بمودات
ونكريات ٠ انكار ورضا
قسمة ونصيب ٠ أعمار
مقهورة أو مستباحة ،
وكيفما كانت لابد من
التصالح معها والعيش
بها ، والزمن كفيل بأن
يفتت كل شيء ، وأى
شيء ، ولا يبقى سوى
رضوخ ايام تنسرب في
سنوات متشابهة ٠ لكن
الحزن كان قد غافلهم
وتحوصل في حبة القلب
واليوم ، وبدون أن يدرى
احد ، اخذ المكبوت يتفتق
وحبة القلب تتصدع
وتسقط عنها قشرتها
السميكة ، اما الجسد
المسجى ، وقد تحلق
الناس حوله ٠

فجأة وكانما بامر من
دخيلة واحدة ، متوارية
في اعماق اصحابها ،
دخيلة جمعت بينهم بعد
ان فرقهم الصخب وفوضى
الكلام وشتات الذكريات،
ساد الصمت من جديد٠

صمت هذه المرة قد
زايله وقع الحدث
المألوف ، بباغتهم ذاك
الخطب وكانهم ما
انتظروا وما توقعوا ابدا
حدوثه ٠ صمت اصبح
عيونا تتسع احداقها
السمراء ودوائرها
الدامية بالسهر والكيف،
المنغرسة في اديم الجلود
المنحاسية المحمصة بوقد
لا يرحم ٠ والشمس
ذاتها تسمرت في
موضعها ، وارجوانها
المحمى صار ينداح في
دوائر لا نهاية ، تبتلع
المكان ٠

كان الجسد قد بدا
يتمطى وكانه يفيق من
نوم طويل ، أرقه رذاذ
الصخب المتساقط٠صدره
الضامر لا ينتفخ بالهواء
لا يعلو ولا يهبط ،وانما
يتمدد في المساحة
الفارغة ، المحكومة بحلقة
الناس ٠ كانت ذراعاه
مكدودتين بعمل ما ،
شاق ومجهد ، تحتشدان،
مع ذلك ، بطاقات عزم
هائل ، بدا في العروق
النافرة وفي اصابع
مسحوبة تخط على الارض
نقوشا متشابكة ٠

الراس الكهل مكلل
بهالة بيضاء كأنها نور،
يومىء ايماءات يسيرة
منتشية بانغام ترنيمة
او ذكر كوني غير مسموع
الا في اذنيه ٠ ومع
الايقاع الشجى الاسيان
تلين اخاديد الاحزان
وتنفرج أسارير الهم
والفكر ويذوب الوجه
في رونق بهاء أيس
بأرضي ٠

الجسد كله تعتريه
انتفاضات هينة ، تكاد
لا تلحظ ، لا تصاحبها
صحوة او نعاس ، بل
استطالة في الذراعين
ومساحة النقوش
المخطوطة تزداد شبرا
فشبرا ، والصدر
يتسع معها
وحلقة الناس تكبر ،
الداني منهم يفسح
موضعا للقاصي من اجل
ان يتملى المشهد العجيب

رأى الناس الجسد
يتعملق ، حتى كاد يبلغ
حدود الوادى ، وفي
الصدر ينمو زغب
مخضوضر كثيف يتحول
بسرعة مذهلة الى سيقان
سميكة منتهية باوراق
عريضة داكنة الخضرة،
ممتلئة بعصارات النيل،
من بينها تبرز تيجان
اللوتس، شاهقة ،تتكاثر
من نفسها وتتفتح كعهدها
لعين السماء ٠

الساقان تنفرجان ،
وما بينهما رحم مفتوح،
بحجم الارض ، تتعلق
اجنة لا حصر لها
بجدرانه الطرية المزلقة٠
الاجنة لا تنزلق وانما
تتشبث بذوائب معقوفة ،
تنبت لها في الحال ٠
يتكور كل جنين منها على
نفسه ، كأنه ينافح عن
وجود له مهدد من قوى
تضمر له فناء او
اجهاضا ، مثلما تجهض
الفكرة ، وكالفكرة ايضا
ينمو الجنين ويستوى
خلقا مكتملا ، يخرج
بقوة دفع ربانية ٠ يخرج
متعثرا بالدهشة
والغربة ، اول الامر ،ثم
ما يلبث ان يشق طريقه
في النور وينضم الى
بقية الخلق ٠

شـــريط الارض الخضـــراء ، الذى بدا ضيقا مزدحما ، تكشف اليوم عن طيات اخـرى له مختزنة فى الصحارى المحيطة • وحين تداخل الاخضر واليابس ،أيقن الناس انه سيقال الان ولاعوام كثيرة تالية ، ان ما من حبة رمـل الاونقشـت عليهـا اليد شـيئا ، وما من احـد ، من اولئك الذين قد اتـوا من كل فج عميق فى ذاك الصبح، الا وشهد ، فى مخلوقات الرحم المفتوح ، ما كان ما يكون ، ما سـوف يكون • ايقن الناس ذلك كله علي حين كـانت الاجنة تتكاثر ونبت النيل يتكاثر وزهـور اللوتس تتفتح كعهدها بغير انتهاء

وحين حلت الساعة ، واصبحت الشـمس فى وسط السـماء ، وحين تساوى الظل بالجسـد الحى وتلاقيا فى نقطـة البدء والمنتهى ، النقطة التى هى كمال الوجـود ولابد بعدها من افول ، حين ذاك ادرك النـاس العلامة ، فانقض الكلام من جديد،وصاح الحشد بصوت واحد :

ـ نفتح الهويس •

ولما كان البدء علامة والمنتهى علامة ، وكانت العلامة كلمة ، والكلمـة سر يتخلق فى رحـم الروح ، ثم يتجسـد صوتا او نقشا ، يشغل الفضاء والحجر والورق، ولما كانت اليد قد خطت مفتهاها وملأت صحارى الورق ، ولما ادرك الناس السر ونطقوا الكلمة ، اذ رأوا الشمس تمد اذرعها الالف ، كي تسـترد وديعتها ، لما كان ذلك كله وليس قبله ، فقـد سـكنت الارض وكف تململ الجسـد وعاد منكمشا الى بدنه الاول•

عندئذ هب الكل هبة واحدة وحملوا الجسـد الى فوهة الهويس وقـد بدات بواباته حركتهـا ، ثقيلة وئيدة ، تدافع معها الماء المحتجز ، متخـللا شـقوق الارض ، تلك التى باتت تنبت الخلق والنبت والاحـزان • وكان الماء يتدافع حاملا البدن الكهل الخصـب ، اخر الجدود،اخر الاباء، الى الافـق اللازورد ، حيث تنتظر عروس البحر التى هواؤها عنبـر وترابها نشوان •

والشمس ، وكانت فى المنتصف ، ابت الان الى رحيل محتوم ، غيـر انها وهى تنحـدر الى الغرب فى مغيب البحـر الكبير ، جادت بزفرة ، جعلت ذؤابات شجـر السرو ، هنـاك على البعد ، تهتز متهدجـة فتلين اعطاف قاماتهـا المشرعة وتتشابك منهـا الاغصان لحظة •

لحظة ظليـلة كانت كافية لان يسترد النـاس انفاسهم • لحظة واحدة فى نعمة الظل • لحظـة كافية لعـودة الروح ، واصل الناس بعـدها سعيهم فى هجير الارض فى عيونهم لا يزال عزم دخيلة واحدة متـوارية فى الاعمـاق • وفى قلوبهم ذكرى حيـة وعرفان بانه عنـدما يصير الوقت الى خلود، سيرونه من جديد ، ذلك الواحد المتعدد ، لانه صائر الى هناك ، وباق معهم ، حيث الواحد فى الكل •



● من ذخائر الكتب العربية

العالم والغازى :
لقاء ابن خلدون وتيمورلنك

بقلم : مصطفى نبيل

ونمضى مع العلامة ابن خلدون وهو يروى سيرته الذاتية .. نتوقف عند ذلك اللقاء التاريخى الذى جرى فى ظروف بالغة الدقة ، على مشارف دمشق ، فى صدام أقدار وسط أحد الصراعات التاريخية الكبرى ، ومع صليل السيوف وبين المعارك الضارية ..

جمع اللقاء بين اكبر علماء العصر ، وأكبر قادته العسكريين العلامة عبد الرحمن بن خلدون ، والغازى تيمورلنك .

يتعرف كل منهما على صاحبه ، ويرى كل طرف لدى الآخر ما يقدمه ، يلتقى القلم والسيف ، المعرفة والقوة ، العلم والدهاء ، يأمل ابن خلدون - وهوالمؤرخ - فى التعرف على هذه الشخصية التى أذهلت العالم ، ويحلم تيمور ان يصل بسيفه وفرسه الى آخر الدنيا .

فهل يقربه ابن خلدون بمعرفته من غايته .. ؟ !

روى لنا ابن خلدون فى كتابه «التعريف» ، كيف هيأت له اقامته فى مصر التى استمرت أربعة وعشرين عاماً ، ثلاث رحلات هامة ، مرة ليؤدى فريضة الحج ، ومرة أخرى لزيارة فلسطين والتجول فى القدس ، والثالثة فى صحبة السلطان فرج الى دمشق للدفاع عن المدينة أمام تهديدات قوات تيمورلنك .

وسنتناول رحلته الى دمشق ، وما حفلت به من مغامرات سياسية ، والتى وصفها ابن خلدون وصفا حيا مستفيضا ، لا ينقصه الصراحة والوضوح ، ومدخلنا



ابن خلدون

الى هذه الرحلة السياق الذى تمت فيه . والذى مهد للقاء عالمنا بذلك الغازى المندفع من سهول آسيا .

لم تكن هذه الموجة العاتية التى قادها تيمور ، هى الموجة الأولى ، فقد سبق وصدت القوات المصرية الموجة التترية الأولى فى موقعة «عين جالوت» ، بعد أن اجتاحت امامها كل شىء ، أسقطت الخلافة العباسية ، واستولى هولاكو على العاصمة بغداد ، وجرت الدماء انهارا ..

ولم يمض وقت طويل وبدأت الموجة التالية التى يقودها نجم بازغ هو تيمورلنك الذى أقام دولة قوية عاصمتها سمرقند ، وأخذ يشعل الحرب سنويا ، وفى كل مرة يقضم مملكة او امارة من حوله ، ووصل بقواته من موسكو الى نهر الكنج ، واستولى مرة أخرى على بغداد ، وأرسل رسله الى القاهرة ، الا ان السلطان الظاهر برقوق ، عمل ما سبق وقام به سلفه الظاهر بيبرس ، وأعدم رسل تيمور رافضا التهديدات التى حملوها ، وقاد قواته متوجها الى الشام لمواجهة حملة تيمور ، وسرعان ما غير تيمور اتجاه حملته وتوجه بها الى الهند .

وعندما علم بوفاة السلطان برقوق ، عاد وتوجه الى الشام ، ويذكر ابن تغرى بردى فى كتابه النجوم الزاهرة .. «بلغ تيمور موت الملك الظاهر برقوق صاحب مصر ، فكاد يطير بموته فرحا» . ويذكر السخاوى فى الضوء اللامع .. «لما بلغ تيمور موت الظاهر برقوق ، فرح وأعطى من بشره خمسة عشر الف دينار ، وتهيأ للسير الى بلاد الشام» .

وكتب على مؤرخنا ابن خلدون ان يشهد تلك الأحداث الجسام ، وأن يسجل وقائعها ، ولم يعد مؤرخ المغرب والاندلس فحسب ، بل ومؤرخ المشرق العربى أيضا

● سقوط حلب

كانت القاهرة ترقب زحف تيمور وانتصاراته بحذر بعد فقدان سلطانها ، وتعيش مخاطر انتقال السلطة فى ظل أمراء المماليك المتنازعين ، وتولى السلطنة فرج بن برقوق وهو مازال طفلا



حروب تيمور كما سجلتها ريشة الفنان العربى

صغيرا ، وحين تصل حملة تيمور الى مدينة حلب ، بعد أن أخضعت كلا من فارس والعراق ، وبعد ان قضت الحملة على الحشاشين فى مذبحة رهيبة ، يصل تيمور الى حلب وقد زين تاجه بأكثر من مملكة غنية ذات تاريخ قديم ، واستمر ظمؤه للقتال لم يخمد ، وتتحرك قوات المماليك يقودها السلطان فرج ، ويصحب السلطان ـ كعادة ذلك الزمان ـ الخليفة والعلماء والقضاة ومن بينهم عالمنا ابن خلدون ..

ويستعرض ابن خلدون جيش تيمور بقوله : «القوم فى عدد لايسعه الاحصاء ، إن قدرته الف الف ، فغير كثير ، ولا تقل انقص ، وإن خيموا فى الأرض ملأوا الساح ، وإن سارت كتائبهم فى الأرض العريضة ضاق بهم الفضاء ، وهم فى الغارة والنهب والفتك بأهل العمران ، وابتلائهم بأنواع العذاب ، على ما يحصلونه من فئاتهم آية عجب ، وعلى عادة بوادى الاعراب» .

ويروى لنا «وساد العبث والنهب والمصادرة ، واستباحة الحرم بما لم يعهد الناس مثله .»

● حول دمشق

وتحركت قوات تيمور بعد تدمير حلب الى دمشق عن طريق حمص وبعلبك ، وتحركت قوات السلطان الناصر فرج للدفاع عن دمشق .

ويسجل لنا ابن خلدون السجال الذى وقع بين الفريقين ، ففى ذات اليوم الذى وصل فيه السلطان ، دحر مائة فارس مصرى ألف جندى من طلائع جيش تيمور ، ويذكر شرف الدين اليزدى مؤرخ بلاط تيمور .. «أن **الخيالة المصرية كانت أحسن خيالة العالم**» . وفرت جماعة من جيش تيمور ولجأت الى السلطان فرج ، واخبروه بنقاط الضعف فى قواتهم ، وكان بينهم حفيد تيمور سلطان حسين ، وبعد فترة وجيزة من الاشتباكات عرض تيمور الصلح والانسحاب ، واطلاق الاسرى وطلب



قلعة دمشق : الاسوار الباقية

الأفراج عن أحد أمرائه المسمى أطلمش وهو زوج ابنة تيمور الذى سبق ان خطف وأسر وسلم للسلطان فى القاهرة .

وخلال الاستعدادات للدخول فى معركة فاصلة ، وردت للسلطان فرج انباء حول مؤامرة لخلعه تجرى فى القاهرة ، فعاد اليها مسرعا .

ويروى ابن اياس القصة بقوله : «حضر السلطان الى الديار المصرية على حين غفلة ، وحضر صحبة الخليفة المتوكل وجماعة من النواب ، وهم نائب الشام ونائب صفد ونائب غزة وغالب أمراء دمشق ، وحضر مع السلطان من العسكر نحو الف مملوك وحضر مع كل امير مملوكان من مماليكهم ، وليس معهم برك ولا خيول ولا قماش ، وكان سبب حضور السلطان على هذا النحو ، أن عسكر السلطان بعد أن أوقع مع عسكر (تمرلنك) مرتين وهو ينكسر ارسل تمرلنك يطلب من السلطان الصلح ، وأرسل الى السلطان اميرا من أمرائه يمشون بينه وبين السلطان فى أمر الصلح ...

وبلغ السلطان فى تلك الليلة ان العسكر تقلبوا عليه ، وهرب منهم جماعة من

الأمراء تحت الليل .. فقام الأمراء على السلطان وأركبوه غصبا وخرجوا من دمشق قبل التسبيح .. وكان سبب تسحب الأمراء من دمشق أن جماعة تقلبوا هناك على الملك الناصر وخرجوا من الشام وقصدوا مصر ، لكى يسلطنوا الأمير لاجين الجركسى ، فلما تحقق الأمراء من ذلك قاموا على السلطان وأركبوه غصبا وخرجوا من دمشق» .

وهاهو السلطان يغادر دمشق بعد أن قاتل دفاعا عنها اسبوعين

● اهالى الشام

وفجأة يلحظ اهل الشام انسحاب قوات المماليك ، ويتصورون انها خطة مدبرة من اجل الالتفاف خلف خطوط تيمور ، ومالبثت الحقيقة ان ظهرت ، فالمدينة التاريخية بدون حماية ، وحتى حاكم دمشق تغرى بردى - والد المؤرخ المعروف - رحل مع السلطان ، ويبقى اربعة امراء وقواتهم محصنين فى القلعة ..

عندها لجأ أهالى دمشق الى الفقهاء والقضاة ، فاجتمع العلماء والفقهاء ، ومدينتهم تحت الحصار ، إذا اقتحمها تيمور حربا فسيفعل ما سبق وفعله فى حلب ، وجاء الفرج ، عندما نادى رسول تيمور تحت اسوار القلعة .. «الأمير يريد الاتفاق فابعثوا من يفاوضه» ، وانقسم اهل الشام ، ورفض الجنود فى القلعة اى صلح او تفاوض مع قوات العدو ، أما العلماء والفقهاء فقد قصدوا الغازى يطلبون الامان لأهل دمشق .

وعندما قصدوا الخروج من باب النصر للمفاوضة ، منعهم جند القلعة ، فتدلوا من السور ، وفى هذه الظروف يبرز دور ابن خلدون على المسرح السياسى ، والذى تركه المماليك وراءهم .

وينقل لنا ابن خلدون ، صورة تاريخية حية تختلط فيها مشاعر الخوف والأمل . يقـول : «وجاءنى القضـاة والفقهاء ، واجتمعت بمدرسة العادلية ، واتفق رأيهم على طلب الأمان من الأمير تمر (تيمور) على بيوتهم وحرمهم ، وشاوروا فى ذلك نائب القلعة ، فأبى عليهم ذلك ونكره ، فلم

مخطوط كتاب "التعريف" بخط وتعليق ابن خلدون

يوافقوه ، وخرج القاضي برهان الدين بن مفلح ومعه شيخ القراء ، فأجابهم الى التأمين ، وردهم باستدعاء الوجوه والقضاة ، فخرجوا اليه متدلين من السور ، فأحسن (تيمور) لقاءهم ، وكتب لهم الرقاع بالامان ، وردهم على أحسن الآمال ، واتفقوا معه على فتح المدينة من الغد .. وأخبرنى القاضي برهان الدين انه سأل عني ـ والحديث مازال لابن خلدون ـ وهل سافرت مع عساكر مصر ام اقمت بالمدينة ، فأخبره بمقامي في المدرسة حيث كنت ، وبتنا تلك الليلة على أهبة الخروج اليه ، فحدث بين الناس تشاجر في المسجد الجامع (المسجد الأموى) وأنكر البعض ما حدث من الاستنامة الى القول (التخاذل) وبلغني الخبر في جوف الليل ، فخشيت البادرة على نفسى ، وبكرت سحرا الى جماعة القضاة ، عند الباب ، وطلبت الخروج او التدلى من السور ..»

وتدلى ابن خلدون بالحبل من السور ، بليل وهو كهل عجوز في السبعين من عمره في مغامرة سياسية محفوفة بالمخاطر ، يتنازعه الخوف على نفسه وعلى ابناء دمشق .

ويضيف ابن خلدون .. «فوجدت بطانته (بطانة تيمور) عند الباب ، ونائبه الذى عينه للولاية على دمشق واسمه شاه ملك ، فحييتهم وحيونى ، وفديت وفدونى ، وقدم لى شاه ملك مركوبا (دابة) وبعث معى من بطانة السلطان من اوصلنى اليه فلما وقفت بالباب خرج الاذن بإجلاسى فى خيمة هنالك تجاور خيمة جلوسه ..» «وزيد فى التعريف باسمى ، بأنى القاضى المالكى المغربى ، فاستدعانى ، ودخلت عليه بخيمة جلوسه متكئا على مرفقه ، وصحاف الطعام تمر بين يديه ، ويشير بها الى عصب المغل جلوسا امام خيمته حلقا حلقا ، فلما دخلت عليه فاتحت بالسلام ، وأوميت ايماءة الخضوع فرفع رأسه ومد يده الىّ فقبلتها وأشار بالجلوس حيث انتهيت ..

وظل هذا اللقاء محل جدل المؤرخين ، واعتبر البعض مادار فيه دليل قدرة ابن خلدون وبراعته عندما أخرجته مهارته من المأزق الصعب الذى وجد نفسه فيه ، وأثار لدى البعض الأخر الشكوك



تيمور وحوله الاتباع والامراء

والتساؤلات حول ما تم فيه .

● الاثير الاعظم

يطلق ابن خلدون على تيمور كل انواع الالقاب فيسميه اميرا وسلطانا واحيانا يطلق عليه «الاثير الاعظم» وقد حرص على تقديم الهدايا . فقدم لتيمور مصحفا رائعا وسجادة انيقة ، ونسخة من قصيدة البردة للبوصيرى ، واربع علب من حلاوة مصر الفاخرة ، وزعها تيمور على جلسائه ، وبدأه ابن خلدون بالقول ايدك الله ، لى اليوم ثلاثون او اربعون سنة اتمنى لقاءك ، فقال المترجم عبد الجبار بن النعمان ـ صاحب تيمور وإمامه وعالمه ، الذى كان يتقن اللغات الثلاث العربية والفارسية والتركية ـ وماسبب ذلك .. ؟ قلت : أمران .

الأول . انك سلطان العالم ، وملك الدنيا ، وما أعتقد انه ظهر فى الخليقة منذ آدم لهذا العهد مثلك ، ولست ممن يقول الأمور بالجزاف ، فانى من أهل العلم .

وأما الأمر الثاني . ماكنت اسمعه كثيرا بالمغرب من الحدثان فى ظهوره ـ زحل والمشترى ـ وكان المنجمون المتكلمون فى قرانات العلويين يترقبون القران العاشر فى المثلثة الهوائية ـ اى اتفاق ثلاثة بروج هى الجوزاء والميزان وبرج الدلو ، مما يدل على ترقب ظهور نجمه ـ وكان يترقب عام ستة وستين من المائة السابعة ، فلقيت ذات يوم بجامع



تيمور .. صورة تخيلية

القرويين الخطيب أبا على بن باديس خطيب قسنطينة ، وكان ماهرا فى هذا الفن ، فسألته عن هذا القران المتوقع ، وماهى اثاره ؟ فقال لى يدل على ثائر عظيم فى الجانب الشمالى الشرقى من أمة بادية أهل خيام ، تتغلب على الممالك ، وتقلب الدول ويستولى على أكثر المعمور . فقلت ومتى زمنه ، فقال عام اربعة وثمانين تنتشر اخباره ، وكان شيخى امام المعقولات محمد الآيلى متى فاوضته فى ذلك يقول ، امره قريب ولابد لك ان عشت أن تراه ...»

وعالمنا هنا يدغدغ عواطف تيمور ، بطرق مختلفة . فإذا لم تفلح معه الهدايا التى قدمها . فلابد أن تفعل تلك النبوءة معنها ، فى دغدغة عواطفه ، رغم انه سبق

وكتب فى تاريخه ، عن ظاهرة هؤلاء الاجلاف الذين خرجوا من سهول آسيا ، والذى يلعب التنجيم دورا رئيسيا فى حياتهم ، وكان له معرفة واسعة بقبائل المغول وحروبهم ، مما سبق وذكره فى كتاب «العبر» المجلد الخامس ، فى اخبار التتر ، وتناول جنكيز خان وأبناءه وأولى غزوات تيمور ، وهذا يعنى أن لديه معلومات تاريخية كاملة عن تيمور وقومه ، أحسن استخدامها خلال هذا اللقاء .

وتظهر من خلال اللقاء قدرته الكبيرة على التعامل مع الملوك والسلاطين والقادة والذى اكتسبه من سفاراته السابقة ، ولا يخفى ابن خلدون في سيرته ان الوجل غلبه بما وقع من نكبة قاضى القضاة الشافعية صدر الدين المناوى .

ويورد ابن عربشاه هذه الواقعة التى تظهر الفارق بين ابن خلدون وصدر الدين عند لقاء تيمور ، يقول : «وبينما هم يوما قاعدون فى حضرة ذلك البصير ، وإذا بالقاضى صدر الدين المناوى فى أيديهم أسير ، وكان قد تبع السلطان (فرج) فى الهرب ، فأدركه فى ميسلون الطلب ، فقبضوا عليه ، وأحضروه بين يديه ، واذا هو بعمامة بالبرج ، وأردان كالخرج ، فتخطى الرقاب ، وجلس من غير إذن فوق الاصحاب ، فاستشاط تيمور غضبا وملأ المجلس لهبا ، وانتفخ سحره ، وسجر غيظا نحره ، وشخر ونحر ، ومخر بحر حنقه وزخر ، وأمر طائفة من المعتدين بالتنكيل بالقاضى صدر الدين ، فسحبوه سحب الكلاب ، ومزقوا ما عليه من ثياب ، وأوسعوه سبا وشتما ، وأشبعوه ركلا ولكما ، ثم امرهم بتشديد أسره ، وقد توفى بعدها خلال مصاحبتهم له أسيرا غريقا فى نهر الزاب .

تيمور يلتقي بابن خلدون كما سجلت في المنمنمات التركية



● من الشهيد

ويذكر ابن خلدون دون حرج « فزدت فى نفسى كلاما اخاطبه به ، واتلطفه بتنظيم احواله وملكه ..» فيعرف ابن خلدون جزاء من يتحدى سلطانه ، ويعرف ايضا مدى ضعفه امام العلماء والفقهاء ، ويدرك قدرته على خلب لبه . ويعرف ما

دار بين تيمور والقضاة والفقهاء فى حلب من محاورات ومناظرات .

وهو يعرف ماذا جرى عندما سأل تيمور العلماء والفقهاء فى حلب ، قتل منا ومنكم أمس ، فأى الفريقين هم الشهداء ؟ قتلانا أم قتلاكم ؟ فأجاب احد علماء حلب ، هذا سؤال سئل عنه النبى ﷺ وأجاب عنه عندما جاء اعرابى الى الرسول ﷺ وقال يارسول الله إن الرجل يقاتل حمية ، ويقاتل شجاعة ، ويقاتل ليرى مكانه ، فأينا فى سبيل الله ؟

فقال الرسول ﷺ : منْ قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو شهيد ،

فقال تيمور .. جيد .. جيد ..

ويعرف أنه عندما كان جنده ينهبون اصفهان نهاهم عن أن يتعرضوا بسوء للحى الذى يسكنه الفقهاء ، وأنه يستهويه التفاف العلماءوالفقهاء من حوله

● تيمورلنك

وآن لنا ان نتوقف عند شخصية الغازى تيمورلنك ، والتى تبدو بعض ملامحها خلال حملته على الشام ، يصفه المؤرخون ، أنه كان متين البنيان ، منتصب القامة ، له صوت جهورى يطغى حتى على صليل السيوف فى المعارك ، وله ملامح آسيوية خالصة ، ولحية طويلة ، وغطاء رأس مغولى قلنسوة من الفراء مخروطية الشكل يعلوها ياقوتة على هيئة الكمثرى يحيط بها الجواهر والماس .

خضعت نصف آسيا لسلطانه ، واندفعت قواته حتى وصلت داخل روسيا ووصلت الى موسكو وأضرمت فيها النيران عام ٧٨٩ هـ ـ ١٣٨٤ م .

ويتصور نفسه قرينا للاسكندر الأكبر وقيصر روما ..

فهل كان مجرد فاتح مثل هولاكو وجنكيزخان ، أم أن هناك مثلا عليا تحركه ، وهو القائل .. «أنه فى كل اقليم يسود الظلم ، فعلى الامير اجتثاثه ، وهذا دفعنى الى فتح خراسان ، والى تخليص فارس والعراق والشام من الفوضى التى كانت تسودها ..» فيدعى أنه مبعوث العناية الالهية لاصلاح العالم ..

وأذا تأملنا الفارق بين موجة التتار الأولى على الدولة الاسلامية ايام هولاكو ، وتلك التى قادها تيمور نجد وحدة قوات المماليك تحت قيادة الظاهر بيبرس فى مواجهة الخطر على الوطن وعلى العقيدة ، وجاءت الموجة الثانية والمماليك متنازعون ، والغزاة الجدد يحملون راية الاسلام ، يقودهم من يدعى أنه يسعى لتوحيد عالم الاسلام تحت راية واحدة !

وينظر الترك الى تيمور على أنه سجل بداية تاريخ الترك فى آسيا الوسطى ، ويمثل انتصار الترك على النظم المغولية والصينية ، فكانت نظمه مزيجا من عادات القبائل التركية وما جاء به الاسلام ، وأنه استهدف توحيد الترك تحت زعامته ، وكانت اخطر معاركه مع آل عثمان

وعندما قمت بجولة فى المناطق الاسلامية بالاتحاد السوفييتى ، فاجأتنى



المسجد الاموى

حركة احياء قوية لتراث تيمورلنك ، كأحد الابطال القوميين ، فيشكل الترك نسبة ٧٥٪ من سكانها ومازالت سمرقند وبخارى (كاش) تزدحم بالاثار المعمارية والحضارية التى تركها تيمورلنك .

وعند لقائى باساتذة المعهد العالى للامام البخارى فى طشقند . كان يشغلهم اعادة كتابة تاريخ اسيا الوسطى ، واعادة الاعتبار لتيمورلنك ، الذى كان يهدف فى رأى اساتذة المعهد الى توحيد عالم الاسلام لمواجهة التحديات الأجنبية . والذى كان يرى ان تنتقل قوة الاسلام العربية ومابقى من فروع الحضارة الاسلامية الى سهول تركستان ، وينقلون عنه قوله : «اذا كان هناك رب واحد ، فينبغى ألاّ يوجد سوى سلطان واحد ..» !

ويورد ابن خلدون فى رسالته الى صاحب المغرب تقييمه الصادق لتيمور .. أى تقييم العالم لذلك الغازى ، يقول : «هذا الملك من زعماء الملوك وفراعنتهم ، الناس ينسبونه الى العلم ، وآخرون الى اعتقاد الرفض ، لما يرونه من تفضيله لأهل البيت ، وآخرون الى انتحال السحر ، وليس من ذلك كله فى شىء ، انما هو شديد الفطنة والذكاء ، كثير البحث واللجاج بما يعلم وبما لا يعلم» .

● طنجة وسبتة

ونعود الى لقاء تيمور وخلدون .. يقول ابن خلدون ..

«سألنى (تيمور) : من أين جئت من المغرب .. ؟ ولم جئت ؟

فقلت جئت لقضاء الفرض ، والمفرحات بأسوارهم (فى القاهرة) لجلوس الظاهر على تخت الملك .

فقال : وما فعل معك ، قلت : كل خير ..

فقال : وأين ولدك ؟ قلت : بالمغرب الجوانى .

فقال : ما معنى الجوانى فى وصف المغرب ؟ فقلت : معناه الداخلى اى الأبعد .

فقال : وأين مكان طنجة من هذا المغرب ؟ فقلت فى الزاوية بين البحر المحيط والخليج المسمى بالزقاق . فقال : وسبتة ؟ فقلت : على مسافة من طنجة على ساحل الزقاق ومنها التعدية الى الاندلس .

ويلاحظ اهتمام تيمور بكل من طنجة وسبتة بما لهما من قيمة استراتيجية خاصة ، وهو الذى يداعب احلامه فتح العالم ..

ويكمل ابن خلدون .. «ولم يكتف تمر بما قلته له شفويا .. وقال «احب ان تكتب لى بلاد المغرب كلها ، أقاصيها وادانيها ، جباله وأنهاره وقراه وامصاره ، حتى كأنى اشاهده ، فقلت : يحصل ذلك .. وكتبت له بعد انصرافى من المجلس ما طلب وأوعيت العرض فيه فى مختصر وجيز يكون قدر اثنتى عشرة من الكراريس المنصفة القطع» .

وفقد مخطوط ابن خلدون عن المغرب ولعله لم يكتب سوى المعروف من المعلومات الجغرافية ، وهو يعرف انه ضمن خطط تيمور اعداد حملة الى ساحل الاطلنطى وغزو المغرب ، وأنه استجاب لتيمور لكى يلتمس وسيلة للابتعاد ، ويعود الى مصر يواصل البحث والتدريس ، او لعله استهدف العفو عن الاسرى ، وأن يؤمن اهالى دمشق ويجنبهم انتقام تيمور ..

وتتوالى اللقطات والمشاهد التاريخية التى وقعت بين ابن خلدون وتيمور ، ويسجل عالمنا ابن خلدون بعض المناظرات التى كان يديرها تيمور ، والتى تعكس ثقافة عصره ..

ومن هذه المحاورات ، قول تيمور لابن خلدون : أراك قد ذكرت بختنصر مع كسرى ، وقيصر والاسكندر ، ولم يكن بختنصر فى عدادهم لأنهم ملوك أكابر ، وبختنصر قائد من قواد الفرس ..

وسأل : من أى الطوائف هو بختنصر .. ؟ فقلت : بين الناس فيه خلاف ، فقيل من النبط بقية ملوك بابل ، وقيل من الفرس الأولى .

فقال : يعنى من ولد منوشهر .

قلت : نعم هكذا ذكروا .

فقال : وأى القولين أرجح عندك . ؟

فقلت : إنه من عقبة ملوك بابل . فذهب الى ترجيح القول الآخر .

فقلت : يعكر تملينا رأى الطبرى ، فإنه مؤرخ الأمة ومحدثهم ، ولا يرجحه غيره .

فقال : وما علينا من الطبرى ، نحضر كتب التاريخ للعرب والعجم ، ونناظرك .

فقلت وأنا أيضا اناظر على رأى الطبرى ..

لقاء ابن خلدون وتيمور كما سجله ابن خلدون فى كتابه

أمّا ما وقع مع ابن خلدون قبل الرحيل . فيرويه قائلا .. «دخلت على تيمور فالتفت الىّ

وقال . عندك بغلة هنا .

قلت : نعم

قال : حسنة .

قلت : نعم قال وتبيعها ؟ فانا اشتريها منك .

فقلت : ايدك الله مثلى لا يبيع لمثلك وانما أنا اخدمك بها ، وبأمثالها لو كانت لى .

فقال . أردت أن أكافئك عنها بالاحسان ..

فقلت : وهل بقى احسان وراء ما أحسنت به ، اصطنعتنى ، واحللتنى فى مجلسك محل كل خواصك ، وقابلتنى من الكرامة والخير بما أرجو الله ان يقابلك بمثله ، وسكت وسكت ، وحملت البغلة - وأنا معه فى المجلس - اليه .

وينهى ابن خلدون حكايته مع تيمور بقوله .. «سافرت فى جمع من اصحابى الى مصر ، فاعترضتنا جماعة من العشير قطعوا علينا الطريق ، ونهبوا ما معنا ، ونجونا الى قرية هنالك «عرايا» .. ثم .. مر بنا مركب .. فركبت معهم البحر الى غزة ، ونزلت بها وسافرت منها الى مصر .. وحمدت الله تعالى على الخلاص من ورطات الدنيا » .

● قصص وحكايات

وقد عالج لقاء تيمور وابن خلدون الكثير من الكتاب . القدماء والمحدثين ، ونسج حوله الكثير من القصص والحكايات ، وأفرد له الكاتب الأمريكى والتر فيتشل كتابا بعنوان ابن خلدون وتيمور ، وأبرز من تناوله من المؤرخين العرب ابن عربشاه ، فى كتابه «عجائب المقدور فى نوائب تيمور» ، ويروى فى هذا الكتاب رواية مغايرة لما رواه ابن خلدون والفرق بينهما هو الفرق بين من رأى ومن سمع . يقول ابن عربشاه «لما اقلع السلطان بفلك

عساكره المشحون وقع فى بحر العساكر التيمورية قاضى القضاة ولى الدين بن خلدون وكان من أعلام الأعيان ، وممن قدم مع السلطان .. توجه الأعيان اليه فى تدبير القضية فوافق فكره فكرهم ، فملكوه فى ذلك أمرهم .. فتوجه معهم بعمامة خفيفة ، وهيئة ظريفة ، وبرنس كهو رقيق الحاشية ، يشبه من دامس الليل الناشئة ، فقدموه بين أيديهم ، ورضوا بأقواله وأفعاله لهم وعليهم .

وحين دخلوا عليه ، رأى (تيمور) شكل ابن خلدون لشكلهم مباينا ، قال : هذا الرجل ليس من هاهنا ، فانفتح للمقال مجال ، ونشروا سماط الطعام ، فكوّموا تلالا من اللحم السليق ووضعوا امام كل ما به يليق ، فبعض تعفف عن ذلك تنزها ، وبعض تشاغل عن الأكل ، وبعض مد يده وأكل .. وكان من جملة الآكلين ، قاضى القضاة ، ابن خلدون وكل ذلك وتيمور يرمقهم ، عينه الخزراء تسرقهم ، وكان ابن خلدون ايضا يصوب نحو تيمور الحدق فإذا نظر اليه أطرق ، وإذا ولى عنه رمق ، ثم نادى (ابن خلدون) وقال بصوت عال ..

يا مولانا الأمير . لقد شرفت بحضورى ملوك الأنام ، واحييت بتواريخى ما مات لهم من ايام ، ورأيت من الملوك فلانا وفلانا ، وشهدت مشارق الأرض ومغاربها ، وخالطت فى كل بقعة اميرها ونائبها ، ولكن لله المنة اذا امتد بى زمانى ، ومنّ الله علىّ بأن أحيانى ، حتى رأيت من هو الملك على الحقيقة ، والمسلك شريعة السلطنة على الطريقة ، فإن كان طعام الملوك يؤكل لدفع التلف ، فطعام مولانا الأمير يؤكل لذلك ولنيل الفخر والشرف ، فاهتز تيمور عجباً ، وكاد يرقص طربا ، وأقبل يوجه الخطاب اليه ، وعول فى ذلك دون الكل عليه ، وسأله عن ملوك الغرب وأخبارها ، وأيام دولها وآثارها ، فقص عليه من ذلك ماخرع عقله وخلبه ، وجلب لبه وسلبه» .

ويذكر ابن عربشاه ، كيف تحول ابن خلدون فأصبح موضع رعاية تيمور وفى ضيافته طوال اقامته وحتى رحيله والتى استمرت خمسة وثلاثين يوما . أما الاختلاف بينهما فى الكثير من التفاصيل فيرجع الى أن ابن عربشاه لا يرى فى تيمور سوى غاز جاء يحتل بلاده ، ويصيب اهلها بالنكبات ، **وأنه شخصيا عانى الكثير من حملة تيمور ، فقد أخذه أسيرا وهو صبى فى الثانية عشرة من عمره ، ومع أمه وأخوته من دمشق الى سمرقند** ، وهناك عرف الكثير عن تيمور واعماله ، وتعلم اللغتين الفارسية والتركية ، ثم عين كاتبا للسلطان محمد الأول بن بايزيد الذى سبق أن أسره تيمور فى أحد معاركه وانتقم منه بوضعه فى قفص ، ثم عاد ابن عربشاه الى دمشق عام ٨٢٤ هـ ـ ١٤٢١ م . ورحل منها الى القاهرة ، واستقر بها سنة ٨٤٠ هـ ـ ١٤٣٦ م ، والف كتابه فيها ، وحياته تلك تزيده بتيمور معرفة ، وتزيده به أيضا كراهية ..

● حريق فى الجامع الاموى

أما بقية القصة ...

فقد استسلمت دمشق لقدرها ، واستولت عليها قوات تيمور بأقل الخسائر ، وبكل أنواع الوعود الكاذبة

ومالبث ان انتشر فيها السلب والنهب والحريق ، لا فرق بين الرجال والنساء والأطفال ، ولم يلتفت الى رقاع الأمان التى كتبها تيمور .. «أما القلعة ، فإنها استعدت للحصار ، وكان نائبها يدعى ازدار ، فحصنها ، وبالأهبة الكاملة مكنها ، وانتظر من السلطان نجدة ، أو مانعا ربانيا يفرج عنه الشدة ، فلم يلتفت تيمور فى أول الأمر اليها ، ولا احتفل بها ولا عرج عليها ، بل صرف همه الى تحصيل الأموال ، وتوثيق الأحمال بالأثقال» .. «وحاصرها ثلاثة وأربعين يوما ..» ابن عربشاه .

وامتدت النيران التى اطلقت بالمنجنيق تأكل المدينة ، ووصلت الى الجامع الأموى ، فسال رصاصه وتهدمت سقوفه وجدرانه ، ودمر عن آخره فى المدينة الجزء الواقع بين المسجد الاموى والقلعة ، ويصف ابن خلدون ماجرى بقوله : «كان أمراً بلغ حداً من الشناعة والقبح» وأعدم أزدار نائب القلعة بعد أن حصل من تيمور على وعد بالأمان ، وعاش أهل الشام مرحلة من الرعب والخوف ، وهاجم تيمور فى خطاب له أهل الشام على مساندتهم للأمويين خلال «الفتنة الكبرى» !

كل هذا وابن خلدون عاكف على كتابة رسالة عن المغرب ، ويقدمها الى تيمور ، ويجالسه يناظره ويحاوره فى الحضارة والتاريخ وماجاء فى الطبرى .. !

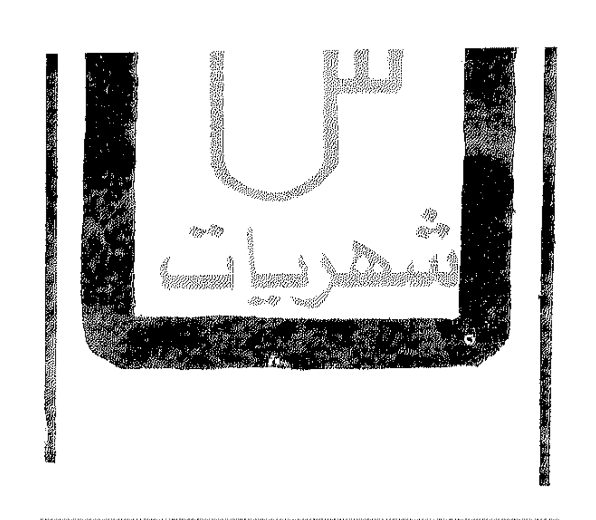
وعقب اختبار القوة الذى جرى بين تيمور وفرج ، وبعد اقامة تيمور فى دمشق ثمانين يوما ، انسحب تيمور بقواته ، واتصلت العلاقات بين تيمور والمماليك ، وتمكن تيمور من ان يحقق عن طريق الاتصالات الودية مالم يحققه بالحرب ، وأدت المراسلات بين تيمور والسلطان فرج الى عودة العلاقات بينهما ، فظهرت فى تبادل الوفود والهدايا ، وبعد نجاح تيمور فى اطلاق اسيره اطليمش ، مقابل ان يطلق ما لديه من أسرى .

وعاد الهدوء من جديد ، وكأن حملة تيمور مثل اعصار عنيف اقتلع الزرع وأرعد السماء ، ثم صفا الجو وهدأت العواصف من جديد .

ولم يحاسب احد ابن خلدون على مادار بينه وبين تيمور ، ولا على أنه كان ضمن الفقهاء المنادين بالصلح والأمان ، فلا يحق للذين تركوا دمشق تحت الحصار مهرولين أن يحاسبوا أحدا على مواقفه .

وقضى ابن خلدون بقية حياته فى القاهرة ، يواصل تاليف كتابه «العبر» ، وفى كتابة سيرته الذاتية ، والذى وصل فيها إلى قبل التسعة شهور الأخيرة من حياته وكان آخر ما خطه قلمه «لزمت كسر البيت ، ممتعا بالعافية لابسا برد العزل ، عاكفا على قراءة العلم وتدريسه والله يعرفنا عوارف لطفه ، ويمد علينا ظل ستره ، ويختم لنا بصالح الأعمال ، وهذا آخر ما انتهيت اليه..» .

وأطفأت المنون حياة هذه الروح المتقدة بعد كوارث الزمان المتلاحقة ، وبعد أن قدم بحياته وفكره تلك الاعمال الفذة ، وهو المفكر الكبير والفيلسوف العظيم وعالم علوم العمران الذى ملأ الافق بجلاله ، بعد أن عاش ستة وسبعين عاما ، وانتقل الى رحمة الله يوم ٢٦ رمضان ٨٠٨ هـ - ١٦ مارس ١٤٠٦ م ، ودفن فى مقبرة الصوفية بالقرب من باب النصر فى القاهرة .



راى فى الثقافة

تبديد التراث .. متى يتوقف ؟

كل يوم تحمل لنا الاخبار المتداولة فى الوسط الثقافى نبا جديدا عن مكتبة لاحد اعلامنا تباع على الاسوار ، او تذهب الى جامعة غير مصرية كما حدث لمكتبة سليم حسن ، او مخطوطات قديمة وحديثة تذهب ادراج الرياح ((ما حدث لتراث رفاعة الطهطاوى)) بالاهمال او البيع لعربات الروبابيكيا ، او كما رايت فى منزل الشيخ مصطفى عبد الرازق مخطوطاته غارقة فى مياه المجارى المتسربة الى المنور الملقاة به بكل اهمال .

مكتبة طه حسين ومكتبة العقاد مازالتا فى المخازن ، اما الكثير من مكتبات ومخطوطات اعلامنا المعاصرين فقد تبددت ..

لكن موضوع هذا الراى الاساسى هو ماجرى ليس فقط لمخطوطات ومكتبة وارشيف الامام الاكبر محمد عبده والامام الاكبر رشيد رضا بل لجثتيهما ، فمن محزن الكلام ان نصف ماعليه حال المكان ((الحوش)) المدفونان به ، حيث اختارت البلدية هذا المكان بالذات لتراكم فيه زبالة مساكن منطقة المجاورين كلها . على الرغم من ان هناك الكثير من الاماكن المجاورة التى يمكن ان تكون مكانا اكثر مناسبة لاكوام الزبالة .. لماذا هذا المكان بالذات ؟

هل هو الجهل ام ان الموضوع متعمد : لاهانة رائدى التنوير فى العصر الحديث ؟

وقبل كل هذا : اين هى مخطوطات الامامين وتراثهما ؟ ولماذا تركناه نهبا للاهمال ؟

هل هو فقط مجرد التخلف : ام تعمد ان نهيل التراب على رموز التنوير حتى تبرز رموز الظلام ؟

عبله جبير

المفكرة الثقافية

• الصعيد وسيناء خارج الدائرة •

● لا من اجل شيء الا الصالح العام نسوق هذه الملاحظات الاولية على البرنامج الثقافي الذى اصدرته وزاره الثقافة المصرية وحمل عنوان « مفكرة الصيف الثقافية » التي تغطي ثلاثة اشهر هي يونيو ـ يوليو ـ اغسطس ٠

اولي هذه الملاحظات ان المفكرة لم تصدر الا في اوائل يوليو ، وكان من المفروض أن تصدر قبل أول يونيو ، أو علي الاقل في أوله ٠٠ وهذه قد تبدو ملاحظة شكلية انما هي في الحقيقة ملاحظة اساسية اذ كيف يراد لنا أن نقتنع بأن هناك « برنامجا » مدروسا ومخططا ثم لا نراه الا في نصف الزمن الذي يستغرقه هذا البرنامج ٠٠ وهي ايضا ملاحظة اساسية بالنسبة لمصر ، لان الدليل القاطع على ان أحدا ، أو جهة ما ، تعمل بالفعل على الخروج من دائرة التخلف هو التزامها بدقة الاداء ومصداقيته التي لا يمكن ان تتوفر الا بالتنفيذ في الوقت المحدد ٠

الملاحظة الثانية هي أن نشاط هذا البرنامج هو نشاط قديم بنسبة تزيد على ٨٠ ٪ (من باب الحرص) ان لم تزد ، أي انه نشاط «تقليدي» كان يحدث منذ زمن طويل بحكم ضخامة حجم الكوادر الثقافية والاجهزة الثقافية المتوارثة والمتراكمة عبر الزمن بصرف النظر عن « النقلة » التي تحدثها ، ويصرف النظر عن اسهامها في التغيير الثقافي المنشود ٠

اما الملاحظة الاساسية فتتعلق باختفاء الصعيد كله من خريطة الثقافة المصرية ٠٠ فهل بالفعل ليس هناك اي نشاط ثقافي في الصعيد كله بطوله وعرضه ابتداء من الجيزة وحتىاسوان ٠٠ على الرغم من أن هناك العشرات من قصور وبيوت الثقافة ٠٠ ثم ماذا عن الواحات ومدن البحر الاحمر وسيناء التي ـ مع الصعيد ـ لا تعتقد ان مكانا اخر في حاجة الى ذهاب الثقافة اليه كما هي بالنسبة للمكانين : الصعيد وسيناء ٠ فكان الاسكندرية وبورسعيد وحتى طنطا والمنصورة على تلامس واضح بحكم المصالح مع العاصمة اما هذان الاقليمان فهما الاشد حاجة الى أن نذهب بالثقافة اليهما ٠٠ هذا مجرد سؤال ونرجو أن يكون الواقع مختلفا عما ورد في هذه المفكرة الثقافية والا فهي كارثة حقيقية ٠



ذكرى

• عام على رحيل نبيل السلمي •

ها هي عام كامل يمر على وفاة فناننا النابه نبيل السلمي الذى يعتبر واحدا من اهم رسامي الكاريكاتير العرب عن جيل الستينيات ٠

بدأ الفنان يقدم رسومه في مصر

مبكرة ، ثم ارتحل الى المانيا الديمقراطية في بداية السبعينيات واستقر هناك حيث احتك بالكاريكاتير العالمي فتطور أسلوبه وأصبحت أعماله أكثر تجويدا في الرسم وتجريدا في الفكرة • واتجه الى الكاريكاتير الجرافيكي أو الذهني،كما مالت أعماله الى الفكاهة السوداء •

وأتاحت له اقامته الطويلة في الخارج بين المانيا والكويت ، أن يطلق لحسه الساخر العنان فينتقد مختلف جوانب التخلف والتبعية في المجتمع العربي ، في سلسلة من الرسوم السياسية والاجتماعية الساخنة ، لم يتح للقاريء المصري الاطلاع عليها ••

وفي الاتيليه اقامت له أسرته وأصدقاؤه معرضا لرسومه استمر طوال النصف الاول من الشهر الماضي، ضم مختارات تغطي مراحله المختلفة والموضوعات المتعددة التي تناولها بريشته وتشمل الرياضة والحياة الالمانية ، والتاريخ الفرعوني ، وعلاقة العرب بالكومبيوتر وظاهرة « النقاب» وغيرها •



مسرح

• عفريت لكل مواطن •

هذا هو النص الاول للمؤلف لينين الرملي في مسرح الدولة بعد ان تمرس ودأب على تقديم العديد من العروض التجارية ، والتي لا تغيب مواصفاتها وأسسها عن الكثيرين •

فاذا علمنا ان لنفس المؤلف عدة نصوص وضعت في خطة مسرح الدولة هذا العام ، فان السؤال الذي يطرح نفسه هو: لماذا يلجأ هذا المؤلف وغيره الى مسرح الدولة مادام المسرح التجاري يوفر لهم كل متطلبات العروض الناجحة؟

والاجابة قد تكون من شأنهم هم كمؤلفين وخاصة أن صاحب « عفريت لكل مواطن » يصرح في الصحف ان السبب الاول في عدم اقدامه على تقديم عروض سابقة على خشبات مسرح الدولة هو البيروقراطية والعراقيل التي لا تنتهي من اجهزة الحكومة ، وأن السبب الثاني هو أن المناخ الذي نعيشه لا يعمل على ازدهار المسرح ، ولذا فنحن لا نستطيع ـ في رأيه ـ ان نناقش قضايانا الجوهرية والملتصقة بنا خوفا من الرقابة (!!) وقد لا نتفق مع كل هذا الكلام وخاصة حين تثبت أعمال المؤلف : ان لا شيء أيسر من الكلام !

ولا شك ان موضوع مسرحية «عفريت لكل مواطن » بسيط وطريف ، فالمؤلف اراد أن يكشف الوجه الاخر لحياة انسان مثالي بسيط بعد أن تأزمت أمور حياته وتفاقمت مشكلاته ، وتعالج المسرحية ذلك من خلال جو فانتازي ،

ومن خلال الحيل القديمة يظهر لهذا الانسان الطيب قرينة من الجان ، ولكى يخلصه القرين من كل ما جرته عليه الطيبة والرضا والاستسلام يقوم بدلا منه بعمل كل الموبقات من احتيال ونصب وهتك اعراض وفساد ، لكى يثبت لهذا الانسان الطيب : ان المجتمع لا يعنيه طيبته ولا نبالته ولا استسلامه، والدليل هو ما حققه من خلال احلال الشرمكان الخير • والقرين يرى فى كل الذى صنعه انتصارا ، ولكن الانسان يرى هذا النصر بلايا ورزايا •

وجريا على عادة الاعمال المضحكة والمفبركة من نصوص اجنبية ، فان المسرحية تناقش هذا كله بعجالة وخفة مما يفسد هدفها ومضمونها ، فهذا المواطن المثالى جعله المؤلف موظفا فى احدى الشركات ، وجعله محاطا بانماط معتادة من الموظفين ، يحمل كل نمط كما من المبالغات السلوكية الفجة التى توحى باننا امام عمل هازل لا قيمة له ، فالمؤلف يجعل احدى الموظفات تقوم بغسل ملابس اطفالها على المكتب وتقوم بنشرها بعد ذلك ـ هكذا ـ بالاضافة الى ما اعتادت الدراما المصرية على لصقه بالموظف الكسول ، فهذا يغازل عشيقته فى التليفون طوال الوقت ، وذاك ياكل واخرى تتجمل وتتمايع ، ومعهم مدير لايبحث الا عن الموظف الذى يعمل لكى يفصله ـ هكذا ـ وكل ذلك من اجل اظهار ان هؤلاء جميعا هم وجه الفساد والبيروقراطية فى مواجهة الموظف الشهم الهمام الذى اسماه المؤلف (راضى عبد السلام) لكى يقول انه راض ومسالم حتى من خلال تركيبة اسمه !

واذا كان الكل يرمى عليه اعباء وتليفته من اجل اغراضه الخاصة ، فهل يمكن ان يحدث بهذه الطريقة •• واين : ليس فى المصالح الحكومية ولكن فى احدى الشركات ! عدم الصدق هذا يجرنا الى استمراء الكذب طوال المسرحية ، فانت ترى انماطا لا شخصيات من لحم ودم ، فهذا صعيدى يلقى بالنكت وينكت عليه ، وهذه حماة متسلطة وعجوز متصابية ، وهذا زوجها الخائف المطيع الجبان ، وهذه الخطيبة البلهاء الدميمة •• وهذا الكل يلف ويدور فى ثرثرات كلامية تضحك احيانا ولكنها تبقى بلا روح وبلا حس وبلا تاثير،فانت لا تعرف عن معظم هذه الشخصيات الكثير ، ما هى الا صفة أو صفتان ولا تعرف اصلا ولا منبتا ولا نشاة ولا تكوينا ، الكل يتكلم بنفس الطريقة وبنفس الاسلوب ومن خلفه المؤلف يستنطقه بالعبارات التى تترى استسهالا واستعجالا كاد ان يودى بكل شىء رغم انه مع قليل من التانى كان يمكن ان تعطى المسرحية قيما جادة وفعالة •

ولذا فالمؤلف لكى ينهى ازمة انسانه الطيب الذى ارتكب قرينه ما يشينه حتى بمخادعة خادمته التى يؤويها ، لا يجد حلا الا من خلال الخادمة التى تاتى له بالزار لكى يحل به كل المشاكل ـ نعم (الزار) !•• ويتم بالفعل ممارسة (احتفال الزار فى نهاية المسرحية) لكى تفاجا بمسخرة جديدة حين تواجه كل شخصية مشاهدى العرض وتصرخ « ان اخلاقى بطالة والسبب هو قرينى او نصفى الاخر الشرير ! » وذلك من اجل ايصال مفهوم يقول بعد كل الخطب عن تغيير الفرد والمجموع : ان الاخلاق هى السبب (!!) •

وتضحك ملء فيك حين تدرك ان هذا

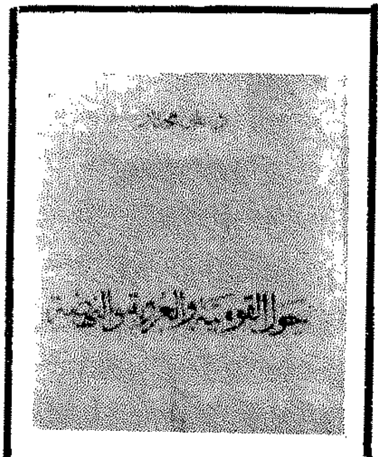
هو فهم مؤلفي المسرح التجارى الـذين يتوافدون تباعا ليملأوا خشبات مسرح الدولة ٠

ويمكن ان نخرج من هذا العـرض ونحن نثني على موهبة هنا او هناك ، ولكن المسرح يظل في النهاية كلا لايتجزأ ورغم ذلك فلا يمكننا ان نغفل الاشادة بمواهب كبيرة تثبت وجودها : نبيـل الحلفاوى : ممثل جيد ومتمكن ، عبلة كامل : موهبة لا يستهان بها متالقـة وغير عادية ، محمد ابو داود : المخرج الذي يقدم نفسه لاول مرة ، وهو يتحمل المسئولية كاملة من بداية اختيـاره لهذا النص وعدم معالجته مع مؤلفـه لكثير من عيوبه ، وامتـلاء عرضه بالتلميحات الجنسية من خلال مواقف الثورية الدرامية والعبارات التي تلقي هنا وهناك وتشي بمهانة لقدسية خشبة المسرح ، ناهيك عن استظراف بعض الممثلين ٠

ولكن ما حيلة كل هؤلاء فالاساطين يفعلون أكثر في المسرح التجـارى ، والمسرح التجارى صـار هو النموذج الذى يحتذى عند مدير المسرح الكوميدى فهكذا صرح وهكذا فعل وهكذا ٠٠ يثبت النظرية بالتطبيق !

محمد الشربينى

مكتبة الهلال



الكتاب : حول القومية والعروبة والنهضة
تأليف : د٠ على مختار
الناشر : دار على مختار للنشر

يضم هذا الكتـاب خمس عشرة دراسة كتبها المفكر القـومي المعروف الراحل الدكتور عـلى مختار ، قدم لهـا المؤرخ المعروف طارق البشـرى بكلمات تنم عن موضوعية وان حملت بعد الملاحظات الجادة التي أريد بهـا مناقشة أراء على مختار وتوجهاته بما هي عليه من مصداقية ونفـاذ بصيرة وتوجه عـروبى أصيل ٠

يقول البشرى « يمثل على مختار صورة مثالية للمثقف العربي القومى » كان موضوع العـروبة والتوحد العـربى هو شاغله الشاغل على الدوام ولا أظنه حاد عنه في أى وقت منذ انعقد قوميـا عربيا وهو طالب بكلية الطب ، ولا أظنه مر على مرحلة مصرية اقليمية في حياته الواعية ٠٠ الا أن تكون مندسة في لفـائف البداية من التـكوين السـياسى ، و « عـلى مختار » الـذى يدهش عارضيه بقدرته عـلى الانتقال المهنى ، من مهنة الطب الى الـدواء الى الكومبيوتر الى النشر في عالم الكتب ٠

ونقـرأ من عنـاوين الدراسات التي يضـمها الكتاب « حـول أسس النهضة العربية » و «حول مقولة تحالف قوى الشعب

العاملة » و « مستقبل الناصرية فى مصر » و « الشخصية القومية» و « البحث عن الامة العربية والمنطلق القومى والمنطلق الطبقى » و « قراءة فى مفهوم الامة عند سمير أمين » و « موقف القضية الفلسطينية من القضية القومية » وغيرها من الدراسات التى تصب فى تيار القومية العربيةالذى آمن به كاتبنا ايمانا قائما على الدراسة الموضوعية ٠

انه كتاب جدير بالقراءة ٠

الكتاب : الحكام من عمرو بن العاص الى جمال عبد الناصر
تأليف : د٠ حسن عبيد
الناشر : المؤسسة العربية ٢٨٤ ص ١٦ ج٠م

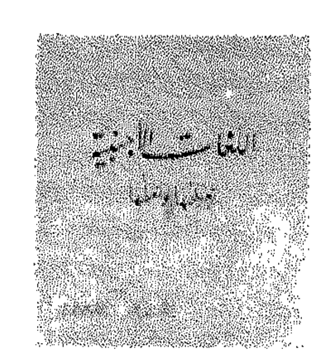
● الامم الجديرة بالاحترام والتقدير هى تلك التى تضع تاريخها بالاحداث التى مرت بها فى أرض حرام على من يقترب منها بهدف البحث والدراسة والتحليل والتعليق أن يتسلح بالصدق والموضوعية والتجرد لان من يقدم على مائدة التاريخ يجب أن يكون معدا اعدادا جيدا حتى يصبح مفيدا ونافعا ليس للجيل القائم فقط ، وانما ما يليه من اجيال ، على هذا الدرب٠

ووفقا لاحكام الموضوعية الصادقة نجح الدكتور حسن عبيد بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية أن يقدم كتابا جيدا عن حكام مصر من عمرو بن العاص الى جمال عبد الناصر ٠ استعرض فيه مسيرتهم مؤكدا حقيقة سياسية لا تتحمل الجدل وهى أن قوة الحاكم وسلامة المنهج وسلامة التطبيق كانت ثلاثة عوامل وراء فترات الازدهار والنصر ، وأن تخلف أحدها كان السبب فى فترات الانحدار والحسر ٠٠

لقد بلغ عدد هؤلاء الحكام وخلال أربعة عشر قرنا من الزمان مائة وستة وثمانين حاكما تتراوح فترة توليهم الحكم بين أيام وشهور وسنين فى تعثر أحيانا وازدهار فى أحيان أخرى ٠

يقول المؤلف أن ما قام به هو مجرد الاعداد والترتيب لسيرة حكام مصر ولكن ربما كان له اجتهادات فى سرد الحوادث ، أو ربما كان له أن يضيف تحليلا يستطيع أن يخلص منه الى رسالة يوجهها للقارىء فى النهاية ٠ أو تأثر بمصريته وعروبته على نحو يتفق أو يختلف مع هؤلاء الحكام ٠٠ ويقول ليقفز القارىء الى اذا ما تصادم بمسوءة أو رؤية غير تلك التى كونها من قراءات سابقة شابها الهوى والزيف أو قراءاتكانت محقة للحق بأكثر مما يجده فى هذا البحث ٠





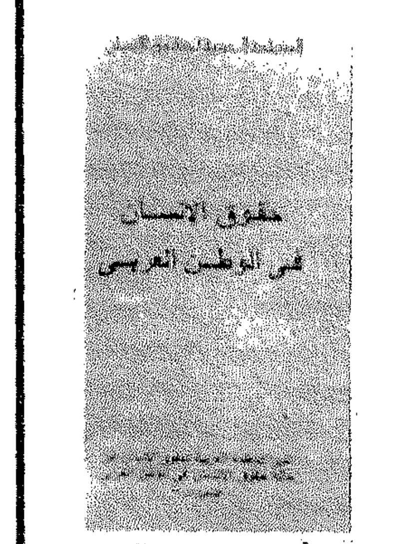
الكتاب : اللغات الاجنبية تعليمها وتعلمها
تاليف : د. نايف خرما
د. علي حجاج
الناشر : سلسلة عالم المعرفة ـ المجلس الوطني للثقافة بالكويت
٢٧٢ من .. قطع متوسط ٥٠ ف ك

مؤلفا هذا الكتاب الدكتوران نايف خرما وعلى حجاج استاذان يعملان في مجال تعليم اللغات الاجنبية للعرب، ولهما جهود عديدة في مجال دراسة هذه القضية الشائكة ، بالاضافة الى الخبرة التي اكتسباها في مجال عملهما ، لذا فان الثقة تبدو متوفرة من مجرد معرفة هذه الحقيقة ...

أما الدافع الذى حدا بهما الى تاليف هذا الكتاب فهما يقررانه منذ البداية في عدة نقاط تشمل خلو المكتبة العربية من الكتب التي تتناول مشكلة تعلم اللغات الاجنبية وتعليمها من جوانبها المتعددة ، فهناك بعض الكتب التي تتناول نظريات التعلم دون التطرق الى أوجه الاختلاف بين تعلم او اكتساب بعض المعارف والعادات وتعلم أو اكتساب اللغة أصلية كانت أم أجنبية ، لذا فقد عملا على مشروع بحث شامل يحاول أن يحيط بالمشكلة من جوانبها النظرية والتطبيقية ، ولعل هذا الكتاب هو واحد من حلقات هذا البحث .

اما لماذا يريان أن مسالة تعلم اللغات الاجنبية في وطننا العربي كمشكلة فهما يقرران : نحن ندعوها بالمشكلة نظرا الى أن تعلم اللغات الاجنبية في المدارس النظامية قد أثبت فشله الى حد كبير . وأن الشكوى مستمرة من هذا الفشل ، وأن البحث عن أسبابه لم ينقطع في العالم العربي منذ أمد طويل دون التوصل الى نتيجة مرضية .

هو اذن بحث يحاول تحديد الداء ووصف الدواء الناجع له من خلال منهجية جديدة لتعليم اللغات الاجنبية في وطننا العربي الكبير .



الكتاب : حقوق الانسان في الوطن العربي
الناشر : المنظمة العربية لحقوق الانسان

استمرارا مع تقليدها السنوى لاصدار تقرير سنوى عن حالة حقوق الانسان في الوطن العربي أصدرت المنظمة العربية لحقوق الانسان تقريرا هذا العام الذى تطرق لابرز الاحداث والتطورات

المتعلقـــة بمجـال تخصصها على مستوى العالم العربى فى مجال التشريع والممارســـة وذلك على ضوء ماتوفر لــدى المنظمـــة من معلومات وما ورد اليها من بلاغات وتقـــارير وشكاوى .

وقد ســجل التقرير ما يعترى المنظمـــة من قلق ازاء ما يطـــول الحقوق المدنية اللصيقة بالانسان والتى لا يجوز النزوع باية مبـــررات للحيلولة دون كفاءتها ، ومنـــها الحـــق فى الحياة ، وفى الحـرية والامان الشخصى وفى احترام كرامة الانسان ، وحمايته من ســـوء المعاملة ، وكفالة حقـه فى محاكمة عادلة تراعى فيها الضمانات القانونية المقررة دوليا ، واحترام حريته فى الاعتقـــاد والمواطنة وغير ذلك من الامور .

وقد سجلت المنظمـــة فى تقريرها من العـــام المنصرم بعض مظـــاهر التحسـن المحدودة التى طرأت فى مجال انضمام الدول العربية للمواثيق الدوليــــة ومن ذلك انضمـــــام اليمن الديمقراطية الشـعبية للعهدين الدوليين بشأن الحقوق المدنيـــــة والسياسية ؟ وانضمام السودان للبروتوكـول الاختيارى الملحق بالعهد الدولى الخاص بالحقوق المدنية ، وتوقيع اربــع دول على اتفاقية مناهضة التعـــذيب (تونس ـ الجزائر ـ المغـرب ـ السودان) التى كانت قد صدقت عليها قبلا .

الكتاب : النزوع إلى العالمية
تاليف : ناجي نجيب
الناشر : دار التنوير - بيروت
١٥٥ ص ق متوسط
٤٠٠ ق

ليس هذا كتاب فى النقد الأدبى بقدر ماهو تلمس لملامح ما اسماه المؤلف بالواقعية الحسية عن جيل الكتاب والأدباء المثقفين الذين اكتمل تكوينهم فى العشرينات والثلاثينات

إنه حديث عن الحنين الحضارى والنزوع العالمى وعـلاقتهمـا بـالبيئـة الأصلية ، ومن هذا المدخل يصع الكاتب ادب يحيى حقى كنموذج واضح وبارز ممن اسمـاهم بـادبـاء الواقعية الحسية .

ومن خلال يحيى حقى المؤرخ الأدبى والنـاقـد والقصاص يؤرخ المؤلف لبعض قضايا الأدب واللغة والفكر والاجتماع التى مازالت تشغل الـوجدان العربى .

ويقول :

« هـذا بحث تاريخى تطبيقى ، بمعنى اننا نامل من خـلال الموضـوعات والنصوص التى نعرض لها ان نتعـرف على بعض جوانب التطور التاريخى ، وهو يعتقد ان يحيى حقى مرجع تاريخى عظيم سيبقى منه الكثير للتاريخ .

هذا وقد ذيل المؤلف بحثـه بتـرجمـة ادبيـة وببليوجرافيا لاعمال كاتبنا الكبير وكذلك ثبت باهم الحوارات التى أجريت معه منذ ١٩٦٧ وحتى ١٩٧٥ .

عملية صناعة الذوق العربى

بقلم : محمود قاسم

لو دخلت أى ناد للفيديو فى آية مدينة عربية ، واستطلعت أغلفة الافلام المرصوصة فوق الارفف ، لامكنك بسهولة أن تميز الذوق الفنى العربى ، وسرعان ما ستلاحظ ان موضوعات هذه الأفلام محصورة ، فى أغلبها ، داخل اطار عام هو : العنف ، ولاشىء غير العنف . وهذه الأفلام تنتمى الى هويات وقوميات متعددة .

واذا كان العنف هو أهم سمات العصر ، فإن العنف الذى تنقله شرائط الفيديو الى بيوتنا هو فى أغلبه ساذج الصورة ، ومجوف المضمون ، وممزوج بالحركة فى أغلبه . وبعيد عن عنف الواقع الذى نعيشه .

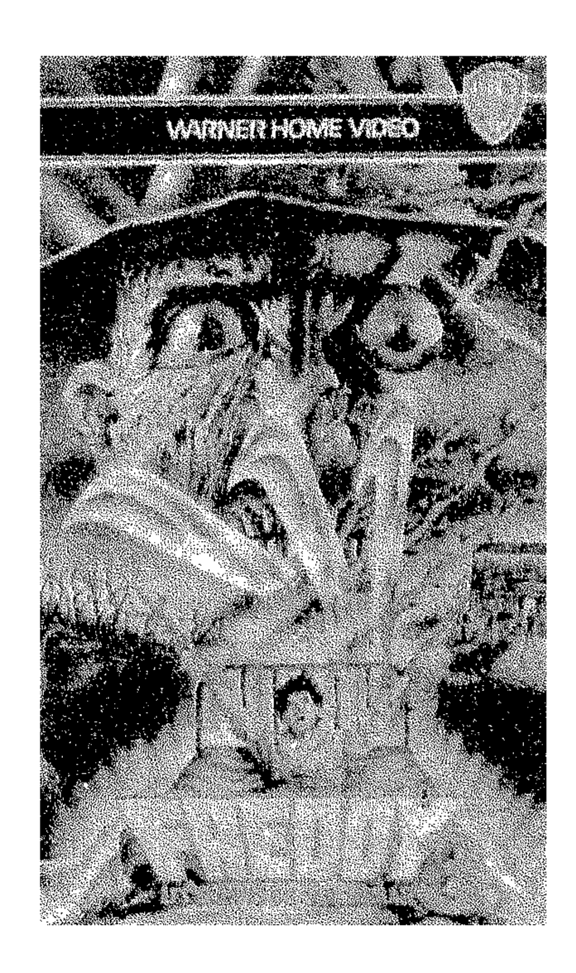
وخطورة هذه الظاهرة ، فيما يتعلق بشرائط الفيديو ، أنها انتقلت الى البيوت ، فأصبحت ظاهرة المشاهدة الجماعية العائلية هى السائدة . وفيما قبل كان ممنوعا على الأطفال مشاهدة انواع معينة من الافلام ، أما الآن فقد أصبحت مشاهدة هذه الأفلام تتم فى جو أسرى مألوف .. يجمع بين الوالدين والابناء وأحيانا الجيران والاقارب .

وفى حارتنا الضيقة ظاهرة جديدة على مجتمعنا وهى ان مشاهدة هذا النوع من الافلام لم تعد عملية عائلية فقط . بل أصبحت جامعة لكل اهالى الحارة . شرط ان تمتلك أية من الاسرات جهاز تلفاز ايا كان حجمه .

حدث هذا من خلال جهاز صغير اسمه «الفيديو سنتر» .. ولاننى اصبحت مدمنا لمشاهدة الافلام المعروضة من خلاله . فأعتقد اننى قد تحولت فى الفترة الأخيرة الى كتلة آدمية ممزوجة بكل ما يبثه هذا الجهاز من افلام ومسرحيات .

فى شقة صغيرة بمنزل مجاور ، اشترى أحد الجيران جهاز ارسال صغير وضعه فوق الفيديو الذى يمتلكه . فراح يبث الى سكان الحارة كل ما يعرضه على شاشته الصغيرة من شرائط فيديو . كان على كل





جار ان يقوم فقط بتوليف تلفازه الخاص كى تلتقط شاشته الموجة التى يبثها جارنا وسرعان ما اكتشفنا ان جارنا مجنون بمشاهدة أفلام الفيديو ، خاصة فى يوم العطلة الاسبوعية . فهو يعرض شرائطه عرضا مستمرا منذ العاشرة صباحا ، وحتى الساعة الثانية من صباح اليوم التالى .. وفور بدء العرض يمكنك ان تسمع نداءات النساء والأطفال فى الحارة للتنبيه على ان الحفل قد بدأ . يسود الهدوء المكان .. وتخلو الحارة من سكانها . وتنبعث عبر النوافذ اصوات الممثلين فى الفيلم المعروض التى تعلو على كل اصوات الحارة . ولايكاد العرض ينتهى حتى يبدأ عرض فيلم آخر . وتستمر هذه الظاهرة ساعات لا تنقطع إلّا قرابة حلول الفجر .. ينام الناس ويصحون ويجدون عرض الشرائط فى حالة تواصل دائم .

● لغة مفهومة !

السؤال : ماذا يشاهد المتفرجون طيلة هذه الساعات ؟

تنحصر نوعية الافلام المعروضة فى الغالب داخل هذه النوعيات من الافلام : الرعب ، الكاراتيه ، مطاردات وحكايات بوليسية . واللغة المشتركة فى هذه الافلام هى كلمة واحدة تتلون حروفها حسب الظروف : «طاخ طيخ طوخ » . وقد أصبحت هذه اللغة هى الوحيدة المفهومة من خلال شرائط الفيديو سنتر .. ولأن العرض هنا مجانى .. ولأن الافلام المعروضة لا تكلف مشاهدها سوى الجلوس امام جهاز التلفاز . فلا شك ان

اغراء الرؤية كبير . حتى لو اعيد عرض فيلم ما أكثر من مرة . فلو خرجت احدى الاسرات الى اى من دور السينما القريبة فسوف تدفع مبلغا كبيرا من اجل مشاهدة فيلم واحد فقط . وليس كل هذا الكم من الأفلام .

وهكذا دخلت الحارة عادات وتقاليد جديدة : البقاء فى المنزل اطول فترة ممكنة والسهر حتى ساعات متأخرة من الليل . وألفة من نوع جديد بين الجيران .. فى الوقت الذى يتوقف فيه العرض المستمر ، لسبب او لآخر ، فإن النوافذ تفتح . وتطل منها رءوس النساء . وتثرثر الالسنة معلقة بآراء نقدية حول الفيلم الذى عرض لتوه ، وما يمكن ان يعرضه جارهم صاحب الفيديو سنتر ، فى المرة القادمة . وقد زادت درجات الالفة لدرجة ان يقوم بعض شباب الحارة باستئجار افلام تعجبهم يدفعون بها الى الجار الطيب ، مجنون الفيديو كى يعرضها على الجميع .. وتطورت الظاهرة لدرجة ان بعضم طلب أن يعرض لهم حفل زفاف تم فى الشارع . وعلى الشاشة شاهد الجميع انفسهم فاشتعلوا فرحا وطالبوا بعرض الشريط اكثر من مرة .

● ضرب قضية الانتاج

عندما ظهر الفيديو المركزى لاول مرة . أحس الكثيرون بالتخوف من الآثار السلبية التى يمكن ان يجلبها هذا الجهاز الخطير معه . وقد عقد العديد من الندوات لمناقشة هذه الظاهرة وتعددت الاراء حولها . حيث رأى البعض مثلا ، انه يمكن ان يبث إنسان ما يراه من افلام جنسية ـ المعروفة تحت اسم «افلام ثقافية» ـ فتحدث اثرا عكسيا فى البيوت . وفى ندوة عقدتها كلية الاعلام بالقاهرة رأى احدهم إن الانسان الذى يملك البث ووراءه جهات أكبر ربما تكون دولا اجنبية من مصلحتها ضرب قضية الانتاج فى مصر عن طريق بث الافلام التى تروج المخدرات والجنس والسموم البيضاء . والدليل ان البث يبدأ بعد منتصف الليل بهدف ان يسهر الشباب امام جهاز الفيديو حتى الصباح ، وبالتالى لا يقدرون على العمل فى مراكز انتاجهم ، كما أن من يشاهد هذه النوعية من الافلام يتأثر انفعاليا ويظل متوترا وقلقا طوال الوقت .. وبالتالى نصبح مجتمع انفعالات . كما أن مشاهدة الافلام المخلة تضر بالشباب والمجتمع واخلاقياته ..

لقد راح صاحب هذا الرأى يفكر من خلال منظور ضيق لا يمكن ان يتحقق الا فى حدود ضيقة للغاية . وراح كعادته يلقى المسئولية على قوى اجنبية .. وفى رأيى أن أهمية الفيديو المركزى انه ليس جهازا خاصا يمكن للمرء مشاهدة الافلام من خلاله فى غرفة مغلقة . وانما هناك قيود اخلاقية تفرض على صاحب الجهاز من المنطقة المحيطة به . خاصة فى الأحياء الشعبية الآهلة بالسكان . تتسم بأن هناك ألفة واضحة بين ابنائها ..

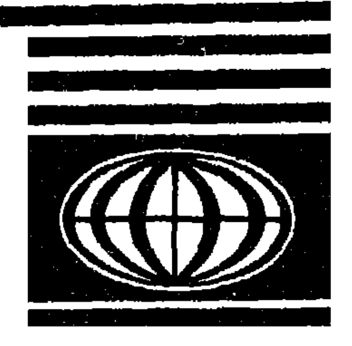
حسب رأيى فإن خطورة الفيديو المركزى تتجسد فى انها كشفت عن ذوق

المتفرج المصرى . فلاشك ان افلام الحركة والعنف المعروضة بصفة دائمة على هذه الشاشات قد تتناسب مع الجو العام الذى يحيط بعملية المشاهدة .. مثل وجود ثرثرة اجتماعية . وعدم تركيز فى المشاهدة . وأن المشاهدة تتم فى وجود ضوء الغرفة غالبا . مما يلغى خصوصية المشاهدة وعلى الفيلم المعروض فى مثل هذه الاجواء ان يكون لافتا للانتباه . وقد استطاعت افلام الرعب والكاراتيه ان تتغلب بما فيها من عناصر اثارة على هذه الاجواء . بل ان السينما الهندية ، والتى تتمتع بسيادة واضحة على المشاهد العربى ، قد هجرت الرومانسية التى اشتهرت بها كى تستعين بنجوم جدد يمكنهم القيام بكافة حركات العنف بالاضافة الى الغناء والاستعراض وتجسيد المشاعر الرومانسية بنفس الكيفية . وهكذا أوجدت هذه السينما مزيجا خاصا بالمشاهد يتناسب مع ذوق المتفرج الشرقى .

اذن تكمن اهمية الفيديو المركزى فى فرض الذوق الفنى . فصاحب هذا الجهاز يقوم بعرض الأفلام التى تتناسب مع ذوقه الخاص ، وهو حرّ فيما يفعله ، وعلى جيرانه أن يتقبلوا هذه العروض المجانية بصدر رحب مهما كانت اذواقهم . وعلى من لا يجد فى نفسه هوى لهذا النواع من الافلام ان يحول القناة . وهنا تكمن الخطورة . فالدراما التى تعرضها قنوات التلفاز الثلاث لا يمكنها بأى حال ان تنافس هذا الكم الهائل من شرائط الفيديو المعروضة ، أما الافلام التى سبق عرضها عشرات المرات فى السهرات . فإن المتفرج البسيط سيجد اصابعه تضغط غريزيا على قناة الفيديو المركزى .

وقد حدث ، فى «حارتنا» شيء غريب آخر . عندما فتح الله على جارن ثان واشترى جهاز فيديو سرعان ما احضر له ايريال بث . وبدأت المنافسة والتكامل بين الطرفين . حيث أصبح الجهازان يتبادلان اوقات العرض والافلام . وزادت نسبة الدماء المنسالة على الشاشة وجاء وقت جعل المرء يشعر بأن الناس فى «الحارة» فى حالة اجازة دائمة من أعمالهم من اجل متابعة افلام الفيديو المركزى . وللانسان ان يتصور ان «حارة» بأكملها تشاهد افلاما لأكثر من عشر ساعات يوميا .

وليس مجالنا هنا الحديث عن ثقافة المتلقى لكل هذه الساعات من الدراما الدامية المجوفة ولكن من المهم ان نعقد مقارنة بين هذه الظاهرة ، وانتشار شرائط الكاسيت فى سيارات الاجرة بكافة انواعها حيث يفرض السائق على الركاب ابان زمن المسافة المقطوعة اغنية معينة وذوقا خاصا . وليس للراكب حق الاعتراض لأن السائق يعمل بذلك على تسليتهم . هذه الحالة فرضت اصواتا نشازا وكلمات خالية المعنى . وساعدت على افساد الذوق العام عمدا وعن غير عمد . مثل هذه الظاهرة تتكرر فى الفيديو المركزى بشكل مكثف . واذا كنا قد قابلنا فوضى شرائط الكاسيت بسلبية وبرود . **فإن فرض ذوق معين على المشاهدين من خلال الفيديو المركزى قد قوبل بارتياح . واعتقد انه من الصعب التصدى لهذه الظاهرة . الا اذا تم تغيير عناوين وموضوعات الافلام المعروضة فى نوادى الفيديو .. وهذا امر يعد من ضروب المستحيلات ..**



العالم في سطور

واشنطن

● كنوز حانوت .. هيمنجواى

ارنست هيمنجواى هو بلا شك الاديب الاكثر غموضا وجاذبية في القرن العشرين . ويمكن تلخيص هذا الرجل فى أرقام هى كالتالى : اربع زوجات . ومائة كيلو من الوزن . وثلاثة أبناء . وعشرون كتابا . والاف الصفحات المكتوبة خلفه . وقد راحت دور النشر العالمية تكنس حوانيت الكاتب من أجل تجميع تراثه. سواء رسائله التى بعثها الى اصدقائه فى مناسبات مختلفة . أو مقالاته المنشورة فى مجلات . أو العثور على رواية كاملة لم تنشر بعد ..

وباسم هيمنجواى أصدرت احدى دور النشر الفرنسية كتابا يحمل عنوان « الصيف الخطير » وهو عبارة عن مجموعة انطباعات كان ينشرها عن رحلته لاسبانيا فى مجلة لايف .. أما الباحث جيفرى مايير فقد قدم دراسة ضخمة عن الكاتب تقع فى ٦٠٠ صفحة جاء فيها ان كل هذه الصفحات قليلة عن حياة هيمنجواى . الذى يعتبره نموذجا انسانيا يحتذى به . فهو رجل احب الحرب ومصارعة الثيران والنساء اللاتى يكبرنه سنا . واحب الترحال الى الغابات من أجل صيد الحيوانات ايمانا نابعا من حبه للطبيعة . وهو فى نظر الباحث اخر الكتاب الاسطوريين كان يحب مراقبة الاغراب وهم نيام . لم يكن يحب الاكل كثيرا . لكنه عشق القطط . اتهمته وكالة الاستخبارات الامريكية بأنه شيوعى . عرف نساء عديدات وعرض عليهن جميعا الزواج. لكنه لم يستطع الاقتران بأكثر من اربع نساء .

أما كتابه « الصيف الخطير » فهو مصاغ فى قالب روائى حول شاب أسبانى يدعى انطونيو . يحب الصيد. ويتحدى عديله البيطرى فى عمله ، وتدور أحداثها عام ١٩٥٩ .

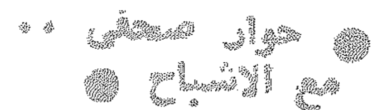
ويتحدث الكاتب عن حفل مصارعة ثيران فى مالزجا بين رجاين وليس بين

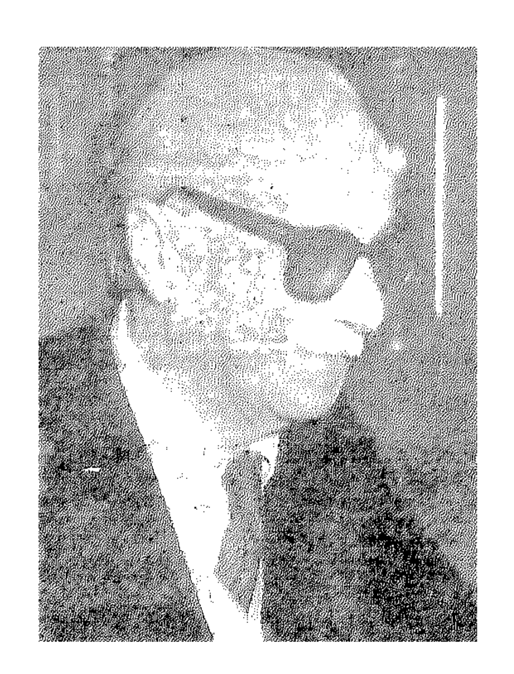
ارنست هيمنجواى



رجل وثور ، يرتدى احدهما ملابسه وكأنه ثور ويزمجر بنفس الطريقة ٠ ويرتدى قبقابا٠ ويقول ان هذه المصارعة كانت فى حاجة الى شاهد ليروى تفاصيلها وها هو يفعل ذلك ٠

الجدير بالذكر ان هيمنجواى قد عبر عن حبه لمصارعة الثيران فى العديد من كتبه ومن بينها « الموت بعد الظهيرة » و « الشمس تشرق أيضا » ٠





ارنستو ساباتو

● حوار صحفى ٠٠ مع الاشباح ●

« اشباحى » ٠

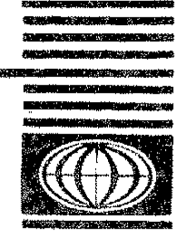
عنوان كتاب صدر فى بيونيس أيرس حول الروائى المعروف ارنستو ساباتو٠ وهذا النوع من الكتب موجود بشكل مكثف فى المكتبات العالمية ٠ حيث يدون الكاتب سيرة حياته وأفكاره من خلال حوار يعقده معه أحد المتخصصين ٠ ومن ابرز هذه الكتب «العيون المفتوحة» الذى أعده ماتيو جالى عن مرجسريت يورسنار ٠

وساباتو هو احد أهم الروائيين فى أمريكا اللاتينية رغم انه لم يكتب سوى ثلاث روايات لا غير ٠ لكنها رغم قلتها عكست واقع المجتمع الذى تعبر عنه ٠ واخرجت احشاءه سليمة الى العالم ٠ من أهم هذه الروايات « ملاك الظلام »٠

يقول ساباتو للصحفى كارلوس كاتانيا فى كتابه « اشباحى » : « انا دائما عدائى نحو نفسى ٠ ولكن هذا لا يكفى لهدمى٠ يجب ان احرق الاشياء بصورة جذرية ٠ وقد جاءت لحظات احسست فيها اننى قلت كل شىء ٠ ولكن هذا الاحساس خطير ٠ فيجب ان نقاوم اغراء المال ٠ وأعتقد أننا يجب أن نكتب عندما لا نستطيع ان نفعل شيئا اخر ٠ وقد فعلت هذا بصورة محددة ٠ عندما احسست اننى غير قادر على المقاومة » ٠٠

وعند وضعية الانسان فى روايته « الرجل المتعمد » : هو فى حالة غيبية لاننا نعيش فى نهاية الثقافة ٠ وهذا أمر ضرورى طالما اننا دخلنا فى عصر التقنيات والتكنوقراط ٠ مما أثر على كل القيم التى اختارها الانسان لنفسه ٠ واذا اعطيت كل الاهمية للفن والتخيل ٠ فلانها تعبر عن المسكن ٠ وعن الطموحات الخاصة فيما يتعلق باشكال الفكر الخيالى ، وذاتية الاحاسيس التى يتم اغتصابها يوما وراء اخر ٠٠

ويقول ساباتو عن العلاقة بين رواياته ولوحاته الفنية التى يرسمها : « انها تعبر عن نفس الشىء ٠ فبين رواياتى ولوحاتى وحدة واحدة ٠ والفنان بصفة عامة يبحث عن المطلق عبر محددات عديدة ٠ ولا يمسه الا للحظة واحدة »٠



العالم في سطور

باريس



صموئيل بيكيت

في انتظار .. بيكيت

الصورة ..

عنوان احدث كتاب صدر في الشهر الماضي للكاتب الايرلندي صموئيل بيكيت - ٨٢ عاما - والحائز على جائزة نوبل في الادب عام ١٩٦٩ .

تجيء طرافة الخبر في انه اقصر مؤلفات الكاتب حجما . وقد صدر الكتاب عن دار نشر « منتصف الليل » . التي تخصصت في طبع ونشر الادب التجريبي الحديث . مثل مسرحيات العبث وأدب اللا معقول . والروايات الجديدة . وهي تنشر اعمال كل من الان روب جرييه ، ومرجريت دوراس وكلود سيمون وميشيل بيتور ويوجين اونسكو واقرانهم .. وتجيء اهمية هذا الكتاب في انه يمكن ان ينطبق عليه المثل العربي: « تمخض الجبل فولد فارا » . حيث ان بيكيت قد توقف عن الابداع الادبي والمسرحي بصفة خاصة منذ امد طويل . وقد ارتبط ابداعه بحركة مسرحية ونشاط مكثف في بداية الخمسينيات . ثم قلت ابداعاته في السنوات التالية . وهي الفترة التي عرفت بازدهار مسرح العبث .

الان . بعد أن نسال ابناء هذه الاتجاهات الادبية الجوائز التقليدية الكبرى مثل جائزة نوبل واعتلوا مقاعد الاكاديميات الكلاسيكية العريقة مثلما حدث مع يوجين اونسكو فقد شعروا بالاسترخاء - وليس لقلة ابداعهم علاقة بالسن - وأداروا ظهرهم للعالم بدليل أن بيكيت قد جمع مجموعة من انطباعاته النثرية وراح يطبعها في كتيب بلغ ثمنه ما يعادل عشرة الجنيهات .

من المعروف ان كتب الادباء التجريبيين المعاصرين دائما تجيء صغيرة الحجم قياسا للروايات الاخرى التقليدية . ومع ذلك فهي مرتفعة السعر بشكل ملحوظ ..

موسكو

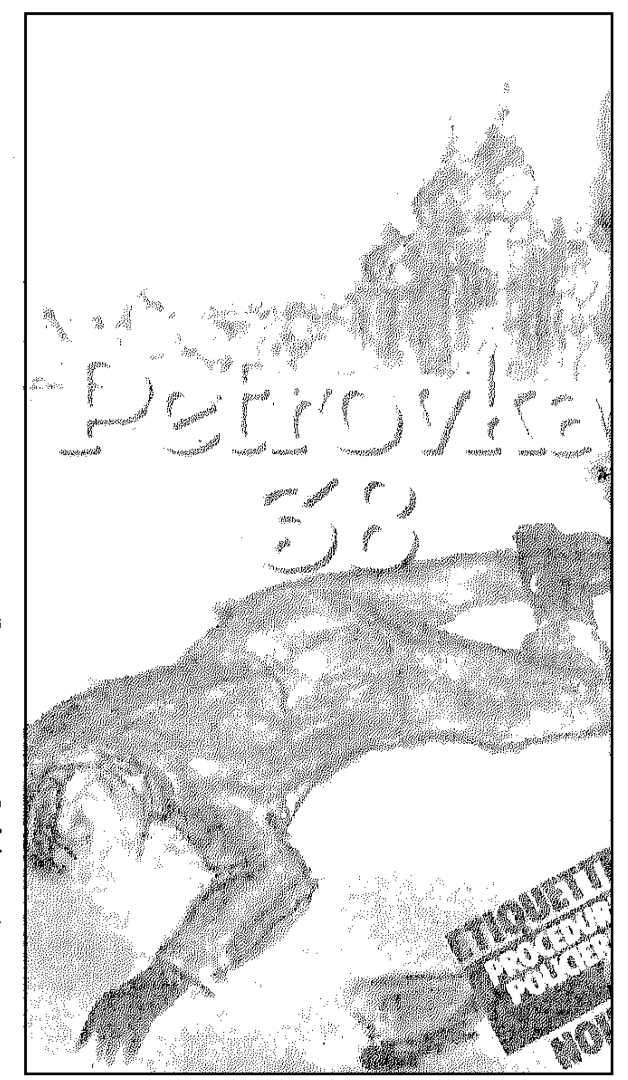
الفودكا الفائقة

مهما قال أصحاب الفكر « الجاد » في مسألة الرواية البوليسية . فان هذا النوع من « الادب » هو الاكثر قراءة في العالم كله وبلغات البشرية

الماضى حيث نشرت فى سلسلة « أسود » المتخصصة فى هذا « النوع من الادب »٠

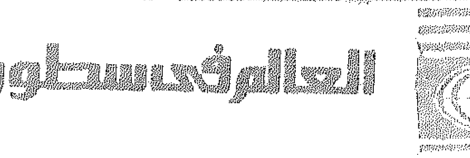
وسميونوف كـان مراسلا حربيـا لجريدة البرافدا ٠ وهو يعمل حاليـا مستشارا لميخائيل جورباتشـوف فى شئون الثقافة والاتصالات ٠ وتختلف حبكة روايته عن الروايات البوليسية العادية ٠ فهى رواية سياسية حمراء٠ تتحدث عن أن « القانون قد وضـع ليطبق » مهما كانت هوية الشـخص الذى يرتكب الجريمة ٠

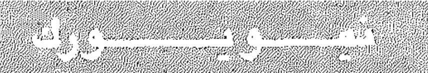
يقول المؤلف فى حديث أجرتـه معـه مجلة « حدث الخميس » : المهـم فى أنشطتى المتعددة هو الادب ٠ رغـم انى اكتب مقـالات سـياسية ٠ ولست متخصصا فقط فى الرواية البوليسـية أو رواية التجسس ٠ فالتشويق ليس سوى طريقة لجذب اهتمام القراء ٠ وقد كان دوستويفسكى يفعل ذلك فى رواياته ٠٠ مثلما حدث فى «الجريمة والعقاب» الرعب يصيبنى من الكتبالتى لا تخدم هدفا ٠ مثل روايات اجاثا كريستى ٠ حيث لا ترى سوى مخبر يفتش عـن أسرار الجرائم جل وقته ٠٠ لـكن الاشياء ليست بهذه البساطة المتناهية٠

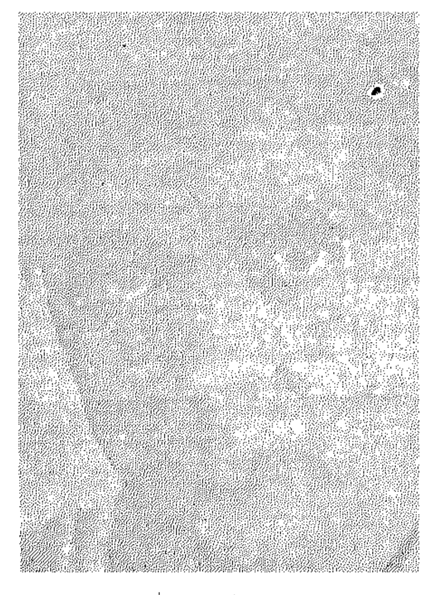


جمعاء ٠٠ واذا كان انتشار الرواية البوليسية فى الغرب يفوق كل الانواع الاخرى من فنون الكتابة ٠ فان الحال يختلف قليـلا فى المعسـكر الشرقى فالرواية البوليسية لا تجد كثيرا مـن الفرسان فى الاتحاد السوفييتى مثـلا ٠٠ ولكن بوليان سميونوف اثبـت انه كاتب من الطراز الاول لهذا النـوع الادبى٠ وذلك من خلال روايته «بتروفكا ٣٨» التى نشرها أول مرة عام ١٩٦٢ ٠ ثم أعيد طبعها ٠ عام ١٩٧٣ ٠ ولم تتم ترجمتها الى أية لغة سوى فى الشـهر

●●●






جون ارفنج

● عندما يصبح القارىء مسلوب الارادة ●

تراه فيخيل لك انك امام نجم سينمائى وسيم أقرب فى وسامته الى روبرت ردفورد .. أو كأنه رياضى يحرص على تنمية عضلاته الضخمة استعدادا لمباراة حاسمة . اسمه جون ارفنج . والمهنة : روائى أمريكى مشهور .. وتحقق رواياته « دائما » أعلى المبيعات . منذ ان ظهر على الساحة الادبية عام ١٩٧٢ . قليلة هى رواياته . وكثيرة هى مبيعات هذه الروايات التى تحولت جميعها الى افلام . مثل « فندق نيو هامبشير » و « العالم فى عيون جراب » .

هذا الشهر صدرت أحدث رواية لارفنج تحت عنوان « اشعار شارب المياه » . وفى روايات الكاتب جميعها يبدو مسحورا بعالم الطفولة والبراءة. حتى وان كان الاطفال مزعجين مثلما يراهم كوكتو وجويس كارول أوتس . وهو يتعاطف دائما مع الضحايا من الناس . ويصبحون أبطالا فى رواياته وفريد بطل روايته الاخيرة هو أحد هؤلاء البشر .

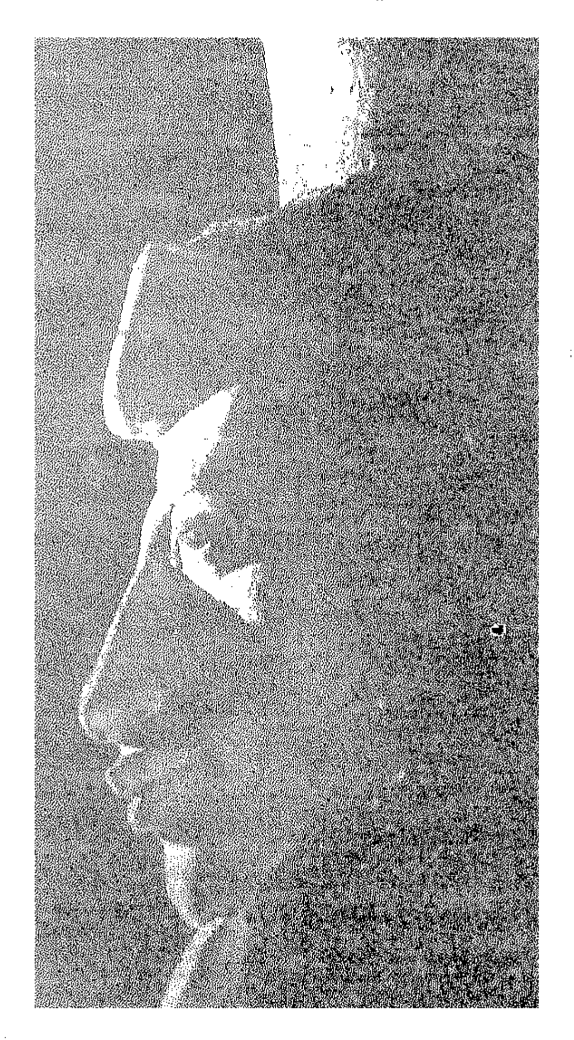
يقول الناقد فردريك فيرنى ان جون ارفنج ـ ككاتب ـ اشبه بثعلب ماكر من الصعب ان تمسكه بين يديك . كما انه من الصعب ان تتابع حركة شخصياته حيث يبدون كانهم أسماك تعوم فى مياه صافية . ينزلقون بسهولة ويتحركون فى اتجاهات متعددة .

ويرى فيرنى ان ارفنج قد استفاد من حبه لكل من هرمان ملفيل والروائى الامريكى ناثنئيل هاوثورون وشارلز ديكنز . وقد اخذ من كل كاتب أعجب به سمة خاصة . فجمع أدبه بين مزيج متعدد النكهة والالوان . ويرى الناقد ان روايته « اشعار شارب المياه » بلغت من الروعة حدا يجعل المرء يتساءل هل من الممكن ان يتفوق على نفسه فى أعماله القادمة . فارفنج هو أحد الروائيين المعاصريين المؤمنين بالاخلاقيات وهو يشد انتباهك بدءا من الصفحة الاولى . ويصحبك الى حيث يشاء . فتصبح ـ كقارىء ـ مسلوب الارادة حتى تنتهى من القراءة .

وأخيرا.. اخناتون في أوبرا

الاوبرا عمل درامي ، يجــــرى الحوار فيه بكلمات تغنى كلهــــا او بعضها بمصاحبة الات موسيقية عادة ما يتشكل منها اوركسترا .

وتعتبر الاوبرا ، وفقا لهذا التعريف فنا شابا ليس له من العمر سـوى اربعمائة عام ، وذلك عند نهاية القرن العشرين . وشبابها هذا لا يبزها فيه سوى السينما التى لم تولد الا منذ ثلاثة وتسعين عاما ...



وما اريد ان الخص هنـــا تاريخ فن الاوبرا مرتدا به الى اول حدث من نوعـــه ، وهو عرض اوبرا « بيرى » المسماة « يوريديس » مصدر الهام « اورفيوس » رب الموسيقى ، واغنية حبه وانشودة هواه ، عرضها باعتبارها حدثا جديدا فريدا فى مدينة فلورنســــا وذلك كجزء من احتفالات عقد قران هنرى الرابع ملك فرنسا على مارى من آل ميديشى الاسرة الحاكمة العريقة فى التوسف والنبل (١٦٠٠)

ولا ان الخص تطور هذا الفن على مر اربعة قرون من عمر الزمن .

كيف نهض به « اليساندرو سكارلاتى (١٦٥٩ ـ ١٧٢٥) » وجان باتيســت لولى » (٣٢ ـ ١٦٨٧) و جان فيليب رامـــــــــو » (١٦٨٣ ـ ١٧٦٤) وكريستوف فون جلوك»(١٤ ـ ١٧٨٧) حتى جاء « وولفجـــانج اماديوس مـــــوزار » (٥٦ ـ ١٧٩١) وحى موسيقى السماء الى الارض جاء الى عالم الاوبرا « بالدون جـــوان » و « الناى السحرى » فارتفع بفنها الى أعلى عليين .

● تطور فن الاوبرا

وكيف ظهر فى منتصف القرن الماضى واوائل هذا القرن ، ما ينبىء بما كان فن الاوبرا مشرفا عليه من تطـــور خطير ، وآية ذلك اعمال ريتشـــارد فاجنر (١٣ ـ ١٨٨٣) و « جيوسيبى فيـــــــردى » (١٨١٣ ـ ١٩٠١) و « ريتشارد شتراوس » (١٨٦٤ ـ

واخيرا.. اخناتون فى اوبرا

١٩٤٤) و « كلود ديبوسى » (١٨٦٢ ـ ١٩١٨) ·

وكان هؤلاء جميعــــا وكثير من امثالهم يصورون آخر واول عصـــر آخر ، يصورون طورا من اطـــوار الانتقال ·

ولم يكد هذا القرن يخطو خطوات قليلة ، حتى ظهر جيل من الموسيقيين نظر الى ما قبله من ابداع نظرة سخط عنيف ، تمرد عليه رافعــــا راية العصيان تحت شعار اللانغم ·

ثم كانت الحــرب العالمية الاولى التى هزت الانسانية كلها خمســــة اعوام ·

وما ان انتهت حتى ظهرت اعمــال ارنولد شونبرج (١٨٧٤ ـ ١٩٥١) الاوبرالية « موسى وهارون » وكذلك اعمــال « كارل اورف » (١٨٩٥ ـ ١٩٨٢)« انتيجون » وغيرهم من امثال « البان بيرج » و « انطون فــون ويبرن » ·

ومرة اخرى اهتز العالم بحــرب عالمية ثانية دامت زهاء ستة اعوام ، واذا بالابواب تفتح على مصاريعهـــا لجيل من الموسيقيين نفذت اليـــــه نظرية اللانغم حتى النخاع ·

ومن اهم مبدعى هذا الجيـــل فى مجال الاوبرا الالمانى « هانز فارنر هنزى » ، والامريكى « فيليب جلاس » وعند اوبرا الموســــيقار الاخير المسماة « اخناتون » (١٩٨٤) اقف قليلا ·

هذه اوبرا استكمل بها « جلاس » ثلاثيته التى تدور وجودا وعدما حول شخصيات تاريخية ثلاث لعبت دورا حاسما فى تاريخ البشرية ·

والثلاثية بدأت باوبرا « اينشــتين على الشاطىء » (١٩٧٥) ، وبعـــد انتهاء « جلاس » منها اتبعها باوبرا غاندى المسماة « ساتيا جراها » ·

وفى رأى صــــاحب الثلاثية ان « اخناتون » و « غاندى » و« اينشتين»، **هؤلاء الثلاثة قد تحولوا بافــــكار واحداث ازمنتهم تحــولا ثوريا وذلك بفضل قوة الرؤى الكامنة فى اعماق اعماق كل واحد منهم ·**

فاينشتين رجل العلم وغاندى رجل السياسة واخناتون رجل الدين ـ كل واحد منهم وله نصيب فى هـــــذه الافكار الثلاثة (العلم ، السياسة ، الدين) التى لا يزال عقلنا وعالمنـــا متأثرين بها الى يومنا هذا ·

ويستطرد « جلاس » قائلا انه حصل على نصــــــوص الاوبرا من زمن « اخناتون » ـ فترة العمارنة ·

وان المراسيم والالقاب والخطابات وبقايا قصائد الشعر ، كل ذلك وغيره مما عثر عليه فى الحفريات انمـــا يجرى غناؤه فى الاوبرا باللغـــات الاصلية المكتوبة بها هذه الآثار ·

● تباعد

ونظرة طائرة على كل من مقــدمة « جلاس » للاوبرا وقصتها المكتوبة وكلماتها ، انما تكشف التباعد الذى بينها وبين الاوبرا كما اعتــدناها فى اعمال مثل « عايدة » و « ريجوليتو » و « غادة الكاميليــا » و « كارمن » و « توسكا » ، وكلها بلا استثنـــاء تنتسب الى القرن الماضى ·

تبدأ الاوبرا بمقدمة اوركســترالية حتى اذا ما اقتربت من نهايتهــــا ، ارتفعت الســـــتارة عن الكاتب « امنحوتب بن هابو » فى مشـــــهد الجنازة يقول شعرا من نصـــوص الاهرامات ـ المملكة القديمة مفـــاده ان ابواب الافق مفتوحة والســـحب

السوداء تخفى السماء والنجوم تمطر ، والافلاك تترنح ، وعظام كلاب الجحيم ترتعد ، وحراس البوابات فى صمت ‥ لماذا ؟

لان الملك تحلق روحه صعودا الى السماء حتى لا يموت هنا على الارض وسط رعاياه الذين مآلهم الفناء وبئس المصير ٠

وما ان تنتهى هذه المقدمة ، حتى تبدأ جنازة الملك امنحوتب الثالث والد اخناتون ٠

وهذه الجنازة مدار الفصل الاول ، وترمز الى اهتمام المصرى بالحياة فيما بعد الموت ٠

ونغمها سائد متكرر على امتداد الاوبرا وموكب الجنازة يقوده طبالان، يتبعهما نفر من كهنة آمون يسير فى مقدمته « أى » (والد نفرتيتى ومستشار الملك المتوفى وفرعون مصر عند سقوط اخناتون) ٠

والجميع ينشد من كتاب الموتى بلغة مصرية قديمة غير مترجمة ٠

« عش الحياة ، انك لن تموت ، انك ستعيش ملايين ملايين السنين ‥ ملايين ملايين السنين »

وشيئا فشيئا ، ومع انحسار الموسيقى فى الات الشيللو يدخل الملك المتوفى امنحوتب الثالث فى اعقاب الموكب ٠

واذا بنا نراه فرعونا بلا رأس ، والاغرب انه يحمل رأسه على كفيه

وهنا يعود الجوق الصغير ومعه صوت « أى » الاجش تصاحبه موسيقى الاوركسترا ، فينشد من نفس كتاب الموتى ما حاصله ان زورق رع يجوس بفرعون العباب ومن تحته فى العالم السفلى بحيرة النار

وان فرعون لن يموت ، بل سيبقى حيا يرزق ملايين ملايين السنين ٠

ولن احكى بقية الفصل الاول ٠

كيف توج امنحوتب الرابع (يعنى روح امون) فرعونا ، وما ان توجه بالخطاب الى الشعب اذا به يتحول الى اخناتون (يعنى روح اتون) مصفيا بذلك امون ومعه ماضى المصريين الوثنى لصالح اله واحد ٠

ولا كيف ينتهى الفصل باخناتون وحيدا يراقب جنازة ابيه فى الافق البعيد والزورق يعبر بها نهرا اسطوريا الى ارض الموتى ٠

وانما اكتفى بهذا التلخيص ، وذلك لانى ما حكيت بالتفصيل النصف الاول من هذا الفصل الا ابتغاء تسليط الضوء على ما يميز اسلوب « جلاس » فى الابداع الاوبرالى ، وما يباعد بينه وبين اسلوب غيره من الموسيقيين لاسيما من كان منهم باعماله سابقا على قرننا العشرين

● اوبرا باللغات القديمة

وهنا قد يكون من المناسب ان اقول ان أول عرض لاخناتون لم يكن فى الولايات المتحدة ، وانما كان فى المانيا الاتحادية وبالتحديد اوبرا ستوتجارت فى الرابع والعشرين من مارس لعام ١٩٨٤ ٠

وان الكلمات فى تلك الاوبرا لا يجرى غناؤها باية لغة من لغاتنا الحية ، وانما باللغات القديمة كما جاءت فى نصوص الاهرامات وكتاب الموتى والواح تل العمارنة ، وما الى ذلك من اثار ٠

ومع ذلك فثمة استثناءان من القاعدة المتقدم ذكرها ٠

أولهما السرد المصاحب للاحداث على لسان الكاتب والذى يعتبر بمثابة الراوى ، ذلك السرد نسمع كلماته مترجمة الى لغة المشاهدين ٠

وثانيهما الصلاة لاتون فى المشهد الرابع من الفصل الثانى حيث نرى اخناتون مبتهلا بلغة حية مفهومة ٠

ومن بين ابتهالاته المدهشة ان الله واحد لا شريك له ٠ وان الله ليس له كفو احد ٠

شجون صبية

شعر: زينب محمود أحمد

وكان الليل مرسوماً
على أحداق قريتنا ،،
فلا يرتاح إن نمنا
ولا ينسل
إن صاحت
ديوك الفجر !!

● ● ●

وكان الليل يطعمنا
بقايا السُّهدِ ،
إن ضنت قوافله
بأضغاثٍ ، تبعثرها
على الأرواح
فى دهمومة الذكرى
، ....
يدوس ضروع سنبلةٍ ،،،
فتنعش ..
كلُّ أفئدة النخيل ..
المرُّ
لا يساقط الرطب !.

● ● ●

وكأن الليل يجمعنا
يدثرنا .. ..
بأوجاعٍ رماديه
يلم الشئ المصهور
فوق مشاعل الرؤيا

وإن أمطر .. .. ..
.. ..
.. ..
تحرقه شجون صبية
عثرت على الوان مهجتها ..
الخريفيه
، .. ..
يفك إسارها
شريان هدأتِهِ ،،
فيخطف قلبها النشوان





سمت مخالب الصرخة

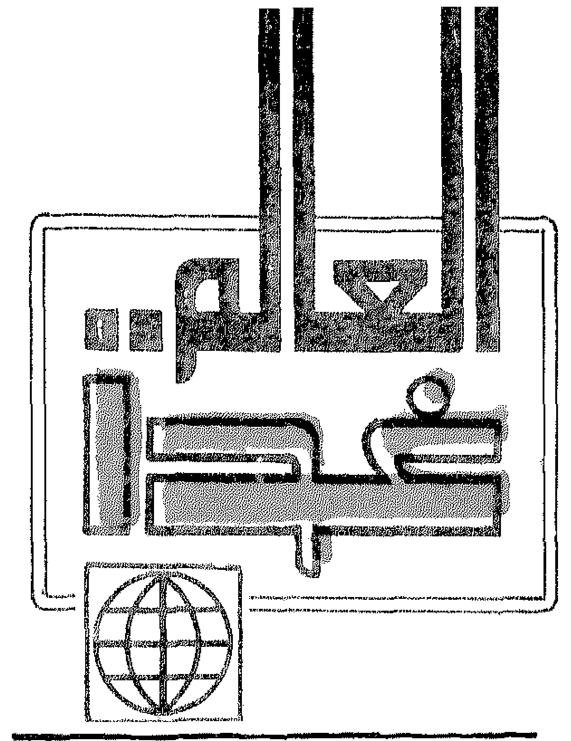
● ● ●

فتجلس تحت أرجله
وما تنفك تحدوه
بريق الشمس
يا أحمر
بريق الشمس
يا أصفر ..
ويا
أخضر ..
وياااا ....
أو.......
دق]

● ● ●

وكان الليل ....





● مصر بالاقمار الصناعية ●

تسلمت مصر اول خريطة جيولوجية متكاملة تغطى جميع أنحاء مصر وتخدم مشروعات التعدين والتعمير والبيئة والسياحة ·

والخريطة الجديدة تختلف من حيث النوع عن الخرائط التقليدية السابقة . التى كانت تحتوى على المعلومات الاساسية ، وتخدم أساسا الاحتياجات التعليمية والتعريفية بالمناطق الجيولوجية فى مصر ··

اما الخريطة الجديدة فتحوى التفاصيل الجيولوجية الدقيقة ونوعيات الصخور المختلفة وتوزيعها ومواقع المناجم وحقول النفط ، مع تحديد الاراضى المزروعة والمسطحات المائية ، وشبكات الطرق وخطوط الكهرباء ، وغير ذلك من المعالم الانشائية والبيئية، وبالذات المستجدة منها فى المناطق الصحراوية والساحلية ··

وقد أمكن انجاز ذلك من خلال البيانات المستقاة من الصور الفضائية (الملتقطة بالاقمار الصناعية) والمدققة بواسطة ما يزيد على ٣٠ بعثة مساحية جيولوجية ، انجزت الاعمال الحقلية والمعملية المختلفة ·· وقد تم تجميع هذه الخريطة من ٢٠ لوحة مختلفة تغطى أجزاء البلاد ·

ويمكن أن يستفيد من هذه الخريطة قطاعات الطرق والزراعة والرى والكهرباء والتعمير والسياحةوالاسكان ناهيك عن القوات المسلحة ·

وقد تم تمويل الخريطة بمنحة أمريكية كويتية جاوزت ثلاثة ملايين دولار ، وجرت بمتابعة مباشرة من وزارة البترول والثروة المعدنية وسوف يبدأ تسويق الخريطة الجديدة للجهات البحثية اعتبارا من شهر نوفمبر القادم ··

وفى نفس الوقت وافقت الهيئة العامة للمساحة على انشاء مركز (تابع للهيئة) مهمته تحليل بيانات الاقمار الصناعية للاستعانة بمعلوماتها فى حصر الاراضى الزراعية وتحديث خرائطها (!) وتنظم الهيئة دورات تدريبية فى اللغة الانجليزية والكمبيوتر فى اطار الاعداد لانشاء المركز ·· هذا كما صرح مدير معهد الصحراء أنالمعهد انتهى من اعداد خريطة تفصيلية (!) لصحراء مصر بعد بحوث ودراسات ميدانية ومعملية قام بها خبراء فى مختلف تخصصات التربة والمياه والرى والزراعة ··

● مسلسل آرو الاسرامريكى ●

بعد انتهاء الجزء الاول من المسلسل الاسرائيلى الامريكى حول صنع الطائرة « لافى » وانسحاب الولايات المتحدة منه لتضطلع « باخراج » الجزء الثانى منه ، مع اسرائيل ، جمهورية جنوب أفريقيا ، بدأت وقائع مسلسل اسرائيلى أمريكى حول صناعة الصواريخ «آرو»

المضادة للصواريخ (تتحمل الولايات المتحدة ٨٠٪ من تكاليفه) ، وحول ايجاد سوق لصواريخ « يوباى » الاسرائيلية الصنع باعتماد استخدامها فى القوات البحرية الامريكية ••

ومسلسلا « لافى » و « أرو » يجريان فى اطار استراتيجية واحدة هى استراتيجية اليد الطولى الاسرائيلية التى يجب أن تكون مطلقة التأثير فى المنطقة • وهكذا فرغم اعلان اسرائيل عن تطوير صواريخ « أريحا » لتصبح صواريخا بعيدة المدى ، يمكنها أن تحمل رءوسا كيميائية وذرية ، يجرى استخدام العرب على طريقة يونيو ١٩٦٧ الشهيرة : « انظروا كيف يصرون على القائنا فى البحر •• هل نقف مكتوفى الايدى حتى يفعلوا ؟! »• ومن هنا كان التمهيد بشائعات حول شراء دول عربية عديدة لصواريخ صينية ، وحول •••

ذلك رغم أن المسألة تدخل أساسا ضمن مبادرة الدفاع الاستراتيجى للرئيس ريجان ، الامر الذى حذرت منه مجلة « الهلال » منذ يونيو ١٩٨٥ (نصيب العرب من حرب النجوم) وقد أختير توقيت المسلسل الامريكى الاسرائيلى الجديد حتى تخلص اسرائيل بالتعهدات الامريكية ، خوفا من خفوت الحماس لمبادرة الدفاع الاستراتيجية بعد ريجان الامر الذى لاحت بوادره بالفعل •••



● كارثة شرنوبيل •• بداية أم نهاية ●

فى السادس والعشرين من أبريل آثر واحد من أكثر علماء الذرة فى الاتحاد السوفييتى موهبة ومقدرة، آثر الموت على الحياة ، فكان أن انتحر وله من العمر واحد وخمسون عاما •

من هو هذا العالم المنتحر الذى هزت مأساته الشعب السوفييتى ؟

ولماذا اختار الانتحار ؟

هو فاليرى الكسييفيتس ليجاسوف•

وفى وصف شخصيته قال الاكاديمى السوفييتى « تريتياكوف » انه يجمع فى شخص واحد « دون كيشوت » و « جان دارك » •

وفى مذكراته التى نشرتها جريدة « البرافدا » بعد انتحاره بقليل وبالتحديد فى العشرين من مايو ، يقول انه ما ان اثار موضوع تغيير المفاعلات النووية الى مفاعلات أكثر امنا وامانا حتى هبوا ثائرين عليه متهمين اياه بالجهل وبالتدخل فى مسائل لا يعرف من أمرها شيئا •

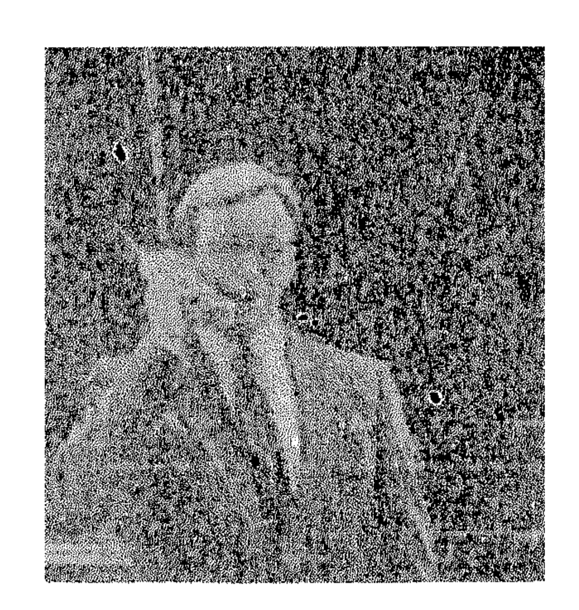
أما أكثر ما يدعو للحزن الشديد ، فهو غياب أى تحليل موضوعى علمى جاد لتحديد احتمالات ما يمكن ان يحدث مستقبلا وفحص مواقع المتاعب الممكنة فحصا كاملا شاملا ، فضلا عن اكتشاف الوسائل الكفيلة بالتغلب عليها •

لقد توصلت بعد ذهابى الى شيرنوبيل الى نتيجة واحدة لافكاك منها وهى ان فاجعة شيرنوبيل ليست الا قمة ونتيجة لكل ما هو سىء فى ادارة اقتصاد بلادنا على امتداد عقود عديدة •





كتب ناطقة



● وداعا للمكاتب ●

تطور جديد يشهده عالمنا اليـــــوم في دنيا الاتصالات بعد هاتف السيارة الذى مكن من ادارة مؤسسات بكاملها من الطرق العامة والجانبية فقد ظهـــر في أسواق لندن جهاز هاتف صـــغير (نصف كيلو جرام) مصمم بحيث يأخذ مكانه في جيب المرء على نحو مريح . ويتيح لحامله أيا كان موقعه الاتصـــال بأى مكان في العالم ··

والجهاز الجديد أشبه بحاســــبة الجيب الصغيرة ، وان افترق عنها في وجود هوائى مثـــل هوائى الراديـــو الصغير مبيت في أحد أطراف الجهـــاز ليتم اخراجه عند الكلام ·· ويعـــود صغر حجم الجهاز الجديد الى الاستفادة من الامكانات الحديثة لشرائح السليكون اذ طورت شرائح الهاتف الجديد بحيث تقوم الواحدة منها بالمهام التى يقـــوم بهـا مليــــون وثلاثمائة ألف مـــن الترنزستورات المستخدمة في أجهـــزة الهاتف العادية وذلك ناهيك عن استخدام تكنولوجيا جديدة فيما يخص تركيـــب الدوائر الالكترونية على الشريحـــة . وذلك عن طريق اللصق السطحي بدلا من تكنولوجيا التثبيت في الثقوب التي كانت متبعـــة من قبل ، ويبلغ ثمـــن الهاتف المنمنم الجـــديد ١٧٠٠ جنيـه استرليني وكان ، لفترة طويلة ، مـــن أحلام رجال الاعمال و ·· اذ يوفـــر لهم درجة هائلة من الحرية والمنـــاورة في اتمام أعمالهم ·

هذا وتوجد طرازات من هذا الهاتف مؤمنة ضد استخدام الغـــير لخطـــك التليفونى ، وضد تنصت أحـــد على مكالماتك ·

● الطاقة المتجددة ●

نظمت أكاديمية البحث العلمي وهيئة تنمية الطـــاقات الجـــديدة والمتجـــددة وجامعة ميامى الامريكية مؤتمرا دوليا للطاقة المتجددة في القاهرة أخيرا ·

وقد تناولت أبحاث المؤتمر المعـــارف الخاصة بالطاقة الشمسية وطاقة الرياح وطاقة الكتـــلة الحيـــــوية وطـــاقة الهيدروجين مـــن حيـــث التقنيـــات والتطبيقات وقواحي التخزين والتخطيط علاوة على الاقتصاديات ، وأثر الطاقة المتجددة على المجتمع ومن التطبيقـــات الهامة التى ناقشها المؤتمر تحلية المياه باستخدام الطاقة الشمسية ···

وتطرقت الابحاث الى تجربة استخدام طاقة الرياح والشمس في ضخ الميـــاه الجوفية بمنطقة شرق العوينـــات وفي انتاج الثلج (٤ أطنان يوميا) بمنطقة أبو غصن جنوب الغـــردقة ، ومشروع المركز القومي للبحوث حول اســـتخدام الطاقة الحيوية (البيوجاز) في بعض قرى الدلتا والصعيد وفيه يتم الحصول على الطاقة من غازات تخمر المخلفات الزراعية ، التى تتحول هى ذاتهـــا الى سماد ·

وجدير بالذكر أنه يجرى تشغيل محطات لتوليد الكهرباء بالرياح (٤٠٠ كيلووات ساعة) فى منطقة رأس غارب، ولاستخدام الطاقة الشمسية فى التسخين الصناعى (مصانع النسيج) والثلاجات الكبيرة (أسوان والفيوم) .. ويتم تنفيذ هذه المشروعات فى اطار أموال معونات واتفاقيات (تناهز ٤٠ مليون دولار) تقدمها الولايات المتحدة الامريكية والسوق الاوربية المشتركة ..

هذا وقد أثبتت الدراسات ارتفاع سرعة الرياح بمحافظة شمال سيناء وشواطىء البحر الاحمر الامر الذى يشجع على اقامة محطات لتوليد الطاقة من الرياح هناك ، بالذات وأن تكلفة الكيلووات ساعة باستخدام الانظمة الحديثة تناهز عشرة قروش وهى تنافس بذلك الطاقة التقليدية ..

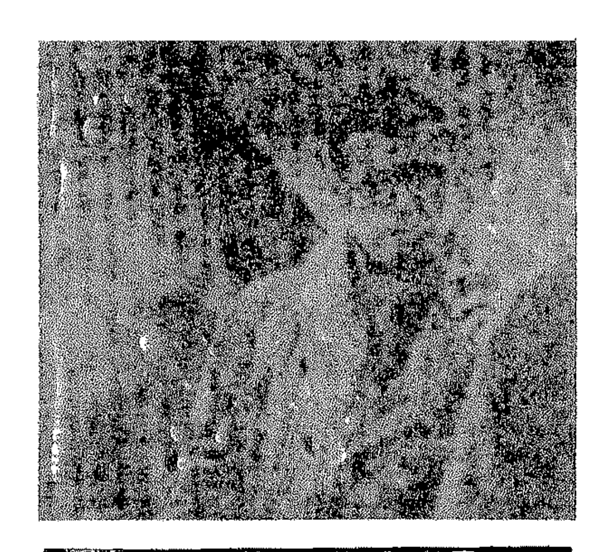
وقد أوصى المؤتمر بضرورة تشجيع تصنيع وحدات الطاقة المتجددة محليا، مع مراعاة التصميمات الحديثة ، والتوسع فى استخدام وحدات هذه الطاقة فى توليد الكهرباء وضخ المياه والتطبيقات الزراعية الاخرى مثل تجفيف المحاصيل ، كما أوصى بربط وحدات الطاقة المتجددة بشبكة الطاقة الموحدة .

● العودة الى استخدام المعالجة الطبية الطبيعية فى المانيا ... ●

بون — على الرغم من أن طرق العلاج الطبيعى أو ما يعرف بـ « الطب الشعبى » ، قد عرف منذ قرون طويلة فى معظم دول العالم واعترف الكثيرون بنتائجه الايجابية على صحة الانسان وأجهزته الداخلية واستفاد منه الكثيرون من المرضى وفى حالات متعددة ، فقد ظل هذا النوع من المعالجة الطبية الطبيعية بعيدا عن التطبيق العملى والاستخدام الشامل سنوات طوال ، ولكن الفترة الاخيرة شهدت تغييرا جذريا فى هذا المضمار حيث عاد الاهتمام مرة أخرى الى الطب الشعبى.

وقبل سنوات قليلة ركزت الدكتورة فيرونيكا كارستنز عقيلة رئيس جمهورية المانيا الاتحادية السابق السيد كارل كارستنز اهتمامها على احياء الطرق القديمة الخاصة بالمعالجة الطبية ونادت بضرورة « طرق المعالجة الطبية الاكثر انسانية » ، مما زاد فى الاهتمام بهذه الوسائل الطبية الطبيعية بصورة تدريجية. وقد هدفت الدكتورة كارستنز بهذه الطرق القديمة وعبارة « انسانية الطب » خفض نسبة المعالجة بواسطة الادوية الكيمائية لتجنب النتائج الضارة التى تسببها ، والتى تظهر غالبا بعد الانتهاء من العلاج فترة طويلة . فالمعالجة الطبية الطبيعية تقوم — بصورة رئيسية — على تناول الاغذية الصحية وتجنب الادوية والعقاقير الكيمائية والصناعية واستعمال الاعشاب الطبيعية المعروفة منذ الاف السنين والعمل على تقوية الارادة النفسية والروحية لدى المريض .

وقد عمدت الدكتورة فيرونيكا كارستنز الطبيبة المتخصصة بالامراض الباطنية ، الى انشاء هيئة خاصة تسعى الى تشجيع انتشار المعالجة الطبيعية، وقامت بالقاء سلسلة من المحاضرات الطبية واصدار مجلة خاصة للفت نظر المواطنين والاطباء والمرضى الى احياء وسائل المعالجة القديمة التى كانت مطبقة فى الماضى .



• افكر بنظارتك •

كشفت دراسة أجريت على ١٨٠ الف شاب تتراوح أعمارهم بين ١٧ و ١٩ سنة عن أن من يرتدون النظارات أكثر ذكاء من غيرهم وأن هنـــاك علاقـة احصائية واضحة بين الاصابة بقصر النظر وارتفاع درجة الذكاء ٠٠٠

لكن العلماء لم يعرفوا بعد ما اذا كان اهتمام قصيرى النظر بالمعرفة هـو تعويض على الفشل فى اهتمامات أخرى (ممارسة الرياضة مثلا) أم أن الانكباب على الكتب هو سبب اصابة « الاذكياء » بقصر النظر ٠٠

• موعد مع القلق •

القلق شعور يساور الجميع بدرجات مختلفة ، وحتى حد معين يكون القـلق شعورا ايجابيا يدفع الى الاحتشـــاد والتقدم ، لكنه يتحول الى شعور مدمر اذا زاد عن هذا الحد ٠٠ وهناك أنـاس لا يهدأون ولا يتـوقف تدفق أفكارهم المهمومة أبدا، واخرون يكدون فىالبحث عما يقلق ان لم يتيسر لهم ذلك ٠٠

ومن يعانونقلقا مزمنا يصابون عادة بتشنج فى العضلات ، ويحصر نفسى ، وشعور بالكآبة ، ويقودهـــم ذلك فى مشاكل صحية اكثر خطورة٠٠ ومشاعر القلق من المشاعر الدائرية التى يؤدى حصرها الى التفاعل والتعـاظم لتزداد حالة المريض سوءا ٠٠

ونظرا لتزايد من يعانون من القلق مع اسـلوب الحيـــاة العصرى تزايد الاهتمام بعلاج القلق ، وأمكن التوصل الى علاجات مختلفة ومن أطرف هـذه العلاجات علاج ذاتى محوره أن يحــدد المرء سلفا وقتا يمارس فيه القـــلق كل يوم ٠٠

وعلى المرء مع هذا العلاج أن يتعلم تمييز نقطة بدء دورة القلق لديه ، وما أن يحس حلولها حتى يعترض تدفقهـا بالاسترخاء ، واقنــــاع النفس بتوافر الوقت للقلق لاحقا حسب الخطة ، ثـم بالتركيز على فعل أمر ايجابى اخـر ، حتى يحل موعد الفترة (٣٠ ق مثلا) التى حددها مسبقا للقلق ، ويعتمـــد هذا التصور على أن العقل لا يستطيع التركيز على عمليتين فكريتين فى ان واحد ٠

والطريف ان كثيرا من النــــاس ينجحون فى الكف عن القلق المزعج ، بهذه الطريقة ، خلال اسبوع واحـد ، من خلال استبدال عادات أخرى بعادة القلق ، واقناع أنفسهم بتوافر فرصـة لاحقة للقلق مما يسهل من الامتنـــاع عنه فى الفترات الاخرى ٠

ورغم أن بعض من واظبـوا عـلى احترام موعدهم مع القلق يؤكدون أنهم لا يلبثون يفقدون ما يقلقون بشأنه فى خلواتهم ٠ لكن يجب التنويه بأن القلق لا يموت وأن ما يسعى اليه هذا العلاج هو التدرب على ترشيد القلق وتخفيفه، لا القضاء عليه قضاء مبرما ٠٠

بيريسترويكا الصين سبقت الاتحاد السوفييتي

بقلم: مجدى نصيف

إذا كان الزعيم السوفييتي جورباتشوف . قد جذب الأضواء إليه بسياسته الجديدة عن «البيريسترويكا» ، التي ألف عنها كتابا قرأه العالم . وما ارتبط بها من شعار الجلاسنوست . ويعني العلنية والمصارحة ، فإن جذور هذه السياسة . بما في ذلك العودة إلى السياسة الاقتصادية الجديدة التي اتبعها لينين بعد انتهاء حروب التدخل ضد ثورة أكتوبر الاشتراكية . إنما رسخت في الصين قبل الاتحاد السوفييتي على يد دنج سياوبنج - ربما لأن الصين كانت أكثر احساسابالحاجة إلى إعادة بناء اقتصادها المتخلف على أسس جديدة ، أكثر من الاتحاد السوفييتي ، الذى ساعد على تركز الأضواء عليه كونه إحدى القوتين الكبريين . وأن جزءا لا يتجزأ من سياسة البيريسترويكا فيه هو الاتفاق التاريخي مابين هاتين الدولتين على نزع السلاح النووى . ومع ذلك فقد جذبت وقائع المؤتمر الثالث عشر للحزب الشيوعى الصينى الذى انعقد في بكين في العام الماضى اهتمام العالم . فالصين قوة كبرى يزداد دورها على المسرح الدولى ، والحزب الشيوعى الصينى الذى يصل عدد أعضائه إلى ٤٦ مليون فرد ، هو أكبر حزب حاكم وأكبر حزب شيوعى في السلطة أو خارجها على الإطلاق ، والخط الذى يتبعه الحزب يؤثر دون شك على مسار الأحداث الدولية . ويؤثر بشكل أكبر على مسار الحركة الشيوعية العالمية

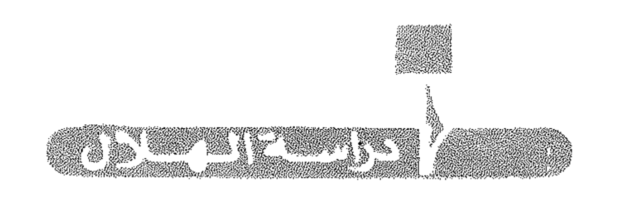
هذا المؤتمر بالذات هو انطلاقة [illegible] وتاريخية في مسار الإصلاح الذي اختارته القيادة الصينية [illegible] عام ١٩٧٨ ، بعد ثورة [illegible] الثقافية المدمرة [illegible] [illegible] في العالم الثالث الذي يعاني المجاعة [illegible] مشكلات [illegible]

● إنجازات ومشكلات

[illegible]

(١٩٨١ ـ ١٩٨٥) بنسبة ٨.١٪ في المتوسط كل عام . وتحسن تدريج الفرد [illegible] [illegible] ١٤٪ في [illegible]

[illegible] ([illegible]) [illegible] ١٩٨١ [illegible] المناطق المختلفة . اما الإنتاج الصناعي [illegible] ١٢٪ [illegible] ارقام [illegible] أن ارقام الإنتاج لم تحقق [illegible] المجالات [illegible] [illegible]



نقول إن الصين قد تلقت منذ بداية الثمانينيات مايزيد على ٥٥ بليون دولار في شكل قروض واستثمارات مباشرة ، استخدمت منها بالفعل ٣٢ بليون دولار اى بنسبة أكثر من ٥٨٪ وهى نسبة كبيرة . ولقد تم استيراد ١٤ الف جهاز ووحدة حديثة ومعدات تساوى ١٢ بليون دولار . وعقدت اتفاقيات لاقامة وانشاء ٨٩٠٠ منشأة بمشاركة رأس مال أجنبى . كانت هذه عملية تحديث كبرى لبناء الصين الجديدة ، وكانت النتيجة إقامة صناعات جديدة حديثة هى صناعة المستقبل ، آلا وهى صناعة الكومبيوتر ، وكذا التليفزيون الملون ، وتم تحديث صناعة الطائرات وصناعة السيارات ، وأخذت صناعة التعدين والحديد بالذات وكذا الصناعات الكيماوية وصناعة الأسمدة دفعات قوية الى الأمام وكذا المواصلات .

● صياغات جديدة

ولكن ... منذ بدأت مسيرة الاصلاح فى أواخر عام ١٩٧٨ ، وهى لاتنطلق فى خطوط مستقيمة صاعدة ، بل فى دورات من الابطاء والاسراع ، وكان هذا واضحا على وجه الخصوص فى المجال الصناعى ، حيث أدت الى ضغوط تضخمية ، وعجز فى الميزانية ، وعجز فى الميزان التجارى ، فبعد أن وصلت النتائج الايجابية الى قمتها فى نهاية الخطة الخمسية السابقة عام ١٩٨٥ ، بدأت نتائجها السلبية فى الظهور .

لم يكن معنى هذا ان الاصلاحات خاطئة ، وانه لابد من الرجوع عنها ، بل كان معناها انها وصلت الى مرحلة حرجة ، لابد معها من خيارات جديدة تماما ، خيارات حساسة من الناحية الايديولوجية او معقدة من الناحية التقنية

فعندما اتخذت القيادة الصينية الاجراءات الاصلاحية الأولى ، اعتمدت فى الدفاع عن الشرعية الماركسية للاجراءات على الفصل بين مفهوم الادارة ومفهوم الملكية الاشتراكية لوسائل الانتاج ، وتم ذلك بأسلوب مبسط ملائم وان كان سطحيا متعجلا ، فقدمت على اساس انها تغيرات فى نظام الادارة الاقتصادية فحسب ، دون المساس بملكية وسائل الانتاج ، ولما لم تحقق الاصلاحات الزيادة المأمولة فى الانتاجية ، بدأت القيادة السياسية أو بالأحرى « الجناح الاصلاحى الراديكالى » ، ترى أن الحل الوحيد يكمن فى ارتياد آفاق جديدة تماما على الماركسيين كان لابد من اتخاذ اجراءات خارج الاطار التقليدى ، ووضع صياغات نظرية جديدة لها .

● الإطار القديم

فشلت القيادة السياسية فى اصلاح نظام الأسعار غير المرشد بسبب القلق السياسى لوقعها التضخمى ، ولذا عانت الاصلاحات فى مجال استقلالية المصانع والمؤسسات وادارتها ذاتيا ، عانت من عدم قدرة الحكومة على ادخال تغييرات جذرية فى السلوك « الميكرواقتصادى »

[على مستوى المؤسسات والمصانع] المفضى الى الربح ، ونظام محاسبى جديد ، وظلت الأنظمة القديمة سائدة رغم إدخال الاجراءات الجديدة ، فظلت المؤسسات لاتحاسب ، ولاتعاقب لأى خطأ أو خلل أو خسارة ، رغم أن الدولة ـ وهى المالك الوحيد ـ استمرت تقدم الدعم لهذه المؤسسات وتواجه الخسارة بتمويلها فى نفس الوقت .

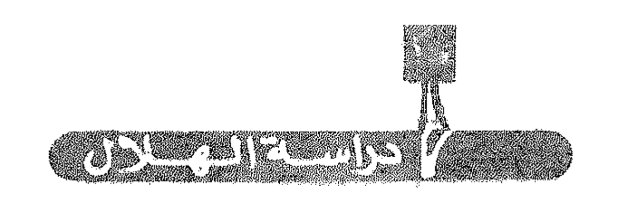
هنا توصل الاقتصاديون الصينيون ، الى انهم اذا أرادوا الاستمرار فى الاصلاحات لتصبح المؤسسات مستقلة استقلالا ذاتيا حقيقيا ولها جهاز محاسبى ، **فيجب مواجهة قضية الملكية العامة لوسائل الانتاج ، لادخال تغييرات على اشكال الملكية ، والحفاظ فى نفس الوقت على الطبيعة الاشتراكية للدولة الصينية** . وقدمت فى هذا الاطار اقتراحات بتغيير شكل الملكية العامة الحالى لوسائل الانتاج ، الى أشكال مختلفة من الملكية المشتركة ، حيث تؤول الملكية للدولة بالمشاركة مع مؤسسات أخرى ، أو أفراد يملكون الأسهم ، ومعنى هذا انه لابد من حدوث تغيير أيضا فى نظام تسويق الاقتصاد الصينى ، وتنمية رأس المال ونظام العمالة ، والاسكان ـ الى جانب أشياء أخرى .

● اعتراضات

واعترض على هذه الاجراءات بطبيعة الحال ، الجامدون عقائديا ، والماركسيون الأرثوذكس فى القيادة الصينية ، هؤلاء رفضوا اتخاذ أى اجراءات من أى نوع ، اكتفاء ببعض الحلول هنا وهناك فى اطار الشكل الحالى لكل شىء . لكن كان هناك جناح آخر أطلق عليه اسم « جناح المحافظين » ، هؤلاء « اصلاحيون » أيضا ولكن بطريقتهم الخاصة ، انهم يفضلون سياسة اقتصادية ـ لينينية من نوعية « السياسة الاقتصادية الجديدة » NEP (النيب) ، وهى تلك التى طبقت فى روسيا بعد ثورتها البلشفية عام ١٩١٧ ، وهو نظام يسمح بوجود علاقات السوق ، ولكن على هامش نظام تملك فيه الدولة الاشتراكية كل وسائل الانتاج ، مما يسمح بتخطيط مباشر أو غير مباشر .

منذ ذلك الحين ، آدركت الأجنحة الثلاثة أنه لدفع الاقتصاد الصينى الى الأمام باتخاذ المزيد من الاجراءات ، فلابد من تخطى الشكل الحالى للنظرية الماركسية وللتطبيق الماركسى ، وطرق سبل جديدة غير معروفة سن قبل ، ومعنى هذا تخطى التعاليم الماركسية التقليدية ، والاتجاه نحو آفاق جديدة . كان هذا يحتاج فى حقيقة الأمر الى جرأة ، ومن أقدر على الاقتحام والجرأة غير ذاك الذى يعرف مشكلات بلده جد المعرفة ، والذى يعلم تمام العلم أن الماركسية هى فى حد ذاتها تعنى الابحار نحو آفاق جديدة ؟ من الذى يقتحم الجديد غير الذى شارك فى تأسيس الحزب وخاصة حرب التحرير ، وعبر فترة الظلام « للثورة الثقافية البروليتارية » ؟ من غير دنج سياو بنج الذى يقود جناح « الاصلاحيين الراديكاليين » ، الذى ينشد الاصلاحات والاجراءات الراديكالية ؟

نظر « الاصلاحيون الأرثوذكس » بسلبية الى المشكلات الناتجة عن تطبيق الاجراءات ، منادين بالتوقف عند هذا



[illegible]

● نحو المؤتمر الثالث عشر

كان [illegible]

[illegible] الأجنحة الثلاثة الموجودة [illegible] سرعان ما بدأ هذا الاحتواء [illegible] الأجنحة المتصارعة كانت [illegible] المؤتمر الثالث عشر للحزب والذي كان [illegible] في [illegible] وحتى أول [illegible] عام ١٩٨٧ [illegible] هذا المؤتمر [illegible]

[illegible]

وعلى الطريقة الصينية .

● استراتيجية للتنمية

وانعقد المؤتمر الثالث عشر للحزب فكان عليه تقييم تجربة سنوات الاصلاحات التسع ، ووضع استراتيجية جديدة للتنمية في المستقبل . وهذا ما فعله بالضبط التقرير الذى قدمه للمؤتمر زاو زيانج باسم اللجنة المركزية

ويرتكز التقرير على ثلاثة موضوعات اساسية

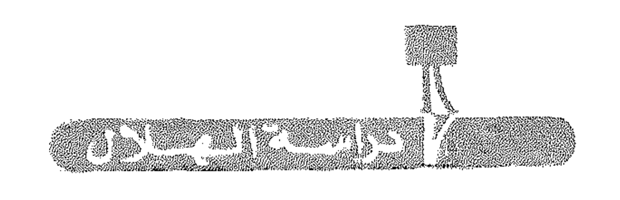
الاول : « ان الماركسية كعلم حديث ، يحتاج الى مراجعة اساسية . واثناء عملية بناء مجتمعنا الجديد ، تشكلت في السابق بعض المعتقدات التي تتضمن عناصر يوتوبية في ضوء التحديدات التاريخية . وهذه يجب رفضها ؛ وبالمثل يجب رفض كل جمود عقائدى لتفسير الماركسية . ومايترتب على ذلك من أخطاء . ويجب أن تتطور النظرية الاشتراكية العلمية وتتطور الى الامام على ضوء الخبرات الجديدة :

وأكدت المناقشات على أن يضع الحزب في اعتباره أن تقترن الاشتراكية بالواقع وبهذه الطريقة تبنى الاشتراكية بخصائص الصين ، واعترف الحزب « بالاخطاء اليسارية » في الماضي « وهو انحراف كان على حساب نمو القوى الانتاجية وانتاج السلع الاجتماعية » . ولاحظ المؤتمر كذلك ، وجود انحرافات ، وأخطرها هو الانحراف اليسارى الذى يقدم تفسيرا يتسم بالجمود العقائدى للماركسية ، ضد الاصلاح الحالي وسيتم شن حرب ضد كل هذه الانحرافات ، ليس عن طريق حملات سياسية كما كان يحدث في الماضي . ولكن عن طريق التعليم الايجابي والنقد الحقيقي ،

والثاني : حول تحديد مقياس نشاط الحزب . يقول التقرير ان « دور الحزب ونشاطه يتحدد من مدى مشاركته في نمو قوى انتاج الشعب الصيني . ومهمة الحزب الشيوعي الصيني للمرحلة الراهنة هي توسيع قوى الانتاج . وكل مايساعد على انجاز هذا بسد الاحتياجات الحيوية للشعب . وهو لذلك شيء تسمح به الاشتراكية » . والفشل في تطبيق هذا المقياس والقيام بالتنمية طبقا للمواصفات المجردة والنماذج الجاهزة اليوتوبية ، لايمكن الا ان يهين الماركسية » .

لقد واجهت الصين هذا الوضع عندما ساد الجمود العقائدى في الستينيات واوائل السبعينيات عندما اتبع الحزب الشيوعي الصيني سياسة تصعيد الصراع الطبقي وتكثيفه ، وتجاهل الانتاج والاحتياجات المادية للشعب الصيني . .

والثالث : يحدد المرحلة الحالية التي تمر بها الصين . فيقول : « ان الصين تمر الآن بالمرحلة المبدئية لبناء الاشتراكية . فلقد نمت الاشتراكية في بلادنا من مجتمع شبه مستعمر شبه اقطاعي . ومن ناحية مستوى التطور . فما زالت قوى الانتاج عندنا متخلفة جدا عن الدول الرأسمالية . وفي ظل هذه الظروف . فاننا يجب أن نسير في طريق طويل في المرحلة



المبدئية ، وخلالها ينبغى تصنيع البلاد ، ونقوم بتحديث الانتاج ، وبمعنى اخر ينبغى أن نفعل مافعلته الدول الأخرى فى ظل الرأسمالية » .

ثم يقول التقرير « والمرحلة المبدئية لبناء الاشتراكية هى مرحلة خاصة فى الصين ، فالصين دولة أسيوية تبنى مجتمعا جديدا فى سياق قوى انتاجية متخلفة ، فما زالت الصين تأتى فى ذيل قائمة فى العالم من ناحية نصيب الفرد من الناتج القومى الاجمالى » وستستمر هذه مائة عام على اقل تقدير منذ بدأت فى الخمسينيات حين تم استكمال تأميم الملكية الخاصة لوسائل الانتاج ، ولو كان الحزب الشيوعى الصينى قد توصل الى هذه النتيجة فى أوائل الخمسينيات لتفادى الدخول فى كثير من الظواهر السلبية التى حاولت القفز على المراحل ، وبالتحريف فى المجالات الاقتصادية والسياسية : مثل « القفزة الكبرى الى الأمام » و« الكوميونات » ، و« الثورة الثقافية البروليتارية » .

هكذا وضعت الأسس النظرية للبناء فى الصين ، مبنية على الواقع وليس بشكل مبتسر ولا بلوى الذراع ، فالاشتراكية لايمكن ان تبنى « بالحماس وحده أو بالحقن » ، و« قوانين الانتاج السلعى يجب ألا تنتهك وكذا المنتجون الصغار فى المرحلة الحالية » .

« إن خلق ميكانيزم اقتصادى يدخل السوق فى تكامل مع التخطيط ، أى أن يصبح ميكانيزم الدولة للسوق وتوجه السوق ناحية الاقتصاد ... سيستمر لأن يكون هو الاتجاه الرئيسى لتحول المجتمع ... ويرى الحزب انه من الضرورى ، مع الحفاظ على دور الملكية العامة القيادى فى المجتمع ، ان يدفع الى الأمام بالاقتصاد الصينى ذى البنى المتعددة ، تطوير التعاونيات والأشكال الأخرى للقطاع الخاص على وجه الخصوص ، فى الريف والمدينة » .

هكذا يقول التقرير ان الاقتصاد الصينى فى المرحلة الحالية يتكون من خليط مركب من قطاع الدولة السائد ، والقطاع التعاونى ، والقطاع الخاص ، والقطاع المشترك الذى يشارك فيه رأس المال الأجنبى وأساسه التحديث . ويتحدد الاقتصاد الصينى فى هذه المرحلة بأنه « اقتصاد اشتراكى سلعى » يعلق أهمية كبرى على تنمية علاقات السوق . ويعنى الاقتصاد المخطط لهذا المفهوم « أن تنظم الدولة السوق ، وأن تنظم السوق المصانع ، وتظل سيطرة الدولة مستمرة ، وان كانت هذه السيطرة ليست فى شكل اصدار التعليمات والأوامر الادارية المباشرة الى المصانع ، ولكن لتنظيم السوق ، صحيح انه سيكون هناك اطار عام فى شكل تعليمات من الدولة الى المصانع ، لكن الشكل الأساسى هو التنظيم بواسطة السوق » .

هذا هو جوهر مسيرة الاصلاح الصينية ، ويتطلب هذا أن تفهم كوادر

الحزب دورها ، وقد جاء هذا بالفعل فى التقرير فى الفصل بعنوان « عمل الحزب فى الظروف الراهنة » ، فهو يقول إنه « يجب أن يكون هناك فصل تام بين العمل الحزبى والعملين الاقتصادى والادارى ، فينبغى ألا تتدخل المنظمات الحزبية منذ الآن فصاعدا فى الادارة الاقتصادية ولا فى نشاط الدولة . وينفذ الحزب مهامه وسياساته بعمل كوادره وعن طريق العمل الايديولوجى والتعليمى » ... و« ينبغى أن يتوقف الحزب وأجهزته عن السيطرة المباشرة على الصناعة والادارات الحكومية ، وأن تبتعد كوادره عن مناهج وأساليب الماضى ، تلك التى استخدمت على سبيل المثال خلال الثورة الثقافية البروليتارية » .

• • •

وتردد فى المؤتمر أنه لايمكن لأية دولة أن تحقق تقدما ملموسا وفعالا فى بنائها فى عالمنا المعاصر ، وهى تشيد حول نفسها سورا من العزلة ، لقد جذبت الصين استثمارات وتكنولوجيا لاشك فى أنها ستساعد على أن تسد الصين الثغرة بينها وبين الدول المتقدمة ، ولعل خبرة الصين فى اقامة علاقات مع الدول الغربية ، ودعوة شركاتها لاقامة مشاريع مشتركة مختلفة على أراضيها فى « مناطق صناعية خاصة ، خبرة غنية دون شك ، فلقد فتح هذا الطريق أمام الصادرات المصنعة الصينية الى الدول الصناعية » .

وبطبيعة الحال فان الشركات العملاقة المتعددة الجنسيات لن تقوم هنا بالدور الاستغلالى الذى تقوم به فى كثير من دول العالم الثالث الفقيرة ، وان كانت ستستفيد من فتح أسواق الصين أمامها .

• إصلاح البنية السياسية للمجتمع

ولعل الدور الأساسى والهام للحزب الشيوعى الصينى فى هذه المرحلة هو اصلاح البنية السياسية للمجتمع لبناء نظام سياسى اشتراكى « حيوى قابل للتطبيق » ، « نظام عالى الكفاءة تسود فيه ديمقراطية عالية التطور ، ويسود فيه القانون » .

وهدف الصين « هو الاتجاه نحو ديمقراطية متقدمة وذات فعالية أكثر من ديمقراطية الدول الرأسمالية ، وهذا لايعنى على الاطلاق تقليد النماذج الغربية ، لكن الهدف هو ارساء ديمقراطية ذات سمات صينية » .

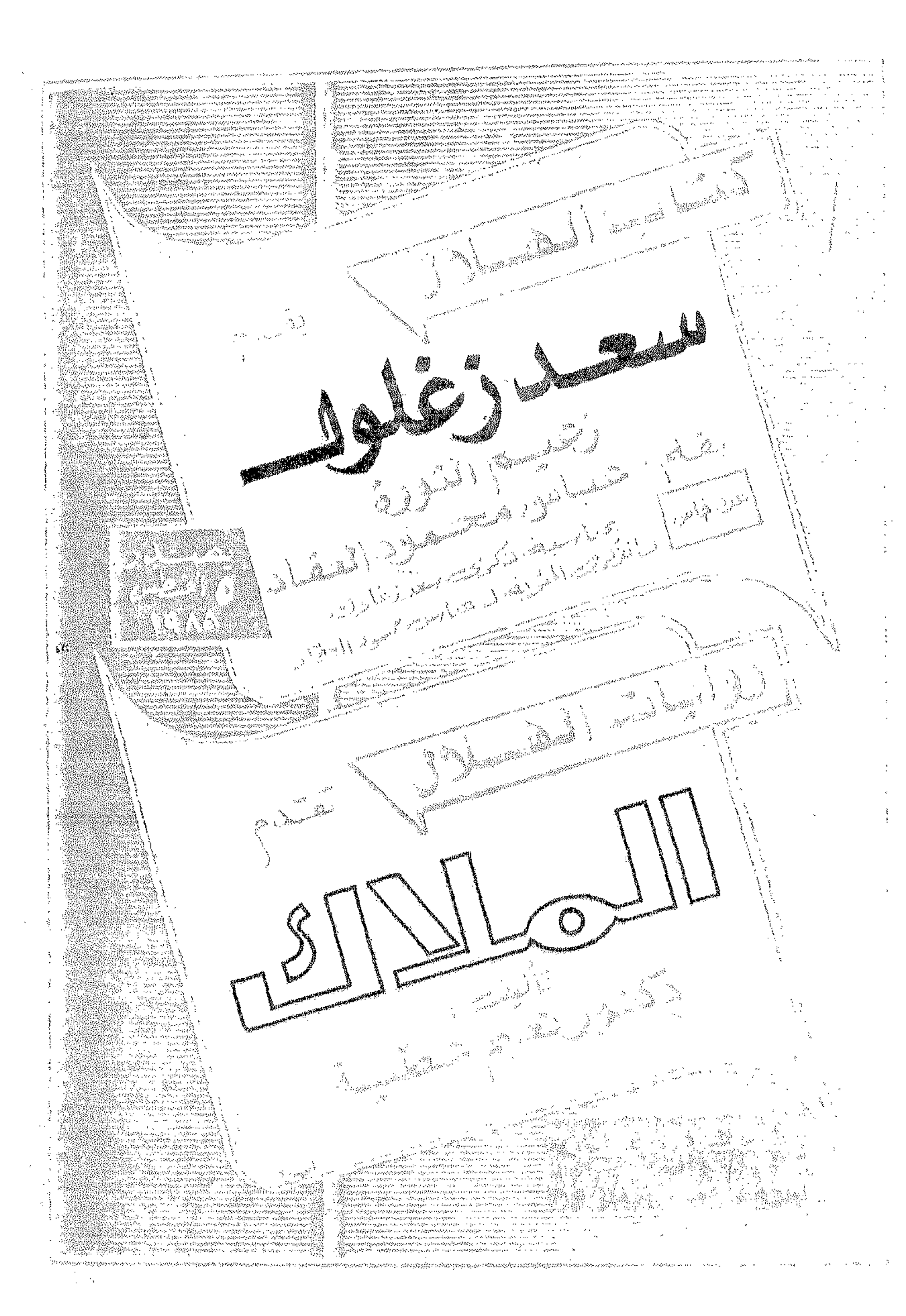
وتشير وثائق المؤتمر الى أن اصلاح البنية السياسية سيكون محدود الأهداف فى المستقبل القريب ، وينبغى أن يتم بحذر شديد ، خطوة خطوة وبتوجيهات صارمة ، بطريقة بسيطة ودون خشونة يعتمد عليها ، حتى لايمس استقرار الحزب ويقف حجر عثرة فى طريق وحدته .

ورغم هذه التحفظات اتخذ المؤتمر قرارات هامة على طريق اصلاح « النظام السياسى » منها تلك التى « تحدد مهام الحزب ومنظماته والادارات الحكومية » ، التى وصفت بأنها « حجر الزاوية لاصلاح البنية السياسية » ، وكذلك أشير الى أن « الحزب يقوم بنشاطاته داخل اطار

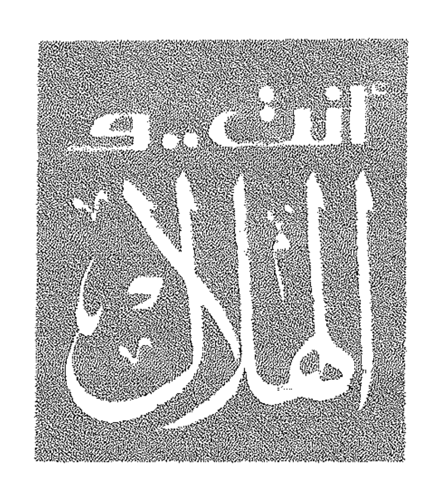
الدستور والقوانين الأخرى » . وهو يترجم خطط الحزب الى قرارات حكومية بالقيام بتفسيرها بشكل واضح ومحدد في المنظمات الحزبية » . وبطبيعة الحال فإن فصل أعمال الحزب عن الحكومة مازال قضية في خطوطها العامة وستتبين الطرق والاساليب في المستقبل من خلال العمل ، ما إعادة تنظيم الأبنية الحكومية فإنها قد بدأت منذ عدة سنوات وحتى الآن تم تغييرات جذرية في هذا المجال . وقد سيستمر العمل في هذا المجال حتى تحدث التغييرات المطلوبة ووجه المؤتمر اهتماما كبيرا الى تحسين مؤسسات الديمقراطية السياسية الاشتراكية ، وعلى وجه الخصوص مجالس ممثلي الشعب .

وستبدأ الاصلاحات السياسية بالحزب الشيوعي الصيني نفسه ، بل وبدأت بالفعل في المؤتمر نفسه عندما تقرر أن يتحسن نظام القيادة الجماعية والمركزية الديمقراطية من القمة وحتى القاعدة وهكذا تقدم أكثر من مرشح لكل منصب في هيئات الحزب جميعها بما في ذلك اللجنة المركزية وهذا شيء جديد تماما على النظام الداخلي للأحزاب الشيوعية كذلك تخلى كل أفراد « الحرس القديم » بما في ذلك القائد الذى أثرى مسيرة الاصلاح بأفكاره وتنظيمه ، ونج سياوبنج ، حتى يفتح الطريق أمام الشباب ، وهذا بدوره شيء جديد على العمل السياسي والحزبي في أية دولة اشتراكية يقودها حزب شيوعي ، وكان المؤتمر نفسه نموذجا ، للمناخ الجديد ، حيث ساد جو من الديمقراطية ، وقد ظهر هذا بوضوح للمراسلين الأجانب الذين جمعهم زاو زيانج في حفل كوكتيل لشرح أعمال المؤتمر وسير وقائعه ، في تقليد لم يسبق له مثيل

لقد أكد المؤتمر على أن « النظرية رمادية أما الواقع فأخضر » ، لذا فالواقع يغني النظرية باستمرار ، **فالنظرية ليست شيئا جامدا تتحرك الناس حوله ، بل هي كائن حي يتأثر بالواقع فيطوره وتتطور هي نفسها** . فالنظرية اذن لاتقدم قوالب جاهزة ، ولا نماذج خيالية تتبع ، وهكذا أكد زاو زيانج على « ضرورة تطوير سياسة الحزب والخطوط العامة ، ان أفكارنا العامة عن التناقضات في التنمية والسمات الكامنة للمرحلة الحالية سطحية وغير مضبوطة ، وحث الزعيم الصيني المنظرين على أن يتمسكوا في دراساتهم بشعار الثورة القديم « دع مائة زهرة تتفتح ومائة مدرسة تتنافس » .



كتاب الهلال
يقدم
سعد زغلول
زعيم الثورة
بقلم الأستاذ
عباس محمود العقاد
عدد خاص
روايات الهلال
تقدم
الملاك
تأليف



● التباس في الاسماء ●

● نشكر لسيادتكم ، تصرفكم الحكيم ، تجاه رسالة الصديق الشاعر عزت الطيرى ، والمنشورة فى عدد يونيو ١٩٨٨ · وقد تمثل هذا التصرف فى نشر رسالته · وفى نفس الوقت ، نشر ابداعات من اتهمتم عفوا ، بسرقته ؛ وكان ذلك دليلا على حيادكم ، ورغبتكم فى معرفة الحقيقة ·

وقد قرأت تعليقا ، تحت جزء من قصيدة (أحـزان فصـل من الفصول) ، حول نفس الموضوع · ولما قرأت رسالة الاخ عـزت الطيرى مرة أخرى ، وجدت أن « اسمى » لم يذكر فيها ، وانما الذى ذكر هو (خالد غازى) · فأرجو من سيادتكم ، التنويه ـ مشكورا ـ لان هذا الاتهام يسىء الى سمعتى ، فى الوقت الذى وفقت ـ بحمـد الله ـ الى نشر قصائدى ، فى مختلف البلدان العربية ·

ولا يفوتنى ان أشكر سيادتكم ، وأسرة تحرير الهـلال ، لما قدمتموه لى من تعاون صادق ، وتكرمكم بنشر قصائدى ، فى أعـرق وأكبر مجلة ثقافية ، فى الشرق الاوسط ·

وقد أرسل لى الاخ عزت الطيرى خطابا يشرح لى أنه لم يقصدنى فى رسالته التى نشرت فى عدد شهر يونيه سنة ١٩٨٨ وأحمد الله الذى أوضح الامور وأرجو من سيادتكم ايضاحها لان الذين يحبون مجلتنا « الهلال » لا يحصى عددهم · وقد اتصل بى وكتب لى أدبـاء من كل مكان حول هذا الموضوع · مما يدل على المتابعة الممتازةللمجلة وانهم يشاركونى مشاعرى الجياشة تجاه مجلتنا الرائعة الهلال ·

نبيل خالد
المنصورة

● اعترافات لص ●

● تحت عنوان « اعترافات لص » أرسل الينا الشاعر محمـود أحمد المصلى ردا على ما وجهه اليه الشاعر عزت الطيرى من تهمـة سرقة احدى قصائده ·· قال الشاعر المصلى :

الشاعر « عزت الطيرى » من الذين يحبون الظهور ، ويطيرون فرحا برؤية أنفسهم أكثر من مرة بذات الشخصية لذلك نشر قصيدته العصماء « حصاد !!حصاد » حتى كتابة السطور خمس مرات !! وربما

يكون عدد مرات الارسال عشرين مرة !

أولا : منذ متى كان القاموس اللغوى حكرا على واحد بعينه وهو الذي يتألف من اثنى عشر مليونا من الكلمات ، وأعظم شاعر لا تزيد ألفاظه عن ٥ ٪ فقط !! ولو أن صاحبنا تجرد من الهوى و « الالكترا » لتيقن أن اغراض الشعر منذ بدء قوله على لسان الناس الى نهاية الخليقة هى هى تحت مسميات مختلفة منتزعة من الخمس المعلومة ولا يخفى أن الشعراء قد يشتركون في المعجم الشعرى ·

ثانيا : لست أول المتهمين بالسرقة فقد سبق أن أعدت صحائف اتهامات للامراء ·· المتنبى والحمداني وشوقي وغيرهم بل صنفت مؤلفات للكشف عن سرقاتهم المزعومة وشاء الله أن تسقط الاقنعة وتذهب تلك المصنفات بذهاب أصحابها الى عالم الموتى !!

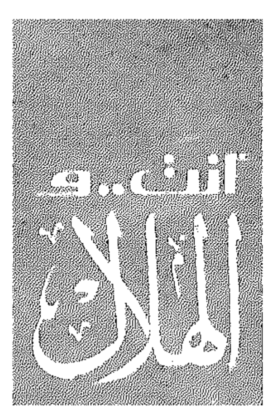
ثالثا : تعال معى ـ هداك الله ـ الى فن المعارضة الشعرية وهو ذو حظ عظيم في تراثنا الادبى اذ عارض ابن المعتز الحسين ابن الضحاك ، وعارض ابن عبد ربه مسلم بن الوليد ومعارضة ابن دراج لابى نواس مشهورة ، وشوقي له كلف بمعارضة المجيدين ، عارض الحصرى فى داليته : « ياليل الصب متى غده » ·· اذ نظم شوقي داليته « مضناك جفاه مرقده » ·

أضف الى ذلك معارضته للبحترى وابن زيدون والبوصيرى واجادته للتشطير والتخميس ·

رابعا : التضمين جائز فى الشعر ، والاقتباس شرعة المبدعين ، ولا شيء فى ذلك مادام المضمن لم يخل بالنص ، ويحدده وهذا الغرض لا حصر له فى القديم والحديث يستوى فيه الملوك والصعاليك ، الصغار والكبار ، ولو شئت ـ بضم التاء ـ أن أرجع قصائد صاحبنا « عزت » التى فى ديوانه أنف الذكر الى مصادرها لفعلت ان اتسع مجال النشر وسأكتفى هنا بقصيدته « منيرفا » ص ٥٧ لقد اقتبسها من ديوان « اغاريد ربيع » ص ٦٥ ·

أخيرا : جريمتى اذن كما يرى هى « اجراء بعض التعديلات ·· » أى تعديل أراد هل حدد الشاعر بحر المتقارب ليصبح من موروثه الذى آل اليه بعد رحيل الخليل والاخفش ان ما أخذته لا يتعدى كلمتين (لان الرياح ···) وقد وضعتهما بين قوسين !! ولسيادتكم الاطلاع على قصيدة الشاعر وموازنتها بقصيدتى لتستبينوا الحقيقة وكلاهما مرفق بمقالى !!

وأخشى أن يتطير « الطيرى » فيزعم أن « الملك الضليل » سرق لانه تحدث عن الطبيعة وهى من موضوعات عزت !! اننى وقد وضحت الرؤية أحب لفت نظر صاحبنا الى اننى أقول الشعر منذ سبعة أعوام ، وحصلت بحمد الله على المراكز الاولى فى جل مسابقات الشعر والزجل آخرها عام ١٩٨٨ من كلية اللغة العربية بالمنصورة وبعد فهذه كلمة كتبتها مكرها فى ظروف امتحاناتى الجامعية وعلى عهد بالدفاع عن نفسى ، وحسبى ما أعرفه عن الشاعر من « بريد



ونرى المجلات رحمستا له بالعمر ولكن

محمود أحمد العسلى
كلية اللغة العربية
المنصورة

● تعليق

— نظن أن ما أخذته من شعر عنترة العبسى لا يمكن أن يدخل فى باب توارد الخواطر ولا يدخل فى باب المعارضة الشعرية ولا فى باب التضمين ، وليس من اللائق بناشىء مثلك أن يتمسح فى كبار الشعراء القدماء دفاعا عن نفسه ، وكان يجب أن تكون أكثر صراحة وتعلن اقلاعك عن أخذك لكلام غيرك ، وأن تتوب من ذلك وأنت طالب فى كلية اللغة العربية !

● قضية فلسطين ●

قتلك يا شعبى قضية
من همو أس البلية ؟!
قد ذبحتنا فى مساء
فى صباح فى عشيه
أين أنتم من صلاح
أين أنتم والقضية ؟!
عيشكم عار علينا
يا حماة الجاهليه
عيشكم عيش ضلال
فى حياة الوثنيه
كى تعيشوا فى سلام
اذبحوا كل الرعية

زين الدين بسيسو
غزة

● القلم الحر ●

انفض يراعك يا فتى
واغمده فى قلب الخديعه
وابسط صحائفك الوضيئة
فى وجوه الادعياء
ودع الدروع فلن تصد سهامهم
والسهم لا يعمى قلوب الاتقياء

زغلول توفيق
بنى سويف

● الصخرة .. والأقصى ●

● كثير من المواطنين فى الاقطار العربية يحسبون أن المسجد الاقصى هو قبة الصخرة فقط .. والحقيقة ان الاقصى ليس قبة الصخرة بزخرفتها الجميلة التى صورتها كاميرات التليفزيون العالمية .. ان المسجد الاقصى مسجد واسع له عدة أبواب وفيه آثار قديمة ، وهو منفصل عن قبة الصخرة .. فالمسجد الاقصى فى شرقى القدس ، وهو فى شماليها الشرقى ، والبعد بينهما ٥٨ متر . ويوجد فى ساحة الاقصى دور لتعليم القرآن ومدارس ثانوية وغيرها .. وبعض العرب والمسلمين يجهلون أين يوجد المسجد الاقصى ، وقد قرأت فى احدى الصحف ان بعض طلاب احدى الجامعات فى بلد عربى كتبوا فى الامتحان أن الاقصى موجود فى تونس ، واذا كان بعض المتعلمين العرب لا يعرفون أين يقع المسجد الاقصى ، فهل يعرفون أين تقع فلسطين ؟!

محمد طاهر احمد
المشروع — فلسطين

● اقتراح وقصيدة ●

— نشكر لسيادتكم الاهتمام بما يقدمه اليكم قراء الهلال من انتاج أدبى ونشكر ارشاداتكم وتوجيهاتكم الى هذا الانتاج ونرجو لهذا الباب الاستمرار ، وأود أن اقترح على سيادتكم بأن يعلن فى الباب عن مسابقة كل مدة معينة فى الادب بين قراء الهلال لخلق جو من التنافس البرىء والحماس بين القراء أو هواة الادب فأرجو أن تكون مجلتنا « الهلال » هى البادئة بمثل ذلك فهى مجلة الادب والفن وهى التى قدمت الكثيرين من الادباء والفنانين .

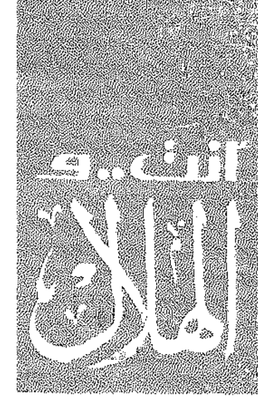
كما أرفق طى هذا قصيدة من انتاجى :

آه لو تعلمى ما حقيقة شعرى
أنت قد صغته يا حبيبة عمرى
كل حرف به فيه صوتك يشدو
أنت وحى له فى خميلة فكرى
كل سحر به فيه سحرك يبدو
أنت نبع له أنت واحة سحر
منك ما قد بدا من خلال قصيدى
فيه من نشوتى صغت باقة عطر
ان تكونى معى او طواك فراق
أنتفى مهجتى فى قصائد شعرى

حسن على محمد جابر
الاسكندرية

● تعليق :

— اقامت مجلة « الهلال » عشرات وربما مئات المسابقات طوال تاريخها الذى يمتد قرابة مائة عام ، والمسابقات تقام فى مناسبات



معينة ، ونحن نترقب فرصة لاقامة مسابقة فى القصة أو الشعر أو غيرهما ، ونشكرك على اقتراحك .. أما مقطوعتك الشعرية فانك أردت ان تصوغها من بحر الخفيف ، وهو على خفته وبساطته بحر عميق يغرق فيه الكثيرون من الناشئين . فلا بأس عليك في عدمقدرتك على اقامة الوزن فى أبياتك الخمسة ، فكلها مع الاسف يحتاج الى مراجعة في وزنه ، ولا يصح أن تقول « لو تعلمي » والصواب : « لو تعلمين » ..

● انتحار ●

حين ولدت
كانت كل دموع العالم في عيني ..
كان الجهل الكامن في أحشائي
يدفعني نحو العالم ..
حين كبرت قليلا ..
عاودني الحزن ..
أدركت بأني كنت ضحية جهلي
ما ذنبي الآن ؟!..
قالت نفسي
ليس الآن الذنب
الذنب قديم
بين ضلوعي الآن خناجر .. ضعف وإباء
تتصارع في الاهواء .. فالكون هباء .. والشعر هباء ..
فدعوني الآن !...

محمد ابراهيم المحريسي

● الشاعر والعروض ●

● انك لا تعلم اننى رجل ادارة وشاعر حق معا ، وكان لك أن تفطن الى ذلك . أفلا تعلم ان من حقى أن اناقشكم فى انكم ناقضتم انفسكم منذ اللحظة الاولى ؟ انك بدأت الرد بقولك : « لماذا أنت منفعل فى رسالتك الينا بدون أن يكون هناك سبب للانفعال ؟! وكان عليك ان تحذف (الباء) من (بدون) . هذا أمر ، والامر الثاني هو اننى عندما كتبت رسالتى انما كنت أعمد الى حديث ذى حمية للمشتغلين بالكلمة والمهتمين بها باعتباركم أهملتم قصيدتى : « فى ذكر حفنى ناصف » ، وهذا الامر الثاني يجر الحديث الى أمر ثالث هو تناقضكم مرة اخرى فى ختام ردكم اذ قلتم : « نرجو ان قصائدك القادمة أقل طولا » . ولا يفوتنى انكم لا تقصدونني بما كتبتم ،

ولكنكم تستهدفون القراء أعينهم ، اذ تريدون ان توجهوا اتهاما وأنتم لا تستطيعون ان تقيموا عليه دليلا ، وكثير من القراء لا يعلمون ، لبعد النص عنهم ·

كل هذه الامور تكشف لكـــل الشعراء والنقـــاد والمتخصصين الاكاديميين الذين تربطني بهم صلات شخصية في كثير من محافظات مصر انكم أسرفتم على أنفسكم ، وهذا ما لم أكن أرجوه لكم أيهمـــا المتكلمون بالمصطلحات !!

محمد سليم القشاط
وكيل بمدرسة النصر بشبين
القناطر

● تعليق :

ـ كنت اود أن انشر مزيدا من سطور رسالتك الينـا لولا انك كتبتها على وجهي الورقة معا ، لا على وجه واحد ، فتعذر نقلهـــا وجمع حروفها ، فاكتفينا بهذه السطور منها وهي تدل على سائرها ·

وبعد ··· فنحن لا نجادلك في قولك انك شاعر كبير وعالم من علماء العروض ، فضلا عن كونك كما تقول رجل ادارة في مدرستك·· هذه كلها أمور نسلم لك بها ، ولكنا لا ندرى حقا لماذا أنت منفعل ؟! الأننا لم نتمكن من نشر قصيدتك في ذكرى حفني ناصف ؟! فهل تظن انك تعرف حفني ناصف وتقدره اكثر مما نعرفه نحن ونقدره ؟! دع ذا عنك ، أما قصيدتك من بحر البسيط فنحن نأخذ عليك انك قلت فيهـــا :

في ليلة القدر كان البدء فيض هدى
لم ينقطع بعـــدها الوحي ولا السور

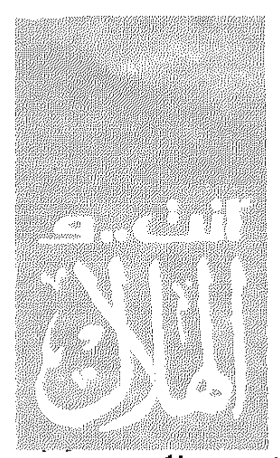
فلكي تنشد الشطرة الثانية موزونة عليك أن تمط كلمة «الوحي» فتجعلها « الوحيو » ·· ولو انصفت نفسك كما يفعل الشاعر المطبوع لقلت ببساطة : « لم ينقطع بعدها وحي ولا سور » ·· فاستقام لك الوزن ولم ينقص المعنى فتيلا بدون « ال » التعريف ، وبالمناسبة فان قولك « بدون » أفصح من قولك « دون » ·· ولـكل منهما مقـــام في المقال ··

وهل انت مطمئن الى الوزن في قولك :
ما بال من لم يفز بهـــــداك أين له
ذاك المـــــلاذ اذا ما حطه الوطن

دعك من معنى البيت ومبناه ، فلا نناقشهما هنا ، ولكن ما هذا الذى فعلته بالوزن في الشطر الاول ؟! افحص عن الزلل العروضى في كلمة « بهداك » ·· ثم أخبرنا بالنتيجة ! ··

● اذكريني ●

اذكريني أينمـــــا كان الرفـــاق
وافحصى عن خفقـــــات الاشتياق



وإذا قـالوا ••• وما سر اللوى
لا تقولي قد خسرنا في السـباق
خبريهم يا حيـاتي كم رأينـا
كم بنينا الحب صرحا و عتلينـا
ومزجنـاه بحور وارتوينـا
ونسجناه خيوط وارتديـنـا
وزرعنـاه كئوسـا واحتسـينا
وزرعنـاه ربوعـا وجنينـا
وعزفناه لحـونا فانتشـينا
فإذا اليوم اكتوينا •• م علينا
قد كفانا منه حبـا واكتفينـا
خبريهم •• ربما عدنا للتقينـا

رفعت عبد الوهاب المرصفي

● محمد المختار



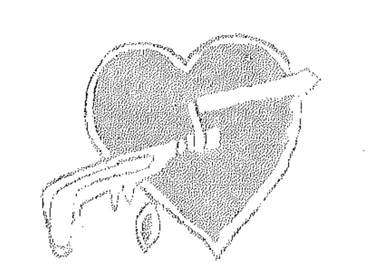
من عالم الخلود •• تنفس القدر
فأقبل المولود •• فشرف البشر
محمـد بدا •• فهدد الظـلام
اذ جاء بالهـدى •• والخير للانام
الي الهدى والنـور •• محمـد دعـا
لفيضه المبرور •• طوبي لمن وعى
صلى عليه الله •• رب الورى مولاه

محمد الشهاوي

● أمنا الضحية ●

قوات الردع العربية
تتقدم داخل لبنان ••
حركة توحيد لسنية
تتصدى •• تطلق نيران

في معاني الحبة الغريبة
...
أنتسا ..
كلنا يحتمي بسدود الوطنية
ذقنا جميعه
أعطنا أمن الصحوة
والكل في نفس القضية



هالة سعد الدين محمد الصقر
مؤسسة دار الهلال

● مع الاصدقاء ●

● جاك وهيب ميخائيل ـ أسوان :

ـ قصيدتك التى تقول فى أولها : « قلت : أهواك ، فقالت : اين برهان هواك » .. ليس فيها بيت موزون الا هذا البيت الاول وبيتان اخران هما قولك : « أى بيت سوف تبنيـــه من الشعر يداك » .. وقولك : « واستدارت ودعتنى ثم صاحت بى : كفاك » .. والبيت الاول جميل ، وددنا لو جاءت بقية الابيات على غراره .

● السيد ابراهيم عطية ـ كفر صقر :

ـ أنت شاعر حسن الديباجة ، ومن سوء الحظ أن قصيدتك التى عنوانها « حـوار » ليست فى مستوى قصائدك السابقة لا فى المعنى ولا المبنى .

● رفعت محمد بيومى ـ سوهاج :

ـ يعجبنى ولاؤك للشعر ومثابرتك عليه ، مما يدل على انك ستبلغ ذات يوم مرامك فيه ان شاء الله .

● سمير رمزى المزلاوى ـ كفر الشيخ :

ـ القصيدة التى تذكرها فى رسالتك لم تصل الينا مع الاسف .

● هشام محمد عبد الوهاب ـ شبين القناطر :

ـ لم تصلنا القصائد التى تتكلم عنها ، أما قصيدتاك « الحب يسأل عنى » و « حديث الى شباب مصر » فينقصهما الوزن نقصانا تاما ، وهما فى الحقيقة نثر ..

● الشرف يوسف عمر الازهرى ـ نجع حمادى :

ـ قصيدتكم « فلسطين تعاتب العرب » تنقصها الاوزان .

● ونشكر أصدقاءنا السادة : محمد متولى .. عبد الناصر عبد الرحيم احمد .. أسامة محمود .. عاصم فريد البرقوقى .. عبد الرحيم الماسح .. عبد العزيز جويدة .

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية سبعة جنيهات و ٢٠٠ مليم . وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات او مايعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال .

وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة عاليه عند الطلب .

دار الهلال ـ ١٦ ش محمد عز العرب
القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط مجلة الهلال ت ٣٦٢٥٤٨١

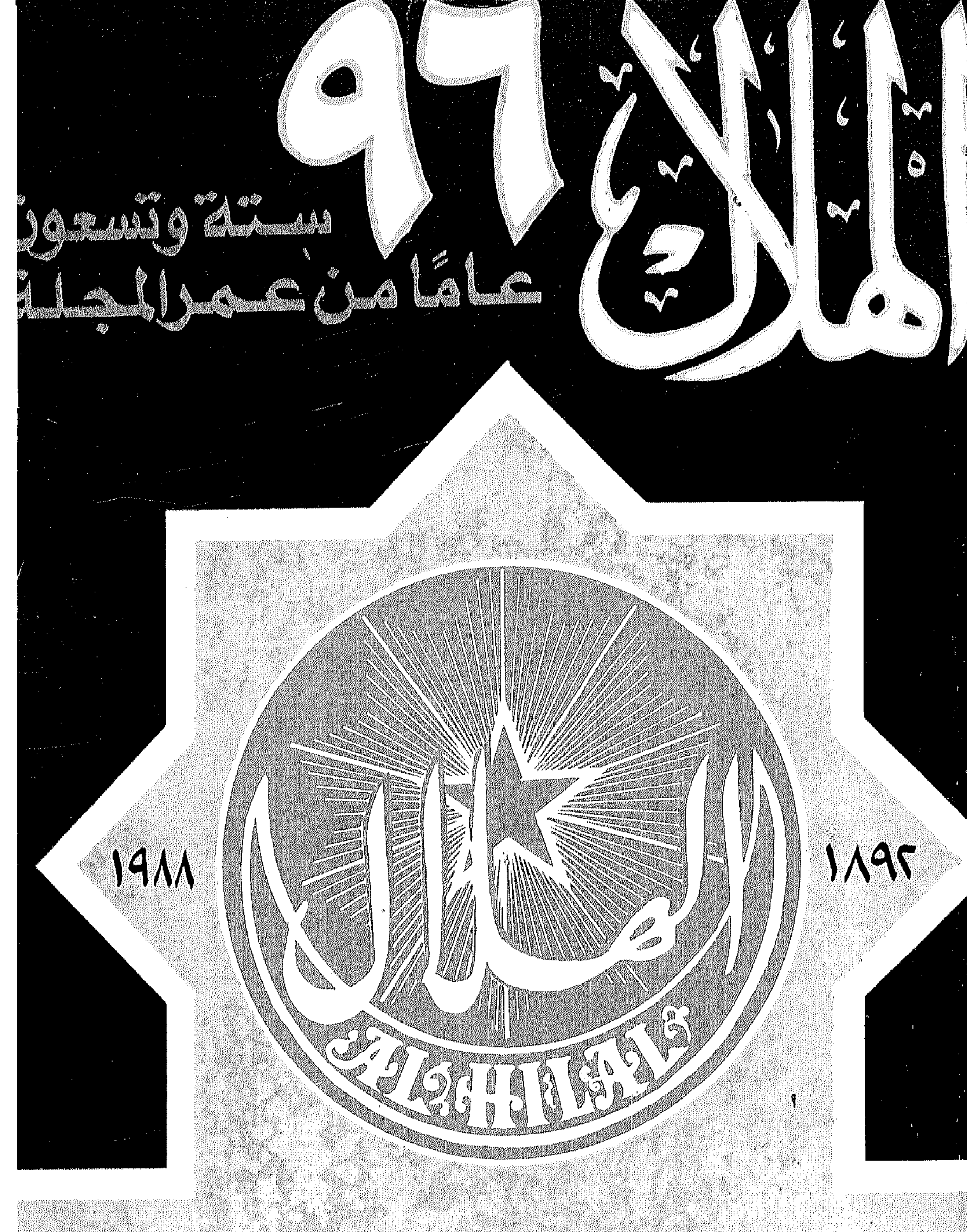
رقم التلكس 92703 HILAL U . N

وكيل الاشتراكات بالكويت · السيد/ عبدالعال بسيونى زغلول الصفاة ـ ص.ب ٢١٨٣٣ ـ 13079 تليفون ٤٧٤١١٦٤

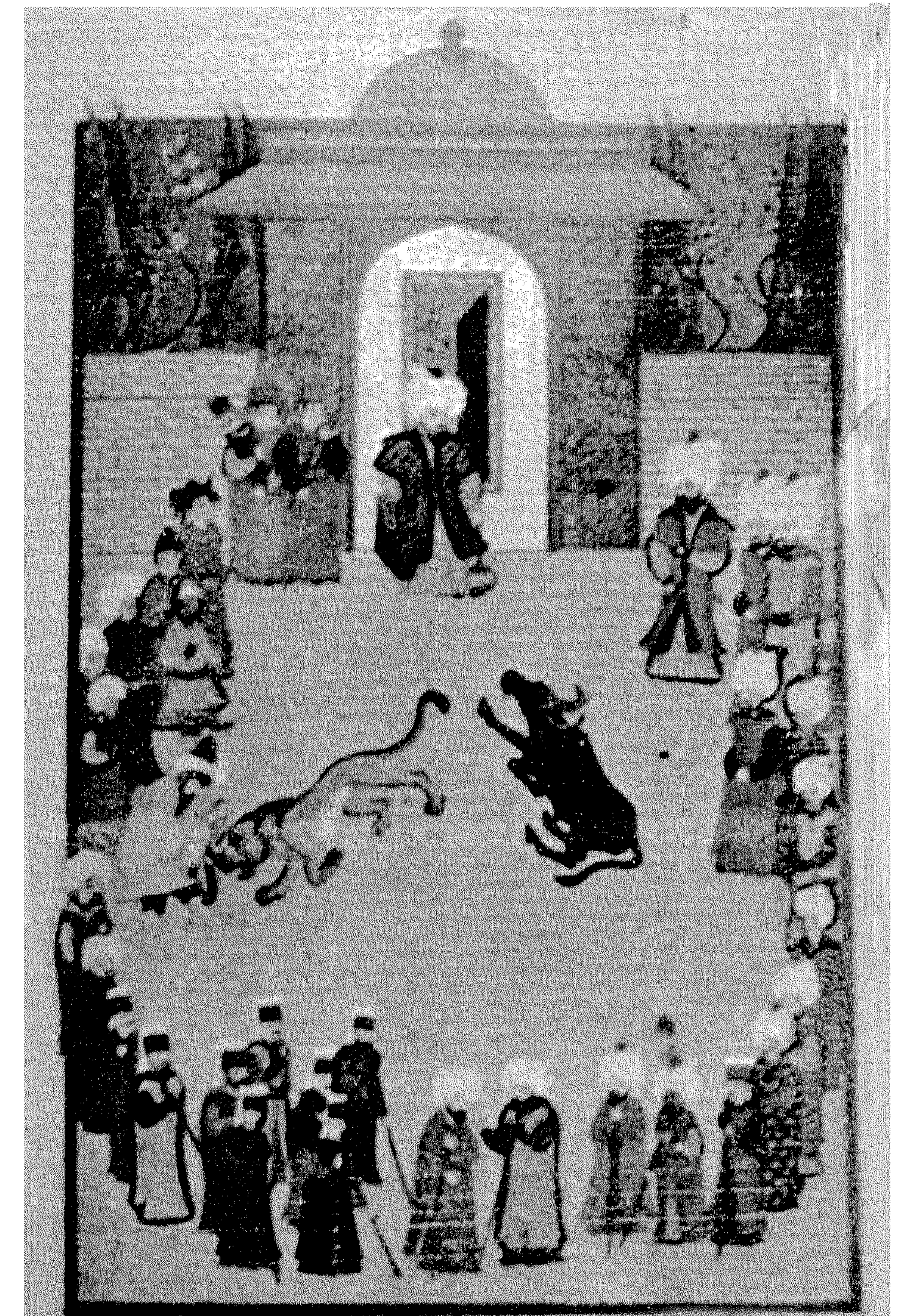
اسعار البيع للعدد العادى فئة ٦٠ قرشا

سوريا	١٧٥٠	ق . س	ابوظبى	٦	دراهم
لبنان	٣٠٠	ليرة	مسقط	٦٠٠	بيسة
الاردن	٣٥٠	فلسا	تونس	١٤٠٠	مليم
الكويت	٣٠٠	فلس	المغرب	١٢٥٠	فرنكا
العراق	١٣٠٠	فلس	غزة والضفة	٦٠	سنتا
السعودية	٥	ريالات	داكار	٦٠٠	فرنك
السودان	١٢٥	ق . سودانيا	لندن	١٢٥	بنسا
البحرين	٨٠٠	فلس	ايطاليا	٢٥٠٠	ليرة
الدوحة	٦	ريالات	البرازيل	٥٠٠	سنت
دبى	٦	دراهم	اليمن الشمالية	١٣	ريالا





السينما والمستقبل



الهلال

السنة السادسة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية .. تصدر عن دار الهلال اسسها جورجي زيدان عام ١٨٩٢ م . أول سبتمبر سنة ١٩٨٨ ـ ٢٠ محرم ١٤٠٩ هـ

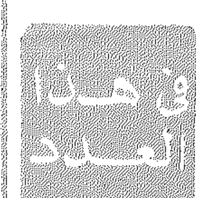
من روائع الفن الإسلامي

لوحة من الفن التركي تمثل مصارعة بين رجل وأسد وثور أسود في حضور السلطان بايزيد الثاني . وتتبع أهمية المعركة في أن الأسد هدية من سلطان تونس . أما الثور فهدية من السلطان بايزيد نفسه الذي قام بقتل الثور عقب المصارعة .

وتكشف اللوحة عن اهتمام الفنان باستخدام العديد من الألوان البراقة ، خاصة الأحمر والذهبي والأصفر .



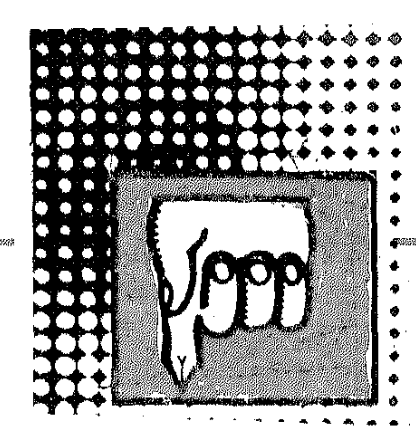
الغلاف الأول : تصميم الفنان
محمد أبو طالب



● فكـر وثقافـة ●

ص

● قضايا حيوية ●



عزيزى القارىء

الهلال فى عيد ميلاده

كل عام وأنت بخير .. عزيزى القارىء .

اليوم عيد ميلاد مجلة "الهلال" إذ تبلغ بهذا العدد الذى بين يديك عامها السادس والتسعين من مسيرتها البعيدة المدى المفتوحة الآفاق على عقود السنين الطوال ، فى خدمة الثقافة العربية ، منذ صدر العدد الأول فى سبتمبر سنة ١٨٩٢ على يد منشىء الهلال جرجى زيدان ، وحتى لقائها بك فى هذه السطور ..

إن مجلة "الهلال" لاتريد أن تتخذ من هذه المناسبة سبيلا الى حديث فخور عن النفس ، ولعلك تتذكر - عزيزى القارىء - أننا التقينا من قبل تحت هذه النافذة غير مرة فى أحاديث ذات شجون عن التاريخ الممتد الحافل الذى جمع "الهلال" وقراء الهلال ، مرحلة بعد مرحلة ، من أواخر القرن التاسع عشر إلى هذا الزمن الذى نستشرف به نهاية القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين !

ويالها من رحلة طويلة باسلة ، باهظة التبعات ، تقطعها مجلة مخصصة للأدب والفكر والثقافة فى بلد عربى على امتداد قرن من الزمان ، ظهرت واختفت خلاله العديد من الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية والشهرية وغيرها .

ولم يصمد فى كل مراحل الطريق إلا أقل القليل من تلك الصحف والمجلات ! .. ولا نزيدك علما حين نقول لك إن "الهلال" كانت الصامدة الوحيدة بين جميع المجلات الثقافية العربية فى ذلك السباق الذى

تتقطع فيه الانفاس ! ..

إن الصمود على مشقة الرسالة التى حملتها مجلتك على مرور السنين الحافلة بالسراء والضراء ، لايقل أهمية عن الصمود على مشقة الطريق ذاته ، والتغلب على وعورته ، والتقلب بين ظلماته وأضوائه ! ..

لقد مرت "الهلال" بمراحل كثيرة متغيرة تبعا للمراحل الاجتماعية والفكرية والسياسية التى مرت بها مصر والأمة العربية .. وواكبت "الهلال" التغير والتطور ، تدعو اليهما أو تسبقهما بشيرا الى الناس ..

ولعل فى قصة إنشاء الجامعة التى كانت بدايتها مقال نشر فى الهلال فى فبراير عام ١٨٩٩ خير دليل على ذلك ..

كانت "الهلال" فى جميع المراحل تبشر بالتطور الى الأفضل .. وذلك هو جوهر رسالتها الذى حافظت عليه فى جميع الأحوال ! ..

ويحمل غلاف هذا العدد من "الهلال" بعض ما يتصل باسم "الهلال" من رموز ومعان خطرت فى ذهن منشئه جرجى زيدان عند إصداره الأول وكان الهلال رمزا للدولة العثمانية ، وكان علمها ذو اللون الأحمر يتوسطه هلال ونجمة واحدة ، وهو نفس العلم المصرى ..

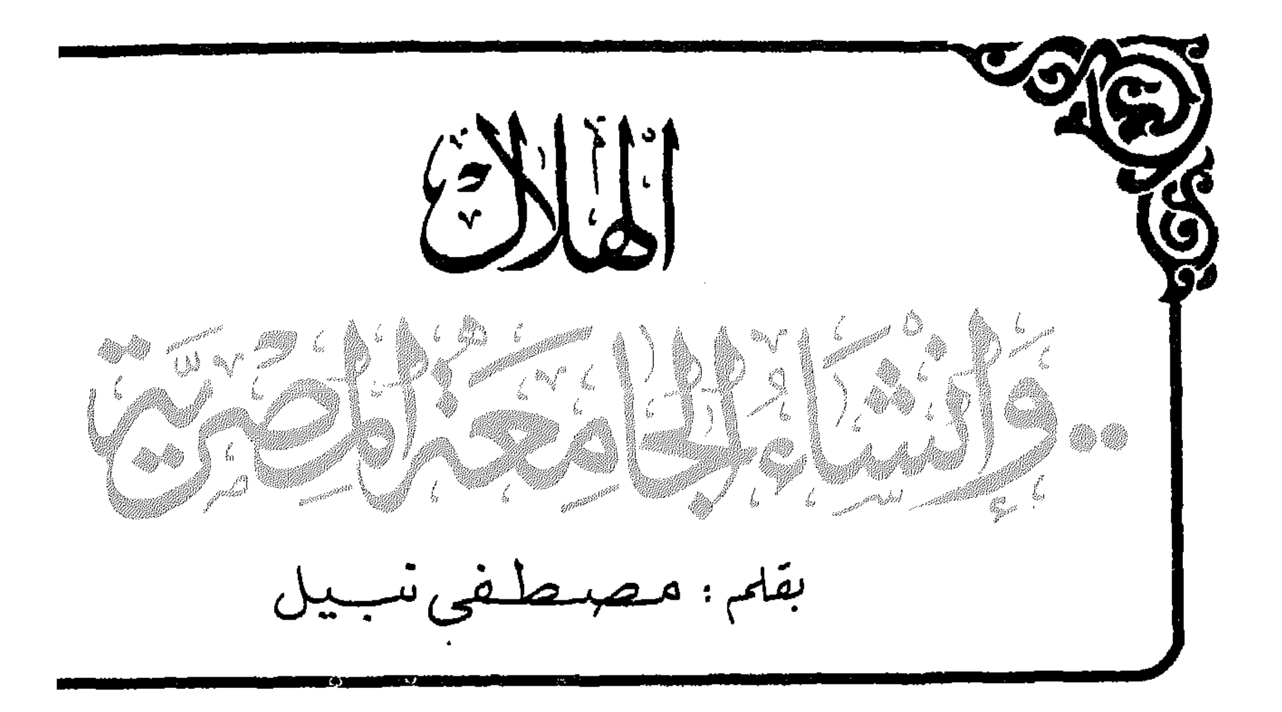
وظل هذا العلم مرفوعا على قصر عابدين ورياسة مجلس النظار "الوزراء" حتى رفعته جماهير ثورة ١٩١٩ فوق رءوسها وسقط فى سبيله الشهداء .. ثم اتخذت الدولة المصرية العلم الأخضر بهلاله ونجومه الثلاث عندما تمخض تصريح فبراير ١٩٢٢ عن إعلان "أستقلال" مصر .

وقد يبدو لنا الآن الهلال الذى تصدر العدد الأول منذ ستة وتسعين عاما ، مجرد رسم ساذج ، ولكنه مع ذلك كان قوى التصوير للمعنى الذى أراده منشىء الهلال الذى لم يكن عثمانى الاتجاه ، ولكنه قصد أن يصور انحيازه للشعب المصرى ضد الاحتلال البريطانى ، وكان "الهلال" فى ذلك الوقت راية يستظل بها هذا الشعب ، بل كان الهلال فى الحقيقة تعبيرا عن مصر والبلاد "الشرقية" والعربية والاسلامية فى تلك المرحلة التاريخية ..

ومازال اسم "الهلال" فى أيامنا يحمل هذا المعنى ، فهو رمز جامع للمصريين والعرب والشرقيين فى كل مكان وزمان ..

ومازالت مجلة "الهلال" سائرة فى النهج نفسه وإن تغيرت الأساليب وتجددت الطرائق باختلاف الزمان والمكان ! ..





واليوم ونحن نشاهد انتشار الجامعات على طول الوطن العربى . ونرى اقبال المرأة العربية على التعليم ، نذكر اهمية ذلك المقال الذى نشر فى مجلة الهلال فى فبراير عام ١٩٠٠ ، والذى كان بمثابة اشارة البدء للجامعة المصرية ، فقامت الجامعة بمبادرة من الرأى العام وبالتبرعات التى جمعت من الاهالى ، وكان قيامها نتاج مخاض طويل وصراع مرير ضد السيطرة الاجنبية من اجل إعادة الحياة الفكرية فى البلاد فى مواجهة التحدى الغربى المتقدم ، فارتبط قيام أول جامعة بكل رموز الحركة الوطنية وقادة الاصلاح ..

واذا عدنا للمناخ الذى بدأت فيه فكرة الجامعة أدركنا مغزى القصة كلها ، فبعد هزيمة الثورة العرابية امام قوات الاحتلال البريطانى عام ١٨٨٢ ، سادت البلاد موجة من اليأس ، وما تبعه من فتور الهمة ، وتمضى دورة زمنية ، ويظهر جيل يتلفت حوله باحثا عن اسباب الهزيمة وعن وسائل قهرها . وترتفع صيحات المصلحين والمفكرين ان الهزيمة أحد نتائج التخلف الذى يعيشه الشرق .. والتخلف أحد نتائج نقص المعارف الحديثة ، وعمّ اليقين ان تحديث التعليم وتطويره هو البداية الصحيحة من أجل انتزاع الحرية والدخول الى العصر الحديث .

وكانت فى مصر ـ قبل دخول الاحتلال البريطاني ـ مدارس عليا ، مدرسة للطب ، واخرى للحقوق ، ومدرسة للمهندسين ، واضيفت فيما بعد مدرسة الزراعة العليا . بل وعرفت القاهرة الحياة الجامعية قبل الغرب باكثر من قرنين من الزمان ، والتى تمثلت فى الازهر الشريف الذى تأسس فى القرن العاشر الميلادى ، **ولكن التعليم فى الأزهر تجاهل علوم العصر واقتصر على علوم الدين واللغة العربية ، وفقد الأزهر مع سنوات**

تجربة رائدة حدثت فى مطلع هذا القرن ..
البداية .. طرح فكرة فى مقال نشر فى مجلة الهلال ، تتحول الفكرة الى حقيقة واقعة ، ولم تذهب الفكرة سدى ، ولم تتبخر الكلمات فى الهواء ، وانما تحولت الى برنامج محدد المراحل والمسئوليات ، واقيم هيكل تنظيمى يصل الفكرة بغاياتها .. تدور الفكرة حول الحاجة الملحة لاقامة جامعة تمد المجتمع باحتياجاته العلمية وترتفع بمستوى حياة البلاد العقلية .
ولمّا كانت الفكرة تعبيرا صادقا عن هدف نبيل . تلقفها مجتمع حى طموح ووصل بها إلى هدفها .

● البعثة الاولى للجامعة المصرية إلى الجامعات الاوربية والتى ضمت عزمى خزام وحسين رمزى ويوسف نور الدين وحسن صادق وسالم هنداوى و د . على توفيق شوشة والمشرف على البعثة الشيخ احمد ضيف .



الهلال



التخلف وظيفته كمؤسسة علمية بالتدريج ، ومن يطالع كتاب "الأيام" للدكتور طه حسين وكتاب "حياتى" لأحمد أمين ، يدرك حجم الأزمة التى كان يعانى منها الأزهر الشريف ، وكيف أصبح دوره هامشيا فى الحياة العقلية للبلاد .

وتطلع القادة لمؤسسة علمية جديدة تفجر طاقات الإبداع والتفكير الحر ، وتلاحق مستجدات العصر ، وتعيد تكوين وجدان الأمة ، إلى "جامعة" أى مجمع للعلم والفكر ، تقوم على قواعد راسخة من الحرية والاستقلال ، وتقوم بتثقيف الشعب لا التبرير للحاكم ، وتمكن كل صاحب رأى من البحث عن آفاق جديدة ، ويمتزج فيها الفكر بالفن ، والعلم بالفلسفة ، وتغدو قادرة على إمداد المجتمع بالمثقفين القادرين على إنجاز التقدم والتحديث .

وتعبيراً عن ذلك الأمل نشرت مجلة الهلال عام ١٨٩٩ ، فى سنتها السابعة ، مقالاً يمهد لفكرة إقامة الجامعة بعنوان "علموهم" و"اتركوهم" ، والأرجح أن كاتبه هو منشىء الهلال «جرجى زيدان" وجاء فى المقال :

"لم يبق بين أهل العصر من ينكر فائدة التعليم ، والغاية القصوى من التعليم مصلحة عمومية تتعلق بالبلاد وتمس مصالح الأمة بجملتها وعليها يتوقف استقلالها أو استعبادها .."

ويشير إلى البعد السياسى للدعوة بقوله : "كم من مرة حاول الهنود التخلص من نير الإنجليز ، ونادت جرائدهم "الاستقلال . الاستقلال" ، وكم استحثوا الأمم واستنهضوا الهمم ، وكم ثارت شعوبهم ، فهل فازوا بما أملوا ..؟! كلا ، لأن عامتهم لم يتعلموا .. ولا تفلح أمة فى مشروع وعامتها من الجهلاء .." ويذكر .. "دخل الانجليز مصر بقوة السلاح فغلبوا المصريين على ما فى أيديهم ، والمصريون أوفر عدداً وأمنع موقعاً ، وهم المدافعون وأولئك المهاجمون فقد غلبوهم بالاتحاد والعلم ، لأن الجند المصرى معظمهم يومئذ رجالاً لا يعرفون للحركات العسكرية فائدة .. فقضى المصريون بضعة عشر عاماً يتذمرون مما آلت إليه حال البلاد من سلطة الأجنبى ، وهم سكوت وقد بهرهم الفتح واسكتتهم المواعيد ، حتى نشأ منهم جيل من الشبان ذو غيرة وحمية أوعز العلم إليهم أن الاستقلال حسن" ، **"نعم . إن الفئة المتعلمة من أهل القطر كبيرة ، ولكن الاستقلال يحتاج إلى علم عام يتناول الزارع والصانع فضلا عن التاجر والكاتب وغيرهم ، فطريق الاستقلال العلم .. علموهم معنى الوطن ، علموهم كيف يتحدون ، علموهم كيف يجتمعون ، عودوهم الاستقلال بالرأى ، علموهم الحرية الشخصية" .**

● حاجتنا الكبرى

ونشر "الهلال" فى عدد فبراير سنة

١٩٠٠ مقالاً بعنوان "مدرسة كلية هى حاجتنا الكبرى" ، واقترح إنشاء كلية لتثقيف الشباب فى بلادهم ، وقدم اقتراحاً محدداً بتكوين لجنة برئاسة أحد قادة الأمة للسعى فى الاكتتاب ، حتى يرى مشروع الجامعة النور . "نحن فى حاجة إلى مدرسة كلية تعلم العلوم العالية يتولى أمرها رجال يتخذهم التلامذة قدوة فى الاعتماد على النفس والإقدام وحرية الفكر والقول ومعرفة الحقوق والواجبات ، فإذا خرج التلامـذة منها أنشـأ بعضهم المدارس فى البلدان والقرى يبثون تلك الروح فى أبنائها ويبثها الآخرون فى رفاقهم بالأسواق والجمعيات والدواوين وفى المجالس العمومية والخصوصية" .. "لا ننكر تعداد المدارس فى مصر على إختلاف مذاهبها ونحلها ، وكلها نافع ، **ولكننا فى حاجة إلى مدرسة كبرى تعلم الرجال ، فتثقف الشباب وتدربهم على ما فيه خيرهم ، وبدلاً من أن نرسل أولادنا لإتمام دروسهم فى بعض جهات أوربا أو غيرها ، نعلمهم فى هذه المدارس فينشئون على حب الوطن ، وتحيا اللغة العربية فينبغ بيننا الخطباء والعلماء والأطباء والقضاة ، وفيهم روح جديدة يبثونها بين مواطنيهم روح الإقدام والاعتماد على النفس .**

"والمطلوب لإتمام هذا المشروع ، المال الكافى ، أساتذة يصح أن يكونوا قدوة فى سيرتهم وثقة فى أقوالهم ، أما المال فقد دلتنا الحوادث الماضية ، أن فى مصر قوماً كراماً ، لا يدخرون وسعاً فى سبيل النفع العام ، فلابد من تشكيل لجنة يرأسها أحد كبار الأمة المشهورين بالغيرة على الوطن ، فتسعى إلى جمع المال بالاكتتاب والله مع الجماعة .. ونرغب إلى الجرائد الوطنية أن تتضافر فى استنهاض الهمم للوصول إلى هذه الغاية" .

وهذا المقال كان النبتة التى أزهرت ، والكلمة التى تحولت إلى عمل ، وقامت الجامعة فى النهاية استجابة لدعوته .

● الرد على الخصوم

ولم تقل مجلة الهلال كلمتها وتمشى .. بل أخذت تعالج الفكرة بأساليب مختلفة ، وتكشف جاذبيتها ، وترد على خصومها ، ونشرت الهلال ترجمة لحياة احمد خان مؤسس جامعة "كلية على كده" فى الهند ، ويستعرض اسلوب اقامتها على غرار جامعة أوكسفورد وكمبردج ، والتى بدأت بدورها على المبادرات الشعبية وعلى اساس الاكتتاب العام .

وقبل قيام الجامعة المصرية بنحو عامين ، نشر "هلال" نوفمبر سنة ١٩٠٦ مقالا شاملا يقدم تصورا كاملا للجامعة ، كلياتها ، وعلومها ، ونظمها ، واستعرض المقال الجامعات الاوربية ، والكليات التى تضم كل منها ، مع الالحاح على ان يكون التعليم فى الجامعة الجديدة باللغة العربية

واستمرت مجلة الهلال فى نشر كل جديد يتناول مشروع الجامعة ، وطرحه

.. وانشاء الجامعة المصرية

على الرأى العام حتى شهد المشروع النور .

من الفكرة .. إلى الحركة

واستجاب المجتمع المتعطش للتقدم والراغب فى التحديث للكلمة الصادقة والفكرة الحية .

وعثر الزعيم مصطفى كامل فى مشروع الجامعة على ضالته ، وهو الذى يرى ان مهمته قهر حالة اليأس التى شاعت فى الامة ، فاخذ يدعو الى قيام الجامعة على صفحات جريدة اللواء ، واطلق دعوته فى ٢٦ اكتوبر عام ١٩٠٤ قائلا.. « آن الأوان ان يفكر قادة الامة فى عمل جديد ، الامة فى اشد الحاجة اليه ، وهو انشاء جامعة للامة بأموال الامة .. » .

ونشرت جولييت ادم فى كتابها "انجلترا فى مصر" احدى رسائل مصطفى كامل الى محمد فريد فى ٢٤ سبتمبر عام ١٩٠٦ .. "خير هدية اقترح عليكم تقديمها للوطن العزيز ، وللامة المحبوبة ، ان تقوم بطرق باب كل مصرى لتأسيس جامعة اهلية تجمع ابناء الفقراء والاغنياء على السواء ، وتهب الوطن الرجال الاشداء ، الذين يزيدون عدد خدامها الصادقين ، ممن لا يخشون فى الحق لوما ولا عقابا ، ويعملون لمداواة داء الامة ، وجمع امرها وبث روح الوطنية العالية فى نفوس ابنائها ، لان كل مليم يزيد عن حاجة المصرى ثم لا ينفق فى سبيل التعليم هو لا محالة بائد ، والأمة محرومة منه بغير حق .

فلتنس الاحزاب انقساماتها ، ولينس الصحفيون خصوماتهم ، ولنلق بالاحقاد ـ ولو يوما واحدا ـ فى هوة لا يسمع فيها لغو ولا تأثيم ، ولتجتمع الامة لاتمام هذا العمل .. »

وكما اقترحت الهلال ، اقيمت لجنة لمشروع الجامعة ، تضع برنامج تحقيق المشروع ، وتدعو اليه ، وتجمع الاموال اللازمة ، وجمعت فى اول نداء وجهته للامة ثمانية الاف جنيه ولم يكن العمل ميسورا ، وظهرت الكثير من العقبات ، ودعى اللورد كرومر المندوب السامى البريطانى والحاكم الفعلى الى اقامة الكتاتيب بدلا من الجامعة ، ورأت الحكومة ان الجامعة فكرة سابقها لأوانها ..

الجامعة أم الكتاب

واستمرت الهلال تدافع عن الفكرة وتتصدى لخصومها .

وعندما اثار اللورد كرومر المطالبة بنشر الكتاتيب بدلا من الجامعة ، تصدت الهلال لهذه الدعوة عام ١٩٠٥ ، وردت على صحيفة المؤيد التى تبنت افضلية الكتاتيب « لانها اعم نفعا واكفل لنشر العلم بين العامة وهم جمهور الامة ، فالكتاتيب مشروع حيوى اساسى يجب ترميمه قبل كل جزء من اجزاء البناء ، ومتى تم الاساس يقام البناء فوقه »

وترد مجلة الهلال : "فى اعتقادنا اننا فى حاجة الى مدرسة كلية عليا اكثر منها

الى كتاتيب صغرى .. فاذا كان المراد بالتعليم مجرد تلقى العلوم والاداب كالنحو والحساب والتاريخ والجغرافيا والهندسة والطب والفقه وغيرها ، ففى مصر مدارس كثيرة لا ينقصها شىء ، ولكن ذلك ليس كل المراد بالتعليم ، اذ لا يكفى ان نعلّم ابناءنا تلك المقتبسات العلمية لمجرد العلم بالشىء بل يجب ان نثقف عقولهم ونهذب نفوسهم ، يجب ان نعلمهم معنى الوطن ، وكيف يتحدون وكيف يجتمعون ، وان نعوّدهم الاستقلال بالرأى ونعلّمهم الحرية الشخصية حتى يمتاز المتعلم منهم عن غير المتعلم » .. « فلا خلاف فى حاجتنا الى زيادة نشر العلم بالمدارس الصغرى والكبرى ، واما البحث هل نبدأ بالصغرى ام بالكبرى ، والذى نراه تقديم المدارس الكبرى ، فننشىء مدرسة كلية وهى اضمن لترقية الامة"

وترد مجلة الهلال على ما أعلنه رئيس الوزراء ، بان مشروع الجامعة سابق لاوانه ، "اذا كنا فى حاجة الى مدرسة كلية مصرية ، ونحن قادرون على انشائها ، فلماذا يقال ، انها سابقة لاوانها » ، الا اذا قيل ، ان الحكومة تخشى من عواقب

● تدعيما لوجهة نظر مجلة الهلال بضرورة التعليم فى الجامعة باللغة العربية ، نشرت قائمة بالكتب العلمية التى كتبت باللغة العربية

في الطبيعيات والكيمياء

اسم الكتاب	اسم المؤلف	سنة الطبع
الآيات البينة في [illegible]	محمود فوزي	١٨٨٨
الظواهر [illegible] في [illegible] الطبيعة	» »	١٣٠٨
منافع [illegible]	» »	١٣٠٦
علم طبقات [illegible] جيولوجيا	احمد ندى	١٢٨٨
بنية الكرة [illegible]	» »	١٢٥٧
حسن [illegible] في [illegible] زراعة	» »	١٢٩١
علم النبات	» »	١٢٨٣
علم الحيوانات	» »	١٢٨٤
[illegible]	ابو السعود	

الهلال .. وإنشاء الجامعة المصرية

الأمير احمد فؤاد ومجلس إدارة الجامعة ١٩٠٨ وفي الصورة يعقوب ارتين وكيل نظارة المعارف وعبدالخالق ثروت النائب العام وحسن باشا وماسبيرو مدير المتحف المصرى آنذاك .



ارتقاء العقول وتهذيب النفوس بالعلوم العالية فيثقل النير الاجنبى ، فيؤول ذلك الى اقلاق راحة الدولة المحتلة » ويختم الهلال مقاله " اذا كانت الحكومة ترى عدم استعدادنا لهذا المشروع لاعتقادها عجزنا بوجه من الوجوه ، ولم تمد لنا يد المساعدة فينبغى لنا الثبات حتى تبرهن لها اننا صرنا من الامم الحية" ..

● تأييد الرأى العام

وساند الرأى العام مشروع اقامة الجامعة ..

واذا كان الانجليز يفخرون بان اغنياءهم يقيمون المتاحف وينفقون على الفنون ، واذا كان اثرياء الامريكان يرصدون جزءا من ثرواتهم وينفقونها على معاهد الدراسات والابحاث ففى مطلع هذا القرن ، كان السراة في مصر يقدمون اموالهم للتعليم ، استجابة لنداء قادة الفكر ، ويحكى مشروع انشاء الجامعة العديد من الحكايات المشرفة .

فبعد الزعيم مصطفى كامل ، جذبت الفكرة الامام الشيخ محمد عبده ، وقدم احمد منشاوى باشا ارضا يملكها فى باسوس للمشروع ، واعلن استعداده لاقامة الجامعة من ماله الخاص ، ولكن

مالبث ان توفى الشيخ ومات الباشا .

وتبارى الاعيان الذين يقدمون تبرعاتهم للمشروع ، وجذبت الدعوة اكبر زعيمين قامت على اكتافهما النهضة ، فبعث مصطفى كامل الامل ، وجاء سعد زغلول ليضع الامل موضع التنفيذ ، فرأس اللجنة التحضيرية لمشروع الجامعة ، ومن دار سعد زغلول صدر البيان الاول ، بعد اجتماع اعضاء اللجنة التى ضمت قاسم امين ، ومحمد فريد ، وحفنى ناصف ، والشيخ عبدالعزيز جاويش .

ويظهر البيان الاول الامال المعقودة على الجامعة ، والذى نشر فى كتاب عباس العقاد عن سعد زغلول : "هذه السنة هبّ فى الرأى العام تيار تلقائى لتحقيق هذه الامنية لان الامة انتهت بان تفهم تمام الفهم ان طريق التعليم فيها ناقص ، ودائرته ضيقة ، تقف وتنتهى بالطالب قبل بلوغه الغاية ، وان من وراء الحدود التى انحصرت فيها معارف سامية وحقائق عالية ، وقضايا جليلة ومشكلات غامضة تشتاق النفوس الى حلها ، واختراعات جديدة ، واختبارات كثيرا ما شغلت وتشغل عقول كبراء العلماء فى اوربا وما يصل الينا منها الا صداها الضعيف ، فمنها ما يختص بالوجود ، وما يتعلق بالهيئة الاجتماعية ، وما يبحث فيها عن لغة الانسان ، وعن الاداب والفلسفة والشرائع والتربية ، وكل ما يهم ماضى الانسان وحاضره ومستقبله ، وهو موضوع علوم شتى لا يعرف احد شيئا منها ، ولا يهتم بما كمل منها ، ولا بما هو سائر نحو الكمال ، وابلغ من ذلك انه لا يوجد لدينا درس نعرف منه قيمة المؤلفات العربية فى الاداب والفلسفة والعلوم ، ولاقيمة من اشتهروا من مؤلفيها عن الاوربيين الذين بحثوا عنهم وعرفوهم ووفوهم حقهم من الاجلال والاقدام » ..

"ان امتنا لا يمكنها ان تعد فى صف الامم الراقية لمجرد ان يعرف اغلب افرادها القراءة والكتابة ، او ان يتعلم بعضهم شيئا من الفنون والصناعات كالطب والهندسة والمحاماة ، بل يلزم شبابنا الذين يجدون فى اوقاتهم سعة ، وفى نفوسهم استعدادا ، ان يصعدوا عقولهم ومداركهم الى حيث ارتقى علماء تلك الامم » ...

فتيات الجامعة فى صدام مع الشرطة .



الهلال .. وإنشاء الجامعة المصرية

واستمر عمل اللجنة ، حتى انجزت المشروع ، ورغم ان سعد لم يستمر طويلا فى رئاسة اللجنة اذ عين وزيرا للمعارف فى ٢٨ اكتوبر عام ١٩٠٦ ، وحل محله الامير فؤاد ، ولكنه تمكن من تقديم مساهماته فى خدمة المشروع من موقعه الجديد ..

وتم افتتاح الجامعة الاهلية ، والتى اطلق عليها جامعة فؤاد (جامعة القاهرة الان) يوم ٢١ ديسمبر عام ١٩٠٨ ، بمقرها فى قصر جناكليس ـ وهو المبنى الذى تشغله الجامعة الامريكية اليوم

● الكلمة والفعل

هذه هى قصة اقامة الجامعة المصرية والتى بدأت بمقال نشر فى الهلال ، واكتملت الفكرة بمساندة الرأى العام وتأييده .

ويحق لنا ان نتساءل : لماذا لا يتكرر ما وقع فى مطلع هذا القرن ؟ ولماذا لا تتحول العديد من الافكار الحية الى حركة تصل بالفكرة الى مرادها ..

ولماذا وقع الفصل الحاد ـ هذه الايام ـ بين الكلمة والفعل ..

فى مطلع هذا القرن ، كنا نعيش فى ظل السيطرة الاستعمارية ، واليوم نعيش فى ظل الديمقراطية ، واهم منجزات الديمقراطية ، انها تجعل الفرد قادرا على التحرك من اجل تحقيق مايؤمن به ، وبالتالى ينبغى ان تزيد المبادرات الشعبية .. زمان .. كنا نعيش حكم الصفوة ، واليوم .. نعيش فى ظل زيادة اعداد الطبقة الوسطى ، والتى يفترض ان يسعى أبناؤها الى التصدى للمصاعب التى تعترضهم ، فلماذا لا تتحول الفكرة الصائبة لديهم الى برنامج وهيكل تنظيمى قادر على وضع الفكرة موضع التنفيذ .. ؟

صحيح ان قيام الجامعة اسهل من قيامها بوظيفتها على الوجه الصحيح ، فالمطلوب اليوم هو الانتقال من البسيط إلى المركب ، كان الهدف هو اقامة الجامعة ، ومطلوب اليوم قيامها بدورها كبؤرة اشعاع ، وعامل تغير ، وكيان عضوي يمد المجتمع باحتياجاته وتجيب على تساؤلاته ، وهو ما يحتاج الى جهد اكبر وخيال اوسع .

والازمة التى تعانى منها الجامعات المنتشرة على طول البلاد ، عالجتها العديد من المقالات والدراسات ، واريق فى كشفها الكثير من الصفحات ، واستمرت الجامعة تعانى من تكدس طلابها ، ومن قلة الامكانيات ، ومن عدم الاستجابة لحاجات المجتمع ، وعجزها عن تقديم البحوث العلمية فى المجالات المختلفة ، ومساعدة المجتمع على مواكبة الثورة العلمية والتكنولوجية فى عالم متغير ، ورغم تزايد الحاجة اليها كمصنع للقادة ، وتجمع للعلماء الذين يكرسون انفسهم للعلم ..



واكتتب الحاضرون بما جادت به نفوسهم ونحن ناشرون اسماءهم تدويناً لفضلهم لانهم في مقدمة المكتتبين في هذا المشروع :

جنيه مصري		جنيه مصري	
١٠٠	قاسم بك امين	١٠٠	الدكتور عبد الحليم افندي حلمي
١٠٠	خالد بك سعيد	١٠٠	منشاوي افندي سيد احمد
٢٠٠	محمد بك فريد (سنوياً)	١٠٠	اخنوخ افندي فانوس
١٠٠	محمد بك سليمان اباظه	١٠٠	محمود بك حبيب
١٠٠	صادق بك اباظه	١٠٠	عبد العزيز بك فهمي
٢٠٠	حسين بك ابو حسين	٥٠	حسن بك سعيد
٢٠٠	علي بك فهمي	٢٠	الشيخ عبد العزيز جاويش (سنويا)
١٠٠	حنفي افندي ناجي	٥٠٠	محمد بك راسم
١٠٠	محمود بك الشيشيني	١٠٠	سعد بك زغلول
٢٠٠	محمود بك عثمان اباظه	١٠٠	محمد بك هاشم و ٢٥ جنيهاً سنوياً
١٥	حنفي بك ناصف	١٠٠	محمد بك يوسف المحامي
١٠٠	عبد الله بك اباظه	١٠٠	احمد افندي رمزي المحامي
٥٠٠	مصطفى بك كامل الغمراوي	١,٠٠٠	حسن بك جمجوم
١٠٠	زكريا افندي نامق و ٥٠ جنيه سنوياً	٤,٥٨٥	المجموع

(١٠)

الجزء الثاني من الهلال

السنة الخامسة عشرة

● دابت « الهلال » على نشر أسماء المتبرعين لمشروع الجامعة

فلماذا لا يقدر الجيل الحالى على تسلم الشعلة من اجيال عملاقة سبقته وان يعيد الجذوة للشعلة المقدسة من جديد ؟ !

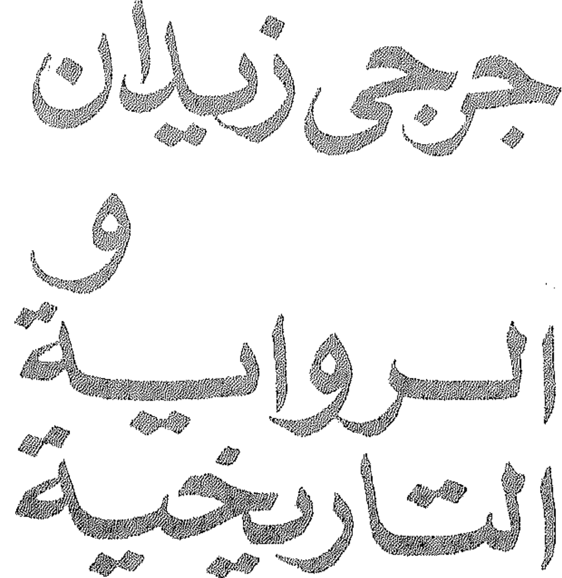
يعرف الجميع ان عودة الجامعة الى دورها ، مرهـون باسـترداد الجامعـة لاستقلالها وحصانتها ، عندها لن تقبل طلبة يزيدون عن قدرتها ، وبذلك تسترد دورها كحصن لحرية الفكر .

وبعد التغيرات الواسعة التى حدثت فى المجتمع ، تزايدت الحاجة ليكتمل بناء الهرم ، وان يضم فى قاعدته الزراع والصناع والحرفيين ، مما يعنى المزيد من التطور النوعى للجامعات .

لقد حان الوقت لاحياء التقليد القديم الذى يقوم على المبادرات الشعبية التى تنقل الفكرة الصحيحة الى برنامج وهيكل تنظيمى وطريق لحل كل المصاعب التى تواجه المجتمع ..



جرجي زيدان



جرجي زيدان و الرواية التاريخية

بقلم: أحمد حسين الطماوي

ارتبط جرجي زيدان ـ منذ ان عالج الكتابة ـ بالحقيقة . فهو ليس من الكتاب الخياليين الذين يرسلون خيالهم المجنح في كل واد . وليس من الكتاب المنشئين الذين يسترسلون في التوصيف والترسيم، وانما هو رجل ينطلق عقله في رحلة بحث عن الحقيقة.

وفي سبيل الوصول الى الحقيقة او ما يعتقد انه حقيقة ، بذل زيدان جهدا لاينكره قارئه ، ولا يستهين به عارفه . والحقائق تستلزم التقصي والتمعن والتمحيص ، والموازنة والمقابلة ، ولعل هذا ـ او شبيهه ـ ما نهض به العلامة المدقق جرجي زيدان .

والنظرة العاجلة الى موضوعات كتاباته تدلنا على ارتباطها بحقائق التاريخ والادب واللغة والعلم ، فكتبه عن تاريخ اداب اللغة ، والتمدن الاسلامي ، وفلسفة اللغة والتاريخ العام ، وتراجم مشاهير الشرق والغرب هي مثال واضح على اتجاه ذهن منشىء الهلال الى الاحداث الاجتماعية، والواقعات التاريخية، والمقارنات اللغوية ، والمخترعات العلمية ، ودراسة العصور الادبية واعلامها .

واعمـــــال جرجى زيدان الروائية هى نوع من ارتباط ذهنه بالحقـــائق • اذ ان هذه الروايات استمدت موضوعاتها من احداث تاريخية شهيرة او من اعلام التاريخ الذين اثروا فى مجراه مثـل صلاح الدين وابى مسلم الخراسانى وعبد الرحمن الناصر وشـــجرة الدر وغير ذلك •

والرواية التاريخية بطبيعتها ليست ابداعا ادبيا او فنيا كاملا نظـرا لان اسانيدها وروافدها الرئيسية مسطورة فى كتب التاريخ ، فالمؤلف لا يبدعهـا او يختلقها ولا ننكر قدر الاختـــــراع فيها ، وجهد القاص وبراعتـــــه فى الاضافة الى الحدث ، وادخـــــال الشخصيات الثانوية أو المســـاعدة لتلاحم الاجزاء ، وتتلاحم المشاهد • ومع كل ذلك فان الفن فيها اقل منـه فى القصص المبتكـــرة ، والروايات المخترعة • ومن ثم فنصيب الحقيقـة فى الروايات التاريخية اكثـــر من نصيب الفن وبخاصة فى اعمال زيدان ذات الصبغة التاريخيـــة حيث يبرز فترات زمنية واسعة ويلزم نفســـه بسردها وذكرها •

وطريقة زيدان فى كتاباته تدل على ارتباط ذهنه بالحدث التاريخى • فهو لم يكن يكتب الرواية كلها ســـلفا ثم يأخذ فى نشرها منجمة فى الهــلال • وانما كان يختار شخصية تاريخيـــة او فترة زمنية مليئة بالاحـــــداث والارهاصات ويدرسها دراسة متأنيـة ثم يستخرج منهــــا قصـــــة بعض ابطالها من الشخوص المعروفين ، ثم يشرع فى نشرها فصلا فصلا ، بحيث يكون الفصل الاول المنشور فى عـــدد اكتوبر مثلا هو كل ما انجزه بالفعل ، ولا يدرى ـ كما صرح هو بذلك ـ على وجه التحديد ما سيكتبه فى الفصـــل الثانى حتى تتم فصول روايته • وقـد تدعو هذه الطريقة الى القلق • ولكن الامر يختلف مع جـــرجى زيدان لانه ينمى الحدث ، ويحلل الشخوص وفقا لمعطيات التاريخ • أى ان الامر متروك للحقيقة التاريخية وليس للخيـــال الخلاق المبدع ، ومادام يتصـــرف فى المواقف طبقـــــا لروايات المؤرخين والدارسين فان الخطأ يكون قليلا الا اذا كان يعترض على رواية واقعة او صياغة حدث ، فيتدخل لتعديله بنـاء على رؤية شـــــخصية ، او لشىء فى نفسه ، ومجال الفن الروائى ربمـــا يتيح له ذلك فى مذهب بعض النقاد ، لذلك فالحقيقة عند زيدان مقدمة على الخيال ، والتاريخ يفوق الفن •

ولما كان التاريخ الخالص غيـــر القصة التاريخية من حيث عـــرض احداث التاريخ ، وطريقة تنـــاول الشخوص ، وتنسيق الاخبـــار ، فان كاتب الرواية التاريخية يستعين على تجميع عناصر موضوعه بشـــخوص يتخيلهم ، او بمصادفات يصطنعها ، أو بافعال عارضة يضيفها ، ليلم شمل المفردات الشاردة ، والاخبار المتناثرة • وهـــذا ما قام به زيدان فى مختلف رواياته • وقد يتساءل القارىء كيف كانت تسير الرواية لو لم تقـــع تلك المصادفة مثلا ؟

ورغم هذه الاضافات الفنيـــة فان الروايات الاولى لجرجى زيدان ـ او اغلبها ـ يعتورها التفـكك احيـانا ، وتعوزها الحبكة فى احيان اخــرى • ولكن الاحـــداث التاريخية المهمـــة تظل ظاهرة واضحة وهى المحـــــور الرئيسى فى القصة التى يدور حولها الفن •

وقد عمل جرجى زيدان فى رواياته على توفير عنصر من اهم عنـــاصر القصة الفنية ، الا وهـــو عنصـــر التشويق حيث يجعل مدار الحديث حول غرام ناشىء ســـرعان ما يستعر فى

جرجى زيدان

نفس المشوق ، وهذا العنصر شجع قراءه ، وسهل عليهم قراءة التاريخ. فهو يعلم الناس التـــاريخ من باب التشويق ، حيث يتطلع القـارىء الى معرفة ما سوف ياتى من خـــلال موضوعات العشق اللاهب ، والغرام الطاحن ، وهى الموضـــوعات التى تستهوى معظم الناس وبخاصـــة الشـــباب حيث يستـميلهم المؤلف بانتصار المحبين بعد مصارعة الشـر والاشرار الذين وقفوا فى ســـبيل غرامهم ، ويتمثل فى كثير من قصصه مثل عذراء قريش وفتاة القيـروان ، وصلاح الدين .

● نشاة الرواية التاريخية

ظهرت الرواية التاريخية فى ادبنا فى اطار شعبى حيث كانت تحكى قصة عنترة وســـيف بن ذى يزن والزير سالم وغيرها ، وهـــذا اللون من الرواية فيه من الخيالات اكثر مما فيه من الحقائق . ثم اخـــذت الرواية التاريخية طريقها الى ادبنا الحديثـة بعد ظهورها فى اوربا على يد عـدد من الكتاب كان ابرزهم اســـكندر دوماس ، ثم راحت تتطـــور وتتراقى حتى نضجت عند سير والترسكوت .

وقد ظل الدارســـون فى بلادنا العربية يرددون مقولة فحواها ان اول من انشأ الرواية التاريخية الحديثـة هو جرجى زيدان حتى ظهرت دراسـة رائدة للدكتور محمد يوسف نجم فى « القصة فى الادب العربى الحديث » التى بينت ان « سليم البستانى » هو اول من حاول محاولة كبيرة فى كتابة هذا اللون من القصة بكتابة قصـــة « زنوبيا » و « الهيام فى فتوح الشام» .. وتمه زيدان بسلسلته المعروفة .

ويكاد يجمع النقاد ان جرجى زيدان لجا الى الرواية التاريخيـــة لاثارة شوق القراء الى مطالعة التـــاريخ والرجوع الى مصادره .

ولما كان منشىء الهلال يعتقـــد ان تاريخ الاسلام « عبارة عن تاريـــخ الشرق الحديث او هو تاريخ العـالم كله بعد عصر الرومان والفرس » فقد اقدم على التاريخ له بهذه الطريقـة . وراعى ان تكون رواياته مســـايرة للحقب التاريخية المتعاقبة فى هـــذا يقول : « وقد تدرجنا فى حلقات هـذه السلسلة بنشر تاريخ الاســـلام من ظهور النبى (ص) وفتح الشام والعراق الى فتح مصر ثم ما كان من الفتنـــة فى ايام عثمان وانقسام المسلمين الى مقتل الامام على وانتقال الخلافة من الراشدين الى الامويين ثم مقتـــل الحسين فى كـــربلاء فتأييد الدولة الاموية من زمن عبد الملك بن مروان على يد الحجاج بن يوسف . وما كان بعد ذلك من فتح الاندلس على يد طارق ابن زياد ثم فتحهم بلاد الافـرنج الى الواقعة الشهيرة بين شـــارل مارتل وعبد الرحمن الغافقى واخيرا انحطاط شأن بنى امية وسقوط دولتهم وقيـــام دولة العباسيين على يد ابى مســلم الخراسانى .. »

ولم يقف زيدان عند هذا الحـــد وانما تجاوزه ، فمثل للعصر العباسى برواية ابى مسلم الخرسانى والعباسة اخت الرشيد ، والامين والمأمون ، ومثل للعصر الايوبى برواية صـلاح الدين، وحكى الفترة الانتقالية من العصـــر الايوبى الى عصر المـــماليك برواية شجرة الدر التى بينت احوال الخلافة العباسية فى ايامها الاخيرة وتضمنت مبايعة شجرة الدر وســـيرة الملك الظاهر بيبرس ، ثم اوغل فى العصـــر المطوكى فقدم لقرائه رواية « استبداد

المماليك » والملوك الشارد ، ويبين لنا مشاهداته في السودان أيام مرافقته الحملة الانجليزية فى رواية اسير المتمهدى وتتضمن وصف مصر والسودان فى اواخر القرن التاسع عشر واحداث الثورة العرابية فى مصر والثورة المهدية فى السودان ، ثم يعرج على تاريخ المسلمين العثمانيين فى رواية الانقلاب العثمانى، ولا نقول : ان روايات زيدان غطت كل احداث التاريخ الاسلامى ولكنها مثلت لكل عصوره وشملت ابرز واقعاته ، واعظم رجالة · وقد راجت هذه الروايات فى الشرق والغرب وترجمت الى مختلف اللغات مثل الفارسية والهندية والتركية واللسان الاذربيجانى من اللغات الشرقية ، والفرنسية والانجليزية والروسية والالمانية من اللغات الاوربية ·

انتقاد روايات جرجى زيدان

ولكن رواياته لم تسلم من النقد ، ففى عام ١٨٩٩ نشر روايته « عذراء قريش » وتناول فيها مقتل عثمان واحداث الفتنة الكبرى وتولى الامام على الخلافة ، وعند حديثه عن هذه الفترة قال زيدان فى هلال نوفمبر ١٨٩٩ ان الروايات التاريخية تحتاج الى المراجعة والتنقيب لتمحيص الحوادث التاريخية وتطبيقها على الحوادث الغرامية حتى لا يظهر فيها التكلف او الضعف · ولكن زيدان لم يلتزم بما قال ، فنسب الى بعض الشخصيات الاسلامية ما ليس فيها مما اثار جمهور المسلمين ، وقد تصدت مجلة « الموسوعات » لهذه الرواية وانتقدتها فى موضوعية ، فعذراء قريش (اسماء) بطلة الرواية لا وجود لها الا فى ذهن المؤلف ، وقد يكون له بعض الحق فى هذا ، ولكن الباطل انه نسب لمحمد بن ابى بكر المعروف عنه الزهد عشق هذه العذراء ونسب الى الحسن بن على عشقه لهذه العذراء (الوهمية)وغيرة محمد بن ابى بكر منه ، وادعى ان الامام على اعجب بعذراء قريش عندما دخلت عليه فى زى رجل ، مع ان الدين كان يحث على عدم تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال (حديث) وقد عرف عن على تمسكه بالدين مما ينفى عنه ان يعجب بمثل هذا · ولم يستطع زيدان ان يدافع عن نفسه دفاعا منطقيا · ومهما يكن فى ضرورة وجود الخيال عند كاتب الرواية التاريخية ، فان هذا لا يجب ان يناكر الحقائق ، ويجافى الاحداث، ويغير من الصفات الشهيرة فى الشخوص المعروفة ، فلا نصور زاهدا فى صورة عاشق غيور او العكس · وقد اقترح احد قراء الهلال على زيدان ان ينسب حوادث الحب الى اشخاص اخرين غير ابناء الصحابة ، وقد استجاب صاحب الهلال لهذا الاقتراح وقال : « اما الان فقد عولنا بعد ان تتم عذراء قريش فى اخر السنة السابعة من الهلال ان شاء الله ان نجرى فى رواياتنا التالية على رأى حضرته وما غرضنا الا الفائدة العامة، وكان هذا اعتراف منه بالخطأ ·

وعلى اية حال فان زيدان يعتبر من رواد هذا الفن الروائى المستند الى احداث التاريخ وشخوصه ، وقد تبعه كثيرون من المؤلفين مثل فرح انطون وعلى باكثير وسعيد العريان وفريد ابو حديد وعباس خضر ·· وغيرهم ورغم الانتقادات التى وجهت الى جرجى زيدان فان القراء ابدوا اعجابهم بطريقته فى سرد الاحداث مع تحفظاتهم على ما يمس المشاعر الدينية ·

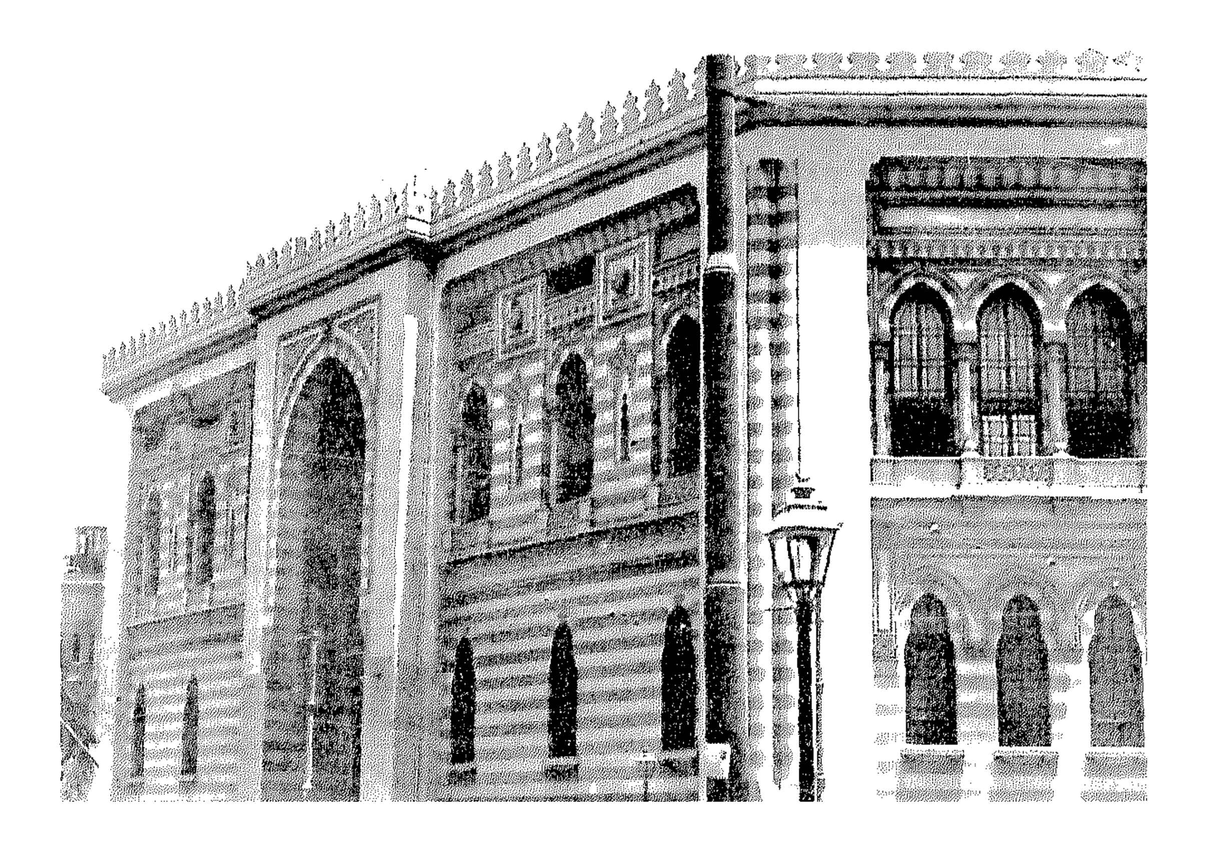
دار الكتب ودورها الثقافي

من ينقذها من الخراب والتخريب؟

بقلم : د. الطاهر أحمد مكي

ظلت دار الكتب المصرية ، ولسنوات طويلة بعد إنشائها ، معلما شامخا من معالم مصر الحضارية ، شأن الأهرام وأبى الهول والأزهر والجامعة ، وكانت خلية ثقافية متميزة ، يردها الراغبون فى البحث ، والعاكفون على المخطوطات ، والداخل رحابها القديمة فى باب الخلق ، ذات الطراز المعمارى العربى الأصيل ، تتفشاه مهابة وجلال منذ يطأ عتبة الدار ، فإذا وصل إلى قاعة المطالعة تلقاه القائمون عليها بالبشاشة والترحاب ، يقدمون له العون والمشورة ، وحوله شتى المصادر والمراجع والموسوعات العالمية المتعددة ، فى اللغات المختلفة ، والمصورات والأطالس المتفاوتة الأحجام والأنواع ، ورأى هناك خلقا يعكسون الدنيا بأجمعها ، أعمارا وألوانا وثقافات وأزياء ، مصريين وعربا وفرسا واتراكا واكرادا وأعاجم من كل زوايا الأرض .

والفهارس فيها كاملة ودقيقة ومستوفاة ، والمرشدون اكفاء ومستعدون ، والهدوء خاشع شامل ، كأن القوم فى صلاة ، ومع أن الدار نظريا مفتوحة للجميع ، كانت واقعا وقفا على الباحثين وحدهم ، لأن غيرهم ليس بحاجة لأن يردها ، فمكتبات المدارس والمعاهد والكليات غنية بما يحتاجه القارىء الراغب فى الاطلاع والقراءة لمجرد الثقافة وحبا فى المعرفة .



دار الكتب منظر خارجى

● كان مدير دار الكتب مثقفا معروفا ، وموظفا مرموقا ، ولا يرقى إلى هذا المنصب إلا بعد شهرة مستفيضة ، تنبىء عن معارفه الواسعة ، وتفانيه فى حب الكتاب ، وإخلاصه عالما قبل أن يكون موظفا كبيرا ، وحين أراد طه حسين ، وكان وزيرا للمعارف ودار الكتب تتبعها ، أن يكرم صديقه توفيق الحكيم ، وأن ينقذه من مخالب دار أخبار اليوم ، وبدأت تتنكر له ، وتدير ظهرها لقلمه ، وتتجاهل قدره ، وتعامله موظفا ، عينه مديرا لدار الكتب ، وبعد الثورة حين أرادت هذه أن تفض الاشتباك بين أساتذة قسم اللغة العربية فى كلية الآداب فى جامعة القاهرة ، وقررت أن تنقل بعضهم إلى خارجها ، في مواقع تعدل مواقعهم فى الجامعة أو تفوقها ، نقلت أمين الخولى مديرا لدار الكتب .

ولم تكن دار الكتب مهبط القراء القارئين فحسب ، وإنما مدرسة لتخريج كبار محققى التراث ، وأمل النابهين من ناشئة الأدب ، والشادين فى دنيا الشعر ، فهى تقوم على تحقيق روائع التراث فى تؤده وعلى مهل ، آخذة بكل وسائل التحقيق الحديثة ، وتطبعها فى مطبعة خاصة بها ، مكانها أسفل الدار نفسها ، وتقوم على تصحيح وطبع ما يتحقق ، فيخرج للقارىء بريئا من كل الأخطاء المطبعية والعلمية على السواء ، وأصبح ما تحققه وتنشره نموذجا عاليا ينتظره عالم القراء والباحثين فى مختلف بقاع العالم ، ولا تزال طبعاتها لكتاب الأغانى ، وصبح

الأعشى ، ونهاية الأرب ، وتفسير القرطبى ، وديوان مهيار الديلمى ، وكتب أخرى كثيرة ، شواهد لا تخطىء على مجدها الباذخ فى هذا المجال .

● سوء الحظ !

غير أن سوء الحظ كان ينتظرها فى الطريق ، مع بداية الثورة ، فضحوا بها دون أن تجد من يدافع عنها ، أو يقول عن دورها كلمة حق وعدل ، وتجلى سوء الحظ هذا واضحا فى أمرين خطيرين :

أولهما : أن سياسة "تضبيط" المصالح ، أى ملئها بالضباط ، حين اقتضت السياسة نقل عدد ضخم من كبار ضباط الجيش فى أول الثورة إلى المصالح المدنية ، وضعت على رأسها ضابطا ، كانت له بعض الاهتمامات الأدبية دون شك ، ولكنه وقد جاءها مرة تحت السلاح كان أبعد ما يكون معرفة بأهداف دار الكتب الأساسية والجوهرية ، فلم يفرق بين دار كتب قومية غايتها إتاحة الفرصة أمام الباحثين والعلماء وتقديم العون لهم ، ودار كتب غايتها أن توفر للجمهور كتابا يقرأه ، وكلاهما مطلوب ، وفى الوقت نفسه كلاهما له رسالة مستقلة ، والخلط بينهما ضار ومؤذ ، إلا أن صاحبنا خلط بينهما دون وعى ، فأنشأ بها مكتبة للأطفال ، وأمر بأن تقام على جدارها عارضات زجاجية ، تلصق بداخلها الصحف اليومية ليقرأها العابرون فى الشوارع !

وتجلى سوء الحظ الثانى فى حاجة الثورة الملحة إلى الاعلام واستعانتها بأحدث الوسائل الحديثة وخبرة الخبراء ، واهتمامها به كليا ، فتدفقت الأموال على الإذاعة ، والتلفزيون من بعد ، والمطبوعات الرسمية التافهة على ورق فاخر مصقول ، وعلى كل ما يؤدى إلى إعلاء شأن الثورة إعلاميا ، وفى المدى القريب ، وكان على دار الكتب ، بوصفها مؤسسة حكومية ، أن تسهم فى هذه « الزفة » فاكتسبت حركتها طابعا إعلاميا وسياسيا موجها ، وهو أمر مطلوب ، ولا بأس به فى حينه ، ولكنه تم بطريقة فجة ، وعلى حساب الرسالة الأساسية ، وقد تبخر ذلك ، ولم يبق منه شىء !

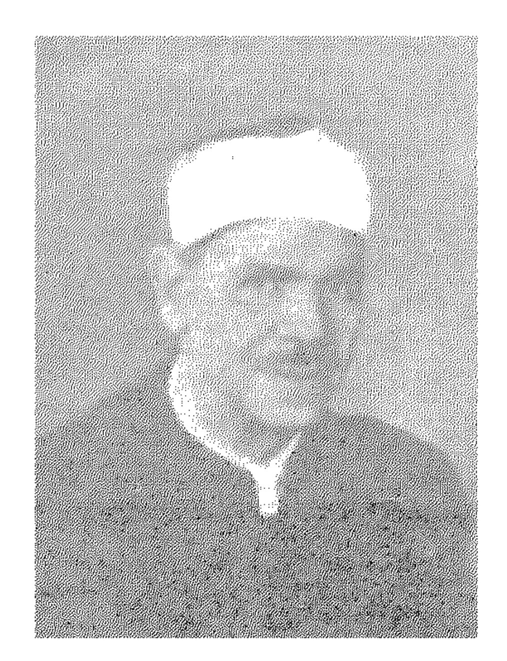
● هدم التقاليد !

ثم جاءت القضية حين ضمت دار الكتب إلى مطبعة بولاق ، وهى بدورها إحدى مفاخر مصر الحديثة ، وكان يجب أن تظل قائمة باسمها وتقاليدها ، ومعهما شركة لبيع الكتب وأخرى لتصديره ، وجعلوا من ذلك كله شيئا واحدا اسمه : هيئة الكتاب ! .

ولم يسأل أحد نفسه من الذين أقدموا على هذه الجريمة ما الصلة بين هذه الفروع الأربعة ؟

الصلة واهية تماما ، والقصد من تجميع كل هذه المؤسسات فى واحدة توسيع سلطات وهيلمان من يكون على القمة ، ليكون جديرا بالمنصب والمرتب والسلطان ، وكأن واحدة منها لا تكفى .

وهكذا تحولت دار الكتب المصرية ، العظيمة فى تقاليدها ورسالتها ، إلى مصلحة حكومية ، وأصبح العاملون فيها



الشيخ امين الخولى .

مجرد موظفين ، تشغلهم العلاوات والترقيات فحسب ، و « على قد فلوسهم » بعد أن كانت مؤسسة ذات طابع أخلاقى عظيم ، يشعر العاملون فيها بأنهم أصحاب رسالة ، وتحكمهم سلوكيات لا تجدها خارج دار الكتب إلا فى جامعاتنا قبل ربع قرن من الزمان . ونسينا أن ثمة شيئا اسمه التقاليد له اثره البالغ فى سلوك العاملين وتسيير دفة العمل ، والحيلولة دون الخطأ والإهمال ، فهدمنا هذه التقاليد العظيمة فى دار الكتب ، ولم نقم على انقاضها تقاليد جديدة صالحة ، لأن من فيها يفتقدون القدوة ، وهى العامل الأول فى التقاليد العظيمة .

ولأن العمل الصامت الجاد لا يوصل إلى غير الاحترام ، وعائده قليل فى عالم الدرجات والترقيات ، فقد شغل رئيسها الأعلى نفسه بالعمل الإعلامى ، ممثلا فى المعارض الداخلية والخارجية ، حضورها وافتتاحها ، وهى معارض إذا حللنا محتواها تدين هيئة الكتاب ، لأن جهده فيما تنشره من نافع وقيم محدود ، وأغلب ما يضمه المعرض كتب مسروق من مطبوعات دار الكتب التى كانت أو من منشورات مطبعة بولاق ، صورت بلا إذن ولا حقوق لمؤلف أو محقق ، وطبعت على ورق جيد ، احتواه غلاف فاخر ، وأظن أننا وحدنا فى العالم الذين نقيم معرضا لكتب جلها مسروق من مؤسساتنا ، أو من أدبائنا ، بدل أن نعاقب السارقين وأن نفضحهم .

● سلاسل تافهة !

وبدأت دار الكتب تتخلى عن رسالتها العظيمة فى نشر تراثنا الخالد ، محققا على نحو علمى ، وتبيعه بسعر معقول ، واستعاضت هيئة الكتاب وهذا هو اسمها الجديد ، عن ذلك بنشر مجموعة من السلاسل التافهة ، تحت اسماء عديدة ، بحجة تشجيع الشباب ، وإتاحة الفرصة للكفاءات ، ومن يتتبعها يجد أكثرها تافه لايستحق أن ينشر ، وبعض ما نشر فيها لايمكن أن يعد صاحبه شابا . هل يصح أن تنشر كتابا لعبد الرحمن الشرقاوى ، كتابا فى سلسلة يقال عنها أنها للمبتدئين ؟

ولا يعرف أحد القواعد المتبعة فى النشر ، ومن الذى يجيزه ، أو يحول دونه ، أو يبطىء به ، فكتاب يأخذ طريقه للنشر فورا . وآخر تمر عليه أعوام وأعوام وهو ينتظر ، وكتب يقال عنها أنها محققة ، وتباع بأغلى الأسعار ، وليس فيها من التحقيق شىء ، لأنها مصورة عن طبعة حجرية قديمة سيئة الخط ، وقراءتها تدمى العين والفكر ، وجهد المحقق فيها مقدمة ملحقة بأولها ، أتى فيها على حياة

دار الكتب ودورها الثقافي

المؤلف ، نقلها من أى كتاب ، أما النص نفسه فلم يصنع فيه شيئا ، لسبب بسيط ، هو انه تصوير لطبعة حجرية !

وطبعا قبض مكافأة المحقق كاملة ! .

على أن الأمر ليس كذلك دواما ، فالحق أن الهيئة تعرف قيمة كبار موظفيها وفى وزارة الثقافة ، فكتبهم تطبع فورا ، وعلى ورق فخيم ، حتى لو كان توزيعها لا شىء ، وبيعت بعد ذلك بالوزن .

وتقتضى الأمانة أن نقرر أن دار الكتب أفادت على نحو ما من التقدم العلمى الذى خطته مصر ، فكثير من العاملين فيها من قسم الوثائق والمكتبات فى كلية الآداب ويحاولون جاهدين ، وإن افتقدوا القدوة والحافز ، أن يطبقوا العلم الذى درسوه نظريا عن البطاقات والفهرسة والقوائم التى تنشر من حين لآخر ، كما أن مجلة "عالم الكتاب" التى تعكس نشاطهم من أفضل المجلات التى تنشرها هيئة الكتاب ، ومن حق مصر أن تفخر بها ، وأظنها المجلة الوحيدة ، بين طوفان المجلات الهابطة ، التى تحقق دخلا ، أو على الأقل تفى بنفقاتها ولا تكلف الهيئة شيئا .

ويحاول مركز تحقيق التراث الملحق بالهيئة أن يؤدى دوره بقدر ، أقول بقدر لأن من شرائط من يحاضر فى معهد التراث أو يعاون أن يكون له باع فى هذا المجال : حقق كثيرا ، وأسهم فى مراجعة ما حقق الآخرون ، ولا أظن أن ذلك ما يجرى فى المركز ، حتى أن مدرسا جامعيا تتبع الأخطاء التى وقعت فى ديوان شاعر شهير نشره المركز فإذا بها تتجاوز المئات !

● **إجراء غريب !**

مثل هذا المناخ جعل من دار الكتب مصلحة حكومية عادية ، يعانى المترددون عليها من المتاعب ما يعانى الباحثون عن الزيت فى الجمعيات الاستهلاكية ، فبعض الكتب ضائع ، وبعض الدوريات مستهلك أو غير موجود ، والمترددون من غير المصريين لا يتاح لهم تصوير أية مخطوطة إلا بعد موافقة جهة الأمن ، وهو أغرب إجراء يتخذ فى أية دولة ! .

نعم هناك من نوادر المخطوطات ، أو الوثائق السياسية الهامة ، أو الخطرة ، أو ذات طبيعة حساسة ، أو حتى مغرقة فى المجون ، مالا يتاح لأى إنسان أن يطلع عليها ، أما أن ينسحب هذا الإجراء على كل المخطوطات ، وبعضها مطبوع ، أو صور لمخطوطات أصولها فى الخارج ، أو له شبيه فى مكتبات أخرى خارج مصر ، فأمر يثير الاشمئزاز .

لا أظن ما ذكرت كل ما يجرى ، وإنما هناك ألوان أخرى من البلاء ، تتمثل فى إرسال نسخ من الكتب التى تنشر حديثا هدايا لمن لا يقرأ ، وفى مجلات هابطة تنشر ولا توزع ، ولا يقرأها أحد ، وفى الميزانية المحدودة جدا المخصصة لتزويد الدار بالكتب ، وذوبان العاملين فيها فى طوفان الإدارات الأخرى ، مما يضعف ولاءهم ، مما يجعل الأمر فى حاجة ماسة إلى إصلاح عاجل وجذرى يعيد دار الكتب إلى أمجادها القديمة .

● **مكان للعلماء والباحثين**

أول ما يجب أن نفكر فيه أن دار الكتب ليست مكانا للقراءة أو الثقافة العامة ،

فهذه لها مكتباتها الخاصة بها ، والمنتشرة فى الأحياء المختلفة ، وإنما هى مكان للعلماء والباحثين ، وذلك يتطلب ألا تكون مفتوحة لكل من هب ودب ، وإنما يدخلها الباحث ببطاقة تصرف له ، ولن يحصل عليها إلا بشروط معينة يجب أن تتوفر فيه ، ومقابل اشتراك لا يكون كبيرا ، ولكنه ليس تافها على أية حال .

والشىء نفسه يمكن أن يقال عن غير المواطنين ، إذ يسمح للباحثين منهم بالتردد عليها بتصاريح محددة ، نظير رسم معقول ، ويمكن أن يجدد التصريح عند إنتهائه .

وما يجىء من هذه الاشتراكات ينفق على تحسين الخدمة فى داخل الدار ، فهكذا يفعلون فى كل المكتبات القومية التى رأيتها فى باريس ومدريد وروما ! .

وأن تستقل دار الكتب إدارة ومبنى ، وأن نضع على رأسها عالما بحق ، يدرك جلال الوظيفة التى يشغلها ، فلا يغرق ، ويغرقنا معه ، فى أمور بهلوانية دعائية غايتها أن يلفت النظر إليه .

وسوف يقع على عاتق المدير أن يصلح ما أفسده الذين قبله ، فيجعل من دار الكتب مكانا محببا للمترددين عليه والعاملين فيه على السواء ، الأولون بتسهيل الخدمات التى تقدم لهم ، والآخرون بالحوافز الدافعة ، والثواب المجزى ، ومن هنا يصبح العمل فى دار الكتب ، كما كانت من قبل ، غاية يطمح إليها النابهون ، ويحرصون على الاستمرار فيها .

ولا شىء عند الباحث أثمن من الزمن ، والمكتبات فى البلاد المتحضرة تفتح مع بداية اليوم ، وتغلق أبوابها مع بشائر الليل ، وتيسر لمن يمضى اليوم فيها أن يجد مكانا مريحا يشرب فيه فنجان قهوة إذا هبطت قواه ، وأن يتناول طعاما خفيفا إذا ألحت عليه معدته ، وكانت دار الكتب القديمة عندنا تفتح أبوابها طوال أيام الأسبوع ، ولاتغلقها إلا فى وقت صلاة الجمعة لزمن محدود ، وحتى هذه يمكن الاستعاضة عنها الآن بإقامة صلاة الجمعة فى جانب من دار الكتب نفسها .

وتملك دار الكتب المصرية أكبر قدر من المخطوطات العربية وأثمنه وأندره ، حقيقية أو مصورة ، وتتطلب رعايتها وإثراؤها بالمزيد أن تكون الجهة المسئولة عنها مستقلة ، تحت اسم « معهد المخطوطات » مثلا ، يقوم على هذه المخطوطات حفظا وفهرسة وتنمية ، فيضم إليها المخطوطات العربية المتناثرة فى أنحاء أخرى من مصر والعالم بأجمعه ، واكتشاف الجديد منها لا يتوقف ، وفى أمكنة لا تخطر على البال ، ولنفائس كان المظنون أنها فقدت إلى الأبد ، ولا بأس أن يصور ما عنده لمن يريد بثمن ، وأن يتيح الاطلاع عليها مقابل رسم والمهم أن يجىء اليوم الذى تتحول فيه القاهرة إلى مركز لكل المخطوطات العربية ، مصورة على الأقل ، ومن هنا تصبح مصر مركز جذب ثقافى ، يشد إليه أعدادا كبيرة من الراغبين فى البحث ، لأن المعهد لن يكتفى بتقديم المخطوطة مصورة أو حقيقية فحسب ، وإنما يزود الباحث بالمعلومات المتوفرة عنها ، وعن مؤلفها ، والفهرسة المعينة على فك صعابها ، والإرشاد المفيد لكل ما يتصل بها ، وهى أشياء لا تتوفر فى غير مصر ، وإن توفرت المخطوطات نفسها .

وسوف يعيد معهد المخطوطات إلى تحقيق التراث جلاله القديم ، إذ ليس مهما

أن ينشر عشرات الكتب فى العام الواحد ، وإنما أكثر أهمية أن يقدم النموذج الذى يحتذى ، والنص الذى يحرص المثقفون على اقتنائه ، ويدعم مكانة مصر الرائدة فى هذا المجال .

ويمكن أن يقال الشىء نفسه عن الدوريات المختلفة ، يومية وأسبوعية وشهرية وفصلية ، وفى كل اللغات الممكنة ، وتملك دار الكتب مجموعات لا بأس من الدوريات العربية ، وقدرا محدودا من الدوريات الأجنبية ، ولكن بعض الدوريات فقد ، وبعضها استهلك ، وتجديد ذلك واستكماله أصبح متاحا وميسورا مع تقدم التقنيات الحديثة ، وأصبح تصوير الدوريات القديمة بتكلفة زهيدة أمرا شائعا ، ولقد قامت دار نشر تجارية فى بيروت بتصوير ونشر كل مجلة الرسالة فى سنواتها العشرين ، وتصوير مجلة الأستاذ لعبد الله النديم ، وعدد من المجلات التى كانت تصدر فى المهجر شماله وجنوبه ، وتباع فى المكتبات العامة للراغبين .

● مصر مركز جذب ثقافى

لقد كانت دار الكتب قديما تتلقى وتشترك وتحتفظ بالدوريات التى تراها تهم القارىء المصرى على أيامها ، ومع الزمن اتسعت دائرة اهتماماتنا ، وأصبحنا نتحرك فى مجالات عربية وأفريقية أوسع ، وعالمية بلا حدود ، ومطلوب أن تتسع دائرة الاشتراك فى هذه الدوريات ، واستكمال الناقص منها . ولكى ندرك كيف كنا وما نتمنى أن نكون أضرب مثلا بالمغرب الكبير ، لقد عزله الاستعمار عنا ، وعزلنا عنه ، فلم نكن نحصل قبل استقلاله واستقلالنا على صحفه ومجلاته كاملة ، ولا تملك دار الكتب غير القليل منها ، وهذه الدوريات هى المصدر الأول الآن لدراسة المغرب كله أدباً وتاريخا ، وتعانى مكتباتهم نفسها ، فى تونس والرباط والجزائر هذا النقص الخطير ، وبخاصة العربية منها ، ومع ذلك توجد كاملة فى دار الكتب القومية فى باريس ، وفى مكتبة مدرسة اللغات الشرقية ، ومن يريد من الباحثين توثيق أبحاثه ، وإقامتها على أسس منهجية ، عليه أن يذهب إلى باريس ليتردد على مكتباتها ، أو يدرس فى جامعاتها .

والشىء نفسه يمكن أن يقال عن الطلاب الأفارقة ، وكان من طموحاتنا يوما أن تكون لهم مصر مهبطا للدرس والبحث ، فأغدقنا عليهم فى المنح ، وأنشأنا معهد الدراسات والبحوث الأفريقية ، وكان فى الأصل خاصا بالسودان ، وأملنا أن يكون طريقنا لفهمهم علميا ، ووسيلتهم لاكتشاف بلادهم تاريخا وحضارة وتراثا ، ولكن ما إن وقعت هزيمة عام ١٩٦٧ حتى شغل جمال عبد الناصر ، وشغلنا معه ، بالجيش والتحرير ، وبعده شغلنا السادات وشغل نفسه بأمريكا والتوجه الغربى والحضارة الغربية ، وأصبح المعهد الذى أملنا الكثير معه شيئا هامشيا فى جامعة القاهرة ، رغم أهميته ، وخطورة المهمة الملقاة على عاتقه .

هل يمكن أن يتصور أى مفكر أن مصر هذه ، وعلاقاتها بأفريقيا ما نعرف ، لا تملك فى دار كتبها القومية أعداد مجلة أفريقيا كاملة ، وظلت تصدر بالفرنسية على امتداد قرن من الزمان أو يزيد ، وحافلة بالبحوث والوثائق والدراسات والنصوص والخرائط ، والشيء نفسه يقال عن مجلة هيسبيرس الفرنسية ، وتخصصت فى دراسات المغرب الكبير ، وظلت تصدر قرابة ثلاثين عاما ، وتمثل مصدرا اوليا وأساسيا لمن يدرس تاريخ المغرب الكبير وحضارته ، والبلاد التى كانت على علاقات معه ، وبعد اهتمام الولايات المتحدة بالشرق الأوسط وشمال أفريقيا تبين لمكتبة الكونجرس أنها تفتقد الكثير منها ، فقامت بتصويرها لحسابها كاملة ، ثم تولت إحدى دور النشر فى المغرب الأقصى طباعتها تصويرا ، وبيعها لمن يريد .

هذه مجرد أمثلة ، وغيرها كثير .

ثم يأتى تحديث الخدمات فى دار الكتب ، من حفظ ورعاية ، وطبع وتصوير .

لم يعد أحد الآن يعكف على نص ينقله بيده ، فهناك آلات التصوير الألية موزعة فى كل أركان قاعات المطالعة ، تعمل آليا بالعداد ، وما على الراغب إلا أن يدفع ويصور دون حاجة إلى تدخل أحد ، ومثلها آلات قراءة المخطوطات وتصويرها ، واستخدام الكومبيوتر فى معرفة ماهو موجود أو معار أو لا يعار لسبب أو لآخر .

ثم نصل إلى الوثائق ، وهى عصب أية دراسة لتاريخنا الحديث ، وحان الوقت لتصبح جهازا مستقلاً ، له رئاسته المسئولة عنه ، فلازلنا عمليا كيوم أن بدأنا منذ مائة عام ، رغم تقدم العلم والتقنيات فى مجال الوثائق والمحفوظات ، وأن قسم الوثائق والمكتبات فى كلية الآداب بجامعة القاهرة يدرس قضايا التوثيق والوثائق فى أحدث نظمها ونظرياتها ، وبقى أن نفيد من خريجيه ، وأن نشجعهم على العمل فى هذه الإدارة ، وأن نقوم برصد كامل لها ، وفهرسة جيدة ، وأن نضم إليها ما نشر من وثائق متصلة بنا ، وأن نصور ما لم ينشر بعد ولكنه يهمنا .

مكتبات الأقاليم

وجاءت الساعة التى يجب أن نفكر فيها عن المكتبات فى الأقاليم ، وألا تستحوذ القاهرة وحدها بكل اهتماماتنا ، فى الوقت الذى نشكو فيه من تضخمها المريع ، وازدياد السكان فيها على نحو لا يتسع لمزيد ، ومن وسائل وقف هذا النمو الشيطانى أن ننقل الجوانب الحضارية التى اختصت بها إلى الأقليم ، فتكون لكل محافظة مكتبتها ودار وثائقها الخاصة بها ، وتعكس فى الوقت نفسه طابعها الإقليمى والتاريخى ، ومع أن هذه المكتبات الإقليمية قليلة ، ولكن هذا القليل له تاريخ عريق .

وأولى هذه المكتبات العريقة خارج القاهرة مكتبة بلدية الإسكندرية ، فهى غنية بالكتب والمخطوطات المتميزة ، وما تحويه من كنوز ثقافية مدعاة فخر الإسكندرية ومصر بأجمعها ، وتعكس فى صدق دور هذه المدينة العظيمة وأهميتها فى حياتنا الثقافية على امتداد كل العصور ، وبخاصة مع الغرب الإسلامى ، فقد ظلت على الدوام مهبط العلماء والطلاب القادمين من الأندلس والمغرب وتونس والجزائر وليبيا ، وبعض هؤلاء

دار الكتب ودورها الثقافى

الوافدين اتخذها مقاما واستقر فيها إلى الأبد ، ومع أنها أقل تدهورا مما عليه دار الكتب فى القاهرة ، لكن بينها وبين ما يجب أن تكون عليه المكتبة الحديثة التى تفيد من تقدم العصر فى مجال التقنية بونا سحيق .

وشهرت من بين هذه المكتبات الإقليمية مكتبة بلدية سوهاج ، يوم أن كان لكل مدينة بلدية ، وضمت عددا قليلا من المخطوطات النادرة والقيمة ، وتضم أقدم وأقيم مخطوطة لرسالة الغفران لأبى العلاء ، ولكنها توقفت كتبا ومراجع وخدمات عند الحال التى كانت عليها منذ سنوات طوال .

هناك مدن كبرى كثيرة فى مصرنا العزيزة ، لا تعرف شيئا اسمه المكتبة ، وحين أنشأنا الثقافة الجماهيرية وجعلنا لها فى كل محافظة فرعا وإدارة ، تضمن نشاطها أن يكون بها مسرح ومكتبة ، إلى جوار النشاطات الفنية الآخرى ، وكلها بما فيها المكتبة نشاطات موجهة سياسيا ، فلما توقف التوجيه أو وهن توقف نشاط المكتبات وتوزعت كتبها ، وحولت قاعاتها إلى مكاتب للموظفين ، وبعضها بقى قائما شكلاً ، ولكن ما فيه من الكتب لا يتجاوز الردىء من المؤلفات المعاصرة التى تطبعها الهيئة مجاملة أو نفاقا ، فأمسك الجمهور عن التردد عليها ، وبعضها أغلقه العاملون بالضبة والمفتاح ، ونقلوا الكتب إلى « البدرومات » تعبث فيها الحشرات والصراصير والفئران .

ويلفت النظر أن بين كل النشاطات التى يزهو بها المحافظون ، باستثناء الإسكندرية ، لا تجد شيئا يتصل بالثقافة عموما وبالمكتبة على نحو خاص ، فهم يفخرون بما شقوا من طرق ، وربوا من عجول ، وأقاموا من مساكن ، ولا تجد بينهم من يزهو بأنه افتتح مكتبة ، أو شهد مسرحية ، أو أعطاها مزيدا من رعايته .

ربما لأن فاقد الشىء لا يعطيه !

ولا تعرف محافظاتنا كلها شيئا اسمه دار الوثائق والمحفوظات ، وإنما تبعث بها بعد سنوات معينة إلى القلعة فى القاهرة لتضاف إلى ما فيها ، علما بأن ما تجرى عليه الأمم المتقدمة أن تكون لكل وحدة إدارية محفوظاتها الخاصة بها ، ليسهل ترتيبها ، وتنظيمها ، والوصول إليها .



حين تهبط مدينة ما ، فى أى بلد متحضر ، سوف يسترعى انتباهك فى المجال الثقافى ثلاثة أشياء رئيسية واضحة المعالم : مكتبة البلدية ، ودار المحفوظات ، ومسرح المدينة .

فمتى يكون لنا فى مدننا هذا الطابع الحضارى !

أقــوال معــاصرة



● « ضبط النسل حلال »

الدكتور : محمد طنطاوى

مفتى الجمهورية

● ثقافة الصعيد هى نقطة الوصـــــل بين مصر والسودان »

الاديب السودانى الطيب صالح

● « ما هو الاكثر استفزازا الاحتلال أم قصـــيدة تصم الاحتلال »

الشاعر محمود درويش

● الامريكيون يعيشون حياة جعوقين »

آرثر بارسكى

أستاذ علم النفس المساعد بجامعة هارفرد

● « تعتبر احداث « ناجورنو كاراباخ » بمثـــابة تشيرنوبيل روحية ومشاكل اليوم لا يمكن أن تحـــل بوسائل الامس »

الشاعر السوفييتى الداغستانى

((رسول حمزة توف))

● « بقاء الحال على ما هو عليه فى الارض المحتلة ضرب من المستحيل »

رئيس وزراء بولنــدا

رود لوبرز

● « ان الخطر الرئيسى فى مجتمعنــا لا يأتى من أولئك الذين يؤمنون بالله ، بل من أولئك الــذين لا يؤمنون باى شىء »

الشاعر الروسى

يفيجين يفتيشينكو

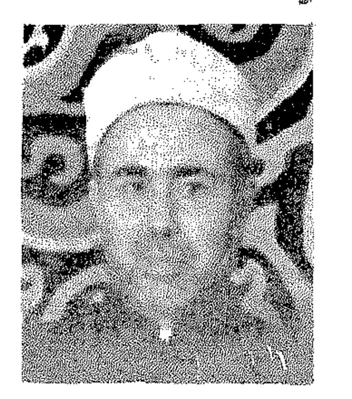
● « كل اختياراتنا سيئة ، ولذلك فعلينا ان نختـار اقلها سوأ »

بيهو شافات هاركابى

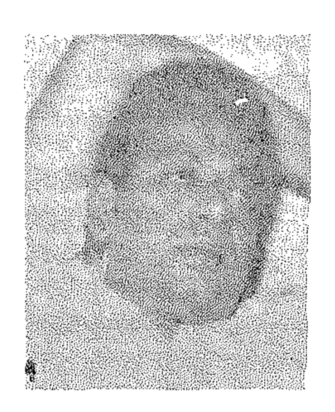
رئيس المخابرات العسكرية الاسرائيلية سابقا

● « نحن فى الربيع ساعة الاخير ، وفيهـا تـدور اشرس المعـارك »

ياسر عرفات



د . محمد طنطاوى



الطيب صالح



- ياسر عرفات



بقلم: د. شكري محمد عياد

صور الحب

مسكين من يعلق في شباك الحب . فهانحن اولاء نريد ان نتحدث عن الحب ، مجرد الحديث ، فتتشعب بنا السبل ، ويتنكر لنا الخبيث فى الف صورة ، ومن ورائه الاف بل ملايين الكلمات التى دعتها ذاكرة البشرية عن الحب وسيرة الحب . ومشكلتنا هى أننا بدأنا نتساءل عما اصاب الحب في هذا الزمان ، ولماذا برزت حالات الخيانة والقتل ، فاذا نجا الحب من الخيانة والقتل اصابه مرض نقص المناعة فاعتل مع كل لطشة برد ، ثم لا يكون خلاصه وخلاص ذويه منه الا حين يسكن سكون الموت . مشكلتنا هى اننا اردنا ان نبحث كيف يعود الحب صحيحا قويا لتصح الحياة وتقوى . ولكن الشعر والادب لم يخلدا من الحب الا حالاته المرضية ، كما ان الصحف لا تنشر عن الحب الا حوادث الخيانة والقتل . فالحالة السوية لا تدعو اصحابها الى الكلام عنها ، واذا تكلموا عنها كان كلامهم فى غاية الغثاثة والثقل .

ولكن ماالذى نقصده بالحالة السوية للحب ؟ اننا لانقصد ، بالتأكيد حالة الرضى التى تشبه البلاهة : تلك الحالة التى سماها بعضهم "الانانية المزدوجة"



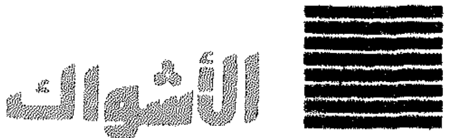
، والتى صورها جوجول فى لوحة من اروع لوحات روايته الكبرى "نفوس ميتة" : صورة زوجين من النبلاء متوسطى الحال ، يعيشان فى ضيعتهما دون ان يهتما كثيرا باحوال الضيعة ، فاهتمامهما منحصر كل فى الاخر ، وربما وجدا تفسيهمّا منفردين فقام الزوج الى زوجته ـ هكذا بلا سبب ـ وقبلها قبلة طويلة طويلة . لاشك ان قليلا من المرض يمكن ان يجعل مثل هاتين الشخصيتين اكثر انسانية ، كما كان كُثَيِّر انسانيا الى درجة تثير الشفقة حين خاطب عزة بهذه الابيات المهذبة :

الا ليتنا ياعزّ ـ من غير ريبة
بعيران نرعى فى الخلاء ونعزبُ
كلانا به عُرّ ، فمن يرنا يقل
على حسنها جرباء تُعدى وأجربُ
اذا ماوردنا منهلا صاح اهله
علينا ، فما ننفك نُنفى ونضربُ

وقد عاب نقادنا القدماء هذه الابيات ، وزعموا ان عزة قالت لكثير حين سمعتها : لقد اردت بنا الشقاء ! اما وجدت امنية اوطأ من هذه ؟ ولعل عزة ـ ككل محبوبة منعمة ـ لم تشعر بما كان يشعر به الشاعر المسكين من ظلم المجتمع ، ولكن ما عذر النقاد ؟ ولو كان للقطط الاليفة فى عصر كُثير مكان يضاهى مكان النوق والجمال لجاز ان يقول كما قال صلاح عبدالصبور :

« وسنجلس فى الركن النائى قطين اليفين
مقرورين
نتحسس ما ابقت ايام الذل على وجهى المكدود »

فانانية الاخرين هى اثقل شىء على النفس . فما بالك اذا كانت هذه الاتانية مضروبة فى اثنين ؟ وانما تصبح مقبولة حيث يكون المحبان فى موقف الدفاع ، ويكون « الاخرون » فى موقف الهجوم . هنا يكون الحب ، مع مرضه ، اقرب الى ما نفهمه من معنى الحب الصحيح ، اى اقرب الى الحالة "السوية" للحب ، من تلك



السعادة البلهاء التى وصفها جوجول ذلك بان الحب المطارد هو حب فى حالة حركة ، والحركة ـ مهما يكن نوعها ـ هى الصفة الجوهرية للحب ، كما انها الصفة الجوهرية للحياة ، فكلاهما لا يقبل الجمود ولا الهمود .

● الحب والجنون

وما دامت "الحركة" هى الصفة الجوهرية للحب والحياة جميعا ، فلابد ان يظل الحب معرضا لكل انواع الحركة ، العنيف منها والهادىء . فالحركة الانسانية لا تجرى بقوة دفع منتظمة كالالة ، بل تخضع لالاف الدوافع المتباينة والمتعارضة . وهكذا تتقلب القلوب . وتصبح الحالة السوية ، فى الحياة وفى الحب ، وهى الحالة التى تقل فيها الانحرافات نسبيا ، بحيث يمكن ان نمثلها بخط بيانى ، توجد فيه انكسارات بل وارتدادات ، ولكنه يتجه بوجه عام ـ صعودا او هبوطاً . وهذه حقيقة يؤيدها علم النفس المعاصر . فليس هناك انسان سوى مائة فى المائة ولا مريض مائة فى المائة . ولكن المشكلة التى تميز الحب عن سائر جوانب الحياة انه بؤرة تتركز فيها كل متناقضات الحياة كما تتركز كل قوى النفس ، ثم تنصب هذه وتلك على هدف واحد فلا عجب ان احرقته

او احرقت نفسها ، وبما ان اضعف المواد تماسكا هى اسرعها احتراقا ، والعقل اضعف شىء فى الانسان ، فذهاب العقل اثر من اثار الحب ، ومجنون ليلى لم يكن مجنونا واحدا بل مجانين كثيرين كما ذهب طه حسين ، اخذا برواية عن الاصمعى ، ولكن طه حسين ربما كان مصيبا ايضا فى قوله ان الرواة كان لهم دخل كبير فى صناعة هذا الشعر وما اتصل به من اخبار

ونرجح نحن انهم لم يكتفوا بان تحلوا هؤلاء المجانين مالم يقولوه ، وهى الفكرة التى تمسك بها طه حسين ، بل حذفوا منه ايضا ما كان شاهدا بينا على الجنون ، وابقوا فقط ذلك الشعر الرقيق الذى نستمتع بقراءته حتى اليوم ، لان ما فيه من الجنون لا يعدو القدر تستلذه انت وانا

ولكن بقيت ابيات ظاهرة الحمق ، مثل قول احدهم :

اهيم بليلى ماحييت فان امت
فياليت شعرى من يهيم بها بعدى ؟

فهذا ضرب من الرقة زاد على قول شاعرنا المعاصر : "وتجيب خضوعى منين ولوعتى فى هواك" ، اذ من المعقول ان يتخيل المحب المحروم ان ذله فى هواه أصبح ضروريا للمحبوب ، لانه شاهد على عزة جماله ، ولكن الشاعر المسكين يتجاوز حدود العقل حين يشغله امر المحبوب بعد إن يموت هو ، فلابد له (اى للمحبوب) من ذليل اخر يخلفه (اى يخلف الشاعر) فى مهمته الضرورية . وربما تساءل الانسان الخلى البال ، او العاشق الذى لم يبلغ هذه الدرجة من الوله : لماذا لم يوحى

هذا المجنون لشاعر اخر ، يتوسم فيه الجنون مثله ، كى يصبح ـ بعد وفاته ـ مجنون ليلى رقم ٢ ؟

ويقرب من هذا فى الحماقة قول الاخر :

الا ايها النوام ويحكمو هبوا
اسائلكم هل يقتل الرجل الحبُّ ؟

فماذا كان يفعل هؤلاء النوّام لو استيقظوا من احلى نومة ، وهم معرسون

فى امان الله ، وهرعوا الى اسلحتهم وهم يحسبون ان جماعة من اللصوص اغارت عليهم ، او سبعا نهش احدهم ، فاذا بصاحبه يسألهم هذا السؤال السخيف ؟ اظنهم كانوا ياخذونه بنعالهم .

ولكننا لم نعد نسمع بمجانين الحب هؤلاء ـ شعراء او غير شعراء ـ فى ايامنا هذه . ربما كان خروج واحد منهم الى الصحراء ليعيش بين قطيع من الغزلان ـ كما عاش قيس بن الملوح ـ مطلبا بعيد المنال ، فقد اصبح من العسير ان تجد فى صحارى العرب كلها قطيعا واحدا محترما من الغزلان بعد ان افنتها رحلات القنص ، ولكن اى شاعر مجنون ـ لو انه وجد حقا وصحّت نيته على عمل كهذا ـ كان يمكنه ان يذهب يوميا الى حديقة الحيوان ويقف سحابة نهاره امام حظيرة الغزلان ، وهذا اضعف الايمان . ولكننا لم نسمع بخبر كهذا والذى سمعناه مما يشبه ذلك ـ ولابد من ذكره فى هذا المقام حتى نضع الحقائق كلها امام عينى القارىء ـ ان صديقا لنا من الشعراء كان ـ فى اثناء الحقبة الرومنسية من سيرته ـ يتعشق شجرة فى حديقة حيوان الجيزة . وليس هذا كل ما فى قضيته من طرافة فقد بلغه ان شاعرا اخر وقع فى غرام الشجرة نفسها ، وعرف الاوقات التى يزورها فيها ، فتحرى ان يلتقى به عندها . وزعم الراوى انه اتهم صاحبه بالخيانة . ولكننى لم اعن بمعرفة بقية القصة . والحقيقة انى بقيت مترددا فى امرها بين التصديق والتكذيب الى ان قرأت الابيات التى كنى فيها حميد بن ثور عن حبيبته بشجرة ثم اطلعت على شىء من علم نفس الجنس فعرفت ان عشق الشجر انحراف معروف .

اقول : لم نعد نعرف هذا اللون الهادىء من جنون الحب ، الذى يدفع بصاحبه الى التوحش والعزلة فى الصحراء ، ولكننا نعرف المئات والالـوف من العشاق العصريين الذين يرحلون الى الصحراء ليجاوروا حقول الذهب الاسود ويعودوا بعد سنين الى المحبوبة التى تنتظرهم ـ كما يعتقدون ـ وفى ايديهم المهر والشبكة وثمن الشقة . ويمكن ان يحدث ذلك او لا يحدث . فبينما يكون المحب مشغولا بجمع المال فى البلد البعيد ، وليس حوله أية وردة تشغله عن حلمه الذى يتابر على زخرفته كلما زاد رصيده فى البنك ، تكون المحبوبة فى مصر يأكلها الضجر ويحيط بها الفراغ القاتل . ويعود المحب بعد رحلته الطويلة فتلقاه المحبوبة ـ زوجة ام خطيبة ـ بوجه متجهم ، ولا يبعد ان يقتلها او تقتله . ولكننا لم نسمع بان احدا منهما انتحر كما كان العشاق الطيبون يفعلون فى العصر الرومنسى .

لهذا يمكننا ان نخلص الى النتيجة الاتية : ان عصر المجانين الانطوائيين قد انطوى ، وان مجانين الحب فى هذا



العصر اصبحوا من النوع الانبساطى الخطر .

ولكل عصر طريقته فى الحب

نعم ، ان الحب بين الرجل والمرأة غريزة ثابتة فى النفس البشرية ، لانها أصل بقاء النوع . ولكن صور الحب تختلف اختلافا واسعا بحسب اختلاف الحضارات ، حتى ليصح القول ان للعادات الاجتماعية تأثيرا فى الحب يكاد لا يقل عن تأثير الغريزة . وقد درس المؤرخون الاجتماعيون وعلماء احوال الشعوب (الاثنوجرافيا) انواع العلاقات بين الرجل والمرأة فى مختلف العصور والبيئات ، فوجدوا بينها من ضروب الاختلاف ما يذهل له الغريب عن البيئة ، وربما ارجعه الى تبذل المرأة او انعدام الانفة فى الرجل ، او ميل الرجال عن النساء او ميل النساء عن الرجال . وكلمة "الحب" نفسها لا تستعمل عند الشعوب المختلفة على قياس واحد . فهى عند اليونان القدماء تكاد تقتصر على محبة الرجل للرجل ، فى حين ان علاقة الرجل بالمرأة تقتصر على المتعة الوقتية ثم الانجاب (اخيل يعتزل الحرب لان قائد اليونان انتزع منه محظيته بريزيس ، ولكنه يعود الى القتال وينتقم من هكتور - بطل طروادة - انتقاما فظيعا لانه قتل صديقه باتروكلس) وعند بعض الشعوب لا توجد كلمة واحدة تفيد معنى الحب بين الرجل والمرأة ، وعند بعض الشعوب الاخرى توجد اكثر من مائتى كلمة .

ومرّد هذا الاختلاف - على ما يبدو - الى وضع المرأة الاجتماعى . ودون ان نستطرد فى الامثلة نقول ان الحب العذرى ، الذى كاد يتجاوز حدود العقل او تجاوزها فعلا عند البعض ، لا يمكن تصوره الا فى مجتمع يحمل المرأة من المسئولية مثل ما يحمل الرجل تقريبا ، ويخضعهما معا - فى الوقت نفسه - لاعراف قبلية شديدة الصرامة .. ولو نقلنا مثل العائد من بلاد البترول ليجد حبيبته قد هجرته - لو نقلنا هذا المثل خمسين سنة الى الوراء لكان المرجح الا يقتل بطلنا صاحبته ولا تقتله صاحبته بل ان يقتل شخصا اخر (هو الذى اغواها ، او اجبرها على الخيانة) او يقتل نفسه . ذلك ان المرأة ، منذ خمسين سنة ، لم تكن تملك امر نفسها كشأنها اليوم .

لهذا نقول ان مفهومنا للحب صنعته الطبقة المتوسطة عندما بدأت تتصدر المجتمع وتصوغ خلقياته ، وارتبط بتغير وضع المرأة الاجتماعى ومشاركتها للرجل فى اعباء الحياة الاجتماعية والمنزلية معا ، واستطاعتها - اذا ارادت او اضطرت - ان تستقل ماديا واجتماعيا عن الرجل . وبذلك ملكت حرية الاختيار ، واصبحت مسئولة عن اختيارها . لا أدّعى ان هذا التطور قد تم بصورة كاملة ، ولكننى ادعى انه ابرز نموذجا واضحا للحب والزواج ، وان هذا النموذج كان ناجحا - اى سويا

بالمعنى الذى وصفناه ـ حتى وقت قريب . وانما اخذ هذا النموذج فى الاختفاء ، ومن ثم اخذت الحالات غير السوية تغلب على الحالات السوية ، عندما تغيرت احوال الطبقة المتوسطة وتغير وضعها فى المجتمع .

فأولا ـ تدل الملاحظة العادية على ان الطبقة المتوسطة تضخمت الى درجة كبيرة ، كما انحط مستواها ، ماديا وثقافيا ، فى الوقت نفسه ، فالطبقة المتوسطة عندنا اليوم لا تشمل الموظفين وصغار الملاك والرأسماليين والمهنيين فقط ، ولكنها تشمل ـ بجانب هؤلاء ـ كل الشرائح العليا من العمال ، وحتى صغار المزارعين . ولعلنا لا نخطىء اذا قدرنا ان هذه الطبقة تمثل اكبر نسبة فى المجتمع المصرى فى الوقت الحاضر . ولكن هذه الزيادة العددية يقابلها انحدار فى القدرة الاقتصادية والتأثير الثقافى . بل ان هذه الطبقة اصبحت عديمة التجانس ثقافيا رغم التشابه فى اوضاعها الاقتصادية . ومن هنا جاء ما يشكو منه المحللون من فقدان "الرأى العام" وطبيعى ـ بعد ذلك كله ـ ان تفقد هذه الطبقة قدرتها على صياغة نموذج اخلاقى . ويصبح المجتمع ككل مستعدا لتقبل اى نموذج اخلاقى يرد من الخارج ، ولا سيما اذا وجد ممثلون "وطنيون" لهذا النموذج .

والنموذج الذى بدأ يتسلل الى مصر منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ولكنه لم يستطع ان يكتسحها الا فى فترة الانفتاح ، هو النموذج الامريكى الحديث . والولايات المتحدة الامريكية قارة عظيمة ، ومعرض هائل لثقافات كثيرة متنوعة ، وتاريخها ـ الذى لم يكد يتجاوز القرنين منذ الاستقلال ـ حافل بالتغيرات العميقة

المتلاحقة . ولكن النموذج الاساسى الذى يمسك هذا الكيان الهائل هو نموذج التقدم المادى : النموذج الذى ترسمه ـ كما تقول مرجريت ميد ـ اعلانات السيارات والاجهزة المنزلية ومستحضرات التجميل ، وسائر وسائل الحضارة المادية التى يطمح كل أمريكى ـ منذ الطفولة حتى الرجولة ـ الى ان يحصل عليها فى يوم قريب او بعيد . ان هذه الصورة السوقية من المذهب البرجماتى او العملى (وهو مذهب فلسفى معتبر) يمكن ان تهدم أية حضارة ، ولكن تأثيرها الضار لا يكاد يلحظ فى المجتمع الامريكى ، لان السلوك العملى فى ذلك المجتمع يعتمد على اساس راسخ من الالتزام الاخلاقى المتشدد الذى ارسى دعائمه المهاجرون الاول من البيوريتانيين ، ثم هناك شعور قوى بالانتماء الى الوطن الامريكى والمجتمع الامريكى ، تغذيه نفس وسائل الاعلام الجماهيرية التى تروج لكل جديد مبتكر من ماركات السيارات ومستحضرات التجميل .

اما اذا انعدمت مثل هذه العوامل المعارضة او ضعف تأثيرها ، فإن النجاح المادى كمعيار اخلاقى ، يغدوا سرطانا يفتك ببنيان المجتمع اذ يلتهم خلاياه الحية : الاسرة التى لا تصح ولا تعيش الا بالحب .

حرية الممنوع

والممنوع فى الحرية

منذ مايزيد على عقد من السنين داهمت حياتنا وسيطرت عليها أو تكاد موجة عاتية من الفوضى الفكرية باسم الحرية ، وقد بلغت هذه الموجة أن رسخت وجودها فأنتجت قيما وأنماط سلوك تسود بيننا حتى أصبحنا نتعامل معها بقدر كبير من الاعتياد الخطر ، حتى أصبحت كثرتنا معتقدة فعلا أن هذه القيم وأنماط السلوك هى تطبيقات صحيحة وممارسات سليمة للحرية ، وحتى القلة منا التى تدرك خطرها أصبحت تجد لبعضها التبرير ، وأصبحت تميل للتسامح مع تطبيقاتها ـ خصوصا على المستوى الفكرى . بقدر غير مفهوم من التسامح الذى لايستساغ ولا يجوز .

بقلم : مصطفى الحسينى

غير أن هذه الموجة قد أصبحت تهدد مقومات الحرية ومقومات الفكر ، بل ومقومات الوطن ، وباتت تستدعى مواجهة حاسمة من النخبة الفكرية والثقافية التى تدرك خطرها ، أو التى هكذا يفترض أن تكون .

ـ ١ ـ

أول ما تبدت هذه الموجة اتخذت لنفسها شعارا ظاهره الجاذبية وباطنه الازدراء ، شعارا يدعو الى "احترام الرأى والرأى الآخر" . وكانت جاذبيته أنه رفع وروج له بعد سنوات وعقود من القيود على حرية الفكر وحرية الرأى . أما ما يخفيه من الازدراء لحرية الرأى ذاتها فلا تكاد تخفيه كلماته . فلو تأملنا كلماته وجدناها ذاتها تضع الرأى على مستويين متفاوتين من الاحترام ، فهناك "الرأى" وهو ما تنتشر سيادته على وسائط الترويج الفكرية والاعلامية ، والذى يتمتع بقوة ليست بحال هى قوة حجته ، وليست بحال هى صلابته الفكرية ، وليست بحال هى مشروعيته الوطنية ، إنما قصارى قوته أنه يستند الى

سلطة الدولة وسطوتها . ويلى هذا "الرأى" "الرأى الأخر" الذى يسمح به أصحاب "الرأى" يسمحون به من باب التساهل والتسامح على مافيها من استعلاء علية وعلى حرية الرأى .

ولذلك لم يكن غريبا أن نرى أصحاب "حرية الرأى والرأى الآخر" يروجون فى الوقت ذاته لقيود كريهة على حرية الرأى ، فيهللون لـ "الديمقراطية ذات الأنياب" عند ما أرادها الحاكم كذلك ، ويهللون لـ "مفرمة" الحاكم عندما هدد بها خصومه ومخاليفه فى الراى . وهم الذين بلغ بهم الحماس مبلغه لقانون يحرم حرية الراى المنظم فى معارضة اتفاقيات كامب ديفيد والسلام مع اسرائيل ، رغم انه كان واضحا لكل عين ترى وجليا لكل اذن تسمع أن هذه الاتفاقيات كانت ومازالت محلا لخلاف وطنى .

وعدا عن التعالى الفظ والأريحية الكاذبة التى تنطق بهما تلك العبارة الخادعة "حرية الرأى والرأى الأخر" ، وعدا عن التهليل الذى التزمه اصحابه ، وخارج هاتين الدائرتين ، أخذت هذه المدرسة تروج لنوع من التسوية بين الآراء من حيث القيمة والمشروعية ، وهى ترويج يحمل خطرا فكريا داهما ، لأنه اذا كانت الآراء جميعا سواء حسابيا ، كلها تحتمل الصواب كما تحتمل الخطأ وبنفس القدر ، فإنها جميعا (عدا عن ما يعارض مشيئة الحاكم) مقبولة . وهذا خطر فكرى داهم . لأن القبول المسبق على قاعدة من تساوى احتمالات الصواب والخطأ ، يفقد العقل والفكر الرغبة فى تمحيص الآراء والقدرة عليها ، فتتحول العقول الى مرايا لامعة ينعكس عليها كل شىء ، لكنها صماء ولا تستوعب شيئا ولا يترك شىء على سطحها أثرا لا مذكورا ولا منكورا .

وربما لذلك وبسببه تنتشر بيننا على مستوى الفكر السطحية والتسطيح والوقتية فى معالجات الفكر لأخطر أمورنا . وربما لذلك ايضا أصبحنا نرى المختلفين من ساستنا ـ حاكمين ومعارضين ـ والذين يختلفون على مسائل وقضايا تتعلق بالوطنية عندما يلتقون وتجمعهم المناسبات والمجالس يتبادلـون الابتسام ويتصافحون وقد يتعانقون ، على قاعدة أن "خلاف الرأى لا يفسد للود قضية" ، وكدنا ننسى انه لا الوطنية ولا الخيانة تتصلان بالراى ، وأن أيا منهما ليست مجرد وجهة نظر ، حتى ليحق لنا أن نظن أن الذين يعارضون بعض السياسات والآراء على أساس من الوطنية لا يصدقون ما يقولون ، لأنهم قد نسوا أن المصافحة من الصفح ، ونسوا ـ إن كانوا صادقين فيما يقولون فى وطنية بعض السياسات أو خيانتها للوطن ـ انه لا صفح عن الخيانة .

وتضمحل قيمة الرأى وقيمة الوطنية معا

ـ ٢ ـ

أصبحنا وأمسينا كل يوم نقرأ ونسمع ونشاهد ، ما يزرى بالشخصية الوطنية ويزدريها ، اعتدنا أن نقرأ ـ وباعتزاز ـ شهادات الأجانب فى وطننا ، وكأننا نحتاج الأجانب حتى نعرف قيمة الوطن ، أصبحت الدعوة الى نظافة الشوارع ارضاء للسياح وجلبا لإعجابهم ، وكأن النظافة ليست من متطلبات حياتنا ، وأصبح المطعم أو المقهى يعلن عن امتيازه أو امتياز خدمته باعلان أنه "سياحى" كأننا لا نستحق ، بل وسمعنا من الدولة عن "الأرز السياحى" ، وأصبحنا وأمسينا وقد غاب عنا أن هذا كله يعلن أن المواطن ادنى قدرا من الأجنبى . وأصبحنا وأمسينا نقرأ ونسمع لأناس يدعون الى "مكافحة التسول" لأن المتسولين "يزعجون السياح" ويحطون من قدرنا فى عيونهم ، وكأن التسول ليس حطا من كرامة الانسان ، وليس من أعراض عجز المجتمع عن مواجهة مشاكله وحلها .

حرية الممنوع والممنوع في الحرية

ـ ٣ ـ

وأصبحنا وأمسينا نقرأ ونسمع من يدعون الى بيع أجزاء من الوطن للأجانب حلا لمشاكله ، ونرى سياسات ترعى المواطن الذى هاجر أو هجر الوطن ووضع ملكاته وقدراته فى خدمة بلد آخر وشعب آخر ، أكثر من رعايتها المواطن المقيم الذى يحمل على كاهله مشاكل الوطن ويسهم على قدر جهده فى محاولات حلها ، حتى سمعنا ليس مجرد اقتراحات وإنما مطالبات ترفع فى مؤتمرات تنظمها الدولة لهؤلاء المهاجرين او الهاجرين ، الذين مازالوا يحملون جنسية هذا البلد وبها يعيشون حيث يعيشون ، باعفاءات لأبنائهم من الخدمة العسكرية ، أى مسئولية الدفاع عن الوطن .

بل ، ولهجة الفخر والتباهى التى تطالعنا لدى كل نبأ عن نبوغ عالم من "أصل مصرى" ، ويفوتنا أن هذا العالم النابغة قد هاجر من هذا البلد وأصبح مواطنا لبلد آخر وأن نبوغه يخدم هذا البلد الآخر ، وكأننا نتباهى بالسلالة ، كأننا فصيلة من الخيول . وأصبح يغيب عنا أن الأوطان التى تحترم شخصيتها الوطنية وتعتز بها وترعى صالحها ، عندما ينبغ واحد من ابنائها بعد أن هاجر ، بقدر ما تتجنب أن تلقى عليه مسئولية هجرته ، تشغل نفسها ببحث الاسباب التى ادت به الى الهجرة ، كى توجه جهدها لاستعادته . ولا تتباهى به حيث هو .

على أن حملة ازدراء الشخصية الوطنية لا تتبدى فى هذه المظاهر وحدها ، فهذه من نتائج الحملة و آثارها ، أما الحملة الحقيقية ذاتها ، فقد رأيناها ونراها ، فى هجوم ضار على العرب ووصفهم بالبداوة بل والهمجية ، وفى وصف الاسلام بالتخلف ، رغم أن العروبة والاسلام مع المسيحية الشرقية هى العمود الفقرى لتاريخنا وحضارتنا .

يتصل بازدراء الشخصية الوطنية ماهو منتشر من معالجات لقضية السلام الذى انعقد بيننا وبين اسرائيل ، وليس هذا المقال بصدد مناقشة هذا السلام ، ليس بصدد الحكم عليه بمعايير الحق والباطل ، ولا الوطنية والخيانة ، بل ولا حتى الصواب والخطأ . إنما هذا المقال بصدد كيفية التعامل معه ، على المستوى الفكرى ، وباعتباره حقيقة قائمة نعيش معها .

شهدنا فى تبرير هذا السلام جهدا ينسب نفسه الى الفكر ، يعلى من شأن الاسرائيلين واليهود على شأننا ، ويدعونا إلى التسليم بتفوقهم وتخلفنا ويحضنا على التماثل معهم .

إن الأمم منذ عرف التاريخ تتقاتل وتتسالم . لكنها فى الحرب تتقاتل كى تؤكد مالها فى مواجهة العدو ، وعندما تتسالم فإنها تفعل هذا ـ أيضا ـ لتأكيد مالها والحفاظ عليه وتمييزه عمّا قد يكون لهذا الذى كان قبل السلم عدوا . السلام صفقة سياسية ، لكنها ليست صفقة على حساب القوام والقيمة والشخصية والحضارة ، لكننا قرأنا أننا نحن المسئولون عن حالة العداء ، وأن نقصا فى نضجنا وتأثير "بداوة العرب" علينا هى التى جعلتنا نحارب اسرائيل ، وكأنها لم تكن هى البادئة بالعداء منذ النشأة بل وبمجرد واقعة النشأة ذاتها ، وقرأنا أن حروبنا معها كانت أخطاء ، ولم يأبه أحد من الذين كتبوا الى أن قولهم يهين دماء الشهداء ، ويحول الشهداء الى ضحايا .

ـ ٤ ـ

ولعل من أخطر مانراه من معالم ازدراء الشخصية الوطنية وضرب مقوماتها هو ما يجرى فى ميدان التعليم . وخطورته أنه يؤثر أخيث الأثر على مستقبل الوطن .

فباسم الحرية تجرى هجرة واسعة النطاق من نظام التعليم الوطنى الى نظم تعليم غربية وأجنبية تحت مختلف التسميات ، واكثرها شيوعا مايسمى "مدارس اللغات" . واذا كانت مصر الأربعينيات قد عانت من تغلغل "الأجانب المتمصرين" فى نسيج حياتها ، فى الاقتصاد والفكر والاعلام . فإن مايتهيأ الآن عن طريق مايحدث فى مجال التعليم أكثر خبثاً وأشد خطرا ، لأنه يهيىء لنا نخبة جديدة من المتعلمين الذين سوف يصبحون "مصريين متغربين" (من الغربة وليس من الغرب) . فالتعليم هو الذى يصوغ الفكر والوجدان . وهذا التعليم المتسع الانتشار يهيىء نخبة متعلمة تفكر بلغات أخرى ويتشكل لها وجدان مستعار من ثقافات أخرى وحضارات مغايرة والثقافات والحضارات هى فى النهاية مصالح ، لأنها وعاء المصالح ولأنها العين التى ترى المصالح .

وقد وصل هذا الوباء من الخطر الحد الذى يجعل حتى العارفين بخطره يرسلون ابناءهم وبناتهم الى هذه المدارس . مسايرة للأعراف الاجتماعية التى تسود ، وتعللا بتدهور مستوى التعليم الوطنى .

فى جيل هذا الكاتب ، الجيل الذى يعيش الآن العقد السادس من عمره ، وربما بعده بجيل أو جيلين هى التى شكلت وجداننا الوطنى ، كما أنها كانت البوتقة التى تصهر الحد الضرورى من الادراك الجماعى لمصالح الوطن . ففى هذه المدرسة كان التلاميذ يتجاورون ويتصادقون عبر خطوط الفصل الطبقية ، كان ابناء الباشوات والاقطاعيين والوزراء تضمهم مدرسة واحدة وفصل واحد ، وربما يتقاسم اثنان المقعد المزدوج ذاته . وكان الواحد منا يدرك خطوط الفصل الطبقى فى البيت والشارع ، لكنه كان يتشارك مع "خصومه الطبقيين" وجدانا وطنيا واحدا تشكله المدرسة . ولم تكن تشذ عن هذا سوى اقلية ضئيلة من الاجانب المتمصرين والمتشبهين بهم .

أما فى ظل الموجة التى تسود ، فإنه حتى من يعرفون منا الخطر ويدركونه يشاركون فى ممارسته تحت ضغط تدهور التعليم الوطنى ، بدلا من أن يعبئوا جهدهم لانقاذ هذا التعليم .

فى بريطانيا ، وفى ظل حكم المحافظين ، والذين يعتبرون أنفسهم "حراس الحرية" الى أقصى حد ، جرى على مدى الشهور الماضية جدل حول "حرية الاباء فى اختيار مدارس ابنائهم" . وكان المقصود هو اختيار هذه المدرسة أو تلك ضمن نظام واحد موحد للتعليم الوطنى . وكانت الحكومة التى نادت بهذه الحرية تستجيب لنزعة بعض المتغطرسين البريطانيين . الذين لا يريدون لأبنائهم أن يختلطوا فى المدرسة بأبناء الاقليات المهاجرة لكن الحكومة هزمت . لأن الرأى الذى غلب حذر من اخطار هذه الحرية على قابلية هذه الاقليات المهاجرة للاندماج فى المجتمع .

أما عندنا ، فيسود التسليم بـ "حرية" اختيار جنسية التعليم .

حتى اصبحنا نستطيع أن نرى بالعين المجردة ، شعبا ذا وجدانين ، صفوة وجدانها اجنبى ، وعامة مازال وجدانها وطنيا ، إنما يفتقر الى التعليم والتثقيف .

●●●

هذه هى بعض اخطار هذه "الحرية" التى تسود حياتنا يوما بعد يوم . وهى "حرية" سامة ومسمومة ، واذا كان الصواب أن يكون الصراع الفكرى هو وسيلة المجتمع لحل خلافاته ، فإن الحرب الفكرية ليست حراما ، وان كانت كرها للحريصين على الحرية . لكن الحرب الفكرية على هذه الحرية ، جديرة بأن تكون امر اليوم وأمر الغد ، لأنها امر الوطن .

من الناس من يتصور أن ترجمة العرب والمسلمين للفلسفة اليونانية هو دليل يمكن أن يساق ضد مانسميه « الخصوصية الحضارية » وتميز حضارتنا العربية الاسلامية فى سمات وقسمات من بينها «النظرة إلى الكون» و «مكانة الانسان فى هذا الوجود » ..

وحتى نتبين الخيط الأبيض من الأسود فى هذه الدعوى ، علينا أن نستطلع رأى واحد من أعظم الخبراء فى هذا الميدان ؟! ..

المسلمون والفلسفة اليونانية

بقلم : د . محمد عمارة

فالشيخ الرئيس ابن سينا [٣٧٠ ـ ٤٢٨ هـ ـ ٩٨٠ ـ ١٠٣٧ م] كان أول من أفرد لعرض وشرح الفلسفة المشائية اليونانية موسوعته الضخمة [الشفاء] ومع ذلك فلقد شهد هو نفسه ، بأنه قد عرض هذه الفلسفة وقدمها وشرحها ، لا لأنها «الفلسفة الحقة» ، وإنما لمكانتها عند المشائين الذين لايستعينون بغيرها ولايألفون سواها .. وأنه ، لذلك ، وحتى لايظن المحققون تبنيه لمقولاتها ، قد وضع فى ثنايا عرضه لكتابى [الشفاء] و [اللواحق] إضافات لو فطن اليها المدققون لرأوا فيها الفلسفة الحقيقية للشرقيين ، المتميزة عن الفلسفة المغربية ـ [اليونانية] ـ .. وأنه لم يكتف بهذه الاضافات ، التى تكفى المدققين ، ذوى الفطنة فى ادراك هذه الحقيقة ، حقيقة تميز أمتنا فى فلسفتها عن اليونان ، وإنما عمد ، أيضا ، الى افراد فلسفتنا بكتاب خاص ، هو كتاب [الحكمة المشرقية] ـ أو [الفلسفة المشرقية] ـ بسط فيه ، صراحة ، معارضة فلسفتنا للفلسفة اليونانية ، وعلى الاخص فى الالهيات .

بل لقد نبه ابن سينا على هذه الحقيقة صراحة فى مقدمة الكتاب الذى بسط فيه الفلسفة المشائية اليونانية ـ [الشفاء] .. فقال فى هذا التقديم : « **ولى كتاب غير هذين الكتابين [«الشفاء» و «اللواحق»] ـ أوردت فيه الفلسفة على ماهى بالطبع ، وعلى مايوجبه الرأى الصريح الذى لايراعى فيه جانب**

الشركاء فى الصناعة ، ولايتقى فيه من شق عصاهم مايتقى فى غيره ، وهو كتابى فى «الفلسفة المشرقية » . وأما هذا الكتاب - [«الشفاء]- فأكثر بسطا ، وأشد مع الشركاء من المشائين مساعدة

ومن اراد الحق الذى لامجمجة .. فيه ، فعليه بطلب ذلك ، الكتاب [« الفلسفة المشرقية »] - ومن اراد الحق على طريق فيه ترض ما إلى الشركاء ، وتبسط كثير ، وتلويح بما لوفطن له استغنى عن الكتاب الآخر ، فعليه بهذا الكتاب - [« الشفاء »] .

فمن أراد الحق فى الفلسفة على ماهى عليه بالطبع ، فإن طلبته - كما يقول ابن سينا - ليس كتاب [الشفاء] ، لأن فلسفة اليونان ليست هى الحق فى هـذا الموضوع !

وفيما بقى لنا من تراث ابن سينا ، هناك كتابه [منطق المشرقيين] أو [كتاب المشرقيين] ، والذى يغلب على الظن أنه قطعة من كتابه الذى نبه عليه [حكمة المشرقيين]، يسوق فى مقدمته حديثا ، ينهض «كالوثيقة الفكرية التاريخية» فى هذا الموضوع البالغ الأهمية - موضوع تميز فلسفتنا عن الفلسفة اليونانية - وبشهادة من بلغ فى عرض الفلسفة اليونانية درجة «الشيخ الرئيس » ! .. يقول ابن سينا :

«نزعت الهمة بنا الى أن نجمع كلاما فيما اختلف اهل البحث فيه ، لانلتفت فيه لفت عصبية او هوى او عادة أو الف ، ولانبالى من مفارقة تظهر منا لما ألفه متعلمو كتب اليونانيين الفا عن غفلة وقلة فهم ولما سمع منا فى كتب ألفناها للعاميين من المتفلسفة المشغوفين بالمشائين ، الظانين أن الله لم يهد الا اياهم ، ولم ينل رحمته سواهم .

[سنفعل هذا] ، مع الاعتراف منا بفضل أفضل سلفهم فى تنبهه لما نام عنه ذووه وأستاذوه ، من تمييزه أقسام العلوم بعضها عن بعض ، وفى ترتيبه العلوم خيرا مما رتبوه ، وفى ادراكه الحق فى كثير من الأشياء ، وفى تفطنه لأصول صحيحة سرية فى أكثر العلوم ، وفى اطلاعه [عامة] الناس على ما بينها فيه السلف وأهل بلاده ، وذلك أقصى مايقدر عليه انسان يكون أول من مد يديه الى تمييز مخلوط ، وتهذيب مفسد ، ويحق على من بعده ان يلموا شعثه ، ويرموا ثلما يجدونه فيما بناه ، ويفرعوا أصولاً أعطاها ، فما قدر من بعده [أرسطو] على أن يفرغ نفسه عن عهدة ماورثه منه وذهب عمره فى تفهم ماأحسن فيه والتعصب لبعض ما فرط من تقصيره ، فهو مشغول عمره بما سلف ، ليس له مهلة يراجع فيها عقله ، ولو وجدها مااستحل أن يضع ما قاله الأولون موضع المفتقر الى مزيد عليه أو اصلاح له أو تنقيح اياه .

وأما نحن ، فسهل علينا التفهم لما قالوه أول ما اشتغلنا به ، ولايبعد أن يكون قد وقع الينا من غير جهة اليونانيين علوم ، وكان الزمان الذى اشتغلنا فيه بذلك ريعان الحداثة ، ووجدنا من توفيق الله ماقصر علينا بسببه مدة التفطن لما أورثوه . ثم قابلنا جميع ذلك بالنمط من العلم الذى يسميه اليونانيون «المنطق» - ولايبعد أن يكون له عند المشرقيين اسم غيره - حرفا حرفا ، فوقفنا على ماتقابل - [اى مايتفق معه] - وعلى ماعصى - [أى مااختلف واياه] - وطلبنا لكل شىء وجهه ، فحق

ماحق وزاف مازاف [اى وكانت نتيجة هذا ان بان ماهو حق وما هو زائف].

ولما كان المشتغلون بالعلم شديدى الاعتزاء الى المشائين من اليونانيين ، كرهنا شق العصا ومخالفة الجمهور ، فانحزنا اليهم وتعصبنا للمشائين اذ كانوا اولى فرقهم . [فرق اليونانيين ؟] ـ بالتعصب لهم . واكملنا ماأرادوه وقصروا فيه ولم يبلغوا اربهم منه ، واغضبنا عما تخبطوا فيه ، وجعلنا له وجها ومخرجا ، ونحن بدخلته شاعرون ، وعلى ظله واقفون . فإن جاهرنا بمخالفتهم ، ففى الذى لم يكن الصبر عليه ، واما الكثير فقد غطيناه باغطية التغافل ... ولكنكم ، اصحابنا ، تعلمون حالنا فى اول امرنا واخره ، وطول المدة التى بين حكمنا الاول والثانى واذا وجدنا صورتنا هذه ، فبالحرى ان نثق باكثر ما قضيناه ، وحكمنا به واستدركناه ، ولاسيما فى الاشياء التى هى الاغراض الكبرى ، والغايات القصوى التى اعتبرناها وتعقبناها مئين من المرات ، ولما كانت الصورة هذه ، والقضية على هذه الجملة ، احببنا ان نجمع كتابا يحتوى على امهات العلم الحق الذى استنبطه من نظر كثيرا . وفكر [illegible] . ولم يبعد عن [illegible]

وما جمعنا هذا الكتاب لنظهره إلا لأنفسنا ـ اعنى الذين يقومون منا مقام انفسنا ـ واما العامة من مزاولى هذا الشأن ، فقد اعطيناهم فى « كتاب الشفاء » ماهو كثير لهم وفوق حاجاتهم ، وسنعطيهم فى « اللواحق » مايصلح لهم زيادة على ما أخذوه . وعلى كل حال فالاستعانة بالله وحده .

تلك هى « وثيقة » الشيخ الرئيس ابن سينا تحمل شهادة خبير . [ولاينبئك مثل خبير] شهادة خبير بالفلسفة اليونانية ، وبالفلسفة المشرقية .. عرضهما عرض واقف على الخلاف المميز بينهما « فى الأغراض الكبرى والغايات القصوى »

وهو فى هذه الوثيقة الشاهدة يحدد :

أ ـ أنه مع فضل أرسطو ، وأضافاته بالنسبة لمن سبقه ، فأن فى بنائه الفكرى والفلسفى أخطاء وثغرات ..

ب ـ وأن الذين أتوا بعده بدلا من أن يطوروا فكره ، ويعالجوا نواقصه ، ويرمموا ثغراته .. جمدوا عند مقولاته ، وقدسوا كل ميراثه ! .. وتحاشوا حتى إصلاح الأخطاء التى أدركوها ! ..

جـ ـ وأن ابن سينا لما استوعب فلسفة اليونان ، منذ وقت مبكر فى حياته العلمية ، عرضها على « المنطق » معيار العلم والنظر ـ فتبين له مافيها من حق ومافيها من زيف ..

د ـ وبسبب من تعلق المشتغلين بالعلم بالفلسفة المشائية اليونانية ، وإلفهم لها وحدها واستنامتهم لمقولاتها ، فلقد [illegible] فى « كتاب الشفاء » ـ مع إضافات وبعض انتقادات ـ يدركها أهل الدرجة العليا من الاختصاص ـ لكنه تغافل عامدا عن نقد أغلب ماتخبط فيه اليونان ـ اللهم إلا فيما لم يصبر على السكوت عنه من مواطن الخلاف ! ..

هـ ـ وبعد هذا الموقف الأول ، وجد من

الأوفق أن يتخذ موقفا ثانيا .. فكتب كتابه « فلسفة المشرقيين » الذى عرض فيه خلاف فلسفتنا مع الفلسفة اليونانية فيما هو « خصوصية حضارية شرقية » فى الفسلفة ، مركزا على « الأغراض الكبرى والغايات القصوى » بعد أن راجع مسائلها مئين المرات ! .. قاصدا أن يكون هذا الكتاب مرجعا للخاصة ، كما أن « الشفاء » و« اللواحق » هى مراجع « العامة » من المفتونين بالفسلفة اليونانية فى غفلة وقلة فهم ! ..

نعم .. إنها « شهادة » تبلغ فى الدقة والعمق مبلغ « الوثيقة » عندما يكتبها « خبير ـ صانع » للحدث الذى « يوثقه » و« يشهد فيه » ! ..

ولقد شهد الذين وعوا دلالة هذه الشهادة لابن سينا بمالها ، فى موضوعنا ، من دلالات .

● ليست فلسفة اليونان

ـ فأتى الفيلسوف الأندلسى ابن طفيل « ٤٩٤ ـ ٥٨١ هـ ـ ١١٠٠ ـ ١١٨٥ م » فى مقدمة رائعته الفلسفية غير المسبوقة « حى بن يقظان » ليؤكد هذه الحقيقة .. حقيقة أن فلسفة الاسلام ليست هى فلسفة اليونان .. بل ويعيد نشر شهادة ابن سينا ، عنوانا على تبنيه لمضمونها .. فيخاطب مخاطبه قائلا : « سألت أيها الأخ الكريم الصفى ... أن أبث إليك ما أمكننى بثه من أسرار الحكمة المشرقية التى ذكرها الشيخ الرئيس ابو على ابن سينا ...» .

فيعلن ابن طفيل بهذه العبارة عن أن طلب الحديث عن الحكمة المشرقية وإبراز تميزنا الفلسفى كان من القضايا التى تشغل العقل الفلسفى الإسلامى ، والتى تدور حولها الأسئلة والأجوبة ، وتخصص للاجابة عن فحواها الصفحات ..

ثم يستطرد ابن طفيل فيستدل على القضية بإيجاز شهادة ابن سينا فيقول : **« وأما كتب أرسطوطاليس ، فقد تكفل الشيخ أبو على بالتعبير عما فيها . وجرى على مذهبه ، وسلك طريق فلسفته فى « كتاب الشفاء » وصرح فى أول الكتاب بأن الحق عنده غير ذلك وأنه إنما الف ذلك الكتاب على مذهب المشائين وأن من اراد الحق الذى لاجمجمة فيه فعليه بكتابه الفلسفة المشرقية »**

ثم يقدم ابن طفيل شهادته كثمرة لقراءته كتب أرسطو ولقراءته عرضها فى « كتاب الشفاء » لابن سينا فيؤكد أن لابن سينا فى « الشفاء » إضافات هى من إبداعه ولاتتفق مع آراء أرسطو ، وأنها لاتظهر إلا لأهل الفطنة من ذوى الاختصاص ... ثم يعيد ذكر رأى ابن سينا القائل إن من أراد الكمال ، بواسطة الفلسفة ، فسبيله ليست فلسفة اليونان ، وإنما فلسفة المشرقيين .. يقول ابن طفيل : « ومن عنى بقراءة « كتاب الشفاء » وبقراءة كتب أرسطوطاليس ظهر له فى أكثر الأمور أنها تتفق ، **وإن كان فى كتاب « الشفاء » أشياء لم تبلغ إلينا عن أرسطو . وإذا أخذ جميع ماتعطيه كتب أرسطو وكتاب « الشفاء » على ظاهره ، دون أن يتفطن لسره وباطنه ، لم يوصل به إلى الكمال** ، حسبما نبه عليه الشيخ أبو على فى كتاب « الشفاء » .

ـ أما مؤرخ الحكمة والحكماء ، ابن أبى أصيبعة « ٥٩٦ ـ ٦٦٨ هـ ـ ١٢٠٠ ـ

١٢٧٠ م » فإنه يخبرنا عن اسم كتاب مفقود لابن سينا عنوانه « كتاب الانصاف » - [عشرون مجلدة] - ويقول إنه ميز فيه بين فلسفة « المشرقيين » وبين فلسفة « المغربيين » ! .. شرح فيه جميع كتب أرسطوطاليس ، وأنصف فيه بين المشرقيين والمغربيين » .

- وغير هذه الشهادات التى اقتفى أصحابها أثر ابن سينا واستدلوا بأدلته .. نجد هذا الموقف الذى يميز فلسفة الاسلام عن فلسفة اليونان لما لكل منهما من « خصوصيات حضارية » يتكرر لدى الكثير من أعلام فلسفتنا ، والذين خبروا منهم اليونان على وجه الخصوص ..

ففخر الدين الرازى « ٥٤٤ - ٦٠٦ هـ ١١٥٠ - ١٢١٠ م » ينهض بإبراز معارضة الفلسفة الاسلامية للفلسفة اليونانية .. والفلسفة « المشرقية » الاسلامية عنده هى إبداع المسلمين فى علم الكلام ، المعبر عن « خصوصيتنا الحضارية » فى الفلسفة .. أما الفلسفة « المغربية » اليونانية - « فهى أفكار المشائين اليونانيين ، وخصوصا طريقتهم فى بحث المسائل ومن قلدهم وسار فى أثرهم من المسلمين » .

- أما أبو الوليد بن رشد « ٥٢٠ - ٥٩٥ هـ ١١٢٦ - ١١٩٨ م » فإن إبداعه كله « وثيقة » شاهدة فى هذا الموضوع ..

لقد أنجز ابن رشد أضخم مشروع عربى لتقديم فلسفة اليونان إلى العقل العربى والمسلم .. وقدم لأعمال أرسطو الشروح - الكبرى .. والمتوسطة .. والموجزة وصحح الأخطاء وضبط المصطلحات وحدد المفاهيم وحرر المقولات .. ورعت الدولة مشروعه هذا ، كما ترعى الأمم والدول العريقة - فى زماننا - المشاريع الثقافية والعلمية الكبرى التى تتيح لأبنائها الاطلاع على الحضارات الأخرى والتفاعل وإياها ..

ولهذا الانجاز الرشدى العملاق ، فى شرح أعمال حكيم اليونان أرسطو ، استحق ابن رشد على النطاق العالمى لقب « الشارح الأكبر » ... ولقد حدثنا ابن رشد عن مكانة أرسطو فى الفكر « الانسانى - اليونانى » وكيف بلغ هذا الحكيم « أقصى ماوقفت عليه العقول الانسانية » فشابه فى هذا التقييم قول ابن سينا عن أرسطو : « إنه صنع أقصى مايقدر عليه انسان يكون أول من مد يده إلى تمييز مخلوط أو تهذيب مفسد »

لكن ابن رشد لم يقف عند حدود « الشارح » لأرسطو ولاكان « المتبنى لكامل مقولات فلسفة اليونان » ففى شروحه ذاتها إضافات وانتقادات ، لم يغلفها ، كما صنع ابن سينا وإنما برزت للعيان ، من حيث الحجم والوضوح .. **وفى هذه الاضافات الرشدية تتجلى خصوصيات الفلسفة الاسلامية ، عندما يبدعها ابن رشد المسلم المتكلم القاضى والفقيه** .. ففى مسائل جوهرية وكثيرة تبرز خصوصيتنا الفلسفية المتميزة عن الفلسفة الأرسطية .. وفى مقدمة هذه المسائل :

أ - تصور ابن رشد للذات الالهية .. وهو إبداع « رشدى - إسلامى » لاعلاقة له بالفلسفة اليونانية .

ب - تصوره لمعضلة وحدة الوجود ، العقلية والمادية .

جـ - تصوره لعالم الصور ..

د - تصوره المنهجى للتوفيق بين الحكمة والشريعة .. وهو إبداع إسلامى غير وارد فى الاطار اليونانى ..

هـ - تصوره لقضية الحرية الانسانية ، والجبر والاختيار .. ومكانة الانسان فى الكون ..

و - نظريته فى المعرفة .. والعلم الانسانى والعلم الالهى ..

ز - منهجه فى تقسيم الناس إلى مراتب .. ليست طبقية ، لا بالمعنى اليونانى ولا بالمعنى الاقتصادى ..

حـ - رؤيته لمكانة المرأة فى المجتمع .

لقد اختلفت هذه المقولات الأساسية فى الابداع الرشدى ، عن نظيرتها فى الابداع الأرسطى ، لأن الابداع الرشدى كان إسلاميا ، لم يقف عند « منتهى ماوقفت عليه العقول الانسانية » كأرسطو والفلسفة اليونانية - وإنما أضاف إلى ذلك فى تزامل ومؤاخاة ، حقائق الشريعة الالهية التى نزل بها الوحى على رسول الاسلام ، صلى الله عليه وسلم ..

وإذا كانت شروح ابن رشد على أعمال أرسطو قد اشتملت - فى استفاضة ووضوح - على ملامح هذه « الخصوصية الحضارية الاسلامية » فى الفلسفة فإن مصادر الابداع الرشدى الخالصة هى الموطن الطبيعى الذى يجب أن نلتمس فيه « الرشدية الاسلامية » المعبرة عن خصوصيتنا الحضارية .. فابن رشد : المتكلم والقاضى والفقيه وفيلسوف الاسلام تلتمس حقائق إبداعه فى « مؤلفاته » لأنها « إبداع خالص » وليست مجرد « إضافات » فى ثنايا « الشروح » ..

إن « منهج » ابن رشد الذى صاغه فى كتابه الفذ « فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال » هو إبداع إسلامى متميز ، بل ومختلف تماما ، عن منهج اليونان الذين أبدعوا فلسفتهم فى إطار لايعرف الوحى ولا الشريعة فلم يحتكم إلا إلى البرهان العقلى ..

وإن كتاب ابن رشد « الكشف عن مناهج الأدلة فى عقائد الملة » هو الابداع الرشدى فى الصورة المناسبة لجمهور الناس ..

أما كتابه « تهافت التهافت » فهو مستودع فلسفة الاسلام ، كما تصورها ابن رشد على النحو المناسب لأهل الاختصاص ..

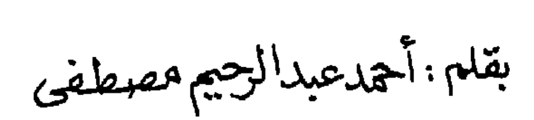
ففى هذه الكتب الثلاثة نجد ابن رشد « المتكلم » اى « الفيلسوف الاسلامى » وليس « الشارح » .. كما نجد فيها خصوصيتنا الحضارية فى الفلسفة التى تميزت بها حضارتنا عن حضارة اليونان ..

فهو إذن إبداع شاهد - من خلال هذا الصرح - على القضية التى نعقد لها هذه الصفحات .. وهو « شهادة إبداع » على **أن الانفتاح على الحضارات الأخرى ، وفقه مقولاتها والتبحر فى بحارها ، والعناية بعلومها وفنونها ، كأهلها أو أكثر ، لايعنى إغفال الفروق بين ماهو « خصوصية حضارية » وماهو « مشترك إنسانى عام » لأن الوعى بهذه الفروق هو سبيل الأمن وطوق النجاة من الوقوع فى أسر « الغزو الفكرى » الذى سقط فى اغلاله دعاة « الهلينية » قديما ، وانصار « التغريب » فى عصرنا الحديث ! ..**

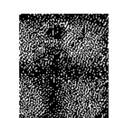
تلك هى حقيقة صفحات تفاعلنا الحضارى مع مواريث الفرس .. والروم .. والهند .. واليونان .

د. أحمد مـاهـر

دفع حياته ثمنًا لمعتقداته



هو من ابرز ساسة مصر فى فترة ما بين الحربين وزعيم الحزب السعدى الذى كان احد الاحزاب التى انشقت عن الوفد بسبب عدم مرونة زعامته وتشددها وعدم قبولها بالنقد والمعارضة فلما كان حزب الوفد حين تأسس لايعتبر نفسه حزبا بل تجسيدا لارادة الامة بل الامة نفسها تضع مصيرها وقدرها بين يدى قائد ـ زعيم تسير كلها وراءه فانه لم ين عن المطالبة بالاستقلال وبتقييد السلطة الملكية المطلقة مستندا فى تحقيق أهدافه الى حماسة الجماهير الا ان اعضاءه كانوا ينتمون الى طبقات بالغة التفاوت : فمنهم كبار ملاك الاراضى الزراعية ومنهم البورجوازية الصغيرة والكبيرة والفلاحون والحرفيون والعمال والطلبة ومن ثم كان الحزب عرضة للتصدع : فكثيرا ما كانت الاستقالات الصادرة عن بعض قادته تهز دعائم تنظيماته الداخلية ، وهى استقالات ترجع اما الى اسباب سياسية او الى منافسات شخصية وبالتالى حدثت الانشقاقات فى صفوفه وادت الى ظهور احزاب جديدة تزايدت اعدادها بمرور الزمن ، وهى احزاب ليست لها برامج واضحة بل ان قوتها او ضعفها كانا مرتبطين بطبيعة زعاماتها ، ولكن هذه يقتضى اعتمادها على القصر او على الانجليز ..



واحمد ماهر مؤسس حزب السعديين ينتمي الى الشريحة الاجتماعية الشركسية التى جعل محمد على منها ومن الاتراك ركيزة لحكمه واوسع لها فى الاملاك والمناصب ، ومن ثم فقد نعمت بالثروة وتبوات ارفع المناصب قبل ان « تتمصر » وتذوب فى المجتمع المصرى الكبير . ووالده هو محمد ماهر باشا الذى كان وكيلا لوزارة الحربية فى عام ١٨٩٤ حين اثار الخديو عباس الثانى ازمته المشهورة مع سردار (قائد) الجيش المصرى هربرت كتشنر حين وجه انتقاده الى الضباط الانجليز وندد بسوء اوضاع الجيش مما جعل اللورد كرومر - حاكم مصر الفعلى فى ظل الاحتلال البريطانى - يقف موقفا صلبا ويرغم الخديو على التراجع والخضوع . وقد خلف محمد ماهر باشا ابنا اخر - هو على - قيض له هو الاخر ان يلعب دورا هاما فى السياسة المصرية حتى اوائل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

وقد تخرج احمد ماهر فى مدرسة الحقوق الخديوية فى عام ١٩٠٨ واشتغل بعض الوقت بالمحاماة فى القاهرة وفى عام ١٩١٠ توجه الى مونبلييه فى فرنسا حيث حصل بعد ثلاث سنوات على درجة الدكتوراه فى القانون والاقتصاد . وفيما بين عامي ١٩١٣ و ١٩٢١ عمل بالتدريس فى

الهيئة السعدية : أحمد سعيد باشا والدكتور أحمد ماهر والنقراشي باشا واعضاء الهيئة

د. أحمد ماهر

مدارس التجارة المتوسطة والعليا حيث توثقت علاقته بصديق عمره محمود فهمى النقراشى . ولم تكن الدوائر البريطانية تشك كثيرا فى اشتراكه فى الاغتيالات السياسية .. وفى عام ١٩٢٢ قبض عليه بعد مقتل حسن عبد الرازق وزهدى ، وان لم يقم على تورط ماهر دليل ملموس .. وقد فاز احمد ماهر فى الانتخابات التى اجريت بعد صدور دستور ١٩٢٣ وعين وزيرا للمعارف فى اكتوبر ١٩٢٤ بعد عودة سعد زغلول – رئيس الوزراء حينئذ – من لندن على اثر مفاوضاته مع رمزى مكدونالد ، ولو ان الوزارة استقالت فى اواخر عام ١٩٢٤ على اثر مقتل السردار السير لى ستاك . وكان شقيق منصور الذى شنق بتهمة الاشتراك فى اغتيال السردار فى مكتب احمد ماهر القريب من مسرح الجريمة حين جرى ارتكابها ولهذا قبض على احمد ماهر فى ١٩٢٥ وجرت محاكمته هو واخرون وقد رأس الهيئة القضائية التى نظرت فى القضية قاض انجليزى (كيرشو) ومعه قاضيان مصريان . الا ان تبرئة المتهمين ادت الى استقالة كيرشو ، اما ماهر فقد حصل على مقعد فى مجلس النواب واصبح رئيسا للجنة البرلمانية الخاصة بالحسابات وعضوا فى لجان الميزانية والتعليم والدستور. وفى عام ١٩٢٧ مثل مصر فى المؤتمر البرلمانى الدولى الذى انعقد فى ريو وما لبث ان عجل بالعودة الى القاهرة حين ترامت الى مسامعه انباء وفاة الزعيم سعد زغلول ثم عين رئيسا لتحرير جريدة البلاغ وانتخب فى ديسمبر ١٩٢٩ عضوا بمجلس النواب وفى العام التالى صحب الوفد المسافر الى لندن للتفاوض حول معاهدة مصرية – بريطانية وذلك باعتباره خبيرا ماليا .

وعند هذا الحد كان احمد ماهر قد تمرس بالاجراءات البرلمانية وبرز باعتباره برلمانيا لا يشق له غبار بحيث احكم سيطرته على مجلس النواب ، وقد لوحظ انه قليل الكلام فى البرلمان ولو انه كان لا ينفك عن الهمس الى اصدقائه وحثهم على عمل ما يجب عمله ، ومن ثم فقد وصفه سعد زغلول بأنه « الببغاء الصامت » وفى مايو ١٩٣٤ اصبح رئيسا لتحرير « كوكب الشرق » ، وحينئذ كان قد ازداد توثق علاقاته بمحمود فهمى النقراشى بحيث برزا باعتبارهما قطبى الاتجاه الواقعى فى دوائر الوفد الداخلية . وفى مايو ١٩٣٦ اصبح رئيسا لمجلس النواب ثم عضوا فى الوفد المصرى الذى اجرى مفاوضات معاهدة ١٩٣٦ مع الانجليز

● معاهدة مرفوضة

ورغم موافقة احمد ماهر على المعاهدة فقد كان من رأيه انها لم تحقق « الشرف والاستقلال » وفق ما ذهب اليه مصطفى النحاس ومكرم عبيد ، بل لم تعد كونها خطوة صوب الاستقلال ومع ذلك فانه لم يستطع فرض رأيه على دوائر حزب الوفد الذى كان احد اقطابه ، ولكنه نصح النحاس بأن يعتبر توقيع المعاهدة



الدكتور احمد ماهر رئيس
تحرير مجلة كوكب الشرق

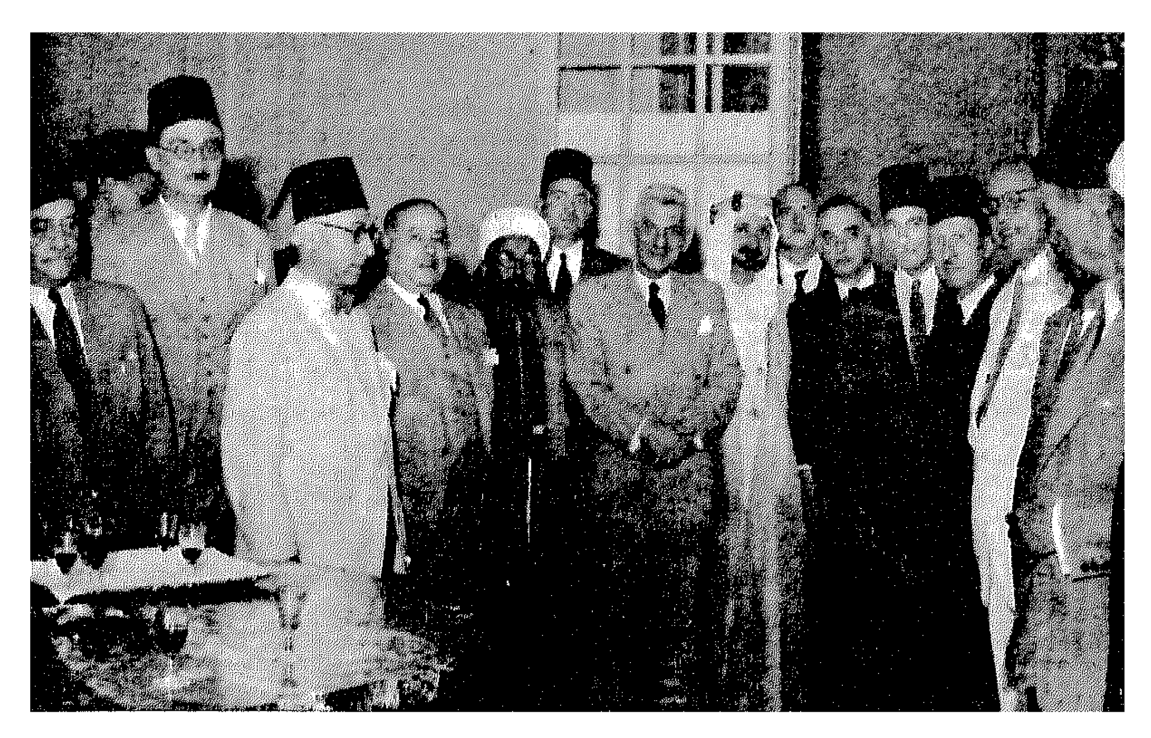




الشقيقان . احمد ماهر باشا وعلى ماهر باشا

خاتمة عهد وفاتحة عهد اخر تنـدمج فيه الاحزاب كلها في حزب واحـد بصورة تشبه ما تحقق في عام ١٩١٩ ولكن النحاس لم يوافق على هـذا الاقتراح لشدة اعتقاده بأنه يمثـل الامة ولانه بعد تجربته في الحـكم رئيسا لمجلس الوزراء كان لا يميـل الى الحكومات الائتلافيـة او الى التعاون مع الاحزاب الاخرى ، وحين اعاد النحاس تشكيل وزارته في عـام ١٩٣٧ استبعد منها النقراشي ومحمود غالب بسبب موقفهما من مسـألة استنباط الكهرباء من مساقط الميـاه بخزان اسوان · وكان سبب الخلاف هو ان شركة انجليزية عـرضت ان تنفذ المشروع على ان يتم الامر بينها وبين الحكومة مساومة ومن غيـر مناقصة · وقد اثار زعيم المعارضة ـ محمد محمود ـ هذه المسالة في مجلس النواب وطالب بطرح امر الاستنباط في مناقصة عالمية تتقدم فيها الشركات العالمية الكبرى بعطاءاتها بحيث يسند العمل الى اكثرها خبرة وأمتنها مالية· وانحاز النقراشي وغالب لـرأى محمد محمود الا ان مكرم عبيـد الرجل الثاني في الوفد ـ دافع عن وجهة نظر الحكومة التي انفذت باتجاه الشركة الانجليزية ، وتابع مكرم سائر الوزراء بالاتفاق مساومة مع الشركة بحجة ان لديها سرا فنيـا

د.أحمد ماهر



حفل رئيس الوزراء للوفود العربية .

لا يمكن افشاؤه وانه يسمح للحكومة بالتجاوز عن المناقصة الى الممارسة · وادى خروج النقراشى وغـاليب من الوزارة الى ازدياد الخصـومات خاصة وقد اشيع ان احمد ماهـر يؤيدهما وانه مرشح لرئاسة الوزارة فيما لو ايده مجلس النواب ·

● تحطيم وحدة الوفد

وحاول احمد ماهر اقناع النحاس بالعدول عن رأيه مما ادى الى توتـر العلاقات بينهما · واجتمعت الهيئـة الوندية لتسوية هذا الخلاف الـذى كان ينذر بانقسام الوفد · وانسـحب احمد ماهر من الاجتماع ولم يتبعـه من الحاضرين سوى ثلاثة اعضاء ـ وعلى باب النادى السعدى استقبلته مظاهرة صاخبة هتفت بسقوطه وبحياة النحاس · وكان هذا الانشقاق بالـغ الاهمية وادى ـ كما ادت الانشقاقات السابقة والتالية التى حدثت فى تاريخ الوفد الى نشأة حزب جديد اتخذ لنفسه اسم « الهيئة السعدية » وادى ذلك الى تحطيم وحدة الوفد والى تشجيع القصر على ان يقاوم سياسة التخويف التى كان النحاس يتبعها ازاءه ، بحيث لم يجد صعوبة كبيرة فى اقـالة وزارة الوفـد ، التى خلفتهـا وزارة محمد محمود التى حلت مجلس النواب واجرت انتخابات جديدة اسفرت عن خروج الكثيرين من الوفد وانضمامهم الى احمد ماهر الذى حصل حزبه الجـديد على عـدد كبير من كراسى البرلمان · وحين تم تعديل الوزارة دخلها ماهـر والنقراشى وسعديان اخران ولـو ان ماهر وانصاره رفضوا اقتراحـهـا بانضمامهم مع الدستوريين تحت رئاسة محمد محمود لانهم كانوا يؤمنـون بانهم ورثة سعد زغلـول وبانهم سينتصرون اذا ما احتفظوا باستقلالهم،

وما لبث شبح الحرب العالمية الثانية ان خيم على الافق فى اعقاب الاعتداءات التى قامت بها دول المحور (ايطاليا والمانيا واليابان) وبعد ان اتضح ان اطماع هذه الدول لاتقف عند حد . وقد انقسم المصريون حول الموقف الواجب اتخاذه من هذه الازمة العالمية : فقد كان الكثيرون - ومنهم الملك فاروق وحاشيته « محوريى الهوى » ، فى حين كان كثير من المصريين لا يكنون ودا لدولة الاحتلال وحين دخلت ايطاليا الحرب فى ١٠ يونية ١٩٤٠ نادى احمد ماهر بضرورة اعلان مصر الحرب على دول المحور على اعتبار ان عدم دخولها الحرب يعد اقرارا منها بأن انجلترا تحميها وبانها هى المسئولة عن استقلالها ، فى حين ان اشتراكها فى الحرب يعطيها الحق - بعد انتصار الحلفاء - فى ان تتوصل الى جلاء القوات البريطانية عن اراضيها . ولكن رأى احمد ماهر لم يؤثر كثيرا على الرأى العام الذى لم يكن يتوقع انتصار انجلترا فى مواجهة الانتصارات الالمانية المتلاحقة وسيطرة هتلر على غربى اوروبا ، خاصة ان الكثيرين لم يكونوا يتوقعون جلاء انجلترا عن الاراضى المصرية فيما لو خرجت منتصرة من الحرب واهم من هذا ان المصريين كانوا يخشون ان يؤدى اعلان مصر الحرب على دول المحور الى ان تتعرض اراضيها للقصف الجوى والدمار ، وبالتالى فقد مالوا الى سياسة تجنيب البلاد ويلات الحرب ، وهى السياسة التى سارت عليها وزارة على ماهر التى خلفت وزارة محمد محمود . ومع ذلك فقد تمسك السعديون بضرورة دخول مصر الحرب واستقالوا من وزارة حسن صبرى الذى خلف على ماهر ، وان يكونوا قد عادوا الى الاشتراك فى الحكم فى عهد وزارة حسين سرى ذاهبين الى انهم لا يمانعون فى الاشتراك فى وزارة تسير على سياسة تجنيب مصر ويلات الحرب مادامت هذه الحرب بعيدة عن مدنها واراضيها ومادامت القوات الايطالية المتمركزة فى ليبيا تتراجع ولا تتقدم وكان على بريطانيا ان تتكيف لسياسة تجنيب مصر ويلات الحرب وان تكن قد استطاعت ان تفرض تفسيرا يزداد صرامة لمواد معاهدة ١٩٣٦ ، ولم تكن لتتردد اذا ما لاح لها ان مصالحها الاساسية تتعرض للخطر فى ان تتدخل بشدة فى شئون مصر الداخلية حتى ولو اضطرت الى استخدام القوة كما حدث فى اوائل فبراير ١٩٤٢ .

فقد تقدمت القوات الالمانية التى جرى نقلها الى ليبيا الى داخل الاراضى المصرية وانتقلت تحت قيادة القائد المظفر اروين روميل من نصر الى نصر واقتربت من الاسكندرية وأدى انتصارها الى ازمة سياسية كبيرة بعد ان اصرت الدوائر البريطانية على ضرورة ان يتولى النحاس ، زعيم الوفد المصرى الذى وقع معاهدة ١٩٣٦ ، رئاسة الوزراء على اعتبار انه اقدر من غيره على تنفيذ بنود المعاهدة نصا وروحا خدمة لجهود الحلفاء العسكرية ، وبوجه خاص البند السابع الذى كان ينص ، فى حالة دخول احد الطرفين الحرب ضد طرف ثالث ، على ان يبادر الطرف الثانى الى معاونته بصفته حليفا . وحاول الملك فاروق - الذى كانت الدوائر البريطانية تشك فى اتصاله بالمانيا وايطاليا ، وهو الشك الذى كشفت الوثائق التى ظهرت بعد الحرب

د. أحمد ماهر

العالمية الثانية انه يستند الى اسس قوية . حاول ان يفوت على الانجليز تنفيذ تهديداتهم . لهذا اجرى مع كبار الساسة المصريين اتصالات اقترح خلالها تشكيل وزارة قومية برئاسة النحاس الذى اصر على ان يشكل وزارة وفدية خالصة ، وفى يوم ٤ فبراير ١٩٤٢ وجه السفير البريطانى انذارا الى الملك فاروق حمله فيه المسئولية وما قد يترتب على ذلك من نتائج اذا لم يكلف النحاس بتشكيل الوزارة قبل الساعة التاسعة مساء ، وحاصرت الدبابات البريطانية قصر عابدين فى الوقت الذى عقد فيه الملك اجتماعا حضره كل كبار ساسة مصر الذين حاولوا ان يفوتوا على الانجليز انذارهم بالتوصل الى صيغة تنهى الازمة . وحين لم يوافق النحاس على اى حل وسط خطب احمد ماهر قائلا : « اننا نعرف وطنية النحاس باشا وحرصه على استقلال بلاده وسيادتها، وهذا الانذار الذى وجهته الحكومة البريطانية الى الملك ضربة قاضية على هذا الاستقلال ولاسبيل الى رد هذه اللطمة الا ان يرفض النحاس باشا تأليف الوزارة وان يرفضها بسبب هذا الانذار ، فانا ارجوك يا رفعة الباشا واهيب بوطنيتك ان تنقذ استقلال بلادك وسيادتها » . واخيرا اضطر الملك ازاء تمسك النحاس بموقفه والتلويح بخلعه الى الرضوخ للضغط ، فقرر تكليف النحاس بتشكيل الوزارة — وعندئذ قال احمد ماهر للنحاس : « انك ... تؤلف الوزارة على اسنة الحراب البريطانية»

وظل النحاس فى الحكم لاكثر من عامين تململ خلالهما الملك فاروق ولم يستطع ان يفعل شيئا بسبب ظروف الحرب ، حتى اذا ما اخذ مجراها يتحول وبدت دلالات قرب هزيمة المحور بادر الى اقالة النحاس للمرة الرابعة وعين احمد ماهر رئيسا للوزارة . وقرر احمد ماهر ان يشرك فى وزارته جميع الاحزاب غير الوفدية — وفى الانتخابات التى جرت فازت احزاب الحكومة على الوفد وفاز السعديون باغلبية نسبية على سائر الاحزاب التى اشتركت فى الحكم ، وشن احمد ماهر — منذ تشكيله الوزارة — الحرب على النحاس واتهمه فى احد تصريحاته بانه كان اسوأ الدكتاتوريين وبأنه كان يريد ان يحكم مصر باساليب هتلر وموسولينى محتميا وراء واجهة برلمان يعرف الجميع أى انتخابات جاءت به . ومالبث ان بلغته الحكومة الامريكية بأن دول الحلفاء ستعقد مؤتمرا فى سان فرنسسكو فى ابريل ١٩٤٥ لانشاء هيئة دولية جديدة تحل محل عصبة الامم وبأن الدول التى تشترك فيها يجب أن تعلن الحرب على خصوم الحلفاء قبل اول مارس ١٩٤٥ ، وفى ٢٤ فبراير اعلن ماهر امام البرلمان وخلال جلسة سرية عزمه على اعلان الحرب على المانيا واليابان، ولم يكن لهذا القرار من هدف — وقد اوشكت الحرب على الانتهاء — سوى

ان يسمح لمصر بالحصول على مقعد فى مؤتمر السلام ، ولما كان اعلان الحرب لا يمكن أن يعتبر اعلانا لحرب دفاعية فقد تقرر عرض الامر على البرلمان فى جلسة سرية يعقدها مجلس النواب ثم يعقدها مجلس الشيوخ . ولكن الاسباب التى ساقها احمد ماهر لاعلان الحرب لم تنل ما تستحقه من فهم وبعد ان عرض الامر على مجلس النواب ومر بالبهو الفرعونى متجها الى مجلس الشيوخ تصدى له بعض الشباب الذين اطلق احدهم عليه الرصاص فأراده قتيلا وذلك فى يوم ٢٤ فبراير ١٩٤٥ وخلفه فى رئاسة الوزارة صديقه محمود فهمى النقراشى الذى اغتيل هو الاخر فى اوائل عام ١٩٤٩ .

***

وهكذا انتهت حياة سياسى مصرى تميز بحنكته وتمرسه بأساليب الحياة البرلمانية . ويصفه معاصره الدكتور محمد حسين هيكل بانه لم يكن يكتب خطبه ويتلوها على البرلمان بل كان يحضر النقط الاساسية ثم يرتجل فى ترتيب ومنطق دقيق « وبأنه » لم يكن خطيبا ساحرا يبهر سامعيه بقوة بلاغته ولكنه كان برلمانيا ممتازا يقدم بين يدى رأيه بحجج خصمه ويضفى عليها من منطقه البارع قوة اكثر من قوتها الذاتية ثم يتناولها بعد ذلك بالتنفيذ فى دقة وبراعة تجذب اليه سامعيه . وهو لم يكن يضيق بالمقاطعة او بالمعارضة وهو يخطب ، بل كان يرحب بكل مقاطعة لانه كان فى عهده الاول بالحياة البرلمانية مقاطعا بارعا ـ فاذا قوطع استل من مقاطعات خصومه حججا له يؤيد بها رأيه .وكان له من حدة الذكاء وسعة الاطلاع ما يعاونه على ادراك غرضه اشد المعاونه » ويضيف الى ذلك انه « كان الى ذكائه حازما والى لطفه وظرفه شديد الاعتداء بنفسه » ولقد سمعته وهو رئيس للوزراء يخطب فينا ـ نحن الطلبة ـ مدافعا عن سياسة حكومته حين استبعدت بريطانيا عن الترشيح للانتخابات البرلمانية سودانيا وحدويا وهو على البربر الذى سعى الى ان يمثل مصر والسودان فى البرلمان المصرى تحقيقا لمبدأ وحدة وادى النيل ، وقد شرح احمد ماهر موقف حكومته فى مواجهة الاعتراض البريطانى بهدوء ومنطق والابتسامة لا تبرح شفتيه مما هدأ ثائرة الطلاب ، والحق ان الحياة الحزبية قد ربت عددا لايحصى من الخطباء الذين ساعد الكثيرين منهم على البلاغة والتأثير فى السياسيين واصطناع المنطق احترافهم للمحاماة التى كانت هى الاخرى مدرسة اخرى لتربية الخطباء . وتلك سمة بارزة لمعظم ساسة ما بين الثورتين (١٩١٩ ـ ١٩٥٢) الذين لمع منهم امثال وليم مكرم عبيد وابراهيم عبد الهادى واحمد حسين (زعيم جماعة مصر الفتاة) حسن البنا ومصطفى النحاس وفى قمة هؤلاء سعد زغلول الذى كان ساحرا فى خطابته بحيث ان بعض فقرات خطبه جرى تداولها من جيل الى اخر . بل وحتى اليوم .

فأحمد ماهر ، اذن ، هو ابن عصره ووطنى أمن بضرورة استقلال بلاده وتبوئها المكانة اللائقة فى المجال الدولى واصطنع لذلك وسائل عدة حاول بها الوصول الى ما يستطيع الوصول اليه من اهدافه فى شجاعة تعمد له دفع حياته فى نهاية الامر ثمنا لها .

في الذكرى السابعة والسبعين لرحيل الزعيم أحمد عرابي

الصهيونية واحتلال الإنجليز مصر

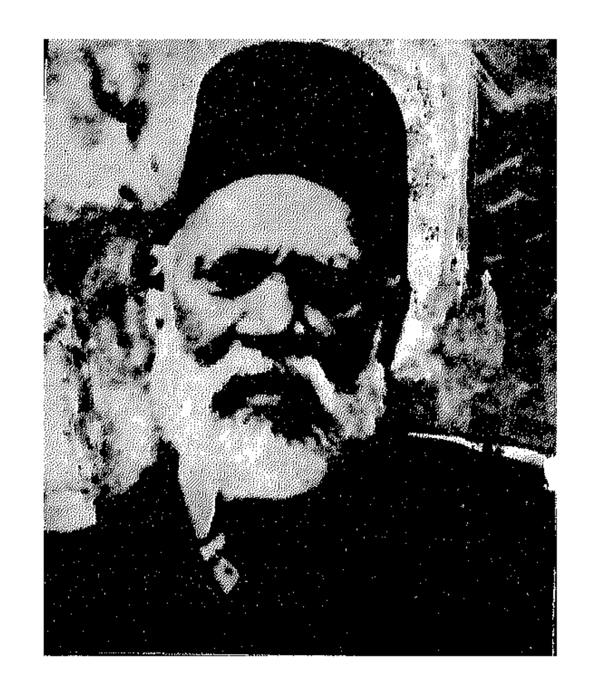
بقلم : د. سعيد اسماعيل على

انه لامر يدعو الى الغبطة والتقدير . حقا ان ينشط الباحثون للتنقيب فى تاريخنا الحديث للكشف عن ذلك الدور الذى لعبه الاستعمار بكل صوره واشكاله للهيمنة على مقدرات بلادنا ، ووأد اية حركة ثورية ، والقضاء على اية جهود للتطوير والتغيير .

ومن اهم ما بدأ بعض الباحثين يشيرون اليه اخيرا ، التأكيد على ان الاطماع الصهيونية على العالم العربى ، قد بدأت منذ وقت مبكر للغاية ، يرجع الى القرن الثامن عشر

ولكن الامر الذى لا يدعو الى الغبطة حقا هو ان نشهد محاولة جديدة لالقاء مسحة من التشكيك ، وظل من الشبهات على ثورة جليلة عظيمة نعتز بها ، بل ونفخر بقيامها ، على الرغم من انها انتهت بالفشل والخذلان ، الا وهى الثورة العرابية ، التى ظلوا يلطخون صفحاتها البيضاء منذ انتهائها عام ١٨٨٢وحتى قيام ثورة ٢٣ يوليو١٩٥٢ فطوال هذه الفترة ، كانت مصر تحكمها الاسرة العلوية التى حاربتها الثورة ، وكانت ترزح تحت نير الاستعمار البريطانى الذى تصدت له الثورة العرابية ، فكان طبيعيا ان يصورها بانها (فتنة) وانها (هوجة) .. الى غير ذلك من الصفات ، حتى انصفتها ثورة يوليو واعادتها الى مكانها الطبيعى كثورة وطنية تحررية .

انه بقدر فرحتنا بالجانب الاول بقدر حزننا من الثانى حيث يربط البعض بين قيام الثورة العرابية وبداية التآمر الصهيونى على العالم العربى ، بالايحاء بأن حركة عرابى قد استخدمت كأداة فى هذا التآمر . لقد أكد هؤلاء على اتهام عرابى بانه هو الذى تسبب فى احتلال انجلترا لمصر سنة ١٨٨٢ ، تماما مثلما ذهب البعض الى اتهام جمال عبدالناصر بانه هو الذى تسبب فى الاحتلال الصهيونى لمناطق جديدة سنة ١٩٦٧ تفوق مساحة اسرائيل ، ونسى هؤلاء وهؤلاء ، ان كلا من الزعيمين قد حاول تطوير مصر ودفعها على طريق التقدم والقوة ، فأبت عليهما ذلك القوى الاستعمارية



أحمد عرابى

فهـــذا يعنى زوال هذه القوى وزوال القوى الاخـــرى المحلية التى ترتبط مصالحها بها ، فالقى هؤلاء بكل ثقلهم لضرب هذا الجهد الثورى الوطنى فكان ما كان ..

● المحاولات الاولى لليهودية الدولية

فمن العوامل التى مهدت للاحتلال البريطانى ، عامل هام لا يجوز اهماله عند تقـدير الواقع ، وهو عـــامل (الصهيونية) ، وقد رأينا طائفة من المؤرخين يتكلمون عن هـــذا العامل الهام فى سياسة العالم وكأنه (هيئة مختارة) تألف من شيوخ محنكين يجتمعون فى عواصم مختلفة ويتداولون فى كل اجتماع قرارا بتتبع موعـــد الاجتماع التالى ، ويوشك ان تنطبق الحـــوادث فى هذه الفـــترة على ما رسموه ورتبوه .

ونحن لم نعرف دليلا قاطعا يثبت وجود هـــذه الهيئة من الشـــيوخ المحنكين والرؤساء والطـاعنين الذين لا يعلم أحد كيف يقع الاختيار عليهم ، وكيف تنعقد لهم طاعة الملايين فى أقطار الارض ، ولكننا نحسب ان الحوادث التى يذكـــرها أولئك المؤرخـــون لا تستلزم تفسيرها بوجود تلك الهيئة المختارة ، وأن التدبير المقصود يمكن ان يتم بين أقطاب الصهيونية من وحدة الغرض والقدرة على اغتنام الفرص والانتشار فى جميع جهات العالم التى تفتح لهم منافـــذ الفرصة فى أمكنة متعددة مع اشتغالهم جميعا بأســـواق المال والتجارة التى تتصل سرا وجهرا بمسائل السياسة . (عباس محمود العقاد : ١١ يوليو وضرب الاسكندرية ص ٨٠) .

وسنرى فيما يلى مثالا : (للتدبير) الذى يتم فى حينه خطوة بعد خطوة على غير تفاهم سابق ، فيظهر بعـد حين كأنه خطة مرسومة وضعها أناس متفاهمون وأملوها على اتباع يدينون لهم بصدق الطـاعة واخلاص النية ، ولا تفـــاهم هنـــاك فى الحقيقة ولا امــلاء :

فقد اتفـــق فى سنة ١٧٩٨ ، سنة الحملة الفرنســـية على مصر ، أن يهوديا فرنسيا أذاع فى باريس خطابا الى قومه يدعوهم فيه الى تأليف مجلس عام يضم اليه مندوبين من اليهـــود المنتشرين فى أنحاء العالم ويكون اجتماعه الاول فى باريس لتقـــديم طلب الى الحكومة الفرنســـية يسألونها ان تســـاعدهم على رد وطنهم (١) ويشفعون هذا الطلب بالسعى فى الآستانة لاقناع السلطان العثمانى بقبوله ، وقد جاء فى ذلك الخطاب ان البلاد يريدونها تشمل الوجه البحرى من مصر الى عكا والبحر الميت وشواطىء البحر الاحمـــر ، وهى رقعـــة من الارض تجعلهـــم سادة التجارة الهنـــدية والفارسية والعربية . نقل سوكولوف

SOKOLOWهذا الخطاب في كتابه عن تاريخ الصهيونية منذ سنة ١٦٠٠ الى سنه ١٩١٨ ، ونقل معه التصريح الذى اعلنه نابليون فى الصحيفة الرسمية بعد ذلك بسنة واحدة ودعا فيه يهود افريقيا وآسيا الى موافاة جيشه ليدخل بهم في ظل رايته الى مملكة (اورشليم) (العقاد : ص ٨١) ٠

وكما اتفـق فى سنة الاحتـلال الفرنسى توجيه تلك الدعوة ، اتفق كذلك فى سنة الاحتـلال البريطاني ١٨٨٢ ، ان جماعة باسم « بيت يعقوب تعالوا نذهب » تألفت فى الآسـتانة لاستئناف المساعى حيث انتهى بها « موسى مونتفيور » ، وهو يهودى تجنس بالجنسية الانجليزية اشـتغل بالتجارة فى الشرق ، وكانت له معرفة بمحمد علي ، وقد كتب في مذكراته فى ١٨٣٩/٥/٢٤ « انه سيطلب من محمد على ان يؤجر له اقليما يزرعه من أرض فلسطين ويؤلف لاستغلاله شركة انجليزية تؤدى اجرته مدة خمسـين سنة » ، وكان اثنان من الانجليـز المسيحيين ، هما اللورد شافتسبرى والمستر لورانس اولفانت يبذلان المال لتوسيع الارض التى يزرعها اليهـود فى فلسطين ٠

الصيد المصرى الثمين

وتتعدد محاولات اساطين اليهودية العـالمية فى ايقاع مصر فى شـباك الاستعمار والرأسمالية العالمية ، وقصة الديون التى جر الخديو اسماعيل الى اقتراضها ، طويلة يضيق المقـام عن ذكرها ، ويكفينا الاشارة الى ما انتهت اليه لندرك ما الهدف الذى كـان يقصدوا منها ، ومن هم المستفيدون من ذلك ؟ ولم يسـتطع اسماعيل ان يمضى فى طـريق الاقتـراض الى ما لا نهـاية ، فامكانات الوفاء بسد الديون محدودة،والمرابون والراسماليون الاجانب لا يلقون بأموالهم عبثا دون تقدير لمدى الوفاء بهـا وما عسى ان تؤدى اليه الظـروف السياسية من ضياع فرص السـداد ، خاصة وان الخزانة المصرية قد اسـتنفدت حتى الثمالة ، وأثقال الديون قد ارهقت من أمر البلاد عسرا ٠ وهنا زين الافاقون لاسـماعيل ان يبيع نصيب مصر فى أسهم القناة من اجل المزيد من الاموال ما دامت المؤسسات المالية الاوروبيـة والمرابون الاجانب فى مصر قد بدأوا يزورون عن اقراضه ٠

وعندما ارسل اسماعيل رسله الى أسواق باريس المـالية عارضا هذه الصفقة ، أسرع قطب اليهودية العالمية دزرائيلى ورئيس وزراء انجلترا فى ذلك الوقت ، محـاولا اقتناص هذا الصيد الثمين قبل ان ينفرد به احد ، فكتـب الى الملكة فيكتـوريا فى ١٨ نوفمبر سنة ١٨٧٥ يقول :

« ان خديو مصـر على وشـك الافلاس المالى ، وانه يرغب فى بيع اسـهمه فى قناة السويس » ، واتصل لذلك الغـرض بالجنرال سـتانتون (معتمد انجلترا فى مصر) : « انها مسـألة ملايين اربعة على الاقل ، ولكنها تعطى لمالكها نفوذا عظيما ان لم يكن متفوقا فى ادارة القناة ، وانه حيوى لسلطة جلالتك ومركزك فى هذا الوقت العصيب ان تصبح القناة ملكا لانجلترا ٠٠ ولقد حـاولت ان اقنع « داربى » ـ وزير خارجية انجلترا ـ ونجحت فى اقنـاعه بأهمية تحول مصالح الخديو الينـا » ٠ (محمد مصطفى صفوت : انجلترا وقنـاة السويس ، ١٩٥٢، ص ٤٧) ٠

ولما تمت موافقة الحكومة البريطانية

على شراء الاسهم ، كان لابد من النظر بسرعة فى كيفية تدبير المبلغ اللازم للشراء ، فالبرلمان الانجليزى لم يكن منعقدا ، ولا يمكن تدبير المبلغ بغير موافقته ، ولا يمكن عقده بسرعة للنظر فى هذه المسألة ، ولم يكن الموضوع يقبل الانتظار والا ضاعت الصفقة من انجلترا ، ولذا تحول ذهن دزرائيلى الى اصدقائه من آل روتشيلد اليهود الماليين المعروفين فى انجلترا ، وكان دزرائيلى متأكدا من تعاون هذا المصرف معه فى سياسته نحو مصر ، ولكن لم تكن هناك سابقة لمثل هذا العمل الخطير ، فماذا يحدث لو رفض البرلمان الانجليزى حين يجتمع لاعتماد هذا المبلغ ؟ ولكن دزرائيلى أخذ على نفسه المسئولية ٠ ومن ناحية ثانية ، كان لبيت روتشيلد ثقة لا تنتهى بدزرائيلى والحكومة البريطانية التى ضمنت هذا القرض ، وبذلك اصبحت الحكومة البريطانية تملك خمس الاسهم ، واكبر مساهم فى قناة السويس ، وكانت تلك الخطوة من أقوى الاسباب والدوافع التى حفزت وحمست الانجليز للسعى لاحتلال مصر ٠

وقد علقت صحيفة (التيمس) بتاريخ ١٨٧٥/١١/٢٦ على هذه الصفقة فقالت : « ان الجمهور هنا وكذلك فى البلاد الاخرى سينظر الى هذا العمل العظيم الذى قامت به الحكومة من وجهته السياسية لا من وجهته التجارية فهو بمثابة مظاهرة ، انه لاعلان عن نيات معينة والمبادرة بالعمل على تحقيقها ، فمن المستحيل ان نفرق فى اذهاننا بين شراء اسهم قناة السويس وبين علاقات انجلترا المقبلة بمصر او بين مصير مصر وما يحيط بمستقبل الامبراطورية العثمانية من المخاوف فاذا أدت الثورة ، وأيضا الاعتداءات من الخارج والرشوة من الداخل الى سقوط الملك الامبراطور سياسيا وماليا ، فقد تعين علينا اتخاذ الوسائل التى تكفل سلامة ذلك القسم من املاك السلطان لما لنا به من الصلة الوثيقة » ٠

(روزستين : تاريخ مصر قبل الاحتلال وبعده ، ص ٥٣) ٠

ولما بدا لاسماعيل ان يدير ظهره للرأسمالية العالمية ويتخذ من الحكم الدستورى أداة للتخلص من تبعات ديونه ، لعبت لعبتهـا ، وبذلت جهدها لتأديب هذا العميل الذى حاول ان يثور على ملوك المال اليهود ، فقد ذهب (ويلسون) الى بيت روتشيلد وأنبأهم بالخطر الذى تستهدف له اموالهم بعد التحول الذى دار اخيرا على الاحوال فى مصر والاسكندرية فالخديو يريد أن ينكر ديونه ويحتمى وراء اعلان الحكومة الدستورية فى مصر ، فاذا لم يمنعوا ذلك ، فقدوا كل شىء ، وبذلك نجح فى ارهاب الى روتشيلد وحملهم على استخدام نفوذهم السياسى الكبير فى مصلحة التدخل العاجل ٠

(رعبا من الثورة المصرية)

وفى نوفمبر سنة ١٨٨١ سقطت وزارة (جول فيرى) فى فرنسا ، وكان سانت هيلير وزيرا للخارجية بها ، وخلفه غمبتا بيهوديته المتعصبة العمياء ، الذى كان وزيرا للخارجية ، كذلك ووجد امامه ثورة اسلامية على الحكومة الفرنسية فى تونس والجزائر وقد ازعجته صبغتها الاسلامية وعزاها الى نشر الدعوة التى كان يقوم بها السلطان عبد الحميد وقد ظن ان الحركة المصرية قائمة على الاساس ذاته ٠ وقد قال غمبتا فى محادثاته مع اللورد « ليونس » الانجليزى بصدد استدعاء مجلس النواب المصرى (وموعده ١٢/٢٤/ ١٨٨١) : « قلبى يمتلىء رعبا

في الذكرى السابعة والسبعين
لرحيل الزعيم أحمد عرابي

ليس من الممكن الحذر والتخمين على ما عساه يقرره الحزب الوطنى ، ومن الجائز أن يمتد الى تقرير طريقة مختلفة تخالف مصالح الاوربيين • لا أجد وسيلة للاحتياط لمنع نهضة جديدة افضل من افهام المصريين ان انجلترا وفرنسا لا يمكنهما أن يحتملا شيئا من هذه المطالب وتلك النزعات » (محمد رشيد رضا : تاريخ الاستاذ الامام ، ج ١ ص ٣٩) •

وقد عبرت هذه الكلمات عن معاداة الحركة الوطنية المصرية لزعيم حزب الانعاش القومى فى فرنسا والانتقام لبلاده من هزيمتها على يد المانيا فى عامى ١٨٧٠ ـ ١٨٧١ ، ومن ثم كان اتجاهه الى تقوية مركز فرنسا فى الخارج بتشديد قبضتها على شمال افريقيا وتقوية علاقاتها بانجلترا دون ان يسمح لهذه الاخيرة بتفوق نفوذها فى مصر على حساب النفوذ الفرنسى ، وكان من رأى غمبتا ان أوربا بوجه عام وفرنسا بوجه خاص لا تصنع الديموقراطية للتصدير ، ولهذا كان ينظر الى الحركة الوطنية الدستورية فى مصر بعين الاحتقار ويعتبرها « تعصبا اسلاميا » و « اوهاما ثورية » و « عصيانا عسكريا » بحيث كان يفسر مبدأ (مصر للمصريين) بأنه لا يعنى سوى ان مصر لانجلترا • (احمد عبد الرحيم مصطفى : مصر والمسألة المصرية ، ص ٧٧) •

واذا كان غمبتا يهوديا ، فقد كان متصلا بالمصالح المالية فى بورصة باريس ، وكذلك ذا صلة متينة ببيت روتشيلد وغيره من اصحاب الاموال الذين اشتروا بملايينهم سندات الدين المصرى • وكان نوبار باشا ورفرز ولسون يعيشان يومئذ فى باريس ، فكانا أخص من ينتصح بآرائهما فى المسألة المصرية ، وقد كون رأيه فى الموقف بنـاء على المعلومات التى يستمدها منهما ، فلم تمض بضعة أيام فى الوزارة حتى اخذ يفاوض وزارة الخارجية البريطانية ابتغاء حمل انجلترا على الاشتراك مع فرنسا فى القيام بعمل عنيف ضد الحركة الوطنية يكون بمثابة حملة صليبية تقوم بها الدولتان تحت ستار الدفاع عن المدنية وتنظيم مالية مصر ، وبهذا تنجح اليهودية العالمية فى التخفى وراء ستائر اخرى تكون مقبولة نوعا ما أمام العالم ، بينما هى تحقق أهدافا صهيونية بالدرجة الاولى •

ونتيجة لهذه الجهود ، توجه سير ادوارد مالت ، معتمد انجلترا فى مصر فى ٨ يناير سنة ١٨٨٢ ومسيو سفنكس ،المعتمد الفرنسى مجتمعين الى سراى عابدين وقدما الى الخديو مذكرة مشتركة من الدولتين مؤرخة فى ٧ يناير عام ١٨٨٢ مكتوبة بصيغة رسالة برقية من وزارة خارجية كل منهما الى معتمدها فى مصر وأبلغاها الى شريف باشا رئيس مجلس النظار • ونحن اذ نأتى الى هذه المذكرة نشعر بدهشة كبيرة لما اورده عنها أحد الباحثين بغية تأكيد وجهة نظره فى التشكيك فى الثورة العرابية ، فما ذكره عن المذكرة المشتركة يختلف تماما مع وقائع التاريخ واحداثه •

فلم يحدث ان دعا غمبتا فى هذه المذكرة المصريين الى ان يقفوا موقفا موحدا ضد الخديو ، ولم يحدث أن دعت هذه المذكرة الخديو ان يرتمى فى أحضان الانجليز لسبب بسيط هو ان المذكرة كانت (مشتركة) بين انجلترا وفرنسا

ونظرا لما رتبه باحثنا من احكام ونتائج خطيرة على هذه المعلومات



الخديو إسماعيل باشا

غير الصحيحة ، لابد أن نسوق نصها فيما يلى : (جمهورية مصر : القضية المصرية ، ١٩٥٥ ، ص أ) •

« كلفتم غير مرة بأن تنهوا الى علم الخديو وحكومته ارادة فرنسا وانجلترا وعزمهما على تأييده للتغلب على الصعوبات المختلفة التى تعترض انتظام الشئون العامة فى مصر •

ان الحكومتين على تمام الاتفاق فى هذا الصدد ، وان الحوادث الاخيرة ، وبخاصة الامر الصادر من الخديو باجتماع مجلس النواب ، وقد هيأت الفرصة لتبادلهما الاراء مرة اخرى فى هذا الشأن ، فالمرجو أن تبلغوا توفيق باشا بالاشتراك مع سير ادوارد مالت الذى كلفتم به ، بأن الحكومتين الفرنسية والانجليزية تعتبران أن تثبيت الخديو على العرش طبقا لاحكام الفرامانات التى قبلتها الدولتان رسميا هو الضمان الوحيد فى الحال والاستقبال لاستتباب النظام ولتقدم سعادة مصر ورفاهيتها التى يهم فرنسا وانجلترا أمرها ، والحكومتان متفقتان تمام الاتفاق على بذل جهودهما المشتركة لمقاومة كل أسباب المشاكل الداخلية والخارجية التى قد تهدد النظام والاخطار التى يمكن ان تستهدف لها حكومة الخديو ، ومن المحقق ان هذه الاخطار ستلقى من فرنسا وانجلترا اتحادا وثيقا للتغلب عليها ، وتعتقد الحكومتان ان سمو الخديو يجد من هذه التأكيدات الثقة والطمأنينة والقوة التى هو فى حاجة اليها لادارة شئون الشعب المصرى والبلاد المصرية » •

ان القراءة البسيطة لهذا النص تجزم بعدم صحة قول باحثنا : « تصور ان غمبتا هذا يدعو المصريين مدنيين وعسكريين الى ان يقفوا موقفا وطنيا موحدا ضد "خديو » و « وهذه المذكرة أصابت الخديو بالرعب صمم على اثرها على الارتماء فى احضان الإنجليز » •

وبتأمل هذه المذكرة يمكن ملاحظة ما يأتى :

- ذكرت المذكرة السبب المباشر الذى اتخذه غمبتا مبررا للتخاطب مع الحكومة الانجليزية بشأن هذه المذكرة المشتركة وهو دعوة مجلس النواب للاجتماع ، ولم يكن هناك مبرر للخوف منه على الاتفاقات المالية والمعاهدات الدولية القائمة ، فقد أكد الخديو احترامه فى خطبة العرش التى تلاها بنفسه يوم افتتاح المجلس فى يوم ١٢/٢٦/ ١٨٨١ ، ثم اكد النواب فى جوابهم الذى اعدوه فى ١٢/٢٩ على خطبة العرش احترامهم للاتفاقات المالية والمعاهدات الدولية (محمد فؤاد شكرى : مصر والسودان ، ص ١٩٥)

٢ - يدل ذكر « المشاكل الداخلية والخارجية » على خوف فرنسا من تدخل الباب العالى - مشاكل خارجية - ثم خوفها من انتصار العسكريين - مشاكل داخلية -

كذلك انطوت الاشـــارة الى ان هذه المشاكل « قد تهدد النظام القائم » ، على نحو للرغبات الوطنية التى تريد تحقيق آمال دستورية عريضة بتوسيع اختصاصات مجلس النواب ، ثم ان عبارة « ومن المحقق ان هذه الاخطار ستلقى من فرنســا وانجلترا اتحادا وثيقا للتغلب عليها » ، حملت معنى ان هاتين الدولتين سوف تتدخــلان تدخلا فعليا قد يكون فيه او قد يجـر الى الاحتلال المشترك ، وفى هذا تحقيق لسياسة غمبتا .

٣ ـ تنطوى الفقرة الاخيرة على تشجيع الخديو على اتباع اية خطوة يريدها نحو تعطيل أمانى البلاد ازاء الحزب العسكرى .

ولما كانت الدولتان قد تقدمتا بمذكرة اخـرى فى ٢٥ مايو من نفس العام ١٨٨٢ ، فـانه من الافضل ايضـا قراءتها لأننا لن نجد فيها ما ذكره باحثنا ، فضلا عن ان غمبتا كان قد استقال وحلت محله وزارة (فريسينيه) تقول المذكرة :

« ان قنصلى فرنســا وبريطانيا العظمى الموقعين على هذا يحيطــان علما عطوفتكم بأنه من حيث ان عاطفة الوطنية حملت سـلطان باشا رئيس مجلس النواب وكذا رغبته فى تأييد سلم مصر ورفاهيتهـــا على عرض الشروط الاتية عطوفتلو محمود سـامى البارودى رئيس مجلس النظار ، اذ رأى انها الوسيلة الوحيدة لوضـــع حد لحالة الاضطراب فى مصر ، وهذه الشروط هى :

١ ـ ابعاد سعادة عرابى باشــا مؤقتا من مصر مع بقاء رتبته ومرتباته

٢ ـ ارســال كل من على باشا فهمى وعبد العال باشــا الى داخل مصر مع بقاء رتبتهما ومرتباتهما .

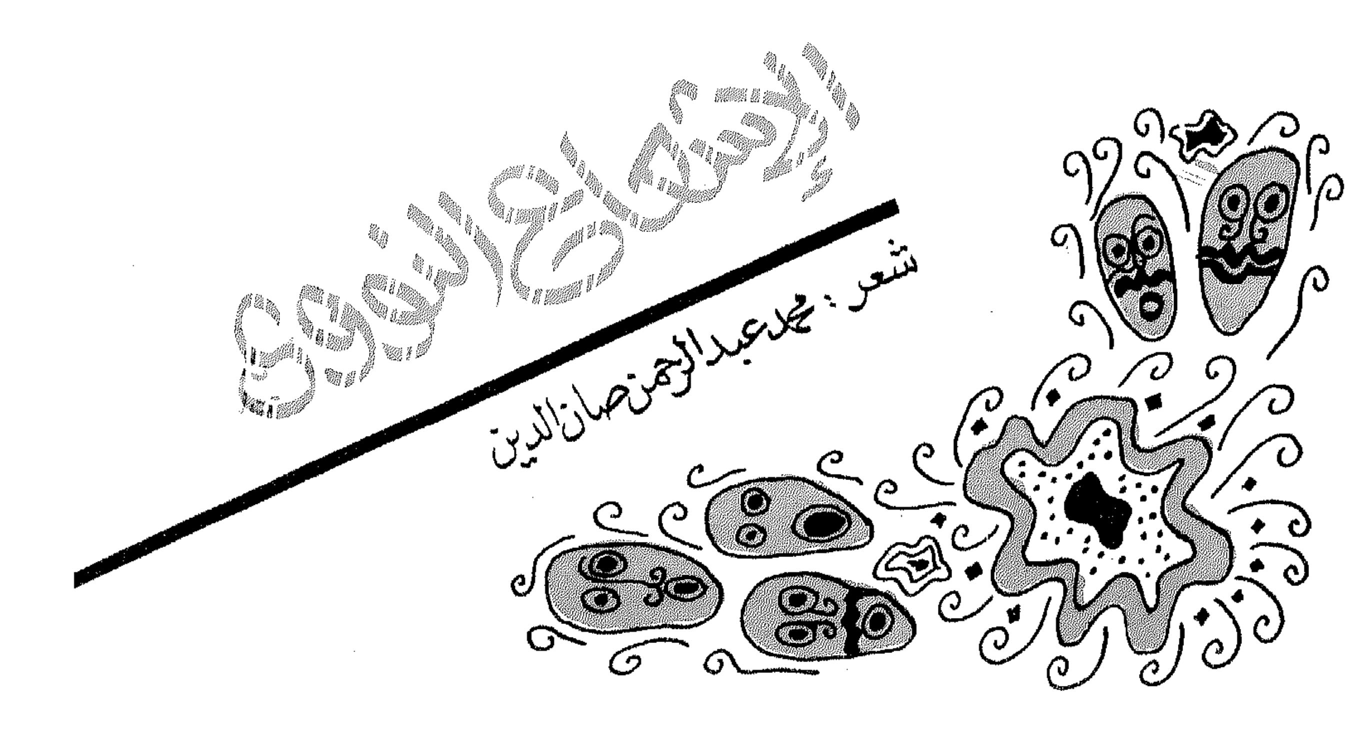
٣ ـ استقالة الوزارة الحالية .

وقد رأينا ان هذه الشروط لما فيها من روح الاعتدال تمنع المصائب التى تســتهدف مصر لها ، فهما باســم حــكومتيهما ، وبتفويض منهمــا ينصحان حضرة رئيس مجلس النظار وزملاءه بقبولها ، وعنـد الاقتضــاء يشترطان تنفيذها ، وليس لحكومتى فرنسا وانجلترا غاية من التدخل فى شئون مصر سوى حفظ الحالة الحاضرة STATUSQUO وبالتالى ان يعيدا للخديو الســلطة المختصة به ، اذ بدونها يخشى على هذه الحالة المقررة، وبما ان توسط الدولتان ليس مبنيا على حب الانتقام والتشفى ، فستبذلان الجهد فى عفو عمومى من الحضـرة الخديوية وستسهران على تنفيذ هـذا العفـو » .

وهكذا يتبين لنا بالفعل كيف كانت الصهيونية وراء تلك الجهود المحمومة من الرأسمالية العــالمية والاستعمار لتخــريب مصر وجـرها الى حظيرة الاستعباد والاستغلال .

كما يتبين لنا ان ليس فى المذكرتين المشتركتين ما يشير من قريب أو من بعيد الى حفز المصريين للثورة على الخديو ، وانما العكس هو الصحيح.

كما يتبين لنا ان الخطط الاستعمارية ظلت مشتركة وبتنسيق بين انجلترا وفرنسا ، ثم انسحبت فرنسا منهــا ليخلو الميدان لانجلترا وحدها .



جاء الحياة رهيب السطو والباس ... اعمى له قوة من غير احساس
فى فعله مارد ، فى الذر مستتر ... تخفى غوائله عن عين حراس
كالسم يفتك بالاحياء ممتزجا ... فى طعمة جلبت من ينع اغراس
او شربة حلبت من ضرع سائمة ... كانت مطهرة من كل ارجاس
قد كان مختبئا فى عمق مكمنه ... ينأى بشرته عن مرتع الناس
حتى اتى العلم فى طيش فاطلقه ... ـ عمدا ، الموجدة ـ من قيد امراس
قد ظنه وادعا ، يبقى بقبضته ... ان شاء اخضعه للطب والاسى
و شاء سخره فى كشف خافية ... فى الارض نافعة ، او ضوء نبراس
ؤ شاءه منذرا ، او حارسا يقظا ... من سطو جائحة ، او شر خناس
كنه نزق ، لاشر منزعه ... يسعى بعربدة الشيطان والكاس
فانقض يفتك بالاحياء مضطغنا ... وانساح بالضر ، او اخماد انفاس
ى كل صقع على الدنيا بوائقه ... راحت تبث الضنى فى كل اجناس
نتى لقد دارت الابصار زائغة ... فى حيرة ، لاترى فى الارض من آس
وانهار حراسه سرعى بلا رمق ... واستسلم العلم فى عجز وابلاس
ويل الحضارة فوق الارض ان نشبت ... فيها براثن ذاك المارد القاسى
والعلم شر على الاحياء ان ملكت ... سلطانه فئة متبولة الراس
صمت مسامعها ، لاترعوى ابدا ... والهول احداثه دقت باجراس
والطفل ان عبثت يوما اصابعه ... بالنار اودى ، واودى الغافل الناسى
رب .. ملكك قد ابدعت صنعته ... فاحفظه من عابث فى الارض ذى باس



جحا الساخر

بين العرب والفرس والترك

بقلم : د . محمد رجب البيومى

سماه الأستاذ عباس محمود العقاد الضاحك ، وكَتَبَ عنه مؤلَّفا ممتازا بهذا العنوان ، وفى رأيى أن جُحا مُضْحِك ، وليسَ ضاحكاً ، فلا يلزمُ أن يكون هذا الذى يفجر الضحك من الأعماق ذا ضحكة رنانة ، فالرجل ساخرُ يرسل فى ابتسام شاحب فكاهته ، وقد يعالنى من الألم النفسى حينئذ ما لاطاقة له باحتماله فيكون تطبيقا عمليا لقول الأستاذ على الجارم :

وأشد الآلام أن يرُسل الثغر ابتساما والقلب رهن إكتئابه !

● وما راجت نكات جحا وانتشرت على هذا النحو الشاسع في رحاب الارض الا لما تحمله من السخر الهازيء حين تصور الوضع المنقلب ، والعزم الذى أصبح عملاقا ، والقمة التى هوت الى السفح ، وهى أمور تتكرر وتتوالى فيتكرر تبعا لها ما قال جحا ، ونحن نعرف أن جحا لم يكن مصريا ، ولكنه بطل شعبى فى مصر ، تؤلف باسمه النوادر ، وتعزى اليه النكات ، فعندنا طرائف مصرية خالصة عن « ساقية جحا » ، وعن « ثور جحا » ، الذى هو أولى بلحمه ، وعن « مسمار جحا » ، وعن « بيت جحا » ، وكلها ترمز الى أوضاع عرفت فى مصر ، ولم يكن الرجل العربى الاموى فى أكثر حياته ممن يتصلون فى تاريخهم البعيد بمصر بوشيجة من الوشائج ، بل لعل اسمها لم يجر على لسانه ، ولكنه بقوته الاسطورية قد شق الغيوب حتى تمكن من احساسها النابض قرنا وراء قرن ، وقد رأينا ساخرا كبيرا كالاستاذ عبد العزيز البشرى يخترع الدعابة الساخرة لنفر من أصدقائه فتنسبها مجلات الفكاهة حينئذ لجحا ، مع استحالة صدورها عن الرجل الاموى زمانا ومكانا ، لقد كان شيخ العروبة أحمد زكى باشا يخوض معركة ادبية مع الاستاذ محمد الهمياوى فى العشرينيات من هذا القرن ، فقال البشرى لبعض منادميه ان زكى باشا او تحدث حديثا وديا مع الاستاذ الهمياوى فلابد من حضور البوليس ، أما اذا كان الحديث بينهما حديثا علميا فلابد أن تتدخل أساطيل الدول الكبرى ، قال البشرى هذه الطرفة ، فظهرت لتوها فى صحف الفكاهة — وما أذيعها حينئذ — منسوبة لجحا ، واتصل البشرى بالصحيفة ليسأل ساخرا عن عنوان جحا كى يحظى بمعرفته !

● جحا العربى

لم يكتب التاريخ العلمى عن جحا العربى شيئا ذا بال ، بل ان كتب الادب العربى غير كتابين فقط لم تعن بتسجيل شيء من نوادره فأنت تقرأ فى صحف التراث الكثير من نوادر أشعب ، ومزيد وأبى دلامة وأبى نواس وأبى العيناء وأشباههم وكذلك لا تقرأ من نوادر جحا فى صحف الادب الرسمين غير القليل مع أن اسمه من الشهرة بحيث يكتسح هؤلاء جميعا ، فقد فرض نفسه فرضا أكيدا على الالسنة فى الشرق والغرب ، ولكنها ألسنة المتكلمين فى الاسواق والمتاجر والاندية ينتقل حديثها من عصر الى عصر دون عائق ، وفى كل زمن ينمو هذا الحديث ويتزايد ويمتد ، وكأنه جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين ، فاذا أراد المتطلع أن يعرف ما بقى من تاريخ جحا العربى موثوقا منه ، فلا يجد الا أن اسمه أبو الغصن دجين بن ثابت ، وأنه نشأ بالكوفة ، ولم يبارحها الا فى زعم من روى عنه نوادر تتعلق بحجه ، وذهابه الى مكة ، وهى نوادر تنسب الى غيره كما تنسب له ، فليس حديثها عن مكة بدليل يرجح انتقاله اليها ، أما كيف شغل الرجل أهل الكوفة بسخريته فذلك ثمرة نبوغه الناقد ، لانه وقف منهم وقفات المؤدب الواعظ ، الذى لا يرسل النقد فى خطبة رنانة ، او قصيدة مؤثرة ، ولكن فى موقف هزلى هو أشبه بالصور الكاريكاتيرية .

لقد قامت الدولة العباسية بجهود أبى مسلم الخراسانى ، وانزعجت الكوفة لما يروى عنه من الغرائب المذهلة التى تضاف الى سيرته ، وكأنه جبار من

جحا الساخر

جبابرة الجن ، يملك أن يطوى الارض، ويصل ما بين الشرق والغرب في لحظات ، وابو الغصن يسمع النوادر ميزنها بميزان عقله فلا يصدق ، فاذا ناقش هذه الاساطير في هدوء احتشد حوله الغوغاء ليسمعوا كلامه ، ثم رأى ان يستغفلهم في أمر يظهر سذاجتهم السطحية دون مغالاة ، فأعلن أنه سيطير من فوق المئذنة في عصر الجمعة القادم ، وذاع النبأ في انحاء الكوفة ، فتجمع الناس عصر الجمعة حول المئذنة ، يرتقبون طيران جحا ، وحضر الفنان الساخر ، وصعد الى أعلى مكان بالمئذنة ، وأخذ يلوح بيديه ، كأنه يهم بالطيران ،حتى اذا مل الحاضرون موقفه ، صاحوا به لم لا تطير ؟ فقال جحا ، وكم عددكم ؟ فقالوا فوق خمسمائة ! فقال : وكلكم عقلاء، فقالوا نعم : فقال وقد صدقتم أنى سأطير ، كما صدقتم أن أبا مسلم جبار من الجن يطوى الارض ، ويصل مابين الشرق والغرب ! فانصرفوا دهشين ·

وذهب رجل كوفي الى أبى مسلم فأخبره بما صنع جحا وزعم انه يعرف أبا الغصن ، فوجه أبو مسلم بمن يدعوه، وأحس جحا بالخطر ، فمال الى التبالة وأدعى الجنون ، حين قدم على القائد الغضوب وأخذ يكلم الواشى كأنه أبو مسلم ، فقال أبو مسلم أنت لاتعرف هذا ، فصاح معاذ الله أن أجهل القائد الخطير ، ونجا بالتبالة ·

وكان بالكوفة وال لا يعرف العدل ، وأراد جحا أن يكشف مستوره على الملا ، فدخل عليه هائجا وهو يصيح : مولاى ان ثورك الاحمر قد نطح ثورى الاسود فشق بطنه ·

فقال الوالى ، وما شأنى ؟ وأى تبعة تقع على الحيوان الاعجم ! ولكن جحا بادره قائلا :

عفوا سيدى عفوا ، لقد تذكرت ان الذى نطح ثورى الاسود ، وان ثورك الاحمر هو المشقوق المنطوح ودمه يسيل !

فانزعج الوالى وقال : ويلك لقد تغيرت المسألة ، فتغير الحكم ، عليك بالعوض السريع ! والناس شهود ، والجمع حافل ، وهكذا اظهر جحا بما لا يقبل الشك انحراف الوالى وفق ما يرضيه ·

وشاعت النوادر أن تجعل أبا الغصن قاضيا يحكم بين الناس ، ولكنه لم يكن بالقاضى الجائر ، بل كان الحكم المدرك البصير ·

تقدم اليه مختصمان يدعى أحدهما أنه صاحب مطعم تفوح منه رائحة الشواء ، وأن غريمه مر على مطعمه ، ومعه قطعة من الخبز أكلها على رائحة الشواء دون أن يدفع الاجر ·

فسأل جحا : وكم ثمن ما شم من الشواء ؟ فقال المختصم : ربع دينار :

فأخرج جحا ربع دينار من جيبه ، ورنه على الخشب ، فسمع له صوت واضح ، وصاح القاضى : انتهينا الآن، لقد سمعت صوت الدينار كما شم رائحة الشواء ! فاذهب ومعك حقك ·

واتفق رجل مع حامل أحطاب أن يساعده فى رفع صندوق على كتفه ، فقال له الحطاب ، وماذا تعطينى فقال الرجل : لا شيء !

بجان الحطاب أن لا شيء مال يدفع ، فطالبه به ، ولم يجد السداد ، ورفع الامر الى قاضى الكوفة أبى الغصن !

واستمع جحا الى الشكوى ثم سأل الحطاب أتريد اللاشيء الذى وعدك به، فقال نعم ٠

قال القاضى، ارفع هذا الكتاب فماذا ترى تحته ؟ ، فرفعه الحطاب قائلا : لا شيء

فابتسم جحا وقال خذه اذن فهو ما تطلب !

ولا يمكننا فى هذه العجالة أن نتابع ما روى عن جحا العربى ، ولكننا نذكر أن عشرات من أمثال هذه الطرف قد خلدت ذكره ، بل ان مئات من أمثال هذه الطرف قد نسبت اليه وأصبحت من آثاره الخالصة دون أن يدرى عنها شيئا ، كما نسبت مقطوعات من شعر الغزل الى قيس ليلى دون أن ينظمها وكما نسبت بعض النوادر الماجنة لابى نواس دون أن يقولها ، اذ أن أمثال جحا وقيس وأبى نواس لم يكونوا أعلام أشخاص فحسب ، بل أصبحوا أعلام أجناس ٠

● جحا الفارسى

ذكر جحا فى الادب الفارسى، ورويت نوادره الجديدة موسومة بخصائص البيئة الفارسية ، ولم يشتهر شخص فارسى معين باسم جحا ، كما اشتهر جحا العربى وجحا التركى، ولكن كبار المؤلفين هناك قد نحلوه نوادر كثيرة ، وأذكر أن الدكتور عبد الوهاب عزام ذكر من هؤلاء عبيد الزاكانى الشاعر المؤلف ، ومولانا جلال الدين الرومى فى مثنوياته الفارسية ، وعبد الرحمن الجامى الشاعر الصوفى ، ولعل أقرب هؤلاء جميعا الى شخصية جحا هو عبيد الزاكانى اذ جمع بين الجد والهزل فى مؤلفاته ونوادره جمعا يلحقه بجحا العربى ، وأهم فرق بين الجحوين العربى والفارسى أن أبا الغصن كان محدثا مسامرا فحسب يرمى بالطرفة الساخرة عفوا لساعته دون أن يجهد فى تأليفها ، ودون أن أن يحرص على ذيوعها بعد أن تقال ، أما عبيد فقد أصدر عدة كتب تجمع بين الهزل والجد ، وقد كان شقيا بحياته اذ ركبه الدين ، ولازمه الفقر ، وذوو النباهة من الادباء والمؤلفين أمثال الزاكانى يهولهم أن يقاسوا لواعج الحرمان روحا ومادة مع ما يتمتعون به كثيرا من مواهب أدبية راقية على حين ينظرون فيجدون من ذوى الجهالة من يتمتعون بالجاه والمال والصحة والسلطان دون موهبة، وهنا تتدفق على ألسنتهم النوادر الناقدة فى المجالس متحدثين ، وفى الكتب مؤلفين ٠

ذهب جحا الفارسى (عبيد الزاكانى) للقاء أمير شيراز أبى اسحاق ، ليقدم له مؤلفا فى (المعانى النفيسة) وكان يظن أن الامير سيسمح بلقائه حين يعرف أنه مؤلف أديب يحمل اليه آخر ثماره الفكرية ، وهى من النفاسة فى رأى المؤلف بمنزلة عالية ، ولكن الزاكانى قد حجب عن اللقاء ، وقيل له ان (المسخرة) عند الامير يضاحكه ولن يفرغ له فى هذا الوقت ،والمسخرة بمجالس الامراء فى هذه الازمان بهلوان يهرج بالطرائف والسخائف ليضحك الامير ويرفه عن خواصه من الندماء ، فدهش الزاكانى وصاح : لقاء السلطان ميسر للمساخر كل حين ، والعلماء يطردون ، وطارت الكلمة الى أبى اسحاق ، وأحضر الزاكانى ليناقشه الحساب فقال ان العبارة ليست من انشائه ولكنها تنسب الى جحا !!

جحا الساخر

ثم غربت شمس الامير ، وحل مكانه سواه ، فأنشأ الزاكاني رباعية شعرية ترجمتها عن الفارسية كما يلي « لا تكن مثلي عالما فاضلا ، لئلا تكون مشنى لدى الامراء حقيرا ، ان ترد تكون مقربا عند أهل الزمن فكن سخرة أو راقصا أو زامرا» ويذكر مؤلفو التاريخ الادبي أن للزاكاني كتابا مضحكا تحت عنوان (ريش نامة) وهو حوار هزلي بينه وبين لحيته ، كما أن له كتبا هزلية أخرى ، وأخرى تتسم بالجد ، ولم يكون الهزل في مؤلفاته الا تنفيسا عن أوار حبيس ، ومما يروى من طرائفه الجحوية أن رجلا مع أهل قزوين خرج لغزو الاعداء في جيش كثيف ، وكان مع الرجل ترس كبير ، فلما قرب من حصن العدو أصاب رأسه حجر فأدماه وصرخ ، فسأله بعض أصحابه ماذا دهاك ، فقال يا أخي أحارب قوما عميا يرمون رأسي بالحجر ولا يرون هذا الترس .

ومن نوادره أن رجلا شاهد انسانا يجري وهو يؤذن للصلاة دون أن يقف في مكان واحد ، فسأله عن أمره ،فقال لا تنتقد يا أخي ، لان صوتي لا يكون حسنا الا اذا سمع من بعيد ، وها أنذا أبتعد ليحسن الصوت !

أما جلال الدين الرومي فيكتفي بذكر هذه الطرفة التي نسبها الى جحا في الدفتر الثاني من المثنويات حيث قال، والترجمة للدكتور عبد الوهاب عزام بتصرف .

« مشى صبي في جنازة والده يبكي ويلطم رأسه ويصيح ، يا أبت ، الى أين تحمل ؟ أتوضع تحت الثرى ! تحبس في دار ضيقة مقفرة ، ليس فيها سجادة ، ولا حصير ، ولا سراج بالليل ، ولا خبز بالنهار ولا سقف ولا باب ولا جار مؤنس ، وكان جحا يسير مع ابنه في المشيعين ، فقال لولده يا بني أظن هذا الميت سيذهب الى دارنا، فالاوصاف متطابقة .

وللجامي نوادر عن جحا نذكر منها انه كان مدينا لبعض الناس بمائة درهم فشكاه الدائن للقاضي حيث لا شاهد ، فطلب القاضي من جحا أن يحلف ، فقال له جحا : امام المسجد عندنا مستعد أن يحلف مكاني فابعث اليه ، ليطمئن هذا المدعي !!

جحا التركي

كان نصر الدين خوجة أحسن الثلاثة حظا ، لان أدباء الاتراك قد اهتموا بجمع كل شاردة تنسب الى جحا شرقا وغربا ثم نسبوها الى جحا التركي ، لذلك نجد دائرة المعارف الاسلامية ، تذكر صريحة أن ما عزى الى نصر الدين خوجة التركي انما هو ترجمة لنوادر عربية قديمة كانت منتشرة بين الناس وتدور حول شخص من قبيلة فزارة بالكوفة يدعى جحا ، وورد بعضها في الميداني وفي فهرس ابن النديم ، ثم ترجمت جميعها الى التركية ونسبت الى شخص يشك في وجوده .

هذا ما جاء في دائرة المعارف ، والصحيح منه أن أكثر ما نسب الى جحا الكوفي قد نسب الى جحا التركي، والخطأ الواضح منه هو الشك في وجود نصر الدين خوجة لان تاريخه مسجل محفوظ ، وله قبر يزار في مدينة (آق شهر) وقد تلقى علومه الدينية بتوسع، ثم عين امام مسجد ، يعظ الناس ، فاشتهر بالتقوى وذلاقة اللسان وشغل منصب القضاء في ضواحي قونية حتى

مات سنة ٦٨٣ هـ ، والناس يتبركون به ، ويزورون قبره ، وقد انتهز خادم الضريح عقب وفاته اقبال الناس على الزيارة المتكررة ، فكان يدخل القبر من مكان خفي ، ويحيي الزائرين والزائرات موهما القوم أن الولي الدفين صاحب كرامات ، وأنه حي يتحدث في قبره ، ويتبع ذلك كثرة الزائرين ، ومعهم النذور الوفيرة ، وبها يثرى خادم الضريح ٠

واذا كان الشك في ولاية جحا العربي للقضاء أمرا يتردد ، فان ولاية نصر الدين خوجة لا تقبل الشك ، ومؤهلاته العلمية والخلقية ترشحه لذلك ، واذا اعتقد الناس فيه الولاية والعلم في الحياة أفلا يكون من السهل الهين أن ينصب قاضيا ٠

ومن طرائفه أن بعض التجار من ذوى الحظوة لدى الحاكم أراد انتقاضه على رءوس الاشهاد ، فقال له : أنت قاض وعالم وتخطىء في قراءة القرآن، فقال جحا على البديهة : لقد أخطأت مرة واحدة يا سيدى اذ قرأت قول الله « وان التجار لفي جحيم » والآية تقول « وان الفجار لفي جحيم » فصفق الحاضرون ، وذاعت النادرة ٠

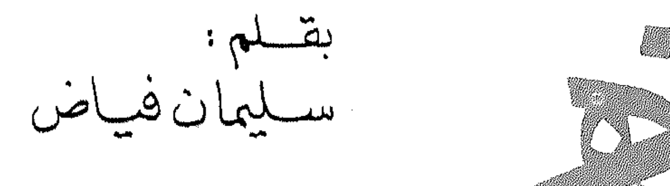
وفي المجموعة المنسوبة الى جحا التركي نوادر طريفة للرجل مع الطاغية الجبار تيمور لنك ، تزعم احداها أنه ذهب لزيارة الطاغية ، فوجده يجلس مادا رجله لعاهة بها، فجلس جحا غير بعيد ، ومد رجله كما فعل تيمور لنك ، فصاح به الطاغية أنت حمار ، وهنا تقول النادرة ان جحا أجاب بقوله ليس بيني وبين الحمار غير ذراعين ، وهما المسافة بين تيمور لنك وجحا ، فتعجب تيمور لنك من سرعة جوابه ٠

وتزعم رواية أخرى أن تيمور لنك ذهب الى الحمام مع نصر الدين ، وائتزر كل منهما بازار وأخذا يستحمان ، فقال له تيمور لنك : تعلم انى فاتح عظيم فاذا عرضت للبيع فبكم تشتريني ؟ فقال نصر الدين أشتريك بأربعين فلسا . فقال تيمور : ان ازارى وحده يباع بأربعين فلسا يا رجل ! فقال نصر الدين أردت شراء الازار ، وما أفعل بمغولي مثلك !!

وثالثة أخرى من هذا الوادى ،وأنا لا أتردد في القول باختلاق هذه الثلاث، لان تيمور جبار لا يرحم ، وقد قتل مئات العلماء لهفوات يسيرة لا تتعلق بشخصه هو ، أفيصبر على من يطعنه في عظمته تارة ويصفه بالحمار ثانية، والمجلس حافل ، والقوم شهود ! ان فقيها كبيرا طاحت رقبته بأمر تيمور لنك لانه لم يعلن كفر معاوية!أفيسكت الجبار عن هذا الهجو الشنيع ، ثم ما هي الصداقة العريقة التي تجعل فاتح البلاد غصبا يأذن لقاض متواضع أن يدخل معه الحمام ، ليستحما معا، وأين الحاشية وكبار القواد والوزراء!

واذا جاز لنا أن نشك فيما دار حول تيمور لنك من طرائف ، فلن نشك في ما يعقل أن ينسب الى جحا من المعقولات وليس الذنب ذنب نصر الدين فيما كتبوه عنه بعد رحيله ، ولكن الذنب لدى من اختلق الغرائب العجيبة ، واعتقد أنه يسجل أحداث التاريخ ، وغرائب تيمور لنك ٠

هذه المامة يسيرة بتاريخ جحا الساخر ، على تعدد أشخاصه ، واختلاف مواطنه ، وتشابه غرائبه ، وفيها مجال للتحليل النفسي،والتشريح الاجتماعي، والنظر النقدى ، لن يريد٠



زهرة

بقلم :
سليمان فياض

لا أعرف ، على وجه التحديد ، متى تحجبت ابنتى ، ولا متى غادر وجهها الابتسام والتألق ، وذلك الوميض المرح المفعم صبا وشبابا وحيوية وشقاوة محببة .

يوما بعد يوم لاحظت تغيبها عن البيت نهارا فى أوقات غير محددة ، ولكننى كنت أجدها دائما فى البيت مع الغروب ، لا تغادره ، إلا حين تكون وراءها محاضرة بالجامعة ، عندئذ تغادر البيت معى ، فأصحبها معى إلى سيارتى ، وانزلها أمام باب كليتها بالجامعة ، وأذهب أنا إلى كليتى ، وحين افرغ من إشرافى على القسم ، ومحاضراتى إذا كانت ورائى محاضرة ، أجدها جالسة وحيدة على الدرج فوق كتبها ، فيرتعش قلبى شفقة عليها ، وأصحبها معى عائدا إلى البيت .

حدثت نفسى فى ذلك الحين ، أنها ربما مرت بتجربة عاطفية خلفت لها ذلك السهوم والشرود وانطفاء بريق العينين ، وجمود ملامح الوجه ، وكأنها قد وضعت قناعا على وجهها ، وربما كانت تشعر بالوحدة ، وتحركها الرغبة فى حب أو زواج ، وربما أرهقتها هذه المسئولية عن البيت منذ وفاة أمها وهى بعد صبية فى الثالثة عشرة ، والجهد الذى تبذله فى المذاكرة ، لتجتاز أعوامها الدراسية بتفوق .

قلت لها ونحن فى الطريق كلمات قصيرة قلت :

- أفتحى لى قلبك ، فأنا لك أب وأم وأخ وصديق .

فلم تزد على أن قالت ، دون أن تلتفت إلىّ :

- أنت خير أب .

ولزمت الصمت ، والتفت إليها ، فرأيت وجهها من جانب ، ساهما ، شاردا ، وعينا تنظر إلى داخلها .

فى عودة أخرى إلى البيت ، والمطر رذاذ ، والمسّاحتان تروحان وتجيئان على زجاج السيارة ، سألتنى فجأة ، وقد بدا لى أنها ظلت تنظر إلىّ طويلا ، وأنا مشغول بالنظر إلى الطريق ، فى ضوء المصابيح الضعيفة على الجانبين ، قالت لى :

- أبى . لماذا لا تصلى ؟

نظرت إليها نظرة خاطفة . وعدت أنظر إلى الطريق ، وارتعدت كفاى على مقود السيارة . ولزمت الصمت ، حدثت نفسى أن ابنتى ، فى هذه السن المراهقة ، تعانى من خوف دينى ، أو



البنفسج

حنين للدين ، مثلما كان يمكن أن تعانى ، أو ربما قد عانت ذلك بالفعل ، توقا إلى الحب ، وفشلت فى الحصول عليه ، أو مرت بتجربته وفشلت فيه ، فانطوت تنشد سلام روح عازف عن كل شىء .
قلت لها متضاحكا :

- قولى إننى عاص . مسلم عاص . لكننى أؤمن بخالق لهذا الكون .

ولا أعرف لماذا ضحكت . وقلت :

- سيهدينى الله يوما ، وأصلى وأحج .

وساءنى أنها سألتنى مغاضبة :

- لماذا تضحك ؟

فلزمت الصمت ، وشعرت هى بالحرج ، فأطرقت مرتبكة .

فى تلك الليلة ذهبت لاطمئن على ابنتى فى غرفتها ، واربت بابها . فوجدت النور مطفأ ، ورأيتها على سجادة تصلى ، وقد وضعت على رأسها طرحة بيضاء ، وقد ارتدت قميصا أبيض طويل الكمين ، ولا أعرف متى أتت بهذه السجادة ، وتلك الطرحة ، وذلك القميص الطويل الكمين ، ولم تكن قبلا ترتدى سوى قميص يترك ذراعيها عاريين . وخيّل إلىّ ، وأنا انسحب فى سكون أننى قد رأيت على وجهها ابتسامة وأنها لمحتنى وهى تصلى .

منذ تلك الليلة وفى الأيام التالية ، اعتدت على رؤيتها تصلى ، وأحيانا تصحو فى الليل قبيل الفجر ، وتسحب المصحف ، وتفتحه عند موضع توقفت عنده من صفحاته ، تقرأ آية . وشفتاها تتحركان فى

همس لا يسمع له صوت .

وبدأت أراقبها ، فى رضى يشوبه القلق ، وألاحظ ان وجهها قد شاعت فيه طمأنينة ، واستلقت فى عينيها وداعة محببة ، ومعجبة ، بعيدة القرار أشعرتنى بأنها قد استسلمت ، وفقدت عنفوانها وقوتها وذلك الحب المحرق للحياة . ولا أعرف لِمَ تذكرت فى تلك اللحظة زهرة البنفسج ، دون غيرها من الزهور .

كان اليوم يوم جمعة . ووجدتنى اغتسل ، وارتدى ثيابى ، واتعطر واغادر البيت فى سكون ، فى طريقى إلى المسجد وإذ عدت إلى البيت ، وجدت على وسادتى مصحفا . أمسكت به ، ووضعته على الكومدينو برفق ، فوق الكتب الأخرى وفهمت دعوتها المستترة لى ، فلم أعلق بشىء .

فى يوم جمعة اخر ، ذهبت إلى المسجد ، وأزعجتنى خطبة الامام المزهدة فى الدنيا المذكرة بالموت ، المكفرة للحياة وللأحياء وصليت مع الناس خلفه ، وإذ سلم الامام خارجا من الصلاة ، وسلمنا فى اثره ، رأيت شابا ملتحيا بلا شاربين يقف حيث وقف الامام مصليا بالناس ، وأخذ يخطب ، والناس بين هرج المغادرة للمسجد ، والانتظار لسماعه ، ودهشت لصراخه مناديا بالفريضة الغائبة . وهممت بأن أسأله : ضد من ؟ ومن يقرر الدعوة إلى ذلك ؟ وبلسان من ؟ لكننى خشيت العاقبة . فقد كان يتجمع من حوله شباب ملتحون قصار ، وطوال ، لكن سحنتهم واحدة ، وسمنتهم واحدة ، وكأنهم يأكلون معا ، من طعام واحد .

غادرت المسجد ضجرا ، وإذ كنت أعبر الميدان جذبت عيناى لافتة على سرادق بدأ فى الظهيرة ، لا صلة له بفرح ، ولا بمأتم . كانت اللافتة مكتوبة بخط فارسى ، لكلمتين اثنتين : "ثياب المحجبات" ، ودفعنى الفضول لأرى بعينىَّ .

دخلت السرادق . كانت به نسوة بائعات محجبات ، وشباب ملتح فقلت لنفسى : "ويدعون إلى عدم الاختلاط" . لم يعرنى احد اهتماما ، لكننى شعرت بان عيونهم تراقبنى ، وأننى حيثما توجهت فى السرادق ، تغادر بائعة محجبة مكانها ، ويحل مكانها شاب ملتح ، يقف أمامى وينظر فى استرابة وتوجس وصمت مستعدا للابتسام لى ، أو لزجرى . لا أرى .

كانت ثمة ثياب حريرية سميكة ، رمادية ، وبيضاء ، وصفراء بلون الكريم وزيتية اللون اعادت إلى رأسى موضة الشوال التى انتشرت فى الأربعينيات . وكانت ثمة طرح بيضاء . وبألوان الثياب ، ودبابيس لامعة ، ذات رءوس بلاستيكية بيضاء وعقالات لحفظ الطرح على الرءوس سوداء ، وبيضاء ، وبألوان أخرى ، وبعضها متعدد الألوان . وكانت ثمة نقابات . مثقوبة أمام العينين ، واخرى موارية الثقوب ومنشأة لم تكن ثمة هوية لموديلات الحجاب . وتذكرت ثياب النساء فى العصرين التركى والمملوكى . وشغلت

نفسى بأحصاء الاثمان وجمعها لطاقم واحد ، يرتدى فى المساء ، أو فى النهار أدهشتنى الأسعار . فالثوب الذى قدرت له ثمنا مائة وخمسين جنيها كان بثلاثين جنيه . والحذاء الحريمى الواطىء الكعب كان بخمسة جنيهات . وسألت نفسى : كيف ؟ ومن يتحمل الفرق ؟ واية فتاة أو امراة متعلمة أو جاهلة تتردد أمام هذا الاغراء ؟

عدت إلى البيت ، وإذ فتحت الباب ، كان النور مضاء . وسقطت عيناى على ابنتى ، كانت محجبة : ثوب أبيض . طرحة بيضاء . عقال على الطرحة أبيض دبابيس برءوس بلاستيكية بيضاء . حذاء أبيض بلا كعبين . والوجه هادىء وادع والعينان بعيدتا القرار ونظرت إلى ابنتى دون ابتسام خفت أن أقول لها أى شىء ، اعجل به لحظة الصدام . جاوز عمرى الخمسين ، وتعلمت من الأيام حكمة . وكانت ابنتى الوحيدة ، ومن أجلها عشت اعزب عشر سنوات . قلت لها وقد اغلقت الباب :

- حرما .

قالت لى :

- جمعا سأعد الغداء .

دخلت غرفتها ، وردت وراءها الباب . وجلست فى الصالة تحت النور المضاء احسست بالارهاق ، واستسلمت لمشاعر متناقضة لم استطع فرزها ، ولا تحديدها ، ووجدتنى لاهث الانفاس . وإذ خرجت ابنتى ، من غرفتها . كانت فى ثوب بيتى ، طويل الأكمام ، فى عز الصيف ، وقد احاطت برأسها طرحة بيضاء . وأخذت ابنتى تجلب اطباق الطعام الساخن إلى المائدة ، وجلست معى لتأكل تمتمت بلا صمت مبسملة ، ولم أجد فى نفسى قابلية للأكل فنهضت قائلا :

- الحمد لله .

نظرت ابنتى إلىّ ادركت ما بى . ولكنها لم تقل شيئا وأنا أرنو إليها فى انتظار ان تتحدث فذهبت إلى غرفتى فى سكون ، واغلقت علىّ الباب . حدثت نفسى . ابنتى تدبر أمرا . متى جاءت بهذه الثياب ؟ هل تورطت مع هذا الشباب الملتحى والنسوة المحجبات ؟

فى الليل جلست فى الانتريه وناديتها فجاءت وفى يدها كتاب كنت قد اتخذت قرارا لا جدوى من المناقشة لا جدوى من الحوار لا جودى من مواصلة الصمت . لا جدوى من الانفعال ولا الغضب . لا جدوى من الخضوع لابنتى ولا من الالحاح عليها بأسئلة . ستتهرب من اجابتها بصراحة . أو تواجهنى بقسوة بأنها مع ذلك الشباب الملتحى ، والنسوة المحجبات ، يدينون التاريخ كله ، ويحلمون بعصر ذهبى لم يدم سوى ثلاث وعشرين سنة . يحنون للبداوة وللعودة الى الصحراء ، ويقتلون بعضهم البعض حين تختلف المعتقدات والمذاهب والرؤى جلست الىّ وقلت لها .

- اتذكرين معيدا بقسمي اسمه : عماد .

قالت :

- نعم .

قلت لها :

- ماريك فيه ؟
قالت وقد فهمت ما اسعى اليه .
- لا بأس به .
قلت لها :
- عماد خير تلامذتي ، وله في العلم شأن يوما ما ، كم تمنيت أن يكون لك .
شعرت بالخطر فقالت لي :
- لِمَ لَمْ تتزوج كل هذه السنوات .. أمامك عمر لتتم نصف دينك .
صدمتني عبارتها ، اهي ابنتي التي تدعوني الى الزواج وقد دعوتها لادعوها اليه ، شعرت بأنني افقدها ، بل لقد فقدتها بالفعل منذ زمن ، تضاحكت ، وقلت لها :
- اعدك بالزواج بعدك أريد أن اطمئن عليك ، وأنت في سنتك الأخيرة بالكلية ، مع رجل وفي عمل .

وتنهدت ، واردفت .
- لا أحد يعرف متى يحين الأجل .
وفاجأتني بقولها ، وهي تنظر الى بوداعة صامدة :
- ألأنني تحجبت ؟
تجاهلت سؤالها قلت لها :
- اليوم عماد طلب يدك .
لم يكن ذلك صحيحا .
فلم يطلب عماد يدها بعد ، لكنني كنت واثقا من ذلك كان يسألني عنها مضطربا بين حين واخر وكان احيانا يأتي الى هذا البيت وألمح عينيه تتابعانها رائحة وغادية ، وفي اختلاس . وقدرت طوال عامين انه ينتظر ربما ليجد مالا ، ومسكنا ويتحسن راتبه ودخله من الحوافز والمكافآت وربما من الدروس الخصوصية التي نما اليّ خبرها قلت :
- ما رأيك ؟
كانت ساهمة تنهدت وهي ساهمة وَمِضَ للحظة خاطفة وميض رضى في عينيها قالت بيقين وهدوء .
- سأستشير اميري
- اميرها ؟ وجمت .
هي معهم اذن في جماعة ولها امير وما يخص حياتها وجسدها وروحها صار ملكا لهذا الامير .
احسست بفكي يتقلصان ها هي قد فرضت المواجهة افلتت من فمي جملة ، وددت لو لم أقلها قلت بسخط :
- واميرك هذا يؤمن بتعدد الزوجات .
قالت بهدوء :
- الشرع يبيحه . حين يكون الرجل ميسورا وحين يقل عدد الرجال ويزيد عدد النساء .
قلت :
- وانت .. اتقبلين يوما ضرة ؟
قالت :
- لم لا .. الرجل يكفي اكثر من امرأة .
اوشكت ان اصرخ .. كتمت غيظي .. قالت :
- لقد خرجت عن الموضوع .. لا مانع لدى من تزوج عماد ، إن وافق اميرى .
اجتاحني غضب مشكوم نهضت واقفا . قلتُ لها :
- غدا . عصرا ، سنذهب إلى اميرك .
وغادرت البيت ، وتركتها جالسة وحدها .. ولأول مرة شعرت بالحاجة إلى الذهاب إلى مقهى ، أو ناد أجلس فيه مع صحبة ، أو مع أى أحد ..
عدت إلى البيت بعد ثلاث ساعات ، ارتديت ثياب النوم .. وجفاني النوم ، والنور مطفأ ، عند الفجر ، سمعت تراتيل الفجر ، تدوى بها

ميكرفونات متضاربة ، فتحت النافذة ، رحت انظر الى الطريق الخالى ، مستسلما لنسمات صيفية صباحية باردة ، كان الطريق خاليا ، رأيت باب العمارة المواجهة يفتح ، وتخرج منه سيدة محجبة ، متزوجة عرفتها فى ضوء صباح الطريق القريب .. كانت وحدها ، تسير بثبات ، دون أن تلتفت نحوى ، أدركت أنها فى طريقها فى الطرق الخالية ، تسير وحيدة لصلاة الفجر ، خرجت من باب عمارتنا اخرى ، محجبة ، فى ثياب بيضاء ، لم أر منها ، حين انتبهت ، سوى ظهرها داخلنى شعور بأن هذه المحجبة ، هى ابنتى ، عدت مسرعا إلى غرفتها اضأت النور .. كان سريرها خاليا منها ، مرتب الملاءة ، مطبق الغطاء .. مهندم الوسادة ، وشبشبها البيتى بانتظار عودتها .

عدت إلى النافذة ، انظر فى اثرها ، كانت قد اختفت . كبحت نفسى كى لا أخرج فى اثرها وظللت واقفا انتظر .. انصت الى اذانات متضاربة بين بداياتها ونهاياتها . وإلى اصوات الائمة يجهرون بالفواتح والسور القصار والتكبيرات والتسميعات .. وإذا احسست بأقدام مقبلة لرجال ونساءٍ وأصوات استغفار ، عدت إلى سريرى ، وجلست عليه ، ثم لم أطق صبرا ، فذهبت إلى مقعد وراء باب البيت ، وسمعت صوت مفتاحها يفتح الباب .. إذ دفعت الباب ، ودخلت فى الظلمة ، ضغطت مفتاح النور . فارتبكت للحظة خاطفة ، والتفتت إلىّ ، وقالت :

ـ لِمَ صحوت ؟

نظرت إليها ، ولم أقل شيئا . نهضت ودخلت غرفتى ، وأغلقت بابها ورائى .. وسمعتها تغلق الباب ، وتطفىء مفتاح النور ، وتسير بهدوء . دون أن تصطدم بقطعة أثاث ، نحو غرفتها ، منذ متى تخرج وحيدة فى الفجر ؟ وكم تعرف من المحجبات ، فى الشارع وفى الحى ، متى يلتقين ؟ وأى الرجال يعظهن ، ويغسل لهن رءوسهن بالوعيد من عذاب الجحيم ، ويؤكد لهن أمورا اخر ، لا أعرف عنها شيئا ..

عصر اليوم التالى ، ركبت معى ، ابنتى ، محجبة ، قادتنى ابنتى إلى طريق ضاحية .. امرتنى ابنتى ، فعبرت بالسيارة احياء الميسورين فى الضاحية ، إمرتنى ابنتى فأوغلت بها فى حى شعبى ، تتراكم فيه أكوام الزبالة على الجانبين ، وأسراب الذباب ..

اميرها يعيش فى هذا الحى ، بين الفقراء ، والمرضى ، والمهزومين ، رق قلبى لها وله ، لأمير لم أره بعد ، لكن لِمَ يترك اميرها ، وشبابه الملتحى ، ونسوته المحجبات و"هل صرن كلهن ، بالروح ، نسوة له" حيا يعيشون فيه ، يحوم فيه الذباب ، وتتكوم فى جنباته أكوام الزبالة والدين يأمر بالنظافة ؟

عند دكان بقال ، امرتنى ابنتى فتوقفت بالسيارة .. فتحت ابنتى بابها ونزلت ، وفتحت بابى ونزلت ، استدارت أمام السيارة ، ووقفت

بجانبى ، واشارت الى رجل كهل ، وقالت .. بهدوء لا يشوبه زهو ، ولا حرج :
- اميرى .
صدمت لرؤية الأمير .. لحية قذرة محرقة الأطراف بها بقايا لا أعرف لها كنها ، ولا وصفا . يلبس ثوبا بلديا ، مزيت الياقة ، بجانبه براميل زيت . قدرت انه بقال تموين .. يشهد بذلك ، مع ياقته ، الميزان المزيت ذو الكفتين . وجوالات السكر والشاى والأرز فى قلب الدكان المتراكمة ، وقد حط عليها الذباب ، قلت لها ، لابنتى ، بذعر برعب :
- هذا ؟!
قالت بحياد :
- نعم .. هذا .
التفت الرجل نحونا . اقبل الينا . نظر اليها ببسمة خاطفة .. فقالت له :
- أبى .
التفت إلىّ .. قال :
- نعم .
قلت باختصار يخفى غضبا ، يسعى لمجرد نوال موافقته :
- ابنتى طلبت ان استأذنك ، جه طلب يدها منى عريس . شاب بالجامعة ، يعمل معيدا بقسمى فى الكلية ..
نظر البقال نحو ابنتى نظرة خاطفة باستياء ، لدهشتى ، رأيت ابنتى تطرق خجلى ، مصفرة الوجه ، كمن حُرِم من الرحمة ، التفتَ إلىّ وصاح مشوحا بيده :
- يأبى الله هذا ورسوله . يأبى الله هذا ورسوله .. يأبى الله هذا ورسوله .. والمؤمنون
بهت .. نظرت إلى ابنتى فى غضب . قبل أن احاوره .. قال لى بجبروت :
- هذا هو زوجها على سنة الله ورسوله ..
نظرت إلى حيث اشار وهو ينادى آمرا من أشار اليه :
- تعال ..
اقبل نحونا من اشار اليه .. شاب ملتح .. مزيت الثوب ، فى الثلاثين . هادىء العينين . بدا لى أنه صبيه .. وانه يحمل براميل الزيت ، وانه .. قال لى الامير البقال
- هذا هو ..
نظرت الى ابنتى . وجدتها مطرقة ، مسلوبة القوى ، امام اميرها .. وقال الامير وهو ينظر إلى ابنتى مقرعا :
- "ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم" ..
صحت بالأمير :
- ليس كفئا لها ، ولست أنت كفئا .. لعلمى بالدين والدنيا .
فقال الأمير ساخرا :
- لا كفاءة بين مسلمة ومشرك

وعيت فى لحظة اننى قد تنازلت حين حاورته .. حين عارضته القول ، واننى سأضعف امام ابنتى ، وترجح كفته هو عندها حتى لو هزم فى حوار معى استدرت لابنتى ورفعت كفى ، واهويت به على خدها ، ودفعتها امامى ، فركبت السيارة فى صمت ، هم صبى الأمير بالتوجه نحوى ، فاعترضه اميره بساعده .. ركبت السيارة قدتها ، ادرت مقودها بعنف عائدا من الحى الشعبى ..
طول الطريق لم انطق بحرف .. كانت كل ذرة فى

ترتجف .. رأيت وجهها فى المرآة كانت هادئة ، وادعة مستسلمة ، تنظر للاشىء ، وعيت اننى لم احررها من اميرها بعد ، قلت لها ، دون أن انظر إليها :

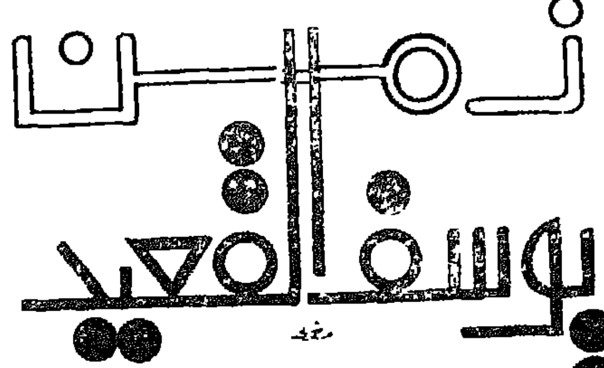
- من أدرا ، هذا الـ .. انه مشرك .. من يجرؤ ان يكفر احدا ، واحدا لم يره ، ولم يعرف ما فى قلبه إنه خارجى .. من الخوارج من ليس معه فهو كافر ..

لم تجبنى بحرف .. وظل وجهها هادئا ، وادعا ، مستسلما ، وكأنها قد وضعت قناعا على الوجه .. صارت غريبة عنى ، صرنا معا ، الأب ، والأبنة ،

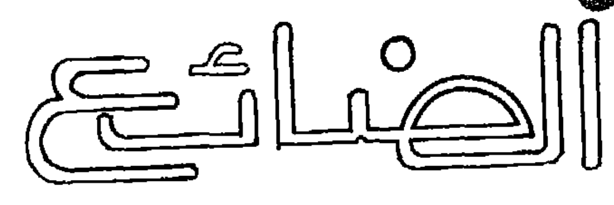
غريبين ، وبت لا أعرف ما يأتى به الغد ..







زمن يوسف القعيد الضائع



بقلم: نبيه القاسم

" لم يعد النيل هو الذى يهب لنا الحياة ، لأن الحياة تأتى لنا من العواصم الأخرى . من البلاد البعيدة ، عبر المطارات والموانىء ومن خلال الجمارك » .

هكذا قال الصديق الذى لم يغادر أرض الوطن أبدا ، جوابا على سؤال العاشق العائد له : عن النيل . فى رواية «بلد المحبوب» .

أما العاشق الكهل والمقاتل سابقا فقد خاطب المعشوقة العانس فى رواية « القلوب البيضاء » قائلا :

ـ « الديار تخلت عن ساكنيها ، أدارت لهم ظهرها : حتى لمن فقدوا رجولتهم دفاعا عنها .. هذا هو كل ما هنالك . لقد نسى الرجال أن العدوّ كان من الخلف ومن الأمام : والآن علينا أن نتعامل كل يوم مع أعداء الخلف » .

هاتان العبارتان تلخصان لنا الموقف العام الذى تتميز به روايتا يوسف القعيد الجديدتان ... « بلد

المحبوب » و « القلوب البيضاء » .

ويوسف القعيد ليس غريبا علينا فقد عرفناه فى رواياته الممتازة « يحدث فى مصر الآن » و « الحرب فى بر مصر » و « أيام الجفاف » وغيرها . ويعتبر من كبار كتاب الرواية فى مصر والعالم العربى . هو وكوكبة من كتاب مصر مثل ابراهيم أصلان وعبدالحكيم قاسم ومحمود الورداني وبهاء طاهر وآخرين .... شكلوا الظاهرة الصحية فى الثقافة المصرية .. وكانوا الرد الحاسم على الثقافة الرسمية التى عانت منها مصر فى سنوات السبعينيات .

● ملخص الروايتين

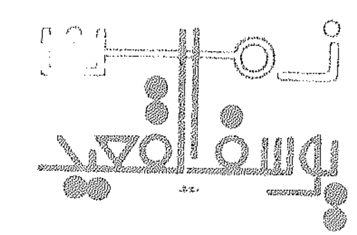
تتلخص رواية « بلد المحبوب » فى أن بطل الرواية العاشق ـ يعود الى مصر بعد أحد عشر عاما من الغربة المختارة : حيث هرب من بلده وترك محبوبته وآثر العيش بعيدا مؤثرا السلامة الفردية على مواجهة الواقع .. واذ تلفحه رياح الوطن البعيد بشدة يعود ليجد كل شىء فى مصر قد تغير .. الا الصديق القديم الذى لم يغادر مصر وتزوج هموم الوطن والذى أخبره أن محبوبته تزوجت من مهندس رى . وأنها تعيش مع زوجها وأولادها فى مدينة تنام فى حضن ثلاثة أنهار .. ويبدأ العاشق العائد برحلة البحث عن المحبوبة البعيدة حتى يجدها فى بيتها تنتظره .. وهناك تخبره أنها انتظرته طويلا وأنها تزوجت من مهندس الرى بعد يأسها من عودته وأنها رزقت بولد أسمته على اسمه وابنة أسمتها على اسمها هى .... ويخرج معها فى رحلة نيلية تنتهى بسقوطها فى النهر وغرقها ، وهو لايصدق ما يجرى أمامه ويؤكد أنها لابد ستظهر ثانية .. وإذ أيقن موتها وغرقها قرر أن يبلغ مركز الشرطة بالأمر . وهناك كانت مفاجأته عندما قيل له : إن محبوبته قد غرقت منذ سنوات وأنها لم تنجب أبدا وأن كل ما رواه ليس إلا هذيانا يثير الشك حوله ويوقعه فى مطبات عديدة . وفى النهاية يتقرر إرساله الى مستشفى الأمراض العقلية : بينما يصر هو على أنه وجدها وخرج معها فى رحلة نيلية انتهت بسقوطها فى النهر والموت غرقا .. وما تثبته ملفات الشرطة وأقوال زوجها أنها ماتت غرقا فى النيل قبل عدة سنوات ولم تترك بعدها أولادا لأنها لم تنجب : ليس إلا تخرصات لايمكنه أن يصدقها .

لقد عاد الى الوطن تلبية لنداء النيل له . وهو موقن أنه لابد من لقاء محبوبته . ولا مفر من فيضان النيل .

ويدخل مستشفى الأمراض العقلية ولسان حاله يردد .

ـ ان محبوبى النيل خدعنى .. وعدته ووفيت بوعدى . عدت جريا وهو لم يف بوعده لى . أخذ منى محبوبتى ... لقد غدر بى محبوبى النيل .. لقد غدرت بى يابحر النيل .

أما رواية « القلوب البيضاء » فتروى قصة حب غريبة بين رجل كهل كان مقاتلا فى السابق وفقد ساقه فى إحدى الحروب واستعاض عنها بساق صناعية وكانت هذه الصدمة قد جعلته يهجر بلده وأهله وأصدقاءه ويؤثر العيش وحيدا فى المدينة منطويا على نفسه حاقدا على كل ما يحيط به : الى أن عرفته قريبة له على « شهد » الشابة الممرضة : كى يساعدها فى نقلها من منطقة البحر الأحمر الى بلدة خالتها




حيث تقيم بعد موت والدها وزواج امها من رجل غريب خافت عليها أمها منه .. فيقع هذا الرجل فى حب « شهد » ويتخذها بديلا له عن الوطن الذى غدر به . مؤكدا أنه لم يعد أمام الواحد سوى أن يخلق بلده الخاص به وينتمى اليه وأنها ستكون وطنه ويشرح لها موضحا · أنت لا تعرفين معنى أن يعيش الانسان معلقا فى الفراغ .. لاحبال تشده إلى أعلى ولا أرض يقف عليها . ويرسم لها نظاما غريبا لحياتها .. ويربطها به برباط المال القوى حيث يجعلها تتعلق بنقوده التى يمنحها اياها بداية كل شهر . وتستمر هذه العلاقة الغريبة بين العاشقين رغم الهزات العنيفة التى تعتورها .. ولكنها تصل بهما الى حالة نفسية مفزعة حيث تصاب شهد بحالة نفسية تثير مخاوف وشكوك خالتها .. ويصاب الرجل بحالة مشابهة تجعله لا يعرف الراحة ولو للحظات قليلة .. تبكى شهد فى سريرها حتى يأتى النوم اليها .. وفى الصباح تذهب الى عملها وتقول لنفسها أن حياتها بدون رجل جحيم لانهاية له . أما هو فيبدأ صباحه بالنظر إلى البيت وكل ما فيه .

يقول انه بيت لم تعش فيه امرأة من قبل أبدا . فيهرب من هذا العالم .. يرتدى ملابسه بسرعة . يقول لنفسه فى المقهى قد ينسى كل هذا مرة واحدة .. ينزل متجها الى المقهى الذى يجلس فيه كل يوم ..

○ كلمة أولى

قد يسأل قارىء هاتين الروايتين نفسه عدة أسئلة حول الغاية التى كتب من أجلها يوسف القعيد هاتين الروايتين ؟ ؟ أو الدافع الذى جعله يكتبهما ؟؟ وعن الجديد فيهما ؟ ؟

لن نجد الصعوبة فى الاجابة عن السؤالين الأول والثانى . بعد رسم الواقع الذى عاشته مصر وصورته كلمات العديد من كتابها وشعرائها ونقادها التى اقتبسنا بعضا منها .. فالغاية كما لاتخفى هى الاصلاح والتغيير والدافع هو هذا الوضع السيىء الذى ساد .

يظل السؤال الأخير : عن الجديد فى الروايتين ؟ ؟

والجديد يتشعب الى عدة نقاط ... منها الأساسية ومنها الثانوية .. ولكنها فى مجموعها تشكل عملية متكاملة تعطى عملا خلاقا جديدا جديرا بالوقوف والتحليل .

وحتى نفهم هذا الجديد بكل تشعباته علينا أن نقف عند مواقف معينة طرحها القعيد فى مقابلات صحفية مختلفة ... وعند مفاهيم جديدة وتحولات ظهرت عند كتاب الرواية الحديثة فى أدبنا العربى .. وفى مصر خاصة ..

لقد ذكرت أن يوسف القعيد ينتمى الى كوكبة الكتاب والشعراء والنقاد الذين برزت مواهبهم الأدبية فى أواخر سنوات الستينيات ... وهو ابن الجيل الذى وصفه الناقد غالى شكرى بأنه « كان طفلا فى أعقاب الحرب العالمية الثانية عندما



انتصر الحلفاء وانهزم العرب فى فلسطين

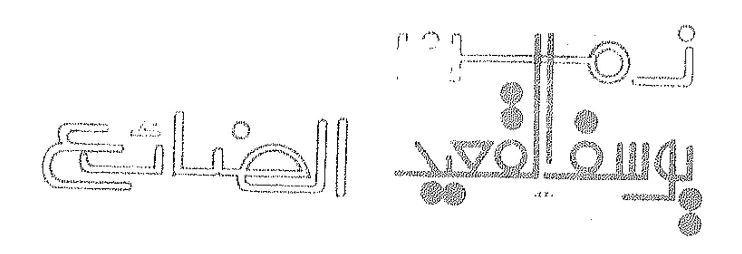
وكان صبيا مراهقا عندما قامت الثورة الناصرية . وبلغ بواكير الشباب فى حرب السويس وثورة الجزائر والوحدة المصرية السورية وثورة العراق واستقلال المغرب وتونس ومع بداية الستينيات كان شابا . **كان جيلا عربيا جديدا بكل معنى الكلمة . جيلا يشاهد أحلام التاريخ ، أحلام الآباء والأجداد تتحقق . الاستقلال ، الوحدة العربية ، تأميم الثروة الوطنية ، الى آخر القائمة . جيلا من أبناء الكادحين المنتجين فى القرية والمدينة من صغار الفلاحين والحرفيين والموظفين والتجار . جيلا استطاع أن ينهى على الأقل دراسته المتوسطة : الثانوية أو الثانوية الفنية وجزء منه تمكن من استكمال الدراسة الجامعية . وفى الحالين هو جيل مثقل بأعباء اجتماعية موروثة من الماضى أو مكتسبة من الحاضر . تختلف جذريا عن نموذج جيل الأربعينيات . ابن الطبقة المتوسطة والجامعى غالبا : المرتاح أو المستور .. جيلا اقترن بالانتماء السياسى الى حركة الثورة وفكرها الأكثر راديكالية . جيلا امتزجت فى حياته النظرية بالتطبيق والفكر بالعمل**

وقد دفع ضريبة هذا الارتباط وذاك الانتماء ثمنا باهظا فى السجون والمعتقلات والجوع والمرض . ولكنه الى جانب ذلك كان جيل العطاء المختلف نوعيا عن عطاء الأجيال السابقة .. كتب رواية جديدة وقصة جديدة ونقدا جديدا »

هذا الجيل وجد نفسه فى مواجهة حادة مع السلطة فى السنوات الأولى لحكم السادات ... فقاطعها وقاطعته .. البعض منه آثر الرحيل والتغرب والبعض أرغم على ذلك بعد اقفال كل الأبواب أمامه وفتح أبواب السجون فقط . والبعض اختار البقاء والمواجهة الصامتة أو الصاخبة . وشاهد كل التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والأخلاقية التى ألمت بمصر ..

وإذ بدأت رياح التغيير فى بداية سنوات الثمانينيات تهب على مصر .. أخذ الغيّاب يعودون الى الوطن ... والى الساحات التى عرفتهم .. والى الناس الذين انتظروا عودتهم .

وأمام هذا الواقع الجديد ثارت ثائرة البعض الذين أطلقوا على أنفسهم اسم ـ المرابطون من مصر ـ وراحوا يكيلون مختلف الاتهامات ضد العائدين بعد سنوات الضياع .. وقد كان يوسف القعيد واحدا من أشد المتهمين حيث قال : « هناك الآن إشكالية ـ المرابطون من مصر ـ والذين هجروها فى سنوات المحنة : ثم عادوا الآن فى مرحلة تضميد الجرح



المصرى . ومشكلة هذا العائد أنه جاء ليحصل حتى على الزمن الذى غاب فيه يريد الحصول على الماضى والحاضر وأن يكون المستقبل لحسابه أيضا . مع أنه فى سنوات المحنة أصبح فأر سفينة غارقة قفز منها الى بر أمان : سافروا الى أوروبا ونعموا هناك بالثلج والضباب والعيون الزرق والشعر الأصفر : ثم عادوا . الغريب أن كل الذين عادوا انما جاءوا بطريقتهم الخاصة : قوم ههنا وقوم ههناك : مشروع هنا ومشروع هناك : وبين القدر الذى هنا والقدر الذى هناك مساومات وطلبات توظيف . جاء أحدهم فمنع ابنه من شرب مياه مصر ومن تنفس هواء مصر .. سألت نفسى : لماذا لم يحضر له صوبة بلاستيك من الخارج ؟؟ ..

بهذه الحدة استقبل من بقى فى مصر سنوات المحنة هؤلاء الذين تركوها راضين أو مرغمين عند عودتهم . وطبيعى ان يكون هناك من رد على هذه الاتهامات بحدة أشد واتهامات مقابلة ....

هذا الواقع الجديد طرح مواضيع جديدة لم تتناولها الرواية العربية من قبل .. وكان من المفروض ان تتناولها الان للتباين الكبير فى مواقف الكتاب والاختلاف فى المواقع السياسية والاجتماعية والثقافية لكل منهم : وطبيعى أن يكون كاتبنا يوسف القعيد من أبرز الكتاب الذين يخوضون هذه التجربة رغم ما فيها من مخاطر ..

● بطل يوسف القعيد المأساوى

لم تكن اتهامات يوسف القعيد للذين رحلوا وعادوا : ناتجة عن خوفه من فقدان مكانة تبوأها فى غيابهم كما اتهمه البعض ... ولكنها كانت نتيجة اقتناعات آمن بها وركن اليها مدة من الزمن .. لكنه عاد وعرف أنه تسرع فى إصدار الأحكام الشاملة فحاول ان يساوى بين الجميع فى تحمل تبعة ما أصاب البلاد ..

وفهمنا لمواقف يوسف القعيد هذه . يجعلنا نفهم روايتيه والدافع الذى كان وراءهما ومن ثم هذا التجديد الذى تميزتا به .

فقد كتب روايته الأولى «بلد المحبوب» وهو يتمسك باتهاماته للرجال العائدين .. وكتب روايته الثانية «القلوب البيضاء» بعد أن أدرك تسرعه فى اتهاماته .

فبطل «بلد المحبوب» هو الرجل العائد بعد سنوات البعاد والغربة والحنين ليكفر عن غيابه وليعيد للمحبوب البسمة التى حرمه اياها والسعادة التى سرقها منه برحيله وابتعاده عنه .

أما بطل «القلوب البيضاء» فهو الرجل الباقى فى الوطن يعايش المحنة ولكنه يعجز عن ايقاف التدهور ومنع الخراب العام .. فهو انسان مشوه .. أفقده حبه للوطن إحدى ساقيه . لكن هذا الوطن أصبح غريبا بالنسبة له : فقد حرم من الفرح والسعادة والحب والأمل فى مستقبل جميل .

وكما فشل بطل «بلد المحبوب» فى العثور على محبوبته وتعويضها عن سنوات الهجر والبعد والعذاب .. هكذا فشل بطل «القلوب البيضاء» فى المحافظة على محبوبته وتحقيق السعادة معها ومثلهما فشل المهندس فى انقاذ زوجته من الغرق : وحتى عندما سمع بقصة العائد وغرق الزوجة لم يكلف نفسه الحضور واستجلاء الحقيقة وأعلن ان هذا موضوع قديم قد انتهى منذ سنوات . ولم يختلف عنهم صديق بطل رواية «بلد المحبوب» فقد التزم هذا الصديق البقاء فى الوطن : ولكنه لم يفعل شيئا لصالح الوطن وانقاذه وانما اكتفى بمهاجمة الذين هاجروا ... وبمهاجمتهم وبشدة عندما بدأوا بالعودة الى الوطن : «عادوا لكى يشاركونا فى رضاعة ما تبقى من لبن الأم التى اصبحت عجوزا .. بعد أن سافروا وهربوا من مواجهة الأوقات العصيبة : وعندما عادوا انقضوا على البلاد : نزلوا بالباراشوتات : لكى يزاحموا من بقوا فى البلاد عادوا لكى يحصدوا أرضا لم يزرعوها : ويستولوا على ثمار زرع لم يرووه ص ٣٢ .

هكذا تشابه أبطال روايتى يوسف القعيد فى مواقفهم السلبية ... فالكل مسئولون عما حدث للبلاد .. والكل متهمون فى نظره ... وان كان موقفه من الذين هاجروا وتركوا البلاد اكثر حدة وعنفا ... فإنه لا يعفى الباقين من تبعة ما جرى : وفى هذا التوزيع العادل للتهم .. يتراجع القعيد عن تصريحاته الشديدة التى هاجم بها العائدين ويوضح أن رأيه الأخير لم يتبلور بعد ... ولا يستطيع ان يحدده . ولهذا فكثيرا ما تتداخل شخصية هذا البطل مع الثاني .. وتتشابه المشاهد ... فكما ان المهندس في رواية «بلد المحبوب» طراز نادر وفريد من البشر : ولم يظهر له أى قريب : وتنقلاته كلها فى أوقات محددة : وتضبط عليها ساعتك .. هكذا ايضا بطل «القلوب البيضاء» فقد اختلفت الاراء حوله .. وله أكثر من قصة .. يعيش وحيدا ولا أحد يعرف عنوانه . لا يقوم بأى عمل الا فى وقته المحدد ... ومشهد غرق المحبوبة وعجز البطل عن انقاذها أو تقاعسه فى رواية «بلد المحبوب» يتكرر فى «القلوب البيضاء» حيث يحلم البطل أنه ومحبوبته وسط جزيرة : ينزلها فى النهر العذب : يغطسها ويخرجها من الماء ثم يكتشف أنها ماتت ولم يستطع انقاذها .. وكما اتهم النهر فى «بلد المحبوب» بأنه غدر به وأمات له محبوبته . يتهمه فى «القلوب البيضاء» بأنه ضحك عليه .. فالنهر أصبح بحرا · وماؤه العذب أصبح تلالا من الملح .

● انقطاع الانسان عن وطنه

لاشك أن أكبر نتيجة سلبية لردة السادات وسياسة الانفتاح التى اتبعها وما لحقها من توقيع اتفاقيتى كامب ديفيد والسلام مع اسرائيل كانت هذا الانشطار القاسى بين الانسان المصرى ووطنه مصر ... فقد بات الانسان الواعى الرافض لكل ما يجرى حوله غريبا فى وطنه ... لا رأى له فيما يحدث .

وهذا الانقطاع صوره القعيد بقسوة على لسان بطل روايته «بلد المحبوب» – لاحظت أن اللذين تحدثا معى كان فى نبرة



زمن يوسف القعيد الضائع

كلاهما قدر لم أحبه من الحياد . تصورت أنهما يتحدثان عن بلد آخر . غير وطنهما .. كنا نتحدث عن بلادى وإن كانا قد ذكراها بضمير الغائب . ولم أتمكن من جعل الضمير الغائب حاضرا . فتعجبت من هذا الحال - ص ٧١ .

فجغرافيا الوطن تغيرت . ومعالم الوطن القديمة تاهت . ص ٤٠ حتى نهر النيل الوحيد الذى يعرفه يتحول ليصبح ثلاثة انهار .. وبيته الذى ولد فيه وترعرع وكبر ... يضيعه ولا يجده الا بعد تعب شديد ... وهذا الوطن الذى أحبه وحمله تعويذة فى الغربة .. يستقبله بوجه الضابط المتجهم الذى يحجزه فى المطار - ص ٥ ، ونهر النيل الذى كان مصدر الخير والعطاء والعذوبة تحول ليكون الابن العاق الغادر ، والبحر المالح الخاطف ابناءه .

ولم يختلف موقف بطل « القلوب البيضاء » فهو يخاطب محبوبته قائلا بألم :

- أنت لاتعرفين معنى أن يعيش الانسان معلقا فى الفراغ : لاحبال تشده الى أعلى ولا أرض يقف عليها . الديار تخلت عن ساكنيها : أدارت لهم ظهرها حتى لمن فقدوا كل شىء - حتى رجولتهم - دفاعا عنها . ص ٤٢ .

ولم يجد الرجال ما يعوِّضون به أنفسهم الا تحويل الوطن الى حلم جميل يعشقونه ويتعبدون له ويستعيدونه كلما أشتد بهم السوق .. وتمازج الوطن مع المحبوب . ليشكلا معا وحدة غريبة .. فالوطن هو المحبوب ... والوطن هو بلد المحبوب . واذا كان المحبوب يستجيب الدعاء ويزور العاشق المتعبد : ويخرج وإياه فى رحلة نيلية ساحرة فى « بلد المحبوب » . ويزوره فى الشهر مرة فى « القلوب البيضاء » فان الوطن يظل مجافيا وبعيدا وغريبا . وعبثا يحاول البطل التوحد ثانية معه .. لكن النيل يرفض أن يفيض من جديد ... والنهر العذب يتحول الى بحر مالح يغدر بالاعزاء .... وكأننا بالكاتب يوسف القعيد يريد أن يعلنها صريحة :

- أن الوطن تخلى عن أبنائه عندما تخلوا عنه ... والأرض جفت أهلها بعدما هجروها .. وما كان من حب وسعادة وتوحد ما بين مصر والنيل وأبنائها . لن يكون ثانية طالما الواقع لا يتغير .. وطالما ما أصاب مصر من نكسات وردات يظل قائما . . فالعقم هو الباقى .... والحبيبة الولود المعطاءة لن تستجيب إلا لفارسها القديم اذا عاد .

● الجديد فى فنية القعيد

لايعترض أحد على أن التحولات السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية فى أى مجتمع تؤدى الى هز بنية هذا المجتمع وتفكيك حلمه وإعلاء مبدأ الخلاص الفردى وتسييد الانتهازية والوصولية والردة ... وكم بالحرى أن يصدق هذا الكلام على المجتمع المصرى

فى فترة الردة الساداتية التى اتسمت بالدعوة لسيادة اللاعقل فى الواقع الحياتى للمواطن المهزوم المأزوم الذى يقوم بدوره داخل إطار غير ديمقراطى ونظام تعليمى فاسد . هذا المجتمع الذى شهد انقلابا خطيرا فى مفهوم القيمة : بعد أن اجتاحته لعنة الانفتاح : وطرحت فيه مفاهيم جديدة وافدة على الساحة الادبية والفنية هددت تراثا عريقا بالتبدد والانحسار .

هذه التحولات بدلت صورة الواقع وفهم وتصور الكاتب له واحساسه بمكانه فيه وهذا الواقع الجديد جعله يتساءل عن دوره ومدى تداخله مع هذا الواقع المحيط به . وخلق عنده إشكالية العلاقة الجديدة بين إبداعاته والواقع وما مدى نجاحه فى المحافظة على عملية التواصل بين مادته الابداعية والقارىء المتلقى .

هذا الواقع الجديد خلق أدبا جديدا على القارىء · أدبا ابتعد عن الخطابة السياسية المباشرة : ومال الى تقديم الموقف الاجتماعى أو السياسى ضمن سياق تشكيل فنى .... والى التعبير عن القضايا عن طريق اللمسات البسيطة التى يمكن أن تختصر عالما كاملا بشكل مكثف .

تميز هذا الادب بخلق عالم جديد مواز للعالم الواقعى . فهو ليس انعكاسا له : وإنما يشبهه ويختلف عنه فى الكثير ، ورغم ذلك ، فهذا الواقع الجديد يستطيع أن يوقفنا على الجوانب المتعددة والتفصيلية للواقع المعاش رغم أنه لم يعتمد على التصوير الفوتوغرافى الخارجى : وانما كان اعتماده على الحساسية الداخلية الذاتية .

وقد برزت هذه التجديدات فى روايتى يوسف القعيد الذى ينقلنا من البداية فى روايتيه الى عالم مواز للواقع وناقد له . ففى « بلد المحبوب » يحجز العائد الى وطنه فى المطار بدل أن يستقبل بالترحاب والعناق .. وتستمر الاحداث كلها فى هذا الاطار الموازى .. يخلق عالما متكاملا لا أرضية له فى الواقع : ومن خلال هذا العالم الموازى نطلّ على الواقع المعاش فنكشف فيه الأشياء الكثيرة التى تدفعنا للتمرد والعمل للتغيير .

وهذا صحيح أيضا فى رواية « القلوب البيضاء » حيث تدور الأحداث فى عالم لا يمكن أن يكون واقعيا بكل تفصيلاته · ولكن هذا ينقلنا وبثقة الى الواقع لنعلن موقفنا الرافض له ...

وفى هذا الواقع الموازى يفقد الزمن مكانه فى العمل الروائى لأن الكاتب لايقص علينا حدثا ماضيا وانما يوقفنا أمام حقيقة تدور أمامنا ويخلقها لنا هو : وفيها ينحسر الزمن ويمتزج الماضى بالحاضر فى حركة دينامية متسارعة فيتنقل بنا ما بين الأزمنة .. ويدفع بنا أحيانا لنطل على المستقبل لكنه يشدنا الى الحاضر الممتزج بالماضى ... فنتخرج من هذا الواقع الموازى ونحن أشد سخطا على ما نحن عليه .. حنيننا الى الماضى يزيد كرهنا للحاضر وخوفنا على مستقبلنا يحرك فينا الرغبة للخروج ، وإعلان الثورة ضد الواقع والقائمين عليه .

هذه الأغنية البديلة

وقراءة فى ملف مطربى الثمانينات

بقلم : عدلى فخرى

●● إن مجرد ظهور مثل هذا العنوان : « الأغنية البديلة » بين عناوين الكتب الكثيرة المتنوعة عند بائعى الصحف لأمر هام للغاية ، ولأن مثل هذا العنوان غير مألوف فى الكتابات المنشورة على الأرصفة ، وفى فتارين المكتبات ، فان كاتب هذه السطور لم ينتبه اليه للوهلة الأولى ، حيث مر بصرى به سريعا ، لكنه ارتد بسرعة اليه ، فالتقطت الكتاب لارى ـ ايضا ـ اسمى المؤلفين : ابراهيم عيسى ، وعبد الله كمال ، وهما اسمان شابان سبق ان التقيت بهما على صفحات مجلة روز اليوسف ●●

● ومنذ البداية علينا ان نقرر ، فى معرض تصدينا لما ورد من اراء فى هذا الكتاب الهام ، ان كتابات كثيرة واحاديث اذاعية وتليفزيونية ، كررت ماوصفته بأزمة الاغنية ، لكن اغلب هذه الكتابات والاحاديث لم يزد عن انطباعات واراء تلقائية دون بحث دقيق أو علمى يربط مابين الأغنية ومايحيط بها فى المجتمع من ظواهر ومشكلات مختلفة ، سواء كانت هذه سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية ـ لذلك فان هذا الكتاب من حيث منهجه العلمى المستخدم يعتبر بداية جديدة وجيدة لوضع منهج نقدى للاغنية المصرية ، خاصة ان التعرض لمثل هذا الموضوع الشائك « الأغنية فى الثمانينيات » أو ما آلت اليه الأغنية المصرية الآن ، يعد من موضوعات السباحة الطويلة فى بحر متلاطم (ونستعير هذا التعبير من المؤلفين) ونعتقد ان مجرد فتح الباب لمناقشة موضوعية وعلمية لهذه القضية هو عمل جاد يستحق التنويه به .. خاصة اذا كان الجهد المبذول على هذا القدر الذى قام به المؤلفان من الارهاق .

● متاعب ومصاعب

وبداية بالمقدمة يستعرض المؤلفان المتاعب والمصاعب والعقبات التى



عبدالحليم حافظ



نادية مصطفى

محمد فوزى

محمد منير

واجهتهما ان يكن فى سبيل جمع المادة ، أو الحوار مع المشتغلين الجدد بالأغنية ويقرران ان عوامل نجاح اى عمل ابداعى (سواء كان مكتوبا أو مرئيا أو مسموعا) يجىء من درجة الوعى الذى يعبر عنه هذا العمل ، وهذا الوعى يرتكز فى تصورهما فيما يأتى عليه العمل الابداعى من وضوح رؤية وقوة ايمان وانحياز كامل لابناء هذا الوطن من الكادحين واصحاب الجباه العرقانة والقلوب المتفتحة العامرة .

وارجو أن يسمح لى المؤلفان بأن يكون تقييمى للنتائج التى توصلا اليها فى ضوء

هذه العوامل التى حددها للنجاح الحقيقى للعمل الابداعى فهى عوامل لايمكن للمرء الا ان يتفق معهما عليها .

واذا انتقلنا الى الجزء الخاص بالمسح السياسى الاقتصادى الاجتماعى لمصر بدءا من القانون رقم ٤٣ لسنة ١٩٧٤ (قانون الانفتاح الاقتصادى) لوجدنا أنفسنا أمام فترة يصفها المؤلفان بالاحتكارات الدولية والمخطط الأمريكى لجذب مصر للتحالف الأمريكى ،، ثم زيارة السادات للقدس ، وتوقيع اتفاقية كامب ديفيد . ومعاهدة « السلام » اى ان المؤلفان يستعرضان الأحداث السياسية التى اثرت على المجتمع المصرى مما كان له انعكاساته على الابداع .. لأن هذه المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية الكبيرة ادت الى تغيرات فى طبيعة التعامل فى المجتمع الذى تعرض لغزو اسواقه بالسلع الترفيهية والاستهلاكية وتكوين الطبقات الطفيلية من السماسرة وتجار العملة ومقاولى العمارات المنهارة ومستوردى الاغذية الفاسدة والسلوكيات الغريبة للشرائح الهامشية وظهور انواع شاذة من جرائم قتل الزوجات للأزواج وتكرار ظاهرة الاغتصاب وظهور الدجالين ومدعى النبوة وحروب المليونيرات خارج مصر بما استطاعوا عمله . بالاضافة الى هجرة العمالة والتشوه الاجتماعى والنزعات الفردية الاقليمية وظهور الجماعات الاسلامية المتطرفة فى نفس الوقت الذى تم فيه افتتاح مئات من مراكز اللغات الاجنبية .

● عدوية ينتشر

لكن المؤلفان نسيا انتشار المخدرات خاصة تلك الانواع الواردة مع الانفتاح ، لأن لها أثرا كبيرا على رواج انواع معينة من الأغانى ذات المعانى والموسيقى والايقاعات الخاصة بالحذر .

فى هذا الجو كان لابد لعدوية من ان ينتشر على الرغم من منع اغانيه وربما بسبب ذلك من الاذاعة والتليفزيون ، ويذكر المؤلفانّ بهذا الصدد عاملين :

اولهما : ان الزمن كان زمنه .

وثانيهما : ان الاذاعة والتليفزيون فقدا دورهما المطلوب فى خلق غناء جديد أو حتى المساهمة فى انتشاره .. الأمر الذى صاغه المؤلفان فى صيغة الماضى دون ان يتعرضا لواقع الحال فى هذه الايام . ولن يفوت الكاتبان استعراض تدهور الحال على السينما مثلما كان على الاغنية مما كان له اثره فى انتشار ظاهرة الكاسيتات لمغنين يظهرون فجأة ويوزعون الملايين ايضا فجأة ، بالاضافة الى انتشار كاسيتات الفرق الاجنبية .

وفى هذا الجزء من الكتاب كان للمؤلفين موقف شجاع فى نقد كثير من نجوم الغناء الكبار الراحلين امثال ام كلثوم ، وعبدالحليم حافظ ، وفريد الاطرش ، ومحمد فوزى ، وان كان هذا النقد قد انصب فقط على كلمات الأغانى دون تحليل لسلبيات أو ايجابيات الموسيقى والاداء .

وسوف نلاحظ بطول الكتاب ان الكاتبين لم يتعرضا الا لكلمات الأغانى بالقدر المطلوب ، اما تعرضهما للموسيقى ، والاداء والتوزيع الموسيقى أو الايقاعات ، كان تعرضا عابرا على الرغم من ان هذه هى العناصر المهمة فى تكوين الأغنية حيث ان النمط الأوربى فى التوزيع على

سبيل المثال ، هذا اذا لم يكن الميلودى نفسه من النمط الأوربى ، نقول ان هذا قد يؤدى إلى أضرار جسيمة على الرغم من قيمة الكلمات .. وان كان هذا حديث اخر .

يقول الكاتبان فى نهاية هذا الجزء « والحقيقة ان الجذور الاجتماعية والثقافية لأبناء جيل الاغنية البديلة تشكل الاساس الذى يستطيع عليه المحقق بناء كثير من نتائجه » لكن المدهش أنهما وفى صفحة ٥٠ من الكتاب يؤكدان عكس هذه المقولة النظرية القديمة وذلك حينما يتكلمان عن محمد عبد الوهاب فيقولان انه « خرج من باب الشعرية ، بعد ان تربى بين الحارات التى تصب كلها عند مقام سيدى الشعرانى ـ جد عبدالوهاب ـ ثم اصبح صاحب لقب (مطرب الملوك والعظماء) »

ثم اصبح الرجل واحدا من اشهر اصحاب السلوك الارستقراطى فى مصر ، ولانعرف ماذا كان هذا مدحا او ذما مما يلقى بظلاله على ماوصفه بالجذور الاجتماعية والثقافية لابناء جيل الاغنية البديلة من المغنين والمغنيات .

● استعراض سريع

واذا تجاوزنا كل ذلك الى الجزء المعنون بـ « عصور الطرب » لوجدناه استعراضا تاريخيا للغناء والموسيقى فى مصر ، جاء بشكل سريع منذ قدماء المصريين ، ومرورا بالموسيقى القبطية ، ثم الموسيقى بعد الفتح الاسلامى ، وفى عهود الفاطميين والمماليك ، ثم التأثير التركى على الموسيقى المصرية ، ثم فترة الصهبجية، وسعيد الدبك والشيخ المسلوب ، ثم فترة عبده الحامولى ومحمد عثمان وسلامه حجازى .. حتى ظهور سيد درويش الذى يقول عنه المؤلفان انه « بعد ان غنى فى بداية حياته (طب وانا مالى .. هى اللى قالتلى .. روح اسكر وتعالى طينة) الا انه عاش واقعه بعد ذلك . فى فترة مخاض ثورة ١٩١٩ .. » وهذا يؤكد على أن فنان الشعب سيد درويش بدآ بغناء هابط فى كلماته والحانه الا ان الحركة الشعبية جعلته يفكر بوعى ووضوح رؤية وانحياز للطبقات والطوائف الكادحة ، حيث ان كل ماغناه سيد درويش بعد ذلك كان اختيارا واعيا من الفنان وليس موقفا اجبر على ان يكون فيه .

ثم يستعرض المؤلفان ـ نقلا عن ايهاب الأزهرى فى كتابه (الأذاعة وبناء الانسان) التقرير السرى لانشاء الاذاعة المصرية ـ الذى يحدد شكل الأغنية حيث ان أجر الأغنية كان على اساس عدد الدقائق التى تستغرقها مما جعل المطربون يتبارون فى الاطالة والتكرار ، كما ان قانون المطبوعات والرقابة كان مليئا بالمحظورات ليقوم بتضييق الخناق على المؤلف فيدور فى حلقة واحدة ضيقة ، واظن ان هذا القانون لازال ساريا حتى الان تحت اسم الرقابة على المصنفات ، أو رقابة الاذاعة والتليفزيون والذى كان من الواجب على المؤلفين التعرض له فى التأثير على الاغنية فى الوقت الحالى .

ثم يستغرق الكتاب بعضا من الأغانى ـ الملتزمة ـ فى فترة الستينيات حيث يقول المؤلفان انه « رغم زخم العديد منها بالصدق الشديد ، فإن المنصف لاينكر عدم توافر هذا فى أغانٍ كثيرة لاسيما مع تبدل مواقف اصحابها الى النقيض تماما

هذه الأغنية البديلة

فيما بعد » وهذا الكلام منقول عن المؤرخ الموسيقى « فرج العنترى » فى بحثه « المسح الاجتماعى الشامل للمجتمع المصرى » .

ومن وجهة نظرى ان هذا التبدل فى الموقف امر طبيعى حيث ان ماتم غناؤه فى تلك الفترة كان بتوجيه اعلامى رسمى ، دون أن يكون لكثير من هؤلاء الفنانين موقف أو دور فى اختيار هذه الاغنيات ويجب ان يكون هذا ايضا مقياسا لتقييم دور فنانى « الأغنية البديلة » وهل مايتم انتاجه كان عن وعى واختيار ام كان موقفا وضع فيه المغنى نتيجة اختيار مخرجى المسلسلات الجادة ، ام كان موقفا من بعض المؤلفين الملتزمين والذى انعكس على المغنين دون أن يكون لهم موقف فى هذا الاختيار .

● الأغنية المقاومة

وهنا لابد من وقفة مع المؤلفين حيث انهما لم يذكرا شيئا عن الأغنية المقاومة بعد هزيمة ١٩٦٧ ،والذى من روادها الشيخ امام ، واحمد فؤاد نجم ، والشعراء سمير عبدالباقى ، وزين العابدين فؤاد ، وحمدى عيد ، وايضا فرقة اولاد الأرض وكابتن غزالى فى السويس ، وكورال الطليعة الذى ساهم فى تكوينه وانشائه الفنان عبدالعظيم عويضة ، والكاتب المسرحى مهدى الحسينى ، وكذلك فرقة شباب روزاليوسف ، وهم مجموعة من عمال مطابع روز اليوسف اختاروا هذا النوع من الغناء بوعى كامل وانتماء حقيقى واختيار واضح .

وهؤلاء جميعا مازالوا يغنون ويبدعون وتنتشر شرائطهم فى مصر قليلا وفى بعض البلدان العربية والأوربية كثيرا باستثناء فرقة « أولاد الأرض » ، وكورال الطليعة اللتين انتهى نشاطهما منذ سنوات .. ولاادرى هل هذا موقف من المؤلفين ضد هذه الأغنية أم لا .. اذا كان كذلك ضمن باب الامانة كان من الواجب عرض المسألة ثم تقديم اسباب الوقوف ضدها . ونعتقد ان هذا موقف التاريخ العلمى الذى لايخضع لموقف شخصى ، أو موقف سياسى خاصة ان الذين قدموا هذه الاغنية عانوا كثيرا من اجل موقفهم الواعى ووضوح رؤيتهم وانحيازهم لابناء هذا الوطن من الكادحين واصحاب الجباه العرقانة والقلوب المتفتحة العامرة على حد تعبير الكاتبين وهما يحددان ملامح العمل الابداعى الجاد .

ثم نتقدم خطوة لنجد الجزء الثالث من الكتاب يشمل حوارات وشهادات مع مجموعة من فنانى الثمانينيات على الحجار ، وايمان البحر درويش ، واحمد منيب ، ونادية مصطفى، ويحيى خليل ، وعصام عبد الله ، ومحمد منير ، ومدحت صالح ، وأحمد الحجار وعلاء عبد الخالق ، وحنان .

وهذه الحوارات فى تقديرنا كانت تحتاج الى تحليل أكثر استضافة نظرا لكم التناقض الفكرى الوارد فيها ، وهو مايدفع بعدد من الاسئلة الهامة تترتب على السؤال المركب لمن يغنى هؤلاء . وماهو موقفهم من العمل فى الكباريهات ، وما هو هدفهم أصلا من الغناء .

يحيى الفخرانى فى مواجهة :



بقلم : صافى ناز كاظم

□ ● بينما احتشد مسرح القطاع الخاص بجمهور غالبيته من السياح من الأشقاء العرب ، اكتظ المسرح القومى بجمهور مشاهد مصرى صميم ! □

البهلوان

قد نتصور أن السبب هو ثمن البطاقة فى القطاع الخاص وقد بلغ الثلاثين جنيها بينما وصل أقصى سعر للبطاقة فى المسرح القومى إلى خمسة جنيهات فقط ، لكنى أحسب أنه هناك عوامل أخرى عديدة منها أن المشاهد المصرى لا يزال مصراً على مناصرة مسرح القطاع العام خاصة لو كان هو المسرح القومى .

ومن زمن المسرحيات "الهادفة" اختار المخرج د . عادل هاشم نص "البهلوان" ليوسف إدريس . ولقد استقر الرأى النقدى منذ أعوام طويلة على أن يوسف إدريس هو "هرم" فنية القصة القصيرة ،

إلا أن نصوصه للمسرح ظلت إلى الآن نصوصاً تحتاج إلى "مسرحة" - أى جهد إعداد لقولبة مسرحية يبذله مخرج فاهم لمهمتــه كمخــرج صــاحب للعــرض المسرحى - وهذا كلام قد لا يعجب يوسف إدريس وهذه ليست مشكلة ، المزعج أننا صرنا عام ١٩٨٨ نلجأ لما كنا نرفضه بحزم فى الستينيات ، ونجد أنه طوق نجاة من طوفان الاسفاف المسرحى ، فصرنا

نرحب بنص مثل "البهلوان" لأنه - على الأقل - يمكن أن يتبلور فى هدف نبيل وهو : ادانة الانتهازية ، ولو كان ذلك عبر نص مثقل بالعبارات الإنشائية والتفاصيل البديهية والأنماط المستهلكة ، وصرنا نتغاضى ، بل نسقط - كأن لم يكن - حيلاً ممجوجة ومقززة لإضحاك الجمهور عن طريق مؤثرات صوتية عالية لما يحدثه البطل داخل دورة المياة ! ولقد حاولت طيلة مشاهدتى للعرض أن أبحث عن الجسر الإيجابى الذى يمكن أن أعبر عليه لأبرهن لنفسى أن ليلتى لم تذهب هباء ، وكان هذا الجسر هو "يحيى الفخرانى" ، الذى كان اختيار المخرج له كتلة مسرحية فى ذاتها بإمكانها أن تترجم ترجمة فورية مدلولات النص اللغوية وتحركها بعيداً عن جمود التصوير المسطح للشخصيـة الانتهازية .

لعب يحيى الفخرانى دورة ديالوجاً بين شخصية البهلوان - (الصحفى الانتهازى حسن المهيلمى) - وبين معلق خارجى هو يحيى الفخرانى ، فكان بذلك نـاقداً للشخصية ، ساخراً منها ومكثفا لإدانته لها ، وحقق بهذا الأسلوب - فى مواجهة الشخصية واعلان عدائه لها - معالجة رأيت الكثير من الصدع فى رسم صورة الصحفى حسن المهيلمى .

شخصية حسن المهيلمى كما بدت لنا نموذج لصحفى انتهازى وُجد ويُوجَد فى حياتنا واضحاً أو كامناً : إنه الصحفى الذى يشغل منصب رئيس تحرير لمواهبه الخاصة فى قدرة التنقل بسهولة من النقيض الى النقيض إذا دعت المصلحة . وهو انتقال مختلف تماماً عن التحول الذى قد يطرأ على الإنسان فيتغير موقفه بشكل مبدئى بناء على اقتناع بعقيدة مغايرة لعقيدته السابقة . حسن المهيلمى لا يتغير ، إنه يتلون بلون الأرضية المطلوبة . وهو شخصية فاسدة بالضرورة ، يخون امرأته كما يخون مبادئه وشرف مهنته :



يوسف ادريس مع البهلوان



يوسف ادريس والمخرج عادل هاشم

إنها شخصية "بهلوان" الحياة الذى يقفز على حبال العلاقات ليطفو دائما كاسباً فوق السطح ، وهو بهذا ، فى نظر يوسف إدريس بهلوان أحط من بهلوان السيرك الذى يلبس قناع الاضحاك لينتزع التصفيق ، وبالتالى يمكن - فى رأى يوسف إدريس - أن يكون بهلوان السيرك "مَطْهرا" لبهلوان الحياة يكفر من خلاله عن أخطائه . والفكرة وإن بدت فوسفورية لامعة ، فإنها مغالطة كبيرة لا نجد لها مبررات تساندها . الذى وصلنا من العرض المسرحى أن حسن المهيلمى شخصية فاسدة منحلة تحتل موقعا هاما بمسئولية جادة وداخلها بهلوان يراوغ ويلعب مع كل الأضداد . فاذا أخذنا هذا الفاسد ووضعنا على وجهه قناع بهلوان السيرك فستكون النتيجة : بهلوانا - لا يزال يقفز على الحبال - ويخفى فى داخله حسن المهيلمى الفاسد المنحل ، ويكون حاصل الحسبة مرفوضا فى الحالتين :

١ - حالة إخفاء البهلوان .

٢ - حالة إخفاء حسن المهيلمى .

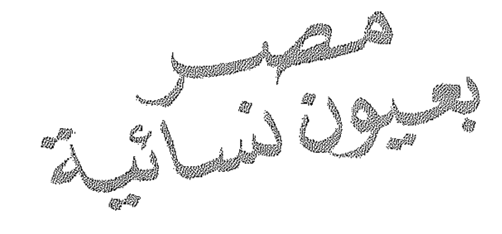
ومحاولة استجلاب العطف للحالة الثانية هى محاولة بها خطأ أخلاقى وخطأ فنى كبيران . ولم يكن بوسع المخرج أن يتلافى هذا الخطأ إلا باصراره على حذف شخصية بهلوان السيرك والتركيز على بهلوانية حسن المهيلمى والاكتفاء بإدانتها دون التورط فى خلق تعاطف معها - لأنها فى الحقيقة لا تستحق التعاطف بأى شكل - ولكن . من ذا الذى يتصور أن يرضى يوسف إدريس بهذا التعاون بينه وبين المخرج ؟ إذن لم يكن من بد سوى أن يبحث المخرج عن ثغرة مع بطله الممثل ليتعاونا سوياً ليقنعانا بالهدف الايجابى فى المسرحية برمتها ، وكانت هذه الثغرة التى انطلقا منها هى : إهمال بهلوان السيرك ليصبح ظهوره كماليا ، مثل الزائدة الناتئة التى يجب أن تستأصل من الإصبع لكنها تترك بسبب الخوف من الألم ! وهكذا أصبح كل جزء السيرك كذلك ، عرضا منفصلا لا لزوم له ، مع أننا لا ننكر أنه روَّح عن البعض بمشاهده الاستعراضية اللطيفة !





بورتريه لتحية حليم .. رسم حامد عبدالله

بقلم: كامل زهيري



غنائيات تحية حليم

فى لوحات تحية حليم غنائيات وانغام .
لأن خطوطها تُنشد والوانها تُغنى .

وقد ورثت تحية حليم موهبة الموسيقى عن جدتها لامها . وعن امها أيضا .

وكانت الجدة عازفة كمان فى قصر الخديو اسماعيل ـ برتبة اليوزباشى أى النقيب .

وكانت أمها تجيد العزف على العود فى ساعات الصفاء .

وقد ورثت تحية حليم الموسيقى من هذا الفرع النسائى الذى ينزل من اصول تركية قوقازية . ونقلت تحية حليم الموسيقى من الاذن الى العين . فوضعت ايقاعها وانغامها . وغنائياتها فى رسمها ، واغلب لوحاتها ـ لذلك ـ شديدة الضخامة ، كبيرة المساحة ، هائلة المعمار كالسيمفونيات . وبعضها : عزف جميل منفرد .

ومنذ امسكت التلميذة الصغيرة بالقلم لتعلم الهجاء احست بشغف جارف للانتقال الى "الوان الشخبطة" ، وفى كشكول الواجب فى مدرسة الاشراف الابتدائية للبنات بالعباسية ، اكتشفت مدرستها مسز دافيدسون مدرسة اللغة الانجليزية ان التلميذة لا تترجم الكلمات من الانجليزية الى معناها بالعربية . بل ترسمها .

وتذكر تحية حليم ان المدرسة فوجئت أن تلميذتها وضعت امام كلمة Kick ، اى يقذف او يضرب رسما لولد صغير يركل بقدمه كرة القدم .

وقد لفت المدرّسة بالكشكول على بقية الفصول ، وعلى فصول الفتيات الاكبر بالذات للفرجة على ابتكار الصغيرة والتحريض على الفنون الجميلة . وبقدر ما احست تحية حليم بالرضا والاعتزاز تذكر ان امها الحنون كانت تبدى قلقا من ولع ابنتها بالرسم بأى شىء على كل شىء . واعلنت فزعها لأن الصغيرة تغطى مخدات النوم بالرسوم بكل ما يتوفر لها من الوان واصباغ .

وكانت الأم ـ كأى سيدة تركية ، مهمومة بالنظافة الى حد الوسوسة ، ويبدو ان النظافة عند الاتراك ليست مجرد وسوسة . بل فضيلة أيضا .

واذكر اننى منذ سنوات بعيدة ، كنت ازور مدينة ايفيزوس التركية على تخوم مدينة ازمير على شاطىء البحر الابيض . وبها أطلال مدينة رومانية قديمة ومسرح ضخم وسوق واسع ومكتبة كبيرة .

وكان المرشد السياحى التركى مفتول العضلات يردد ما يحفظه .

ويبدو اننى لم اخف اعجابى بضخامة المسرح الرومانى . ثم ابديت انبهارا بالطريقة التى تضمن وصول الصوت من جوف المسرح الى أعلى المدرجات الحجريّة البعيدة .

وحين مررنا على بقايا المكتبة ، قال المرشد :

ـ وكانت بجانب المكتبة بيوت النساء السملة . اى الساقطات . وقد سقطت جميعها أيضا .

وقلت :

ـ الفكر والجسد . فأى جوار بين المكتبة والماخور . كأنهم لم ينسوا شيئا .

ومال عنى المرشد . خارجا عن نصه المحفوظ ، قال :

ـ بل نسوا امرا هاما جدا .

وتوجست ان يقطع هذا المفتول اندماجى فى الخيال . وانا اكسو بالوهم تلك الاطلال الشاسعة الممتدة وقد حمصتها الشمس ، وشققها طول الزمن .

واستمر المرشد كأنه يصدر حكما قطعيا ونهائيا :

ـ لم تفطن الامبراطورية الرومانية على عظمتها لمرفق هام تميزت به الامبراطورية العثمانية !

فألتفت نحوه مستفسرا .

وقال المرشد المفتول :

ـ نسوا الحمامات .

وقال باغتباط واعتزاز :

ـ الحمام التركى هو ارقى ابتكارات الامبراطورية العثمانية .

* * *

ولم ينس الأم وسوستها بالنظافة التامة ، ولم يهدىء من روعها من ولع الصغيرة بالرسم على المخدات سوى قصة كشكول المدرسة . فقد وصلت إليها قصة الكشكول والجولة بين الفصول بتفاصيلها كاملة . وادركت الأم ان البنت

عنايات
تحية حليم

بها ميل جارف للفنون وللرسم بالذات واهتمت الأم بموهبة الصغيرة التي كانت قد عكفت الى البيت ، ولم تكمل تعليمها الثانوى حتى السنة الثانية . فتعهدها المدرسون وتعهدتها الدروس المنزلية على عادة البعض فى تعليم البنات . ولكن الصغيرة استبد بها حب الرسم ، حتى اختلط ما تراه وما تراءى لها .. ما تراه من اشخاص واشياء وما يتراءى لها من خطوط والوان . وكان لابد ان يرعاها ويضبط رؤيتها واحد من مدرسى الرسم .

وفى مصر الجديدة ، وبين شارع الزقازيق أمام سباق الخيل ، وشارع النجوم ـ واسمه الان شارع حسن علام ، انتقلت العائلة الى بيتها الملك .

وعاشت العائلة فى بحبوحة ويسر . فوالدها الاميرالاى محمد أحمد حليم وصل فى مراتب ضباط الجيش الى رتبة كاتم اسرار حربية ، ثم لواء ثان ، ثم وظيفة الياور الأول للملك فؤاد .

وكانت تحية حليم تنتقل من مصر الجديدة الى ميدان الخديو اسماعيل حيث مرسم استاذها الأول جورج طرابلسى . وكان المرسم يقع فوق مقهى ايزائفتش الشهير . لأنه كان مقهى رحبا يجاور محلا لا يقل عنه اتساعا لبيع الفول ؛ كما تخصص فيـه عدد من المهـاجرين اليوغوسلاف المسلمين بوسط القاهرة . وكان المقهى ملتقى المثقفين والموظفين ، لموقعه المركزى ولأنه يجاور مطعم الفول . فكان المطعم والمقهى يستطيعان تعهد الزبون بالنواشف الراسخة الى السوائل المهضمة ومن الصباح حتى منتصف الليل . وكان الفنان السورى جورج طرابلسى يتعهد هواة وهاويات الفنون الجميلة . ومنهم تحية حليم . ولكنها لم تستمر معه سوى عامين فى دراسة منتظمة ، لانه قرر فجأة ان يترك مصر مهاجرا الى كندا .

وفى هذه المرحلة حدث لقاء تحية حليم مع الرسام حامد عبدالله .

وكان اللقاء فى معرض صالون القاهرة على احدى لوحات الفنان . وكان حامد عبدالله قد اصاب شهرة بين المجددين . وكان شديد الحرص على استقلاليته الى حد العنجهية ، ويأنف من اخضاع الرسم للأيدلوجيات . وما حاجته ؟! فقد كان بسليقته وطبقته شعبيا ولد وعاش فى وسط شعبى وسط مزارع حى المنيل . وكان اغلب هذا الحى مزارع تطل على النيل وتمتد فى خضرة يانعة . ولم يكن اثرياء الحرب أو الذين اغتنوا من تجارة الجلود والدباغة . قد قرروا بعد العبور من الضفة الشرقية للنيل الى ضفته الغربية ومن حى المدابغ خلف سور العيون الى جزيرة الروضة لبناء عماراتهم الشاهقة .

وفى صالون القاهرة تسمرت تحية حليم اما لوحة حامد عبدالله كانت خطوطه معبرة قوية ، وبها عنفوان وعناية بالتكوين والتوازن والمعمار ، وفى اللحظة التى جالت تحية بعينيها مع خطوطه القوية المعبرة ، وكانت تحدث نفسها فى سرها تتمنى لو سارت فى طريقه ، اقترب منها صاحب اللوحة .

وعليه ملاحة فى اعتداد . يسألها رأيها .

وفى حديث ، يتقاطع بين الرؤية والكلام ، وبين اللوحة وصاحبها اعترفت تحية انها تعشق الرسم ، هائمة به ، تجربه ، وتتعلمه أيضا عند الفنان جورج طرابلسى .

وقالت : ولكنه غادر مصر مهاجرا .

وابدى حامد عبدالله استعدادا للمعاونة ، ولطفا بالمعجبة الشابة واقترح ان يعرفها بصديق من الرسامين اليونانيين . له مرسم ومدرسة فى شارع قصرالنيل جوار جريدة جورنال ديجبيت . وقال ان اسم جيروم اختصارا فرنسيا لاسم يونانى اطول هو جيرونوميدس .

وفى مرسم قصر النيل التحقت تحية حليم ، وتدربت على رسم الموديلات ، وثنيات الأقمشة ، والطبيعة الصامتة والسيطرة على المنظور وعلاج الظل والنور .

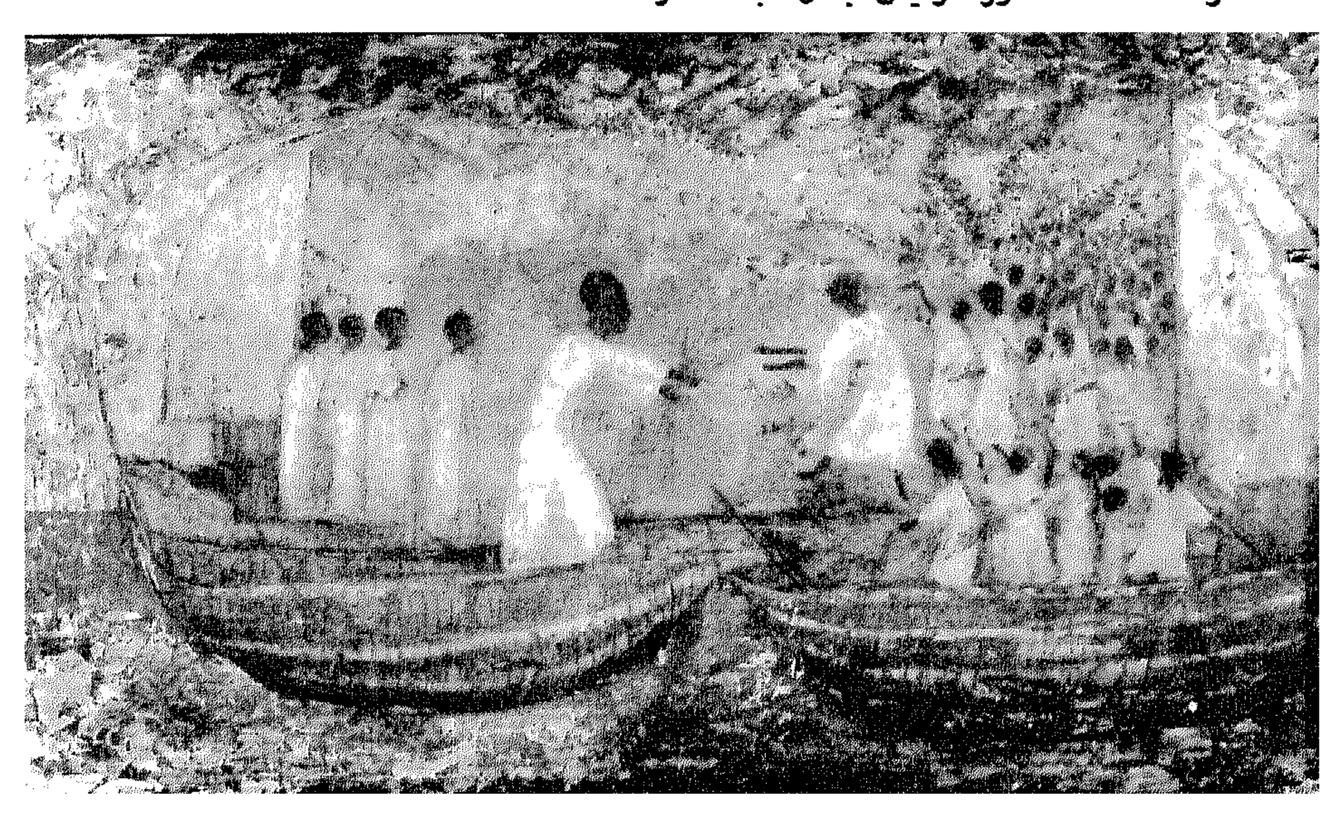
وقد بقيت من هذه المرحلة المبكرة لوحات ،منها زهور (٤٠ × ٤٠ سم) عام ٤٣ من مجموعة الدكتور أحمد رياض زوج شقيقتها الصغرى احسان . وبقيت كذلك صورة "رأس رجل" (٢٠ × ٢٠) عام ١٩٤٣ ، وهى لعجوز موديل كان يحضره جيروم ، وتحتفظ الفنانة بها . فى بيتها المرسم بالزمالك .

وتطورت العلاقة بين الرسام الواثق والرسامة الشابة من اعجاب الى حب فزواج .

وعاش الرسامان فى بيت عائلتها بمصر الجديدة .

وفى هذه المرحلة رسم لها حامد عبدالله احدى روائعه ـ التى لازالت تحتفظ بها فى غرفة نومها مع صورها الفوتوغرافية العائلية ، وجاءت لوحة حامد عبدالله «لتحية» فريدة فى القطع ، اخاذة للوجه والتعبيرات ، وهى بالباستيل تجمع بين القوة والرقة . ولعل الحب حينذاك اختصر المسافة بينهما ، فاقترب الرسام

لوحة للفنانة تصور الرئيس جمال عبدالناصر



غوائيات
تحية حليم

اكثر من موضوعه ، وجاءت الملامح اوضح ، واطلت نظرة اللوحة على نظرة المشاهد . لتلتقي النظرتان لتلدا احساسا بالألفة الحميمة .

وجاءت لوحة تحية حليم بريشة حامد عبدالله رائعة . وترى تحية أنها تضارع روائع الباستيل التى برع فيها مانيه وديجا ورينوار .

وكانت اللوحة رائعة حقا ، لأنها ثمرة القرب والحب بين رسام ورسامة . واثمر الحب بين الفنانين فكرة اصبحت هاجسا تحول الى مشروع وخطة للسفر ـ الى باريس .

[٢]

وباريس كانت غوايتنا جميعا . وكانت غواية جيل بأسره . فقد اغوانا بها طه حسين وتوفيق الحكيم ، وزكى مبارك وأحمد الصاوى محمد .

وكان الجميع يتحدثون عنها بأصوات مختلفة ، وكأنها معنا .

ومن نجا من عصفور من الشرق وشطحات الحكيم الفنية بين المقاهى والملاهى فى مونمارتر وموبنارناس وفتاة شباك مسرح الاوديون ، لن ينجو بالقطع من احاديث طه حسين عن اندريه جيد وجان كوكتو وايتامبل واندريه موروا . وقد كانت مجلته الشهرية الرائعة ـ الكاتب المصرى ـ تنقل كل شهر فى ذلك العهد احدث الكتب واخر الصيحات فى المسرح والفن والفكر والادب ، وكأننا نعيش فى ضواحى باريس .

ومن نجا من طه حسين ، أو توفيق الحكيم ـ ونادرا ما يحدث ـ لابد أن تدهشه مباهاة الدكاترة زكى مبارك بباريسياته ، أو يطيب له هذا الغزل المفتون بمدينة النور لأحمد الصاوى محمد .

ولم ينج جيلنا من روائع الغزل وفيض الاعترافات .

فقد ورث جيلنا من أجيال قبله هذا النسيب بالادب الفرنسي . والعجيب أن اغلب القراء اتجهوا مع أدبائهم اتجاها لاتينيا ، والى الادب الفرنسى من مطلعه الكلاسيكى عند هوجو ولامارتين وترفال وموباسان وبلزاك وصولا الى بريتون وميشو وسوبو وجاك بريفير .

ولم يتجه أدباؤنا الا قليلا الى الادب السكسونى .

وكما اتجهوا الى الادب الروسى فى مطلعه اتجهوا الى الادب الفرنسى من مطلعه الى اخر صيحاته .

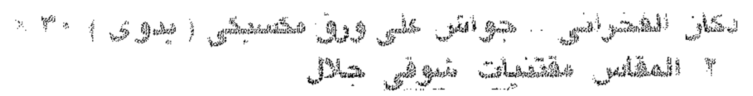
وكان الحديث عن الفن لا يختلف . حتى اصبحت باريس مدينة الفن والنور ، حلما وغواية لا ينجو منها مراهق أو رشيد . كاتب أو رسام .

* * *

وسافر الفنانان عن طريق البحر الى فرنسا على سفينة يونانية فوق السطح صيفا .

وكان أخطر ما فى تلك الغواية الباريسية ان باريس فيها كل المدارس الفنية . فاذا اردت الجوكنده رأيتها ، واذا اشتقت للرسم التأثيرى وجدت له متاحف ومعارض وطقوسا ودراسات . واذا جنحت للرسم التعبيرى عثرت على روائع رو ولوكوشكا . واذا تطوحت الى السوريالية وجدت المدرسه حية بأحبارها وكهنتها ، وشهدت معارض حية لبيكاسو وسلفادور دالى واندريه ماسون وماكس





دكان الفخراني . جواش على ورق مكسيكي (يدوي) ٣٠ ×
٢ المقاس مقتنيات شوقي جلال

غنائيات
تحية حليم

أرنست وماجريت .

تجمعت عصور الرسم من النهضة الى السوريالية فى مدينة واحدة . وراء أسوار المتاحف ، وفى قاعات المعارض .

وفى باريس ، ما هو أكثر .

لأنك لا تكاد تفتح النافذة حتى يطالعك منظر جميل يليق برسام .

فالفن والذوق على قارعة الطريق !

ولم يكن يصل تحية حليم سوى ٢٥ جنيها من أمها كل شهر . وهو يقل عن مأكل فرد واحد يقنع بالكفاف . فكيف بالمأكل والمسكن والدفء والانتقال ؟

ولكنى اذكر أن حامد عبدالله كان ايامها مهموما بقضية اخرى غير المأكل والمشرب والمسكن ! هى قضية الضوء الشرقى واختلافه عن الضوء فى الغرب . وكنت نفسى قد انتقلت من الهند الى باريس ، ولاحظت نفس الملاحظة حتى انى كتبت عن الفوارق بين السماء فى دلهى والقاهرة وباريس .

ففى دلهى يشتد الضوء ، ويتسع الفضاء ، وتصبح السماء اعلى سقف فى العالم . وفى مصر سماء بين السناء والضياء . بينما السماء فى باريس مثقلة بالسحاب الرمادى الذى يتكىء على قمم ابراج الكاتدرائيات .

وكان حامد عبدالله مهموما بمشكلة البعد الثالث . فالضوء الباهر يلغى المسافة ، ويبهت الخطوط ، وقد ظلت هذه قضية تؤرقه بعد انتقاله من النور الظليل الى الدواكن والرماديات !

وفضلت تحية برقتها وهدوئها ان تقتصد من قوتها أكثر من النصف لتدفع نفقات الدراسة المنتظمة فى اكاديمية جوليان بشارع بيرى بالقرب من الشانزلزيه . وهى أكاديمية عريقة اخرجت ماركية وفرنان ليجيه وغيرهما .

وكانت حياة شديدة القسوة فى الشتاء واغلب الصيف .

جربت الفنانة وزوجها الحياة اياما على شرب الماء القراح .

وعكفت تحية حليم على دراسات التشريح والحركة والاكواريل . والفن فى باريس تخمة . وكانا عامين قاسيين لذيذين صورت فيهما تحية لوحات من النافذة ، والحى اللاتينى ، ومونمارتر ، وحديقة فى مارس ، وملابس دى ترتر ، وشارع كولومبو وبائع ابو فروة ، والباعة الذين يفرشون موائدهم فى سان ميشيل ، وانشغلت الفنانة بالسيطرة على قواعد النمو ، واجرومية التكوين ، ومزج الالوان ودراسة التشريح والحركة ، لانها تريد ان تستكمل الدراسة الاكاديمية قبل ان تطلق لقلبها وخيالها ويدها العنان .

وقد رسمت تحية حليم المقهى الذى كنا نفضله فى الحى اللاتينى ، وهو مقهى الماسكوت او تميمة الفال الحسن . ولايزال المقهى قائما حتى الان على مشارف حديقة اللوكسمبورج ولقاء الميدان بنافورته المتدفقة ، وبولفار سان ميشيل وشارع سوفلو الذى يسلم نفسه للبانتيون مثوى فولتير وموليير ، ولمكتبة سانت جنفييف اقدم مكتبات باريس والمكان المفضل لطه حسين ، وقد شهد حبه لسوزان ، حين كانت تقرأ له ، فى غرفة خصصوها لهما .

وكنا يوم الأحد نهجر مقهى الماسكوت لأن فرقة فن الموسيقيات

تغزوه في الظهر ، تعزف موسيقى الفرقة . وما كانت تلك الموسيقى تكفى آذاننا الشابة المتعطشة لما هو اعنف عند فاجنر أو حتى موزار .
وكنا نهجر المقهى يوم الأحد ، لتاتيه تحية حليم لرسم عازفات مقهى الماسكوت !

واذكر من تلك الايام ان حامد عبدالله وتحية حليم ذهبا لمتحف اللوفر ، وقد صحبتهما لأن حبيب جورجى كان يقيم معرضا فريدا عن الفن المصرى . وكان جورجى مربيا عاشقا لمصر . واراد ان يثبت مواهب المصريين في الفنون التشكيلية بالبرهان القاطع . فاحضر عددا من صبية الفلاحين الذين لم يتعلموا الهجاء ، ووضعهم امام مادة الصلصال . فلذا بايات من الفن التلقائى تخرج من بين اصابعهم الغضة .
وقد سبق حبيب جورجى بتجربته في الخمسينيات تجربة الحرانية في الرسم باعوام واعوام وكان كثير من المصريين يقضون الصيف ـ بطوله ـ في باريس . فكان جورج حنين وزوجته اقبال ـ بولا ـ العلايلى حفيدة احمد شوقى يقيمان فصل الصيف في فندق ماديسون بسان جرمان دى بريه . وكان رمسيس يونان يقيم في شارع نيرون في غرفة صغيرة مشطوفة السقف قرب السطح وكان توفيق صالح وعبدالقادر التلمسانى ونبيل الالفى وحمدى غيث ومصطفى صفوان وعشرات من اعضاء البعثات ، والفنانين ، والدارسين ، والمتنزهين المصريين .
وعاشت تحية حليم تخمة باريس العقلية ، تنتقى كل يوم من عشرات المتاحف ومئات المعارض التى تنشر اخبارها مجلة "آر" . فامامها عروض حية لماتيس ودالى ، وبيكاسو ، وماكس ارنست ، وفرنان ليجيه والمثال مايول والمثال جياكوميتى .
ولكن الضائقة المالية كانت تزداد ، وكانت الضائقة الزوجية . وكان الشحان ثم كان الشجن .
وتذكر تحية حليم انها ادركت ذلك من يومها الأول في باريس .
فقد هبطت فندقا زريا ببولفار سان ميشيل الشريان الرئيسى في الحى اللاتينى . ولم تكن باريس قد جددها المتوطنون العائدون من الجزائر بعد ، ولا غسل وجهها اندريه مالرو ، حين بيض عماراتها الداكنة . وتذكر انها فتحت دولابا متهالكا فكاد يسقط عليها باكمله لولا ان لحقها زوجها بذراعه .
فصاحت : ـ من أولها .
ولكنهما ضحكا ، وانفلتا الى شوارع باريس بالليل .
واذكر ان تلك الأيام لم تخل من متعة وطرافة ، واكتشاف نوع من شبع العين بمشاهدة الفنون ينسى مواعيد الطعام .
فقد اقام حامد عبدالله ـ بعد عدة فنادق ـ في بيت مدام فيلر وراء كاتدرائية نوتردام . في قلب باريس القديمة .
وكانت الكاتدرائية الضخمة تبتلع كل شىء . أو كانها اكبر من الجزيرة التى بنيت فوقها ، وتتوسط نهر السين .
وكانت الحركة تتركز في الصباح داخل الكنيسة وامامها . اما وراءها فالشوارع مهجورة صامتة . وبقدر ما كان النشاط كبيرا امام الكنيسة بقدر ما كان الحى وراءها هادئاً .

◄ حيّ مونمارتر بباريس زيت على قماش (١٩٥٠)

غنائيات تحية حليم

فالمقاهى والدكاكين لا تشتغل الا على السياح الذين يزورون الكاتدرائية فى الصباح . وكان الباعة يبيعون الورد ، أو تماثيل العذراء . ولا احد يشترى مثل هذه التماثيل اذا اقبل الليل .

وبقدر النشاط والجلسة ساعات الصباح والظهيرة كان الحى خلف نوتردام يحيطه الصمت . والشوارع الفرعية لاتكاد تجروء على النظر فى داخلها من فرط الوحشة والجهامة . كأن جريمة قتل قد وقعت فى الحى ، وانتهى البوليس من رفع الجثة وجمع الادلة ، ولم يلتقط سكان الحى انفاسهم بعد !

وعلى حافة الشارع كان دكان واحد . يقفل زجاجه ويرفع بابه فلا تدرى اذا كان مغلقا ام مفتوحا . ولكنك تستطيع ان تلمح من خلف واجهته الزجاجية عشرات التماثيل الدينية التى تصور المسيح مصلوبا ، والعذراء ساجية ، والقديسين باكين !

وكنت أحس بالدهشة فى طريقى كلما مررت بذلك الدكان المغلق المفتوح .

ـ فكيف تجتمع كل هذ الآلام فى مكان واحد ؟

وبيت مدام فيار ، قديم فى زاويته

يوم الحنة من تقاليد أهل النوبة (جواش) ١٩٨١





غنائيات تحية حليم

دكان بقالة كانت تجلس فيه ولا تبرحه ، وكانت ذكية منفعلة ومترهلة . وكانت لا تسمح لاحد بسكنى بيتها الا اذا كان موهوبا .

ولا يهم بعد ذلك ان دفع الاجرة بالفرنكات او باللوحات والتماثيل .

وكانت السيدة فيار تصدر ايضا مجلة خاملة لاحدى الهيئات . واصبحت في سنها وسمنتها غريبة الاطوار !

فقد كانت لا تسمى الفنانين من سكان بيتها باسمائهم .

وكانت تسميهم باسماء مدارسهم الفنية .

فتطلق على ساكن الغرفة التى تقع تحت بير السلم "التكعيبى" . والرسام الذى يسكن بعد السرداب "السوريالى" . ومن يسكن الغرفة التى لها شرفة "الانطباعى" .. وهكذا .

ونادرا ماكانت المالكة تنطق باسماء سكانها . ولا نادت على احد باسمه ، عرف الجميع انها تحس بالوحشة وتريد ان تثرثر معه حول ذكرياتها عن ايام مونبارناس ومونمارتر وليالى سوتين وموديليانى .

وفى اول زيارة ، سالتها عن غرفة حامد .

فقالت :

- فى نهاية الحوش .

ودخلت غرفة اكبر من ان تكون غرفة . واصلح ان تكون مخزنا .

وكانت الرطوبة تهبط من سقفها وتصعد من ارضها !

وقال حامد عبدالله مفسرا :

- تحتنا الان بئر كبير . وقد يصل الى سرداب طويل الى كاتدرائية نوتردام ، وهالنى ان يعيش الصديق هذه الحياة الرطبة فى غرفة اقرب الى البئر فى اقدم بقعة فى باريس .

وادرك حامد عبدالله حيرتى ، فقال :

- انها اللعينة !

وادركت انه يقصد المالكة راعية الفنانين .

وسالته : الا يمكنك أن تحصل على غرفة اخرى . فوق قليلا قرب غرفة السوريالى او غرفة التكعيبى .

فقال من جديد : اللعينة !

انها تقسمنا حسب مدارسنا الفنية .

وحين سالتنى اى المدارس اتبع ، قلت لها :

- انا حر مستقل وليست لى مدرسة .

فقالت اللعينة :

- غرفة البئر تصلح لك الان . مادامت اتجاهاتك لم تتضح بعد . هل هى البلكونة ام السرداب ؟!

وضحكنا لغرابة مدام فيار ، ونحن نضع اقدامنا فوق المدفئة

* * *

وكانت تحية قد آثرت العودة

وبقدر ما ازدحم العامان من حياتها الباريسية بالمعاناة والطرائف كشفت تحية حليم عن صبر أيوبى ، ومثابرة بغير مكابرة ، وانفتحت لها ابواب مدارس الفن على مصراعيها ، وتوقفت كثيرا عند سيزان الذى احبت فيه التقييم الرائع بين خطوطه الثرية ودوائره المشعة وتراتيل الوانه الزرقاء والخضراء . وتيقظت عينها لسلم الوانه الذى يتصاعد كالسلم الموسيقى والصوت الموهوب القوى ،

وبحثه العنيد عن فن الرسم بعيدا عن الأدبيات . ووقفت - وهذا ايضا طبيعي - عند رسام اخر هو جورج رو . فقد كان رائعا بجراته فى التكوين ، واقتحام المساحات ، وثراء اللون الرنان ، وكأنه يرسم لوحته بريشة مشتعلة .

ووضح لنا فى باريس أن تحية حليم تنتحى جانبا ، وان ما يشبه حرب الاستقلال قد بدأت بينها وبين زوجها ، وكان واضحا تماما انها مشغولة عن أى شىء ، فى صمتها البليغ ، بالمغامرة مع اللون .

فكيف يمكن للون فى اللوحة أن ينبع منها ، ولا يسقط عليها . كيف تضع اللون على اللوحة فيبدو انه يخرج منها ولم يوضع فوقها .

وعادت من باريس للقاهرة ، اكثر نضجا واشد حزنا .

وهى تحس انها تخرجت فى مدرسة الاستاذ السورى ، والاستاذ اليونانى ، ثم الاستاذ المصرى ، ثم مدرسة باريس ، وقد اكتمل لها اسلوبها الخاص الذى كان يبحث عن موضوعه الاثير : - مصر .

وبين لقاء معرض القاهرة وتجربة باريس ، ظلت هواجس تصوير المجاميع الشعبية ، وجماهير القاهرة ، وقد حان الوقت لتعود الى المواضيع التى تمنت وهى شابة .

ولكنها عادت اشد حزنا واكثر نضجا ، وقد اتسقت فيها الرؤية والرؤيا .

- الى مزيد من الرسم .

[٣]

وبقدر ما تلمح الالوان القاسية - مع عناية دائمة بالتكوين - فى لوحة الجوع (٣٥ × ٦٠ سم) ١٩٥٣ ، أو الصياديون (١٢٠ × ٨٠ سم) ١٩٥٣ ، والأم ، (٨٠ × ١٢٠) عام ١٩٥٣ ، وفى سليمان والهدهد (٦٠ × ١٠٠ سم) عام ١٩٥٨ ، ودمار الحرب (٣٠٠ × ١٥٠ سم) ١٩٥٩ ، استمرت تحية حليم فى موضوعاتها المصرية الاثيرة . وقد بدأتها منذ بدايتها بتصوير المظاهرات عام ٤٦ أو ٥٤ ، وتصوير الجماهير الخارجة من المسجد .

لكن تحية حليم بدأت تتخلص من القسوه اللونية التى تراها عند جورج رو أو لوكوشكا وائمة التعبيرية ليصفو لونها ، ويتهدج خطها ، وصهلت موهبتها الغنائية الشاعرية كلما عالجت موضوعا مصريا شعبيا ، سواء كان موضوعها مكانا .. أو انسانا .

ومن منا لم يسمع فى مقهى الفيشاوى بحى الحسين قراءة الفجر صوت الشيخ ابراهيم بائع الكتب (١٠٠ × ٨٠ سم) ١٩٦١ . والشيخ ابراهيم كان كفيفا .

فقد كان ربعة . لم تسعفه الحياة باتمام تعليمه الازهرى حتى العالمية ، ولكن بقيت فى نفسه بقية من حب الادب والفكر ، فارضاها ببيع الكتب بين عشاق السهر وسمار الليل والملتذين بطول السهاء .

وكان الشيخ القصير فى حجمه المربع يكشف عن قوة بدنية خذلتها بلاريب عاهته . ولو لم تصبه تلك الافة اللعينة التى تضيف كل عام للازهر صفوفا لا بأس بها من المجاورين او حتى المقرئين ، ولو كان ابراهيم بقريه الى الأرض ، وتربيعة جسده ، قد جمع وفرة العافية والقدرة على

غنائيات تحية حليم

البصر لاحتمى عن جدارة فتوة ـ له حول وطول ـ بين فتوات الحسينية وباب الشعرية وسوق الليمون .

وحتى لو كان اهتدى بالله ، وارتضى بما دون ذلك لأصبح بالقطع مكيسايتاً فى حمام بشتك المشهور ، أو فى احد الحمامات الحديدة التى تندس سرا كالشقوق الملتهبة بين البيوت القديمة حول

تفاصيل من لوحة الزواج في النوبة ـ متحف الفن الحديث
زيت على قماش (١٩٦٢)



الهودج للفنانة نجية حنيد زيت على قماش (١٩٦٣)



غنائيات
تحية حليم

مقام الحسين .

وكان الشيخ ابراهيم صاحب فراسة وظرف . لا ينسى صوتا من زبائنه سواء كان قد جادله فى الثمن أو كشف عن علم واطلاع .

وكان الشيخ ابراهيم قبل الخطو الى المقهى يرسل صوته الينا .

ويستطيع ان يميز بيسر مواقع التجمعات ، وانواع الاصوات ، فيدرك منها انماط سمار الليل ، ما بين جاد وهازل وساهم أو بين هلوك متلكع ومستشرق قابع مترقب ، أو حتى خليعة معتادة من بنات الكومبارس تتشبث ان تجعل ليلها ليلين ، فلا تكاد تنهى سهرة المسرح ، حتى تأتى سملة ، مادام فى الليل بقية . لا تريد العودة الا بعد ان يغلق الارهاق حواسها تماما !

وكان الشيخ الربعة ـ يتأبط كتبه ، ويربط جلبابه فى خصره ، لتفسح خطاه ، ويقطع طريقه بين اكوام الساهرين وقد بدأ طول السهر يفك من ربطة تجمعاتهم ، وبدأت خطوطهم تنهزم وتنفك كجيش عائد بعد معارك الكلام !

وكان الشيخ ابراهيم بصوته ، ولطفه الساخر ، وصوته العميق الذى يرن باسماء طه حسين ومصطفى صادق الرافعى واحمد حسن الزيات وجوستاف لوبون ، لونا من تجليات الحسين ، والازهر والسوربون ، فالتقطته تحية حليم بمقدرتها وحبها ، وتذكرنا تلك اللوحة الرائعة (١٠٠ × ٨٠ سم) المجموعة الخاصة بالفنانة ، بخطوطها القديمة وضرباتها الواثقة ، بلوحة أخرى سبقتها بنحو عشرة اعوام ، لبائع ابو فروة (١٩٥٠ ـ خاصة بالفنانة ايضا) وألوانها المائية ، لكن اللوحتين تتشابهان فى العمارة اللونية ، والخطوط القوية ، والزواج البسيط السعيد بين الالوان . وهى ايضا لرجل ربعة . وان كان اختيارها القاهرى بعد عودتها كانت للشيخ ابراهيم لرجل الغذاء الادبى ، وكان اختيارها الباريسى لرجل ابو فروة شوقا للدفء والغذاء .

* * *

وبقدر ما توجهت تحية حليم بالحنين والحنان ، وانكسرت امامها حدود الزمان ، التقت بالفن الفرعونى ، ومنه تعلمت روائعه الفريدة وتداخل اللون فى خامة الجدار ، مما ينتج ملمسا خاصا ويعطى الانطباع ان الرسوم تتنفسُ ، وتنبض .

وأية الاعجاز ان ينبع اللون ويشع من اللوحة ولا يسقط عليها . وكانت هذه دائما قضيتها المحورية ، وقد خلصت من فزع الالوان فى الاتجاه التعبيرى الاوربى الى صفاء وتنغيم أصبحا طابعها الخاص والمميز .

وكانت مصر النوبية ـ الرحلة ، والمرحلة ـ قمة رحلاتها الروحية والفنية .

وقد وجدت ضالتها واودعت قلبها .

ولو ان تحية حليم خيرت فى أية بقعة

تفضل الحياة لاختارت النوبة ، تلك البقعة الضوئية التى ينبجس من ذراتها المتلألئة نور سعيد .

انها بلاد الغبطة الضوئية . وبلاد الهدوء النفسى ، بين سماء مفتوحة ونهر نشيط . فى رحلة يقطعها هادرا من فخم سماء ، يغير عمائمه السحابية التى تتشكل وتتلون ، لايكاد يعقد عمامة حتى تفكها الرياح ليعقد أخرى من لون اخر وبشكل جديد . ويعوض ما بإقدامه فى بحيرات شاسعة ويتبذل متلافا بين العشب وبحر الغزال ، ليستعيد رشده ، متجها صوب النوبة حيث الرعد ، وهو يمر بثمان دول ثم يكاد يصبح سلسبيلا كلما اقترب من النوبة ، المفصل الذهبى للنهر طويل القامة الذى يشبه النخلة ذات الفرعين عند المصب .

وقد تدفقت تحية حليم ، وتوهجت - فى الستينيات - فى مرحلة النوبة ، وتقول تحية حليم انها لم تشهد بوليسا ، ولم تسمع رجلا يشتم زوجته ، ولم تحضر شجارا او نقارا . بل هم اشتراكيون دون ايدلوجية - لأن المركب تجيىء محملة البضائع والشاى والسكر . ولا احد يقول هذا ملكى فكل شىء يوزع على الجميع .

وتوهجت وتدفقت تحية حليم - وجاءت رائعتها الضخمة "الخبز من الصخر" وجاء السلام ، وعروسان فى النوبة ، والسيدة والمصباح ، وهذه الارض لنا ، والانسان ، وفرحة النوبة بالرئيس عبدالناصر والسلام وأغنية النيل ، والنيل بالنوبة ، وزواج فى النوبة ، واربع نوبيات فى مركب ووفاء النيل والانسان ، وسيمفونية النوبة ، وغيرها وغيرها تعاقبت كالامواج انغاما فوق انغام تنشد فيها تحية حليم لمصر المكان والزمان .

وبقدر ما تكأكأ الفنانون الرسامون والشعراء والمفكرون على النوبة قبل أن تذهب فى سبات طويل تحت الماء ، وبقدر ما افلتت لوحة او لوحتان من ابداع كل فنان ، كانت النوبة هى اللحن المميز لاعمال تحية حليم ، فقد صبت كل حنانها فى النهر والناس .

وقد كشفت تحية حليم قدرتها المذهلة على استخلاص الحنان حتى من قلوب الرجال . ومنذ رسمت لوحة حنان - ١٩٥٨ والتى فازت بجائزة

جوجنهاين الدولية كشفت عن تلك القدرة العاطفية الفذة حتى تحسب ان الفنانة لم تعد عظما ولحما ولكن دفقا هائلا من مشاعر الحب والحنان

والصورة لرجل معمم بجلباب ابيض يجلس على دكة وقد حمل طفلا فى عبه بجلباب ازرق وعند قدميه اوزة سمراء وعلى الدكة ابريق برتقالى ، وكليم ابيض وبرتقالى وازرق واسود .

احتضان الرجل لابنه ، والتداخل المنغم ، يكشف مفتاح تحية حليم .

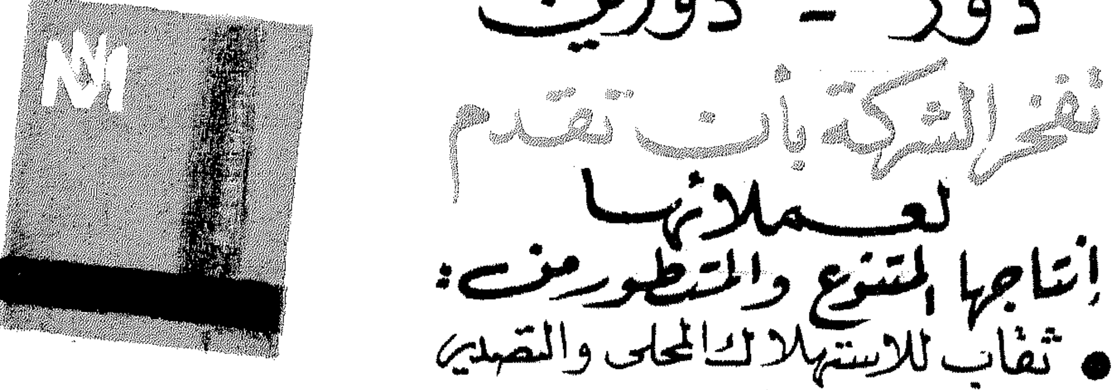
وهى القدرة على تصوير العلاقة الانسانية ولا يختلف ذلك الحنان عن ذلك الشوق الذى تمتد فيه الايدى فى صورة عبدالناصر ويداه تمتدان الى الناس ايضا .

وعلاقات اللون مثل علاقات الناس ، كالموسيقى لا يجيد عزفها الا قلب ملىء بالحنان . ■

شركة النيل

إحدى شركات هيئة القطاع العام للصناعات الكيماوية

رائدة صناعة الثقاب والأبلاكاج
والمساكن الخشبية سابقة التجهيز



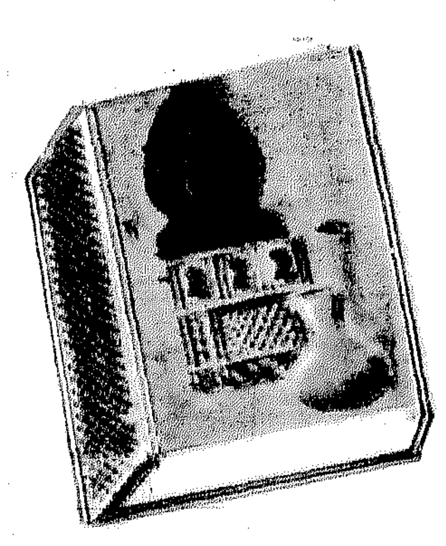
دور - دورين

تفخر الشركة بأن تقدم

لعملائها

إنتاجها المتنوع والمتطور من:

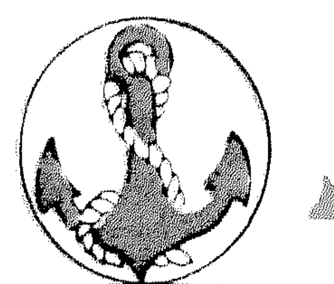
- ثقاب للاستهلاك المحلي والتصدير
- كبريت علب خشب
  ٤٠ ، ٥٠ "عود"
- كبريت أمشاط كرتون
  ٢٠ ، ٣٠ ، ٤٠ "عود"
- طلبات خاصة من:



الثقاب الفاخر

للفنادق والسياحة

للاستعلام: الإسكندرية ١٩ شارع الصحافة المنشية ت: ٨٠٠٤١٥ / ٨٠٠٣٦٧



للكبريت

مشروع المساكن الخشبية سابقة التجهيز

كما تفخر الشركة بأنه تقدم إنتاجها الجديد ذا التصميم المصرى المطور بالخبرة الفنلندية من وحدات المنشآت الخشبية سابقة التجهيز ذات الدورين وذلك بمعرض الاسكندرية الصناعى الزراعى

وذلك بجانب إنتاجها المطور من الوحدات الخشبية سابقة التجهيز ذات الدور الواحد ... وتقدم الشركة خبراتها المتخصصة فى تصميم النماذج حسب مساحة الموقع واحتياجات العميل.





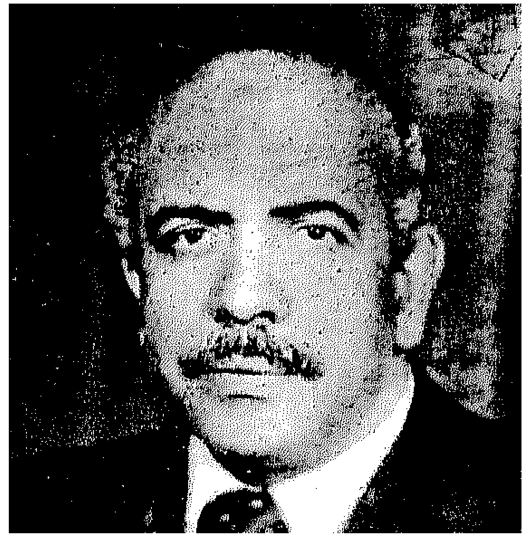
صورة من داخل الفيلا للسيد الرئيس حسنى مبارك أثناء زيارته لاحدى المساكن الخشبية سابقة التجهيز وبجانبه السيد المهندس أحمد شكرى حطب رئيس مجلس ادارة الشركة وقد أبدى السيد الرئيس إعجابه بالتصميم والإنتاج وبما وصلت اليه الشركة من تقدم فى هذا المجال.

القاهرة مصنع بشتيل ت: ٣٤٧٢٢٤٢ / ٣٤٧٢٢٤١

شركة النيل للكبريت

رائدة صناعة الكبريت والمساكن الخشبية سابقة التجهيز

●● شركة النيل للكبريت هى رائدة صناعة الكبريت والمساكن الخشبية فى مصر ، وقد شهدت هذه الصناعة تطورا كبيرا على مدار عمرها الطويل ، وذلك بفضل الجهود التى يبذلها ابناء شركة النيل للكبريت واستخدام أحدث الأجهزة التكنولوجية التى تظهر فى العالم ●●



السيد المهندس/ احمد شكرى حطب
رئيس مجلس ادارة شركة النيل للكبريت

اولا

● **فيللات خشبية من دورين :**

واذا كانت شركة النيل قد قدمت فى السنوات السابقة المساكن الخشبية الجاهزة خدمة للتعمير فى مصر واسهاما منها فى خدمة السياحة المصرية .. فانها تفخر بان تقدم للمتعاملين معها احدث منتجاتها من المساكن الخشبية الجاهزة .. فيللات من دورين ودور واحد كاملة المرافق وعلى أحدث النظم العالمية وذلك بالاشتراك مع الخبرة الفنلندية المتطورة فى مجال صناعة المساكن الخشبية .

وشركة النيل للكبريت لم تدخر جهدا فى سبيل النهوض بهذه الصناعة وذلك بالتدريب المستمر لعمالها للوصول الى المستوى العالمى والاطلاع على احدث النظم العالمية فى هذا المجال ، كما قامت الشركة باستيراد احدث الاجهزة التكنولوجية فى هذا المجال .. ومن هنا كان هذا التطور الكبير الذى شهدته الشركة فقد قدمت لعملائها فيللا من طابقين على مستوى عالمى وبتصميم مصرى بالاشتراك مع الخبرة الفنلندية وذلك بجانب انتاجها المتطور من الفيللات ذات الطابق الواحد وهذه المنشات تاخذ اشكالا متعددة .

- فيللات حديثة التصميم .
- وحدات سكنية لمواقع الانشاءات
- وحدات مكاتب ادارية للمشروعات

● عنابر اعاشة لحقول البترول واستصلاح الاراضي .
● شاليهات للمصايف والاستراحات
● اكشاك ومخازن .
● وحدات متعددة المنافع والاغراض

● مواصفات عامة للمنشآت

هذا وتقدم الشركة خبراتها المتخصصة في تصميم النماذج حسب مساحة الموقع المقامة عليه واحتياجات العميل وتقوم الشركة بتنفيذ الطلبات الخاصة طبقا للرسومات التي يقدمها العميل باى مساحة وبعدد الحجرات المطلوبة والتوزيع الداخلي للمنافع والشكل الخارجي .

وتقوم الشركة بصناعة الحوائط الخاصة بالمبنى من بانوهات من الخشب السويدى المكسو بألوان الجارد بورد ، ويتكون السقف من طبقتين : الأولى سقف افقي بارتفاع الحوائط ، والثانية سقف جمالون من الخارج مغطى بالصاج المجلفن المضلع .

وتصنع الابواب الخارجية من الخشب السويدى بخردوات حديثة وكذلك الابواب الداخلية ، ويتم الطلاء بالبويات المقاومة للرطوبة والحرارة والحريق بثلاثة أوجه ، وتجهز الحمامات بحوض لافونو فاخر بقاعدة ومرحاض وكومبنيش ودش بخلاط وسماعة تليفون وبانيو .

ويجهز المطبخ بحوض استنلس استيل بالخلاط ودولاب تحت الحوض ٢ ضلفة وتجهز الوحدات بالتوصيلات الكهربائية بالكامل .

ثانيا :

● ثقـــاب أمـــــان للاستهلاك المحلي :

كما تقوم شركة النيل للكبريت بانتاج جميع انواع الثقاب من العلب عبوة ٥٠ ، ٤٠ عودا وتنتج الامشاط ٢٠ ، ٣٠ ، ٤٠ عودا وكذلك الثقاب الخاص بالتصدير عبوة ٤٠ ، ٥٠ من العلب وتنتج الامشاط ٢٠ ، ٣٠ ، ٤٠ عودا والذى تقبل عليه شركات السياحة والفنادق وشركات الطيران نظرا لجودته الفائقة

● تصدير الثقاب

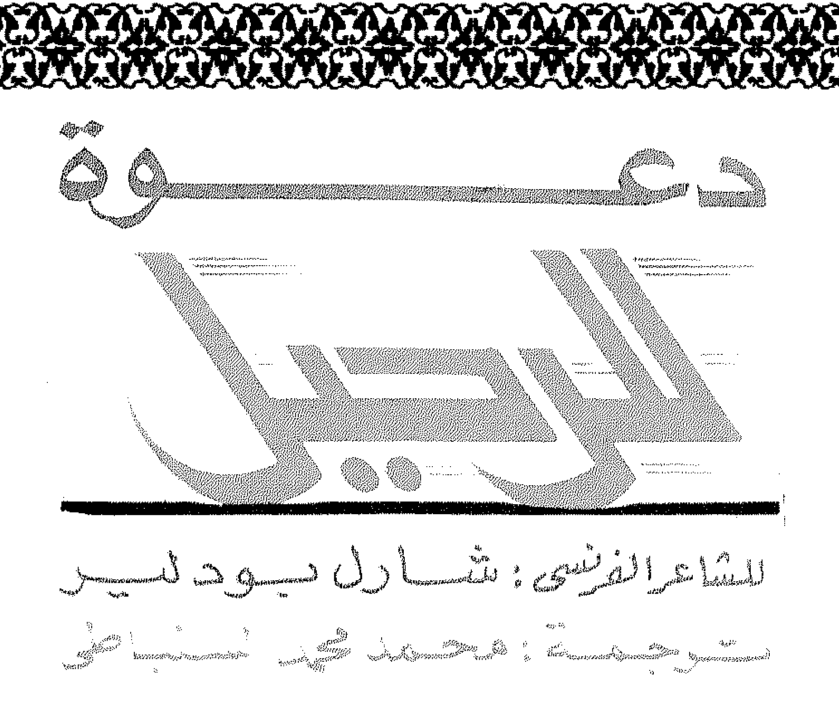
كما تقوم الشركة بانتاج انواع متميزة من الثقاب العلب والامشاط المخصصة للتصدير الخارجي والتي تحمل علامات المستوردين على اغلفة فاخرة مطبوعة طباعة جيدة ، وقد قامت الشركة في الفترة الأخيرة بتصدير انتاجها الى تونس والسعودية والعراق وقد تم الاتفاق على تصدير الكبريت المصرى للسوق الأوربية بـ ٢٠ مليون دولار خلال السنوات الخمس القادمة ، كذلك تم فتح اسواق كبريت جديدة في بلجيكا وشمال افريقيا والسودان الشقيق .

ثالثا :

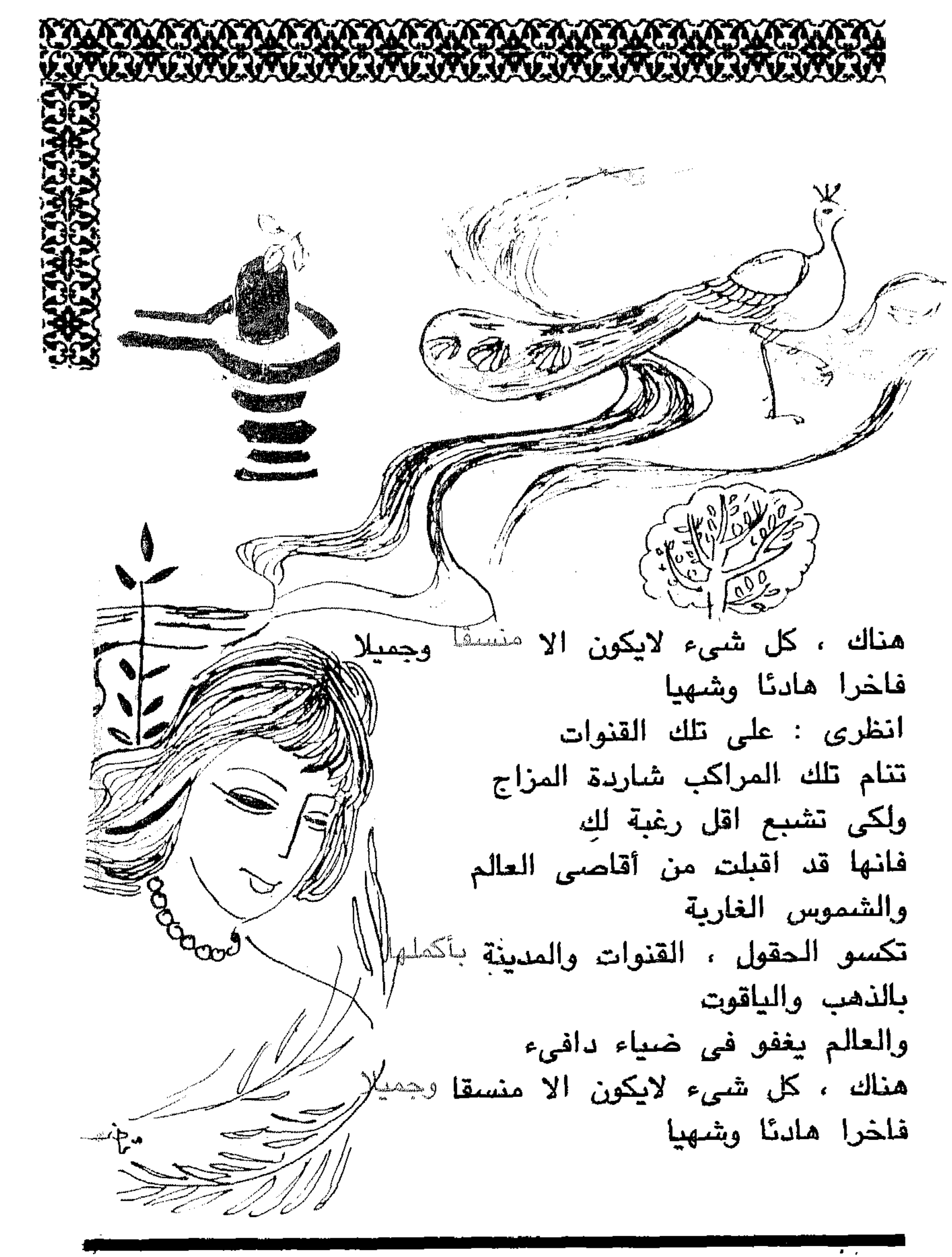
● صناعة الأخشاب :

وتنتج الشركة اخشاب الفينير والأخشاب المضغوطة ذات الكثافة العالية والتي تستخدم في صناعة قطع غيار آلات النسيج كالأنوال والمواكيك وغيرها بمواصفات مختلفة .. كما تنتج الشركة خشب الابلاكاج من جزوع الاشجار والحور والاسبن المستورد .

هذه لمحة سريعة عن شركة رائدة من شركات الصناعة المصرية .. تقدم نموذجا لما يمكن ان يحدث من تطور للانتاج ومن قدرة على المنافسة على المستوى العالمي وذلك بفضل الادارة الرشيدة الواعية والعمالة المدربة التي تعي دورها في خدمة وطنها تحمل شعار "صنع في مصر" الى كل العالم



ياطفلتى ، يااختى
احلمى بعذوبة ان نحيا معا هناك
نحب فى هدوء بال
نحب ونموت
فى البلد الذى يشبهك !
الشموس الندية
فى تلك السموات الغائمة بروحى
لها السحر الغامض لعينيك الخائنتين
اللامعتين عبر الدموع
هناك ، كل شىء لا يكون الا منسقا وجميلا
فاخرا هادئا وشهيا
اثاث فاخر صقلته السنون
يُزين حجرتنا
واندر الزهور
تمزج عطورها بأريج العنبر
الاسقف الغنية والمرايا العميقة
الفخامة الشرقية
كل شىء يتحدث فى سرّية الى الروح بلغته الاصلية



هناك ، كل شيء لايكون الا منسقا وجميلا
فاخرا هادئا وشهيا
انظرى : على تلك القنوات
تنام تلك المراكب شاردة المزاج
ولكى تشبع اقل رغبة لكِ
فانها قد اقبلت من أقاصى العالم
والشموس الغاربة
تكسو الحقول ، القنوات والمدينة بأكملها
بالذهب والياقوت
والعالم يغفو فى ضياء دافىء
هناك ، كل شيء لايكون الا منسقا وجميلا
فاخرا هادئا وشهيا

★ [كتب شارل بودلير هذه القصيدة وهو يفكر فى مارى دوبرين التى احبها فى براءة وتبتل]

★★ إطلاق لفظ الاخت على الحبيبة كان شائعا لدى الرومانسيين

قضايا حيوية

حول أساليب الصراع الفكرى

بقلم: طارق البشرى

تفضلت مجلة « الهلال » ونشرت في عددى مارس ومايو الماضيين موضوعا عن أساليب الصراع الفكرى . وقد اسعدنى كثيرا ان يجد هذا الموضوع صدى لدى عدد من كبار مفكرينا ذوى الثقافة العالية .. وذوى الاهتمام الجاد بشئون الجماعة الوطنية ، وهم على توجهات فكرية متعددة . وهم الاستاذ الدكتور محمود عبدالفضيل ، والكاتب الكبير الاستاذ مصطفى الحسينى ، والاستاذ الدكتور محمد سليم العوا . فكان إثراؤهم الحوار غاية فى الأهمية ، وددت لو أن لنا جميعا من فسحة الوقت مايمكن من استمرار هذا الحوار على هذا النحو الموضوعي الجاد المطمئن ، بعيدا عن كل ذلك الصخب الذى يختلط فيه الفكر بالدعاية ، وتختلط معارك الفكر بمعارك السياسة اليومية باختلافات الأفراد .

وتعقيبا على هذا الحوار ، يهمنى ان اشير الى عدة ملاحظات تتعلق بحديثى السابق عن « اساليب الصراع الفكرى »

الملاحظة الأولى اننى كنت قسمت موضوعى قسمين ، قسم حاولت فيه أن اوضح رؤيتى الخاصة للتضاريس الاساسية للخريطة الفكرية فى الحياة السياسية المصرية ، مع الاشارة العاجلة للطرف التاريخى الذى اوجد تلك التضاريس حسبما ظننت ، وحرصت ان اوضح هذه الرؤية فى البداية ، لأنى حرصت على الا يلتبس موقفى فى نظر القارىء ، ولأن الحديث عن اساليب الصراع المستخدمة من اطراف الصراع جميعا ، قد يوهم القارىء اننى « محايد » او اننى بعيد عن هذا الصراع أو اننى أنصب نفسى حكما بشأنه . وهذا غير صحيح وهو لا يجوز . وحرصت نفيا لهذا الوهم أن اوضح للقارىء اننى اقف داخل نطاق الصراع الفكرى القائم ولست خارجا عنه ، ولعل الحديث عن اساليب الصراع من أطراف الصراع انفسهم أجدى كثيرا .

الملاحظة الثانية ، كان اهم ما يهمنى توضيحه فى هذا الأمر ، أن ثمة

اسلوبين للصراع الفكرى ، اسلوب الحوار الذى يبغى الوصول الى تسويات فكرية بين المتحاورين فيرفع عناصر التنافى فى الافكار المطروحة والاسلوب الثانى اسلوب قتالى يبقى استبعاد الطرف الآخر وتصفيته الفكرية . ولا اعتراض لى طبعا على اصل وجود الصنفين ، كما انه لا اعتراض لى على أصل وجود اسلوبى الحرب ، والتسوية فى الصراعات الدولية . انما وجه الاعتراض الذى اقتضى منى الحديث هو ان هذين الاسلوبين قد اتبعا بالمخالفة لما يتعين ان يجرى عليه الحال ، فاستخدمت ادوات القتال بين من أتصور أنهم حلفاء وساد اسلوب التسوية بين من أتصور أنهم خصوم . أرأيت لبنان ، كيف إندار مواطنو البلد الواحد على بعضهم بعضا تقتيلا وذبحا ، وكيف اندارو على خصومهم تفاوضا وهدوءا .. هذا بالضبط ما حدث عندنا فى المجال الفكرى ، ونحن اليوم فى مصر نشكو من « لبننة » الصراع السياسى والفكرى .

وفى هذا السياق ذكرت ما ذكرت عن ان كلا من قوائم رصد المشكلات وقوائم رصد الحلول تكاد تكون سليمة ... ولكن المعضلة تقوم فى وصل الخطوط بين كل مشكلة ونوع حلها وكان القصد توضيح المعنى السابق . فالحديث موجه لهؤلاء الذين تجمعهم أهداف عامة واحدة إستقلالا للوطن ونهوضا به . وهؤلاء بالافتراض « وبالتعريف » يجمعهم إدراك عام واحد لنوع المشكلات المطروحة ونوع حلها . ونحن اذا فقدنا « مجمع الأهداف والحلول العامة » فلن يكون لحديثى معنى لأننا سنفقد ما يقوم به النظر العام المشترك بين الأطراف المتحاورة . وعندئذ يصير من المنطقى والواقعى ان تقوم الحرب الفكرية وان تستمر . وأننى عندما تحدثت فقد افترضت أن من اتحدث عنهم وأتحدث إليهم هؤلاء الذين يلتقون فى هذا « المجمع العام » .. اى اننى اتكلم « بالتعريف » والاقتراض فى اطار التيارات الفكرية للحركة الوطنية .

وقد عاب علىّ د . عبدالفضيل انى اتصور ان الخلاف يقوم « فى مجرد توصيل الخيوط بين كل من بنود القائمتين (قائمتى رصد المشاكل والحلول) ، وصيغته تعنى ظنه اننى اهون من الخلاف ، رغم اننى قصدت التهويل وليس التهوين ، لأن الخلاف فى ادراك المشاكل او ادراك الحلول ، أيا كانت خطورته وضخامة حجمة ، فهو معقول وهو قابل للمواجهة باساليب المواجهات الفكرية والاجتماعية والسياسية المختلفة ، من التصويب البسيط للخطأ البسيط ، وانتهاء باستخدام العنف والاقتتال . اما ان تكون المشاكل والحلول مدركة ولكننا نصل بين المشكل وعكس حله ، فهنا نجد انفسنا امام ظاهرة تشبه المرصد العقلى فى الساحة الاجتماعية ، هى نوع من الخطل واضطراب الادراك ، وكنت احسب اننى بهذا التصور الذى ذكرته اثير ازعاج القارىء ولا اهون عليه .

وعلى سبيل المثال بالنسبة لاوضاعنا المادية ، نحن لدينا مشكلة نقص فى الأرض الزراعية بالنسبة لاحتياجاتنا من الزراعة ، ولدينا مشكلة اسكان ، وامامنا حلول تتعلق بزيادة الرقعة الزراعية وزيادة المساكن ، والحلول مدركة ، ومتاحة

بشكل نسبى . فاذا شاهدنا اننا فى سلوكنا الاجتماعى نعكس بين المشكلة وحلها ، بان تقيم المساكن على الارض الصالحة للزراعة او المزروعة فعلا ، ونستصلح الارض الجدباء حتى تخضر ثم نقيم عليها المصانع فتبور . واذا شاهدنا ان القاهرة تنمو للغرب فتآكل الأرض الزراعية رغم امكان نموها اصلا فى الصحراء المتأخمة شرقا . هنا نحن لا نهوض من مشكل ولكن ننبه الى نوع من اضطراب العقل الاجتماعى ، هو أشد خطرا من المشكلة ذاتها وهم اعظم ضررا على اهدافنا كلها . وبالمثل فى صيغتى الوافد ، والموروث ، نبقى استرداد الضائع وحفظ القيم ، فاذا صنعنا العكس لم يكن هذا خطأ وغفلة فى ايجاد الحلول ، ولكنه خطل وارتباك فى ميزان الامور ومنهج ادراك الامور ، وهذا افدح اثرا واشد ضلالا واعظم خطرا على الامة ومستقبلها .

ومثل ثالث : اذا نظرنا الى التراث وجدنا فيه ما يلزم استبقاؤه واستصحابه وما يحسن تجاوزه . فاذا رأينا بين ظهرانينا من ينظر الى الفقه الاسلامى والشريعة على انها مما يحسن تجاوزه ، ثم ينظر الى « الف ليلة وليلة » على انها مما يتعين استبقاؤه بنصه وفصه والا صار ذلك عدوانا على الفن وانتهاكا لقدسيته ، كان هذا من الخطل الذى يتعين علينا ان نشير إليه .

والملاحظة الثالثة على حديثى السابق ، اننى حرصت على الا احدد مسئوليات ، ولا حاولت ان اشير الى تيار بعينه أيا كان ، على انه المسئول عن شن تلك الحرب الفكرية ، أو على الاستمرار فيها . حرصت الا أفعل ذلك لعدد من الاسباب ، منها اننى لست حكما وقد ابعدت نفسى من البداية عن شبهة كونى كذلك ، ومنها ان تحديد المسئوليات عن الأحداث العامة أمر يملكه المؤرخ كمحاولة منه لتحليل ظواهر الماضى . اما ظواهر الحاضر فالحديث عن المسئوليات فيها هو جزء لا ينفصل عن صراعات الحاضر . وان الخصام الذى يدور حول اية قضية عامة ، خليق ان يثور هو نفسه بين ذات الأطراف التى تتجاذبه ، وذلك حول من المسئول عن اثارة هذه القضية او هذا الخصام والاحداث العامة تقوم وتنمو وفقا لتسلسل للأفعال وردود الأفعال ، تسلسل لاتكاد تبين بدايته ، فالحديث عمن بدأ هذا الحدث أمر سيبقى محلا للخلاف من جانب الأطراف التى تتناول هذا الحدث ، ومادام أن الحدث العام انما يتشكل غالبا وعامة من تسلسل افعال وردود أفعال ، فستبقى البداية غالبا بداية ظنية ليست يقينية ، ولن يعدم اى طرف ان يجد فى هذا التسلسل نقطة بداية من صنعه او من صنع خصمه ، حسبما يرى فى الحدث من اوزار يريد القاءها على الغير او من محاق يريد نسبتها لنفسته .

ولننظر مثلا الى الحرب الايرانية العراقية ، فالايرانيون يرون فى اقتحام جند العراق اراضيهم بداية للحرب ، والعراقيون هذا الإقتحام مجرد رد فعل للهجوم السياسى والاستفزاز الايرانى للعراق . ويبقى الامر هكذا متشابها حول أى الاعمال يعتبر فعلا وايها يعتبر رد فعل . ومادامت الحرب قائمة فهى راد ومردود ، ومن يعلق إنهاء الحرب على تحديد من المسئول عن قيامها ، يكون قد علق الانهاء على شرط لن يتحقق ، لأن تحديد المسئولية فى هذا الظرف سيبقى وجها من وجود الصراع الدائر ، ولن يعدم كل فريق ان يجد وقائع يسند بها دعواه ، ولن يعدم كل فريق أن يستنبط منطقا معينا يؤكد به وجاهة الاشارة الى نقطة معينة فى تسلسل الوقائع يراها بداية للحدث القائم ، والأحداث تجرى على تسلسل معين كراد ومردود ، كما نعلم .

لذلك ارجو من القارىء ان يتفهم وجهتي فيما كتبت فى هذا الشأن ، وأنى حرصت على ألّا يتطرق الحديث الي مسألة من المسئول عن استخدام الاسلوب الحربى . وحسبى ان نعرف ماذا يحدث واى اسلوب يستخدم واى ادوات تستعمل فى الجدال ، واى مخاطر تتربص بنا جميعا فى هذا الشأن ، ثم ينظر كل منا الى نفسه فيحاسبها بروح المسئولية العامة عن الامة والوطن .

ولذلك ارجو ان يتفهم د . عبد الفضيل هذا الأمر ، فانه بدأ حواره وجرى فيه مسرعا فى فواتحه الى قول « دعونا نتساءل من ذا الذى يبادر باغلاق الحدود الفكرية واغلاق باب الاجتهاد والحوار » « وأجاب على الفور بان القى التهمة على ممثلى « تيار الاسلام السياسى ومن يشايعه » ، ولم يعدم قولا يقتطف من « أحد ابرز ممثلى حركة الأخوان » يشير فيها الى من يرفض الشريعة لا يعتبر مسلما وذكر أن منهج الأستاذين الشيخ محمد عبده ورشيد رضا يخالف هذا الموقف الجامد .

ويمكننى ان أعلق كثيرا على هذه النقطة ، فاقول ان اصل تطبيق الشريعة هو مقوم من مقومات الاسلام ، ومحمد عبده ورشيد رضا لايجحدان هذا الأصل ، ولا أظن الدكتور محمود اهتدى الى نص لأيهما يفيد هذا النكران ، ولو كانا هكذا لما بذلا حياتهما وجهدهما فى تفسير القرآن الكريم ، وتجديد الفقه الاسلامى ، يمكننى ان استطرد فى التعليق ولكن ارجو ان يتنبه القارىء اننى ان فعلت أكون قد جاوزت الموضوع الذى قصدت الحديث . وارجو للدكتور محمود ولنفسى ان نتحاور هنا فى اساليب الصراع ، والا نستدرج الى استخدام هذه الاساليب . وعلى اى حال فان الصيغة التى يشكو من استخدام « تيار الاسلام السياسى » لها ، يمكن لهذا التيار ان يشكو من مثيلاتها التى تستخدم على ألسنة العلمانيين واقلامهم عندما تنعى على الاسلاميين التخلف والجمود وترميهم احيانا بالخيانة وبمعاداة الشعب والمرأة والفنون والتقدم والعصر ، ولسؤالى أليست كل هذه ادوات نفي للخصم ، وفيها مصادرة للحوار باسم عدم الشرعية ؟ ..

بقيت نقطة حوار مع الدكتور عبدالفضيل الذى أغنى هذه المجادلة أيما أغناء ،

وهى تتعلق بالجبهة وتحفظه على ما أطمح أنا اليه مما سميته « التيار الغالب » وهو فى ظنه امر قد يطمس التمايزات الفكرية والسياسية للقوى المختلفة . وهذه مسألة تحتاج الى عرض أوضح وشرح اكثر لوجهة نظرى ، وقد اسعدنى ما اثاره من تحفظات ، لأن الفكرة فى عمومها لا تقوم على استبعاد الآخرين وانما تقوم على اقامة كيان مرن يعتبر بمثابة « مجمع للأهداف والحلول العامة » يقوم على اسس عامة ويحتمل فى داخله الخلافات والتميزات ويقبل التجدد وهو يقوم على اسس فكرية وسياسية واجتماعية وليس على اسس قانونية ، بمعنى أنه يقوم بالجهد البناء والاقتناع العام وليس بالقهر القانونى ومن ثم يبقى حق الجماعات فى التشكل قائما ، بل يعتبر هذا التيار الغالب هو قوة الدفاع الاساسية لهذا الحق .

ولمصطفى الحسينى تجربة فكرية بالغة العمق ، هى حصيلة خبرة عريضة وعقل متأمل ونفس لا تطيق القيود . وقد فصل ببراعة وبرشاقة بين ما يراه خلافا ليس المجال مجال بيانه ، وبين ما يراه ممّا يتشابه فيه دعاة الموروث ودعاة الوافد من سلبيات علقت بهم جميعا وتسببت فى تلك الظواهر التى نراها فى اساليب الصراع بينهم .. ومن اهم السلبيات المتشابهة لدى الطرفين عنده بعدهما معا عن معالجة الواقع ، وهو هنا يضع ايدينا على مفتاح هام لحل مشكلة « اساليب الصراع » المثارة ، وهو ان نحاول صرف الجزء الأرجح من جهودنا فى الجوانب التطبيقية ولادراك الحلول للمشاكل الواقعية المطروحة ، لنحدد مساحات الخلف فى الواقع ومجالات الالتقاء . على انه تظل هناك نقطة قد تكون مجالا لحديث مقبل ، وهى تتعلق « بما هية الواقع » فالبعض قد يتصور ان « الواقع » هو مجمل الاوضاع الاقتصادية او السياسية الملموسة ، فالوطن كقيمة معنوية هو من الواقع ، والمعتقدات السائدة وما تدين به الجماعة من اصول وقيم هو من واقع هذه الجماعة أيضا .

واذا كان مصطفى يرى اننى ادخلت فى اطار المسلمات ما ليس كذلك مشيرا الى ما ذكرته من وجوب الاقرار العام المتبادل بالاصل المرجعى للشريعة الاسلامية وبحركة التجديد فى الفقه الأخذ منها ، وهو يستند فى هذه الملاحظة الى أنه رغم موافقته على قولى فانه يرى ان ثمة صراعا فكريا حاصلا فعلا بالنسبة لهذه المسألة ويخشى ان يكون فى قولى مصادرة لهذا الصراع . وهذه

النقطة هامة جدا فالخلاف حول أصل الرجوع الى الشريعة الاسلامية هو خلاف قاسم للامة ، وهو انقسام لا اظن اننا نرجو منه البرء، الا ان يحوز مبدأ الشريعة مكانه بين الاصول العامة التى ينبغى أن يلتقى عليها جمهور الامة فى مصر .

واعيد الاشارة هنا الى ما سبق ذكره فى البداية ، من أننى اتوجه بالحديث كله لجمهور الحركة الوطنية ، وفى هذا الاطار فان الانقسام الاساسى داخل هذه الحركة انما يتأتى من الخلاف حول هذه المسلمة . لقد تحولنا الى طوائف متناحرة بسبب وجود من ينكر هذه المرجعية . وانا اتصور ان المصالح العليا للجماعة الوطنية تقوم على اسس ثلاثة تتعلق بالاستقلال العقيدى والحضارى والاستقلال السياسى والاستقلال الاقتصادى ، وانه لايمكن اهدار واحد من هذه الوجوه ، ثم انها جميعا فيما يظهر لنا من سياق حركة التاريخ والفكر والسياسة المصرية ، تمثل حصيلة عامة لهذه الحركة كلها ، وأننا اذا تتبعنا برامج الأحزاب كلها ، وما وجدنا مؤسسة سياسية واحدة فى مصر تنكر صراحة هذا الأمر ، وذلك ايا كانت النوايا بشأنه وأيا كان حجم التناقض بين هذا الوضع وبين المواقف الفعلية . وهذا دليل على ما يتحله هذا الأمر من مكانة بين المسلمات ، فلا يقدر مخالف ان يجهر بمبدأ المخالفة من شأنه .

وقد اسعدنى تعليق الاستاذ الدكتور محمد سليم العوا ، فقد تناول معنى فكرة «السيادة للشريعة» وربط ربطا موفقا بين هذا الأمر وبين الديمقراطية ، وهو ينظر الى سيادة الشريعة لا من وجهة كونها مقوم عقيدى فقط ، ولكن بوصفهما مقوما حضاريا يرعى اوضاع غير المسلمين فى الجماعة الوطنية ويتشكل منه درع المساواة بين المواطنين ، ثم هو يتوجه بالنقد الجاد لبعض روافد التيار الاسلامى ومظاهر التقصير فى هذا المجال ، سواء من حيث الاكتفاء بالظواهر أو من حيث الغفلة عن اوضاع السياسة والاقتصاد ، فكان حديثه من موقعه لأزما وخصبا لأنه وقف على ثغر اخر ليؤكد على روح التجديد فى الفكر الاسلامى ومنهج التجاوب مع الواقع بشأنه .

ان الموضوع كله فى ظنى هام جدا ، وهو يحتاج الى هذا الحوار الهادى الرصين الصريح الذى يبتعد قليلا عن صخب الاحداث الجارية وإن بقى متصل الوشائج بحركة الفكر الدوار فى المجتمع وهو يحتاج الى هذا المنبر الجاد الوقور «مجلة الهلال» التى افسحت لهذا الحوار ، وأرجو ان تفسح له مرات اخرى فالموضوع لم يأذن بالانتهاء بعد .

قضايا حيوية

فى أىّ وحدة مقترحة ...

من يملك الابتعاد عن قضية اللغة ؟

بقلم : عبد الرحمن شاكر

اذا كان المستشار المؤرخ طارق البشرى، قد اعلن في مقدمته لكتاب المرحوم الدكتور على مختار ، الذى يحمل عنوان : ((حول القومية والعروبة والنهضة)) ، ان الحوار قد توقف بينه وبين صديقه الراحل فى حياته ، بسبب ماسماه ((بالتباعد الفكرى)) الذى بدأ ينمو بينهما حول مايمكن تسميته ـ على حد تعبيره ـ ((بالوطنية الاسلامية)) ((والوطنية العلمانية)) ، فانه فى مقالة اخيرة للدكتور على مختار ـ لم يطلع عليها الا بعد وفاته ـ قد وجد فيها جسورا موضوعية للحوار حاول مختار ان يبنيها بين التيار القومى والتيار الاسلامى ، ويضيف فى اخر مقدمته ، ((واذا كان القدر لم يمهله لمزيد من الحوار ، فلا تزال دعوته تستدعى منا اسلاميين وقوميين كل الحرص على استمرارها ، وهذان هما فريقا الوطنية العربية فى هذا العصر، اذا تقاربا واتفقا ولو تطابق ، فلن يقوم عائق في وجه بناء مجتمعاتنا المستقلة الناهضة المتحررة باذن الله .

● اول ما تلحظه المعين ، فى عبارة البشرى الاخيرة ، أنه حينما أراد أن يجمع بين الاسلاميين والقوميين فى اطار واحد يشملهما ، لم يجد سوى تعبير «الوطنية العربية» . ولو تأمل طارق عبارته لاكتشف أنه بهاتين الكلمتين ، قد اسلم الراية لصاحبه الراحل دون أن يشعر ! فما كان على مختار ، وأمثاله من القوميين الا دعاة « للوطنية العربية » ، وتسميتها « بالقومية العربية » لا يغير من الامر شيئا . وليس

هذا من باب « القفش » ألزم بـه طارقا في شيء من فكره ، ولكنني أناشد فيـه عدالة القاضي ودقته ، وأسائله مـاذا يمكن أن تعني عبارته بالتحديد ، لـكى تضم الاسـلاميين ـ كما يرى نفسه ـ والقوميين من أمثال على مختار ،خلاف ما قلت ؟! ورحم الله أياما كان أصحاب هذا الضرب من « الوطنية » فى بلادنا يرون العروبة والاسلام وجهين لعمـلة واحدة ، لا يكادان ينفصـلان ، ولعل طارقا قد ألمح الى شيء مـن ذلك ، فى بدايات مقدمته ٠

● انها لغة القرآن

ومن يتتبع « النظرية » ، التى حاول على مختار رحمه الله ان يصوغها حول قضية الامة ، خـلال المقالات والبحوث التى يضمها كتابه ، والتى جادل فيهـا كثيرا من الكتاب والمفكرين ، والصيغ الجاهزة والمقترحة لتعـريف الامة أو تحديد هويتها ، فيمكن تلخيص الصيغة التى اختارها ، ويكاد يعتبرها ظـاهرة خاصة بالامة العربية ، فى رفضه لبعض الشروط التى حددها ستالين فى تعريفه المشهور فى أدبيات الماركسية للامـة ، بأنها جماعة من الناس تكونت تاريخيا، ولها لغة واحدة وتاريخ مشـتـرك ، وتضـمها أرض متصـلة ولها كيـان اقتصادى موحد ٠ وأن ظهور فـكرة الامة ينتهى تاريخيا الى فترة نشـوء الرأسمالية المعـاصرة ، وتحولها مـن رأسمالية تجارية الى صناعية ثم مالية، وأن الحاجة الى « السوق الوطنية » ، أبرزت فكرة الامة ،والسعي الى توحيدها، أو الاستقلال بها عن أمة أخرى ، بحيث تتطابق الحـدود السياسية للامـة مع حدودها الثقـافية ، الممثلة أساسا فى لغتها الواحدة وتاريخها المشترك ،بعد عصر الامبراطوريات التى كانت تقـوم طبقا لقـدرة احـدى الامم على الفتح والسـيطرة على سواها من الامم أو اجزاء الامم

يرفض على مختار ربط فكرة الامـة بالشرط الاخير في صيغة ستالين وهـو شرط « السـوق الوطنيـة » او الكيان الاقتصادى المشترك ، وبالتالى يرفض اعتبار أن « الامة العربية » وهى قضيته الشاغلة في الكتاب كله ، بل قضية عمر المرحوم مختـار بأسره ٠٠ يرفض أن يقول ان وجود الامة العربيةبهذه الصفة يتوقف على وجود سوق واحدة لهـا ، أو أن نشوءها كان عليه ان ينتظـر عصر الراسمالية ، التى ظهرت اسـاسا في غرب أوربا ، وان الامةالعربية قائمة قبل هذا العصر بزمان طويل ، وان مـا ال اليه امرها بعد الغزو الاوربى ، من الحاق أجزائها كل على حدة ، بالسـوق العالمية للرأسمالية ، وتقسيم العمـل العـالمى لهـا ، من موضـع التبعية باعتبـارها مستعمرات أو أشـباه مستعمرات ، قد حال دون نشوء الحياة الاقتصادية الموحدة ، والسوق الوطنية الموحدة لها ، ان لم يكن قد دمر ما كان قائما من ذلك فيها من قبل هذا الغزو الاستعمارى الاوربى ٠

تبقى اذن مقومات الامة العربية عند على مختـار ، هى اللغـة والتراث والتاريخ المشترك ، والارض المتصلة ، وواضح ولو لم يقل ذلك على مختار ـ ان اللغة العربية اذا انتشرت على هذه الارض المتصلة ، وظلت باقية عليها ، تتحدى فروق اللهجات المحلية من جانب ومحاولات الاستعمار احلال لغته محلها من جانب اخر بفضـل القرآن ، وان التاريخ المشترك الجامع لهذه الامة هو تاريخ الاسلام والثقافة المشـتركة

قضايا حيوية

تفرض لغتنا ، ليس فحسب على العلوم الطبيعية عند المسلمين حين اشتغلوا بها ، بل أيضا على العلوم الدينية عند غير المسلمين من يهود أو نصارى كانوا يعيشون في ديار الاسلام ، وبهذا أوجد الاسلام والقرآن الامة العربية على هذه الارض المتصلة من الخليج الى المحيط . والفارق الرئيسى بين أمتنا والامم الاوربية أن الحضارة المسيحية - اليهودية التى قامت هناك ، وكان الكتاب المقدس ولا يزال هو كتاب عبادتها وأصل ثقافتها ، الا انه لم يكن له نص لغوى واحد يلتزم به الجميع فيما يتعبدون كالقرآن ، الذى يعتبر بيانه العربى هو معجزة نبى الاسلام ! .

وعليه ، فاذا ما تطلع الاسلاميون أمثال طارق البشرى الى وحدة اسلامية، فان دولة الوحدة الاسلامية ، لابد لها من لغة ، مثل أية دولة وحدوية في العالم، مثل الولايات المتحدة الامريكية التى تتكلم الانجليزية ومثل الاتحاد السوفييتى الذى يتكلم الروسية ، فهل يمكن أن تكون هذه اللغة الا اللغة العربية ؟ اننا نتكلم هنا عن وحدة تختارها الامم الاسلامية ، أو جماع الشعوب التى تمثل الامة الاسلامية اذا شاء « الاسلاميون » استخدام هذا التعبير . ولا نتكلم عن وحدة « مفروضة » تمليها أمة أعجمية باسم الاسلام ، مثل الدولة العثمانية مثلا ، فضلا عن أنه على حسب ما قال الدكتور محمد حرب في احدى مقالاته عن هذه الدولة ، أن لغة التعليم بها كانت العربية الى عام ١٩٢٣ ! فاذا شاءت الامة أو الامم الاسلامية أن تتحد مع العرب ، فمعنى ذلك أنها سوف ترتضى أن تصبح - بل تعود عربية اللسان ، والعروبة كما يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : انها ليست بأب لاحدكم ولا أم ، انما هى لسان ! لذلك خلت فكرة العروبة ، والقومية العربية من قضية الاعراق نهائيا ، وأصبحت قضية لسان لاأكثر ، من تكلم به فهو عربى . وحق على كل مسلم أن يعرف العربية أو شيئا منها حتى يتعبد ويقرأ القرآن ، حقا انه لافرق بين عربى ولا أعجمى الا بالتقوى ، هكذا تقضى شرائع الاسلام ، ويمكن للاعجمى أن يصبح مسلما ويبقى على لسانه ولسان قومه ، ولكن الاسلام لا يمكن الا أن يكون عربيا ، لانه نزل على قلب نبيه بلسان عربى مبين !

هل هناك جسر اقرب من هذا بين دعاة الوحدة العربية أو الاسلامية لو تأملوا القضية ؟ ان أيا منهما لابد وأن تفضى الى الاخرى ، وان اتحد العرب ، فلا غرابة فى ان يسعى مسلمون من الامم الاخرى الى الوحدة معهم على شرط عروبة اللسان ، وان اختار المسلمون أن يتحدوا فلا مفر من ان يتخذوا لسان العرب لغة لدولتهم المتحدة ، حتى ولو احتفظت أصقاع من بلادهم بلغاتها الاعجمية المحلية ، كما هو الحال الان فى بعض الدول الاتحادية ، مثل الاتحاد السوفييتى والهند ، مع وجود لغة عامة شاملة للاتحاد وجميع من يعيش على أرضه .

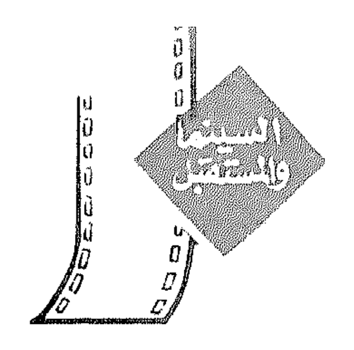
واذا كان التوحيد السياسى ، عربيا أو اسلاميا ، اذا ما تحقق فى الظروف

الحاضرة لابد وأن يكون بالاختيار الحر من جانب الامم أو الشعوب المعنية ، حيث لا يبدو في الافق أن أحدا سوف يعيد توحيد هذه البلاد بالقوة أو الفتح أو حد السيف ·· وحيث أن الوحدة على هذا النحو لابد وأن تكون وحدة ديمقراطية — واعتذر لمن يضيق من الاسلاميين بهذا اللفظ الدخيل علينا من لغات الاوربيين — فان نظام الحكم أيضا فى دولة الوحدة لابد وأن يكون كذلك · واختصر الطريق فأقول ان الثورة الايرانية بعد ان قضت على حكم الشاه · وأرادت أن تقيم نظاما تنسبه الى الاسلام ، اوجدت ما يسمى « بالجمهورية » الاسلامية ، وواضح ان لفظ الجمهورية هذا ليس من موروثات الاسلام ، وانما هو ترجمة لكلمة أوربية ومفهوم أوربى ، ولهذه الجمهورية « برلمان » ، وهو كالديمقراطية ، والجمهورية ، تعبير ومفهوم أوربى سواء بسواء ، بغض النظر عن مدى ديمقراطية هذه الجمهورية ، أو حتى اسلاميتها عند من يخالف مذهبها أو يأخذ شيئا على سياستها !

فاذا ما أراد المسلمون اذا ما اتحدوا فى دولة واحدة ، أن يكون لهم نظام حكم أقرب ما يكون الى الاسلام ، ولنقل « الخلافة » مثلا : فهل يتصور أن يقتصر اختيار الخليفة ، أو أمير المؤمنين ، أو الحاكم ، على أهل الحل والعقد مثلا ؟ ومن الذى يحدد من هم فى هذا الزمان؟ وهل يمكن أن تؤخذ البيعة له بالتراضى أم حد السيف كما حدث فى بعض تاريخ الاسلام ، بعد أن عرف العالم وعرفت بلادنا ورقة الانتخاب ؟ وهى وسواها من الواضح أنها وسائل لم تكن متاحة فى الماضى ، ومن الخيال ان يتصور أحد الاعراض عنها بعد أن وجدت وعرفت ، ولا أحسب أحدا يزعم ان فى استخدامها خروجا على الدين !

تبقى نقطة الخلاف الرئيسية الاخرى بين الإسلاميين والعروبيين فى موضوع تطبيق الشرعية الاسلامية ، وأعتقد أن حل هذه القضية أيضا رهن بالديمقراطية ، فجموع الامة فى الدولة الوحدوية أيا كان اسمها اذا ما قامت هى التى سوف تفرض من خلال ورقة الانتخاب والتصويت فى المجالس المنتخبة ، المدى الذى تذهب اليه الامة فى التقيد بنصوص الشريعة فى أحكامها ولن يستطيع احد ان يصد الاغلبية عن تقرير ما تريد ، لو ضمنت لهذه الاغلبية حرية الاختيار ·

انه فى اطار الحرية والديمقراطية يمكن للحوار أن يتصل ما بين الاسلاميين والعروبيين كما قال طارق البشرى فى تقديمه لكتاب على مختار ، ولكننى لا ارى ما بين الفريقين جسورا للحوار فحسب ، بل اننى أراهما ، على فروق بينهما فى الاصول الفكرية ، قد لا يلتقيان بسبب منها أبدا مثل الخطين المتوازيين ، ولكن لقاءهما غير مطلوب ، بل انهما على توازيهما قد يعملان مثل خط السكك الحديدية ، يحملان معا « قطار » الوحدة لبلادنا الممزقة ، حتى يتحقق الكيان الكبير ، الذى يؤكد على مختار عن حق فى كتابه انه ضرورة لتحقيق النهضة والتقدم العلمى والاقتصادى والصناعى حتى تمثل أمتنا المكانة اللائقة بها بين الامم ، وهو غاية المراد من رب العباد!



الثقافة السينمائية
الرسائل والوسائل

بقلم: د. أحمد أبوزيد

انتبه الكثيرون منذ اول العهد بظهور السينما الى اهميتها وخطورة الدور الذى يمكن ان تلعبه فى توجيه سلوك الناس وتعديل قيمهم الاجتماعية والاخلاقية وتغيير اسلوب الحياة الذى اعتادوا عليه ، بل ان هناك من الكتاب من اعتبرها ابعد الفنون اثرا وفاعلية فى تشكيل العقل البشرى والثقافة الانسانية بوجه عام

وعلى الرغم من أن ارتياد دور السينما قد تراجع فى السنوات الأخيرة فى كل انحاء العالم بما فى ذلك مصر حسب ما تذكر بعض الكتابات (وإن كانت تنقصنا الاحصائيات عن ذلك) فإن السينما بالمعنى الواسع للكلمة ، وكما تتمثل فى صناعة الفيلم وإنتاجه ، لاتزال تقوم بنفس الدور القديم من حيث قوة التأثير وعمقه واتساع دائرته بحيث وصل ذلك التأثير الى مناطق وقطاعات ، من الناس لم يكن يصل اليهم من قبل . وحدث ذلك بعد ان ظهرت وسائل واساليب جديدة تعتمد اساسا على الفيلم وعلى المادة الفيلمية فى اداء رسالتها الثقافية والاعلامية مثل التليفزيون ثم الفيديو . فقد ادت هذه الوسائل الى ملء الفجوة الهائلة التى نجمت عن قلة الاقبال على دور السينما وتراجع ارتيادها . ومن هنا فقد يكون من الصعب الكلام عن السينما كوسيلة من وسائل الثقافة وعن الرسالة التى تضطلع بها دون ان تتعرض بشكل او بأخر للتليفزيون والفيديو اللذين يعتبران الى حد كبير امتدادا للسينما ودورها فى الحياة الثقافية والاجتماعية . فالتليفزيون يقوم الآن وبشكل اكثر فاعلية بنفس الدور الذى يفترض ان تقوم به السينما ، وجاء



ذلك على حساب دور العرض بغير شك . وهو يؤدى هذه المهمة فى ظروف وأوضاع تختلف تماما عن الظروف والأوضاع التى يتم تحتها عرض الفيلم السينمائى فى دور السينما . فبعد ان كان المرء ينتقل بنفسه لمشاهدة الفيلم فى دار العرض اصبح الفيلم هو الذى ينتقل اليه فى بيته .. وقد صاحب ذلك تغيير واضح فى كل المظاهر (الاحتفالية) التى كانت حتى عهد غير بعيد ترتبط بالذهاب الى دار السينما . فقد كان (لحفلات) السينما - كما كانت تدعى - نفس الطقوس ونفس الاهتمام والهيبة التى تحيط بكل العروض الفنية الرفيعة الراقية ، ابتداء من الحرص على ارتداء الملابس الكاملة على الأقل فى الحفلات المسائية الى المحافظة على مواعيد العرض الى الالتزام بآداب السلوك المهذب الرصين الذى يعتبر فى حد ذاته مقياسا ودليلا على الاستمتاع بالفيلم كما كان يساعد فى الوقت نفسه على تحقيق تلك المتعة او ذلك الاستمتاع وهذه كلها أمور لم يعد لها وجود الآن فى الأغلب ، نظرا للتغيرات التى طرأت على بنية المجتمع المصرى واختلاف القطاعات التى ترتاد دور السينما الآن وتغير انماط السلوك والقيم واختلاف الاهتمامات والنظرة الى الحياة ، بل اختلاف معنى ومفهوم المتعة الفنية وتباين المدارك وتغير فهم الهدف من السينما ورسالتها وما أدى اليه هذا كله من اختلاف المادة الفيلمية ذاتها فى الأغلب عما كانت عليه لكى تلائم هذه النظرة الجديدة وتتفق مع امزجة وثقافة الرواد الجدد .

● السينما وديمقراطية الثقافة

فالوظيفة التى يقوم بها الفيلم الآن فى مجال التليفزيون والفيديو إذن هى امتداد لوظيفة السينما بالمعنى الدقيق للكلمة ، وذلك على اعتبار ان الفيلم هو شكل من اشكال التعبير الابداعى عن الفكر يعتمد على الصورة وعلى الحركة أو على الصور المتحركة بقول اصح ، وانتقال الفيلم الى البيوت عن طريق التليفزيون ادى الى

الثقافة السينمائية

اتساع نطاق التأثير الثقافى للسينما ، وساعد ذلك على التقريب بين (ثقافات) مختلف قطاعات المجتمع التى تحرص على متابعة الارسال التليفزيونى وبذلك فإن التأثير الثقافى للسينما يفوق الآن تأثيرها فى الماضى حين كان عرض الأفلام مقصورا على دور العرض السينمائى فقط . كما أن هذا التأثير يفوق ايضا بدون ادنى شك تأثير المسرح .

ولقد كان المسرح يخاطب دائما جمهورا اضيق بكثير من الجمهور الذى تتجه اليه السينما وذلك بحكم طبيعة العمل المسرحى واسلوب المعالجة والاعتماد على السمع - وليس على البصر كما هو الحال فى السينما - فى المتابعة وفى التذوق والاستمتاع وهى عملية اصعب بكثير من الاعتماد على البصر وتحتاج الى مستوى ثقافى اعلى وأرقى - او هذا هو المفروض على الأقل بالنسبة لبعض المسرحيات . وعلى ذلك فإنه يمكن القول ان السينما تساعد على تحقيق مقولة (ديمقراطية) الثقافة ، بمعنى تيسير الثقافة وتقريبها لكافة الأذهان والميول والمستويات الاجتماعية بدرجة لا تتوافر للمسرح وإن كان ذلك يعتبر من المآخذ التى يأخذها بعض (الصفوة) المثقفة على السينما لأنها تنزل فى نظرهم بالثقافة الى المستويات الدنيا من الفهم بدلا من أن ترتفع بأذواق الناس وتفكيرهم وتعمل على تهذيب ميولهم وتربية مداركهم والارتقاء بها .

وليست السينما مجرد شكل من أشكال الفن التى يمارسها البعض ويعجب الآخرون ، إنما هى ايضا صناعة وتجارة ، بل انها من اعقد الصناعات نظراً لاعتمادها على إنجازات تكنولوجية كثيرة ومعقدة وتزداد تعقيدا طيلة الوقت وبشكل لا نجد له مثيلا فى غير السينما من الفنون بحيث اصبحت تدرج لها ميزانيات ضخمة تصل فى بعض الاحيان الى عدة ملايين من الجنيهات ، أو الدولارات للفيلم الواحد . ولقد اصبحت السينما وصناعة الافلام ميدانا هاما لاستثمار رءوس الأموال الكبيرة لأنها يمكن ان تعود الى اصحابها بعائد ضخم ، وذلك اذا احسن اختيار موضوع الفيلم والقائمين بالعمل فيه كما احسن توجيه الفيلم او الرسالة التى يحملها الى الجمهور المناسب . وتكاد صناعة الفيلم تتركز الآن فى الخارج فى ايدى عدد محدود من الشركات فيما يشبه الاحتكار . ونحن لا نتكلم هنا عن مصر بطبيعة الحال حيث لا تتوافر مثل هذه الأموال الضخمة التى يمكن تكريسها للعمل السينمائى من ناحية ، وحيث يتخيل كل ممثل او ممثلة من الناحية الأخرى أن بإمكانه ان يصبح هو نفسه منتجا ومخرجا بقدر ما هو ممثل وكاتب قصة وكاتب سيناريو فى الوقت ذاته . وإنما نحن نتكلم عن البلاد التى اصبح لفن السينما فيها اوضاع وتقاليد راسخة وواضحة المعالم امام الجميع وحيث يعرف كل انسان مكانته وقدراته وقدره ويلتزم بها ، وحيث تقوم الحياة كلها على اساس دقيق وصارم

من تنظيم العمل وتقسيمه واحترام التخصص .

تعتمد السينما فى توصيل رسالتها على (الكلمة) ، وشأنها فى ذلك شأن كل رسائل الاعلام والثقافة وليس المقصود من (الكلمة) هنا الكلمة المنطوقة - المسموعة فقط وإنما المقصود فى المحل الأول الكلمة المرئية او الكلمة المحسوسة التى تتمثل فى الصورة والحركة ..

ولقد كانت الكلمة المنطوقة او الكلام اول اداة للتعبير فى تاريخ الانسان - وذلك اذا نحن استثنينا الاشارة او اللغة الصامتة كما تدعى فى كثير من الكتابات ، وكان الكلام دائما وسيلة نقل وتوصيل التراث الشفاهى كما أنه لايزال وسيلة نقل الثقافة وتوصيلها من خلال الراديو فى العصر الحديث .. ثم ظهرت الكلمة المكتوبة المقروءة فى مرحلة تالية للكلام وأصبحت (أداة ووسيلة نقل الثقافة وتوصيلها من خلال الصحف والمجلات والكتب وما اليها ، حتى ظهرت اخيرا الكلمة المرئية المتجسدة فى الصورة والحركة والتى هى أداة التعبير ونقل الثقافة وتوصيلها من خلال افلام السينما والتليفزيون والفيديو .. وليست الصور المتحركة مجرد اداة تعبير او وسيلة توصيل فقط وإنما هى ثقافة ايضا لأنها تحمل بين طياتها رسالة معينة بالذات لا يمكن توصيلها بهذه الدرجة من الدقة والتركيز الا من خلال الفيلم ، ولذا فإنها تحتاج الى قدرة وبراعة ودراية لقراءتها وفهمها وفك رموزها ولا ينطبق هذا على السينما التسجيلية او على الافلام الوثائقية وحدها وانما ينطبق ايضا على السينما الترفيهية التى هى فى آخر الأمر - ومهما تختلف الآراء حولها - وسيلة للتعبير عن آراء وأفكار ومواقف معينة وبالتالى فهى ثقافة فى حد ذاتها حتى أن لم يظهر ذلك بشكل جلى وواضح لأول وهلة .

وهذا هو ما كان يقصده عالم الاجتماع الكندى المشهور مارشال ماكلوهان الذى توفى فى آخر يوم من عام ١٩٨٠ وذلك حين قال عبارته التى أصبحت بمثابة قول مأثور يستشهد به كل الذين يدرسون وسائل الاعلام والاتصال والتواصل والثقافة الجماهيرية وهى ان «وسيلة الاتصال هى الرسالة» . والمقصود بذلك ان أية وسيلة من وسائل الثقافة والاعلام كالسينما والتليفزيون والصحافة وما اليها هى فى حد ذاتها اهم بكثير جدا من مضمون او محتوى البرامج التى تذيعها او تنشرها وتقدمها للناس . فالناس يقبلون على مشاهدة التليفزيون مثلا بصرف النظر عن البرامج التى يقدمها لهم وعن نوعية المادة التى تتضمنها تلك البرامج اى أن للتليفزيون القدرة على التحكم فى الناس وفى حياتهم وتفكيرهم وأذواقهم واخضاعهم لقوته وسلطاته دون ادنى اعتبار لما يقدمه لهم من مادة ثقافية او ترفيهية او اعلامية . وهذا يصدق ولكن بدرجة اقل على السينما وعلى بقية وسائل الاتصال والثقافة الجماهيرية الأخرى . ولذا فإن الأهمية بمكان ان ندرس ونفهم وسائل الاتصال واجهزة الثقافة وطبيعتها لأنها هى التى تشكل حياة الناس وعقولهم بطريقة لاينتبهون اليها ولا يدركونها ولا يكادون يقدرون خطرها وهذا تغيير جذرى وثورى فى ثقافة الناس وطبيعة هذه الثقافة التى تعتمد على الرؤية والمشاهدة وعلى الصورة والحركة - اى

على الكلمة المرئية ـ بعد ان كانت تعتمد على الكلمة المطبوعة أو الكلمة المكتوبة المقروءة . فالسينما تمثل نقطة تحول خطيرة فى اسلوب التعبير عن الثقافة ونقلها وتوصيلها وبالتالى فإنها تساعد على قيام مجتمع جديد وثقافة جديدة تعتمد على الصورة المتحركة أو الكلمة المرئية بدلا من الكلمة المنطوقة او الكلمة المطبوعة المقروءة .

وهناك ميزة اخرى اساسية تتميز بها السينما او الكلمة المرئية بشكل عام على الكلمة المنطوقة والكلمة المطبوعة فالكلمة المطبوعة ، بل والطباعة بوجه عام لا تتطلب من المرء سوى الناحية البصرية ، كما أنها تقدم له المعلومات مجزأة تجزيئا شديدا فى شكل حروف وكلمات وعبارات وجمل ، أى ان المعلومات مقطعة . وقد أدى ذلك الى ان يصبح الفرد قادرا على الفصل بين فكره واحساسه . والكتاب المطبوع يعتبر بذلك امتدادا لحاسة البصر وذلك بعكس السينما التى هى تجربة بصرية وسمعية معاً وليست تجربة بصرية فقط ، كما أن الشخص المشاهد يندمج تماما مع الفيلم بكل فكره وإحساسه . ويظهر هذا بوضوح شديد فى حالة الأطفال حين يجلسون امام شاشة التليفزيون فيملك عليهم امرهم تماما . ومن هنا اعتبرت السينما حين ظهرت لأول مرة بمثابة خطر حقيقى يهدد الكتاب المطبوع . ثم زاد هذا الشعور بعد انتشار التليفزيون والفيديو حيث يعتقد الكثيرون ان بالامكان الاستغناء عن الكتاب تماما . وهذه مسألة فيها نظر ، وأن كان عالما مثل مارشال ماكلوهان لا يستبعد ذلك ، بل انه يذهب الى حد القول بأنه حين تزول سطوة الطباعة ويضعف سلطانها بدرجة كبيرة فسوف يمكن للانسان ان يستعيد (الجنة المفقودة) التى خرج منها باختراع الكتابة فاختراع الكتابة يشبه فى نظره التفاحة التى استعانت بها الأفعى فى الأغراء والاغواء والتى ادت الى الخروج من الجنة .

فالسينما إذن خطوة هامة وجبارة فى سبيل ربط الناس بعضهم ببعض ليس على المستوى المحلى او حتى على المستوى القومى فقط وإنما على مستوى العالم ككل . وهنا تكمن القوة الحقيقية للسينما .

ولكن هنا ايضا يكمن الخطر الذى تحمله السينما بين ثناياها والذى يجب الانتباه اليه .

● ● ●

يتمثل خطر السينما فى رأى الكثيرين فى أنها عن طريق ذيوعها وانتشارها الواسع فى كل انحاء العالم قد تؤدى الى سيطرة ثقافة معينة بالذات على بقية ثقافات العالم وإخضاعها لسطوتها وأدخال تعديلات جذرية فيها بحيث تفقد هذه الثقافات اهم مقوماتها وملامحها الاساسية التى تميز بعضها عن بعض ، أى ان السينما التى تعتبر فى نظر البعض عاملا هاما فى خلق التقارب الثقافى والفهم المتبادل بين مختلف الشعوب والتى تساعد على التعريف بالعادات والتقاليد وانماط القيم ومظاهر السلوك فى المجتمعات المتباعدة والمتباينة تعتبر فى نظر البعض الأخر عاملا من اكبر عوامل القضاء على الذاتية الثقافية وعلى التمايز

الثقافي الذي يؤلف عنصرا هاما وأساسيا فى الهوية القومية لاى شعبٍ من الشعوب . والمثال الذى لا يحب اصحاب هذه النظرة الأخيرة الرجوع اليه والاستشهاد به دائما هو سيطرة وانتشار الثقافة الأمريكية وغزوها لثقافات الشعوب الأخرى من خلال افلام السينما الأمريكية وبرامج التليفزيون الأمريكى التى تستند الى قدرات مالية ومادية وتكنولوجية جبارة تساعدها على الانتشار وعلى السيطرة بسهولة وعلى جذب الانتباه اليها والاعجاب بها ومحاولة محاكاتها وتقليدها وتقبل الافكار والآراء واساليب الحياة التى تعكسها تلك الافلام والبرامج فالسينما ثقافة ورسالة ووسيلة للتعبير عن هذه الرسالة التى تتألف من أفكار وآراء واتجاهات ، ونظرة الى الحياة وقيم معينة .. وقد ساد كل فيلم فكرة . وهذا ينطبق على الافلام الترفيهية ذاتها وإن بدأ الأمر على خلاف ذلك . وتصل الرسالة الى المشاهدين فى شكل صور متحركة فتجد سبيلها فى سهولة ويسر الى عقولهم ووجدانهم دون وعى منهم أو ادراك وهذا هو بالضبط ما يحب البعض ان يطلقوا عليه اسم (الغزو الثقافى) عن طريق السينما والتليفزيون وما اليهما ، وهو تعبير لنا عليه بعض المآخذ وقد سبق أن عرضنا لذلك على صفحات هذه المجلة (ويمكن الرجوع فى ذلك الى مقالنا عن اسطورة الغزو الثقافى الذى نشر فى عدد مارس ١٩٨٨) .

والواقع ان هذه التأثيرات الاجنبية عن طريق السينما ثم عن طريق التليفزيون تتعرض لها كل الدول وتشكو منها وتخشاها اشد خشية ، أى أن المسألة ليست مقصورة على مصر أو على الدول النامية . ومنذ سنوات قليلة ارتفع صوت وزير الثقافة الفرنسى جاك لانج فى مؤتمر اليونسكو فى مدينة نيومكسيكو يشكو من الهجمة الاعلامية والثقافية الأمريكية على العالم بما فى ذلك المجتمع الفرنسى المثقف ، وهى هجمة ضارية تحمل كثيرا من ملامح السلوك والتصرفات والقيم الأمريكية التى تعتبر فى نظر اوربا سلوكيات وقيما فجة وتفتقر الى العمق الحضارى الذى تتمتع به الثقافة الأوربية العريقة ومما له دلالة فى هذا الصدد انه فى اوائل الثمانينيات تكونت فى فرنسا ايضا ـ وهى احد المعاقل الشامخة للثقافة الانسانية العميقة ـ لجنة تعرف باسم (لجنة الهوية الوطنية) ـ وهى تسمية لها مغزاها ودلالتها ـ وتقوم على اساس التخوف من الفيلم الأمريكى والسينما الأمريكية والتليفزيون الأمريكى وتحاول البحث عن اساليب وطرق للمحافظة على هذه الهوية (الوطنية) وليس فقط الهوية (الثقافية) .

● المحافظة على الهوية الثقافية

وليس المقصود بالمحافظة على الهوية الثقافية إغلاق الابواب والنوافذ دون كل التأثيرات الخارجية لان هذا من شأنه الانعزال عن العالم وبالتالى تدهور الحياة الثقافية ذاتها والتخلف عن القيادات والموجات الثقافية والفكرية التى قد تزيد الثقافة غنى وثراء لو أحسن الاستفادة منها . إنما المحافظة على الهوية الثقافية تتم عن طريق زيادة الاهتمام بمستوى الانتاج المحلى فى مجال السينما (وغيرها

من فروع الثقافة ومؤسساتها) من خلال معالجة الموضوعات ، الاساسية والهامة ذات البعد الانسانى . وليس معنى ذلك ابدا التمسك بطابع الجدية المتزمتة التى قد تثقل على النفس وتخرج بالسينما عن اهدافها الحقيقية ان لم تؤد الى نتائج عكسية تماما . فكما ان الصورة الواحدة يمكن ان تقوم مقام آلاف الكلمات فى توصيل الفكرة والمعنى فأن الموقف او المشهد الفكاهى الجيد قد يغنى عن عشرات المواقف الجادة الصارمة التعبير عن الفكرة ايضا وتوصيلها ، بل وقد يثير فى الذهن من التساؤلات حول واقع الناس والمجتمع ومثله وقيمه مالا تثيره تلك المواقف الجادة الجامدة .

وليس من المفروض ابدا ان توجه السينما (او التليفزيون) طيلة الوقت للتربية الأخلاقية والدينية والاجتماعية والفكرية بشكل مباشر وصريح أو أن تتحول صناعة السينما والافلام الى دروس فى الوعظ والارشاد وان كان ينبغى فى الوقت ذاته الا تخرج عن انساق القيم التى يؤمن بها المجتمع والتى يقوم عليها بناؤه ويرتكز اليها كل العلاقات ، والنظم الاجتماعية السائدة فيه ، وهذا هو المحل الذى ينبغى ان يعتمد عليه المجتمع فى رفض الفيلم السينمائى اذا تعارض تعارضا صارخا مع تلك القيم بحيث يؤدى الى التشكيك فيها ويعرض الحياة الاجتماعية كلها للخطر . وليس فى هذا القول أية دعوة للجمود ورفض التجديد او قبول الواقع المؤلم وتبريره بحجة المحافظة على كيان المجتمع وتماسكه .

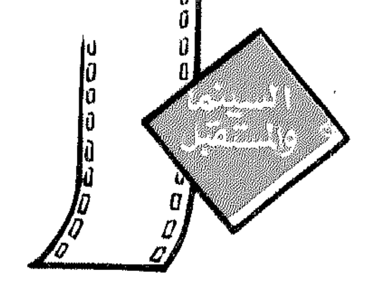
وهذا كله منوط فى آخر الأمر بالمخرج وتصوراته وفهمة للمجتمع القومى وللطبيعة الانسانية . فالفيلم هو محصلة اختيار المخرج بين عدد من البدائل والامكانات ومن هذا المنطلق فإن الفيلم يكون - على ما يقول البرت هنث هو التعبير المجسد لمخيلة المخرج ، الذى يعتبر المحور الاساسى الذى يدور كل العمل السينمائى حوله والذى يحرك ذلك العمل السينمائى بكل عناصره البشرية والتكنولوجية والفنية .

وقد يبدو هذا الكلام غريبا علينا هنا فى مصر حيث يزيد الكلام الى درجة المبالغة المجموحة عن الممثلين من دون المخرج وحيث ترتبط الافلام باسماء الممثلين الذين قاموا بأدوار فيها وحيث يدور الاعلان عن الفيلم ايضا حول الممثلين كوسيلة لجذب الجمهور . وهذا موقف لا يخلو من فجاجة فى التفكير وقصور فى الفهم والنظرة . قلما ان اللوحة الفنية ترتبط دائما باسم الفنان المبدع الذى ابدعها ورسمها وحقق على القماش الفكرة التى تمكن وراءها والتى اوحت اليه بالموضوع مستعينا فى تنفيذ الفكرة بالألوان والأصباغ وغيرها . كذلك الفيلم يرتبط - او يجب ان يرتبط باسم المخرج المبدع الذى قرأ النص وسبر اغواره وخرج منه بتصور معين ثم اخرج ذلك التصور الى حيز الوجود مستعينا بالممثلين والمناظر والاضاءة وبكل الفنون الأخرى المعاونة وإن كان هذا لا يعنى انكار الممثلين ودرهم الايجابى اوالتهوين

من شأن هذا الدور . ولكننا لو قبلنا مبدأ ان السينما ثقافة ورسالة ووسيلة لتوصيل هذه الرسالة فإننا نستطيع حنيئذ ان نميز فيها بين اربعة عناصر أساسية هى صاحب الرسالة او المرسل (المخرج) والرسالة ذاتها (مضمون الفيلم) والجمهور الذى يتلقى الرسالة ثم الوسيلة التى يتم بها نقل الرسالة من المرسل الى المتلقى ويؤلف الممثلون جزءا من هذه الوسيلة التى هى صناعة السينما ككل . فالمخرج هو فى الواقع صاحب الرسالة ومرسلها رغم اننا لانكاد ننتبه الى دوره ونعطى اكبر الأهمية للممثلين ، وأن كان لدينا مخرجون مبدعون تنسب افلامهم اليهم اكثر مما تنسب الى الممثلين الذين قاموا بادوار فى اداء الرسالة وتوصيلها ، وهو وضع نجد له مثيلا فى الخارج بالنسبة للمخرجين الفنانين المبدعين الذين يتمتعون بدرجة عالية من الثقافة والوعى والمخيلة الابداعية الخالقة واذا كان تاريخ السينما ـ رغم قصره نسبيا ـ يسجل لنا وجود حركات واتجاهات فنية متميزة ويكاد بعضها يكون مدارس ومذاهب مثل السينما الواقعة او سينما الموجة الجديدة فى فرنسا وما الى ذلك فإن هذه الحركات ترتبط فى الأغلب بالمخرجين اكثر مما ترتبط بالممثلين . فالمخرج هو صاحب الاتجاه وصاحب الرأى والفكر وهو الذى يقرأ النص ويفهمه ويفسره وينقل هذا التصور او تلك (القراءة) للنص الى كاتب السيناريو والى الممثلين الذين يعبرون عن ذلك التصور فى المواقف والمشاهد التمثيلية التى تتحول الى الصور المتحركة التى تؤلف الفيلم .

● ● ●

وأيا ما يكون الأمر فإن السينما بكل قدراتها الفائقة على التعبير من خلال الفيلم عن الأفكار - والآراء والايديولوجيات ، المختلفة وبكل الفنون الأخرى التى تستعين بها لتوصيل رسالتها كالموسيقى والرقص والغناء وما اليها ، وكذلك بكل المادة الثقافية التى تمتلىء المجلات والدوريات والكتابات المتخصصة عن الفن السينمائى ، وبكل الكتاب والمؤلفين الذين يكتبون عن السينما وللسينما بحيث اصبح هناك ادب سينمائى مستقل ومتميز عن الأعمال الأدبية والروائية الأخرى ، وايضا بكل ذلك الجمهور العريض الذى يتابع تلك الأفلام فى دور السينما أو من خلال التليفزيون والفيديو مثلما يتابع كل ما يكتب وينشر عنها ، كل ذلك يجعل من السينما مؤسسة ثقافية ضخمة لا يقل تأثيرها وفاعليتها عن المؤسسات الثقافية الكبرى مع فارق واحد هائل وهو أن تأثير السينما يتجاوز كل الحدود والحواجز المحلية والقومية والاقليمية والدولية ، وهذا هو ما يعطى للسينما كل تلك الأهمية البالغة فى المجتمع المعاصر وفى مجتمع المستقبل ويدعو الى ضرورة الاهتمام بها ودراستها وفهمها كرسالة ووسيلة لتوصيل هذه الرسالة . وجانب كبير من هذا الاهتمام يجب ان ينصرف الى نوع الرسالة ومضمونها . فالارتقاء بهذا المضمون هو ارتقاء فى آخر الأمر بالانسان والمجتمع وتحقيق لماهية الانسان وجوهره ووجوده كإنسان . وهذا هو اعلى ما يمكن ان تصبو اليه اى وسيلة ثقافية فى اداء رسالتها .



أزمة السينما ليست وقفا على مصر .. فهاهى تعانى فى فرنسا من هبوط فى التردد على دور العرض وصلت نسبته الى ١٦,٨ فى المائة خلال الربع الأول من عامنا الحالى ، وهو هبوط حاد وخطير .

والأكيد انها فى ايطاليا وطن الواقعية الجديدة تنهزم لحظة فلحظة أمام موت زاحف ، قد لا يكون لها منه نجاة .

والاكيد .. الأكيد انها فى المانيا بشطريها ليس فيها من دم الحياة الا بقية ضئيلة تختفى شيئا فشيئا .

وهكذا .. وهكذا فى جميع البلاد على امتداد العالم الفسيح ، وذلك باستثناء الولايات المتحدة حيث السينما لايزال لها شأن كبير .

فما سبب هذه الأزمة التى نشأ عنها ان اصبحت السينما مهددة بالاختفاء ؟

الرقابة وأزمة السينما

بقلم : مصطفى درويش

ليس الجواب على هذا السؤال بالامر اليسير وذلك لان هذه الأزمة الطاحنة ليس لها ، فى حقيقة الأمر ، سبب واحد بل اسباب كثيرة تزداد تشابكا وتعقدا على مرّ الأيام .

وليس من شك ان من بين هذه الاسباب انتشار التليفزيون والفيديو وارتفاع تكاليف انتاج الفيلم ارتفاعا جنونيا ، فضلا عن تزايد العجز عن مواجهة الفيلم الأمريكى والمنافسة له ، هذا الى استمرار القيود التى تحدّ من حرية التعبير السينمائى بما خفى من قواعد الرقابة وما ظهر .

وعند السبب الأخير الذى تعانى منه السينما فى مصر بوجه خاص ، وبالتحديد الرقابة الرسمية المعلنة فى شكل قوانين ولوائح وتعليمات عندها اقف قليلا .

وأول ما يلاحظ على هذه الرقابة الرسمية ان قواعدها وتفسيراتها راسخة



عادل امام .. وشرطى فى
حلقة الـ ٥٠ بلية

حسام الدين مصطفى
مخرج درب الهوى

رسوخ الجبال .. يتغير العالم ، ومع ذلك تظل جامدة صامدة للاعاصير لا يصيبها من التغيير الا النزر اليسير.

ومحنة السينما مع الرقابة فى مصر ترتد الى ما قبل الحرب العالمية الأولى بقليل ، وبالتحديد الثانى عشر من يولية لعام ١٩١١ ، عندما عملت سلطات الاحتلال البريطانى على استصدار لائحة التياترات (المسارح) التى قنّنت المنع بأن جعلت عرض أية مسرحية مرتهنا بالحصول على ترخيص سابق بذلك من جهة رقابية لها مطلق تقدير درجة تلائم المسرحيات مع النظام وحسن الآداب ، بحيث تمنح وفق هواها الترخيص لمن تشاء او تحجبه عمن تشاء بغير حساب.

واغلب الظن أن السينما لم تكن فى حسبان المشرع وقت صدور تلك اللائحة فى هذا التاريخ الموغل فى القدم.

إلا ان هذا لن يحول فى المستقبل

القريب دون تطبيق احكامها على السينما بطريق القياس .

فما أن اندلعت نيران الحرب العالمية (١٩١٤) حتى سارعت سلطات الاحتلال الى حظر عرض جميع افلام المانيا والدول المتحالفة معها ، مستندة في ذلك الى احكام تلك اللائحة التى تخولها الحق فى منع عرض اى عمل فنى ابتغاء حماية الامن ومصالح الدولة العليا .

● جمود وصمود

ومما يثير الدهشة استقرار لائحة التياترات هذه ، واستمرار العمل بها زهاء اربعة واربعين عاما من عمر زمن كثرت فيه الحروب والثورات ، فسقطت عروش واختفت امبراطوريات ونهضت قوميات .

وادت كل هذه الاحداث الجسام الى ادخال الكثير من التعديل والتبديل على البناء السياسى والقانونى لمعظم دول العالم .

ومع ذلك فرغم ما تقدم من احداث كان من شأنها تغيرّ الحياة فى الشرق والغرب تغيرًا خطيرا ، ظلت اللائحة دون اى تعديل من يوم العمل بها الى يوم نسخها بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بعشرة اعوام وذلك بموجب القانون رقم ٤٣٠ لسنة ١٩٥٥ لتنظيم الرقابة على الاشرطة السينمائية ولوحات الفانوس السحرى والاغانى والمسرحيات والمونولوجات والاسطوانات واشرطة التسجيل الصوتى .

(يلاحظ انه لم يأت اى ذكر لاشرطة الفيديو لا لشيء سوى انها وقت صدور القانون كانت فى علم الغيب لم تخرج بعد فى شكل اختراع يحمل الامتاع للناظرين) .

وهنا يتعين التنبيه الى ان ادارة الدعاية والارشاد التابعة لوزارة الشئون الاجتماعية كانت قد اصدرت فى فبراير لعام ١٩٤٧ تعليمات خاصة بالرقابة على الأفلام ، ولا تعتبر تعديلا لتلك اللائحة ، وذلك لانها لا تعدو ، فى حقيقة الامر ان تكون مكملة لاحكامها ، مقننة لما جرى عليه العمل رقابيا تحت أمرة وزارة الداخلية فيما يتعلق بالسينما واطيافها خلال ٣٦ عاما او يزيد .

● طوفان الممنوع

وقد يكون من المفيد ان نستعرض هذ التعليمات ثم نستظهر ما كان لها من آثا على مسار السينما فى مصر .

تنقسم هذه التعليمات الى شقين

اولهما : خاص بالناحية الاجتماعي والاخلاقية ويشتمل على ثلاثة وثلاثين محظورا ..

والثانى : خاص بناحية الامن والنظ العام ، ويشتمل على واحد وثلاثين محظورا .

والمحظورات الخاصة بالشق الأول تبد بالدين وتنتهى بالجنس والعنف .

فليس مباحا ان تمثل قوة الله باشيا حسية او ان تظهر صور الانبياء او ا يتلى القرآن الكريم على قارعة الطريق فى مكان غير لأئق او بواسطة مقرىء مز حذاءه ، أو أن يظهر النعش او النساء وه يسرن فى الجنازات وراء الموتى .

وليس مقبولا ان يساء الى سمعة

البلاد الشقيقة باظهار منظر الحارات
لظاهرة القذارة والعربات الكارو ، وعربات
اليد ، والباعة المتجولين ، ومبيض
لنحاس ، وبيوت الفلاحين الفقراء
محتوياتها اذا كانت حالتها سيئة ،
التسول والمتسولين .

وليس جائزا ان تصور الحياة
لاجتماعية على وجه فيه مساس بسمعة
لاسرة المصرية اوالتعريض بالالقاب او
لرتب اوالنياشين اوالحط من قدر هيئات
لها اهمية خاصة فى نظام الحياة العامة ،
كالوزراء والباشاوات ومن فى حكمهم
رجال الدين ورجال القانون والاطباء .

وليس مشروعا ان تظهر الاجسام
لعارية سواء بالتصوير او بالظل ، أو
ظهر اجزاء الجسم التى يقضى الحياء
سترها ، او ان تذكر الموضوعات أو
حوادث الخاصة بالأمراض التناسلية
الولادة وغيرها من الشئون الطبية التى
لها صفة السرية ، أو أن تصوّر طرق
لانتحار وحوادث التعذيب اوالشنق او
يجلد وما الى ذلك من مناظر العنف
القسوة البالغة .

اما المحظورات الخاصة بالشق
الثانى ، فلها وجوه كثيرة من بينها ، منع
تعرض لموضوعات فيها مساس بشعور
مصريين اوالنزلاء الاجانب ، أو
موضوعات ذات صبغة شيوعية او تنطوى
على دعاية ضد الملكية او نظام الحكم
القائم ، اوالعدالة الاجتماعية .

ومنها عدم اجازة اظهار مناظر الاخلال
بالنظام العام بالثورات او التظاهرات او
الاضرابات ، أو التعريض بالمبادىء التى
تقوم عليها دستور البلاد ، او بنظام الحياة
النيابية فى مصر ، او نواب الامة
وشيوخها او اظهار رجال الدولة بصفة
عامة بشكل غير لائق وخاصة رجال
القضاء والبوليس والجيش ، أو التعرض
لانظمة الجيش او البوليس او تناول رجالها
بالنقد .

وفى ضوء هذه المحظورات ـ وهى قليل
من كثير ـ فلا عجب اذا ما انصرفت
السينما المصرية عن تناول اى موضوع
اجتماعى او سياسى فيه بعض النفع
للناس .

● الجديد قديم

والآن ، ماذا بعد انتهاء العمل بلائحة
التياترات غير المأسوف عليها ، هل اتى
القانون رقم ٤٣٠ لسنة ١٩٥٥ المشار اليه
بجديد يخدم الفن السابع فى مصر ، أم
ان جديده قديم ليس فيه نفع كبير لهذا
الفن ؟

وقبل القطع برأى فى هذا القانون
المعمول به على مرّ ثلاثة وثلاثين عاما ، قد
يكون مفيدا الوقوف امام احكامه هو الآخر
وقفة يسيرة ، لعلها تلقى بعض الضوء على
ما يؤثر سلبا على فن السينما عندنا .

يقرر الشارع فى المادة الاولى من
القانون المذكور ان الاشرطة السينمائية
تخضع للرقابة .

وفى المادة الثانية انه لا يجوز بغير
ترخيص تصوير الاشرطة السينمائية او
لوحات الفانوس السحرى او ما يماثلها فى
مكان عام ..

وفى المادة الخامسة ان الترخيص
يسرى لمدة سنة من تاريخ صدوره
بالنسبة الى التصوير ، ولمدة عشر

سنوات بالنسبة الى العرض ..

وفى المادة التاسعة ينبه الى انه يجوز للسلطة القائمة على الرقابة ان تسحب بقرار مسبب الترخيص السابق اصداره فى اى وقت اذا طرأت ظروف جديدة تستدعى ذلك .

وفى المواد من ١٤ الى ١٨ يتكلم القانون عن العقوبات التى توقع على كل من يخالف احكامه .

ومن بين هذه العقوبات الحبس والغرامة وغلق المكان العام ، ومصادرة الأدوات والاجهزة والآلات التى استعملت فى ارتكاب الجريمة .

وواضح من الاستعراض المتقدم ان جميع الافلام المصورة بقصد الاستغلال التجارى ، انما تخضع لرقابتين رقابة سابقة على التصوير ، ورقابة نهائية لاحقة عليه وانه بدون الترخيص بتصوير الفيلم ثم الترخيص بعرضه بعد الانتهاء من اخراجه يتعذر ، بل قل يستحيل عرضه عرضا عاما .

وطبعا الادارة هى الجهة صاحبة الولاية فى ممارسة هذه الرقابة .

ولها مطلق التقدير فى أن تمنح او تحجب الترخيص بالتصوير وبالعرض حسبما تشاء .

ولاحد لسلطتها التقديرية فى هذا الخصوص سوى ان يكون قرارها متسما بمراعاة حسن الآداب واحترام النظام العام ، وحماية مصالح الدولة العليا .

فاذا جرأ شخص على مخالفة القانون بان صوّر فيلما او اخرجه او عرضه قبل الحصول على ترخيص بذلك وجد نفسه فى زمرة اعداء المجتمع ، متهما معاقبا بالحبس او بالغرامة او بالاثنين معا ، فضلا عن مصادرة الادوات التى اقترفت بها الجريمة ، ومعاقبة المكان الذى جرى فيه العرض الآثم بالغلق .

● القاعدة والاستثناء

القانون اذن ، لا يتعامل مع السينما بوصفها فنا لمبدعيه حرية التعبير عنه .

فاحد لا يتصور ان يطلب الى فنان ان يحصل على ترخيص بان يمسك القلم كى يكتب قصة او قصيدة أو قطعة موسيقية تجول افكارها فى خاطره ، او بان يقبض على الفرشاة كى يرسم لوحة كامنة فى مخيلته .

ومع ذلك ، فهذا الذى لا يتصوره احد هو الذى كان ، ولا يزال يطالب به الفنان اذا كان من صانعى الافلام فهو لا يستطيع ان يمسك بالكاميرا كى يكتب ما يعنّ له من اطياف الا اذا كان مسلحا بالترخيص .

وهو اذا واجه القانون متحديا فامسك بالكاميرا دون ان يكون محصنا بالترخيص ، عاقبته الدولة عقابا شديدا والواقع اننا بعد تلك الوقفة مع القانون واحكامه ، لا نحس اننا بازاء روح جديد لا عهد لنا بمثله من قبل فاحكامه لا تعدو ،

فى حقيقة الامر ، ان تكون ترديدا لاحكام اللائحة المنسوخة ، ولكن فى ثوب جديد يساير روح العصر .

● الحرية .. لمن ؟

ومما يؤيد ذلك ويؤيده استمرار العمل بتعليمات وزارة الشئون الاجتماعية الصادرة فى فبراير لعام ١٩٤٧ حتى ٢٨ من ابريل لعام ١٩٧٦ تاريخ نسخها بقرار وزير الاعلام والثقافة رقم ٢٢٠ لسنة ١٩٧٦ بشأن القواعد الاساسية للرقابة على المصنفات الفنية .

ومما يلاحظ على القرار الاخير انه اكتفى بدمج المحظورات الواردة فى تعليمات وزارة الشئون الاجتماعية مركزا على عدم اظهار صور الانبياء والخلفاء الراشدين ، مضيفا اليهم اهل البيت والعشرة المبشرين بالجنة مع لفت النظر الى عدم سماع اصواتهم وانه باستثناء اباحة محظورات تافهة مثل السخرية بالباشاوات والبكوات ورجالات العهود ، البائدة لم يتح القرار لاى ممنوع ان يدخل فى نطاق المشروع فيما عدا ممنوعا واحدا هاما ، الا وهو اظهار المناظر الخاصة بتعاطى المخدرات .

فقبله كان اظهار هذه المناظر امرا ممنوعا ، أما بعده فقد اصبح امرا مشروعا لاقيد عليه ولا شرط سوى الا يوحى

عماد حمدى . الرجل الضائع فى : المذنبون



ظهورها على الشاشة بان التعاطى شىء مألوف .

وهكذا اصبح لقعدات التعاطى بكل لوازمها من جوزة وخلافه حق الظهور بفضل القرار الوزارى الأخير .

● مذبحة الرقابة

ومن عجب ان تجىء هذه الاباحة مواكبة لامرين اولهما سحب ترخيص فيلم «المذنبون» (١٩٧٦) بالاستناد الى حكم المادة التاسعة من قانون الرقابة على المصنفات الفنية .

والامر الثانى قرار احالة مديرة الرقابة وقتذاك مع اربعة عشر رقيبا الى المحاكمة التأديبية بتهمة الترخيص بعرض الفيلم المذكور والتصريح بتصديره ، رغم ما انطوى عليه من مخالفات صارخة تمس الآداب العامة والقطاع العام ، وتنال من قيم المجتمع الدينية والروحية بما تحمله فى طياتها من دعوة سافرة لنشر الفساد والحض على الرذيلة ، فضلا عن عدم احترام الدين بما له من قدسية وتكريم واجبين ، الأمر الذى من شأنه الاساءة الى المجتمع والحطّ من قدره واظهاره فى صورة مشوهة وتصويره على أنه مجتمع انتشرت فيه كل مظاهر الانحلال والانحراف ، وكذا التشكيك فيما تنادى به الدولة من مبادىء ، وما ترفعه من شعارات اهمها شعار العلم والايمان !!

واعجب من العجب ان تجنح المحكمة التأديبية لمستوى الادارة العليا التابعة لمجلس الدولة فى حكمها الصادر بجلستها المنعقدة فى ٢١ نوفبر لعام ١٩٨١ الى معاقبة المديرة المتهمة ومعها بعض الرقباء ، مقيمة العقوبات الموقعة عليهم على اساس تلك الاتهامات الموجهة الى الفيلم .

● القضاء والقدر

ولا تمرّ سوى ستة اعوام على هذ[ا] السحب وعامين على هذا العقاب ، إ[لا] ويسحب الترخيص الصادر من الرقاب[ة] بعرضى فيلمى «درب الهوى» و «خمس[ة] باب» (١٩٨٣) ويبنى القرار الصادر بذلـ[ك] على أساس استياء جمهور المشاهدي[ن] لهذين الفيلمين ، لما انطويا عليه م[ن] تشويه لتاريخ مصر واساءة لسمعتها فـ[ى] الداخل والخارج ، وما قد يؤدى اليه ذلـ[ك] من انهيار للحياء الخلقى للمواطني[ن] والمساس بمشاعرهم .

فاذا ما لجأ اصحاب هذين الفيلمي[ن] الى محكمة القضاء الادارى بمجلـ[س] الدولة ملتمسين منها الحكم بوقف تنفي[ذ] قرار سحب الترخيص لم يجدوا منها [...] لفكرة ان الفيلم عمل فنى ، وان منع عرضـ[ه] يشكل اعتداء صارخا على حرية التعبي[ر] وفى الاستطاعة المضى بعيدا فى الحدي[ث] عن محنة السينما مع الرقابة والقضاء فـ[ى] مصر .

ولكن المقام لا يسمح بذلك .

ومهما يكن من شىء ، فالقدر المتيق[ن] ان السينما عندنا لا تزال تقاسى م[ن] محظورات شداد تحول بينها وبـ[ين] الانطلاق متحررة من القيود ، لاسيما قيـ[د] رقابة عفا عليها الزمن .



النقد وأزمة السينما

بقلم : مصطفى محرم

قد يذهب احد الأشخاص إلى أحد محلات البقالة ويطلب شراء سلعة من السلع فلا يجدها فيغادر المحل ساخطا وهو معتقد أن هناك أزمة فى هذه السلعة ..

وقد يلتقط شخص آخر ثمرة من إحدى السلال فيجدها عفنة فيظن أن الثمار التى تمتلىء بها السلة كلها عفنة .. وينطبق هذا الحال إلى حد كبير على وضع السينما عندنا ، فيذهب احدهم ـ ناقدا كان أو كاتبا صحفيا أو مسئولا فى أى مكان ـ ويشاهد أحد الأفلام المصرية فلا ينال إعجابه أو لا يرغب هو نفسه فى أن يعجبه هذا الفيلم فيصدر حكمه ببساطة شديدة على كل أفلام السينما المصرية بأنها رديئة وأن هناك أزمة ، ثم يتناقل البعض هذا الحكم ويصدقونه ويصبح حديث اليوم والأمس والغد ..

نادية .. فيلم تباينت حوله اراء النقد



النقد وأزمة السينما

ومنذ مايقرب من العامين والكلام لاينتهى عن أزمة السينما المصرية وتزاحم اصحاب الرأى يعلنون فى ثقة تامة العوامل والأسباب التى أدت إلى هذه الأزمة حتى حفظها الناس وسئموا منها .. وبالطبع كان المبدعون والمسئولون فى مجال السينما هم جزء هام من تلك العوامل والأسباب وأصبحت أصابع الاتهام تشير إلى كل من يعمل فى الحقل السينمائى ، ولكنهم تناسوا أن هناك عاملا لم يعلنه أحد أو لم يقو أو تواتيه الشجاعة على إعلانه رغم أهميته والدور الكبير الذى يلعبه .. وهذا العامل هو النقد السينمائى على اعتباره جزءا من الحركة الأدبية .. وخاصة أن السادة النقاد هم الذين أصدروا حكمهم على السينما بأنها تعانى من أزمة طاحنة ، وبالطبع قد تجاهلوا هذا التزايد من عدد الأفلام الجيدة عاما بعد عام حتى أن إحدى الجمعيات السينمائية قد أعلنت صراحة بأنها تلقى صعوبة شديدة فى اختيار سبعة افلام جيدة لعرضها فى مهرجان الجمعية لأن عدد الأفلام الجيدة يفوق هذا العدد بكثير واضطرت منذ عامين إلى اختيار أربعة عشر فيلما وكان فى مقدورها أيضا أن تختار مايفوق هذا العدد .. وأعلنت جمعية أخرى أنها تلقى صعوبة بالغة فى منح الجوائز للافلام لشدة التنافس ، وكثرة الأفلام التى تستحق هذه الجوائز ، وأصبح وجودنا فى المهرجانات - إذا كان هذا مقياسا له اعتباره - يتضخم عاما وراء عام ، بل إنه اصبح وجودا إيجابيا ، منذ حصلت بعض افلامنا المعروضة فى تلك المهرجان على جوائز فى مختلف الفروع السينمائية ... ومازال المخرجون الذين يصنعون هذه الأفلام يمارسون فن الاخراج .. بل إن أحد النقاد المشهورين عندنا قد اختار مجموعة من أولئك المخرجين ومنحهم شرف ريادة مذهب الواقعية الجديدة فى مصر رغم أن مبرراته لهذه الريادة تعبر للأسف عن جهله المطلق بالمذهب الواقعى وسوف يكون لنا حديث اخر فى هذا الشأن ..

وأنا أعلم تماما أن كلامى هذا سوف يثير الغضب والحنق فى نفوس الكثيرين ممن يعتقدون أنهم يمارسون النقد السينمائى أو ممّن أطلقوا على أنفسهم أو أطلق عليهم بعض الغافلين بنقاد السينما ، وهى فى الواقع تسمية غير محددة المعالم أو هى من الاتساع بحيث يتخبط هؤلاء النقاد فى جنباتها .. فالسينما نفسها كلمة عامة فى حد ذاتها .. فهى مثلى تندرج كفرع من شجرة الفن الضخمة يندرج من تحتها ايضا من تصانيف الأشكال السينمائية مايجعلها ، تشبه الأدب من حيث شمول المعنى ، فنحن نعلم أن « الأدب » كلمة شاملة يندرج تحتها الشعر والرواية والمسرحية والملحمة والقصة والقصيدة والنثر الأدبى ، فكذلك السينما يندرج الأفلام الروائية الطويلة والقصيرة والأفلام التسجيلية والأفلام التعليمية وأفلام الكرتون والجرائد السينمائية ..

وقد يعجز الناقد فى مجال الأدب أن يتناول الفنون الأدبية بكفاءة متميزة أو بصيرة نفاذة ، ولذلك يتخصص البعض فى نقد الشعر أو الرواية أو المسرحية فما بالك بأناس لاتتوافر لهم المقدرة الكافية والثقافة التى تؤهلهم إلى إصدار الأحكام

على شكل من الأشكال السينمائية ويغامرون بجرأة نحسدهم عليها ، ويتصدرون لمهمة من أصعب المهام فى حياتنا الفنية وهى الوصاية على الجماهير العريضة من مشاهدى الأفلام السينمائية ..

يقول روجر مانفيل فى كتابه (الفيلم والجمهور) .. بأن انتشار مهنة النقد فى وقتنا الحاضر قد أدى إلى كثرة التعليقات على المسائل الفنية المتصلة بالفنون من جانب أناس هم فى الغالب لايمكنهم ممارسة هذه الفنون فكانت وبالا على السينما وذلك لأنها لاتتسم بالدقة ، وذلك لسبب بسيط وهو أن السينما أكثر الفنون اعتبارا فى أعين الجمهور ..

وفى الحقيقة أن روجر مانفيل قد استطاع أن يضع يده على إحدى المشكلات الحقيقية فى السينما وهى فوضى النقد السينمائى ، فلا أحد يستطيع أن ينكر أن الأمور قد اختلطت عندنا وشمل هذا الخلط كل جوانب حياتنا الثقافية حيث تصور كل من يمسك قلما أو توفرت له بحكم وظيفته مساحة فى جريدة أو مجلة أن فى مقدوره أن يفصل فى كل أمور الثقافة ... ولذلك فلا عجب أن تحدث هذه البلبلة وتتأرجح الموازين حتى اختلط الحابل بالنابل والطالح بالصالح وأصبح من الصعب على المرء أن يدرك أين الحقيقة .. وكانت النتيجة أن ظهر هذا التفاوت الكبير خاصة فى مجال السينما بين مايحكم عليه النقاد من أحكام وبين أذواق الجماهير العريضة حتى أصبح النقاد فى جانب وأصبحت الجماهير فى جانب آخر .. وأصبح البعض يتساءل عن السبب فى نجاح الأفلام التى يهاجمها النقاد ولماذا تفشل الأفلام التى تحظى برضاء النقاد وثنائهم ؟

وقد تكون الأجابة على هذين التساؤلين هو الوضع الراهن الذى انتهى إليه النقد السينمائى عندنا والذى من خلاله نستطيع أن نقسم نقاد السينما إلى عدة تصنيفات وهى الآتى :

١ ـ أصحاب الاقطاعيات الصحفية

وهذا النوع من النقاد يمتلك صفحة كاملة فى جريدة أو صفحات فى مجلة أو يملك المجلة نفسها .. ويحاول هؤلاء الأقطاعيون أن يفرضوا سلطانهم وسطوتهم على أصحاب النفوس الضعيفة من أهل السينما .. ونحن لاننكر أن هناك للأسف طبقة كبيرة من بين المنتجين والمخرجين والممثلين متواضعى الثقافة والادراك ويعتقدون أن الأمن والامانة فى رضاء هؤلاء النقاد ذوى السلطة والجاه عليهم .. ولذلك فقد سعى بعض السينمائيين إلى إرضائهم بشتى الطرق والوسائل .. وكان أخطر أنواع الاسترضاء هو استكتابهم قصص وسيناريوهات ، فلم ينبغ واحد من هؤلاء لضعف الموهبة أو انعدامها اصلا .. وفى النهاية اصبحوا عبئا كبيرا على نقابة المهن السينمائية وعبئا آخر على من يتولى اعادة كتابة سخافاتهم والأهم من كل ذلك أنهم اصبحوا سببا قويا من اسباب أزمة السينما ..

٢ ـ المستشارون والمستوظفون :

وهم نقاد السينما الذين اثروا السلامة وأنقذوا الجمهور من شر كتاباتهم للسينما .. فقد اتخذ هؤلاء النقاد طريقا آخر وذلك بأن وضعوا ارجلهم فى إصرار داخل أكبر شركات الانتاج السينمائى .. ومن خلال وضعهم هذا قاموا بفرض

النقد وأزمة السينما

أذواقهم السقيمة على إنتاج هذه الشركات من الأفلام التى يخاصمها الجمهور منذ اليوم الأول لعرضها وكأنه يشم رائحتها .. وبالطبع يدفع الولاء هؤلاء النقاد المستوظفون إلى تدبيج مقالات المديح لهذه الأفلام ويتحولون فى النهاية من نقاد إلى مجرد مندوبين للدعاية .. وأذكر أن أحد هؤلاء النقاد قرر أن يكتب سلسلة من مقالات المديح لأحد هذه الأفلام .. وعندما نشر المقال الأول كان الفيلم قد انتهى عرضه .. وفى المرة الثانية قام بتشبيه فيلم آخر بالسيمفونية ونشر الحركة الأولى وعندما نشر الحركة الثانية لم يكن باحدى دور السينما التى تعرض هذا الفيلم سوى متفرج واحد ..

٣ ـ أعضاء لجان القراءة فى شركات السينما :

أحيانا تكون لجان القراءة فى شركات الانتاج السينمائى مجرد مصيدة خبيثة لمن يظهر التعفف من النقاد الذين يقبلون على العمل داخل هذه اللجان معتقدين أنهم يقدمون الخدمات الجليلة لصناعة السينما .. ولكن فى كثير من الأحيان يرفض صناع الأفلام التى يقومون بقراءتها قبل التصوير أن ينفذوا ملاحظاتهم طالبين السلامة لأفلامهم .. وعند عرض هذه الأفلام يخجل هؤلاء النقاد من التعرض لها فقد قبضوا ثمن سكوتهم ..

تحظى السينما فى العالم كله ببريق واهتمام من الجميع ، وقد يظل الناقد الأدبى يبدع المقالات والدراسات حول قضية أدبية تستغرق منه الكثير من الجهد والوقت ، وفى النهاية يقرأها قلة من المتخصصين أو محبى المعرفة .. وكذلك الحال بالنسبة للمسرح فربما كان النقد المسرحى عندنا ذا بريق عندما كان المسرح يحظى بهذا البريق فى فترة معينة ثم مالبث أن خبا هذا البريق فخبا بريق الناقد المسرحى .. فما كان من بعض هؤلاء الناقد أن اقتحموا مجال النقد السينمائى وذلك من أجل هذا البريق اللعين ..

ونحن ندرك جيدا ان السينما تختلف عن الأدب .. اختلافا كبيرا ولكل منهما مقاييسه التى تتطلب العمق والدراية بأصول كل منهما ، ونحن ننصح القارىء بالرجوع إلى مقالنا .(العلاقة بين الفيلم الروائى والأدبى) . فى مجلة الفنون العدد ٢١ السنة الخامسة .. ونكتفى هنا أن نورد قول كلود موررياك عن الفرق بين السينما وبقية الفنون :

« إن السينما لاتجسد الحلم كما تفعل الفنون التشكيلية ولا تبطنه كما يفعل الأدب ، ولكن لها القدرة على إسباغ اكبر مظاهر الواقع على ما هو غير واقعى » ..

وقد أكد كلود موررياك على هذه القدرة كميزة للشاشة على المسرح ورأى أن السينما تفوق المسرح لأنها خير من تكشف ماوراء الواقع فى قلب الواقع ذاته ..

ولذلك فالناقد المسرحى إن لم يكن على دراية كبيرة بإمكانيات الفن السينمائى التى فوق امكانيات المسرح وإذا لم يدرك تماما أن اللغة السينمائية تحتوى على العديد من المفردات التى تفوق مفردات

للغة المسرحية فإن مايكتبه من نقد قد يكون أكثر مناسبة للمسرح وعليه أن يعود من حيث جاء .

٥ ـ الأيدولوجيون .

يصر بعض النقاد على فرض اتجاههم العقائدى على الجمهور وذلك بمدح نوعية معينة من الأفلام مثلما يحدث بالنسبة لنقاد اليسار المتطرفين .. ونحن نعلم جيدا أن الكثير من الدول الاشتراكية قد تخلصت من هذه النوعية من الأفلام بعد .. أن أعرض الجمهور عن مشاهدتها .. ولقد بدأت هذه الدول فى إنتاج افلام تتناول المشاكل الانسانية أو تلك التى تهتم بالجوانب العاطفية من الرجل والمرأة وذلك بعيدا عن ضغوط الأيدولوجيات مثلما فعلت المجر وبولندا وبعض الأفلام التشيكية .. ومساوىء التفكير الأيدولوجى المتعنت أنه يحدد للفن غاية محددة أو وظيفة أو منفعة .. والخطأ فى هذا الاتجاه أنه يقوم بحصر الفن فى هذه المنفعة فيحيله إلى شىء وقتى مرتبط بزمن معين أو بمكان معين فيخرجه هذا عن شموله وهى الميزة العظيمة فى الفن العظيم ..

٦ ـ النقاد الفرانكو أراب :

وهذا النوع من النقاد يكره كل ماينتمى إلى العربية من ثقافة .. وهناك من هم أقل كراهية فيتركز سخطهم فقط على كل ماهو مصرى ..

ويمجد هذا النوع البائس من انعقاد كل ما تأتى به رياح الغرب ويعلمون عن السينما فى اوربا وأمريكا اكثر مما يعلمون لو شاهد فى مصر .. والويل كل الويل لو شاهد واحد منهم أحد الأفلام المصرية المسكينة ..

ولذلك فنحن نقرأ لهم نقدا غريبا ونشعر بمدى الازدراء الذى يشعرونه تجاه كل ما هو مصرى .. وتكمن خطورة هذا النوع فى أن بعض المجلات الكبرى بدأت تفتح لهم صفحاتها وكذلك وسائل الأعلام كالاذاعة والتليفزيون ..

٧ ـ تزايد عدد الصحف والمجلات

فقد انتشرت الصحف والمجلات على صعيد الوطن العربى ، وكثرت الحاجة لمن يقومون بسد النقص فى الأبواب الفنية وخاصة السينما .. فظهرت طبقة غريبة من المدعين وطالبى الشهرة السريعة ممن كانوا يعملون فقط فى مجال الحصول على الأخبار الفنية فسولت لهم نفوسهم بأن يخوضوا مجال النقد السينمائى ..

وطالعتنا الصحف والمجلات بكتابات فى النقد السينمائى لهؤلاء المتسلقين تحت شعار المثل الشهير .. خالف تعرف ..

وفى النهاية لانستطيع أن نغفل بعض العوامل الأخرى فى حركة النقد السينمائى مثل المجاملات التى بين النقاد وأصدقائهم من السينمائيين وكذلك الخلافات ، التى تحدث بين النقاد أعضاء لجان المهرجانات ومنح الجوائز والصراعات التى تسفر فى النهاية عن سوء الأختيار وأحكام خاطئة مما يزيد من حدة أزمة السينما ويؤكد بما لايدع مجالا للشك بأن نقاد السينما عندنا هم جزء لاينقسم ، من أزمة السينما ..



راى فى الثقافة

نقــاد السينمــا

على الرغم من ان لدينا عـــددا لا بأس به من نقاد السينما الجادين ، فاننا ولسبب مجهول نفتقد المؤلفــات ـ المراجع عن هذا الفن وهــو الذى تجاوز عمره الستين عاما بأعوام ٠

لا يوجد حتى الان كتاب واحـد لهقيمة حقيقية عن السينما المصرية ،وان كانت هناك مجهودات تتناول هـــذه القضية أو تلك من قضايا الســينما المصرية العديدة ٠

اما النقد السينمائى الجـــاد فى الصحف اليومية فهو كالعنقاء ، موجود كالاسطورة وغائب فى الواقع ، لا من يسمع به ، ولا من يحس ٠٠ وربمـــا هذا هو السر الذى يدفع بعض كتـاب الاعمدة المعروفين للتطرق لهذا الفيلم او ذاك ، او هذا المخـــرج او تلك الممثلة ٠٠ اليس هذا دليلا قاطعا على غياب النقد الســينمائى الذى يريده الجمهور والذى لا يصبح اى كلام بعده الا مجرد زيادة ٠

مخرجو السينما الجـديدة وعلى رأسهم على عبد الخالق ، ومحمد خان، وعاطف الطيب ، وعلى بدر خـــان ،وخيرى بشارة ، وبشير الديك،وغيرهم لم « ينقدوا » حتى الان ذلك النقـــد الذى يقربهم للناس ، ولا ذاك النقـــد الذى يفجر داخلهم القدرة على المزيدمن العطاء ٠٠ شكوى تسمعها كلمـــا التقيت باحدهم ، وتتأمل الامر فتجدها حقيقة قاسية ، خاصة لان هؤلاء بالذات يعانون اشكاليات معقدة من الانتـــاج حتى دلـع الممثلين والممثـــــلات ، وحتى التوزيع والعرض وهجر الناس عادة ارتياد السينما الا فى المواســـم والموالد والاعياد ٠

على اى حال هى دعوة لنقــــاد السينما الجـادين ان يوفـــروا بعض الجهد ، ويكتبـــوا بعض الكتب ، عن بعض السينما ، قبل ان يفوت الاوان لتصبح العادة : الا توجـــد كتب عن السينما المصرية ٠

إشــارات ثقــافيــة

● معجم الافعال العربية الثلاثية المعاصرة

بعد مصنفه الفريد « الدليـــــل اللغوى » الذى اصدره منذ نحو عام ها هو القاص والروائى ســــليمان فياض يفاجئنا بهذا المصنف الجــديد الضخم الحجم،الشديد الاهمية ، الذى يتجاوز به موت الكثير من قـــــديم المعاجم التى ما زالت هى المراجـــع الاساسية ، على الرغم من ان الكثير من مادتها لم تعد مســـتعملة ، لذا ، فانها جزء من التاريخ ، لا تساهم فى الحاضر الا لمن يسعى الى الماضى يريد اكتشاف مغالقه .

وفى ٢٣٦ صفحـــــة من الحجـــم الموسوعى الكبير يقدم لنا ســــليمان فياض هذا المعجم الذى اسماه «معجم الافعال العربية الثلاثية المعاصــرة » بعد جهد استغرق ثمانى ســـنوات ، ويقول عنه انه معجـــــم نوعى خاص بالافعال العربية الثلاثية المستعملة فى عصرنا ، بدرجة من درجات الاستعمال فى الواقع اللغوى المعاش ، قـــــولا وكتابة ، شيوعا او كثــرة او قـلة او ندرة .

واقد اسقط المصنف نحـــــوا من اربعين فى المائة من الافعال الثلاثيــة المجردة التى هجر اســــــتعمالها لحوشيتها ، او لكونها غير مستعملة فى عصرنا الحديث .

كذلك اسقط المصنف بعض مصـــادر افعال هذا المعجم لنفس الاســــباب وبعض ضروب الافعال وابوابهـــــا استغناء عنها بغيرها من الضــــروب والابواب وفقا لقــوانين وترجيحــات لغوية ، رآها انها ادق واصحــــوب من غيرها من الضروب والابواب ، كما



اثر تجميع الافعال فى ابــواب حســب نوعيتها البنيوية الصرفية ، ســـوالم ومهموزات ومضعفات ومجوفــــــات ونواقص ، ومثــــــالات ولفيفات ، وتيسيرا للكشف عن الافعال لمن لاخبرة له بأبنيتها الحق المصنف بمتن المعجم كشافا ابجديا عاما للافعال ، وابوابها وارقام الصفحات الواردة بها

وتيسيرا للوصول الى معــــــرفة تصريفات الافعال فى مصادرهــــنــا الخاصة ، ومشتقاتها القياســـــية ، اختار المصنف ستة وثلاثين فعــــــلا نمطيا تمثل اتساق الافعال الثلاثيـــة المجردة كلها فى التصريف للقيـــاس عليها ، والجرى على منوالها .

انها فرحة حقيقية بعمل جـــــاد ، فليس ادل على حيوية امة من الامــم اكثر من دخولها ميدان الموسوعات والقواميس والمعاجم التى ما زلنــــا نحتاج الى المزيد منها فى فنـــــون كثيرة .

مجهود علمى ضخم ذلك الذى توفر عليه المجلس الاعلى للثقافة المصرية وسوف يصدر عن الهيئة المصـــرية

الدامة للكتاب خلال الاسابيع القليلة القادمة .. مجهود كنا فى حاجة اليه منذ زمن نلا ربما ياتى ليستكمل موسوعة جمال حمدان الفذة «شخصية مصر» التى حللت وبينت قسمات عبقرية المكان من جوانبها المختلفة .

هذا المجهود العلمى الكبير الذى توفر عليه عشرة من كبار الجغرافيين المصريين ياتى حاملا عنوان «جغرافية مصر» فى عشرة اجزاء وقد اشرف على انجازه وراجعه الدكتور صبحى عبد الحكيم ، والدكتور يوسف ابو الحجاج .

هذه الاجزاء العشرة تصدر تباعا وبالترتيب التالى « جغرافيا مصر الزراعية » للدكتور السيد نصر ، و « جغرافيا السكان » للدكتور السيد غلاب ، و « جغرافيا الصناعة » للدكتور محمد الديب ، و « جغرافيا السياسة » للدكتور عبد الغنى السعودى ، و « جغرافيا المدن » للدكتور محمود عصفور ، و «الجغرافيا التاريخية » للدكتور يسرى الجوهرى و « جغرافيا المناخ » للاستاذ يوسف فايد ، و « جغرافيا التضاريس » للدكتور جودة حسنين جودة و « جغرافيا التنمية والتخطيط » للاستاذة عايدة بشارة ، و « الجغرافيا الطبيعية » للدكتور يوسف ابو الحجاج

ومن المتوقع ان يتم صدور هذه المجلدات العشرة خلال العامين القادمين .

● الناقد وملف الحداثة

مجلة جديدة قشيبة الثوب ،اضيفت الى مجلاتنا الثقافية العربية ، ارادت لنفسها أن تكون مجلة نقدية لجوانب الثقافة العربية المختلفة ، أى انها منبر رأى فى الاساس قبل ان تكون مجلة ثقافية جامعة ، فيها بعض النصوص الا ان الطابع الغالب عليها هو نقد الظواهر الثقافية فى حياتنا المعاصرة .

هذه المجلة الجديدة التى صدر عددها الاول فى بداية الشهر الماضى عن دار ضياء الريس للنشر فى لندن، وعلى الرغم من « خفتها » التى صدمت من رآها وكان يتوقع مستوى اكثر جدية لها ، احتوت الكثير من الاسماء المالوفة ، وقد يهمنا هنا فى هذه الاشارة السريعة عنها ما احتواه عددها الاول فى ملف مرعب حمل تفريغا لكاسيت قالت المجلة انه قد وزع سرا فى المملكة السعودية احتوى على هجاء عدائى لما اسماه اصنام الحداثة فى الثقافة العربية ، نقول انه ملف مرعب لانه بقدر ما فيه من جهل ، فيه نزعة لمعاداة المثقفين العرب بكل اتجاهاتهم ورؤاهم ، وفيه خلط بين مذاهبهم ، لم يذكر اسما ولا اتجاها الا وصفه بالضلال . والاخطر من كل ذلك انه حمل نبرة التبليغ ضد مثقفين سعوديين مرموقين يتوعدهم ويرميهم بدعاوى جاهلة ظالمة .. ونحن على اية حال لا نعرف قيمة من يقفون وراء هذا الكاسيت ، ولكن المؤكد انهم جماعة فاعلة ترصد وتترقب ، تتابع بدقة وان كان جهلها قد جعلها تضع « اوليفر توسيت » فى قائمة الكتاب والكاسيت على اى حال ما هو الا مجرد حلقة من حلقات دعاة الظلام والتخلف الذين استكثروا على المثقفين والكتاب والشعراء والقصاصين السعوديين الشباب ان ينفتحوا على الثقافة العربية وان ينفتحوا على الثقافة العالمية .. وارادوا لهم ان يظلوا قابعين فى مجرى التخلف والجهل ..

رحيل السندباد



● بعد وحدة طويلة ، وعذاب مع المرض الشديد ، مات الدكتور حسين فوزى عن عمر يناهز الثامنة والثمانين .

عاش حسين فوزى حياته بالطول والعرض ، كتب القصة فى بداية حياته على الرغم من أن دراسته كانت علمية ، وعده البعض فى طليعة جيل يحيى حقى ومحمود تيمور ، لكنه ابتعد عنها ، كما ابتعد عن دراسة الطب وممارسته ، وعمل فترة بالاحياء المائية الأمر الذى قاده لعشق البحار ، فأخذ يجوبها كما جاب فى مغارز الإنسان المصرى فأنشأ أول كتاب له قيمة فى أدب الرحلات هو كتابه الذى تناولته الأجيال التالية بحب وتقدير «سندباد عصرى» .. ثم تتالت منظومته حديث السندباد القديم ـ وسندباد إلى الغرب ، ورحلة تاريخية فى البحار السبعة ، وسندباد عصرى يعود إلى الهند ولندن تطفىء الأنوار ، وحول العالم بمايوه ، وهى الكتب التى جعلته رائدا حقيقيا لأدب الرحلات الذى يضرب فى عمق التاريخ وعمق الإنسان ..



السندباد د . حسين فوزى

عرف حسين فوزى بأسلوب أدبى رصين متميز تعرفه قبل أن ترى اسم كاتبه ، وتحس معه بشمول ثقافته وعمق رؤيته .

وهو وإن كان أدب الرحلات قد استغرق جل إنتاجه فإن كتابته فى الموسيقى كانت أيضا من المعالم الأساسية لنشاطاته الابداعية ، فكان كتابه «الموسيقى السيمفونية» فريدا فى بابه باللغة العربية عمل الكثير فى سبيل توجيه المثقفين المصريين لحب الموسيقى السيمفونية .

وتأتى كتبه « هو وهى ، وقلوب للبيع ، والمرأة كتاب ، ومشروع انتحار ، والاسكندرية فى الخريف »

لتؤكد على أسلوبه فى الكتابة والحياة ، كمثقف متحرر يدعو إلى الحياة المشبعة بالمباهج

لا أحد يستطيع أن يحد من قيمته ومن قيمة إنجازاته وعلى رأسها إنشاؤه للبرنامج الثانى بإذاعة القاهرة الذى كان نافذة جادة للثقافة الرقيقة ، وأحاديث عن الموسيقى هى من أهم معالم مرحلة الازدهار الثقافى فى الستينيات .

كان حسين فوزى من ذلك النوع المتقلب فى أفكاره ، إذا رأى رأيا فعله دون أن يسمع الآخرين ، وحينما انزلقت قدماه إلى أرض إسرائيل داعيا المثقفين كى ينهجوا نهجه لم يستمع لكل الأصحاب الذين نصحوه بأن يخفف من غلوائه ، لذا انصرف عنه الجميع فعاش سنيه الاخيرة فى وحدة وعزلة ، حتى اختفى من الحياة الثقافية اختفاء ظنه البعض موتا كاملا له .

رحم الله حسين فوزى رحمة واسعة ، وغفر له أخطاءه ، ولعل حياته بكل جوانبها الايجابية والسلبية فيها درس لمن يأتى بعده من المثقفين .

نـــــــدوات

الفلسفة والمرأة

فى مقر جمعية تضامن المرأة وتحت اشراف الدكتورة نوال السعداوى تحدث الدكتور فؤاد زكريا أستاذ الفلسفة عن المعالجة الفلسفية لقضية المرأة ٠٠ وعلى الرغم من خصوصية الموضوع وتميزه كان عدد الحاضرات قليلا جدا لا يتناسب مع دور الجمعية وهدفها ومما أثر فى حرارة المناقشة والحوار ٠

وقد اوضح الدكتور فؤاد زكريا بأن هناك عقبات غير هينة تواجه المرأة فى مقدمتها عنصر المصلحة لدى الرجل والنظرة الدينية التى تعرض فى معظم التيارات الدينية المعاصرة من خلال تفسيرها المتحجر للنصوص والفجوة الكبيرة بين ما يذاع ويعلن من الافكار على المستوى النظرى وبين الممارسات الفعلية ثم ان الفلسفة تميل الى التجريد الزائد والبحث فى المشكلات المجردة كذلك الفيلسوف الذى يحتاج الى التفرغ والعزلة باعتباره شخصا محلقا فى الافكار الميتافيزيقية الشديدة التجريد٠

ثم عرض الدكتور فؤاد زكريا نماذج من الفلاسفة القدامى والمعاصرين وموقفهم من المرأة فى أسلوب سهل ممتع واوضح ان الفلاسفة منذ قديم العهد قد اخذوا موقفا معاديا للمرأة فسقراط طرد زوجته وهى تبكى وتولول عليه بعد أن حكمت المحكمة عليه بالاعدام وشرب السم الذى أخذ يسرى فى اوصاله لانها افسدت عليه جلسته الاخيرة مع تلاميذه وافلاطون فى مدينته الخيالية جعل المرأة مكافأة للرجل الشجاع فى الحرب٠ وفى العصر الحاضر نجد ان اغلب الفلاسفة امتنعوا عن الزواج وعاشوا حياة العزوبة مثل ديكارت واسبينوزا وديفيد هيوم وكانت

وهيجل وشوبنهور وكيرك جاردونيتشه وسارتر ويكفى ان فيلسوفا مثل نيتشه اقترح على كل رجل قبل ان يذهب الى المرأة الا ينسى ان يحمل معه الكرباج أما سارترفقد اتخذ موقفا طفوليا عندما عاش مع سيمون دى بوفوار حياة الازواج ثم تمرد على كتابةورقة رسمية والاولى ان يكون تمرده كاملا لا ان يخضع لمؤسسة الزواج ثم يمتنع عن كتابة ورقة .

أما عن الفلسفةالماركسية فقد عالجت قضية المرأة باعتبارها نظرية فى علم الاجتماع أكثر منها مذهبا من مذاهب الفلسفة وقد كان كتاب انجلز قصر العائلة اضافة لانه ربط بين قضية المرأة والتطور الاقتصادى للانسان وجمع بين فكرة شكل العائلة كمانعرفه فى مجتمعاتنا القديمة وبين فكرة الملكية الخاصة .

ثم تعرض الدكتور فؤاد زكريا لقضيتين هامتين تصلحان لان تكونا اطارا لمعالجة جوانب أساسية من قضية المرأة هما الطبيعة والعرف والوجود والماهية وعن القضية الاولى يقول : هل القانون الموجود جزء من طبيعة الانسان أم انه عرف واصطلاح واتفاق وضعه الانسان ويستطيع تغييره متى يشاء ؟ وبعبارة أخرى ان المجتمع قد خدع نفسه حين استقر من خلال العرف علىان يكون الرجل هو المسيطر وهو المتفوق لان ذلك من طبيعته ومن طبيعة المرأة أن تكون فى مكانة أدنى وهذا يحدث خلطا بين ما هو موجود فى طبيعة ثابتة وبين ما هو موجود نتيجة لوضع اجتماعى معين . هذا يربطنا بتفسير بعض التيارات الدينية الاسلامية المعاصرة لقضية المرأة فهم يستندون الى فكرة أساسية وهى ان الشرائع غير قابلة للتغيير لانها من طبيعة الانسان وبهذه الطريقة تصبح الشريعة التى هى أداة لتنظيم حياة الانسان شيئا ثابتا غير قابل للتغيير ومفروضا على الانسان الذى يجب ان يفصل حياته على حسب هذه الشريعة وليس العكس .

أما القضية الاخرى فهى الوجود والماهية والوجود هو حيوية الانسان ومعيشته وتجاربه وذلك التيار المتدفق الذى يمضى فى الانسان من أول لحظات حياته حتى اخرها والماهية ما يكونه الانسان أو السمات التى تشكله ، والوجود يسبق الماهية أما خصوم المرأة فلهم رأى اخر فهم يحاولون ان يجعلوا لها ماهية سابقة على الوجود وطبيعة محددة لا تستطيع أن تخرج منها وهذه الطبيعة هى التى يجب ان تحكم حياتها من البداية الى النهاية .

وقد كان للدكتورة نوال السعداوى بعض الملاحظات هى :

● تحدث الدكتور فؤاد زكريا عن المرأة كزوجة لفيلسوف ولكن المرأة كمفكرة كنتيجة للفلسفة أين هى من التاريخ ؟ ان حضارات مصر القديمة والاله ايزيس بوجه الخصوص كانت صاحبة فلسفة ودين اى هناك أمثلة ودلائل تؤكد ان المرأة كان لها دور فكرى وفلسفى فىالتاريخ فالمرأة انتجت الفلسفة ولم تستهلكها فقط فكيف عزلت عن هذا الدور وأصبحت الفلسفة رجولية ؟

● اننا نواجه تيارات متعصبة خطيرة والمرأة هى ضحية أولى وكثير من الشابات يصدقن ما يقال مثل ان

الوجه عورة حتى ضـوء عينيها ثم تعيش هذا الفكر وتتمثله وتتصور انه فكر الهى فتقهر نفسها ثم تتحول من مقهورة الى قاهرة من ذاتها وهذا أعلى أنواع القهر •

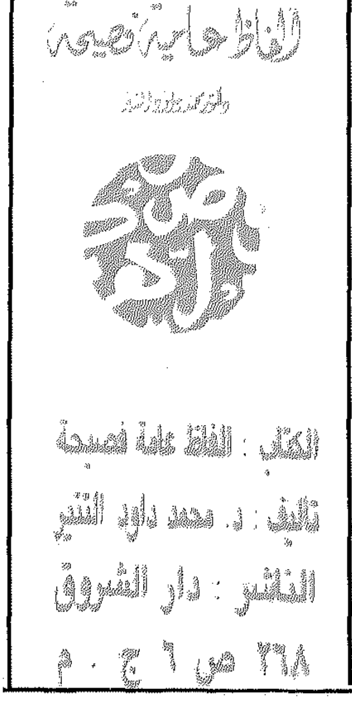
ثم نرى فى مجتمعنا معظم المفكرين توفيقيين وهذا نوع من التضليل فهل يمكن للمفكرين والفلاسفة فى بلادنا ان يلعبوا دورا فى تغيير الفكر الجـامد بشجاعة ؟

وقد رد الدكتور فؤاد زكريا عـلى هذا التعليق قائلا : اتفق مع الدكتـورة نوال بأن المرأة كان لها دور فى فترات ماضية ويكفى أن أقول انه كان يوجد آلهة نسائية فى العقائد القديمة لكن نتيجـة لظروف اجتماعية معينة توارى هـذا الدور الذى كانت تلعبه المرأة فى صميم العقيدة نفسها وعندما أصبح الرجـل وقوته العضلية هو المتحكم فى الانتاج والمعيشة الاجتماعية كان من الضرورى والطبيعي ان يختفى الدور الذى تقوم به المرأة • ولكن لم يكن يفيد كثيرا ان اثبت ان هناك فيلسوفات من النسـاء لان عقيدتهم كانت تنتمي الى العقيـدة السائدة فى ذلك الوقت » •

النقطة الثانية بالنسبة لقضـية الدين فان الفلسفة قادرة على تقـديم منهج حقيقي بعيـدا عن التطـرف والتعصب •

محسن فهمى

مكتبة الهلال



الكتاب : ألفاظ عامية فصيحة

تأليف : د. محمد داود التنير

الناشر : دار الشروق

٢٦٨ ص ج ٠ م

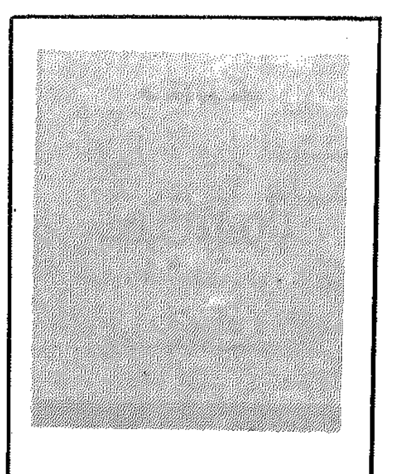
يضم هذا الـكتاب اكثر من الف واربعمائة كلمة عربية سليمـة درجت فى الكلام حتى حسبها الناس عاميـة وهى فصيحة ، جمعها الدكتور محمد التنيـر وقدمها للجنة اللهجات بمجمع اللغة العربيـة الذى كان عضـوا به، فعرضتها اللجنة عـلى مؤتمر المجمع منـذ سنوات •

ويأتى هذا الجهـد استكمالا لما كان بـداه من جهد عدد كبيـر من الاساتذة والـكتاب من امثـال محمد على الدسوقى فى كتـاب « تهذيب الالفاظ العامية» واحمد تيمور فى كتاب « معجم تيمور الكبير » واحمد عيسـى فى كتاب « المحكم فى اصول اللغة العامية » ومحمود تيمور فى كتابه «العامية والفصحى » و د • عبد المنعم سيد عبد العـال فى « معجم الالفـاظ العامية ذات الحقيقـة والاصول العربية » •

ويقول الدكتور شوقى ضيف فى مقدمته للكتاب ان هـذا الموضوع كان مثار اهتمام عـدد من اعضاء المجمع اللغـوى منذ القـائه ، وعلى رأسهم عيسى اسـكندر

المألوف و عبد القادر المغربي . وفريد ابو حديد ، ومحمود تيمور ومحمد شوقي امين . حتى اصبح اليوم الذي تلتقي فيه العامية بالفصحى ، بل تمحي محوا قريبا شديد القرب ، بعد ان كان يبدو بعيدا كل البعد .

وكتاب الدكتور التنير لا يهدي فقط الى الالفاظ العامية العربية الجارية على السنة الجماهير ، بل هو يهدي الى تصحيح طائفة بل طوائف كثيرة من الالفاظ العربية التي حرفها العامة ، ونطقت بها على غير وجهها العربي السديد وهو ينير الطريق الى عملين لغويين كبيرين ، اولهما التقاط الكلمات الفصيحة من العامية اليومية وتدوينها ، وثانيهما رد الكلمات العربية التي حرفتها العامة الى صورتها الفصيحة بازالة مادخل عليها من تحريف ، وبذلك نثري الفصحى ونقوم ما اعوج منها والمنحرف في العامية عن نطقه الصحيح .



الكتاب : الربيع الأزرق
شعر : فرانسيس كومب
ترجمة : الطاهر وطار
٢٢٣ ص ٢٥ د . ج

هذه اول ترجمة للكاتب الجزائري الطاهر وطار جاءت ضمن نشاطاته الاخرى لتدفع به الى قائمة المترجمين لذلك هو يتساءل لماذا الترجمة ولماذا هذا الديوان بالذات . ويجيب :

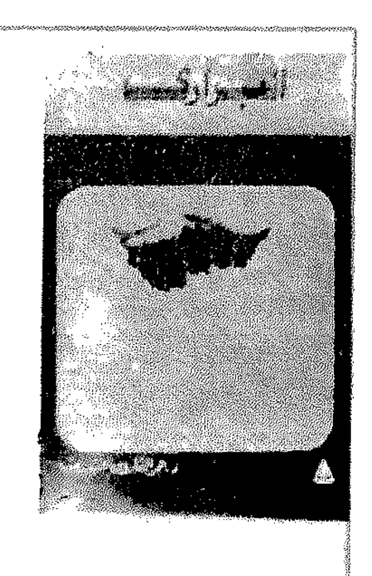
عندما عدت من احدى رحلاتي الى باريس .. كان من جملة ما في حقيبتي ديوان صغير الحجم لشاب فرنسي لم يبلغ الاربعين بعد .. اضطررت لقراءة هذا الديوان الى قضاء وقت طويل بين القواميس اللغوية والقواميس النباتية والحيوانية ودائرات المعارف .

ذلك لان الديوان مليء باسماء الاشجار والازهار والنباتات والحيتان والجزر وما الى ذلك .

ويضيف : ينبغي هنا ان اعترف ايضا باني واصلت قراءة هذا الديوان بنوع من التحدي للغة العربية ، او بالاحرى للقاموس المعاصر للغة العربية والذي يقتصر على ما يبدو لي على المفردات السهلة المتداول والتجريدية في اغلب الاحيان .

وهذا الشاعر الذي ربما يترجم للعربية لاول مرة يقدمه لنا الطاهر وطار كنموذج للشاعر المناضل الذي يعطينا درسا في الايحاء وفي عدم المباشرة والشعارية والصراخية الجوفاء ومن اجواء الديوان :

كن عشبا – (بلا قضايا فلسفية) – فالحياة مرداء وبسيطة – مثل سكة حديدية قروية – لكن حياة البشر قاسية – ومن يرم حياة شاقة – تكن حياته شاقة – لهذا السبب – لا ارغب ان اضحك مع الينابيع .



الكتاب : البرارى
تأليف : عمر فاروق السيد
١١٠ ص ، ٧٥/ق م

هذه دراسة جديدة تتناول المنطقة المعروفة باسم شمال الدلتا المصرية التى هى من الناحية الادارية محافظة كفر الشيخ .

ويبين لنا الباحث ان « البرارى » قد تلاشت كظاهرة بعد ان كانت تشغل الثلث الشمالى من دلتا النيل منذ نهاية العصر الفرعونى وحتى بدايات القرن العشرين .

لقد تقلصت تدريجيا وتزحزح خط البوار القديم نحو الشمال فدانا بعد فدان بفضل جهود سكان الدلتا من المزارعين واختفت ظواهرها من السباخات والحزازى والمستنقعات وحلت محلها خضرة الزراعة والمحاصيل ، وتكاثرت بها القرى والكفور والعزب ، حتى شارف العمران ساحل بحيرة البرلس الجنوبى

اى ان البرارى قد انتهت او كادت جغرافيا وان ظلت دلالتها التاريخية والحضارية ماثلة فى هذا النطاق من دلتا النيل ، سواء كصفحة مطوية من تاريخ الدلتا العمرانى الطويل ، او كبقايا متناثرة تدل عليها هنا وهناك .

وبالاضافة الى الاستعراض التاريخى الجغرافى فان هذا الكتاب البحث يضم ايضا تصورا لخطة تنمية شاملة لهذه المنطقة الحيوية من مناطق الجمهورية ، كما يدعو المؤلف الى تدعيمها بعدد اخر من الدراسات فى شتى التخصصات المتضافرة بهدف التنمية الشاملة للمنطقة .



الكتاب : وكر الوطاويط
تأليف : إحسان عبد القدوس
الناشر : مركز النشر بالأهرام
٢٣١ ص : ٣ ج م

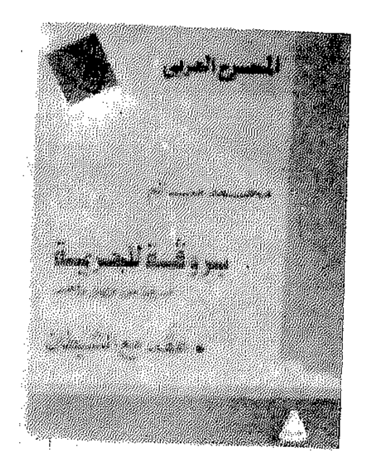
لا يملك المتابع لاحسان عبد القدوس الا الاعجاب بقدرته على الاستمرار فى الكتابة والانتاج على الرغم من ظروفه الصحية ، ومن سنه المتقدمة ، وهو بهذا يقدم نموذجا للكاتب المخلص لعمله ، الذى يعتبر الكتابة هى الشىء الاساسى فى حياته ، وهى النشاط الذى لا يتوقف الا مع توقف القلب من الحركة

احسان عبد القدوس يقدم لنا مجموعة جديدة من القصص ، اطولها هى التى تحمل عنوان الكتاب ، وهى قصة فنان اجبرته عائلته فى بداية حياته على الاتجاه لدراسة الهندسة ، لكنه وهو الفنان بالفطرة يجد نفسه عاجزا عن الاستمرار فى هذه الدراسة التى لم يرغب فيها ، وتلقى به الاقدار الى وكر الوطاويط وهو « غرفة » فى احد احياء الحسين يجتمع فيها عدد من الرسامين والنحاتين

ليمارسوا فنهم ويعيشوا حياة شبه بوهيمية ،وفي هذا الوكر يكتشف الفنان نفســـــه ، وامكانياته الابداعية كما يشتاق الى ان يعيش حرا كالوطواط لا يقف في مكان واحد، بل ينتقل من امرأة الى أخرى ، لكن الايام تمر ، والزمن يتقـــــدم به ، وتدفعه الحــــاجة الى الاستكانة ، والحــاجة الى أن يعيش ، الى أن يهجر حياة الوطاويط ، ويقـــرر الزواج الـــذى يجعل منه انسانا عاديا، وربما فنـــانا عاديا لا يتقدم خطوة الى الامام·

ان هذه القصـــة ـ الرواية القصيرة ـ لتثير الكثير من التســاؤلات حول التفاصيل النوعية التى تضمها ، لكنها تعبر بصـدق عما يعتـــور جنبات كاتبنا الشهير من أفكار وآراء ·

وبالاضافة الى هـذه القصة تضم المجموعة ايضا خمس قصص اخرى اقل طولا ·



الكتاب بروقة للجريمة

(مسرحية)

تأليف : محمد سالم

الهيئة المصرية العامة للكتاب

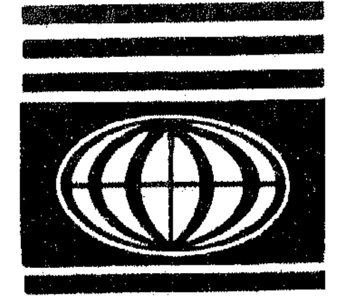
محمد ســـالم اديب معروف في عالم القصة وعـــالم المسرح ، قضى في الادب والمسرح زهرة شبابه،وهو الان يواصل عمـــله وراء كواليس المسرح في كهولته التى تشبه في نشاطها شبابه البـــاكر الذى كان « مسرحا » لقصة نضال رائعة ، بداها محمـــد سالم بتعليم نفســـــه وتثقيفها ، وصقل موهبته في الكتابة بصبر وأناة وذكاء حتى برزت موهبته ككاتب للقصة والمسرح ، وان حالت الظـــروف والامكـــانات دون ان يأخذ مكانه الذى يستحقه

يضم كتابه الجـــديد مسرحيتين ، كلتيهما من فصـــل واحد ·· اما الاولى واسمها « بروقة للجريمـــة » فتدور وراء كواليس احد المسارح حيث توجد حياة كاملة مثيرة تتطاحن فيهـــا الاهواء والمطامع والحب والكراهية ، ومأســـاة الانســـان وتطلعه الى الخير والاخاء ··

وقد عاش محمــد سالم حياة حقيقية عميقة وراء خشبة المســرح ، فقد عمل في مســـارح وزارة الثقافة ، اداريا كادحا ، وجنديا مجهولا لا يحس الجمهور بـــه ولا يعرف عنه شيئا ·· وظهر في دور صــغير جدا باحدى المسرحيات·

والمسرحية الثانية في هذا الكتاب عنوانهـــا « عقد مع الشيطان »·· وهي كما يقول « يمكن ان تـــدرج ضــــمن الفاوستيـــات في الادب العالمي »·· لانها صياغة مسرحية جديدة لفاوست وهي أشهر الاعمــــال العالمية في هذا المنحى الفنى الانسانى الخطير·

والمسرحيتان كلتاهما باللهجة العامية القاهرية وتتضمنان مادة غزيرة تصلح لمســرحيتين من فصول متعددة ، وربما وقعت هاتان المسرحيتان ذات يوم في يد مؤلفي المسرح الخاص ، ولـن يتورعـــوا عندئذ من تحويلهما الى مـذهبهم الفنى ·· وكان محمـــد سالم نفسه يستطيع أن يكتب هاتين المسرحيتين للقطاع الخاص ، ولكنه لم يفعل ، واثـــر أن يخرجها في كتاب انتظر سنتين ليراه مطبوعا ·· وهاكذا عاش محمد سالم طوال حياته ، يؤثر الفن الصحيح الذى يـروق لمزاجه ولا يبالي بعـد ذلك ان يجد ما يواجـه به الحياة !



العالم في سطور

نيويورك



اليا كازان

● اليا كازان يحاكم نفسه ●

الراجح انه لا يوجد مثقف مصرى عاش ابان عقدى الاربعينيات والخمسينيات الا وسمع باسم المخرج الامريكى اليا كازان المنحدر من اصل يونانى ، او على الاقل سمع براحد من افلامه « يحيا زاباتا » ، « عربة اسمها الرغبة » « على رصيف الميناء » و « شرق عدن » .

وها هو ذا صاحب هذه الافلام يحكى سيرته فى مؤلف من ثمانمائه واربع وثمانين صفحة اعطاه هذا الاسم « اليا كازان : حياة »

واهم حدث فى هذه الحياة الطويلة الحافلة بجلائل المسرحيات والافلام ، تلك المواجهة التى جرت بين صاحبها « كازان » وبين لجنة الكونجرس المشكلة للتحقيق فى النشاط المعادى لامريكا ، وانتهت بسقوطه سقوطا مشينا عندما وشى برفاقه اثناء عضويته للحزب الشيوعى الامريكى مدة لم تدم الا عاما واحدا .

وفى الحق ، فهذا السقوط المدوى لا نجد له تفسيرا مقنعا حتى بعد خروج هذه السيرة الى الناس فلقد كان امام « كازان » عدة خيارات منها الا ينبس ببنت شفه فيزج به فى السجن او ان يدافع عن نفسه متخذا من التعديل الخامس للدستور الامريكى طوق نجاة .

او ان يهاجر من الولايات المتحدة مثلما فعل المخرجان « جوزيف لوزى » و « جول داسان »

او ان يخرج من المحنة بريئا طاهرا دون ان يشى باحد .

ولكنه لم يفعل شيئا من هذا ، واختار ان يشى برفاق السلاح ، وهو اختيار لم يصفحه له الاحرار فى جميع انحاء العالم الى يومنا هذا

والسؤال هو لماذا اختار « كازان » ان يشهد امام تلك اللجنة معرضا بذلك نفسه الى الاتهام بخيانة المبادىء وحمل هذا الوزر حتى هذه الساعة

وعلى كل فالذى يبين من قراءة سيرته انه وقت اتخاذ القرار كان حائرا بين الاشمئزاز من الشيوعية

والتخويف من ضياع الشهرة والثروة .

وهو فى سيرته لا يحسم ايهما كان السبب فى اتخاذ القرار ، تاركا الحكم فى ذلك للقارىء .

ومع ذلك فثمة شيء اكيد ، هو ان افلامه بعد عام ١٩٥٢ اى بعد محنته مع لجنة المكونجرس تعتبر احسن ما اخرجه .

والعجيب فى سيرة « كازان » ان صاحبها لا يترك فرصة الا وانتهزها للتحقير من شأن نفسه .

فهو كاتب هذه السطور فى وصف « كازان » « انا لست مثقفا ، ولست واسع الافق ، الادب الكلاسيكى ليس فى متناول فهمى ، استمتع بالدعابة وبالمهرجين العظام ولكنى لا استطيع ان انحت نكاتا وليس عندى اذن شعرية »

هوليود

● ذهب مع الريح نصف قرن ●

تستعد هوليوود هذه الايام للاحتفال بمرور خمسين عاما على انتاج فيلم « ذهب مع الريح » احد اهم الافلام فى تاريخ السينما العالمية قاطبة . وهو الفيلم الذى حقق اعلى الايرادات فى كل تاريخ السينما . كما انه اول فيلم تم تلوين النسخة « الابيض والاسود » . منذ نيف وعشرين عاما

منذ عامين احتفلت الاوساط الادبية الامريكية بنفس المناسبة على صدور الرواية التى تحمل نفس الاسم

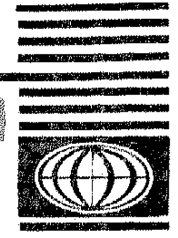


من تاليف مرجريت ميتشيل وهى الرواية الوحيدة لكاتبتها .

تدور احداث الفيلم اثناء الحرب الاهلية التى دارت فى منتصف القرن الماضى من خلال قصة حب متلفقة الاحداث بين امرأة ورجلين . احدهما يطاردها عبر سنوات طوال والثانى تطارده فلا يشعر بها ..

ارادت هوليوود ان تستثمر نجاح هذا الفيلم وايضا الرواية ، فدفعت اخيرا بالرواية للكاتبة الكسندرا ريبلاى ان تستكمل الاحداث بعد ان ذهب الزوج ريت بكلر ادراج الريح . وادعى البعض ان الكسندرا قد اكملت بذلك الحدوتة التى استكملتها مرجريت ميتشيل بالفعل فى اوراق لم يتم العثور عليها الا اخيرا ..

وفى نفس الوقت الذى ظهرت فيه الرواية فى الاسواق . بدأت شركات الانتاج التلفزيونى فى تصوير مسلسل ضخم يتم عرضه مع بداية العام القادم الجدير بالذكر ان الكاتبة الفرنسية المعروفة ريجين ديفورج قد



العالم في سطور



انتوني بيرجس

اعادت معالجة نفس الرواية في مجلدات روائية ضخمة منذ ثلاثة اعوام تحت عنوان « الدراجة الزرقاء » ، ولكنها لم تهنأ بنجاحها حيث رفعت دعوة ضدها تتهمها بانه ليس من حقها قط ان تقتبس هذه الرواية لاسمها .. ومازالت هذه القضية منظورة في

مونت كارلو

● ادباء الالة الكاتبة

هل ساعدت الالة الكاتبة على كل هذا الابداع العالمي المتدفق ؟

الاجابة مؤكدة ان هذه الالة الصغيرة قد ساعدت ادباء عديدين على هذا العطاء وعلى رأسهم انتوني بيرجيس الذي اطلقوا عليه دعابة « اديب الالة الكاتبة » لكثرة ما يطرق عليها ويصدر الى المطابع ..

احدث كتاب لهذه الالة يحمل عنوان « تكريم كورت بيوب » وهو اسم موسيقار مشهور عرفه انتوني بيرجيس عن قرب . وتجيء اهمية هذا الكتاب في انه يعيد بيرجيس الى عشقه الاول : الموسيقى . فقد كان والده عازف بيانو . اما امه فقد كانت راقصة ، وفي السنوات الاولى لحياته كان يذهب مع ابيه الى الصالات من اجل سماع الموسيقى . ثم مالبث ان تعلم العزف مثله .. ولكنه عندما قرر الكتابة لاول مرة عام ١٩٥٨ اكتشف انه لو احترف الموسيقى فسوف يكون اقل شهرة لانه موهوب في الكتابة اكثر ..

ومنذ ذلك الحين وحتى الان لم يتوقف الكاتب عن قرع الته الكاتبة كتب الرواية والفيلم السينمائي والدراسة النقدية . وعن عالم الموسيقى قدم منذ عشر سنوات كتابا عن « سيمفونية نابليون » تلك السيمفونية التي كتبها الموسيقار بيتهوفن تكريما لنابليون ثم مالبث ان اعلن سحبها من اسمه ..

الغريب ان ادب بيرجيس قد جاءت تيماته مختلفة تماما عن تيمات الموسيقى التي عشقها فهو ادب مليء بالعنف . ويعكس صورة المجتمع المعاصر . بما يملؤه من دماء واغتصاب وجرائم . ولعل اهم رواية للكاتب في هذا المضمار هي « البرتقالة الالية » التي نشرها عام ١٩٦٢ وترجمتها روايات الهلال هذا الشهر في نصها الكامل لاول مرة باللغة العربية .

جنيـــــف

● الاباحية فى الصيف

فى موسم الحـــــر ٠٠ الذى يحلو للانسان ان يتخفف من ملابسه انتهزت دور النشر الفرنسـية الفرصـــــة واصدرت مجمـــــوعة من الهوايات الاباحية لعلها تساعد القـــارىء على خفض درجة حرارة جوه الداخلى ٠٠ وراحت هذه الدور تبحث عن اكثـــر هذه الروايات الهابا واثـــارة ٠٠ فى عز الحر ٠٠

وقـــــد حظى الكاتب بييـر لؤيس (١٩٢٥ ـ ١٩٧٠) على نصيب الاسد من هذه الكتب ٠ حيث صــــدرت له مجموعة من : اشعاره المكشـــوفة ٠ بالاضافة الى روايته المعروفة « ثلاث بنات من صلب آمهن » كمـا اصـــدر جان بول جوجون كتابا اخــــــر عن « الحياة السرية لبيير لؤيس » تناول فيه غرامياته الخاصة وجنونه بالنساء هذا الجنون الغريب الذى عكســه فى روايات عديدة منهـــا « افروديت » و « مغامرات الملك بوزول » ٠٠ ولانه اشهر المصابين بهذا الهوس النسائى الغريب ٠ فقد راح الى الشرق يستلهم حواديته ويعجب به بشـــدة ويكتب الكثير عنه ٠

ويقال ان ادب لويس المكشـــوف يتميز بان كلماته جميعهـــا قد خلعت ارديتها لتظهر للقارىء بدون مكياج او ساتر ٠ وان الكاتب لم يسع فقط الى تعرية نسائه ٠ بل ايضا ضمائرهن وسلوكهن ٠ فاصبحت الاشياء مكشوفة الماضى واضحا ٠ والحـاضر جليا ٠٠ والمستقبل منتظرا ٠٠

بـــاريـــس

● الكاتب ٠٠ فى جوف المدينة

« مدينة الليل الجميل »

هى عنوان الكتاب الذى يتصـــدر قائمة المبيعات الفرنسية منذ صـدوره فى شهر ابريل الماضى من تــأليف ريشار بورنجيه ٠٠

تجىء اهميــــــة هذا الخبر ان ريشاربور نجيه ليس سوى ممثـــل فرنسى مغمور لم يتعود عليه المشاهد بعد ٠ وقد استطاع بكتـــابه الاول ان يتفوق على اسماء عـــديدة احترفت الكتابة فى تحقيق هذه المكانة ٠

كما تجىء طرافة هذا الخبر ايضـا ان بورنجيه كان قد فاز قبل ذلك بشهر، اى فى مارس الماضى ، بجائزة احسن ممثل فى فرنســا عن دوره فى فيلم « الحساب » متفوقا ايضـــا على كل نجوم فرنسا المعروفين ٠

وتجىء غرابة هذا الخبر كذلك ان ان كتاب بورنجيه ليس رواية ولكنـه اقرب الى انطباعات فنان حول علاقته بالمدينة التى ولد وتربى وعاش فيها ٠

يقول بورنجيه : « لم اجد شـــيئا افضل من الكتابة عن المدينــة التى عشت بها ، هذه المدينة التى حملت فى طياتها نماذج مختلفة من البشـــــر الصالح والطالح ٠ الجميل والدميم ٠ الطيبين والاشرار ٠ المبدع والمتلقى انها نفس المدينة دائما من الخـــارج ٠ لكن البشر يتوافدون عليها على مدى القرون ٠ يموت المكثيرون فيتم دفنهم فى مقابرها ٠ فلا يبتعدون كثيرا عن جوف المدينة ٠ وهكذا اردت ان اجعل مدينتى هى البطل الرئيسى لاحداث هذا الكتاب ٠

رسالة لندن

جولة فى مركز الوثائق البريطانى

ماذا جرى

فى الوثائق البريطانية عن قضية طابا ؟

فعبر ما يزيد على مائة وخمسين عاما من الاحتلال البريطانى للأرض العربية ، كان الدبلوماسيون والعسكريون والباحثون عن الكنوز الاثرية ، وقبلهم السياسيون البريطانيون ، يكتبون تاريخهم الخاص للوطن العربى ، كما لكل العالم الذى كان بين ايديهم ، وقبل ان يكتبوه كانوا ، والحق يقال ، يصنعونه ، وربما كتبوه اولا ثم صنعوه بعدها .

فى هذا المبنى ثروة هائلة من المعلومات ، من حق كل عربى ان يطلع عليها ، وهذا حق لم تعد تمانع فيه بريطانيا الان ، لانه تاريخ ، ولانها تجنى من عرضه الاموال الطائلة ..

فإذا اردت ان تعرف متى جرت الفيضانات سيولا فى رمال بيجان ؟ ومتى بدأت ايران تطالب بالبحرين ، ولماذا تزوج الامير فلان ببنت الملك فلان ؟ ، ولماذا عينت بريطانيا وزير دولة مصر ابان الحرب العالمية الثانية ؟ ، ولماذا طلق الامير فلان ابنة الملك فلان ثم تزوجها فلان ؟ ، ولماذا خرقت بريطانيا معاهدة الصداقة مع اليمن التى عقدتها عام ١٩٣٤ ، رغبة بالاحتفاظ بشبوة التى كانت تعرف ان النفط يفيض من اعطافها (ثم استخرجه ابناء اليمن عام ١٩٨٧) ، وما هو موقف الدول العربية كلها من قرار بريطانيا تسليم فلسطين لليهود ..

واخيرا ، ما هى حكاية طابا ، ولماذا حاول البريطانيون ضمها للقسم اليهودى من توزيعهم لارض فلسطين

ستجد كل ذلك فى مركز الوثائق البريطانى الواقع فى ضاحية لندن المسماة ريتشموند ..

● مصالح بلا حرج !

وعندما يغوص القارىء والباحث فى اعماق هذا البحر العميق ، يدرك لماذا لايريد البعض ان يطلع العربى على ما فيه ، ويدرك ايضا ، ان كل ما فيه ليس حقائق مجردة ، بل هو فى معظمه رؤية للحقائق من زاوية المصالح البريطانية الامبراطورية ، تعرض بلا حرج .

في مبنى اشبه ما يكون بابراج المراقبة ، قريب من حدائق "كيو" المشهورة في احدى ضواحي لندن ، حيث اكتشف الانكليز اخيرا ان فرعون مصر خبأ قوت آخرته في صندوق طمره تحت ترابها ، وغير بعيد عن المتاحف التى وجدت اثار مصر ، بل اثار كل الدنيا ، طريقها اليها ، وبدافع الانتماء لبيوت الحضارة العتيقة ، في ذلك المبنى يستطيع العربي ان يكتشف الكثير الذى يرقى الى الحقيقة بعينها !

بقلم : محمد عمار

بعض من يزورون المركز يبحثون عن اصول عائلاتهم وتاريخها ، بعد ان هاجر قمم منها الى استراليا او كندا او نيوزلندة ، وبعضهم يبحث عن تاريخ امة او قضية سياسية او اقتصادية او اجتماعية ، حتى ان البعض الاخر جاء يبحث عن حيثيات حكم صدر عن احدى المحاكم قبل ثلاثمائة عام ..

ذلك ان هذا المبنى ، ومبنى اخر في وسط لندن ، يضم بين جدرانه كل الوثائق والمراسلات الرسمية الصادرة عن مختلف وزارات الحكومة البريطانية ، بل وعن كل الحكومات التى كانت تقيمها بريطانيا فيما كانت تسميه "الممتلكات البريطانية فيما وراء البحار" مثل حكومة الهند ، وحكومة عدن ، ثم انك تكاد تجد كل تاريخ الامبراطورية التركية (العثمانية) هناك ، خاصة منذ ان بدأت بريطانيا تقتطع بمعولها اجزاء تلك الامبراطورية جزءا جزءا ، خاصة في المنطقة العربية .

وفي مراحل الحرب العالمية الثانية .. وما بعدها تجد معالم الصراع البريطاني ـ الاميريكي للسيطرة على المنطقة العربية واضحة تماما ، وكل منهما يستخدم خطر الغزو السوفييتي ـ الذى لم يقع ـ وسيلة لتخويف العرب وضمهم الى معكسره .

ولكن كيف يصل الباحث إلى ما يريده من معلومات في هذا البحر الزاخر من الوثائق ؟

الجواب على هذا السؤال هو موضوع بحثنا هذا .. ولنجعل الاجابة اكثر سهولة وفائدة ، سنورد مثلين حيين معاصرين : موضوع طابا ثم موضوع شبوة اليمنية ..

قبل الدخول في التفاصيل ، او بالأحرى دخول المبنى ذاته ، سيطلب منك جواز سفر او بطاقة هوية ، ثم يطلب منك ملء طلب للحصول على بطاقة « قارىء » لن يستغرق الامر مدة طويلة ، ولن يكلفك شيئا .. قبل ان تتوجه الى المكتب الذى تسجل في سجلاته اسمك وساعة وصولك ، استعدادا للصعود الى الطابق الاعلى عبر كاشف للمتفجرات ، تؤخذ منك حقيبتك ، ان كان معك حقيبة ، ولا يسمح لك باصطحاب غير الورق الابيض وقلم

رصاص وربما الة كاتبة يدوية ، ولن يسمح لك بادخال اى نوع من آلات التصوير ..

فى الطابق الاول ، طابق الوثائق ، (فالطابق الثانى يضم الخرائط فقط) تجد ثلاثة اقسام رئيسية : غرفة الميكروفيلم ، وغرفة المراجع ، وغرفة القراءة .. تتجه أولا إلى غرفة القراءة . وهناك تعطى جهازا صغيرا ، عليه رقم احد المقاعد الذى يصبح مخصصا لك منذ تلك اللحظة .. وللجهاز مهمة اخرى سنتحدث عنها بعد قليل ، فعليك الاحتفاظ به سواء كنت على مقعدك ام فى اى زاوية اخرى من زوايا البناء .

بعد ذلك تتجه الى غرفة المراجع ، ولنقل انك تريد البحث عن تاريخ طابا . عليك اولا ان تحدد التاريخ الذى تبحث عنه ، هل طابا التى تبحث عنها هى طابا العهد العثمانى ، ام طابا فترة الاستعمار البريطانى لمصر ، ام طابا ايام الانتداب البريطانى على فلسطين ؟ ربما كنت تبحث عن كل هذه التواريخ معا ، وربما يدفعك هذا الى الطابق الاعلى ايضا لتبحث عن خرائط ترتبط بتلك المنطقة فى التواريخ المطلوبة .. ستجد مثلا انك لتجد الوثائق المتعلقة بطابا خلال الانتداب البرياطانى على فلسطين ، لابد من البحث عنها فى فهارس الأرقام تحت عنوان : مصر ثم فلسطين ، ثم لفرط دهشتك ، تحت "العربية السعودية" وتحت "الجزيرة العربية" ـ عام » ولكن لماذا تحت العربية السعودية ؟ ذلك ما سيكشفه لك البحث الذى تقوم به ...

اذا كنت تبحث فى الاعوام ما بين ١٩٢٠ و ١٩٥٦ ، فالامر سهل . هناك وزارتـان فقط من وزارات الحكومـة البريطانية اهتمتا بهذا الموضـوع : وزارة المستعمرات ووزارة الخارجية . ستجد فهارس مطبوعة بعناوين الوثائق وارقامها التى اعطتها لها دائرة حفظ الوثائق فى وزارة الخارجية ، تبحث تحت "مصر" و "فلسطين" و "العربية السعودية" حتى تجد فى ملخص الوثائق الوارد فى هذه الفهارس ما يشير الى طابا او ما تشعر من خلال معلوماتك المسبقة (فلابد ان يكون لديك حد ادنى من المعلومات عما تحاول دعمه بالوثائق) ان يتعلق بها .. مقابل هذا الملخص تجد رقما يسبقه حرف ، هو غالبا حر الـ E اللاتينى (وهو اختصار لكلمةEast ، اى : الشرق) . الرقم مؤلف من ثلاثة اقسام : القسم الذى يلى حرفE مباشرة هو رقم الوثيقة التى تبحث عنها ، والرقم الثانى (وبينهما خط مائل) هو رقم المجلد الذى يضم الوثيقة ، اما الرقم الثالث (والذى يفصله عن الثانى خط مائل ايضا) فهو رقم يرمز الى البلد الذى تتعلق به الوثيقة ..

فلنأخذ مثلا عمليا على ذلك الوثيقة .

E 2864 /22 /31 /G /37

فالرقم بعد حرف E هو رقم الوثيقة والرقم 22 هو رقم الملف او المجلد ، والرقم 31 هو الرقم الرمزى لوثائق فلسطين . الحرف G غير دائم فى هذه الوثائق ، وكذلك رقم 37 وهو يدل على عام صدور الوثيقة (١٩٣٧) . هنا نجد فى الملخص محاولة البرفسور كوبلاند ووزارة الخارجية البريطانية حل مشاكل موانىء البحر الاحمر بين الدولتين

العربية واليهودية ، واقتراح باعطاء منطقة طابا للدولة الجديدة ، مع دراسة لاحتمالات ردود الفعل المصرية .

بعد هذه المرحلة يتوجب علينا البحث فى قائمة اخرى عن رقم اخر ، الرقم الاخر هو رقم مركز الوثائق لنفس الوثيقة ، وهو الرقم المسجل على ذاكرة الكومبيوتر الخاص بالمذكرة ، والعملية سهلة للغاية ، فالقائمة الثانية موجودة على نفس الرف ما عليك الا ان تفتح على عام ١٩٣٧ ، فتجد ان الرقم الذى دوناه اعلاه مدون بجانب رقم اخر ، فتسجله ، وتصبح بذلك مستعدا للتوجه الى الكمبيوتر . هذا الجهاز يخبرك بما ينبغى ان تفعله بعد ان يقول لك انه جاهز لاستقبال المعلومات ، تعطيه اولا رقم بطاقتك ، ثم رقم مقعدك (الموجود على الجهاز الذى سلم اليك) ثم رقم الوثيقة الذى حصلت عليه من القائمة الجديدة . ثم تضغط على زر اخضر ، وتنتظر قليلا . بعد لحظات تظهر على الشاشة رسالة تقول لك احد ثلاثة اشياء :

١ ـ اما ان الوثيقة لا تزال غير معدة للنشر

٢ ـ او ان شخصا اخر طلبها قبلك

٣ ـ وان كنت سعيد الحظ تكون الرسالة : طلبت لك والوثيقة فى طريقها اليك !

تستطيع بعد ذلك ان تبحث عن وثيقة اخرى ، او تذهب الى الطابق السفلى لتناول فنجان من الشاى ولتدخن سيجارة (لان التدخين محظور قرب الوثائق) ، بينما الجهاز الصغير معك طيلة الوقت . وبعد حوالى ٢٠ دقيقة من استعمالك للكمبيوتر يبدأ الجهاز بإصدار صفير متقطع . هذا يعنى ان وثيقتك بانتظارك .

تذهب الى المكتب الذى اعطاك الجهاز ، وتعطيهم رقم مقعدك ـ الذى هو رقم الجهاز ـ فيأتونك بمجلد او صندوق فيه كل وثائق الملف الذى طلبته .. تبحث عن رقم وثيقتك .. حتى تجدها ، ثم تقرؤها او تطلب صورة منها من قسم التصوير (الصفحة الواحدة ثمنها ٢٦ بنسا) .

ونفس الاجراء ينطبق على وثائق شبوة اليمنية . الوثائق السابقة لعام ١٩٢٠ لم تطبع فى فهارس جاهزة ، ولابد من الرجوع الى بطاقات فردية موجودة فى خزائن فى نفس الغرفة ، مرتبة حسب البلد والتاريخ ايضا ، فتأخذ من البطاقة رقم الوثيقة ، ثم تستبدل به رقم الكمبيوتر كما ذكرنا ، وتطلبه بنفس الطريقة .

ويجد الباحث ان معظم وثائق وزارة المستعمرات موجودة فى وثائق وزارة الخارجية ، نظرا للتعاون الذى كان قائما بينهما ، خاصة فيما يتعلق بالمنطقة العربية .

اما سجلات وزارة الحربية او وزارة الداخلية ، فلها فهارسها الخاصة ، ولكنها تتبع نفس الاسلوب . ورقم الكمبيوتر يبدأ دائما برمز الوزارة التى تمتلك الوثيقة .. فوزارة الخارجية رمزها FO **ووزارة المستعمرات** CO **ووزارة الحربية** W · O **وهكذا . وقد تجد نسخا من وثيقة وزارة ما فى وثائق وزارة اخرى ، ربما ارسلتها اليها للاطلاع ، ولكنك تجد الوثيقة الاصلية دائما فى ملفات الوزارة التى اصدرتها ...**

([illegible])

ان التساؤل حول مدى مصداقية هذه الوثائق امر يخطر على بال كل مهتم بها ،

ويزيد من الحاحه كلمة «وثيقة» العربية التى توحى بان مافى هذه الوثائق حقائق لا تقبل النقاش .

والواقع ان هذا ينطبق على العديد منها . فمن غير المعقول ان يكذب سفير على حكومته ، او حاكم لمقاطعة ما على وزير المستعمرات ، او قائد عسكرى على وزارة الحربية . ولكن هناك العديد من الوثائق التى تنقل الشائعات الرائجة ، واكثر من ذلك ، احاسيس وتوقعات منشئيها ، ولن يصعب على الباحث التفريق بين «الوثيقة الرسمية» وبين وثيقة تنقل الشائعات والتكهنات والاحاسيس .

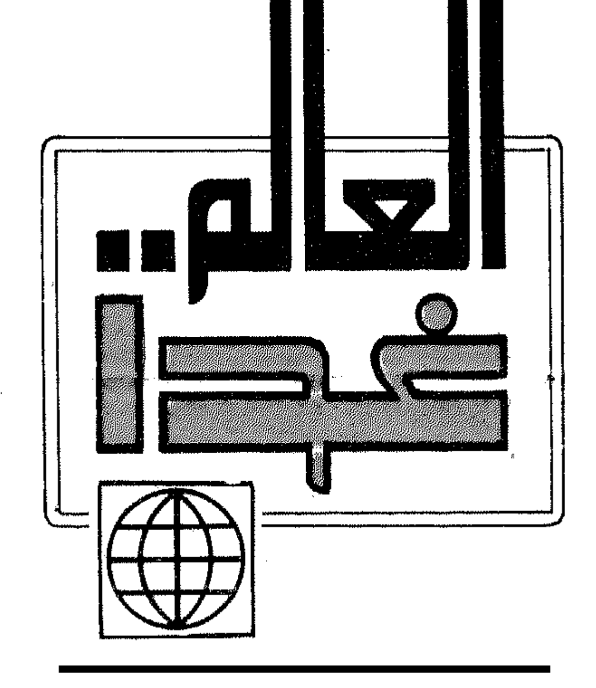
نضرب مثلا على ذلك ، الحقائق التى يسجلها حاكم عدن السير جون هاتورن هول ، حول موضوع هجرة اليهود اليمنيين الى فلسطين عن طريق عدن . ففى ملفات وثائق عامى ١٩٤٣ و ١٩٤٤ عما كان يسمى فى ذلك الحين وثائق بعنوان "ملخصات استخبارات عدن السرية » كانت تغطى كل اليمن ، شماله وجنوبه ، فى ذلك الحين ، وتلخص ما كان يجرى فيهما من اتصالات رسمية وغيرها ، فى تلك الفترة بدأ يهود اليمن بالهجرة عن طريق عدن ، التى سمحت بريطانيا بان يفتتح فيها فرع للوكالة اليهودية التى كانت تنظم عمليات الهجرة . وفى تلك الفترة ايضا ضربت المجاعة والقحط المنطقة ومات آلاف المواطنين جوعا ، خاصة فى المحميّة البريطانية . طلب يهود اليمن ، هربا من المجاعة ، الهجرة ، ووافق امام اليمن انذاك على هجرتهم ، مشترطا عليهم التنازل له عن املاكهم ، اهم شيء بالنسبة له . ووصلت افواج اليهود الى عدن ، واستقبلتهم الوكالة اليهودية اختارت من اختارته منهم ، ورفضت الباقين ، بحجة "عدم لياقتهم" للهجرة الى فلسطين . لم تعط الوكالة اسبابا تفسر معنى "عدم اللياقة" ، ولم يسأل الحاكم البريطانى السير جون هول عن تلك الاسباب ، ولكنه هيأ البواخر والسفن والحماية اللازمة لسفر "المقبولين" على حساب حكومة عدن "اى من اموال الشعب العربي فى عدن ، وتساءل الشعب هناك (وكل هذا من الوثائق الرسمية) كيف يجد الحاكم كل هذه الاموال لترحيل اليهود الى فلسطين (وكان الشعب العربى على قناعة فى تلك الفترة بان بريطانيا اعطت وعدا سريا لليهود بإقامة مملكتهم فى فلسطين) ولا يجد حتى وسائل النقل لمساعدة الحجاج المسلمين على السفر الى مكة ، من اموالهم هم !؟ ولكن الحاكم كان ينفذ سياسة محددة مدروسة ، وكان عليه ان يجد حلا لمشكلة اليهود اليمنيين الذين رفضت الوكالة اليهودية وفرعها فى عدن السماح لهم بالتوجه الى فلسطين . لم يطل الامر حتى وجد الحاكم ذلك الحل . اتصل بامام اليمن ، الامام يحيى بن حميد الدين ، الذى كان ابنه ، ولى العهد سيف الاسلام احمد ، قد عين واليا يهوديا على بلدة يمنية ليس فيها يهودى واحد ، وطلب منه السماح بعودة المهاجرين اليهود «سيىء الحظ» ، فوافق الامام . عاد اليهود الى اليمن ، وطالبوا باملاكهم التى كان قد وضع يده عليها ، فاشتكى اليهود الى حاكم عدن ! ! ارسل السير جون هول رسالة فورية الى الامام المستقل ، الذى سمح لاولاده دون غيرهم بتصدير الحبوب

والاغذية من اليمن فى الوقت الذى كان ٤٠٠٠ متسول يتجولون فى شوارع صنعاء بحثا عن الطعام ويموتون جوعا على ارصفتها ، "يطلب" منه فيها اعادة املاك اليهود اليهم ، فاطاع الامام ونفذ طلب الحاكم البريطانى فى عدن ! !

وفى نفس تلك الفترة التى كانت احصائيات وفيات مواطنى المحمية جوعا لا تقل عن المائة رجل وطفل وامرأة ، لم يرد اسم واحد منهم فى التقارير ، بل كانوا مجرد ارقام فى احصائيات ، ماتت يهودية واحدة من الجوع ايضا ، فى منطقة تسمى الشيخ عثمان قريبة من مدينة عدن ، ارسل الحاكم الى وزير المستعمرات عدة تقارير عن هذه الحادثة ، أولا عن تاريخ الوفاة ، ثم عن قراره بتشكيل لجنة تحقيق طبية ، وامنية لتقرير اسباب الوفاة ، ثم عن نتائج التحقيق ، الذى اثبت بالرغم من انها يهودية مثل كل اليهود ، فانها ماتت ، مثل كل الذين كانوا يموتون فى تلك الفترة ، من الجوع !

فمثل هذه التقارير لا يمكن ان يتطرق الشك اليها ، لانها حقائق وقعت بقرارات ومعرفة الحاكم البريطانى الذى كتب التقارير عنها الى وزيره ، وزير المستعمرات ، الذى عممها على وزير الخارجية والوزارات الاخرى المعنية . وايضا قرار الامام بحظر تصدير الحبوب من اليمن اثناء المجاعة ، وعن الاف الجائعين المشردين فى شوارع صنعاء ، فهى تقارير مبنية على بلاغات صدرت عن الامام نفسه ، ولكن استغلال ابناء الامام لظروف المجاعة وارتفاع الاسعار بشكل جنونى اثناء الحرب ليقوموا هم بتصدير هذه الحبوب وجنى الثروات الهائلة والشعب اليمنى يموت من الجوع ، فان هذا كله مبنى على تقارير استخبارية كان الحاكم يتلقاها من الحديدة ، ميناء اليمن الوحيد فى ذلك الوقت . فقد زرع البريطانيون فى ذلك البلد شخصا مسلم الاسم فارسى الاصول ، اسمه صالح جعفر محمد جعفر ، ظل يعمل جاسوسا لحسابهم هناك عشرات السنين ، تحت اسم "الكاتب السياسى البريطانى" فى الحديدة . ثم رفعوه الى مرتبة "مساعد ضابط الحدود" بعد توقيع اليمن وبريطانيا على معاهدة صنعاء لعام ١٩٣٤ . كان صالح جعفر صاحب اعمال تجارية كبيرة ، فى الحديدة وعدن ، وكانت له علاقاته القوية مع المصدرين والمستوردين . وهو الذى كشف ان اولاد الامام ، خاصة ولى العهد ، كانوا يصدرون الحبوب بموجب رخص تصدير يصدرونها هم ! فى وقت منع الامام رسميا تصدير هذه المواد من اليمن . هذه حقائق استخبارية يمكن الطعن فيها ، ولو ان انكارها سيكون مستحيلا حين يتعرف الباحث على بقية تصرفات هؤلاء الابناء وممارستهم واخلاقهم . ولكنها تبقى استخبارية ، لانها غير موثقة باذون تصدير موقعة مثلا ، والوثائق المرسلة الى وزير المستعمرات البريطانى حول هذا الموضوع تبين هذا الامر بوضوح ، فهى تسبق ذكر الخبر بكلمات "بلغنا" ، "علمنا" ، "يقال » و "سرت شائعة تقول" وغير ذلك .

ومهما يكن من امر ، فإن فى مركز الوثائق الرسمية البريطانية من المعلومات بالغة الاهمية ما يكفى لتغيير نظرة المواطن العربى الى الكثير من الامور الحالية والماضية ، وربما لتغيير اسلوب تعامله مع المستقبل ايضا .



• استخدام الذاكرة الاثرية وهدرها .. ! •

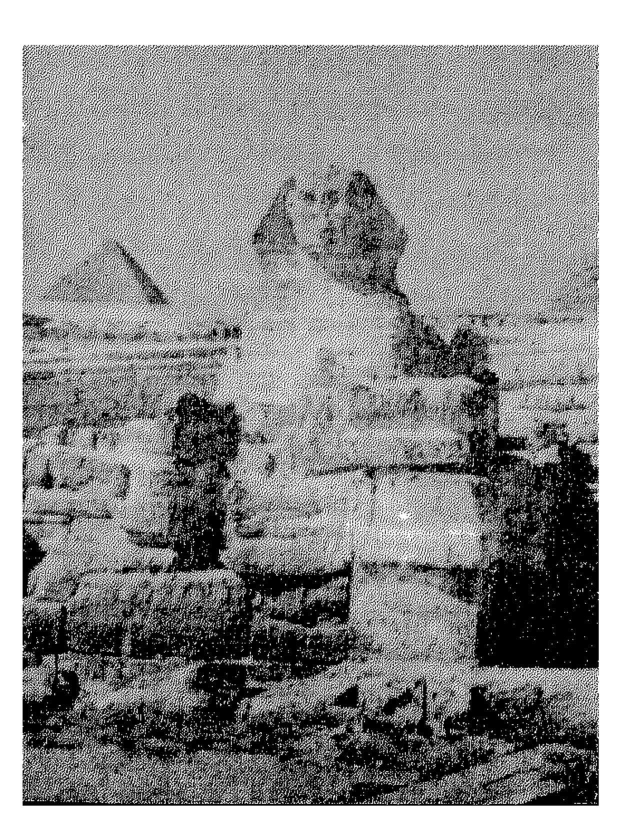
حين يواجه الانسان موقفاً ما يعود الى ذاكرته (أو مخزون تجاربه) فى محاولة لتمحيص الجهود التى يبذلها مجددا لمواجهة هذا الموقف ، وحتى لا يبدو وكأنه محكوم عليه بالبدء من الصفر دوما ، مهدراً كل الخبرات السابقة ..

ومع تطور البشرية لم تعد الذاكرة مجرد « مخزن » داخل رأس الفرد وانما تحولت الى مكتبات وأراشيف ، بل ومعلومات هائلة مخزونة فى الذاكرات الكمبيوترية ..

وبمناسبة الجهود الجارية لانقاذ الاثار المصرية فى منطقةالاهرامات يحق للمرء أن يتساءل هل توجد ذاكرة (أو أراشيف) للجهود العلمية التى بذلت قبلا ، لفهم نواميس تشييد ووجود هذه الاثار ؟ وهل يستفيد القائمون بالجهود الجديدة من معلومات وحقائق هذا الارشيف ؟

ان هذه نقطة جوهرية بصدد جدية وجدوى ما نبذله من جهد ، ولا بأس من تفصيلة صغيرة تكشف لنا مدى أهمية توجه من هذا النوع . ففى بحث أجراه مهندس الانشاءات الانجليزى د. دافيدسون (ترجمة أحمد فهمى أبو الخير) عالج لغز « السمنت » الذى لا يتجاوز سمكه ورقة النشاف ،والذي استخدمه المصريون القدماء فى الربط بين أحجار يتراوح وزنها بين ١٢ و ٢٠ طناً (!!)

وبين الفروض التى حاول دافيدسون تمحيصها ، مع تصوره استحالة الوصول الى سطوح اللصق الميكروسكوبية للحجارة الذلقة للهرم الاكبر باية وسيلة من وسائل الوصل الحديث بالسمنت .. بين هذه الفروض فرضية أن تكون سطوح الاحجار قد دلكت بمحلول قوى للشبة (المادة الوحيدة التى أمكنه التحقق من وجودها وقت البناء) وبالتالى لم يكن الالتصاق يجرى بين الأحجار بصورة طبيعية بل نتيجة لتفاعل كيميائى بين الشبة



والحجر الجيرى على كل من سطحى الالتصاق · ومن هنا الاستواء العجيب والمظهر الاملس المصقيل لاوجه الاحجار ورقة الطبقة اللاصقة والطبيعة الميكروسكوبية للوصلة ··

واذا صح هذا الفرض فهل يؤخذ ـ هو وما شابهه طبعا ـ بعين الاعتبار من قبل من يقومون بجهود الانقاذ الحالية ؟ واذا لم يصح فما هى الفروض الاخرى وهل تؤخذ بعين الاعتبار ؟··

مجرد تساؤلات لابد وان تفرض نفسها حول حقيقة وجود الذاكرة الخاصة بالابحاث الاثرية ، ومدى اعتماد علماء عصرنا عليها حتى لا يتحول جهدنا ، كجهد من سبقونا ، الى حرث فى البحر ··



• مصر وطاقة الرياح •

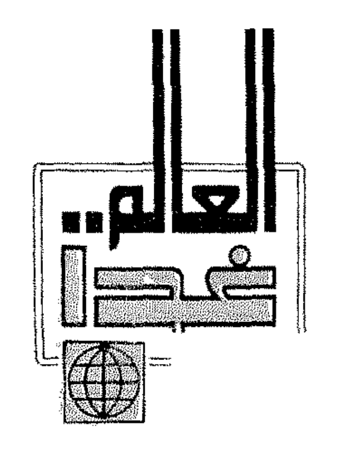
عرف الانسان من قديم الزمان أهمية الرياح ، والطاقة التى يمكن أن تتولد عنها ، بل واستخدمها بالفعل فى أغراض حياته المختلفة·· وما طواحين الهواء الا أحد الادلة الحية على ذلك·

ومع ارتفاع أسعار النفط ، وظهور ما يسمى بـ « أزمة الطاقة » ، انهمك المتخصصون فى البحث عن مصادر جديدة أو منسية ، للحصول على ما يلزم بلدانهم من طاقة ، ومن هنا كانت التجارب الكثفة التى تجرى خلال السنوات الاخيرة للاستفادة من طاقة الرياح بصورة أكثر تقدما وتلاؤما مع العصر واستخداماته ، وعلى نطاق أكثر اتساعا ·

وقد أسفرت التجارب فى بلدان عديدة مثل بريطانيا والدانمارك والولايات المتحدة الامريكية عن وحدات اقتصادية لتوليد الطاقة من الرياح يمكن أن يقترب سعر طاقتها من أسعار الطاقة المولدة فى محطات الفحم والمحطات النووية (٢ ـ ٣ سنتات للكيلوات) ··

ولمحطات طاقة الرياح أفضليات كثيرة فهى تبنى خلال ثلاثة شهور (مقابل ست سنوات على الاقل للمحطات النووية)، وهى أنقى الوسائل المعروفة لتوليد الطاقة ، ولا تسبب اضرارا بيئية مثل تلك التى يمكن أن تسببها المحطات النووية أو الحرارية (مثل الامطار الحامضية الناتجة عن محطات الفحم والنفط) ·

والجدير بالذكر أن محطات طاقة الرياح تستوعب عددا من الايدى العاملة يضاهى ما تحتاجه المحطات الشبيهة

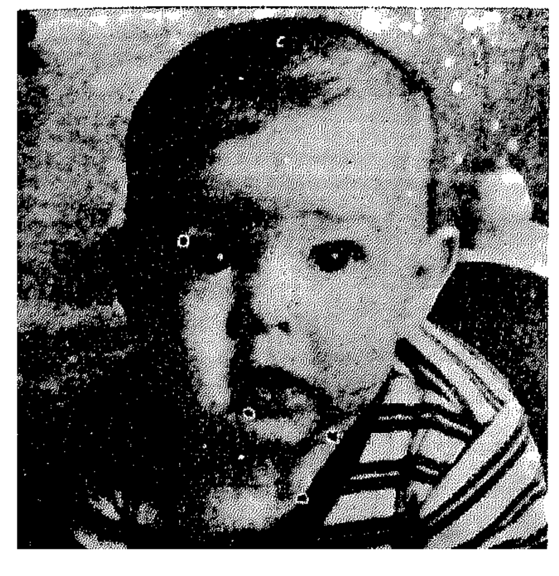


من حيث القدرة ، التى تولد الطاقة من الفحم . بينما يجرى العمل بها فى جو صحى لا توجد به أخطار تهدد العاملين، من قبيل الاشعاعات أو الغازات والاتربة الضارة .. لكن ذلك لم يمنع مهوسى حماية البيئة من الاعتراض على مثل هذه المحطات . زاعمين أنها ستتشوه « المنظر العالم » للمناطق التى ستقام فيها بالذات وانها ستقام فى مجموعات، ذلك ناهيك عن الضوضاء العالية التى تصاحب تشغيلها .. وقد دفع ذلك الى البحث عن مواقع بعيدة عن المناطق الطبيعية الخلابة لاقامة مثل هذه المحطات ، والعمل على أن تجىء وحداتها جزءا مكملا للمشهد الطبيعى لا جزءا متنافرا معه .

ومن الجدير بالذكر أن الدراسات المناخية ودراسات أنماط تحرك الرياح أثبتت وجود مناطق عديدة فى مصر تعد بين أكثر المناطق العالمية مواءمة لاستخدام طاقة الرياح . هذا وقد وقع الدكتور عاطف صدقى ، خلال مباحثاته الاخيرة مع الاردن ، اتفاقا لاقامة مصنع لمراوح طاقة الرياح .

وسوف تكشف السنوات الخمس القادمة بصورة أفضل على المستوى العالمى ـ عن امكانات طاقة الرياح ، اذ سيجرى خلال ذلك صنع مراوح بقوة ميجاوات بدلا من الوحدات الصغيرة التى تستخدم حاليا .

● ادراك الجنين للاصوات ●



بينت سلسلة من الدراسات التى أجريت أخيرا أن الطفل يسمع ويدرك الاصوات وهو ما زال جنينا فى بطن أمه ، بقدر أوفى مما كان معروفا من قبل ..

فقد أثبتت تجارب أجريت فى نيوزيلندا أن الاطفال الحديثى الولادة يستطيعون تمييز صوت والدهم من بين الاصوات الاخرى ويفصحون عن ذلك بعلامات توحى بالغبطة والسعادة ..

هذا وذكرت مجلة « لانست » الطبية أخيرا أن الاطفال الذين اعتادت أمهاتهم مشاهدة برامج تليفزيونية معينة، خلال الحمل ، سرعان ما يهدءون ويكفون عن البكاء عندما يسمعون اللحن المميز لهذه البرامج ..

ومن الملاحظات التى سجلها طبيب اخر أن زوجته كانت تتسلى أثناء الساعات الاولى من المخاض بلعب الطاولة . فظل صوت أحجار النرد ـ الذى يتردد خلال اللعب ـ يرن فى أذن

الطفل وهو يعاني تقلصات الرحم خلال المخاض .. وظل الطفل أربعة شهور بعد ولادته يستيقظ باكيا كلما سمع قرقعة أحجار النرد على الطاولة ، مع أنه لم يكن يتأثر بأصوات أعلى منها بكثير ..

● اعضاء الخنازير للبشر ●

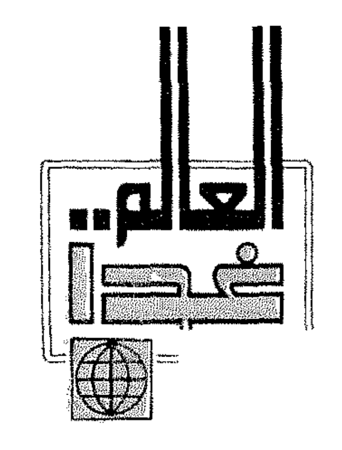
أعلن الدكتور مايكل ديويك وهو جراح بريطاني أجرى ما يزيد على الفي جراحة لزرع الاعضاء خلال السنوات العشرين الاخيرة . أن الجراحين البريطانيين قد توصلوا الى أسلوب يمكنهم من استخدام أعضاء الخنازير (القلب والكبد والكلى) لانقاذ حياة البشر الذين يحتاجون لمثل هذه الاعضاء .. وأن فريقه الطبي سيبدأ باجراء التجارب على الحيوانات في وقت لاحق من هذا العام ، في مزرعة الابحاث التابعة لكلية الجراحين الملكية ، وذلك بنقل الكلى من الخنازير الى الخراف ، واذا نجحت التجارب فسوف يبدأ الفريق اجراء مثل هذه الجراحات على البشر في العام القادم .

ويدعي الطبيب البريطاني أن فريقه قد توصل الى أسلوب سيمكنه من التغلب على مشكلات الطرد التي تصاحب زراعة الاعضاء ، وذلك بمعالجة دم متلقي العضو وتصفيته من جميع الاجسام المضادة الموجودة فيه. اذ أن هذه الاجسام التي يساهم جهاز المناعة في تكوينها لمواجهة أي عنصر أو جرثوم غريب يدخل الجسم هي العامل الذي يسبب رفض الاعضاء الجديدة .

هذا كما أن الاعضاء ـ على الجانب الآخر ـ تعد مصدرا لا مثيل له للاعضاء البديلة لان أعضاءها مشابهة كل الشبه من الناحية العضوية لاعضاء الانسان ، ناهيك عن ان الخنزير يقارب الانسان من حيث الحجم ، بالاضافة الى وفرته ورخص ثمنه مقارنة بالشمبانزي (البديل الممكن للخنزير) .

لكن خبراء المناعة يشككون في نجاح مثل هذه التجارب ويعتقدون أن الوقت لم يحن بعد للتفكير في نقلها الى الانسان .. ذلك حتى وان أمكن التغلب على عملية رفض العضو المزروع ، لان الاعضاء الحيوية (كالكلية مثلا) معقدة التركيب ، تعتمد في أداء وظائفها على توازن دقيق للهرمونات ، وتوزيع محكم لضغط الدم ، الامر الذي يهدد حياتها تدريجيا عند الانتقال ، لاختلاف مثل هذه العوامل بين حيوان وآخر .. ومن المعروف أن العقاقير الكابحة لرفض الانسجة ، مثل عقار السيكلو سبورين، تسبب تلفا مستديما في الكلى لا يظهر الا بعد سنوات من اجراء عملية الزرع، لذلك فالانتقال من التجارب على الحيوانات الى التجارب على البشر بعد سنة واحدة فيه تسرع غير محمود هذا كما أن تلف العضو الاصلي الذي يخلق الحاجة الى استبدال عضو آخر به يرجع في معظم الاوقات الى مشاكل في الجهاز المناعي. واذا نجحت الاساليب الحديثة في منع رفض الاعضاء المزروعة فقد يتمكن الاطباء من استخدامها في منع تلف العضو الاصلي ، فلا يحتاج الى عضو بديل من الخنزير أو غيره ..

ومن الجدير بالذكر أن هناك فتوى من المجمع الفقهي التابع لرابطة العالم



الاسلامي (يناير ١٩٨٥) . ولعدد من المؤسسات الفقهية الاسلامية بعد ذلك ، تؤكد ان الخنزير « طاهر العين محرم اللحم » وأن تحريم تعاطى لحم الخنزير واستهلاكه لا يمنع الاستفادة من اجزائه عند الضرورة فى انقاذ حياة الانسان (وفق مذهب الامام مالك) ..

وقد اثارتأنباء هذهالتجارب لجاجا عظيما فى الاوساط الطبية والاجتماعية والدينية حتى أن الجراح الذى صرح بها اضطر الى الاستقالة من عمله بعد أن احتج زملاؤه فى البحث على اقرانه للموضوع قبل أن تتضح ملابساته .

● الالكترونيات والنحل القاتل ●

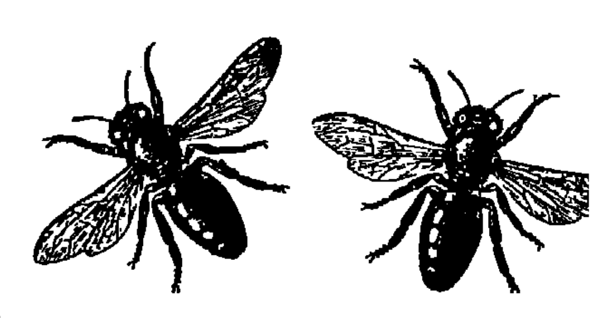
فى عام ١٩٥٦ قام العلماء بتجارب للمزاوجة بين صفات النحل الاوربى والنحل الافريقى فى محاولة للحصول على أنواع جديدة أقدر على انتاج العسل يمكنها العيش فى المناطق الاستوائية .

آنئذ تسرب بطريق الخطأ أحد الانواع المهجنة ، الذى لم يرث وفرة الانتاج عن النحلة الاوربية ، بل وجاء شديد الشراسة فى الدفاع عن خليته ، حتى انه يهاجم أى انسان أو حيوان يمر على بعد نص كم منها ، وقد يتمادى فى هجومه حتى قتله ، ومن هنا عرف هذا النوع فيما بعد باسم النحل القاتل ..

ولم تكن الشراسة الصفة الوحيدة التى دفعت الى العمل على التخلص من هذا النحل ذلك أنه بات،وبعدوانيته ينافس النحل المحلى فى مزارع تربيته، لانه أقدر على جمع الرحيق ، ناهيك عن توريثه لصفاته غير المرغوب فيها الى أنواع النحل الاخرى ، الامر الذى هدد تجارة العسل بالانهيار نهائيا . فى بعض المناطق التى هاجمها .

وقد أخذ النحل القاتل فى الانتشار على نطاق واسع ، وبعد انتقاله من البرازيل الى أمريكا الوسطى والمكسيك، يشد رحاله حاليا الى الولايات المتحدة الامريكية مستبقا خطة كانت وزارة الزراعة الامريكية قد وضعتها لنصب كمين له فى أضيق مناطق الارض المكسيكية ، تعتمد على تدمير أعشاشه. ثم اطلاق عدد كبير من ذكور النحل الاوربى الوديع ، لمنافسة النحل القاتل، فى تلقيح الملكات ، سعيا الى اجيال أقل شراسة،وطمعا فى ازالة هذهالصفة نهائيا على مدى بضعة أجيال ..

ولم يعد أمام الحكومتين الامريكية والمكسيكية حاليا الا استعمال المبيدات الحشرية . التى ساهم فى الاحجام عن استخدامها حتى الان كونها تبيد النحل المحلى ناهيك عن النحل القاتل ، فتؤذى منتجى العسل ومزارعى المحاصيل التى تعتمد على النحل فى لقاحها ..



ولحل هذه المشكلة تمكن المهندسون الالكترونيون الامريكيون من تصنيع رقائق سليكون تعمل بالطاقة الشمسية يمكن لصقها فى بطن بضع نحلات قاتلة. ومتى أطلقت هذه فى الخلاء وعادت الى أسرابها أمكن للمتخصصين اقتفاء أثرها باتباع اشارات صادرة عن رقائق السليكون ، وبالتالى يمكن ابادتها بالكيماويات ، دون التعرض للانواع المحلية المفيدة ..

● قمح مقاوم للملوحة ●

القمح هو عماد الغذاء وقوت الحياة ومن هنا لا يزال أهم المحاصيل الغذائية فى عالمنا حتى اليوم . وقد بدأت ملوحة التربة تلعب دورا معاكسا لهذا المحصول الخطير فى كثير من البلدان (بينها مصر) . ذلك أن مشاريع الرى الحديثة التى تستهدف النهوض بالاستفادة من الاراضى الزراعية ، ساهمت من جانب اخر فى تحويل مساحات واسعة (ثلث الاراضى المروية تقريبا) الى صحراوات ملحية قاحلة ، نتيجة المعدل المرتفع لبخر المياه فى الاراضى التى تروى بالغمر فى البلاد الحارة الجافة ، مما يؤدى الى تراكم الملح . تدريجيا فى الطبقات السطحية للتربة ، ويخل بالتوازن بين كمية الملح داخل الخلية النباتية وخارجها مما يؤدى الى موت النباتات ..

وتجىء مشكلة القمح بالذات نتيجة شدة حساسيته للاملاح مع فقدان الصفة الموروثة التى تجعل بعض أنواعه قادرة على تحمل نسبة الملوحة العالية ..

وقد كد العلماء فى البحث عن اسلاف نبات القمح التى تتميز بهذه الخاصية ، ووجدوا ضالتهم فى نوع من القمح العشبى البرى فقاموا بدمغ صبغياته (جيناته) مع صبغيات قمح الغلال ليتكون لديهم صنف جديد ، قادر على تحمل نسبة عالية من الملوحة (نصف نسبة ملوحة مياه البحر تقريبا) .

ومع أن ريع هذا النوع من القمح مازال محدودا يعد هذا الانجاز ، دون شك ، خطوة كبرى على طريق التقدم الزراعى عامة لان توصل العلماء الى التعرف على المورث المسئول عن خاصية تحمل الملح يعنى امكان نقلته الى أجناس نباتية أخرى ، للحصول على أصناف جديدة من النباتات يمكنها العيش فى تربة ملحية .

وتشهد باكستان حاليا وهى صاحبة أوسع شبكة من قنوات الرى فى العالم والتى يبور ٨ الاف هكتار من أراضيها سنويا ، نتيجة للرى بالغمر ، تشهد تجربة زراعة الصنف الجديد من القمح ومعها ينتظر العالم كله النتيجة التى يمكن أن تكون فاتحة خير بالنسبة لزراعة القمح وغيره من المحاصيل ..



• ١٦١ دولة فى سيول تحطيم للرقم القياسى السابق ..

وبعد أيام .. وعلى وجه التحديد يوم ١٧ سبتمبر الجارى .. سوف تبدأ فى عاصمة جمهورية كوريا الجنوبية سيول الدورة الأوليمبية رقم ٢٤ بالحساب الزمنى .. ورقم ٢١ بالحساب العددى الفعلى .. ويتوقع معظم الخبراء الرياضيين العالميين لسيول أن تحطم أسطورة طوكيو وتقضى عليها وتنتزع منها القمة على رأس كل الدورات الأوليمبية .. خصوصا بعد ذلك التصريح الذى أدلى به أخيرا خوان أنطونيو سامارانش رئيس اللجنة الأوليمبية الدولية وقال فيه ..

١٦١ دولة فى الدورة ..رقم جدبا

« اننى على يقين من أن كل الد الرياضية الرائدة سوف تكون حاضرة فى سيول .. فقد بذلت حكومة سيول جهود خيالية لا يصدقها عقل لم يحدث لها ه مطلقا من أية دولة أو مدينة نظمت الدو الأوليمبية من قبل .. فجميع الامكانات الرياضية أصبحت جاهزة تماما لكى تبد المنافسات .. وقد أرسلت اللجنة الأوليمبي الدولية الدعوة للاشتراك فى دورة سيو الى اللجان الأوليمبية فى ١٦٧ دولة ه الدول الأعضاء فى اللجنة الدولية .. وكا

● هناك إجماع عالمى على أن دورة طوكيو الأوليمبية ١٩٦٤ هى أحسن وأفضل وأرقى دورة أقيمت فى العصر الأوليمبى الحديث منذ أول دورة أقيمت عام ١٨٩٦ حتى آخر دورة فى لوس انجلوس ١٩٨٤

وسبب هذا الاجماع يرجع إلى الامكانات الهائلة الباهرة التى جهزتها اليابان ورصدتها لاخراج دورتها فى أبدع وأزهى صورة يمكنها أن تفاخر بها وتباهى بما ابتكرته وأدخلته فى تنظيم الدورات الأوليمبية من وسائل اليكترونية كانت فى ذلك الوقت تعد حدثا مفاجئا جديدا .. أضف إلى هذا ما تميز به اليابانيون من أدب جم وكرم ضيافة لا مثيل له من قبل ولا من بعد .. وبعد طوكيو توالت الدورات فى المكسيك .. فى ميونيخ .. فى مونتريال .. فى موسكو .. فى لوس انجلوس .. ورغم إمكانات المانيا الغربية وكندا والاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة الأمريكية .. فإن الذين عاصروا كل هذه الدورات وما سبقها لم يتراجعوا أبدا عن وضع التنظيم المثالى لدورة طوكيو على قمة التنظيم فى كل الدورات السابقة واللاحقة على الاطلاق

● ملاعب عديدة وقريتان جديدتان وحمام سباحة سابق للعصر ..

أمام هذه اللجان ٤ شهور لترسل ردودها حتى منتصف ليلة ١٧ يناير ١٩٨٨ .. واللجنة الدولية تشعر بابتهاج عظيم لأن الرقم القياسى لعدد الدول التى اشتركت فى الدورات الأوليمبية السابقة قد تحطم فى سيول باعلان ١٦١ دولة اشتراكها فى الدورة » ..

هذا ما قاله سامارانش وهو اذا قال فإنه يعنى كل كلمة .. ذلك انه تردد على سيول عدة مرات وأرسل مبعوثيه لمراقبة الاعداد للدورة على مدى السنوات الأربع الماضية .. ولمس بنفسه كيف أن الكوريين قد بذلوا الكثير من الجهد وانفقوا الكثير من الأموال حتى أصبحت سيول مدينة من أعظم وأجمل مدن الشرق الأقصى بصفة خاصة والعالم بصفة عامة .. ولكى تخرج العاب سيول الأوليمبية باسلوب عصرى حديث خال من الشروخ أو العيوب فى تواصل كامل للفكرة الأوليمبية .

● الإغريق بداوا الحركة الأوليمبية ق . م

وقبل أن نستطرد فى الحديث عن دورة

سيول نجد من المهم أن نوضح أمرا .. ذلك أنني قلت انها الدورة رقم ٢٤ بالحساب الزمني .. ورقم ٢١ بالحساب الفعلي والعددي .. فلقد بعث البارون دي كوبرتان الفرنسي الحركة الأوليمبية الى الوجود في عام ١٨٩٦ بعد أن توقفت الحركة الأوليمبية القديمة بقيام الأمبراطورية الرومانية على أنقاض امبراطورية الأغريق .. وكان الأغريق .. وهذا طبعا قبل الميلاد .. قد وجهوا الدعوة إلى الدول المحيطة ببلادهم لخوض منافسات رياضية تغنيهم عن القتال والحروب .. أى أن الهدف الأوليمبي الذى سعى إليه قدماء اليونانيين هو السلام .. وقد ظل الهدف قائما في العصر الأوليمبي الحديث ..

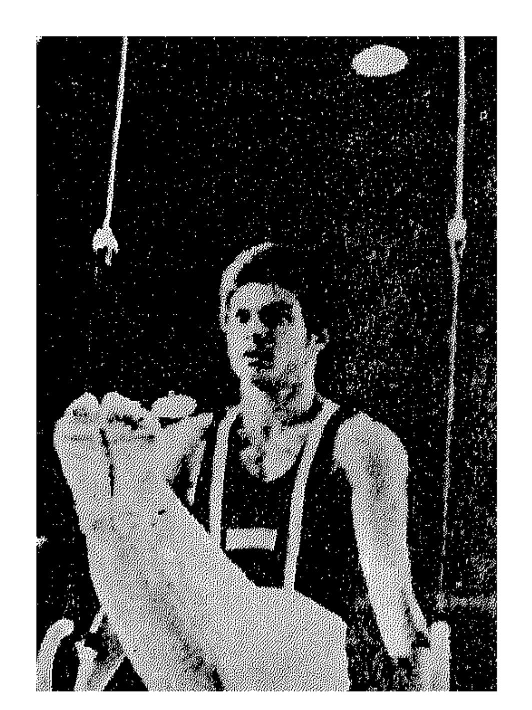
● الحروب منعت إقامة ٣ دورات

وفيما بين عام ١٨٩٦ حين أقيمت أول دورة أوليمبية حديثة وعام ١٩٨٨ حين تقام آخر دورة في سيول مضى من الزمن ٩٢ عاما .. فإذا حسبنا أن بين كل دورة وأخرى ٤ سنوات .. فإن عدد الدورات الذى يتخلل هذه الفترة الزمنية يبلغ ٢٤ دورة .. غير أن ظروف نشوب حربين عالميتين قد حالت دون إقامة ثلاث دورات في ١٩١٦ و ١٩٤٠ و ١٩٤٤ .. ومع ذلك فقد حرصت اللجنة الأوليمبية الدولية على عدم شطب أرقام هذه الدورات التى لم تظهر إلى الوجود حتى يتذكر العالم دائما أن هذه الدورات الثلاث كان يجب أن تقام لولا الحرب .. وأنه مادام السلام قائما فإن الحركة الأوليمبية ستظل ماضية على الطريق .

● مقاطعة متبادلة بين الأمريكان والسوفييت

على أن الحركة الأوليمبية تعرضت بعد ذلك لحادثين خطيرين .. في عام ١٩٨٠ حين أقيمت الدورة بموسكو .. قادت الولايات المتحدة حملة شعواء هدفها إسقاط الدورة السوفييتية وإفشالها بسبب الغزو السوفييتي لأفغانستان وإهدار السلام فيها .. وقاومت اللجنة الأوليمبية الدولية هذه الحملة داعية إلى فصل السياسة عن الرياضة واعتبار الدورة في موسكو ملتقى لكل المتصارعين سياسيا .. فاللقاءات الرياضية كفيلة دائما بالتقريب بين النفوس وتصفية ما في القلوب .. ومع ذلك فقد نجحت الولايات المتحدة الأمريكية في اقناع عدد كبير من الدول المحبة للسلام بمقاطعة الدورة في موسكو ..

وكان رد السوفييت على ما فعله الأمريكان بدورتهم جاهزا في الدورة التالية مباشرة التى أقيمت بعد أربع سنوات في لوس انجلوس ١٩٨٤ .. فسعى الاتحاد السوفييتي لاقناع أكبر عدد من الدول لمقاطعة الدورة الأمريكية .. ولكن الحجج التى ساقها لم تقنع معظم دول العالم .. فلم يشارك الاتحاد السوفييتي في مقاطعة دورة لوس انجلوس من دول العالم إلا دول الكتلة الشرقية الدائرة في فلك السياسة والنفوذ السوفييتي .



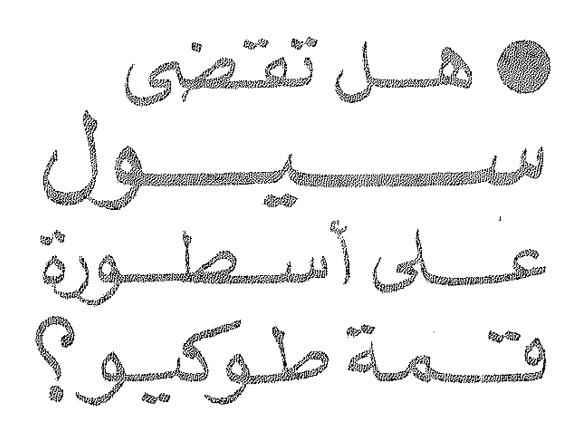
● انفجرت الطائرة .. وهددت بيونج يانج بالمقاطعة

ولقد واجهت سيول صعوبات خطيرة وهى فى بداية اعدادها لاقامة الدورة الأوليمبية .. وكانت المفاجأة فى مطالبة حكومة جمهورية كوريا الشمالية الشعبية الديمقراطية باعتبار الدورة كورية عمومية وليست جنوبية بمعنى أنها طالبت باشتراك الكوريتين فى تنظيم الدورة واقتسام اقامة المسابقات فى مختلف الألعاب مناصفة بين سيول وبيونج يانج .. وبينما هذا الصراع دائر على أشده وقعت فى يوم ٢٩ نوفمبر ١٩٨٧ حادثة اليمة .. فقد انفجرت طائرة ركاب تابعة لكوريا الجنوبية فوق بورما ولقى ١١٥ راكبا مصرعهم ! .

تفاقمت الأمور .. واتهمت حكومة سيول حكومة بيونج يانج بالتورط فى التدبير للحادث .. وردت حكومة بيونج يانج بأن الحادث لم يكن إلا « دراما مفتعلة » من جانب حكومة سيول .. وهددت كوريا الشمالية من جديد بمقاطعة الدورة ما لم تقاسم كوريا الجنوبية مناصفة فى استضافة ألعاب الدورة الأوليمبية ..

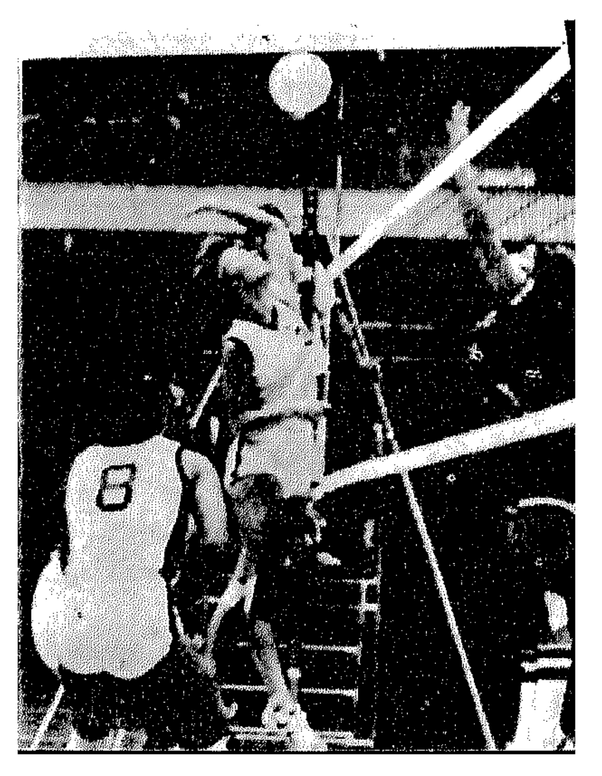
● هل تهدد بيونج يانج امن الدورة ؟

قد يقول البعض .. وما أهمية أن تقاطع كوريا الشمالية الدورة ؟ .. بناقص دولة .. ولكن المجتمع العالمى ممثلا فى مجموعة دول الشرق الأقصى والباسيفيك والولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتى بالاضافة إلى اللجنة الأوليمبية الدولية لم ينظر للتهديد بالمقاطعة هذه النظرة الضيقة .. إنما رأى فى هذه المقاطعة ما قد يهدد أمن الدورة والفرق المشاركة فيها من ١٦١ دولة والصحفيين وكبار رجال العائلة الأوليمبية من كل انحاء العالم .. لذلك فقد دعت اليابان فى مؤتمر دول اسيا والباسيفيك إلى احكام التعاون لمحاربة



الارهاب الدولى ولتأكيد أمن دورة سيول التى أصبحت مهددة بالمخاوف وبما أوردته التقارير عن الارهابيين الذين هاجموا الطائرة الكورية الجنوبية وفجروها فى الجو .

ووصلت المفاوضات بين اللجنة الأوليمبية الدولية والوسطاء من اليابان وأمريكا من ناحية وبين حكومة سيول إلى اقناع حكومة سيول بالتنازل عن عدد من اللعبات لتقام فى كوريا الشمالية .. غير أن حكومة بيونج يانج أصرت على موقفها



ومطالبتها باقتسام اللعبات وتنظيم الدورة مناصفة متساوية تماما بين الكوريتين ..

● كوريا الشمالية وكوبا ترفضان . إلا إذا

وتأكيدا لموقفها ردت اللجنة الأوليمبية التابعة لحكومة كوريا الشمالية على الدعوة الموجهة إليها للاشتراك فى دورة سيول بأنها ترفض الاشتراك ما لم تتم الاستجابة لمطالبتها باقتسام استضافة الفرق وتنظيم المسابقات مناصفة مع كوريا الجنوبية .. وتحالفت معها حكومة كوبا وأرسلت ردا طبق الأصل إلى اللجنة الأوليمبية الدولية .. على حين أعتذرت نيكاراجوا عن المشاركة فى الدورة للظروف التى تمر بها البلاد .. بينما لم يصل للجنة الدولية أى رد أو اعتذار من دول ثلاث هى ألبانيا وسيشيل وأثيوبيا .

● تصريح نارى لسامارانش

وما أن تلقت اللجنة الأوليمبية الدولية رد لجنتى كوريا الشمالية وكوبا حتى أطلق رئيسها سامارانش تصريحا ناريا قال فيه .. « لقد جاء رد اللجنتين مخيبا لآمال الحركة الأوليمبية وأهدافها النبيلة .. بصفة خاصة ونحن ترى اللجنة الأوليمبية لكوريا الشمالية كما لو كانت لا تفهم أو لاتريد أن تحقق المغزى التاريخى للعرض الذى قدم إليها فى منتصف يوليو ١٩٨٧ بالموافقة على تنظيمها لعدد من اللعبات .. وهى على أى حال سوف تعانى فى الأسابيع القليلة القادمة من مظاهر نجاح حكومة سيول فى تنظيم الدورة ما يمس مركزها وسوف يصبح عليها أن تبذل مزيدا من الكفاح لوقت طويل للابقاء على الباب مفتوحا أمام احتمالات الوصول الى اتفاق معها .. ولسوف تعرف اللجنة الأوليمبية لكوريا الشمالية أن أهم ما فى الأمر أن هذه الدورة بهذا التجمع بين الرياضيين الشبان ستكون مهرجانا حقيقيا لربيع جديد للبشرية والأخوة والصداقة والتفاهم الطبيعى والسلام » .

فما الذى يدعو سامارانش رئيس اللجنة الأوليمبية الدولية إلى كل هذا القدر من الثقة فى أن دورة سيول سوف تكون أفضل الدورات التى أقيمت حتى إقامتها على الاطلاق .. إلا أن تكون حكومة سيول ولجنتها الأوليمبية واللجنة المنظمة العليا واللجنة التنفيذية قد انتهت إليه من انشاءات وتجهيزات تفوق كل ما سبقتها إليه الدول التى نظمت الدورات السابقة بما فيها دورة طوكيو اليابانية .

● ملاعب وحمام سابق للعصر

أما عن الانشاءات الرياضية فحدث ولا حرج .. فلقد تم تشييد ٣٣ مجمعا رياضيا للمباريات وصالتين لاقامة ٣٤ مباراة و٦ ملاعب مجهزة بالاحتياجات الضرورية اللازمة لاقامة ٢٣٧ مسابقة فى ٢٣ لعبة رئيسية فى الدورة .. وهذا فضلا عن حمام السباحة الأوليمبى الذى تم تشييده على أحدث نظام عالمى فى الحديقة الأوليمبية « أوليمبيك بارك » .. وسوف يكون الحمام سابقا للعصر الذى نعيشه بالسطح الزجاجى الذى يغطيه ليكفل انتظام نظام تكييف الهواء ويسمح فى نفس الوقت بدخول أشعة الشمس إلى داخله .

● قريتان للرياضيين والصحفيين

أضف إلى ذلك أن حكومة سيول انتهزت فرصة الاعداد للدورة لتجميل العاصمة وإقامة نهضة عمرانية رائعة .. وكان عليها أن تدبر أماكن الإقامة لأكثر من ١٣ ألف رياضى و٦ آلاف صحفى .. فانشأت قريتين إحداهما للرياضيين تتكون من ٨٦ مبنى

تضم ٣٦٩٢ شقة والأخرى للصحفيين وتتكون من ٣٦ مبنى تضم ١٨٤٨ شقة على أن هذه المبانى التى سيقيم بها الرياضيون والصحفيون وهى جديدة حديثة الإنشاء تماما سوف تتحول بعد الدورة إلى ضاحيتين سكنيتين يمتلكهما أبناء الشعب الكورى .. وهذا فضلا عن الشقق الفاخرة التى اتخذت لإقامة أعضاء العائلة الأوليمبية من كل أنحاء العالم .

ولم تنس اللجنة التنفيذية العليا للدورة أن عشرات الألوف من مختلف أنحاء العالم سوف يحرصون على زيارة سيول لمشاهدة المنافسات والمسابقات الأوليمبية والاستمتاع بمعالم سيول السياحية الخلابة .. فأنشأت ١٢٠ فندقا سياحيا جديدا تضم ١٤ ألف غرفة . كما عهدت إلى إحدى شركات السياحة الكورية الكبرى بأمر تدبير الاقامة مع العائلات الكورية للسياح الذين يفضلون ذلك فى مقابل ٢٥ دولارا للغرفة المفردة و٣٠ دولارا للغرفة الزوجية .

● الشعلة انطلقت من أوليمبيا

وفى أثينا .. مهد الحركة الأوليمبية القديمة والحديثة .. ومنها تنطلق الشعلة فى كل دورة إلى مركز إقامتها .. فى أثينا انعقد اجتماع خاص بانطلاق الشعلة .. فانطلقت يوم ٢٣ أغسطس الماضى من مدينة أوليمبيا عند سطح جبل أوليمبيا حيث ينهض شامخا تمثال الآلهة أوليمبيا .. وبعد مرورها على مدينة كورينتوس ثم وصلت يوم ٢٥ أغسطس إلى أثينا حيث أقيم احتفال كبير فى ستاد باناثيناك الذى أقيمت عليه أول دورة أوليمبية فى العصر الحديث .. ومن الاستاد طارت الشعلة إلى جزيرة « شيجى دو » فوصلتها بعد يومين .. ومن المقرر أن تصل يوم السبت ١٧ سبتمبر إلى الاستاد الأوليمبى بسيول بعد أن تقطع رحلة داخل أراضى كوريا الجنوبية طولها ٤ آلاف كيلو متر .



● أغلى تذاكر لحفلى الافتتاح والختام

وتخوض سيول منافسة من أهم المنافسات الأوليمبية فى حفلى الافتتاح والختام .. ولعل الجميع الذين تابعوا على شاشات التليفزيون هذه الاحتفالات فى دورات ميونيخ ومونتريال والمكسيك وموسكو ولوس انجلوس لازالوا يذكرون أن كل دولة تفننت فى اخراج حفلى الافتتاح والختام باهرين مبهرين .. .. ولازال حفل افتتاح دورة لوس انجلوس ماثلا فى الاذهان بالاستعراض الرائع الذى قدمته عن تاريخ الولايات المتحدة منذ الهجرة الأوربية إليها حتى توحيد الولايات المتحدة فى تشكيلات رائعة .. وحفل الختام الذى استخدمت فيه امريكا أشعة الليزر .. ولقد أعدت سيول حفلين تؤكد المصادر الأوليمبية أنهما سيصبحان حديث العالم كله .. ولذلك فليس عجيبا أن اللجنة المنظمة العليا للدورة حددت أسعارا مرتفعة جدا لتذاكر حضور كل من الحفلين

.. والأسعار هى .. مائتان من الدولارات الأمريكية و ١٦٠ دولارا و ١١٠ دولارات و٧٠ و٤٠ دولارا .. وعرضت التذاكر للبيع فى داخل كوريا وخارجها ابتداء من أكتوبر ١٩٨٧ عن طريق اللجان الأوليمبية ومكاتب التوكيلات فى مختلف بلاد العالم .. ويقول نبأ وارد من مصدر أوليمبى أن التذاكر التى تم عرضها خارج كوريا قد تم بيعها بالكامل .. بينما عشرات الألوف من أبناء شعب كوريا الجنوبية قد وضعوا أسماءهم على الكمبيوتر لحجز أماكنهم فى حفلى الافتتاح والختام وأيضا لحجز بطاقات حضور المسابقات التى يرغب كل منهم فى مشاهدتها .

● ٥ شركات عملاقة للأجهزة الاليكترونية

هذا وقد تعاقدت اللجنة المنظمة العليا للدورة مع خمس شركات عملاقة لأداء الخدمات الاليكترونية .. فتقوم شركة فيليبس الهولندية بتوريد جميع أجهزة التليفزيون الملون لوضعها فى القريتين الرياضية والصحفية وفى المركز الصحفى الرئيسى والمراكز الفرعية المنتشرة فى كل الملاعب وفى المركز الدولى الذى تم إعداده خصيصا للإذاعة والتليفزيون .. وقامت شركة ماتسوشيتا اليابانية بتوريد كافة أجهزة الڤيديو ومعداتها لإذاعة جميع المسابقات والمباريات على الهواء على ٢٠ قناة تليفزيونية .. وتم تحديد شركتى جولد ستار وسامسونج الكوريتين لتوريد وتركيب الأجهزة الاليكترونية الأخرى .. بينما تعاقدت اللجنة مع شركة الزيروكس الأمريكية التى وردت ٤١٦ جهاز كمبيوتر عالى القوة لوضعها فى مراكز الكمبيوتر المنتشرة فى كل الملاعب والمراكز الصحفية والإذاعية ومعها ١٢٠ فنيا متخصصا لخدمة الأجهزة وصيانتها

● ٨٤ ألف شخص لخدمة الدورة

ويعمل فى خدمة الدورة ٧٩ ألف شخص من الجنسين .. منهم ٢٩ ألفا فى وظائف المنشآت الرياضية و٤٤ ألفا فى المسابقات و٦ آلاف فى الخدمات .. فضلا عن خمسة آلاف متطوعة ومتطوع للقيام بأعمال الترجمة لمختلف اللغات قضوا وقتا طويلا فى عمل جاد خلال دورة عقدت خصيصا لتدريبهم على فنون مرافقة الرياضيين والصحفيين والضيوف من أعضاء العائلة الأوليمبية .

● مركز صحفى لم يسبق له مثيل

وقد صرحت الآنسة ميشيل فيردير الفرنسية التى قامت بدور حلقة الاتصال بين اللجنة الأوليمبية الدولية واللجنة المنظمة العليا الكورية وأصبحت بالفعل المتحدث الرسمى فى المركز الصحفى .. صرحت قائلة .. « أن الامكانات فى المركز الرئيسى والمراكز الفرعية يفوق مستواها بكثير أى مركز صحفى فى أية دورة سابقة » .. وميشيل فتاة جميلة ذات ملامح جذابة يقترب عمرها من الثالثة والثلاثين وقد صرحت بأنها لم تتزوج ولا تفكر فى الزواج فى الوقت الحالى .

● أوتوبيسات بين المساكن والملاعب

وقد تم تنظيم وسائل الانتقال تنظيما مثاليا .. فسيارات الأوتوبيس التى ستحمل الرياضيين والأخرى التى ستحمل الصحفيين من أماكن إقامتهم إلى الملاعب سوف توجد فى أماكن الإقامة قبل مواعيد كل مباراة أو مسابقة بساعة كاملة ولا تتحرك عائدة بهم إلا بعد ساعتين من انتهاء كل مسابقة أو مباراة حتى لا تترك أحدا قبل أن ينجز أعماله .

● التليفزيون للصحفيين .. بالإيجار !

وبينما تم تجهيز أماكن إقامة الضيوف

من أعضاء العائلة الأوليمبية بتليفزيون فى كل غرفة .. فإن مساكن الصحفيين سوف تكون خالية من أجهزة التليفزيون إلا لمن يقدم طلبا بالحصول على تليفزيون مقابل ايجار ١٥٠ دولارا طوال الدورة .. أما الذين لا يستطيعون تأجير أجهزة تليفزيون فعليهم أن يشاهدوا ما يريدون مشاهدته على تليفزيونات المراكز الصحفية .. كذلك لن يتم تزويد مقاعد الصحفيين فى مدرجات الملاعب المختلفة بأجهزة تليفزيون .. وهذه هى نقطة الضعف فى تنظيم الدورة حتى الآن .. أما تأجير السيارات الخاصة لمن يريد فإن ذلك أمر متاح إلا أن الحصول على تصريح باستخدام الأماكن المخصصة للانتظار فهو الأمر المستحيل .. وهذه نقطة ضعف أخرى .. ولو أن العادة جرت على أن يستخدم الصحفيون والرياضيون سيارات الأوتوبيس المخصصة لكل منهم .

● المحترفون يستعرضون فى التنس

يبقى أن اللجنة الأوليمبية الدولية فى اجتماعها الأخير باستانبول وافقت على اشتراك لاعبى التنس المحترفين فى الدورة باعتبارها لعبة استعراضية .. وحددت لمسابقة فردى الرجال ٦٤ لاعبا ولفردى السيدات ٣٢ لاعبة ولزوجى الرجال ٣٢ لاعبا ولزوجى السيدات ١٦ لاعبة ويشترط فى كل زوجى حتى الزوجى المختلط أن يكون كل زميلين حاملين لجنسية واحدة ومسجلين باتحاد دولة واحدة .

● عقوبات لمتعاطى العقاقير المنشطة

ومن قرارات اللجنة الدولية منع ارتداء الرياضيين ملابس تحمل إعلانات مباشرة أو غير مباشرة .. وتشديد العقوبات على الرياضيين الذين يثبت تناولهم عقاقير منشطة .. فبعد أن كان يكتفى فى الدورات السابقة باستبعادهم من المسابقات وترحيلهم خارج الدولة المنظمة .. تقرر أن يصدر قرار بالوقف ثلاثة شهور فى المرة الأولى . وفى المرة الثانية يتقرر الوقف عامين .. أما المرة الثالثة فيتم الشطب مدى الحياة .

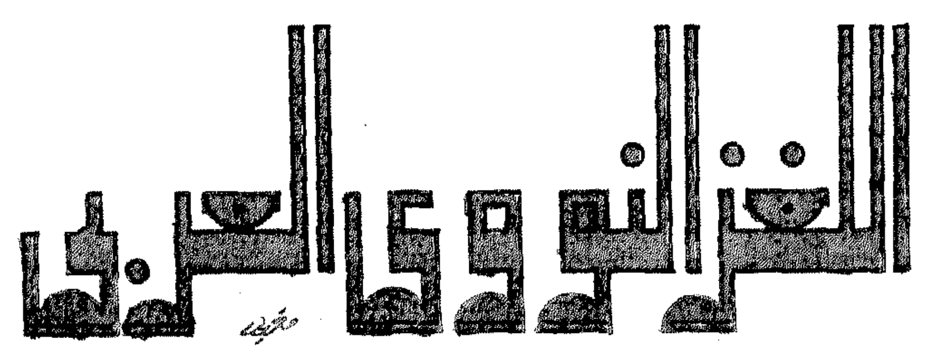
● تحذير من فارق التوقيت

ويحذر دكتور كازانو طبيب الخطوط الجوية الفرنسية من أن الذين سيشاركون فى دورة سيول سوف يحتاجون إلى ثمانية أيام على الأقل ليتأقلموا على فوارق التوقيت الشاسعة بين توقيت سيول وتوقيت دول أوربا وأفريقيا وأمريكا والشرق الأوسط الآسيوى .. وينصح دكتور كازانو المسافرين إلى سيول بشرب كميات كبيرة من أى مشروبات أثناء الرحلة الطويلة بالطائرة لتجنب الإصابة بالمغص الكلوى نتيجة الفارق بين الجفاف فى الطائرة والرطوبة العالية فى سيول .

● ١٠٠٫٠٠٠ جندى للأمن

هذا بينما تحرص حكومة سيول على إشاعة الاطمئنان فى نفوس جميع زوارها من رياضيين وصحفيين وسياح إلى أمن الدورة بأن الحكومة قد دربت أعداداً كبيرة من رجال قوات الكوماندوز على مكافحة الإرهاب .. ويبلغ عدد القوات المكلفة بالمحافظة على أمن الدورة مائة ألف جندى وضابط مدربين تدريباً على أعلى مستوى .. فاذهب إلى سيول وأنت مطمئن إلى أمنك .. ولا يهم أن تكون قلقاً .. فيكفى أنك ستشاهد أعظم مهرجان أوليمبى فى القرن العشرين .. وحتى لو وقع ما يكدر الأمن فيكفيك أن تعيش الأحداث وتشاهد المفاجآت .

قراءة لما وراء سطور..



بقلم: محمد فتحي

●● ثلاثون سنة دراسة : نظرية وعملية ، ومازلنا فى سنة اولى ذرة ؟! معادلة ان لم تصب المرء بالاحباط

والتشاؤم فلابد أن تدفعه الى التساؤل والبحث ، بالذات :

● اذا عرفنا ان من جلسوا على مقاعد الدرس معنا مثل الهنود - بل ومن بعدنا مثل الباكستانيين - باتوا يبنون مفاعلاتهم النووية معتمدين على انفسهم .

● واذا عرفنا ان حاجتنا لاتقل - ان لم تزد - عن حاجتهم الى الطاقة النووية والقدرات النووية عامة ..

امر لابد ان يدفع المرء الى قراءة ماوراء السطور طالما عجزت السطور ذاتها عن ان تشفى غليله ، وسعيه الى الفهم والمعرفة ●●

● لعل اول مايتبادر الى ذهن القارىء سؤال عن دافع البحث فيما وراء السطور لكنى اعتقد ان هذا السؤال لن يبقى طويلا امام علامات الاستفهام الكبيرة التى تثيرها السطور ذاتها ..

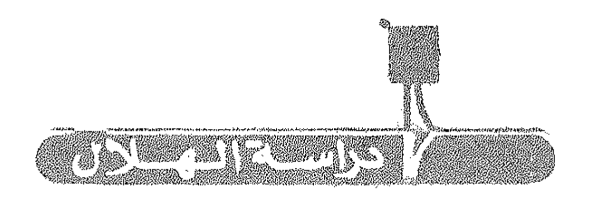
لقد وقعت مصر عقد انشاء اول مفاعل نووى (٢ ميجاوات) لاغراض البحث العلمى فى انشاص مع الاتحاد السوفييتى بعد شهور من توقيع اتفاقية ثنائية فى مجال الاستخدام السلمى للطاقة النووية .. وبدا تشغيل هذا المفاعل مع اول عام ١٩٦١ ..

ولم يجىء بناء هذا المفاعل عشوائيا اذ جرى التفكير فيه فى اطار تصور متكامل عالج - الى جوار المفاعل - مسالة الكوادر العلمية والفنية فأنشأ قسما للهندسة النووية فى جامعة الاسكندرية لاستغلال متخرجية ، بعد تدريبهم فى مفاعل انشاص ومن خلال البعثات ، فى بناء وحدة نووية انتاجية كبيرة

واوشكت مصر عام ١٩٦٦ على بناء مفاعلها النووى الاول .. طرحت مناقصته ، وصدر خطاب نوايا بشأنه وباتت احدى الشركات الغربية تحضر لانشاء المشروع الذى كان يضم محطة نووية ووحدة لتحلية المياه ، ومصنعا للوقود النووى .. **لكن « النكسة » جاءت لتطوى صفحة هذا المشروع مع ماطوته من صفحات .**

واذا نظرنا اليوم الى الدول التى بدات طموحاتها النووية فى نفس الوقت مع مصر لهالتنا المسافة التى باتت تفصلنا عنها ، فالهند صارت العضو السادس الذى طرق باب النادى الذرى عنوة ، وعلى نحو درامى ، كما صارت تصنع وحداتها النووية بنفسها ، مثلها مثل باكستان التى بدات رحلتها بعدنا بما يقرب من عشرين عاما ، وبين الاثنين بلاد كالارجنتين وتايوان والبرازيل وكوريا الجنوبية و ... كلها صارت ذات قدرات نووية يعتد بها ، ناهيك عن ان معظمها بات عضوا فى « نادى الظل النووى » الموازى لنادى الكبار الخمسة الذين كانوا اول من انتج الاسلحة النووية ..

وقد يتبادر الى الذهن ان مرجع تعثرنا وانطلاقهم ، ربما تمثل فى حاجتهم - وعدم حاجتنا - الى مثل هذه القدرات النووية ، لكن واقع الحال يكشف عن حاجتنا ، وربما اكثر منهم ، ولا باس من لمسات سريعة تكشف لنا ابعاد هذه الحاجة .



● اللحاق بالعصر

من المعروف ان متوسط نصيب الفرد من الطاقة بين المؤشرات المعيارية التى تستخدم فى قياس مدى تقدم امة من الامم .. ونصيب المصرى (والعربى لاتختلف عنه كثيرا) من الطاقة نصيب فردى (٧٥٠ كيلو وات ساعة) قياسا بالمتوسطات العالمية التى تصل فى اوربا الغربية الى ٤٠٠٠ كيلوات ساعة ، والولايات المتحدة الامريكية ١٠٠٠٠ كيلو وات ساعة ، والتى بلغت فى بعض البلاد كالنرويج مثلا الى ١٨٠٠٠ كيلو وات ساعة ..

وينبغى التنوية هنا ، وفى اتصال بازمة كهرباء السد العالى مع الفيضانات المنخفضة المتكررة ، ان المشكلة التى تواجه مصر ليست مجرد تعويض مايمكن ان ينقص من طاقة السد العالى ، اذ انها مطالبة بانشاء قدرات جديدة تساعدها على اللحاق بالعصر لان الكهرباء بعيدا عن السفه الاستهلاكى ، صناعة وزراعة وخدمات ..

وليس امام مصر من الناحية العملية مصدر اخر يعول عليه لقدرات جديدة فى الطاقة سوى المحطات الكهرنووية ، التى تنتج الواحدة منها ١٠٠٠ ميجاوات (يولد السد العالى ٧٥٠ ميجاوات) ذلك ان الانتاج المصرى من النفط والغاز لايكاد يكفى الا لسنوات قليلة ، كما ان مصر لاتملك ثروات طبيعية من الفحم ، مما سيضاعف تكاليف نقله وتخزينه ، وناهيك عن تكاليف حماية البيئة من التلوث البشع الذى تتسبب فيه محطات الفحم .. هذا كما ان مايسمى بالطاقات الجديدة والمتجددة (الشمس والرياح وباطن الارض والموج والمياه المالحة ..) طاقات محددة القيمة فى الوقت الراهن وتفوق تكاليفها كثيرا تكاليف الطاقة النووية ..

لقد صارت الكهرباء المولدة من المحطات النووية تشكل نسبة لايستهان بها فى موازنة انتاج الكهرباء فى فرنسا (٦٥٪) وبلجيكا (٦٠٪) واليابان (٢٨٪) والولايات المتحدة (١٨٪) .. هذا كما ان عددا متزايدا من الدول لم يعد يكتفى باستخدام الطاقة النووية فى توليد الكهرباء ، لان هذه لاتشكل سوى قطاع واحد من قطاعات استخدام الطاقة وراح يوظفها فى سد احتياجات التدفئة والصناعة وغير ذلك من القطاعات ..

ولايقتصر الامر على تشكيل الطاقة النووية نسبا لايستهان بها فى موازنات الطاقة فى كثير من بلدان العالم شرقه وغربه ، وشماله وجنوبه ، ذلك ان الاهم هو انها ـ النسبة ـ فى تزايد مستمر ، وهى المؤشر الديناميكى الحقيقى الذى يعبر عن اتجاه التطور ..

● انظف وارخص طاقة

واهتمام الدول على اختلاف توجهاتها ودرجات تقدمها بالطاقة النووية ليس نزوة وانما اتجاه قائم على اسباب موضوعية اهمها ان الكهرباء المولدة من المحطات النووية هى ارخص انواع الكهرباء ، كما ان هذه المحطات ـ بعيدا عن الكوارث وسوء الادارة ـ انظف ماهو معروف من محطات الطاقة فهى مصممة بحيث لايتجاوز تاثير الاشعاع الناتج عنها سنويا ، تاثير الاشعاع الذي يتلقاه من يشاهد

التلفاز الملون لمدة نصف ساعة يوميا ، كما انها اقل المحطات اضرارا بالبيئة ، ذلك ان استخدام المحطات الحرارية فى توليد « كميات » الكهرباء النووية يسفر عن عوادم من غاز ثانى اكسيد الكربون ـ مجرد واحد من العناصر الضارة ـ تفوق قدرة الخضرة المتآكلة على تحويله من خلال عملية التمثيل الضوئى الى اوكسجين الامر الذى يهدد بارتفاع درجة حرارة الكوكب ، وذوبان الجليد فى المناطق القطبية وارتفاع مستوى المياه فى البحار ، و ...

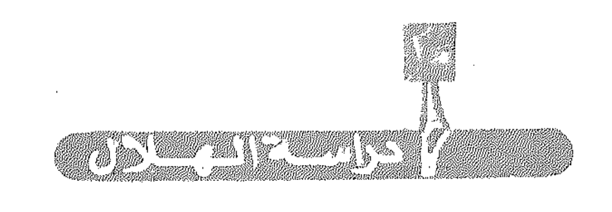
● هزل شماعة تشرنوبل

وبالطبع فان الطريق الى خيرات المحطات الكهرنووية ، مثلها مثل غيرها ، ليس مفروشا بالورد ، وينطوى على مخاطر لامجال لتجاهلها ولكن يجب عدم المبالغة فيها ..

لقد ارتبطت الطاقة النووية فى ذهن الانسان بمشاعر ماساوية منذ طالعته بصورتها البغيضة فى هيروشيما وناجازاكى ، لكن فاعلية المجتمعات البشرية تظل رهنا فى نهاية المطاف ، بقدرتها على التفرقة بين الاوهام والحقائق ، وعلى كسر الحواجز النفسية مهما تعاظمت سعيا ، وراء الانطلاق .. ولعل التجربة اليابانية هى الامثل فى هذا الصدد من حيث بلاغة دلالتها ، فقد وصلت نسبة الكهرباء التى تنتجها المحطات النووية الى حوالى ٢٨٪ من مجمل انتاج الكهرباء فى اليابان ، ويعمل اليابانيون على زيادة انتاجهم من هذه المحطات الى اربعة اضعاف ماينتجونه ، فى عام ٢٠٠٠ ، ذلك ناهيك عن محاولاتهم الجادة للاستفادة من الطاقة النووية فى مجالات صناعية وتطبيقية اخرى ..

وليس من حق احد ان يزايد على اليابانيين بصدد مدى ادراكهم لمخاطر الطاقة النووية والامهم باثارها .. **هذا كما قدم السوفييت تاكيدا اضافيا فى هذا الصدد باعلانهم « بعد تشرنوبل » انه لايمكن تصور الحضارة البشرية فى مرحلة تطورها الراهنة دون امكانات الطاقة النووية ، وانهم ماضون قدما فى تنفيذ خططهم الخاصة باقامة المحطات النووية الجديدة ، ناهيك عن تشغيل المحطات القديمة ، بل واعادة تشغيل وحدات محطة تشرنوبل نفسها (فيما عدا الوحدة التى انفجرت ودفنت).**

واكاد اسمع من يدعو الى التريث والتمعن فى اسماء الدول التى ندير حديثنا حولها والتسليم بالبون الشاسع الذى يفصل بيننا وبينها فاين نحن من اليابان والاتحاد السوفييتى و.. ، ولعله المكان المناسب لقطع السياق وطرح القضية على نحو اكمل قبل الرد على اصحاب هذه الدعوات ، ذلك ان الطاقة ليست دافع مصر الوحيد ، الى تحصيل قدرات نووية ، فالمخاطر التى تحيط بالطاقة النووية مخاطر لاتعرف الحدود ، وقد صارت مصادرها منتشرة ، او فى سبيلها الى الانتشار ، حولنا ، ولايعفينا منها عدم وجودها فى اراضينا اذ يمكن ان تحط علينا من الفضاء (بعض الاقمار الصناعية تعمل بالطاقة النووية وقد سبق ان سقط بعضها على اليابسة) كما يمكن ان تاتينا على متن الريح (شىء شبيه بسحابة تشرنوبل) او موج البحر (نتيجة نفايات تلقى بعيدا عن شواطئنا)...



● اعتبارات استراتيجية

ولايقتصر الامر على هذا النوع من المخاطر فالمشروع النووى المصرى المجهض جاء مواجهة لبرنامج نووى اسرائيلى (لم تتاخر بدايته عن اغسطس ١٩٤٨) يتسم بالاستمرارية والشمول وتنوع الاغراض ، ولايتورع عن استخدام اساليب القرصنة و .. وهو برنامج كشر عن انيابه العسكرية منذ الوهلة الاولى وبات يمتلك اسلحة ووسائل نووية (وربما نيوترونية وهيدروجينية) متعددة الأغراض تتيح لاسرائيل مرونة واسعة لاستخدامها فى ساحات القتال ناهيك عن « الردع بالظن » والخطير فى هذا البرنامج انه يجرى فى اطار تصور استراتيجى بالغ الجسارة والشراسة (انظر استراتيجية اسرائيل النووية : « الهلال » نوفمبر ١٩٨٧) ومن دواعى خطورته :

● انه يعمل على حصر الاصابات الاشعاعية فى اطار عدوه ، دون مساس بمستخدم السلاح بعيدا عن استراتيجية « علىّ وعلى اعدائى » التى ارتبطت بتصورات استخدام السلاح النووى فى المنطقة خلال فترة سابقة ..

● ان اسرائيل ترفض حتى تاريخه التوقيع على معاهدة حظر انتشار الاسلحة النووية ولاتقبل اى تفتيش دولى على منشآتها النووية .

● ان اسرائيل تجاوزت ، فى اطار استراتيجيتها النووية الشاملة الاهداف التقليدية للقوة النووية الى « ردع الاخرين بالظن » والضغط عليهم لاتمام تحالفات لايرغبون فيها حماية لانفسهم من القوة النووية الاسرائيلية ..

● ان للاستراتيجية النووية الاسرائيلية شقا عدوانيا فظا ، يسعى الى حرمان الدول العربية من مقومات اى برنامج نووى مستقل وهذا الشق لايحتاج الى مزيد من الايضاح بعد تدمير مفاعل تموز العراقى .

● حالة اللياقة النووية

ولعلها النقطة المناسبة للعودة الى من ينبهون للفوارق بيننا وبين العالم المتقدم وصعوبة الانضباط فيما يخصنا الامر الذى يجعلهم يضعون ايدهم على قلوبهم خوفا من التكنولوجيا النووية الخطرة .. ولعل النظرة الكلية للصورة تكون قد كشفت خواء موقف الهروب من الخطر ، امام عدو او قرصان او مخطىء يفرض علينا ، اردنا ام لم نرد ، هذا الخطر النووى الذى لايعرف الحدود ..

ان النظرة الكلية للصورة تكشف عن حاجتنا الماسة الى نوع من « اللياقة النووية » التى تمكننا من التعامل المسئول الكفء مع اى موقف ، ولايمكن اكتسابها ـ اللياقة ـ بحال الا عن الطريق التعامل المسئول مع الطاقة النووية لان الخبرة الحقيقية لاتتاتى الا من خلال ممارسة حقيقية بعيدة عن التمارين الهيكيلية التى ينشغل المتورطون فيها بالبحث عن العلاوات والالقاب و ..

وجدير بالذكر ان النهج الذى يفرض نفسه علينا هنا ليس بجديد فذريعته من قبيل عدم الانضباط لايمكن ان يعتد بها

مثلا بصدد تكنولوجيات التسلح المتطورة ، فلايمكن ان يقول قائل : « مالنا والنفاثات التى تطير اسرع من الصوت ، والصواريخ ، بل والاسلحة الكيميائية والبيولوجية ..»

ان الضرورة الاستراتيجية تفرض علينا اجادة التعامل مع التقنيات مهما كانت خطورتها بصورة منضبطة ، ولايمكن ان نستثنى من ذلك القدرات النووية لنصيح فى وجه العدو او القرصان او المخطىء : « كله الا دى » ، والا نكون قد وضعنا انفسنا مقدما كرهائن مقضى عليهم فى يده ..

هذا بالاضافة الى ان الحالمين بوهم الامان ينظرون الى الناس والمجتمع نظرة استاتيكية وكأن قدرا قد حكم علينا بالتخلف الذى لافكاك منه ، وشبهة الثبات مجرد وهم ، وماعلينا الا قبول التحديات ، ذلك ان الانضباط صار قضية حيوية تخص كل جوانب الحياة ، ولم يعد بالنسبة لنا ترفا يمكن ان نتمسك به هنا ونستغنى عنه هناك ، وانه بدون انضباط سيكون علينا ان نضع ايدينا على قلوبنا لالف اعتبار واعتبار غير المحطات النووية .

● فيم النكوص الانتحارى

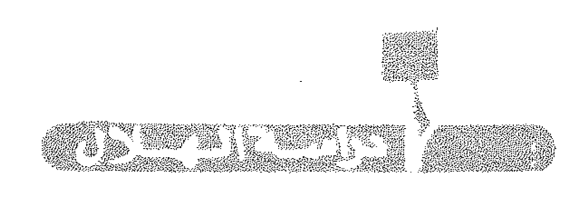
ولايستطيع المرء عند هذا الحد ان يمنع نفسه من التساؤل والبحث عبر السطور وفيما وراءها عن سر هذا النكوص الانتحارى من جانبنا ، بعد ان تبينا ان مشكلتنا الحقيقية ليست كما يشاع فى امتلاك الطاقة النووية وانما فى عدم امتلاكها ..

ولايمكن ان تكون معارضة البعض لبناء محطة كهرنووية هى السر فى هذا النكوص فليست للمعارضة فى بلادنا مثل هذه السطوة (كما تدل ممارستنا التشريعية) بالذات اذا اخذنا بعين الاعتبار ان قطاعا كبيرا من المعارضين ، لابد ان يغير وجهة نظره ، حين تطرح عليه القضية طرحا متكاملا صحيحا ، وحين يتم وضع الاطارات الادارية المناسبة للتعامل المنضبط مع طاقة لها ما للطاقة النووية من تكاليف ومخاطر ..

هذا كما لايمكن ان تكون مسالة المخاطر التى تحيط بهذه الطاقة « وعدم » امانها سبب النكوص ، وقد فصلنا ذلك من قبل على مثال اليابان والاتحاد السوفييتى او على مثال المخاطر التى يمكن ان تداهمنا دون استئذان عبر الحدود ، وبصرف النظر عن عدم وجود قدرات نووية خاصة بنا ..

ويبقى بعد ذلك اعتباران لاشك فى انهما وراء هذا النكوص اولهما يتصل بالتكاليف المالية التى يجب تحملها ابتداء ، ولسنوات قبل جنى ثمار مانزرعه من قدرات .. ويجب التحلى فى هذا الصدد ببعد نظر انفاقى مع حشد القدرات الذاتية التى توفر الموارد وتقلل التكاليف و.. لكنه لايمكن ان يفوت المرء هنا لفت الانظار الى قصور عربى يلف الموقف كله ، رغم القدرات المالية العربية الضخمة ، ورغم ان الطاقة النووية احد الامتدادات الاستراتيجية للنفط ، ناهيك عن ان المخاطر النووية لاتواجه مصر وحدها ..

وينبغى هنا الاشارة الى ان مجلس الملوك والرؤساء العرب قد قرر فى دورته الثانية بالاسكندرية انشاء « المجلس العلمى العربى المشترك لاستخدام الطاقة



الذرية فى الاغراض السلمية » فى كنف الجامعة العربية ، وجرت الدراسات لوضع مشروع « اتفاقية التعاون العربى فى استخدام الطاقة الذرية فى الاغراض السلمية » وجرى تشكيل المجلس العلمى العربى المشترك ، وانعقد فى دورته الاولى بالفعل ، ووضع مشروع اتفاقية التعاون .. وعرض الموضوع على الجامعة العربية فى ٢١ مارس ١٩٦٥ فاوصى بالموافقة على المشروع ، وفى دورة

اجتماعه الثانية فى ٤ سبتمبر ٦٥ اتخذ عدة قرارات يحث فيها الدول العربية على وضع اتفاقية التعاون العربية موضع التنفيذ .. وعلى كثرة المهام والوظائف التى حددتها الاتفاقية كى يمارسها المجلس فى مجال اختصاصاته لايجد المرء الا التساؤل اين هذا المركز اليوم ، واين نشاطه من نشاط المنظمات الشبيهة ، ونذكر منها على سبيل المثال الوكالة الاوربية .

الا يحق على العرب ان يكرسوا من جهدهم ومالهم مايتناسب مع المازق المصيرى الذى يتعرضون له ، كما يتكشف على امتداد هذه الدراسة ..

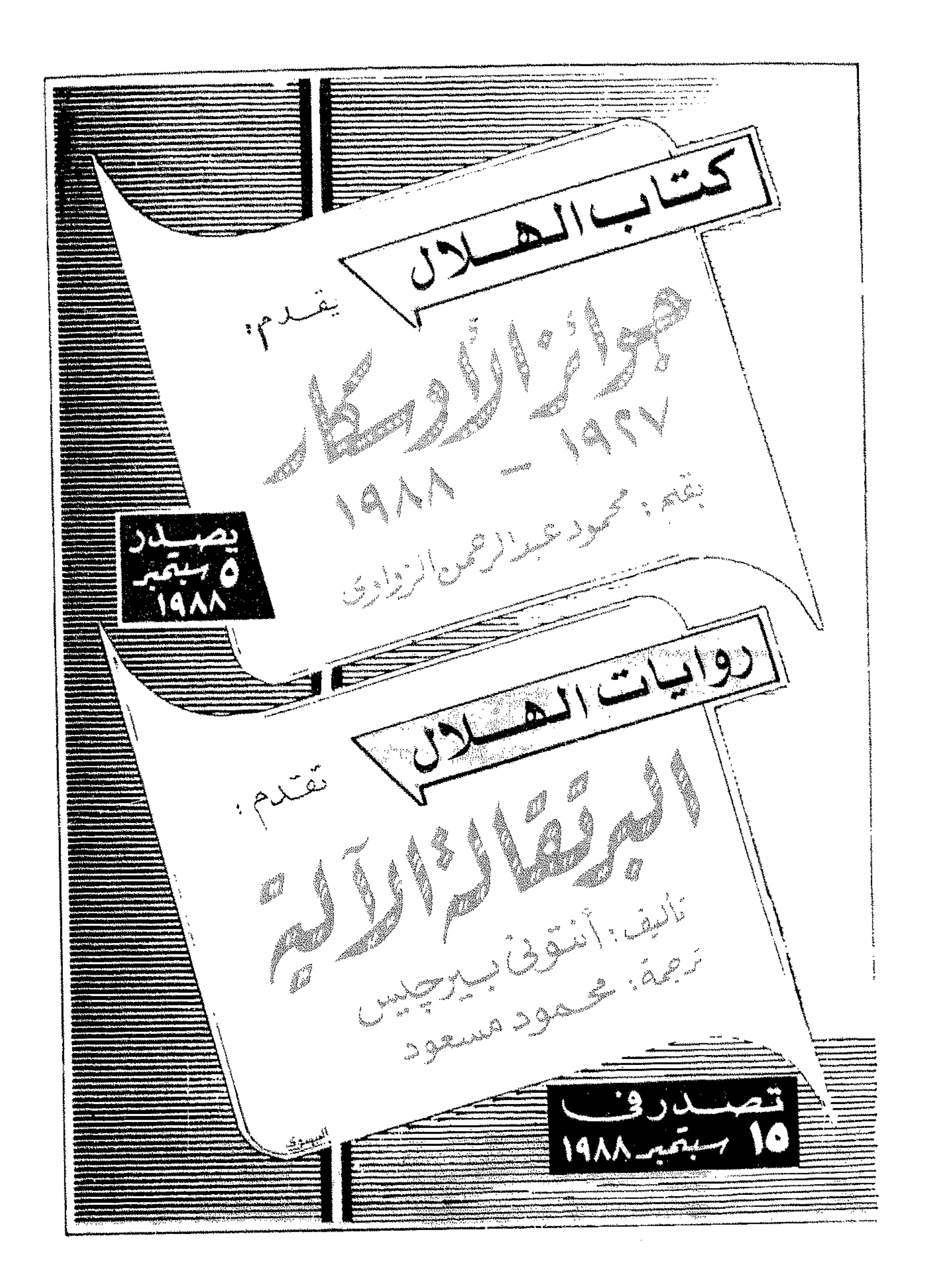
● طاقة على الجاهز

بقى العامل الاخير الذى يكبح امانينا النووية وهو وجود قوى عالمية عديدة لايروقها ان يكون لنا قدراتنا النووية المستقلة ، مهما وقعنا على معاهدات الحد من انتشار الاسلحة النووية ، ومهما قبلنا من التفتيش على منشاتنا النووية ..

وهذه القوى تمارس لاشك ضغوطا مباشرة وغير مباشرة لمنعنا من دخول هذا الميدان .. وفى اطار مايدور من حديث حول مسكنات من قبيل المحطات الحرارية والطاقة المتجددة وربط شبكات الطاقة فى البلدان العربية بشبكة الطاقة الكهربائية فى اوربا (مصر بالاردن ، والاردن بتركيا ، المرتبطة فعلا بالشكبة الاوربية) يبدو ان هناك مخططا لان يكون المخرج المقترح على البلدان العربية هو ان نحصل على مانحتاجه من طاقة عبر الشبكة الاوربية فيتحملوا هم « مخاطر وعناء » المحطات النووية ويقدمون « خيراتها » لنا على الجاهز ـ كما القمح ـ دون مخاطرة او « وجع دماغ » ...

ولكن هذه المخططات مخططات عرجاء اذا وعينا الابعاد الحقيقية للمشكلة التى يبقى خروجنا منها رهنا برصيدنا من الطموح والجسارة والقدرة على التماسك والحركة بما يساعدنا على العيش فى هذا العصر ... ودون مبادرة باستخدام هذا الرصيد لن نكون جديرين بالعصر ، وسيكون علينا ان نقبع فى سراديب مظلمة ، ننتظر مايفعله « الفاعلون » بنا ..

والسؤال الصحيح فى هذا الصدد كما سبق ان نوهنا ليس : « نبنى أم لا نبنى محطات نووية ؟» بل : « كيف نلحق بقطار الطاقة النووية على نحو اسرع واكثر امانا ؟» ، و « نعيش العصر أو لانعيشه » ، « نكون أو لا نكون » ...



كتاب الهلال
يقدم:
هوامش الأوسطار
١٩٢٧ - ١٩٨٨
بقلم: محمود عبد الرحمن الزرادي
يصدر ٥ سبتمبر ١٩٨٨
روايات الهلال
تقدم:
البرتقالة الآلية
تأليف: أنتوني بيرجيس
ترجمة: محمود مسعود
تصدر في ١٥ سبتمبر ١٩٨٨



● رسالة من تونس

● أطل علينا الهلال في تونس بعد طول احتجاب ، فاستبشرنا باطلاله على هذه الرقعة من أرض العرب .. ويحق لنا أن نبتهج بمجلة الهلال لانها والحق يقال مثال نادر ، وقطب متميز ، فهى جماع البحث المتين المتعمق ، والبيان الناصع المشرق ، والشكل الجميل الذى يبهر العقل ، فجمال الهلال ليس جمال زخارف ونقوش وألوان ، ولكنه جمال فكر وجوهر قبل كل شىء .. ولا عجب أن يقود الهلال مسيرة الفكر العربى ما يناهز القرن ، وأن يبرز على صفحاتها عباقرة الفكر وعمالقة الادب .

على أن أخشى ما يخشاه قارىء الهلال ان يطلب الهلال فلا يجدها ، وهو ان وجدها فى مصر لم يجدها فى تونس ، وان وجدها فى تونس فقد لا يجدها فى غير تونس .. وانى اقول غير مبالغ : الويل للثقافة العربية فى البلد العربى الذى لا تقرأ فيه الهلال !..

محمد الناصر الصمعى
القلعة الكبرى ـ تونس

● تعليق

● نشكركم اجزل الشكر على هذه التحية الكريمة التى وصلتنا ونحن نحتفل بالعام السادس والتسعين للهلال ، اقدم مجلات الثقافة والادب والفكر فى الوطن العربى ، ويسرنا دائما أن نتلقى رسائلكم .. اما مسألة وجود الهلال بانتظام هنا او هناك فى هذا البلد العربى أو ذاك ، فلسنا نحن الذين نتحكم فيها ، ولكننا نبذل جهدنا لكى يصل الهلال الى كل بلد عربى .

● والهلال والموسيقى

● كان عملا ثقافيا وصحفيا رائعا وجديدا ، هذا الجزء الخاص الذى أفردتموه للموسيقى فى هلال مايو الماضى نرجو استكمال هـذا الجزء فى أعداد قادمة لان الموسيقى تحتاج الى بحوث كثيرة ٠

على حسن ابو خالد
أسيوط

● تعليق

● نشكركم وقد كان هذا الجزء عن الموسيقى تلبية لحاجة القـراء اليه ، ولن نقتصر بطبيعـة الحال على هذا الجزء فى الكلام عـن الموسيقى ، وستجد بحوثا خاصة فى الاعداد المتوالية ان شاء الله ٠٠

● الفوسفات

● قرأت باهتمام فى عدد يوليو الماضى مقال د٠ رشدى سعيد عـن « اكتشاف الفوسفات بهضبة ابو طرطور بالصحراء الغربية المصرية » ٠٠ وأود أن أقول انه يجب على الدول العربية أن تؤسس مصرفا أو اتحادا عربيا افريقيا عالميا لمنتجى الفوسفات يشمل كل البلدان العربية والافريقية المنتجـة للفوسفات ، وبذلك يمكن التغـلب على الضغوط الاقتصـادية لاسرائيل والولايات المتحدة الامريكية بايجاد كل العناصر الكفيلة بزيادة جودة الفوسفات العربى بما يتناسب مع النسبة العالمية المطلوبة ٠٠

محمد العائش القوتى
شركة فوسفات قفصـة ـ تونس

● زيادة الشعر والقصة

● نرجو زيادة عدد الصفحات المخصصـة للشعر حتى يمكن أن تنشروا قصائد عمودية وأخرى تفعيلية لاربعـة شعراء فى كل عدد ٠٠ كما نرجو ذلك فيما يخص القصة القصيرة وهى ذات جمهور عريض من القـراء ٠

عبد الشكور صديق احمد
اسوان



● تعليق

● نرجو أن نتمكن من تلبية رغبتكم في الاعداد القادمة ان شاء الله، وتجد في العدد الماضي ثلاث قصائد وقصتين ··

● خطاب من المغرب

● الحمد لله ·· وجدت ضالتي المنشودة : « الهلال » ·· المجلة التي بحثت عنها في الاكشاك فما وجدتها الا عند صديق لي · وكنت في ابداية اظنها مجلة كسائر المجلات ، ولكن بتصفحي لها ومطالعتي لكتابات المبدعين فيها ، تيقنت انها تتميز عن كل المجلات ·· وقد قررت ان اتابعها ونزلت الى شوارغ فاس ـ المغرب ـ لعلي أعثر على أعدادها الجديدة فلم اجدها فقررت ان ابعث برسالة اليكم معبرا عن شعوري ·· فهل أستطيع الاشتراك في الهلال لمدة أشهر معدودة نظرا لضعف حالي ، واذا كان الجواب نعم فكم تبلغ قيمة الاشتراك بالدرهم المغربي ؟

بنعيسو عبد العزيز
فاس ـ المغرب

● تعليق

ـ نشكر لكم هذا الشعور الكريم ، ونعتذر اليكم من الاكتفاء بهذا القدر من رسالتكم الطويلة ، وقد تعبنا من قراءة خطك المغربي ولكننا سررنا بما تضمنه خطابكم · ويبلغ الاشتراك السنوى في الهلال في المملكة المغربية ١٠ دولارات بالبريد الجوى ، قيمة الاشتراك عن عام ثم ترسله الى قسم الاشتراكات في دار الهلال ، ونكرر شكركم ·

● غلطة التصحيح

● قصيدة الاستاذ سالم حقي في العدد الماضي من الهلال وعنوانها: « الشروق في بلادى » لم أتمكن من قراءتها بسبب اعوجاج السطور ،

بحيث يتعذر على القارىء العادى معرفة الشطرة الثانية من كل بيت !··

أمينة رجب فضلي ـ طنطا

● تعليق

● نأسف لهذا الخطأ الذى وقع من قسم التصحيح فشوه شكل القصيدة ، ونعد بعدم تكراره ·· وقد أصبح الشعر العمودى عقدة مستعصية عند بعض عمال الجمع فى المطابع المصرية الحديثة ، وعند المصححين الحديثى التخرج الذين لا خبرة لهم ! ·· واللغة العربية بشعرها ونثرها تعاني الان من اغلاط المطابع في جميع البلاد العربية، فضلا عما تعانيه من اغلاط اجهزة الاعلام واجهزة التعليم العام والجامعي ! ··

● الاقمار الصناعية

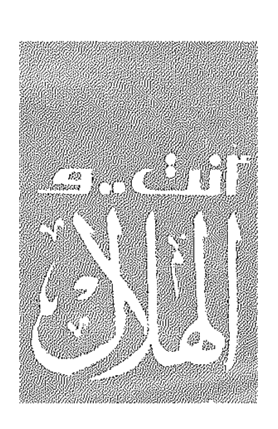
● اطلعت على المقال المنشور في عدد يونيو ١٩٨٨ فى باب « دراسة الهلال » بعنوان « بعد الاقمار الصناعية : أفول المواجهات الخائبة »·· واني أسجل اعجابى بالمقال من حيث سهولة الصياغة وعمق التحليل الذى يدل على مستوى ثقافة الكاتب « محمد فتحى » ·· كما اتقدم اليكم بمقترح أن تخصصوا مقالا اخر حول نفس الموضوع يتركز حول الجانب العلمي والمعلوماتي والذى لم يركز عليه الكاتب كثيرا فى مقاله ·

علي محمد ابو بكر
زنجبار ـ محافظة ابين
اليمن الديمقراطية الشعبية

● السفر الشاق

● ابعث اليكم قصيدة لى راجيا أن تخبروني عن اى خطأ فيها ، وهى أول محاولة لي ، وجعلت عنوانها « السفر الشاق » :

سوف أمضى « اليكى » يا مدى عمرى ··
وروحى ··
سوف أمضى « اليكى » ·· كى ··
تشفى جروحى ··
كى اعالج « الالئم » ··
هل ترى أمضى « اليكى » ··



هل اهــون « عليكى » ••
اعــايش الاوهـــام ••
« ولاكـــن » •• لا ••
مع « هبيب » الريــح ســوف أمضى « اليكى

عوض احمد المكوع
محافظة شبوه عتق
٤٠١ مكتبة جمال عبد الناصر
جمهورية اليمن الشعبية

● تعليق

● نشرنا قصيدتك بحروفها ، ولا تجزع من الاخطاء التي فيها لانها محاولتك الاولى ، ولا شك أن مثابرتك على مدى سنوات طوال قــادمة ستبلغك أملك في الشعر •• وأنت تقول هنا « أليكي » و « عليكي » •• ولا داعي لهذه الياء في اخر الكلمة •• وتقول « الالئم » وصوابها «الألم» ولا ندرى من أين جئت بهذا الرسم لهذه الكلمة •• وكلمة « ولاكن » التى كتبتها كما تنطقها ، يكتبونها هكذا « ولكن » فاكتبها كما يكتبهــا الناس •• وقولك « هبيب » صحته « هبــوب » •• ولا شك أنــك بعــد أن تصلح الناحية الاملائية في كتابتك ، ستلتفت الى مسالة الاوزان في شعرك ، ونرجو لك التوفيق ••


● حــلم

تقــول زوجتي :
أعــاني الليـلة •• الام الوضع ••
الليـلة يولــد طفــل لك ••
ليخفف عنـك كوابيس الاحــلام ••
ويهــاجم ــ عن حب ــ شــيطان الوهم ••
القــابع فيــك ••
الليـلة اشــعر ــ ولاول مرة ــ
أنى أمتـــلك الفرحــة ••
اطلقهــا انى شــئت ••
أمنحهــا ــ عن عطف ــ لك ••
فالامــر الى ••

وانا صـــاحبة الحــلم ••
وانا واهبــة الامن اليــك ••

السيد ابراهيم عطية
كفر صقر ــ شرقيــة

● ما هى الثقافة

● في الاونة الاخيرة تحولت مجله الهلال عن خطها التي ســـارت عليه ، وبدلا من كونها مجلة شهرية ثقافية كما ارادها مؤسسها غـدت مجلة شهرية فنية تهتم بالموســـيقا والتمثيل وأخبار الروك ومهرجـان طشقند وباليه البجعـة ، وانتهي المطاف بافرادها ما يناهز التســـعين صفحة من أجل « معلمة الانسان ما ليس يعلم » •

- خضر محمد المصلي
شربين

● تعليق

● اجتزأنا من خطابك الطويل هذه الفقرة لانها تدل علي بقية الخطاب، وان كانت هذه البقية غاصة بالسباب الرخيص • ونحن لا ندرى ان كان اسمك هذا هو اسمك الحقيقي أم أنه مستعار ، كما لا ندرى أأنت مـن شربين أم أنك تستعير اسم البلد أيضا •• وعلي كل حال نحن لا نناقشك فيما أظهرته في رسالتك من قلة معرفة بمعنى الثقافة ، فأنت تنكر السينما والمسرح والموسيقى ، وتظن أنها خارج نطاق الثقافة ، فماذا نقول لك ولامثالك ممن إنحـدروا الى هذه الدرجة في قلة المعرفة ؟!

● مع الاصدقاء

● معتز محمد منتصر ــ الاسكندرية :
ــ مقالتكم عن عمر بن أبي ربيعـة • مقالة طيبـة ، ولكنها مجـرد شذرات مدرسية ، نشكرك عليها ••

● حورية البدرى •• هشام محمد عبد الوهاب •• عـلى سيد محمد برمهـات :
ــ قصائدكم الزجلية العامية جميلة ، ولكنا نقتصر على نشر الشـعر باللغـة الفصيحة ، لاننا رسالة الي الامة العربية كلها لا الى بلد واحد، وهذا يوجب علينا أن نخاطب الامة العربية بلسانها القومى وهو اللغـة الفصيحة •

● ونشكر السادة : عبد الرحيم الماسخ •• كريمة ثابت •• هانيء محمد اسماعيل •• عبد الله السمطى •• عاصم فريد البرقوقى •• محمد احمد سيد احمد عمار ••

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية سبعة جنيهات و ٢٠٠ مليم ، وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات أو مايعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال .

وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة عاليه عند الطلب .

دار الهلال ـ ١٦ ش محمد عز العرب
القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط مجلة الهلال ت ٣٦٢٥٤٨١

رقم التلكس : **92703 HILAL U . N**

وكيل الاشتراكات بالكويت : السيد / عبدالعال بسيونى زغلول الصفاه ـ ص.ب ٢١٨٣٣ ـ 13079 تليفون ٤٧٤١١٦٤

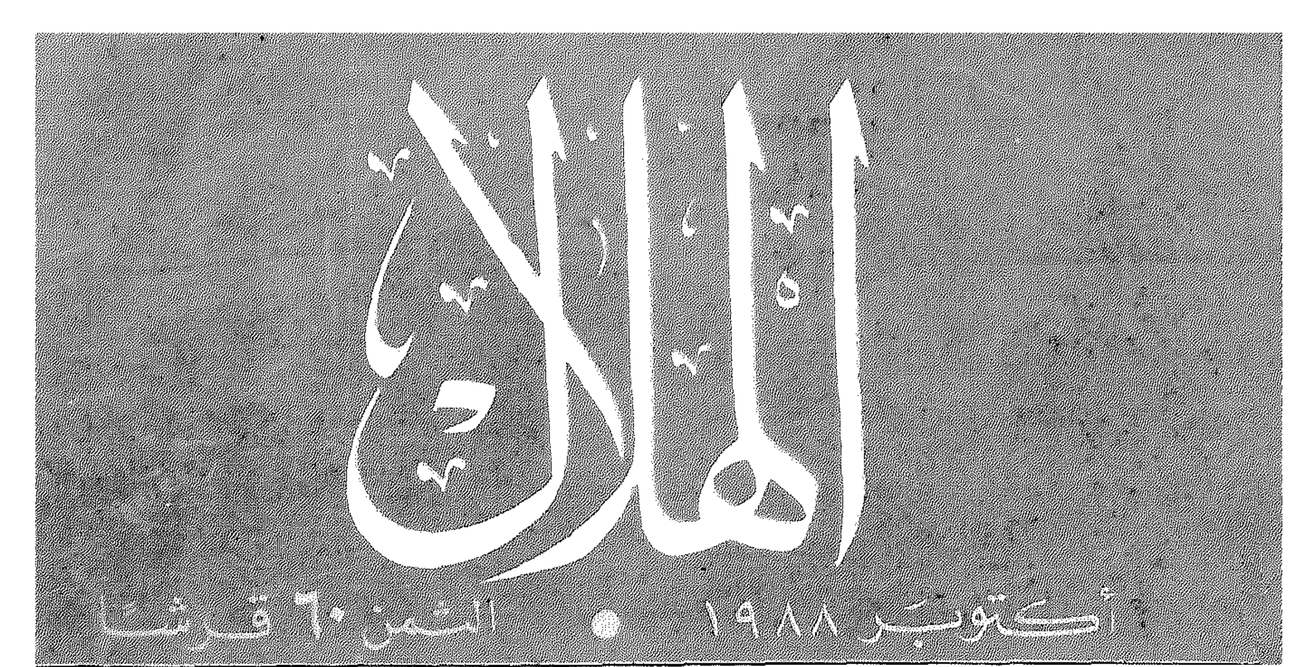
اسعار البيع للعدد العادى فئة ٦٠ قرشا

البلد	السعر	العملة	البلد	السعر	العملة
سوريا	١٧٥٠	ق . س	ابوظبى	٦	دراهم
لبنان	٣٠٠	ليرة	مسقط	٦٠٠	بيسة
الاردن	٣٥٠	فلسا	تونس	١٤٠٠	مليم
الكويت	٣٠٠	فلس	المغرب	١٢٥٠	فرنكا
العراق	١٣٠٠	فلس	غزة والضفة	٦٠	سنتا
السعودية	٥	ريالات	داكار	٦٠٠	فرنك
السودان	١٢٥	ق . سودانيا	لندن	١٢٥	بنسا
البحرين	٨٠٠	فلس	ايطاليا	٢٥٠٠	ليرة
الدوحة	٦	ريالات	البرازيل	٥٠٠	سنت
دبى	٦	دراهم	اليمن الشمالية	١٣	ريالا



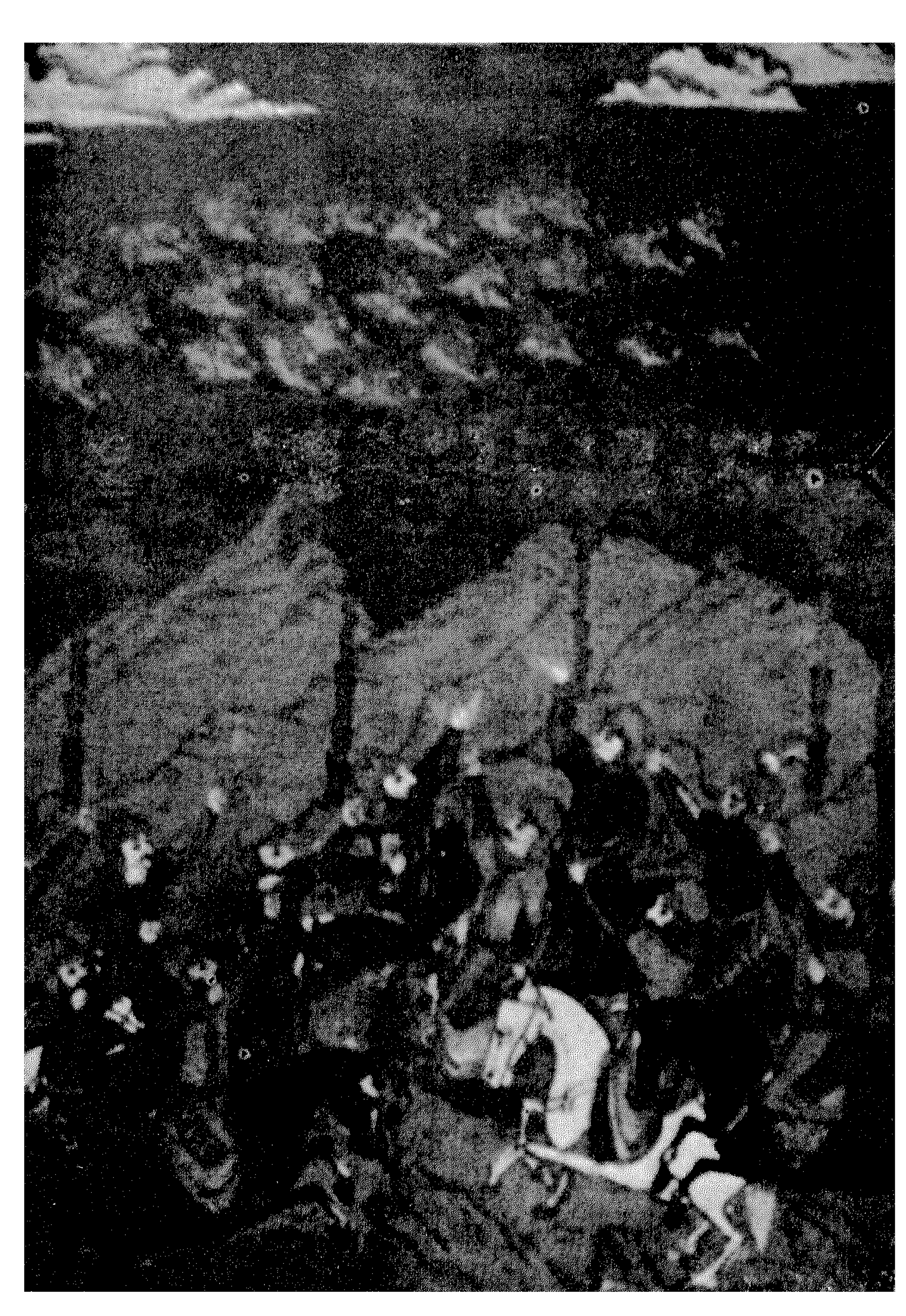
ـاتـاتـ
ـن الـنـوبـة

ـائـيـاتـ"
ـيـة حـلـيـم
ـس ٩٤





- الانتفاضة وعودة روح أكتوبر
- ربيع براج وشتاء موسكو
- الحب والزواج المبكر د. شكري عياد



من روائع الفن الإسلامى

العام الذى ولد فيه الرسول صلوات الله عليه وسلامه ، يطلق عليه « عام الفيل » ، ذلك العام الذى اتجه فيه جيش ابرهة إلى الكعبة ليدمرها ، « الم تركيف فعل ربك باصحاب الفيل ، الم يجعل كيدهم فى تضليل ، وأرسل عليهم طيراً ابابيل ، ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف ماكول » صدق الله العظيم

وعبر عن هذه اللحظة التاريخية الرسام التركى ، بهذه اللوحة التى يحتفظ بها متحف طوب قابى فى اسطنبول .

الهلال

السنة السادسة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية .. تصدر عن دار الهلال اسسها جورجي زيدان عام ١٨٩٢م . أول اكتوبر سنة ١٩٨٨ م ـ ٢٠ صفر سنة ١٤٠٩هـ

رئيس مجلس الإدارة
مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير
مصطفى نبيل

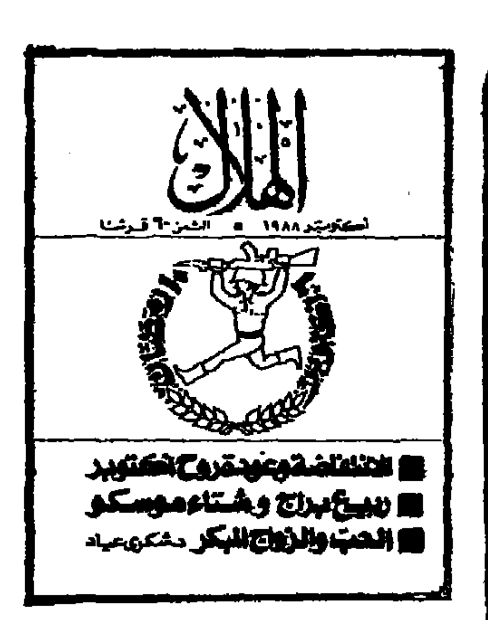
المدير الفنى
عادل ثابت

سكرتير التحرير
عاطف مصطفى

سكرتيرا التحرير الفنيان
محمود الشيخ
عيسى دياب

الغلاف : الأول تصميم
الفنان : محمد أبو طالب

الغلاف الأخير لوحة
من أعمال الفنان : بيكار



في هذا العدد

● جزء خاص .. حرب أكتوبر ●

ص

● فكر وثقافة ●

● كتاب الشهر ●

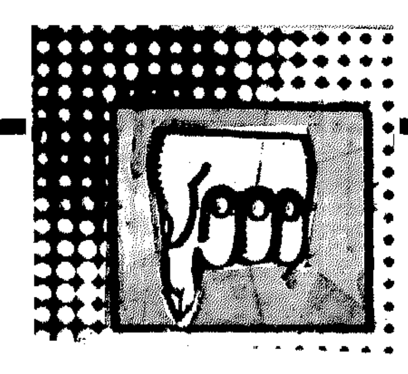
● رسائل صحفية ●

● علوم ●

● قصة وشعر ●

● دراسة الهلال ●

● الأبواب الثابتة ●



عزيزى القارىء

الذكرى الخامسة عشرة لانتصار اكتوبر ، تطل علينا فى هذه الأيام ، فتتجسد أمام عيوننا ضخامة الانجاز الذى حققته القوات المسلحة المصرية ، ومن ورائها الشعب المصرى ، فى ٦ اكتوبر ١٩٧٣ .. إذ عبرت قناة السويس في هجوم لامثيل له فى تاريخ الحروب ، وقفت له الدنيا مبهورة الأنفاس ، وتكلل بالروعة والمهابة .. وانتهى بالنصر المبين !

كان عبور الجيش المصرى لقناة السويس فى ذلك النهار الساطع من اكتوبر أو رمضان ، أول انتصار للأمة العربية كلها ضد الغزو الصهيونى منذ بداية هذا الغزو « سلميا » فى عهد الانتداب البريطانى على فلسطين ، حتى تفجرت منه ثلاث حروب دموية باغية ، شنتها علينا آلة الحرب الاسرائيلية .

لقد فازت إسرائيل فى تلك الحروب الثلاث ، ولهذا كان فوزنا فى ٦ اكتوبر ١٩٧٣ حدثا تاريخيا بارزا ، لأنه اثبت بالبرهان القاطع ان الأمة العربية تستطيع ان تنتصر بالاستعداد الشامل ، والتخطيط الدقيق ، ووضوح الهدف ، واليقظة لمناورات الأعداء ، وارتفاع الروح المعنوية إلى أوج الحماسة والاشتعال فى الجيش والشعب ..

وكل أولئك كان متوافرا فى هجوم اكتوبر الذى عبرت فيه قوات





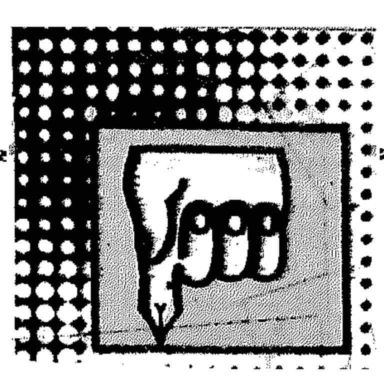
مصر قناة السويس في مشهد تاريخي جليل لن ننساه نحن ولن ينساه الأعداء ..

إن إنجاز اكتوبر في ميدان القتال قد دخل التاريخ كذكرى مليئة بالعبر والعظات للأمة العربية التي مافتئت تخوض معارك الحرب والسلام في أكثر من ميدان .

وصحيح أن النصر لم يحقق كل الأحلام ، ولكن من الصحيح كذلك انه ليس ثمة قوانين ثابتة لنتائج الحرب والسلام .. فالنتائج قد تتعثر أو تتبعثر أو تتباعد معالمها وتتفرق طرائقها ، ولكن النصر في آخر المطاف لايذهب ادراج الرياح ..

وقد جاء انتصار العراق الشقيق في دفاعه المجيد عن حدوده ضد الغزو الفارسي الرافضي المتعصب المقيت برهانا على أن العرب الذين انتصروا يوم ٦ اكتوبر لن ينهزموا في ميادين القتال بعد ذلك اليوم ابدا إن شاء الله ، مهما كانت قوة عدوهم ، لأنهم درسوا جيدا معالم السبل المؤدية إلى الانتصار ..

وفي الذكرى الخامسة عشرة لانتصار اكتوبر ، تبلغ انتفاضة





الشعب الفلسطينى مداها ضد الغزاة الاسرائيليين الذين أعماهم تعصبهم العنصرى والدينى ..

وتوشك الانتفاضة أن تحقق نصرا تاريخيا ، اذا لم يستطع العدو أن يفرق صفوفها بدسائسه الشيطانية ، وأخطرها إثارة النعرات الدينية بين جماعات فيها تفتقر إلى الوعى الصحيح .

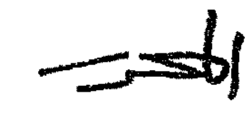
إن اطراد مقاومة الأمة العربية لمشروعات أعدائها ، يدل على أن التعبئة المعنوية والمادية التى أثمرت انتصار اكتوبر ، لم تكن مصادفة لا تتكرر ، ولا كانت لمعة بارق توهجت فى وقتها ثم انطفأت ولا عودة لها .. وإنما كانت « حالة دائمة » لبست الأمة العربية رداءها منذ ذلك اليوم التاريخى العظيم ، يوم اكتوبر ، ولن تخلع هذا الرداء المقدس حتى تبلغ أهدافها ، برغم ما يبدو من تصدعات هنا وهناك ، أو تقاعس فى هذا الجانب أو ذاك !

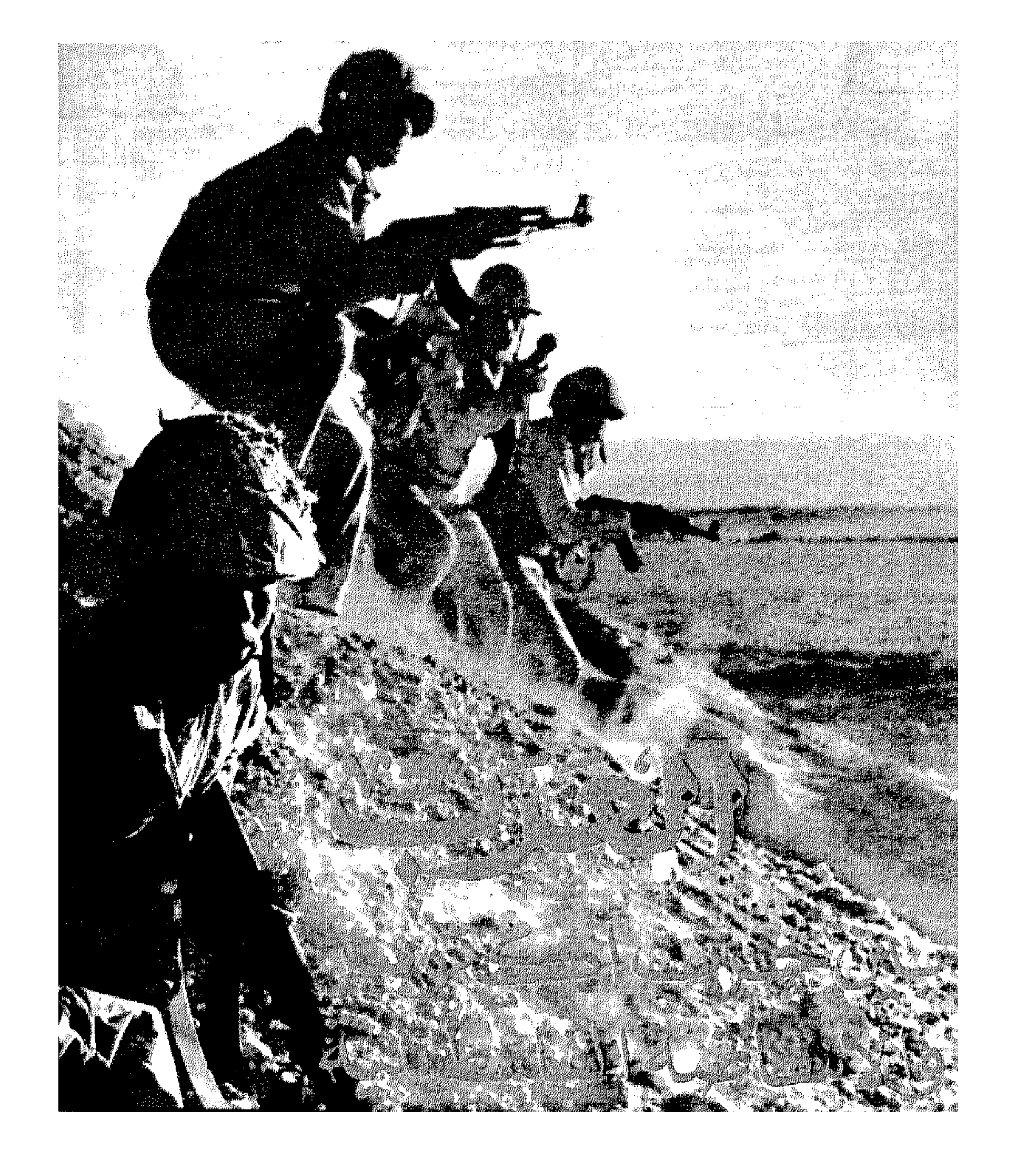
وبعد

فقد استثار انتصار اكتوبر قرائح الشعراء والأدباء والفنانين والمثقفين المبدعين المصريين والعرب فى كل مكان ، ولكن الانتصارات تبقى دائما أوسع مدى من التعبير الفنى أو الأدبى عنها ..

ولا نعتقد أن المبدعين قصروا عن إيفاء ملحمة العبور حقها ، أو بعض حقها على الأقل ، ولكنا نقول إن أعظم الملاحم لم يسجلها الأدب والفن إلا بعد انقضاء عصرها .

ومع ذلك فإن ما فاضت به قرائح المبدعين فى الأدب والفن ، عن اكتوبر ، لايعد قليلا لا فى الكم ولا فى الكيف .. وربما تفتحت من هذه الملحمة الفريدة أبواب فى الأدب والفن لا تخطر لنا الآن على بال ! ..





بقلم : د. على الدين هــلال

● قليلة هي الأحداث التي يمكن ان توصف « بالتاريخية » ، ومع ذلك فإن العرب من اكثر الناس استخداما لهذا التعبير فكل خطاب سياسي لحاكم هو خطاب تاريخي ، وكل قرار له يحمل ذات الصفة . لذلك ـ للأسف ـ فقدت الصفة دلالتها في النفس العربية ، واختلط الحابل بالنابل ، مع ان التعبير له معناه ودلالته ومغزاه ●

فالتاريخ الانسانى هو شلال متدفق من الأحداث والوقائع والتطورات ، منها الايجابى ومنها السلبى ، منها ماهو فى صالحنا ومنها ماهو خصم علينا ، منها ما تفرضه قوى اكبر ومنها ما نشارك فى صنعه ، وفى وسط هذا الحشد الهائل من الأحداث والوقائع والتطورات ترتفع هامة بعضها بفعل ما أحدثته من تغييرات أو ما بشرت به من تطورات .

تلك الأحداث يتوقف التاريخ امامها كثيرا ، فتلك تمثل نقاط تحول فى مسار مجتمع ما أو حياة جماعة ما ، وتلك هى التى توصف بحق « بالتاريخية » وهى توصف بذلك لأنها اوجدت حقائق جديدة فى حياة البشر والمجتمعات ، لأنها فتحت امامها افاقا جديدة من البدائل والاحتمالات ولأنها غيرت موازين القوى فيها . من تلك الأحداث الثورات والحروب .

وإذا اخذنا الثورات للتدليل على ذلك نقول أن الثورة الفرنسية مثلا لم تغير فقط شكل النظام الحاكم فى فرنسا ولكنها غيرت وجه أوربا بأسرها ، والثورة الامريكية دشنت دولة جديدة ذات موارد وقدرات هائلة ، والثورة البلشفية كانت بداية انقسام العالم الى نظامين أجتماعيين مختلفين . ونفس الشيء يمكن ان يقال عن ثورات كبرى أخرى كالثورة الصينية والثورة المصرية كما يمكن ان يقال عن الحروب الكبرى التى شهدتها البشرية .

والحدث التاريخى بهذا المعنى ينشأ من رحم التاريخ ويعكس تطوراته وهو قد يبدو عنيفا أو مفاجئا ، ولكنه فى واقع الأمر نتيجة تخمر بطيء وحصيلة تراكم لجزئيات بسيطة وتفاعلات متداخلة عبر فترة ممتدة من الزمان ، الحدث التاريخى من ناحية أخرى لايمكن فهمه خارج إطار الارادة الإنسانية . وإذا كان من الصحيح أن التاريخ لايتحرك بطريقة عشوائية أو عفوية ولكن فى إطار محددات موضوعية ، فإن ذلك لايعنى ميكانيكية الحركة التاريخية او استقلالها عن البشر ، فدور الانسان جوهرى والتاريخ لا يتحرك بمعزل عن البشر .

● من اكتوبر ٧٣ إلى ديسمبر ٨٧

ما بين هذين التاريخين سالت دماء عربية كثيرة وتعددت الخلافات العربية وكذا بؤر النزاع والتمزق فى الوطن العربى . اختلفت الأدوار والتوجهات ، كما اختلفت الاهتمامات والأولويات . وساعد هذا وذاك على مزيد من الأختراق الأجنبى للجسد العربى .

ولكن حتى لانكون من الذين يبكون على اللبن المسكوب ، فمن الضرورى أن نتأمل فى الواقعتين : واقعة حرب اكتوبر التى تمت وانتهت ، والتى بعد اقل من ثلاثة سنوات من نشوبها انفرط العقد العربى . والواقعة الثانية





حسنى مبارك .. شركاء سلاح وهدف قومى واحد



حسنى مبارك والمشير عبدالحليم أبوغزالة

التى بدأت فى ديسمبر ١٩٨٧ والتى مازالت مستمرة حتى اليوم .
ولأول وهلة فإن كلا الحدثين يجمع بينهما أكثر من اعتبار . يجمع بينهما أنهما يتعلقان بالقضية الفلسطينية والصراع العربى الاسرائيلى ، ويجمع بينهما أن زمام المبادرة فى يد العرب وأنهم وضعوا إسرائيل فى موقف الدفاع ورد الفعل ، ويجمع بينهما الاستناد الى جبهة عريضة من التضامن العربى .
ولكن هذه التشابهات لاينبغى أن تغفل من الاختلافات بينهما فحرب اكتوبر هى حرب نظامية بين جيوش دول ، وهى حرب شنتها مصر وسوريا من أجل تحرير أراضيهما الواقعة تحت الاحتلال الاسرائيلى . أما الانتفاضة فهى حركة شعب تحت الإحتلال ، وهى ممارسات يومية لكل أشكال العصيان المدنى تتم على الأرض المحتلة نفسها وتتضمن مواجهة مباشرة بين جنود الاحتلال والشعب الذى يخضع لسلطة الاحتلال .

● الاعتماد على الذات

من أهم دروس الواقعتين تكريس مفهوم الاعتماد على الذات كشرط للانجاز أو النصر ، ففى حالة حرب اكتوبر كان القرار العربى بأخذ زمام

المبادرة قرارا « قوميا » ، ولم يكن يعكس التوازنات الدولية التى كانت سائدة وقتذاك أو يستند اليها . ولعلنا نتذكر أنه في مايو ١٩٧٢ انعقد مؤتمر قمة موسكو والذى تضمن إعلانه اتفاق الدولتين العظميين على الاسترخاء العسكرى في منطقة الشرق الأوسط . من هذا الوقت كان العملاقان يطوران العلاقة الجديدة بينهما فى سياق حالة من الانفراج الدولي ، ولم يكن أحدهما على استعداد لعمل مواجهة ساخنة مع الطرف الآخر بسبب نزاع إقليمي . بعبارة أخرى كان استمرار الأمر الواقع لايمثل خطرا على أحد غير العرب ، ومن ثم فإن مسئولية تغييره كانت عليهم كاملة ، ولايعنى هذا بالطبع الانتقاص من الدعم الخارجي - أساسا السوفييتي - لمصر وسوريا وقتذاك ولكن يعني أن دفة تحريك الأمور كانت فى يد العرب وانهم خلقوا موقفا جديدا كان على الآخرين أن يتعاملوا معه وأن يستجيبوا الى مقتضياته

وبنفس المنطق فإن قيام الانتفاضة كان فى المقام الأول يعبر عن نفس مفهوم الاعتماد على الذات . لقد ظلت اسرائيل تردد لسنوات وسنوات أنها تواجه « إرهابيين » « ومتسللين » . إرهابيون يقومون بإثارة الفزع والاعتداء على حياة المدنيين ، ومتسللون يعبرون الحدود للقيام بهذه العمليات أو تلك . وتضمن هذا أن عمليات المقاومة لا تنبع من داخل الأراضى المحتلة ولكنها تتم بتنظيم وتمويل من الخارج . ولطول مدة الاحتلال (منذ ١٩٦٧) تصورت القيادات الاسرائيلية أن الجيل الجديد من الفلسطينيين قد قبل الأمر الواقع وانه لم يعد يرى بديلا واقعيا وبالذات مع إستمرار التمزق العربى والتناحرات العربية . تحدثوا أيضا عن ارتفاع مستوى معيشة الفلسطينيين تحت الاحتلال وانهم كانوا أحسن حالا مما كانوا عليه قبل عام ١٩٦٧ .

ويقال أن الكاذب قد يصدق نفسه مع تكرار اكاذيبه يوما بعد يوم ، ويبدو أن شيئا من هذا قد حدث فى سلوك اسرائيل سواء بالنسبة لحرب ١٩٧٣ أو لانتفاضة ١٩٨٧ .

بالنسبة لحرب ١٩٧٣ فقد جاءت كمفاجاة كاملة لأجهزة المخابرات الاسرائيلية وللمحللين الاستراتيجيين فيها لذلك اطلقوا عليها أسماء مثيرة مثل الزلزال أو الكارثة ، ويرجع ذلك الى أن الفكر الاسرائيلى خلال الفترة ٦٧ - ٧٣ وصل الى عدد من الاستنتاجات التى ارتفعت الى مستوى المسلمات والبديهيات . فقد سلموا مثلا بأن العرب لايستطيعون التنسيق فيما بينهم وانهم ليست لديهم القدرة على التخطيط المشترك أو التنسيق الجماعي كما سلموا بأن أية دولة عربية بمفردها لن تجرؤ على منازلة إسرائيل . والحقيقة أن هذا الاعتقاد لم يقتصر على إسرائيل بل على كثير من الدوائر الغربية وفى التعليقات الصحفية المبكرة على نشوء حرب



الفريق : حسني مبارك .. وانور السادات .. والمشير احمد اسماعيل دردشة عسكرية

اكتوبر نجد فيها الكثير من الأسف والاسى على أولئك المصريين الذين لم يدركوا أى مصير ينتظرهم عندما يقدمون على الحرب مع اسرائيل . لذلك فعندما نشبت الحرب واستطاع المصريون عبور القناة واكتسحوا خط بارليف فإن ذلك حطم لدى الاسرائيليين مجموعة متسقة من الأفكار التى رددوها وصدقوها عن الانسان العربى وقدراته وادائه .

وبنفس المنطق فإن الانتفاضة حطمت مجموعة متسقة اخرى من المفاهيم لدى الاسرائيليين ، فقد بينت الانتفاضة بوضوح لاشبهة فيه ولا مظنة أنها تتمتع بالتأييد الجارف لمجمل اهالى الضفة الغربية وغزة ، وانها حركة مقاومة وطنية ضد قوة احتلال تتم على الارض بتنظيم داخلى ، وما كان يمكن للانتفاضة أن تستمر لولا درجة عالية من التنظيم من ناحية ، ومن التأييد الشعبى من ناحية اخرى .

والاعتماد على الذات بالمعنى الذى عرضت له لاينفصل عن وجود الارادة الوطنية القادرة على الحشد والتعبئة والحسم .

ونقول أخيرا أن اكتوبر ١٩٧٣ من ناحية وديسمبر ١٩٨٧ من ناحية اخرى هما معلمان فى إطار مواجهة حضارية وتاريخية كبرى ، مواجهة تأخذ اشكالا عسكرية وثقافية واقتصادية ، والمواجهات الكبرى فى التاريخ لم تحسمها القوة العسكرية وحدها ، وكم من حضارات هزم أصحابها عسكريا وبقيت الحضارة نفسها منتصرة تستولى على الفاتحين وتؤثر فيهم لذلك فإن هذا النوع من المواجهات تتعدد أدواته وطرائق نضاله ، ولأنها مواجهة تاريخية فإن عنصر الزمن يلعب فيها دورا أساسيا وتصبح القدرة على الصمود والاستمرار معينا لاينضب .

● أعترف بأنني لم أكن أحب كلمة « زخم » التي يكثر إخواننا الشوام من استخدامها ، ولكنني في النهاية لم أجد افضل منها للتعبير عن المعنى الذى أقصده فى هذا المقال ...

هل يعود إلينا زخم أكتوبر؟

بقلم : عبد الرحمن شاكر

بالرغم من أن الجنرال حاييم هرتزوج ، الذى يوصف بأنه أكبر المعلقين العسكريين والسياسيين فى اسرائيل ، حاول ان يصور حرب أكتوبر - فى كتابه المعروف باسم « حرب الغفران » أو « التكفير » ، بطريقة ترضى الغرور الاسرائيلى ، وان هذه الحرب قد انتهت والقوات الاسرائيلية فى الجبهة الشمالية على الطريق الى دمشق بحيث تسمع أصوات مدافعها فى العاصمة السورية ، وفى الجبهة المصرية فى الطريق الى القاهرة ، عند الكيلو ١٠١ « الشهير » على طريق السويس القاهرة ، فإن مجموعة « اعترافات » قد افلتت منه ، رغم انفه ، فيها الكثير مما يدحض الصورة التى حاول ان يرسمها لنهاية الحرب ، أو على الأقل يجعلها موضع الشك والجدل الكثير .

● فبالنسبة للجبهة المصرية على الأقل حاول المعلق « الكبير » أن يسرق لفظ « العبور » ، الذى عرف به عبور القوات المصرية قناة السويس فى بداية الحرب ، وسماه بدلا من ذلك « الهجوم » فى الفصل المخصص لوصفه ، أما كلمة « العبور » فقد احتفظ بها ليجعلها عنوانا للفصل الخاص بعبور القوات الاسرائيلية الى الضفة الغربية من القناة ، فيما عرف عندنا باسم « الثغرة » عند الدفرسوار . وجعل من هذا « العبور » الاسرائيلى آية النصر التى استطاعت ان تقلب منضدة الحرب فى وجه العرب ! حيث وصلت القوات الاسرائيلية الى مشارف مدينة الاسماعيلية شمالا ، ثم انحدرت جنوبا الى السويس ، مدمرة حائط الصواريخ ،

الذى كان يحمى الجيش الثالث من هجمات الطيران الاسرائيلى المتفوق ، محاولة فرض الحصار على هذا الجيش بالوصول الى كل من ميناء الأدبية ومدينة السويس ، بعد ان وصلت الى طريق السويس ـ القاهرة قاطعة بذلك خط التموين الرئيسى لهذا الجيش . وان الجيش الثالث لم ينقذه من « الحصار » المفروض عليه من القوات الاسرائيلية الا التحرك الدولى من جانب الاتحاد السوفييتى اساسا ، الذى تحركت قواته المحمولة جوا الى يوغسلافيا استعدادا للقفز الى منطقة القتال لرفع الحصار عن الجيش الثالث المصرى ، وترتب على ذلك اعلان التأهب الفورى لحلف الأطلنطى من جانب الولايات المتحدة الأمريكية ، التى أمر وزير خارجيتها فى ذلك الحين هنرى كيسنجر ، جولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل بالسماح بمرور قوافل التموين إلى الجيش الثالث ، والا فإن قوات دولة كبرى سوف تتولى هذا الأمر ، وانصاعت رئيسة الوزراء الاسرائيلية للأوامر الأمريكية ـ وسمحت بمرور قوافل التموين الى الجيش الثالث ، تجنبا لنشوب حرب نووية بين القوتين العظميين !

ذلك هو « السيناريو » الذى طالعه العالم فى ذلك الحين ، ولكن بماذا يعترف هرتزوج فى كتابه :

● يقول ان الجيش الاسرائيلى كان متهما بأنه قد خرق وقف اطلاق النار الذى صدر فى ٢٢ اكتوبر وشرع فى التقدم الى السويس ، بما فى ذلك احتلال أول طريقها الى القاهرة ، بينما الحقيقة هى ان الجيش المصرى الثالث كان هو الذى يخرق قرار وقف اطلاق النار ، ويهاجم القوات الاسرائيلية على الضفة الغربية لقناة السويس ! وان الجيش الاسرائيلى قد استفاد من هذا الخرق ، وشرع فى التقدم جنوبا الى السويس لمحاولة احكام الحصار المفروض على الجيش الثالث .

● ثم فى موضع آخر يصف معركة محاولة اقتحام مدينة السويس ، والخسائر الفادحة التى لحقت بالقوات الاسرائيلية فى هذه المحاولة ، ويعلق عليها بان « السويس كانت غلطة » ! وبالطبع لم يكن ليقول ذلك لو ان القوات الاسرائيلية نجحت فى اقتحام السويس ، والذى باقتحامها وحده كان يمكن ان يقال ان الجيش الثالث الذى عبر الى شرق القناة كان قد تم احكام الحصار عليه ...

● تصفية الجيش الإسرائيلى

فالجيش الثالث كان ملتحما بشعب السويس فى الدفاع عن المدينة الباسلة ، ومن الصعب ان يحكم احد على مدينة لم تسقط بعد ، وان كانت تحت الحصار ، بانها على وشك التسليم للعدو الذى يحاصرها ، هى والقوات التى تدافع عنها ، لقد لبثت لينينجراد عامين كاملين تحت الحصار الألمانى فى الحرب العالمية الثانية ، وعانت الكثير ، ولكنها لم تسقط ، وكان فى استطاعة السويس ان تصمد طويلا هى والجيش الثالث ، حتى تتحرك قوات مصرية اخرى سواء من الجيش الثانى ، أو من القاهرة لضرب القوات الاسرائيلية المتمركزة غرب السويس الى الدفرسوار ، فضلا عن مشاركة سلاح الطيران المصرى فى الهجوم عليها .. والسيناريو الذى لم يذكر الا قليلا ويتعلق

هل يعود إلينا زخم اكتوبر؟

بوزير الخارجية الامريكى هنرى كيسنجر ايضا ، هو انه قد حذر الرئيس الراحل السادات من محاولة تصفية الجيب الاسرائيلى غرب قناة السويس ، ذلك الجيب الذى كان يحتوى على الاحتياطى الاستراتيجى للقوات الاسرائيلية ويصفها هرتزوج بانها زبدة القوات الاسرائيلية ! بل لعل هذا السيناريو الأخير ، القليل الذيوع عن تحذير السادات ، هو السبب فى اختيار كيسنجر السيناريو الأول الذائع الصيت ، حول مطالبته جولدا مائير بالسماح لقوافل التموين بالمرور الى الجيش المصرى الثالث .

● **وعلى كل ، فان الاعتراف الثالث من جانب هرتزوج ، حول موضوع الثغرة او العبور الاسرائيلى المضاد ، الذى هدد فى زعمه الجيش الثالث ، بل وضع القوات الاسرائيلية على طريق القاهرة ...هو الذى يكشف عن طبيعة الموقف كله** ، وهو ان موشى ديان وزير الدفاع الاسرائيلى ، والمسئول الأول عن الحرب ، لم يكن موافقا على خطة العبور الاسرائيلى برمتها التى نفذها اريل شارون ، وانه كان من رأيه ان دولته قد خسرت الحرب على قناة السويس بالفعل ، بالنجاح المذهل للقوات المصرية فى العبور ، بخسائر اقل بكثير مما كان يتوقعه واضعو خطة العبور انفسهم ، واجتياحها خط بارليف الحصين ، وتمركزها على شريط ضيق بطول قناة السويس برمتها على الضفة الشرقية منها ، على نحو يعترف هرتزوج بأنه جعل محاولة مهاجمتها جوا غير مجدية بالمرة وحائط الصواريخ على الضفة الغربية وراءها ، وانه حينما كان الطيران الاسرائيلى ينجح فى ضرب المعابر التى أنشأها سلاح المهندسين المصرى ، وقد ضربت كلها الا واحدا ، أكثر من مرة ، كان يعاد اصلاحها بسرعة مذهلة ، فى ساعة او اقل ! لذلك كان من رأى وزير الحرب ديان ، ان على القوات الاسرائيلية ، ان تحاول الدفاع عند خط تال لقناة السويس ، عند الممرات مثلا ، وتترك القناة التى افلح المصريون فى استرداد ضفتها الشرقية ، على نحو لا طاقة للإسرائيليين بزحزحتهم عنه .

دلالة رأى ديان ، هى ان العبور الاسرائيلى الى الضفة الغربية لقناة السويس ، كان مغامرة خطيرة ، أقل ما فيها ان القوات الاسرائيلية التى عبرت كانت مهددة بأن تغرق فى بحر الكثافة السكانية المصرية ، فضلا عما بقى فى قدرة القوات المصرية النظامية على التصدى لها ، بالرغم من نجاحها فى تدمير حائط الصواريخ الذى كان يحمى ظهر الجيش المصرى الثالث فى شرق القناة من تهديدات الطيران الاسرائيلى .

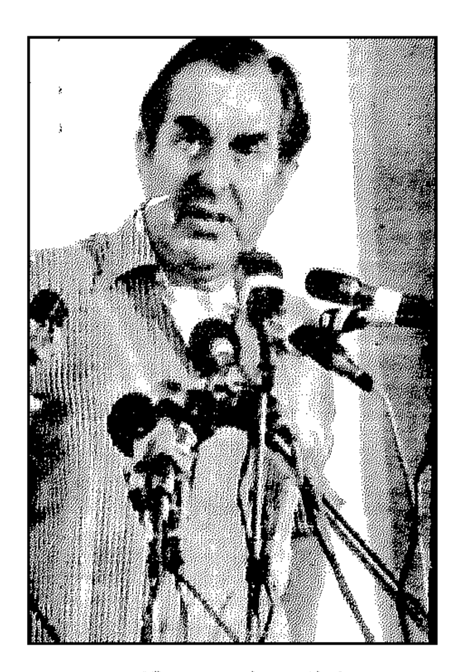
النتيجة اذن كانت « مفتوحة » على الأقل ، على طريقة نهايات بعض الافلام السينمائية والروايات المسرحية ، ولم يكن نصرا إسرائيليا ذلك الذى وضع قواتها على رأس طريق السويس ـ القاهرة ، فربما لو استمرت الحرب ـ ولم تتدخل السياسة ـ لكان فى ذلك هلاكها !

● الزخم الجديد

ذلك كان بعض « زخم » أيام اكتوبر



الطريق الى النصر .. عبر طريق ضيق



جنرال حاييم هرتزوج

المجيدة ، التى ذهبت بخيرها وشرها ، منذ خمسة عشر عاما ، اقل ما فيها ، واعترف به هرتزوج ايضا ، ان الجيوش العربية التى واجهت الدولة الصهيونية كانت خلاف جيوش ١٩٦٧ بالمرة ، كان الجيش المصرى كما وصفه ـ جيشا جديدا كل ضباطه ومعظم جنوده من المتعلمين ، القادرين على ادراك مايفعلون ، ووضع الخطط التفصيلية الدقيقة والتدريب المتقن عليها ، فضلا عن نجاح قادة كلا الجبهتين فى تضليل المخابرات الاسرائيلية عن الموعد الحقيقى للهجوم ، والقدرة على التنسيق بين الجبهتين ، واستعمال سلاح النفط فى المعركة ، من خلال سياسة تضامن عربى ناجحة .

لذلك كان من الطبيعى جدا ، ان يشعر العرب بانهم قد أصبحوا القوة السادسة فى العالم فى اعقاب حرب أكتوبر ، وقد استتبع الزخم العربى فى تلك الفترة زخما مماثلا فى الدائرتين الوثيقتى الارتباط بالعرب ، وهما الدائرتان الاسلامية والافريقية ، فقد قطعت معظم الدول الافريقية علاقاتها مع اسرائيل تضامنا مع العرب ، وانعقد المؤتمر الاسلامى فى باكستان فى أوائل ١٩٧٤ ، وكان من بين ما ناقشه اقتراح من أحد القادة الافريقيين باحياء الخلافة الاسلامية بعد ان نجحت حرب أكتوبر فى رد الهيبة الى العرب والمسلمين !

نعم ، لقد تبدد كثير من هذا الزخم الذى حفلت به المنطقة العربية الاسلامية الافريقية بعد حرب اكتوبر ، لأسباب سياسية كثيرة ، وعوامل كان من بينها

هل يعود إلينا زخم أكتوبر؟

تدفق ارباح النفط الذى ارتفعت أسعاره كثيرا بفضل تلك الحرب ، واختلف العرب فى وجوه التصرف فيها ، ولم يستطيعوا ان يتفقوا على خطة موحدة لاستثمار تلك الأرباح الهائلة في اعادة بناء اقتصادهم ، وقوتهم العلمية والصناعية والعسكرية ، بل حل الشقاق والتنازع محل الوفاق او الاتفاق ، مفسحا المجال للمآرب الشخصية لكى تسيطر ، وحلول هدف الاثراء الفردى محل اى مشروع عربى موحد ، بما فى ذلك استثمار فائض الأموال في بلاد الغرب ، حيث يستفيد منها العدو الصهيونى اكثر من أصحابها العرب ، وهلم جرا .

على ان زخما عربيا جديدا يفرض نفسه الآن .

فالحرب العراقية الايرانية ، كانت كابوسا رهيبا يجثم على انفاس المنطقة العربية الاسلامية ويهدد مصيرها ، كان امرا مهلكا بالنسبة للقوى البشرية والمادية لأبناء هذه المنطقة على حد سواء ، واستمرارها كان يعنى تآكلا لاتفرح به الا الدولة الصهيونية وحدها ومن وراءها ، بل لعلها كانت تحلم بان توقع المشرق العربي بين فكى كماشة تمثل هى واحدا منها وايران هى الفك الآخر ! ولكن الله سلم ، واستطاع العرب الصمود فى تلك الحرب الطويلة ، واستطاع العراق ان يصل الى وضع حد لتلك الحرب ، والوصول الى مشارف صلح مشرف مع جارته ايران ، وخرجت دول الخليج سليمة معافاة من ويلات تلك الحرب الا ما استنزف من اموالها فيها ، واستطاع الوجود المصرى ان يعود بقوة الى ساحة التضامن العربي ، عبر المؤازرة المصرية الفعالة للعراق فى دفاعه عن كيانه وفى المنطقة العربية بأسرها .

ولكن انتهاء الحرب العراقية الايرانية ليس كل شىء .

فهناك حقيقة قد فرضت نفسها على الساحة الفلسطينية ، القضية العربية الأولى ، والتى بسببها كانت كل الحروب ، بما فى ذلك حرب اكتوبر المجيدة :

لقد فشل المشروع الصهيونى رغم جهوده المتواصلة بعد حرب اكتوبر فى تفريغ الأرض الفلسطينية المحتلة بعد حرب ١٩٦٧ من سكانها العرب ، واحلال المستوطنين اليهود محلهم ، وصولا الى الحلم الصهيونى فى بناء اسرائيل الكبرى .

كان ذلك بالرغم من نجاح العدو الصهيونى منذ ست سنوات فى اجبار قوات المقاومة الفلسطينية على مغادرة مواقعها في بيروت ، بعد حصار دام ثلاثة اشهر ، وبالمناسبة اعود فاذكر حصار السويس فى اول هذا المقال ، واسأل حاييم هرتزوج : هل كانت السويس المحاصرة ومعها الجيش المصرى الثالث أقل قدرة على الصمود فى وجه الحصار الاسرائيلى ، من بيروت التى صمدت فى وجه هذا الحصار ، تحت القصف الجوى

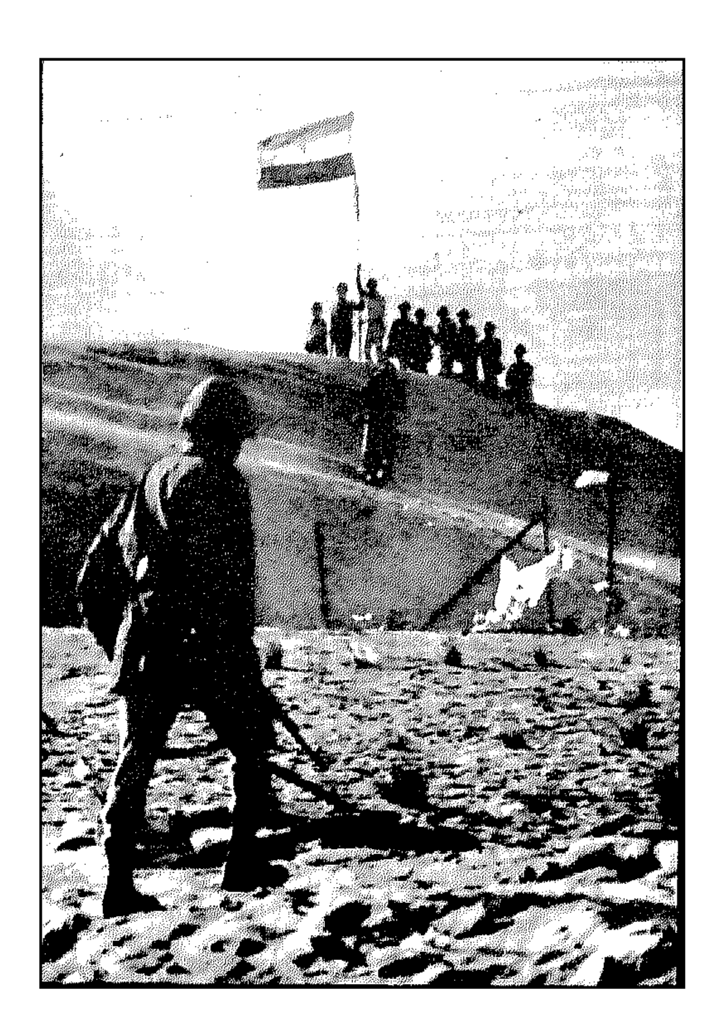
والبحرى والبرى المتواصل ، وليس فيها الا قوات المقاومة الفلسطينية ومعها القوى الوطنية اللبنانية ، وخطوط امدادات جيش الدفاع الاسرائيلى الذى يحاصرها اقصر بكثير من خطوط امداده الى مدينة السويس أيام الثغرة ؟ !!

لا ، بل أقول ان الصمود الفلسطينى اللبنانى فى حصار بيروت قد استلهم روح القتال العنيد للمصريين والسوريين فى حرب اكتوبر ، التى أيقظت هذه الأمة العربية من سباتها ، بعد الهزيمة المروعة فى حرب ١٩٦٧ .

واليوم فان الانتفاضة الفلسطينية فى الأرض المحتلة تواصل المسيرة ، وتستلهم كلا من الصمود الفلسطينى اللبنانى فى بيروت ، وروح القتال المصرية السورية فى أكتوبر ، وسائر تاريخ الأمة العربية الاسلامية فى التصدى للغزوات الاستعمارية ، والتضحية بالنفس والنفيس لرد غارات المعتدين .

ان الانتفاضة الفلسطينية المعاصرة ، هى معركتنا ، معركة جميع العرب والمسلمين ، ولابد من زخم عربى اسلامى مواكب لها ، مثلما واكب حرب اكتوبر زخم عربى اسلامى افريقى .

قبل ان أشرع فى كتابة هذا المقال بساعات قليلة ، علمت من برنامج تليفزيونى ، ان جريدة « هيرالدتريبيون » الأمريكية ، التى هى فى الواقع جريدة دولية لدى الغرب ، حيث تطبع فى نيويورك



ولندن وباريس فى آن معا ، هذه الجريدة كان موضوع افتتاحيتها هو « الدولة الفلسطينية » ، التى تراها حقيقة لاشك آتية فى الطريق بعد الانتفاضة الحالية ، التى دخلت ـ حتى كتابة هذه السطور شهرها العاشر ...

واليوم فإن الموقف فى يد منظمة التحرير الفلسطينية ، التى تقود الانتفاضة وسائر نضال الشعب الفلسطينى سياسيا وعسكريا ، هى قائدة المعركة المعاصرة ، التى يتوقف عليها مجمل المصير العربى ..

فهل كثير علينا ان نطالب لها وللانتفاضة بزخم عربى مثل زخم اكتوبر ؟!

حرب اكتوبر في الأدب العربي

بقلم: د. الطاهر أحمد مكى

ماحدث ظاهرة تحتاج الى بحث متعمق ، ومناقشة مستوعبة ، في حلقة دراسية ، لأنه يتجاوز ماهو ممكن ومتصور .. كان النصر عظيما ، وكان الابداع بالمقابل عقيما أو لا شيء .

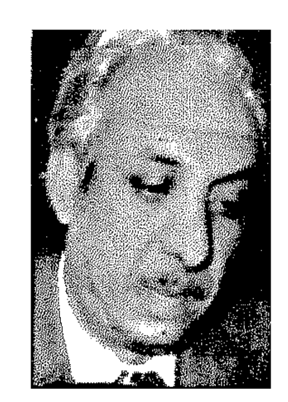
وأظن اننا بعد سنوات من الحرب نستطيع ان نقرر هذه الحقيقة ، بلا خجل أو تردد أو خوف أو تزويق أو تحايل : لقد كانت حرب اكتوبر اعظم الحروب العربية الحديثة ، ومع ذلك ظل الأدب المعبر عنها في اقل مستوى ، جودة ووفرة وتصويرا .

وهو موقف جدير بأن يناقش ، ولكى تؤدى المناقشة الى نتائج صحيحة ينبغى ان تعرض على وجه صحيح . وان يقال فيها ماهو حق وعدل . والا تتمحور حول قضايا شخصية ، ينظر اليها من جوانب بعينها ، ومن خلال رؤى ذاتية خالصة . وان تأخذ شكل تواجه أو تقليل ، فيصبح الأمر ان كل ماقيل من شعر قبل حرب اكتوبر يجب ان نسقطه وكل ماكتب فيها او بعدها يجب ان نمنحه البركة والرضا

● ان تحويل القضية الى صراع شخصى بحت ، بصرف النظر عما وراءه من اسباب نقدية أو ايديولوجية يعنى ببساطة تشتيت القضية وتعقيمها واضاعتها ، على حين ان الأمر فى جوهره ينبغى ان يكون عن الرؤية الادبية لقضية المصير التى يواجهها العرب (اقول العرب لامصر فقط) ومقدار ما فى هذه الرؤية من الصحة والخطأ ، لتعميق الايجابيات وتجاوز السلبيات .

● حرب عظيمة النتائج

ان رؤية الادب لحرب اكتوبر تحتاج الى مناقشة تحليلية جادة ، بمثل ماتحتاجه الحرب نفسها ، وهو مالم نقم به حتى الآن على نحو جدى ، على اى







صلاح عبدالصبور احمدعبدالمعطي حجازى محمد السيد مهران نجيب محفوظ

مستوى ثقافي جاد ، ربما ـ ببساطة ـ لأن ماقيل في مصر من هذا الأدب ليس فيه كبير غناء .

كانت حرب اكتوبر قصيرة الزمن . عظيمة النتائج والخطر ، ولايـزال الزلزال الذى احدثته يلقى ببراكينه حتى يومنا ، ومع ذلك ، فما افرزته هزيمة يونيه من الأدب ، شعرا وقصة ورواية ، ومسرحا ، لأدباء عمـالقة ومتـوسطيـن واقـزام ، صـادقيـن ومجروحين أو حاقدين كان هائلا وعالى الجودة فنيا ، مهما يكن رأينا في محتواه ، على حين ان النصر لم يفرز شيئا ذا اهمية على ماسنرى .

لاينبغى ان نقف عند دراسة ماقيل في حرب اكتوبر وهو ضئيل ، وانما علينا ان نتجاوزه الى دراسة لماذا لم يكن ، وان نتخذ من الوسائل والاسباب مايجعله يكون اذا تكررت الدواعى وقصير النظر جدا من يظن ان الحرب توقفت وان الاعداء استسلموا وانه لاحاجة بنا ان نشحذ السلاح ، وان نكون في حالة استعداد على الدوام .

لقد توقفت حرب اكتوبر ولكن دورنا محاربين لمّا يتوقف ، فهناك قيود على حركتنا في سيناء ،، وثمة اراض عربية مغتصبة علينا تجاه تحريرها مسئولية اخلاقية ، واخـرى تفرضهـا وحدة المصير ، والنظرة البعيدة المسئولة التى لاتقف بدور مصر عند قدميها وانما تمتد به الى ابعد مدى في الزمان والمكان .

أول مايجب ان ننتبه اليه من اسباب وجهت هذا الأدب في عالم اللاوعى اننا مجتمع زراعى في جملته ، تغلب عليه الحمـاسـة والانـدفـاع والانفعـال ، والتطرف والشيء عندنا ابيض أو اسود ، فكنا قبل مأساة فلسطين نقيّم عدونا باقل مما هو ، وبعد اغتصابه لها صرنا نقدره بأكثر مما هو ، والأمل الكاسح في كسب الحرب قبل ١٩٦٧ انقلب الى يأس قاتم بعدها ، وكنا نؤمن بأن الكلمة الحماسية لها دور بالغ في الحرب والنصر فصرنا نؤمن بانها لاشيء . وهكذا ظللنا ننتقل من النقيض الى النقيض ، ونتارجح بين الأمل واليأس ، وهو مايفسر لنا ماكتبه توفيق الحكيم غداة إعلان الحرب في مقاله « عبرنا الهزيمة » : « عبرنا الهزيمة الى سيناء .. ومهما تكن نتيجة المعارك (لاحظ التردد) فان الأهم الوثبة .. نعم

عبرنا الهزيمة فى الروح » ثم طلب من الحكومة ان تهيىء له عملا يدويا يناسب سنه ، يشارك به فى معركة الشرف بدلا من صناعة الكلمة التى لامكان لها فى ساحة القتال ، واعلن عجز الأديب عن ابداع عمل بمستوى الحرب ، ووصف الأدب بانه كلام على ورق !

● العبور الأسطورى

وحتى نزار قبانى ، والشعر الرائع فى مكنته دائما ، كتب مجموعة من المقالات ابان الحرب نفسها ، نشرها فى مجلتى الأسبوع العربى والبلاغ البيروتيتين ، يسير فيها على هذا النهج . يقول فى مقاله « دعوة عاجلة لاحتياطى الأدب » « عندما تبدأ الة الحرب بالتحرك تصبح الة الادب فى مرتبة ثانوية » ، ثم يتجاوز الحكيم فيقدم لمقولته توضيحا وتعليلا :

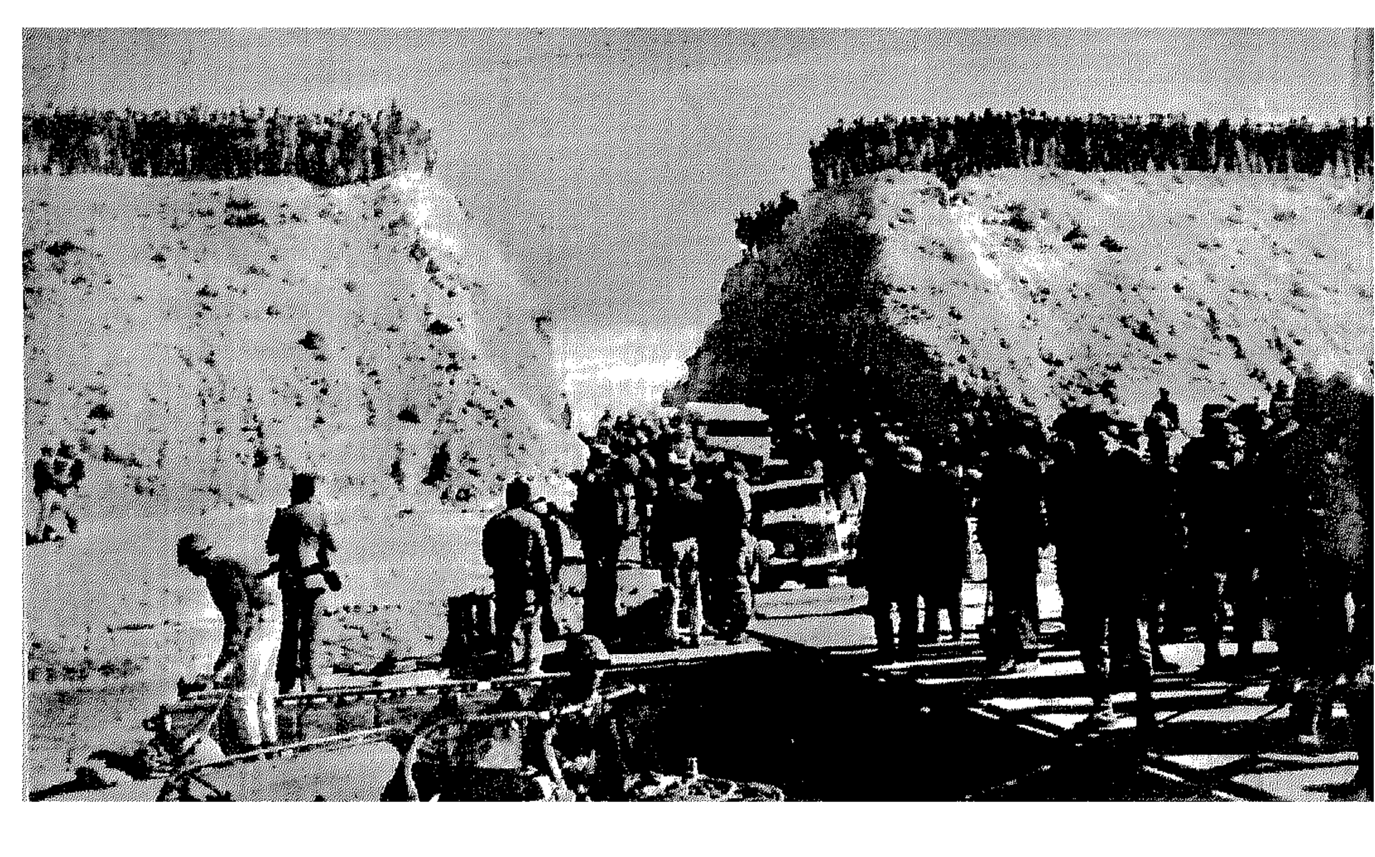
« ليس هذا انتقاصا من منزلة الأدب بقدر ماهو محاولة لتقييم الاشياء بحسب مردودها فنتائجها المباشرة . ان العمل الأدبى بطبيعته يحتاج الى حد ادنى من الصبر والنضج والتخمر ، بينما لاتحتاج الرصاصة الا للمسة اصبع لتنطلق من ماسورتها ، ان عبور قناة السويس مثلا كان يعتمد بالدرجة الأولى على لعبة الزمن ، وهو فى الحروب المعاصرة يحسب بالثوانى ، فى حين ان كتابة رواية عن العبور العظيم قد تستغرق اشهرا بل سنين لتكون بمستوى هذا العبور الاسطورى » .

كلاهما الحكيم ونزار قبانى كان يكتب كلاما عاطفيا ، وراءه انفعال حاد مبعثه الدهشة ، من الحرب التى كدنا نيأس من بدئها ، فارادا ان يحرضا الناس على العمل من اجلها . وكلاهما اخطأ التعبير ، فليست مهمة المبدع ان يقاتل ، وقد يفعل ، ولكن ان يصوغ وجدان المقاتلين ، واية معركة انما هى كل ذو اجزاء ، والكلمة جزء منها كالمدفع والطائرة والصاروخ والدبابة ولها الاهمية نفسها فى صياغة وجدان الانسان المقاتل العامل الحاسم فى استخدام كل تلك الوسائل والمعدات .

ان الكلمة ليست نقيضا للعقل ، وانما هى الوجه الآخر له ، وهى التى صاغت وجدان الاسرائيلى صياغة عرقية نازية معادية للعرب ، وتدفعه للاعتداء عليهم ، وتبرر له خلقيا وعقديا قتلهم وتشريدهم وتعذيبهم واغتصاب اراضيهم .

ان القلم والخنجر من نسب واحد ، كل منهما يقاتل فى جبهته ، وكل جبهة تمد الأخرى بالطاقة ومن جماع قتالهما يكون النصر .

فى الجانب الآخر نجد ان الشاعر الكبير بابلو نيرودا حين اتخذ جانب الجمهوريين ضد الفاشيين فى الحرب الأهلية الاسبانية (١٩٣٦ ـ ١٩٣٩) شان كل المثقفين الاسبان والعالميين فى ذلك الوقت ، ونظم ديوانه الشهير « اسبانيا فى القلب » كتب الشاعر الفرنسى لويس ارجون فى مقدمة ترجمته بالفرنسية يقول عنه : « ان فيه



انهيار خط بارليف

هذه القوة التى تسقط الاسوار بالغناء ،

وقد اصدر جنود الجمهورية فى الجبهة اعجب طبعة منه ، صدرت لديوان شعر فى القديم أو الحديث ، فقد تولى الجنود بانفسهم صناعة الورق الذى طبع عليه الديوان واستخدموا فى ذلك ملابس الجنود الذين سقطوا دفاعا عن الجمهورية وفضلات الحرب ، وماربحوه من الأعداء .. راياتهم وقمصان جنودهم المساجين وجمعوا حروفه بأيديهم وطبعوه ووزعوه على الجنود فى شتى الجبهات فى اعجب طبعة يعرفها التاريخ .

وبعد انتهاء الحرب العالمية وقف ستالين خطيبا عام ١٩٤٦ يقيم نتائج الحرب العالمية الثانية ، أو حرب التحرير الوطنية كما يسمونها فى الاتحاد السوفييتى فقال : ان الكاتب ايليا اهرنبودج اسهم اسهاما كبيرا فى ربح الحرب وسحق العدو ، رغم انه لم يحمل بندقية ، ولااطلق رصاصة ، وانما شرع قلمه ، وعبأ شعبه بشحنات هائلة من الكراهية والحقد على العدو ، وقاتل بمقالاته وقصصه بالضراوة نفسها التى قاتل بها الجنود .

● أسباب أخرى

على اننا نظلم الحقيقة اذا رددنا قلة الادب المتصل بحرب اكتوبر الى مفهوم توفيق الحكيم ونزار قبانى وحده ، وهما مجرد نموذج ، وانما هناك اسباب اخرى كان لها دورها .

منها ان الذين قاتلوا هم الضباط والجنود ابناؤنا القادمون من الريف ،

وابناء العمال والفلاحين فى الجانب الأكبر منهم ، وهم الذين دفعوا الثمن غاليا ، تضحيات بالأرواح ، وبالغالى من اجسامهم ، ولهم يرجع الفضل ، واليهم ينسب النصر تخطيطا وتنفيذا ، وفيهم يقال الشعر تمجيدا وتاريخا ، وتكتب القصة والرواية ، ولكن بطانة السوء حاولت ان تسرق هذا المجد الجماعي وتنسبه الى فرد ، وان تجعل الحديث عن النصر حديثا عن هذا الفرد ، مما جعل المبدعين الحقيقيين ينفرون .

وقد التقى « السادات » بالشاعر عبدالرحمن الأبنودى فى احدى زياراته للسويس فى تلك الأيام ، وطلب منه ان يسجل بفنه ملحمة العبور ، وكان الأبنودى على قدر من الذكاء أدرك معه مايريد الرئيس ، فقال مامعناه : نعم ، ولكن هذا العمل لايتم بقرار ، وطبعا لم يكتب الأبنودى شيئا لأنه وعى ان المطلوب منه ان يكتب عن السادات صانع هذه الامجاد .

ثمة عامل اخر لايقل اهمية ، وهو قصر زمن حرب اكتوبر ، واختلاط الأمور فيها ، ولم يحدث ان اختلفت النتائج عن المقدمات فى حرب من الحروب كما حدث فيها ، وتناقض مسار التطورات مع خواتيمها ، فلم يكد الرأى العام بأجمعه ، والمبدعون فى شتى المجالات ادوات تعبيره ، يتمثل النصر حتى كانت عوامل الاحباط تحاصره من كل جانب ، من الثغرة الى حصار السويس فالجيش الثالث ، وربما كان هذا كله اقل خطرا ، لأن الحرب تقدم وتقهقر ، وانتصار وانكسار وانما اجتاح الغم وجدان الأدباء لأن السياسة لم تحسن استثمار هذا النصر لافى التقدم ولافى المفاوضة ولافيما انتهى اليه فض الاشتباك اولا ، والمعاهدة ثانيا ، والوضع العربى برمته اخيرا ، ولاحظ المفكرون ان ارادة القتال ، وهى عامل جوهرى فى بعث الاعتزاز الوطنى بدأت تتلاشى ، وبدأ الناس يعودون بمشاعرهم الى نقطة الصفر ، وغامت الرؤية امام اعين الناس ، وبدأت همهمات بأن الاحداث تأخذ طريقا لايرتضيه الشعب بعامة ، والمفكرون بخاصة .

واخيرا كانت الرقابة بوسائلها المختلفة تعمل عملها ، رقابة تجيء من خارج المبدع ، تحرص على الصورة زاهية ، وتبقى على النصر لامعا ، وتبالغ فلا تريد لأحد الا ان يراه سليما من كل عيب وبريئا من اية شائنة ورقابة تنبع من داخل المبدعين انفسهم ، فهم يخشون ان تؤدى اية كلمة تفلت الى احباط ، أو أن تكون اشارة انهزام ، أو دعوة الى يأس ، وبين الرقابتين غاض الابداع الحقيقى ، وطفا على السطح الأدب الذى يكتبه الموظفون والمتسلقون واللاهثون من الشادين حريصين على أن تنشر اسماؤهم فى الصحف والمجلات ، وتذاع فى الاذاعة وربما التليفزيون ، وكان المجال يومها متاحا وفسيحا لكل راغب وحريص على هذا اللون من الظهور .

● في الشعر .. واقع مختلف

الشعر اول مايتوقعه المرء من ادب المعركة . لأنه انفعال فوري ، وبالغ التكثيف ، وولد مع المعارك ، يحث عليها ، او يعبر عما حدث فيها ، او يتيه بانتصاراتها ، وله تقاليد راسخة في الادب العربي منذ حرب البسوس قبل الف ونصف الف من الأعوام ، ومرورا بالصراع بين الفرس والعرب قديما ، وبمدائح المتنبي لسيف الدولة في صراعه مع الدولة البيزنطية ، أو ابي تمام في فتح عمورية ، وانتهاء بشوقي في قصيدته « الله اكبر كم في الفتح من عجب » يشيد بانتصار كمال اتاتورك في حربه مع اليونان ، او في رثائه للبطل عمر المختار في نضاله ضد الايطاليين ومئات من قصائد اخرى :

لكن الواقع مع حرب اكتوبر كان مختلفا ، فقد كانت ساحة الشعر خالية من الشعراء الكبار في مصر ، ودعت مصر اخرهم برحيل محمود حسن اسماعيل ، وبقي عدد محدود من رجال الشعر الحر ، يغنون لانفسهم ، ولمجموعة من « السّمّيعة » حولهم ، تهتف بهم في مقهى او منتدى او بيت احدهم : « الله ، اعد .. الله يفتح عليك » لكن الجماهير التي يكتبون لها هذا الشعر ، خارج الحلقة ـ وربما داخلها ايضا ـ لاتفهم مايقال ، ولاتسيغه ، ولاتستوعبه ، ولايشدهم بموسيقاه غير المالوفة لهم ، فسقط في منتصف الطريق ، ولم يبلغ من يوجه اليهم ، وفقد التاثير ولم يعد له صدى .

وقد ظل اصحاب الشعر الحر يهاجمون الشعر العربي الاصيل بانه شعر مناسبات ، وانهم يربأون بانفسهم ان يكونوا كذلك ، فلما واجهوا النصر اسقط في ايديهم ، وبخاصة ان الكبار منهم كانوا موظفين في الدولة ولهم طموحاتهم الادارية . مثل هذا الصمت يؤخذ عليهم ، فحاولوا ان يقولوا شعرا ساقطا ، والناجون من اسار الوظيفة لاذوا بنظرية « الاختزان » وهي مقولة نقدية مؤداها ان ليس من الضروري ان يعبر الشاعر عن الحدث لحظة وقوعه ، وانما يختزن تجاربه حتى تتبلور وتنضج وتتفاعل معه ، ويختزن ذلك كله في اعماقه مدة تقصر أو تطول تبعا لمقدار حساسية الشاعر ومواهبه وامكاناته ، وهو كلام ينقضه الواقع وان صح في مجال الأعمال التي تحتاج لوقت طويل في صياغتها كالرواية والمسرحية فلا يصدق في مجال الشعر والقصة .

وعلى اية حال فقد مرت خمسة عشر عاما دون ان يختزنوا أو يتفاعلوا او ينضجوا ولم يثمروا غير الصمت .

اخرون ستروا عجزهم بانهم يرفضون ادب المناسبة ويخشون ان تموت قصائدهم بانتهائها ، وهو امر يصدق فعلا على الادب الرديء والمتوسط ، ودون ان نغمط قدر احد فان كل ماكتب عن حرب اكتوبر في مصر نسي فعلا ، ولكن لا لأنه ادب مناسبة ، وانما لانه متوسط أو رديء ، اما الأدب العظيم فيخلد ، وتخلد المناسبة معه ، فلم تنته قصائد المتنبي في سيف الدولة ، ولاقصيدة ابي تمام في فتح عمورية ، ولاقصيدة شوقي في عمر المختار ، وكلها قصائد مناسبات ،

وكلهم من اعظم الشعراء فى عصورهم باعتراف النقاد .

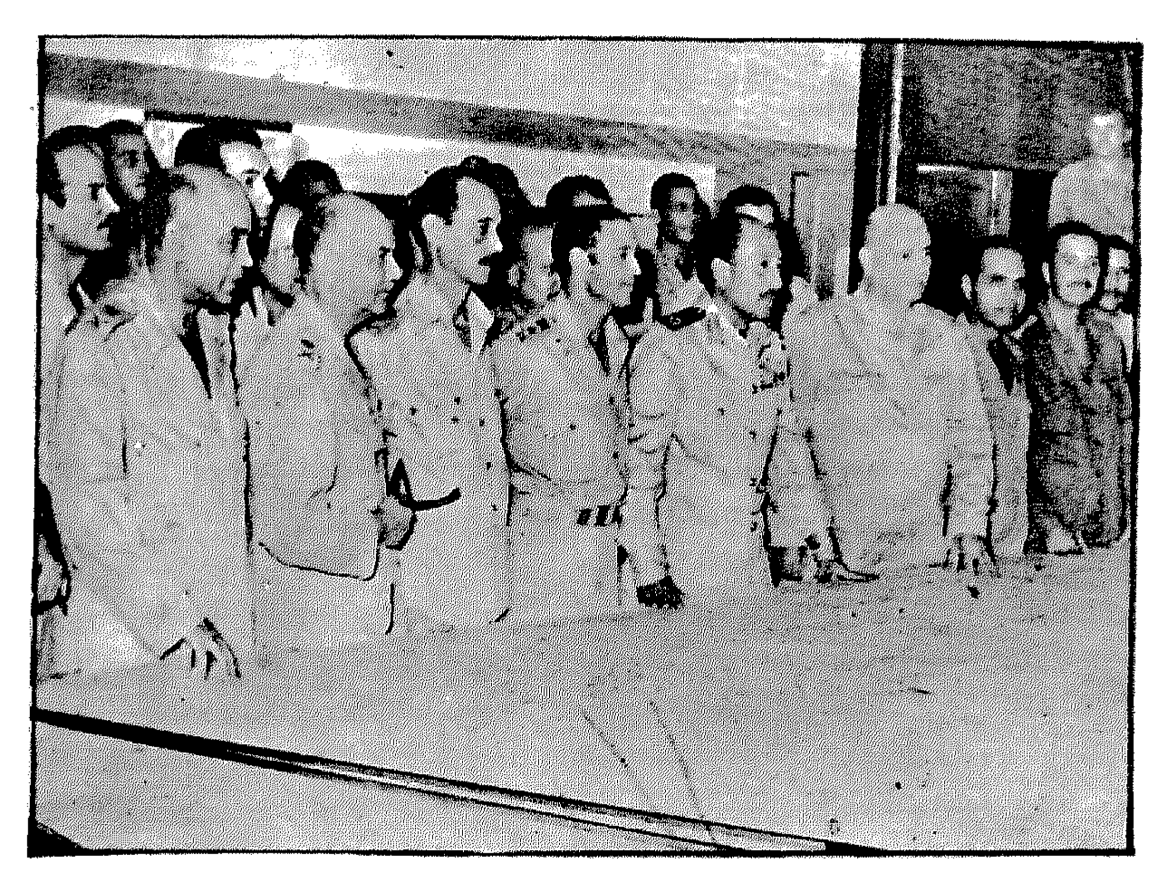
ان الفنان العظيم قادر دواما على ان ينقل الأدب من الخاص الى العام ، وان يطابق بين مافى اعماقه وما يجرى خارجها ، والأدب الذى يأتى من خارج الاحداث وبعيدا عنها ، ولايهتم ، بمن يصنعونها ، لن يجد الآخرون حرجا فى ان يصموا آذانهم عن سماع مايقول ، فهم لايعيرون سمعهم ، الا لمن يعيرهم اهتمامه . (كان هذا وراء ان سرادق العزاء الذى اقيم للدكتور جمسين فوزى لم يحضره غير خمسة بالعدد) ، وهم فى تلقيهم يطمحون منه الا ينقل صورة ماحدث كما هى ، ويطلبون منه ان يضيف اليها رؤيته المستقبلية ، وليست بالضرورة من الوثائق فقد تاتى وليدة حدس صادق ، وحدس الفنان ، يتميز بالشفافية ، ويعين على جلاء الصورة امامهم ، اذ ليس صدفة ان الفن والتنجيم والكهانة كانت شيئا واحدا فى طفولة الانسانية ، وان لفظ الشاعر والنبى كانا يتعاوران فى الاستعمال قبل الاسلام .

حين نطالب بشعر يقال فى اتون المعركة ، وإبانها وليس بعدها فنحن لانريده شعرا محايدا يصف ، وانما شعرا مقاتلا يناضل ، ويفجر فى اعماق الانسان روح الصلابة والنضال ، ويلهم الجند الحماسة والثبات ، ويقوى وجدانهم لحظة اللقاء والصدام ، ويصبح مادة سمرهم وغذاء مشاعرهم لحظة الراحة والاستجمام .

ليس اديبا من يعيش فى وطن متخلف ولايوظف ادبه للتقدم ، أو مجتمع يعتصره الاستبداد ولايبشر بالثورة ، أو تحاصره قوى الشر الداخلية والخارجية ثم يمضى فردا يتغنى بهمومه ، المغرقة فى الذاتية بعيدا عن مشكلات مواطنيه الاساسية وقضايا امته الجوهرية .

الذين قالوا الشعر فى حرب اكتوبر عموديا وحرا ، « اكثر من الهم على القلب » ويتفاوت ماقالوه بين التوسط والرداءة ولااظن شيئا منه ثبت فى ذاكرة احد ، أو سيبقى له اثر ، فصلاح عبد الصبور ، وكان يومها موظفا كبيرا ، فى ديوانه « الابحار فى الذاكرة » وجاء بعد صمت سنوات قضاها فى الهند ، وهو اخر دواوينه واسوأها ، يتضمن قصيدتين عن حرب اكتوبر هما اسوأ مافيه ايضا ، الأولى « الى اول مقاتل قبل تراب سيناء » والثانية « الى اول جندى رفع العلم فى سيناء » وفيها يرى هذا الجندى ، والعياذ بالله ، جذع جميزة على ترعة ، او قطعة صخرة من الأهرام منتزعة ، او حائطا من جانب القلعة ، وفى الصعيد عندما يريدون ان يصفوا انسانا بالجمود والبلادة وقلة التصرف والحركة يقولون : « كالحيط » .

ولأحمد عبد المعطى حجازى ثلاث قصائد باهتة اثنتان لمصر ، وواحدة لدمشق ، لاتحس فيها بذلك الدفق العالى من الحيوية والشعور الذى عودنا اياه ، وان كانت قصائده احكم بناء واقرب الى الصدق من قصيدتى



قادة حرب اكتوبر في غرفة العمليات

صلاح عبدالصبور .

وكان محمد مهران السيد نسيجا متميزا في قصيدته « اشواق كل مساء » من ديوان « ثرثرة لاعتذر عنها » فهو يتجاوز اللحظة الى الغد ، ويستشرف المستقبل ، ويمزج بين الواقعي والمتخيل ، ويمسك بالأمل حريصا ، وهو في « لغة الأيام المنتصرة » من الديوان نفسه يبدو متفائلا ، واثقا في مصر ، رغم مرارات الهزيمة ، واحباطات القهر ، ويعبر عن ذلك في بساطة وتواضع يتسريان الى الاعماق في لذاذة :

حين رأيت فتاتي اخر مرة
كانت تتالق اكثر من لمعان السيف
تمضي واثقة تحت غطاء الايسام
المخلصة من الخوف .

تضحك حينا
.. او تتحدث حينا في لغة منتصره
وليس في الشعر العمودي الذى قيل في مصر مايستحق حتى ان يشار اليه .

● إبداع متدني

ونداع الشعر الى القصة وهي توامه ، وقادرة على التقاط نبض اللحظة ، والتعبير عن حركة الحياة اليومية ، وقابليتها للنشر في الصحف والمجلات والاذاعة ، الى جانب قالبها البسيط ومساحتها المحدودة . يغرى الكثيرين بكتابتها ، ولو أن معظمهم ينسى ان قصرها لايعنى الحجم ، وانما يعنى قصر الزمن ، ومحدودية الشخوص ، وانها تجيء تعبيرا عن

لحظة معينة أو موقف محدد ، وهى حقيقة غابت عن كثيرين من كتابها الشبان ، جهلا أو عجزا ، وبعضهم يعتذر عن ذلك فى تواضع ، واخرون يغطون عجزهم فى تبجح وادعاء بان مهمة الفنان المبدع ، ان يحطم القوالب الموروثة .

لم يكتب نجيب محفوظ ولايحيى حقى ولايوسف ادريس ، ولايوسف جوهر ،وهم اعمدة القصة الجديرين بالتقدير قصصا ابداعيا عن حرب اكتوبر ، والذين عالجوا ملحمة العبور فى هذا النوع الادبى كتّاب من الدرجة الثانية . وابداعهم فيها ادنى درجة مما كتبوه قبلها أو بعدها فى غيرها ، اذ يغلب عليه اجمالا طابع الاستطلاع الصحفى ، أو الخطابة الحماسية ، ويغلب على تصوير الشخوص اللون الواحد ، والموقف الواحد ، فكل جنودنا شجعان ابطال لايهابون الموت ، يقدمون على الحرب مبتهجين ، وليس فى حركتهم نبض انسانى واقعى ، فلا تردد امام الخطر ، ولاحنين الى الأهل ، وكل جنود العدو جبناء وضعفاء ، ولو كان ذلك حقا لفقدت روعة العبور كل اسباب وجودها ، ونحن معها بازاء قصص يفتقد اسس الفن القصصى ، ويتسم بالسطحية المفرطة ، والمباشرة الصارخة .

القليل جدا ، من بين هذا القصص له اهمية فنية ، وربما كانت قصة ابراهيم عبدالمجيد « تعليقات من الحرب » تمثل خير تمثيل هذا القليل الجيد ، فهو يلتزم البناء الفنى بدقة ، ويقول مايود دون خطابية أو مباشرة ، مستخدما تيار الوعى بطبقاته المتعددة استخداما جيدا ، ومن استطاع ان يجمع فى حياة شخصيتها بين رؤية النكسة ونتائجها واحداث العبور وروعتها .

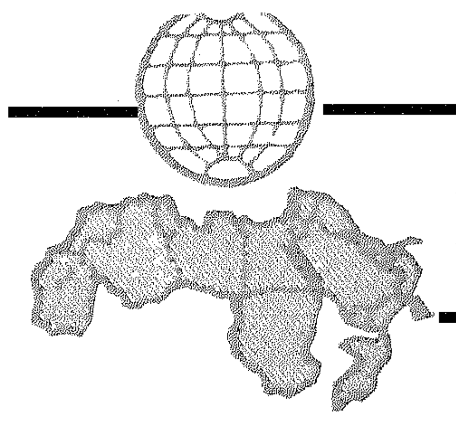
وقد تاخرت الرواية وربما لم يحاولها احد حتى اليوم ، مع انها النوع الأدبى الأكبر اتساعا وتصور مجتمعا وجموعا ، وتستوعب ازمنة عديدة ، ماضية وحاضرة وقابلة ، وهى القادرة على تخليد نضال الشعوب بكل تفاصيله وتحتاج الى وقت اطول وتامل اعمق وقدرة على الامساك ببؤرة الاحداث الاساسية .

ومع ذلك ظلت ابعد الانواع الأدبية عن حرب اكتوبر ولو أن بعض الكتاب العرب خارج مصر حاولها ، ولكن ماكتبوه تغلب الحماسة فيه على الفن .

والاشياء القليلة التى كتبت فى المسرح ، وهى فيما اعرف : مسرحية « عملية نوح » لعلى سالم (١٩٧٤) ، و« رسول من قرية تميرة للاستفهام عن مسالة الحرب والسلام » لمحمود دياب (١٩٧٥) و« العبور » لفؤاد دوارة (١٩٧٦) .

● ● ●

ويبقى السؤال قائما : لماذا ظلت ملحمة العبور العظيمة لاتجد من يرتفع بالفن الى مستوها ، مهما تكن الاحداث التى سبقتها ، أو صحبتها ، أو جاءت بعدها ، فذلك كله لاينقص من روعة هذا الحدث العظيم !



أقوال معاصرة



طارق عزيز



سميح القاسم



غادة السمان

● « ربما ليس لايران اصدقاء ، ولكن لها العديد من طالبي اليد » .

طارق عزيز

نائب رئيس الوزراء العراقي

● « لقد اصبحت صواريخنا متوسطة المدى في ذمة التاريخ » .

جورج بوش

نائب رئيس جمهورية الولايات المتحدة

● « نحن المثقفين العرب نقطر فكرا ، واصحاب القرار يقطرون عمماً وينطقون كفرا » .

الدكتور سعد الدين ابراهيم

● « ما ترفض المرأة أن تعيه هو أن أحدا لا يملك ان يعطيها شيئا او يحرمها من شيء » .

الكاتبة غادة السمان

● « كنت آمل ان استمتع بصراع سياسى مع ضياء الحق في الانتخابات القادمة » .

« بنازير بوتو »

زعيمة المعارضة الباكستانية

● « كانت قضيتنا يوما حلما قوميا وصارت هما قوميا » .

الشاعر الفلسطيني

سميح القاسم

● « الزواج هو موت الامل » .

الممثل الكوميدى الامريكى

وودى آلن

● « الباحثون والمهندسون السوفييت أشبه بجنود يحاولون القتال في حرب عصرية بأقواس خشبية » .

روالد ساجدييف

مستشار جورباتشوف للشئون العلمية

الفـــزع علـــى

الأشـــواك

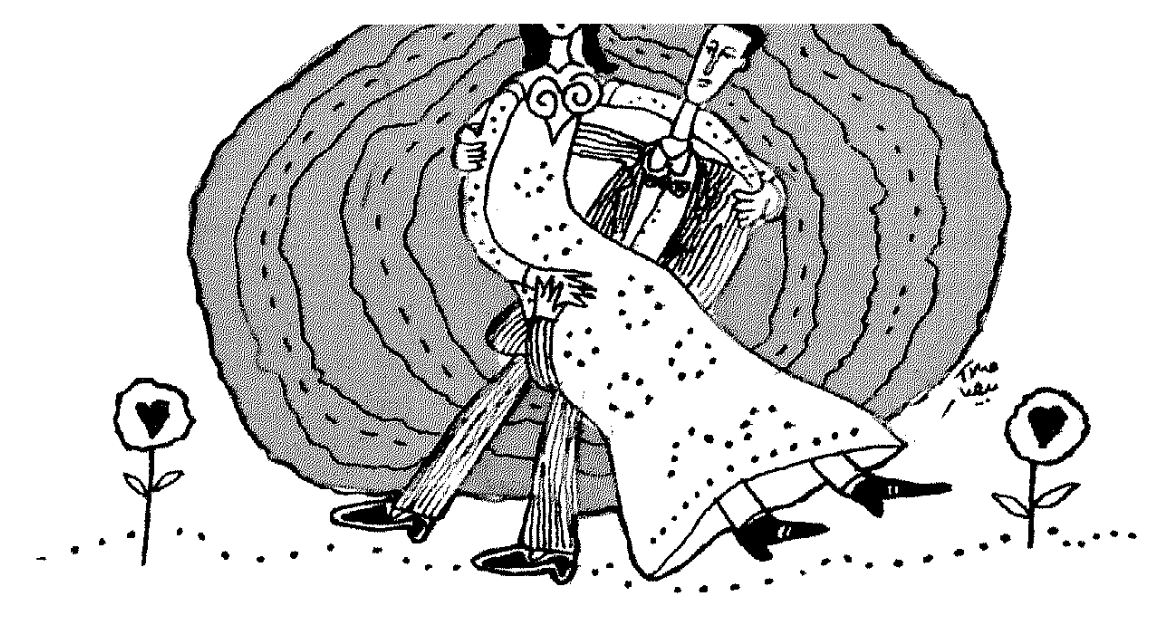
الحُبّ والزواج

الأصل في الحب ان يكون مقدمة للزواج ، والأصل في الزواج ان يكون اثمارا للحب .
هكذا تقول الطبيعة ، عندما تغرد الطيور فيأتلف ذكر وانثى يبنيان عشهما وينجبان افراخهما . عندما تسفر الرياح بين الأشجار فتحمل حبوب اللقاح من زهرة الى زهرة . عندما يجوس الأسد الفتى خلال الغابة فيلتقي بلبؤة شاردة .

بقلم : د . شكري محمد عياد

● ولكنك تلاحظ ان الكائنات التي تعرف الحب الناجح والبيت السعيد هي تلك التي تتسم حياتها بطابع الفردية ، اما تلك التي تحيا حياة اجتماعية فان العلاقات بين افرادها - ومنها العلاقات الجنسية - تخضع لعامل الصراع . ففي قطيع القرود أو حمر الوحش يقتل الذكر الأقوى سائر الذكور أو يتعمد اذلالها حتى يتمتع بالاناث وحده . والانسان اجتماعي بطبعه . لكن بما انه يختلف عن سائر الكائنات اختلافا كيفيا من حيث الذكاء والمهارة والقدرة على التعلم . فان نسيج العلاقات الاجتماعية بين البشر يبلغ درجة عالية من التعقيد ، وينطبق هذا الوصف بصورة خاصة على علاقات الحب والزواج .

فنحن نتكلم عن « الحب » حين تكون العلاقة بين الزوجين اقرب الى التعادل ، فيتقرب الذكر الى الانثى حتى يظفر برضاها ، وفي هذه الاثناء ربما عاني من الشوق والحنين والاكتئاب . وربما عانت من الحرمان والكتمان والضنى . هذه المشاعر التي تجتمع وتتحد في عاطفة الحب كما تتحد الاصوات السائجة في النغمة الموسيقية ، لاتنشأ الا حين يشعر الرجل باحترام المرأة ، ويرى في جمالها خلاصة لجمال الوجود ، وفي عطفها انسا من وحشة الروح ، وتشعر المرأة بأنه يريدها لذلك ، لا لتكون ضجيعة فراشه ، وخادمة بيته ، ولعلك تجد مشابه من هذا



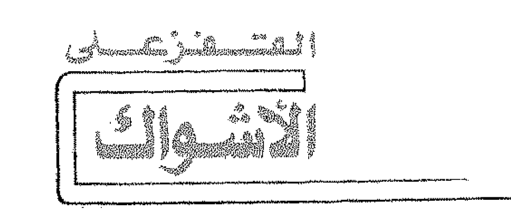
« الحب » فى الطيور وبعض اجناس الحيوان ، اما الانسان المؤهل بتكوينه النفسى للرقى الى اعلى مراتب الحب ، فقلما ساعدته أوضاعه الاجتماعية على السمو الى هذه الدرجة من حب المراة . ان العلاقة بين الرجل والمراة تشكلها حاجة القبيلة أو المدينة ، وظروف المجتمع الزراعى أو الصناعى ، واسلوب تقسيم العمل ، وطبيعة العلاقات الطبقية فى كل مجتمع ، بحيث يصبح التعبير عن تلك العلاقة مقننا باعراف وتقاليد .

● دور للجوارى

ان المجتمعات العبودية القديمة لم تعرف عاطفة الحب ، كانت الزوجة تقتنى للانجاب ، وادارة المنزل ، وكان الزواج داخلا فى نسيج العلاقات الاسرية التى يمليها التقسيم الطبقى للمجتمع ، اما « الغراميات » التى حفظها لنا التاريخ والتراث الأدبى من تلك العصور ، واضفى عليها الخيال الفنى فى العصور المتأخرة مفهومه الخاص للحب ، فلم تكن فى حقيقة امرها الا ضربا من اللهو يتخفف به الرجال ، وبعض النساء ، من واجباتهم الاجتماعية ، وكان للجوارى الدور الأكبر فى هذه الغراميات ، سواء لدى الاغريق أو الرومان أو العباسيين ، الا ان « فضائح القصور » شكلت جانبا مهما من التاريخ الجنسى لتلك المجتمعات ، إذ كان لها تأثيرها السياسى على هيئة الحكم ، وقد فقد أوفيد حريته ، وفقد وضاح اليمن حياته ، فى بعض تلك الفضائح .

ومعروف ان الادب اليونانى يخلو من تصوير عاطفة الحب بين الرجل والمراة ، وثمة عبارة فى كتاب « الشعر » لأرسطو تضع ايدينا على سبب هذه الظاهرة يقول ارسطو عند الكلام على « الأخلاق » أو « الشخصيات » فى التراجيديا : « فقد يكون للمراة والعبد خلق حسن ، على ان المراة ليست شريفة جدا ، والعبد ليس بشريف على الاطلاق ، واذا كانت المراة فى منزلة وسطى بين الحر و « العبد » فغير محتمل ان يشعر الرجل نحوها بتلك العاطفة التى تكاد ترفعها فوق منزلة البشر .

كان المجتمع البدوى فى الحجاز فى اوائل العصر الأموى ظاهرة متميزة من حيث الزمان والمكان ، ولذلك ابرز لنا ظاهرة متميزة وهى الحب العذرى . من حيث الزمان كانت الدعوة الاسلامية



جديدة غضة ، وقد أحيت القلوب والضمائر ، وقد ساوت بين المرأة والرجل في الحقوق والواجبات إلا ماأقتضاه تقسيم العمل بينهما حيث كان « للرجال عليهن درجة » ولم يكن المجتمع العربي في « وادي القرى » وهو نصف بدوي نصف زراعي ، بعيدا عن الاستقرار ولامعتمدا على استخدام العبيد ، ومن ثم تهيأت لسكانه علاقات طويلة المدى تحكمها سماحة الاسلام من ناحية واعراف البداوة من ناحية اخرى (والقصة التي تقول إن الحسين بن علي رضي الله عنهما توسط في امر احد متيمي الحجاز ، ترمز الى العلاقة بين هذين العاملين) واذا كان مؤرخو الأدب العربي قد وقفوا عند ظاهرة الغزل العذري باعتبارها ظاهرة فريدة في هذا الادب ، فما اظنهم تتبعوا تأثيرها كما ينبغي . لقد وضع العذريون في الشعر العربي تقليد تعظيم المحبوبة الى حد القناعة منها بالنظرة أو الكلمة ، واستعذاب الألم في بعدها دون التمتع بوصل غيرها ، بل توهم انها تملك نوعا من القوة الكونية بحيث يمكن ان يجيب المحب تحيتها وهو في قبره . وكان هذا التقليد مخالفا لتقاليد الغزل في العصر الجاهلي ، ولكن اصداءه ظلت تتردد في تراث الشعر العربي بقوة اكثر من سابقه بل لعلي لااغلو اذا قلت انها امتدت الى أوربا في اواخر العصور الوسطى واوائل عصر النهضة .

ولكن مانعرفه اليوم تحت اسم « الحب الرومانسي » كان وليد ظروف اخرى . الحب الرومنسي ، مثل الحب العذري لم يكن مرتبطا بالزواج بل منافيا له . ولكن هذا الانفصال كان راجعا الى اسباب مختلفة . فاذا كنا قد فسرناه في الحالة الأولى بالتناقض بين سماحة العاطفة الدينية وجمود الاعراف القبلية ، فانه في الحالة الثانية راجع الى التناقض بين الحرية الفردية والحواجز الطبقية . كان الحب الرومنسي كما يقول هاوزر ، تعبيرا عن الثورة فالطبقة المتوسطة الناشئة بشرت بحرية الفرد كما بشرت بحرية التجارة (ولاغنى لاحداهما عن الأخرى) ولكنها لم تلبث ان تحولت الى طبقة رأسمالية مستقلة واقامت من عزة الثراء حاجزا طبقيا بينها وبين الطبقات الشعبية لايكاد يختلف عن عزة النبالة ، سوى ان النبلاء في المجتمع الارستقراطي كانوا يعتزون بالجاه القديم مع ما في ذلك من التمجد بأخلاق الفروسية ، أما الطبقة الجديدة فلم تكن تتمجد الا بسلطان المال . وكانت الطبقة الارستقراطية « ترعى » الثقافة (التي تتفق مع مصالحها وميولها بطبيعة الحال) ، اما الطبقة الجديدة فكانت « توظف » المثقفين لهذا رفض المثقفون – سواء فيهم ذوو الميول الارستقراطية وذوو الميول الشعبية – سوقية المجتمع الجديد . وحيثما كان ذلك الرفض عاطفيا ، لاعقلانيا ، تبلور في موضوع الحب الرومنسي . فالذات – كما تتمثل نفسها في الشعر والرواية والمسرح – مستغرقة تماما في فكرة الحب لانسان آخر تعلم انه من شبه المستحيل أن تربط حياتها بحياته . هذا الحائل المنيع – وهو طبقي في الواقع – ربما شكله الفن في صورة اخرى ، كاختلاف السن أو البيئة أو المصادفة المحضة . ولكن المهم ان كثيرا من الدموع تذرف على الحب الضائع . هذا الا اذا انقلبت الأمور – كما يحدث في القصص الأكثر شعبية – فاصبح الشاب

الفقير وريثا لقريب مجهول ، أو تبين ان البنت الشحاذة هى الحفيدة الضائعة لنبيل عظيم .

أى ان الحب الرومنسى يبدأ حلما ، وينتهى بحلم أو بمأساة .

ولكن المجتمعات الحديثة كانت ـ فى الوقت نفسه ـ تسير نحو مزيد من الاعتراف بقيمة الفرد . وواضح ان فرصة التقدم الحقيقى فى السلم الاجتماعى لم تكن تتاح الا لأبناء الطبقات المتوسطة . هؤلاء حاولوا ان يعيدوا الميزان الى اعتداله الطبيعى بين الحب والزواج . ولكن ذلك كان يكلفهم كثيرا من التنازلات . كان عليهم ان يقصوا اجنحة الحب حتى يسكن فى الحظيرة التى قسمت له . ولذلك كان حب البورجوازية الصغيرة زريا مهينا . وحب البورجوازية الكبيرة مزودا بكمية كبيرة من النفاق . وكان جميع الأزواج « النـاجحيـن » كـأزواج دستويفسكى ، يكذبون على انفسهم وعلى الآخرين لتسير الحياة ، والصادقون فى الحب والحياة يعيشون على هامش المجتمع ، أو « تحت الأرض » وافرز الأدب الواقعى ، كما افرزت الحياة الواقعية مآسى بلا دموع ، مآسى الآمال الخائبة والقلوب الكسيرة .

ان الواقع لايمكن ابدا ان يكون مساويا للحلم ، والجمال فى الحياة والاحياء ، فى المادة والروح ، ومضة تزول ، ولكن الحب السعيد والزواج السعيد هو ذلك الذى يحاول دائما ان يستنزل الحلم الى ارض الواقع ، وان يبعث وميض البهجة فى العيون ، وهو دائما فى صراع مع الظروف ولكنه بخير مادام قادرا على الصراع .

والخوف من هذه التجربة ـ وهى تجربة تتطلب قوة فى الشخصية ـ كثيرا مايدفع الشاب او الفتاة ، فى عصرنا هذا ، الى الهرب من فكرة الزواج ، اى من العلاقة الكاملة بشخص من الجنس الآخر ، ولكن هناك عاملا اخر يباعد بين الحب والزواج ، وهو العامل الاقتصادى .

فالغريزة الجنسية تبلغ تمام نضجها فى الشاب والفتاة عادة قبل سن الخامسة عشرة بقليل ، ويكتمل نموها الجسمى قبل سن العشرين ، ولكنهما يظلان عاجزين عن احتمال اعباء الزواج وتأسيس الاسرة لمدة طويلة بعد ذلك . والملاحظ ان هذه الفترة بين القدرة ـ جسديا ونفسيا ـ على الزواج والتمكن من تحقيقه تطول باستمرار مع تزايد مطالب الحياة المدنية ، وانها فى المدينة اطول منها فى الريف ، وبين الطبقات الأعلى تعليما اطول منها بين الطبقات العاملة . خلال هذه المدة الطويلة يندر الا يتعلق الشاب بفتاة ، أو تتعلق الفتاة بشاب . وربما تنقلا بين علاقات متعددة ، بريئة أو اقل براءة ـ اعنى انهما يمكن ان يقطعا شوطا مافى تلك المرحلة التى تمهد للعلاقة الجنسية الكاملة . وربما كانت نية الزواج مستبعدة من البداية لاختلاف المستوى الاجتماعى فتكون العلاقة جسدية محضة ، اى انها تكون مبتورة مشوهة لافتقادها الجانب النفسى الذي يرفعها ويطهرها بالحب ، فضلا عن انها تظل ناقصة (تجنبا للمشاكل) فى اغلب الاحوال ، مثل غيرها ، من العلاقات التى تربط بين الشباب والفتيات فى هذه المرحلة . وان تكن اكثر جرأة واقل التزاما .

وعلماء التحليل النفسى يتحدثون عن التسامى بالغريزة والمتشددون الدينيون يذهبون الى تحريم الاختلاط بين الجنسين (والدين لايحرم الا الخلوة بالاجنبية ، اى

المتقزعلى

الأشواك

ان اختلاط الشبان والفتيات فى اماكن الدراسة والعمل والمناسبات الاجتماعية مباح مع الاحتشام فى الملبس والسلوك) . ولكن لا الحمية الدينية ولاممارسة الفن أو الرياضة تكفى للسيطرة على الدافع الجنسي . ولذلك نرى كثيرا من البلاد « المتطورة » حضاريا تعترف بمبدأ « الصداقة » بين الجنسين ، مقدمة للزواج وبديلا عنه فى الوقت نفسه ، والاسلوب الأمريكى فى هذه « الصداقة » يتراوح بين مجرد المصاحبة وبين الملاعبة الجنسية التى يمكن ان تصل الى مدى بعيد وذلك كله مبنىّ على استعداد الطرفين . غير ان القوم يعترفون بأن « البكارة » - بمعناها الاصطلاحى فى الفتاة - فقدت اهميتها منذ مدة طويلة ، وكانوا لا يتشددون نوعا ما الا فى الانجاب غير الشرعى ، وفى بلد مثل انجلترا لم يعد ذلك مهما - ايضا ، فالاسرة « ذات الوالد الواحد » معترف بها ولها من الحقوق فى الرعاية الاجتماعية ما للاسرة العادية . وعلى كل حال فقد كفتهم اساليب منع الحمل هذا الهم حتى بلغوا من التسامح فى العلاقات الجنسية وتعددها حدا بعيدا ، ولم يوقفهم الا شبح « الايدز » الذى يعملون جاهدين للسيطرة عليه .

وهناك نمط اخر « للصداقة » بين الجنسين اشتهر به الفرنسيون ، ولكنه يوجد عند غيرهم ايضا ، وبكثرة ! وهو ان يقيم الرجل والمرأة فى مسكن واحد ويعيشا كزوجين امام الناس دون ان يكون بينهما عقد دينى أو مدنى سوى الايجاب والقبول ، والمعروف ان العقد المدنى يمكن ان يغنى عنه دليل مكتوب ، فالأمر فى هذا النوع من المعاشرة - وان كان بعضنا يستغربه - لايكاد يختلف عن الزواج العرفى الذى يلجأ اليه الكثيرون عندنا لظروف مختلفة ، وهو - بكل تأكيد - اقرب الى معنى الزواج من « زواج المتعة » (اى الزواج لأجل محدد سلفا) الذى يبيحه الشيعة .

● الزواج المبكر

وكل تلك اساليب لتجنب الالتزامات الاقتصادية التى يتطلبها الزواج ، وهى لاتغنى عن الزواج الصحيح ولاتحل محله ، بشرط تيسره ، وقد اصبحت « الاسرة الشابة » اكثر شيوعا فى امريكا ، وزادت نسبة الزواج فى فرنسا وانت اذا قرأت باب آداب النكاح فى كتاب احياء علوم الدين للغزالى - حتى اعفيك من الفقه وتعقيداته . وتفريعاته - وجدت ان الزواج الشرعى يكاد يلغى هذا العامل الاقتصادى الغاء . وليس فى حياتنا المدنية العصرية ما يمنع من ان يتزوج الشباب حين يبلغون درجة النضج الجسمى والنفسى التى تدعو الى ذلك ، كما كان يتزوج اهل الصدر الأول ، زواجا ينشأ عن حبٍّ ويدعمه الحب ، والحب من النظرة الأولى معروف عندكم فى القصص والروايات ، والنظرة الأولى مباحة مطلقا فى الأسلام ، ومندوبة مع نية الزواج .

فطول الفترة التى تسبق الزواج بين اثنين مرشحين له - سواء سميناها حبا أم صداقة أم خطبة - تضر بالزواج ضررا بليغا ، كما ان السرية التى تحاط بها هذه العلاقة عندنا تعلم الكذب والنفاق والخداع (لذلك لايزال بعض الشباب عندنا يمتنع عن الزواج بالفتاة التى احبها ، لانها يمكن ان تخدعه كما خدعت اهلها حين احبته) . ولعل افدح هذه الاضرار فى نظر الرجل هو العنة أو خوف العنة . و(الناس من خوف الموت فى موت ، ومن

خوف العنة فى عنة) . وسبب ذلك - نفسيا وفسيولوجيا - ان تعوده الملاعبة دون اتملم الفعل الجنسى يدخل الخلل على استجاباتـه الطبيعية ، النفسيـة والجسدية ، وربما احتاج إلى مدة ليعيد تكيف جهازه العصبى والنفسى لظروف الزواج، وربما عاوده هذه الوسواس حتى بعد ان تستقيم احواله ولاسيما ان النشاط الجنسى لايطرد على حال واحدة ، بل يزيد وينقص بحكم الطبيعة .

ومما يضاعف المشقة على الشاب (وهو اشد تأثرا من الفتاة بهذه الأمور) ان المثيرات الجنسية اصبحت جزءا من حياتنا العادية اليومية ثمة اناس فى مهن راقية ، مرموقة ، يتريحون من الجنس ، ولايرون فى ذلك - لاهم ولاغيرهم - مايدعو الى الخجل . دور الأزياء وماادراك مادور الأزياء ، نقصر هنا ونطيل هناك مرة ، ثم نطيل هناك ونقصر هنا مرة أخرى . نفتح مرة ماسددت فى المرة السابقة . وتسد مافتحت فهم يعلمون ان العرى الكامل ، حتى لو سمحت به قوانين « الآداب » (اضحك) لايثير كما يثير اللعب بالكشف والستر ، فضلا عن ان جمال الاجسام فى النساء شىء نادر ، ولعله اندر من جمال الوجوه ، فهم يخفون قبحه بالملابس ، ولايكشفون الا مايغر ويخدع . وانا شخصيا قلما اثـارنى - اتكلم عن الماضى ! - منظر النساء على البلاج ، بل كثيرا مابعث فى نفسى اشمئزازا شديدا . والاحتشام فى الملابس يرجع اولا واخيرا الى العرف ، ولكل مكان عرفه الخاص . ومع ذلك فبيوت الازياء تعبث ايضا باشكال المايوهـات فتقدم الجميـلات الاجسام كل مايرضى غـرورهن من « البكينى » وعلى الشاب ان يتعلم بلادة الاحساس .

وهناك العاملون فى الاعلان ، وهؤلاء يستخدمون الصوت والصورة بدون رحمة - سواء فى الملصقات الكبيرة على الجدران - وكبر الصورة يوحى للمشاهد بالقماءة والعجز ، أم بالشرائط الناطقة على التليفزيون . وهناك أصحاب التمثيل ، ولاسيما السينما والتليفزيون ، فهؤلاء لايرجون الربح الا اذا اشتمل الفيلم على منظر أو اكثر لراقصات فى كباريه . أو لحبيبين فى مخدع . ولو كان الشاب يستطيع اذا اثر فيه منظر من هذه المناظر ان يأوى الى زوجة يحبها . لما كان هنالك خطر كبير . ولكننى اقول ايضا انه لو كان يستطيع ذلك لما وجدت هذه المناظر سوقا الا لدى المتبطلين المتفرغين للجنس .

الوضع الأمثل للعلاقة بين الرجل والمرأة هو الزواج المبكر . عن معرفة وحب . واذا قلنا « الوضع الأمثل » فليس معنى ذلك ان مشاكل الحب والزواج سوف تنتهى . فليس فى طوق الحياة الانسانية ان تكون بلا مشاكل . ولكننا نقول انها ستكون حياة انسانية صاعدة لاهابطة ، حياة كريمة تليق بالانسان .

ثمة اعتراض وحيد يمكن ان يثيره بعض الناس . وهو ان الزواج المبكر يؤدى الى زيادة النسل ، ومصلحة الوطن . فى الوقت الحاضر . تدعو الى تحديده (ونحن نتكلم صراحة عن « التحديد » لأننا لانحب تلك العبارة المراوغة « تنظيم النسل ») و الجواب ان تحديد النسل بمختلف الوسائل مباح فى شريعة الاسلام على ارجح الاراء . مادامت فيه مصلحة . ولاعبرة بما يقول المتفقهون او المتفيهقون ، من علماء الدين ، الذين يتوقفون فى المباحات ، ويسكتون على المنكرات ، هدانا الله واياهم !

مَواردنا البشريّة المهدرة

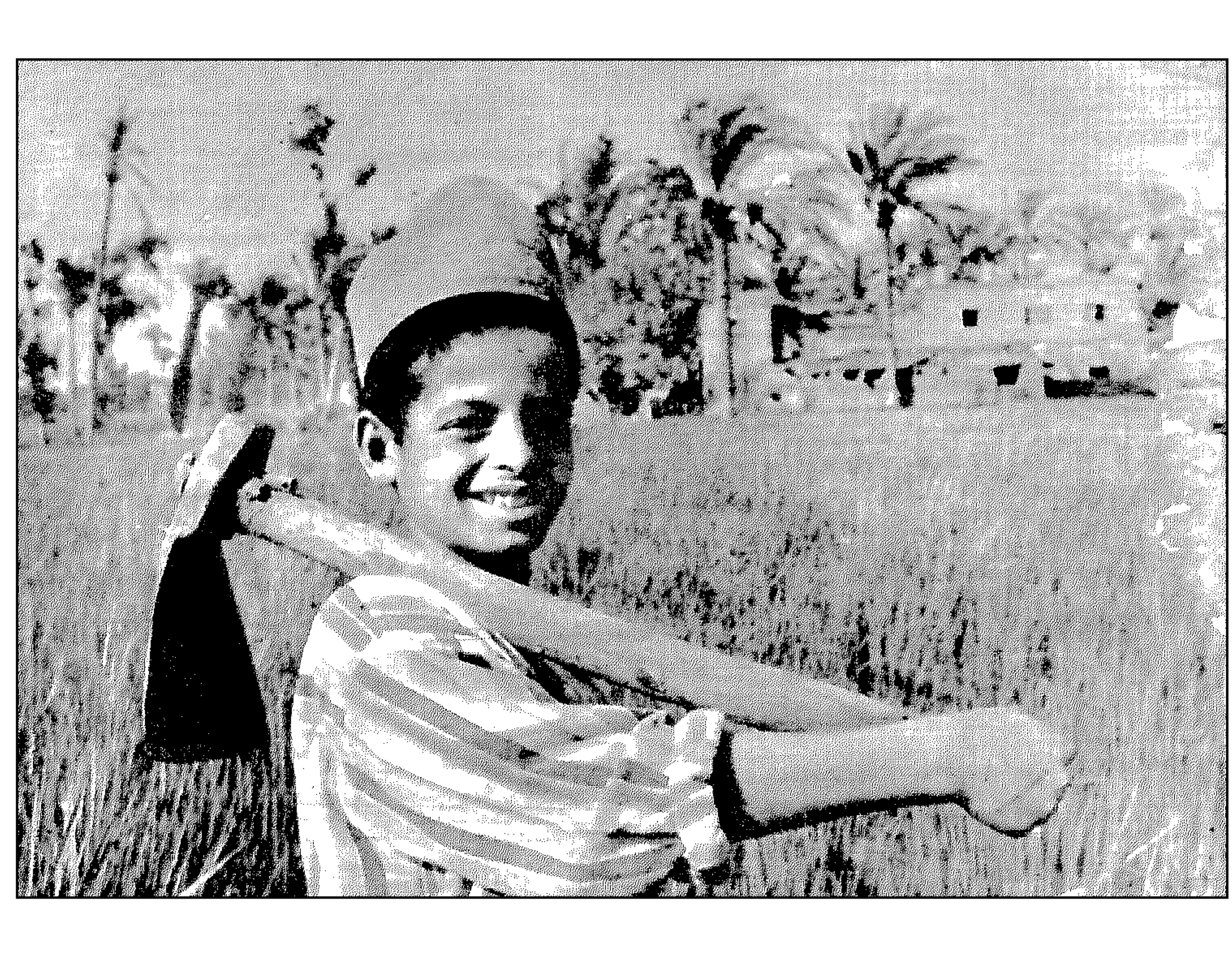
بقلم: د. جلال أمــين

في مطلع الخمسينيات جاء إلى القاهرة أقتصادى سويدى شهير اسمه راجنار نيركسه (R- NURKSE)، بدعوة من البنك الأهلى المصرى، والقى مجموعة من المحاضرات، التي حازت بدورها شهرة واسعة، عن مشاكل الادخار وتكوين رأس المال فى الدول المتخلفة. جاءت فى هذه المحاضرات إشارة إلى مصر، وبالذات إلى حجم الفائض فى العمالة الزراعية، حيث أشار نيركسه إلى أن أكبر تقدير وصل إلى علمه لفائض العمالة الزراعية فى أى بلد فى العالم، هو ذلك الخاص بمصر، حيث قدّر هذا الفائض بما لا يقل عن النصف، أى أن نصف الأيدى العاملة فى الزراعة المصرية زائد عن الحاجة، ويمكن تحويله إلى قطاعات أخرى دون أن يتأثر الناتج الزراعى.

● وردت إشارة نيركسه إلى هذا الفائض فى العمالة الزراعية المصرية، وهو بصدد شرح فكرة (أو نظرية) جديدة أقترنت باسمه وعرفت باسم (Saving Potential) أو ما يمكن ترجمته إلى العربية بعبارة " القدرة الكامنة على الادخار ". هذه الفكرة، التى ربما كان من قبيل المبالغة وصفها بالنظرية، لفتت الأنظار وقتها وكثر التعليق عليها. وإذا كان قد وجه إليها كثير من الانتقادات والاعتراضات، فإن هذه الانتقادات لم تمس منطقها الأساسى وإنما كانت تتعلق فقط بالصعوبات العملية التى تواجه تطبيقها فى الواقع.

فإذا عدت إلى ذكرها اليوم، فإنما يرجع السبب إلى أن هناك فى الواقع الاقتصادى لمصر اليوم ما قد يجعل لإثارتها من جديد بعض الفائدة.

وإذا كان تطبيقها العملى لا يزال يثير نفس الصعوبات، فإن ما تحتويه من خيال قد يكون مطلوبا اليوم عندما تشتد بنا الأزمة الاقتصادية، وتضيق علينا الخناق. بل إنى أحيانا أقول لنفسى إن المنطق القائم وراء هذه الفكرة، قد



يتضمن في الواقع أمل مصر الوحيد في انعدم الاقتصادي .

● الاستهلاك المبدّد

تتلخص فكرة نيركسه فيما يلي : إذا صحَّ أن بلدا ما لديه فائض في الأيدي الزراعية في القطاع الزراعي ، قد يصل إلى ٥٠٪ من أجمالي الأيدي العاملة الزراعية ، بحيث يمكن الاستغناء عنه دون أن يتأثر الانتاج الزراعي ، فإن من الصحيح أيضا أن هؤلاء الملايين الفائضين عن الحاجة يأكلون ويشربون ويلبسون ويسكنون المنازل وقد يذهبون إلى المدارس ويتلقون خدمات صحية ... الخ ، شأنهم شأن أقرانهم المساهمين مساهمة فعلية في الانتاج . بعبارة أخرى ، إن عجز طائفة من القوة العاملة عن المساهمة في الانتاج لا ينفى أنهم مع ذلك مستهلكون . هذه السلع والخدمات التي يستهلكونها هي ما يمثل في نظر نيركسه " القدرة الكامنة على الادخار " ، بمعنى أن توجيه هؤلاء المستهلكين غير المنتجين إلى قطاعات

اقتصادية أخرى ، أو تشغيلهم فى أعمال منتجة داخل قطاع الريف نفسه قد لا يتطلب أى إنفاق جديد عليهم ، طالما أن الأجور التى سوف نحتاج لدفعها لهم ، يمكن الا تزيد عن قيمة ما كانوا يستهلكونه بالفعل . بعبارة ثالثة : فلننقل هؤلاء الزائدين عن الحاجة من أوجه " النشاط " التى لا ينتجون فيها إلى أوجه أخرى للنشاط المنتج فعلا ، دون أن نحتاج إلى أن ندفع لهم أكثر مما كانوا يستهلكونه فى مواقعهم القديمة .

فلنستخدمهم مثلا فى رصف الطرقات ، أو تطهير قنوات الصرف ، أو شق قنوات رى جديدة ، أو بناء المصانع ، فيضيفون إلى حصيلة المجتمع من رأس المال دون أن يضطر المجتمع إلى التضحية بأى نشاط آخر ، طالما ظلت أجورهم مساوية لقيمة استهلاكهم القديم . سوف يتطلب الأمر بالطبع فرض ضريبة (بصورة أو بأخرى) على الباقين فى النشاط الزراعى الذين سوف يزيد ما بحوزتهم من سلع بعد رحيل أقرانهم الزائدين عن الحاجة ، وذلك حتى يتسنى ، عن طريق هذه الضريبة ، منع زيادة استهلاك الباقين فى الزراعة ، وتمويل هذا التشغيل الجديد للمسحوبين من الزراعة إلى قطاعات أخرى .

● اعتراضات وتحفظات

الفكرة جذابة بلا شك ، مهما وجه إليها من اعتراضات عملية تتعلق بما يواجه هذا الادخار المحتمل من " تسرب " .

إن هناك من قال مثلا إنه ليس من السهل فرض ضريبة على الأشخاص الباقين فى الزراعة الذين يتسم مستوى استهلاكهم بالتدنى الشديد ، ومن ثم سوف يكون من الصعب جدا منعهم من رفع مستوى استهلاكهم لدى رحيل أقرانهم إلى قطاعات أخرى . وهناك من قال إنك لابد مضطر إلى رفع أجور هؤلاء العمال الذين قمت بنقلهم من قطاع إلى آخر ، تفوق مستوى استهلاكهم الأصلى ، بسبب ما يبذلونه الآن من جهد إضافى ، وبسبب اضطرارك إلى حفزهم إلى هذا الانتقال برضاهم ، مالم تلجأ إلى أعمال القسر والسخرة المقيتة . وهناك من قال إن هذا النقل للعمال من مكان لآخر له نفقاته التى يتعين تدبيرها ، كنفقات بناء مساكن جديدة لهم فى مكان عملهم الجديد .. الخ . كل هذا صحيح ، ولكن ما زال المنطق الأساسى وراء الفكرة صحيحا : **إن لديك من يستهلك دون أن ينتج ، ومن الممكن توجيهه إلى نشاط منتج دون أن تحتاج إلى مدخرات جديدة كبيرة ، فاستهلاكهم القديم هو نفسه ادخارك الجديد أو على الأقل يمثل جزءا هاما من هذا الادخار الجديد .**

● الموارد البشرية المهدرة فى مصر

عادت إلى ذهنى هذه النظرية القديمة لنيركسه وأنا أتأمل التوزيع السكانى الجديد لمصر بين القطاعات الاقتصادية ، والتوزيع العمرى لسكان مصر بعد مرور ٣٥ عاما على عرض نيركسه لفكرته . لم يعد من الممكن الآن الحديث عن وجود فائض بهذا القدر فى الأيدى العاملة فى

القطاع الزراعى ، بل قد يستحيل القول بوجود فائض عمل فى القطاع الزراعى على الاطلاق ، مع تيارات الهجرة الواسعة التى لحقت بالريف المصرى منذ منتصف السبعينيات ، إما إلى بلاد النفط ، أو إلى المدن المصرية للحلول محل من هاجر إلى بلاد النفط ، ومع انتشار التعليم فى الريف المصرى خلال العقود الثلاثة الأخيرة الذى ساهم بدوره فى تقليص حجم المعروض من العمل .

ومع ذلك فإن لدينا قطاعات أخرى ، غير الزراعة ، تعج بالفائض من الأيدى العاملة التى لا تساهم مساهمة تذكر فى الانتاج . هناك بالطبع القطاع الحكومى الذى زاد عدد العاملين فيه بدرجة مذهلة خلال العقود الثلاثة الماضية بحيث أصبحوا يشكلون نحو ثلث إجمالى القوة العاملة المصرية . والقطاع الحكومى ، كما نعرف ، زاخر بالبطالة المقنعة . وهناك قطاعات الخدمات الأخرى غير الحكومية التى يتسم كثير منها بانخفاض شديد فى إنتاجيتها خاصة فيما يسمى بالقطاع غير الرسمى ، كتجارة التجزئة الصغيرة والباعة المتجولين وماسحى الأحذية وبائعى الصحف وغيرهم من القائمين بأعمال " رثة " ، قليلة العائد وضعيفة الناتج . هناك أيضا المتبطلون بطالة مكشوفة الذين قدرت نسبتهم أخيرا إلى اجمالى القوة العاملة مما يتراوح بين ١٠٪ و١٥٪ .

هذه الطوائف الثلاث : موظفو الحكومة ، والمشتغلون بخدمات قليلة الانتاجية فى القطاع غير الرسمى ، والمتبطلون بطالة مكشوفة ، تزيد نسبتهم بكل تأكيد على ٥٠٪ من إجمالى قوة العمل المصرية . فإذا افترضنا ، وهوما قد لا يبعد كثيرا عن الحقيقة ، أن نصف هؤلاء يمكن توجيههم إلى أعمال منتجة دون أن نخسر شيئا فى مجال " عملهم " الأصلى (مع إعادة تنظيم بسيطة لأوجه " نشاطهم " الأصلية) كان معنى هذا أننا نستطيع أن نزيد العمل البشرى المنتج فى مصر بنحو الثلث على الأقل دون الحاجة إلى موارد مادية جديدة (اللهم إلا ما نحتاجه لمواجهة مختلف أنواع " التسرب " التى أشار إليها ناقدو فكرة نيركسه وسبق أن أشرنا إليها) .

● التعليم : استهلاك أم استثمار ؟

ولكن هناك موردا بشريا آخر لم نذكره ويجب أن يضاف إلى ما سبق ، ويتعلق بذلك الجزء من السكان الذى لايدخل فى عداد القوة العاملة ولكنه قادر على العمل ، وأقصد به طلبة المدارس والجامعات الذين تزيد أعمارهم على ١٥ سنة ، وهم بالطبع مستهلكون ، وقد يشمل استهلاكهم أحيانا ، ليس فقط الطعام والمسكن والملبس الضرورى بل وأيضا السيارات الفارهة ومختلف أدوات الترف والاستهلاك المظهرى . إن استهلاك هذه الطائفة قد يصح اعتبار جزء كبير منه من قبيل الاستهلاك الضائع والمبدد رغم انشغال أصحابه فى الدراسة وذلك فى ظروف اقتصاد مريض كالاقتصاد المصرى . فقد يجوز القول إنه فى ظروف مثل ظروفنا ، تتحول كثير من أنواع الدراسة إلى ترف بدلا من أن تكون ضرورة ، وذلك حينما تكون مساهمتها فى الانتاج ، حتى فى الأجل الطويل ، غير ملموسة . هذا النوع

مواردنا البشرية للهدر

من التعليم قد يكون استهلاكا محضا بدلا من أن يكون استهلاكا واستثمارا فى نفس الوقت ، كما يجب بالفعل أن يكون . ومن ثم فقد ينطبق عليه ما ينطبق على غيره من صور الاستهلاك المبدد الذى يجب تحويل أصحابه إلى أعمال منتجة حقيقية .

● **الطفولة اختراع حديث .**

لا اذكر اين قرأت أن " الطفولة " نفسها هى اختراع من اختراعات الدول الصناعية المتقدمة ، التى تستطيع أن تتحمل امتداد فترة الدراسة سنوات طوالا ينقطع خلالها الطالب عن تقديم أية مساهمة للانتاج دون أن ينقطع بالطبع عن الاستهلاك . لم يكن الأمر كذلك قبل الثورة الصناعية إلا فى حدود ضيقة للغاية حيث كانت أسرة العامل الزراعى البسيط تتوقع من الابن أو البنت أن يبدأ فى المساهمة فى الانتاج وكسب العيش بمجرد أن يبلغا الحد الأدنى من القدرة المادية والذهنية . وهى ظاهرة لا تزال نشاهدها ، وان كانت آخذة فى الزوال ، فى أسر طبقتنا الفقيرة التى لا زالت تتوقع من الأبن أو البنت أن يساعدا والديهما فى مختلف الأعمال داخل المنزل وخارجه ولا يتحمل منهما تذمر مما يطلب منهما من أعمال لا يتصور أن يقبل القيام بها أقرانهما فى البلاد الثرية .

إن التجربة التى طبقتها وزارة الثقافة فى مصر منذ سنوات قليلة ، من تشغيل مئات من الطلاب فى إعادة طلاء وتجميل وصيانة القلعة هى مثال جيد لما أقصده بمجالات العمل المنتج التى يمكن توجيه الطلبة المصريين إليها دون أعباء مادية تذكر . ويمكن أن نضيف إليها أعمالا مماثلة كتمهيد الطرق وصيانتها ، ومحو الأمية ومختلف الأعمال الإنشائية التى تحتاج إليها منطقة بكر كسيناء ، من حفر الآبار إلى إعداد الأراضى للزراعة إلى أعمال البناء ومن خطوط الكهرباء وشق طرق جديدة وغرس أشجار النخيل ... الخ .

إن تطبيق هذه الفكرة التى اسماها نيركسه "بالقدرة الكامنة على الادخار" على بلد مثل مصر ، غنى بموارده البشرية ولكنه فقير إلى رأس المال ، تصادفها بالطبع مختلف العقبات ولكن هذه العقبات من النوع الذى يحتاج إلى محض الارادة القوية لتخطيه وتجاوزه . ولكن الارادة القوية تحتاج بدورها إلى إيمان بجدوى الفكرة والحماس لها ، وهذا الايمان وهذا الحماس نفسه هو الذى يمكن أن يخفض إلى الحد الأدنى من مختلف "التسربات" التى أشرنا إليها والتى تضعف من القيمة العملية للفكرة ، إذ كلما زاد الحماس قلت الحوافز المادية التى نحتاج إليها لدفع الناس إلى العمل المنتج .

قلت فى بداية مقالى إنى أحيانا أشعر بأن مثل هذا المنطق هو الذى يمثل الأمل الوحيد لتحقيق النهضة الاقتصادية فى مصر . ذلك أنه كلما اشتدت الأزمة احتاج الأمر إلى تفكير من نوع جديد ، وكلما قلت الموارد المتاحة كلما ارتفعت قيمة الخيال والارادة .

لغويات

● تقول العامة : « فلان شخص هايف » .. أى تافه قليل الأهمية .. وفى اللغة : هاف الزرع ، أى ذبل وذوى ولم ينتج محصولا ، وزرع هائف ، أى بلا محصول أم بمحصول ضئيل .. وهكذا يكون الشخص الهائف والزرع الهائف سيين .. « ملحوظة : كلمة « سيان » « تصبح سيين » حين تقع منصوبة ، وهى هنا خبر كان .. أى منصوبة » ..

● حين أعلن وقف إطلاق النار بين العراق وإيران انتشر فى الصحف قولهم : « وضعت الحرب أوزارها » .. أى أثقالها ، أى الأسلحة .. وأصل الاوزار مايحمله الانسان من ثقل على ظهره أو كاهله ، فسميت الأسلحة أوزارا ، لأن الناس يحملونها .. والمفرد « وزر » بكسر الواو .. وفى القرآن الكريم : « ولاتزر وازرة وزر أخرى » .. أى لا تحمل ثقل أخرى .. أى لايؤخذ إنسان بذنب انسان آخر ..

● يكثر قولهم : « أضغاث أحلام » .. والمعنى : « أخلاط أحلام » .. والأصل فى هذا التعبير أضغاث الحشيش ، أى الأعشاب يجمعها المرء من المرعى أو الحقل فتختلط فيها أنواع مختلفة من نباتات المرعى .. والمفرد : ضغث ـ بكسر الضاد ـ وهو ملء الكف من الحشيش أو العشب .. وأضغاث الأحلام هى الأحلام الكاذبة ..

● وفى القرآن : « إنى أرانى أعصر خمرا » .. أى أستخرج الخمر من العنب .. وكانت العرب تستعمل كلمة « الخمر » بمعنى « العنب » والعنب بمعنى الخمر .. حكى الأصمعى عن بعضهم قال : لقيت أعرابيا فصيحا ومعه عنب فقلت له : ما معك ؟ .. قال : « خمر » .. أى عنب ، وقال الشاعر المعاصر :

بعثت فينا الكئوس الطربا
أغناء نستقى أم عنبا ؟ !

يعنى أن الطرب ينبعث فى النفس من الكئوس ، كأنما العنب أو الخمر غناء مذاب يملؤها ونحن نستقيه ! ..



نعم
عيد "مولد النبى"

بقلم : صافي ناز كاظم

عندما كان عمرى ست سنوات توفى والدى ، لكنى لم أعرف أننى حصلت بهذا على لقب «يتيمة» ، إذ لم أعرف الكلمة ومعناها الا عندما جلست جدتى رحمها الله لتحكى لنا قصة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وقالت : كان يتيما ! مات ابوه قبل أن يولد وماتت أمه وعمره ست سنوات ، ومات جده وعمره ثماني سنوات . وقلت لجدتى : هل يجب ان يموت كل هؤلاء ليكون الانسان يتيما ؟ قالت : هناك يتيم الأب ، وهناك يتيم الأم . وشعرت بزهو غامض لأن هناك شيئا يجمعنى بطفولة الرسول الحبيب .

● وكنت أحرص في صلاتي على أن أردد سورة : «والضحى والليل إذا سجى ، ما ودعك ربك وما قلى وللآخرة خير لك من الأولى ولسوف يعطيك ربك فترضى ، ألم يجدك يتيما فآوى ، ووجدك ضالا فهدى ، ووجدك عائلا فأغنى ، فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر وأما بنعمة ربك فحدث » صدق الله العظيم . وكانت عيناى تغرورقان بالدموع عند : ألم يجدك يتيما فآوى ، ويأخذ صوتى رنة الحسم عند : فأما اليتيم فلا تقهر !

تعودنا منذ الطفولة أن نحتفل بمولد النبى صلى الله عليه وسلم : الحلوى والعرائس والزينات وبرنامج خاص فى ركن الأطفال بالاذاعة . لم يكن الاحتفال فى يوم من الأيام مبالغا فيه أو صاخبا مثل احتفالات الغرب بالكريسماس أو عيد ميلاد سيدنا عيسى عليه السلام ، ولذلك عندما ترتفع فى بعض الأحيان نغمة متجهة تنادى بعدم الاحتفال بمولد النبى بحجة أن هذه بدعة ، أتجهم بدورى : إن الذكرى بهيجة فعلا ومولد الرسول يبعث على الفرح حقا ، فكيف تكون بدعة أن نفرح وهو أمر لا حيلة لنا فيه ؟

آمنة بنت وهب وخديجة بنت خويلد : صديقتان .

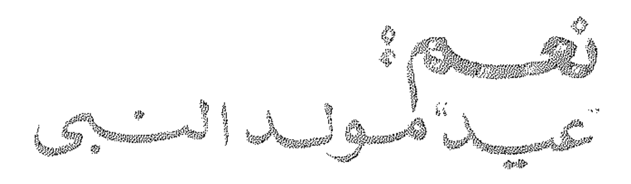
هذه تزوجت عبد الله بن عبد المطلب وتزوجت خديجة من آخر . قد تكون آمنة أكبر فى العمر قليلا وقد لاتكون ، لايهم . المهم أن آمنة بدأت الميلاد وأكملت خديجة الاحتضان .

● شخصية وديعة

حين أتصور آمنة بنت وهب أتصور امرأة ذات جسد نحيل ووجه هادىء مائل الى البياض وعينين عسليتين صافيتين واسعتين وشعر ناعم منسدل وجزء منه يغطى جبينها العريض النبيل . وأتصور صوتها خفيضا قليل الكلمات ، أتصورها شخصية وديعة تزوجت فى هدوء لأيام قليلة ثم سافر زوجها الشاب حبيب أبيه وتركها دون أن يعلم أنها تحمل له جنينا . لايعود الزوج المسافر ثم يأتى النبأ الحزين آمنة فأتصورها تتلقاه بالحزن الموجع العميق الذى لايصدر أنّة ولايطلق صراخا ، وتتحسس حملها دون أن تدرى أنه ما حفظه الله فى الغيب منذ آدم ليكون نبى آخر الزمان ، حيث لانبى ولارسول من بعده .

فى عام يسمى عام الفيل تلد آمنة فى يُسر طفلا وضيئا تحمله الجارية بركة الى جده عبد المطلب ، الذى يأخذه ليطوف به الكعبة يعلن عن فرحه ويسميه محمدا . فى الفترة نفسها تقريبا تلد زوجة شابة لعبد المطلب طفلا آخر يسميه الحمزة : عم الرسول الكريم وصديق طفولته وأشجع من آمن به وسلم برسالته . ويقولون فى الكتب ان فرحة عبد المطلب بمحمد كانت أشد من فرحته بالحمزة ، لعل ذلك صحيحا لكن المؤكد ان الشيخ الجليل كان فرحا فرحا بالغا بمحمد الذى عوضه فقدان ابنه الحبيب عبد الله .

انصرفت المرضعات عن الطفل اليتيم



لكن بركة جارية آمنة استطاعت أن تجد له حليمة السعدية . كانت حليمة كذلك مرضعة فقيرة انصرفت عنها الأمهات فتجانس الطفل اليتيم مع المرضعة المتروكة ليضع الله الخير فى الاطار الذى يقدره ويحتاجه . وعم الخصب بيت حليمة وفاضت البركات ثلاث سنوات حتى عاد الطفل المبارك إلى أمه موفورا صحة وعافية . لا أدرى هل كانت آمنة تراه أثناء تلك السنوات الثلاث التى قضاها عند حليمة أم كان انقطاع كلى عند المرضعة فى البادية ، لكننى على كل حال عندما أتأمل فى تلك العادة العربية بأخذ الأطفال بعيدا عن الأمهات السنوات الثلاثة الأولى من عمرهم ، أجدها عذابا للأم وحرمانا لها من لذة ارضاعه بنفسها ولذة رؤيته ينمو أمام عينيها يوما بعد يوم ، ولا أدرى كيف تحملت آمنة البعد عن محمد .

● معجزات فى الطفولة

حكت حليمة لآمنة المعجزات التى رأتها تحدث للطفل المبارك وابتسمت الأم الهادئة ولعلها تصورتها حكايات يصوغها الحب وينسجها الخيال ، لكنها لم تكن تعرف أنه فى يوم مولده المشرق تصدع إيوان كسرى فى بر الشام ولم تكن تعرف أنه يصنع على أعين الله لحظة بلحظة ودقيقة بدقيقة فى كافة أطوار حياته .

تمتعت آمنة بطفلها ثلاث سنوات فقط فى حضانتها ثم مالبثت أن فاجأها المرض فى رحلة العودة ومعها صغيرها الذى أخذته ليزور أخواله ، وماتت آمنة فى الطريق الى مكة ودفنت بمنطقة كان الرسول حين يمر عليها فيما بعد : تد عيناه

● ● ●

كأن الصغير كان ينضج على الألم فقدان الأب الذى لم يره ثم الأم التى لم يلبث فى حجرها سوى ثلاث سنوات ، ولم يبق له من الحنو سوى جده الكبير الطيب عبد المطلب وجارية أمه بركة ـ التى صار اسمها فيما بعد أم أيمن ـ ومرضعته حليمة التى لم تقطع صلتها أبدا ، فهو طفل لاينسى لأنه ، كما رأت وسمعت وتأكدت ، ليس ككل الأطفال . ويمر عامان ويموت الجد ويقف محمد ابن الثامنة صبيا يعرف أن رجولته المبكرة قد بدأت .

● ● ●

« ألم يجدك يتيما فآوى » ؟

يأويه عمه أبو طالب ـ الشقيق الوحيد لأبيه عبد الله ـ كثير العيال محدود الرزق لكنه الكريم الشهم ، يحب محمد ويرقبه فى اعجاب ، لايضجر منه لا هو ولا امرأته ولايتأففان ، ويبدأ محمد فى رعى الأغنام فلا يكون بعمله عالة على أحد . ويشب يافعا ومعه تلك

الرجولة التي ميزته منذ صباه بالصلابة والثقة والامانة والصدق وشجاعة قول الحق ، والرهافة والحياء اللذين تناقضا تناقضا بينا مع فظاظة قريش وغلاظة الجاهلية . ـبه الجميع وأنس اليه الغرباء ضعفاء من العبيد والمساكين .

صاغ الله سبحانه وتعالى الميقات ـي يلتقي فيه محمد بخديجة : ـية أمه القديمة والأرملة التي مات زوجان ويبقى لها ثلاثة أبناء . ثرية سيدة في قومها ، شابة في الأربعين . حين أتصورها أراها لا بالطويلة ولابالقصيرة ، ممتلئة قليلا امتلاء القوة والخصوبة والحيوية . صبوحة الوجه باسمة الثغر قوية الاحتمال ، يقف عندها الانسان بين الاحساس بالألفة مع الهيبة والاحترام . أتصور لها صوتا له رنين فيه الأمومة والندى ، لها ثقة بالنفس تنبع من خبرتها ومعرفتها بالصحيح والسليم والذي يجب أن يكون . لها حضور بارز فلا يمكن أن تخطئها في جمع فهي قيادة تجمع بين الذكاء والقلب الفياض بالعطاء والمحب له . هذه السيدة صاغها الله سبحانه وتعالى لتكون سكن الرسول التي تشد عضده وتؤازره فيما سوف يلقى على كتفيه من أمانة وأعباء لاتقبلها الجبال .

« ووجدك عائلا فأغنى »

يلتقي محمد صلوات ربي وسلامه عليه بالسيدة المثلى ، يتاجر لها ويربح ويكسب حبها وثقتها ولاتتردد في أن تخطبه لنفسها فهو الكفء الذي يليق بسيدة مثلها ، ولامعنى لفارق العمر بينها وهي في الأربعين وبينه وهو في الخامسة والعشرين ، فلقد قاسته بالحكمة والنضج والنبل ووجدت أنها لاتستشعر تفوقا بمالها أو نقصا بكهولتها ، ولكنها . عندما ألقى الله محبة «محمد» في قلبها قدرته بمعيار «الندية» فوجدته أكبر منها وأجل وأثرى فسقط المعياران : المادي والزمني اللذان لم يكونا سوى صنم من الوهم خضع له الناس في عجز وغباء .

عاشت خديجة مع الرسول صلى الله عليه وسلم خمسة وعشرين عاما ، خمسة عشر قبل البعثة وعشرة بعدها وأنجبت له وحدها دونا عن نسائه جميعا ـ باستثناء مارية القبطية ـ البنات والأولاد . أنجبت زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة والطيب والطاهر وضمت في بيتها فوقهم علي بن أبي طالب ترعاه وتحنو عليه .

وعلى مدى خمسة عشر عاما عرفت خديجة ، حتى قبل النبوة المعلنة ـ نزعة التأمل التي تميز بها محمد الأمين منذ طفولته وصباه ، ورأتها تتعمق في شبابه ورجولته نحو كهولته المتوجهة لتنفيذ امر الله يبعثه بالحق بشيرا ونذيرا . وتبينت خديجة منذ البداية انها حاضنة تلك الشمس التي رأتها في رؤياها تخرج من منزلها فتنير الدنيا . راقبت انكاره للأصنام حجارة وبشرا ووجدته يأخذها ليلوذا معا بـ « مكارم الأخلاق » التي بقيت من تعاليم

نعم : "عيد" مولد النبى

ابراهيم واسماعيل ، حتى يلزم نفسه بعزلة ينفرد فيها بنفسه فى غار حراء فى جبل موحش على بعد ميلين من مكة فى رمضان على مدى ثلاث سنوات قبل نزول الوحى .

دبر الله سبحانه وتعالى هذه العزلة للرسول المنتظر يتطهر اعدادا له لحمل الامانة الكبرى يعطيه خلالها الرؤيا الصادقة فى النوم وعلامات النبوة تتقارب لاينقصها إلا أن تتم باللقاء الصريح بين روح الله الأمين والنبى الرسول المختار ليكون آخر وخاتم الانبياء والمرسلين حتى يرث الله الأرض ومن عليها . وحين يظهر جبريل عليه السلام يقول باخبار وتعليم ووضوح : « يامحمد أنت رسول الله وأنا جبريل » تتلقى خديجة الخبر بكلماتها الخالدات : « ابشر يا ابن عم واثبت ، فوالذى نفس خديجة بيده ، انك لنبى هذه الأمة والله !

لايخزيك الله ابدا ».

مبادرة فورية بالعطاء وانحياز حاسم ويقين بالتكليف الالهى للنبى المختار . وعى لا رجعة فيه أن التصديق بهذه الدعوة معه الفداء بلا حدود ، بيعة خالصة لله ولرسوله امام وعد حق من الله سبحانه وتعالى : انه اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة .

● ● ●

ويسجل الزمن الاسلامى أسماء المؤمنين الأوائل : أول النساء خديجة ، أول الرجال أبو بكر ، أول الصبيان على بن أبى طالب ويبدأ السرب الطويل من المؤمنين يمتد وينتشر . ونسترجع حياة محمد منذ بدأ الوحى والتنزيل : « اقرأ باسم ربك الذى خلق » حتى سورة النصر ، آخر ما نزل من القرآن الكريم : « اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا » عبر ثلاث وعشرين سنة ، ثلاث عشرة فى مكة وعشر فى المدينة ، فى البداية جهاد بالصبر وتحمل الأذى ، حصار فى شعب أبى طالب وجوع ، تربص ثم هجرة ، ثانى اثنين ، لاتخف ان الله معنا ، أمر بالقتال مثابرة ورباط ، نصر فى بدر ثم هزيمة فى أحد ، أحزاب تتحالف على بغض «محمد» ـ بأبى أنت وأمى وفداؤك روحى يا «محمد » ـ و «محمد» يرقب صحبه : « .. هذا ما وعدنا الله ورسوله .. » المسلمون يمتحنون : «أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا .. » ، ويعود النصر ويبشر الرسول المسلمين فى حجة الوداع : « ... اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون ، اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا ... » وتدمع أعين المؤمنين .. وتخفق القلوب الى اليوم : إنهم فى رباط الى يوم القيامة دفاعا عن هذا الدين الذى بزغ نور رسوله فى اليوم «العيد» الذى لاينسى : الثانى عشر من ربيع الأول !

محمد رسول الله

شعر:

محمد عبد الرحمن صان الدين



مازال نورا في العيـــون ... بالرغم من مر القـــرون
مازال لحنا في شـــفاه ... الدهر ســـحرى الرنين
تشدو به الاجيـــال وهي ... تمر في فلك الســـنين
تياهة نشـــوى بمـــا ... نهلته من احلى معـــين
كشفت بمولده يد الاقدار ... عـــن ســـر دفـــين
قد ظل ذخرا في ضـــمير ... الغيب حينـــا بعد حين

***

اتقـــام ذكـــرى الـــذي ... ذكراه في نبض الـــوتين ؟
في كل آن وصـــــفه ... نغم يهز الذاكـــــرين
خفاقة ارواحهـــــم ... تهفو اليـــه من الحنـــين

***

هذا هو القرآن آيتـــــه ... منـــار الحـــائرين
ما جال بين رياضـــــه ... عات غدا في الجـــاحدين
الا وخـــر ســـــجدا ... مستعبرا في الســـاجدين
هل ثم دستور ســـواه ... حكمه في النـــاس دين
يقسو ليزدجر البغـــاة ... على الضعاف الامنـــين
ويخط منهاج الحيـــاة ... منزها عمـــا يشـــين
ليعيش بين ظـــــلاله ... الانسان مرفوع الجبـــين

***

ياليت من عشيت بصيرته ... السقيمة يســـتبين
ليت المعنى يســـتريح ... بواحـــة الدين الحنـــون
فتمس اجنحـــة السكينة ... قلبـــه الدامي الحـــزين

***

يا ايهـــا الشـــمس التي ... بهرت عيون النـــاظرين
واستشعر الانســـان في ... اكنافها دفء اليقـــين
لا دورة الافلاك تجعـــل ... ضوءها في الافـــلين
كـــلا ولا ينتـــابها ... ما يحجب النور المبـــين
يانفحـــة قدســـية ... من فيض رب العـــالمين
كانت على الازمان روحـــا ... في صدور المؤمنـــين
وبدا تكفكف بالحنان الثر ... دمـــع البائســـين
صـــلى عليـــك الله ... والثقلان والروح الامـــين



بقلم: د. محمد عمارة

عندما كان الغرب بسبيل نهضته ، التى أخرجته من عصوره الوسطى والمظلمة ، وانفتحت قوى هذه النهضة على حضارتنا العربية الاسلامية ، وجدنا قانون التفاعل الحضارى عاملا عمله الطبيعى . فكان التمييز بين ما هو « مشترك إنسانى علم » فتبنوه ، وانطلقوا منه ، وأضافوا إليه إبداعهم الحضارى العملاق .. وبين ما هو « خصوصية حضارية » للعرب والمسلمين ، وقفوا منه موقف الحذر والشك ، والرفض والعداء ، بعد ان عرضوه على « خصوصيتهم الحضارية » التى ميزت الحضارة الغربية ، وطبعتها بما ميزها منذ تراثها اليونانى وحتى عصرها الحديث ..

لقد أقبل الغرب بنهم على امتلاك رصيد الحضارة العربية الاسلامية من العلوم الطبيعية .. علوم المادة وظواهرها وخصائصها .. علوم التمدن المدنى والعملى .. من مثل علوم : الطب ، والصيدلة ، وقواعد النظافة العامة والخاصة ، وعلوم الزراعة والنباتات ، والحيوان ، وفنون وعلوم الحرف والصناعات ، والتجارة والمواصلات ، ووسائل الاتصال ، وفنون القتال واستحكامات الحرب ، وطبقات الأرض وأنواعها - [الجيولوجيا] - والمعادن ، والبصريات والمناظر ، والكيمياء ، والفلك ، والرياضيات ، من جبر وهندسة ، وحساب - بفروعه - والميكانيكا - [الحيل] - والجغرافيا ، والرحلات ، وعلوم البحار والملاحة فيها .. الخ .. الخ .. الخ ..

كذلك أخذ الغرب عن علمائنا



وحضارتنا الابداع فى « المنهج التجريبي » ، الذى تجاوزنا به نطلق « القياس الأرسطى » إلى الملاحظة والاستقراء والتجريب .. فكان ثورة إنسانية فى صناعة الفكر نقلت العلوم والمعارف إلى « كيف جديد » ..

لقد أخذوا ما سبق أن أخذناه نحن عن أسلافهم اليونان ، وغيرهم من الفرس والهنود ، وما أخذناه عن مدرسة الاسكندرية من « علوم الصنعة » ، مضافا اليه ابداع حضارتنا ونقدها وإضافاتها الى هذا الموروث .. فلقد كان ذلك جميعه من « المشترك الانسانى العام » ..

أما فيما هو « خصوصية حضارية » عربية إسلامية ، مما يتصل بالانسانيات الاسلامية ، سياسة واجتماعا واقتصادا وفلسفة وانماطا خاصة فى الذوق والسلوك والقيم والمثل والأعراف .. الخ .. الخ .. فكل ذلك قد تحفظ عليه الغرب الناهض ، وذلك حتى يكون انفتاحه على حضارتنا ، كافلا إضافة مصادر القوة ، وحافظا ـ فى ذات الوقت ـ على حضارته هويتها و« بصمتها » وخصوصيتها التى تميزت بها عن غيرها من الحضارات ..

لقد أجمعت واجتمعت تيارات فكر النهضة الغربية على رفض ابرز خصائص حضارتنا العربية الاسلامية .. خصيصة « التوحيد » .. وخصيصة « الوسطية » .. وخصيصة « التدين » ـ بالمعنى الشامل والعميق .. اى انهم قد رفضوا هويتنا الحضارية ، كى يحفظوا لحضارتهم الناهضة هويتها ..

ورفض هذه الهوية الإسلامية ، هو الذى ميز الحضارة الغربية الحديثة بطابعها الأصيل : الطابع المادى .. وتبنى « الثنائية ـ الانشطارية » فى الكثير من القضايا والسمات التى اهتدت فيها حضارتنا ـ بالوسطية ـ إلى « التوازن التوحيدى » ..

● لم يأخذوا توفيق حضارتنا مابين « الحكمة » و« الشريعة » .. فتميزت حضارتهم بالثنائية التى أخرجت التدين من اطار العقل ، كما أخرجت الدنيا والدولة وعلوم التمدن من إطار الدين .. والتى قسمت الفلسفة والفلاسفة إلى « ماديين » و« مثاليين » بثنائية « الفكر » و« المادة » ..

● ولم يأخذوا خصوصيتنا الحضارية فى علاقة « الدين » بـ « الدولة » .. فكانت « علمانيتهم » فصلا للدين عن الدولة ، وتحريرا لعلوم الدنيا من الروح الايمانية .. فى مقابل « الكهانة » التى سبق والغت الطابع المدنى المتطور للدولة والدنيا وعلومهما ، لحساب « المقدس ـ الثابت » ..

● ولم يأخذوا خصوصيتنا فى التوفيق بين « الفرد » و« المجموع » ..

فكانت « ليبراليتهم » انحيازا للفرد ، بإطلاق ، ضد المجموع ، بإطلاق .. وعلى عكس ذلك تماما كانت « شموليتهم » .. حدث ذلك في « الفكر السياسي » وايضا في « الاقتصاد والمال » ..

● ولم يأخذوا بخصوصيتنا الحضارية التي ربطت الأعمال بالحكمة منها .. والوسائل بأخلاقية الغايات المبتغاة من ورائها - والدنيا كلها بدار الحساب والجزاء .. فكان اهتمامهم باللذة والشهوة واللحظة .. وكانت سياستهم - الميكيافيلية - « فن الممكن من الواقع » ، بصرف النظر عن الأخلاق .. على حين كانت السياسة عندنا هي « الأعمال التي يكون الناس معها أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد » ! ..

● ولم يأخذوا خصوصيتنا التي وازنت بين « سيادة الله » و« سلطان الأمة » في سياسة الدولة وتنظيم المجتمع وتنمية العمران .. لأن حضارتهم قد جعلت الانسان « سيد الكون » فأطلقت ديمقراطيتها العنان لسلطة الشعب من كل إطار ديني وقيد سماوي ، حتى ليجوز للأمة فيها ان تحل الحرام وتحرم الحلال - على حين وازنت خصوصيتنا الحضارية بين « سيادة الله وحاكميته » - المتمثلة في مقاصد الشريعة الالهية وحدودها - وبين « سلطان الأمة وسلطاتها » - المتمثلة في حريتها المحكومة بإطار الشريعة ومقاصدها .. لأن حضارتنا قد تميزت عن حضارتهم في تحديدها لمكانة الانسان في الكون .. فهو ليس « سيد الكون » ، وإنما هو « سيد فيه .. وخليفة » عن سيده ، سبحانه وتعالى ! ..

● ولم يأخذوا خصوصية نظام الخلافة الاسلامي ، الذي يكون فيه الحاكم الأعلى نائبا عن الأمة ، وحاكما مدنيا ، لكنه منفذ لمقاصد الشريعة .. أي سائس للدنيا - دون علمانية تتجاهل الدين - وحارس للدين - دون كهانة تقدس المدني وتثبت وتجمد المتغيرات - ! ..

نعم .. فقد عمل القانون الذي حكم التقاء الحضارات العريقة وتفاعلها عبر التاريخ .. عمل ايضا - وكان لابد له ان يعمل - عندما انفتحت اوربا ، إبان نهضتها الحضارية ، على حضارتنا العربية الاسلامية ... وكما أخذ عمر بن الخطاب من الرومان « تدوين الدواوين » ورفض شريعتهم المتمثلة في قوانين « يوستنيان الأول » [٤٨٣ - ٥٦٥م] لتميزها عن شريعة الاسلام .. كذلك أخذ الغرب عنا ، إبان نهضته ، علوم التمدن المدني والعملي ، دون أن يأخذ شريعتنا الاسلامية قانونا يحكم ويضبط مجتمعاته وشعوبه .. لتميزها عن شريعته - القانون الروماني - بمقاصدها الدينية الثابتة وإطارها الالهي ، وعلاقتها الوثيقة بدين الاسلام .. فهما نمطان في الشريعة والقانون متمايزان تمايز الخصوصيات التي ترسم الحدود للحضارات ! .. وصدق المستشرق « دافيد دى سانتيلا » David de Sautillana

[١٨٤٥ - ١٩٣١م] عندما قال : « ... عبثا نحاول أن نجد أصولا واحدة تلتقى فيها الشريعتان الشرقية والغربية (الاسلامية والرومانية) كما استقر الرأى على ذلك . إن الشريعة الاسلامية ذات الحدود المرسومة والمبادىء الثابتة لايمكن إرجاعها أو نسبتها إلى شرائعنا وقوانيننا ، لأنها شريعة دينية تغاير أفكارنا أصلا .. » .

هكذا عمل « قانون التفاعل الحضارى » ، فتم التمييز بين ما هو « مشترك إنسانى عام » وبين ما هو « خصوصية حضارية » ، تكوّن « الهوية » و« البصمة » و« الشخصية » لكل حضارة من الحضارات ..

وحيثما كان الاطار « طبيعيا » للتفاعل الحضارى ، كان الطابع الصحى هو مناخ عمل هذا القانون .. لأن « الغزو الفكرى » ، وليد « القسر » و« القهر » يبدأ بهما ، ثم تأتى - بعد احتلال العقل - مرحلة التقليد والتبعية من المقهورين ، أسرى هذا الغزو الفكرى ، للغزاة القاهرين ... حدث ذلك أيضا ودائما ، عبر التاريخ ... عندما فرض الاغريق والرومان « الهلينية » على الشرق بعد غزوة الاسكندر الأكبر ... وعندما فرض الغرب الاستعمارى « فكرية التغريب » على الأمم التى ابتليت باستعماره فى عصرنا الحديث ! ..

● ابن رشد والفلسفة الإسلامية

وإذا كان يحلو لبعض أنصار التغريب ، من أسرى الغزو الفكرى ومروجى سلعه الفكرية ، محاولة افتعال « الاستثناء » فى القاعدة التى أوضحنا التزام قانون التفاعل الحضارى لحدودها .. بالحديث عن الدور الذى لعبه فكر الفيلسوف العربى المسلم أبو الوليد بن رشد فى النهضة الغربية الحديثة ، زاعمين أن « فلسفة ابن رشد » قد تبناها الغرب ، وأقام عليها بنيان نهضته ، أو بعض بنيانها .. بل ويزعمون أن ابن رشد الفيلسوف المسلم قد « بعث حيا » فى الغرب ، بينما « قبر ميتا » فى بلاد الاسلام ! ..

إذا كان يحلو لهذا البعض ترديد هذه المقولة .. فإننا ، كما بددنا مقولة تبنى حضارتنا للفلسفة اليونانية ، إبان نهضتنا ، نبادر فنبدد مقولة تبنى الغرب لفلسفة ابن رشد الاسلامية ، إبان نهضته الحديثة .. وذلك حتى لاتبقى ثغرة واحدة للتشكيك فى استقامة وعموم هذا القانون الحاكم لتفاعل الحضارات ..

إن الغرب الناهض ، لم يأخذ ابن رشد « الفيلسوف المسلم » ، بل رفض هذا الجانب من فيلسوفنا ، وأصدر ضده قرارات الحرمان والتحريم من المجامع الكنسية ، لتلتزم بتطبيقها الجامعات .. لكنه أخذ ابن رشد « الشارح الاكبر لأرسطو » .. أى أنه أخذ منه : التراث اليونانى الغربى ، ورفض خصوصية حضارة الاسلام :

فإذا كان الغرب قد تبنى ما عرف فى عصر نهضته بـ « الرشدية اللاتينية » ، فإننا نضيف : أن هذه « الرشدية اللاتينية » ، التى قبلها الغرب ، هى شروح ابن رشد على أرسطو ، حكيم

اليونان . اما ابداع ابن رشد ، الفيلسوف المسلم ، والمتكلم ، والقاضى ، والفقيه ، والذى تمثل - بحقل الفلسفة - فى مؤلفاته [فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال] و[تهافت التهافت] و[مناهج الأدلة] .. والتى يجب أن نسميها « الرشدية الاسلامية » ، فإن الغرب قد رفضها ، بل وناصبها العداء .. لقد فصلوا ابن رشد إلى شطرين ، فأخذوا الشطر الذى هو تراثهم وخصوصيتهم الحضارية ، ورفضوا الشطر الاسلامي ، الممثل لخصوصيتنا الفلسفية الاسلامية .. وكما يقول « الفريد جيوم » : « فإن علينا أن نضع حدا فاصلا بين ابن رشد كفيلسوف ، وابن رشد كشارح لأرسطو » ... وإذا كان الغرب قد رفض ، منذ البداية ، « الرشدية الاسلامية » ، كما تمثلت فى « مؤلفات » ابن رشد الابداعية .. فإنه قد فصل ، ايضا ، « إضافاته » التى تخللت شروحه على أعمال أرسطو .. ونهض بهذه المهمة « القديس توما الأكوينى » [١٢٢٥ - ١٢٧٤م] .. « فبعد ان أوغلت تعاليم ابن رشد ، التى تضمنتها إضافاته على الشروح ، فى الفكر المسيحى ، طوال قرون متعددة ، ونفذت عميقا حتى أصبحت خطرا على تعاليم الكنيسة .. جاء القديس توما الاكوينى وفصل ارسطو عن شارحه ، ونقد التفاسير العربية لفلسفة ارسطو ... » .. ولذلك رأينا الجامعات الغربية تتبنى ارسطو ، فى ذات الوقت الذى تحرم فيه فكر ابن رشد ، وتحكم بالكفر على ٢١٩ مسألة تمثل إضافاته على الشروح التى قدمها لأعمال حكيم اليونان ..

فكما ان نهضتنا القديمة لم تتخذ الفلسفة اليونانية فلسفة للأمة ، على الرغم من ترجمتها ودراستها ، على النحو الذى يعرفه الجميع .. فكذلك كان حال النهضة الغربية الحديثة مع فلسفتنا الاسلامية ، حتى فى صورتها الرشدية ، لأن فلسفة الأمة - اية أمة عريقة ذات تراث غنى - هى واحدة من أخص « خصوصياتها الحضارية » ، وليست من « المشترك الانسانى العام » ، الذى هو مشاع بين الامم والقوميات والحضارات .

بل إننا نستطيع أن نضيف إلى هذه الحقائق الساطعة القاطعة ، حقيقة أخرى ، هامة وبالغة الدلالة فى قضيتنا .. تتعلق بمغزى ترجمة الغرب ، إبان نهضته ، لما ترجم من الكتابات الفلسفية لحجة الاسلام الغزالى [٤٥٠ - ٥٠٥هـ ١٠٥٨ - ١١١١م] .. ذلك أن بعضا من أسرى الغزو الفكرى التغريبى قد يرى فى ترجمة الغزالى إلى اللاتينية - وهو ليس شارحا لفلسفة اليونان ، بل من نقادها - شبهة على تبنى الغرب ، إبان نهضته ، لفلسفتنا الاسلامية .. على حين أن الحق فى هذا الأمر هو على النقيض من هذه الرؤية تماما ! ..

لقد المحنا الى جزع الكنيسة الغربية من « العقلانية الاسلامية » ، التى تمثلت فى إضافات ابن رشد على

شروحه لأعمال أرسطو ـ وهى « عقلانية إسلامية » ، وليست « عقلانية يونانية » ! .. فذهبت هذه الكنيسة الغربية فى بحثها عن أسلحة المقاومة لهذه « الرشدية الاسلامية » إلى حد الاستعانة بـ « صوفية الغزالى » « لمحاربة » عقلانية ابن رشد » ؟! .. فلم تكن ترجمات الغزالى مقصودا منها تبنيه ، وإنما كان المراد محاربة المفتونين بابن رشد ـ من اللاتين ـ بسلاح مصنوع بذات الحضارة التى بها يفتتنون ! ..

وهنا نتذكر ـ ونُذكِّر ـ بذات القانون وذات الحقائق التى سقناها عندما تحدثنا عن مغزى ترجمة العرب المسلمين لعقلانية أرسطو اليونانية .. لقد كانت الغنوصية اللاعقلانية هى الخطر الذى حاربت الهلينية به الاسلام ، فاستعان الاسلام ـ بعد ان أبدع لأمته عقلانيتها المتميزة ـ بالعقلانية الأرسطية ، ليهزم الغنوصية ، وليصرف المفتونين بكل ما هو يونانى عن الهلينية والغنوص ، بسلاح مصنوع ببلاد اليونان ، التى هم بإبداعها مفتونون ! ..

أما فى حالة الغرب وكنيسته ، فلقد كانت العقلانية الاسلامية الرشدية هى الخطر الذى اقتحم عليها معاقل اللاهوت ـ فسعت إلى « صوفية الغزالى » تحارب بها « عقلانية ابن رشد » .. ليس حبا فى الغزالى ، ولا تبنيا لفلسفته ـ فذلك لم يحدث ـ وإنما كضرورة من ضرورات الصراع بين الأنساق الفكرية والمذاهب والتيارات ..

ويشهد على ذلك ، ايضا « نوعية » ما اختاروه من الغزالى ـ وهو « الظاهرة المتنوعة » بحكم تطوره الفكرى وغنى تجربته العلمية ـ .. فلقد اخذوا منه ما رأوه معينا لهم على التصدى للخطر الأعظم الذى اقتحم عليهم دوائر الفكر : العقلانية الاسلامية ، كما تمثلت فى ابداع وإضافات أبى الوليد ! ..

وبقيت لحضارتهم الغربية خصوصيتها الفلسفية .. رغم ماترجموه للغزالى ، حجة الإسلام .. كما بقيت لحضارتنا خصوصيتها الفلسفية .. رغم ترجمتنا لأرسطو ، حكيم اليونان ! ..

فلقد تم جميع ذلك فى مناخ صحى لتفاعل حضارى طبيعى . فكان العمل لقانون التفاعل الحضارى حرا وخلاقا .. فازدهرت الحضارات الناهضة عندما استلهمت « المشترك الانسانى العام » ، وحافظت على تميزها وطابعها بتنمية مالها من « خصوصية » فى السمات والقسمات .

إنه « تفاعل حضارى » طبيعى وخلاق .. وليس غزوا فكريا يفرضه القاهرون على الأسرى المقهورين والمقلدين ! .

... وبعد ... ...
... ...

فحتى لا « يغبن » الغزو الفكرى التغريبى خصوصيتنا الحضارية ، وينسخ ويشوه هويتنا العربية الاسلامية ، فتكون تبعيتنا الحضارية للغرب « القيد الفكرى » الذى يؤيد ، بل ويؤبد تبعيتنا له فى السياسة والأمن والاقتصاد ...

وحتى لاتقودنا هذه التبعية الحضارية الى المأزق الذى قادت الحضارة الغربية إنسانها إليه .. مأزق

الطريق المسدود . عندما حققت له القوة الغاشمة والوفرة المادية ، وافقرته فى الروحانيات .. والمثل .. فاصبح عبدا للآنية ، واللذة ، والشهوة .. فاقدا للتوازن ، الذى هو شرط ـ بل حقيقة ـ سعادة الانسان فى هذه الحياة .

وحتى لايكون مصير إسلامنا ـ وهو جوهر هويتنا الحضارية كمصير التوحيد المسيحى الأول ، الذى « غبشه » الغزو الفكرى الهلينى بالغنوصية الباطنية .. فيتحول إسلامنا ـ بالتغريب ـ إلى « كهانة بابوية » تقدس المدنى وتجمد المتغير .. أو علمانية تجرد الدولة والدنيا وعلومها من إطار الشريعة وروح الايمان ... وتتحول عروبتنا إلى عصبية عرقية جاهلية ... وتتحول المرأة العربية المسلمة إلى « غانية رومانسية » أو « مسترجلة اسبرطية » أو « صورة غلاف وإعلان سلعة رأسمالية » أو « جارية مملوكية » ... وحتى لاتذبل فينا رغبة الابداع ، عندما يرضى ليبراليونا بليبرالية الغرب ، وشموليونا بشمولية الغرب ، وتقدميونا بتقدمية الغرب ، ورجعيونا برجعية الغرب ، فنقنع بدونية المستهلكين لسلع الفكر والمادة معا !

حتى لايحدث لنا ذلك ، علينا ان نميز فى تفاعلنا مع الحضارة الغربية بين ماهو « خصوصية حضارية » وما هو « مشترك إنسانى عام » .. فتلك بداهة الفكر ومنطقه ، وهذه هى شهادته ..

وأيضا شهادة التاريخ عندما سجل عمل قانون التفاعل بين الحضارات .

● قرانا هذه الشهادة التاريخية فى حقبة تفاعلنا ، قديما ، مع حضارات الفرس والهند واليونان ..

● وقرأناها فى حقبة تفاعل الحضارة الغربية الحديثة مع حضارتنا العربية الاسلامية ..

● بل وقرأناها ، أيضا ، فى صفحة نهضتنا الحديثة ، التى عالجها الاستعمار ، عندما سلكت بلادنا سبيل النهضة ، على عهد محمد على باشا الكبير [١١٨٤ ـ ١٢٦٥ هـ ١٧٧٠ ـ ١٨٤٩م] فذهبت كل بعثاتنا العلمية إلى الغرب لتتعلم العلوم العملية والطبيعية ، مثل :

١ ـ الفنون الحربية والادارة العسكرية .
٢ ـ والملاحة والفنون البحرية .
٣ ـ والهندسة الحربية .
٤ ـ والمدفعية .
٥ ـ وصنع الأسلحة وصب المدافع .
٦ ـ وبناء السفن .
٧ ـ وهندسة الرى .
٨ ـ والميكانيكا .
٩ ـ والطباعة والحفر .
١٠ ـ والزراعة .
١١ ـ والتاريخ الطبيعى والمعادن .
١٢ ـ والكيمياء .
١٣ ـ والطب والجراحة .
١٤ ـ وفن ادارة الماكينات .
١٥ ـ وفن المعمار .
١٦ ـ ورسم الخرائط .

١٧ ـ والترجمـة .
١٨ ـ والادارة .
١٩ ـ والدبلوماسية .
٢٠ ـ والصياغة والجواهر .
٢١ ـ والغزل والنسيج والصباغة وتجهيز الأقمشة .
٢٢ ـ والسراجة .
٢٣ ـ وصناعة الجلود والأحذية .
٢٤ ـ وصناعة الأختام وتصنيع الشمع .
٢٥ ـ وصناعة النقش والدهان .
٢٦ ـ وصناعة الساعات .
٢٧ ـ وصناعة الصيني والفخار .
٢٨ ـ وصناعة التنجيد والفراشة .
٢٩ ـ واللغـات .
٣٠ ـ وعلم توازن القوى والآلات .
٣١ ـ والطبوغرافيا .
٣٢ ـ والتحصينات .
٣٣ ـ وفن معدن الفحم .
٣٤ ـ وصناعة الحرير .
٣٥ ـ وصناعة الورق ... وغيرها من « العلوم ـ الطبيعية وتطبيقاتها » .. بينما لم يذهب مبعوث واحد الى الغرب لدراسة العلوم الانسانية او الاجتماعية او الفلسفية التي تتصل مناهجها ومثلها بخصوصية الحضارة الغربية في الطابع « المادي ـ العلماني » ... وليس كما صنع بنا الغزو الفكرى عندما ذهب ويذهب مبعوثونا يدرسون علوم الشريعة والحقيقة والفلسفة والآداب والفنون وغيرها ، بمناهج الغرب ، وعلى ايدى المستشرقين ! ...

لقد كتب رائد فكر تلك النهضة ، رفاعة رافع الطهطاوى [١٢١٦ ـ ١٢٩٠هـ ـ ١٨٠١ ـ ١٨٧٣م] ينبه على ضرورة التمييز ، في الفكر الغربي ، بين « المفيد » و« الضار » فقال : علينا ان نأخذ عن أوربا « المعارف البشرية المدنية .. والعلوم الحكمية العملية » .. اما روح حضارتهم وفلسفتهم ، فإنها مليئة « بالحشوات الضلالية ، المخالفة لسائر الكتب السماوية .. » ؟!

فتلك صفحة من صفحات نهضتنا الحديثة ـ وإن طواها الغزو الاستعمارى إلا أن تأملها ، واستخلاص دلالاتها في موضوعنا ، لابد وأن يفتح لنا السبيل الى الكلمة الحق والموقف العادل في هذا الموضوع .

● سبل النهضة الحضارية

إن الانغلاق الحضارى ـ فضلا عن استحالته العملية ـ هو اقصر الطرق لذبول الذين يفرضون على حضاراتهم أسوار العزلة والانغلاق ..

والتبعية الحضارية ، قاتلة للابداع ، ومفضية ، هي الأخرى ، إلى الذبول ، الذى يقنع أصحابه بتقليد القردة وتبعية العبيد والضعفاء ..

وليس كالتمييز بين ما هو « خصوصية حضارية » ـ فنحافظ عليها ـ وما هو « مشترك إنسانى عام » فنسعى لامتلاكه والتفوق فيه ، سبيلا للنهضة الحضارية المستقلة التي تحقق للأمة مكانا لائقا في « منتدى الحضارات العريقة » ، وإسهاما خلاقا في تنمية الفكر الانسانى العام ..

لقد قال رسولنا ، صلى الله عليه وسلم : « الحكمة : الاصابة في غير النبوة » ... وقال : « الكلمة الحكمة

ضالة المؤمن » أنىَّ وجدها فهو أحق بها .. لكنه نهى ، صلى الله عليه وسلم ، عن التقليد - [التشبّه] - الذى يمسخ الذات .. فقال : « من تشبه بقوم فهو منهم وقال : « ليس منا من تشبّه بغيرنا ... » .. واستنكر صنيع المتشبهين بالجاهلية ، فقال : « أو بصنع الجاهلية تشبُّهون ؟! »

كذلك قال فقهاؤنا : « إن شريعة من قبلنا شريعة لنا ، مالم تنسخ »

وقال الكندى الفيلسوف [٢٦٠ هـ ـ ٨٧٣م] : « خليق بنا أن لانخجل من الاعتراف بالحقيقة واستيعابها مهما كان مصدرها .. »

وكذلك قال ابن رشد : « إنه يجب علينا ان نستعين على ما نحن بسبيله بما قاله من تقدمنا فى ذلك .. سواء أكان مشاركا لنا فى الملة أو غير مشارك فإن كان كله صوابا قبلناه منهم ، وان كان فيه ماليس بصواب نبهنا عليه .. » .

اما جمال الدين الافغانى [١٢٥٤ - ١٣١٤ هـ ١٨٣٨ - ١٨٩٧م] فانه هو القائل : « إن أبا العلم وامه هو الدليل ، والدليل ليس أرسطو بالذات ولا جاليليو بالذات .. والحقيقة تلتمس حيث يوجد الدليل ... والتمدن الأوروبى ، هو فى الحقيقة تمدن للبلاد التى نشأ فيها على نظام الطبيعة وسير الاجتماع الانسانى .. ولا ملجىء للشرقى فى بدايته أن يقف موقف الأوربى فى نهايته .. ولابد من التمسك ببعض الأصول التى كان عليها آباء الشرقيين واسلافهم ... أما المقلدون ، فإنهم يشوهون وجه الأمة ، ويضيعون ثروتها ، ويحطون من شأنها .. إنهم المنافذ لجيوش الغزاة ، يمهدون لهم السبيل ، ويفتحون لهم الأبواب .. » !

★ ★ ★

لقد خلق الله سبحانه وتعالى ، الانسان « ذكرا » و« انثى » .. فالانسانية « مشترك عام » و« الذكورة » و« الأنوثة » ، « خصوصية » لكل من الذكر والأنثى ... تلك هى « القاعدة » و« الطبيعة » ... لكن الشذوذ يأتى بالهجين ، المفتقر الى وضوح القاعدة والطبيعة ، فيسميه فقهاؤنا وعلماؤنا بـ « الخنثى المشكل » ، لأنه ليس بالذكر ولا هو بالأنثى ....

وكذلك الحال فى الثقافات والحضارات .. بينها « المشترك الانسانى » الجامع .. وفى كل منها ماهو « خاص » .... فطوبى للذين يعون هذه الحقيقة ، فلا يطغى عليهم « شذوذ الانغلاق » ، ولايقعون أسرى « الغزو الفكرى » ، الذى يحول ضحيته الى « مشكل ثقافى » ؟! .. لا « هوية » تعرفه ، ولا « بصمة » تميزه عن الآخرين ! .

وفى الختام ... فإننا ننبه على ضرورة التمييز بين هذا الموقف الذى التزمناه ، والذى ندعو اليه وتزكيه .. عندما نميز بين « المشترك الانسانى العام » وبين « الخصوصية الحضارية » .. موقف اولئك الذين

لايرون في الحضارات الأخرى الا ماهو موضوع للنقد بل والهجاء ! ..

ذلك ان نقدنا لما ننتقد من سمات الحضارة الغربية ورفضنا لما نرفض من قسماتها . هو نقد لصلاحيته كي يكون من سماتنا الحضارية ، ورفض لاستعارته وتبنيه كي يكون من قسمات شخصيتنا القومية .. اما عن مدى صلاحيته في بيئته الغربية فتلك مهمة الغربيين وليست المهمة التي تعنينا ، بالدرجة الأولى ، فنحمل همومها الفكرية - فقد تكون الكثير من السمات والقسمات والأفكار والقيم « خصوصيات حضارية غربية » ، ملائمة للغرب ، نشأت ونمت هناك النشأة الطبيعية .. لكنها بالنسبة لنا تمثل النشاز والجسم المقحم بالقسر على طبيعة انساننا العربي والمسلم وخصوصيتنا الحضارية العربية الاسلامية ..

فالذين يتصورون الحضارة الغربية شرا مطلقا . هم أبعد ما يكونون عن التزام المنهج العلمي في التفكير ..

والذين يتصورون ان حضارتنا ، بكل سماتها ومكوناتها ، خير خالص ، إنما ينظرون في « الفكر » وإلى « الواقع » بعيون « الرومانسيين الحالمين » ! ..
والذين يحسبون إمكانية الاكتفاء الذاتي ، في الميدان الحضاري ، هم أبعد ما يكونون عن « فقه الواقع » المعاصر ، واستكناه شهادات الفكر وشهادات التاريخ ..

والذين يدعون الى تبني « النموذج الغربي » في الحضارة في مشروع نهضتنا التي نحاولها - هم إما جاهلون بقانون التمايز الحضاري .. وقانون التفاعل بين الحضارات أو خبثاء - ولانقول عملاء - تدعوهم الكراهية للاسلام - باعتباره جوهر الذاتية الحضارية المميزة للعرب والمسلمين - إلى تبني « التغريب » بديلا للاسلام الذي يكرهون ؟! ..
فلا « الانغلاق » أو « العداء » الحضاري ، بالموقف اللائق بالعقلاء .. ولا « التبعية » الحضارية ، بمفيدة أو ملائمة لمن يمتلكون « بصمة » حضارية تميزهم عن الآخرين ..
وإنما هو « التفاعل الحضاري » مع كل الحضارات .. مع إدراك مواطن وميادين « المشترك الانساني العام » الذي هو ميراث كل بني الانسان .. ومواطن وميادين « الخصوصية الحضارية » التي تحفظ على الحضارة العريقة ذاتيتها وهويتها كي لاتذوب في الآخرين .

* * *

اقول قولي هذا ، وأُذَكِّر الجميع ، علماء وقراء ، مؤيدين .. ومتحفظين .. ومعارضين .. بالحكمة النبوية التي توارثناها ، والتي غدت شعار العلم والعلماء في حقب الازدهار الحضاري لأمتنا .. والتي تقول : من اجتهد وأصاب فإن له اجرين .. ومن اجتهد فأخطأ فإن له أجرا واحدا . فالله - في كل الأحوال - لايضيع أجر المجتهدين .



بعد أن أشرق فجر الثورة، الدبابات فى الإسكندرية تحاصر قصر الملك

ماذا يقول الرجل الذى حاصر قصر الملك؟

عرض وتعليق د. أحمد عبد الرحيم مصطفى

برز اسم عبدالمنعم عبدالرؤوف فى عام ١٩٤١ بسبب اشتراكه فى مغامرة أحدثت ضجة حينذاك : فقد قاد هو وحسين ذوالفقار صبرى الطائرة التى أزمع الفريق عزيز المصرى أن يخرج بها من مصر لكى يلتحق بقوات المحور الموجودة فى ليبيا والتى كان يتولى قيادتها أحد ألمع الضباط الألمان خلال الحرب العالمية الثانية وهو إروين روميل الذى لعب دورا هاما فى إلحاق الهزيمة بفرنسا وإخراجها من الحرب فى عام ١٩٤٠ ثم أرسل إلى ليبيا بعد أن اتضح فشل الإيطاليين فى إدارة الحرب ضد القوات البريطانية الموجودة فى مصر. وكانت مهمة روميل الأصلية هى شغل بريطانيا وتحويل أنظارها عن جبهة البلقان التى تدفقت عليها القوات الألمانية التى كانت مهمتها هى حماية جناح جيوش الرايخ حين يجرى تنفيذ عملية "برباروسا" الهادفة إلى هزيمة الاتحاد السوفييتى والتمهيد للنصر الألمانى الذى لاحت بشائره فى الأفق.





الطيار نول عبدالمنعم عبدالرءوف

● أين التاريخ الصادق للتنظيمات السرية فى الجيش ؟

ومن الطبيعى أن يهتم المصريون بالحرب التى كانت رحاها تدور على مقربة من حدودهم خاصة أن الكثيرين منهم كانوا يتمنون أن تلحق الهزيمة ببريطانيا التى احتلت أراضيهم وسلبت استقلالهم منذ عام ١٨٨٢ ، وأن إذاعتى بارى وبرلين كانتا تلوحان للمصريين بالاستقلال وتنفى الأطماع المحورية فى البلاد وأن كثيرا من المصريين كانوا يبدون إعجابهم بالعسكرية الألمانية ويطربون حين تترامى إلى أسماعهم أنباء الهزائم البريطانية فى الصحراء الغربية ويبدون اعجابهم بخطط روميل "ثعلب الصحراء" . اما عزيز المصرى فكان قد لعب دوراً هاما فى الجمعيات السرية العربية التى تشكلت قبل الحرب العالمية الأولى وكانت تستهدف تحرير البلاد العربية من السيطرة العثمانية وقيام دولة عربية موحدة فى المشرق ، ثم انضم إلى الثورة العربية التى أعلنها الشريف حسين ضد الدولة العثمانية وبعد الحرب إستقر به المقام فى مصر حيث كان لا يزال يذكر الضباط الألمان الذين تلقى عليهم تدريبه العسكرى فى استانبول قبل الحرب العالمية الأولى ولا يخفى إعجابه بالعسكرية الألمانية وبالمانيا النازية منذ أن تولى مقاليدها أدولف هتلر وسار على نهج قومى متطرف . وفى عام ١٩٣٩ تولى

ماذا يقول الرجل الذى حاصر قصر الملك ؟

عزيز رئاسة أركان حرب الجيش المصرى وقرب اليه مجموعة من شباب الضباط الذين كان يوجههم توجيها وطنيا ويشربهم كراهية الانجليز حتى إذا كان عام ١٩٤١قرر الخروج من مصر لتنسيق الخطط مع الألمان . وكانت قد جرت محاولات للاتصال بقوات المحور فحلقت طائرة تقل طيارا مصريا وصف ضابط فوق منطقة تمركز القوات الألمانية فى الصحراء الغربية ، ولكنها أسقطت عن طريق الخطأ مما أدى إلى وفاة طاقمها . يضاف إلى ذلك أن الملازم أنور السادات الضابط بسلاح الاشارة كان على صلة بالألمان وبجواسيسهم وبعزيز المصرى مما أدى الى القبض عليه وطرده من القوات المسلحة المصرية - وحين بهر روميل الانظار باستيلائه على طبرق وتقدمه داخل الأراضى المصرية ازداد تعاطف المصريين مع ألمانيا من قبيل كرههم للانجليز ، وأقام الملك فاروق وبعض الساسة المصريين علاقات مع دولتى المحور فى الوقت الذى كانت فيه دوائر القصر الملكى "محورية الهوى" - بل لقد خرجت مظاهرات إلى شوارع القاهرة هاتفة "إلى الأمام ياروميل" وذلك فى أوائل عام ١٩٤٢ فى الوقت الذى كانت فيه المشاعر معادية للانجليز ليس فقط فى مصر بل ايضا فى المشرق العربى حيث جرت انتفاضة فى العراق فى عام ١٩٤١ تزعمها رشيد عالى الكيلانى الذى كان هو الآخر على صلة بالألمان قبل أن يتمكن الانجليز من إخماد الثورة العراقية(١) .

وسقطت الطائرة التى كانت تقل عزيز المصرى بعد إقلاعها بقليل وتخفى ركابها الثلاثة بعد نجاتهم ثم أمكن القبض عليهم ومحاكمتهم أمام مجلس عسكرى عال ولكن بعد أن أصبحوا أبطالا وطنيين مما جعل حكومة الوفد التى رأسها مصطفى النحاس فى أعقاب حادثة ٤ فبراير ١٩٤٢ المشهورة تفرج عنهم .

● انتماء وطنى

أما عبدالمنعم عبدالرؤوف كاتب المذكرات التى نقدمها إلى القراء فقد انتمى إلى أسرة من الطبقة الوسطى انخرط بعض أفرادها فى الخدمة العسكرية ، فى حين انضم هو حين كان طالبا بالدراسة الثانوية إلى جمعية سرية هى جمعية "اليد الخفية" التى تميز أعضاؤها بالميول الوطنية مما جعلهم يفجرون عدة قنابل لإلحاق الضرر بالانجليز . وفى عام ١٩٣٥ ، وهو فى سن الحادية والعشرين ، التحق بالمدرسة الحربية (الملكية) بدءا بقوة خفر السواحل وانتهاء بمدرسة الطيران العالى التى تخرج فيها فى عام ١٩٣٨ . وفى عام ١٩٤٠ تعرف على عزيز المصرى وأنور السادات وفى العام التالى اشترك فى مغامرة عزيز المصرى التى أشيع أنها كانت تستهدف الوصول إلى العراق لمساندة حركة رشيد عالى الكيلانى ضد الانجليز . وبعد تدخل النحاس لتبرئته عين مدرسا فى مدرسة المشاة لمدة ثلاث سنوات اعتبارا من عام ١٩٤٦ لتدريس فن التكتيك .

ومن أهم ماورد فى المذكرات ما اشار إليه مؤلفها حول علاقته بالتنظيمات السرية التى تشكلت فى صفوف الضباط

المصريين - وهو يورد أن المحرك الأول لجميع هذه المغامرات هو الفريق عزيز المصرى يسانده بعض قادة الحزب الوطنى وجمعية مصر الفتاة . ويذكر أحمد عيد مقدم المذكرات أن التنظيم الوحيد فى الجيش كان تنظيما ينتمى إلى جماعة الإخوان المسلمين وأن عبدالمنعم عبدالرؤوف أنشأه فى عام ١٩٤٢ بعد أن انضم إلى جماعة الإخوان المسلمين وشكل أول خلية فيه من جمال عبدالناصر وآخرين وأنه أطلق عليه اسم "تنظيم الضباط الإخوان" ، فى حين يذكر المؤلف أنه بدأ فى أوائل عام ١٩٤٣ فى إنشاء تنظيم داخل الجيش أطلق عليه اسم "تنظيم الإخوان الضباط" وذلك على اثر اللقاء الذى تم بينه وبين المرشد العام للإخوان المسلمين (حسن البنا) والصاغ محمود لبيب وكيل جماعة الإخوان ، والدكتور المهندس حسين كمال الدين ويضيف أن من بين من بايعوا معه على فداء الدعوة الإسلامية جمال عبدالناصر وكمال الدين حسين وخالد محيى الدين وأن حسن البنا عين الصاغ محمود لبيب ليكون حلقة الاتصال بين الاخوان المسلمين وبين تنظيم الإخوان الضباط .

ولا يذكر المؤلف الكثير عن نشاط هذا التنظيم حتى علم ١٩٤٨ الذى تشكلت فيه الكتيبة الأولى من متطوعى الاخوان المسلمين الذين أزمعوا مساندة الفلسطينيين بقوة السلاح فى مواجهة الأطماع الصهيونية والمؤامرات البريطانية وكان من بينهم كاتب هذه المذكرات الذى اشترك فى حرب ١٩٤٨ - ورغم ما يرويه عن بطولاته خلال الحرب فإن سياق رواياته لا يؤيد الأمجاد التى خلعها على نفسه خلال معركة العصلوج . وعلى أى حال فإن ماهو معروف عن تنظيم الضباط الأحرار يؤكد أن فكرة تشكيله قد راودت جمال عبدالناصر خلال حصار الفالوجا خاصة أن حرب فلسطين قد بينت لشباب الضباط مدى تردى الأوضاع فى مصر بوجه علم وبوجه خاص فى قواتها المسلحة وأن العدو الحقيقى يتمثل فى الملك وحكومته والقيادات التى فرضها على الجيش ولم تكن على مستوى الموقف .. وحتى الآن لا نستطيع أن نقطع بالفترة التى تشكل فيها تنظيم الضباط الأحرار : فهناك الروايات الرسمية المأخوذة عن جمال عبدالناصر إلى جانب روايات أنور السادات فى كتابه "البحث عن الذات" ، اضافة الى رواية عبدالمنعم عبدالرؤوف التى أوردها فى مذكراته - وغير ذلك مما ادعاه الكثيرون عقب نجاح حركة ٢٣ يولية ١٩٥٢ ، وملخص الأمر أن نشأة تنظيم الضباط الأحرار بحاجة إلى دراسة علمية وموضوعية تفصل القول فيما ادعاه الكثيرون بصدده وبخاصة إذا ما أمكن الاطلاع على الوثائق التى تنير الطريق أمام المؤرخين .

ويذكر عبدالمنعم عبدالرؤوف أن التنظيم الذى تأسس بمباركة من جماعة الأخوان المسلمين ظل يكبر ويقوى إلى أن اقترح الصاغ محمود لبيب فى عام ١٩٤٩ استبدال اسم تنظيم "الضباط الأحرار" الجديد باسم تنظيم الإخوان وذلك حرصا على ابعاد نقمة الملك والحكومة عن جماعة الأخوان المسلمين بعد عودة الجيش من حرب فلسطين . وبعد اغتيال حسن البنا

ماذا يقول الرجل الذى حاصر قصر الملك؟

ظهرت حركة عصيان وتفكك فى النظام الخاص للإخوان المسلمين وفى مارس ١٩٤٩ عادت القوات المحاصرة فى الفالوجا ومنهم جمال عبدالناصر وبعض الضباط المنتمين إلى جماعة الاخوان المسلمين . ويذكر المؤلف أن عدة اجتماعات عقدت برئاسة محمود لبيب تقرر فيها مايلى :

- الثأر لمقتل حسن البنا .
- الحذر من أفراد الحرس الحديدى الذى شكله الملك من بعض ضباط القوات المسلحة وبذل الجهود لمعرفة كل شىء عن أفراده[٢] .
- **وجوب التخلص من النظام الملكى واستبدال نظام إسلامى به .**
- **الاستمرار فى التدريب ومد الإخوان المسلمين بالذخائر والأسلحة والمفرقعات لطرد الانجليز من مصر .**

وبهذا الصدد يشير المؤلف إلى وقوع خلاف بينه وبين جمال عبدالناصر الذى رأى بعد عودته من حرب فلسطين أن القيام بانقلاب يقتضى جمع أكبر عدد من الضباط "من كل من هب ودب" - حسب تعبيره (ص٧٠) حول التنظيم فى حين أبدى هو اعتراضه على بعض الأشخاص بسبب عدم ارتياحه إلى أخلاقياتهم وعلى قيام عبدالناصر ببعض الأعمال التى لا تتفق مع أهداف التنظيم بل وتعرضه للاخطار . **وهو يجزم بأن عبدالناصر كان حتى اوائل ١٩٤٩ لايزال ينتمى إلى جماعة الإخوان المسلمين وتدريبهم مما ادى إلى استدعائه فى مايو ١٩٤٩ الى مكتب رئيس الوزراء إبراهيم عبدالهادى واتهامه بهذا الانتماء ولو أنه استطاع نفى التهمة . وفى سبتمبر ١٩٤٩ ابلغ عبدالناصر المؤلف أنه يريد القيام بانقلاب وانه لا يستطيع تجميع الضباط حول مبادىء الإخوان المسلمين واتباع نفس الأسلوب "المتزمت" فى اختيارهم .** كما يشير إلى أن الخلاف بينه وبين عبدالناصر اشتد قبل عام ١٩٥٢ لأنه - أى المؤلف - كان يريد من تنظيم الضباط الأحرار أن يكون مرتبطا عضويا بالإخوان المسلمين ، بينما كان عبدالناصر يصر على أن يكون التنظيم مستقلا عن كل الأحزاب والجماعات وأن يستقيل كل ضابط ينضم اليه من الحزب أو الجماعة التى كان مرتبطا بها من قبل ، وأنه بعد أن رفض هذا العرض واصر على عضويته بجماعة الأخوان المسلمين أسقط عبدالناصر عضويته فى تنظيم الضباط الأحرار . وكانت النتيجة ، من وجهة نظره ، هى أن التنظيم لم يتصف بالانسجام والأخلاق الحميدة والالتزام الايديولوجى الذى كان هو يصر على أن يكون على نهج الإخوان المسلمين .

● تشويه للحقائق

ولما كان عبدالمنعم عبدالرؤوف مستمسكا بالبقاء عضوا نشطا فى جماعة الاخوان المسلمين فإنه لم يلعب أى دور فى حركة ٢٣ يولية ١٩٥٢ ، التى أفضت إلى سيطرة "الضباط الأحرار" على القاهرة بعد أسرهم لكبار قادة الجيش الذين عقدوا اجتماعا فى قيادة القوات المسلحة للبت فى "التمرد" الذى لاحت بوادره فى الجيش . ولكن مع ذلك صدرت إليه التعليمات للانضمام الى القوات التى اعدت فى القاهرة للسيطرة على

الإسكندرية وكان يتولى قيادتها زكريا محيى الدين . ورغم أن المؤلف اشترك مع غيره فى حصار قصر راس التين الى أن تنازل الملك فاروق عن العرش فإنه يضيف إلي عنوان المذكرات عنوانا آخر جانبيا هو "أرغمت فاروق على التنازل عن العرش" ويلمح إلى أن حقه قد غمط بهذا الصدد خاصة وأن زكريا محيى الدين مزق كشفا بأسماء الضباط الذين اشتركوا فى تنفيذ عملية الحصار ، بل انه يذهب إلى أن الظروف والملابسات اثبتت "إصرار مجلس قيادة الثورة وجهاز مخابرات الجيش على طمس اسمى وتاريخى من أى عمل مجيد وتشويهه فى بعض الحالات" ، وذلك دون أن يقر بأن انتماءاته السياسية والدينية كانت من وراء استبعاده من الاشتراك فى حركة ٢٣ يولية ١٩٥٢ ، وخاصة أن عضويته فى تنظيم الضباط الأحرار كانت قد أسقطت قبل تنفيذ الانقلاب وأن يكن يذكر فى موضع آخر انه أبعد عن التنظيم فى أول أغسطس ١٩٥٢ ويعلل ذلك بما أشيع من أنه رجل خطير يعمل مع الاخوان المسلمين على الاعداد لانقلاب خاصة وأن زملاءه فى التنظيم توجسوا خيفة منه لأنه صرح بأنه طالب بالنقل من الكتيبة ١٩ إلى الكتيبة ١٧ المسلحة والمدربة .

وعلى أى حال فقد كلف بقيادة وتدريب قوة بوليس حدود فلسطين التى يدعى أنها كانت مقدمة لتأسيس منظمة "فتح" . ولم يلبث بعد ذلك أن حول على المعاش ثم قبض عليه فى أوائل ١٩٥٤ وأودع السجن الحربى ثم سجن الأجانب نتيجة لنشاطه فى دوائر الاخوان المسلمين وبين زملائه الضباط خاصة وأنه كلف من جانب المرشد العام للإخوان المسلمين بتنظيم وتدريب النظام الخاص للاخوان وأنه أبدى حرصه على ضرورة الاستعداد المنظم لتوجيه ضربة قاصمة الى مجلس قيادة الثورة (ص ١٠٤) ثم قدم للمحاكمة أمام محكمة الشعب بتهمة ترتيب عملية الحزام الناسف لقتل جمال عبدالناصر فى المنشية بالاسكندرية واعتباره أحد قادة التنظيم السرى للاخوان المسلمين . وفى



حريق القاهرة .. اللغز الابدى

ماذا يقول الرجل الذى حاصر قصر الملك ؟

خلال تقديمه للمحاكمة جرت مقابلة بينه وبين الدكتور حسين كمال الدين عضو مكتب الارشاد بجماعة الاخوان المسلمين وفى أثنائها اقترح الاسراع فى تنظيم خمسمائة من الاخوان المدربين وتسليحهم تسليحا كاملا على أن يتولى قيادتهم ويقوم بالقضاء "على هذا الحكم الفردى القائم وزعمائه" . وأخيرا تمكن من الهرب من السجن واللجوء إلى لبنان فالأردن وتركيا وأن يكن قد استقر به المطاف فى النهاية فى لبنان . وهو يشير إلى أن أعداء عبدالناصر قد حاولوا فى البلدان التى عاش بها فى المنفى أن يغروه بمهاجمة النظام القائم فى مصر وأنه رفض كل العروض التى قدمت له برغم ظروفه الصعبة وذلك حرصا منه على الا يخون بلاده . وقد بقى فى المنفى حتى عام ١٩٧٢ حين ألغى السادات كافة الأحكام الصادرة ضده وما ترتب عليها . وبقى بعد ذلك مغمورا الى أن توفى فى يولية ١٩٨٥ عن واحد وسبعين عاما .

★★★

والمذكرات التى عرضنا لأهم ماجاء فيها ليست فى مستوى غيرها مما كتبه شهود حركة ٢٣ يولية ١٩٥٢ : إذ يشوبها كثير من التكرار والافتقار إلى التنظيم بحكم أن كاتبها قد سطر بعضها فى أوقات متفاوتة وأنه ربما استكملها فى أواخر حياته حيث أثر فيه المرض والاغتراب والمرارة . ولعل أبرز عمل قام . هو اشتراكه فى مغامرة تهريب عزيز المصرى وانخراطه فى التنظيمات السرية فى دوائر الضباط والاخوان المسلمين . وتستطرد المذكرات فى العرض لعمليات الهرب والتخفى التى قام بها فى العهدين الملكى والجمهورى فى داخل مصر وفى خارجها كما تشير إلى اتصالاته بفلول الاخوان المسلمين الذين هربوا إلى خارج مصر بعد أن وجه اليهم النظام الجديد ضربة قاضية .

وانتماء عبدالمنعم عبدالرؤوف الى جماعة الاخوان المسلمين وايمانه بمنطلقاتهم ومحاولته تنفيذ خططهم قد كيفا نظرته الى الاحداث والأشخاص وهو يرى أن لجمال عبدالناصر مزايا وعيوب : "أما المزايا فهى طموحه وكرمه وأما عيوبه فهى حقده وخبثه وقسوته" . وفى معرض حديثه عن عبدالناصر يورد (ص٢٨٣) ملحوظة هامة عن نشاط زعيم الضباط الأحرار قبل الثورة : فهو يروى أن عبدالناصر أبلغه فى نهاية عام ١٩٤٩ أنه استولى من الجيش على مادة ت ن ت من داخل المخازن بمعرفة بعض أعضاء التنظيمات العسكرية داخل الجيش وأنه كان ينوى استخدام هذه المادة فى حرق أجزاء من العاصمة .. "وكانت هذه المواد داخل بيوت عبدالناصر وبعض اعضاء التنظيم .. وفى حريق القاهرة اتهمت السفارة البريطانية تارة والملك فاروق تارة واتهم آخرون تارة ثالثة وكان ذلك من أنواع التضليل" . وبهذه المناسبة فإن الوثائق البريطانية التى اطلعت عليها فيما يتعلق بحريق القاهرة توجه الاتهام صراحة إلى الاخوان المسلمين وإلى أحمد حسين زعيم جماعة مصر الفتاة وحكومة الوفد القائمة آنذاك مما يدل على

عدم صحة اتهام الانجليز بتدبير الحريق . أفليس من المحتمل أن يكون عبدالناصر ورفاقه هم الذين قاموا به بهدف إيجاد حالة من القلق تعجل بالانقلاب المزمع تنفيذه ؟

وفي المذكرات ملحوظات عن بعض المعروفين من الضباط الأحرار لا تتصف بالعمق بل لا تعدو أن تكون سردا لبعض الأحداث لا يخلو من المرارة والنقد ولو أن ما يتصل منها بالقائمقام يوسف منصور صديق الذى لعب دورا هاما لم يلق عليه كثير من الأضواء فى ليلة ٢٣ يولية ١٩٥٢ يتضمن قدرا من الثناء قد يكون مرده أن يوسف يشبه كاتب هذه المذكرات في كونه قد صفي من تنظيم الضباط الأحرار فى بداية الثورة بسبب دعوته الى عودة الجيش إلى ثكناته ودفاعه عن الديمقراطية وميوله الماركسية[٣]

ورغم بعض الماخذ التى سجلناها عن هذه المذكرات فإنها لا تخلو من إضافات إلى تاريخ مصر المعاصر وثورة ٢٣ يولية ١٩٥٢ . وحبذا لو خرج إلى حيز النور غير ذلك من المذكرات وجرى تنسيقها وضبطها بعد الحد من نرجسية من كتبوها . وحبذا أيضا لو اتيح الاطلاع على ما يمكن الاطلاع عليه من الأوراق الرسمية بحيث تؤدى حصيلة كل ذلك إلى التوصل إلى الحقيقة النسبية المتعلقة بتنظيم الضباط الأحرار خاصة وقد هدأت العواصف والانفعالات وبارح الكثيرون مسرح الأحداث سواء بسبب وفاتهم أو ظروفهم الصحية او ايثارهم البعد عن الحياة العامة .

وهناك كلمة أخيرة عن هذه المذكرات هى ما نمى الى علمي خلال كتابة هذا العرض من ان من قاموا على نشرها قد قاموا بحذف قدر لا يستهان به منها لسبب أو لآخر وهذا إجراء لا يقره المؤرخ بحكم ان من يقومون بالحذف قد يستبعدون من المادة التاريخية ماقد يلقى أضواء على الأحداث والأشخاص وهذا مايتنافى مع الأمانة العلمية . وكان من الممكن فى سياق تقديم المذكرات ان يشار إلى ذلك وبيان أسبابه .

هوامش

(١) عن تفاصيل كل ذلك راجع كتاب لوكاز هيرزويز : " المانيا الهتلرية والمشرق العربى " الذى قمت بترجمته ونشرته دار المعارف .

(٢) تشير بعض المصادر إلى ان انور السادات كان على صلة بالحرس الحديدى والدكتور يوسف رشاد طبيب الملك الذى كان مسئولا عن هذا التنظيم الذى كان الهدف منه تشديد قبضة الملك على الجيش .

(٣) صرح يوسف صديق لكاتب المذكرات بأنه "يؤمن بالماركسية فى الاقتصاد فقط وفى نفس الوقت يؤمن بالله الواحد الأحد" .

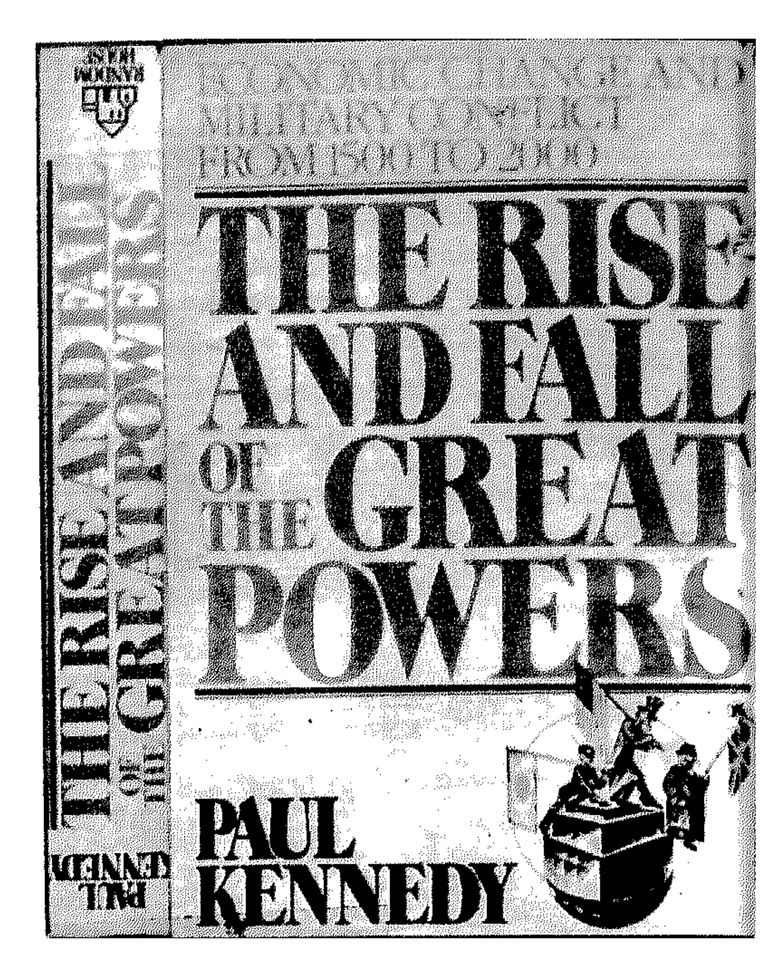
صعود وسقوط القوى العظمى

عرض وتقديم
د. السيد أمين شلبى

ربما لم يثر كتاب صدر فى الولايات المتحدة فى السنوات الأخيرة مثلما اثاره هذا الكتاب الذى وضعه بول كنيدى المؤرخ والاستاذ فى جامعة بيل الامريكية . فعلى مدى الشهور الاخيرة ومنذ صدوره ، وموضوعه محل نقاش واسع عريض ، ونادرا ما عقد الكونجرس الأمريكى جلسات استماع لمناقشة كتاب مثلما عقد لمناقشة هذا الكتاب ومؤلفه . بل أن موضوعه ـ وخاصة فيما يتعلق فيه بأوضاع ومستقبل الولايات المتحدة ، قد استخدمه المرشحون للرئاسة الامريكية فى حملاتهم الانتخابية .

● والواقع أن هذا الاهتمام الواسع بهذا الكتاب لم يكن حول استعراضه التاريخى العريض لأوضاع القوى العظمى منذ عصر النهضة ودورات صعودها وسقوطها والعوامل والقوى العسكرية والاقتصادية التى كانت وراء ذلك ، انما كان الاهتمام أساسا حول الفصول التى خصصها لمناقشة القوى العظمى فى عالم اليوم : الولايات المتحدة ، والاتحاد السوفييتى ، وغرب أوربا ، واليابان ، والصين ، وبشكل خاص الولايات المتحدة بوصفها القوة العظمى الاولى منذ ظهور النظام الدولى لما بعد الحرب الثانية والتغييرات العسكرية والاقتصادية التى تتعرض لها اليوم وإمكانات احتفاظها بهذا المركز الدولى فى المستقبل

وباعتبار أن هذا العمل الضخم ـ الذى خصص له صاحبه ٧ سنوات لكتابته ـ يبحث ويتتبع كيف صعدت وسقطت القوى



العظمى عبر القرون الخمسة الماضية فقد كان من الطبيعى ان يعنى بالحروب وخاصة الكبيرة منها ، والصراعات التى خاضتها وتحالفاتها وتأثيرها على النظام العالمى ، ومع هذا فهو ليس بالتحديد كتابا عن التاريخ العسكرى ، كذلك رغم انه يهتم بتتبع التغيرات التى حدثت فى التوازنات الاقتصادية العالمية منذ عام ١٥٠٠ ، ومع هذا فهو ليس عملاً فى التاريخ الاقتصادي ، اما ما يركز عليه الكتاب فهو :

علاقة التأثير المتبادل بين الاقتصاد والاستراتيجية خلال محاولة كل من الدول العظمى دعم قوتها وثروتها لكى تصبح أو تظل قوية وغنية معا .

وعلى هذا فان «الصراع العسكرى» الذى يشير اليه عنوان الكتاب الفرعى انما يدرس دائما فى سياق «التغيير الاقتصادى» فانتصار واحدة من القوى العظمى فى الفترة موضع الدراسة ، او انهيار اخرى ، كان دائما نتيجة حرب طويلة خاضتها قواتها المسلحة ، ولكنها كانت ايضا نتيجة الاستخدام الاكثر أو الأقل كفاءة لموارد الدولة الانتاجية فى زمن السلم ، وأكثر من هذا للطريقة التى يتقدم أو يتراجع بها اقتصاد الدولة نسبة للدول الكبرى الاخرى خلال الحقب التى سبقت الصراع الفعلى .

لهذا السبب تعتبر الدراسة أن كيفية تغير وضع الدولة فى زمن السلم هو بنفس اهمية كيف حاربت فى زمن الحرب ، ومن هنا كان تركيزها على أهمية الاساس الاقتصادى للبناء العسكرى ، فتعتبر أن الأمة بدعمها لقواها الانتاجية فانها ستجد من السهولة تحمل عبء الانفاق على جيوش واسعة واساطيل فى زمن الحرب ، فالثروة مطلوبة لدعم القوة العسكرية ، كما ان القوة العسكرية ضرورية لحماية الثروة . غير انه اذا ما تحول جزء كبير من موارد الدولة من عملية خلق الثروة الى الاهداف العسكرية فإنه من المحتمل ان يؤدى هذا الى اضعاف القوة القومية على المدى الطويل ، وبنفس المعنى ، اذا ما توسعت الدولة استراتيجيا بغزوها لاقاليم واسعة أو شن حروب مكلفة ، فان المزايا التى يمكن أن تترتب على هذا التوسع قد يثبت انها اقل مما بذل فيها من نفقات ، وهو مأزق قد يصبح حادا اذا ما كانت هذه الدولة قد دخلت فى مرحلة التراجع الاقتصادى ويؤكد الكاتب نظريته تلك بشواهد منذ تاريخ صعود وسقوط قوى كبرى منذ القرن ١٦ مثل أسبانيا ، وهولندا ، وفرنسا والامبراطورية البريطانية ، ثم يطبق احتمالاتها القائمة

وخاصة على الولايات المتحدة ، باعتبار انها تمثل القوة العظمى رقم ١ ، اذا لم توفر لنفسها ظروفا معينة وحيث تظهر هذه الشواهد على المدى الطويل علاقة هامة بين القدرات الانتاجية وخلق الموارد من ناحية ، وبين القوة العسكرية من ناحية اخرى

ويدرك المؤلف ما سوف يتعرض له منهجه من نقد من حيث تغليبه للعنصر الاقتصادي والعامل المادى فى تقرير أوضاع القوى العظمى ومستقبلها فيقرر منذ البداية أنه رغم اهتمامه بتتبع «الاتجاهات العريضة » فى الشئون الدولية عبر القرون الخمسة الأخيرة ، فانه لايقول ان الاقتصاد دائما يقرر كل حدث أو أنه السبب الوحيد فى نجاح أو فشل كل أمة فهناك أسباب أخرى مثل الجغرافيا ، والتنظيم العسكرى ، والحالة المعنوية للأمة ، ونظام التحالفات وعديد من العوامل التى يمكن أن تؤثر جميعها فى القوة النسبية لاقتصاديات الدول ، الا أن هذا لايمنعه من أن يقول أنه مما لانزاع فيه أنه فى الحروب الطويلة بين القوى العظمى ، فان النصر كان فيه دائما حليف الجانب الذى يمتلك قاعدة انتاجية أكثر ازدهارا .

ولأن مركز القوة للدول العظمى قدساير بشكل وثيق مركزها الاقتصادى النسبى عبر القرون الخمسة الماضية ، فانه مما يجدر التساؤل عنه هو المعانى التى تحملها الاتجاهات الاقتصادية والانتاجية والتكنولوجية اليوم بالنسبة لميزان القوى الحالى ، وهو فى هذا يبحث فى وضع القوى العظمى لعالم اليوم من حيث عناصر القوة والضعف فى مكوناتها الاقتصادية والانتاجية والتكنولوجية والعسكرية ومدى مساهمة هذا كله فى استمرار وضعها فى النظام الدولى المعاصر كقوى عظمى .

● دروس الماضى

غير ان الكاتب قبل أن يفعل هذا ، يعود الى التاريخ لكى يستخلص دروسه باعتبار « أن أفضل وسيلة لفهم ما ينتظرنا فى المستقبل هو النظر الى الماضى ..» ولكى يرصد القوى الرئيسية التى حكمت عملية صعود وسقوط القوى العظمى ، ومن خلال المسح التاريخى لهذه العملية عبر القرون الخمسة الماضية ، يستخلص اتجاهين رئيسيين .

الاتجاه الأول : أن هناك دائما ديناميكية التغير مدفوعة اساسا بالتطورات الاقتصادية والتكنولوجية التى تؤثر حينئذ على الهياكل الاجتماعية ، والنظم السياسية والقوة العسكرية ، وعلى مركز الدول والامبراطوريات . على ان سرعة هذا التغير الاقتصادى العالمى لم يكن على صورة واحدة ذلك أن مدى التجديد التكنولوجى والنمو الاقتصادى ذاته غير منتظم ومشروط بظروف المكان والمناخ والحروب والاطار الاجتماعى وهكذا . كذلك اختبرت مناطق وتجمعات مختلفة عبر العالم معدلا سريعا أو بطيئا من النمو معتمدة فى ذلك ليس فقط على الانماط المتغيرة للتكنولوجيا والأنتاج . والتجارة ، ولكن أيضا على مدى تقبلها للطرق الجديدة لزيادة ثروتها وانتاجها .

أما الاتجاه الثانى : فهو ان هذا المعدل غير المنتظم للنمو الاقتصادى كان له اثر حاسم طويل الأجل على القوة العسكرية النسبية والمركز الاستراتيجى لأعضاء النظام الدولى . فلم يكن العالم فى حاجة لأن ينتظر انجلز لكى يكتشف له ان « لا شىء أكثر اعتمادا على الظروف الاقتصادية من الجيش والبحرية » كان هذا واضحا بالنسبة لامراء عصر النهضة كما هو واضح اليوم لقادة البنتاجون ولادراكهم ان القوة العسكرية تعتمد على الموارد الكافية للثروة التى تنبع بدورها من قاعدة انتاجية مزدهرة ، ومن مصادر تمويل صحية ، ومن تكنولوجيا متقدمة . ورغم أن مؤشرات التاريخ لاتعنى دائما ان الازدهار الاقتصادى يترجم نفسه وعلى الفور الى فعالية عسكرية ، تظل الحقيقة ان كل التحولات الكبرى فى التوازنات العسكرية فى العالم كانت تالية لتغيرات فى التوازنات الانتاجية ، وأبعد من هذا فان ارتفاع وسقوط الامبراطوريات المختلفة كانا نتيجة لحروب القوى العظمى حيث كان النصر دائما معقودا للجانب الثرى الذى يمتلك أعظم الموارد المادية

● التاريخ والتنبؤ

ماذا تعنى هذه المؤشرات والدروس التاريخية لما سيكون عليه العالم والقوى الدولية على مدى العشرين أو الخمسة وعشرين عاما القادمة . يقول الكتاب أنه رغم أن التقديرات حول ما سيكون عليه العالم فى هذه الفترة قد تخطىء ، فإن هذا لايمنع من التوقعات التى تستند على التطورات العريضة القائمة الآن . فى هذا الاطار فانه من المعقول ان نتوقع استمرار واحد من التيارات الواضحة التى تجرى الآن الا وهى صعود منطقة الباسفيك ، ذلك ان التطور فيها يقوم على أساس عريض ، فهو لايتضمن فقط اليابان تلك القوة الاقتصادية الضخمة وانما ايضا العملاق الذى يتغير بسرعة وهو الصين الشعبية ، وليس فقط تلك الدول المزدهرة والصناعية التى استقرت مثل استراليا ونيوزيلاندا بل أيضا الدول الصناعية الجديدة التى حققت نجاحا ضخما مثل تايوان وكوريا الجنوبية ، وهونج كونج ، وسنغافورة ، وكذلك دول مجموعة الآسيان ، ومع امتدادات هذه المنطقة فى الولايات الباسفيكية من الولايات المتحدة وولايات من كندا ، وقد شجع النمو الاقتصادى فى هذه المنطقة الواسعة مزيج سعيد من العوامل : من ارتفاع ملحوظ فى الانتاجية الصناعية المتجهة الى التصدير ، الأمر الذى أدى بدوره الى زيادات ضخمة فى التجارة الخارجية ، وحركة الملاحة ، والخدمات التمويلية والتحول نحو أحدث التكنولوجيا والانتاج الرخيص القائم على العمالة الكثيفة وجهود بالغة النجاح لزيادة الانتاج الزراعى وبشكل اسرع من نمو السكان . وقد تداخل كل نجاح من هذا مع الآخر بحيث انتج فى النهاية معدلا من التوسع الاقتصادى الذى تفوق على توسع القوى الغربية التقليدية ، وكذلك مجموعة الكوميكون . لذلك لم يكن غريبا ان يتنبأ أحد الاقتصاديين بثقة ان منطقة الباسفيك بأسرها التى تمتلك الان ٤٣ ٪ من مجموع الانتاج العالمى ، سوف تمتلك بحلول عالم

٢٠٠٠ لـ ٥٠٪ من هذا الانتاج ويستخلص «ان مركز الجاذبية الاقتصادية فى العالم يتحول بسرعة نحو آسيا والباسفيك حيث تأخذ منطقة الباسفيك مكانها كأحد المراكز الرئيسية فى القوة الاقتصادية العالمية »

بالاضافة الى هذا التطور المتوقع ، فانه من المعقول ايضا أن نفترض ان الحقب القليلة القادمة سوف تشهد استمرارا لاتجاه عريض وان كان أقل جاذبية الا وهو الثمن المتصاعد لسباق التسلح الذى سيغذيه ارتفاع اثمان نظم الاسلحة الحديثة ، وتزايد المعدات والمنافسات الدولية . فقاذفة القنابل ثمنها الآن مائتى مرة ثمنها فى الحرب العالمية الثانية . وهكذا الحال مع اسلحة اخرى مثل الطائرة المقاتلة التى ارتفع ثمنها مائة مرة ، وحاملة الطائرات عشرين مرة ، والدبابات ١٥ مرة ، مما كانت عليه اثمانها فى الحرب العالمية الثانية .

● المدفع والزبد

فى ضوء هذا التطور الأخير ، فإنه مالم يكن هناك عدو يطرق الباب ، فان الانفاق العسكرى فى هذا القرن انما يثير دائما نقاشا حول قضية المدفع مقابل الزبد ، كما يثير ، وان كان بشكل اقل علانية ، قضية العلاقة السليمة التى يجب ان تقدم بين القوة الاقتصادية والقوة العكرية ، الامر الذى يثير التناقض بين بحث امة ما عن الأمن الاستراتيجى بما يتطلبه من اسلحة حديثة ومن تحويل لموارد واسعة الى القوات المسلحة ، وبين بحثها عن الأمن الاقتصادى بما يعنيه من رخاء اقتصادى يعتمد على النمو الذى يتحقق بدوره من خلال اساليب جديدة للانتاج وخلق للثروة .

هذا التوتر بين الهدفين : الأمن الاستراتيجى ، والأمن الاقتصادى ربما يأخذ شكلا حادا فى نهاية القرن العشرين بسبب وجود نماذج حققت نجاحا بارزا واختارت وركزت على الأمن الاقتصادى وخاصة فى آسيا مثل اليابان وهونج كونج ، واقطارا مثل سويسرا والسويد والنمسا التى تؤكد سياستها الخارجية على العلاقات السلمية والتجارية ، ونتيجة لهذا فقد عملوا على خفض الانفاق الدفاعى ولكن فى الشكل الذى يتفق مع المحافظة على السيادة الوطنية وبهذا تتحرر الموارد الاقتصادية وتوجه للانفاق الداخلى والاستثمار الرأسمالى ، ومن ناحية اخرى هناك الاقتصاديات التى صبغت بالصبغة العسكرية مثل فيتنام ، وجنوب شرق آسيا ، وايران والعراق واسرائيل وجيرانها والاتحاد السوفييتى نفسه وجميعهم قد خصصوا اكثر من ١٠ ٪ من مجموع انتاجهم القومى للانفاق العسكرى كل عام حيث يعتقدون بشدة ان هذه المستويات من الانفاق ضرورية لضمان الأمن العسكرى والغايات السلمية .

بين هذين النموذجين من الدول التجارية والدول المحاربة يوجد القدر الأكبر من دول العالم والتى ليست مقتنعة أن العالم آمن بما فيها الكفاية وبشكل سمح لها بخفض انفاقها الدفاعى ، ولكنها

فى نفس الوقت لاتشعر بالاطمئنان للثمن الاقتصادى والاجتماعى العالمى للانفاق الدفاعى ، وتدرك أن هناك علاقة ما بين الأمن العسكرى القصير الأجل ، وبين الأمن الاقتصادى الطويل الأجل .

من أجل هذا يصبح التحدى الضخم الذى يواجه ـ معظم ان لم يكن كل النظم فى العالم ـ تحديا ذا ثلاثة وجوه : (أ) بضمان القدر الكافى من الأمن العسكرى (ب) باشباع الحاجات الاقتصادية والاجتماعية لمجتمعها (جـ) بضمان النمو المستمر .

ويبدو تحقيق هذه الوجوه الثلاثة معا وفى فترة زمنية متصلة أمرا بالغ الصعوبة ، ومع هذا فان تحقيق الهدفين الأول والثانى مع إهمال الهدف الثالث وهو النمو انما سيؤدى الى تراجع نسبى على المدى الطويل وهو ما كان مصير المجتمعات والقوى التى تمت بشكل بطىء وفشلت فى التوافق والتكيف مع ديناميكية القوى العالمية .

عند هذه النقطة يتجه الكاتب الى وجهته الرئيسية وهى : التساؤل عن امكانات القوى الخمس الكبرى فى عالم اليوم على مواجهة هذا التحدى ذى الوجوه الثلاثة ، وكيف ستتمكن من معالجة التوتر الكامن بين متطلباتها ، والى اى حد تستطيع ، وخاصة القوتين العظميين ، الاحتفاظ بمكانتيهما ، وهى مقبلة على القرن الواحد والعشرين بفروضه وتحدياته .

غير أن الكاتب قبل أن يبحث فى امكانات كل قوة ينبه بوجه عام انه ليس هناك حل كامل لهذا التوتر بين الاوجه الثلاثة ، وربما كان افضل ما يمكن تحقيقه هو ابقاء الاهداف الثلاثة فى تناسق تقريبى ، غير ان التوصل الى هذا التوازن سوف يتأثر بشكل كبير بالظروف القومية الخاصة وليس بالتحديد النظرى للتوازن ، فالدولة المحاطة بجيران معادين سترى أنه من الأفضل لها أن تخصص جانبا من مواردها للأمن العسكرى أكثر من الدولة التى لاتشعر بتهديد عسكرى مباشر . والدولة الغنية بالموارد الطبيعية ستجد من الممكن أن تلبى احتياجات الزبد والمدفع معا ، والمجتمع الذى يتجه الى النمو الاقتصادى واللحاق بالآخرين سيكون له أولوياته المختلفة عن ذلك الذى يقف على حافة الحرب . فالجغرافيا ، والسياسة ، والحضارة تؤكد جميعا أن الحل الذى ستتبعه دولة ما لن يكون بحال هو الحل الذى تتبعه دولة أخرى ، ومع هذا يبقى المبدأ الرئيسى وهو .

انه بدون توازن تقريبى بين المتطلبات الثلاث : الدفاع ، والاستهلاك ، والاستثمار ، فانه من غير المحتمل ان تحافظ قوة عظمى على مكانتها لمدة طويلة .

● الصين والتوازن

قد لاتبدو الأهداف الثلاثة المتصارعة : من تحديث السلاح ، والاستجابة للاحتياجات الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع ، والحاجة الى توجيه كل المصادر المتاحة الى مشروعات انتاجية غير عسكرية ، قد لاتبدو أكثر وضوحا

وضغطا مما تبدو اليوم فى الصين ، والتى هى فى نفس الوقت افقر الدول الكبرى ، وأكثرها حرجا من حيث الموقع الاستراتيجى . غير انه اذا كانت الصين تعانى من صعاب مزمنة ، فان قيادتها الحالية تبدو أنها تطور استراتيجية كبرى اكثر تماسكا فى مجموعها وفى تطلعها الى المستقبل من تلك التى تطبق فى موسكو أو واشنطن أو طوكيو ودعك من أوربا الغربية . وفى الوقت الذى تبدو فيه الضغوط المادية على الصين عظيمة ، فان هذه الضغوط تواجه بتوسع اقتصادى ، اذا ما استمر ، فإنه يعد بنقل الصين نقلة كبرى فى حقب قليلة

وتبدو نقاط ضعف الصين معروفة جيدا ، سواء كانت دبلوماسية أو استراتيجية من حيث القوى التى تحيط بها سواء كانت اليابان أو الاتحاد السوفييتى أو حتى الولايات المتحدة رغم الجسور التى قامت بينها ، وتواجه الصين هذا الوضع فى وقت ليست فيه على نفس القوة العسكرية والاقتصادية للقوى التى تواجهها . ورغم الحجم العددى لجيش الصين فان اسلحته ومعداته ليست الا صورا محلية للنماذج الروسية أو الغربية ، واقتصاديا مازالت الصين تبدو متخلفة كثيرا عن المستويات المتقدمة فدخل الفرد فيها يبلغ ٥٠٠ دولار مقارنة بـ ١٣٫٠٠٠ فى كثير من الاقطار المتقدمة ، ٥٠٠ دولار فى الاتحاد السوفييتى . ومع احتمال تزايد سكان الصين من بليون الى ١٫٣ بليون عام ٢٠٠٠ ، فان امكان زيادة كبيرة فى الدخل الفردى قد لاتكون كبيرة .

يضاف الى هذا صعوبة حكم هذه الدول الكبرى سكانيا وجغرافيا والتوفيق بين القوى المختلفة : الجيش ، الحزب ، البيروقراطية ، الزراع ، وتحقيق نمو بدون اثارة غليان اجتماعى وايديولوجى

● سجل مؤثر

غير انه رغم هذا كله فان مؤشرات الاصلاح والتقدم الذاتى فى الصين خلال السنوات الثمانية الماضية تبدو مشجعة جدا وتوحى بأن عهد دنج سياو بنج قد ينظر اليه يوما ما بالشكل الذى رأى فيه المؤرخون عصر كولبرت فى فرنسا ، أو المراحل الأولى لحكم فردريك ، أو اليابان فيما بعد عصر الميجى ، أى الدولة التى تجهد نفسها لتطوير قواها (بكل معانى الكلمة) وبكل الوسائل العملية موازنة الرغبة فى تشجيع المشروع الخاص والمبادرة والتغيير بتصميم من الدولة على توجيه الاحداث حتى تتحقق الأهداف الوطنية بأقصى درجة من السرعة والهدوء . هذه الاستراتيجية تتضمن القدرة على رؤية كيف ترتبط الجوانب المتصلة لسياسة الحكومة بعضها ببعض ، وهى لهذا تتضمن توازنا على درجة كبيرة من الدقة ، الأمر الذى يتطلب أحكاما دقيقة فيما يتعلق بالسرعة التى يمكن أن تتحقق بها هذه التحولات بشكل آمن ، ومقدار الموارد التى يمكن تخصيصها على المدى الطويل مقابل احتياجات المدى القصير ، وتنسيق احتياجات الدولة الداخلية الخارجية ، وأخيرا وليس آخرا فى دولة مازال لها نظام ماركسى «معدل» وبالشكل

الذى تتصالح فيه الايديولوجية مع التطبيق . ورغم ان صعابا قد حدثت ، وصعابا اخرى من المحتمل ان تثور فى المستقبل ، فإن سجل ما تحقق حتى الآن هو سجل مؤثر .

ويبدو مثل هذا السجل المشجع مثلا فى الطرق المختلفة التى تتحول بها القوات المسلحة الصينية وخاصة بعد اضطرابات الستينيات ، فخفض عدد الجيش من ٤ر٢ مليون جندى الى ٣ ملايين هو فى الواقع دعم لقوته الفعلية ، ويصاحب هذا تحديث واسع المدى للأسلحة الصينية وكذلك الاسطول ، وما هو أكثر تأثيرا بالنسبة لظهور الصين كقوة عسكرية عظمى السرعة غير العادية لتقدم التكنولوجيا النووية . ففى بداية الثمانينيات اختبرت الصين الصاروخ العابر للقارات ICBM بمدى يصل الى ٧ آلاف ميل وهو النطاق الذى لايضم فقط كل الاتحاد السوفيتى بل أجزاء من الولايات المتحدة . وبعد هذا بعام اطلق أحد صواريخها ثلاث سفن فضاء الامر الذى يدل على تقدم تكنولوجيا الصواريخ المتعددة الرءوس النووية . ورغم أن معظم قوات الصين النووية هى قوة أرضية وذات مدى متوسط أكثر منها ذات مدى طويل فإنه قد اضيف اليها الصاروخ العابر للقارات ، وربما كانت أهم خطوة (فيما يتعلق بالردع النووى) ، هو ظهور أسطول من الغواصات الحاملة للصواريخ ، فمنذ عام ١٩٨٢ ، والصين تختبر صواريخ بالستيكيه تطلق من الغواصات ، كما تعمل على تحسين نطاقها ودقتها ، كما أن ثمة تقارير حول تجارب صينية بأسلحة نووية تكتيكية .

● عنصر الوقت

كل هذا يدعمه أبحاث واسعة النطاق فى الحقل الذرى ، ورفض لتجميد برنامجها النووى من خلال اتفاقيات دولية تحد منه حيث ترى ان هذا سوف يساعد فقط القوى العظمى الاخرى . غير ان هذا التطور فى القوة العسكرية الصينية لايعنى غياب عناصر الضعف ، فهناك دائما التخلف فى عنصر الوقت بين انتاج نظام ما من السلاح وبين اتاحته بكميات كبيرة بعد اختبارها ، وعدم استبعاد النكسات بما فى ذلك احتمال انفجار غواصة صينية حين كانت تحاول اطلاق صاروخ ، أو الغاء أو إبطاء برنامج للتسليح ، والافتقار الى الخبرة فى فروع معينية مثل محركات الطيران المتقدمة ، والرادار ، والملاحة ومعدات الاتصالات ، كل هذا يعوق تقدم برنامج الصين نحو مساواة حقيقية مع الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة ، هذا فضلا عن عنصر التمويل الذى يجعلها غير قادرة على التخطيط للحصول على كل فروع التسلح أو أن تعد نفسها لكل تهديد متصور . ورغم هذا فان القدرة العسكرية الصينية تعطيها نفوذا أكبر مما كان لها بحيث أصبح من غير المتصور أن يتمكن الاتحاد السوفييتى مثلا من تدمير نظم الصواريخ الصينية الارضية قبل أن تكون الصين قادرة على الانتقام .

على أن أهم المظاهر لقوة صينية محاربة على المدى الطويل انما تكمن فى موضع آخر : فى النمو السريع الملحوظ لاقتصادها والذى جرى خلال الفترة القليلة الماضية . فالواقع انه مع نهاية السبعينيات كان الاقتصاد الصناعى الصينى من الاتساع ان لم يكن أوسع مما كان عليه الاتحاد السوفييتى أو حتى اليابان عام ١٩٦١ ، علما بان هذه الفترة

دخل فيها الهزات الاقتصادية والاجتماعية ، وانسحاب السوفييت ، وغليان الثورة الثقافية ، وما لم تحدث هذه الاحداث لكان النمو الصينى أسرع فى مجموعه وهو ما يؤكده حقيقة أنه عبر السنوات الخمس الماضية من اصلاحات « دنج سياوبنج حققت الزراعة نموا قدره ٨ ٪ ، والصناعة ١٢ ٪ . على انه ولدرجة كبيرة يظل القطاع الزراعى هو فرصة الصين ونقطة ضعفها . فحيث تشكل الزراعة أكثر من ٣٠ ٪ من مجموع الناتج القومى الصينى ، وتوظف ٧٠ ٪ من سكانها ، فان اى تصدع أو حتى انخفاض فى هذا القطاع سيمثل عائقا للاقتصاد بأسره مثلما حدث فى الاتحاد السوفييتى ، وهو التحدى الذى يضاعفه القنبلة السكانية الموقوتة فالصين الآن تحاول اطعام بليون شخص يعيشون على ٢٥٠ مليون هكتار من الارض الصالحة للزراعة (مقابل ٤٠٠ مليون هكتار فى الولايات المتحدة الـ ٢٣٠ من السكان) ، فهل ستستطيع أن تطعم ٢٠٠ مليون صينى آخرين مع حلول عام ٢٠٠٠ بدون اعتماد متزايد على استيراد الطعام .

أنه من الصعب الاجابة الواضحة على هذا السؤال الحرج ، ذلك ان الخبراء يقدمون شواهد مختلفة . فبينما تدهورت صادرات الصين الزراعية التقليدية عبر الحقب الثلاث الماضية وأصبحت عام ١٩٨٠ وبشكل وجيز جدا مستوردا صافيا ، فإنه من ناحية اخرى تكرس الحكومة الصينية موارد علمية ضخمة لتحقيق الثورة الخضراء على النمط الهندى ويشجع دنج الاصلاحات المعتمدة على السوق على زيادة كبيرة فى أثمان السلع الزراعية دون تصدير هذا الارتفاع الى المدن ، الامر الذى أدى الى ارتفاع ضخم فى انتاج الطعام خلال نصف الحقبة الماضية . منذ ١٩٧٩ الى ١٩٨٣ حين كان معظم العالم يعانى من الركود الاقتصادى رفع الـ ٨٠٠ مليون صينى الذين يشتغلون بالزراعة من دخولهم بـ ٧٠ ٪ بحيث انتج الصينيون عام ١٩٨٥ ، ١٠٠ مليون طن من زيادة من الحبوب عما فعلوه فى حقبة ماضية وهو ما يمثل واحدا . من أكثر الموجات الانتاجية التى سجلت حتى الآن .

اما اندفاع الصين نحو الصناعة فهو أكثر أهمية وان كان أكثر حساسية اذا أخذنا فى الاعتبار الأوضاع الداخلية . فالتقدم فى الصناعة لم يعوقه فقط الافتقار للقوة الشرائية ، وانما أيضا سياسات التخطيط المغالى فيها على النمط السوفييتى . الا أن اجراءات التحديث فى السنوات الاخيرة قد ادت الى ارتفاعات مؤثرة فى الانتاج كما ادت أيضا الى بعض المشكلات ، فقد اثار ما خلقته من عشرات الالاف من المشروعات الخاصة أيديولوجى الحزب ، كما ادى ارتفاع الاسعار الى شكوى عمال المدن . ورغم هذا فان معدلات النمو المخطط لها (٧ $\frac{1}{2}$ ٪) ورغم انخفاضها عن المعدلات السابقة منذ عام ١٩٨١ (١٠ ٪) فانها سوف تضاعف مجموع الناتج القومى للصين فى أقل من عشر سنوات . ومن العوامل التى ستساهم فى هذا بشكل بارز ان آلاف العلماء من الصينين الذين ذهبوا الى الولايات المتحدة والغرب مع نهاية

السبعينيات سيقدمون للصين مع عام ١٩٩٠ كادرا علميا قادرا وسينفذون هم وغيرهم الذين سينفذون فى الداخل برنامجا لجعل التكنولوجيا الصينية الصناعية فى مستوى أفضل المستويات العالمية على الاقل فى مجالات النشاط الاستراتيجي .

على ان من أكثر الجوانب اللافتة المرتبطة باندفاع الصين نحو التقدم هو التحكم الصارم فى نفقات الدفاع حتى لاتستهلك القوات المسلحة المصادر المطلوبة فى مجالات اخرى . ومن وجهة نظر دنج فان الدفاع يجب ان يظل فى المرتبة الرابعة من التحديثات الاربعة بعد الزراعة والصناعة والعلم . ورغم صعوبة الحصول على الارقام الحقيقية حول الانفاق الدفاعي الصينى فانه من الواضح ان النسبة المخصصة من مجموع الناتج القومى للقوات المسلحة قد انخفضت خلال الخمسة عشر عاما الأخيرة من ١٧٫٤ ٪ عام ١٩٧١ الى ٧٫٥ ٪ عام ١٩٨٥ . ويعتبر هذا الاتجاه من اكثر المؤشرات دلالة على التزام الصين بالنمو الاقتصادى وهو مايقف على تناقض واضح مع سيطرة عقدة الأمن العسكرى على الاتحاد السوفييتى ، والمبالغ التى تخصصها ادارة ريجان للقوات المسلحة . هذا الاختيار الصينى يعكس اعتقاد بكين أن الأمن العسكرى على المدى الطويل سوف يتأكد حين يتضاعف انتاج الصين وثروتها .

ماهو تأثير هذه السياسات الداخلية على سياسة الصين الخارجية والدولية ؟

على العكس مما كان يتعلق به «ماو» ومن توتر اقليمى ودولى ، تفضل الصين الآن الاحتفاظ بعلاقات سلمية مع جيرانها حتى مع هؤلاء الذين تنظر اليهم بشك ، فالسلام هو شىء جوهرى بالنسبة لاستراتيجية دنج الاقتصادية . فالصين وقد حققت قدرة صناعية معقولة تستطيع الآن ان تركز أكثر على التصور الاقتصادى . أما علاقاتها مع موسكو وواشنطن ، فقد اتبعت بكين فى السنوات الأخيرة سياسة مدروسة وانتهت الى ان الوضع النموذجى هو ان تبقى مسافة متكافئة بينها وبين كلا القوتين وان تجعلهما يتنافسان على استرضائها . وقد قدمت هذه السياسة للصين مصداقية كبيرة وكمركزها كقوة ناهضة . ففى كثير من الأحيان تصرفت الصين بشكل يمثل تحديا لما تفضله أو تطالب به موسكو أو واشنطن ، وفى أوقات أخرى سلكت شكل مختلف مختلف جدا عما يتوقعه الآخرون .

وعلي هذا ، وبمعنى ما ، فان الصين يمكن أن تعتبر قوة مرشحة لمكانة ومركز القوة الأعظم ولكن بمعاييرها وطريقتها الخاصة وليس تقليدا أو محاكاة للولايات المتحدة أو الاتحاد السوفييتى . وايا كان مقياسنا لمركز الصين الفريد فى السياسات العالمية وعلى المدى الطويل ، فان الصين تمثل قوة سياسية واستراتيجية أكثر اهمية من أن ينظر اليها كشىء لاحق لموسكو أو واشنطن أو كمجرد قوة متوسطة .

ونعالج فى عدد قادم مستقبل الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى واليابان ودول السوق الأوربية المشتركة كقوى عظمى ، كما يطرحها بول كيندى .

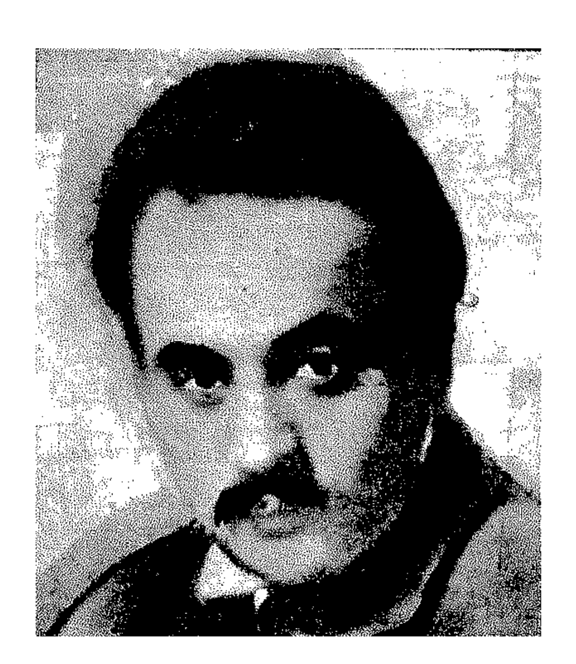
حين يكون الصديق مؤرخًا
بين جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة

بقلم : د. محمد رجب البيومي

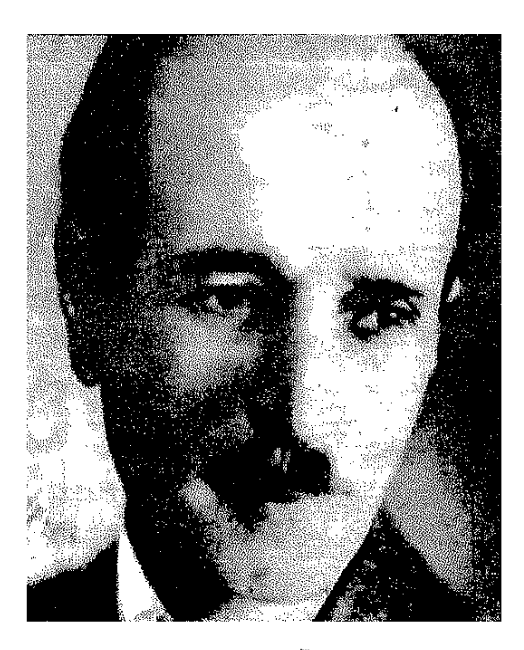
كان الأستاذ عبدالعزيز البشرى يحرّر فى (السياسة الأسبوعية) باب (المرآة) فيجلو بعض مايعرف من ملامح الكبار فى دنيا السياسة والأدب والعلم ، كما كان صديقا حميما لشاعر النيل حافظ إبراهيم ، وجاءت نوبة الصديق العزيز فبدأ البشرى مقاله بقوله :

« وإذن فساجلو حافظا فى هذه المرآة ، وارمى فيه بالقول ، وإنى سأدخل فى الورطة ، وتحق على الكلمة فى كل حال ، ويح نفسى من عنت أهل العنت من القراء ، فإننى إن قلت فيه خيرا ، قالوا : شهادة صديق لصديق فهى متهمة مهدورة ، وإن قلت شرا قالوا ما انكره للود وما اكفره ، وإنى لأعود من السن هؤلاء بالحق ، فالحق اجدى من مصانعة هؤلاء » .

وقد وقع ميخائيل نعيمة فيما وقع فيه عبدالعزيز البشرى حين الف كتابه عن صديقه (جبران خليل جبران) إذ قال فيه الخير والشر معا ، وكان على الناقدين أن يرتاحوا لإنصاف صديق آثر الحق على الباطل ، وأن يعدّوها مأثرة نزيهة من مآثر الكاتب الكبير، ولكن القيامة قامت على الرجل فى لبنان ومصر والمهجر ، ورفع الراية فى المعركة نفر من ذوى اللسن والاستطالة ، وفيهم الناقد المر الأستاذ مارون عبود ، والخطيب المناظر الأستاذ فليكس فارس ، والأديب المهجرى يوسف البعينى ، واتسعت الصحف والكتب لحوار مديد منذ نصف قرن ، ثم رحل ميخائيل نعيمة إلى جوار ربه ، وقال الراثون عنه ما قالوا ، وبدا لى أن أفيض فى شىء من



جبران خليل جبران



ميخائيل نعيمة

ذكره فأثرت الحديث عن موقفه من جبران .

● بين الصديقين

اقترن اسم ميخائيل نعيمة باسم جبران كما اقترن اسم المازنى باسم العقاد ، لصحبة أدبية عريقة جمعت بين الأديبين الكبيرين ، وقد رحل جبران مبكرا عن صاحبه إذ بقى بعده أكثر من نصف قرن يرقد وينير ويسخو ، وإذا كان جبران رهيف الاحساس ، قوى التصوير ، رائع الوثبة ، فإنه فى تقديرى الخاص لايبلغ مبلغ نعيمة فى النفاذ الموغل إلى اقصى شعاب النفس ، فأنت تقرأ جبران فتعجب بالوثبة الطائرة ، والريشة المصورة ، والحس الرهيف ، ولكنه بعد ذلك كله يدعك فى مكانك حيث أنت ، أما نعيمة فيرجُك رجا ، ويرتفع بك إلى عالم أعلى وأضوأ ، فأنت تتابعه فى انبهار ، وتشعر بعد قراءته أن شيئا جديدا طرأ عليك فنقلك من مكان إلى مكان ، وأورثك قلقا روحيا يشغل خاطرك ، وتظل طيلة يومك تفكر فيما اهتدى إليه نعيمة من بوارق تسطع فى أحلك الغيوم ، وقد تخالفه فى بعض منحاه ، أو فى أكثر منحاه ، ولكنها مخالفة من يحذر ، ويقيم لها ألف حساب ، لأنه لا يجد الأدلة الكافية على اليقين ، وإذا لم يترك نعيمة قارئه على صخرة ثابتة مما يقول ، فحسبه أن حرك خواطره ، وأيقظ كوامنه الهاجعة ، وأفاقه من نوم طويل .

لقد عرف الناس قوة الآصرة بين الصديقين الحميمين ، فهبوا بعد رحيل جبران يسألون الصديق عن مشاعر الصديق ، وكتب نعيمة كلمة الرثاء فى الصحف ، وأبدى بعض مايعتقد فى إنصاف ومودة ، ثم رحل إلى لبنان عائدا من المهجر ، فرأى حديث الناس عن صاحبه يجعله أسطورة لا حقيقة ، إذ قرعوا له كتاب (النبى) فرفعوه إلى مقام الأنبياء ، وكتبوا على قبره (هنا يرقد نبينا جبران) وانتشرت كلمات الرثاء تستشهد

بين جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة

ببعض ما قال ميخائيل نعيمة عن صاحبه بعد رحيله فى مقاله (تخليد جبران) وفى كلمته (جبران الحى) التى افتتح بها حفلة التأبين فى بروكلين فى مجمع أقامته الرابطة القلمية هناك ، ووقع ميخائيل فى حيرة ، لأنه يعتقد فى أطوائه أن ما قاله فى مواقف التأبين يتسم بما يتطلب المجال من مجاملة كريمة تصبح زهرة رفافة على قبر راحل ، وليس لصاحب المجاملة أن يكون باحثا يتغلغل إلى الأعماق ، ويكتنه السرائر ، وها هو ذا صار شاهدا على نبوة جبران ، فلابد إذن

من كتابة مؤلف يرسم انطباعه الحقيقى عن صاحبه ، ليريح نفسه من تبعة أدبية أَوْقَرَتْ صدره ، وليست هذه الراحة وحدها هى الدافع الى تحرير سيرة جبران ، فإن مع ذلك كله ما يخشاه ميخائيل نعيمة حين يصبح جبران أسطورة تعجز ذوى القدوة من الناشئين ، إذ لو كان كذلك ، ما أشرأب أحد إلى منزلته الأدبية ، فيؤنس محبيه بدل أن يكون أملا ينعش ، ودافعا يحدو ، لابد إذن أن يظهر جبران للناس كما كان فى عالم الأحياء ، ولن يستطيع أحد الحديث عن حقيقة جبران كما يستطيع ميخائيل ، ولابد أن نعيمة قد عانى حربا نفسية قبل أن يعزم على الكتابة ، إذ تعاظمه حينا أن يظهر جبران كما كان ، ثم تعاظمه ثانية أن يسكت عن باطل قد ذاع ، وشارك هو فى بعضه مجاملة وتكريما ، هذا الصراع الناهض فى نفس نعيمة قد انتهى بعد الدفع والجذب إلى وفاق صارم يتجاوز حقوق اللياقة ، منتقلا إلى احترام الكلمة ، وارضاء الضمير .

● كتاب جبران

الف ميخائيل نعيمة كتابه عن صديقه على نمط غير معهود ، إذ أن أمثال هذه الكتب تبدأ عادة بالحديث عن الأسرة والمنزل متدرجة إلى وصف البيئة والمناخ ثم تتتبع المترجم مولودا وطفلا وناشئا وشابا وكهلا على نحو مترابط يسد الفجوات ، ويربط النتائج بالأسباب ، وفى خلال ذلك يأتى التحليل الأدبى لروائعه ، ومدى توفيقه فى مجاله الفنى تعبيرا وتصويرا ، ولكن المؤلف بدأ بالنهاية فوصف لحظات الاحتضار وفاجأ القارىء بآلام لايتوقع الابتداء بها ، ثم انقلب من النهاية الى البداية فجأة فأرسل لخياله العنان فى وصف لبنان وموطن جبران ببشرى ، وسمح لنفسه أن يتصور أحاديث متخيلة بين القابلة والأب مما لا يعقل أن يلم به الطفل الوليد ليذكره فيما بعد ، ونقطة الضعف فى هذه التخيلات أن القارىء يحس اختلاقها ، فينتقل من قراءة ترجمة حقيقية لانسان مشتهر إلى مسرح قصة خيالية يتفنن أديب كبير فى ابتكارها ، ويتساءل هل يعم هذا التخيل ما نسب الى جبران من الوقائع فيما يلى هذه الابتكارات ، وبذلك يقف موقف الحذر فيما يرويه الصديق عن الصديق ، والذين يُحَبِّذون منحى نعيمة يذكرون أنه يرسم المسرح للأحداث بهذه التخيلات ، فهو يقيم الأعمدة التى تحمل المظلة ، وإذا

جاز هذا فى قصة ، فما أبعده عن الجواز فى سيرة تاريخية ، نقول هذا ونحن نعلم أن الحواجز ليست من الصرامة بحيث تمنع التقاء السيرة والقصة فى نطاق واحد ، ولكنها مع هذا الالتقاء تفرض على كاتب السيرة أن يكون واقعيا ، وإذا لجأ إلى الخيال التصويرى ، فإن وظيفة الخيال هنا أن يعين على وصف الحقيقة كما كانت لا كما يتخيلها أديب قاص ، فإذا تجاوزنا هذا المأخذ ، وهو ما نؤيد من ألحوا على تسجيله من الناقدين ، فإننا نلتقى بمأخذ آخر ، هو موضع الجدل الحقيقى الذى اتصل منذ ظهر كتاب نعيمة إلى اليوم ، والذى أغضب نفرا من كبار الناقدين ، وأرضى فريقا آخر ، وإذا رجعنا إلى المقدمة الموجزة التى كتبها نعيمة فإنها تعلن أن فى حياة كل إنسان أسرارا يكتمها عن الناس ، وقد وقف الصديق على بعض هذه الأسرار وفاته الكثير ، وإنه ليتساءل : أيليق به أن يبوح ولو ببعض مايعرف ؟ وإذا لجأ الى الكتمان فما معنى الذى يكتبه ؟ أيخون القارىء ويخون جبران نفسه حين يخفى ما ليس يخاف فى سجل الحياة ، وإن لم يكن مستورا عن أعين الناس ، أيصور نعيمة صورة لا وزن بين ظلالها وأنوارها ليرضى بعض من لا ذوق لهم فى الفن ، ولا رأى لهم فى الحياة ، وحينئذ يجور الكاتب على ذوقه وعلى أدبه فيوارى الحقائق الصريحة ، ويغدو ضائق الصدر بمسلكه ، نهبا للصـراع بين الحين والحين ! .

لقد صمم الكاتب على أن يقول بعض هذه الأسرار ، مهما كان موقعها ، والذين



فيلكس فارس .. الخطيب المناظر

يظنون أن نعيمة كان سيىء النية فى هذا الاتجاه ، عليهم أن يفهموا أن الكاتب الكبير قد تحدث عن نفسه فى كتاب (سبعون) فذكر من الأسرار الخاصة به ماكان يحب أن يستره لو اقتدى بمنطقهم الحريص ، لأن نعيمة يرى تعرية النفوس أقرب الوسائل لعلاجها ، وكان يجد لذة فنية فى كشف ما استتر من الخوالج والمعانى أو من الوقائع والأحداث ، لأن اللذة التى يلاقيها الانسان ، كما يقول نعيمة فى كتابه سبعون - إذا هو تعرى أمام الناس تريح نفسه إذ يصير كيانه الداخلى واضحا للعيان ، وكأن جسده قد استحال بيتا من زجاج يشف عما فيه دون حجاب ، فهل نقول إن نعيمة قد حمل غلا لنفسه ، حين كشف عن نزوات الضعف ، أو نقول إن مبدأ كشف الأسرار قد نزل منه منه منزلة الحق الصائب ، فالتزمه مع نفسه كما التزمه مع جبران ! .

● بعض الصاخب

حين ظهر كتاب نعيمة عن جبران لم تشتعل الحومة حول آرائه الأدبية فى صديقه ، ولم يتوجه النقد إلى هنات خاصة بالتأليف إذ لم يطرد على نسق واحد ، فإن ذلك كله لم يكن من الأهمية بحيث يدور حوله الأخذ والرد فى صخب مرتفع ، بل مر النقد عليه فى همس يتلمس التبرير ، ويحترم وجهة النظر المقابلة ، ولكن الضجيج الصارخ قد احتدم حول ما سرد نعيمة من وقائع خاصة بصواحب جبران ، حيث ذكر أسماءهن ، وفصل أدوارهن ، وكشف المخبأ عن واقع غير منتظر .

فالذين رفعوا جبران الى مرتبة النبوة ، وكتبوا على ضريحه (هنا يرقد نبينا جبران) قد ساءهم أن يسجل على جبران ، إرتكاسه فى حماة الرذيلة مرات متتابعات مع نساء مختلفات ، ولن نجارى نعيمة فى ذكر أسمائهن ، فذلك ما كان الأولى أن يكتم إذ لافائدة من ذيوع الاسم لأن التعرية التى يقصدها نعيمة تتحقق دون تحديد الطرف الآخر ، فأولاهن ذات زوج غافل تستقبله فى مخدعها ، وتشكو إليه زوجها البغيض الذى قضت معه عشر سنوات هى عشرة الدهور من الألم والمرارة ، وأنه مشتغل بتجارته ومنزله خال فى اكثر الأيام ، ويمضى الحديث فى هذا المنحى حتى ينتهى إلى غايته المعلومة ، ويخرج جبران مشمئزا من نفسه ، ولكنه يعتاد ما الف ويتكرر السقوط طيلة علم كامل ، وقد اعتقد ان صاحبته ليست مذنبة فالذنب ذنب من اكرهها على الزواج ، وهو تبعا لهذا المنطق غير مذنب .

والثانية ذات حديث طويل ، فقد خدعها جبران ، وذكر انه صاحب حقها ، لأن قلبه قد توافق مع قلبها ، ووعدها بمعسول الأماني ، وقد حملت منه ، فاشار عليها بالتخلص من الجنين ، ثم سافر إلى باريس ودعاها فأسرعت لتكون الزوجة ، فاصر على أن تكون الخليلة ، فصرخت وتركته لاعنة .

والثالثة ، عطفت عليه ، ورتبت له معلوما شهريا ينفق منه فى باريس ، ولاطفته بدءا ، ولكنها كانت مجربة فطنة ، فادركت ماساته مع غيرها ، ولمس جبران حاجته إلى مالها ، فعرض عليها الزواج ، ولكنها بتجربتها العميقة كشفت دواعيه ، وعاجلته بسؤالها القاتل ؟ هل أنت نظيف ؟ فاحس بالطعنة النجلاء ، وخرج نادما يتاوه .

هذا أوجز مايمكن أن يختصر فى هذا النطاق ، وقد صوره نعيمة بما يملك من ايحاء وافتتان ، وكان ما كتبه مفاجأة لبعض قارئيه ، فهبوا لائمين .

● رسالة المنبر

كان الأستاذ فليكس فارس أوسع من تعرضوا لنقد ميخائيل نعيمة ، إذ خصه ببحث ضاف فى كتابه (رسالة المنبر) جاوز السبعين من الصفحات ، وكاد يصبح كتابا مستقلا ، والأستاذ فارس خطيب عربى جهير المكان ، لذلك ظهرت

روح الخطيب فى دراسته ، فاعتمد على الانفعال السريع ، والحماسة الرنانة ، وقد اعترف أنه لم ينعم بصحبة جبران غير سبعة شهور ، وانهما لم يتحدثا فى غير الشئون الفكرية بعيدين عن السرائر والأسرار الذاتية ، وهذا مما يضعف تصديه لرواية صديق عاشر جبران خمسة عشر عاما فى مصاحبة دقيقة تلمس موضع النجوى ، وتتوغل فى أدق الشعاب المستترة فى أطباق الدم واللحم ، ولا أدرى لماذا ينكر على نعيمة أن يتحدث عن خوالج صديقه وكأنها شىء محرم ، وإذا أجاز فارس لنفسه ألا ينتقل الى منطقة يراها محظورة ، فليس لغيره أن ينحو منحاه فى التحليل والتحريم ، وأنا معه فى أن ميخائيل أسرف فى التخيل إذا ألم بطفولة جبران ، ولكن هذا لايعنى أنه اخترع أحداثا ، تفرق بين التخيل الموهوم ، والواقع الصريح .

يشك فارس فى الواقعة الخاصة بالحبيبة الأولى ذات الزوج البغيض ، ويراها مما لا يصح أن ينقل ، وأنا معه فى أنها قد لا تنقل فى منطق من يتحرج ، ولكنى لست معه فى أنها متعذرة الوقوع ، إذ ليست غير التقاء رجل بأمرأة فى أمريكا ! وذلك مما يتكرر دائما ! .

أما الثانية ، فقد تعاظمه أن يقول نعيمة عنها على لسان جبران ، لقد اقترنت بها أمام الله ، لقد جعلت من جسمى وجسمها هيكلا واحدا لعبادة الحب الواحد الطاهر ، وحين تسأله متى تقترن برفيقتك أمام الناس بعد أن اقترنت بها أمام الله ؟ يجيب جبران صاحبته قائلا : ما أكثر ترابك وأقل تبرك ، تقولين : الناس الناس ، ما همى بالناس ، وما يقولون ويفعلون ، هل جمعوا بين قلبين إلا ليفصلوهما أو ربطوا متناقضين إلا ليقتلوهما برباطهم .

فتجيبه صاحبته ، ولمن ترسم رسومك ياخليل ، ولمن تنظم قصائدك ؟ أليس للناس ، ومجد من تطلب يا خليل أليس مجد الناس ! .

فيرد جبران متضايقا : أنت منهم ، أنت كذلك ابنة الديدان والأكفان ! .

ويطرد الحوار فى هذا المنحى ، وإذا جاز للأستاذ فليكس فارس أن يشك فيه ، فأنا لا أشك قيد لحظة لأن جبران قد قال فحوى هذا الحوار فى كتاب « الأجنحة المتكسرة » وسجله بقلمه فى كتاب أذاعه بين الناس وتعددت طبعاته .

يقول جبران ـ بعد أن جرح رجال الدين بأقسى مايقال ـ إن من حق المرأة أن تهجر بيت الزوج لتلقى حبيبها كما تشاء ، بدون معاناة لوخز الضمير ، لأن العقد الذى يمضيه الحب أصدق من العقد الذى يمضيه المطران ! .

أليس هذا أنموذجا لقوله : ما شأنى والناس ، لقد اقترنت بها أمام الله .

أما الثالثة ، فسيدة مفكرة عرفت انحدار جبران مع غيرها فسألته هل أنت نظيف ، فأى غرابة يستحيل معها هذا السؤال ؟ .

ثم خاطب الأستاذ فليكس نعيمة قائلا « أيها المفكر الذى يجول فى دمه شمم

بين جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة

لبنان ، أفما كان الأجدر بك أن تستنير بما فيك من نور ، وبما فيك من كرامة ، وأنت تورد لنا هذه العيوب ، بل هذه الجرائم سواء أكانت الوقائع خيالية أم حقيقية ، إنك تسىء إلى الأدب العربى والى الناشئة العربية التى تتطلب من أرباب القلم أن يخلقوا لها المثل العليا لا نتهاج سبيل العدل والكرامة والنخوة والمروءة فى الحياة » . وفارس هنا خطيب داعية ، وما كان ميخائيل خطيبا ذات يوم ! .

● بيت القصيد

فرحت حين علمت أن الأستاذ ميخائيل نعيمة قد تحدث عن سيرته الذاتية فى كتاب رائع هو « سبعون » إشارة إلى عمره الزمنى حين أصدر هذا الكتاب ، وأنا أعلم منحى الكاتب الكبير فى تعرية النفوس ، والكشف عن الدفائن المستورة دون حرج ، ولابد لمن قطع فى بيداء العمر سبعين عاما أن تهب عليه أعاصير عاصفة ، تجبره على الاستسلام تارة ، وتدفعه إلى المقاومة تارة أخرى ، فالإنسان ضعيف الحول مهما اصطنع القوة ، وله من غرائزه الأدبية سباع ضارية تثور عليه مسلحة بالأنياب والبراثن ، وقد هبت هذه الأعاصير على المحارب الباسل فانتصر وانهزم ، وسعد وشقى ، وفى حالة انتصاره لمعت البسمة فى خاطره ، فسجل تأبيه على الغريزة فى موقفين ، أولهما فى حفل موسيقى تيسر فيه السبيل للهو فاستعصم الأديب الشاب ، وثانيهما فى نزهة خلوية بغابة الدير فى ضوء القمر وقد استلقى هادئا جوار رفيقته التى جاوبته عاطفته ، ولكنه أسكت صراخ نفسه ، ولم يشأ أن يستسلم ، وميخائيل إنسان لا ملاك فليس من الطبيعى أن يطول امتناعه بل من المتوقع أن يهوى فى مآزق متتابعة ، تحدث عنها بإفاضة ، مرة فى روسيا ويجد القارىء حديثها فى « سبعون » ص ٢١٣ وما بعدها ، ومرة فى أمريكا ويجد القارىء حديثها فى ص ٢٥٦ وما بعدها ، وثالثة ، بنيويورك يجد القارىء حديثها فى ص ٢٣١ ، وقد سرد الكاتب ملابسات هذه الجرائر وعين الأسماء كما عينها فى حديثه عن مواقف جبران ، وليس من شأننا أن نفصل هذه النزوات ولكننا نشير اليها لنؤكد أن الميزان الذى وزن به صديقه وأثار عليه الثوائر هو نفسه الميزان الذى وزن به نفسه ، فإذا ظن أحد به خبث الطوية فى كتابه عن جبران ، فقد تبدد هذا الظن بعد أن سجل الرجل على نفسه ما سجله على صاحبه ، إلا إذا غالى مكابر عنيد فزعم أن ميخائيل كان خبيث الطوية أيضا حين سرد عن نفسه مالم يشأ أن يحجبه عن الناس ، ولا يسعنا حينئذ إلا أن نقول له ، لك أن تفهم ما تشاء ، ولكن ليس لك أن تفرض شططك على المتزنين .

الشيخ على يوسف
صعيدى فى بلاط صاحبة الجلالة !

بقلم : أحمد حسين طماوى

يعد الشيخ على يوسف من ابرز رجال الوطن ، ورجال القلم فى ظروف بالغة الصعوبة فقاد المعارضة للاحتلال البريطانى وهو الرجل العصامى الذى تبوأ مكانة رفيعة فى الصحافة المصرية .

● ولد الشيخ على يوسف فى « بلصفورة » التابعة لمركز سوهاج من أعمال جرجا بصعيد مصر عام ١٨٦٣ ، وسرعان ما توفى والده بعد مولده بقليل فانتقل مع أمه الى « بنى عدى » (أسيوط) حيث نشأ بين أخواله ، وتلقى قسطا من التعليم الدينى فى الكتاتيب كان أبرزه حفظ المصحف الشريف ،ثم انتقل الى القاهرة ليلتحق بالازهر .

ويصف لنا الصحافى اللبنانى سليم سركيس دخوله القاهرة ، وهو من عارفية ومعاونيه فى تحرير المؤيد ، فيقول فى مجلته المسماة باسمه :

« مشى من المحطة الى شارع باب الحديد فرأى عربة جميلة تقل رجلا جليلا تحيط به مظاهر الابهة والعظمة فقال لاحد المارة بسذاجة القروى :

ـ من هذا العظيم يا سيدى .

ـ هو رئيس النظار .

فتنحى الشاب قليلا ، ووقف بعيدا متهيبا ، ومر رئيس النظار بموكبه وهو لا يشعر بوجود الشاب . الا أن الشاب شعر بعظمة الوزير الكبير ولابد أنه قال فى نفسه : من لى بأن أعرف هذا الرجل العظيم » .

● الى العواصم الكبرى

ولم يمض طويل وقت على هذا الكلام حتى سما به طموحه ورسخت قدمه ، واطلق قلمه ـ فى جريدتى الاداب والمؤيد ـ لينطق بنجابته ، فشاع صيته، ولهج القوم بقدره ، وسعى اليه رئيس النظار الذى تهيب الشيخ موكبه ،

وصار جليس الخديو عباس الثانى ومستشاره . وسرعان ما استقبلته الاستانة ضيفا عليها أثناء مرافقته للخديو ، وهناك أنعم عليه جلالة السلطان بالرتب الكبيرة . وقد فصل الشيخ رحلة الخديو الى عاصمة الخلافة في مقالات كثيرة طالعها على الناس على صفحات المؤيد ، ثم جمعها في كتاب أطلق عليه « أيام الجناب الخديو المعظم عباس الثانى فى دار الخلافة » وقد اتخذ من مشاهد البحر المتوسط موضوعا سياسيا تاريخيا عالجه بعقلية واقعية سياسية ، ولم يتخذه موضوعا أدبيا خياليا خالصا على حد قول الدكتور عبد اللطيف حمزه فى الجزء الرابع من « أدب المقالة الصحافية » فقد بين أهمية موقع مصر، وشأنها فى مدنية البحر المتوسط ، وما دار من منازعات دولية فى تلك المنطقة من العالم . على أن قصر الخلافة فى يلديز لم يتوقف عن الانعامات السلطانية على الشيخ فقد منحه الخليفة الدالية الذهبية لجهوده فى دعم خط حديد الحجاز ، وأنعم عليه بالباشوية .

الشيخ علي يوسف



ويمرور الوقت تزدهر « المؤيد » ويدوى اسم الشيخ فى العالم الاسلامى والعالم الاوربى وتقام له الحفلات أنى توجه . فبين ١٩٠٣ و ١٩٠٧ زار الشيخ لندره وباريس أكثر من مرة ، وقوبل هناك بما هو له أهل ، والتقى به رجال السياسة والصحافة ونواب الشعب ، من أمثال مستر موزلى وكان قاضيا بمصر ، ومستر دولونكل وتشمبرلين وروبرتسون وقد اغتنم الشيخ هذه المناسبات ليعرض قضية مصر من وجهة نظر وطنية ، وينتقد مسلك الانجليز ويطالب بالغاء المحاكم القنصلية والاكتفاء بالمحاكم المختلطة للنظر فى قضايا الاجانب .

وعدا العواصم الرئيسية فى العالم فى ذلك الوقت الاستانة ولندره (لندن) وباريس ، زار دمشق والقى فيها خطبة سياسية بمناسبة افتتاح خطة سكةحديد الحجاز أثنى فيها على السلطان عبد الحميد وامتدح توجهاته الاصلاحية .. وعقب الانقلاب العثمانى وقف بين الناس خطيبا بعد اعلان القانون الاساسى (الدستور) وحذر الاتحاديين من الخلط بين الجيش والسياسة . ورأى أنهم يجب أن يقفوا عند حدهم ، ولا يتدخلوا فى ادارة البلاد حتى لا تنتشر الفوضى ويعم الفساد .

● فى بلاط صاحبة الجلالة

فقد بدأ علي يوسف حياته الثقافية شاعرا أدبيا وله فى هذا المجال ديوان « نسمة السحر » ويغلب عليه شعر المناسبات من مديح وتهانى وبعض الغزل من مثل قوله :

عجبت لقدها لما تثنت
بحلية حسنها تسعى لقلبى
طلبت دنوها منى فضنت
ولكن بعد ذا منت بقرب

وهو يصور لعبة المرأة التي لاتغيرها أمام الرجل ، فتصد وهي راغبة ، ولا تلبث أن تستجيب طائعة بعد أن تمارس لعبتها المفضلة . ومثل هذا الشعر يناسب نزق الشباب حيث مفاتن المرأة المثلة في القد الجميل ، والتثنى المثير ، والحسن الخلاب ، وليس في هذا الغزل من جديد في المعنى ، ولكن لغته رائقة ، وعبارته صافية وموسيقاه مشنفة حيث جعل عروض الشطرين الاولين بقافية واحدة ، وضرب الشطرين الاخيرين منهما بروى واحد مما أحدث موسيقى تصيخ لها الاذان وتلذ الوجدان .

ولكن الشيخ«على» الطموح ابداتطلع الى انشاء صحيفة ، ولما كان يعوزه المال فقد اتفق مع الشيخ احمد ماضي ليعينه بالمال ويشاركه في اصدارها ، فاستجاب الاخير فكانت « جريدة الاداب » التي استمرت في الصدور عدة سنوات ، و « الاداب » لم تعن بالادب فقط وانما مدت نطاقها الى قضايا الاجتماع والعمران ، وأدلجت الى السياسة على استحياء ، ومن بين ما أثارته قضية التعليم في مصر الذي تدهور على أيام الانجليز ، فرأت ضرورة تعميمه وتوسيعه . وقد أوقفت « الاداب » أكثر من مرة بفعل السلطة ولكن الشيخ كان يجاهد من أجل اظهارها .

واذا كانت مواهب الشيخ قد تفتحت في « الاداب » فانها تفجرت في جريدة المؤيد التي ظهرت أول ديسمبر ١٨٨٩ . وهي اكبر آثاره على الاطلاق ، حيث لمع اسمه في الشرق والغرب ، وصار الصحافي الاول في العالم الاسلامي . حتى أن مجلة « نورث أميريكان رفيو » الامريكية أرسلت اليه برقية ليوافيها بمقالة تتضمن رأيه في خطبة الرئيس روزفلت عندما زار مصر عام ١٩١٠ وامتدح كرومر وشجع الانجليز على احتلال مصر والسودان . فما كانت تلجأ اليه المجلة الامريكية الا لشهرته الصحافية ، ومكانته العالية في الشرق، وصواب نظراته في قضايا السياسية والاجتماع .

كانت المؤيد تقف بالمرصاد لجريدة المقطم المالئة للانجليز ، فبينما تنادي المقطم باحسان الظن بالاحتلال ، كانت المؤيد تطالب بالجلاء ، وبينما كانت المقطم ترى أن « كرومر » أعظم شأنا من باني الاهرام ، وأعماله أكثر نفعا من أعمال محمد على ، وافعاله أجل أثرا من نابليون . كانت المؤيد تهاجم عميد الانجليز وترى أنه من التحامل خلع الصفات النبيلة عليه وتصف تقريره الاخير بأنه « أسود » وظلت المقطم على الدوام تناصر الاحتلال وتحقر المصريين وتنعتهم بنكران الجميل ولكن المؤيد كانت تشيد بأعمال الوطنية المصرية ، وتدافع عن العالم الاسلامي، وتتحدث عن الجامعة الاسلامية والوحدة العربية .

وقد التف الوطنيون والشرقيون حول « المؤيد » ، وراح الشعراء يكيلون المديح للشيخ وصحيفته ، ويندوون بالمقطم وسياسته . ومما ينسب لاحمد شوقي:

قل للهمام على في مؤيده
يبقى مؤيده البارى ويبقيه
دع المقطم لا تذكر مساوئه
من حرمة الميت أن تطوى مساويه

ومما قيل شعراً في الموازنة بينهما

ففى صدر المقطم قد قرأنا
سطورا خطها قلم الغواية
وفى صدر المؤيد قد تلونا
بحمد الله آيات الهداية

بصـــدعلنا المقطم كـــل يـــوم
ويزعجنـــا باعـــلان الحمـــاية

وهذا النظم يظهر مسار الصحيفتين المتنافستين بلغة الشعر من غير تفصيل في القول والقصد ، بل ان هناك من خص المقطم بالهجاء الشديد ، والتقريع الذميم • فقد نشرت المؤيد أبياتا بدون توقيع نسبها الدكتور صبري السربوني لشوقي منها :

بين المقطم والمقطم نســـبة
في الثقل لا تخفى على العقلاء
فصخور ذا وسطور ذا وكلاهما
متالف من صـــخرة صـــماء

والمقطم الاول هو جبـــل المقطم المعروف ، والمقطم الثاني هو صحيفة المقطم ، ولما كان اصحاب جـــريدة المقطم يقولون (المقطم الاسبوعي في ٢٧ من فبراير ١٨٨٩) انهم اختاروا اسم جبل المقطم ليكون اسما لجريدتهم لانه اعظم ما في بلاد مصر شأنا ولانه قطعت من صخوره حجارة الاهرام ، فان الشاعر يرى صحيفة المقطم ثقيلة على الوجدان مثل جبل المقطم الاجرد الثقيل على الارض ، وكلاهما اخرس اصم • على ان اشارة المقطميين الى ان حجارة الاهرام من المقطم تحمـــل معنى آخر يتعلق بصحيفة الاهـــرام التي كانت تظاهر الفرنسيين في كثير من الاحيان ، وهذا المعنى المخفي يكمن في ان صحيفة المقطم هي اصـــل كل شيء مفيد في المعرفة والسياســـة ودونها صحيفة الاهرام في كل ماترمي اليه •

وقد اخذت شوكة « المؤيـد » تقوى يوما بعد يوم ، فهاجمت الجرائد غيـر الوطنية ومن بينها صحيفـــة الاهرام وبخاصة عندما غيرت سياستها تجاه مصر والباب العالي وراحت تهاجـــم الوطنية المصرية، وفي هذا المجـــال كتب الشيخ علي يوسف سلســـلة مقالات تحت عنوان « الالغام في هدم الاهرام » •

واستمر قلم الشيخ سيفا مصـــلتا على المحتلين واعوانهم ، ولكنه اخـذ في الاعتدال ثم اللين والتهاون شيئا فشيئا بعد الاتفاق الودي بين عبـاس الثاني وغورست خليفـــة كرومر في مصر ، دون التوقف تمـاما عن اثارة قضايا مصر السياسية والاجتماعيـــة والاقتصادية • وعندما شـــعر ان الاوضاع الجديدة لم تعد تصلح له او يصلح لها انسحب من المؤيد ليتـولى منصبا دينيا كبيراً •

● عام الكف وعام الكفر

والمتتبع للظواهر الاجتماعيـــة والادبية والسياسية في تلك الفتــرة يجد عدة احداث ترتبط بمسميـــات معينة ، وكل منها شغل فترة زمنيـة تقرب من العام ، لذلك اقترن كل حدث منها بكلمة عام ، فهناك « عام الكف » و « عام الكفء » « وعـــام الكفر » و « عام الخف » ••• وسنقف عنـــد عـــامي « الكف » و « والكـــفء » لارتباطهما بصاحب السيرة • فعـام الكف عبارة عن حادث بسيط لطـــم فيه احد ابناء الذوات محمد المويلحي « بكف » على صدغه في احد المقاهي اثناء مزاح بينهما ، وعندما عـــلم الشيخ علي يوسف بهذا الامر ، وكان خصيما للمويلحيين (ابراهيم ومحمد) فقد كتب في المؤيد شامتا سـاخرا ، وفتح صفحات جريدته لكل من يعرض بالمويلحيين ويصف هذا الكف وقـــد حاول محمد المويلحي الدفاع عن نفسه في « مصباح الشرق » ضـد هـــذه الحملة الا ان وطأة المؤيد كانت شديدة عليه فسكت والحسرة في قلبه واخذ يترقب صروف الايام ليثأر من الشـيخ حتى اذا جاء ما سمي بعـــام الكفء ثأر لنفسه وهو حادث اجل اثرا واوسع

انتشارا وفحواه ان الشيخ على يوسف عقد قرانه على « صفية » بنت الشيخ عبد الخالق السادات الذى ينتمى الى ال البيت - فى بيت البكرى من غير علم أبيها لمودة نشأت بينهما . فغضب الاب ورفع قضية لفسخ عقد القران « لعدم الكفاءة فى النسب » وفى نهاية المطاف قضت المحكمة الشرعية بفسخ العقد، ثم أعيد عقد القران من جديد فى بيت الشيخ السادات وبموافقته ، وكان هذا الحادث من اشهر حوادث تلك الفترة فقد قادت بعض الجرائد حملة واسعة ضد على يوسف اشتركت فيها « اللواء » و « الظاهر » وقيل ان المويلحى كان وراء أبى شادى صاحب الجريدة الاخيرة ، وفى هذه القضية الاجتماعية نشرت اشعار ومقالات تسفه الشيخ على وتنال من قدره وهو ما عرف بعام « الكفء » وقد تأثر صاحبنا بهذه الحملة ، ولكنه تقبلها بهدوء حتى تجاوزها .

● حزب الاصلاح على المبادىء الدستورية

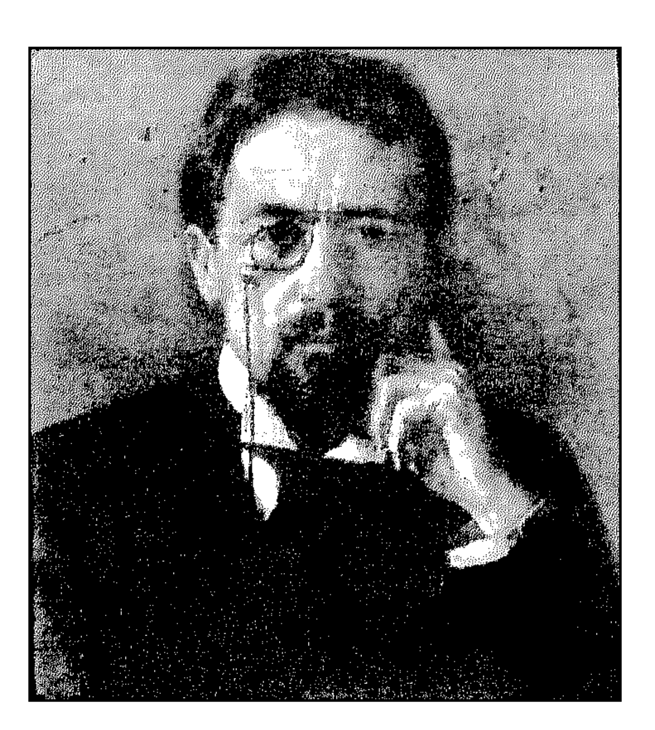
كان للاتفاق الودى بين عباس وغورست اثاره فى نفس صاحب الترجمة ، ولانه معتدل بطبعه فانه لم يجمع ويقطع صلته بالخديو مثل مصطفى كامل ، وانما احتاط لنفسه وخفف من لهجته ، بل ان له تصريحات لم يحمد عليها ، واخذ يفكر فى اسس اخرى يبنى عليها موقفه وبعد درس وتأمل انشأ حزب «الاصلاح على المبادىء الدستورية » بعد تأسيس حزب الامة ، وكان من مبادىء الحزب تأييد السلطة الخديوية ومطالبة انجلترا بتنفيذ وعودها بالجلاء ، والعمل على انشاء مجلس نيابى مصرى له سلطة تامة وان يكون التعليم الابتدائى عاما ومجانا وتكون العربية لغة التعليم فى جميع المدارس المصرية ، وطالب بمحاكمة الاجسانب امام المحاكم المصرية المختلطة واسناد الوظائف للاكفاء من المصريين ،وتقليل عدد الاجانب فى الوظائف بقدر الامكان وبوسعنا الان وبعد مضى اكثر من ثمانين عاما على هذه المبادىء ان ننتقد بعضها ، ولكن الشيخ راى ان هذا ما تسمح به الظروف فلم يشتد او يتطرف . وكان مصطفى كامل ينادى باستقلال مصر والجلاء الفورى وهو كلام يقال ولكن كيف التنفيذ ؟هل يكون بالخطب الرنانة والحماسة المفرطة ، وهل جلى المحتل بناء على نداء مصطفى كامل ؟ . ولعل هذا هو الفارق الهام بين الحزب الوطنى وحزب الاصلاح فى شأن الاستقلال . فبينما كان على يوسف يطالب انجلترا بتنفيذ وعودها لانه - فى واقع الامر لا يملك الا هذا كان مصطفى كامل يطلب حلا حاسما للمشكلة ويعجز عن تقديم الوسيلة الى ذلك .

وقد قام شجار حار بين الاحزاب المختلفة فكل حزب يناقش ويجادل ولم ينفذ الانجليز شيئا من كل هذا .

وقد اضمحل الحزب الوطنى بعد موت مصطفى كامل ، واخذ حزب الاصلاح فى الضعف بعد ترك على يوسف الصحافة والسياسة ليتولى مشيخة السجادة الوفائية ، وسرعان ما توقفت « الجريدة » وخاب امل حزب الامة .

ولكن لم يذهب سدى كل ما قيل فى الوطنية والجلاء ، فقد تغذى عليه جيل كامل ، وكان له دوره واثره فى النفوس وتزوير العقول ، واذكاء الشعور الوطنى ، وعندما انتهت الحرب العظمى الاولى وقبل ان تضمد الجراح افاق الانجليز على صوت الشعب ، وغضب الجماهير ، واندلاع التظاهرات الحامية فى ثورة شعبية دامية تطالب بالاستقلال فى مارس ١٩١٩ تحت زعامة سعد زغلول .

أدب تشيكوف قراءة ورؤية



بقلم : جمال الغيطانى

لا اذكر متى كان ذلك على وجه الدقة !

لكنه من المؤكد فى نهاية الخمسينيات ، عندما خرجت ذات عصر من بيتى فى قصر الشوق ، بالقاهرة القديمة ، قاصدا وسط المدينة ، مسافة لاتزيد عن كيلو متر ونصف . ولكنها بالنسبة لى وقتئذ . بالنسبة لعمرى ، تعادل الآن انتقالى ورحيلى من القاهرة الى بلدٍ ناءٍ ، بعيد كنت قرات خبرا ، أو إعلانا لا اذكر بالضبط ، عن صدور كتاب جديد ، عنوانه ، « فن القصة القصيرة » ولأننى كنت مازلت بعد فى أولى خطواتى الادبية ، فتطلعت إلى الحصول على هذا الكتاب ، لعله ياخذ بيدى ، او يفسر لى ، بعضا من جوانب هذا الفن الذى كنت قد بدات ابدعه بدافع تلقائى تماما ، ولم يكن يدرس بالطبع فى مناهج تعليمنا .

● قطعت شارع الأزهر الذى يصل المدينة القديمة بالمدينة الحديثة مشيا ، حتى وصلت إلى إحدى المكتبات المعروفة ، دخلتها وجلا ، مترددا ، دفعت ثمن الكتاب الذى ادخرته من مصروفى الشحيح ، وخرجت أضمه إلى صدرى ، متعجلا العودة إلى البيت لأبدأ قراءته . متوقفا بين الحين والحين لأقلب صفحاته ،

ثم اضمه مرة أخرى ، ولم اكن ادرى اننى اضم نصا لكاتب عظيم سوف يسكن روحى الى الأبد .

كان الكتاب لأستاذ جامعى ، هو الدكتور رشاد رشدى ، يقدم فن القصة القصيرة ، تاريخه ، تصوره لطرق كتابتها ، وفيما بعد أدركت أن على المرء أن يقرأ مثل هذه الكتابات وأن ينساها فورا ، ولكن أهم ما تضمنه الكتاب ، كان عدة نصوص مترجمة عن الانجليزية ، أذكر من الأدباء اثنين فقط ، هما موباسان ، وتشيكوف .

كان النص التشيكوفى الأول الذى لاقيته فى العصر الذهبى ، البكر لقراءتى ، قصة قصيرة ، عنوانها « الحزن » أو « الالم » ، لا اذكر بالضبط ، وعلى الرغم من صعوبة تلخيص قصة قصيرة ، أو رواية ، فإننى سوف أحاول ، نظرا لما تحتله هذه القصة من منزلة وبكارة عندى ، وفيما بعد ومازلت أعاود حكاية العديد من النصوص الأدبية التى تقوم بينى وبينها علاقة خاصة ، احكيها على المقهى ، للآخرين الذين لم يقرءوها ، أحكيها وكأنها جزء أساسى من ذكرياتى ، وخبراتى الحياتية ، ولأنطون تشيكوف النصيب الاكبر فيما اعاود روايته ، وحكيه ، ربما لأنه التقط لحظات نادرة من هذه الحياة الدنيا ، بقدر ما فيها من خصوصية ، وفرادة انسانية ، بقدر ما فيها من حقائق أساسية وجوهرية نجدها فى الحياة البشرية ، ان فى القديم أو الحديث . اننى الخص القصة من ذاكرتى .

★ ★ ★

غسق المساء ، الثلج يغطى كل شىء ، والحوذى « ايونا » ابيض تماما كالشبح ، فرسه على مقربة منه ، ساكن ، لايتحرك ، فجأة ، يجيىء عسكرى ، يطلب منه أن يذهب به إلى جهة ما ، تنطلق العربة . يلاحظ العسكرى أن ايونا لايسوق كما يجب ، فيصيح منزعجا : انت لا تعرف كيف تسوق ، الزم يمينك .

يتطلع ايونا الى الراكب ، يحرك شفتيه ، يبدو وكأنه يريد أن يقول شيئا ، يسأله العسكرى .

ـ ماذا ؟

فيقول ايونا بصعوبة :

ـ انا ياسيدى .. هذا الاسبوع .. ابنى مات ..

ـ أم .. ومم مات اذن ؟

يستدير ايونا بجسده كله نحو الراكب ، يقول :

ـ من يدرى ! الظاهر من الحمى ، رقد ثلاثة ايام فى المستشفى ومات ، مشيئة الله .

ويتردد فى الظلام صوت غاضب

ـ حاسب ياملعون .. افتح عينيك

يقول الراكب :

ـ هيا سر .. بهذه الطريقة لن نصل ولا غدا ..

يبدو الراكب غير راغب فى الانصات ، وبعد ان ينزل يعود ايونا الحوذى إلى وحدته ، ثم يركب ثلاثة شبان ، يتبادلون الحديث ، وينتهز ايونا فرصة الصمت ، يتطلع نحوهم ، يتمتم .

ـ انا .. انا .. هذا الاسبوع .. ابنى مات .. فيرد أحدهم

ـ كلنا سنموت .. المهم عجل .. عجل ..



أدب تشيكوف قراءة ورؤية

لم يصغ اليه احد من الركاب . أو من الذين التقى بهم فى الطريق اثناء انتظاره كان يرغب فى الحديث ، عما قريب سيمر اسبوع على موت ابنه ، لم يتحدث مع أحد كما يحب ، كان يود أن يروى ، كيف مرض ابنه ، كيف تعذب ماذا قال قبل وفاته ، كيف مات ؟ ما اكثر ما كان يريد أن يرويه ، لكن ما من احد يريد ان يصغى اليه بعد ان يدخل بيته ، يمضى إلى الاصطبل ، إلى حيث تقف فرسه ، وعندما يرى عينيها البراقتين يقول :

ـ تمضغين ؟ حسنا ، امضغى ، امضغى ، انا كبرت على السياقة ، كان المفروض ان يسوق ابنى لا أنا ، كان حوذيا اصيلا .. لو انه فقط عاش ..

يصمت لحظات ثم يواصل ..

ـ هكذا ـ يا أخى الفرس ، لم يعد كوزما موجودا ، رحل عنا ، خسارة ، لنفرض ان عندك مهرا ، ولنت ام لهذا المهر ، لنفرض ان هذا المهر رحل فجأة .. اليس مؤسفا ؟

وتمضغ الفرس ، وتنصت ، وتزفر على يدى صاحبها ، ويندمج ايونا الحوذى ، فيحكى لها كل شىء .

★ ★ ★

هكذا دخلت إلى العالم التشيكوفى ، ومنذ تلك السن المبكرة ، الثالثة عشرة ، رحت ابحث عن كل اثر مترجم لاقراه ، وأشير هنا بصفة خاصة الى ترجمة ممتازة قام بها الدكتور محمد القصاص ، لعدد من نصوص تشيكوف صدرت فى اوائل الستينيات فى مصر تحت عنـوان « قصص وروايـات قصيرة » ، اضافة الى ترجمات اخرى جيدة ، وللمسرحيات التشيكوفية ايضا ، ثم صدر فى موسكو منذ سنوات قريبة اربعة مجلدات تضم اعمالا مختارة وتلك اول ترجمة الى العربية تتم من الروسية مباشرة .

سعيت ايضا لقراءة ما كتب عن تشيكوف ، هناك مبدعون عظام ، تقرأ نصا لأحدهم . فتقوم على الفور علاقة خاصة بينك وبين المبدع ، بالرغم من الفواصل المكانية ، والزمنية التى قد تصل الى عصور متعاقبة ، هناك اجزاء فى النص الادبى يمكننى من خلالها أن استنتج الحالة الوجدانية التى كان عليها المبدع لحظة كتابتها ، يقول الاديب السوفييتى الكسندر كوبرين عن تشيكوف ، إنه لم يتح لأنسان أن يقف على تفاصيل العملية الابداعية عند تشيكوف ، وان احدا لم يره قط إثناء عمله ، واقول انا إنه من خلال بعض سطور تشيكوف اكاد اشعر بانفاسه ، بحالته الوجدانية ، بمزاجه الذى اتخيل انه كان رماديا ، بروحه الساخرة ، والسخرية التشيكوفية أحد تجليات الحزن ، الحزن الانسانى الشفيف فى ارق صوره ، واقساها ، الحزن الذى ينوء به كاهل مبدع كبير يرى أن الحياة لا تمضى كما يجب ، ولا تكون كما يجب ان تكون عليه بالنسبة للآخرين .

● صلة ومودة

اقول أننى سعيت لقراءة ما كتب عنه ، وأشير هنا إلى كتابين هامين . الأول للناقد

السوفييتي (بيرملون) ، والثاني للأديب الفرنسي هنري ترويا ، وقد ترجم إلى العربية أخيرا ، واشير إلى المقالات التي كتبها كل من مكسيم جوركي ، والكسندر كوبرين .

واشير الى نصوص غير ابداعية ، لكنها تكشف عن العالم الداخلي لتشيكوف ، اقصد مجموعة الرسائل التي كتبها ردا على رسائل مكسيم جوركي .

مع الزمن ، يصفو نهر القراءة ، ويتركز في فروع محددة ، اصبح بيني وبين عالم تشيكوف صلة ومودة ، قرأت اعماله عدة مرات على امتداد حوالي ثلاثين عاما ، وهناك بعض رواياته القصيرة اقرأها بانتظام ، تقريبا في كل عام مرة ، الى جانب عدد من الأعمال الادبية الاخرى التي اصبحت كالثمار التي لاتذبل ابدا في حديقة قراءاتي ، وكلما تطلعت اليها ، كلما اكتشفت فيها مالم اجده من قبل ، فكأنها المطالعة الأولى .

احيانا توحشني احدى قصص تشيكوف ، فأسعى اليها كما يسعى الانسان الى شخص يحبه ، ودائما يترك في نفسي حزنا ، مطهرا ، خفيفا ، قائما ، وكأنّ عالمه يقع دائما في المنطقة الخريفية من فصول السنة ، حيث الضوء الرمادي ، والغمامات السابحة ، ولسعات البرد التي تنذر بشتاء قادم لكنها تذكر دائما بأيام الربيع الجميلة التي ستقبل يوما ، ودفء الصيف ، التعاقب ، التغير ، لاشيء يبقى كما هو ، الملامح ، العواطف ، الذكريات ، أظنها ملامح اساسية في العالم التشيكوفي ، ملامح اكتشفتها من خلال قراءاتي المتعاقبة ، وكان كل اكتشاف منها مواز لدرجة من النضج وصلت انا اليها ، وأحيانا كانت الرؤية التشيكوفية تضيء لنا جانبا استغلق فهمه على بالنسبة لي ، أنا مشغول جدا بالزمن ، بالصيرورة ، منذ ان كنت طفلا ، وكنت اسأل نفسي ، أين ذهب الأمس ؟ هل اذا مضى الانسان في اتجاه ما ، واستمر في المضي ، هل يصل الى لحظة منقضية ؟ الانشغال بالزمن ، يؤدي الى الانشغال الشديد بالنقيضين الأبديين ، الحياة ، الموت ، فاذا كان كل شيء يمضي ، يندثر ، اذا كانت الحياة قصيرة جدا ، فلماذا لانحاول ان نجعلها جميلة ، أكثر انسانية ، وفي كافة ملامح العالم التشيكوفي سوف نجد ، ونلاحظ هذا التوق الدائم الى حياة أجمل ، الى حياة افضل ، إلى حياة اكثر انسانية ، لنصغى الى هذا النص من القصة التي ترجمت إلى العربية تحت عنوان (العروس) .

« اما نادية فكانت تتجول في البستان ، وتسير في الشارع وتتطلع الى البيوت ، والاسوار الرمادية ، وخيل اليها ان كل ما في المدينة قد شاخ منذ زمن بعيد ، وانتهى ، وان كل شيء ينتظر اما النهاية ،

وأما بداية شيء ما فتي وطازج ، اوه .. لو تأتي هذه الحياة الجديدة الصافية ، عندما يصبح بالامكان ان تحدق في عيني تدرك مباشرة وبجرأة ، وتحس بنفسك على حق ، وتصبح مرحا وحرا ، نعم ، سوف تأتي هذه الحياة عاجلا ام آجلا ! »

الانشغال بالزمن يؤدي إلى الانشغال بالموت ايضا ، وإظن ان هذا هو السبب الكامن وراء هذا الحزن الشفيق في سائر أعمال تشيكوف ، حزن يشبه الحزن الانساني عند رؤية حمرة الغسق . حزن على مصير قرص الشمس ، الذي يفارق .

الزمن بطل أساسي في اعمال تشيكوف

، خاصة فى قصصه الطويلة الى حد ما ، فى قصة (ايونيتش) ، يهيم الطبيب حبا وعشقا بكاترينا ايفانوفنا ، ويتقدم لخطبتها الا انها تقول له :

– يا ديمترى ايونيتش ، انا ممتنة لك جدا على هذا التشريف

اننى احترمك ولكن ..

ولكن .. تعتذر ،انها تهوى الموسيقى وهبتها كل حياتها ، تحبها بجنون ، تريد أن تصبح فنانة مشهورة ، تريد الشهرة والنجاح ، وهو يريدها ان تواصل الحياة فى هذه المدينة ، الحياة التافهة ، الخاوية ، ان تصبح زوجة . تقول له ..

– لا .. اعذرنى .

يصوم ديمترى ايونيتش ، يظل ثلاثة أيام غير قادر على العمل ، لم يأكل ، لم ينم وتمضى أربع سنوات ، يصبح ديمترى ممتلئا ، بدينا . يحشو جيوبه بنقود المرضى وفى احد الأيام يتلقى دعوة من اسرة بكاترينا ، ويمضى اليها ، يلتقى بحبيبة الزمن القديم ..

ياه .. لقد هزلت وشحبت ، اصبحت اجمل وأرشق ، لكن .. لم تعد فيها تلك النضارة السابقة وتعبير السذاجة الطفولية ، وكان فى نظراتها وحركاتها شىء جديد ، شىء متردد ومذنب ، عندما رأته بدا واضحا أن قلبها يدق بقلق ، كانت تعجبه جدا ، ولكن .. ولكن كان ينقصها شىء ما ، او كان فيها شىء زائد ، ولم يكن بوسعه تحديد هذا الشىء ، شىء ما كان يعوقه عن الاحساس بما كان يحسه من قبل ، لم يعجبه شحوبها ، والتعبير الجديد على وجهها ، وابتسامتها الواهنة ، وصوتها ، ثم بعد فترة قصيرة لم يعد يعجبه فستانها ، والمقعد الذى جلست فيه ، لم يعجبه شىء ما فى الماضى عندما كاد ان يتزوجها ، وتذكر حبه واحلامه وآماله التى اثارته قبل أربع سنوات فشعر بالحرج !

كان ينظر اليها ويردد بينه وبين نفسه ..

« حسنا .. اننى لم اتزوجها .. »

كم مرة ردد كل منا هذه الخاطرة ، كم شعر كل منا بالحزن والأسف على الماضى ؟ كم تعجب كل منا من عشق كاد يهلكه يوما ، ثم اصبح مجرد صور تثير الحنين الممض ، او الدهشة .

هكذا عبر تشيكوف باقتدار ، ببساطة ، عن الحقائق الجوهرية فى الحياة الانسانية ، بحيث يجد كل منا فى نفسه شىء ما من شخوصه ، من أبطاله . وهذا يقودنا الى مسألة النمط عند تشيكوف ، فى عالمه الرحب نجد تنوعا هائلا فى الشخصيات ، نجد الشحاذ ، والاديب ، والضابط ، والطبيب المجنون ، والعاقل ، المتشرد ، الموظف ، المدرس ، الرسام ، الخولى ، نجد ايضا تنوعا كبيرا فى المكان ، فعالم تشيكوف المكانى يمتد من المدن إلى الغابات ، الى القرى النائية ، الى شواطىء البحار ، بقدر هذا التنوع نجد ايضا النمط الانسانى الموصوف بدقة ، والمجسد فى خصوصية عميقة ، الا ان الانسان ما ان يفرغ من قراءة قصص مثل « حبوبة » او « الانسان المعلب » او « الحرباء » او « الجراءة » او « السيدة صاحبة الكلب » الا ويجد نفسه يستدعى الى ذاكرته العديد من الشخصيات التى تشبه ما قرأه ، كنت اتذكر على الفور هذا الشخص او ذاك ، واقول ، انه يشبه ذلك

الذى عبر عنه تشيكوف ، بقدر ما كان فى ابطاله من فرادة ، بقدر ما حملوا من سمات عامة ، تجعل منهم نماذج بشرية نلتقى بها فى كل زمان ومكان .

● الأدب يموت من الجفاف

يخيل الى انه كان يراقب الحياة بعين مدببة ، حادة ، بقدر ما كان يبدو فيها من دقة وصفاء ، بقدر ما كان فيها من قدرة مذهلة على التقاط ادق الملامح والتفاصيل ، حتى لأثق انه كان فى اشد لحظاته خصوصية ينظر اليها بعين الاديب ، كيف يمكن ان توصف فى عمل ؟ او كيف يمكن ان يعبر عنها ؟ كان من رايه ان الاديب يجب أن يغذى عمله الادبى بالعناصر التى تمنحه اياها الحياة ، ودون هذه الارتشاحات الدائمة بين الواقع والخيال ، فان الأدب على حد تفكيره يموت من الجفاف ، اننى استطيع ان أفهم جيدا لحظات صمته المفاجئة التى تحدث عنها معاصروه . ولحظات شرود عينيه ، وخلوتـه الطويلة فى حجرته بمنزله ان فى يالطا ، او فى موسكو .

يقول الكسندر كوبرين :

« وانا لا اريد ان اقول انه كان يبحث عن النماذج كغيره من الادباء ، ولكننى اعتقد انه كان دائما وفى كل مكان يرى مادة للملاحظات ، وكان ذلك يحدث دون إرادة منه ، وربما كثيرا حتى عن غير رغبة ، وذلك حسب عادته القديمة المتأصلة التى لم تستأصل ابدا ، عادة تامل الناس وتحليلهم ، وتعميمهم ، ويبدو ان هذا العمل الدفين كان يحمل فى طياته لتشيخوف كل عذاب وافراح عملية الابداع الخالدة اللاواعية .

لم يكن يبوح لأحد بانطباعاته . كذلك لم يفصح لأحد عما كان ينوى ان يكتبه ، وكيف سيكتبه ، وكان من النادر أيضا ان يبدو فى كلامه أثر الفنان الروائى . فكان يستخدم فى حديثه ، الى حد ما عن قصد ، والى حد ما غريزيا ، تعابير عادية ، متوسطة ، دارجة ، ولا يلجأ الى التشبيهات ولا إلى الصور ، كان يحافظ على كنوزه فى نفسه . ولايدعها تتبدد فى رغوة الحديث ، وفى هذا كان الفارق الضخم بينه وبين اولئك الكتاب الذين يتحدثون عن موضوعاتهم افضل بكثير مما يكتبونها .. »

من ملاحظات تشيكوف التى وردت فى رسائله ، ومن ملاحظات المعاصرين له ، تعلمت الكثير من ابجدية عمل الاديب ، فعلى الرغم من شهادات المعاصرين له القائلة إنه لم يكن يبوح باسرار عمله الابداعى ، الا ان ثمة ومضات فى رسائله تكشف عن مفهومه للعمل الابداعى ، ولنصغ الى بعض ماكتبه الى جوركى .

يقول فى رسالة مؤرخة فى ٣ يناير ١٨٩٨ .

سابدأ بما يبدو لى انه فى رأيى فقدان الانسجام عندك ، انك تشبه الناظر فى المسرح الذى يظهر حماسته بتحفظ قليل الى حد لا يستطيع معه ان يسمع ما يدور على الخشبة ، لاهو ولا الاخرون . ان هذا حماس ، خاصة فى اوصاف الطبيعة التى تقطع بها محاوراتك ، فالمرء عندما يقرأ هذه الأوصاف يتمنى لها لو كانت اكثر تركيزا واشد قصرا اى شيئا لا يتجاوز السطرين او الثلاثة . ان كثرة استعمال

كلمات مثل "النعومة" ، "الهمس" ، "المخملي" ، يضفي عليها طابع التكرار ، ويكسبها رتابة تشيع البرود وترهق تقريبا . ان امثال هذه المفردات تصدم السمع ، انك تكثر الكلام عن الامواج ، وفي الصور التي ترسمها للمثقفين يشيع الجهد ، ويتجلى شيء كأنه الحذر ، وليس يرجع هذا الى انك لم تر المثقفين ، انك تعرفهم ، غير انك لا تعرف على وجه الدقة من اين تتناولهم ؟"

وفي رسالة اخرى مؤرخة في عام ١٨٩٩ يقول له :

"ان نقيصتك الوحيدة هي الاطالة ، فنحن عندما نستعمل اقل ما يمكن من الحركات لاحداث اثر معين ، فاننا نطلق على هذا اسم كياسة والمرء يشعر في اقاصيصك في هذه الحالة بالافراط .. ان اوصافك للطبيعة انما هي اوصاف فنان ، انك رسام للمناظر عريق ، غير ان كثرة تشبيهك للطبيعة بالانسان ، كالبحر عندما يتنفس ، والسماء تنظر ، والسهب تحنو ، والطبيعة تهمس ، تحزن .. الخ ، كل هذا يجعل وصفك رتيبا . انه حينا يفسده ، وحينا اخر يجعله غامضا . فالجمال والتعبير في اوصاف الطبيعة ، لا يمكن اكتسابهما الا بالبساطة وبالجمل غير المنمقة ، مثل "غربت الشمس" . "ساد الظلام" ، "اخذت السماء تمطر" ، وانك لتملك هذه البساطة الى حد يندر وجوده عند كاتب » ..

وفي رسالة اخرى .. مؤرخة في ٣ يناير ١٩٠١ . يقول :

.. عندما تقرأ مسودات الطبع ، احذف ما امكنك ذلك النعوت والظروف ، انها كثيرة عندك حتى ليضل فيها انتباه القارىء ويتولاه التعب منها ، ان المرء يفهمني عندما اقول "جلس الرجل على العشب" انه يفهم ذلك ، لانه جلي واضح ، ولانه لا يعيق الانتباه ، وخلافا لذلك ، فانى اغدو غامضا وأرهق القارىء ..

وفي رسالة مؤرخة في ٢٤ يوليو ١٩٠١ يقول :

"ان من الامور المألوفة انه لا يسر المرء بالمسرحية عندما يكتبها ، ويزداد هذا فيما بعد ، ان على الاخرين ان يحكموا عليها ويتخذوا قرارا بشأنها ، لا تعطها الى اى انسان كي يقرأها ، اقول الى اى انسان ، وابعث بها مباشرة الى موسكو ".

ان هذه الاشارات في رسائله الى جوركي خاصة يمكن ان تلقى الضوء على مفهومه ووسائله للابداع ، كان انسانيا ، وكان يعامل بحرص واهتمام اولئك الادباء الذين تنشأ بينه وبينهم علاقة روحية ولو بسيطة ، يذكر الكسندر كوبرين انه كان دائما يقول للادباء الجدد .

ـ اكتبوا ، اكتبوا اكبر قدر ممكن ، لا يهم اذا لم توفقوا احيانا ، فيما بعد ستوفقون ، اما الشيء المهم فهو الا تبددوا شبابكم ومرونتكم سدى .. عليكم الان بالذات ان تعملوا ، انظروا ، ها انتم ذا تكتبون بصورة رائعة ، ولكن رصيدكم اللغوى قليل ، ينبغي جمع الكلمات ، والتعبير ، وهذا يتطلب ان تكتبوا كل يوم .

ـ اما هو فكان يعمل بلا كلل من اجل تطوير نفسه ، واثراء لغته الساحرة المتنوعة ، بالكلمات المستقاة من كل مجال ، من الاحاديث ، والمعاجم ، والكتالوجات ،

ومن المؤلفات العلمية ، والكتب المقدسة ، كانت الحصيلة اللغوية لهذا الرجل الهادىء ، الحنون ، الصموت ، هائلة .

ومع الزمن تتراكم الخبرة ، وافهم اكثر واكثر مجهود تشيكوف فى اتجاه اللغة ، فى عام ١٩٨٠ زرت روما ، وقفت امام تمثال النبى موسى الذى نحت من الرخام ، كانت تفاصيل الجسد رائعة ، ودقيقة ، وتعكس مدى الجهد والابداع اللذين بذلهما الفنان ، قلت لنفسى ، هذا ما يجب ان اقوم به فى اتجاه اللغة ، اداتى ، وأن مهمتى لأصعب ، فمايكل انجلو كان ينحت مادة مرئية ، ملموسة ، لها قوام ، وابعاد ، اما نحن الكتاب فننحت الفاظنا من الهواء ، من الصور التى تمر بالذهن ، من الافكار من الرؤى ، اليس هذا اصعب بكثير ؟

★ ★ ★

زرت موسكو مرتين .

يوليو ١٩٨٦ ، وفبراير ١٩٨٧ .

وفى كليهما زرت بيت تشيكوف الصغير الذى اقام فيه لمدة عامين ، فى المرة الثانية كان الشتاء الروسى الذى طالما سمعت وقرأت عنه ، وعندما كنت امشى فى الطريق الموسكوفى العريض متجها الى البيت الأحمر اللون الصغير ، الذى عاش فيها مع اخيه ميخائيل منذ عام ١٨٨٦ وحتى ١٨٨٨ ، اى منذ مائة عام بالضبط ، رأيت الضباب الشتوى ، والثلج الابيض ، والمبانى الضخمة الهائلة ، تقوم من الارض لتذوب فى الضباب ، توقفت لحظات ، كانت المدينة تقف بين عالمين ، الواقع المادى الملموس . والحلم اللانهائى ، ويد لى هذا غريبا انا القادم من بلاد الشمس والصحو الدائم ، الا انني خيل الىّ انني رأيت الاساس المادى لرؤية تشيكوف الاسيانة فى سائر قصصه ، تذكرت هذا الاحساس الذى كانت تتركه قراءته فى نفسى ، هذا الحزن الحقيقى ، الغائم ، الشفاف .

فى الزيارة الاولى ، انتابتنى انفعالات شتى ، رحت ادخل البيت متهملا ، الم يتنفس ويعيش هنا ، توقفت لالقى نظرة على الصالة الرئيسية ، لارى من نفس الزاوية المنظر الذى كان يراه تشيكوف عند دخوله ، قبل ان يخلع معطفه ، ويطوى مظلته. كنت بمفردى ، يلفنى الهدوء الابدى ، هذا مكتبه ، مسند الى الجدار ، يغطيه قماش اخضر ، خشبه يميل الى قتامة ، عليه مصباح يضاء بالكيروسين ، ومحبرة من نحاس مشغول ذات شعبتين ، على المكتب نسخة من مسرحية « ايفانوف » التى كتبها هنا ، كان فى المكان ثمة شىء انسانى ، عميق ، كان الصمت العميق يتدفق من اللانهائية ، اما الضوء فكان يختلط بلون الطلاء الابيض ، كنت احاول الاصغاء الى مافنى .

ويبدو ان انفعالى انعكس على ملامحى ، حتى لاحظت ذلك المسئولة عن المتحف ، وإذا بها تقدم تجاهى .. تزيح الحبل الذى يحجز الزوار عند حد معين ، فوجئت ، فهذا خرق لاشد القواعد صرامة ، برهبة خطوت ، لمست المكتب ، ونظرت فى الصور الموضوعة بحب على المقعد ، وكانت السيدة ترقبنى بود شديد ولأن تصرفها كان مؤثرا جدا ، لم اشأ المكث طويلا ، وعندما اشارت الى المقعد ، الذى كان يجلس اليه تشيكوف ، نظرت اليه ، ولكننى لم استطع ان اجلس اليه ولو لثوان .. ابدا .

الهلال تودع زميلاً عزيزاً

فقدت الهلال واحدا من ابنائها المخلصين ، الذين تمتعوا بجدية العمل والاخلاص والتفانى ، وانكار الذات .

فقدت زميلنا الغالى الأستاذ موريس عزيز الذى ظل يعمل بيننا شعلـة من النشـاط المتجـدد والحيوية حتي اخر لحظة من عمره .. حيث سقط شهيدا فى ميدان صاحبة الجلالة التى لا ترحم ، ويتساقط أبناؤها دائما فى عمر الزهور .

مات موريس عزيز ولمّا يتجاوز عمره الثانية والخمسين بعد أن أدى دوره كاملا ، فقد كان يتمتع بالصدق وشرف الكلمة والحرص على أداء عمله بدأب ونشاط كنا نحسده عليهما فى زمن يندر فيه من يعطى بسخاء وينكر الذات ...

كان معنا يؤدى عمله ولم نكن نعلم أن يد المنون سوف تختطفه بعد لحظات من عودته الي منزله ، كانه جاء ليودعنا فلم يكن زميلنا الغالى إلا محبا لزملائه ، مجاملا لهم فى كل مناسباتهم ، يتحمل الكثير بصمته الأثير الذى أحببناه فيه ، كان من زملائنا الذين أعطوا جهدا كبيرا للعمل النقابى بمفهوم اخر ،



فكان جنديا مجهولا فى نقـابة الصحفيين ، يؤدى دوره لخدمة زملائه ، بلا عقد انتخابية ، أو لافتات يضعونها ، وتنتهى بانتهاء الاختيار عضوا فى مجلس النقابة .. لم يكن زميلنا من هؤلاء وظل لعشـرين عامـا يخـدم زمـلاءه الصحفيين بلا تمييز داخل النقابة بلا كلل ولا تعب ، برغم أن قلبه الواهن لم يكن يتحمل كل هذا التعب والعمل المضنى ، وكنا ننصحه بأن يعطى جسده المتعب راحة ، ولكنه كان يأبى بابتسامة هادئة أن يتوقف عطاؤه النبيل .

ونحن إذ نودع زميلا عزيزا اختطفته يد المنون من بين زملائه واحبائه فلن ننسى ابدا دوره الهام الذى أداه فى "الهلال" .. شعلة من النشاط ، لم تطفئها الأيام ، فسوف يظل حيا باقيا فى ضمائرنا .

المسرح التجريبى

المهرجان والمستقبل

بقلم : الفريد فرج

اكتب هذه السطور بعدأن قرأت عددا كبيرا من المقالات والانطباعات والريبورتاجات عن مهرجان القاهرة الدولى الاول للمسرح التجريبى ٠٠
ولو كان للمهرجان فضل واحد هو استثارة النقاد والكتاب لابداع هذا الفيض من التحليل الفنى والتأمل الفكرى والوصف المثير للنخبة الممتازة من العروض المسرحية التجريبية لكان فضل المهرجان عندى كافيا لكن المهرجان كانت له افضال كثيرة ٠٠

فقد وضع القاهرة فى موقعها الصحيح والجديرة به على خارطة المهرجانات المسرحية العربية والدولية٠

وقد عقد اللقاء الضرورى والذى طال انتظاره بين نخبة من اكبرالفنانين العرب والمصريين فى رحاب مصر ٠

كما عقد اللقاء بين الفنانين المصريين والعرب وبين نخبة ممتازة من فنانى المسرح التجريبى الاوروبى لأول مرة ٠

وأتاح للجمهور فضلا عن النقاد والفنانين مساحة عشرة أيام من الاثارة الفنية المسرحية ومن الدهشة والتساؤل والتأمل والمراجعة فى سياق من الاستمتاع والبهجة الفنية الخالصة ٠

فماذا يهمنا بعد أن تحقق هذا كله أننا مرة ذهبنا الى أحد المسارح لمشاهدة مسرحية وجهنا اليها البرنامج فلم نجد المسرحية ؟ ٠٠

وماذا يهم أن ندوة من الندوات العشر تأخرت عن موعدها ساعة ؟ ٠٠

وماذا يهم أننى لم أتلق دعوتى للافتتاح الا بطريق الصدفة ؟ وماكانت لتصلنى لولا هذه الصدفة ؟ ٠٠

وماذا يهم أن المسارح كانت متباعدة ومواعيد العروض متقاربة فى مدينة تعانى مشكلة فى المواصلات ٠٠ وهذه طبيعة المواقع الجغرافية لدور المسرح بها ؟ ٠٠

يؤسفنى أن أشغل القارىء بمثل هذه الهنات التى صادفها كل من اهتم

المسرح التجريبى

بالمهرجان .. ولم اكن لأفعل .. لولا اننى قرأت ملحوظات فى الصحف حولها وتكرارا لها فى غير موضعه وفى غير حجمه الحقيقى ، فتذكرت بذلك الصحفى الشاب الذى اقترب منى فى احدى الندوات وشهر قلمه وأوراقه وسألنى بصوت هامس حتى لا يزعج المتحدثين بالندوة .

● الوثاق التجريب

أدهشتنا الفرق الاجنبية والعربية والمصرية بعشرات العروض المسرحية التى أقيمت فوق ١٤ مسرحا واشتركت فيها ١٩ دولة وفدت منها ٢٤ فرقة قدمت ٥٧ مسرحية غير المسرحيات المصرية .

أدهشتنا باختلاف أساليبها وطرق ابداعها ..

فمنها من ابتدع سياقا صوتيا من الصيحات والآهات والزمجرات والهمهمات بديلا كاملا عن اللغة ،فكان فصيحا فى التعبير عن السياق الدرامى كأنه يتحدث باللغة .. (الفرق الانجليزية والبلجيكية) .

ومنها من ابتدع سياقا موسيقيا وتشكيليا رائعا ، تناوبت فيه الآلات الشعبية والات موسيقى الجاز والازياء الجميلة والاقنعة المسرحية الساحرة.. بديلا كاملا عن الحوار اللغوى ، فسحرنى بصنوف البلاغة والفصاحة فى كل هذه الادوات .. (الفرقة الايطالية)

ومن أسف أن الفرقة الايطالية كانت تقدم مسرحية عزيزة على المشاهد المصرى هى شهر زاد ، توفيق الحكيم فأثار ذلك بعض السخط بين من لم يتعودوا ذلك اللون من التعبير .

ومن الفرق من ابتدع تصورا جديدا لدمج صالة الجمهور بالمنصة ، فتجاوز ما ألفناه من حيل قديمة مثل توسط المنصة بين صفوف الجمهور ـ كما فعل الفريق البلجيكى ـ أو تداخل المنصة فى صالة الجمهور من خلال صعود الممثل من الصالة أو نزوله من المنصة ـ كما فعل الفريق النمساوى فى مسرحيتنا العربية الرائعة « مسافر ليل » للشاعر الكبير صلاح عبد الصبور .. ثم رأينا من تجاوز ذلك كله فاعتبر الصالة هى المنصة والمنصة هى الصالة فبعد أن بدأ التمثيل على جانب أمام الجمهور الواقف فى صحن وكالة الغورى اندفع الممثل ووراءه الممثلة فى قلب الجمهور واختلط الممثل بالمتفرج كما يختلط الحابل بالنابل والممثل لاينى يمسك بمتفرج من ذراعه ليوجه اليه عبارات السخط على زوجته (الممثلة) فتمسك الممثلة بالمتفرج الآخر من ياقته وتقرأه دفاعها عن نفسها .. حتى انتهى المشهد بالموت فى ميساه الفسقية التى تتوسط صحن الوكالة ـ مسرحية داليا التونسية .

أما التجريب الاكثر شيوعا فقد كان المونودراما ، وهو دراما الممثل الواحد



احدى المسرحيات التجريبية مصرية





الذى يفجر الصراع ويشد الجمهور بحكايته وبوصف حاله فى صيغة المونولوج ٠

وهذا لون شاركتفيه مصر وعرفناه فى مسرح الطليعة المصرى مرات عديدة ٠

وقد شهد المهرجان الى جانب ذلك كله التجريب بادخال عنصر الرقصة الرمزية (للنورس)فى السياق الدرامى المبنى على الحوار اللغوى والمشاهد المتتابعة ، والشباك السابحة فىالهواء تترصد النورس لاصطياده ـ رافع العلم للفريق الفلسطينى ٠

● لماذا التجريب

وفى خلال الايام العشرة للمهرجان لم تكن الفرصة تتيح للمشاهد أنيشبع فضوله كله ، أو أن يحيط بكل الوان المسرح الطليعى الحديث ـ المصرى والعربى والاوروبى، ولا أتيحتالفرصة لأى ناقد أو متذوق بمفرده أن يشمل الوان المسرح الحديث فى المهرجان بنظرة واحدة ٠

فما بالك بالمشاهد والمتذوق الذى يريد أن يحيط بكل فنون المسرحالحديث فى أوروبا أو أمريكا ، وفى كل قطرٌ من أقطار القارتين مئات الفرق الطليعية المرموقة التى تقدم كل واحدة منها صيغة مسرحية وأسلوبا مسرحيا متميزا فى منهج التعبير ٠

حتى الفرق الكبرىتتسابق فىتطوير فن المسرح ، فبعد صعود نجم فرقة برلينر انسامبل بقيادة برتولد برخت منذ عام ١٩٤٨ واتجاهها المتكامل للمسرح الملحمى ، تسابقت الفرق المسرحية الكبرى فى العالم فى مسارات التحديث المسرحى ٠٠

المسرحيات التاريخية بملابس عصرية ٠٠

تجريد الديكور والتمثيل فى الفراغ المسرحى العارى ٠

الخروج على الواقعية وتثوير الادب المسرحى واظهار عجز اللغة مثلما فعل مؤلفو مسرح العبث ٠

صعود نجم مصمم الازياء والديكور، وتحول هذا الفنمن التصويريةالواقعية الى التعبيرية الحرة٠٠ وكان منفرسان هذا الفن المصمم الجزائرى الاصل الانجليزى الاقامة عبد القادر فراح الذى استخدم لأول مرة خام الجلد فى تصميم الملابس التاريخية العسكرية فى خطوط للتصميم حديثة ، فاضفى على الجند الرومان مظهر العنف للنازية حيثكان الجند الالمان هم أول منارتدى الملابس الجلدية العسكرية ٠٠

ثم أتت تجارب الفنان البولندى جروتوفسكى ليستعيض عن بلاغة اللغة ببلاغة التعبير الجسدىفأنشأ فنالتمثيل انشاء جديدا ، ولم يعد الممثل مجرد حنجرة ذات أوتار ، وانما أصبح ممثلا بكل أعضاء جسمه ٠

وامتدت ثورة المسرح الى ادخال كل أدوات الفرجة المسرحية من غناءورقص واكروبات وحيل تقنية تعبيرية فيما سمى بالمسرح الشامل ٠

وامتدت يد التحطيم للعلبة المسرحية التى يحجبها الستار التقليدى على النسق المعمارى الايطالى كما يسمونه، فالغيت الستائر وعدلت أوضاع المنصة

بالنسبة للجمهور

وعاد الفنان الى ما قبل عصر النهضة يستلهم التراث كما نقول ويعمد الى أحياء فن الممثل الشعبي لمسرح الشارع في العصور الوسطى ..

وهكذا ..وهكذا..الى مالا نهاية..

● المسرح يتحدى

وقد صاحب هذا كله انتشار واتساع الظاهرة المسرحية من كل جانب ..

فبعد أن كان المسرح متعة للخاصة ومتعة ثقافية تقليدية ، وكانت مدينة لندن أو مدينة باريس لا تتلألأ فيها غير أضواء عشرة مسارح أو عشرين أو ثلاثين دارا مسرحية .. وبعد أن كانت الاقاليم لا تتمتع بفن التمثيل الا من خلال فرق العاصمة أثناء تجوالها في المدن .. انتشرت المسارح وتكاثرت بشكل انفجاري وحاصرت الفرق المسرحية التقليدية بألوان الحداثة والتجديد واجتذبت جماهير الشباب الجديد في سياق تطور المجتمع الاستهلاكي وتعميم الخدمات الاجتماعية والتعليمية في المجتمعات الغربية .

وقد طال الطابع الاستهلاكي للمجتماعات الغربية مجال الثقافة .. الكتاب والصحيفة والمسرح والسينما والتليفزيون .. كما طال سائر السلع الاستهلاكية .

وصنع التنافس بين الفرق الكثيرة وحب اجتذاب الجماهير عن طريق الاغراب والتحديث حركة مسرحية جياشة يبرز من خلالها فنانون مغمورون ويغرق في أمواجها فنانون لامعون .

ولكن الحركة المسرحية كلها كانت تقف صفا واحدا أمام طغيان التليفزيون ثم طغيان انتقال الصورة التليفزيونية عبر الكواكب الصناعية ، ثم انتشار الفيديو في الاسواق .

وكما زلزلت الكاميرا فن التصوير والرسم بدقتها الواقعية ، فتطور الفن بسرعة الى التأثيرية والتكعيبية والرمزية والسريالية .. وحرر حتى البورتريه من القوالب التقليدية لفن التصوير .

.. كان التليفزيون والفيديو انذارا لفن المسرح ، زلزل التقليدية والواقعية ، ودفع الفنان الى تطوير الاشكال المسرحية واضفاء السحر الفني عليها .

لم يعد المسرح يستطيع الاحتفاظ بسحره بمجرد الحضور السحري للممثل في الاضواء ، وانما تجاوز ذلك الى الوان من السحر تخطر على البال والوان لا تخطر على البال .

وواجه التحدي بالتحدي ، فحافظ على جمهوره واستطاع توسيع قاعدة المشاهدة المسرحية ، والالتقاء بالمجتمع الاستهلاكي في ساحة الزحام والاقبال .

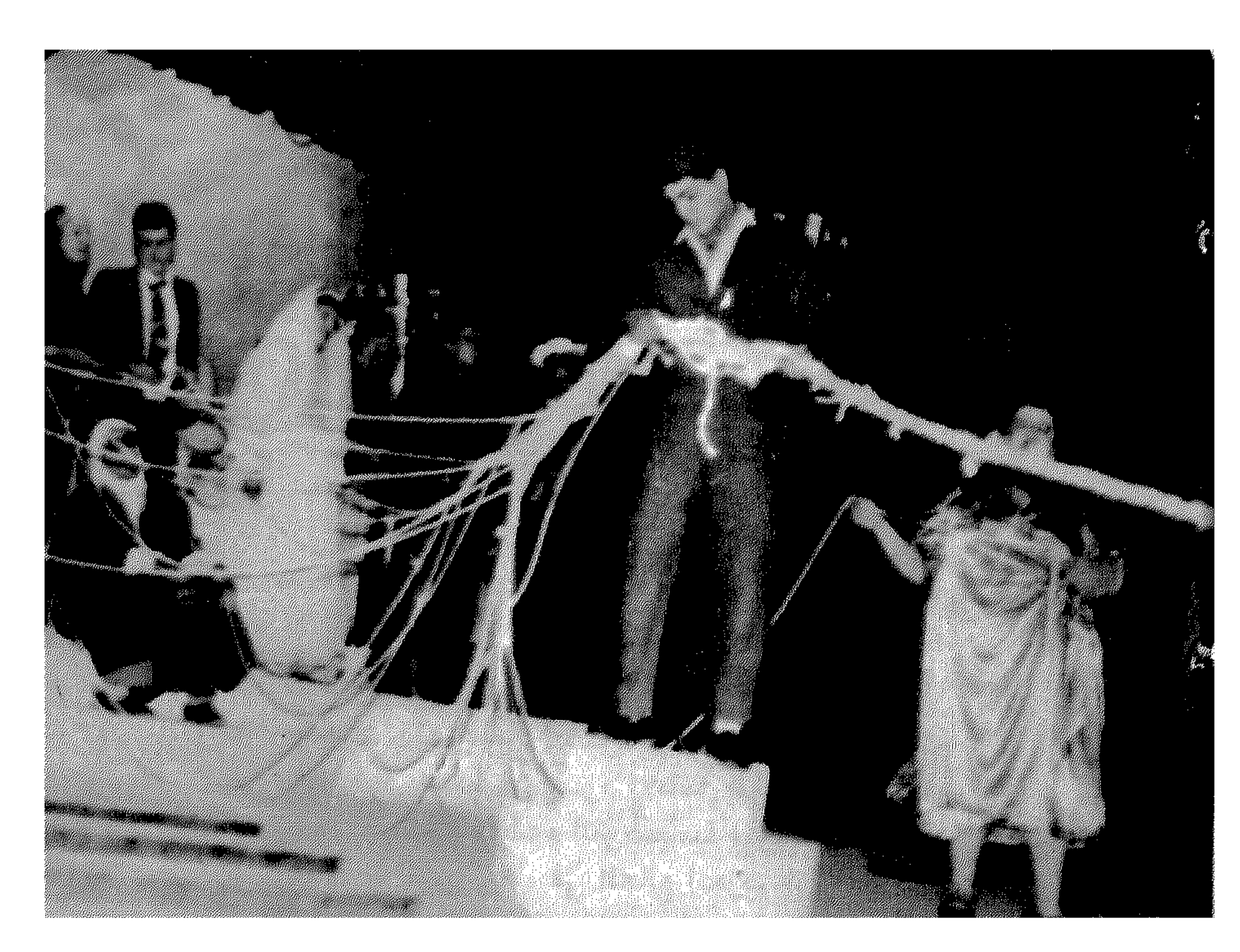
وها هو اليوم يقدم مع كل ثلاث دقات سحرا جديدا مدهشا ، وقد تكاثر الفنانون المساهمون في صناعة هذا السحر الحديث .

والعجيب أن المسرح الطليعي في أوروبا يرفد الفرق الكبرى بفكر متجدد ، فلا يتحرج الكبار من استلهام الصغار .. ويضيفون الى مسرحهم القائم على المسرحية الكلاسيكية أو المسرحية الدرامية الحديثة تأثيرات مما يتميز به مسرح الطليعة .. في الاطار الفني أو في الايقاع والتمثيل ، بينما تعمد الفرق الطليعية الى استلهام المسرح الكبير الرصانة والتقنيات العالمية وأحكام الصنعة والتجارب التي



رقصة النورس من الفرقة الفلسطينية





رحلة قطار لتوفيق الحكيم واخراج هاني مطاوع

يبدعها الكبار من أمثال بيتر بروك الانجليزى ولوبيموف الفنان الروسى وداريو فو الايطالى ..

وهذا التجريب الحافل كله .. يزورنا طرف منه فى القاهرة ، ونتمنى أن نشاهد المزيد من نماذجه والمزيد من ابداعه ..

كما شهدت القاهرةطرفا منالتجريب المسرحى العربى المبدع ، والتجريب المصرى الذى لا يقل اثارة للدهشة .

فنتمنى أن يطول تأثير مهرجان القاهرة أكثر من مجرد مدة انعقاده ، وأن يكون ذلكالمهرجان قد أكد الاعتبار للفنان المصرى المجدد بحيث يصل أثر الفنان المصرى الطليعى والفنان الشاب الى مسرحنا الكبير الذى يعانى فى الواقع من اغراقه فى التقليدية والواقعية التصويرية الى حد كبير .

وأن كنا جميعا نتمنى أن تصيب مسرحنا صحوة وافاقة يفرد فيها الجناحين بقوة .. فان تحديث المسرح هو أحد الطرق الى بلوغ هذه الغاية .

وقد كان لمهرجان القاهرة الدولى الاول للمسرح التجريبى فضل النفخ فى النفير لمسرح الدولة والقطاعالخاص على السواء ..

فلمنظمى المهرجان الشكر ، ولوزارة الثقافة التحية انها قدمت هذه الخدمة الجليلة لفن المسرح المصرى والعربى من غير ادعاء أو ضجيج اعلامى زائد ..

قدمت هذه الخدمة بنظرة بعيدة الى المستقبل واعتزاز مكين بمكانة مصر وفنها المسرحى العريق .

وجه الإنسان عند بيكار

بقلم : محمود بقشيش

عندما فكرت فى الكتابة عن الفنان الكبير « حسين بيكار » شعرت بشىء من الحيرة .. بسبب تنوع عطائه الفنى ، فهو أحد أعمدة فن رسوم الأطفال فى مصر والعالم العربى ، وأحد نجوم الرسوم التوضيحية بالصحافة ، ومن أفضل رسامى « البورتريه » فى العالم العربى ، وأحد نقاد الفن البارزين . إن كل جانب من جوانب تلك الشخصية الثرية يستحق دراسة مستقلة .. لهذا استأذن القارىء فى التركيز على جانب واحد من جوانب ابداعه .. وهو فن « البورتريه » .

يُعَدّ « بيكار » من أكثر الفنانين المصريين التزاما بأصول فَنّ « البورتريه » أو الصورة الشخصية ، وأكثرهم براعة وإتقانا لهذا الفن .. الذى يزهد فيه معظم الفنانين او يهمشونه فى أحسن الأحوال . ولم يلمع من ممارسى هذا الفن ـ منذ انشاء مدرسة الفنون الجميلة عام ١٩٠٨ حتى الآن ـ غير اسماء تقل عن عدد اصابع اليدين . ولهذا اسبابه ، منها ـ فى تقديرى ـ ان لوحة « البورتريه » ترتبط بمشتر محدد هو نفسه النموذج المرسوم . وهذا (النموذج / المشترى) له شروط لامفر من تلبيتها .. والتى قد يكون من بينها التدخل فى الاسلوب الفنى للفنان ! .. ومن بينها ايضا تضاؤل الاهتمام بفن الرسم والتجسيم بالألوان . ولخبرتى المباشرة فى متابعة انتاج الفنانين المصريين فإنى استطيع القول : إن اكثر الذين لاذوا بالأساليب الحديثة كان دافعهم الى ذلك تغطية العجز فى ممارسة الرسم وفق أصوله المدرسية . ولست ممن يدعون الى التمسك بالأساليب التقليدية ذات الأطر المرجعية الثابتة ، بل ـ بالعكس ـ أدعو الى التمرد عليها .. « لكن » بعد هضمها ، فكيف نصدق فناننا يزعم لنا انه يصف

مايدور في خياله وصفا دقيقا وأمينا دون ان تكون لديه القدرة على وصف ماتراه العين محددا واضح المعالم ؟ .. كيف يستطيع وصف الغامض والمعقد من المشاعر ولايستطيع وصف البسيط . الواضح . المحكوم بأبعاد المكان ؟!

★ ★ ★

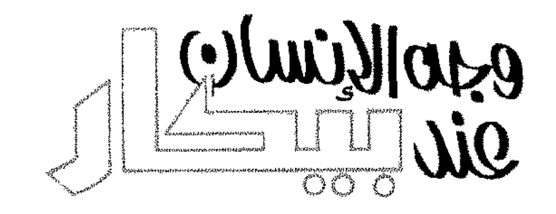
إن وجه الانسان مثل أى مثير جمالى آخر .. به ما يحرك فى الفنان نوازع الخلق ، ويحفزه على استنطاق الأسرار .. بما يتيحه له أسلوبه الفنى . ولأن الأساليب متعددة فالنتائج ، أيضا ، تكون كذلك ، تبدأ من نقل الواقع وتنتهى الى التحريف الكامل ، وتحتفظ ـ رغم ذلك ـ وبدرجات متفاوتة بصلتها بالنموذج . الفردى . المراد رسمه وبين تلك الدرجات يقف « بيكار » مع الاتجاه الذى يرى فى الشكل الانسانى الذى أبدعه الله جمالا لايجب تشويهه . وكان من الطبيعى أن يتوجه الى أصول هذا الفن فى إنجازات عصر النهضة الفنية ، فالتزم بالنسب الواقعية ، والتجسيم عن طريق مصدر ثابت للنور ، كما التزم بالوضعة التى تتسم بالفخامة ، واحتلال العنصر الانسانى المحاور الرئيسية للوحة .. غير ان مذاقا خاصا يسرى فى لوحاته ، يميزها عن غيرها ، كاشفا عن صلة بملامح الفن المصرى القديم .. تتجلى فى الطابع البنائى . الهندسى . والتلخيص . ووضوح المعالم وسكونيتها .

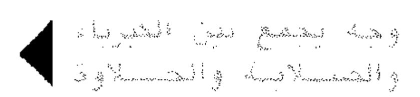
● تجميل القبح

إن شخوصه تتبدى فى اللوحات مثالية

بيكار مع موضوعه المفضل . وجه الانسان

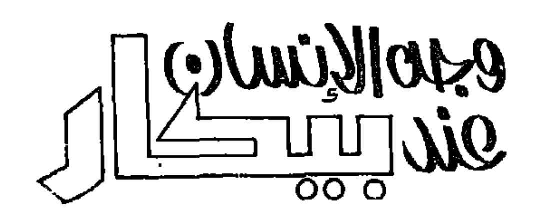






نظرة تأمل .. وأصابع تداعب المسبحة





، لايشوبها ضعف بشرى .. بل تصاحبها الصحة والشباب والرشاقة . ولايفضح قبحها الواقعى ـ إن وجد ـ بل يستخدم كل براعته فى تفادى الدمامة .. مثلما حدث مع « بورتريه » رسمه للمرحوم « جناو » ـ أحد نقاد الفن ـ وكان رحمه الله مصابا بعاهات مستديمة .. فهو قزم . أحدب . أعور . ورغم ذلك استطاع « بيكار » أن يتخطى تلك الحواجز ، والتقط من الوجه زاوية بدا فيها جميلا . خاليا من أية عاهة .. وغطى الوجه بابتسامة صريحة صاحبتها لمعة متألقة فى العين السليمة .. أما العين العوراء فقد ألقى عليها ظلالا ، وراوغها بالتماعات عدسة النظارة .. فبدت العين عبر تلك الحيل الذكية بريئة من عاهتها .. ناعسة أو متأملة !

ونجح فى اجراء جراحة تجميل اخرى مع وجه لسيدة ذات اسنان بارزة .. جعلها تبتسم ، فانقلب القبح فى الواقع الى جمال . **وهو يحرص دائما على ان يلتقط من العناصر مايجعل من الوجه الانسانى قطعة من الجواهر ، لهذا تكثر فى لوحاته الثياب المخملية . الجواهر اللماعة . البريق المتألق فى العينين ومقدمة الأنف والفم .**

ربما قرأ « بيكار » خواطرى فقال لى : إننى لا أنافق الأشخاص الذين أرسمهم . بل أرى إن لحظة رسم « بورتريه » لحظة نادرة بالنسبة للشخص المراد رسمه ، فالناس لايجلسون كل يوم كى يُرْسموا .. ربما فعلوها مرة واحدة فى حياتهم .. لهذا يجب ان تكون تلك اللحظة النادرة لحظة « رسمية » يظهر فيها الانسان فى أفضل حالاته ليرحب بمشاهديه !

إن « بيكار » ليس استثناء بين فنانى « البورتريه » المصريين من حيث كونه سترا وغطاء على عيوب الواقع . ولايسمح هذا الموقف الجمالى والانسانى الا بالتعامل الرفيق مع النموذج . الذى يظهره متماسكا ، مهذب التعبير . ويبدو أن الغطاء الأخلاقى . المصرى . يحول ، فى اغلب الأحوال ، دون ان تكون الفرشاة جارحة . كاشفة عن مناطق العتمة .. كتلك التى نطالعها ـ على سبيل المثال ـ عند وجوه الفنان الانجليزى (الألمانى الأصل) « لوسيان فرويد » .

● لامكان للمصادفة !

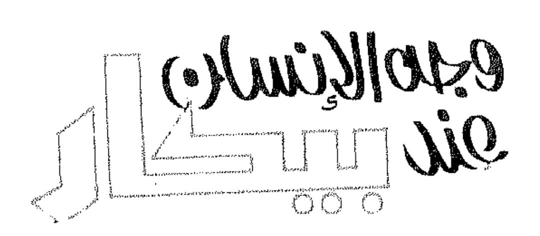
إن الوجه الانسانى فى لوحاته ـ وهو وجه نسائى فى معظم الأحوال ـ رغم تنوعه ورغم تطابق نسبه مع النموذج الواقعى يكشف عن تعلق الفنان بملامح محددة ، فهو يميل الى الحواجب المرتفعة ويسيِّدها على كل الوجوه تقريبا ، كما يميل الى نقاط الضوء اللماعة ـ كما ذكرت من قبل ـ ولايكاد وجه واحد يفلت منها . حتى فى اسلوب التجسيم يكاد يكون ثابتا : ففى حين يجسم كتلة الوجه تجسيما اسطوانيا فى معظم الأحوال ..

فإن كفة التجسيم بالمسطحات ترجح فى بناء وتحليل معظم أشكال الثياب . وربما كان قصده من تلك الثنائية فى التجسيم الكشف عن التباين بين ملامس البشرة الانسانية والملابس . واستعار من المنحوتة المصرية القديمة حرص مبدعها على البناء ، ووضوح المعالم ، وابراز الطابع السكونى .. او مايفضل بعض النقاد وصفه بالحركة الداخلية لتفريقها عن الحركة الخارجية فى النحت الاغريقى . وهو يلتزم بالوضعة الكلاسيكية ذات الشكل الهرمى ، كما يلتزم باحتلال الجزء المصور من النموذج (وهو غالبا الرأس واليدين) كل المساحة .. بحيث يبتعد عن التماس مع اطارها الخارجى .. كما يهتم ـ شأن فنان عصر النهضة ـ بالتوازن عن طريق تكامل الخطوط والأشكال .. بحيث يكون لكل شكل او خط صداه داخل اللوحة . ويلتزم فى كثير من اللوحات بمستويات العمق : [الأبعاد الثلاثة] . يعتم الخلفية وتزداد الدرجات إضاءة كلما اقترب خطها الوهمى من عين المشاهد .. لتصبح نقاط الضوء فى العيون والأنوف والأفواه هى البطل الرئيسى . إن تلك الومضات تتجاذب فى الفراغ وتخلق نوعا من الحركة المجردة .. التى تكسب الشكل الواقعى . الوصفى بعدا شعريا ، ومذاقا خاصا . ومبررا للاعتراف بان مانراه فن متحفى .

فى لوحاته تتوارى المصادفة ، والمغامرة غير المحسوبة . يظهر العقل قائدا ومحركا . كل هدف تسبقه خطة مدروسة . تسبق اللوحة دراسات تخطيطية . يختار من بينها الأفضل . حتى الرسوم التحضيرية ذاتها ينفذها بعناية فائقة .. تتميز برشاقة اللمسة وجراتها ورشاقتها . وأذكر أننى عندما كنت طالبا فى كلية الفنون الجميلة فى أواخر الخمسينيات كان تأمل حركة يده بالفرشاة او اقلام الفحم شيئا ممتعا حقا . خطوطه

بطاقة تعريف :

- مواليد الاسكندرية عام ١٩١٣ ..
- تخرج فى مدرسة الفنون الجميلة العليا عام ١٩٣٣ وكان ترتيبه الأول . ومن بين أفراد دفعته : رمسيس يونان . نحميا سعد . على الديب . امين صبحى .
- عمل مدرسا بعدد من المدارس قبل انتدابه الى المغرب حيث ظل بها ثلاث سنوات .
- عمل معيدا بكلية الفنون الجميلة عام ١٩٤٢ بعد عودته من المغرب .
- استقال عام ١٩٥٩ وتفرغ للصحافة .



الرقة .. والاعتداد

رشيقة لاتردد فيها على الاطلاق . قادر على رسم الصعب من الاوضاع ومن أعضاء الجسد الانسانى وخاصة أصابع اليدين ، بل انه يعد احد الفنانين القلائل فى مصر الذين يجيدون رسم الأصابع

• وجه يجمع بين البراءة والرزانة



وجه الإنسان عند بيكار

والأيدى وخلق توافق تعبيرى بينها وبين الوجه . واذا كانت وجوهه تتسم بالجمال والرقة والاتزان فكذلك تظهر الأصابع .

إن وجوهه وإن ارتبطت بأصول فن « البورتريه » فى عصر النهضة فإنها اتسمت بما يجعلها تتمتع بخصوصية شخصية الفنان . المثقف . الذى استوعب مدارس وأساليب الفن المختلفة . فقد تخلص ـ مثلا ـ مما تحفل به اللوحة الغربية من تفاصيل دقيقة ، كما استعان ببعض ما أنجزته التكعيبية والتجريدية والتأثيرية .. غير أنه مصرها ، بمعنى أن « التكعيبية » تحولت لديه الى مسطحات هندسية قريبة من مسطحات النحت الفرعونى . كما استفاد من التجريدية الهندسية فى تكويناته المختلفة . كما يظهر فى لوحاته بين الحين والحين مايوحى باستفادته من التأثيرية (فى اللمسات المتدفقة لا فى التحليل الضوئى) .

أما عجائن الألوان الزيتية فإنه يتعامل معها تعامل النساج .. فهى طبقات فوق طبقات .. خاصة فى مناطق الوجه والأطراف ، حيث تظهر لمسات الفرشاة الدقيقة ، وتبدو فى نهاية الأمر أشبه بخلايا بشرة حقيقية . ورغم تلك الكثافة الملمسية فإنه يقتصد فى التنوع اللونى ، ويمتنع عن الاستعراض به حتى لاتتعرض الكتلة . النقية . والاستدارات المحكمة للوجوه والصدور الى التشوه .

وهو يقيم الف حساب لحركة النور



لوحة الفنان .. جزء من ذاته

والظل ، والدرجات الضوئية والدرجات الظلية . يتابعها بعناية ، ليس فقط من اجل وصف شكل او لتحقيق درجة من درجات المتعة المباشرة بل للترميز بذلك الى ماهو ابعد وأعمق .. وإن كان يحدث له أحيانا ـ رغم الحذر ـ أن يُستدرج إلى تقديم وجوه تستثير فينا الشهوة وأمنيات الملامسة الفعلية مع الشفاه والصدور !

قلت له ذات مرة مداعبا : الوجوه التى ترسمها تبدو أحيانا فاتنة أكثر مما ينبغى فأجاب بجدية : إننى لا أستطيع أن أصور القبح .. وأرى الانسان دائما أشبه بملاك !



مهرجان الاسكندرية السينمائى الخامس

وداعا.. للشباب المتمرد

بقلم : محمود قاسم

لوتابعت مانشرته الصحافه ، أخيرا ، حول وقائع مهرجان الاسكندرية السينمائى الخامس لروعتك المعالجة السطحية التى تم بها تناول موضوع اكثر جدية ولادركت أن البشر ، وعلى رأسهم مدعى الثقافة ، يحكمون على الامور من قشورها .. ولعرفت أن كلمة ((مهرجان)) تعنى عند الكثير من البشر مزيجا من السمك واللبن والتمر هندى شىء لا طعم له ولا هوية

فالمهرجان فى مفهوم الناس هو مكان للبهرجة ولاجتماع النجوم ولتسليط الاضواء ومنح الجوائز وتأجير صالات ولحفلات كوكتيل وما اليه ..

ومنظور الآخرين الى مهرجان الاسكندرية ، يعكس بالتالى منظورهم الى كافة المهرجانات التى تقام فى شتى مجالات الفنون والثقافة والحياة ..

واذا كان مهرجان الاسكندرية الاخير قد استطاع ان يتعاقد على قرابة أربعين فيلما متميزا جاءت من انحاء متعددة من العالم . فان البعض قد راح يتحدث عن غياب النجوم أو عما حدث فى حفلات الاستقبال . او عن المشادات الخاصة التى دارت فى ندوات الافلام .. وخلع هذا البعض عن المهرجانات صفته كظاهرة ثقافية وجوبية الحدوث فى ظروفنا الحياتية المعاصرة ..

نسوق هذا الكلام بمناسبة الحديث عن أزمة الرؤية .. وليس أزمة السينما . فقد اثار البعض ان السينما فى خطر .. وانها تعانى من أزمة .. والحقيقة ان المشاهدة هى التى فى خطر .. فقد جاءت الى الجماهير

محمود عبدالعزيز . طار على جناح يمامة

غرق الشباب فى الحب .. وابتعد عن التمرد فى "الحب من أول دم"

افـلام متميزة من كل من بولنـدا وتشيكوسلوفاكيا والاتحاد السوفييتى وفرنسا وأسبانيا والولايات المتحدة ، وتونس وغيرها ·· وكانت فرصـة للجمهور ان يعاود الالتقاء مع فنون جادة · وأعمال تستحق الرؤية فـ «الذرة الحمراء» فيلم صينى حاصل على الجائزة الكبرى فى مهرجان برلين · وفيلم من المجر « الحب حتى أول دم » حصل على جائزة مهرجان ستراسبورج ، ومجموعة افلام منتقاة من مهرجان كان الاخيـر ·· ولكن مثلما راح الصحفيون يفتشون عن فضائح المهرجان وأسراره ·· فان الجمهور قد راح يفتش عن لقطات بعينها تعكس مدى حرمانه وجوعه الاجتماعي ·· وازدحمت الصالات بالجماهير أمام افلام دون غيرها ·· وراح بعض صانعى الكتابة يغازلون هذه الجماهير فيتولون ارشادهم الى هذه الافلام من خلال ما ينشرونه يوميا عن المهرجان ·

● وداعا الشباب المتمرد

اذا كانت « الكرة أجوال » · مثلما يردد الكابتن لطيف ·· فالمهرجان افلام · ويقاس نجاح أى مهرجان فى العالم بمدى ما يمكن أن يحصل عليه من افلام تميزه · ومن خلال هذا الكم من الافلام يقاس نبض الابداع العالمى والمحلى · لان المفروض أن المهرجان ينتقى أحسن افلام الاعوام السابقة لتقديمها الى جمهورها ·· وبالقياس الى ما عرض فى الاسكندرية سنكتشف ان فى مجموع الافلام عدة سمات يمكن ايجازها فى النقاط الآتية :

مشاكل الشباب هى الشاغل الاول لدى صناع السينما فى العالم · مدى مواجهتهم مع المجتمع · وظروفهم الخاصة · وقد فقد اغلب هؤلاء الشباب سمته الهامة وهى التمرد على ما يحدث فى العالم · بل اصبح هذا الشباب ضحية فوق محراب البشرية · فهو مطحون غالبا · وقد تحول الى ترس آدمى يعمل على تسيير عجلة الحياة · حدث هذا فى الفيلم المجرى « حب حتى أول دم » من اخراج جيورجى دوبراى وبيتر هورفاث · فالشاب فيوج نموذج للعديد من الشباب المجرى ، الذى ركب معه يوما قاربا صغيرا ووقفوا يرقصون على الطريقة الامريكية وارتدوا فانلات عليها العلم الامريكى · وراحوا يحتسون شراب الكوكا · هذا الشاب يحاول الانتحار على الطريقة الغربية ، لانه تصور أن حبيبته قد خدعته · وهذا الشاب عبارة عن كتلة انفعالية · يملأه الاضطراب · ويقيم فى مدرسة داخلية ويعكس كل هذه السمات فى علاقته بالفتاة آجوتا ·

والشاب بافل هو نموذج مشابه · فى فيلم « حب فى الممر » لباروسلاف سوكوب · فهو لا يستطيع ان يتكيف مع الظروف المحيطة به من خلال اسرة منقسمة ومسكن غير مناسب · وهو يضطر للارتباط بعصابة اجرامية تقوم باعداد سطو مسلح من خلال تقديم تسهيلات لاعضائها ··

اذا كانت بعض الافلام قد حاولت محاكاة السينما الامريكية من خلال شغفها بالحدوتة المثيرة ذات الايقاع السريع فان اغلب الافلام المنوعة فى فرنسا واوروبا الاشتراكية تتسم « بجوانبه » خاصة · تعتمد فى المقام الاول على التجريب والخروج عن المألوف · يمزج فيه المخرج بين فنون عديدة كالمسرح ، والادب والتراث والميثولوجيا مثلما حدث فى فيلم «حالتى» للمخرج البرتغالى مانويل دى اوليفيرا ·

وداعاً للشباب المتمرد

حيث صور مزامير داوود من خلال رؤية مسرحية صعبة الفهم الا للحالات الخاصة • ونتيجة لصعوبة الفيلم فقد اكتفت ادارة المهرجان بعرضه في حدود ضيقة •• أما المحاولة الثانية فهى « الحب الساحر » للمخرج الاسبانى كارلوس ساورا •• والفيلم اشبه بواقع تدور احداثه داخل مسرح واسع لا نهاية له •• السماء هي جدران المسرح • والحركات ايقاعية يتراقص بها الابطال كأنهم اسماك فى حوض أسماك زجاجى لا يمكنهم ابدا الانفلات منه •

● التقليد فى الافلام المصرية

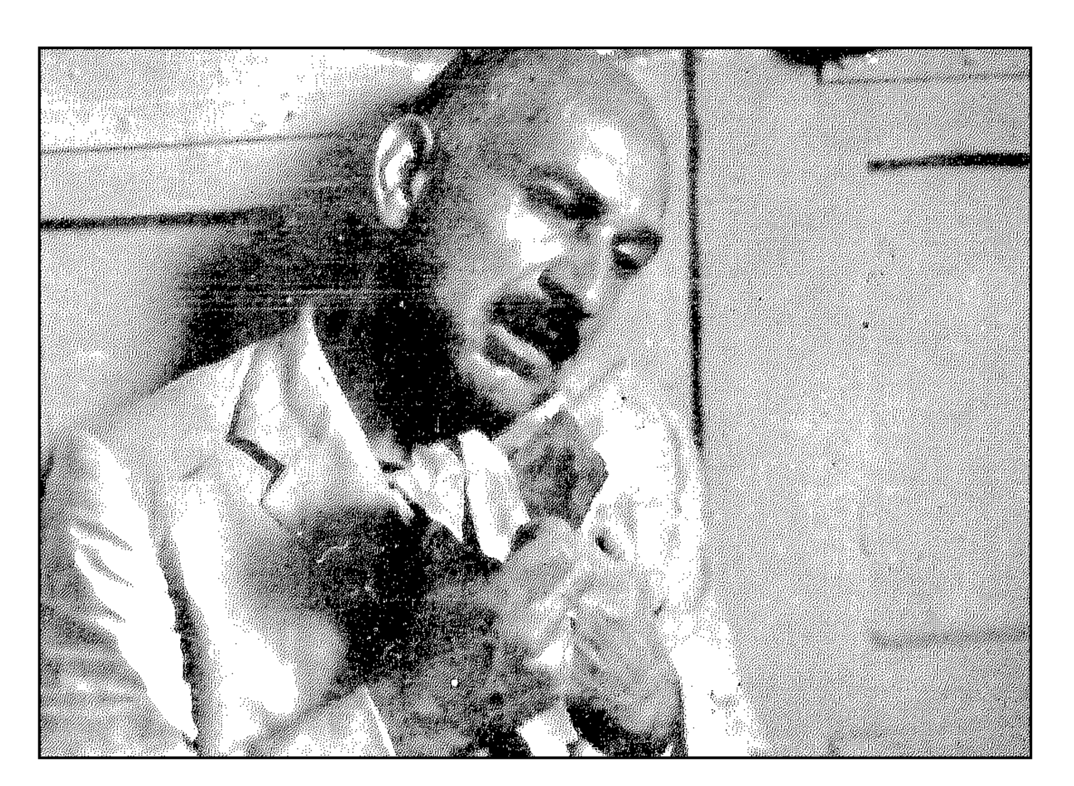
رغم ان السينما تحتفل هذا العام بمرور قرن على ظهورها • فانها لم تستطع الانفصال أبدا عن الكلمة الادبية المكتوبة • حيث راح صناع الافلام يفتشون عن مصادر افلامهم فى الروايات والكتب المنشورة • وذلك بدءا من فيلم الافتتاح « صرخة الحرية » لريتشارد اتنبروا وحتى فيلم الختام « حروب الفاصوليا » •• ففى مصر استعان سعيد مرزوق باقصوصة قصيرة لجمال الغيطانى ليقدمها فى فيلم « أيام الرعب » • كما استعانت المخرجة الفرنسية ديان كيريس بكتاب عن حياة الكاتب الايطالى ريتشارد بافيزى كى تكون خلفية لاحداث فيلمها « رجل عاشق » ، واستعان دى أوليفيرا بنص مسرحى كتبه صموئيل بيكيت ليقدم فيلمه التجريبى « حالتى » ، أما كلود شابرول الذى قام بتطليق الموجة الجديدة فى السنوات الاخيرة فقد استعان برواية بوليسية للكاتبة الامريكية باترشيا هايسميث ليقدم فيلمه « صرخة البومة » • أما جيمس ايفورى البريطانى فقد بدا مشدوها بأدب هنرى جيمس فى فيلمه « الاوربيون » الذى يكاد يكون فيلما منسوخا عن رواية بنفس الاسم •

والظاهرة الثانية المتعلقة بالنص السينمائى هى ان المخرجين يحشرون انوفهم دائما فى كتابة افلامهم • ويصرون ان يشاركوا كتاب السيناريو المحترفين فى كتابة نصوصهم • أو يؤثرون القيام بهذ المهمة وحدهم •

تنعكس أزمة السينما المصرية التى تواجهها حاليا فى مدى اشتراكها فى المهرجانات المحلية قبل الدولية منها • فطول أيام انعقاد المهرجان والمشرفون عليه فى حالة ارتباك شديد بشأن عروض الافلام المصرية • **هناك افلام لم يتم تشطيبها الا فى اللحظات الاخيرة من اجل عرضها فى المهرجان أما الافلام الاخرى فهى اقل اهمية وجودة • ورغم ان خمسة افلام قد نالت جوائز لجنة التحكيم ، فانه والكلام للمخرج صلاح ابو سيف رئيس اللجنة ، ليس هناك فيلم لامع يستحق جائزة •**

واذا كانت الجوائز الممنوحة هى التى اسقطت مهرجان الاسكندرية الرابع عام ١٩٨٤ • فان شهادات **التكريم الورقية التى تمنحها المهرجانات هى محاولة لارضاء كل من اشتركوا بالحضور فى المهرجان على المستوى المحلى • حيث ان هذه الظاهرة ترضى الفنان الذى يقاس مدى وجوده ، ويا للعجب ، بمدى ما يناله من استحسان فى مثل هذه المناسبات •**

والملاحظة بارزة فى الافلام المصرية العشرة التى عرضت فى اطار ليالى الاسكندرية انها تهتم بوضعية المثقف



بن كنجسلى فى جزيرة باسكالى

فى المجتمع · هذا المثقف الذى يمكنه ان يتكييف بسهولة مع لغة المجتمع الجديدة فى عصر الانفتاح فى فيلم : «الدنيا جرى فيها ايه» · وهو الانسان المليء بالخوف والرعب لمجرد انه سمع ان غريمه سوف يأتى الى القاهرة للقنص منه فى جريمة ثأر فى فيلم « أيام الرعب » · وهذا المثقف يرضخ بسهولة للطغاة سواء فى هذا الفيلم او فى « التحدى » لايناس دغيدى او « كل هذا الحب » لحسين كمال ·

● الحياة .. تستمر

أثبت النجاح النسبى الذى حققه المهرجان أن جمعية اهلية فقيرة يمكنها اقامة حدث ثقافى وسط تعثرات مالية ومعنوية ومنافسة وسلبية من جانب بعض المسئولين · ومع هذا فقد استطاعت ان تقيم مهرجانا يستضيف اكثر من ثلاثمائة ضيف فى افخم فنادق الثغر ويستجلب نيفا واربعين فيلما من جنسيات مختلفة · ويعود هذا النجاح للحماس الذى علا وجوه اللجنه المنظمه للمهرجان تحسبا من منافسة لمهرجان اخر ومحاولة اثبات ان الحياة يمكنها أن تستمر فلا شك ان المهرجان قد افتقد اسماء بعينها تخصصت فى اقامة المهرجانات ·

وقد اضعفت هذه الامور من المهرجان لكنها أيضا كانت اشبه بضربات العصا المتوالية ، كما يقول غاندى ، التى تزيد من قوة الظهر · واثبتت هذه الظاهرة أن الحياة « ولودة » بطاقات جديدة يمكنها الوقوف بنفس الكفاءة مكان الطاقات التى آثرت الانسحاب أو الوقوف ضد المهرجان ··

تلك بعض السمات لمهرجان قديم يعود فى ثوب جديد · محاط بتوترات لكنه فى داخله ، يحمل عوامل بقاءه ·· واذا كانت للمهرجان بعض سلبياته فهى سلبيات مرتبطة بصفات عامة فينا جميعا مثل التعجل ، وعدم الدقة فى التخطيط ، والانتظار حتى اللحظة الاخيرة ، والتركيز على شكليات مثل حضور النجوم والحصول على جوائز ورقية وما اليها ·

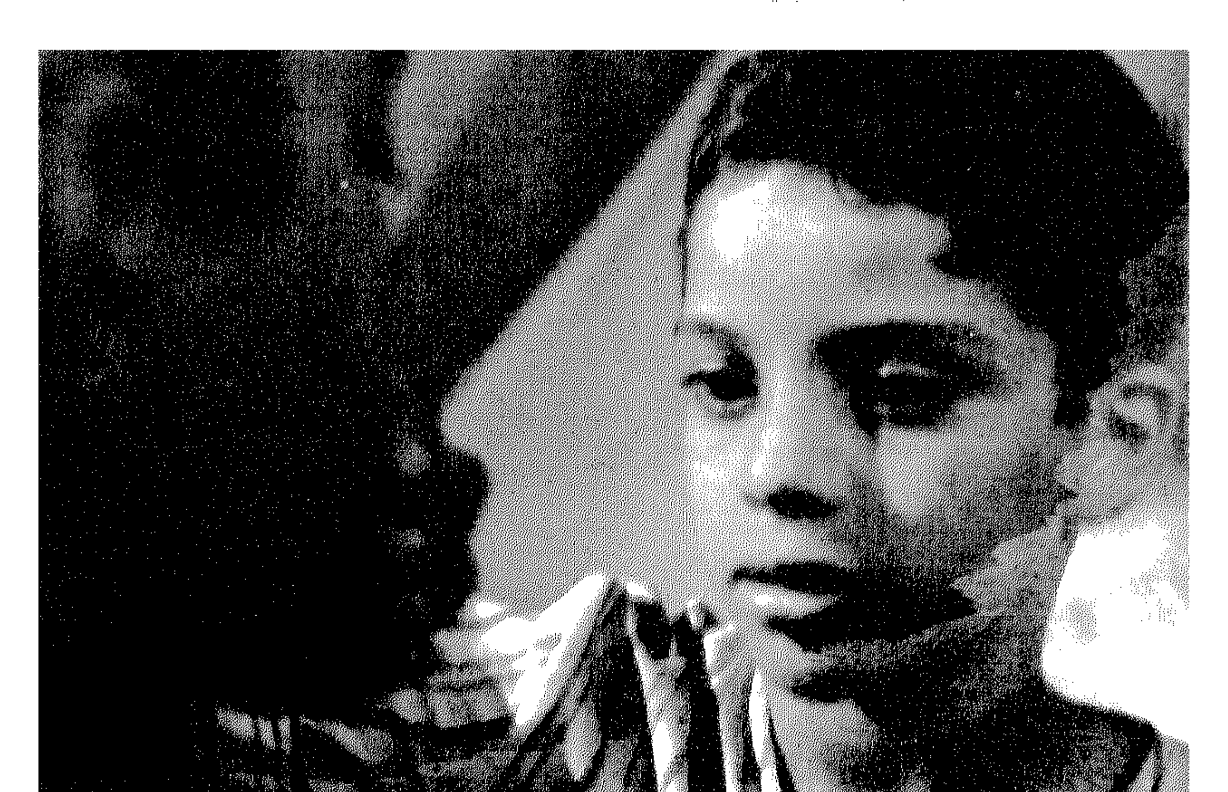
موجات جديدة في السينما

بقلم : مصطفى درويش

حصادنا من الأفلام التي تريد ان تقول شيئا جديدا جادا . وجرى عرضها اثناء النصف الاول من العام ، اراه حصادا لايزيد عن فيلمين لاثالث لهما .

بل ان احدهما « سرقات صيفية » لم تتح حتى الان فرصة مشاهدته في عروض عامة الا لفئة قليلة من النقاد هنا فى القاهرة ، وفئة قليلة من الناس هناك فى الاسكندرية بمناسبة انعقاد مهرجان سينما البحر المتوسط قبل ايام وبه ابدأ الحديث .

الطفل ياسر .. بطل سرقات صيفية



« سرقات صيفيـة » اول فيلم لصاحبه المخرج « يسرى نصر الله »

وهو عمل فنى غير مثقل بقيود سينما نظام النجوم التى لاتتعمق ، ولاتكاد تتجاوز موضوعات معينة ، مكررة الا نادرا .

● وجوه بريئة

فأول مايلاحظ عليه ان صاحبه لم يجنح فى إخراجه الى الاعتماد على نجوم ، بل ولا حتى على ممثلين محترفين .

وإنما جنح الى الاعتماد على هواة منهم من وقع فى هوى السينما وانتظر مجىء الفرصة . ومنهم ما ان وقف امام الكاميرا حتى وقعت فى هواه .

ومن هنا غلبة الوجوه العادية النقية الفتية فى معظم وأهم أدوار الفيلم ، مما أضفى عليه طابعا غير مألوف ملؤه حيوية متحررة من اثقال سينما قديمة عفا عليها الزمان .

● ايام لها تاريخ

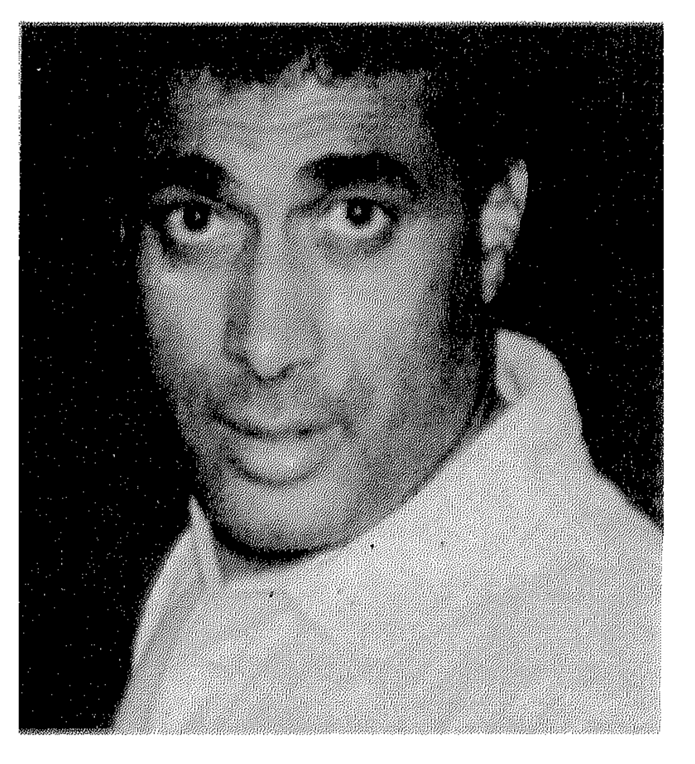
وخصلـة اخرى يمتـاز بهـا فيلم « يسرى » وهى أنه يعرض لجوانب من الحياة فى مصر لم تخطر من قبل على بال احد من صانعى السينما عندنا .

فعالم الأطفال بكل سحره ، بكل أحلامه وأوهامه هو محور « سرقات صيفية »

وعالم شهر يوليه ١٩٦١ بتأميماته وتفجراته الاجتماعية التى كان لها أكبر الأثر على مسار مصر .

هذا العالم هو الذى تدور حوله أحداث الفيلم وجودا وعدما .

ولعل هذه الجدة الخصبة غير المعهودة فى أفلامنا منذ « المومياء » أو ليلة حساب



احمد زكى .. باع غازوزة فى الدرجة الثالثة

السنين رائعة المخرج الراحل « شادى عبدالسلام » لعلهـا هى التى حدت بمهرجان كان الاخير الى اختيار « سرقات صيفية » من بين عشرات الافلام كى تفتتح به تظاهرة اسبوعى المخرجين .

ولاول وهلة يبدو الفيلم وكأنه مأخوذ دون تصرف عن سيرة صاحبه الذاتية ، وكأنه لم يغير من هذه السيرة شيئا .

● عائلات محترمة

أليس أسم بطله الطفل « ياسر » قريب الشبه من اسم مخرجه « يسرى » .

وأليس الفيلم يحكى لنا اياما من عمر طفل ينحدر من صلب احدى العائلات المصرية العريقة التى مسها يوليه بقوانينه ، فأفقدها ثراءها الذى اصبح فى خبر كان .

موجة جديدة في السينما

ومعروف عن صاحب « السرقات » انه سليل احدى تلك العائلات الكبرى التى ظلت محتفظة بمكانة رفيعة فى المجتمع الى ان هبت عاصفة يولية فهزت مكانتها هزا عنيفا .

وأليس الفيلم يلتقط من ذاكرة مخرجه الاعوام الاربعة التى طواها على ارض لبنان اثناء حقبة عجيبة من الزمان تفجرت عن احداث جسام ، وكأنها الحمم من البركان . فيضمنها حياة هذا الطفل عندما اصبح شابا يافعا

فاذا بنا نراه قريبا من ختام الفيلم ، وقد عاد مصورا الى ريف مصر من لبنان المثحن بالجراح والخراب .

يحاول ان يسترد على شاشة الذاكرة ملذات واوجاع ايام الطفولة فى قصر العائلة الذى تحولت به الخطوب والاهوال الى اطلال .

● المستحيل

ومع ذلك فالفيلم ليس من نوع السيرة الذاتية

ثمة اوجه شبه مافى ذلك شك فى بعض التفاصيل والدقائق التى يتألف منها عمر « ياسر » فى الفيلم وعمر « يسرى » صاحب الفيلم .

ولكن ما اكثر التفاصيل والدقائق الاخرى المختلفة فى عمرى « ياسر » و « يسرى » .

فعلى سبيل المثال الطلاق فى اسرة الاول سهل المنال ، وآية ذلك تهديد ابيه لامه به ، وانتهاء حياة خالته الزوجية بالطلاق وبعقد قرانها على آخر قريب من السلطة فى حين ان الطلاق فى اسرة الثانى « المخرج » يكاد بسبب الدين ان يكون امرا مستحيلا .

● زاوية جديدة

ومهما يكن من امر ، فسرقات صيفية عمل من تلك الاعمال السينمائية النادرة التى تعرض لعالم الاطفال قبل ان تثب بهم الحياة الى الفتوة باسلوب بسيط يحبب الناس فى عالمهم الذى محوره وقائع صغيرة غالبا ماتبدو لهم كبيرة .

والفيلم يبدأ بداية هادئة كل الهدوء غير انه سرعان مايتبين لنا انه من ذلك النوع من الهدوء الذى يسبق العاصفة .

فما أن تنتهى العناوين حتى نرى الطفل « يسرى » (احمد محمد احمد) جالسا الى جوار الفلاحة « خضرة » (اميرة غزال) على حافة ترعة حيث يسبح فلاح شاب « عنتر » (حسن فتحى) عارضا مفاتنه للناظرين .

وفجأة ، إذا بهذا المشهد المشع رقة وبهجة ينفجر عن ذعر يعقبه موت أكيد .

فهاهو ذا « عنتر » غريق وجسده على شاطىء الترعة جثة هامدة فى رقبتها ضفدع لصيق .

وهاهو ذا ضابط الشرطة (طارق حلمى) ممتطيا جوادا سائلا فى عنجهية الفرسان عن هوية صاحب الجثة ، فتجيئه الاجابة من « خضرة » بصوت ملتاع خفيض .



سعاد حسنى

وقبل أن أترك هذا المشهد الأخاذ ، أحب ان أقول أن ماتحلى به من بساطة وجمال ، **انما يرجع اكبر الفضل فيه الى عين كاميرا « رمسيس مرزوق » التى استطاعت ان تنفذ الى اعماق الاشياء ، فأعادتها باحجامها والوانها اطيافا تسحر الابصار .**

والآن ، وبعد انتهاء الكلام عن هذا المشهد ، اعرض لخط الفيلم الدرامى ، فأجده رغم تعدد وتشابك نسيجه الفنى بسيطا بساطة غير مشوبة بأدنى تعقيد .

يتقدم علوا وصعودا مع كل اكتشاف « لياسر » ومع كل تجربة يمر بها خلال شهر واحد من عمر مصر ، وياله من شهر !!

● صرخات وهمسات

انه يوليه ١٩٦١ شهر التأميمات الكبرى والمزيد من التحديد للملكية الزراعية ، ومن الحقوق للفلاحين .

شهر الكلمات المنطلقة من الاذاعات بصوت قائد الثورة تحمل الامل الى العمال والفلاحين الذين يشاركون الملاك فى الانسانية والوطن ، ومع ذلك يسامون بينهم سوء العذاب .

وطبعا هذه الاحداث الخطيرة كانت لابد ان تنعكس آثارها على « ياسر » .

ومن بين هذه الآثار نشوء صداقة بينه وبين الطفل الفلاح « ليل » (هانى حسين) واشتراكهما فى سرقة الاغنياء انتصارا للفقراء .

● محلك سر

بقى ان اذكر ان الخيط الاساسى فى حبكة الفيلم هو هزيمة الفلاح .

ففى لقطات الفيلم الاولى يدفع الموج



« عنتر » الى الموت غرقا .

وقريبا من منتصف الفيلم تلقى الشرطة القبض على الطفل « ليل » وتزج به فى السجن بتهمة السرقة دون ان يسمح له دفاع .

وقبل النهاية بقليل نعرف ان الضابط الفلاح « عبدالله » (مجدى كامل) قد مات شهيدا فى حرب الخامس من يونيه (حزيران) .

ونسمع من الفلاحة (عبلة كامل) التى تعمل فى عزبة الاسياد انها على موعد مع موت رهيب بالسرطان .

واثناء اللقطات النهائية نرى « ليل » وقد اصبح رجلا ، مستقلا حافلة مع جمع من الفلاحين الشبان تشق طريقها الى العراق حيث تدور رحى حرب ضروس اما الاسياد واصحاب الارض من ابناء الاسر الكبيرة فقد تكيفوا مع النظام الاجتماعى الجديد ، واستعانوا بما تبقى لهم من علاقات واموال على تحقيق مايريدون من المآرب والآمال .

● فجر جديد

فاذا ما انتقل بنا الحديث الى الفيلم الثانى « الدرجة الثالثة » فسنجد انفسنا امام عمل فنى وصلت فيه حرفة السنيما الى ذروة عالية من البراعة فى الاخراج « شريف عرفه » وفى الحوار « ماهر عواد » وفى التصوير « محسن نصر » وفى التوليف « عادل منير » .

واسلوبه الذى يتزاوج فيه الواقع بالخيال انما يذكرنا باحدى روائع السينما الامريكية الأخيرة « اختطاف اريزونا » الذى لم يترك صغيرة أو كبيرة من طريقة الحياة الامريكية الا وسخر منها من خلال حكاية رمزية ذات مغزى .

والرمز المختار فى « الدرجة الثالثة » عبارة عن ناد لكرة القدم تديره « جمعية حبايب النادى » المشكلة من جمهور البسطاء مشجعى الدرجة الثالثة ، ومن اعضاء مجلس الادارة المتربحين من حب وحماس هؤلاء البسطاء .

وطبعا هذا النادى الموزعة جمعيته بين اغلبية من الناس البسطاء ، وقلة من الصفوة اهل القمة ، انما يرمز الى مجتمعنا الكبير بعبيده واسياده .

وهذه التفرقة نلاحظها حتى قبل ظهور العناوين فى مشهد مدهش سابق عليها اطلعنا على جميع الشخصيات التى لها دور رئيسى ومعظم الشخصيات التى لها دور ثانوى .

● كأس العذاب

فها هو ذا الجمهور الصاخب فى هذا المشهد الفريد ترتفع حناجره بالدعاء ، وواحد فى صفوف المدرج يزمر ، وآخر يطبل وثالث يعزف على عود ، وجموع تصفق وتهتف فى جنون .

وهاهو ذا « سرور » « احمد زكى » بائع المياه الغازية يُنادى عطشان فيجيئه رد « مناعة » (سعاد حسنى) بائعة « لحمة الرأس » جريئا مثيرا « قروشك وانا

جاهزة » وبعد لقطات متدفقة تمر بنا على وجوه كل ابطال الفيلم من رواد الدرجة الثالثة ، تنتقل بنا الكاميرا الى رئيس مجلس الادارة (جميل راتب) واعضائه جالسين فى مقصورة الاكابر ، مرتدين جميعا زيا موحدا من حرير يليق باصحاب المقام الرفيع .

وما ان تنتهى هذه اللقطات اللاهثة حتى تمتلىء الشاشة بالكأس .

وليس هنا موضع الحديث عن هذا الكأس الذى فاز به النادى ، وحكاية تداوله بين الايدى والرءوس حتى تتوقف به الكاميرا فى ميدان الجزيرة امام الزعيم « سعد زغلول » واقفا على قاعدة تمثال « مختار » ويده مرفوعة ، وكأنه يقول لكل هذا العبث العابث كفى .

ولا الحديث عن الصراع ـ بعد إنتهاء العناوين فيما بين الفئة القليلة الباغية من اعضاء مجلس ادارة جمعية محبى النادى ، وبين جمهرة المشجعين البسطاء المغرر بهم الى حين .

فذلك شىء يطول .

وانما اكتفى بالحديث عن بائعة « لحمة الرأس » (سعاد حسنى) مرتدية ثوب عروس ابيض تبحث مع عريسها بائع الغازوزة البرىء (احمد زكى) عن مكان يمارسان فيه متعة ليلة الزفاف .

فاقول فى وصف هذا المشهد الذى انتهى بحثهما فيه الى اصطناع فراش من ارض ملعب النادى ، انه سوقى متكلف ، تكرر كثيرا فى الافلام ، ولايدل على عمق فى التفكير ، ولا على براعة فى الابتكار .

ومن هفوات الفيلم الاخرى ان دور بائعة لحمة الرأس هذا غير ملائم لنجمة لها زهو وعلو شأن سعاد حسنى .

وفى اعتقادى ان التوفيق فى اختيار هذا الدور قد جانبها الى حد بعيد .

ومن هنا ضآلة ونحولة دورها فى الفيلم ، فهى لاتكاد تظهر حتى تختفى .

ومع ذلك فهذا الظهور النادر لهذه الممثلة البارعة كان كالواحة التى يرتاح لها المشاهد بين الحين والحين .

وختاما ، فاخص مايؤخذ على الفيلم هو التعثر فى الربع الاخير منه ، لا لشىء سوى ان صاحبه قد اراد له نهاية سعيدة يخرج فيها الشعب منتصرا .

فكان ان جاءت الاحداث ظاهرة التحكم والسذاجة ، وآية ذلك قرار كبار اعضاء مجلس ادارة النادى نسف مدرجات الدرجة الثالثة ، وذلك بعد ان تبين لهم ان الرعاع فى قاعدة الهرم قد فهموا قواعد اللعبة ، ولن يذعنوا فى غير مقاومة .

حقا الكبار يكذبون ويسرقون ويقارفون آثاما لاتحصى ولاتقدر ولكن ليس الى حد التخلص بالنسف من جمهور الدرجة الثالثة اى من البقرة الحلوب فهذا امر جلل لايخطر على بال احد من المتربحين .

ورغم هذه الهفوات وغيرها مثل الاغراق فى الرموز ، فالدرجة الثالثة فيلم فيه المتاع كل المتاع .

واغلب الظن انه سيكون له حظ من التاثير على السينما العربية غير قليل .



عسل الشمس

قصة قصيرة • بقلم : فؤاد قنديل

دفعتـــــه عن انفها ، فعاد وحط على جبهتها، بصـــعوبة رفعت يدها وابعدته ، حام وهبـــط على فمها ، صبرت عليه لحظات ، ثم نفخته فطار .. عـــــاد فوقف على خدها المعظمى .

تاكدت اخيـــرا ان الذباب لم يخلق الا لها وانه لن يرحل عن وجهها، لم يكن دفعها له احساسا خالصا بقذراته ، بقدر ما كان رفضا لوجـوده الذى يعوق تامـــــلاتها الكسولة فى مسافة بعيدة من الزمان .

قالت لها امها : لقـد وضعتك يوم شنق زهران

حاولت ان تتذكر ماذا قالت عن زهران ـ فـلم تسعفها الذاكرة وتخلت عنها تماما كما تعـودت ان تفعل فى مناسـبات عدة ، لقد غـدا الماضى كصفحة محــا الزمان ما بها من سطور .ربما تتذكر موقفا من المواقف الحرجة . كيوم طردها زوجها واهله الى الشارع ولم تبـــارح الدار الا

بصحبة اولادها الستة، وابت ان تذهب الى اهلها فى الجزيرة ٠

بقيت فى القريةتكافح مرفوعة الراس وترعى اولادها ، تحت سمع وبصر زوجها واله الى ان جاءواهم بانفسهم واجبروها على العودة فرضيت متشحة بالكبرياء

وتذكر يوم معركة الجسر مع الهلالدة بسببنزاع المرى الشهير، لقد اشتركت فيها بنفسها ولم ترضخ لامر زوجها بالعودة الىالدار الا بعد ان شجت بحجر ثلاثة رءوس ٠

حتى هذه الذكريات المعدودة تسبح فى فضاء رمادى يلفه الضبابوهى مصرة على ان تمضى رغم ذلك فى محاولاتها العديدة للتذكر ٠

ولم تنتبه الى انها ـ فى السنة الاخيرة بالذات ـ كلما اسرفت فى نبش الماضى ، فى محاولة للانتقال اليه ، طافت بها مخلوقات غير مرئية وخفقت باجنحتها لتسمح لها بالتعرف عليها

فتقول :

ـ ارجعوا ٠٠ ليس الان ٠٠ ارحلوا ٠٠

كانت تعلم انهم رسل الموت ، يطلبون اليها الاستعداد،فقد ان الاوان وهذه ميزة لا تتاح لكل الناس ٠٠ فها هو الموت بمنحها الفرصة باعلانه عن نفسه ٠ بدت خائفة وعاجزة ، لكنها لا تريد ان تستسلم ٠

عاد الذباب ، لوحت له بكفها النحيل ليبتعد بدا الذباب كانه يود لو يعرف فيم تفكر :

بلغها صراخ احفادها وشقاوتهم ، كان الاولاد فى اول زمانها بلا صوت وبلا مطالب ولا خبل٠٠ انجبت احد عشر ٠٠ ام تحس باحدهم ٠٠

اندفع حفيدها هربا من اخيه فاصطدم بها ووقع عليها ، لم تتوجع رغم ما اصابها ٠ رات ان تبارح المكان لانه طريقهم وسوف يقعون عليها مرات ٠

سقطت الشمس الان عن الجدران ، وهبطت الى الارض ٠

استدارت الى الحائط واعتمدت عليه ونهضت ٠٠ السحابات السوداء على عينيها لا تكاد تتيح لها الفرصة كى ترى الخطوط المحددة لمعالم الاشياء ٠

تقدمها ذراعها ،بحوم فى الفضاء كقرن الاستشعار ، يكشف لها الطريق الى الحارة ٠ ، اجتازت العتبة ، واكملت ثلاث خطوات ثم جلست

هذا مقامها النهارى، هنا اقرب مكان الى الدنيا ٠٠ تمضى خلاله فى دراسة صامتة لما يدور حولها ، راسمالها الوحيد سمعها الذى يعمل بكفاءة ٠ تميز هذه البنت من اختها ، وهذا الولد على اخيه ، وتميز صوت الفسيخ جوهرى واقدام ولدها

وتميز نباح كلبهم من كلب البنداري .

منذ سنوات وهي تراقب نفسها تمضي في طريق شاحب الضوء ، سرعان ما بدأ الظلام يكسوه ، ومع مضي الزمن الرديء تحيط بها العتمة كلفافة من خيوط العنكبوت .

لا احد يحنو عليها في هذه الدنيا الا الشمس المهيبة الحنون، وما عدا ذلك فالكل اعداؤها ويودون لو ترحل .

تحس ان الشمس تحتضنها وتخلع عليها ارديتها المتعفنة ،وتمسح عظامها الرميمة وتداعب كساءها الجلدي ، وتسلمها للذكريات .

يمكنها ان تسترجع طوفان الذكريات دون ادنى احساس بالمرارة أو الندم ، وهي ترى ان هذه السنوات ليست كالسنوات السابقة .

طويلة تلك المسافة التي قطعتها مع الزمان، تعمل وتعمل ، حتى اذا ارادت ان تتسلى ، فانها تتسلى بشيء مفيد .. كانت دائما ذات فائدة .. زوجة اصغر ابنائها التي تعبث بوجهها طيلة النهار .

قالت له :

ـ ان امك تضع خرزات المسبحة المقطوعة للبط .

لم تدافع العجوز عن نفسها حين قال لها :

ـ ارجوك يا امي ..
لا تفعلي شيئا ..

وكانها فقدت الاحساس بالظلم ، لم تهتم بان تقول له انما وضعت للبط حبات الفول . كانت متاكدة ان دفاعها غير ذي جدوى فابنها المنبهر بجمال زوجته لن يستمع الا لقولها ، هي متاكدة انها القت للبط حبات الفول .

ـ جيل مجنون . هل يعقل ان القى للبط خرزات المسبحة .

صحيح ان رؤيتها بالعين مضطربة او ربما معدومة . لكنها تستطيع ان تتعرف على الاشياء وتحددها باللمس اذا امسكتها .

بيديها تستطيع ان تفرق بين رغيف صنع بقمح خالص ، ورغيف اضيف اليه قليل جدا من الذرة .

انتهت الى الاقتناع بان هذه السنوات رديئة ، زيفها المزيفون وغشها التجار .. لم يكن لامرىء ان يفكر من قبل ان تمتد يده الى طقوس النبل والحياء ، لكنها الان تمتد الى ما مدى ..

اكتشفت ان الشمس ترحل عنها ويغطيها الظل والثلج ، بسطت راحتيها على الارض ، واعتمدت عليهما ، تحركت قليلا في اتجاه الشمس المزدهرة .. تحسست مداسها المهترىء ، قربته منها .

قالت زوجة ابنهـــا التى تلوك فى شدقها ـ فى خلاعة ـ فص اللادن

ـ هـــل احملك الى الشمس يا خالة ؟ ٠

نســـيتها وواصلت تأملاتها ٠ لقد عـــاشت طويلا وشرب جســـدها كثيرا من عسل الشمس كثيرا جدا من بـــرودة الظل ، رحل الــــزوج مبكرا ومضت وحـــدها تربى احد عشر رجـــلا وامراة ٠٠ انتشـــروا فى الارض لا تراهم ، الا الاصغر الذى يقيـــم معهـــــا باولاده ٠٠ والكلمات بينهما قصيرة ومكررة ٠

بلغها من جديد صراخ الاولاد وضـــجتهم ٠٠ خرجوا من الـــــدار مندفعين يتضـــــاربون ويتقاذفون الاشياء ٠

فجاة انحنى احـدهم ومد يده الى نعل الجدة، وقبل ان يقذف به اخاه قبضت عليه يد الجدة ، فوجيء الولد ، الولـــد الذى يعرف انها عمياء، بيدها تكاد تسحق يده ، حاول ان يتخلص يـــده بلا فائدة ، بهت الولـــد الذى كان يرى يدهـــــا طيلة النهـــــار ترتعش فكيف اصـــبحت الان فى منتهى القـــــــوة والصلابة ، كانها ليست لانســـــان ، انما لالة حديدية صدرت الاوامـــر لها ان تقبض فقبضت ٠

سقط النعل وجـــرى الولد ٠٠

ابتهجت العجوز لهذا النصر المؤزر ٠ تنهـدت وابتلعت ريقها وجـددت لعابها دست فى فمهـــا مبلة من القرنفـــل ٠٠ انشغل بها لســـــانها ، خامرها احساس بالامل فى استمرار الحيـــاة ، دفعته عنها بكل حمـاس اوهام الياس والاستسلام

ورغم انها تفتقـــــد الانسجام مع هذا العالم لـكنها تود لو تبقى كى تتفرج عليه وهو ينتفض بالجنون ٠

مازال لها فى الدنيـا عمر ، ولايزال مطـلوبا منها ان تعيش ، يريـد الله لها ان تشـــــهد مزيدا من الاحـداث فى هذه الحياة المتردية ٠

شردت قليلا وغلبهـا احساس بالاسى ، انتهى فجاة بالدمع والتشـــنج المحموم ٠٠ تذكـرت ان الوقت فـــات دون ان تسجد سجدة واحـــدة لله وقد اصبح لقساؤه وشيكا ٠٠ ماذا تقول له وكانت صحتها الى وقت قريب افضل ما تكون ٠

اختلفت باليـــــاس والكمد ، وخطر لها طيف سؤال :

هل يكلفها ان تسـلم لله قلبا طاهرا ؟

فتح ملف المراكز الثقافية ...

من يصنع ثقافة الشمس المشرقة ؟

هذا الشهر يفتتح المركز الثقافى التعليمى (دار الاوبرا الجديدة) الذى قدمته حكومة اليابان هدية لمصر رمزا للتواصل الثقافى بين الشعوب .
وهذا المشروع الثقافى ليس سوى سلسلة لا تنتهى فى أنشطة ثقافية وفنية جاءت من بلاد الشمس المشرقة .
لكن السؤال هو من المسئول عن صناعة ثقافة هذه البلاد ؟

يتعاظم الدور الثقافى لاحدى الدول ، لدى دولة أخرى ، حسبما تؤديه هذه الدولة من انشطة وخدمات ثقافية مكثفة فى مجال الفنون واللغات والمنح الدراسيه وتعليم اللغات . وهذه الانشطة جميعها تخدم الايديولوجية السياسية التى تنتهجها هذه الدولة . ولذا ترصد لهذه الانشطة مبالغ ضخمة ، لان تأثيرها ، وغالبا ما يكون عميقا ، طويل المدى وله مدلولات متعددة .

وان نظرنا الى الانشطة الثقافية الاجنبية فى القاهرة ، على سبيل المثال ، فسنجد أن هناك علاقة طردية بين أهمية الدور السياسى العالمى لدولة ما ، وبين الانشطة التى تمارس فى المراكز الثقافية التابعة لها : الولايات المتحدة ، فرنسا ، ألمانيا الغربية ، ايطاليا ، المملكة المتحدة ، ثم دول المعسكر الشرقى وعلى رأسها الاتحاد السوفييتى والمجر .. وهى المراكز التى ظلت معطلة عن العمل قرابة عشر سنوات نتيجة لقرار سياسى .

وقد آمنت اليابان بهذه المفاهيم ، خاصة فى السنوات الاخيرة ، فسعت للدخول فى مجال المنافسة



مشهد من فيلم الحضيض .

الثقافية · وحاول المركـــز الثقافى اليابانى التابع للسفارة اليابانية فى القـــاهرة أن يضع فى خطته برامج ثقافية متعددة أسوة بمـا يحدث فى المراكز الاخرى ·· حتى لو جاء ذلك فى خدمه الجانب السياسى والاقتصادى بشكل أكثر وضوحا ممـــا يحدث فى مراكز أخرى مثل معهد جوته والمركز الفرنسى ·

● الكيمونو ·· يرتدى قبعة

فيما قبل ، كان على المرء الـــذى يسعى للمعرفة عن اليابان أن يطالع أخبار بلاد الشمس المشرقة من خلال ما تبثه وسائل الاعــلام الغربية ·· وكان من الغريب أننا عرفنـا الادباء والفنانين اليـــابانيين المعاصرين من خلال مرشحات الاعلام الغربية · حيث قامت هذه الوسائل باختيـــار من تتناسب أفكاره وأيديولجيته مع الفكر الغربى الحديث ·

وقد حدث هذا فى الادب مع ياسونا كاواباتا ويوكيـو ميشـــيما وباســـو شوارينو واخرين · وفى السينما اكيرا كروساوا وشينووا وأوشيما واخرين · وهكذا فى فنون أخرى كالشعر والفن التشكيلى والمسرح ·

وتكشف هذه الطريقة اننا نســـعى للتعرف على عالمنا المعاصر من خلال طرف ثالث · يسعى هو من جهتـــه للمعرفة المبـــاشرة · فيسافر أفراده بأنفسهم من أجل التقصى والمعرفة ثم بث ما يعـــرفونه الى عالمنا ·· وفى رأيى ان الملحـــق الذى خصصـــته ـ مثلا ـ جريدة لوموند فى ٨ يوليو ١٩٨٥ تحت عنـــوان « الثقافة فى اليابان : أعوام الصفر » ·· هـــو أفضل مدخـل للحديث عن الثقـــافة

من يصنع ثقافة الشمس المشرقة ؟

اليابانية المعاصرة • وقد جاء فيه انه رغم عراقة هذه الثقافة وجذورها الممتدة فى تاريخ قديم • أكثر أصالة من الفكر الغربى الحديث •• فان الثقافة اليابانية المعاصرة ترتدى البدلة الغربيــة أسفل رداء فخم من الكيمونو ••

ومن المعروف مثلا ان أوربا والولايات المتحدة قد قامت بتمويل العديد من الافلام التى أخرجها يابانيون معروفون •• وقد ذكرنا هذا المثال • لان الفن السينمائى يحمل هوية البلد الممول مهما كانت هويات الفنانين الذين يعملون فيها • وهذا يعنى أن اغلب افلام كيروســاوا واوشيما فى السنوات الاخيرة قد حملت الجنسية السوفييتية والفرنسية والامريكيـة رغم أن موضوعات هذه الافــلام ، يابانية صميمة •• وقد عرضت بعض هذه الافلام فى المراكز الثقافيــة الفرنسية والامريكية بالقــاهرة على أساس انها تحمل هويات هذه البلاد •

وتعد النشرة الاخبارية التى تصدرها السفارة اليابانية بالقاهرة عنوانا صادقا على المنظور اليابانى للثقافة الحديثة •• فهى تصدر نصف شهرية فى طباعة فاخــرة ملونة باللغتين الانجليزية والعربية • وبهــذا تكون مطبوعة فريدة قياسا الى المطبوعات التى تصدرها المراكز الثقافية الاخرى كما انها خالية من الاعلانات التجارية مما يعنى ارتفاع تكلفتها المالية ••• ولكنها ليست نشرة ثقافية فقط • فهى تشمل الانشطة اليابانية المختلفة فى مصر • المنح العلمية والانشــطة الاقتصادية والاخبار السياســية • ومعلومات عن الانجازات العلمية أو الدبلوماسية اليابانية • اما الانشطة الثقافية فهى محــدودة للغاية وفى مجالات محددة دون غيرها •• وخاصة السينما ••

ومثل كل المراكز الثقافية ، فــان الانشطة الثقافية اليابانية الاولى فى مصر تتمثل فى عرض مجمــوعة من الافلام المتباينة الاتجاهات والاهمية • بعضها افلام روائية • والكثير منها أفلام اعلامية • وتخصص الســفارة أمسية واحدة فى الاســبوع لعرض برنامجها السينمائى ايا كانت نوعية الافلام المعروضة •• فمن بين الافلام الاعلامية مثلا فيلم عن « الدراسة فى اليابان » واخــر عن « الصناعات اليدوية واستخدامها فى الحيــاة العصرية » وثالث عن « حفظ الاغذية » وهكذا فان هذا النوع من الافلام يــأكل الرصيد الزمنى للافلام الروائية •فعلى سبيل المثال ، فى شهر فبراير المــاضى عرضت ستة افلام اعلامية فى ثــلاث سهرات بينما عرض فيلم روائى واحد هو « ابنى ابنى » من اخراج كيسوكى كينو شيتا •• وفى شهر مارس عرض ثانية أفلام اعلامية وفيلم روائى واحد هو « الحضيض » الذى أخــرجه كيروساوا عن مسرحية بنفس الاسم لمكسيم جوركى ••

وقد خصصت الســفارة اليابانية عرضا واحدا فقط للافلام الروائية كل شهر •• وبصرف النظر عن اهمية هذه الافلام التى عرضت فى الشــهور السابقة فان هناك ترجمة عربيــة مطبــوعة على كل أشرطــة الافــلام

الروائية . ومن وقت لاخر يتم عرض مجموعة من الافلام فى اطار ما يمكن تسميته بانوراما سينمائية . أو « اسبوع افلام » وفى الاعوام الثلاثة الاخيرة عرضت مجموعة افلام من خلال هذه البانوراما . تم الاسبوع الاول باسم سفارة اليابان فى القاهرة بالتعاون مع وزارة الثقافة المصرية . حيث عرض خمسة أفلام روائية فى ملعب التنس بنادى الجزيرة . وهى افلام قديمة الانتاج مثل فيلم « سانجورو » لكيرساوا وهو أحد افلام الساموراى ـ كلمة يابانية تعنى مرتزق بلغة الحرب المعاصرة ـ يرجع فيه مخرجه الى القرون الوسطى . الفترة المحببة لدى كيروساوا ومن ابرز أفلامه حول هذه الحقبة « ظل المحارب » « الساموراى السبعة » . و « ران » .

وقد عرض للمخرج يوشيتارو نومورا فى هذه البانوراما فيلمان هما : « ثلاث رسائل لم تسلم » و « قلعة الرمال » .

أما البانوراما اليابانية الهامة فقد نظمها المركز الثقافى الفرنسى بالقاهرة بالتعاون مع السفارة اليابانية فى شهر مارس الماضى . حيث عرض قرابة عشرة أفلام تنتمى الى اتجاهات فنية متعددة . فهناك افلام لياسوجيرو أوزو . وأخرى لكوماى ، كام واخرين . واقيم فى اطار هذه البانوراما معرض ضم عرائس يابانية . ولوحات فوتوغرافية وفازات للزهور . ونماذج من الطعام اليابانى .

غزو العالم .. تقنيا

اذا كان هذا هو حال السينما فى الانشطة اليابانية . فان الفنون والثقافات الاخرى ليست بأحسن حالا قياسا الى ما تقدمه المراكز الثقافية الاخرى . كل بما يتناسب مع اهمية الدول التى تمثلها المراكز .

فاذا كانت اليابان قد اهدت جمهورية مصر العربية منحة لبناء المركز

فنون الشرق لها تميزها .. وخاصة فى اليابان



جزء من المركز الثقافية

من يصنع ثقافة الشمس المشرقة ؟

الثقافي والتعليمي المعروف محليا باسم الاوبرا الجديدة ٠ فان الانشطة الموسيقية اليابانية محدودة للغاية فى القاهرة ٠٠ وغالبا ما تقوم بها الفنانة جونكونا كاياما بصفة شخصية ٠فهى تقيم فى القاهرة منذ فترة ٠ وتتعاون مع الفرق المصرية فى العزف بين فترة واخرى فى انشطتها الدورية ٠٠

لوحة من الفن التشكيلى اليابانى .. الاصالة والمعاصرة



حيث اشتركت مع اوركسترا القاهرة السيمفونى فى حفلاته العديدة خلال الفترة الماضية ٠ كما قامت بعزف ريستال بيانو فى حفل يابانى خاص فى مارس ١٩٨٨ ٠

وقد قام المركز الثقافى والاعلامى بطبع مجموعة من الكتب الاعلامية عن الثقافة اليابانية منها كتاب صدر منذ اعوام تحت عنوان « مدخل الى الادب اليابانى »٠ وفى العام الماضى صدر كتاب اخر عن « التاريخ الثقافى اليابانى » ٠ فى طباعة فاخرة جاء فيه ان الشعب اليابانى منذ عصر جومون اخذ « يخلق ويرعى باستمرار نحو ثقافةجديدة تميل تجاهالثقافة الاجنبية عن طرق عملية لاستيعابها وتكييفها ٠ فى حين تميل بعض الظواهر ، الى الابقاء على الطابع المميز العميق لاصولها المتنوعة ٠ فان ظواهر اخرى اتخذت روحا يابانية فريدة من خلال عملية تقطير وتهذيب » ٠

وهكذا ، فان الانشطة الثقافية اليابانية محدودة للغاية قياسا الى الانشطة الاخرى ٠٠ ورغم ان السفارة تعد برنامجا دوريا لتعليم اللغة اليابانية ٠ فان المطبوعات والكتب المرصوصة فى ارفف المكتبة اغلبها باللغة الانجليزية ٠ والبعض منها باللغة العربية ٠٠ وبالرجوع مرة اخرى الى النشرة الدورية التى تصدرها السفارة اليابانية فى القاهرة فانه من السهل ان نكتشف التفكير اليابانى الحديث ٠ وهو ان الدخول الى قلب العالم يتم من خلال التقنيات اليابانية فى المقام الاول اما الثقافة ٠٠ فهى تجىء دائما فى المؤخرة ٠٠ وان اليابانيين قادمون ٠٠ من باب اخر يختلف عن الباب الذى ولجت منه الثقافات الغربية المعاصرة٠



الموسيقى بين العلم والفن ولغة الوجدان

بقلم : عبد الحميد توفيق زكى

● الموسيقى علم كأى علم آخر من العلوم التى ندرسها له قواعد ونظريات وتطبيقات ، والموسيقى نوعان :

الأول : آلى وهو مايصدر عن الآلات الموسيقية .

الثانى : غنائى وهو مايصدر من الحنجرة البشرية .

الآلات الموسيقية : وهى أنواع : وترية ـ نفخ ـ ايقاعية .

● ومن الآلات الوترية مجموعة الفيولينة (الكمان) .

الكمان ـ الفيولا ـ الفيولنسيل ـ الكونترباص .

الآلات الوترية العربية : العود ـ البزق ـ القانون ـ الرباب .

● ومن الات النفخ العالمية : الفلوت ـ الأوبوا ـ الكلارنيت . وتسمى المجموعة الخشبية ، حيث انها كانت تصنع من الخشب اصلا ، ويمكن صناعتها من الابنوس أو المعدن . والات نحاسية كالتروميا والترومبون والباص .

● ومن الات النفخ العربية : الناى ـ السلامية ـ المزمار ـ الأرغول .

● ومن الآلات الايقاعية العربية : الدف ـ الرق .. الطار ـ الدرابوكا (طبلة ليست من الفخار ولكن مطعمة بالصدف) .

● وهناك الات جميلة لها مذاق خاص لاتندرج تحت اى نوع من الانواع السابقة: البيانو ـ الأورج ـ الأوكرديون ـ الهارب ـ القربة . لأن لها صفات مشتركة مع الأنواع السابقة .

ثانيا : الاصوات البشرية وهى نوعان :

١ ـ اصوات الرجال : تينور (حاد) باريتون (متوسط الغلظة) باص (غليظ).

٢ ـ اصوات النساء : حاد (سوبرانو) ـ متوسط الحدة (ميتزو سوبرانو) ـ الغليظ (كونترالطو) .

....

● الموسيقى فن : كأى فن من الفنون السبعة ، واذا كانت الفرشاة هى أداة المصور (الرسام) فأداة الموسيقى هى



الموسيقى

الآلة الموسيقية أو الحنجرة البشرية .

● والموسيقى لغة : كأى لغة اخرى الا انها منغومة النطق ولكنها تكتب وتقرأ ايضا . تكتب من اليسار الى اليمين على مدرج موسيقى مكون من خمسة أسطر بينها اربع مسافات تدون عليها وعلى بعض الخطوط الاضافية أسفل وأعلى المدرج .

وللغة الموسيقى حروفها ولكنها سبعة فقط هى :

(دو – رى – مى – فا – صول – لا – سى) .

ومن هذه الحروف تتكون الكلمات وهى ماتعرف بالمازورات (جمع مازورة) وهى كل مايقع بين عمودين رأسيين على المدرج الموسيقى .

ومن هذه الكلمات تتكون الجمل الموسيقية التى هى فى العادة ٨ موازير أو مضاعفات هذا العدد ، ومن الجمل الموسيقية تتألف المقطوعات الموسيقية الغنائية أو الآلية وهى ماتعرف بالقوالب الموسيقية أو المصنفات الموسيقية .

● عناصر الموسيقى الأربعة :

الايقاع – اللحن – التوافق (الهارمونى) الطابع الصوتى .

١ – الايقاع : هو تنسيق النسب بشكل منظم بين المساحة الصوتية والزمن .

٢ – اللحن : وهو مايلحق بالأذن من نغم والمسار اللحنى للمقطوعة الموسيقية .

٣ – الهارمونى : هو اداء اكثر من نغمة مختلفة تعزف أو تغنى فى آن واحد فى انسجام يلذ للاذن فى توافق موسيقى .

٤ – الطابع الصوتى : ماتحسه الأذن من لون او نوع الأداء الموسيقى انفراديا أو اجماعيا وتميزه الأذن .

النسيج الموسيقى : ٣ انواع .

١ – موسيقى منفردة ذات لحن واحد دون اى مصاحبة هارمونية تسمى مونوفونية (مونوفونى) كاغلب موسيقانا الشرقية .

٢ – موسيقى لها مسار لحنى اساسى وتراكيب هارمونية مصاحبة لها ، وعلى هذا فهى لحنان مختلفان متوافقان تسمى الهوموفونية (هوموفونى) مثل غناء الذكر .

٣ – موسيقى من عدة ميلوديات (الحان) متقابلة اكثر من لحنين وتسمى البوليفونية وهى ارقى الانسجة الموسيقية كالسيمفونى والغناء الأوبرالى .

الفن وسيلة سامية من وسائل المعرفة .. بل يراه البعض من اعمق المفكرين اعلى وسائل المعرفة وارفعها فهو المعرفة العقلية والمعرفة العاطفية والمعرفة الروحية .. والموسيقى أم الفنون بل وام الوعى الانسانى .. فالوعى الانسانى يولد موسيقيا . واول مايعى به

الانسان في الرحم هو ايقاع الحياة كما ينقل لأذنيه من قلب الأم .. بل وبعث الموتى يكون بالموسيقى - بالنفخ فى الصور - وقلبى يتمزق الما من التشويه والتمزيق والتضليل الذى يمارس على بعض شبابنا الاحياء ليصل بهم الى تردى انكار هذه البديهات والرغبة فى تحريم الموسيقى وتحطيم آلاتها - كل آلة موسيقية نشأت احتفالا بالخالق العظيم وتمجيدا لاعجازه فى الخلق .. الوتريات هى الاحتفال الانسانى باعجاز اوتار القلب والات الايقاع تتعبد فى محراب ايقاعات الحياة .

وليس مبررا لتحريم اى مجال من مجالات المعرفة انها انحرفت او انها تستغل لاغراض هابطة فهذه ليست جريمة المعرفة ولكن جريمة الاستعمال والتطبيق وجريمة ترك الناس فى جهل وسذاجة وحرمان لكى يكونوا فريسة سهلة لكل من يستغل بهم وعليهم القوى التى تتيحها المعرفة فى اى مجال .

وهناك من ينحرف بالدين ويستغله فى اغراض هابطة فهل نحرم الدين ؟؟

(د / طارق على حسن)

يقول الأمام الشيخ محمود شلتوت رحمه الله :

ليس من المعقول ان يطلب الله من الانسان نزع عاطفته أو اماتتها بعد ان اودعها فيه .

ويقول الشيخ حسن العطار شيخ الجامع الأزهر فى القرن الثالث عشر الهجرى كان شديد الولع بسماع الموسيقى وكان يقول (من لم يتأثر برقيق الاشعار تتلى بلسان الأوتار على شطوط الأنهار فى ظل الاشجار فذلك جلف الطبع) .

ويقول فضيلة المفتى الحالى الشيخ الدكتور محمد سيد طنطاوى (التمثيل مرحبا به ، والموسيقى مرحبا بها ، الغناء مرحبا به مادامت هذه الأمور الثلاثة لاتصل الى حد الاثارة التى تتنافى مع مكارم الاخلاق ، لنفرض أن تمثيلية فيها عدد من الرجال يؤدون مشهدا يحض على الفضائل ويحارب الرذائل وان يغرس فى النفوس الطهر والعفاف والحب للوطن فأى معنى من هذه المعانى الشريفة مرحبا به .

يقول المستشرق دكتور هنرى فارمر (ان ابن قتيبة - المتوفى سنة ٨٨٩ م - يؤكد لنا ان القران كان يُغَنَّى بقواعد لاتختلف عن القواعد الفنية المعتادة لالحان الغناء والحداء .

ويؤكد ذلك اراء الأمام الغزالى الذى كتب عنه وعن آرائه الاستاذ الفاضل كمال النجمى فى العدد ٣٣١٦ الصادر فى ٢٩ ابريل ١٩٨٨ من المصور (دار الهلال) يؤكد اباحة الرسول صلى الله عليه وسلم الموسيقى الرفيعة . فرحمة بنا ايها الشباب الغر وعودوا الى الدين الحنيف .



رأى فى الثقافة

● اهانة التفرغ

مشروع تفرغ الكتاب والفنانين لانجاز اعمال ابداعية تحتاج الا يشغلهم شيء .. هذا المشروع هو واحد من المشاريع الحضارية النبيلة التي لا اعرف شخصيا من هو صاحب فكرتها ، ولا من بدأها ، وهو قائم منذ بداية الستينيات حيث كان ، وقتها ، فاعلا ومؤثرا ، وكان سندا لكثير من المبدعين

هذا المشروع ككثير من المشروعات الثقافية فى مصر ، يحتاج الى اعادة نظر بالنسبة لما يمنحه للمبدعين الذين يتقاضون اجورا هزيلة فى اعمالهم الاصلية ، ويأتى التفرغ ليحذف منها البدلات ، ويقرر لهم اصل الرواتب ، فاذا كان المبدعون يشكون غلاء المعيشة ، وغلاء ما يحتاجونه هم بالذات كادوات ضرورية لعملهم : الكتب ، والاسطوانات ، وتذاكر المسرح والسينما ، بالاضافة الى تكلفة الورق والتوال والالوان والكتابة على الالة الكاتبة ، وكل هذه اصبحت مشاكل حقيقية ، نقول ان هؤلاء المبدعين يشكون مع غيرهم عدم كفاية رواتبهم ببدلاتها ، ويأتى التفرغ لينتزع منهم هذه البدلات .. عندئذ كيف يمكن ان يتفرغ المبدعون ؟

والادهى والامر ان المبدع الذى لا يعمل فى عمل حكومى منتظم تقرر له لجنة التفرغ مائة جنيه مصرى لاغير ليتفرغ .. كيف ؟ هل هانت المواهب الى هذا الحد ؟

● عبده جبير

نـــدوات

● هذه الندوات وقضية الكم والكيف

ما بين الايام الاخيرة لاغسطس الماضى وحتى منتصف سبتمبر شهدت الساحة الثقافية المصرية عددا كبيرا من النشاطات الثقافية .

وباستثناء مهرجان المسرح التجريبى الاول ، ومهرجان السينما فى الاسكندرية يجد القارىء مقالين عنهما فى هذا العدد تعددت اللقاءات



المثال الكبير محمود مختار

والندوات الثقافية لتشمل نصف «الكرة المصرية » في القاهرة والاسكندرية وعدد من مدن الشمال ، نقول ونكرر ، دون ان يظهر اثر للنشاط الثقافي في الصعيد الامر الذي اشرنا اليه سابقا.

فما بين ندوة المثال الكبير الراحل محمود مختار التي اقيمت بقصر ثقافة المحلة الكبرى ، وصحبتها محاضرة عن حياته بالاضافة الى عرض لاعماله بالفانوس السحري .. الى معرض فن الفقراء الذي اقامه المركز القومي للفنون التشكيلية في قاعة «الشونة» بالعجمي التي يرعى مقاطعها الفنان احمد نوار ، حيث قدم خلاله اعمالا لثلاثة فنانين سويسريين هم « سابينا كولتشكا » و هانز جلجن » و « رسو اريك » الذي قدم اعماله تحت عنوان « فن الفقراء » وقد اتجه من اخشاب قذفتها الامواج على شاطىء العجمي حيث كان يداوم على زيارة الشاطىء كل صباح ويجمع ما قذفت به الامواج من اخشاب ويصنع منها ما يسميه تراكيب فنية (عجيبة .. اليس كذلك ؟) .

ثم كانت ندوة الثقافة الجماهيرية في مدينة مرسى مطروح مناسبة ليعرض فيها الدكتور طه حسين رئيس قطاع الثقافة الجماهيرية خططه وبرامجه في المحافظات واعلن عن تخصيص نسبة من ميزانية هيئته للمبدعين من ابناء الثقافة الجماهيرية للحصول على منح تفرغ تمكنهم من انجاز اعمال تحتاج الى التفرغ ، بعيدا عن ادارة التفرغ التابعة للمجلس الاعلى للثقافة التي كانت ـ لسبب غير مفهوم ـ تستبعد العاملين في الثقافة الجماهيرية . كما اعلن عن عودة نوادي المسرح التي اغلقت ابوابها من قبل الى قصور وبيوت الثقافة ، بعد ان تكشفت اهميتها في دفع الحركة المسرحية ، كما اعلن عن تحويل أحد الملاهي الليلية في مرسى مطروح الى واحة للابداع ، واقامة المؤتمر الثاني للتراث الشعبي البدوي بمدينة مطروح خلال اكتوبر القادم .. وقد شارك العديد من الشعراء والكتاب في هذه الندوة وقرأ محمد ابراهيم ابو سنة ، واسماعيل عقابه ، وحسن عبد الجواد ، وحسن عزيز اشعارهم .

ثم كانت ندوة محمد حسين هيكل التي عقدت في الهيئة المصرية العامة للكتاب ، وناقشت اعماله الادبية ومجهوداته العلمية ، وضمنها ندوة اقامها المركز القومي للثقافة السينمائية عرض خلالها فيلم « زينب » (انتاج ١٩٥٢) عن قصة هيكل الذي جاءت الندوتان في اطار الاحتفال المئوى لميلاده ، واعلن هاشم النحاس رئيس المركز القومي للسينما عن قيام المركز بتسجيل فيلم عن حياة الاديب الراحل يخرجه ماهر السيسي .

كما عقدت الهيئة المصرية العامة ايضا ندوة هامة جاءت تحت عنوان : « الاسلام والفن » وطرحت الاسئلة

التالية : هل يتعارض الاسلام مع الفن، وهل يمكن ان يكون الاسلام دعوة ضد الحضارة ، وما هي الاسباب الكامنة وراء دعوة البعض بتجريم الموسيقى والفن ٠

شارك في الندوة الدكتور عبد المنعم النمر ، والدكتور احمد نوار والدكتور جابر عصفور والناقد السينمائي سامي السلاموني والمؤرخ الموسيقي عبد الحميد توفيق زكي وقد اتفق الجميع على ضرورة طرح قضية مستوى الفنون حتى ترتقي ولا تكون ذريعة للرافضين ، وقال جابر عصفور انه « في تاريخ الحضارة العربية الاسلامية لم يوجد التحريم الا في لحظات الضعف والشعور بالخطر الخارجي ، فالخائف الذي يخشى على دينه من كل اغنية ومن كل مسرحية لا يمكن ان يعتمد عليه في تأسيس دعوة نبيلة مثل دعوة الاسلام » ٠

وفي المنصورة اقيم المهرجاني الثقافي الخامس احتفالا برائد التعليم في مصر على مبارك ، ووزعت جائزتين تقديرية وتشجيعية فاز بالاولى منها البدوي محمد بدوي مناصفة مع المرسي الخولي مرسي وفاز بالثانية محمد عبد الفضيل عبد القادر ٠

اما في جامعة القاهرة فقد اقامت كلية الاداب ندوة استمرت ثلاثة ايام (ما بين ٢٠ الى ٢٣ سبتمبر) لمناقشة السفر الكبير الذي نشره اخيرا الدكتور حسن حنفي من خمسة اجزاء شكلت اكثر من ثلاثة الاف صفحة من القطع الكبير وشارك فيها عدد من المفكرين والنقاد منهم محمود امين العالم ، ومحمود اسماعيل ، ورمضان حامد رزق ، واحمد عبد الحليم ، وعلي مبروك ، ومحمد عثمان ، وكانت ندوة مغلقة على الجمهور ٠

ثم جاء مؤتمر ادباء الاقاليم الرابع باشراف الثقافة الجماهيرية هذا العام في مدينة دمياط (ما بين ١٤ الى ١٥ سبتمبر) ليناقش القضايا الازلية التي يعانيها ادباء الاقاليم ، هذه التسمية التي يرفضها الجميع لكن سرعان ما يستعملونها ، وناقش ما نفذ من قرارات المؤتمرات الاربعة السابقة ، كما ليكرم ابن دمياط الشاعر الغنائي طاهر ابو فاشا ٠

ثم كان مهرجان « نحو ابداع مصري اصيل » الذي كرم فيه وزير الثقافة الحالي فاروق حسني منشيء الثقافة الجماهيرية الكاتب الفنان ثورت عكاشة عرفانا بمجهوداته الكبيرة والمتنوعة التي قدمها اثناء توليه منصب وزير الثقافة مرتين ، وبعده بمؤلفاته الفنية العديدة ، وقد قامت تسع فرق فنية بتقديم عروضها الموسيقية والمسرحية كما قام الوزير بتوزيع شهادات التقدير على عدد من رواد الثقافة الجماهيرية والفائزين في المهرجان بجوائز القصة والمسرح والشعر والابحاث ٠

وفي النهاية لا نملك الا ان نقول ان بعضا من هذه النشاطات الثقافية جاءت على درجة كبيرة من حسن الاعداد واختيار المشاركين ، وهي وان كانت تفوق طاقة اي راغب في المتابعة ، فانها تعكس رغبة المثقفين المصريين في تحريك الحياة الثقافية بعد طول ركود ، وهي وان كان بعضها قد احتشد بالاعداد الكبيرة من المشاركين الا ان هذه الاعداد جعلت السؤال التالي يطرح نفسه : اي ثقافة نريد ٠٠ ثقافة جادة تهتم بالكيف ، ام ثقافة هزيلة تجري وراء الكم ؟

هذا هو السؤال الذي يطرح نفسه الان على الساحة بقوة ، والاجابة الملية عليه ستكون هي الحد الفاصل بين ما نريد ٠

مسرح

● البهلوان أفضل مسرحيات يوسف ادريس ومع ذلك فهو لا يكفي

جمهور المسرح في ايامنا لم يعد يرضي بما كان يقدمه مسرح الخمسينيات والستينيات كان يكفي ان يقول المؤلف المسرحي (ان الخليفة دكتاتور ظالم ، والشعب مطحون مظلوم) ٠او (ان الوزير يرهق الشعب بالضرائب والوان الاستغلال ، ويحجب عن الملك معاناة الناس) او (ان العرب يضعفهم التفكك وكثرة الفتن ، وان الحل في التماسك والاتحاد) كان يكفي مثل ذلك حتى تضج قاعة المسرح بالتصفيق ٠

وكما اكتشف جمهور مسرح الخمسينيات والستينيات سذاجة مسرح العشرينيات والثلاثينيات ،ذلك المسرح الذى كان يقدم فيه يوسف وهبى - مثلا - الخطب والمواعظ ، مثل (الجلباب الازرق الذى يرتديه الفلاح، هو العلم الذى يرفرف على جبين مصر)

كذلك اكتشف جمهور مسرح الثمانينيات سذاجة مسرح الستينيات٠ اصبح الجمهور - بفضل الوسائل الحديثة للاعلام والاتصال - اكثر وعيا بما يحدث من حوله ، واقوى احساسا بمقدار الصدق والثراء في الاعمال الفنية ، وبسبب هذا اصبح يتطلب من الاعمال المسرحية ما لم يكن يتطلبه من مسرحيات الخمسينيات والستينيات ، ولعل هذا هو سر الازمة التى يمر بها مسرح اليوم ، السر الذى لا يدركه اغلب المشتغلين بالمسرح

ومسرحية (البهلوان) هى اخر مسرحيات يوسف ادريس ، وهى بكل المقاييس اشجع مسرحياته ، لم تحدث الضجة التى احدثتها مثلا مسرحيته الاولى (ملك القطن) عندما عرضت في اواخر الخمسينيات،او الضجة التى احدثتها (الفرافير) في اوائل الستينيات٠وقد كثرت كتابات النقاد حول الاختلاف بين (البهلوان) والمسرحيات الاولى ليوسف ادريس - وخاصة (الفرافير) - ولكنهم لم ينتبهوا الى اختلاف الجماهير ٠

يكفى يوسف ادريس فخرا ما اوضحه في (البهلوان من بهلوانية رؤساء تحرير بعض الصحف والمجلات، ويكفى الحوار الذكى الممتع فى كثير من مشاهد المسرحية ، وخاصة المشاهد التى تقع فى الصحيفة ، ويكفى رجال الثقافة الجدد فخرا (من اول وزير الثقافة فاروق حسنى حتى مدير المسرح محمود ياسين والمخرج عادل هاشم) انهم قدموا هذه المسرحية للجماهير ، بعد ان كانت محجوزة لسنوات طويلة فى ادراج البيروقراطيين والانتهازيين

ومع كل ذلك ، فان هذا العرض لا نعتبره الا خطوة فى طريق حل الازمة ، ودرسا لبعض مؤلفى مسرح الستينيات الذين ما زالوا يتصورون ان ازمة المسرح العربى محصورة فى المناخ العام ، ودرسا لبعض مؤلفى مسرح السبعينيات الذين لا يتصورون موضوعات المسرح الا حول (الملك الظالم والوزير المنافق والشعب المظلوم) ، ودرسا لبعض مؤلفى مسرح القطاع الخاص ، الذين لا ينظرون الا الى الخلف ، وخاصة الى مسرح روض الفرج ٠

فى الوقت الذى انتشرت اجهزة التليفزيون فى بلادنا ، حدثت نكسة يونيو سنة ٦٧ ، نكسة المسرح العربى وقد ارجع الكثيرون سبب نكسة

المسرح الى هزيمتنا فى حرب ١٩٦٧ ، وهو تفسير لو صح لانتعش من جديد بعد انتصار اكتوبر ١٩٧٣ ، اما نحن فنرجع سبب النكسة الى انتشار اجهزة التليفزيون فى المنازل ، تلك الاجهزة التى بهرت الناس فى ذلك الوقت ، واغنتهم عن بذل الجهد والمال للذهاب الى المسارح ٠

وبمرور الوقت ، بدا الملل يتسلل الى نفوس الكثيرين من مشاهدى التليفزيون ، فتطلع البعض الى اعمال درامية يستطيعون المشاركة فيها ،بعد ان اصابتهم الشاشة الصغيرة بالسلبية ازاء تلقى الاعمال ، ولكن المسرح كان خلال السبعينيات ثلاثة اقسام ٠

١ ـ قسم يريد للمسرح الرجوع الى الاشكال التى كانت السبب فى ازدهاره من منتصف الخمسينيات حتى منتصف الستينيات ٠

٢ ـ وقسم يريد للمسرح الرجوع الى الاشكال التى كان مسرح القطاع الخاص يقدمها قبل ثورة ١٩٥٢ ، وقبل ازدهار مسرح القطاع العام ٠

٣ ـ وقسم استولى على الوظائف الكبيرة فى وزارة الثقافة ، واراد ان يحتكر التاليف المسرحى لنفسه ٠

هذه المجموعات الثلاث تتصارع فيما بينها صراعا عنيفا ، ولكنها تتحد وتتماسك عندما تواجه الاعمال والمؤلفات التى تريد ان تقدم للمسرح شيئا جديدا ، وهو امر ليس بالعجيب، فنحن نرى نظيره فى كل نشاط اخر: فى السياسة ، فى الاقتصاد ، فى الثقافة وفى كل شىء ٠٠ ثلاث جماعات فى كل نشاط ، تتصارع ضد بعضها ، من اجل المنافع الخاصة ، حتى اذا ما ظهرت قوة جديدة تهددها فى هذه المنافع ، اتحدت وتصالحت ، وركزت كل جهودها للقضاء على هذا الجديد لهذا ، عندما صور يوسف ادريس فى (البهلوان) صراعا جديدا يهدد هذه الجماعات الثلاث،تماسكت كلها، ووقفت ضده وقفة الحياة او الموت ، لسنوات طويلة ، الى ان جاء الى المجال المسرحى من استطاع ان يزيح العوائق ويفتح الابواب لهذا اللون الجديد ٠

فى (البهلوان) اشياء كثيرة جديدة على المسرح العربى ، انتبهت اليها الجماهير ، فاقبلت على العرض اقبالا رائعا ، بل لعل انتباه الجماهير كان اكثر وضوحا من انتباه النقاد ٠

انتبهت الجماهير الى ان الصراع بين امريكا وروسيا،او بين الراسمالية والشيوعية ، لم يعد امرا ذا بال ، بجانب صراع اخر بين قوم موجودين فى كل مكان ، يعملون على انقاذ الناس من العفن والفساد ، وقوم اخرين ، لا يهمهم الا ان يبقى الحال كما هو عليه ، سواء استمر هذا الحال تحت اسم(الاشتراكية) او (الراسمالية)

كذلك اظهر يوسف ادريس ان البهلوانية فى الصحافة والسياسة ـ برجالها ونسائها ـ هى نفس البهلوانية فى الثقافة ، وفى الاسرة وفى الفنون فالبهلوانات لابد لهم ـ حتى يتوازن نظامهم ـ انيسيطروا علىكل شىء وان يصبغوا لونهم علىكل نشاط من انشطة المجتمع ٠٠ من اول السيرك حتى الصحف والمجلات ٠

موضوعات جديدة واشكال مبتكرة، نجدها فى (البهلوان) يرحب بها مسرح الثمانينيات ، بعد ان تغيرت قياداته ، ويقبل عليها الجمهور ،الذى ادرك ان صراعات الخمسينيات والستينيات اصبحت صراعات عقيمة، يستغلها الانتهازيون لتحقيق مصالحهم الخاصة ، صراعات تقف من وراء حكايات عن الملك والوزير ، ويقف

السلطان ، وابن البلد .

الجماهير تريد مسرحا جديدا ... والمسرحيات الجديدة موجودة منذ سنوات طويلة حبيسة ادراج البيروقراطيين .. فاما ان تخرج الى النور ، او تغلق المسارح ابوابها .

السؤال الان ... بعد مسرحية (البهلوان) هو :

« هل سيستطيع الوزير الجديد ، والمدير الجديد مواصلة الطريق ؟ » لقد فتحت (البهلوان) باب الامل .. ولكن هذا وحده لا يكفى .

حافظ احمد امين

اشارات ثقافية

● الكتابة السوداء

مجموعة الشعراء الشبان الذين كانوا قد انضووا من قبل تحت تسمية « اصوات » واصدروا عددا من المجموعات الشعرية بطريقة الماستر رأوا اخيرا ضرورة انشاء منبر مستقل لاتجاههم الشعرى الذى يرون اختلافه عما هو قائم فى الساحة الشعرية المصرية .

وخلال الايام القليلة القادمة يصدر العدد الاول من هذه المجلة التى اطلقوا عليها « الكتابة السوداء » . ، ويعنون بها الكتابة التى تكسر حدة القائم الراسخ من القوالب الشعرية البيضاء المستريحة ، الى افق الشباب الشعرى غير النهائى .

يشرف على اصدار المجلة الشعراء احمد طه ، امجد ريان ، عبد المنعم رمضان ، محمد سليمان وغيرهم .

● الجنوبى

فى اطار النشاطات التى يقوم بها عدد من الشعراء والكتاب والقصاصين فى مدينة المنيا ، وعلى هامش جامعة المنيا ، خاصة كلية الدراسات العربية تصدر ايضا خلال الايام القليلة القادمة مجلة جديدة لنشر ابداعات وكتابات ابناء الصعيد .

المجلة الجديدة تحمل اسم « الجنوبى » ويرأس تحريرها الدكتور عبد الحميد ابراهيم عميد كلية الدراسات العربية .

رسائل جامعية

● مجلة الهلال ومجلة الازهر

تحرير المجلة الدينية والعامة دراسة مقارنة للشكل والمضمون لمجلات الهلال والازهر والدعوة وروزاليوسف ـ تحت هذا العنوان الطويل تقدم الباحث عبد الصبور محمد فاضل لنيل درجة الماجستير من قسم الصحافة جامعة الازهر وتكونت لجنة المناقشة من الدكتور فاروق ابو زيد رئيس قسم الصحافة بجامعة القاهرة والدكتور عبد العظيم المطعنى استاذ البلاغة بجامعة الازهر مشرفا مشاركا والدكتور محمد سيد محمد وكيل كلية الاعلام بجامعة القاهرة والدكتور حسن رجب الاستاذ بجامعة قطر والكاتب الصحفى بجريدة الاخبار .

وقد عرض الباحث فى رسالته بانه يهدف من هذا البحث الى دراسة فنون الكتابة الصحفية فى كل من المجلة الدينية والعامة والاسبوعية والشهرية .

وقد لاحظ الباحث ان اغلب البحوث والدراسات والرسائل الجامعية قد اهتمت بالجرائد اليومية على حساب المجلات على الرغم من انتشار المجلات الدينية والعامة وقدرتها على الاتصال بالجماهير في وطننا العربي ككل •

وقد حدد الباحث المنهج والمجلات التي هي محل الدراسة فاعتمد على المنهج التاريخي في كشف نشأة كل مجلة ثم المنهج المقارن ثم منهج تحليل المضمون اما المجلات فقد اختار للمجلات الدينية الازهر والدعوة واختار للمجلات العامة الهلال وروزاليوسف واما المجلات الاسبوعية فهي روزاليوسف والدعوة وقد شرح سبب اعتبار مجلة الدعوة مجلة اسبوعية بانه وجدان مجلة الدعوة ظهرت عام ١٩٥١ حتى عام ١٩٧٦ اسبوعية ثم من عام ١٩٧٦ الى مصادرتها عام ١٩٨٦ شهرية وبعد جنح الدتين فضل اعتبارها اسبوعية لطول صدورها بهذا الشكل ولانه مدون في المجلة انها اسبوعية وتصدر شهرية مؤقتا • وقد حدد الباحث اعوام ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ مجالا للبحث لاختلاف المجلات وقد توصل الباحث الى مجموعة من النتائج تتلخص في عدة نقاط :

● لا تهتم المجلة الشهرية الدينية بفنون الكتابة الصحفية في عرض مضمونها وتعتمد اعتمادا كليا على المقال التحليلي والنقدى بينما تهتم المجلة الشهرية العامة بجانب المقال ببعض فنون الكتابة الصحفية الى حد ما كالتحقيق والحديث •

● اهتمت مجلة الهلال بالابواب الثابتة والمتخصصة اكثر من الازهر حيث بلغت نسبة هذه الابواب في الهلال ١٠ر٢٧٪ من المساحة العامة للمجلة في حين انخفضت نسبتها في الازهر الى ٧ر١٢٪ فقط •

● اهتمت مجلة الهلال بفن الاخراج الصحفي عن مجلة الازهر •

● نجحت مجلة الهلال في توصيل رسالتها للقارىء العربي منذ صدورها واتفق مضمونها مع سياستها المعلنة واخذت في التطور حتى بداية الخمسينيات بعدها اخذ دورها يتضاءل والحصر اهتمامها في الدعوة للاشتراكية وشرح مصطلحاتها واهدافها وفي مرحلة السبعينيات اهتمت باصدار اعداد خاصة في المجالات الادبية والاجتماعية وغيرها وفي كل الاحوال غلب عليها طابع التحرر في عرض المضمون •

● في مجلة الازهر احتل المجال الديني المقدمة بنسبة ٦٤ر٥٢٪ من مجموعة مساحة الفئات بينما في مجلة الهلال احتل المجال الثقافي المقدمة بنسبة ٣٢ر٥٧٪ يليه المجال الديني ١٠ر١٣٪ فالعلمي ٦ر١٠٪ فالفن ٢٥ر٦٪ والسياسي ٣٣ر٥٪ والطبي ٨٠ر٣٪ والتعليمي ٦٨ر١٪ والعسكرى والاقتصادى ٠٧ر١٪ •

● تتميز المجلة الشهرية الدينية والعامة بعدم اهتمامها بعنوان الكتابة الصحفية في عرض المضمون وذلك مثل مجلتي الازهر والهلال حيث لم توفق كل منهما في توظيف فنون الكتابة الصحفية في عرض مضمونها في الوقت الذي تهتم فيه المجلة الاسبوعية الدينية والعامة بمختلف فنون الكتابة الصحفية في عرض المضمون وذلك مثل مجلتي روزاليوسف والدعوة •

● تتميز المجلة الاسبوعية باهتمامها بالموضوعات الحالية والخبرية المطروحة على الساحة والتي تحظى باهتمام الراى العام في الوقت الذى لا تهتم فيه المجلات الشهرية بمثل هذه الموضوعات •

ثم بدأ الدكتور حسن رجب مناقشة الباحث فاظهر له بعض الاخطاء

الاملائية والمطبعية فى الرسالة ثم نبه الى ان الباحث مثل زملائه الباحثين يتعجلون الحكم على كثير من الظواهر الدراسية التى يناقشونها مع ان الافضل هو استخدام المنهج فقط فى التصدى لهذه الدراسات مع ترك الحكم بعد النضوج العلمى •

ثم ابدى الدكتور حسن رجب عدم رضائه عن اختيار الباحث لمجموعة المجلات التى اختارها مجالا لبحثه فما الصلة بين الهلال والازهر او روزاليوسف والدعوة منتهى الاختلاف فى الشكل والنشأة والمنهج والمضمون

ثم ناقش الدكتور محمد سيد محمد الباحث ووصفه فى البداية بانه صاحب فهلوة منها الايجابية ومنها السلبية ثم علق على الكثير من الفهلوة السلبية منها ما ذكره الباحث فى رسالته من اعتبار مجلة الدعوة مجلة اسبوعية مع انها تصدر شهريا منذ عام ١٩٧٦ اى واقع الحال بالمجلة انها تصدر شهريا وليست اسبوعيا فكيف يعتبرها اسبوعية ؟

ثم ما اثير فى الرسالة من ان المجلات الشهرية لا تهتم بالاخراج الفنى مشيرا الى مجلتى الهلال والازهر واوضح بان المجلات الشهرية تهتم بالاخراج الفنى وقد ذكر له العديد من المجلات التى تعتنى بهذا الامر • كذلك اعتبر الباحث ان غلاف مجلة الهلال فيه اسراف لانه استخدم فيه الوان ثلاثة واسرف الهلال ايضا فى الاكثار من البراويز والاطارات مما دعا الدكتور محمد سيد محمد ان يسال الباحث عن عدد الالوان التى يستخدمها المخرج الفنى للمجلة حتى لا يكون مسرفا ؟ ثم تساءل ايضا اليس البرواز هو الاطار ؟

وقد علق الدكتور عبد العظيم المطعنى المشرف المشارك على الرسالة على نقطتين اولاهما : انه لم يتفق مع الباحث فى حكمه على مجلة الدعوة بانه يجب عليها وهى مجلة دينية الا تخوض فى السياسة مشيرا الى اتفاقية كامب ديفيد •

ثانيا ان الدعوة قد وصفت بعض رؤساء دول الصمود والتصدى ببعض العبارات الجارحة مما يخرج بها عن خط الالتزام الدينى والادبى فى التعبير بينما يرى الدكتور المطعنى ان الدعوة التزمت بهذا الخط لان انتقاد حافظ الاسد قاتل المسلمين فى حلب وحماه ومعمر القذافى الذى طلب الغاء السنة النبوية الشريفة لا يخرج بالمجلة عن خط الالتزام بل يجب تعريف المسلمين بهؤلاء الحكام الذين يعملون ضد دينهم وشعوبهم •

وقد حصل الباحث على درجة الماجستير بتقدير ممتاز •

● محسن فهمى

محمد شفيق غربال فى ذكراه

عندما مضى محمد شفيق غربال الى جوار ربه فى ١٩ اكتوبر سنة ١٩٦١ كتب عنه استاذه المؤرخ الفيلسوف الانجليزى ارنولد توينبى مقالا عنه فى جريدة التايمز البريطانية وضعه فى مصاف كبار المؤرخين العالميين ، وكتب عنه الاستاذ عباس محمود العقاد فى معرض تأبينه انه « كان شعاره المطبوع فى التربية وفى التاريخ الاستقلال •• وكان من مبدئه المستقل فى انه كان على اجلاله لاستاذه العلامة توينبى قلما يتقيد بنظراته العامة الى عوامل التاريخ الانسانى وغاياته وعوارض القوة والضعف فى

امم الماضى وجماعاته ، بل كان له وضعه لكل حادث من الحوادث الكبرى على حده ، وتعليله لكل نتيجة من النتائج الباقية على نحو يستقل به عن سائر التعليلات . وكانت السمة الغالبه عليه وتميزت بها حياته هى التاريخ الذى اشتغل بدراسته وتدريسه، وقضى زهرة حياته فى العمل له فكان له تلاميذه فى الجامعة الذين حضروا عليه ، واخذوا عنه ، واتبعوا منهجه العلمى وكان استاذا لجيل او جيلين ممن درسوا التاريخ فى الجامعات والمعاهد المصرية وفى جامعة الدول العربية .

نشأ محمد شفيق غربال فى الاسكندرية فى حى يحمل اسم اسرته، وكان مولده فى ٤ يناير سنة ١٨٩٤ دخل مدرسة روضة التعليم التحضيرية وحصل على الابتدائية سنة ١٩٠٨ ، وحصل على الكفاءه من مدرسة راس التين الثانوية ، ثم التحق بمدرسة العباسية الثانوية ، ونال شهادة البكالوريا ، ثم دخل مدرسة المعلمين العليا سنة ١٩١٢ وتخرج فيها سنة

فى بعثة اثناء الحرب الاولى والتحق بجامعة ليفربول درس خلالها التاريخ الحديث والاقتصاد والفلسفةوالجغرافيا البشرية والطبيعية والاقتصادية ، ودرس ايضا عصور التاريخ المختلفة، وكيفية العمل فى الوثائق ، وامضى فى بعثته اربع سنوات ، حصل فى نهايتها على البكالوريوس فى الاداب سنة

١٩١٩ وعقب عودته الى مصر اشتغل لمدة ثلاث سنوات مدرسا للتاريخ فى التعليم الثانوى فىمدارس الاسكندرية وفى سنة ١٩٢٢ ارسل فى بعثه الى انجلترا للحصول على درجة علمية عليا ، درس فى جامعة لندن مدة سنتين ، وتتلمذ فيها على يد الفيلسوف المؤرخ العالمى ، ارنولد توينبى ، وحصل علىدرجة الماجستير سنة ١٩٢٤ فى العلوم التاريخية ، وعين عقب عودته من بعثته استاذا للتاريخ فى مدرسة المعلمين العليا ، وفى سنة ٢٨ نقل استاذا مساعدا للتاريخ بكلية الاداب جامعة القاهرة فوكيلا للكلية ثم عميدا لها ، ولم تقتصر حياته على التدريس فى الجامعة بل عين وكيلا مساعدا لوزارة المعارف (التربية والتعليم) سنة ١٩٤٠ ثم وكيلا لوزارة الشئون الاجتماعية ثم عاد وكيلا لوزارة المعارف مرة اخرى واستمر فى الخدمة الحكومية حتى احيل للمعاش فى ٤ يناير سنة ١٩٥٤ واستمرت صلته بالتدريس ، فكان كلما شغل مناصب الوزارة عاد الى الجامعة منتدبا او استاذا غير متفرغ درس التاريخ الحديث لطلبة الماجستير واشرف على العديد من رسائل الدكتوراه ، واسهم فى سنة ١٩٤٧ فى انشاء متحف الحضارة المصرية ، والجمعية المصرية للدراسات التاريخية، ومثل الحكومة المصرية فى عدة مؤتمرات تاريخية ، وترأس وفد مصر للجمعية العمومية لليونسكو سنة ١٩٤٨ ، واختير عضوا فى مجمع اللغة العربية فى القاهرة سنة ١٩٥٦م، وعمل مديرا لمعهد الدراسات العربية التابع للجامعة العربية ونائبا لرئيس الجمعية التاريخية المصرية واختتم حياته العلمية باشرافه على اخراج الموسوعة العربية الميسرة (١٩٥٩ ـ ١٩٦٦) ، وترأس مجلس مديرى الموسوعة الى ان اختاره الله لجواره

اما عن مؤلفات شفيق غربال التاريخية فانه يمكن القول بانه ترك تراثا خالدا يكشف عن عمقه فى البحث وسعة اطلاعه فىمجال تخصصه واهتمامه ، فقد خلف لنا كتبا وبحوثا



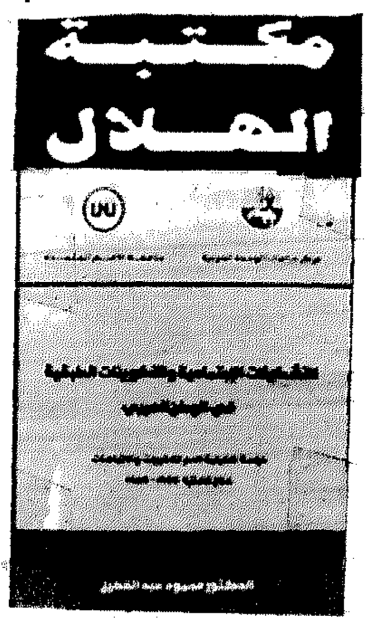
محمد شفيق غربال

عديدة منها كتابه « المسألة المصرية وظهور محمد علي باللغة الإنجليزية وكتابه « محمد علي الكبير » الذى اصدرته سلسلة اعلام الاسلام فى القاهرة سنة ١٩٤٤ ، وأعادت طباعته ونشره مؤسسة الهلال فى الثمانينيات واثار عند صدوره ضجة فى اوساط المثقفين المصريين وذهب البعض الى ان شفيق غربال اصدر هذا الكتاب ارضاء للقصر الملكي وتمجيداً لاسرة محمد علي • اما كتابه « المفاوضات المصرية البريطانية » فقد بحث فيه تاريخ العلاقات المصرية البريطانية منذ الاحتلال حتى الغاء معاهدة سنة ١٩٣٦ ، وقد دعم هذا البحث بالوثائق والمستندات والمذكرات والبيانات والتصريحات المتبادلة بين البلدين ومناقشات البرلمان المصرى حول هذا الموضوع واخرجه سنة ١٩٥٣ ونال عليه جائزة الدولة فى الاداب •

ولا جدال فى ان شفيق غربال وهو يكتب التاريخ استلهم رسالة المؤرخ كما حددها فى انها النظر لاحوال البشرية ممثلة فى اممها وشعوبها واقوامها واجتماعاتها نظر يقوم على عرض تلك الاحوال عرض تطور وتعاقب فى الزمان •• وهذا النظر التاريخى ينتهى بالناظر ايا كان الى موقف معين من أحداث مجتمعه وزمانه ولذلك فقد كان دائما يتوخى فى كتابته للتاريخ أن يبتعد عن الخيال ، وأن يكتب بواقعية وأمانة •

وقد تجاوز العلامة محمد شفيق غربال باعماله وفكره نطاق الاقليمية فى كتابته للتاريخ لينطلق الى افاق العالمية ، فكان واحداً من اثنى عشر مؤرخا دوليا اختارتهم الامم المتحدة لكتابة تاريخ العالم والجنس البشرى • ومن الغريب بل المؤسف ان هذا المؤرخ المصرى ، العالمى ،تنساه مؤسساتنا العلمية وجامعاتنا ومجمعنا اللغوى ولا تذكره فى مناسبة رحيله وكأنه لم يقدم شيئا •

عمرو عبد المنعم حمودة



الكتاب : التشكيلات الاجتماعية والتكوينات الطبقية فى الوطن العربى

تاليف : د . محمود عبد الفضيل
الناشر : مركز دراسات الوحدة العربية ٢٥٢ ص، ٥ د

بالاشتراك بين مركز دراسات الوحدة العربية وجامعة الامم المتحدة (منتدى العالم الثالث) تم انجاز هذه الدراسة التي تعمل على التعرف على تضاريس الاوضاع والمواقع والتركيبات الطبقية في المنطقة العربية في خصوصيتها التاريخية ، وفي انعكاساتها على عملية التنمية والتطورات السياسية والاجتماعية ، وهي وان كانت تتناول موضوعا واسعا للغاية يحتاج الى جماعات تعمل فيه سنوات طوال الا ان المؤلف وضع يدنا على مفاتيح ورءوس المسائل ببحث تجميعي بمثابة تتويج لجهد بحثي مستمر في اطار مشروع المستقبلات البديلة الذي شارك فيه عدد من الباحثين من كل من العراق واليمن والسودان والمغرب وتونس والجزائر وهو جهد نعتقد انه حين اكتماله ستكون له اهمية فائقة .

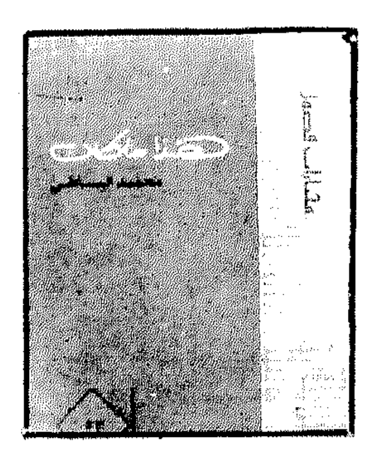
ومن اهم ما جاء في هذا الكتاب هو عرضه للمشاكل العملية التي تعترض البعض في موضوعه وعلى راسها عدم ملاءمة البيانات الاحصائية المتوافرة للقيام بمعاينة دقيقة للاوضاع والهياكل الطبقية، وتفاوت مستوى ودرجة التكون الاجتماعي للفئة او الجماعة الطبقية الواحدة ، ثم ما يلاقيه الباحث من مشاكل لرسم الحدود بين الطبقات ، وغيرها من المشاكل التي تجعل الكتابة في هذا الموضوع مشروعا دائما ومفتوحا .


الكتاب : اسرار الفضاء
تاليف : مهندس سعد شعبان
الناشر : هيئة الكتاب ، ٢٦٤ ص ، ١٢ ج

منذ زمن طويل اهتم المهندس سعد شعبان بتعريف القارىء العربي بما يجرى في هذا العالم الذي يتنامى بسرعة رهيبة ، محاولا ان يقرب الصورة اليه في عدد كبير من المقالات حول تلاحق احداث الفضاء بهذه السرعة والانجازات التي تحققها تكنولوجيا الفضاء التي اصبحت تبهر البشر .

يقول المؤلف : ويعد ان مضى من عصر الفضاء » اكثر من ثلاثين سنة ، لم يعد لنا عذر ان نعيش على هامشه ، متفرجين تكتفي بنظرات الانبهار ، وان العرب قد بداوا يعيشون عصرهم نحوه ، فان الامال المرجوة ان تتوالى خطوات اكثر جدية ، واكثر ايجابية » .

ويبدأ الكاتب بما حدث في شرنوبيل من انفجار المفاعل النووى السوفييتي متعرضا لقضية التلوث بالاشعاع النووى ، وباعتبار ان احتراق المفاعل السوفييتي بمثابة ناقوس الخطر لمراجعة وسائل الامان من كل المفاعلات في العالم ،ثم يتكلم عن سفن الفضاء وكيف تبوح باسرار الكواكب ، وعدد اخر من الموضوعات الشائعة .



الكتاب : هنا ما كان
تأليف : محمد البساطي
الناشر : مختارات فصول
هيئة الكتاب ، ٨٠ ص ، ٥٠ ق.م

بهذه المجموعة الجديدة يعود محمد البساطي الى مكانته الفريدة بين كتاب القصة في مصر ، ليضيف الى قائمة اعماله السابقة « الكبار والصغار » ، « حديث من الطابق الثالث » و « المتاجر والنقاش » وغيرها هذه القصص الجديدة التي يلاحظ انها نوع من التنويع على لحنه السابق الذي عزفه منذ اواسط الستينيات كأحد كتاب القصة الواقعية بمفهومها الجديد الذي خرج بها من الطرق المسدودة التي وقفت عندها فترة طويلة .

هنا يلتقط البساطي اللحظات الانسانية الشفافة ليقدم شخوصه وهم في حالة حراكه مما يعكس قدرته على فهم البشر ، وقدرته على تقديمهم وهم احياء يعيشون ويتنفسون حياة، لذا يبدو المكان هنا موجودا في الزمان المحدد ، هنا والان ، عن طريق كشفه الخاص للواقع الموضوعي وبما توحيه ملامسة هذا الواقع من شرارة الداخل الذى تمور به نفوس الشخوص

هذه عودة جديدة للبساطي نرجو ان يرفقها باعمال اخرى تضاف الى مجموعة اعماله المتميزة .

الكتاب : الموسيقى الاندلسية المغربية
تأليف : عبد العزيز ابن عبد الجليل
الناشر : عالم المعرفة ـ الكويت ٢٧٢ صفحة ٥٠ ق

تواصل سلسلة عالم المعرفة عطاءها الشهري بهذا الكتاب المتميز الذى يفتح لنا « طاقة » جديدة الى عالم الموسيقى العربية المتنوع وغير المكتشف بعد .

فالكتاب يعرض لبعض الالوان والقوالب الموسيقية الشرقية التي تغيرت نتيجة اتصالها بتراث جنوب اسبانيا ، وان لم تتغير معها اسماؤها الاصلية .

فالموسيقى الاندلسية وان كانت من بقايا حضارة العرب وتراثهم المحفوظ في الشق الغربي من الوطن العربي فانها حملت معها عبر العصور خصائص ومميزات ظلت تطبع تركيب الحانها ونظام تأليفها بطابع خاص هو وليد عملية امتزاج الموسيقى الشرقية والغربية بالموسيقى الاسبانية القديمة .

ويؤكد المؤلف ان الموسيقى العربية قد بذلت لاوربا بسخاء منذ ان استتب الامر للعرب في الاندلس وصقلية وكريت ، كما افاضت على ما حولها من خصائصها وطبائعها وملامحها مما لا نزال نلمس اثره في موسيقى هذه البقاع ، ولكن ذلك لم يحل دون ان تأخذ من غيرها ما يطعمها ويزيدها ثراء وجمالا .

رسالة مدريد

المستشرق الأسباني جوميث
عندما ساهم العرب
في اكتشاف القارة الأمريكية

بقلم: خالد سالم

اميليوجارثيا جوميث ، شيخ المستعربين الاسبان وابرزهم، ولد في مدريد في ٤ يونيو / ١٩٠٥ ، تخرج في كلية الفلسفة والاداب بجامعة مدريد المركزية وحصل منها على الدكتوراه ولم يتعد بعد الاثنين والعشرين عاما وبعدها عين استاذا بقسم اللغة العربية ، ثم اوفد الى مصر وسوريا بمنحة دراسية لتوسيع معارفه بالادب العربي واللغة العربية ، وفي عام ١٩٣٠ حصل على درجة استاذ كرسي بجامعة غرناطه ومنحته اكاديمية اللغة الاسبانية جائزة كبيرة عن كتابه ((نص عربي في اسطورة الاسكندر)) .

ونظرا لمعرفته بالمشرق الاوسط تم تعيينه سفيرا لاسبانيا بالعراق في ١٩٥٨ ، ثم تنقل في العمل الدبلوماسي بين كابول ولبنان وتركيا ، ثم ترك عمله بالسلك الدبلوماسي في عام ١٩٦٩ ليعود الى عمله بالجامعة المركزية في مدريد حتى تقاعده في عام ١٩٧٥ .

ولقد قامت جامعات ذات شهرة عالمية مثل جامعة بوردو بفرنسا ، والقاهرة ، والجزائر واشبيلية وقرطبة وغرناطة بمنحه الدكتوراه الفخرية اعترافا منها بنشاطه الاكاديمي اللامع، كما نال عضوية مجمع اللغة العربية في كل من القاهرة ودمشق وبغداد ، وفي العام الماضي حصل على جائزة «بغداد»



المستشرق الاسبانى اميليو جوميث

التى تمنحها اليونسكو وذلك باعتبـاره من اشهر المستعربين الاسبان ٠

ولقد أثـرى مكتبة الاسـتعراب والدراسـات الاندلسـية فى اسبانيا والعالم بالعديد من الكتب القيمـة التى ازالت الكثير من الغموض عـن هـذه الحقبة من تاريخ العـرب بالمشرق فى اسبانيا ٠ ونذكر من كتبه ما يلى :

كتاب أعلام المبرزين لابن سـعيد المغربى (ترجمة ودراسة) ، شـعر ابن الزقاق (ترجمة) ، ابـن زمـرك ، شاعر الحمـراء (دراسـة وترجمة لاشعاره) ، ازجال ابن قزمان (دراسة وترجمة) ، طوق الحمامة لابن حـزم (ترجمة مع مقدمة للفيلسوف اورتيجا اى جاسـيت) ، اشعار عربية عـلى جدران ونافورات الحمراء (جمع ونشر (ترجمه الى العربية د٠ الطاهر احمـد (ترجمة الى العربية د٠ الطاهر احمد مكى ، القاهرة ١٩٨٢)، حوليات الحكم الثانى ، ابن قزمان ، عروض الموشحات والعروض الاسبانى (دراسة) ٠

وقائمة دراساته وترجماته الطويلة ، تركت بصماتها على نتاج جيـل كامـل من شعراء وكتاب اسبانيا ٠ فلقد كان صديقا للشاعر (الاسطورة) جارثيـا لوركا ، يتذكره بحزن ، وقد جرت أخر مرة التقى به ، قبل ان تقتله الايـدى السوداء بثلاثة ايام ٠

ولقد التقينا به فى منزله بمدريـد ودار بيننا حوار طويل ، قد يغضـب البعض منه ، ولكن الرجل(اسبانى) وثابت عند رايه ٠٠ ينظر للتاريـخ العربى فى الاندلس من الضفة الاخرى ٠٠٠ الا أننى أود أن انبه القارىء الى أن جارثيا جوميث بالنسبة لاسـبانيا يعد من كبار المستعربين الذين يمثـلون جيل المستعربين القدامى ، ومن هنـا جاءت افكاره المحافظة بالاضـافة الى كون لتجاهه الفكرى اقرب الى الاتجاه الرجوعى ـ اللاهوتى ـ القـومى ٠ وبالرغم من بعض ارائه المتعسفة التى جاءت فى المقابلة فانها فىنهاية المطاف اقرب الى الاعتراف الكلى باهميـة الوجود العربى فى أسبانيا الذى امتد حوالى ثمانية قرون ٠

والحديث عنجارثيا جوميث لاينتهى، فلنتعرف عليه من خلال هذه المقابلة ٠٠

ـ وصلت الى مصر فى عام ١٩٢٧ ، كان عمرى حينها ٢٢ سنة ٠ وفى الواقع كانت أول مرة أسافر فيهـا الى خارج اسبانيا ، فلم اكن أعرف سوى بعض مناطق جنوب فرنسا ٠ ولقد توجهت الى مصر وأنا احمل رسالة توصـية الى أحمد زكى باشا ، لم اكـن انتظـر أن تكون ذات أهمـية كبيرة ، اذ استقبلنى أحمد زكى باشا اسـتقبالا حارا ، وخلال العام ونيف الذى عشـته فى مصر ، كنت أذهب الى منزله مرتين كل أسبوع ٠ وهناك تعرفت على كثير

من الشخصيات فى « دار العروبة » بالجيزة .. وأثناء هذه الفترة تنازل أحمد زكى باشا للدولة عن جزء من كتبه وبها تم انشاء « الخزانة الزكية» فى الغورية ، وعندما كنت فى مصر اخر مرة أردت أن أزورها ولكن كل شيء تغير هناك . وكان يشرف على مكتبة « الخزانة الزكية » هذه محمود حسن زناتي ، وهو رجل ذو تكوين ثقافى تقليدى ، ولكنه كان أحد زميلى طه حسين أثناء « ثورته » بالازهر ، التى يتكلم عنها فى كتاب « الايام » ، الذى ترجمته الى الاسبانية

ولقد سعيت الى دعوة طه حسين الى أسبانيا مرتين ، وفى المرة الاولى كان ضد الحكومة ، ولهذا لم تتحرك السفارة لاستقباله ، ولكننى قدمته الى الكثير من الشخصيات ، مثل أورتيجا أى جاسيت وهو فيلسوف وكاتب اسبانى عاش فيما بين عامى ١٨٨٣ و ١٩٥٥ ـ وفى المرة الثانية أتى بصفته وزيرا للمعارف لافتتاح المعهد المصرى فى مدريد ، الذى تم بنساؤه بعد أن تغلبت أنا وطه حسين على الصعاب التى كانت تقف فى طريقه . وكان من عادتى أن اسافر الى مصر مرة كل عام التقى به خلالها، ثم التقينا فى باريس ذات مرة ، حيث كنت أترأس جلسات مشروع منظمة اليونسكو المشروع الكبير للشرق والغرب وكان طه حسين يترأس الوفد المصرى .

ويتوقف البروفيسور جارثيا جوميث قليلا ويستطرد قائلا : لى فى مصر شخص عزيز تربطنى به صداقة قوية حتى الان وهو توفيق الحكيم ، فهو أقدم صديق لى فى مصر الان وقد ترجمت كتابه « يوميات نائب فى الارياف » ونفدت هذه الترجمة من السوق ، وكلما أزور مصر التقى به ومن هناك كانت تصلنى أخباره حتى وفاته .

● شعر اقليمى . داخل الاسلام

ووجهت اليه الملحوظة التالية :

ـ قرأنا تصريحات كثيرة لبعض الشعراء الاسبان مثل خوان رامون خيمينيث ورفائيل البرتى وجارثيا لوركا وغيرهم من الشعراء والنقاد ، جاء فيها انهم استقبلوا ترجماتك للشعر الاندلسى ، فى حينها استقبالا منقطع النظير وأنهم تدارسوها . وحول نقاط الضوء التى أثارت اهتمام كل هؤلاء يقول :

كنت على صلة مع كبار الشخصيات الادبية من أترابى ، منهم اورتيجا اى جاسيت الذى كتب مقدمة ترجمتى لكتاب « طوق الحمامة » وأخينو د أورس كاتب وناقد فنى أسبانى عاش فيما بين عامى ١٨٨٢ و ١٩٥٤ ـ ، بيريث دى أيالا ـ قاص وناقد عاش فيما بين عامى ١٨٨١ و ١٩٦٢ ـ ... الخ . حينئذ لم يكن الجو فى صالح ما هو عربى ، أى أن الجو الثقافى لم يكن يتقبل ما هو عربى ، فيما عدا أورتيجا أى جاسيت .

وقد توفى خوان رامون خيمينيث ـ وهو شاعر أسبانى عاش فيما بين عامى ١٨٨١ و ١٩٥٨ ، بعد أن نال جائزة « نوبل » للاداب فى عام ١٩٥٦، فى المنفى فى بويرتو ريكو ـ وهو لم يقرأ ترجماتى هذه فى أسبانيا ، بل قرأها فى المنفى ، وكثيرا ما تحدث

عنها دون الاشارة الى اسمى كمترجم لها ، نفس الشيء حدث مع غوميث دى لاسيرينا وهو قاص ومؤلف مسرحى أسبانى عاش فيما بين عامى ١٨٨٨ و ١٩٦٣ ، واخترع صورة أدبية جديدة تسمى « جريجيريا » ووصل به الحد الى درجة نسخ بعض هذه الابيات ووضعها فى صورة « جريجيريا » .

ويجب ان اشير هنا الىّ ان الشعر العربى - الاندلسى لا يمكن مقارنته بكثافة واتقان شعر المشرق . ففى الادب العربى - الاندلسى لا يوجد متنبى ولا ابو تمام ولا بحترى كان نوعا اخر من الشعر ، يمكن ان نطلق عليه اسم شعر اقليمي داخل الاسلام . فهذا الشعر لا يتمتع بالقوة التى نجدها ، على سبيل المثال ، فى شعر المتنبى ، الذى أعتبره أحسن الشعراء العرب واتمتع بقراءة شعره اكثر من قراءتى لاى شاعر اخر، فهو لم يكن شاعرا جيدا فقط من ناحية الشكل والموسيقى واتقان البيت .... بل شعره به شحنة فكرية لا توجد فى الشعر العربى - الاندلسى ، فى حين ان هذا الشعر يبرز فى المجال الوصفى والاستعارات .

● الاسلام .. والثقافة الكلاسيكية

وقد وجهت اليه الملحوظة التالية :

ترجمات ابن عربى والحلاج وما كتب عنهما فى فرنسا اثارت اهتماما كبيرا فى الاوساط الثقافية الفرنسية والعالمية ، فى حين ان كتابات الاسبانى اسين بلاثيوس عن ابن عربى ظلت محظورة فى النطاق الاقليمى ، وتعليقه على هذا كما يلى :

« من المنطقى أن تكون الدراسات الفرنسية قد لاقت على المستوى العالمى انتشارا يفوق مثيلاتها فى اسبانيا . وبالنسبة لاسين بلاثيوس فقد كتب كتابا عن تاثير التاثيرات الاسلامية فى الكوميديا الالهية لدانتى ، وقد نشر هذا الكتاب عشية الاحتفال بالذكرى المئوية لدانتى ، وكان له وقع كبير فى العالم ، وبشكل خاص فى ايطاليا ، وبعد وفاة أسين بلاثيوس تم نشرالكتاب الذى يؤكد نظريته ، وهو كتاب اسمه « المعراج » ترجم فى اسبانيا فى عهد الفونسو الحكيم - الفونسو السابيو - وهناك نسخة منه فى الفاتيكان واخرى فى جامعة اكسفورد .

وبالفعل الدراسات التى كتبها اسين بلاثيوس عن ابن عربى لم تنل نفس الاهمية فى الخارج لانه مات قبل ان ينهى دراسته ، كما انه كانت له نظرية لم تعجب الكثيرين حينئذ ، لذلك فان كتابه عن ابن عربى وضع له عنوان « الاسلام المنصر » وتدور نظريته هذه حول وحدة الثقافة بالعالم ، اى ان الاسلام نهل من ثقافة العالم الكلاسيكى حتى من الشرق الاقصى وفارس ، وقام بهضم هذه الحضارات ليعود ويحملها الى الغرب من خلال الاندلس وبذلك تغلق الدائرة . وهذه النظرية صحيحة فى جزء منها ولكنها لم ترق لاحد يومها . فالفرنسى ماسينيون ، الذى كان تلميذا لاسين بلاثيوس ، عارض هذه الاطروحة ، ولم يسلم بتاثر الاسلام بالاخرين ، فمن رأيه انالتصوف انبثق عن الاسلام ذاته دون اى تاثير خارجى . وكرس حياته لدراسة « الحلاج » ، ولكنه لم يجد من ينافسه

او يعارض نظرياته حول هذا الموضوع، وله كتاب حول « الحلاج » لم يستطع احد ان يكتب كتابا ليحل محله بالرغم من مرور ستين عاما على صدوره · وبات من الواضح بالفعل ان نظريات آسين بلاثيوس حول دانتى ونظريات الفرنسى ، « الغازيل » حول الغزالى نالت شهرة واسعة لم تنلها دراسات آسين بلاثيوس عن ابن عربى ·

- لكن هناك نظريات حول اصل كلمة (اندلس) ، هناك من يقول انه ياتى من كلمة (وندل) ؟

نعم هناك الكثير من النظريات ، ولكن هذه وغيرها لم تثبت صحتها حتى من الناحية الصوتية للكلمة · هناك بعض الشبه بين كلمتى (الاندلس) و (اندلوثيا) · وافضل ترجمة لها هو « اسبانيا الاسلامية » ، اما الاندلس الحالية فلا صلة لهما (بالاندلس) القديمة ، وفى بداية القرن التاسع عشر ، كانوا يطلقون على هذه الفترة من تاريخ اسبانيا (الاحتلال العربى لاسبانيا) · والان نطلق عليها « اسبانيا المسلمة » لان العرب الذين دخلوا اسبانيا كانوا قلة، واغلبهم من المولدين ، او المسلمين الجدد ·· !!

وقد وجهت اليه الملحوظة التالية : « تذكرون ان اميركو كاسترو له اطروحات فى كتابه (الواقع التاريخى لاسبانيا) تنصف العرب فى اسبانيا وتؤكد فضلهم على اسبانيا المعاصرة ، ولكن هناك البعض الاخر الذى ينكر ذلك ، بل وصل الحد ببعضهم الى حد تفنيد اوطروحات اميركو كاسترو فىحين ادار البعض الاخر ظهره للعرب وتوجه صوب «الجذور» الاوروبية - القوطية لاسبانيا» مثال ذلك كتاب اوخينيو اسبنسيو تحت عنوان (اسبانيا المتخيلة حسب اميركو كاسترو) ، فما رايكم فى هذه المشكلة ؟

وكانت اجابته على ذلك : « هذه مسالة لم ارد الخوض فيها اطلاقا · فالمشكلة قامت من الاساس بين اميركو كاسترو وسانتشيث البورنوث، لكن الغريب فى الامر انهما كانا يجهلان اللغة العربية · اميركو كاسترو كان استاذى ، وفى بداية الامر كان معاديا لكل ما هو عربى ، ولكنه بعد الحرب الاهلية الاسبانية تغير تماما ، عندما خرج من اسبانيا منفيا ·

« واذكر انه عندما بدأت قراءة كتاب (الواقع التاريخى لاسبانيا) قلت انه ليس لديه حق ، وظللت على ذلك صفحة بعد الاخرى ، وعندما انتهيت من قراءة الكتاب قلت عنده حق ··· !!! فالتناقض يوجد فى روح الكتاب نفسه اكثر مما يوجد فى المعلومات التى يحتوى عليها ، ومن الطبيعى ان تكون هناك بعض المعلومات غير الدقيقة لانه كان يجهل العربية ···· ومع ذلك فانه كان اكثر صوابا من سانتشيث البورنوث · مع ان كاسترو يبالغ بعض الشىء فيما يتعلق بالعرب واليهود فى اسبانيا ·

وكان كتاب اوخينيو اسينسيو ردا على مبالغة اميركو كاسترو فى تقييم دور اليهود فى اسبانيا ، فى حين ان البورنوث ركز على مبالغة كاسترو فى تقييم دور العرب فى اسبانيا ·

والمرة الوحيدة التى تدخلت فيها

فى هذه المشكلة ، كانت فى مقدمة ترجمتى لكتاب (طوق الحمامة) . فيما يتعلق بمؤلف كتاب (الحب المجيد) حيث حاولت توضيح الامور فقط وقلصتها الى حدودها المعقولة والعادلة ، لذلك لم يغضب منى اميركو كاسترو ، أى انه قبل بارائى

والتأثيرات العربية فى الادب الاسبانى احيانا ما تكون موضعا للمبالغة فى بعض الامور • فى حين انه فى احيان اخرى تكون واضحة ولا يتطرق اليها احد • على سبيل المثال التأثيرات العربية فى الامثال الاسبانية كثيرة وواضحة واذا طال عمرى سأقوم بعمل دراسة حول هذا الامر • وهناك الكثير من الامور لم يتعرض لها الباحثون •• !!

التواصل الحضارى

ثم وجهت اليه الملحوظة التالية : قامت السلطات الاسبانية اخيرا بتوجيه الدعوة الى جامعة الدول العربية للمشاركة فى احتفالات الذكرى المئوية الخامسة لاكتشاف القارة الجديدة ، امريكا ، التى ستقام فى اسبانيا فى عام ١٩٩٢ ، وقد تتضمن هذه الدعوة اعترافا اسبانيا بمساهمة العرب من خلال الفلكيين والبحارة ،الموريسكيين الذين اصطحبهم كريستوفر كولمبس فى رحلته تلك • فما هى معلوماتك عن هذا الموضوع من الناحية التاريخية ؟ وهل هناك ما يثبت بالفعل مشاركة الموريسكيين فى اكتشاف القارة الجديدة ؟

وكان رده كالاتى :

● لاتوجد وثائق تاريخية حول هذا الموضوع • فاسبانيا تتميز بالتواصل الحضارى مع الشعوب التى عاشت على ارضها ، بما فى ذلك اليهود ،ومع العرب اكثر من ذلك • الان يكثر الحديث على التعايش بين الاديان الثلاثة على الاراضى الاسبانية فى الماضى ، ولكنه ليس هناك وجه للمقارنة ، لان اليهود لم تكن لهم دولة فى اسبانيا ، والاكثر ما وصلوا اليه فى اسبانيا المسلمة ، ان اصبحوا وزراء مكروهين من قبل الجميع، فى حين ان العرب كانت لهم دولهم السياسية باسبانيا ، ومن هنا جاء التداخل بين الحضاريتين ، العربية والاسبانية ، هناك ثوابت انسانية تؤكد ذلك ، فاذا اخذنا العنصرية كمثال ، نجد شريطا كبيرا من العالم يشمل الدول العربية ويمر باسبانيا ليصل الى امريكا اللاتينية ، حيث لا يوجد فى هذا الشريط اى مظهر من مظاهر العنصرية ، فالاسود والاصفر والابيض يعيشون سويا دون تفرقة ضد جنس او لون ، وهذه الظاهرة لا توجد فى بلاد مثل فرنسا والمانيا وبريطانيا •

ولقد بات من الواضح ان الاسبان الذين ذهبوا الى امريكا حملوا هذا النوع من الثقافة اما التأثير العربى المباشر فى القارة الجديدة فقد حدث عن طريق من يسمونهم بـ (الاتراك) وهم اللبنانيون والسوريون الذين هاجروا الى امريكا وكونوا جاليات عربية كبيرة فى البرازيل والارجنتين•

٢١ أغسطس ١٩٦٨

عشرون عاما على غزو القوات السوفييتية - فى عصر ليونيد بريجنيف - مع قوات أربع دول اشتراكية أوربية أخرى فى « حلف وارسو » ، لتشيكوسلوفاكيا ، ولم يهدم هذا آمال الشعب التشيكوسلوفاكى وحده ، بل كل من كان يريد اشتراكية ذات وجه انسانى ، اشتراكية تطلق كل الحريات الديموقراطية .

بعدها بعقدين كاملين من الزمان تبدأ القيادة السوفييتية بزعامة ميخائيل جورباتشوف فى السير على نفس الدرب ، لبناء اشتراكية تقترن بالديموقراطية .

لكن التاريخ لن ينسى أن هذا الطريق أدركته القيادة التشيكوسلوفاكية التى خلفت آنذاك ما أطلق عليه « ربيع براغ » ، فقضت عليه الدبابات السوفييتية .

بقلم : مجدى نصيف

« ربيع براغ » و« شتاء موسكو »

- ثورة القيادة

وكما جاءت البيروسترويكا من القيادة السوفييتية بعد انتخاب السكرتير العام الجديد ، هكذا جاءت الثورة ضد الستالينية والبيروقراطية فى تشيكوسلوفاكيا ، بعد انتخاب قيادة جديدة بزعامة الكسندر دوبتشيك فى اجتماع اللجنة المركزية الذى انعقد فى شهر يناير عام ١٩٦٨ . ولقد جاءت هذه القيادة من بين صفوف الحزب ، تمرست بالعمل الحزبى بين صفوف الشعب فعرفت مشاكله وحلولها . معظم افراد هذه القيادة من بين الذين شاركوا فى المقاومة المسلحة السرية ضد النازية ، ورحب بدخول الجيش الأحمر ، بل وشارك البعض فى الحرب الاسبانية ضد فرانكو .

فعلى مدى سنوات ازداد السخط من نظام سياسى واقتصادى ، شمولى وبيروقراطى ، نظام اتخذ سماته الاساسية من التجربة السوفييتية . لكن هذا النظام


الغزو السوفييتى لشوارع براغ

مدمر وغير مقبول وغير مناسب لدولة مثل تشيكوسلوفاكيا ، ! دولة فى وسط أوربا ذات مجتمع مدنى حزبى متطور له تقاليد ديموقراطية منذ قبل الاشتراكية ، مجتمع احتياجاته الأساسية ومتطلباته متقدمة . وتولد المزيد من السخط بسبب انحراف وقصور الطموحات القومية للسلوفاك فى دولة بها قوميتان .

كان الشعور السائد هو عدم المبالاة بما يحدث ، وعدم الاهتمام بالمناقشة لأن نتائجها معروفة مقدما . لكن بعد اجتماع اللجنة المركزية فى يناير ، حل محل كل هذا الاهتمام بالسياسات -وخاصة بين الشباب . وطرحت الاحتياجات المطلوبة للمجتمع ، مرتبطة بالمزيد من المعرفة والمعلومات عن الموضوعات المطروحة للنقاش ، وللمشاركة فيما يحدث فى البلاد وفى اتخاذ القرار ، واعتبر الجميع أن الايديولوجية والتقاليد الماركسية تعطى كل هذه الحقوق التى لم تكن متاحة من قبل .

● فترة خصبة

وكانت هذه الفترة القصيرة فى تاريخ تشيكوسلوفاكيا ، على قصرها ، أخصب فترة مرت بها بعد أحداث ثورة فبراير ١٩٤٨ .

برز الكسندر دوبتشيك وبقية أعضاء القيادة الجديدة ، ونزلوا إلى التجمعات الشعبية فى اجتماعات ديموقراطية خلاقة ، يتحدثون وينصتون ويجيبون على الأسئلة والتساؤلات : فى المصانع والمؤسسات والاجتماعات الحزبية ، التى اختفى منها البوليس السرى ، والبوليس التقليدى .

وكانت وسائل الاعلام على رأس دعاة الديموقراطية الجديدة ، تماما كما فى

"ربيع براغ" و"شتاء موسكو"

الاتحاد السوفييتي اليوم . وأصبحت هذه الوسائل الاعلامية بالمقابل هي هدف العناصر الستالينية - الجديدة والقوى المحافظة في المجتمع ، تلك العناصر والقوى التي كانت تخشى على سلطاتها الفوقية الشمولية وامتيازاتها وفسادها . لقد كانت هي هدف هجوم قوى التقدم والديموقراطية .

وفي فبراير رفعت الرقابة عن الصحف التي بدأت تناقش أمورا كانت مقدسة من قبل ، وحوادث تاريخية .. كانت الصحف تتسلم خطابات من القراء من جميع انحاء البلاد في شئون حساسة ودقيقة . فبدأ الناس ينغمسون في حوار ديموقراطي حر .

وصحا البرلمان التشيكوسلوفاكي من نومه الذي يغط فيه ، وبدلا من رفع الايدي بشكل تقليدي ، بدأ حوار مثمر ، وتحول إلى ممارسة عمله الدستوري الأصلي ومناقشة شئون البلاد ، بشكل لم يحدث منذ عشرين عاما . وانشغل البرلمان بشئون مثل : إعادة الاعتبار إلى عشرات الآلاف الذين سجنوا وشردوا وقتلوا في الخمسينيات في عهد ستالين الرهيب ، وتعويضهم ماديا ، وكذا رفع الحظر عن التحرك والسفر داخل البلاد ، ورفع الحظر عن السفر إلى خارج البلاد ، ذلك الحظر الذي سبب سخطا شديدا . وبدأت الاستعدادات لتحويل تشيكوسلوفاكيا إلى دولة فيدرالية تضم قوميتي التشيك والسلوفاك المتآخيتين حقا .

أما الأحزاب الديموقراطية الأخرى المتجمعة تحت مظلة « الجبهة الوطنية » فقد بدأت تتحرك بعد سنوات من الجمود والشلل ، وأصبح لها كلمة حقيقية - وليس على الورق - في تشكيل سياسات الدولة في إطار الجهة التي قبلت بقية الأحزاب قيادة الحزب الشيوعي .

وبرزت التعددية التنظيمية والايديولوجية إلى جانب « منظمة الشباب التشيكوسلوفاكي » C S M **التي كانت تحتل مجالات العمل وحدها دون منازع بسلطة الدولة والحزب . ونشط العمال وشاركوا بشكل ملحوظ في هذه الفترة ، واخذ زعماء النقابات يدافعون عن مصالح اعضاء نقاباتهم واتحاداتهم بعد ان كان شعارهم « طالما ان الدولة هي دولة العمال ، فلابد من تأييدها بشكل كامل وعدم ابراز المشاكل والمصالح العمالية » .**

● الإصلاحات الاقتصادية

وكان أهم عناصر « ربيع براغ » . هو برنامج « الاصلاح الاقتصادي » : منح المؤسسات الاقتصادية استقلالا ذاتيا بالبعد عن المركزية وانتخاب « مجالس عمالية » تسير الانتاج وتحل كافة المشاكل والاستخدام « السوق الاشتراكي » الذي تسيطر عليه الدولة في ظل الملكية العامة لوسائل الانتاج والتخطيط المركزي .

وهنا يجب أن نلاحظ الشبه الشديد بين تلك الاصلاحات التي اقترحتها القيادة التشيكوسلوفاكية عام ١٩٦٨ وبدأت في تنفيذها ، وبين الاصلاحات التي بدأ الزعيم السوفييتي ميخائيل جورباتشوف في إدخالها في الاتحاد السوفييتي .

كسبت القيادة التشيكوسلوفاكية ، ثقة الشعب والطبقة العاملة فى الأساس والمثقفين بكافة تياراتهم واتجاهاتهم منذ بدات برنامجها فى يناير ، فتقدمت خطوة أخرى فى ابريل ، ونشرت « برنامج العمل » الذى ستسير على هداه .

● برنامج العمل

ولعل هذا أول برنامج لحزب شيوعى فى السلطة يقدم شيئا جديدا ، نموذجا آخر غير النموذج السوفييتى الستالينى التقليدى ، نموذجا يرفض الستالينية وعبادة الفرد ومركزية السلطة ، ويجعل الناس تتناقش وتشارك فى اتخاذ القرار ، نموذجا لايستخدم البوليس السرى والقمع .

وركز « برنامج العمل » على النقاط الاساسية التالية :

● « تعتمد سياسة الحزب على مبدأ عدم تركيز السلطة فى اى قطاع من قطاعات الدولة ، أو إحدى هيئاتها ، أو اى فرد من الأفراد فيها » . « كان معنى هذا رفض « الأبوية » التى لعبت دورا مميتا فى الدول الاشتراكية ، رفض « الابوية » من الدولة الاشتراكية الأم - أى الاتحاد السوفييتى - ورفض الأبوية التى تفرضها الدولة على الشعب . وقد نص « برنامج العمل » على أن « الطبقة العاملة التشيكوسلوفاكية التى لم تعد تتلقى اوامرها من أية طبقة مستغلة ، لايمكنها أن تتلقى أوامرها من أعلى الآن ، ولايمكن أن تؤمر بما تقوله وبما لا تقوله ، وما الدور الذى يلعبه الرأى العام ، والدور الذى لايلعبه » .

● « ينبغى تغيير قانون العقوبات ، خاصة تلك المواد التى تضع المواطن العادى فى موقف ضعيف أمام الدولة ، ومؤسساتها » .

● « دور الحزب الشيوعى قيادى للمجتمع ، لكن هذا لايعنى أن هذا يأتى من خلال إصدار الأوامر ، بل من خلال تأييد الجماهير الطوعى للقضايا السياسية والأفكار التى يطرحها الحزب . » .

● « نريد أن نبدأ فى بناء نموذج ديموقراطى - مكثف - لمجتمع اشتراكى ... إن كل شىء يعتمد علينا الآن ونحن نشق طريقنا فى الظروف المجهولة ، ونحن نجرب .. » .

● « نريد أن نخلق ظروفا يشعر فيها كل مواطن شريف أنها الظروف الصحيحة لتشكيل قدر أمته ، وأنه يمكنه الاعتماد عليها ، وأنه فى حاجة اليها .. » .

● قال الزعيم الكسندر دوبتشيك فى التليفزيون الوطنى ببراغ يوم ١٨ يولية ١٩٦٨ ما يكمل ما طرح من افكار فى « برنامج العمل » .. « .... نحن لايمكن أن نفرض سلطتنا بإصدار الأوامر ... فى الفترة السابقة لم تكن جماهير شعبنا راضية عن الطريقة التى تنفذ بها سياساتنا ... إن الحزب لايمكنه أن يغير جماهير الشعب ، ولذا تعين علينا تغيير القيادة ، وكان على هذه القيادة الجديدة أن تغير من أساليبها السياسية » .

● تحذير مايو

وفى شهر مايو حذر الكسندر دوبتشيك

«ربيع براغ» و«شتاء موسكو»

والقيادة الجديدة من أن القوى « المعادية للاشتراكية » تحاول استغلال الحريات الديموقراطية الجديدة ، ولذا ينبغى هزيمتها - ليس باستخدام الأساليب القديمة - ولكن بالحوار الايديولوجى المفتوح والعلنى الذى سيكشفها . وقد انضمت إلى هذه القوى عناصر صهيونية معادية للعرب ، خاصة أن هذه الفترة جاءت بعد هزيمة عام ١٩٦٧ المرة وانتصار اسرائيل على ثلاث دول عربية فى خط المواجهة . وقد استخدمت القيادة السوفييتية وقيادات عدد من دول أوربا الاشتراكية هذا ضد « ربيع براغ » . لكن عموما منذ أن تولت القيادة السياسية التشيكوسلوفاكية الجديدة بزعامة الكسندر دوبتشيك المسئولية ، حاولت قيادة ليونيد بريجنيف السكرتير العام الأسبق للحزب الشيوعى السوفييتى ، بكل ما فى طاقتها ، مع عدد من قيادات دول حلف وارسو إيقاف السياسة « المراجعة » التى اتبعتها القيادة التشيكوسلوفاكية الجديدة ، دون جدوى . وقد عبروا عن هلعهم الحقيقى بوجه خاص من رفع الرقابة على الصحف ونادوا بإعادة فرضها .

كان من المفروض انعقاد مؤتمر خاص للحزب الشيوعى التشيكوسلوفاكى ببراغ يوم ٩ سبتمبر ١٩٦٨ . وكان قد تم انتخاب الأعضاء الذين سيحضرونه باقتراع سرى تم فى جميع أنحاء البلاد . وكان نتيجته أغلبية مؤيدة لألكسندر دوبتشيك « ومقرطة » البلاد « وبرنامج العمل » . وكلما اقترب موعد المؤتمر ، ازداد ضغط قيادة بريجنيف على القيادة التشيكوسلوفاكية الجديدة لتغيير خطها السياسى ، ولكن دون نجاح .

● والغزو ..

وفى فجر ٢١ أغسطس دخلت الدبابات السوفييتية براغ ، ٦٠٠ الف جندى من قوات حلف وارسو ، من الاتحاد السوفييتى وأربع دول اشتراكية أوربية أخرى هى : بولندا والمجر والمانيا الديموقراطية وبلغاريا .

وجاء فى الكتاب الأبيض الذى نشره السوفييت عام ١٩٦٨ بعنوان « حول الأحداث فى تشيكوسلوفاكيا » ..

« ... خلقت مؤامرة القوى المعادية للثورة ، التى ساندتها الرجعية الامبريالية من الخارج ، تهديدا مباشرا للاشتراكية فى جمهورية تشيكوسلوفاكيا الاشتراكية .. وفى مثل هذه الظروف ، أجبر الاتحاد السوفييتى والدول الاشتراكية الأخرى ، المخلصون لواجبهم الأممى ، على اتخاذ خطوات متطرفة ، بما فى ذلك إدخال قواتهم المسلحة إلى براغ .. !

وأخمد « ربيع براغ » ..

وبدأ شتاء قارص البرودة .



كهرباء ..

فوق السلك السابح فيه الموت
عصفوران
عصفور واحد
عصفوران
عصفور واحد
والثانى فوقه
عصفور واحد
لا شيء ..
سيظل السلك السابح فيه الموت
يحلم بالحب !!

ضيق ...

اصغر ابنائى
يعبث بالقلم الجاف على ورق الحائط
انهره واعود بوجهى لكتابى
يعبث بالقلم الجاف على فرش الكنبة
انهره واعود بوجهى لكتابى
ويعود الى نفس اللعبة
اقذفه بكتابى !!



شعر: محمد محمد السنباطى



العالم في سطور

روما

● الشيخوخة لاتصيب الجميلات

« امرأة من روما » .. الرواية الايطالية التى احدثت دويا فى الاوساط الفنية والادبية عندما نشرها البرتو مورافيا لاول مرة فى الاربعينيات حول أم تدفع ابنتها لاحتراف الدعارة . وهى الرواية التى كانت سببا فى شهرة الممثلة الايطالية جينا لولو برجيدا فى اوائل الخمسينيات عندما جسدت دور الحسناء الشابة ادريانا فى الفيلم الذى اخرجه لويجى تساميا

جينا لولو برجيدا ..



هذه الرواية التى ترجمت الى عشرات اللغات ومنها اللغة العربية (ونشرت فى روايات الهلال) خمس ترجمات وعشرات الطبعات قام التليفزيون الايطالى باعادة انتاجها مرة اخرى .. قد يبدو الحدث عاديا ، خاصة ان اعادة اخراج الروايات شىء مالوف . لكن الجديد فى هذا الخبر ان المخرج الايطالى جوزييه باروتى قد نجح فى اقناع جينا لولو برجيدا للاضطلاع بالبطولة . وبعد طول تردد قبلت العرض .. شريطة ان تقوم بدور الام على ان يسند دور ادريانا الى ممثلة جديدة هى فرنشسكا ديلليرا ـ ٢١ عاما .

تجىء اهمية الحدث ان جينا لولو التى ابتعدت عن السينما منذ خمسة عشر علما قد اختارت الا تبتعدكثيراعن الفن المصور . فراحت تنتقل بكاميرتها المتطورة عبر انحاء متعددة من العالم تصور ما تراه قريبا من قلبها . المشهورين والمغمورين . الفقراء قبل الاثرياء الحوارى الضيقة قبل الشوارع الواسعة الفخمة . وتميزت صورها التى التقطتها بالحيوية والصدق ومن الاسماء المشهورة التى قامت بتصويرها : انديرا غاندى وفيلليني وتقول مرددة عن اليوماتها المصورة « تهزنى كثيرا ملامح الشوارع المالوفة التى تذكرنى بماضى الفقير » .

وتعلن جينا عن عودتها الى السينما بعد ان تجاوزت الستين قائلة « لا تهم

مسالة السن ، لانني احب المشاركة فى المغامرات الجديدة التى تثير فى الحماس فأنا أعمل من اجل متعة الحياة وبهجتها ·

ليفربول

● أكتشاف كبير

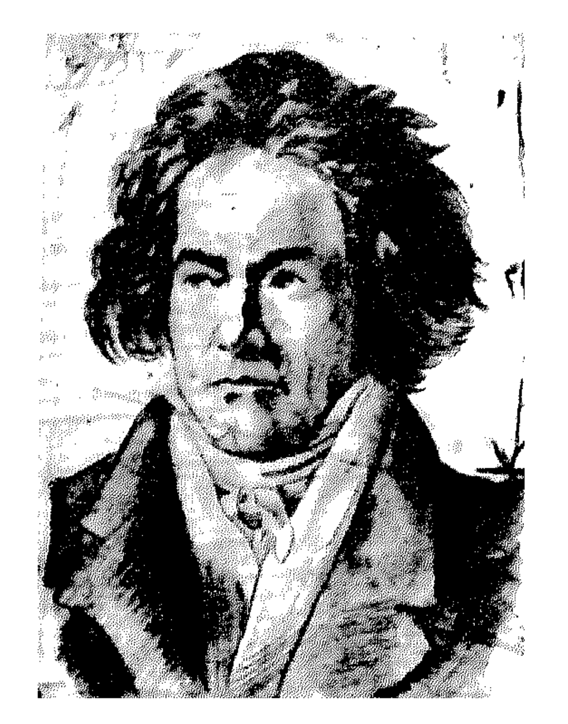
لا حديث لدى الموسيقى الكلاسيكية وعشاقها ، الا عن اكتشاف سيمفونية جديدة لواحد من ملوك النغم توفى منذ مائة وخمسين عاما أو يزيد ·

وهذا الموسيقار الذى أصبح عمله المكتشف على كل لسان بعد فوات كل هذه الاعوام هو « لودويج فون بيتهوفن » الذى ودع الحياة تاركا وراءه عددا من السيمفونيات آخرها التاسعة ، وهى سيمفونية يقال عنها ان حركتها الاخيرة تحمل رسالة الى الانسانية ملؤها التفاؤل بمستقبلها مصوغة فى كلمات للشاعر الالمانى « شيللر » تغنيها جوقة من المنشدين ·

والسيمفونية المكتشفة ، لم يعثر منها الا على الحركة الاولى ·

والفضل فى ذلك يرجع الى الدكتور « بارى كوبر » من جامعة « ابردين » الذى ما ان قرأ فى مذكرات « كارل هلتز » سكرتير « بيتهوفن » ان الموسيقار قد عزف الحركة الاولى من سيمفونية عاشرة له على البيانو ، حتى اسرع بالبحث ·

واذا به يجد اجزاء من تلك الحركة فى مكتبة برلين الغربية ، واجزاء



بيتهوفن

أخرى فى أرشيفات مدينة « بون » حيث ولد « بيتهوفن » ·

وما جمعه الدكتور « بارى » من السيمفونية ، تصل مدة عزفه الى اثنتى عشرة دقيقة ·

هذا ، وسيقوم أوركسترا ليفربول السيمفونى ، بعزف تلك الحركة يوم التاسع والعشرين من اكتوبر القادم ، أى بعد فوات ١٦١ عاما على ابداعها ·

وليس شك ان كل هذا الجهد والمثابرة فى البحث لما يملأ النفس اعجابا ·

لوس انجلوس

● الأغراء الأخير

عندما نشرت قصة « الاغراء الاخير للمسيح » لصاحبها الاديب اليونانى الراحل « نيكوس كازانتزاكيس » لم تقم تظاهرات عارمة تطالب بمنعها ·

لم تتحرك الكنيسة محرضة الاتباع على حرق نسخها ·



العالم في سطور

ولكن ما أن تحولت شركة يونيفرسال الامريكية بتلك القصة الى فيلم سينمائى من اخراج « مارتين سكورسيزى » حتى أسرع المتعصبون المتصلبون الى الشوارع على امتداد الولايات المتحدة متظاهرين ضد الفيلم • وحتى بادر رؤساء بعض الكنائس بمخاطبة تلك الشركة عارضين عليها شراء جميع نسخ الفيلم ابتغاء التخلص منها حرقا •

وقد كان من نتائج هذه الحملة دعاية مجانية للاغراء الاخير للمسيح• فاذا بطوابير المقبلين على مشاهدته تزيد على مر الايام •

صورة من فيلم "المسيح"



واذا بطوابير المحتجين المحاصرين لدور عرضه تقل وتنكمش حتى أصبحت أثرا بعد عين •

واذا بأرباح الشركة المنتجة تتكاثر، حتى انه يقال ضمن ما يقال ان مديرها يتوجه كل يوم الى المصرف للاطلاع عليها مقهقها •

وعلى كل فهذا الاختلاف في ردود الفعل لنشر الكتاب وعرض الفيلم ، انما يدل على خطورة الصورة المتحركة، وتفوقها على الكلمة المكتوبة فى التاثير على الجماهير •

باريس

● عندما يموت الكاتب بالايدز

« يموت اناس كثيرون يوميا من الامراض المستعصية ، لكن موت فنان واحد مشهور من أحد هذه الامراض كفيل ان يصيب ملايين البشر بالحزن والكآبة والخوف » •

صرح بهذه العبارة الكاتب الفرنسى جان بول ارون فى حديث له الى احدى قنوات التلفاز الفرنسية فى نوفمبر الماضى • فى تلك الاونة لم يكن قد بدا شىء بالمرة على الكاتب من اعراض مرض الايدز الذى نخر فى دمائه بسرعة غريبة واتى عليه مع مطلع الشهر الماضى ••

جاء هذا الخبر مثيرا فى الاوساط الادبية العالمية • فاذا كان دومنيك فرنانديز هو اول الادباء المصابين بهذا المرض • فان ارون هو اول من

يموت به من الادباء · وهكذا يدلي احصائية جديدة تتعلق بهذا المرض واسبقية المصابين به ·

وقد نشرت مجلة لوبوان الفرنسية قائمة قصيرة بالفنانين الذين لاحقهم المرض وكان على رأس القائمة بالطبع الممثل الامريكي روك هدسون · والمخرج المسرحي الامريكي مايكل بنيت الذي اخرج المسرحية الاستعراضية « خط الكورس » تحدثنا عنها في العالم في سطور في يوليو ١٩٨٨ ـ كما اصيب بالمرض من المشاهير شخصان من عائلة كروب الالمانية الشهيرة ·

ابرز ما يتعلق باصابة ارون بهذا المرض ووفاته به هو تصريحه انه من الشواذ · ولم ينف هذه التهمة ويرى أن على الآخرين ان يعرفوا ان الام الفنان تتضاعف عن الام الاشخاص العاديين ·

والتنطن

● برامج دراسية

« ان الطلاب الذين حصلوا اخيرا على شهادات من الجامعات ، يجهلون ابسط المعلومات ، حول تاريخ أمتهم وحضارتها وأدبها ، وفنها وأسسها الفلسفية » ·

هذا الكلام ليس لوزير التربية المصرى الدكتور فتحى سرور ، ولكنه لوزير التربية الامريكى ويليم بينيت ·

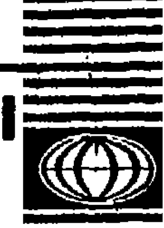
وردا على تدنى مستوى التعليم الجامعى فى الولايات المتحدة ، قامت احدى الجامعات الامريكية بوضع مقررات تختلف عن بقية الجامعات التى تعطى للدارس حق اختيار المقررات التى يرغب فى دراستها ·

انها جامعة سان جون فى ولاية ميريلاند ، والتى تقوم خططها على تدريس امهات الكتب الغربية ، وتحيى كبار المؤلفين الذين ماتوا منذ عدة قرون ، وتستحضرهم فى قاعات الدرس ، فتقوم برامجها على دراسة حوالى ١٣٠ نصا من النصوص الكلاسيكية للحضارة الغربية · فيتعلم الطلاب حساب التكامل والتفاضل من كتاب اسحق نيوتن ، ويدرسون كتاب مينو لافلاطون كما كتب باليونانية ، وكتاب فيدر لراسين كما وضعه بالفرنسية ، وكتاب سيجموند فرويد عن النفس البشرية ، ويطالعون « الاوديسة » لهوميروس ، وكتاب الحيوان لبلوتارك ، وتراجيديات شكسبير ، والانتقادات الفلسفية لكانت ، ويطالعون ما كتبه داروين عن نظرية النشوء والارتقاء ، ويقرأون نظرية النسبية كما كتبها اينشتين ·· وهكذا ·

والجامعة تركز على ثقافة واسعة لا على ثقافة تساعد على ايجاد فرص العمل ، ويذكر جورج دوسكو الاستاذ فى الجامعة ·· « ندرس أفضل الكتب التى نستطيع أن نقدمها ، ونتحدث عنها بافضل طريقة نستطيعها ·· » ·

فمتى تدرس جامعاتنا أمهات الكتب التى تتناول الحضارة العربية والاسلامية الى جانب أمهات الكتب الغربية ·

وستقدم مجلة « الهلال » من العدد القادم امهات الكتب العربية ، وسبق أن دعى أحد كتاب مجلة الهلال الى قيام جمعية خاصة تشرف على تحقيق ونشر أمهات الكتب العربية ، وسنواصل المحاولة ·



العالم في سطور

لندن

● اليهود .. وتصفية الحسابات القديمة

لم تهدأ بعد تلك الحملة الساخنة التي شنتها الصحافة العالمية على الفيلسوف الالماني مارتن هيدجر ، اهم من كتب في الفلسفة الوجودية . منذ اشهر بعد اكتشاف علاقته بالنازية

ويبدو ان هواية البعض التفتيش في الفكر العالمي الغير يهودي والبحث عن اى هجوم ضد اليهود من اجل الاسراع بادانة صاحب هذا الهجوم ، خاصة مشاهير المفكرين والادباء ، وتحطيم الهالات الكبيرة بتهمة معاداة السامية

احدث من وقعوا في هذه المصيدة هو الشاعر والناقد الانجليزي ت. س. اليوت صاحب قصيدة « الارض الخراب » ابرز ما كتب من شعر في العصر الحديث .. حيث عثر على بعض ابيات من شعره جروء وافتقد فيها اليهود .. وبمجرد اكتشاف هذا الحدث تحول اليوت الى لقمة سائغة بين براثن الكتاب والصحفيين الصهاينة في العالم . وبدات الاقلام تؤول قصائده الاخرى وابياته بما يتناسب مع محاولة تدمير مكانته في عالم الادب ..

فقد جاء في قصيدة نظمها الكاتب في مقتبل حياته :

اصبح بيتي متآكل .

وركب اليهودي فوق النافذة .

وكانه بيته .

وفي قصيدة اخرى كتب قائلا :

تكمن الجرذان اسفل الرقام

وهناك يهودي يكمن في نفس المكان

الجدير بالذكر ان مستكشف هذه الابيات هو دافيد ناثان نائب مدير تحرير الصحيفة اليهودية « جويش كرونيكال » .

بهذا المنظور يتحول اغلب اعلام الفكر الغربي القديم والحديث الى معادين للسامية من شكسبير وديكنز وبرنارد شو وسرفانتس وموليير ..

نيويورك

● لورانس .. فوق تجارب البشر

هناك حقيقة واقعة يقرها الكثير من الادباء المعاصرين بدون خجل . بل بفخر شديد . وهي انهم خرجوا من جعبة الكاتب الانجليزي د . هـ . لورانس الروائي الذي عبر عن الحس الانساني برهافة شديدة ومنظور جواني بالغ الخصوصية في رواياته العديدة . مثل امرأة عاشقة ، و « عشيق الليدي تشاترلي » وابناء وعشاق » .

من هؤلاء الادباء تينس ويليامز وهنري ميللر .. ورغم ان هذا الاخير كان اكثر جراة وحساسية في رواياته . ورغم انه عرف كمبدع وليس ككاتب دراسات ادبية . فانه اراد ان يعبر عن اعجابه بلورانس فقدم عنه دراسة هامة تحمل عنوان « عالم د . هـ . لورانس » . تقع في اكثر من ثلاثين صفحة .. وهي دراسة تعد مدخلا لكل ادب الكاتب وحياته الخاصة .

ولذا اعيد طبعها المرة تلو المرة . وقد صدرت اول طبعة فرنسية لهذا الكتاب منذ شهرين تقريبا . « انا لا اكتب نقدا لاعمال لورانس . ولكننى اعبــر عن مشاعرى الخاصة تجاهه . من خــلال كتلة من الوثائق الاحساسية » .

ويقول ميللر ــ الذى مات فى عــام ١٩٨١ ــ ان مباشرة هذا الكتاب بدأت من ناشره الخاص جاك كاهان عندما اقترح عليه ان يكتب مقالا عن لورانس فى عام ١٩٣٢ ــ يتحدث فيه عن الاباحية فى اعماله . وبعد اكثر من ثــلاثين عاما بدأ ميللر فى تسطير كتــابه . وهو يقول ان الذى دفعه للعودة الى هذا البحث هو العبارة التى كتبهــا اندريه مالرو يوما : « لا يوجــد فى عيون لورانس سوى الوعى بكل ما هو خاص جدا ، انه وعى اكثر قوة يكمن فيه اكثر من الاخرين . هو وحيــد الحس » .

اما ميللر فيرى ان لورانس ينتمى ، مثل القلائل من عظماء البشر ، لنظام وراثى خاص جعل منه متجـــاوزا لكافة التجارب البشرية .

بروكسل

● روايات الحياة العائلية

هل يمكن للمناصب الادبية ان تمنح ادب الكاتب اهمية فى اية بقعــة من الارض ؟

اجابة هذا السؤال تنطبق تمامــا على حالة الروائى هيرفيـه بازان ــ ٧٧ عاما ــ فرغم انه يتولى رئاســة اكاديمية جونكور الادبية منذ عشرين عاما تقريبا . ورغم انه بدأ حيــاته الادبية منذ اربعين عاما تقريبا . ورغم غزارة انتاجه ، فانه لم يترك عمــلا ادبيا واحدا له اهميته سوى روايــة واحدة هى « نيران تخمد نيرانا اخرى » عام ١٩٧٨ .



هيرفيه بازان

احدث رواية لبازان هى « شيطان منتصف الليل » التى نشرت الاسبوع الماضى . والتى تنتمى الى ما اطلــق عليه بروايات العائلة . اى ان احداث الرواية جميعها تدور فى اطار عائلى تتحدث عن مشاكل الاسرة ومعاناتها التقليدية . ومن اشهر هذه الروايات « باسم الاب » . و « الكنيســـة الخضراء » .

والاسرة فى رواية بازان الجديدة تتكون من رجل وامرأة يتباينــان فى العمر ، ورغم ذلك فالزوج متعــدد العلاقات النسائية . وهو يخاف على ابنته الصغرى من ان تصيبها حــالة تعدد العلاقات عندما تبلغ سن الرشد ورغم ذلك فان الابنة ايفلين تتحول الى امرأة متعددة العلاقــات . تحت سمع وبصر ابيها . وتشكل بالنسـبة له تهديدا خطيرا . ليس فقط فيمــا يتعلق بوظيفته بل فيما يتعلق بعلاقاته الخاصة والعامة .

تقول الناقدة جيل برنلوفســكى ان روايات بازان اشبه بتيار الحياة الهادىء لذا فانها تجىء وتروح دون ان يشعر بها احد .

نقل الطاقة الكهربائية تحت الماء

بقلم : د. صلاح خليل

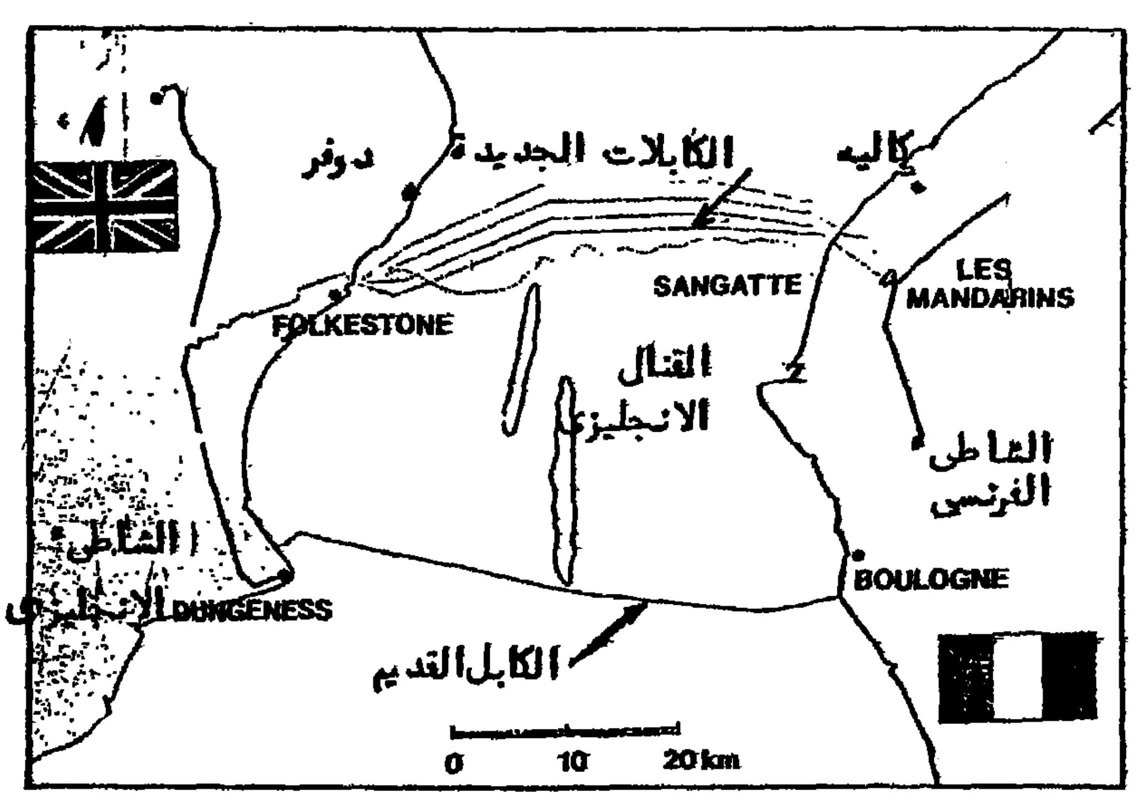
طالعتنا الصحف بأنباء متفرقة - ومقتضبة عن دراسات ومقترحات بمشروعات لربط الشبكات الكهربية لكل من مصر والاردن والسعوديه وتركياء واحتوت هذه الانباء على الاشارة الى استخدام كابلات بحرية بين محطة كهرباء العقبه الاردنية وحتى مدينة طابا المصرية .

وتهدف هذه الدراسة الى القاء الضوء على الاتجاهات العالمية فى ربط الشبكات الكهربية للدول المختلفة وأسباب ذلك ، مع أبرزها الاتجاه نحو نقل الطاقة الكهربية تحت الماء ، كاحدى الوسائل المستخدمة فى ربط الشبكات الكهربية حيث تتجلى فيها انجازات تكنولوجية ضخمة للعقل البشرى تجاوزت أحيانا، الخيال العلمى للمفكرين العظام الذين انجبتهم البشرية على مر العصور ، كما تحتوى هذه الدراسة على استعراض ومسح لخطوط نقل القوى الكهربية عبر البحار والممرات المائية فى العالم منذ انشاء أول كابل بحرى فى العالم وحتى اليوم .

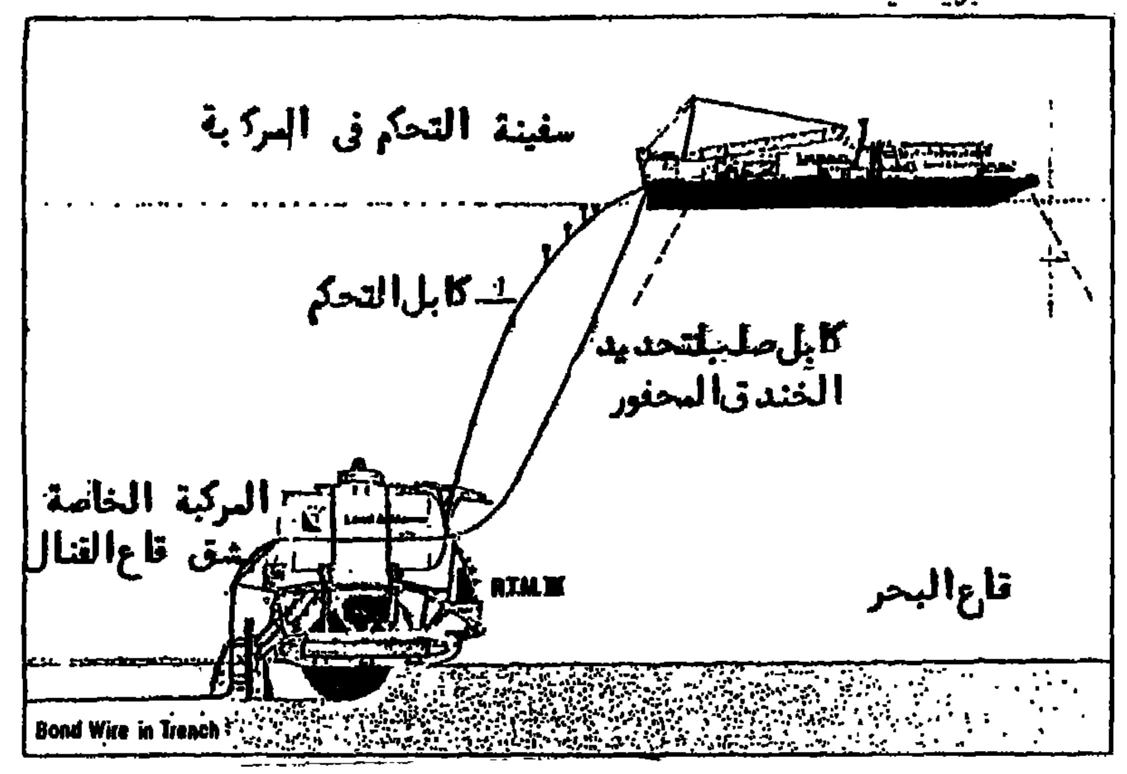
ربط الشبكات الكهربية .. لماذا ؟ وكيف ؟

ترتبط عملية ربط الشبكات الكهربية للدول المختلفة ، بازدياد الحاجة الى الطاقة الكهربية وتنوع مصادر توليدها واقتصاديات الحصول عليها وطريقة استهلاكها ، وقد أظهرت العديد من الدراسات ، ان ربط الشبكات الكهربية المختلفة يؤدى الى زيادة قدرة هذه الشبكات ، كما أن التنوع فى مصادر القدرة المتاحة للشبكة الكبرى يكسبها مرونة أكثر ويقلل من احتمالات وزمن انقطاع التيار الكهربى عند حدوث خطأ فى احدى محطات التوليد ، حيث يمكن لأية شبكة تزويد الاخرى بالطاقة الكهربية المطلوبة فى حالات الطوارىء أو فى حالات التحميل القصوى لاحدى الشبكات ، حيث أن من المفترض اختلاف أشكال التحميل لكل شبكة عن الاخرى طبقا لاختلاف توزيع احتياجات المستهلك بالنسبة للزمن لكل شبكة .

كذلك فان ربط الشبكات الكهربية للدول المتجاورة يسمح لأى من تلك الدول بشراء الطاقة الكهربية من الاخرى، وذلك فى حالة اختلاف نمط الاستهلاك وتكاليف انتاج الطاقة الكهربية فى احدى الدولتين عن الاخرى ، كتوفر



مواقع الكابلات البحرية الجديدة وكذلك الوصلة القديمة بين فرنسا وبريطانيا عبر القناة البريطانية



عملية شق وتجهيز القاع لوضع الكابلات البحرية

نقل الطاقة الكهربائية تحت الماء

المصادر الطبيعية للطاقة فى احداهما (توفر الوقود أو مساقط المياه الطبيعية) وقد أثبتت التجربة ان عمليات ربط الشبكات الكهربية الكبرى للدول تؤدى الى توفير عائد اقتصادى فى تكاليف التشغيل أيضا ٠

وتتضمن عمليات ربط الشبكات الكهربية نقل الطاقة الكهربية من مكان لاخر عبر مسافات تكبر وتصغر حسب طبيعية المشروع ، كما تختلف طريقة النقل حسب جغرافية المكان الذى يتم نقل الطاقة عبره ٠

وعادة ما يتم نقل الطاقة الكهربية من مكان توليدها (حيث تتوافر العوامل الطبيعية والاقتصادية لتوليد هذه الطاقة كوجود مناجم الفحم او مساقط المياه الطبيعية) الى مكان استخدام هذه الطاقة بكفاءة عندما توجد المناطق الصناعية المستهلكة لهذه الطاقة ، وتدخل هنا تكلفة التوليد والنقل بشكل رئيسى – وعلى سبيل المثال : فقد وجد الامريكيون – انتوليد الكهرباء فى شمال داكوتا حيث يتوافر الفحم ، ونقلها الى ولاية مينيسوتا – والتى تبعد ٧٥٠ كم – أرخص من نقل الفحم الى مينيسوتا وتوليد الكهرباء هناك ، بينما اقام السوفييت محطة لتوليد الكهرباء فىسيبريا حيث يتوافر الفحم أيضا ، وقاموا بنقل هذه الطاقة الكهربية المتولدة ، لمسافة ٢٠٠٠ كم – عبر سيبزيا الى روسيا الاوروبية ، وذلك لنفس السبب ، ويعرف هذا المشروع باسم (EKIBASTUZ CENTRE)

وهناك أمثلة عديدة مماثلة ، لنقل الطاقة الكهربية عبر مسافات طويلةبين مواقع توافر عوامل توليد الطاقة الكهربية ومناطق استهلاك هذه الطاقة، خصوصا فى تلك الدول التى تتميز بالاتساع كالاتحاد السوفييتى وكندا والولايات المتحدة الامريكية والسويد ٠٠

وتنقل الطاقة الكهربية أيضا من دولة الى أخرى لأسباب مشابهة وذلك مثل مشروع نقل الطاقة الكهربية بين موزمبيق (نهر زامبيا) وجنوبافريقيا (جوهانسبرج) والمعروف باسم مشروع كابورا – باسا (CABORA BASSA) حيث يتم نقل حوالى ١٩٢٠ ميجاوات على مسافة ١٤١٤ كيلو مترا – وقد تم تنفيذ هذا المشروع عام ١٩٧٩ ، وكذلك هناك مشروع نقل الطاقة الكهربية بين باراجواى والبرازيل فىأمريكا الجنوبية والمعروف باسم مشروع (ITAIPU.) حيث يتم نقل حوالى ٦٠٠٠ ميجاوات لمسافة تصل الى ٨٥٠ كم ٠

● مميزات التيار المستمر

وقد ارتبط التقدمبنقل الطاقةالكهربية على هذه المسافات الشاسعة بالتقدم فى تكنولوجيا نقل الطاقة الكهربية باستخدام التيار المستمر (D.C) بدلا من التيار المتغير (A.C.)

ويرجع ذلك – وبدون الدخول فى تفاصيل علمية ، الى ما للتيار المستمر من مميزات تتمثلفىتحقيق اقتصاديات نقل أفضل ، حيث ان فقد الطاقة فى حالة التيار المستمر اقل ، كما انتكلفة نقل الطاقة اقل فى حالة التيار المستمر منها فى حالة التيار المتغير ، وتزداد أهمية هذا العامل عند نقل الطاقة لمسافات شاسعة ، ولحسن الحظ ، فان للتيار المستمر أيضا عدة مميزات أخرى فى حالة ربط الشبكات المختلفة، ففى حالة ربط الشبكات بالتيار المستمر ، يمكن التحكم بسهولة فى

سريان الطاقة مع تحقيق اتزان أفضل حيث لا يمكن فى هذه الحالة نقل خطا احدى الشبكتين الى الاخرى، وبالتالى فان استخدام التيار المستمر فى الربط بين شبكتين يسمح بسهولة بمواجهة الاحتياجات الطارئة وتحويل الطاقة الكهربية من شبكة الى أخرى بسرعة ودقة •

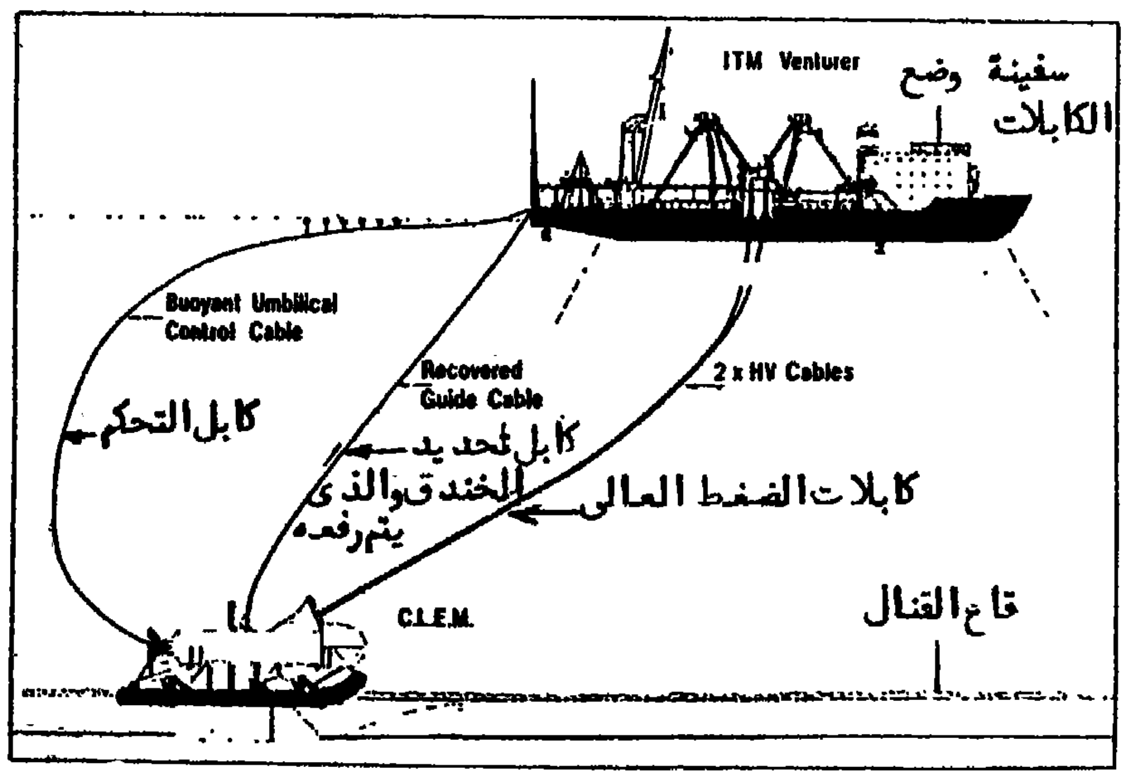
● نقل الطاقة الكهربية تحت الماء

عادة ما تنقل الطاقة الكهربية باستخدام الاسلاك الهوائية OVERHEAD Transmission lines. أو الكابلات المدفونة تحت الارض Underground Cables. وكلتا هاتان الطريقتان مألوفتان لدى القارىء ، لا أن هناك أيضا طريقة ثالثة لنقل الطاقةالكهربية وهى استخدام الكابلات البحرية والمعروفة باسم (Submarine Cables.) لنقل الطاقة الكهربية عبر البحار والانهار والممرات والمضايق المائية •

ويستخدم هذا النوع من الكابلات اذا ظهرت حواجز مائية طبيعية بين مواقع توليد الطاقة الكهربية ومواقع استهلاكها سواء داخل الدولة الواحدة مثل ايطاليا واليابان ونيوزيلندا ، أو ظهرت هذه الحواجز بين الدول المختلفة مثل وجود القنال الانجليزى بين فرنسا وانجلترا ، أو خلجان بحر الشمال بين السويد والدانمارك والنرويج •

وقد ظهر أولكابل بحرى لنقلالطاقة الكهربية تحت الماء على يد السويديين حيث تم تدشين أول كابل بحرى عرفه العالم عام ١٩٥٤ ـ وهو المشروع المعروف باسم كابل السويد ـ جوتلند بين السويد والدانمرك ويقوم بربط السويد والدانمارك حاملا قدرة قدرها ٢٠ ميجاوات ويبلغ طول الكابل ٩٦ كيلو مترا • وتبع انشاء هذا الكابل،

عملية وضع الكابلات ودفنها فى الخنادق الخاصة بقاع القناة البريطانية



نقل الطاقة الكهربائية تحت الماء

مشروع الكابل البحرى الاول بين فرنسا وانجلترا عبر القنال الانجليزى عام ١٩٦١ ، ويحمل قدرة كهربية قدرها ١٦٠ ميجاوات ، ويبلغ طول هذا الخط ٦٤ كيلو مترا ٠

وشهد عام ١٩٦٥ انشاء ٣ كابلات بحرية فى مناطق مختلفة من العالم — فقد تم تدشين وصلة بحرية فى نيوزلندا يبلغ طولها ٤٠كيلو مترا عبر مضيق « كوك » ضمن مشروع كبير لنقل الطاقة الكهربية من جنوب نيوزلندا الى شمالها حاملا قدرةكهربية تبلغ ٦٠٠ ميجاوات ٠

— وفى شمال أوروبا تم تدشين الكابل البحرى الثانى بين السويد والدانمرك والمعروف باسم Konti Scon وقد قصد بانشاء هذا الكابل البحرى ربط الشبكات الكهربية لهذا الجزء من اسكندنافيا بشبكات بعض دول شمال ووسط أوروبا عن طريق الدانمرك ، ويبلغ طول هذا الكابل البحرى ٨٧كيلو مترا ، وقد صمم لنقل قدرة كهربيةتصل الى ٢٥٠ ميجاوات ٠

— أما فى ايطاليا ، فقد تم توصيل الشبكة الايطالية الرئيسية بشبكة جزيرة سردينيا عن طريق جزيرة كورسيكا باستخدام كابلات بحرية ، ويصل طول هذه الوصلة الى ١٢١كيلو مترا ويحمل قدرة تصل الى ٢٠٠ ميجاوات وهو معروف باسم خط سردينيا — كورسيكا — ايطاليا ٠

وشهدت السبعينيات انجازات كبيرة فى تكنولوجيا نقل الطاقة الكهربية باستخدام التيار المستمر ، وانعكس ذلك فى هيئة مشروعات ضخمة لنقل الطاقة الكهربية وزادت كميات القدرة المنقولة زيادة ملحوظة ، وقد تم فى هذه الفترة انشاء الكابل البحرى بين النرويج والدانمرك — والمعروف باسم مشروع «SKAGERRAK» ويبلغ طوله ١٣٠ كيلو مترا وقد صمم هذا الخط لنقل قدرة تصل الى ١٠٠٠ ميجاوات وقد تم تدشين المرحلة الاولى عام ١٩٧٧(٥٠٠ ميجاوات) كذلك تم انشاء مشروع نقل قدرة تصل الى ٣٠٠ ميجاوات ،وجدير بالذكر أن عمق المضيق بين هاتين الجزيرتين يصل الى ٣٠٠ متر ، وقد الطاقة الكهربية بين جزيرتى هونشو وهوكايدو ، ويبلغ طول الكابل البحرى فى هذا المشروع ٤٣ كيلو مترا لنقل بدأ هذا الخط فى العمل عام ١٩٧٩ ٠

● نقل الطاقة الكهربية بين بريطانيا وفرنسا عبر القنال الانجليزى

فى عام ١٩٨١ تم الاتفاق بين بريطانيا وفرنسا على توصيل شبكات الكهرباء فى كل من الدولتين عن طريق وصلة بحرية جديدة تعمل بقدرة تصل الى ٢٠٠٠ — ميجاوات لتحل محل الوصلة القديمة ، ويوضح شكل (١) مواقع الكابلات البحرية الجديدة وكذلك موقع الوصلة القديمة عبر القنال الانجليزى ٠ وسوف يتم توصيل الشبكتين باستخدام ٤ أزواج منفصلة من الكابلات البحرية ويبلغ طول كل كابل ٥٠ كيلو مترا وبدون الدخول فى تفاصيل فنية ، سوف نعرض هنا لبعض الملامح المميزة لهذا المشروع والتى تعتبر انجازا تكنولوجيا ، لم يسبق للعاملين فى هذا المجال التعرض له من قبل ٠

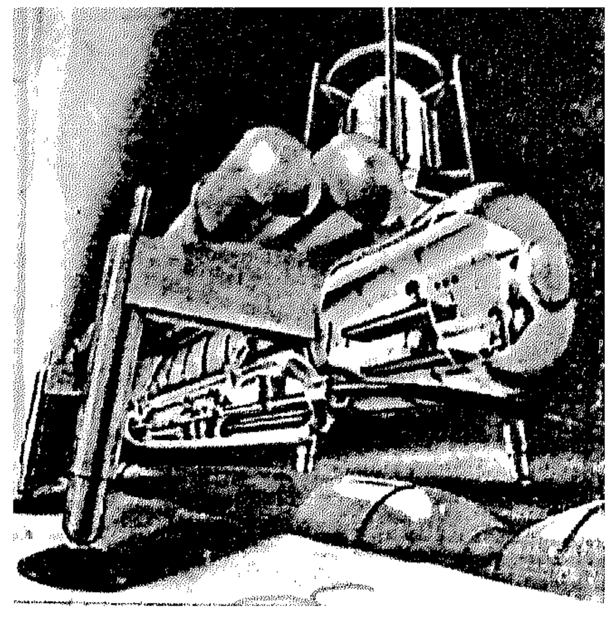
وضع الكابلات البحرية تحت الماء

أظهرت الخبرة السابقة، انمخاطيف السفن وأجهزة صيد السمك كانت سببا فى الحاق بعض الاضرار بالكابل الراقد على قاع القنال ، وبالتالى فقد تم التوصل الى ضرورة دفن الكابلات الجديدة على عمق ١ر٥ متر من قاع القنال ذات الطبيعة الطباشرية ·

وبظهور ضرورة دفن الكابلات فى القاع على هذا العمق ، ونظرا لعدم وجود سابقة مماثلة لهذه العملية فقد تقرر أن تقوم كل من مؤسسة الكهرباء الفرنسية والهيئة المركزية لتوليد الكهرباء فى بريطانيا ( ) وهما الهيئتان المسئولتان عن تنفيذ هذا المشروع، تقرر أن تقوم كل منهما منفصلة بعمل الابحاث اللازمة للتوصل الى الوسيلة الفنية المناسبة لعملية دفن الكابلات البحرية فى قاع القنال الانجليزى ، وذلك ضمانا للتوصل الى حل لهذه المشكلة التكنولوجية الفريدة·

وقد تبنى الجانب الانجليزى فكرة تنفيذ هذه العملية على مرحلتين · الاولى شق خندق فى قاع القنال والثانية وضع الكابلات داخل هذا الخندق ودفنها ·بينما تبنى الفرنسيون فكرة شق الخندق ووضع الكابلات فى نفس الوقت ·

ويبين شكل ٢ ـ عملية شق وتجهيز القاع لوضع الكابلات البحرية وقد ابتكر الجانب الانجليزى لهذا الغرض مركبة يتم التحكم فيها آليا من سفينة تحكم ، وتقوم هذه المركبة بشق الخنادق اللازمة وحفرها فى القاع الطباشيرى ، أو الصخرى ، وتعتبر هذه المركبة انجازا تكنولوجيا فريدا ، حيث أنها الى جانب قدرتها على شق القاع ، فانها مزودة بكاميرات



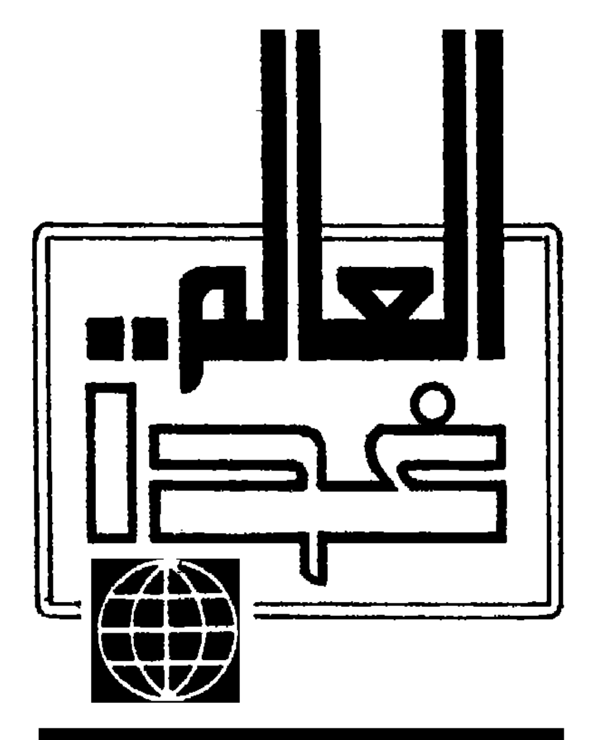
التصور المبدئى لمركبة اصلاح الكابلات

تليفزيونية وأجهزة صوتية (سونار) ويتم التحكم فيها بواسطة كومبيوتر وذلك لتوجيهها بحيث تتبع مسارا محددا أثناء الحفر ويمكن متابعة عمليات حفرها على سفينة التحكم ·

وتلى عملية الحفر ـ عملية وضع الكابلات ودفنها فى الخنادق المحفورة، وتستخدم لهذا الغرض مركبة اخرى تم تصميمها لهذا الغرض ويتم التحكم فى هذه المركبة من سفينة القاء الكابلات والتى تحمل زوجا من الكابلات كل بطول ٥٠ كيلو مترا ، ويبلغ وزن هذه هذه الكابلات ٣٤٠٠ طن ، ويبين شكل ٣ عملية وضع الكابلات ودفنها فى الخنادق الخاصة بها ·

تقنية اصلاح الكابلات تحت الماء

من الانجازات التكنولوجية لهذا المشروع ، تصميم مركبة خاصةلاصلاح الكابلات تحت الماء ، وهذه المركبة تشبه الغواصةالىحد كبير ـ ويستطيع الفنيون البقاء بها والعمل فى اصلاح الكابلات فى جو مريح ولمدة ٣ أيام متواصلة تحت الماء ويبين شكل (٤) التصور المبدئى لهذه المركبة ·



● حصاد انجازات الوخز بالابر ●

شاع استخدام الوخز بالابر كعلاج لكثير من الامراض خلال العقود الاخيرة ، ولهذا كانت هذه الطريقة العلاجية محورا لجهود بحثية مستفيضة ·

وقد أثبتت الدراسات فى مرحلة من المراحل ان النقاط الفعالة الموجودة على سطح الجسم الحى ، التى تتعرض للوخذ فى العمليات العلاجية ، تتميز عن مساحات الجلد المحيطة بها من حيث قدرتها على تمرير الكهرباء ·

وفى مرحلة بحثية تالية ظهر أن هذه القدرة تتغير على مدار اليوم والاسبوع والشهر والسنة ، وظهر أن منحنى تغيرها يتطابق بشكل كامل مع منحنى تغير شدة الموجات الكهرطيسية المنطلقة من الشمس ·

ومع الزمن تأكدت فرضيات نظرية حول ارتباط خصائص نقاط الوخز ، على نحو ما بتغير الاشعاع الكهرطيسى فى الجو ، وحول وجود مثل هذه النقاط على أجساد كثير من الثدييات ، حتى بات من المسلمات أن لها قيمة بيولوجية عامة ·

ولعل اطرف الامور تحول هذه الفرضيات النظرية الى مناهج علاجية فيما يخص الملاحين الكونيين الذين سينطلقون فى رحلات بين الكواكب !! نظرا لأنهم سيبقون خلال هذه الرحلات منعزلين عن البيئة الخارجية وتأثيرها ·

ولن يدهش أو يجهد القارىء فى البحث عن سبب عدم تحول هذه الفرضيات النظرية لمناهج علاجية واسعة الانتشار بين ظهرانينا على الارض ، اذا عرف أن ما يباع من الدواء فى السوق العالمية يناهز ٢٠٠ مليار سنويا ، وان جماعات ضغط شركات الادوية فى الولايات المتحدة الامريكية مثلا من أقوى جماعات الضغط داخل الكونجرس و ··· فما بالنا بالاوساط الطبية العالمية ·

ترى أين تقف مؤسساتنا الطبية من الانجازات العلاجية البعيدة عن الدواء وهى كثيرة وليست الابر الا نوعا واحدا منها ، هل لنا جهودنا الخاصة فى هذا الصدد ؟ أم أن التعلق بقواديس ساقية الدواء الدولارى هو الحل الاسهل ·

● التخدير عبر التلفاز ●

لم تكن المرضة البالغة من العمر ٤٠ عاما بقادرة على تحمل عقارات التخدير لفرط فى حساسيتها تجاه عدد من المواد · وتكرارا ، عند خلع عدد من أسنانها ، ساعدها أحد الاطباء النفسيين فى المستشفى الذى تعمل - على تحمل الالام مستخدما الايحاء والامر ··



مرت الايام وواجهت المرضة موقفا عصيبا فقد كان ولابد من استئصال ورم ظهر داخل جسدها . ولم تكن المشكلة فى قدرة الطبيب اياه على تخديرها هذه المرة ، ولا فى ثقتها فى هذه القدرة ، وانما فى أن الجراحة ستجرى فى مدينة اخرى تبعد الف كيلو متر حيث المعهد المتخصص فى استئصال الاورام، آنئذ اقترح الطبيب الصديق أن يقوم بتخديرها على البعد عبر شاشة التلفاز ، وفق طريقة محصها خلال ممارسة طبية دامت اكثر من عشرين سنة .

بعد أن وافق متخصص معهد الاورام رقدت المريضة على طاولة العمليات والموقف حولها يبدو غير طبيعى بالمرة .. المريضة ترقد وعيناها تبحلقان فى شاشة التلفاز ، وعلى اذنيها سماعتان ينساب صوت طبيب التخدير منهما على نحو صارم :

ـ انتبهى. انتبهى انظرى الى عينى .. واحد اليد اليسرى شلت .. اثنان اليد اليمنى .. ثلاثة القدمان .. اربعة .. هكذا حتى فقدت الاحساس بجسدها تماما ، وراح مبضع الجراح يشق طريقه الى الورم والمريضة ترقد هادئة مطمئنة طوال ١٥ دقيقة حتى تم استئصال الورم بعدها ظهر القلق على وجه الجراح ، الذى حول الورم للتحليل السريع ، وطبيب التخدير على بعد ١٠٠٠ كيلو متر يؤكد له عبر السماعات انه يضمن له أن يستمر التخدير اى وقت يريد، مهما كان طوله.

ثم ينتقل الى المريضة عبر الشاشة يسالها عن حالها : حالى جيد ولا احس بادنى الم يا عزيزى » ..

الطريف أن التلفاز انتهز فرصة التجهيز الخاص لحجرة العمليات بحيث يسهل الاتصال بين طبيب التخدير والمريضة على البعد واذاع الجراحة على الناس مباشرة ..

ويؤكد الطبيب الذى قام بالتخدير أن وقتا طويلا لن يمر حتى تستخدم « القنوات التليفزيونية العلاجية » فى علاج كثير من الامراض (مثل اللجلجة وسلس البول الليلى و ..) على البعد ..

وقد تم تمحيص التدخل النفسى بهذه الطريقة من خلال ٢٥٠٠ تجربة علنية تمت فيما يشبه الجلسات الجمعية للعلاج النفسى ، وهى تتم بدون الحركات المألوفة فى جلسات التنويم المغناطيسى.

• طائرة تعمل بالهيدروجين •

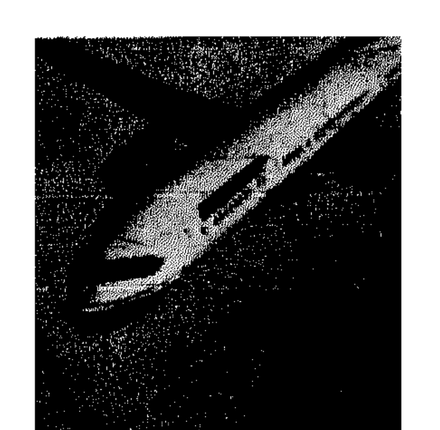
اختبرت بنجاح فى الاتحاد السوفييتى الطائرة « تو ـ ١٥٥ » وهى أول طائرة تستخدم الهيدروجين كوقود فى عالمنا. والمعروف أن الهيدروجين هو العنصر الاكثر انتشارا فى الكون ، ومن الممكن الحصول عليه عند توفر الماء والطاقة

فى أى بقعة من عالمنا ، وان نتـــائج احتراقه هى بخار الماء وقليل من غاز الاوزون ، مما لا يشكل ادنى ضرر على البيئة ..

وقد تم تجهيز الطائرة بحيث تحمل مستودعا من الهيدروجين الســـائل فى درجة ٢٥٣درجة مئوية تحت الصفر كما زودت بما يقرب من ثلاثين منظومة تؤمن عمل المحركات ، وتساعد عـلى تحاشى حدوث حرائق او انفجارات ، كما انشئت مجموعة ارضية لتزويـــد الطائرات الجديدة بالوقود ووحـــدات اخرى لخدمتها ..

ويمكن عمل محركات الطائرة الجديدة [illegible]

[illegible] الطـــائرة الجديدة واجتيازها مختلف انواع الاختبـارات بدأ تصميم وصنع طرازات منها يمـكن استخدامها على خطوط نقل الركاب ..



العالم غدا

التوازن النفسى للطفل

لم يعد خافيا أن التقدم العـــلمى والتقنى العاصف بات يمارس تاثيرات سلبية على الاطفال • فقد صار هؤلاء يتلقون جرعات اعلامية هائلة (عـن طريق التلفـاز والفيـــديو والسينما أساسا) بحيث صــار نموهم النفسى يسبق كثيرا نموهم الطبيعى ..

وبوسع المرء اصطحاب طفله اليـوم الى عمل فنى مخصص للكبار ، ولـن يكون فيه ما يدهش الصغير من حيـث المبدأ لانه بات يعرف شيئا عن جميـع القضايا .. لكن المؤكد أن الطفل يقوم ما يجرى امامه تقويما غير صحيح ، ذلك أن تطوره الاخلاقى لا يلاحق سيل انصاف المعارف المتـــدفق حوله •

لقد ظل الانسان طويلا يعالج «مشكلة عامل التشغيل» أو الضغوط النفسـية [illegible]

واذا اضفنا مثل هـذه الامور الى فيض اعباء البرامج التعليمية لما صار غـريبا أن يتعرض للخلخلة التـــوازن النفسى للطفل وهو مازال بسبيله الى النضج .. ومن هنا ظواهر مثل صغر عمر الاصابة بالامراض .. فقد صار بيننا أطفال يعانون من ارتفاع ضغـــط الدم والسكر والسرطان .. ناهيك عن بذور ظواهر خطيرة تتوزع على دائـرة واسعة ، من التواكل الى معاملة الطبيعة والبيئة على نحو فظ •



اللحظة التى تبدأ العين عندها فى تمييز بداية كل شريط ، وتترجم نتائج مشاهدة المـــــريض فى مخطط واحد يجـرى انكساراته فى تعيين هــذا الخلل او بموجبه تقدير البصر .

وجدير بالذكر ان هذه المخططـــات أو المنحنيـات يمـــكن أن تسـاعد فى تشخيص عدد من الامراض فى اطوارها الباكرة مما يساعد على علاجهـــــا

● الابصار ليس ٦ / ٦ ●

عقود طويلة من السنين مرت وقـد درج الانســـان على تقويم نظـــرة اعتمـــــادا على الحـــــدة التى يجرى قياسها من تحديد اتجاه فتحات الحلقات المختلفة الاحجام ، على اللوحة المشهورة ..

لكن التطور بات يؤكد أن حــــالة البصر لا تستقيم بالحدة وحدها فبصر الجالس امام شاشة من شاشات العرض [illegible] والكمبيوتر [illegible]) [illegible] فرز الكونات الاســـاسية بدقـــة ، ومن هنا اجتهاد المتخصصين اليوم فى التوصل الى اختبارات جديدة لتقـويم القدرة على الابصار ..

وبين الاختبارات الجديدة اختبـــار صممه طبيبان لينينجراديان يتـلخص فى مراقبة المريض من وراء فتحةعرض لـ ٨ جداول وهى عبارة عن اشرطـة متنوعة العرض واللون تتابع حركتهـا البطيئة على التـوالى من اعـلى الى أسفل - وتكون مهمة المريض تحـــديد

● وسائل جديدة لمنع الحمل ●

انطلاقا من عدم فعالية وسائل منع الحمل الموجـــودة ـ على كثرتها لتعارض بعضها مع كثير من الاذواق ، ولعدم راحة بعضها الاخر فى التنــاول والاستعمال و .. تبذل جهود مستمرة للتوصل الى وسائل جديدة أيسر ، مثل حقن ولزقات الهرمونات ..

وتسعى منظمة الصحة العالمية الى [illegible] أساليب التكنولوجيا الحيوية أولهمـــا [illegible])

ونظرا لان هذا اللقاح هو فى التحليل الاخير وسيلة للاجهاض المبـكر وليس لمنع الحمل ، مما يجعل اســـتخدامه منافيا لتقـاليد كثير من المجمـــوعات البشرية ، يجرى اعداد اللقاح الثـانى من بروتين يؤثر على جدار البويضـة فيمنع افراز المادة التى يتعرف الحيوان المنوى من خـــلالها على هـــدفه ، وبالتالى لا يحــدث اللقـــاء ولا يتم الاخصاب بالمرة .

قصة قصيرة
من المكسيك

ماتيوسالين قرية بلا زمن

تأليف: جيرارد وماريا
ترجمة: شوقي فهيم

جيراردو ماريا كاتب قصة قصيرة . ولد في المكسيك عام ١٩٥٦ ظهر اول كتاب له عام ١٩٧٤ وكان عمره ثمانية عشر عاما . يعتبر جيراردو ماريا ان اهتماماته الاساسية هي علم الاجتماع، والاقتصاد ، والعلوم السياسية.

— « قلت اين كانت توجد ؟ »

— « هناك فوق ، خلف الجبال . انها تغطي كل الوادي تقريبا

— « وماذا حدث لهذه القرية ؟ لابد انه كان شيئا غريبا للغاية » .

— « هناك اساطير كثيرة وحكايات شعبية قديمة ولكن اميل الى تصديق ما رواه لي جدي منذ عشرات السنين لانه كان مسئولا عن برج الجرس » .

— « استمر ياميليتون، ماذا قال جدك ؟

— لم اعد اتذكر كل شيء بالتفصيل ، لكني ساحاول : كانت ماتيوسالين قرية مزدهرة بكل المقاييس . لقد اسسها الكهنة الفرنسيسكان ، لكن اول رئيس للمجلس البلدي يدعى لنفسه انه وضع

حجر الاساس • كان رجلا قصيرا بدينا ذا شارب اكبر من رأسه وقدميه معا • وطبقا للشائعات السائدة كان هذا الرجل دائم الشجار مع كاهن الكنيسة الصغير ، ولكن احدا في الحقيقة لم يعرف سبب هذا الشجار • الا ان ثمة شيئا واحدا مؤكدا وهو ان كليهما كل من جانبه ، كان يرغب في البقاء بالقرية

« كانت توجد حول القرية عدة مزارع ومباني تحيط بها ، وهذه دخلت في زمام القرية عندما ازدهرت • كانت مكانا بالغ الغنى والثراء ، حيث الشوارع مرصوفة والمجاري تعمل في كل مكان • وفي الليل كانت مصابيح الغاز تبدد الظلام ، وعشرات من الحراس كانوا يدورون في الطرق ويصحبون المتنزهين • كانت هذه القرية اول مكان تصنع فيه السيارات والشاحنات جاءت الثورة من المناجم التي كان كهنة الكنيسة يديرونها، وبهذه الاموال جذبوا حكماء هذه الفترة من اجل استخدام حكمتهم لخدمة الوادي • هنا عاش اينشتين، وماركس، وجوتنبرج ، ولافوازيه ، وداروين ، وكثيرون غيرهم • وعاليا ، في اعلى مكان بالوادي ، كان ثمة مبنى كبير جميل عاش فيه كل هؤلاء وعملوا ، مشاركين من خلال اكتشافاتهم في تقدم القرية وازدهارها •

« كان الكاهن يرتدي دائما رداء ابيض ويعظ الناس • علم الجموع واطعمهم ، بطريقة معجزة ، بعدد قليل من الارغفة • قالوا ايضا انه حاول ان يحول الماء في الانهار الى نبيذ ،مؤسسا بذلك اول شركة لصناعة النبيذ في المنطقة •كان ينام عادة في بيوت اصدقائه ، وكان شغفه الرئيسي ان يجلس وسط حديقة خلف الكنيسة كان الاهالي الاصليون في المنطقة يسمونها حقل الزيتون • كان الكاهن، الذي لم يعرف اسمه احد ، هو الذي قام بمعظم العمل بالاشتراك مع رجل اسمه بطرس ، الذي هو جدي •

« عاش بطرس في اعلى مكان على التل جهة الشمال ، وهناك بنى برجا عاليا جدا اذ اراد ان يصل الى السماء ولما لم يفلح في هذا،جعل من البرج مكانا للجرس يخبر به عن الوقت • ساعة بعد ساعة كان بطرس يصعد الى قمة البرج ليدق الجرس ، ولما كان احد لا يحب استعمال الساعات ،فقد اعتمد الجميع على دقات الجرس لمعرفة الوقت • وزيادة على ذلك فان المخمور ، وسنابل القمح ، والحقول التي شقتها المحاريث لم تعد تحسب الوقت واسلمت قيادها الى صوت الجرس وجد بطرس بالحساب ، ان الصعود الى الجبل والنزول منه يستغرق ساعة ، ولذلك ، فما فعله هو انه كان ينزل من الجبل ، ثم يستدير ويصعد اليه ويدق الجرس ولما اراد ان يكون نافعا ومفيدا اثناء رحلة الصعود والهبوط كان يفكر في مشاكل العمل ويعطي الحلول للكاهن الصغير ذي الرداء الابيض • وهؤلاء الذين عرفوه لم يتخيلوا انه مشغول بهذه المسائل اكثر من عملية الصعود والهبوط من الجبل » •

« وكيف حدث انهم خسروا كل شيء ؟

« انتظر لحظة ، سوف اصل الى هذه النقطة » •

« لبعض الوقت سارت الامور على ما يرام ، وبافكار الرجال الحكماء، ومغامرات الكاهن في العمل ، والحلول التي يقدمها بطرس ، كانت القرية تزدهر وتزدهر • جاء الخبراء الاقتصاديون من كل مكان لزيارتها ، ولم يستطيعوا تفسيرا لهذا التقدم ولا لهذا الثراء •

ماتيوسالين قرية بلا زمن

قصة قصيرة من المكسيك

كان المستوى الثقافي للناس مرتفعا حتى ان صناع الاحذية هجروا ادوات مهنتهم وفتحوا مدرسة يتعلم فيها من تخرجوا في كل التخصصات ، حتى الادباء جاءوا ليتعلموا منهم · ولم يعرف احد بالضبط سبب هذا التقدم السريع ، اذ ان الكهنة لم يصلوا الا منذ عشرين عاما ليعلموا الانجيل لهنود امريكا · حتى ان كورتس نفسه خلع قبعته وجعل جنوده يمرون من الجانب الاخر دون ان يمس هذا المكان المقدس كما اعتقد

« لكن ، شأن كل المشاريع العظيمة التي تنتهي ، كان على قرية ماتيوسالين ان تختفي · وقد حدث هذا بسبب سرها الخاص ، الذي تمثل - حسب رواية جدي - فيما يلي :

« ذات يوم ، قبل ان تصبح القرية مزدهرة ، صعد الكاهن ليتام في برج الجرس · وفي الطريق قابل بطرس ودعاه الاخير لتناول الغذاء وليمضي الليل معه · كانت الشمس في طريقها للمغيب واسرعوا قليلا في طريقهم الصاعد حتى لا يدركهم الليل بظلامه · وحين وصلا الى برج الجرس ، دار الحديث بينهما لساعات وساعات ، ونسي بطرس ان يدق الجرس · وحين ادرك ذلك وخرج لينظر الى الليل ، وجد ان الزمن متوقف ولم يمر اي وقت · كانت الشمس والسحب ، والنجوم الاولى ، كل شيء كما هو · كان الناس في الوادي لا يزالون يعملون كما لو ان شيئا لم يحدث نقل هذه الاخبار الى الكاهن الذي اكدها : لقد وقف الزمن ساكنا · قررا ان ينتظرا دون دق الناقوس ، ورأيا ان الزمن لم يتحرك · فقط بعد ان حرك بطرس الحبال وارسل الجرس دقاته واضحة وجاء الصدى كانه يرد عليها ، فقط بعد هذا هبط الليل · ادهشت المفاجأة والاعجاب كليهما ولكنهما لم يلفظا حرفا واحدا ·

« في اليوم التالي صعد الكاهن مرة اخرى واجريا التجربة من جديد : وكانت النتيجة واحدة ، ثم جربا فكرة الاسراع بدق الجرس فجاء الفجر ، ثم قرعا الجرس اثنتى عشرة مرة ، وجاء الليل دون ان يظهر على الناس انهم تأثروا بذلك ، وبعد ذلك جعلا الوقت فجرا وغسقا ، ثم اصبح عصرا ثم صباحا ، حتى تأكدا من قوة الجرس في مملكة الزمن · واخبرني جدي فيما بعد ان التحكم في الزمن كان ممكنا في الوادي فقط ، لان الجبال كانت تحجز الصوت فلم يكن يصل لمسافة ابعد ·

« ولعدة شهور كانا يحاولان توظيف الجرس وقوته ، وذات يوم اكتشفا ان محاصيل السنة يمكن الحصول عليها في دقائق قليلة · عندئذ فكرا في عمل كبير · كانت المشكلة الوحيدة ان الناس ادركتهم الشيخوخة بسرعة رهيبة ، كما حدث لهما شخصيا ، ولهذا السبب قاما بعمل تجهيزات تجعل الجرس يدق وحده بسرعة اكبر ، وتركا القرية حتى لا يسمعاه · وبهذا امكنهما تجنب الشيخوخة المبكرة ، وسارت الامور كما يريدان وحصلا على مكاسب كبيرة في بضعة ايام ·

« لم يدرك السائحون ابدا ان اهل القرية

كانوا مختلفين كل شهر عن الاخر لانهم كانوا يتغيرون ويموتون بسرعة فائقة طبقا لسرعة الزمن واذ اخذوا بالتقدم الذى حدث للقرية ، يتوقفون لينظروا فى وجوه الناس وكان رئيس المجلس البلدى ، ظاهريا ، يعى السر واراد ان يشارك فى جنى ثمار العمل ، واذ اعترض الاخران على هذا ، اختار هو شراء مشاريع مختلفة وترك القرية فى الزمن الذى تتحكم فيه دقات الجرس: وبهذا امكنه هو ايضا ان يصبح غنيا ٠

ـ « وكيف حدث انك انت واسرتك لم تهلكوا مع القرية » ؟

ـ «لان بطرس ،جدى، طلب من والدى ان يرحل، وقال انه سيرسل لنا نقودا كل حين ٠

« بين وقت واخر كنا نتلقى اخبار الانجازات والتقدم فى ماتيوسالين وما كنا نفعل سوى ان نغمض عيوننا ولا نفتح افواهنا حتى لا نكشف سر جدى ٠ كانت السنوات الحقيقية فى باقى العالم تمر وتتوالى، وبلغ بطرس سن الشيخوخة ومات ٠ ترك لنا ثروته الهائلة، ولكننا لم نستطع جمعها ابدا، لانه عندما مات ، ماتت القرية ايضا ٠ يقول الكثيرون انه عند لحظة وفاته طار كل شئ فى الهواء مع انفجار هائل فى قلبه الملئ بالندم وتانيب الضمير ، ويقول اخرون انه حدثت مذبحة بين اولئك الذين كانوا فى جانب الكاهن وبين الذين وقفوا فى صف رئيس المجلس البلدى ، فيما يقول البعض الاخر ان ثقل التقدم جعلهم يغوصون فى باطن الارض، والاخرون يقولون ٠٠ ويقولون ٠٠ لكن شيئا ليس مؤكدا ٠

« الحقيقة انه عند موت بطرس كان الزمن يبدئ من سرعته بالتدريج رغم جهود الكاهن لجعل الناقوس يعمل مرة اخرى ٠ وشيئا فشيئا احس كل واحد ان الحياة بطيئة جدا وان المحاصيل تنمو ببطء ، ببطء شديد والسيارات التى وجدت بشكل هائل الثناء الازدهار والتى حققت سرعات هائلة اثناء تراجيديا الزمن ، حتى ان مؤشر السرعة كان يصل الى ٢٠٠٠ كيلو متر فى الساعة ، وهذه السيارات اصبحت بطيئة بطيئة جدا ٠ وعندما حدث بالصدفة ان سقطت بعض الاشياء على الارض ، سقطت مثل كل شئ ، ببطء شديد شديد وبدا ان قلوب الناس لا تدق، لكنها كانت تدق ،وانما ببطء شديد شديد ٠ وهكذا بدأ سكان القرية يموتون ، حتى جاء اليوم الاخير،وقد توقف الزمن تماما ، فاختفت كل الاشياء : الوادى ، والكنيسة ، وبرج الناقوس ، والرجال الحكماء ، والسيارات، والكاهن الصغير بردائه الابيض ، اختفى كل شئ

ـ « يالها من قصة مضحكة حقا » ٠

ـ « نعم ، واغرب شئ هو ما حدث لهؤلاء الرجال بعد ذلك الم تشعر ابدا بقشعريرة مفاجئة ، دون اى سبب؟ او هل فكرت ان شخصا ما يحملق فيك فى اى ملعب خاو من الناس٠؟ او لم تفكر ابدا ان شخصا ما يسير الى جوارك فى الشارع حيث لا يوجد احد بالمرة ؟

هؤلاء هم سكان ماتيوسالين ، القرية التى عاشت بلا زمن ، يهيمون على وجوههم هنا وهناك فى هذا العالم بحثا عن الزمن الذى لم يمتلكوه ابدا فى واديهم » ٠

دراسة الهلال

نحو خريطة جديدة لمصر

بقلم: د. يوسف أبو الحجاج

لعله من المفيد ان نتفق على المقصود بعبارة « خريطة جديدة » . الذى نعنيه بكل بساطة هو الصورة العمرانية المنتظرة للقطر المصرى التى تتألف جزئياتها من مجابهة المشكلات الاساسية التى تعرقل عجلة التقدم الحضارى وتحول دونها ودون الانطلاق .

لن نتحدث هنا عن خريطة تزخر بالصناعات الثقيلة ، والفيافى الفسيحة المستصلحة واحدث نظم التعليم واعظم الجامعات ، وافخم المستشفيات ، وارقى طرق المواصلات وما الى ذلك من اضواء وردية نتمناها وتهفو اليها نفوسنا ، وان كان الأحجى ان نرجئها الى حين .

انما هى خريطة مصر التى انجزت علاج امراضها الاساسية القاعدية ، التعليمية منها ، والاقتصادية والسلوكية على حد سواء .

خريطة استقام فيها امر « الجذور » و« البذور » ، واختفت منها « امهات » المشكلات المعوّقة ، واصبحت بذلك مُعدَّة للانطلاق العظيم .

ودون مزيد من المقدمات ـ وما اكثر ماتعانى من طول المقدمات ! ـ تعال بنا ايها القارىء الكريم نستعرض سويا مايمكن عمله فى هذا المضمار .

● يوسف ابو الحجاج حصل على جائزة الدولة التقديرية في العلوم الاجتماعية لعام ١٩٨٧ وهو أمين عام الجمعية الجغرافية المصرية وعضو المجمع العلمى المصرى وخبير بمجمع اللغة العربية .

من نافلة القول ان نقرر ان الهدف من أية رؤية مستقبلية اصلاحية انما هو محاولة رسم الطريق الى التقدم الحضارى بمعناه الشامل ، املا فى اللحاق بالركب المتحضر فى عالمنا الراهن ، ايا كان موقع هذا الركب على خريطة العالم : فى اوربا او فى امريكا او فى الشرق الاقصى على وجه التحديد .

وقد اتيح لفئة منا نحن ابناء مصر معايشة هذه البيئات المتحضرة فى عقر دارها ، والوقوف بذلك على مدى اتساع الهوة بين اوضاعها واوضاعنا وبالتالى تكوين فكرة واقعية عن صورة الخريطة الجديدة المنشودة .

والمشكلة ان هذه الفئة لاتؤلف الا نسبة ضئيلة من مجموع المواطنين وتبقى الاغلبية الساحقة التى لم تتح لها مثل هذه المعايشة المباشرة ، وقد يتسنى لطائفة منها تصور مقبول عن شكل التقدم المستهدف مما يستخلص من القراءة او السماع او مشاهدة الوسائل البصرية الحديثة ، ولكن النسبة الكبرى من شرائح المجتمع هى فيما نعتقد ممن لم تسعدهم الظروف حتى بمثل هذا التصور من بعد .

ولهذه الاغلبية ينبغى ان تتجه الانظار .

ماذا لو وضعت خطة لايفاد قادة العاملين من افراد هذه الاغلبية فى بعثات قصيرة لهذه الدولة او تلك من دول العالم المتقدمة ، بهدف التعرف المباشر ، بقدر الامكان على مظاهر الحضارة الحديثة ، مادية وغير مادية ، وعلى سلوكيات الناس ، عاملين وغير عاملين ، الشباب منهم والشيوخ ، الرجال منهم والنساء ؟

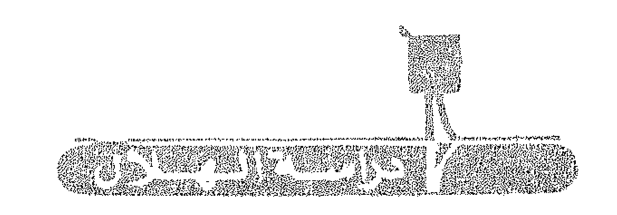
قد تكون هذه البعثات لمدة شهر او نصف شهر ، وفقا للتخطيط المرسوم وقد يوفد بعضها لاوربا او امريكا وقد يوفد بعضها الاخر لليابان او الصين ، بل قد يوفد فريق منها الى بلاد مثل كوريا الجنوبية التى نجحت فى القفز باقتصادها الى اعلى عليين والتى اصبحت تنافس اليابان اليوم فى بعض المجالات ، وارتفعت قيمة صادراتها الى بلايين الدولارات .

كيف يعمل الناس هناك وكيف يتعاملون ؟ بأية صفات خلقية وسلوكية يتصفون ؟ ما مدى التزامهم بالصدق فى القول والجدية فى العمل ، والامانة فى التعامل ؟ مامدى حرصهم على النظام ورعاية المرافق العامة ؟ وكيف يسلكون فى اماكن عملهم من مصانع ومدارس ومستشفيات ودواوين حكومة وغيرها ؟ وماهى وسائلهم ، التكنولوجية وغير التكنولوجية ، فى اداء مايقومون به من اعمال ؟

كل ذلك وكثير غيره من شأنه ان يصبح جزءا لايتجزأ من التصور بل والتكوين الفكرى للمبتعثين ، مما سينعكس بكل تأكيد فى حياتهم الوظيفية وغير الوظيفية حين يعودون للوطن ، ويجعل منهم – ومن مرؤوسيهم ومخالطيهم الى حد كبير – عناصر ايجابية فى رسم خريطة مصر الجديدة .

سوف يكون لقوافل التنوير هذه فعل السحر فى النفوس فيما نرى ، وقد صدق من قال ان الخبر ليس كالعيان .

ومن الطبيعى أن يحتاج تنفيذ مثل هذا المشروع الى قدر كبير من التنظيم الدقيق ، قد يحتاج مثلا الى هيئة قومية



خاصة تحدد الاولويات لمن يبتعثون (المديرون اولا ثم رؤساء الاقسام على سبيل المثال) وتتصل بسفاراتنا فى الخارج للاسهام فى عمل الترتيبات اللازمة لافواج الموفدين ، وتتولى تنسيق المواعيد ، ووضع برامج التوجيه والارشاد ، الى غير ذلك من جوانب التخطيط والتنفيذ .

ومن الطبيعى ان يحتاج هذا المشروع الى تمويل سخىّ ، ولكن الفائدة المرجوة لاتقدر بمال ، وتمويل مثل هذا المشروع انما هو فى الحقيقة استثمار تنويرى ناجح بكل المقاييس . ثم إنه من المتوقع بل والمرجح ان الكثير من الدول المتقدمة سوف تسهم فى نفقات اقامة هذه البعوث [illegible] هذا المقال وزميل له زيارة مدتها اسبوعان لمؤسسات علمية معينة فى احدى الدول الاوربية المتقدمة ، وهى زيارة نظمتها وموّلتها هيئة من تلك الهيئات .

وحتى لايتردد احد فى تقبل « مصداقية » هذا المشروع نود ان نلفت الانتباه الى ان اليابان فى بدء نهضتها الحديثة فى القرن الماضى قد بعثت بالكثيرين من ابنائها فى زيارات قصيرة إلى الدول المتقدمة فى ذلك الوقت ، ومنهم من جاء الى مصر ، بهدف التعرف على مقومات نهضتها حينذاك .

● الثواب والعقاب

امر آخر سيكون له فيما نعتقد أبعد الأثر فى تصميم خريطتنا الجديدة ، هو تطبيق مبدأ الثواب والعقاب فى كل مجال .

لامندوحة من اثابة المجدّ الملتزم ، طالبا كان او من العاملين ، وفى اى موقع كان وثمة الوان عديدة من الاثابة والحوافز ، المادية منها والادبية ، لاشك فى قيمتها فى التشجيع واستنهاض الهمم والحث على الانجاز طالما وضعت لها القواعد المضبوطة التى يراعى التدقيق فى تطبيقها والتى تكون حقا للمستحقين . ولامندوحة ايضا من عقاب المخطىء والمتسيب ، وكل من يضنّ بالعطاء اذ يستطيع العطاء . وهنا ايضا سنجد العديد من الوان العقاب ودرجاته ، ومما ينبغى ان [illegible] ويتلاشى الانضباط ، وتتعطل المسيرة .

● الامية .. معوّق وسُبّة

لعل الامية هى اخطر المعوقات فى سبيل التقدم الذى نصبو اليه ، خاصة ان نسبتها لاتزال اكثر من ٥٠٪ فى جميع التقديرات

وغنى عن البيان ان تفشى الامية فى

المجتمع هو قرين التخلف وهو العدو اللدود للتنمية الصحيحة في كل مجالاتها .

ومن الصحيح ان انتشار التليفزيون – ومن قبله الراديو – قد اسهم في نقل المعرفة للأميين دون حاجة الى الكتاب ، ولكن هذه الاجهزة لاتنقل الا النزراليسير ، والمعارف التي تنقلها مفروضة على المشاهد والسامع فرضا تسلبه حق الاختيار كما تسلبه إمكانية المراجعة ، فضلا عن انها لاتتوفر بالضرورة لجميع المواطنين

لامناص اذن من محو الامية محوا تاما وفي اقرب وقت ممكن ، فالامي يعيش في ظلام دامس من الجهالة ، ويظل طيلة حياته عاجزا عن فهم العديد من الامور التي تمس التنمية المنشودة في الصميم ، والتفصيلات هنا كثيرة كثيرة ، وما اظن ان القارىء بحاجة الى سردها او حتى ضرب امثلة عليها : لا خلاف فيما نعتقد على ان الامي عضو ناقص في المجتمع ، بل هو معوّق لركب التقدم في الامد القصير والامد الطويل على السواء .. ومن العبث [illegible] عن اي ابداع .

والامية فوق ذلك سُبّة ووصمة ، ويكفي ان نعلم ان متوسط الامية في العالم قد قدر في عام ١٩٨٥ بنحو ٢٨٪ بينما النسبة في مصر لاتزال كما اسلفنا اكثر من ٥٠٪ بل ان العدد المطلق للاميين قد زاد عن ذي قبل ، وهو في ازدياد مستمر في ضوء تزايد السكان

ومن الطبيعي ان بناءنا الحضاري كله سيبقى دائما معرضا للانهيار او التصدع في اقل القليل – طالما ظلت الامية تنشب اظفارها على هذا النحو الرهيب ، ومحو الامية هو في الواقع اساس حتمي لابد من ارسائه قبل ان نطمع في ارتفاع البناء . ذلك مافعلته كل دول العالم المتقدم ، وهو ايضا مافعلته الدول الاخيرة في التقدم بخطى سريعة من امثال الصين الشعبية – بلد الالف مليون – وكوبا ، اللتين قضيتا على الامية – او كادتا – في بضع سنين

وطريق العلاج الذي لاطريق غيره هو ان نقتنع اولا بان محو الامية ينبغي ان تكون له اولوية خاصة في خريطة التعليم باعتباره « جذور » الشجرة ، واساس البنيان ، ويأتي بعد ذلك شن حملة قومية تجند فيها كل الامكانات المتاحة : امكانات الحكومة وامكانات المواطنين على حد سواء .

ليس من الضروري ان تقتصر فصول محو الامية على المدارس وحدها ، بل [illegible]

وليس من الضروري كذلك ان تقتصر مهمة التدريس على المؤهلين لهذه المهنة التأهيل التربوي المثالي ، فالباب مفتوح امام كل قادر على تعليم القراءة والكتابة ومبادىء الحساب ، سواء كان طالبا ، او اماما في مسجد ، او موظفا يحمل مؤهلا متوسطا او عاليا ، او غير هؤلاء وهؤلاء من القادرين المتحمسين .

ومن الخير ان تكون هذه الحملة

القومية مصحوبة بالاعلام على اوسع نطاق ممكن فى التليفزيون والاذاعة وفى الصحف ، وفى المساجد والكنائس وفى اماكن العمل وفى دور السينما والمسارح وذلك فى اسلوب حماسى شائق يتناسب مع مواجهة هذه الكارثة القومية الخطيرة .

على ان تركيزنا على مكافحة الامية لايعنى بطبيعة الحال التلكؤ فى تنفيذ مختلف جوانب التطوير الاخرى فى التعليم .. ومن حسن الحظ ان هذه الجوانب تشهد اليوم مشروعا ثوريا للتطوير يقوم على استراتيجية محددة واضحة المعالم .. وترتكز هذه الاستراتيجية على عدة محاور منها التوسع فى التعليم الفنى ورفع مستواه ، وحسن اعداد المعلم وتأهيله ، وتوفير التمويل اللازم للتعليم فى كل مراحله ، وزيادة فعالية الادارة التعليمية فى المدارس والجامعات . وتمتد هذه الاستراتيجية الى الارتفاع بالمستوى الكيفى للتعليم العام ، وبمستوى الثانوية بوجه خاص ، كما تمتد الى تطوير نظم التعليم العالى وانماطه واساليبه ، والى زيادة فعالية الدراسات العليا والبحوث ، ومن شأن كل ذلك ان ينعكس حتما على رسم خريطة التعليم الجديدة التى يؤمل تحقيقها فى مستقبل غير بعيد .

والهدف الذى نرمى اليه من التركيز على مشكلة محو الامية انما هو الحث على ان يكون علاج هذه المشكلة فى موضع القمة بين اولويات التطوير فى قطاع التعليم . مرحبا بادخال الكمبيوتر فى مدارسنا الثانوية ، وبالتعليم من بعد عن طريق المراسلة او الجامعة المفتوحة وبالتعليم المستمر ، وبتعليم تكنولوجيات الاجهزة الطبية وبغير ذلك من جوانب التطوير العديدة اللازمة فى عصرنا الحديث .. كل ما نامله هو ان يكون محو الأمية فى بؤرة الاهتمام ، حتى يقوم البناء على اساس سليم .

● ضرورة حضارية

« اساسية » اخرى ينبغى ان تحتل مكانا علياً فى سلم الاولويات هى العناية باللغات الاجنبية فانه غنى عن البيان ان منابع الحضارة المعاصرة تتركز فى اوربا وأمريكا فى المقام الاول ، والالمام بلغة او لغتين رئيسيتين فى هذين العالمين الكبيرين هو اذن ضرورة حضارية بلا جدال .

وقد أتى علينا حين من الدهر كنا نقدر فيه تعليم اللغات الاجنبية حق قدرة ، وكان المنهج فى المرحلة الابتدائية منهجا ممتازا حقا ، ودون ان يكون لذلك ادنى تأثير على مستوى اللغة العربية . وفى التعليم الثانوى كان تعليم اللغات الاجنبية يسند الى مدرسين انجليز وفرنسيين الى ان تم ترحيلهم الى بلادهم قبل الثورة .

ومن اسف ان الصورة اصبحت اليوم غيرها بالامس ، فلم تعد اللغة الاجنبية من مقررات المرحلة الابتدائية بحجة الحفاظ على مستوى اللغة الوطنية ، وتضاءل الاهتمام باللغات الاجنبية فيما بعد المرحلة الابتدائية من مراحل التعليم العام

بحيث لم يعد تحصيل التلاميذ منها يزيد على القشور . بل ان هذا الضعف فى اللغة الاجنبية قد امتد الى الجامعة ، حتى بالنسبة لكليات الاداب التى تدنى مستوى خريجيها بحيث لايستطيع الواحد منهم ان يفهم جملة واحدة فى كتاب اجنبى ، مع استثناء خريجى اقسام اللغات بطبيعة الحال .

وسوف يفسر التاريخ يوما كيف حدث هذا الجفاء بين مناهج التعليم واللغات الاجنبية فى مصر ، فى دفعات متلاحقة كأنها سلسلة غليظة متعددة الحلقات صنعت صنعا ، كأنما اريد بها ان تكون قيدا على العقل المصرى ، يحول بينه وبين اسباب الحضارة الحديثة .

ولن يغفل التاريخ تسجيل حصيلة هذه المأساة ، الا وهى التقوقع العلمى والتكنولوجى الذى اخذ ينتشر فى مجتمعنا انتشارا النار فى الهشيم ، وما اكثر مايفوتنا اليوم من ثمرات المطابع الاوربية والامريكية من كتب وابحاث ودوريات علمية فى كل فروع المعرفة ، وما اكثر مايفوتنا من افلام تعليمية وثقافية ، وميكروفيلمات ، وميكروفيشات ، وبرامج كمبيوترية ، وغير هذه وتلك مما يشكل تلك الثورة الجديدة فى عالم المعرفة ، ثورة المعلومات .

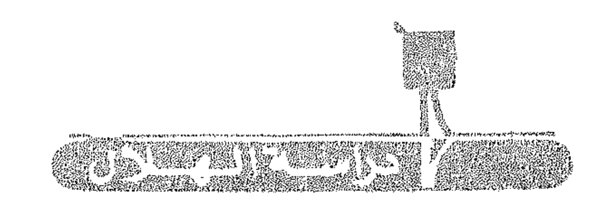
ولعله من الواجب هنا ان نذكر بالعرفان فضل من ترجموا بعض المراجع العلمية ، وفضل امثال الدكتور مصطفى محمود فى تعريب الافلام التعليمية التى يذاع بعضها فى صورة برامج تليفزيونية وفضل غيرهم ممن تنبهوا الى نقل اقباس اخرى من الحضارة المعاصرة الى لغتنا العربية ومع ذلك فهذه قطرات فى بحار لاتسمن ولاتغنى من جوع ، ويبقى اننا بسبب هذا الضعف فى اللغات الاجنبية ، لانزال فريسة لهذه الغربة الحضارية الفتاكة ، الا يعجز الكثيرون منا حتى عن فهم النشرات الارشادية المصاحبة للادوية والاجهزة والالات وغيرها من الواردات الاجنبية ؟

والمخرج فيما نرى هو العودة للتركيز على التحصيل الرشيد للغات الاجنبية ، ابتداء من مرحلة التعليم الاساسى ، ولعل فى الاقبال على مدارس اللغات فى الوقت الحاضر دليلا على ادراك اولياء الامور لاهمية اللغات الاجنبية ، ولعلنا فى الوقت نفسه ننزع من تصورنا فكرة ان اللغة الاجنبية تضعف من مستوى اللغة القومية فى السنوات الاولى من التعليم العام ، فلهذا الضعف اسباب اخرى ، وهو فى الواقع جزء من ضعف التلاميذ فى سائر المواد .

ولعله لا مانع ايضا من الاستعانة بمدرسين انجليز وفرنسيين فى المرحلة الثانوية ، على غرار ماكان من قبل ولاخوف منهم ولاضير فى استخدامهم ، فهم سيكونون منتدبين للعمل فى الحكومة المصرية ، ولافارق فى ذلك بينهم وبين من نستخدم من خبراء اجانب فى مجالات اخرى ولعلنا نستفيد بخبراتهم فى تدارك مافات وقد نستغنى عنهم حين نرى الخير فى هذا الاستغناء .

● الخريطة الاقتصادية

فى ضوء هذه النظرات التى تنصب على « الانسان المصرى » نفسه ، ذلك الانسان الذى نريده مواطنا مستنيرا ، يجيد القراءة والكتابة على الاقل ، وربما اتيح له ان يرى رأى العين كيف تتحرك



المجتمعات المتحضرة ، او ان يتعرف على هذه الحركة من وسائط معلوماتها المختلفة .. مواطنا يعيش فى مجتمع يضمن الاثابة لمن احسن والعقاب لمن اساء ويصمم على تحقيق النهضة الشاملة - فى ضوء ذلك ننتقل الى خريطتنا الاقتصادية ، أم الخرائط و« جماعها » ان صح التعبير .

ومن الطبيعى ان نبدأ هنا بالخريطة الزراعية ، فهى الدعامة فى مجتمعنا الزراعى ، ونحن فى امس الحاجة الى تطويرها فى اكثر من جانب من جوانبها المتعددة .

وقد بذلت جهود كبيرة حقا فى سبيل زيادة الانتاج الزراعى ورفع انتاجية الفدان ، فارتفعت انتاجية القمح مثلا الى اكثر من ١٣ اردبا للفدان بعد ان كانت من قبل اقل من عشرة ارادب ، بل انها وصلت هذا العام (١٩٨٨) الى اكثر من عشرين اردبا للفدان فى بعض المساحات ، كذلك تم استصلاح نحو ثلثمائة الف فدان فى الخطة الخمسية السابقة (١٩٨٢ - ١٩٨٧) ، كما ان المساحة المحصولية قد ارتفعت بعد السد العالى من نحو تسعة ملايين من الافدنة الى نحو احد عشر مليون فدان .

وقد تعددت الاقتراحات والتوصيات التى تستهدف على الاقل تضييق هذه الفجوة الخطيرة ويبدو لنا انه من بين وسائل الخروج من هذا المأزق ينبغى ان تكون التنمية الرأسية فى بؤرة الاهتمام بمعنى ان تكون فى قمة الاولويات .

والمقصود بالتنمية الرأسية هو اصطناع الاساليب التى تؤدى الى زيادة انتاجية الوحدة المساحية (الفدان) بمعنى الحصول على غلة اكبر فى نفس المساحة ، وقد شهد العالم ثورة علمية وتكنولوجية مذهلة فى هذا المجال فى السنين الاخيرة .. ومن عناصر هذه « الثورة الخضراء » مايتصل بالبذور المحسنة ، والمخصبات الكيماوية المتطورة ، والتهجين ، والاصناف المبكرة النضج العالية الغلة والمبيدات الحشرية ، وانسب الدورات الزراعية ، والزراعة المحمية فى الصوبات .

وبفضل هذه الوسائل العلمية وامثالها شهد انتاج الحبوب فى دول شرقى اسيا مثلا تطورا كبيرا بحيث توفر لدى هذه الدول مخزون استراتيجى من هذه الحبوب وخاصة من الارز فاصبحت من الدول المصدرة لهذه الحبوب بعد ان كانت من مستورديها منذ سنين قليلة ومن الامثلة المعروفة فى هذا المضمار اندونيسيا التى كانت تستورد الارز فأصبحت تنافس غيرها فى سوق التصدير وقد وصلت اندونيسيا الى هذه القفزة بعد حملة قومية اعطى المزارع خلالها كميات معينة من تقاوى الارز المحسنة ومن الاسمدة والمبيدات الحشرية ، مع قرض مالى ، وتولى الارشاد الزراعى عدد كبير من خريجى الجامعة وطلابها فى اطار نظام محدد للتجميع الزراعى للحيازات الصغيرة ، ومع ضمان الحكومة لحد ادنى لسعر الارز ، وهكذا ارتفع الانتاج وفاض عن حاجة السوق المحلية ، وكل ذلك رغم ارتفاع معدل الزيادة السكانية فى اندونيسيا التى يتوقع ان يصل سكانها الى اكثر من مائتى مليون نسمة عند نهاية هذا القرن .

ولايزال امامنا الكثير مما يمكن تحقيقه في مجال التنمية الراسية . واذا كان متوسط انتاجية القمح قد وصل فى هذا العام الى اقل من طنين للفدان ، فان هذه الانتاجية يمكن ان تصل فى تقدير الخبراء الى ثلاثة اطنان كاملة بزراعة الاصناف عالية الغلة ، ولامبرر لما كان يقال من ان مصر تقع خارج حزام القمح فى محاولة لتعليل نقص الانتاجية عندنا ، فان التقدم التكنولوجي الحديث لايترك مجالا لهذا التبرير . وقد ثبت كذلك ان متوسط انتاجية الفدان الحالية من الذرة (نحو ١,٧ طن) يمكن ان يرتفع الى اكثر من ثلاثة اطنان للفدان وقس على ذلك بالنسبة لمحصول الارز ، وقصب السكر والخضر والفواكه ، والنباتات الزيتية ، ففيها جميعا مجال فسيح للتنمية الراسية باستخدام الاساليب العلمية والتكنولوجية الحديثة .

الواقع اننا بحاجة الى الجانبين ، التنمية الافقية والتنمية الراسية على السواء ولكن الذى نود ان نبرزه فى هذا المقام هو ان التوسع فى المساحة المزروعة سيكون فى معظمه فى الاراضى الصحراوية واستصلاح الصحراء واستزراعها ينطوى على مشقة بالغة ونفقات كبيرة فى سبيل توفير الماء ـ سطحيا كان او جوفيا ـ وتوفير الصرف وتمهيد الارض ، وانشاء المرافق كالطرق ومياه الشرب ، والاسكان والماشية والالات الزراعية وذلك بعد اجراء الدراسات الاولية على خصائص التربة والمياه .. الخ ، ويقدر ان استصلاح الفدان الواحد يزيد اليوم على خمسة الاف جنيه ، وذلك فضلا عن ان التربة الصحراوية والتى يغلب أن تكون تربة رملية لاتصلح بطبيعتها الا لمحصولات معينة ، كما ان زراعتها تحتاج الى خبرة خاصة .

وفى قطاع الصناعة شهدت مصر الحديثة تقدما كبيرا فى عدد من الصناعات . ومن الصحيح اننا لانزال بعيدين عن الصناعات الاكثر تعقيدا كصناعة الموتورات والاجهزة الالكترونية وغيرها ، ولكن علينا ان ندرك اننا لانزال نتلمس الخطى الاولى فى رحلة الالف ميل ، وان نوطد العزم على تثبيت اقدامنا اولا فى كافة الصناعات التى تلائم هذه المرحلة من تطورنا الاقتصادى ونتدرج صعدا نحو صناعات اكثر تعقيدا وفقا لتخطيط واقعى مدروس يضعه المتخصصون .

ولعلنا نطيل النظر فى خطوات التصنيع الاولى فى دولة مثل اليابان التى بدأت بالتركيز على الصناعات الاقل تعقيدا مثل المنسوجات الحريرية والقطنية ولعب الاطفال واقلام الرصاص ، وغيرها مما كان جيلنا يتعلمه فى دروس الجغرافية فى مراحل تعليمنا الاولى . ولعله من المفيد ان نتذكر انه حتى اوائل الثلاثينيات من هذا القرن كان نحو ٩٠٪ من جملة المصانع اليابانية يستخدم الواحد منها اقل من ثلاثين عاملا .

ومن المأمول اذن ان تحظى الصناعات الصغيرة عندنا بنصيب اكبر من الاهتمام والتشجيع اننا نتطلع فى الواقع الى خريطة صناعية تزخر بالمصانع الصغيرة لا فى المدن الكبيرة وحدها بل فى كل المدن المصرية ، بل وفى القرى كلما امكن ذلك ، وفى ذلك مافيه من تطوير للعقلية الصناعية فى المجتمع خطوة بعد خطوة ، وتوازن فى الانفاق فى مختلف القطاعات سعيا وراء بلوغ الهدف



● رسالة من قارىء موريتانى

● ربما ينعم الله على بأن أطلع بين الفينه والفينة على عدد من المجلة الموسوعة « الهلال » غير أن ذلك لا يكون الا لماما ومرور كرام فهى اعز من بيض الانوق وأندر من عنقاء مغرب في بلادنا فربما تلقى شخصا يملك منها عددا غير أنه أعز عليه من نفسه ان كان شىء أعز من النفس ويبدو ان سبب ذلك أنها لا توزع في بلادنا ولا تباع في مكتباتنا .

اكتب لكم راجيا أن تساعدونى بما تيسر لكم من اعداد هذه المجلة ـ ان كان ذلك ممكنا ـ وسيان عندى الجديد منها والقديم لان العلم لا يبلى، ولا يدرس .

فان جدتكم فانتم مشكورون والا فانتم معذورون ..

وأرجو أن يكون الارســال ـ ان كان ـ بالبريد العادى غير المضمون لأنه أيسر استلاما وأسرع وصولا .

أحمد كورى بن محمادى
انواكشوط ـ دولة موريتانيا

● تعليق

ـــ نشكركم على رقتكم وحسن ظنكم ، ويؤسفنا ما تحدثتم به عن عدم وصول الهلال اليكم ، ولا ندرى المسئول عن ذلك بالضبط ، ولو كـــان فى استطاعتنا ان نرسل الى كل قارىء فى موريتانيا نسخة من الهلال كل شهر لفعلنا ، ومن عجب أن يكون البريد العادى عندكم اسرع وايسر من البـريد المسجل أو المضمون ، ولكن لا عجب فالامور عندنا نحن وعند بلاد عربيـة الاخرى تشبه الامور عندكم .. وكلنا فى الهم شرق ، كما قال احمد شوقى امير الشعراء قبل ستين عاما .. ولعل كلمتنا هذه تصل اليكم ..

● اغنية للعراق المنتصر



دعوا قلبي
يغني ·· وارقصوا ·· فالناس تقرؤنا
سطورا في كتاب الشمس ··
هل تبغون شيئا في انتصار الارض ·· املكه
سوى نغمي ، أقول لكم بملء فمي :
سهرت الليل بين معازفي ··
لا أستطيع الركض خلف الجند ··
هب « الفرات ودجلة » والنخل أطيارا سماوية
تسوق الغيم صوب الزرع ··
قرص الشمس فلاح يسوى الارض ···
كل الاذرع ارتفعت
وقالت للمدى ـ فصمت ـ عيون الحق مهدية !!

عبد الرحيم الماسخ
نجع الماسخ ـ المراغة ـ سوهاج

● الحب والحشيش

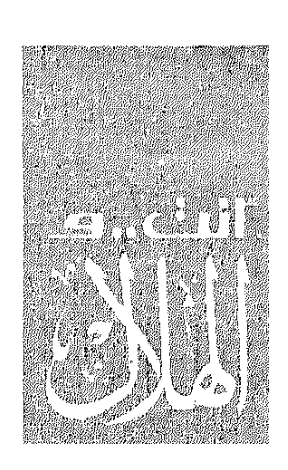
● لم اجد افضل من مجلة الهلال الغراء كي أبعث اليها بكلماتي هذه، وأرجو الرأى المنصف والمشجع لى من جانبكم ، وأعلموني ما اذا كنت قد وقفت على كتابة بدايات الشعر أم لا ؟!

الشفاه ترسم الحروف ·· وتتحدر من عيني « الدوع »
كل شيء عن الحبيب مشغول ·· يتلهف اليه في خشوع
القلب يسأل العين ·· اين الحبيب المفقود
فتجيب العين في حسرة ·· ذهب ولن يعود
فيعود يقلب ويسأل ابصرى ·· لى نور الطريق يا عيون
فتجيب العين ذهب نورى ·· وانطفأت شموعي و « غلبتني » الشجون
فاتني الحبيب وكنت شيئا ·· وبفقده أصبحت لا اكون
تركني في بحور الهم والحزن ·· تائها في دهاليز السنين ·
واصبحت من بعده ·· لم أدر لماذا أعيش ؟
طوى حبها قلبي وعقلي ·· كأني ادمنت الحشيش

عبد الصبور الصادق
كلية آداب قنا ـ قسم اللغة العربية

● تعليق

ـــ من حسن الحظ انه لا توجد فى « قصيدتكم » هذه أغلاط نحوية ، وهذا يدل على أنك طالب مجتهـد فى اللغة العربية ، ولكنك تسرعت فكتبت كلمة الدموع هكذا : « الدوع » ·· والعجلة من الشـــيطان فتأن فى الكتابة



لكيلا تخطىء فى الاملاء ·· ولم تفهم معنى قولك « وغليتنى الشجون » ·· لعلك تريد أن تقول ان الشجون أصبحت كالماء المغلى وانت فيه ·· وهو تعبير غير صحيح وصوابه « وغلتنى الشجون » ·· وأظرف ما فى قصيدتك خاتمتها التى تقول فيها ان حب صاحبتك هذه قد اذهب عقلك ـ وقاك اللهمن ذهاب العقل ـ كانك أدمنت الحشيش ! ··

بقى أن نصارحك بأنه لا يوجد بيت واحد موزون فى قصيدتك هذه ، فهى نثر وليست شعرا ·· ولا نتحدث عن معناها ولا عن مبناها ولكن عن مجرد وزنها ·· فلعلك تهتم بالتعرف على الاوزان حتى تبلغ منها ما تشاء ان شاء الله ! ··

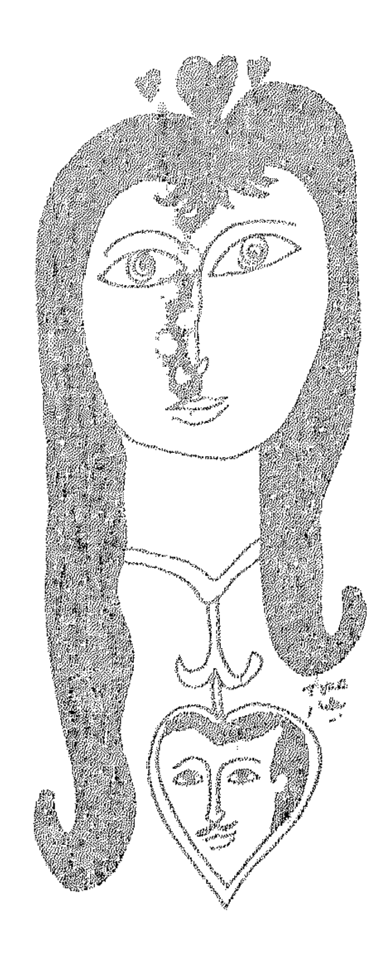
● معركة استنزاف



يهاجمنى الدهر ·· تلك سهام
قد اشتعلت فوق رأسى تضىء
وينذرنى العمر : انى حطام
ويلهث قلبى بانى الجرىء
فيا ضوءها لا تمس اعينى
وكن لى سلاما فلست أسىء
ويا شبح الشيب لا تنهنى
تمهل ·· فخلفك زحف خبىء
ويهجرنى الحب رغم صباى
فكيف اذا ما رآوك تجىء ؟؟
أيا رحمة الله رفقا بنا
اذا ما استبد الزمان الردىء
لقد مسنا الضر ·· لا تنسنا
وانت الرحيم ·· اليك نفىء
أتتركنى فى اللظى مستوى
وتعلم انى المحب البرىء ؟!

د· أحمد عامر ـ قبين القناطر

● لماذا ؟



لمــاذا احس ... لمــاذا ... ؟
بانــك اقرب مـنى الى ..
وانــك دومــــا
بر امـــــان ... ونهــر حنـان ..
يسـافر عبر ربـوع الماقى ..
يصـب حنـانك فى مقـلتى ..
وانـك حب يفوق احتمــالى ..
وحبك دوما كثيرا على ..
وان هوانا قرار سـيبقى ..
لا بيـديك .. ولا بيـدى ..
لمـاذا احس ..
بانـك دوما طـريق البـداية ..
وانى ضـللت كثيرا كثيرا ..
وبين يديـك عرفـت الهـداية ..
وانى احترفــت العشـق لديـك ..
وقبلك كل النسـاء هــوايه ..
تجارب عمـرى وسـيلة عشـق ..
تـؤدى اليـك لانـك غـاية ..
فحبـك بـاق لما لا نهــاية ..

عبد العزيز جويدة
الجيزة ـ شـارع الشرفا

● البارودى وشوقى

● ايهما اشعر فى رأيك : محمود سامى البارودى باشا الذى كانـت على يديه نهضة الشعر وبداية عصر احياء الادب العربى ، ام احمد شوقى الملقب امير الشعراء لانه كان شاعر الامير او الخديو عباس حلمى ؟

وحيد الدين محمد رجب
الاسـكندرية

● تعليق

كان البارودى ـ رحمه الله ـ شاعرا مطبوعا ، قرأ دواوين الاقـدمين فنظم الشعر كأنه نشأ فى البـادية أو فى بيئـة الشعراء الامويين والعباسيين ، ولم يبدأ البارودى حياته بدراسة علم العروض وعلوم اللغـة فى الازهــر



كغيره من معاصريه ، بل نظم الشعر قبل ان يعرف شيئا عن العروض أو اللغة ، وكل عدته محصوله الذى استثار طبيعته الشاعرة من قراءاته فى الشعر العربى ، فهو بحق نموذج للشعر المطبوع الذى يكفيه ان يتعرف على الشعر لتتدفق قريحته شعرا ·· ولكن مهمة البارودى انتهت عند احياء الاساليب الذهبية القديمة ، أما أحمد شوقى فقد كان مرحلة أعلى وأبعد مدى من مرحلة البارودى ، ولم يكن شوقى أميرا للشعراء بكونه شاعرا للأمير ، وانما كان أشعر شعراء عصره بلا منازع ، لا يطعن فى هذا الا مكابر ، أو جاهل ، أو دعى من أدعياء الشعر ، خصوصا فى الزمن الاخير ··



● الهرة والنظافة

هزتى جد اليفة ·· وهى للبيت حليفة ··
هى ما لم تتحرك ·· دمية البيت الظريفة ··
فاذا جاءت وراحت ·· زيد فى البيت وصيفه ··
شغلها الفار : تنقى الر ·· ف منه والسقيفه ··
وتقوم الظهر والعصر باوراد شريفه ··
ومن الاثواب لم تملك سوى فرو قطيفه ··
كلما استوسخ او اوى البراغيث المطيفه ··
غسلته ، وكوته ·· باساليب لطيفه ··
وحدت ما هو كالحمام والماء وظيفة ··
صيرت ريقتها الصابون ، والشارب ليفة ··
لا تمرن على العين ·· ولا بالانف جيفه ··
وتعود أن تلاقى ·· حسن الثوب نظيفه ··
انما الثوب على الانسان عنوان الصحيفة ··

محمد على الخورى
صنعاء ـ الجمهورية العربية اليمنية

● مع الاصدقاء

● رفعت محمد بروبى ـ سوهاج :
ـ لعلك من اكثر الشعراء انتاجا ·· نهنئك على نشاطك ، ويبدو انك تمر الان بمرحلة « الكم » وستنتقل منها ان شاء الله الى مرحلة «الكيف»

وهى مرحلة التجويد فى المعنى والمبنى فضلا عن الوزن ..

● زينب محمود احمد ـ قوص :

ـــ قصائدك السابقة كانت طيبة .. واقول لك بصراحة : ان قصيدتك التى عنوانها « كتابة على جدار الزمن » ليست من نفس المستوى .. لعل التكلف هو السبب ، أو لعل السبب هو جنوحك الى تقليد بعض الشعراء المعنين فى تقليد نماذج الشعر الاوربى والامريكى بغير مبالاة بالطابع القومى الفريد للشعر العربى ! ..

● ايمن فاروق فؤاد ـ بنى مزار :

ـــ قصيدتك « ذات مساء » تدل على حساسيتك الشاعرة ولكنها مع الاسف تفتقر الى الاوزان ، كما ان بها أخطاء نحوية ولغوية واملائية ولكنها لحسن الحظ ليست كثيرة ..

● سعاد احمد محمد الصاوى ـ الثانوية الزراعية بكفر صقر :

ـــ ان مستواك الادبى جيد ، مع انك طالبة زراعة ، ولكن لابد لك من معرفة الاوزان اذا أردت أن تنظمى الشعر بالتفعيلة أو بالاوزان المتكاملة .. اجتهدى ونتمنى لك حظا سعيدا ..

● محمد ابو الريش ـ فلسطين :

ـــ لم نعرف من أى مدن أو قرى فلسطين أنت .. أما قطعتك الصغيرة التى عنوانها : « لا تبكى يا أم » فهى مليئة بالشعور ، وهذا طبيعى من انسان فلسطينى يعيش تحت نير الغزو اليهودى البربرى المجنون ! ..

● محمد سليم القشاط ـ شبين القناطر :

ـــ هون عليك يا رجل ، فنحن لا نجادلك فى شىء ، وكل ما هنالك اننا نرجو ان تكتب على وجه واحد من الصفحة اذا أرسلت الينا نثرا أو شعرا .. ونرحب بك غاضبا أو راضيا ، وأرسل الينا قصائد جديدة ..

● صلاح شفيع ـ بلقاس :

ـــ نرجو أن تكتب أشياء اخرى اكثر وضوحا من الاسطر القلائل التى أرسلتها الينا ، لكى نفهم ما تريد قوله .

● عاصم فريد البرقوقى ـ الاسكندرية :

ـــ شعرك ليس شعرا ولكنه زجل عامى .. وأما الموسيقار محمد عبد الوهاب فقد كتبنا عنه فى الشهر الذى تم فيه الاحتفال به (شهر يونيو الماضى) .. أما دار الاوبرا فلا ندرى ماذا سيعرضون فيها .. وأخيرا : ليس صحيحا ما قلتموه من اننا نهتم بالشعر اكثر مما نهتم بالنثر .. فنحن « متهمون » بعكس ذلك تماما !!..

● رفعت عبد الوهاب المرصفى ـ انبرا ـ القاهرة

ـــ قصيدتكم « مقاطع فى الحجارة » حافلة بالاوزان السليمة الى جانب بعض الاوزان التى تحتاج الى مراجعة .. وهناك بعض الالفاظ التى تحتاج الى مراجعة نحوية أو صرفية ..

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية سبعة جنيهات و ٢٠٠ مليم ، وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات أو مايعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال .

وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة عاليه عند الطلب .

دار الهلال ـ ١٦ ش محمد عز العرب
القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط مجلة الهلال ت ٣٦٢٥٤٨١

رقم التلكس : **92703 HILAL U . N**

وكيل الاشتراكات بالكويت : السيد / عبدالعال بسيونى زغلول الصفاه ـ ص.ب ٢١٨٣٣ ـ 13079 تليفون ٤٧٤١١٦٤

اسعار البيع للعدد العادى فئة ٦٠ قرشا

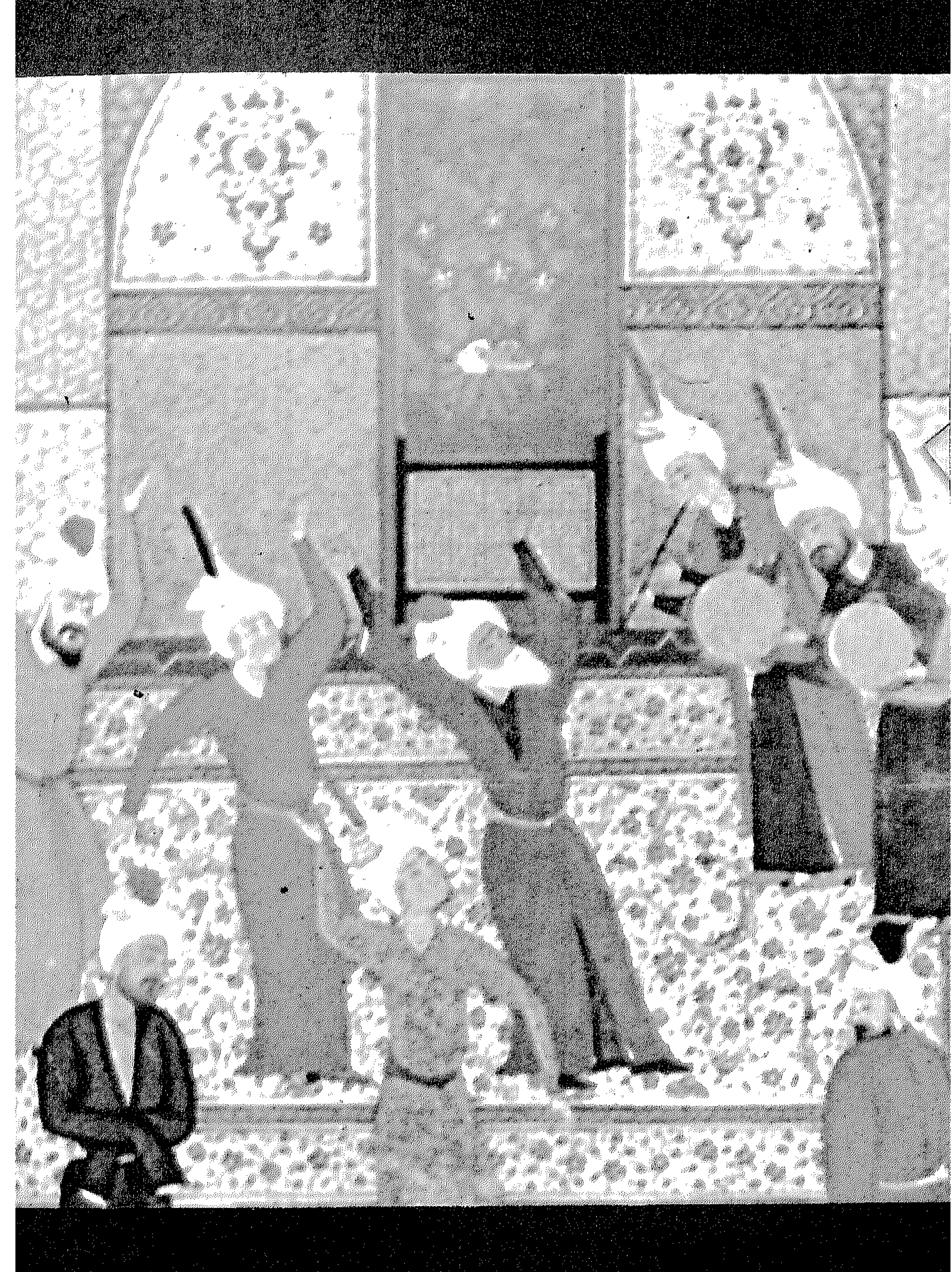
سوريا	١٧٥٠	ق . س	ابوظبى	٦	دراهم
لبنان	٣٠٠	ليرة	مسقط	٦٠٠	بيسة
الاردن	٣٥٠	فلسا	تونس	١٤٠٠	مليم
الكويت	٣٠٠	فلس	المغرب	١٢٥٠	فرنكا
العراق	١٣٠٠	فلس	غزة والضفة	٦٠	سنتا
السعودية	٥	ريالات	داكار	٦٠٠	فرنك
السودان	١٢٥	ق . سودانيا	لندن	١٢٥	بنسا
البحرين	٨٠٠	فلس	ايطاليا	٢٥٠٠	ليرة
الدوحة	٦	ريالات	البرازيل	٥٠٠	سنت
دبى	٦	دراهم	اليمن الشمالية	١٣	ريالا



الهلال

نوفمبر ١٩٨٨ ● الثمن ٧٥ قرشا

ب محفوظ
عربيّ يفوز
زة نوبل للآداب



من روائع الفن الإسلامى

حفلة دراويش ..

اسم اللوحة الإيرانية التى استلهمها الفنان رضا عباس من وقائع الحياة اليومية .. والفنان هو أحد المتخصصين فى فن المنمنمات عبر سنوات هذا الفن الذى اعتبر منبعا لألهام العديد من الفنانين التشكيليين فى بلاد عديدة ولقرون طويلة ..

وتكشف اللوحة عن مدى شغف فنانى القرن الثامن عشر بعنصر الحركة وايقاعة اللون وعمق الكادر

الهلال

السنة السادسة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية .. تصدر عن دار الهلال . أسسها جورجى زيدان عام ١٨٩٢ م . أول نوفمبر ١٩٨٨م - ٢١ ربيع أول ١٤٠٩ هـ

في هذا العدد

الغلاف الأول تصميم

الفنان : محمد أبوطالب

فكر وثقافة

كتاب الشهر

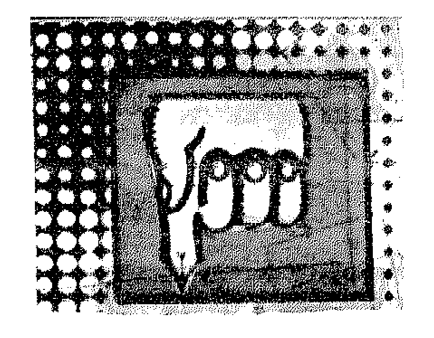
رسالة يوغوسلافيا :

قضايا حيوية

● نجيب محفوظ .. وجائزة نوبل « جزء خاص » ●

● فتحى رضوان .. نهاية عصر ●

● الأبواب الثابتة ●



عزيزى القارئ

لولا ضيق الوقت لأصدرنا عددا خاصا عن نجيب محفوظ لمناسبة فوزه بجائزة نوبل ١٩٨٨ .. فنحن في « الهلال » نفرغ من طبع الغلاف فى اليوم العاشر من كل شهر .. وكنا قد فرغنا فعلا من طبع غلاف الهلال عندما علمنا بالنبأ الكبير، فسارعنا نطبع غلافا آخر يسجل هذه المناسبة التاريخية للأدب فى مصر وفى جميع البلاد العربية وبلدان العالم الثالث ، فضلاً عن بلاد العالم المتقدم التى جاءت منها جائزة نوبل تطرق باب أديبنا العظيم نجيب محفوظ ..

فى فبراير ١٩٧٠ أصدر « الهلال » عددا خاصا عن نجيب محفوظ بعد أعداد خاصة متوالية عن طه حسين والعقاد وتوفيق الحكيم وشوقى أمير الشعراء .. وكان مما احتواه العدد الخاص بنجيب محفوظ كلمة لكاتب صحفى ألمانى قال : « فى مصر يعرفون نجيب محفوظ ولايعرفون أدبه ! .. لو كان نجيب محفوظ عندنا لانفقنا عليه الملايين حتى يحصل على جائزة نوبل » ..

إن هذه الكلمة التى جمعت لأول مرة بين نجيب محفوظ وجائزة نوبل قبل ثمانية عشر عاما ، مرت فى حينها بالقراء والأدباء مرور الكرام ، فلم يتنبهوا لمغزاها .. ولكنها الآن تثير الدهشة والعجب ، وتبعث على التأمل العميق !

فنحن فى مصر لم ننفق قرشا واحدا من خزائننا لتوفير حياة خاصة لنجيب محفوظ يتفرغ فيها للانتاج والابداع ، متحررا من كل عبء يعوق حركته ، حتى يجتمع له من أعماله الأدبية ما تقتنع به المحافل العالمية ، ويجذب إليه أضواء الجوائز الكبرى وفى مقدمتها جائزة نوبل ..

إن كل قرش دخل جيبه قبل تلك الكلمة التى أطلقها الصحفى الألمانى وبعد تلك الكلمة ، لم يدخله إلا مارا بسن قلمه ، مضمخا بعرقه ، وربما بدمه ودموعه .. فقد كان عليه طوال تلك السنين أن يعمل بلا انقطاع ، ويقدم للصحف والسينما والتليفزيون والأذاعة ودور النشر ، مايستخلص به رزقه بلا كلال ولا ملال ! ..



جائزة نوبل اختارت نجيب محفوظ

وهذا الكفاح المضنى لم يتوقف فى يوم من الأيام ، ولم يكن رغم ذلك يفى إلا بالقوام من العيش بلا زيادة ولا نقصان ، حتى قال نجيب محفوظ فى حديث عابر له فى إحدى الصحف منذ مدة : لولا قصصى التى اشترتها السينما لمت جوعا !

هذه كلمة لم يقلها الرجل على سبيل الشكوى ، وإنما تقريرا للواقع الذى يجثم على كل مشتغل بالأدب فى مصر .. فالأديب المصرى ـ فى الحقيقة ـ يحصل على رزقه بشق النفس ، وإذا أنتج وأبدع فبرغم هذه الحال التى تعوق كل انتاج وأبداع .. ولم يكن نجيب محفوظ مستثنى من هذا « التقدير » ! .. ومع ذلك هذه الجائزة العالمية الكبرى لمصر وباسم مصر..

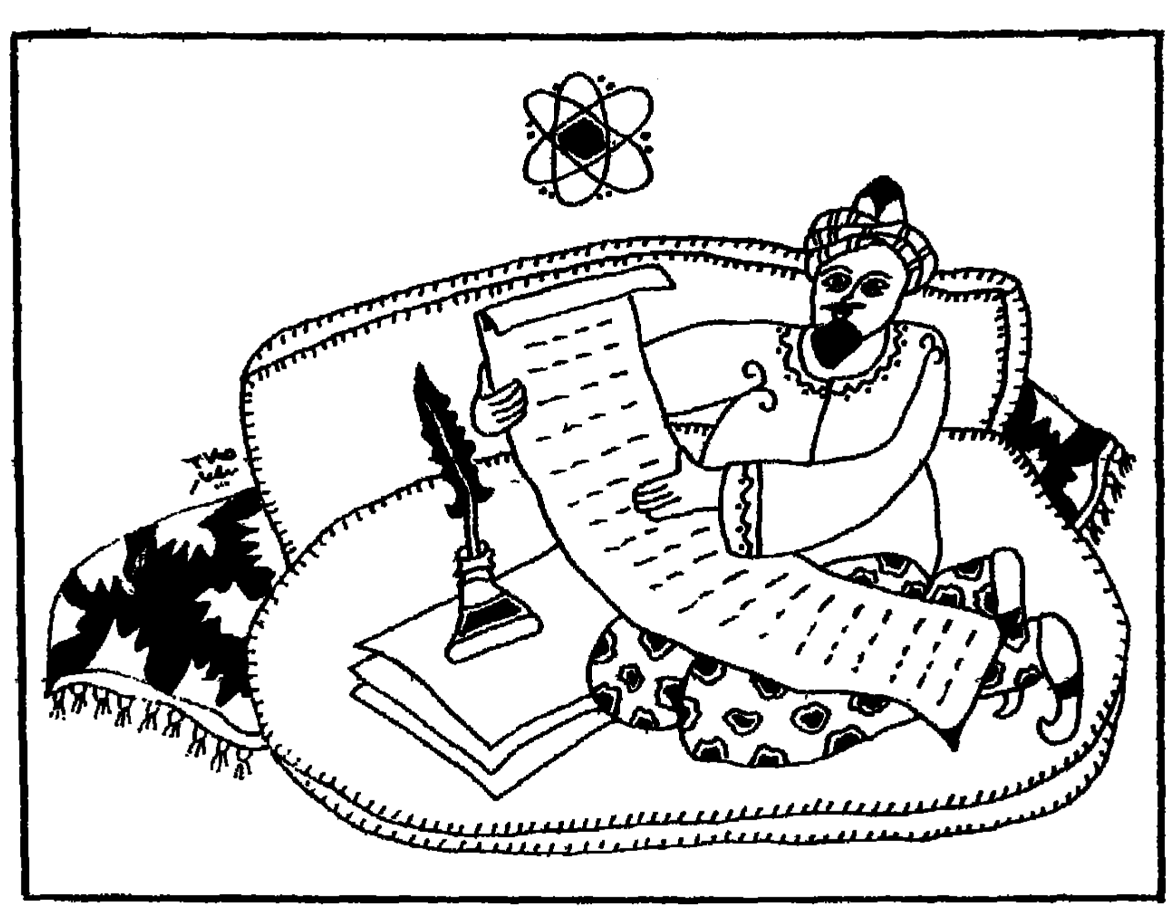
فالآن وقد نال نجيب محفوظ تقديرا عالميا ، ينبغى أن نعترف بأن أديبنا الكبير قد استطاع الوصول إلى المحافل الأدبية العالمية فى الوقت الذى كانت فيه وسائله لاتتعدى جهده الفردى ، ولكن هذا الجهد الفردى ظفر فى النهاية بمالا تظفر به جهود الجماعات ! » ..

لقد اختارت الجائزة الكبرى أديبنا الكبير وأجلسته على عرشها العالمى ، وجاءت إليه تجرر أذيالها ، قاصدة إليه وحده دون أدباء العالم كله ..

ولقد مر نجيب محفوظ بجوائز مجمع اللغة العربية فى الأربعينيات ، وجوائز الدولة فى الخمسينيات والستينيات .. وبوأته أعماله قمة الأدب العربى فى عصرنا حتى استطاعت جائزة نوبل أخيرا أن ترى قسمات وجهه المشع بالعبقرية والنبالة والتواضع وانكار الذات ..

وكان للقاء جائزة نوبل بفارسها العظيم ، فرقعة أعظم دويا من فرقعة الديناميت الذى أخترعه صاحبها العلامة « الفريد نوبل » فى سالف الأيام ! ..

و « مبروك » ... نقولها مهنئين جائزة نوبل ولجنتها الموقرة ، ثم نقولها مهنئين نجيب محفوظ .. ونقولها أيضا مهنئين مصر والأمة العربية من المحيط إلى الخليج ..



لماذا تخلف المسلمون؟

بقلم: د. محمد عمارة

أن يُطلب من المرء أن يكتب عن أسباب تخلف المسلمين فى هذا الحيز المحدود ، فتلك مهمة تبلغ فى الصعوبة درجة التعجيز !.. ومن هنا فليس غير تكثيف الحديث ، والاكتفاء برءوس الأسباب والعوامل سبيلا للوفاء بحق هذا الموضوع الخطير فى هذا الحيز المحدود ..

● لقد عرفت الإنسانية العديد من الحضارات التى نمت وازدهرت ، قبل الحضارة العربية الاسلامية ، وحولها ، ومن بعدها ـ وشهدت الإنسانية تميز العريق من هذه الحضارات بالمذاق الخاص "والبصمة" الخاصة التى ميزت الواحدة من هذه الحضارات على غيرها .. ومن هذه الحضارات من وقف إبداعها وعطاؤها عند حدود أمتها ، ومنها من امتدت تأثيراتها خارج الحدود ، ولكن بالقهر والغزوات واضطهاد مواريث الأمم التى خضعت للقهر والاضطهاد ..

وشهدت الإنسانية ، ايضا ، تميز حضارتنا العربية الاسلامية بخصيصة برزت فيها ، فلونت قسماتها ، حتى غدت عنوانا عليها .. وكانت هذه الخصيصة هي سر ازدهار هذه الحضارة ، لا في إطارها المحلى الإسلامي فقط ، بل وسر الجاذبية التي صنعت تاثيراتها العالمية سلما واختيارا ، رغم انها لم تمارس - حتى في البلاد التي فتحها العرب - أساليب القهر الحضاري ، وإنما - على العكس من ذلك - احيت وجددت واحتضنت المواريث الحضارية للآخرين !..

فما هي هذه الخصيصة الحضارية لحضارتنا ، التي مثلت جوهر هويتنا الحضارية ، والتي كان ازدهارها العامل الأول في ازدهارنا الحضاري ، كما كان تراجعها السبب في تخلف المسلمين ؟

في اعتقادي ، أن هذه الخصيصة هي "الوسطية الإسلامية" ؟!..

وقبل الحديث عن أبرز معالم هذه "الوسطية الاسلامية" ، لابد من التنبيه إلى أن تطورات واقعنا وفكرنا قد أصابت مصطلح "الوسطية" بما جعله مصطلحا "سيء السمعة" !.. فهو لدى العامة من المثقفين ، وأشباه المثقفين من العامة قد غدا مرادفا للثنائية و"للتميع الفكري" و"انعدام الموقف المحدد" و"إمساك العصا من المنتصف" وغيبة اللون والطعم والرائحة عندما يتطلب الأمر الحسم والتحديد .. وهو لدى كثير من خاصة المثقفين يعني مضمونه في الفلسفة الأرسطية : نقطة رياضية بين قطبين ، فالشجاعة ، مثلا ، وسط بين الجبن والتهور ، والكرم وسط بين البخل والاسراف .. الخ .. الخ ..

وماهكذا مضمون "الوسطية" ، كالخصيصة العظمى لحضارتنا العربية الاسلامية .. فهي ليست الموقف الوسط بين امرين ، وإنما هي الموقف الثالث الذي يرفض تطرف الانحياز لأي من القطبين ، ولا يكتفي بالوقوف في نقطة تتوسطهما ، وإنما يجمع ويؤلف ما يمكن جمعه وتاليفه من سماتهما وقسماتهما .. فالكرم غير البخل وغير الاسراف ، لكنه موقف جامع لسمات وقسمات من البخل والاسراف ، على نحو يجعله غيرهما ، ومتميزا كل التميز عنهما .. وقس على ذلك كل الفضائل والمواقف والقسمات الحضارية التي كونت ملامح الحضارة التي أبدعتها هذه الأمة الوسط ..

وإذا كان الله سبحانه قد نبه على اختصاص هذه الأمة بهذه الخصيصة - التي يستطيع كل من امتلكها أن يدخل في إطارها - فقال سبحانه : (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس) .. - البقرة : ١٤٣ - فإن نجاح المسلمين في الحفاظ على هذه الخصيصة في بنائهم الحضاري ، هو الذي مثل سر تقدمهم .. كما أن اختلال التوازن ، ومن ثم افتقادهم هذه الوسطية ، هو الذي افقدهم ميزتهم ، فدخلوا دروب الجمود والتراجع والتخلف الذي ساد حياتهم لعدة قرون ..

لماذا تخلف المسلمون؟

وإذا كنا نقول مع القائلين : "لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها"... فإن لهذه المقولة عندنا مضمونا أعمق مما لها عند الكثيرين ؟!.. فهى تعنى : أن ازدهارنا الحضارى رهن بتميز نهضتنا المعاصرة بالخصائص التى تميزت بها نهضتنا الحضارية الأولى .. تلك الخصائص التى ترتبط "بالخصيصة الجامعة" ، خصيصة "الوسطية الإسلامية" .. فهذه الوسطية هى التى ميزت حضارتنا عن كثير من الحضارات الأخرى بالتوازن والموازنة بين ماعدّ فى أنساق فكرية أخرى متناقضات لا سبيل إلى تعايشها ، فضلا عن الجمع بينها والتأليف بين قسماتها وسماتها .. ففى الحضارة العربية الاسلامية تجسدت هذه الوسطية فى العديد من السمات والقسمات التى كونت جوهر البناء الحضارى ، ومثلت سر تفوق المسلمين وتقدمهم .. وذلك من مثل :

● تميز الاسلام - وهو "دين" - بـ "العقلانية" ، فـ "النقل" فيه - وهو قرآنه المعجز - لم يأت ليدهش العقول فيذهبها ، بل ليحتكم إليها ، جاعلا منها مناط التكليف ، مؤاخيا بين "الحكمة" و"الشريعة" ، جاعلا من صريح المعقول وصحيح المنقول ، ومن "كتاب الوحى" و"كتاب الكون" سبلا متآخية ، خلقها خالق واحد ، ويسرها لهداية الإنسان ، دونما تناقض أو تضاد .. حتى لقد قالوا - صادقين - عن الاسلام : إنه نسق فكرى ، فيه تدينت الفلسفة ، كما تفلسف الدين !.. ولقد تقدم المسلمون عندما حافظت وسطيتهم على هذا التوازن ، فلما سادت فيهم "النصوصية" ، التى تنكرت للعقل والعقلانية ، انفتح عليهم باب من أبواب التخلف فدخلوا فيه !..

● وتميز الاسلام - وهو الدين العالمى - بعدم تجاهل الواقع القومى المتميز للأمم التى دخلت فيه .. إنه لا يتجاهل التمايز القومى ، ولا يقفز عليه .. فمن آيات الله فى البشر : اختلاف الألسنة والألوان .. لكنه - بالوسطية - يعطى هذا التميز القومى المضمون الحضارى الذى يؤلف بين التعددية القومية وبين عالمية الاسلام الدين ، على النحو الذى يجعل أمة الاسلام وحضارته "محيطا" يحتضن "الجزر القومية" دونما تناقض أو تضاد .. فالعروبة الاسلامية ، مثلا ، دائرة انتماء حضارية ، تسبقها الدائرة الوطنية ، وتليها جامعة الاسلام .. فمضمونها هذا ثمرة إسلامية متميزة عن مضمونها العرقى الجاهلى ، ومن ثم فأفقها مفتوح ، وهى ليست بالفكرية - الأيديولوجية - المناقضة لفكرية الاسلام ..

وعندما حفظت الوسطية هذا التوازن بين "العروبة" و"الاسلام" كان تفوق

المسلمين وتقدمهم .. فلما حكم الأعاجم - المماليك والترك - أمتنا ، ووقفوا عند الاسلام الدين ، دون العروبة الحضارية ، ونشأت مزاعم تناقض العروبة والاسلام ، حتى لقد هم هؤلاء الأعاجم بتتريك العرب ، انفتح على المسلمين باب من أبواب التخلف فدخلوا فيه !..

● وبالوسطية الاسلامية : لم يقف فكر حضارتنا - إبان ازدهارها - عند "النظر" ، وإنما زواج - فى توازن - بين هذا "النظر" وبين "الممارسة والتطبيق" .. فلم يقف المسلمون عند علوم الوحى والشرع وحدها ، وإنما برعوا فى علوم الكون والطبيعة أيضا .. ولم يقفوا عند "القياس" النظرى الأرسطى ، وإنما تجاوزوه فأبدعوا "المنهج التجريبى" .. ورأينا حضارتنا - فى الأصول - كما أبدعت فى "أصول الدين" فلسفتها النظرية - علم الكلام - تبدع فى أصول التشريع للدنيا "أصول الفقه" أيضا .. وكذلك صنعت فى الفروع ، فضم "الفقه" : فقه "المعاملات" مع فقه "العبادات" ..

وعندما ساد ذلك فى حضارتنا كان تفوق المسلمين وتقدمهم .. فلما وقفنا عند "الحواشى" و"الشروح" و"التعليقات" على "أصول الدين" و"فقه العبادات" ، وأغلقنا باب الاجتهاد فى "أصول الفقه" و"فقه المعاملات" ، كان ذلك واحدا من أبواب التخلف الذى دُفع إليه المسلمون فدخلوا فيه !..

● وكانت الوسطية الاسلامية : قد حددت "للإنسان" المسلم فى هذا الكون مكانا ممتازا ومتميزا .. فهو ليس سيد الكون - كما قررت ذلك الحضارات ذات الطابع المادى - حتى لقد زعمت تجسد الله فيه !.. كما أنه ليس "الفانى" "المتلاشى" فى ذات الله - كما قالت الحضارات ذات الطابع الصوفى -.. وإنما هو سيد فى هذا الكون - سيد فيه ، وليس سيده - لأنه ، مع تفضيله حتى على الملائكة المقربين ، وتسخير الطبيعة له ، يحتل فى هذا الكون مكان الخليفة عن السيد الحقيقى ، لامكان هذا السيد الحقيقى .. فهو سيد فى نطاق الخلافة والنيابة والتوكيل ، سخرت له الطبيعة لعمارتها ، وليس للعدوان عليها والتدمير لمقوماتها .. وبهذه الوسطية ربطت حضارتنا بين "العلم" و"الحكمة" ، بين "الوسائل" و"الغايات" .. وعرفنا فيها أن "السياسة" هى : "الأعمال التى يكون الناس معها أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد" .. وليست هى : "فن الممكن من الواقع" - بصرف النظر عن الوسائل والأساليب ونصيب الغايات من الفضائل والأخلاقيات ؟!..

ويوم أن كانت سائدة فى حضارتنا هذه الوسطية تقدم المسلمون .. فلما دعا فريق إنسانها - بالتصوف - إلى الفناء فى ذات الله .. ودعاه آخرون إلى مادية لا تقيم فى الوجود وزنا لسواه .. كان ذلك بابا من



أبواب التخلف الذى دخل فيه المسلمون !..

● وكانت الوسطية الاسلامية قد أقامت توازنا نموذجيا بين "الفرد" "والمجموع" .. حتى لقد استنت فى ميدان الثروة والمال سنة ممتازة ومتميزة ، رأينا فيها الملكية الحقيقية ـ ملكية الرقبة ـ فى الأموال لله سبحانه .. ورأينا فيها الانسان ـ كإنسان ـ خليفة ومستخلفاً عند الله فى إدارة الأموال وتنميتها ـ وله فيها ـ كفرد ـ ملكية مجازية ـ هى ملكية المنفعة ـ الوظيفة الاجتماعية للملكية ـ محكومة بشروط الوكالة والنيابة والاستخلاف .. وثمرة للعمل المشروع .. ومحدودة بحد الاكتفاء..

وبهذه الوسطية تقدم المسلمون .. فلما جنحوا إلى الانحراف ، فتحولت أرضهم وأموالهم إلى "إقطاع حربى" لقادة العسكر وأمراء الأجناد والمماليك .. ثم كان انحياز صفوة مفكريهم الاجتماعيين والاقتصاديين إلى قطبى التطرف الوافدين من الحضارة الغربية : الليبرالية المطلقة .. أو الشمولية المطلقة .. غابت الوسطية الاسلامية ، ودخل المسلمون إلى التخلف من هذا الباب !..

● وكانت الوسطية الاسلامية قد أبدعت التوازن بين "الدين" و"الدنيا" .. فنحن نعمل للدنيا كأننا نعيش أبدا ، ونعمل للآخرة كأننا نموت غدا .. وإيماننا بالآخرة هو الذى يدعونا إلى أن نزرع الغرسة حتى عندما تقوم القيامة ونشهد بأعيننا أشراطها ؟!.. بل ويقول حجة الاسلام الغزالى : إن صلاح أمر الدين مؤسس على صلاح أمر الدنيا !.. لأن الانسان إذا لم تصلح "دنياه" ، بتوفر الكفاية في المأكل ، والملبس ، والمسكن ، والأمن ، لن يجد الوقت اللازم لتحصيل ما يصلح به أمر "دينه" ، من العلم والمعرفة والعبادة لله !.. وحتى لقد قال فقهاؤنا : إن صلاة الجائع والخائف لا تجوز ، لأن الأمن "المادى و"الروحى" هو أساس التدين بالدين ..

وعندما ساد هذا التوازن الذى صنعته الوسطية الاسلامية ، كان تقدمنا وتفوقنا .. فلما غابت هذه الوسطية ، فأدار البعض منا ظهره للدنيا وعلومها وفنونها ، باسم الدين ، وأدار البعض الآخر ظهره للدين وعلومه ومناهج تهذيبه ، باسم الدنيا ، اختل التوازن ، فكان ذلك الباب من أبواب التخلف الذى دخل المسلمون فيه !..

● وكانت حضارتنا قد أقامت ذلك التوازن الفريد بين "فروض العين" و"فروض الكفاية" ، أى ـ بتعبير مألوف ـ بين "الفرائض الفردية" و"الفرائض الاجتماعية" ـ كجزء من موازنتها بين "الفرد" و"المجموع" ـ.. فكانت هذه الموازنة لبنة من لبنات تقدمنا .. فلما

أصابها الخلل ، ورأينا الذين يهتمون لهمــوم الأمــة ويـنــاضلــون لنهضــة "الجماعة" ، يتحللــون من التكاليف الفردية ، بل ويسخرون منها .. على حين قد غرق فيها أخرون حتى لقد استنفدت منهم الطــاقــات فــأهملــوا مصــالــح "المجموع" .. كان ذلك واحدا من أبواب التخلف الذى دخل فيه المسلمون !..

● وكانت حضارتنا قد استنت ـ بالوسطية ـ سنة الموازنة بين "حقوق الحكــام" و"حقــوق المحكــومين" ، فللحكام ـ وهم نواب عن الأمة ـ حق السمع والطاعة فيما فوضتهم الأمة فيه ، مما هو لازم لبلوغ الغاية من التفويض .. وللمحكومين على حكامهم حق العدل والانصاف فى ممارسة هذا التفويض ..

فلما اختل هذا التوازن .. تنكب الحكام سبيل العدل إلى مسالك الاستبداد والمظالم .. وسلك المحكومون سبل التواكل واللامبالاة ، إفشــالا لخطط الحكام ، ونكاية بهم وانتقاما من ظلمهم واستبدادهم ، فغاب السمع والطاعة مع غيبة العدل والانصاف .. فكان ذلك بابا واسعا من أبواب التخلف الذى دخل المسلمون فيه !..

● وكانت وسطيتنا الاسلامية قد اقامت لنا توازنا بين "العقل" و"القوة" ، تحدث عنه تراثنا ، أحيانا ، تحت عنوان : التــوازن بين "القلم" و"السيف" .. وبهذا التوازن صارت القوة الضاربة أداة بيد العقل والفكر والحضارة ، عليها أن تحمى الحمى ، ولها حق "الوعى" الحضارى عندما يطلب منها أن "تطيع" ؟!.

وعندما كانت هذه القوة الضاربة "عربية الفكر والحضارة" ـ اى من ذات الأمة ـ ساد التوازن بينها وبين "عقل الأمة" .. فكان التقدم والازدهار .. فلما أصاب الترف بأمراضه هذا القطاع من قطاعات الأمة ، وأعجز الترف واقعدت الرفاهية العرب المسلمين عن النهوض بمهمة القوة الضاربة اللازمة لمواجهة التحـديات ، الـداخليـة ـ كالإقليمية ، والثورات ، والتمردات ـ والخارجية ـ بيزنطية .. وصليبية .. ومغولية ـ لجأت الدولة إلى الترك المـمـاليك ، فلمـا تضخمت مؤسسة العسكر المماليك ، تحولوا من أداة بيد الخلافة إلى القوة الحقيقية التى تلعب بمنصب الخلافة ـ وكانوا غرباء عن حضارة الأمة ، لم يألفوا ـ لأنهم عسكر وترك مماليك ـ ما تعنيه عقلانية الاسلام من استنارة ، ولا ما عقده الاسلام الحضارى مع العروبة الحضارية من عروة وثقى .. فاختل التوازن ، لحساب "القوة" ، وعلى حساب "العقل" .. لحساب "النصوصية" الجامدة ، وعلى حساب "العقلانية المستنيرة" .. ثم كان أن فرضت الأخطار الخارجية ـ وخاصة الصليبية والمغولية والغربية الحديثة ـ على الأمة أن تسلم القياد لهذا اللون من الوان "القوة" ، فامتدت



لماذا تخلف المسلمون؟

قرون الحكم للترك المغول ـ المماليك ـ والترك العثمانيين ـ فلما طال ليل التخلف ، التابع من غيبة التوازن ، لاختفاء الوسطية ، رأينا التراجع وقد صار جمودا .. ورأينا هذا الجمود وقد أثمر ـ بمرور القرون ـ هذا التخلف ، الذى نتساءل الآن عن سبب وقوع المسلمين فيه !..

● **وكانت وسطيتنا الاسلامية قد** صنعت ذلك التوازن الدقيق بين "الدين" و"الدولة" ، عندما وقفت شريعتها الاسلامية الالهية الثابتة عند المقاصد والفلسفات فيما يتعلق بشئون الدولة وسياسة المجتمع وتنمية العمران ، الأمر الذى جعل من هذه الشريعة إطارا ، الأمة بداخله هى مصدر السلطات ، تبدع فى شئون "الدولة" إبداعها المحكوم بروح الشريعة الالهية ومقاصدها التى وقفت عند الثوابت والأصول ..

وفى ظل هذا التوازن صنعت أمتنا تقدمها .. فلما غاب ، وتوزعتنا دعوات تبعنا فيها سنن الأمم الأخرى ، شبرا بشبر وذراعا بذراع !.. **فقال منا نفر بما يشبه "الكهانة" و"الدولة الدينية" .. وقال آخرون "بعلمانية" تدع ما لقيصر لقيصر وما لله لله ؟!.. كان هذا الباب من أبواب التخلف الذى دخله المسلمون يستعيرون "مشكلا" كى يستعيروا له "الحلول" ، ذاهلين عن وسطيتهم الإسلامية ، وغافلين عن التوازن الذى أثمرته فى هذا الميدان !**

تلك هى "الوسطية الاسلامية" : الخصيصة الجامعة ..

كانت **"زاوية الرؤية"** لكل سمات حضارتنا العربية الاسلامية إبان ازدهارها وعطائها ..

وكانت **"المزاج"** الذى طبع قسمات هذه الحضارة ، عندما كانت منارة الدنيا بأسرها ..

وكانت "الروح" السارية فى "المكونات : الثوابت" ، التى مثلت "هوية" هذه الحضارة و"جوهرها" ..

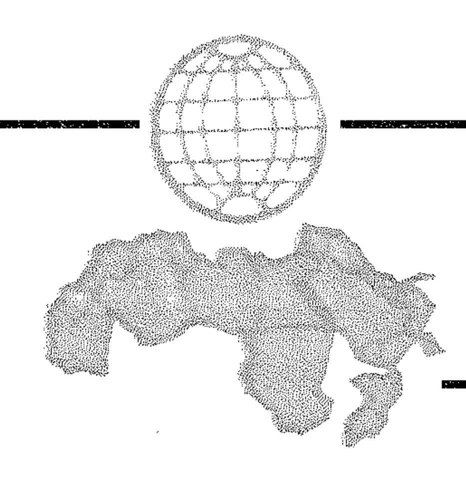
فإذا نحن سألنا وتساءلنا : لماذا تخلف المسلمون ؟.. فعلينا أن نعى هذه الحقيقة عندما نجيب ..

وإذا قلنا ـ مع القائلين : " لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها" .. فعلينا أن نعى المضمون الحقيقى لما صلح به أمر "أسلافنا العظام" .. والذى ، عندما غاب ، أصابنا ما أصابنا فى عهد "السلف غير الصالح" ؟!.. منذ عسكرة المجتمع الإسلامى وشوائب عجمته على يد الترك المماليك ..

وصدق الله العظيم : (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس) ..

وصدق رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، إذ يقول : "الوسط : العدل . جعلناكم أمه وسطا[1]" . أنها الخصيصة الجامعة .. تقدم المسلمون عندما كانت لها فى حضارتهم هذه المنزلة التى أشرنا إليها .. فلما غابت ، افتقدت هذه الحضارة خصيصة تقدمها ، فكان التخلف الذى عشناه ، والذى تجتهد يقظتنا الإسلامية الحديثة فى معالجته حتى الآن !

(١) رواه الأمام احمد





● « انا سعيد وفخور لانني .عيش عصر نجيب محفوظ »

عاطف صدقي
رئيس الوزراء

● « المصريون حتى لو كانوا لامبالين لهم كرامة وطنية كامنه ، وهذا شئ غريب جدا »

نجيب محفوظ
الحائز على جائزة نوبل ١٩٨١

● أمريكا لم تستطع التأثير على شامير، ولكن شامير هو الذى أثر على امريكا !! »

أبا ايبان وزير خارجية اسرائيل الاسبق

● « لن نقبل ما ترفضه اسرائيل . »

دوكاكيس مرشح الرئاسة عن الحزب الديمقراطى

● « نحن لسنا من فصيلة أولئك الذين يدخلون مكتب الرئيس بآرائهم ويخرجون برأيه »

نيكولاى ايفانوف وكيل نيابة سوفييتى

● نحن نسير ببطء ، نحن نفقد الوقت ، وهذا معناه اننا فى طريقنا الى الفشل .. »

جوربا تشوف
الرئيس السوفييتى

● « الحكومات قد تذهب ولكن المشاكل تبقى .. »

زفينجو مسنر
رئيس وزراء بولندا السابق

● « يستطيع اليهود دائما أن يصنعوا ضجة كبيرة ، انهم أساتذة فى صنع الضجة ، ولا شئ يعلو على الضجيج الذى يحدثونه .. »

المخرج الامريكى هوارد هوكس

● « اننا نعيش فى عالم فيه أسلحة نووية ، وما دامت هذه الحقيقة لن تتغير ، فلنتعلم كيف نعيش مع القنبلة .. »

ريتشارد نيكسون


عاطف صدقى


دوكاكيس


جورباتشوف

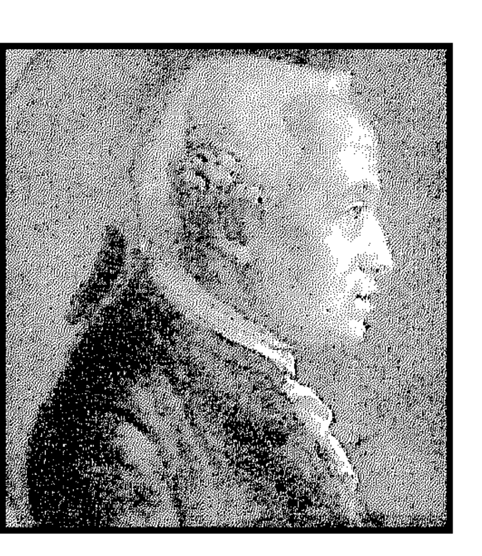
بقلم: د. شكري محمد عياد

الحب والغريزة

في أول لقاء لكمال، بطل ثلاثية " بين القصرين " بجسد المرأة، تكاد تصعقه المفاجأة:
« اتسعت عيناه إنكارا .. وشعر بأن كلا منهما في واد. وما أبعد المدى بين وادى اللذة ووادى العمل .. انهدم في لحظة ما أقامه الخيال في أيام، وجرت مرارة الامتعاض في ريقه. غير أن الرغبة في الاكتشاف لم تفتر فغالب انزعاجه ثم حرك ناظريه صوب الجسد العارى حتى استقر على هدف، وبدا حينا كأنه لا يصدق عينيه. وأحدّ بصره في انزعاج وتقزز حتى شعر في النهاية بما يشبه الرعب. أهذه هي الحقيقة أم انه أساء اختيار المثال؟ ولكن مهما يكن من سوء اختياره فهل يغير هذا من الجوهر؟! ونزعم اننا نحب الحقيقة! »

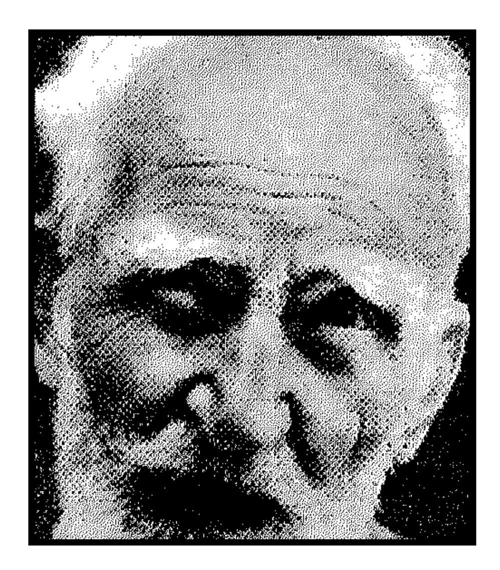


شارل بودلير



عمانويل كانط

إن هذا الشعور طبيعى جدا ، ولايدل على أن " كمال " أو الروائى العظيم الذى صور شخصيته ، كان مصابا بالعنة المؤقتة أو الدائمة كما توهم بعض النقاد ، إن حيرة الحب بين المثال والواقع ، بين الجمال والغريزة الجنسية ، ليست إلا مظهرا من مظاهر الحيرة بين مطالب الجسد ومطالب الروح . ولو كان الخيار واضحا ومحددا لهان الأمر . ولكنه ليس كذلك بالنسبة لمعظم الناس ، أو قل إن الطبيعة البشرية لا تحتمل التضحية بأحد الجانبين لتخلص للجانب الآخر . فالمثال يحن دائما للتجسد في واقع حى (كما تدل أسطورة بجماليون) والغريزة تسبغ على نفسها من صفات الجمال ما يجعلها مقبولة لدى الجانب الأسمى فى الانسان ، ثم تتوهج حين تصل الى قمتها فلا يدرى إن كان يذوب فى سعير الجسد أم يسبح فى سموات الروح .



برناردشو .. مؤلف بيجماليون

ومن عبث الحب والغريزة بالإنسان أن أحدهما يمكن أن يتخفى فى ثياب الآخر بسهولة تامة ، بل وربما تغيرت ملامحه نفسها فأصبح هو الآخر بذاته كما كان يحصل للدكتور جيكل والمستر هايد . ومع أن الانسان يحرص على ألا يخلط بينهما ،

القفز على

الأشواك

فيرفع أحدهما الى درجة القداسة وينزل بالآخر الى حضيض الدنس ، تراه أحيانا يتعمد فيمد يده الى " الحب " محاولا تعرية جزء من جسده لتظهر " حقيقة " الغريزة تحت " أكذوبة " الجمال . ولعله بذلك يحاول ـ دون وعى ـ أن يشفى نفسه من تلك الصدمة القديمة التى زلزلت كيانه حين همس له طفل يكبره قليلا بحقيقة مجيئه الى هذه الدنيا . ولعله بقى مدة غير متقبل لهذه الحقيقة . **ولا أظن أن أى برنامج حديث للتربية الجنسية يمكن أن يقيه من هذه الصدمة ، ولا أن يعطيه المعلومة الضرورية فى الوقت المناسب . ستظل " الحقيقة " محوِّمة ، كالقدر فى مأساة يونانية ، لايعرف كنهها إلا حين تهبط كالصاعقة .**

والحب يعم ويخص ، ويجد فى خصوصيته القوة الدافعة التى تبقيه حيا . ولو بقى الحب معلقا بالجمال المجرد لما أطاق المحب النظر الى المحبوب ، فإما أن يجن أو يقتل نفسه وإما أن يهرب من وجهه . ولا محبوب أجمل منظرا من هذا العالم ، بسمائه ونجومه ، بأشجاره وأنهاره ، بشمسه وقمره ، فلو أن طفلا قيل له أن هذا كله من صنع الله وصورة من جماله وكماله ، ووعى قلبه هذه الحقيقة لما أطاق النظر الى هذا الجمال كله ، ولاعتراه من الوجد ما يجعله يلقى بنفسه من قمة جبل ، كما تصور الغزالى . ولكن أكثرنا ننظر إلى هذا الجمال ولا نعيه ، ونعيش فيه ولا نشعر به ، وحين أراد "كانت" أن يحلل الشعور بالجمال أخذ نموذجه من زهرة ، ولم يأخذه مثلا من جبل أشم ، أو واد سحيق ، واصفا مثل هذه المناظر "بالجلال" وهو عنده شعور مختلف عن الشعور بالجمال . ومثل هذا الشعور لايطيقه المرء إلا فى لحظات عابرة .

ولكن الحب ، هذه العاطفة الثابتة ، يتعلق بشيء مخصوص أو إنسان مخصوص . فالحب ـ كما قلنا فى مناسبة سابقة ـ ينزع الى امتلاك المحبوب ،

وأنت لاتقدر أن تمتلك كل جميل ، ولا كل الأشياء الجميلة ، ولا الجميل الذى لاتستطيع أن تحتويه فهذه الرغبة فى الامتلاك هى القوة الدافعة التى تحيل الشعور بالجمال الى حب كما أن الشعور بالجمال هو الذى يمسك الحب أن يصبح شهوة مجردة ، وسيطرة خالصة فيموت الدافع بمجرد تحققه ، ولا يتجدد الطلب إلا بتجدد الدافع ، والحب الصحيح مقترن أبدا بالشعور بجمال المحبوب ، ولذلك يظل لصيقا بأمور الروح ، فهو مثل الإيمان لايحتمل التشريك ، فإذا مال نحو إشباع الشهوة استزاد من السرور بالجمع بين أكثر من محبوب واحد ، كما يجمع الآكل بين ألوان الطعام . وإذا تمكن الحب من النفس غلب على شهوة الامتلاك وحل محلها الشوق الى الامتزاج أو الفناء فى المحبوب فلا يكون للشهوة الجسدية حظ إلا بقدر إرضاء المحبوب وموافقة هواه . وإذا استغرقت محاسن المحبوب شعور محبه فربما اقتلعت شهوة الامتلاك من

أصلها فتكون لهذا البتر هزة أشبه بمس الجنون ، كما قال الشنفرى ، ولو أنه أسقط الجنون على شخص المحبوب :

فدقَّت وجلَّت واسبكرّت وأكملت
فلو جُنّ إنسانٌ من الجن جُنَّتِ

● الملل

ولكن ما بال الملل الذى يعترى المحبين ؟

لو قلنا إن المحب الصادق لايعرف قلبه الملل أبدا ، لما وجدنا فى الدنيا ، ولا فى التاريخ ، محبا صادقا واحدا بهذا المعنى !

فالروح تمل ، وتتعب ، كما يتعب الجسم ويمل .

ونشاط الروح يرجع الى شعورها بأن ثمة جديدا فى المحبوب لم تكتشفه بعد ، مع أملها فى قرب اكتشافه . فإذا نقص أحد هذين الشرطين أعتراها السأم . وكثيرا ما يحدث ذلك بعد فترة من الزواج ، بل ربما كانت هذه هى القاعدة . إلا أن ضحالة الشخصية والاستغراق فى التوافه ينزل بالعلاقة الزوجية إلى مستوى العادة أو الواجب . وثمة فرق بين العادةَ والألفة . فالألفة تزيد على العادة بأنها لا تخلو من انعطاف الحب ، ولكنه حب يستمد قوته من الشعور بالتشابه ، أكثر مما يستمدها من جاذبية الشىء الجديد . ويظل فى الألفة مع ذلك نوع اكتشاف ، إذ أن كلا الشريكين يتساءل فى أعماق نفسه ، بينما يكون مشغولا مع شريكه بأى أمر من جد أو لهو ترى هل يستجيب لهذا الشىء ، أو لهذا الفعل ، كما أستجيب له ؟ وهكذا يظل الشريكان يرتادان افاقا مجهولة ، فهما لايتقاربان تقاربا عفويا ، كما قد نتوهم ، بل يتقاربان بإرادة من كليهما لهذا التقارب ، وبذا تستحكم الألفة ، ويكون الزمن رافدا للحب ، لا هادما له . لا سيما وأن العلاقة الجسدية إذا لم تقترن بالحب نزلت الى مستوى التخلص من بعض افرازات الجسد ، واذا اقترنت بالحب أصابها ما يصيب العلاقات الروحية من القلق الدائم ، والشعور باستحالة التحقق الكامل ، وهو شعور يمكن أن يدفع بصاحبه الى اليأس أو الاحباط ، وربما ظهر هذا الشعور سخطا على الطرف الآخر ، ولعل لهذا التحول دخلا فى الفكرة الرومنسية المشهورة عن اقتران الحب بالكره ، أما الحقيقة التى يجب التسليم بها فهى أن الحب لايعمر إلا إذا تحول الى الفة ، وأن الملل يترصد لعلاقة الحب حين يتحول الى عادة جسدية ، أى حين تخلو من الشعور بالجمال ، فتبتعد عن منطقة الروح .

● الجنس لاجمال فيه

فالجنس وحده لاجمال فيه ، بل إنه قبيح ، كريه !

يقول هافلوك اليس ، أعظم أساتذة علم النفس الجنسى فى القرن العشرين ، أن أعضاء التناسل بعيدة كل البعد عن معنى الجمال ولولا فساد فطرة كثير من الناس فى هذا العصر لما احتجنا أن نستشهد فى هذا المقام بقول عالم نفسى كبير أو صغير . فالأمر واضح لاخفاء فيه فيكفى أن أعضاء الجنس هى نفسها أعضاء الإخراج ، فجمعت الأرتباطات الذهنية

المستقذرة الى قبح الشكل ويلاحظ اليس أن التماثيل اليونانية العارية تتعمد إخفاء هذه الأعضاء أو تصغير حجمها الى درجة غير عادية ، ونضيف الى هذا أن المثال اليونانى لايبرز العلاقات الجنسية الثانوية مثل بروز العضلات وظهور الشعر فى جسم الرجل ، وكبر الأثداء فى جسم المرأة ، فتماثيل الرجل لاتشبه ما يسمونه اليوم كمال الأجسام ، وتماثيل المرأة لاتنطبق مقاييسها علىّ ملكات الاغراء وما ذلك إلا لأن المثال اليونانى أراد أن يصور الجمال ، فتجنب ما يشير الى الجنس .

ولم يزد الفنان القديم على أن احتذى نموذج الطبيعة فى ذلك : فجمال الزهرة فى أوراقها ، وجمال المرأة فى قسمات وجهها وتناسق خطوط جسمها وكأن الخالق الحكيم جعل ما يطيف بالجنس جميلا ، دون الجنس نفسه ، لحكمة أرادها فى اجتذاب الكائن الحى للمحافظة على نوعه ، وشحذ قواه فى سبيل ذلك ، إذ كانت عملية الاخصاب نفسها - مع كونها تتم فى ثوانٍ معدودة - شديدة الاجهاد حتى أنها لتنتهى بالموت عند ذكور بعض الكائنات . على أن طرق الاجتذاب تختلف . فقد تجتذب النحلة رائحة الرحيق (ولو أن دور النحلة فى عملية الاخصاب ميكانيكى محض) ، وقد تجتذب بعض الطيور نغمة خاصة فى صياح الذكر أو الانثى ، وقد تجتذب أجناسا من الحيوان رائحة خاصة لعرق الأنثى فى موسم الاخصاب ، ولايمكننا أن نقول عن واحد من هذه الأحياء إن "الشعور بالجمال هو الذى يدفع الذكر نحو أنثاه ، فالشعور بالجمال قسم من النشاط الشعورى الذى يخص الانسان ويمكنه أن يتحكم فى الغريزة . وهو شعور يلتحق بالمجردات ، ومعلوم أن الايقاع والانسجام - وهما ميدآن لجميع الفنون وإن ظهرا فى الموسيقى على وجه الخصوص - يقومان على نسب هندسية . **فالانسان فى علاقاته الجنسية ميدان صراع بين نزوعه الى قيم الجمال الخالدة وخضوعه لمطالب الغريزة العمياء** . وعله وحده دون سائر الكائنات (جزء من الأمانة التى حمّلها !) أن يوفق بين الاثنين فعزوف الشخص عن الجنس فى بعض الأحيان أمر طبيعى كإقباله عليه فى أحيان أخرى ، وقد حاول بعض علماء الجنس إرجاع هذا الاختلاف الى أسباب طبيعية ، كأختلاف الفصول أو منازل القمر ، وهى اجتهادات لم تثبت ، أما الظاهرة نفسها فلاتحتاج إلى اثبات ..

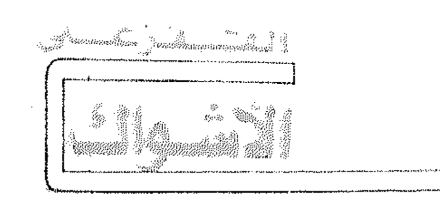
وقد وجدت عبادة الجنس فى بعض الديانات البدائية ، كما وجد تحريم الاتصال الجنسى فى بعض الحالات ، وكما وجب التحريم البات فى الرهبانية . وكان فى روسيا القيصرية فريق من المؤمنين يخصون أنفسهم حتى يقتلوا شهوة الجنس من أصلها . والاسلام لارهبانية فيه ، ولكن القرآن الكريم يمدح سيدنا يحيى بأنه كان حصورا ، أى ممتنعا عن اجابة الشهوات ولا سيما شهوة النساء ، ويحرم الاتصال الجنسى أثناء الاعتكاف والحج .

والحرية الجنسية التى تشاهد اليوم

فى أوربا وأمريكا أمر حادث ، وكأنها رد فعل للعصر الفكتورى الذى اشتهر بالتزمت ، وكانت "بريطانيا العظمى" آنذاك (النصف الثانى من القرن التاسع عشر) نموذجا تحتذيه المجتمعات الغربية كلها . ففى فرنسا مثلا لقب بودلير بالشاعر الملعون ، لأنه صرح فى بعض شعره بوصف جسد المرأة وبشىء من علاقاته الجنسية . ومع ذلك فقد كان دائما الشاعر الممزق بين المثال والاكتئاب . وكانت الأخلاق الفكتورية تسمح للرجل بأن يكون شهوانيا (فلا بد من أحد يتحمل هذا العبء !) أما المرأة فلا يجمل بها أن تظهر أى اهتمام بالجنس ، بل لعل الفكرة السائدة عنها كانت أنها تختلف عن الرجل بحكم الطبيعة (وهو ظن خاطىء مبنى على دور الرجل الإيجابى فى هذا الأمر) ومن ثم فالمرأة ، الشريفة ، لا تسمح بالجنس إلا لمرضاة عشيرها ، وإن كان الرجال نظرا لطبيعتهم الشريرة كثيرا ما يلتمسون شيئا أكثر من هذه الموافقة السلبية لدى النسوة الساقطات .

ولكن هذا العصر كان فى الوقت نفسه عصر " الحب الرومنسى " ، الحب اليائس ، الحب بدون أمل ، الحب الذى يمكننا أن ننظر اليه ، من الناحية الاجتماعية ، على أنه احتجاج باك أمام المظالم الطبقية ولكننا ننظر اليه ، من الناحية النفسية ، على أنه تجريد لعاطفة الحب من أى أرتباطات جنسية . إننا لا نتصور ، بمنطق الواقع ، أن علاقة ارمان بغادة الكاميليا كانت خالية من الجنس ، ولكننا بمنطق الرواية مطالبون بنسيان ذلك . ولم تبدأ الحضارة الغربية فى تصحيح العلاقة بين الحب والجنس إلا فى أواخر القرن ، عندما بدأت دراسة مشكلات الجنس ضمن الأبحاث الطبية ، ولكنها لم تلبث أن تشابكت مع العلوم الانسانية التى وقعت كلها تحت تأثير نظرية النشوء والارتقاء (لم يكن فرويد ممكنا بغير داروين) وهكذا بدأت تسود فى العالم العربى نظرة أكثر واقعية لأمور الحب والجنس والزواج ، نظرة تربط هذه المفاهيم كلها ، وتراها وجوها مختلفة لحقيقة واحدة .

وفى ضوء هذه النظرة العلمية تحدث علماء الجنس عن "فن الحب" اى أن الحب لم يعد فى المفهوم الحديث مرضا يحل بالمرء ، أو مصيبة تنزل عليه ، وهو مسلوب الارادة لايملك لها دفعا ولا صرفا ، بل أصبح فعلا يزاوله بقصد ، ويتوخى أن يتقنه ما أمكن ، مثل كل " فن " وإذا كان المفهوم القديم لنازلة الحب قد بقى فى حديثهم عن " الوقوع فى الغرام " to fall in love او Tomber amoureux فإن المفهوم الحديث قد شاع فى عبارة "عمل الحب" to make love" او faire l'amour إلا أن الشىء الجدير بالالتفات هو أن هذا حب كما أن ذاك حب ، أى أن كلمة الحب أصبحت قادرة على الجمع بين المعنيين : معنى العلاقة الجنسية العابرة ومعنى الانجذاب الشخصى العميق .



ولكن نشوء هذا العلم فى بيئة الأطباء أدى إلى إهمال نسبى لعاطفة الحب - بالقياس الى "فعل" الحب ، فتركت عاطفة الحب ، فى عصر العلم هذا ، لعناية الأغانى الخفيفة ، المائعة ، مما يدخل ، باصطلاح هؤلاء الأطباء ، فى مرحلة التمهيد أو الامتلاء ، التي تعقبها لحظة الاطلاق ، (كما ترى "مطرقة الخازوق " ترتفع قليلا قليلا بفعل ضغط البخار ، ثم تهوى دفعة واحدة على رأس العمود - حسب تشبيه هافلوك اليس) . وطبقا لمبدأ التخصص ، ترك موضوع الزواج أيضا لعناية علماء الاجتماع ، وهؤلاء يبحثون فى مسائل مثل الزواج الناجح وغير الناجح وعلاقة ذلك بالأوضاع الاجتماعية لكلا الزوجين وتأثيره فى الأطفال الخ ، دون أن ينظروا الى علاقته بالحب ، أو حتى بفعل الحب .

وثمة أثر سيىء آخر لنشوء هذا العلم فى بيئة الأطباء ، وهو اهتمامهم المفرط بتصنيف "أفعال" الحب إلى أفعال سوية وأفعال غير سوية ، ولاشك أن الحالات المتطرفة موجودة فى كل شيء . ولكن الطبيعة البشرية تحتمل كثيرا من التنوع ، **ولاسيما إذا تجاوزنا الكلام على "فعل" الحب ، الى الحب ذاته ، بحيث يمكن القول إن لكل انسان طريقته الخاصة فى الحب ، كما أن لكل إنسان طريقته الخاصة فى التدين .**

والعرب الذين كانوا روادا فى فن الحب ، كما كانوا روادا فى الكثير الكثير من فنون الحضارة الحديثة ، عرفوا ذلك حق المعرفة . كان أكثرهم يرون الزواج لازما للتقوى ، كما قال ابن عباس : "لايتم نسك الناسك إلا بالنكاح" . وكان بعضهم يكثرون منه ، ويعلل الغزالى ذلك بأن الشهوة أغلب على مزاج العرب ، وبعضهم لاتحصنه المرأة الواحد فيزيد على الاربع ، وربما أستبدل ، وزعم أن الحسن ابن على تزوج أكثر من مائتى أمرأة ، وكان ربما عقد على أربع فى وقت واحد وربما طلق أربعا فى وقت واحد . وكان الجنيد الصوفى المشهور يقول " احتاج الى الجماع كما أحتاج الى القوت" يرون معاندة الطبيعة لونا من التغرير بالنفس ، وشغلا للقلب بالوساوس . وفى الطرف المقابل نجد من كبار الصوفية ابراهيم بن ادهم يقول : "لا أغر أمرأة بنفسى ، ولا حاجة لى فيهن !" وبشر بن الحارث يعتذر بقوله : "يمنعنى من النكاح قوله تعالى : "ولهن مثل الذى عليهن" .

وكما تختلف طبائع الرجال تختلف طبائع النساء فلا يستقيم فى حال ما يستقيم فى حال أخرى ، أو فى معظم الأحوال . كما روى أن رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : يارسول الله ، إن لى أمرأة لا ترد يد لامس . قال طلقها . فقال : إنى أحبها ، قال : أمسكها !

روى الغزالى هذا الحديث وعلق عليه بقوله : وإنما أمره بإمساكها خوفا عليه أنه اذا طلقها اتبعها نفسه ، وفسد هو أيضا معها .

وهذا الحديث ضعَّفه الحنابلة ، ولكن فيه دليلا على أن رواته ، على الأقل - سلموا بأن للحب أحوالا قد يستسيغ فيها المرء مالا يستساغ !

عـود عـلى بـدء :

حول مذكرات الزعيم سعد زغلول

بقلم : د. أحمد عبد الرحيم مصطفى



أثار لدى نشر الجزء الثانى من مذكرات الزعيم سعد زغلول ، كما اثار نشر الجزء الاول من قبل ، بعض الخواطر التي يتصل بعضها بهذا الزعيم والبعض الآخر بالطريقة التي قدمت بها هذه المذكرات على يد الزميل الدكتور عبد العظيم رمضان ·

اما الزعيم سعد زغلول فقد اصبح، كما اصبح عرابى ومصطفى كامل ومحمد فريد ، ملكا لمصر التى انجبته وللتاريخ والمؤرخين لا لحزب ما أو لكتاب معينين · ولما كنا نعلم ان التاريخ حمال أوجه فمن الطبيعى ان نتوقع الا يجمع المؤرخون على حكم واحد على هذا الزعيم أو ذاك ، وذلك بحكم ان نظرة كل مؤرخ تتأثر بانتماءاته السياسية والاجتماعية وبميوله الشخصية ونوع الفلسفة العامة التى تحكم تقييمه ، ولا نغض الطرف فى هذا المقام عن بعض المصالح الخفية ، وغير الخفية ، التى قد يكون لها أثرها فى توجيه الدراسات توجيها ما ·

أما الفلسفات التى تحكم تقويم الشخصيات البارزة فقد تطورت من

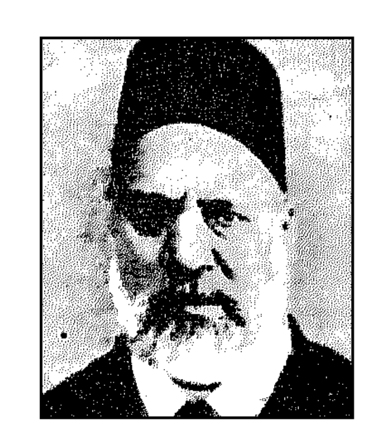
● حول مذكرات سعد زغلول ●

عصر الى عصر : فحتى بروز العاملين الإجتماعي والاقتصادي في تفسير التاريخ كان جل الاهتمام منصبا على القادة والزعماء واقطاب الفكر محورا لنشاطات مجتمعاتهم وعصرهم فيما عرف باسم «العبقريات» التى عبر عنها الكاتب الانجليزى توماس كارلايل في كتابه « الابطال وتقديس الابطال والبطولة في التاريخ » وذهب الى أن التاريخ ليس سوى سجل لهؤلاء الابطال الذين يكفى ظهورهم لتوجيه مجتمعاتهم الى السير وراءهم دون أن يكون لها ادنى تأثير فى حركة التاريخ ولا تزال مجتمعات معينة في العالم الثالث بوجه خاص تأخذ بهذا المنطلق بحيث تعتبر حكامها مبعوثى العناية الالهية للاخذ بيدها هى أن لم يكن بيد الانسانية جمعاء ، وبحيث اذا أوتى أحدهم الاجل المحتوم زلزلت الارض زلزالها ووقفت حركة التاريخ الى حين، انتظارا لظهور مبعوث اخر للعناية الالهية ! ومما ساعد على هذا التوجه تطور وسائل الاعلام مرئية ومسموعة ومقروءة،وهى لاتنفك تطارد الجماهير وتفرض عليها المفاهيم الشمولية المتركزة في شخص زعيم أوحد يخلع عليه من الصفات مايجعله اقرب الى الرسل والقديسين وذلك بحجة بلورة الاماني القومية في شخصه وتقديم نموذج حى من شأنه ان يقرب الى افهام الجماهير المتخلفة التجريدات التي قد يصعب عليها تمثلها . وللحفاظ على هذا النموذج تتوقف حركة النقد ويعتبر من ينقد الزعيم « مهرطقا » تحل عليه اللعنة وأعمال التنكيل جزاء وفاقا لما اقترف قلمه او لسانه وبالتالى لا يطفو على السطح الا من يتبسارون في التغنى بمزايا الزعيم ومآثره ويضفون عليه من الاوصاف ما يجعل منه اسطورة. ..

وفى مثل هذه البلدان الشمولية لا يبرز من المؤرخين سوى من يعبرون عن وجهة النظر الرسمية بحيث تفتقد دراساتهم التوازن والنظرة النقدية الشاملة التى تنزل الزعماء . من مستوى الرسل والقديسين الى مستوى البشر الذين يمشون على قدمين . **ونحن لا نضع زعماءنا في قائمة الرسل «وانصاف الآلهة » ، وانما نقيمهم في اطار عصرهم ونعتبرهم انعكاسا للاوضاع العامة التى تحيط بهم وتؤثر فيهم ـ اذ النظرة الاجتماعية في تفسير التاريخ تعطى الاسبقية للمجتمع لا للزعيم (أ)** . والزعيم الحق هو الذى يتمثل آمال مجتمعه ويحسن التعبير عنها بعد ان تتيح له صفاته العامة ان يتقدم الصفوف . ومن الطبيعى أن يصيب الزعيم ويخطىء ، وعلينا ان نغتفر له بعض اخطائه غير المقصودة حين نقارنها بانجازاته وأهدافه وبالقوى التى تتصدى له وقد ترغمه على الانحراف عن هذه الاهداف ، او تتسبب في فشله والاضرار بالمصالح القومية .

● اتهامات باطلة !

وفى القرن الماضى وأوائل هذا القرن وجهت المطاعن الى الزعيم احمد عرابى وبالتالى الى الثورة العرابية فقيل عنه انه « فلاح » جاهل لم يدرك أبعاد السياسة الدولية وانه اخطأ حين تصدى للسلطة الشرعية بل لقد قيل انه تقاضى من الانجليز رشوة من النقود ، التى بولغ في أمرها فقيل انها كانت نقودا مزيفة ، وذلك فى مقابل ان ينهزم فى موقعة التل الكبير، ووجهت سهام الاتهام الى أولى


احمد عرابى


سعد زغلول


جمال عبد الناصر

الثورات المصرية الكبرى واطلق عليها اسم « هوجة عرابى » وقيل عن الزعيم مصطفى كامل انه خيالى مجنون وقيل مثل ذلك عن محمد عبده وهوجم قاسم أمين فى حياته وبعد مماته ـ وكثير من الاتهامات صدر عن انصار الاحتلال وبعض الفئات الرجعية فى المجتمع المصرى .

وفى التاريخ المعاصر اخذت معاول الهدم توجه الى الزعيم جمال عبد الناصر بعد وفاته ، وحمل هذه المعاول بعض من سبحوا بحمده اثناء حياته وخلعوا عليه من الصفات ما يخلع عادة على زعماء الدول الشمولية .

وأهمها ايطاليا الفاشية والمانيا النازية وروسيا ستالين وخروشوف وبريجنيف وصين ماوتسى تونج . وكانت نتيجة كل هذا مراجعة كتب التاريخ من وقت الى آخر بعد كل تعديل فى القيادة ، وذلك وفقا لتوجهات الحكام الجدد ورغبة فى ارضائهم .

أما سعد زغلول فلا يمكننا ان نقيم دوره فى تاريخ مصر الحديث والمعاصر دون ربطه بكفاح الشعب المصرى خلال القرنين التاسع عشر والعشرين : وهو الكفاح الذى قدمت مصر خلاله مئات ، بل الاف الضحايا دون ان تنثنى لحظة عن العمل على التحرر الوطنى وتحقيق الاستقلال ولهذا فان انفجار الثورة فى عام ١٩١٩ ، وهو الانفجار المفاجىء الذى أذهل بعض المصريين كما أذهل سلطات الاحتلال ، لم يكن حدثا عرضيا ، بل حصيلة كفاح الشعب المصرى المستمر ضد أعتى القوى الاستعمارية فى التاريخ الحديث . فقد عمت الثورة مصر من اقصاها الى اقصاها واشتركت فيها جميع فئات الشعب من اعلاه الى أسفله . ورغم ان اسباب الثورة كانت مختمرة فان السبب المباشر لاشتعالها كان القبض على سعد زغلول ورفاقه ونفيهم الى جزيرة مالطة فى مارس ١٩١٩ . وفى غياب سعد فى مالطة ثم فى باريس نظم المصريون صفوفهم وبرزت قياداتهم ، وتحول سعد الى رمز للثورة وساعده على ذلك ما كان من قوة شخصيته ونشاطه السابق فى الحياة العامة وبلاغته . ولكن اخذ عليه منذ البداية انه كان يضيق بالمعارضة ويسعى الى فرض رايه على زملائه فى الحركة الوطنية وهو الاتجاه الذى ادى الى خروج الكثيرين من « الوفد » وهم لا يقلون وطنية عن سعد واتباعه ، وانقسام الحركة الوطنية الى « زغلوليين » وغير زغلوليين ، بعكس ما حدث فى الهند حيث توفرت للحركة الوطنية زعامة اوسع افقا تمثلت فى المهاتما غاندى الذى حافظ على وحدة حزب المؤتمر حتى تحقق الاستقلال .

● انتقاد مر

ومنذ البدايه سجل بعض معاصرى سعد اخطاءه التى أدت الى انقسام الصفوف والانحراف بالزخم الجماهيرى عن مقاومة الاحتلال الى الصراع الحزبى الضيق الذى عانت منه مصر الكثير فى اعقاب الثورة واستغله الانجليز احسن استغلال او اسوأه . وقد انتقد بعض معاصرى سعد توجهه هذا ، ومنهم عبد العزيز فهمى (٢) الذى يعتبر من أنزه معاصريه واكثرهم وطنية والدكتور محمد حسين هيكل وعبد الرحمن الرافعى حقيقة قد انتمى امثال هؤلاء لاحزاب معارضة للوفد ، الا إنهم كانت لديهم اسباب فعلية تدعوهم الى انتقاد سعد منها محاباته لانصاره وتنكيله بخصومه الذين أسرف فى مهاجمتهم ووصفهم بأنهم « برادع الانجليز » وانهم «جورج الخامس يفاوض جورج الخامس »، علما بأنه هو ذاته قد فاوض ملنر فى أوائل العشرينيات وفاوض رمزى مكدونالد فى عام ١٩٢٤ حين كان رئيسا للوزارة . فكأنه الوطنى الاوحد وكأن الاخرين اقل وطنية ، وبذلك وضع سنة أنه دون المصريين يمثل الشعب ، وهى السنة التى سار عليها حزب الوفد حتى ثورة ١٩٥٢ ، ومن ثم رفضه – هو وخليفته النحاس – اى توحيد للصفوف الا تحت زعامته وبشروطه أيا كانت النتائج .

ويذهب الدكتور عبد العظيم رمضان الى أن المقدمة التى كتبها للجزء الاول من المذكرات قد أثارت ثائرة القوى السياسية التى حاولت اهالة التراب على تاريخ الوفد دون أن يحدد هذه القوى أو الاسباب التى جعلتها تثور بعد نشر هذا الجزء . وهذا القول انما يذكرنى بدون كيخوته وهو يحارب طواحين الهواء ! فتاريخ الوفد قد تمت دراسته فى رسالتين قدمتا الى جامعة عين شمس تحت اشرافى أيضا، ولا توجد عقبة فى وجه من يريد الاطلاع عليهما ، وبالتالى فلا يوجد من يود أن يهيل التراب على تاريخ حزب الوفد أو تاريخ غيره من الاحزاب ، يضاف الى ذلك أن الدكتور عبد العظيم كرر فى تقديمه للجزء الثانى من المذكرات تهجمه على زميل كان قد تقدم برسالتيه للماجستير والدكتوراه عن دور سعد فى السياسة المصرية وذلك لان النهج الذىاتبعه هذا الباحث – الدكتور عبد الخالق لاشين – لم يرض الدكتور عبد العظيم وحزب الوفد الجديد الذى ينتمى هو اليه ويكتب فى صحيفته . وحين قدمت لدراستى لاشين اشرت الى خطورة عبادة البطولة بالنسبة الى الاحياء والاموات ، واضعا نصب عينى ما كان يقال حينئذ عن هذا الزعيم أو ذاك دون أن اقصد سعد زغلول بوجه خاص – اذ كان هدفى هو ارساء النظرة النقدية الموضوعية فى حياتنا العامة سواء بالنسبة الى التاريخ أو الى السياسة المعاصرة ، دون أن أزج بالدراسات العليا فى الكلية فى صخب التوجهات الحزبية الضيقة وما تتضمنه من مغالطات وتجريح وتحريف .

ولطالما اختلفت مع أستاذنا الراحل الدكتور أحمد عزت عبد الكريم حول سعد زغلول بالذات وحول التاريخ المعاصر بوجه عام . فلقد كان أستاذنا شديد الحرص علىالموضوعية التاريخية التى كان يخشى أن تمس نتيجة لتناول الفترات قريبة العهد بنا ، فى الوقت

الذى كان فيه منجذبا عاطفيا الى سعد زغلول الذى صافحه ـ وهو تلميذ ـ فى قنا ، وظل يصف لنا حتى وفاته شعوره وهو يصافح هذا الزعيم السياسى الشهير • وعلى غير قناعة منه وزعت تاريخ أحزابنا السياسية على بعض طلبة الدراسات العليا ، وحين اشترك أستاذنا فى مناقشة رسالتى لاشين عن سعد زغلول كان شديد الوطأة على الممتحن الذى وجه النقد فى مواضع من رسالتيه الى زعيم أستاذنا المحبوب • ورغم ذلك كله سارت القافلة وشقت طريقها دون فرض رأى على الباحثين الناشئين الذين الينا على أنفسنا أن نشرب فيهم حرية الرأى بشرط أن يتحملوا مسئولية استنباطاتهم • ولا أكتم أننى لم أكن مقتنعا بتوجهات أحزاب ما قبل ١٩٥٢ وأننى لم أقر يوما الاساليب الديماجوجية التى سار عليها بعض زعمائنا الذين لعبوا على عواطف جماهيرنا الطيبة ، ولا أقول الساذجة ، دون ان يسعوا الى تربيتها سياسيا واعلاء توجهاتها (٣) •

ومع تقديرى للجهد الذى بذله الدكتور عبد العظيم رمضان فى تحقيق جزئى المذكرات فاننى لا أوافق على بعض ما جاء فى تقديمه لهما وفى التذييل الذى أورده الجزء الثانى • فلقد كنت أفضل له ان يقصر تقديمه على التعريف بالعمل الذى قام به وأن يورد ملحوظاته على جهد الاخرين فى دوريات علمية لان يقصرها على لجان الترقيات ! وقوله ان مقارعة الحجة بالحجة لاتكون الا بين الاكفاء فى الدرجات العلمية والمناصب الجامعية انما هو من قبيل الشطط ، اذ معنى ذلك تقسيم المعرفة تقسيما طبقيا بمعنى أن لا يحاور المدرس الجامعى الا المدرس الجامعى ، ولا يحاور الاستاذ المساعد الا أستاذ مساعد ولا يحاور الاستاذ الا أستاذ مثله وان ليس لكل هؤلاء ان يحاوروا العميد أو العميد السابق الذى هو ـ فى رأيه ـ أعلى درجة ! واذا صح هذا المنطلق ، وهو ليس صحيحا أصلا ، فليس من واجب من هم خارج الجامعة ان يحاوروا أعضاءها التدريسية • فهذا أغرب ما سمعناه عن وضعية الحوار العلمى الذى اعتدناه مفتوح الابواب بغض النظر عن المناصب والالقاب مادام المتحاورون على درجة من المعرفة تؤهلهم له سواء أكان لديهم انتاج علمى غزير أو لم يكن ـ فما أكثر الانتاج الذى لا يضيف شيئا ذا بال ، وما أقل الاعمال المتميزة فى هذا الزمان الذى غلب فيه الكم على الكيف •

وأخيرا فنحن فى انتظار الاجزاء التالية من مذكرات سعد زغلول التى لا شك ستضيف الكثير الى تاريخ مصر الحديث خاصة وأن كاتبها قد سطرها على شكل يوميات ـ لا ذكريات ـ واودعها اراءه الصريحة بالاحداث والاشخاص حتى ولو على حساب نفسه ونود أن لا يورد المحقق هذه الاجزاء تعريضا بالاخرين حتى لا يشوه الجهد المبذول فى تحقيقها • فالدراسة العلمية لها من المواصفات ما يختلف عن الصحافة اليومية والدعايات الحزبية •

---

(١) راجع كتاب بليخانوف : دور الفرد فى التاريخ •

(٢) راجع مذكراته •

(٣) راجع نقدى لاحزابنا السياسية القديمة فى كتابى عن « توفيق الحكيم ـ أفكاره ، آثاره » الذى نشر فى عام ١٩٥٢ •

بين صراع الأفكار والحرب الفكرية

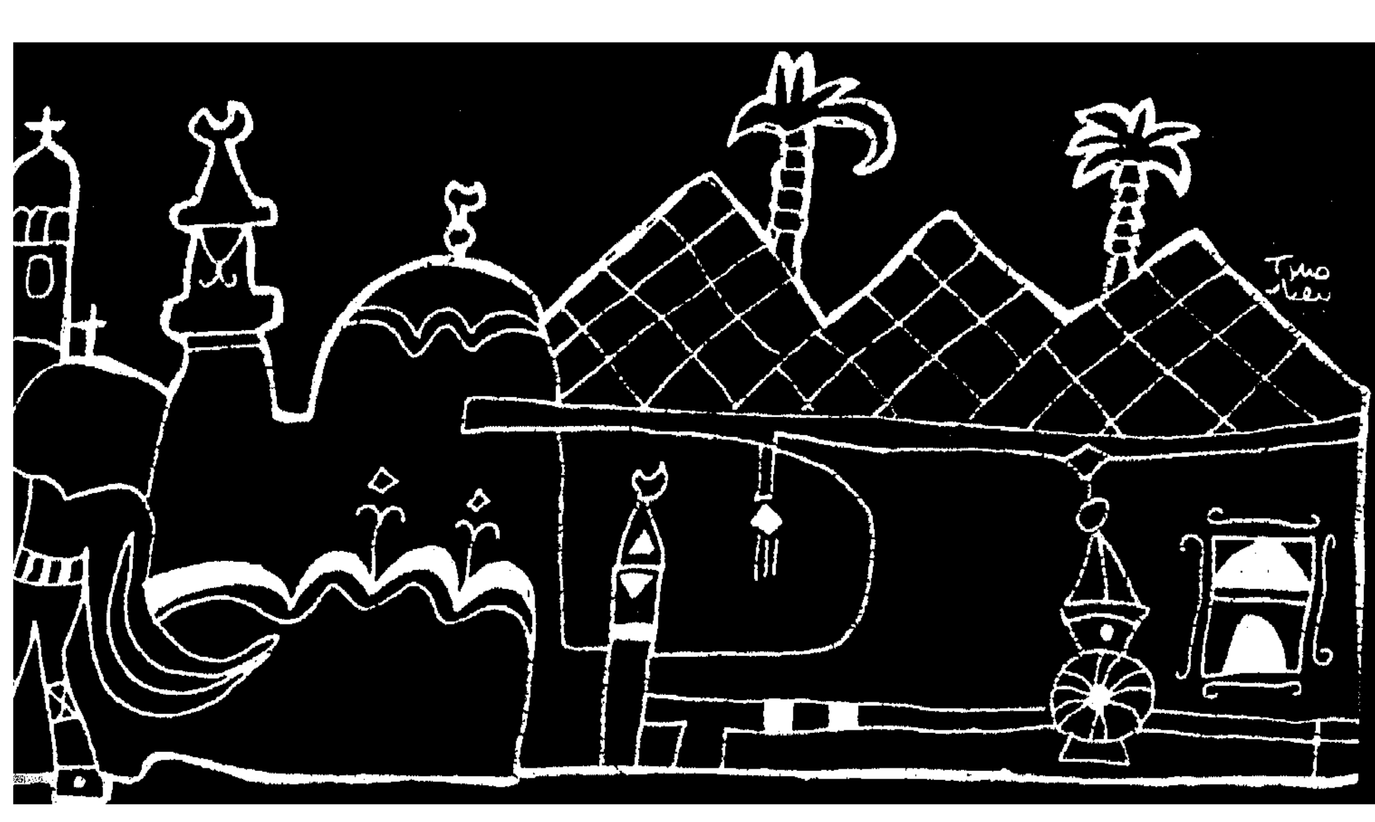
بقلم: مصطفى الحسيني

ولقد كنا امة حصيفة

فما ان وقعت بنا تلك الهزيمة الكبرى في ١٩٦٧ ، حتى رحنا نفتش في داخلنا عن ماعساه يكون فينا ، اوردنا ذاك المورد .

على انه مالبثت ان عصفت بنا وبألبابنا جيوش غير مرئية اسلحتها من سموم الافكار .

فخرج علينا من صفوفنا من يتباهون باننا « بناة الاهرام » ثم يسفهون ما بنينا إبان سعينا الى النهضة ، يسفهون السد العالي والصناعة وانتشار التعليم ، واى منها اجدى لنا من الاهرام بل وانفع مما كانت لمن بنوها .



ومن يسمون ذودنا عن الوطن مغـامرة وحمـاقة ، ويسمـون تضحياتنا تبذيرا .

وتصدّر منابر للرأى والتعبير نفر من هؤلاء .

ومن يتباهون بأننا "قهرنا الصليبيين" ثم يجعلون من « الظاهر بيبرس » و « قطز » موضوعا للهزل الهزيل فى تمثيليات تليفزيونية كتبها وقدمها واجازها نفر بضاعتهم الجهل و التجهيل ، هذا ان اخذنا انفسنا بحسن الظن والنية .

ومن هذه البذور المسمومة ، انتشرت « قيم شعبية » خطرة على رغم مايبدو فيها من هزل أو من مرح .

قيم من قبيل الهتاف فى مناسبة وفى غير مناسبة « المصريين اهم » . دون ان يفكر الهاتفون والمرددون فى ان يسألوا أنفسهم : « وماذا يفعلون » ؟ ...

ومن قبيل المزاح بالمباهاة مثل القول : « احنا اللى خرمنا التعريفة » أو « احنا اللى دهنا الهوا دوكو » . ولم يخطر على بال احد أن هذه الترديدات ـ على مايبدو فيها من مرح ساذج ـ اعلان الافتقار الى المنجزات والمآثر .

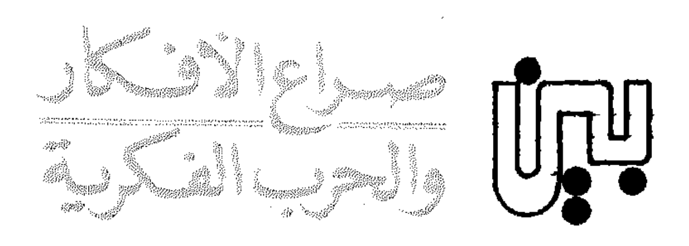
ومن قبيل ماتنشره صحفنا بجدية ورصانة مضحكتين ومؤلمتين معا عن « الفهود المصريين » ، فتروى قصة مصرى فى بلد عربى اندفع بين سيارات مسرعة لينقذ عجوزا تعثر ، أو قصة شاب قفز إلى النيل بثيابه الكاملة لينقذ طفلة سقطت فيه .

ولاشك ان الافراد الذين فعلوا هذا شجعان ذوو نخوة وشهامة . وشجاعتهم ونخوتهم وشهامتهم هى بعض خلق فاضل تميز به هذا الشعب .

لكن مايدل عليه هذا التباهي هو اننا لم نعد نجد في حياتنا ما نفخر به من تعبيرات هذا الشعب سوى هذه الافعال العارضة .

بل ولعل من يروجون لهذه الحوادث ولقصص « الفهود » ـ ودون ان يدروا ـ يخدعون انفسهم ويخدعون الجمهور معهم عن عادات البلادة وضعف الحس العام والخاص التي تنتشر في حياتنا .





وليست هذه الامثلة من قبيل التفاصيل ، وليس ايرادها من باب المبالغة فى دلالتها . فما الحياة الا تفاصيل ، تفاصيل ، ومنها يتكون نسيجها ، وبقدر رثاثة التفاصيل يكون ترهل النسيج .

هذه المباهاة الكاذبة هى اعلان عن الفقر .

وهو اخطر الفقر ، لانه فقر الثقة بالنفس ، افرادا وجماعة . ولا يأتى فقر الامم الى الثقة بنفسها اكثر مما يأتى من تدهور الوعى بقيمة الوطن ، ومن تمزق العقيدة الجامعة الدافعة لابنائه .

وهذا هو الذى يجعل الحرب الفكرية لاقرار قيمة الوطن والحفاظ على عقيدة ابنائه الجامعة الدافعة ، فرضا على المشتغلين بالفكر والرأى ، حتى تستقر قيمة الوطن والعقيدة الجامعة الدافعة للمواطنين ، خارج صراع الافكار المشروع ، وشرطا له .

فما بالنا اذا كان بعض ما يجرى عدوانا صريحا على هذا الحرم ؟

ـ ٢ ـ

لماذا القول بان "قيمة الوطن والعقيدة الجامعة الدافعة لابنائه" يجب ان تبقى خارج دائرة الصراع الفكرى المشروع ، ومهما احتدم هذا الصراع ؟

والاعتقاد المستقر ان الجواب بديهى :

"لانه لا قيمة ولادورا ولاوجودا حقيقيا لجماعة بشرية ان كانت تفتقر الى الوطن كوجود مادى ، او الايمان به وبتميزه ـ اى امتيازه النسبى واولويته على غيره عند الجماعة كوجود معنوى . ولا يبقى وطن ويتعزز دون جهد ابنائه المنتمين اليه ـ عقولهم وسواعدهم ووجدانهم ـ مُسخَّرة لاعماره وبنائه وانمائه ، وكلها اضافة الى دمائهم للذود عنه ، ولا يتحقق هذا او شىء منه دون عقيدة دافعة وجامعة »

لكن تواريخ الاوطان والامم قد تعرف غير ذلك ، ففى ازمنة الهزات والزلازل التى قد تصيب الامم ، يحدث احيانا ان تختلط الامور ، وتهتز البديهيات ، فنجد الامم انفسها وهى تسأل انفسها : من نحن ؟ وبماذا نعتقد ؟ وماذا نريد ؟

ولقد شهد تاريخنا المعاصر شيئا من ذلك تميز بالعمق والقسوة متمثلا فى الهزيمة العربية امام اسرائيل فى حرب ١٩٦٧ .. وربما زاد من قسوتها انها أتت فى خضم موجة من الثقة بالنفس وبالمستقبل ولعلها كانت ثقة بالنفس مفرطة وغير بصيرة .

وان كانت لمرير الهزائم فوائد ، فالفائدة التى كانت ترتجى من هزيمتنا فى ١٩٦٧ ، هى بالذات ان تكسر من افراط هذه الثقة بالنفس وان تجلو بصيرتها . كان المرتجى ان نتعلم منها ان حد السيف يكذب مهما كان مرهفا وصقيلا ، وان الرمح يطيش مهما كان ثقيفا ، طالما اليد كليلة والبصر زائغ والوعى مدخول والفؤاد ذاهل .

فى اعقاب الهزائم الكبرى ، وفى باب مراجعة النفس ، تدخل الى حلبة الصراع الفكرى الموضوعات التى لم يكن يجوز ان تدخل ويصبح كل شىء تقريبا مادة

مشروعة للمناقشة والجدل . انما "كل شيء تقريبا" ، لا "كل شيء على اطلاقه" .

ففيما يتصل بالوطن وقيمته ، يدخل الى حلبة الصراع مدى وضوح ادراكنا لقيمته ، وكيفية تعاملنا مع هذه القيمة ، وصحة ادراكنا لقدراته وكيفية استخدامنا لهذه القدرات .

انما ليست هوية الوطن ولا قيمته . فهذه تبقى خارج ماهو مشروع في المناقشة .

وفيما يتصل بالعقيدة التي تجمع ابناءه وتدفعهم ، تدخل الى المناقشة المشروعة ترتيب اهمية عناصر هذه العقيدة ، ومدى السداد او التقصير في استنباط طاقتها واطلاقها .

انما ليست مكونات العقيدة ، فضلا عن القول بالحاجة الى استبدالها بعقيدة اخرى .

فالاوطان تتكون تاريخيا ، وخلال عملية التكون يكتسب الوطن قيمته عند ابنائه ، ولا تتوقف عملية التكون التاريخي ، انما هي تستقر على اسس رواسخ ، تستوعب ما يتجانس معها ويضيف اليها من المستحدثات والمستجدات ، وتلفظ ما عداها . اما الاسس الرواسخ فتبقى هي قيمة الوطن اما العقيدة التي تجمع ابناء الوطن وتدفعهم ، فلا يختارها افرادهم او قادتهم او اهل الصفوة منهم ، انما يستنبطونها استنباطا صحيحا من تاريخ ابناء الوطن فاعلين في تربته وفي سبيل اعماره ونمائه ، باذلين في سبيل الحفاظ عليه .

وما يحكم اصول هذه العقيدة يماثل ما يحكم صيرورة المادة في الطبيعة ، فان كانت المادة لا تفنى ولا تستحدث فإن العقيدة الجامعة الدافعة لابناء الوطن لا تستورد ولا تستجلب ، فضلا عن انها لا تهلك ولا تتقادم ولا يعفو عليها الزمن . يسرى هذا على العقيدة بكيانها المتكامل مثلما يسرى على كل من مكوناتها . انما هذه العقيدة بتمامها وبمكوناتها ، يجرى عليها التطور والتحور ، بالاكتساب وبالاسقاط خضوعا لقانون الزمن وفعله ، وتبقى المكونات ثوابت الا ما يتغير من اوزانها النسبية في مجمل العقيدة ، على نحو ما يجرى في تفاعل عناصر المادة في الطبيعة . وفي سياق هذا كله ومجراه ، فإن ما يدخل عليها منافيا لها لا يبقى ، رواسخها واصولها تلفظه .

وبالطبع ، لا يعني هذا ان هذه العقيدة تتكون وتنمو منغلقة على انفسها ، انما تتكون هذه العقيدة وبعض مكوناتها ات اليها من غيرها تهضمه وتتمثله ، وتتوقف قدرة المكونات الوافدة على البقاء على قابليتها لان تنهضم وتتحول الى بعض ماء الحياة . كذلك فإن قدرة الامم على الاستفادة من معارف غيرها ومآثرهم تتوقف على قابلية هذه المعارف والمآثر على الاندماج في مكونات عقائدها والتوحد فيها ، كما تتوقف على قدرة الامم على ما تتلقى من هذه المعارف والمآثر . كما تتوقف على قدرة الامم على ان تعطى غيرها من معارفها ومآثرها حتى يتحول التلقى الى تلاقح . فبهذا تقوم كرامة الامم وتصان ، وبه تنمو حضارتها وتزدهر .

فالامة ان عولت في معارفها على سواها ، اضاعت على نفسها وبنفسها القدرة على الاتيان بالمآثر ، وان عولت في قيمها على تقليد من عداها تعذر عليها الادعاء بالكرامة وضيعت احترام نفسها مهما تباهت ، فلن يكون هذا الا خواء ، خواء .

بين صراع الأفكار والحرب الفكرية

وفى هذا كله لا خير ولا نماء ، ولا مستقبل .

— ٣ —

اذا تأملنا قيمة الوطن عند مواطنيه ، وجدناها مع العقيدة التى تجمعهم وتدفعهم كلا لا يتجزأ ، بل يستحيل ان تجرى عليه التجزئة حتى ولو كانت لغرض المناقشة والبحث .

فقيمة الوطن تتركز فى تعريفه . وتعريفه يتكون اجمالا من جغرافيته وتاريخه ممتزجين ، وبهذا الامتزاج لا تعود الجغرافيا "طبيعة صامتة" ، وبه تتسع الجغرافيا بواسطة روابط التاريخ ، والتاريخ هو مادة العقيدة الجامعة الدافعة فهو المصدر الصحيح الذى لاصحيح غيره لوجدان المواطنين وقيمهم ، وهذا الوجدان هو الوعاء المنضبط لعقيدتهم يتسع لها دون سواها ، ومالا يتسع له الوجدان الجمعى للامة فشأنه شأن ما يلفظ الجسم الحى من فضلات

فإن نظرنا الى تاريخنا — نحن المصريين — فى هذا الضوء ، وجدنا هذا التاريخ فرعونيا — هيللينيا — مسيحيا — اسلاميا ، وعربيا ، وان نظرنا الى هذا التاريخ بهذه المكونات ، واردنا النظر الصحيح ، فعلينا ان ننظر الى سبيكته ، لا ان ننحرف بنظرنا الى واحد او اخر من المعادن التى صاغت السبيكة . وعلينا ان ننظر — وفى الوقت ذاته — الى هذه المعادن كى نتبين القيمة النسبية لكل منها فى هذه السبيكة ، ولقد نجد ان اقلها اسهاما فى التكون ألتاريخى للوجدان المصرى هما الفرعونية والهللينية ، لم يندثرا وانما بقى منهما ما استطاعت المسيحية المصرية والاسلام والعروبة هضمه واستيعابه ، وقد نقر بدور من هذا التاريخ الحديث طفت على سطحه بعض الاستعارات والتأثيرات الهللينية بفعل البعثات التعليمية المصرية الى الخارج ، كما بفعل بعثات التبشير الثقافى الى الداخل ، كما بفعل ظروف نشأة الحركة القومية العربية الحديثة ، التى بزغت وفيها بذور من محاولة الرد على تخلف الدولة العثمانية وتهاتكها وتآكلها بالانسلاخ عنها ، فتأثرت فى ذلك بفكر الحركات القومية الاوروبية ، كما تأثرت بالتشجيع الخبيث الذى قدمته لها فى البداية الدول الاستعمارية الاوروبية قبل ان تنقلب ضدها فيما بعد .

هذا النظر الى سبيكتنا التاريخية يكشف عن ان جوهرها وجل مكوناتها هى معادن المسيحية والاسلام والعروبة ، وانما يؤخذ كل من هذه المعادن على نحو خاص ومتميز .

فالمسيحية عندنا مسيحية شرقية او مسيحية اصيلة ، فقد تبنتها مصر على نحو ما تلقتها من السيد المسيح ، وجعلتها «عقيدة وطنية» تواجه بها الحكم الرومانى ، وحافظت عليها «تعطى ما لقيصر لقيصر ، وماالله لله » بينما اعتنقتها الدولة الرومانية لتعطى "مالقيصر لقيصر وماالله لقيصر »

وفى هذا الفارق امران لهما مغزى اى

معزى فى حياتنا الوجدانية المعاصرة . الامر الاول ان كون المسيحية الشرقية استمسكت بأن « تعطى مالقيصر لقيصر وما لله لله» ساعد على اقامة اقوى الروابط بينها وبين الاسلام عندما وفد اليها ، فالاسلام ، من ناحية جعل من السلطة الزمنية مرشدا للناس ورقيبا عليهم فى "اعطاء ما لله لله" ، ومن ناحية اقر حقوق الناس المستحقة من بين عمد حقوق الله على الناس محكومين وحاكمين ، اما الامر الثاني فموجزه ان هذا الفرق المهم بين المسيحية الشرقية والمسيحية الرومانية يعيننا على فرز ماهو غث وما هو ثمين فى فكرة "العلمانية" التي وردت الينا ضمن ماورد من فكر هلليني ، فأصول هذا الفكر مسيحية غربية ، وهى خلاف ماعندنا فى المسيحية الشرقية التى ترابطت وتمازجت وتلاقحت مع الاسلام .

والاسلام في مصر نأى به التاريخ عن ان يكون اسلام مذاهب ولا اسلام طوائف ، حتى ان المسلم المصرى العادى لا يكاد يعرف انه مسلم سنى ، فان عرف لا يكاد يعرف ان كان شافعيا او مالكيا او حنفيا او حنبليا ، وهو ينزل الخلفاء ابا بكر وعمر وعثمان وعليا منزلة واحدة ، ولم تدخل الى تاريخه عقلية التفتيش لا فى ضمائر الناس ولافيما بينهم وبين الله ، عندما عرف الاسلام فى اصقاع اخرى هذه العقلية ، هو اسلام ان "لكم دينكم ولى دين» وهو اسلام الدعوة « بالحسنى والموعظة الحسنة » ، كما انه اسلام الاندماج فى المسلمين ومعهم ، لا اسلام الانسلاخ الذى عرفته اطراف من ديار الاسلام ، الا ما وفد الينا فى العقدين الاخيرين من افكار التفتيش والانسلاخ ويتصل فرز هذا الوافد على قاعدة من الاصول الاسلامية اوثق الاتصال ايضا بحياتنا الوجدانية ، وبحياتنا الاجتماعية المعاصرة .

كما ان الاسلام فى تاريخ مصر بقى هو اسلام الناس الساعين الى ارزاقهم باعمار الديار ، وهو باق كذلك ، رغم ما يبدو على سطح حياتنا الراهنة من "ازياء" اسلامية مجلوبة من بلدان الثروات المفاجئة تستر فحش المال وجشعه بدعوى احتشام الثياب ، وتحل المضاربة على مال المسلمين فى غير ديار المسلمين بينما لا توفى العمل حقه ولا تؤتى العاملين حقوقهم . وبينما تسهم فى اعمار "دار الحرب" بما هبط عليها من ثروات بقدر ما تسهم فى خراب "دار الاسلام" بحرمانها مما هو فىء للمسلمين .

ولقد نقول ان المسيحية والاسلام كما عرفهما التاريخ المصرى لم يتنازعا لان لهما هذا الوصف المميز ، فلا الكنيسة الارثوذكسية نازعت يوما الدولة الاسلامية شرعيتها ولا الدولة الاسلامية انكرت على الكنيسة وصف "الراعى الصالح" لشعبها ، بدوره ومسؤليته

اما العروبة ، كواحد من معادن سبيكة التاريخ المصرى فلم تكن "مغامرة سياسية ناصرية" كما يتردد على مسامعنا فى زماننا الاخير . فقد عرف المصريون العروبة فى وعاء اللغة العربية وتراثها قرونا وقرونا ، كما عرفوها تعريفا لذواتهم وتمييزا لانفسهم عن الاجناس الوافدة التى حكم بعضها هذه البلاد ازمانا ، هضمت فيها عروبة البلاد هذه الاجناس وجعلتهم يُعرِّفون ذاتهم كما يعرِّف المصريون انفسهم ، ولقد تداول المصريون ـ مثلا ـ قولا شعبيا مأثورا يقول ان "ظلم الترك ولا عدل العرب" عندما استبدل محمد على بجباة الضرائب الاتراك

جباة مصريين ، كانوا اكثر دراية بما يحتال به الفلاح الفقير على الحكومة واكثر حنكة فى التعامل معه لحساب الدولة التى هم عمالها ، وكان هذا قبل « المغامرة السياسية الناصرية » بأكثر من قرن .

كما عرف المصريون العروبة اتصالا بشريا وامتزاجا ، عرفوها قبائل هاجرت الى مصر ، وعرفوها جنودا سُرِّحوا فى نهايات الحروب فاستقروا حيث كانوا يقاتلون ، وعرفوها ملاحين استوطنوا موانىء عربية بعيدة جمعتهم الى اهلها وحدة اللغة والثقافة والوجدان ، وعرفوها قوافل جاءت تتاجر وترحل ففرَّت واستقرت ، وعرفوها حجيجا اختار ان يثوى فى تراب وطئته اقدام الرسول ﷺ واله وصحبه اجمعين .

وفوق هذا عرفوها مدارس واوقافا « تقوم على خدمة اللغة والدين » ، كما ادركوها فى ساحات القتال اكتمالا لأمنهم وإكمالا لأمن العرب جميعا ، بل ان جمال عبدالناصر نفسه ادركها عندما ادرك ان فشل نابليون بونابرت على ابواب عكا ، كان حاسما فى انكسار الغزو الفرنسى لمصر واستقراره .

هذه السبيكة التاريخية المصرية هى التى اعطت الجغرافيا حيويتها ومداها ، لهذا رأينا الاراضى الواقعة شرق البحر المتوسط حتى شط العرب وجبال زاجروس ، والى الجنوب من جبال طوروس ، وامتدادها جنوب هذا البحر تحت ضفاف افريقيا الزنجية وحتى بحر العرب هى الموطن المستقر للمسيحية الارثوذكسية والاسلام العربى معا ، مع امتداد هذه العقيدة المسبوكة عبر المضايق الجنوبية الى جوار ساحل شرق افريقيا ، ولا استثناء يعتد به لهذه الحدود الوطنية سوى الكنيسة الارثوذكسية الروسية التى كانت هبة كنيسة انطاكية لشرق اوربا .

وفى هذا المدى الجغرافى يقع الوطن وتستقر عقيدته .

- • -

نحن ان نظرنا الى سبيكة الجغرافيا والتاريخ وما كوّنا من عقيدة على هذا النحو ، عرفنا معنى الوطن وادركنا كنه العقيدة الجامعة الدافعة لابنائه .

وعرفنا ايضا ان اختزال الوطن والعقيدة معا او اى منهما الى ماهو دون ذلك تجديف بالوطن وقذف فى حق المواطنين .

وهو ما يخرج عن دائرة الصراع الفكرى ، ويوجب ان تشن عليه حرب فكرية لا هوادة فيها .

يستوى فى استحقاق هذه الحرب ، الذين يريدون اختزال الوطن المصرى الى مراجعه الفرعونية البعيدة ، مع الذين يبذرون تنافيا بين المسيحية الشرقية والاسلام ، او بين الاسلام والعروبة .

فالمروجون للفرعونية يهبطون بانتماء المصريين الى مستوى اثرى (اركيولوجى) لم تعد له فى هذه الحياة حياة ، ويمزقون الامتداد التاريخى للجغرافيا المصرية اشلاء ، ويقيمون دعوة عدم شرعية الفتح

الاسلامى لمصر وما يجاورها ويتصل بها ، ويسعون لفصم العرى بين المصريين وبين بقية اهلهم .

بل ولعلهم يقدمون شرعية مجانية لدعوى اليهود الوافدين من اوربا وامريكا بحقهم فى فلسطين ، فهذه الدعوى ليس لها من سند -الى ما يدخل فى باب العلوم الاثرية ، فإذا اقمنا دعوى مصرية المصريين على مراجعهم الفرعونية ، ترتب عليها اقرار مماثل وملزم بفلسطينية يهود بولندا وروسيا وغيرهما .

والمروجون للتنافى بين المسيحية الشرقية والاسلام - ان كانوا يريدون او لا يريدون - يحاولون قصم ظهر امة تكونت تاريخيا بالنماذج لابمجرد التعايش ، وينكرون من الاسلام سماحته وطاقته الفائقة على "التأليف بين القلوب" .

وينسبون المسيحيين العرب - فى عامتهم - الى كنيسة وحضارة انكرتهم وحاربتهم واضطهدتهم واوقعت بهم الحيف .

اما اصحاب التنافى بين الاسلام والعروبة على اختلاف المواقع والفرق ، فهم بين الذين يحاولون ان يمدوا ما لايمتد والذين يحاولون طى ما لا يطوى .

الذين يحاولون مد ما لايمتد هم الذين ينفون العروبة بالاسلام . فان قبلنا دعواهم ، وجدنا انفسنا ابناء انتماء مفصوم ، ننتسب الى امة لا تقدر على التواصل بالكلمة واللسان ، ولا يعقد لواءها سوى وجه العبادات من الدين الحنيف ، لان اسلام الملايين غير العربية من تلك الامة المتوهمة استمد حياته التاريخية من حضارة غير الحضارة وبلغات خلاف اللغة .

والذين يحاولون طى ما لا يطوى هم الذين يكتفون بالعروبة دون الاسلام ، فان قبلنا دعواهم خلصنا الى عروبة بلا روح وبلا تاريخ مشترك ، فما هو موثق متيقن من تارخ العروبة قد حدث وجرى ونما وانتصر وانتكس وانتسك وانجبر وقام فى حضن الاسلام .

- ٥ -

على هذه الاسس يدعو هذا المقال الى حرب فكرية ضد من يغمطون سبيكتنا التاريخية حقها ، ويهيلون فوقها الصدأ .

وهى حرب فكرية مفروضة على القابلين بهذه السبيكة التاريخية جميعا ، على خلافاتهم فى تفسير عناصرها ، وفيما يختلفون فيه من مذاهب فى غلبة عنصر على عنصر من مكوناتها الغالبة : الاسلام والعروبة والمسيحية الشرقية .

وهم فى هذا - وبالضرورة - جبهة واحدة ، تتصارع فكريا فى داخلها ، وتقاتل من هم خارجها من دعاة استبدال الهوية ، ايا كانت دعاواهم .



صعود وسقوط القوى العظمى

عرض وتقديم :
د. السيد أمين شلبى

يعالج كتاب بول كنيدى آلية قيام وانهيار القوى العظمى ، وقد أثار الكتاب اهتماما واسعا ، وعقد الكونجرس الأمريكى جلسات خاصة لمناقشة ما انتهى إليه من حقائق ونظريات ، وفرض نفسه على الجدل القائم فى حملة انتخابات الرئاسة الأمريكية بين كل من دوكاكيس وبوش .

وتعالج هذه الحلقة مستقبل اليابان وقد عالج بول كنيدى المأزق اليابانى بقوله :

"من الحقائق التى استقرت حول أسباب ظاهرة النجاح الاقتصادى اليابانى ، هو توجيه مواردها القومية من الانفاق الدفاعى والتوسع العسكرى الى النمو الاقتصادى المستمر والتصدير ، هذا فضلا عن خصائص شعبها والسياسات الاقتصادية التى اتبعتها" .

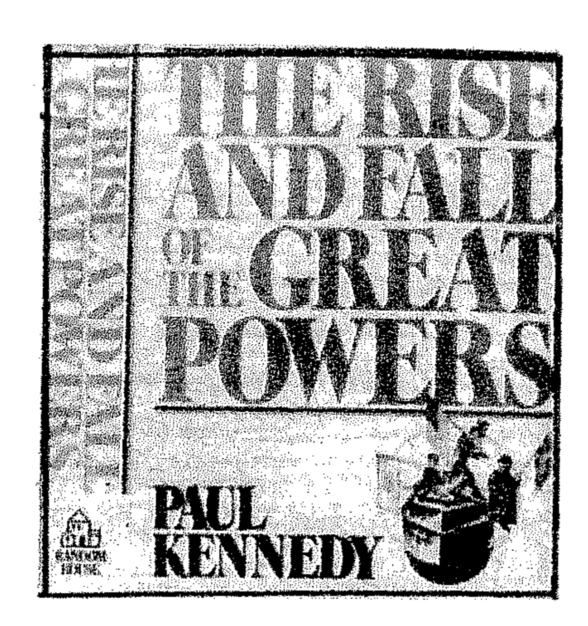
● وحيث أن نجاح اليابان الراهن يكمن بشكل خاص فى الحقل الاقتصادى ، فإن هذا الحقل بالذات هو من أكثر المجالات التى تثير قلق طوكيو اليوم . فمن ناحية فإن النموين الاقتصادى والتكنولوجى يقدمان جوائز متألقة للبلد الذى يقف اقتصاده فى أفضل المراكز بالنسبة للقرن الواحد والعشرين ، ولكن من ناحية أخرى فإن نفس هذا النجاح قد أثار بالفعل ردود فعل ضد توسعها التصديرى ويأتى رد الفعل هذا

المتحدة مع اليابان ـ ٦٢ بليون دولار فى البسنة المالية المنتهية فى ٣١ مارس ١٩٨٦ ـ والضغوط من الصناعات الأمريكية المحاصرة التى تحملت عبء واشنطون بإجراءات لحفظ عدم التوازن مثل تشجيع ارتفاع قيمة سعر الصرف للين ، وزيادة كبيرة للصادرات الأمريكية لليابان .. وهكذا ...

● انخفاض معدل النمو

كل هذا فى اعتقاد البعض قد يؤدى الى إنهاء الازدهار التصديرى اليابانى ، وتراجع فى فائض مدفوعاتها وانقاص معدل نموها . يضاف الى هذا ما ينبه اليه البعض من أن مايقلق اليابان اليوم ليس فقط اقتصادها الذى وصل الى مرحلة النضج وانما أيضا هيكل العمر الزمنى لسكانها ، فمع حلول عام ٢٠١٠ سيكون لليابان اقل معدل من السكان فى سن العمل (مابين ١٥ ـ ٦٤) بين الأمم الصناعية المتقدمة ، الأمر الذى سيتطلب منها تخصيص جانب كبير للتأمينات الاجتماعية ، وقد يؤدى الى فقد الاقتصاد اليابانى لديناميكيته .

ورغم انه قد يكون من الحقيقى أن معدل النمو اليابانى بدأ ينخفض بدخولها مرحلة النضج ، وانه من المؤكد أن دولا أخرى لن تسمح لليابان بأن تحتفظ بمزاياها الاقتصادية التى ساعدت قدرتها التصديرية السابقة ، رغم هذا تظل هناك اسباب جوهرية تفسر امكانية أن تتوسع اليابان فى المستقبل بشكل أوسع من القوى الكبرى الأخرى .



من تقليد قوى أخرى لليابان وخاصة القوى الآسيوية الطموح أو الجديدة Nic مثل كوريا الجنوبية ، وسنغافورة ، وتايوان ، وتايلاند والصين نفسها وجميع هذه الاقطار تنتج وتتمتع بعمالة منخفضة التكاليف عن اليابان .
أما رد الفعل الثانى والاكبر إزعاجا لليابان فهو رد الفعل العدائى المتزايد من جانب الأمركيين والأوربيين إزاء التغلغل القاسى للمنتجات اليابانية لأسواقهم الداخلية . وبسبب الاعتقاد الأمريكى فى مبدأ التجارة الحرة ، فقد ترددت الادارات الأمريكية فى منع أو تحديد الواردات اليابانية ، إلا ان اكثر المتحمسين لمبدأ حرية التجارة بدعوا يشعرون بالضيق إزاء تزويد الولايات المتحدة المستمر لليابان الأمر الذى جعل الولايات المتحدة فى مكانة المستعمرة أو الدولة الأقل تقدما الأمر الذى لم تعرفه لمدة قرن ونصف . كذلك فإن العجز التجارى المتزايد للولايات

كتاب العصر

ففى المقام الأول ، وباعتبار الاعتماد الضخم لليابان على استيراد المواد الأولية (٩٩ ٪ من بترولها ، ٩٢ ٪ من الحديد ، ١٠٠ ٪ من القصدير) فإنها ستستفيد بشكل ضخم من الشروط المتغيرة للتجارة التى تحققت من أسعار كثير من المواد الأولية وخاصة البترول عام ١٩٨١ والتى وفرت على اليابان بلايين الدولارات كل عام . بالإضافة الى هذا فان أزمة البترول عام ١٩٧٣ قد دفعت باليابان الى البحث عن كل انواع اقتصاديات الطاقة ، ففى الحقبة الأخيرة فقط خفضت اليابان من اعتمادها على البترول بنسبة ٢٥ ٪ كما دفعتها الى البحث عن مصادر جديدة للمواد الأولية . ورغم أن أيا من التطورات السابقة لاتجعل من المؤكد بشكل مطلق ان اليابان تستطيع الاعتماد على تدفق مواد أولية بأسعار منخفضة ، فإن البشائر على ذلك طيبة .

● قوة قائدة

وماهو أكثر أهمية بالنسبة لاتجاهات ومستقبل الاندفاع المستمر للصناعة اليابانية إتجاهها نحو أكثر القطاعات أهمية للاقتصاد فى أوائل القرن الواحد والعشرين الا وهو التكنولوجيا المتقدمة وبعبارة اخرى ، فإن انسحاب اليابان بشكل مستمر من انتاج المنسوجات وبناء السفن ، والصلب تاركة إياها للأقطار ذات العمالة المنخفضة الأسعار ، يعنى بوضوح انها تعتزم ان تكون قوة قائدة ان لم تكن القوة القائدة فى هذه المنتجات المتقدمة علميا ، بل أن انجازاتها قد وصلت بالفعل الى مستوى الأسطورة فى حقل الحاسبات الآلية ، وهو المجال الذى تتحرك فيه اليابان بتصميم نحو آفاق جديدة ابرزها هو أنتاج الجيل الخامس الاكثر تقدما من الـ Sup Ercom Puteis والذى يستطيع ان يعمل اسرع مئات المرات فى كل شيء ابتداء من كسر الشفرات الى تصميم أشكال الطائرات .

أما عنصر القوة الثانى بالنسبة لمستقبل الاقتصاد والإنتاج فهو القدر الضخم والمتزايد من المال المخصص للبحث والتنمية فى اليابان ، .R. L. D فالنسبة المخصصة لهذا المجال من مجموع الناتج القومى اليابانى سوف تتضاعف تقريبا حيث سترتفع من ٢ ٪ عام ١٩٨٠ الى ماهو متوقع من ٣,٥ ٪ عام ١٩٩٠ ومايثير الانتباه أن نسبة كبيرة من الجزء المخصص للبحث والتنمية فى اليابان إنما تقدمه الصناعات بشكل مباشر وليس الحكومات كما هو الحال فى أمريكا وأوربا . وبعبارة أخرى فإن هذه البحوث تتجه مباشرة نحو السوق ، فالعلوم البحتة تترك للآخرين ويلجأ اليها حين تبدو أهميتها التجارية بشكل أوضح .

أما الميزة الأخرى للاقتصاد اليابانى فهو المستوى العالى للمدخرات الوطنية فى اليابان والذى يتضح بمقارنته بالولايات المتحدة ، الامر الذى يفسره الاختلاف فى نظم الضرائب ، فحيث يُشجع فى الولايات المتحدة الأقراض الشخصى والانفاق الاستهلاكى ، فإنها تشجع فى اليابان الادخارات الخاصة ، وكذلك هناك السوق الداخلية المضمونة نظريا للمشروعات اليابانية فى كل شيء تقريبا باستثناء المنتجات المتصلة بالأبهة الاجتماعية وهو الوضع الذى لم تعد تتمتع به حتى المؤسسات الأمريكية .

واخيرا هناك النوعية العالية جدا لقوة العمل اليابانية والتى ينميها ويقف وراءها نظام تعليمى عام ومكثف وايضا نظام تدريبى تقوم به الشركات نفسها . وقد تبدو هناك ندرة فى العلماء اليابانيين الحاصلين على جائزة نوبل ، ولكن اليابان تخرج مهندسين اكثر من أى دولة غربية (٥٠ ٪ اكثر من الولايات المتحدة الأمريكية) كما أن لديها ٧٠٠,٠٠٠ من المشتغلين فى البحوث والتنمية وهو العدد الذى يتفوق على مالدى بريطانيا وفرنسا والمانيا الغربية مجتمعين .. يضاف الى هذا كله الطبيعة الطيعة والمجتهدة لقوة العمل اليابانية والتناسق الذى يسود نظام العلاقات الصناعية حيث هناك دائما سعى لتحقيق توافق فى الآراء وحيث لااضرابات تقريبا ، وساعات عمل أطول ، وتوافق مع روح الجماعة (ابتداء من تمرينات الصباح المبكرة فصاعدا ..) ولأن تقليد المعجزة الصناعية اليابانية سوف يتضمن ليس فقط تقليد هذه القطعة أو تلك من التكنولوجيا أو الادارة اليابانية .. وانما تقليد النظام الاجتماعى اليابانى ، فإن هذا هو الذى يجعل حتى المراقبين الأمريكيين يعتبرون « أن هذا أحدث واكثر التحديات بالنسبة للولايات المتحدة حتى نهاية القرن ... ومنافسة اكثر صعوبة من المنافسة السياسية والعسكرية مع الاتحاد السوفييتى »

● أعلى مستوى معيشى

وكأن عناصر القوة الصناعية تلك لم تكن كافية فقد اضيف اليها بزوغ اليابان السريع المدهش لكى تكون فى مقدمة الدول الدائنة حيث تصدر بلايين الدولارات سنويا . ووفقا للتقديرات فان باقى العالم سيكون مدينا لليابان عام ١٩٩٠ بـ ٥٥٠ بليون دولار ، ومع عام ١٩٩٥ فانه من المتوقع أن تبلغ أرصدة اليابان فى الخارج مايزيد على تراليون دولار ، وليس غريبا أن تصبح البنوك اليابانية بسرعة الأكبر والاكثر نجاحا فى العالم .

والسؤال الآن هو الى أى حد ستكون اليابان قوية فى القرن الواحد والعشرين ؟ اذا ما استبعدنا حربا كبيرة ، أو كارثة بيئية ، أو ركودا عالميا كالذى ساد فى الثلاثينيات وما صحبه من سياسات حمائية ، فالاجابة التى تتفق عليها الآراء هى : اكثر قوة بكثير . ففى مجال الحاسبات والانسان الآلى ، والاتصالات السلكية واللاسلكية ، والسيارات والقاطرات والبواخر ، وربما التكنولوجيا الحيوية Biotechnology ستكون اليابان أما الأمة الأولى أو الثانية . وفى النواحى المالية ، فستكون اليابان قوة متفردة . فالتقارير تشير بالفعل إلى ان نصيب الفرد اليابانى من مجموع الدخل القومى قد تعدى الولايات المتحدة وغرب أوربا الأمر الذى يجعل لها اعلى مستوى معيشى فى العالم . اما ماسيكون عليه نصيبها من ناتج مجموع الانتاج العالمى فهو من المستحيل تقريره . غير أن مايستحق أن نذكره أنه فى عام ١٩٥١ كان مجموع الناتج القومى لليابان ثلث بريطانيا و $\frac{1}{20}$ من الولايات المتحدة . على انه فى خلال حقب ثلاث ارتفع إلى ضعف بريطانيا ، ونصف الولايات المتحدة . صحيح ان معدل نموها فى هذه الحقب كان سريعا بشكل غير عادى وبسبب ظروف خاصة ، ومع هذا ، ووفقا لعدد من التقديرات ، فإن الاقتصاد اليابانى مازال

من الممكن ان يتوسع ١,٥ الى ٢ ٪ سنويا اسرع من الاقتصاديات الكبرى الأخرى (فيما عدا الصين) خلال الحقب القادمة . وهذا هو السبب الذى يجعل اقتصاديين مثل هرمان خان وازرا فوجل **يعتبران ان اليابان ستكون القوة الاقتصادية الأولى فى أوائل القرن الواحد والعشرين .**

وايا ماكان مقياس نمو قوة اليابان الاقتصادية الآن وفى المستقبل ، فثمة عاملان لهما السيطرة فى هذا الشأن ، الأول أن اليابان هى أمة منتجة ومزدهرة بشكل كبير وأنها مستمرة على هذا النحو وبشكل اكثر ، اما العامل الثانى ، فهو أن قوتها العسكرية وانفاقها الدفاعى ليس لهما أية علاقة مع مكانتها فى النظام الاقتصادى العالمى . فوفقا لارقام « التوازن الاستراتيجى » لعام ١٩٨٣ تنفق اليابان ١١,٦ بليون دولار على الدفاع مقارنة بـ ٢٤ ـ ٢١ بليون لكل من فرنسا والمانيا الغربية ، وبريطانيا ، ٢٣٩ للولايات المتحدة ، وهكذا فان نصيب مايتحمله الفرد اليابانى للدفاع هو ٩٨ دولار مقارنة بما يتحمله البريطانى من ٤٣٩ ، الأمريكى ١٠٢٣ دولارا .

فإذا ماستجابت اليابان للضغط الأمريكى والغربى لزيادة انفاقها الدفاعى الى المستوى الذى تخصصه دول الناتو من مجموع انتاجها القومى (٣ ـ ٤ ٪) فان هذا التحول سيكون جذريا حيث سيجعل اليابان ـ مع الصين ـ ثالث قوة عسكرية فى العالم بنفقات عسكرية تبلغ ٥٠ بليون دولار سنويا . وليس ثمة شك ، بالنظر الى امكانيات اليابان التكنولوجية والإنتاجية ، من أن فى قدرتها حيث إن فى قدرتها مثلا أن تبنى حاملة قوات لأسطولها ، أو صواريخ طويلة المدى ، كقوة رادعة . وسيكون هذا بالتأكيد ميزة لمؤسسات وطنية مثل ميتسوبيشى ، كما سيمثل قوة مضادة للقوة السوفييتية فى الشرق الأقصى الأمر الذى سيساعد الولايات المتحدة التى تتحمل عبئا دفاعيا فى هذه المنطقة .

على أن ماهو أكثر احتمالا أن يحدث أن طوكيو سوف تحاول أن تتهرب من هذه الضغوط الخارجية أو على الأقل أن تحتفظ بانفاق دفاعى منخفض بالقدر الذى تستطيعه دون أن تثير او تتسبب فى تصدع فى علاقاتها مع واشنطن . وحين تفعل اليابان هذا ، فإنها فى حقيقة الامر ستكون مدفوعة بما قد يثيره أى بناء أو توسع عسكرى يابانى كبير من اعتراضات داخلية واقليمية . فدستورها يمنع إرسال قوات الى الخارج او بيع أسلحة ، بالاضافة الى مايثيره تسلح يابانى ضخم من شكوك وتوتر جيرانها وخاصة موسكو وبكين ، واقطار كانت تخضع من قبل للسيطرة اليابانية ، وهى التى تستجيب بالفعل وبشكل عصبى لأية علامة على احياء العسكرية اليابانية وتحث طوكيو على التركيز على المجالات الانتاجية غير العسكرية لكى تدعم سلام وأمن جنوب شرق آسيا .

● أخطار المستقبل !

غير أن ما يقلق اليابانيين بحق وأن كان نادرا مايناقشونه بشكل علنى هو ما يتعلق بمستقبل توازن القوى فى شرق آسيا ، فالدبلوماسية السلمية المتعددة الجهات قد

تكون صالحة جدا للوقت الحاضر ، ولكن الى أى حد ستكون كذلك إذا ما اضطرت الولايات المتحدة الى أن تسحب التزاماتها من أسيا ، أو وجدت نفسها فى وضع لا يسمح لها بحماية تدفق البترول من المنطقة العربية الى يوكاهوما ، واذا ما نشبت حرب كورية أخرى ، أو بدأت الصين تسيطر فى المنطقة ، وإذا ما قام الاتحاد السوفييتى الذى تتملكه العصبية لتدهور وضعه بأعمال عدوانية . ليس هناك بالطبع سبيل للاجابة على هذه الاسئلة الافتراضية ، ومع هذا فإن الدولة التجارية ذات القوة الدفاعية الصغيرة قد تجد انه مما لا يمكن تجنبه يوما ان تقدم بعض الاجابات ، وكما اكتشفت امما أخرى فى الماضى ، فان الخبرة التجارية ، والثروة المالية قد لا تكفى فى بعض الأحيان فى عالم مضطرب .

المجموعة الأوربية الاقتصادية : الامكانيات ، والمشكلات :

من بين تجمعات القوة الاقتصادية والعسكرية الخمسة فى عالم اليوم ، فان التجمع الوحيد الذى لا يمثل دولة واحدة ذات سيادة Nation State هى أوربا ، وهو الأمر الذى يمثل المشكلة الرئيسية التى تواجه هذه المنطقة وهى تتحرك نحو النظام البازغ للقوى العظمى للقرن الواحد والعشرين . وحتى اذا ما استبعدت مناقشتنا بوضع هذه المنطقة الدول التى تحكمها النظم الشيوعية فى الشرق ، فستكون ازاء مجموعة من الدول تنتمى بعضها لمنظمة حلف الاطلنطى ، وبعضها للمجموعة الاقتصادية الأوربية E . E . C وبعض آخر لا ينتمى الى هذه أو تلك . وبسبب هذه الاختلافات ، فان الحديث هناك سوف يتركز على المجموعة الاقتصادية الأوربية بوجه خاص باعتبار انها المنظمة والكيان الوحيد القائم الذى يحتوى على إمكانية قوة عالمية خامسة .

فمن الواضح أن المجموعة الأوربية الاقتصادية لديها الحجم ، والثروة ، والطاقة الانتاجية لقوة عظمى ، فبانضمام أسبانيا والبرتغال ، بلغ سكان اعضائها الاثنى عشر ٣٢٠ مليونا وهو ما يزيد ٥٠ مليونا على سكان الاتحاد السوفييتى وقرابة ١٠٠ مليون عن الولايات المتحدة ، كما تتميز بسكانها المدربين بشكل عال ، وبمئات الجامعات والكليات وملايين العلماء والمهندسين . ورغم ما يكشف عنه متوسط دخل الفرد من تباين بين المانيا الغربية والبرتغال مثلا ، فهى أغنى بكثير فى المجموع من الاتحاد السوفييتى ، كما أن بعض دولها تفوق من حيث دخل الفرد الولايات المتحدة . وهى الى حد كبير اكبر كتلة تجارية فى العالم رغم ان جانبا كبيرا من هذه التجارة تجرى بين دولها . وربما كان المقياس الأفضل لقوتها الاقتصادية يكمن فى انتاجها من السيارات ، والصلب ، والأسمنت والذى يضعها فى هذه المجالات امام الولايات المتحدة واليابان ، والاتحاد السوفييتى (فيما عدا الصلب) . واعتمادا على الاحصاءات السنوية ، فان مجموع الناتج القومى للمجموعة الاقتصادية الأوربية يوازى تقريبا (فى اعوام ١٩٨٠ ، ١٩٨٦) مجموع الناتج القومى الأمريكى . وهى بالتأكيد اكبر بكثير من الاتحاد السوفييتى ، او اليابان ، أو الصين من حيث نصيبها من مجموع الناتج العالمى .

● فى العدد القادم

● **مستقبل دول السوق الأوربية**

■ قضايا حيوية ■

هنرى كوريل

بين الأسطورة والواقع التاريخى

بقلم: د. رؤوف عباس

في يناير الماضي صدر كتاب « أوراق هنري كوريل والحركة الشيوعية المصرية » الذي قمت فيه بنشر بعض ما استطعت الحصول عليه من أوراقه التي يحتفظ بها بعض رفاقه الذين عملوا معه في باريس . وتستمد هذه الأوراق أهميتها من الدور الذي لعبه صاحبها في الحركة الشيوعية في مصر ، وهي عبارة عن سيرة ذاتية قصيرة خصصها لنشاطه في مصر وبعض التقارير التي كان يرسلها من باريس إلى رفاقه في « حدتو » وهو التنظيم الذي شارك كوريل في اقامته . كما تضمنت الأوراق رسالتين بعث بهما الى نعومى كانل التي كانت مسجونة بمصر . وقدمت لهذه المجموعة من الوثائق بدراسة تحليلية لأبعاد الدور الذي لعبه كوريل في الحركة الشيوعية المصرية ، استنادا إلى أوراقه . وإلى بعض المؤلفات التي تناولت تاريخ الحركة في الأربعينات والخمسينات .

ولما كان الموضوع يتناول دور المنظمين الأجانب من اليهود في الحركة ، ويعرض لجذور منظمة كانت من أهم المنظمات الشيوعية في مصر ، فقد أثار الكتاب اهتمام فصائل اليسار المصرى بمجرد صدوره ، بقدر ما أثار اهتمام المعنيين بدراسة تاريخ مصر المعاصر ، واختلفت مواقف الأطراف المتباينة باختلاف منطلقاتها السياسية ، ومدى القرب من أو البعد عن « حدتو » على وجه الخصوص .

ورغم ذلك لم يحظ الكتاب بمناقشة علمية ـ بمعنى الكلمة ـ الا من جانب الاستاذ طارق البشرى على صفحات « الهلال » الغراء . وكان طبيعيا ان تأتى استجابة د . رفعت السعيد للكتاب سياسية محضة ، فالرجل كان من

مناضلى حدتو ، والكتاب يلقى اضواء على مسائل اسدل عليها رفعت السعيد ستائر كثيفة فى مؤلفاته ، ومن ثم كان مقاله القصير على صفحات « الأهالى » بيانا سياسيا ندد فيه بالكتاب وصاحبه ، مدعيا اغراقه فى الاخطاء التى كان مردها ـ فى رأيه ـ الى موجة « العداء للشيوعية » . وقمت بالرد على « بيان » رفعت السعيد على صفحات الجريدة نفسها ، فاذا به يعود ويكرر نفس الادعاء بأسلوب بعيد تماما عن الحوار العلمى ، ثم اغلقت « الأهالى » باب الحوار . فلم تتح لى ممارسة حقى القانونى فى تفنيد التهم التى كالها رفعت السعيد للكتاب ولنوايا صاحبه ، ولم اهتم ـ من ناحيتى ـ بالرد عليه طالما انه لم يلتزم باداب واصول الحوار العلمى الذى يقرع الحجة بالحجة ، وخاصة ان الموضوع يستند الى وثائق دامغة يتضمنها الكتاب . وجاء مقال الاستاذ طارق البشرى ثم مقال الاستاذ محمد سيد احمد بالهلال ليؤكدا صحة ماتوصلت اليه من نتائج عند دراستى لاوراق هنرى كورييل .

ولكن منذ أسابيع طرحت بالاسواق طبعة جديدة للترجمة العربية لكتاب جيل بيرو تحمل عنوان « هنرى كورييل » رجل من نسيج خاص » نسبت الى الاستاذ لطيف فرج ، وتصدرتها إشارة الى ان « جماعة اصدقاء هنرى كورييل بباريس قد خصت هذه الطبعة بمجموعة هامة من التعليقات كتقدير منها لجهد المترجم والناشر المصرى » . والطبعة المصرية الجديدة للكتاب أجود أسلوبا من الطبعة اللبنانية التى ظهرت منذ نحو ثلاث سنوات .وقد حذفت منها بعض الألفاظ النابية التى استخدمها المؤلف الفرنسى عند وصفه لبعض خصوم كورييل من الشيوعيين المصريين ، كما حذفت منها اشارة هامة أوردها المؤلف على لسان مكسيم رودنسون ذكر فيها ان كورييل كان سطحيا فى فهمه للماركسية ، وان قدراته التنظيمية تجاوزت بكثير معرفته النظرية .

غير ان الجديد اللافت للنظر فى هذه الطبعة ، ملحق فى تسع صفحات بعنوان « رسالة الى الدكتور رءوف عباس » بتوقيع يوسف حزان نيابة عن « اصدقاء ورفاق هنرى كورييل » ومؤرخة فى ٢٢ فبراير ١٩٨٨ . ولست ادرى لماذا اختار صاحبها ان يوجهها لى بهذه الطريقة ، وربما اراد بذلك ان يترك عند القارىء انطباعا بأننى تلقيت الرسالة واهملت الرد عليها ، فلم يجد الرجل مفرا من ارفاقها بهذا الكتاب الذى جعل من هنرى كورييل أسطورة ، والذى كانت وراء اصداره « مجموعة روما » لحدتو ، أو مايسمى اليوم بجماعة أصدقاء ورفاق هنرى كورييل .

ويوسف حزان أو « الرفيق سوسو » ينتمى الى الجيل الثالث لأسرة يهودية دمشقية ، نزحت الى مصر أواخر القرن الماضى ، وولد يوسف حزان بمصر عام ١٩١٧ ، حيث تلقى ثقافة عربية وفرنسية ، وحصل على بكالوريوس الزراعة من فرنسا ، ومارس المهنة بمصر ، وانضم الى الحلقات الماركسية فى الأربعينيات ، ولكن صلته بكورييل ترجع إلى عام ١٩٤٧

ومنذ غادر مصر إلى فرنسا عام ١٩٤٩ ، كان الذراع الأيمن لهنرى كورييل فى « مجموعة روما » التى كونها هنرى من الشيوعيين اليهود من اعضاء حدتو بباريس ، كما كان مسئولا عن النواحى المالية والتنظيمية للجماعة ، ومازال يحظى بتقدير خاص من رفاق حدتو القدامى .

وتتناول رسالة « الرفيق سوسو » سالفة الذكر ، نفس النقاط الثلاث التى جاءت ببيان رفعت السعيد ، فهو يعترض على ماجاء بكتاب « أوراق هنرى كورييل والحركة الشيوعية المصرية » من اشارة ـ مستندة الى الوثائق ـ الى موقف هنرى كورييل من القضية الفلسطينية وعلاقاته مع الوجود الصهيونى فى فلسطين فى الاربعينيات وخاصة وصف كورييل لحرب فلسطين ١٩٤٨ بـ « الحرب الظالمة ضد اسرائيل » و« الحرب الامبريالية ضد اسرائيل » ، فذكر « الرفيق سوسو » ان قرار المكتب السياسى لحدتو بقبول قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين عام ١٩٤٧ كان اجماعيا ، نظرا لموافقة الاتحاد السوفييتى على القرار ، ولأن القرار يعنى رحيل القوات البريطانية عن فلسطين وانهاء الانتداب ، وتمكين « الشعبين » العربى والفلسطينى و« الشعب اليهودى » من ممارسة حقهما فى تقرير المصير . ومن ثم كانت حرب ١٩٤٨ ـ فى رأيه ـ من تدبير الامبريالية البريطانية بمساعدة الأنظمة الرجعية العربية فى المنطقة ، ويستدل على ذلك بالانسحاب المتعجل للقوات البريطانية من فلسطين ، وسماح الانجليز للجيش المصرى بالتوجه الى فلسطين عبر قناة السويس ، والهدف من ذلك « زعزعة الوضع فى فلسطين حتى تقوم الأمم المتحدة بتمديد الانتداب البريطانى ، واستغلال حالة الحرب لفرض الأحكام العرفية فى بلدان المنطقة وتوجيه الضربات إلى الحركة الوطنية فى البلدان العربية » .

أما النقطة الثانية فتتعلق بما أوردناه تعليقا على خطابى كورييل إلى نعومى كانل وصلاتها بالاسرائيليين المسجونين بمصر ، وهنا يؤكد الرفيق سوسو ان نعومى كانل كانت تتصل بالفلسطينيين الشيوعيين المعتقلين بالسجون المصرية وليس بالاسرائيليين .

أما النقطة الثالثة فتتصل بالاشارة التى أوردناها بالكتاب عن نشاط كورييل فى تأييد حركة التحرير الجزائرية ، ومن انه قد أصبح بعد نجاح الثورة من مستشارى أحمد بن بللا ، فرأى « الرفيق سوسو » ان هذه الاشارة المقتضبة لاتكفى لتقدير الدور النضالى لكورييل ، ونفى ان يكون من مستشارى بن بللا .

وقبل ان نفند هذه النقاط الثلاث أود ان أعرب عن تقديرى الكامل للاستاذ يوسف حزان ، واعجابى باسلوبه المتحضر فى طرح وجهة نظره فيما كتبت عن « رفيق نضاله » هنرى كورييل ، فهو يصدر طبعة « مصرية » من كتاب جيل بيرو ، ويبعث الى بهذه الرسالة التى أعرب فى صدرها عن تقديره هو ورفاقه فى مصر وباريس للكتاب الذى قمت بنشره ، وتاكيده على اهميته وصحة ماجاء به من وثائق ولم ينسب عملى الى « الموجة الغبية المعادية للشيوعية » كما فعل « الدكتور » رفعت السعيد ، وأود ان الفت نظر

« الرفيق سوسو » الى الفرق الكبير بين مؤرخ يتناول الوثائق بمنهج علمي يسعى لالقاء الضوء على ظاهرة سياسية تتعلق بتاريخ بلده المعاصر ، ورفيق وصديق لشخصية لعبت دورا في تكوين هذه الظاهرة . فعلى حين تتوفر الحيدة التامة للمؤرخ تغلب العواطف الشخصية والذكريات المشتركة على رؤية الرفيق والصديق .

فبالنسبة لموقف كورييل من القضية الفلسطينية كانت هناك صلات حميمة بين هنرى ورجال الهاجاناه المجندين في الفيلق اليهودى خلال الحرب العالمية الثانية ، والذين كانوا بمصر ، ونجده يتحسر في سيرته الذاتية (والأصل الفرنسي بين يدى الرفيق سوسو) لأن الانجليز لايشركونهم في المهام القتالية حتى لايكتسبوا خبرة عسكرية . وطبعا كانت هذه الخبرة لصالح « نضال » « الشعب اليهودى » ضد « الشعب العربى الفلسطيني » بداهة . وبعد استقرار كورييل بباريس وسعيه الدائب للتوصل الى سلام عربي - اسرائيلى ، كانت المجموعة التى ينسق جهوده معها من رجال كانوا من قيادات الهاجاناة وقيادات منظمتي شيترن واراجون الارهابيتين ، فقد كان كورييل لايرى جدوى في الحوار العربي مع الحمائم وحدهم ، ويسعى لاشراك العناصر « المحبة للسلام » من الصقور . ولااظن ان الصقور قد قبلوا بالتعاون مع كورييل دون ان يضعوا في اعتبارهم صلاتهم به أثناء الحرب العالمية الثانية .

● ضرب الحركة الوطنية

اما عن حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ، فاتفق مع الرفيق سوسو انها اتاحت للأنظمة الرجعية فرصة فرض الاحكام العرفية وضرب الحركة الوطنية ، ولكن الوثائق التاريخية تكشف ان بريطانيا كانت تعلم جيدا ان انسحابها من فلسطين لصالح ماسماه « الرفيق سوسو » بالشعب اليهودى ، مايسميه العالم كله بالصهيونية ، ففي مذكرة قدمت لمجلس الوزراء البريطاني في ٣ يوليو ١٩٤٦ ، قدرت قوة الهاجاناه بحوالى ٧٥ الف مقاتل ، والبالماخ (القوة الضاربة في جيش الهاجاناه السرى) بخمسة آلاف مقاتل ، كما قدرت قوة الأرجون بحوالي خمسة او ستة الاف مقاتل مدربين تدريبا جيدا على حرب الشوارع واعمال التخريب ، وقوة شتيرن بحوالى ٣٠٠ - ٤٠٠ فرد متخصصين في اعمال الاغتيال . وفي نفس الوقت قدر التقرير ان بامكان عرب فلسطين تقديم ما لايزيد على ثلاثة عشر الفا من المقاتلين على اعتبار ان عدد العناصر النشطة بصورة فعالة بين العرب فيما بين ١٩٣٦ - ١٩٣٩ لم يتجاوز الألفين . وتحدث التقرير عن تسليح الطرفين وشتان بين تسليح « الشعب اليهودى » وعرب فلسطين ، فلم يكن هناك اى تكافؤ . لصالح من - اذن - كان انسحاب بريطانيا ؟! لقد ايقنت بريطانيا ان « اسرائيل » قائمة لامحالة . فلم تشأ ان تورط نفسها في تطبيق التقسيم بالقوة حتى لاتغضب العرب الذين كانت تعول على مصالحها الاستراتيجية والبترولية في بلادهم ، وتغضب حليفتها الولايات المتحدة التى لم تقبل الا مايقبل به

اليهود ، وكان اليهود يرفضون التقسيم (كما هو معروف) .

ولكن يحسب لهنرى كورييل انه كان بعيد النظر - الى حد كبير - ويدرك ان « اسرائيل » لاتستطيع البقاء الى الأبد وسط محيط عربى معادٍ ، ومن ثم كان تبنيه لفكرة « السلام العادل » الذى يسمح بقيام دولة فلسطينية الى جانب اسرائيل و« تعايش سلمى » بين اسرائيل والبلاد العربية ، حتى انه حاول ان يقنع الاسرائيليين بلعب دور لمساعدة جبهة التحرير الجزائرية (كما يذكر بيرو ، ص ٤١٤ من الطبعة المصرية) على امل ان تقوم الجزائر بعد تحقق الاستقلال بتسويق السلام العربى - الاسرائيلى ، ولكن مصالح اسرائيل كانت مع المعسكر الامبريالى ، ففشل سعى كورييل ، غير ان مستقبل اسرائيل كان يلح على ضميره السياسى . ومن هنا كان حرصه على فتح قنوات الاتصال مع القيادة المصرية بمد الملحق العسكرى المصرى فى باريس بالمعلومات وتدبير لقاءات بين بعض قوى اليسار الاسرائيلى وشخصيات مصيرية من رفاق حدتو القدامى (بعد حرب ١٩٦٧) بالتنسيق مع القيادة المصرية . واخيرا محاولات مد الجسور بين ممثلى المجلس الاسرائيلى للسلام ومنظمة التحرير الفلسطينية التى اشترك فى بعضها يوسف حزان ورفعت السعيد (مايو ١٩٧٦) ، ومن ذلك - ايضا - تدبير اللقاءات بين عصام السرطاوى (ممثل عرفات) وبعض العناصر الاسرائيلية من حركة السلام .

اما عن حكاية نعومى كانل ، فهى من كوادر حدتو ، يهودية متمصرة غير محددة الجنسية ، نشأت بمصر ، وكانت زوجة لشاعر مصرى من اعضاء حدتو ، وحوكمت عام ١٩٥٤ فى « قضية الجبهة » التى اتهم فيها بعض الشيوعيين واليساريين المصريين وبعض المثقفين والفنانين وضباط الجيش وحكم عليها بالسجن خمس سنوات ، ويبدو اننى قد تورطت - دون قصد - فى جرح مشاعر رفاق حدتو ، لأن هذه السيدة كانت وراء جهود المنظمة لتخصيص احد مقاعدها العشرة فى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى المصرى الموحد للرفيق يونس (هنرى كورييل) ، وتمسك مفاوضو حدتو بذلك فى المفاوضات الخاصة بالوحدة عام ١٩٥٧ وكان رفعت السعيد - عندئذ - امينا للجنة التفاوض - واثار المقعد الذى خصص للرفيق يونس المتاعب - فيما بعد - لحدتو - كما افقدها صوتا باللجنة المركزية لوجود كورييل بالخارج . وقد شكر الرفيق يونس نعومى كانل على مابذلته من جهد لعودته الى الحزب ، وخاصة ان « الحزب الشيوعى المصرى الموحد » قد تفرد بذلك بين احزاب المشرق العربى بقبول عودة « عنصر يهودى » - على حد تعبير كورييل - الى قيادته .

وقد استنتجت من احدى الرسالتين الموجهتين من كورييل الى نعومى كانل انها لعبت دور ضابط الاتصال بين بعض الاسرائيليين الذى كانوا مسجونين بمصر فى احدى قضايا التجسس وبين اسرائيل من خلال هنرى كورييل ، فقد اشار بيرو الى شىء من هذا تلميحا دون ان يذكر اسم كانل

صراحة ، كما ان هنرى كورييل استخدم كلمة « الفلسطينيين » عند الاشارة الى رجال الفيلق اليهودى خلال الحرب الثانية . واستخدمها بنفس الطريقة عند الاشارة الى يهود فلسطين بأحد تقاريره . ولايمنع ذلك من ان تكون نعومي قد نقلت رسائل من فخرى مكي الشيوعى الفلسطيني المعتقل بمصر واخيه اسعد مكي عبر كورييل ايضا . كما انه ليس هناك مايمنع كانل من ان تنقل الرسائل من المسجونين الاسرائيليين الى هنرى كورييل لينقلها بدوره الى ماأسماه « ايلى » فى اسرائيل . فصلات كورييل بالاسرائيليين واضحة تماما فى رسالته تلك وفى كتاب بيرو ، سواء اولئك الذين عرفهم خلال الحرب من رجال الهاجاناة او بعض رفاقه الذين غادروا مصر الى اسرائيل ، كما ان صلات كورييل بالصقور فى اسرائيل كانت تعادل صلاته بالحمائم . فلماذا هذه الحساسية عند الرفيق سوسو ورفعت السعيد ، ولماذا لم يكشف لنا الرفيق سوسو عمن يكون « ايلى » الذى كان يتلقى الرسائل فى اسرائيل عبر هنرى كورييل ؟!

ولست فى حاجة الى التعليق على الملاحظة المضحكة التى ذكرها رفعت بين نزلاء السجون المصرية وعدم وجود نعومى كانل مع الآخرين فى سجن واحد ، فقد كانت خطوط الاتصال قائمة بين الرفاق فى مختلف السجون ، والا لما استطاعت الرفيقة نعومى ان تتصل بمفاوضى حدتو فى مفاوضات الوحدة ، ولما كانت هذه الرسائل المتبادلة بينها وبين الرفيق يونس فى باريس .

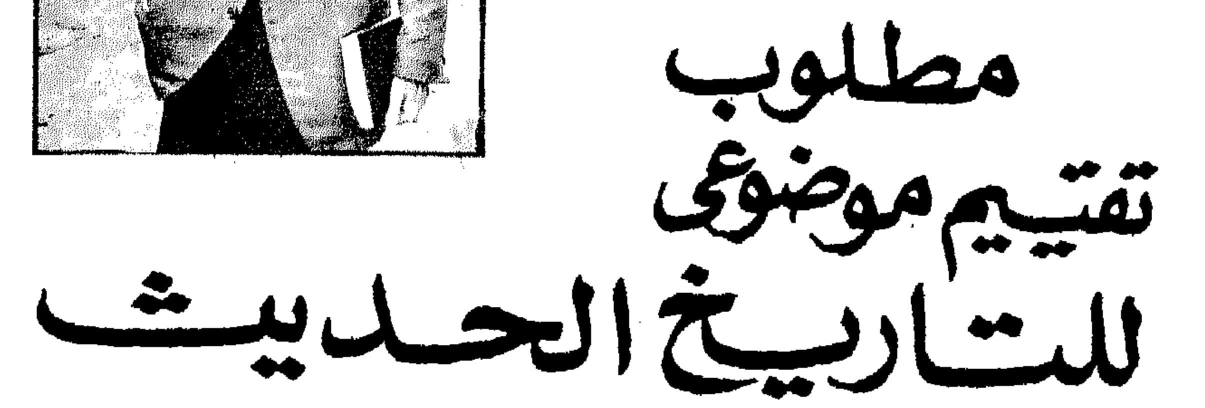
اما عن الملاحظة الاخيرة التى ذكرها يوسف حزان والخاصة بدور كورييل فى حركة التحرير الجزائرية فلم تكن موضع دراستى فى الكتاب لعدم توفر المادة الوثائقية الخاصة بها . ومعلوماتنا عن هذا النشاط مستقاة من كتاب بيرو ، ومن الواضح ان هذا الدور لم يكن منقطع الصلة عن جهود كورييل لاقامة سلام عربى ـ اسرائيلى ، وماقصدته بقولى ان هنرى كورييل كان من مستشارى بن بللا انه كان من ثقاته . وكان هنرى يعتمد على بن بللا فى تمويل نشاط منظمة « التضامن » التى انشأها فى باريس للعمل مع حركات التحرر الوطنى وانقطع التمويل الجزائرى بوصول بومدين الى السلطة ولعل كان لديه مايبرر ذلك .

بقيت نقطة فرعية تتمثل فى تأكيد الرفيق سوسو لمصرية كورييل ، وهو امر لم يخطر ببال الرجل نفسه كما يتضح من سيرته الذاتية ، وكما يتضح ايضا مما كتبه قبل اغتياله بعام واحد اذا يقول : « ان الوطن الوحيد الذى شعرت بارتباطى به هو فرنسا » (ص ٥٣ من الطبعة المصرية لكتاب بيرو) .

ان الحديث عن رجل مثل هنرى كورييل لابد ان يتشعب بتشعب نشاط هذا الرجل الذى كان بحق « رجل من نسيج خاص » ولعلنا نكون قد وفقنا هنا فى تحديد اهم خيوط هذا النسيج ، ومع تقديرى الكبير للرفيق سوسو ، لااظن انه يختلف معى فى ان السياسى « انسان » له ما لسائر البشر من فضائل ونقائص ، وان لكل « مناضل » هدف يسعى لتحقيقه ويبذل حياته من اجله ، وكذلك كان هنرى كورييل .

قضايا حيوية

حول أوراق هنرى كورييل



مطلوب تقييم موضوعي للتاريخ الحديث

بقلم: مصطفى طيبه

العقبة الرئيسية التى تعترض كتابة تاريخ مصر الحقيقى منذ اوائل القرن العشرين ، وحتى الان ، يمكن تلخيصها فى امرين متلازمين : اولهما ، يتمثل فى التحيز او التعصب النابع من الانتماء الى اطار فكرى او حزبى محدد ، يدفع المؤرخ الى اختيار مايشاء من احداث بعد انتزاعها من سياقها ليصل الى مايتفق مع افكاره المسبقة .

وثانيهما : ((التقولب)) المنطقى وقد يبدو هذا التعبير غريبا ، ولكننى اقصد به معنى محددا .. وهو اختيار ((قالب)) يبدو منطقيا ، لتفسير الاحداث بما يتفق مع هذا ((القالب)) .. ثم الاجتهاد فى ((تقطيع)) أو ((تقصير)) كل حدث ، بحيث يدخل فى ((القالب)) المنطقى المقرر سلفا .

● وتلك قضية قديمة تناولتها الاساطير اليونانية ، عندما تحدثت عن سفاح كان يصنع صناديق ضحاياه ، وفق مقاسات محددة .. فاذا كانت الضحية أطول من الصندوق ، يقوم بتقطيع أطرافها حتى تدخل فى قالبها المحتوم .. أو يسعى الى شد أطرافها ، عندما تكون أقصر من الصندوق .

ذلك هو ما يمكن أن نطلق عليه « التقولب » .

ومن الواضح أن المنهجين ، أى التحيز الحزبى أو الايديولوجى ، أو « التقولب » لا يقدمان لتاريخ مصر الحديث الرؤية الموضوعية لدلالات ما جرى من احداث .. ولا يخدمان قضية البحث عن الحقيقة كما هى ، بدون اضافات أو حذف ، وبغير الابتعاد عن الهدف الكبير ، وهو : كيف نقدم تاريخ مصر ، ونضال أجيالها المتعاقبة من خلال منهج يعلو على كل « تحزب » أو « تقولب » .. غايته الكبرى حماية أبنائنا من التشويه ، أو التلاعب بالقوالب المنطقية الشكلية ؟ .

هذه المقدمة برزت فى ذهنى ، بعد قراءة مقالين هامين للاستاذين طارق البشرى ، ومحمد سيد أحمد (فى عددى ابريل ومايو ١٩٨٨ من مجلة الهلال) .

ذلك أن هذين المقالين ، رغم الاختلاف الفكرى لمنطلقات الكاتبين ، يتفقان أو يلتقيان حول نقطة رئيسية ، وهى أن اعتناق أحد اليهود للماركسية ـ هنرى كورييل ـ واسهامه فى تكوين منظمة شيوعية ، قضية تدخل فى نطاق الالغاز المحيرة التى تحتاج الى ابحاث مكثفة للكشف عن الاهداف الحقيقية لهذا الاختيار « الغريب » .. أى اختيار أحد اليهود للماركسية اثناء الحرب العالمية الثانية !

ولان هذه القضية بدت شديدة الغرابة للاستاذين الكاتبين ـ مع أنها كانت ظاهرة عادية فى ذلك التاريخ ـ فان البحث عن خفاياها عند الاستاذ طارق البشرى ، قاده الى نتيجة بدت له منطقية جدا .. وهى أن هنرى كورييل « كان منقطع الجذور .. بارد الفكر والاعصاب .. قراراته تتشكل دون دخل لاى عواطف أو غرائز .. مثل هذا التكوين الوجدانى يتلاءم بشدة مع انشطة المخابرات » !

وهذا هو الحكم الاول الذى أصدره الاستاذ طارق البشرى على هنرى كورييل .

ـ أما القرار الثانى ، فهو انه بهذه الصفة « يقوم بتوجيه التنظيم لمقاومة حركات شعبية اسلامية ، وعربية مصرية باسم انها حركات فاشية » .

والاستاذ البشرى ، يقصد طبعا ، مقاومة الاخوان المسلمين ، والتيارات التى كانت ترى فى المانيا النازية ، وايطاليا الفاشية ، المنقذ الاعظم لمصر من الاحتلال البريطانى .. أى حزب مصر الفتاة .. وربما الموقف من حركة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ واتهامها بالفاشية .

ثم يضيف الاستاذ طارق البشرى ، حكما ثالثا ، وهو : أن طبع الكتب الماركسية كان يستهدف كما يقول بالحرف الواحد « فكان النشاط يتعلق اذن بدعوة مذهبية اكثر مما يقوم على برنامج سياسى .. يتعلق بترويج ايديولوجى فى الاساس . واولوية هذا الامر هنا ، تتفق مع الوجهة اليهودية الاجنبية ، من السعى لتكوين منطقة ايديولوجية فى السياسة المصرية بين الشباب ، منطقة تصلح للوجود الاجنبى فى السياسة المصرية » !!

أما رابع هذه الاحكام ، فهو « واثناء الحرب كان لكورييل وتنظيماته السياسية ، نشاطها مع من يسميهم

« يهود فلسطين » .. وهى عبارة لا تلتبس لدى القارىء المصرى والعربى ، فهى لا تعنى لديه غير الصهاينة فيما يبدو .. والفرقة التى كونوها أيام الحرب ، لتعمل مع الحلفاء ، وهو العمل الذى أكسب الصهاينة خبرة وتدريبا ، استخدموه بعد الحرب فى طرد الفلسطينيين العرب وقتلهم وتذبيحهم ، حتى نشأت اسرائيل » .

بهذه الاحكام الحاسمة ، تكون الحركة الشيوعية التى اسست أثناء الحرب العالمية وبعدها . مجرد أداة لفئة من « اليهود » ، لتحقيق اهداف الصهيونية ، وربما المخابرات البريطانية أيضا !

ويصبح كل ما كتب عن النضال الوطنى والاجتماعى للحركة الشيوعية المصرية فى ذلك التاريخ ، بل وما كتبه الاستاذ طارق البشرى نفسه عن منجزات واخطاء هذه الحركة فى بعض مؤلفاته ، مجرد وهم أو خداع .. ما دام المهيمن والموجه على أكبر هذه الحركات ، وهو هنرى كورييل ؛ شخصية « منقطعة الجذور » ، تخدم أهدافا صهيونية وبريطانية .. ويوجه نشاط الشيوعيين المصريين ، نحو الاصطدام بالحركات السياسية والحركات القومية !

أما الصديق محمد سيد أحمد ، فانه لم يهتم بما يحمله مقال الاستاذ طارق البشرى من اتهامات لتاريخ الحركة الشيوعية المصرية .. ولم يقف لحظة واحدة عند المنهج المستخدم ، انما انطلق بعيدا .. ليشيد « أسد قوالبه الرياضية المنطقية » ، ويقحم بداخله ما يتفق مع هذا القالب من أحداث ، ـ حتى ولو كانت تفتقر الى الدقة ـ ليخرج فى النهاية متفقا مع الاستاذ طارق البشرى فى الاهداف « الخفية » لليهود الماركسيين ، وان اختلف معه فى « القالب "المنطقى » المفضى الى النتيجة نفسها ! .

وقبل الرد على هذين المقالين ـ أريد توضيح حقيقتين هامتين ، للحيلولة دون حدوث أى وهم أو التباس :

الحقيقة الأولى :

اننى قد انتهيت منذ شهرين ، من كتابة المراحل الاساسية لتاريخ الحركة الشيوعية المصرية الوسيطة ، التى تكونت فى بداية الاربعينيات وحتى منتصف الستينيات .

والحقيقة الثانية :

أن أحد الاجزاء الهامة التى يتكون منها كتابى الجديد ، يتناول بالبحث والتحليل ، القضية المثارة الان ـ رغم أن هذا الجزء كتبته منذ أكثر من عام ـ أى قضية هنرى كورييل ، ولكن من منطلقات تختلف جذريا عما طرحه الاستاذ البشرى والصديق محمد .

فلم أطرح القضية على أسس دينية أو تآمرية .. ولا من خلال علاقات مريبة بالصهيونية والمخابرات البريطانية . انما من خلال المنجزات والاخطاء التى عايشتها واشتركت فيها . وشرحت بالتفصيل ، لماذا تحولت من « يونس » ـ الاسم الحركى لكورييل ـ متشدد ، الى خصم سياسى وأيديولوجى له ..

من هاتين الحقيقتين ، ينطلق حوارى مع المقالين اللذين نشرتهما مجلة الهلال .

فلا يمكن اذن تصنيفي ضمن دائرة من ظلوا على علاقات وثيقة مع كورييل ، حتى بعد ابعاده من مصر. فقد انقلبت علاقتي به من الزمالة الى الخلاف .. منذ أوائل عام ١٩٤٩ ولم يهدأ لحظة واحدة .. بل اشتعل وانتقل الى من احتفظوا بعلاقات معه وهو فى المنفى .. من قيادات « حدتو » .

وبالتالى يصعب تفسير موقفى الان بأنه دفاع عن كورييل .

وبما أن حملة تشويه هذا التاريخ، تستتر الان تحت قناع الهجوم على « اليهود » الماركسيين ، الذين أسهموا بدور كبير فى اعادة تأسيس الحركة الشيوعية فى بداية الاربعينيات ، فمن واجبى التصدى لهذه الحملة من خلال الوقائع التى لا خلاف حولها ، والتى ترسم الخطوط الحقيقية لهذا التاريخ .

يقول الاستاذ طارق البشرى : « اما ان يقوم هؤلاء بوضعهم الاجنبى المتميز ، وبدوافع تبدأ بكونهم جاليات اجنبية على رأس تنظيمات سياسية مصرية ، تقاوم حركات شعبية اسلامية ، وعربية مصرية ، باسم انها حركات فاشية ، فهذا ليس غريبا لدى كورييل . ونحن نلحظ هنا ان الاسباب التى ساقها كورييل واقعية .. وأن نظرته تنسجم مع وضعه هو وزملائه بوصفهم اناسا مقتلعى الجذور . ولكن الغريب ان يوجد من بيننا نحن من ينظر الى الامور بنظرة هؤلاء »

تلك كلمات واضحة لا لبس فيها . فالاستاذ البشرى ، يرى أن التنظيمات السياسية ، التى كان هؤلاء الاجانب على رأسها ، كانت تقاوم حركات شعبية اسلامية ، وعربية مصرية ، باسم انها حركات فاشية ! .

فهل تتفق الحقائق التاريخية ، التى تحدث عنها باستفاضة الاستاذ طارق البشرى فى أكثر من كتاب له مع الاتهامات التى ساقها فى مقاله « قراءة مصرية فى أوراق هنرى كورييل » ؟ .

لنبدأ بالحركات الشعبية الاسلامية. ونطرح بعض الاسئلة الهامة : من الذى بدأ باعلان الحرب على الاخر ، الحركات الشيوعية ، أم الحركات الاسلامية ، أى الاخوان المسلمين ؟

ومن الذى حمل لواء الدعوة الى تكوين اللجنة الوطنية للطلبة والعمال

ومن الذى عمل على تحطيم هذه الجبهة ـ وان لم تحمل وقتئذ اسم الجبهة ـ بل وتحالف مع اسماعيل صدقى ، لضرب الحركة الوطنية ؟ .

من يا أستاذ طارق الذى كان يسعى الى بناء الوحدة الوطنية ، ومن الذى عمل بكل ما يملك ، فى الطريق المعاكس ؟

فى اعتقادى أن أفضل رد على هذه الاسئلة يأتى من كتاب « الحركة السياسية فى مصر ١٩٤٥ ـ ١٩٥٢ » للاستاذ طارق البشرى فى صفحة ١٠٧ ، وصفحة ١٠٨ « بعد أن تولى صدقى الوزارة زار مركز الارشاد لجماعة الاخوان المسلمين ورأى أن اعتماده عليها هو خير ما يفتت الوحدة التى ظهرت بين الشباب فى مظاهرات هذه الفترة ورأى ان يستغل موقفها التقليدى المعادى للوفد وللتنظيمات الشيوعية والشباب التقدمى . وقد بادر الاخوان بتأييد صدقى عند مجيئه للحكم ، وروجوا لما قاله فى البداية عن عزمه على خدمة بلاده وعدم استعمال العنف ، وعلق زعيم الاخوان بالجامعة على وعود اسماعيل صدقى بآية من القرآن « واذكر فى الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا

نبيا » . وفي مواجهة اللجنة التنفيذية العامة للطلبة شكل الاخوان لجنة الطلبة التنفيذية العليا تفتيتا لحركة الشباب ، فلما انشئت اللجنة الوطنية للعمال والطلبة وقادت مظاهرات يوم الجلاء في ٢١ فبراير ، بادر الاخوان الى تشكيل « اللجنة القومية » ، شكلت في اجتماع بمركز الاخوان منهم ومن مصر الفتاة وحزب الفلاح الاشتراكي وجبهة مصر التي كان قد انشاها علي ماهر منذ ١٩٤٥ وبعض شباب الاحرار الدستوريين والحزب الوطني . وقابلت اللجنة صدقي في اول مارس فاظهر عطفا عليها (واتفق على أن يكون محمد حسن العشماوي وزير المعارف هو ممثل الحكومة في اللجنة) ثم اعلنت بيانا بشأن الموافقة على اعتبار ٤ مارس يوم الحداد العام ، وافسحت الحكومة للجنة في الصحف بنشر بياناتها في ذات الوقت التي كانت تمنع فيه نشر بيانات واخبار اللجنة الوطنية » .

ويستطرد الاستاذ طارق البشري فيقول : .

« على انه من الملاحظ ان جماعة الاخوان كان يطرد مسلكها على رفض الاشتراك مع غيرها من الهيئات والتنظيمات في شمل واحد وعلى الحرص على العمل المنفرد ، وقد ساهمت في تشكيل اللجنة القومية لتحطم بها اللجنة الوطنية التي جمعت حولها الكثير من عناصر الشباب في الاحزاب المختلفة .. » .

اما تقييم الاستاذ طارق البشري العام للحركة الشيوعية المصرية فاننا نراه واضحا في صفحة ٥٩٧ من كتاب « المسلمون والاقباط في اطار الجماعة الوطنية » فيقول « وفي الاربعينيات ايضا ، ظهرت الحركة الشيوعية كواحدة من القوى ذات التاثير واسهمت اسهاما لا بأس به بين فيالق حركة التحرير الوطني ضد الاستعمار، وأغنت السياسات الوطنية بمفاهيم جديدة ، تتعلق بالمضمون الاجتماعي لحركة التحرير الوطني ، والتصنيف الطبقي للمجتمع ، والتاكيد على التحرر الاقتصادي من الاستعمار جنبا الى جنب مع التحرر السياسي » .

فكيف يتفق هذا التقييم مع منهج مقاله في مجلة الهلال — أوراق هنري كورييل — والذي لا يرى في الحركة الشيوعية المصرية الا كل ما هو سلبي ومريب !

ويقول الاستاذ البشري في المقال نفسه :

« بهذه الرؤية ومن هذا الموقف ينظر كورييل الى المظاهرات الشعبية الكثيفة التي جرت في ٢ نوفمبر سنة ١٩٤٥ ، بمناسبة ذكرى وعد بلفور ، وتضامنا مع شعب فلسطين في جهاده ضد الصهيونية . يقول كورييل : « حاول الاخوان المسلمون بتحريض من الامبريالية والحكومة المصرية ، اثارة المظاهرات المعادية للسامية ، وقاموا بالفعل بمذبحة حقيقية في حماية البوليس . لكن الحركة المصرية للتحرر الوطني ، استعدت لهذا اليوم وكشفت المناورة » .

تلك فقرة من مقال الاستاذ طارق البشري ، ومنها يستخلص ما يريد الوصول اليه ، وهو أن اتجاهات الحركة المصرية للتحرر الوطني ، التي كان يتزعمها كورييل ، كانت تقف موقفا مضادا للحركات الشعبية

الاسلامية ، ضد الصهيونية ٠

فهل كانت مظـاهرات تلك اليوم المشـهور ، جهادا حقيقيـا ضد الصهيونية ، وتضامنا مع شـعب فلسطين ؟ ٠

لنترك الاجابة الى الوقائع التاريخية كما جرت ٠

ان مظاهرات ٢ نوفمبر ١٩٤٥ ، قادها منذ البداية الاخوان المسلمون ٠٠ الى جانب حزب مصر الفتاة كشريك صغير ٠٠ وحملت شعاراتها طابعا ٠٠ لا يخـدم التضامن مع جهاد شعب فلسطين ٠٠ بل قد يكون العكس هو الصحيح ٠

فمثل هـذه المظاهـرات ، التى اقتـرنت بالهجوم على المنشـآت والمحـلات « اليهودية » ٠٠ لم تكن واعية بجوهر الصراع ضد الصهيونية وتأييد الشعب الفلسطيني ، بل انطوت على اتجاه لا يخدم قضايانا الوطنية، وتشويه صورة هذا الصراع ، بتحويله الى عداء لليهود !

ولا يسـتطيع مؤرخ منصف أن يتجاهل الاثر السلبى لمثل هذا الاتجاه ٠٠ فالهجوم على المنشآت أو الاحياء اليهودية ، بلا تمييز بين الصهيونية كحركة مرتبطة بالامبريالية العالمية ، وبين اليهود كأفراد ينتمون الى تيارات فكرية مختلفة ، انما قدم أعظم خدمة للحركة الصهيونية ، التى كانت تقوم بتحريض اليهود المصريين على الهجرة الى اسرائيل بدعوى أن حياتهم فى خطر ٠٠

فكيف يصـف مؤرخ كبير مثل الاسـتاذ طارق البشرى ، الاعمـال المتعارضة مع تاريخ مصر ، بل وتاريخ الامة العربية والشعوب الاسلامية ، والمتمثلة فى هسـتيريا الصراع ضد « اليهود » المصريين ، بدلا من الوعى بجوهر القضية ، وهى أن الصهيونية

ـ وليست اليهودية على اطلاقها ـ هى العدو الرئيسى لمصر وللعرب ؟ ٠

ان العـرب ، ومصر فى المقدمة ، تعـاملوا تاريخيا مع اليهودية ، باعتبارها دينا سماويا له احترامه٠٠ واحترام حق معتنقيه فى حرية اقامة شعائرهم ٠ وعشنا قرونا بهذه الروح الاصـيلة النابعة من الفهم الحقيقى للاسلام ٠

أما عدونا ، فهو الكيان الصهيونى العدوانى ٠٠ الذى زرعته الامبريالية العالمية فى قلب وطننا العربى ٠

وضد هذا العدو بالتحديد ، ينبغى أن نوجه كل ما نملكه من طاقات ٠

وتبقى بعد ذلك بعض الملاحظـات المنهجية ٠

أولى هذه الملاحظات ، أن منهج الاحكام المسبقة حول المجموعات التى أسهمت فى تاسيس الحركة الشيوعية المصرية الوسـيطة ، يصطدم بحقائق يصعب تجاهلها ٠ فافتراض صراع بين المصريين ، والاجانب المتمصرين ، حول قيادة الحركة الشيوعية المصرية، وافتراض الاثر الحاسم لهذا الصراع فيما حدث من انقسـامات فى هذه الحركة ، لا يستند الى أسس واقعية ٠ فالصراع الذى عشته وشاركت فى معظم مراحله الحاسمة ، لم يدر حول هذه القضية ٠ والانقسامات التى أحـالت « حدتو » الى اشلاء مبعثرة ، نبعت من حيث الجوهـر من الخطيئـة الرئيسية للحركة الشيوعية المصرية ، والمتمثلة فى نظرية « النمو الذاتى » ٠

وهى النظرية التى حفرت بصماتها فى فكر وسلوك جميع التنظيمـات الشيوعية بلا استثناء ٠٠ واعتقاد كل تنظيم بأنه « التيار الثورى » الذى ينبغى التسليم بجدارته فى قيـادة الحزب والثورة ٠

وتلك قضـية لم يختلف حولهـا

الاجانب أو المصريون ··

وثاني هــذه الملاحظــات : أن اشتراك الاتحاد السوفييتي في الحرب العالمية الثانية ،كحليف رئيسي للولايات المتحدة وبريطانيا والمقاومة الفرنسية والاوربية عــامة ، حطم الستار الحديدي الذي كان هؤلاء الحلفــاء يحيطون به الاتحاد الســوفييتي ·· وأتاح لشعوب العالم ، ولاول مرة منذ اندلاع ثورة اكتوبر عام ١٩١٧ ، رؤية الوجــه الاخر لاول تجــربة اشتراكية ·· وجه الصمود والمقاومة الاسطورية ضد الجيوش النازية ·

ومن هنا برزت في العالم كله ، بمــا في ذلك مصر ، موجــات من التعاطف مع الاتحاد الســوفييتي ، وما يمثله من فكر اشتراكي ·· رغم الدعاية الصاخبه التي كانت المانيــا تطلقها بواسطة الاحزاب والجماعات المتعــاطفة معها ·· وخصوصا في مصر ، حيث اعتقد فريق من المصريين، بأن المانيا النازية ، صديقة لمصر ، لانها في حرب مع العدو التاريخي ، وهو بريطانيا ·

لكن تعاطف قطاعات من المصريين مع النازية بسبب العداء للمحتل الانجليزي لم يحل دون وجود قطاعات أخرى واعية ضد العدو الاشد خطرا ، وهو النازية ·· ومن بينها حزب الوفد ·

في ظل هذه الظروف ، ظهر الفكر الماركسي في مصر ·· مثلما وصــل وانتشر في معظم بلاد العالم ·

ومن الطبيعي جــدا أن يصل هذا الفكر الى المثقفين المصريين في البداية بواسطة بعض الاجانب ، أو المتمصرين يهودا كانوا أو من اي اديان اخرى ·

فلماذا يرى البعض ، في ظاهرة عاديه جــدا ، تكرر مثلها في معظم دول العالم ، أمرا يستوجب التحقيق ، والتحليل والتعقيد ؟ ·

لماذا يكون انتشار الفكر الصهيوني ظاهرة عادية بين اليهود في مصر ، وفي جميع دول العالم تقريبا ، ويكون وجود الفكــر الماركسي المعــــادي للصهيونية ، بين قطاعات قليلة جدا من اليهود ، ظاهرة شــاذة وغريبة لا يقبلها العقل أو المنطق ؟

وثمة حقيقة أخــرى · وهي أن انتشار الفكر الماركسي بواسطة بعض الاجانب ، هي القاعدة التي صاحبت ظهور هذا الفكر في جميــع الدول الفقيرة والمستعمرة في القارات الثلاث آسيا وافريقيا ·· وأمريكا الجنوبية · وما كــان من الممكن ان تكون هنــاك وســيلة اخرى ·· فجميــــع النظــريات العلمية والاجتمــاعية التي صاحبت الثورات الصــناعية والعلمية والاجتمــاعية في أوروبا ، انتقلت الى البلاد المســتعمرة أو الفقيرة ، بواسطة أفراد ينتمون الى جاليات أجنبية ، كقــاعدة عامة ·· فنظريات آدم سميث وريكــاردو في الاقتصــاد ·· ونظريات المفــكرين والمنظرين للنظم الرأسمالية والافكار الليبرالية والديمقراطية ·· ونظــرية داروين حول النشوء والارتقاء ، أو أصل الانواع ، انتقلت بنفس الاسلوب في معظم الاحيان ·· فضــــلا عن عشرات النظــريات والمكتشــفات العلمية ، التي وصلت الى الــدول الاقل نموا ، عبر الطريق نفسه ·

فالافكار لا تعرف الحدود · انهــا مثل الغلاف الجوي · يصعب حصــر حدوده بين دولة وأخرى ·

والملاحظة الثالثة : أن جميع المؤرخين ، ومن بينهم الاستاذ طارق البشرى . يعترفون بأن هؤلاء « الاجانب » الذين أسهموا فى إعادة تأسيس الحركة الشيوعية المصرية فى الاربعينيات ، اختلفوا حول قضية رئيسية ، وهى تمصير قيادة الحركة. فهناك من رأى فى وجود قيادة أجنبية ضرورة فى المرحلة الاولى . بينما رأى فريق ثان حتمية استبعادالاجانب منذ البداية ، وتمصير القيادة ، اى أن تكون من مصريين ١٠٠٪ .

وكان رأى هنرى كورييل ، بعد مرحلة قصيرة من تكوين الحركة المصرية للتحرر الوطنى ، وقبل الوحدة مع « اسكرا » ، ضرورة التمصير .. بل وسعى الى أن تكون اللجنة المركزية ، من ١٠ مصريين ، و ٢ فقط متمصرين .

وتلك واقعة تحدث عنها الاستاذ طارق البشرى فى كتاب « المسلمون والاقباط » .

ومن حقى ، استنادا الى خبرتى الشخصية ، ومما نشر من وثائق حول تاريخ الحركة الشيوعية المصرية ، أن أسأل الاستاذ طارق البشرى ، والصديق محمد سيد أحمد : أين كان يدور هذا الصراع ، بين الاجانب والمصريين ، اذا كان هنرى كورييل ــ المؤسس ــ هو نفسه الذى رفع شعار التمصير ، وأسهم فى تصعيد ١٠ مصريين الى اللجنة المركزية ، التى لم تكن تضم بجانب هؤلاء العشرة ، سوى ٢ من الاجانب، وهما كورييل وجومتالون ؟

هناك فرق كبير ، بين ابتكار « قالب » منطقى ، و « اختراع » قوانين تحكم ما يدور من صراعات داخل هذا « القالب » ، ثم الوصول « منطقيا » الى ذروة هذا الصراع ، وهو الانقسامات ، وبين حركة الاحداث كما جرت ، بعيدا عن التميز أو « التقولب » .

فمنذ الايام الاولى للوحدة ، كان التوجيه الاساسى لكوادر وأعضاء الحركة المصرية يتركز حول هدف رئيسى ، وهو السعى الى « تجنيد » كوادر وأعضاء « اسكرا » ، الى « التيار الثورى » ، وهو الحركة المصرية للتحرر الوطنى .

وكان هنرى كورييل ، من أنشط المروجين لذلك . فالوحدة منذ بدايتها كانت شكلية هشة . بل كانت أشبه بجبهة بين اتجاهات مختلفة .

ولا أدرى كيف يقع مؤرخ كبير مثل الاستاذ طارق البشرى فى مثل هذه الاخطاء . ولا أدرى ايضا ، كيف يؤدى الانحياز الى اتجاه فكرى يتميز بعدائه للشيوعية ، الى دفع مؤرخ ومفكر كبير ، الى التقاط وقائع بعينها ، أو فقرات من كتاب تنتزع بقسوة من سياقها ، لمجرد الرغبة فى تشويه أحد التيارات السياسية التى أسهمت بدور هام فى « اغناء السياسة الوطنية بمفاهيمجديدة تتعلق بالمضمون الاجتماعى لحركة التحرير الوطنى ، والتصنيف الطبقى للمجتمع، والتأكيد على ان التحرر الاقتصادى من الاستعمار ، جنبا الى جنب مع التحرر السياسى » .. كما سبق ان كتب الاستاذ طارق البشرى عن الحركة الشيوعية فى الاربعينيات فى كتاب « المسلمون والاقباط » .

من العسير ، ان لم يكن من المستحيل ، أن نجد صلة بين الفقرات السابقة من كتابات طارق البشرى فى مؤلفاته ، وما كتبه فى مقاله بمجلة « الهلال » ، وان كان ظاهر المقال ، يوحى بأنه ضد هنرى كورييل .. أو الاجانب فى الحركة الشيوعية .. وليس كل من شارك فى هذه الحركة من المصريين .

هنري كورييل

بينما جوهر المقال للاسف ، يؤكد ان الموجه الاكبر لهـــذه الحركة فى الاربعينيات ـ كورييل ـ كان يدفعها الى اعمال تخريبية ٠٠ مثل مناهضة الحركات الاسلامية والوطنية ، ونشر الفكر المذهبى الــذى يتيح للاجنبى مكانا للوجود فى السياسة المصرية ٠ والتصدى للمظاهرات الشعبيةالمعادية للصهيونية ٠

لست أعترض على حق كـل كاتب او مؤرخ فى اعادة النظر فى تكوينه الفكرى ٠٠ أو تغيير رؤيته الى أحداث تاريخية بعينها ٠

فذلك حق يستحيل انكاره ٠ لكن تغيير المناهج أو الافــكار ، لا يعنى بالضرورة تجاهل ما هو جوهرى فى الاحداث التاريخية ، والتقاط ما هـو ثانوى ، ثم تركيز الاضواء على هذا الوجه ٠

فمن المعـــروف ، أن الاحـداث المعاصرة ، وأحداث الماضى البعيد أو القـــريب ، تنطوى على جـــانبين متناقضين ٠ كلاهما يعبر عن أحـــد وجوه الاحداث ٠

فكما يستطيع الحزب الوطنى فى مصر ـ مثلا ـ التأكيد على ما تحقق من انجازات هائلة خلال السـنوات القليلة الماضية ، تستطيع المعارضة اثبات العكس ٠

والامر نفسه ينطبق على حـــركة مصطفى كامل ومحمد فريد ، أو حتى ثورة ١٩١٩ وقائدها سعد زغلول ٠ كما ينطبق على المرحلة الناصرية ٠

الفـــرق بين التقييم الموضوعى ، والتقييم « المتحيـز » يكمن فى نقطة أساسية ٠ وهى الخلاف حول ما هو جوهرى أو ثانوى لكل مرحلة ٠

وفى اعتقادى ، أن ما هو جوهرى فى مرحلة الاربعينيـــات فى تاريخ الحركة الشيوعية المصرية ، يتمثل فى السطور التى كتبها الاستاذ طـــارق البشرى فى صفحة ٥٩٧ من كتـــابه « المسلمون والاقباط » ٠

وهى السطور التى أشرت اليها من قبـل ٠

أما الثـــانوى فى تاريخ هــــذه الحركة ، فهى الاخطاء ، التى يعترف بها وبشجاعة كل من شارك فى الأحداث العظيمة ـ من حيث الجوهر ـ لهذه المرحلة من تاريخ مصر ٠

والملاحــــظة الاخيرة أوجهها الى الصديق محمد سيد أحمد ، خلاصتها: أن الحركة الشـــيوعية المصرية فى الاربعينيات لم « تشكل رافدا للصراع العربى الاسرائيلى » كما جـــاء فى مقاله ، بل كـــانت رافدا متشـــددا للأممية ٠

فالاندفاع العنيف نحـــو الاممية ، كان السمة الرئيسية ٠ وهو اندفـــاع نعترف الان بأخطائه أو خطاياه ٠

بل أن هذا الاندفاع ، ظل يهيمن على الحركة الشيوعية المصرية طوال الخمســينيات ، وحتى قرب منتصف الستينيات ٠

ولعل الصديق محمد ، يذكر الجدل العنيف الذى كان يشتعل بين الفصائل المختلفة للشيوعيين ، لمجرد نشر مقال لهذا القائد الماركسى أو ذاك ، فى الدول الاشتراكية ٠٠ أو قادة الاحزاب الشيوعية فى الدول الاوربية ٠

وهل نسى الصـديق محمد ، كيف كانت كلمـــة الاممية ، أو مواقـــف الاتحاد السوفييتى ، أو حتى مقـــال تنشره صحيفة أو مجلة سوفييتية ، لها الكلمة الحاســـمة عند نشوب أى

خلاف بين الشيوعيين ؟

ان الموقف من قرار تقسيم فلسطين لم يكن وحــده النموذج على هــذا السلوك ·· فالاقلية التى رفضت هذا الموقف ، كانت توصف بالانحراف عن الاممية ، والخــروج على تعــاليم الماركسية ·

وأستطيع أن أقرر، أن أحد المصادر أو الاسباب الكامنة فى الاخطـــاء السياسية للحركة الشيوعية المصرية، انما يرجع الى التطرف فى الالتــزام بالاممية وليس العكس ·

وظل هــذا الالتزام يحكم خطى الحــركة الشيوعية ، حتى بدايــة الستينيات ·· عندما ظهرت التحليلات الســوفييتية تتحدث عن « الطـريق اللارأسمالى » وعن « البورجـوازية الوطنية التى تنازلت عن مصالحها من أجل مصالح الامة » ، وعن امكانية الســير فى الطريق المــؤدى الى الاشتراكية ·· بدون قيـادة الطبقة العــاملة ·

وهى التحــليلات ، التى أسهمت بدور هــام ، فى تبرير قــرار « حل الحــزب » عام ١٩٦٥ ، والانضمام الى التنظيم الطليعى ، وهو التنظيم الوهمى الذى اثبتت الأحــداث مدى عبثيته ·

ومن جهة أخرى ، فان الصـــديق محمد يفترض أثناء الحقبة موضـــع البحث أن الشــيوعيين المصريين ، كانوا يملكون وعيا كاملا بالخطـــر الصهيونى ، وأثره على الامن المصرى والقومى ·· وبالتالى الوعى بالعلاقة بين الوطنية المصرية والقومية العربية

والحقيقة التى يجب الاعتراف بها أن هذا الوعى جاء متأخرا · وكل ما كتب فى الصــحافة الشــيوعية واليسارية خلال مرحلة الاربعينيات ضد الصهيونية لم يكن ســوى أحد الاشكال البارزة للتضامن الاممى مع شعب يعانى الاضطهاد · مثلما كان عليه الامر ، مع الشعوب الاخرى فى مختلف دول العالم ·

الوعى القومى بالامة العــربية ، والوعى العميق بمخاطر زرع الكيــان الصــهيونى ، جاء متأخــرا ·

وحديثك أيها الصــديق محمد عن صراع موهوم بين الاجانب والمصريين حول هذه القضية ، أثناء الاربعينيات لا يســتند الى وقائع حقيقية ·· لان جميع الخطوط الســياسية للحزب الشيوعى المصرى ، وكافة تقاريره ضد المنظمات الاخــرى ، لم تنطلق مما توهمته فى مقالك ·· بل من أنها تنظيمات انتهازية ·· أو حتى خائنة ·· خصوصا بعد أن باركت « حدتو » حركة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، التى اعتبرها الحزب الشيوعى المصرى « المتطهر » من كل يهودى أو اجنبى ، حــركة فاشية اســتعمارية يجب مقاومتها واسقاطها ·

● تلقت ((الهلال)) عددا من المقالات ردا على المقــالة التى نشرناها فى عــدد اكتوبر الماضى للدكتــور الطاهر احمد مكى بعنوان ((حرب اكتــوبر فى الادب العربى)) .. وقد كتــب هذه المقالات الاســاتذة احمد محمد عطية ويوسف القعيد ومحمد السيلسالم وسننشرهافى العدد القادم ان شاء الله ●

ملاحظات على المنهج

تميز الاستقبال الاعلامي للعدد السنوى الثالث من « التقرير الاستراتيجى العربى » (١٩٨٧) بحفاوة ملحوظة ..

ولا غرو ، فالتقرير بدون شك ، هو أهم دورية سياسية عربية ، وذلك بحكم موضوعه ، خصوصا لدى جمهور لم يتعود الاهتمام بأمور .. « استراتيجية » إلا بعد أن داهمته الهزيمة العربية أمام اسرائيل .. وإن كان اهتماما لم يصب حقه من الاستخدام الصحيح للكلمة ومفهومها ، فقد أصبحت الكلمة تتردد فى الكتابات من كل مستوى وأى مستوى ، بمقتضى ودون مقتضى ، وبمعنى وبدون معنى ..

وربما لذلك ، جاءت هذه الحفاوة الاعلامية الملحوظة دون مستوى الموضوع .. فما نشرته الصحف كانت فى عمومها كلمات تحية واحتفال بصدور هذا العدد الثالث .. ولايملك قارئها أن يتجنب انطباعا بأن كاتبيها لم يبذلوا فى سبيلها أكثر من جهد تصفح التقرير بصفحاته التى تقترب عددا من المئات الخمس .. وقد يستثنى من هذا ماكتبه الزميل فهمى هويدى فى « الأهرام » وإن كان قد اقتصر على ما ظن أنه يعنى اهتماماته من التقرير فتوقف عند الصفحات القليلة جدا التى تناولت « قوى الاسلام السياسى » ..

على أى حال ، فربما تنجح الندوة التى نظمها « مركز البحوث والدراسات السياسية » بجامعة القاهرة ، (والتى لم تكن قد انعقدت بعد عند كتابة هذا التعليق) ، ربما تنجح فى اعطاء التقرير حقه من المناقشة الجدية ..

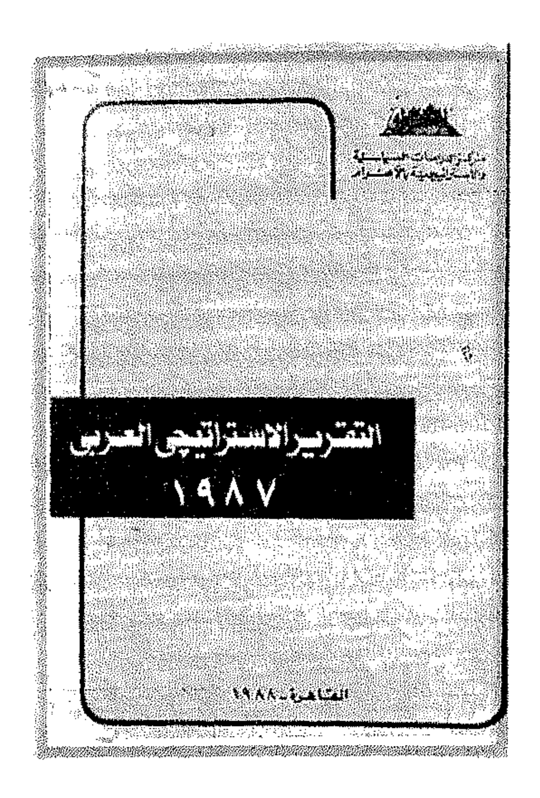
* * *

لايسمح الحيز المتاح بمناقشة شاملة للتقرير ، لذلك يقتصر هذا التعليق على ابداء عدد من الملاحظات التى تتصل بالمنهج ، على حسبان أن المنهج هو البداية الصحيحة للمناقشة ..

١ ـ عنى التقرير بالافصاح عن محدداته ، فأورد فى المقدمة التى كتبها رئيس تحريره ، تعريفا للاستراتيجية .. « لايقتنع بالتركيز على الجوانب العسكرية ، وأنما يتسع ليشمل الجوانب الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية ... الذى لابد يكتمل باضافة بعد أساسى له ، وهو الوعى التاريخى » ..

وهو تعريف يبدو شاملا ومكتملا ، إلا أن مايغيب عنه هو تحديد وظيفته الاستراتيجية التى هى « صياغة الخطط او استخدامها لتحقيق هدف » ..

وهذه التكملة للتعريف تؤخذ فى الاعتبار عند النظر فى التقرير ذاته ، إذ تصبح وظيفته هى أن يعين من يقرأه على أن يتبين بقدر المستطاع إذا ما كان يصف التقرير من



أحداث وتغيرات وتطورات قد آعانت موضوع التقرير (أى المنطقة التى يتناولها وشعوبها) على الاقتراب من أهدافهم ، أو أبعدتهم عنها وبأى قدر فى الحالين .. وهو ما لايجده القارىء فى التقرير إلا لماما ..

٢ ـ يبرز التعريف الذى تبناه التقرير لـ « الاستـراتيجيـة » أهميـة « الـوعى التاريخى » ومع ذلك ، فعند قراءة التقرير كاملا لانجد أنه يفى هذا الابراز حقه ، فلا نرى عنصر الوعى التاريخى فى معالجة التقرير للقضايا والتطورات إلا فى أمثلة قليلة ، مثل تقييمه الصحيح لمدى تحقيق احتمالات للوفاق الدولى على ضوء ما جرى من تطورات بين القوتين الدوليتين الكبريين ، وتقييمه الصحيح أيضا لمدى ايجابية ما جرى من تطورات في العلاقات العربية .. ولعل المثالين يثبتان أهمية عنصر الوعى التاريخى ، وهو اثبات يجعل قارىء التقرير يتمنى لو أن هذه الأهمية قد امتدت لتشمل التقرير بأكمله ..

ففى النقطة الأولى يزيل التقرير وهما ينتشر ، ربما بفعل التسرع ، أخذ يعامل الوفاق السوفييتى ـ الأمريكى وكأنه قد أصبح حقيقة قائمة وحاكمة ، وعلي هذا الأساس أخذت تصاغ مواقف وسياسات ، فالتقرير يحذر ، وبقدر كبير من بعد النظر من أنه « قد يكون من قبيل المبالغة والتسرع الحكم بأن وفاقا جديدا قد أصبح ممكنا بين الطرفين » (ص ١٨) وينبه إلى أنه رغم التحسن الملموس فى العلاقات بين موسكو وواشنطن « فإن الصراعات الأقليمية فى الشرق الأوسط احتدت خلال العام معلنة فى ذلك عن استقلالية نسبية للنظام الأقليمى عن النظام العالمى » .. ويصل من هذا إلى أنه « قد يؤذن باحتمالات للتوتر فيما بينهما بصدد القضايا الأقليمية التى لاتزال تشكل نقطة شائكة فى علاقات القوتين » (ص ١٧) .. وتبدو أهمية هذا التنبيه الصائب واضحة ، فى وقت تسود فيه نغمة أن قمة موسكو قد توصلت إلى اتفاق بين الدولتين الكبريين على حل القضايا الاقليمية ، وهى نغمة تنطوى على البحث للقوى الاقليمية على « حد إعفاء » .. من خوض صراعاتها ..

ويعود التقرير إلى تأكيد هذه النقطة على نحو آخر ، ومن خلال متابعة يحفزها حس تاريخى لما وقع من تحسن فى العلاقات بين موسكو وواشنطن .. فيقول « وعليه فليس من المنتظر ، كما يدعى البعض أن يحدث تقسيم لمناطق النفوذ فى العالم ، أو اتفاق سوفييتى أمريكى لحل المشكلات الاقليمية كما يدعى البعض الآخر ، فالواقع أن القوى الاقليمية لاتزال تتمتع بقدرة كبيرة على الحركة والتأثير فى علاقات القوتين » (ص ٥١) .

أما فى النقطة الثانية والخاصة بمدى ايجابية ما جرى من تطورات فى العلاقات العربية خلال العام الماضى ، فإن التقرير يزيل فى هذا الشأن كثيرا من الأوهام ..

● قاعدة التراضى

يسمى التقرير عام ١٩٨٧ ، « عام وقف التدهور » فى العلاقات العربية ، ويرصد على هذا خمسة عوامل رئيسية هى « تحقيق درجة من السيطرة على مناطق الصراعات الملتهبة داخل الوطن العربى ، وتحقيق درجة من

● التلطيف للتنافس وعلاقات التهديد المتبادل بين دول عربية رئيسية ، ونتائج مؤتمر القمة العربي الطارىء في عمان التي أعطت انطباعا بالعودة إلى الاقتراب من نوع الاجماع العربي ، واعادة العلاقات الدبلوماسية بين مصر وغالبية الدول العربية ، وأخيرا النهوض الرائع للمقاومة الفلسطينية وخاصة في الأرض المحتلة » (ص ١٩٣) ..

وهي كلها نقط رصد صحيحة ، وربما تشمل جميع مكونات الظاهرة التي يسميها التقرير « وقف التدهور » ..

ويكتمل هذا الرصد الوافي ، بملاحظة نوعية صحيحة ، عندما يحذر التقرير من انه « يبقى لمنطقة التراضي العربي هذه عيب جوهري ينشأ عن غياب الاتفاق الاجرائي حول الادارة الشاملة للصراع والمواجهة مع اسرائيل بجانبيها العسكري والسياسي ، ومن هنا فقد يستحيل عمليا التنبؤ بدرجة استقرار قاعدة التراضي أو الاجماع السلبي التي أمكن التوصل اليها خلال العام .. إذ أنها قد تتسع وقد تضيق » (ص ٢٠٦) .

ومع أن هذه النقطة تعتبر من علامات تواؤم التقرير مع دعوة رئيس تحريره إلى وضع « الوعي التاريخي » في مكانه الصحيح من مفهوم الاستراتيجية .. فإنها لم تكتمل ..

فلا ينبئنا التقرير بالعوامل أو الدوافع التي أنتجت هذا التراضي ، كما أنه عندما يتحدث عن غياب الاتفاق الاجرائي حول الادارة الشاملة للصراع .. الخ .. « لا يمتد بنظره للبحث عما إذا كان هناك اتفاق اصلا على طبيعة الصراع (مع اسرائيل) وعلى ترتيبه بين أولويات الأطراف التي شملها هذا التراضي ..

خصوصا وأن قمة عمان ، والتي هي من بين ما رصد التقرير من مؤشرات هذا التراضي ، قد وضعت الصراع مع اسرائيل في المكانين الخامس والسادس من مقرراتها ، حتى أنها جاءت بعد « أحداث الشغب والفتنة التي قام بها الايرانيون .. »

وربما لو كان التقرير قد مد نظره إلى الخلف وإلى الأمام على هذا النحو ، لكان التنبؤ بمستقبل قاعدة التراضي ، أقل صعوبة ، ولم يصل الى ترجيح الاستحالة كما رأى التقرير ..

٣ ـ ولقد يلزم التنويه بهذا التفاوت الواضح بين « موجز التقرير » الذي يتصدر مجلده ، وبين صلب التقرير ..

فالموجز محكم مترابط يرسم لمجمل الموضوعات التي تناولها التقرير صورة متكاملة ، تتبادل مكوناتها الاضاءات والظلال على نحو يجعل الموجز « تقريرا » يبدو الى جانبه صلب التقرير ذاته أقرب إلى التجميع الأرشيفي الذي تتخلله فقرات أو مقالات لا تقترب من التحليل .. القصد من هذه الملاحظة الثالثة ، أن ما يتوقعه القارىء من « تقرير استراتيجي » أن يعينه على رؤية الأجزاء ضمن كل متكامل وأن يستخلص منها إلى حد كبير مؤشرات له على الكيفية التي جرت بها التطورات وعلى الوجهة التي يمكن أن تتخذها في المستقبل ..

وهذا مايفي به « الموجز » إلى حد كبير ..

وهو مايفتقر اليه التقرير والى حد كبير ايضا ..

ولو اردنا مثلا واضحا على هذا نجده في القسم الخاص بجمهورية مصر العربية ..

فهذا القسم يتوزع الى اربعة اقسام فرعية تتناول النظام السياسي والدبلوماسية والعلاقات الخارجية ، والدفاع والقوة العسكرية والاقتصاد القومي ..

وعند قراءتها ، لاتجد في أي منها مايؤدي الى الاخر ، أو ما يتصل به ، بل ولا تجد مايشير الى أن هذه المكونات الأربعة يجري بينها تفاعل ، تأثر وتأثير ، كأن كلا منها يجري في أنبوب مغلق عن الآخر ، مع أنها بالضرورة مستطرقة ..

وينطبق الأمر ذاته داخل كل قسم من هذه الأقسام الفرعية ، فتبدو سلطات الدولة وكأنها لاتؤثر في الأحزاب والنظام الحزبي ، فضلا

عن أن تتأثر بهما ، وهكذا ، ويبدو النظام السياسى بمكوناته من الدولة الى الأحزاب الى جماعات المصالح الى القوى المحجوبة عن الشرعية ، وكأن لا أثر لها ولا أثر فيها لعلاقات مصر الخارجية ، وفى القسم الخاص بالدفاع والقوة العسكرية نرى انفصالا بين السياسة الدفاعية وسياسة التسلح ..

وهكذا ..

وحتى نتوضح هذه النقطة ، يفيد عقد مقارنة بين التناسج الملحوظ فى التقرير لعوامل الوضع الدولى والوضع الأقليمى والوضع الفلسطينى فيما تخص الصراع العربى الاسرائيلى ، وبين التفاصل الشديد الذى نجده بين العناصر المكونة لأوضاع جمهورية مصر العربية كما يعرضها التقرير ..

٤ ـ فى مقدمة الموجز ، اشارة إلى أن الجزء الخاص بالنظام الدولى والاقليمى لم يتناول « دول الجوار الجغرافى » دون أن يقدم سببا لهذا الأسقاط .. هل لأن ما ورد عنها فى التقرير السابق قد كفى وأوفى ؟ هل لأنه لم يقع فى هذه الدول وفى علاقاتها بالنظام الدولى والنظام الأقليمى من التطورات مايستحق الذكر ؟

أليس فيما جرى فى ١٩٨٧ من مقدمات لتغيرات جوهرية فى المشكلة الافغانية ، تطورا من شأنه أن يكون ذا أثر يلحظ على الجناح الشرقى لهذا الجوار الجغرافى ؟ مثلا ..

٥ ـ فى القسم الخاص بالصراعات الأقليمية رصد لتطور صراعات ثلاثة :

العربى ـ الاسرائيلى ، والعراقى ـ الايرانى ، والليبى ـ التشادى . وهنا غاب صراع اقليمى آخر هو ذلك الدائر فى الصحراء ، خصوصا وأن ماشهده العام الماضى من وضوح توجهات الى حله ، يتصل اتصالا وثيقا بما أسماه التقرير « قاعدة التراضى » العربى ، والشاهد أن هذه التوجهات أصبحت فيما بعد عنصرا مهما فى فعل هذه القاعدة على جبهة المغرب العربى ، وعلى نحو يوحى بأن مايحدث هناك قد يتخطى الحدود التى وصلتها هذه القاعدة فيما بين بقية البلدان العربية ..

٦ ـ وهذه ملحوظة تتناول نقطة حساسة ، لأنها معرضة بحكم الحساسية لسوء الفهم .. فهى تتعلق بالانتفاضة الفلسطينية ..

بدأت هذه الانتفاضة فى مطلع الأسبوع الثانى من الشهر الأخير من السنة التى يتناولها التقرير ..

لذلك كان منطقيا الاّ يستطيع أحد ، مهما بلغت قدرته على التنبؤ أن ينسب الى هذه الانتفاضة ، وهو ينظر إليها فى هذا الوقت قيمة بعيدة المدى .. لأن هذه القيمة لم تتضح الا فيما بعد ، أى بتوافر عنصرى استمرارها وتطورها ..

لكن التقرير والمفترض أنه ينظر إليها فى حدود أسابيع ثلاثة من عمرها نسب اليها كونها تغييرا نوعيا .. و .... و ..... الخ ..

صحيح أن كثيرا من هذا اثبتته الانتفاضة ..

إنما اثبتته فيما بعد أى بعد السنة التى يغطيها التقرير.. وتشير هذه الملاحظة الى محذور منهجى يسهل الوقوع فيه ..

محذور النظر الى التطورات ، كما هى الآن ، بينما الموضوع هو النظر اليها كما كانت فى حينها ، طالما التقرير محدد بإطار زمنى ..

وخصوصا أن التقرير التزم منهج الالتزام بالزمن فى تقييم التطورات فى كل ما عالجه ، ماعدا الانتفاضة ..

* * *

قد لاتكون هذه الملاحظات على منهج التقرير هى كل ما هنالك من ملاحظات وقد لايكون المجال قد اتاح إيفاءها حقها ..

كما قد لا تكون قد أوفت التقرير حقه ... لكن دافعها يبقى هو الحرص على هذه الدورية التى احتلت وبسرعة .. مكانا بارزا انفردت به بين الدوريات السياسية العربية .. ويبقى هدفها هو أن يكون عددها الرابع ومايليه أوفى بالغرض ..

رسالة يوغسلافيا

عشرون يوما فى أحضان الطبيعة والفن ، قضيتها فى يوغوسلافيا ، بالتحديد فى جمهورية مقدونيا .. احدى جمهورياتها الست .. حيث تشكل الطبيعة أجمل اللوحات العفوية .. أما أعمال الفنانين اليوغوسلاف المعاصرين فلها شأن آخر .. مستقل تماما عن هذا الجمال الطبيعى .

إن علاقتى بالفن المعاصر فى يوغوسلافيا قبل هذه الزيارة لم تتخط مشاهداتى لجناحها المنتظم فى دورات بينالى الاسكندرية باعتبارها إحدى دول حوض البحر المتوسط ، وكان الجناح فى

فنانون فوق جبل ماركو !!

بقلم : عز الدين نجيب

● اننا نجد مختلف أوجه الرعاية للفن والفنانين ، مثل الانتشار الواسع لقاعات العرض والمتاحف الفنية فى كل ربوع البلاد ، واقتناء الدولة أعمال الفنانين بصفة منتظمة وتكليفهم باقامة أعمال صرحية بمختلف المرافق العامة .. بما يجعلهم يعيشون فى مستوى اقتصادى جيد .. وانتشار المجلات والمطبوعات الفنية بكل جمهورية على حدة ، الأمر الذى يخلق منافسة خلاقة وثقافة جمالية بين شعوبهم المختلفة ، وتقدما نقديا كبيرا (حيث بلغ عدد نقاد الفن التشكيلي بيوغوسلافيا ستين ناقدا)... لكن بالاضافة الى كل ذلك وغيره .. فان الدولة تقيم ملتقيات أو مستعمرات فنية بكل مكان على أرض يوغوسلافيا ، تستضيف بها الفنانين من شتى المناطق ، لمعايشة الطبيعة والتعبير بحرية تامة عن دخيلة نفس كل فنان دون أى شروط أو قيود يعيشون كأفواج متتالية خلال شهور الصيف تتغير كل ثلاثة أسابيع وتتكفل المستعمرة خلالها بنفقات الاقامة والخامات الفنية فى مقابل عمل فنى واحد يهديه كل فنان الى المستعمرة لتضمه الى متحفها أو متنزهاتها المليئة بالأعمال الفنية .. وقد بلغ عدد هذه المستعمرات فى كل يوغوسلافيا مائة وتسعة بالاضافة الى خمس مستعمرات أخرى تستضيف فنانين من جميع أنحاء العالم بنفس الشروط .. وقد وجهت الدعوة

المعتاد صورة فنية متقدمة بالنسبة لبلد نامٍ أقرب الى الفقر ، وكنت أعتقد أن وجودها عند المفصل بين اوروبا الغربية وأوروبا الشرقية هو ماجعل فنانيها يتطلعون دائما الى حركة الفن الغربى ويقتفون أثرها أكثر مما يفعلون مع حركة الفن بالمعسكر الاشتراكى .

لكن معايشتى لواقع الحركة الفنية بهذا البلد خلال تلك الفترة القصيرة ، أعطت للصورة فى ذهنى أبعادا أخرى ، انها أساسا نتاج لواقع يضع الفن والفنانين فى مرتبة بالغة الأهمية .. ربما أعلى من الاهتمامات الاجتماعية والاقتصادية .

الى مصر من احدى هذه المستعمرات ، وكان من حظى أن أكون الفنان الممثل لمصر فيها ، بل أن أكون أول فنان مصرى يدخلها ، وثالث فنان عربى ، حيث استضافت من قبل فنانا عراقيا وآخر كويتيا .

تقع هذه المستعمرة الفنية فى أعالى جبل « ماركو » المطل على مدينة بريليب بجمهورية مقدونيا .. بجنوب يوغوسلافيا ، وهى مدينة تاريخية قديمة حافلة بآثار دينية منذ عصور الاضطهاد الرومانى للمسيحيين ، وازدادت أهميتها الدينية والتجارية فى القرون الوسطى .. لذا فان المستعمرة تحتل مبنى أثريا متميزا ذا طراز فريد يجمع بين القوطى والعثمانى .. كان فى الماضى ديرا للرهبان ، وهو مجاور لكنيسة بنيت فى القرن الثانى عشر ، والأثران معلقان على حافة جرف صخرى ، ويتم الوصول اليهما بطريق ملتوٍ على مدارج الجبل ، وتبدو أسفلهما بيوتً « بريليب » بسقوفها الفخارية الحمراء الهرمية الشكل مطلة من بين خمائل الاشجار التى لايخلو منها أى منزل ، فى لوحة بانورامية بديعة .. ولعل هذه المدينة من أكثر المواقع فى يوغوسلافيا قربا الى الطابع الريفى ، سواء فى طرازها المعمارى أو فى اعتمادها على الزراعة - خاصة التبغ - أو فى علاقات الناس البسيطة الحميمة مع احتفاظها بدرجة ملحوظة من النظافة وتمتعها بكل الخدمات الحديثة التى تتوافر بأى مدينة كبيرة .

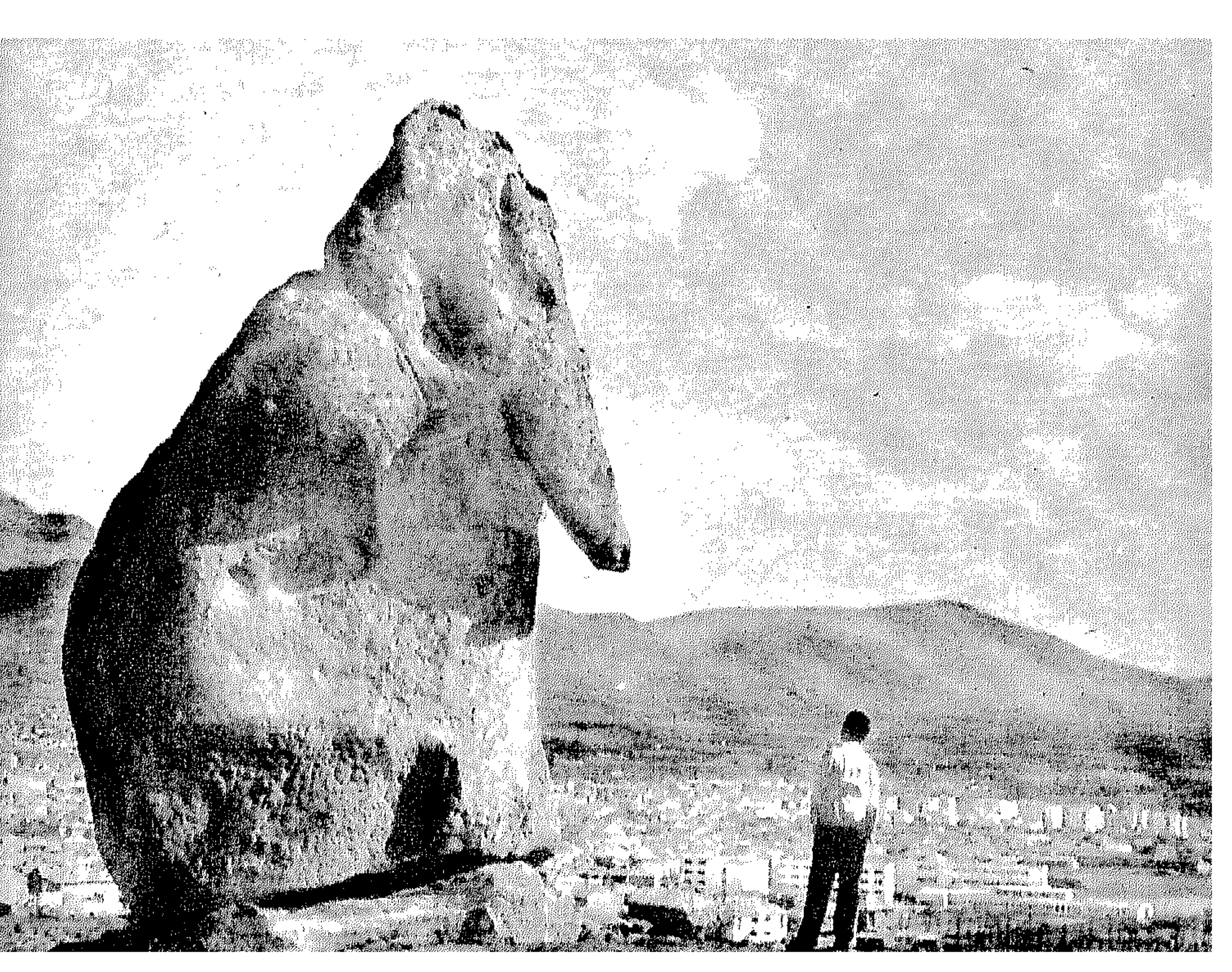
لكن أكثر ما استحوذ على اهتمامى وخيالى من هذه الطبيعة هو صخورها البركانية العتيدة ، انها تتشكل فى الفضاء شامخة فى أشكال أسطورية وخرافية ، ملهمة جماليا وتعبيريا لأى فنان ، مما يذكرنى فى بعض النواحى بجبال سيناء ، هذا بالاضافة الى قيمتها التاريخية ، حيث شهدت هذه الصخور ، وما تضمه من كهوف وتجاويف ، تاريخا حافلا من الجهاد الدينى للمسيحيين الأوائل فترة الاضطهاد الرومانى ، أو الجهاد الوطنى خلال حروب التحرير المتعاقبة منذ الحكم العثمانى الطويل حتى الحرب العالمية الثانية .. وقد أرشدتنى الى هذا التاريخ علامات وأرقام سجلها فوقها خبراء « الأركيولوجى » المنتشرون بالمنطقة .. وهكذا كنت أشعر خلال تجوالى الطويل

فنانون
فوق جبل ماركو !!

بين تلك الصخور برهبة وقدسية من يتجول في متحف أو معبد قديم .

وقد مضى على انشاء مستعمرة بريليب الفنية حتى اليوم ثلاثون عاما ، ويشرف عليها معهد متخصص في الآثار « الأركيولوجي » يحتل مبنى ضخما على مسافة قريبة منها .. ملحق به جهاز اداري لخدمة المستعمرة والفنانين ، يرأسه عالم أثرى هو البروفيسور « بوشكو » له مؤلفات تعد مراجع في آثار المنطقة ويضم المبنى قاعة عرض كبيرة غاية في الأناقة ، ومرافق واسعة لتخزين أعمال الفنانين واحتياجاتهم بطريقة عصرية تحافظ على الأعمال الفنية الى ما لانهاية ، وأرشيفا

● صخرة طبيعية تبدو في شكل فيل فوق جبل ماركو



كبيرا يحتوى تصنيفا دقيقا لكل فنان زار المستعمرة طوال تاريخها ، بما فى ذلك أحدث المعلومات والوثائق عنه .. كما تتناثر فى حديقة المبنى المترامية الأطراف أعمال نحتية للفنانين الذين أقاموا بالمستعمرة من جميع أنحاء العالم ، وهى اما من المرمر الذى تتميز به المنطقة ويمثل إحدى ثرواتها أو من خشب الأشجار الضخمة المنتشرة فى يوغوسلافيا أو من الحديد .. وقد أنشىء مصنع على مقربة من المستعمرة لتنفيذ أعمال النحاتين فى الحديد والصلب .

وتضم قاعة العرض ومبنى المستعمرة ومخازنها (فضلا عن ميادين مدينة بريليب) ألفا ومائتى عمل فنى أنتجها حوالى خمسمائة فنان من يوغوسلافيا ومختلف دول العالم على مدار السنوات الثلاثين الماضية ، وهى مجموع ما أهدوه الى المستعمرة خلال تلك الفترة ، وقد أقيم العديد من المعارض السنوية بهذه الأعمال فى جمهوريات يوغوسلافيا المختلفة .. كما أننى شاهدت مجموعة منها معروضة بمتحف مدينة « سكوبيا » عاصمة مقدونيا (على بعد ساعة ونصف بالسيارة من بريليب ، أو نصف ساعة بالطائرة من بلجراد) وهو متحف رائع التصميم فوق قمة ربوة عالية .

● مستعمرة فنية

وتقوم مستعمرة بريليب للفنانين على نفس النظام الذى تقوم عليه جميع الوحدات الاجتماعية والانتاجية فى يوغوسلافيا .. وهو نظام التسيير الذاتى ، اذ ينبع من قناعة القائمين عليه وليس من خارجهم .. فهم الذين يحددون شروط الدعوة لحضور الملتقى والاقامة فيه والعمل به وأساليب ادارته ، ويتحملون وحدهم المسئولية كاملة عن عائدة وقد استفادت المستعمرة من طبيعة الحياة بالدير القديم ، فأنشأت مزرعة صغيرة تحتوى على مختلف أنواع الخضراوات والدواجن والماشية ، وهى التى تغذى سكانها بمعظم احتياجاتهم الغذائية ، فضلاً عما يوفره ذلك لهم من حياة أقرب الى الفطرة والبساطة الريفية ، والى التعايش مع الطبيعة بمنابعها النقية .

● ● ●

إن هذه الرعاية للفن بيوغوسلافيا لاتمثل وحدها قوة الدفع للحركة الفنية ، فقد نجد نظائر لهذا الوضع فى بلدان اشتراكية أخرى دون أن يتحقق بها نفس العطاء الفنى ، لكن الحرية التى يحظى بها الفنان فى يوغوسلافيا بلاحدود فى تعبيره وأساليبه وموضوعاته ، دون أن يضطر بأى حال الى مسايرة التوجهات السياسية للنظام الحاكم هى التى تجعل هذا الوضع متميزا بين الدول الاشتراكية .

هكذا انعكس هذا المناخ على مستوى الإبداع الفنى واتجاهاته العامة ، التى نمت فى جو من حرية التعبير .. ومن الرغبة فى تجاوز الحدود الى الآفاق العالمية الى الحد الذى يجعل الحركة الفنية بشكل عام حركة طليعية تسابق التيارات الغربية ، دون أن تبالى كثيرا بمدى استقبال الجماهير العادية لهذه الاتجاهات .

وربما كان العدد الذى أمكننى الاطلاع عليه من أعمال الفنانين فى تلك الفترة القصيرة ، فى المراسم وقاعات العرض والمتاحف كافيا لرسم « اسكتش » سريع

لاتجاهات الحركة الفنية خاصة بجمهورية مقدونيا ، وهى من الناحية التشكيلية تحظى باحترام كبير فى الأوساط الفنية بيوغوسلافيا .

لقد عايش الفنان اليوغوسلافى حركات التحرر الوطنى فى قومياتها المختلفة وأثناء اندلاع الحرب العالمية ، وشارك بدور فعال فى تغذية الشعورين القومى والثورى وتخليد الكفاح الوطنى وبعد التحرير والاستقلال شارك أيضا بدور فعال فى تدعيم عملية البناء الاجتماعى وتأسيس تيار يربط الفن بالواقع ويعمل على الارتقاء به .. لكن يبدو أن هذا التيار أصبح الآن أقرب الى أن يكون متحفيا أو تذكاريا بالميادين والحدائق العامة أكثر منه متفاعلا على خريطة الحركة الابداعية الحديثة .

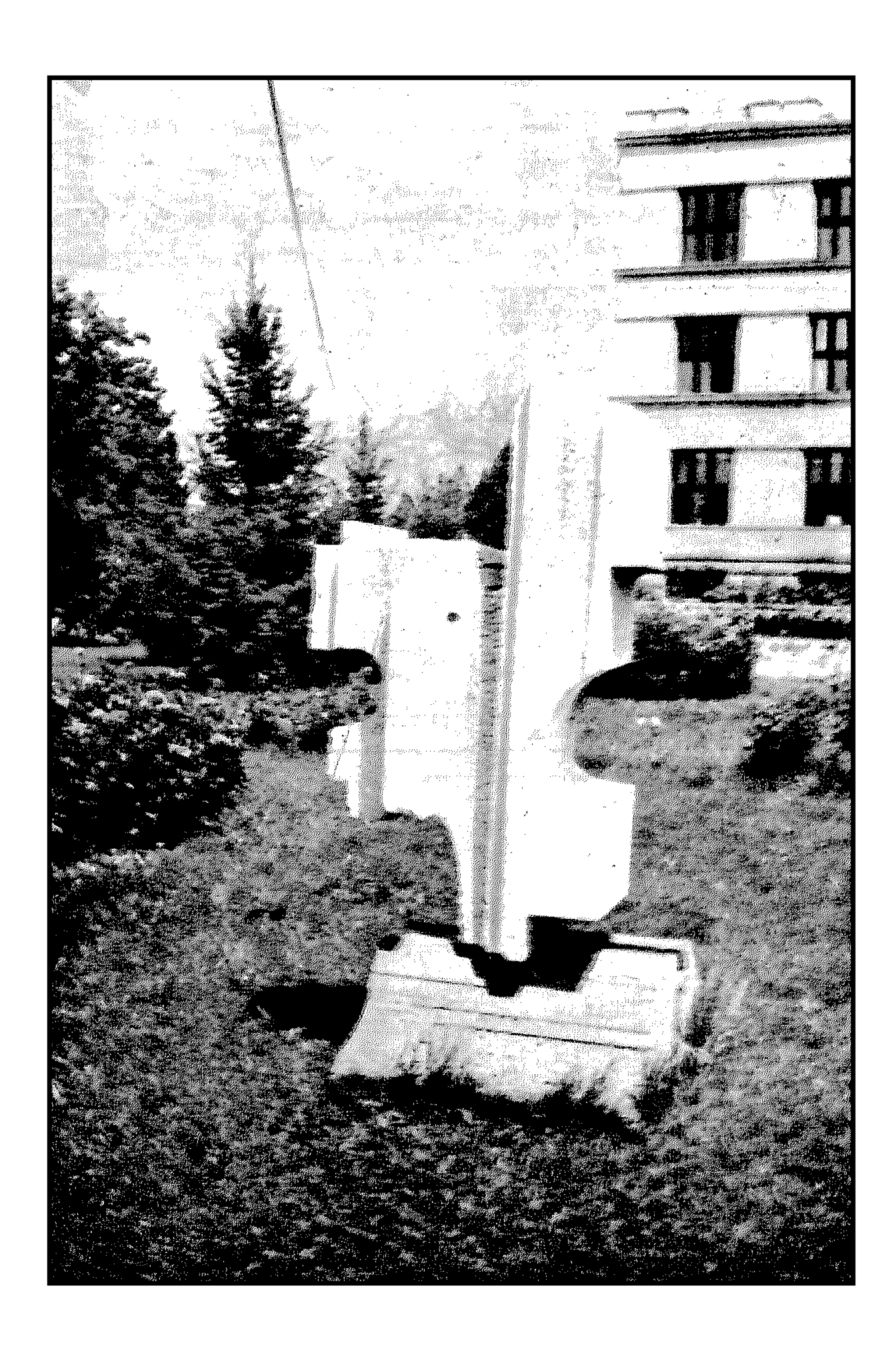
● خصوصية البيئة

أما هذه الحركة الابداعية الحديثة فتقوم اليوم على اتجاهات تساير تماما نفس الاتجاهات فى أوربا الغربية ، ويجمع بينها على اختلافها التعالى على الطبيعة ، والبعد عن المشخصات وعن الالتزام بالمنظور (البعد الثالث) وعن المضامين الفكرية فى الوقت الذى يعطى الفنان اهتماما بالغا للجوانب التقنية ، محاولا اثارة الاهتمام بغرابة الخامة وملمسها وبطرافة التكوين ، مع ميل أكثر الى العلاقات الهندسية والرياضية فى بناء العمل الفنى ، سواء كان نحتا ام تصويرا .

ولاشك أن هذه الجوانب التقنية تمثل قيما أساسية وجوهرية لأى عمل فنى على اختلاف المدارس الفنية .. لكن قيمتها ترتفع بقدر تفردها وجدّتها بين الأساليب السائدة فى الفن الحديث وبحثها فى خصوصية البيئة التى تنبع منها عن علاقات جمالية متميزة ، وتنخفض أيضا بقدر تبعيتها لتلك الأساليب السائدة دون اضافة ذاتية .. ان هناك حقا بعض المحاولات المحدودة تتمثل فى الاستفادة بالايقونات المسيحية المتآكلة ، وبالنسيج الشعبى السلافى وبطراز العمارة العثمانية وبالطبيعة الجبلية الوعرة .. لكنها تظل استثناءات قليلة بالنسبة لمجمل الأعمال التى شاهدتها .. وهى فى أغلبها تكرار لما أنجزه الفنان الغربى فى مجال الخبرة التقنية والجمالية على مدار ثلاثة أرباع هذا القرن ..

أما الموضوع فى هذه الأعمال فقد انتهى عهده واذا كان ثمة مضمون فهو ملفوف بالغموض ، خاصة فى الأعمال التى مازالت تقتفى أثر المدرسة السريالية ولعل النبرة الجهيرة بين مختلف التيارات الفنية التى قد تحمل مضمونا هى نبرة الايحاءات الجنسية ... ولاينبع ذلك بالتأكيد من كبت جنسى نتيجة انغلاق العلاقات الاجتماعية فى هذه الناحية ، فالعكس هو الصحيح ، بل لعل الأرجح هو محاولة الفنان التعبير عن الخصوبة والتلاحم الانسانى مستخدما الرمز **وبشكل عام فقد شعرت أن رسالة الفنان اليوغوسلافى رسالة صغيرة على المستوى الفكرى والانسانى ، على الرغم من الحرية الهائلة التى يحظى بها تعبيريا ومن يدرى ! .. فربما كان صغر هذه الرسالة أيضا رد فعل لتلك الحرية ، التى تبدو للأجنبى العابر مثلى عميقة الجذور فى بنية المجتمع .**

● نحت من المرمر لفنان امريكى انتجه فى مستعمرة الفنانين ويعرض بحديقة عامة



فنون

فوق جبل ماركو !!

● نحت في الحديد لفنان من كوبا انتجه بالمستعمرة ويعرض في الحدائق العامة



بينما قد تكون فى حقيقتها شكلا فارغا إذا أصطدمت بجوهر الواقع وصراعاته المصيرية ، أما الفيصل فى ذلك فلن يكون إلا بعد معايشة أطول وأعمق للحياة فى ذلك المجتمع المعقد ، بتجربته المتفردة فى السياسة والاقتصاد ، وتجاور القوميات والأديان واللغات والعقائد المختلفة .

نفس الوضع قد ينطبق على مصداقية تجربة المستعمرات الفنية ، فيما إذا كانت قوة دافعة للتفاعل بين الفنان والمجتمع والطبيعة ، أم أنها مجرد "شكل" آخر اتخذ طابع التقليد الراسخ على مدى سنين طويلة . لقد التقت عيناى فى أكثر من ميدان وحديقة وفى العديد من المنشآت العامة بمدينة بريليب - التى تقع بها المستعمرة - ومدينة أسكوبيا عاصمة جمهورية مقدونيا ، بالعديد من أعمال النحت الحديثة التى يغلب عليها التجريد الهندسى ، معظمها من إنتاج النحاتين بالمستعمرة ، لكنى لم أشاهد مرة واحدة - مع دقة ملاحظتى لذلك - شخصا يتأمل تمثالا من هذه التماثيل المتناثرة أو يشعر بوجودها ، علما بأن أغلبها وضع حديثا فى تلك الأماكن ، بما لايجعل العادة تقتل فى المشاهد حس الانبهار ، كما اننى خلال **زيارتى الطويلة لمتحف الفن الحديث كنت الزائر الوحيد ، وظلت جميع قاعاته فى صمت القبور** ، وعلى أية حال فهذه نقطة خلافية حرجة بين المدارس المختلفة فى التربية الجمالية للجماهير ،

لكن فى مقابل ذلك ، ينبغى أن أشير الى عدة علامات عايشتها فى المستعمرة تعد نقاطا إيجابية تحسب لصالح التجربة ..

الأولى هى مشاركة عدد من كبار أساتذة الفن بأكاديميات يوغوسلافيا فى الانتاج داخل هذه المستعمرات وتشبعهم بهذه الفكرة وتلقينها لتلاميذهم . وقد التقيت بواحد من هؤلاء الفنانين هو البروفيسور "الكسندر لوكوفيتش" . ويعد أحد شيوخ أساتذة التصوير بأكاديمية بلجراد .

والثانية هى استضافة المستعمرة لأحد نقاد الفن التشكيلى مع الفنانين فترة وجودى ، حيث تتولد الرؤية النقدية من داخل التجربة الفنية وليس من خارجها . وكان هذا الناقد- واسمه فلاديمير فيليكوفيتش - مرتبطا بهدف محدد هو كتابة دراسة نقدية عن الفنان اليوغوسلافى الكبير تاسكوفسكى الذى كان مشاركا معنا فى المستعمرة خلال نفس الفترة ، مع فنانين آخرين من ألمانيا الشرقية وبولندا . !

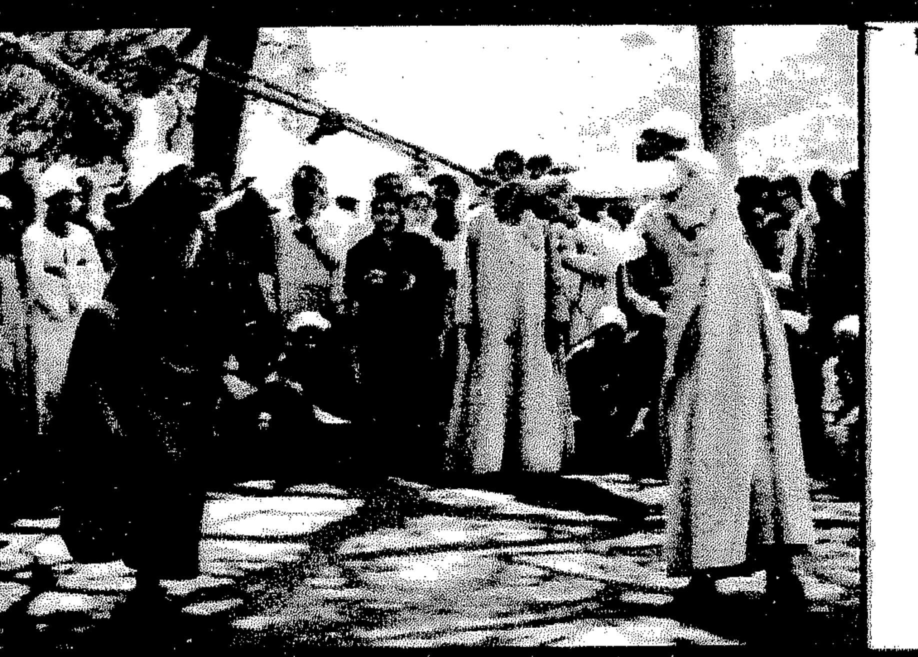
والثالثة هى مداومة عدد من أطفال المدينة على زيارة الفنانين بمراسمهم أو مرافقتهم أثناء الانتاج وسط الطبيعة المفتوحة ، ولاشك أن ذلك من شأنه أن يرسب فى نفوسهم النقية حب الفن والطبيعة وهم فى عمر الزهور ، وأن يساعد المواهب الكامنة فيهم على التفتح مبكرا .

وأخيرا ، فإن الثروة الفنية التى تقتنيها كل مستعمرة من أعمال الفنانين على مدار السنين ، كفيلة بأن تصبح فى المستقبل استثماراً قيما ، قوميا وعالميا ، للأجيال القادمة .

كم أتمنى أن تستفيد مصر من هذه التجربة الزاخرة ، خاصة أن لديها من الامكانات الجمالية والحضارية القديمة أضعاف أضعاف ما تملكه يوغوسلافيا أو أى بلد آخر .

كيف تعيش مجلة شهرية مائة عام؟

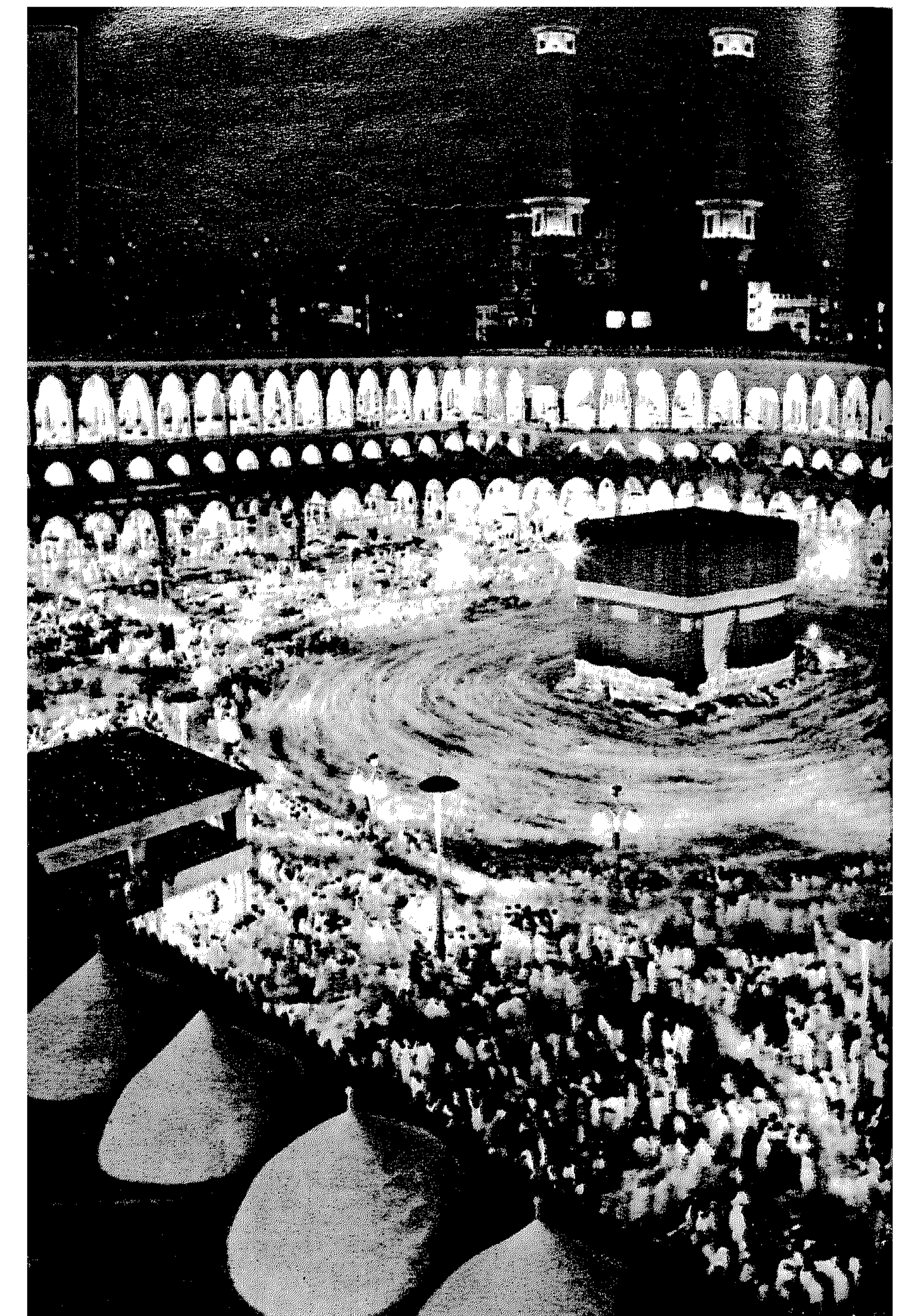
بقلم: مصطفى نبيل





عدد قليل من المجلات الشهرية ، تعد على أصبع اليد الواحدة ، فى كل انحاء العالم ، استطاعت أن تجذب إليها القارىء ، وتثير اهتمامه طوال قرن من الزمان ، ومن هذه المجلات ، المجلة الجغرافية "ناشيونال جيوكرافيك ماجازين" ، والتى احتفلت فى سبتمبر الماضى بعيدها المئوى ..

وفى البلدان العربية ، لا يوجد سوى مجلة "الهلال" التى تحتفل بعيدها المئوى بعد أربع سنوات .



كيف تعيش مجلة شهرية مائة عام؟

حقا .. إنها قدرة فذة ، ان تتصل مطبوعة طوال هذا المدى الزمنى فى ظل عالم يتغير بوتيرة متسارعة ، وتحتاج هذه القدرة على الاستمرار الى التامل والدرس ، حتى نعرف .. كيف فعلتها المجلة الجغرافية .. ؟!

فالمجلة مثل الكائن الحى ، تولد وتنمو ، وتكتسب عافيتها وعنفوانها من تحقيق شروط الاستمرار بعد تحقيق شروط الوجود ، وسر البقاء واهم شروط الاستمرار هو القدرة على التجدد ، وفن التجدد هو فن مواكبة ماحولها من تغيرات ، واليقظة فى رصد هذه التغيرات ، ثم التجاوب والتفاعل معها ، والأهم من هذا كله هو قدرتها على تبنى "الحلم العام" .

فكيف حققت المجلة الجغرافية كل ذلك على مدى الف ومائتين من اعدادها .. ؟

وربما نجد فى قصة نشأتها ، وطبيعة مادتها ، وشكل تطورها ، ما يساعد على اجابة هذا السؤال .

كانت المجلة الجغرافية مجرد فكرة داعبت خيال اعضاء الجمعية الجغرافية الامريكية ، وامامهم نموذج هو الجمعية الجغرافية البريطانية ونشاطاتها المتعددة ، والتى ساهمت بدور بارز فى قيام الامبراطورية البريطانية الواسعة الارجاء ، وحمل أعضاؤها من المستكشفين والرحالة الإعلام البريطانية الى آخر المعمورة ، وقادوا حركة الاستعمار البريطانى ، تساندهم وتقف خلفهم مجهودات علمية كبيرة ، وقدموا للامبراطورية مغامرات مثيرة ، وتتبعت خطاهم الجيوش والأساطيل البريطانية ، عندما كانت كل مغامرة مثيرة تنتهى بضم بلد جديد ناء من العالم . !

وسارت الجمعية الأمريكية على درب الجمعية البريطانية ، بما يتناسب مع النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، وكان فى رحاب القارة الأمريكية أوسع مجال للابتكار والتجديد والمغامرة ، واستحدثت طرق جديدة لتنظيم وضبط الراى العام وطريقة مخاطبته ، ومن بينها المجلات الثقافية ، واهتمت الجمعية بنشر الحس الجغرافى لدى الأمريكيين ، على اعتبار أن الجغرافيا معرفة بالذات وبالعالم ، وهى علم قراءة الواقع من أجل المستقبل ، وهذه المعرفة هى البداية المنطقية للتفاعل أو السيطرة ، إذا أحسن تقديمها وتبسيطها ، فستخلق الرغبة العارمة فى المبادرة والترحال واكتشاف المجهول ، وتقتحم بالخيال كل ما يلفه الغموض ، وتدفع القارىء إلى آفاق جديدة .

والمجلة اداة مناسبة لتحقيق هذه الأهداف . وجاء فى عددها الأول الصادر فى سبتمبر عام ١٨٨٨ .. "نامل أن تقيم المجلة علاقة حميمة مع قارئها ، وتقدم إليه مادة بسيطة وشيقة ، وتنقل إليه كل ما يتعلق بالكشوف والابحاث الجغرافية" ، واستطاعت بالفعل ان تفى بوعدها خلال مائة عام ، وأن تحول علم

الجغرافيا وما يتسم به من برودة وجفاف ، الى مادة طازجة ومشوقة ، لا تخلو من الدراما البشرية ، واخذت تتابع خطوات الانسان وتطلعه لاكتشاف المجهول ، فقدمت ما يزخر به العالم من روائع تبحث عمن يتعرف عليها ، وسلكت درب المجهول فوق اليابسة ، وأوفدت اول بعثاتها الاستكشافية عام ١٨٩٠ الى جبال سانت إلياس فى ألاسكا بالقطب المتجمد الشمالى ، ومضى درب البحث عن المجهول من اليابسة الى الفضاء ، وقدمت وصول الانسان الى القمر وصحبته للتعرف على الأجرام فى الفضاء .

ولم أدهش والمجلة الجغرافية تحتفل بإصدار عددها المئوى ، فقد رأيت أسلوب عملها المتقدم، واستخدامها احدث الوسائل الفنية فى فن الطباعة والتصوير ، عندما زرت مبناها الضخم فى واشنطن ، والتقيت بعدد من محرريها ، وتجولت فى مكاتبها ومطابعها وأقسامها الفنية ، وشاهدت الامكانات الكبيرة التى تتاح لمحرريها ، ولاحظت ما تتسم به من التنظيم الدقيق والتخطيط المحكم ، وعندما تدلف الى المبنى الضخم العريق ، تطالع عرضا شيقا لمطبوعاتها من مجلات وكتب وخرائط وأفلام فيديو .

وتخطط المجلة تخطيطا دقيقا لأعدادها المقبلة ويطالع الزائر خريطة تحدد المستقبل فى برنامج وتوقيت دقيق خلال عام مقبل ، وتجهز المجلة على الدوام مواد ستة أعداد قادمة ، مع دراسة لما تضمه موادها من معارف موسوعية ، فتشمل مدينة او منطقة امريكية ، واحد مناطق العالم المختلفة ، وتتابع كل انباء الاكتشافات الجغرافية والعلمية ، كما تنشر العلوم والتاريخ الطبيعى ، وتفرد مكانا خاصا لتقديم احدى الشخصيات البارزة .

ومن الامكانات الفنية العالية التى استخدمتها ، جهاز يستطيع فصل الألوان الكترونيا ، ويستطيع هذا الجهاز تغيير ألوان الصورة ، وحتى تغيير زى المرأة ، وتغيير لون شعرها ولون عينيها ، وتحويل السماء الملبدة بالغيوم الى سماء صحو زرقاء ، بمجرد الضغط على بعض الأزرار !

ولم يكن غريبا ان توزيعها يصل الى عشرة ملايين نسخة فى كل انحاء العالم .

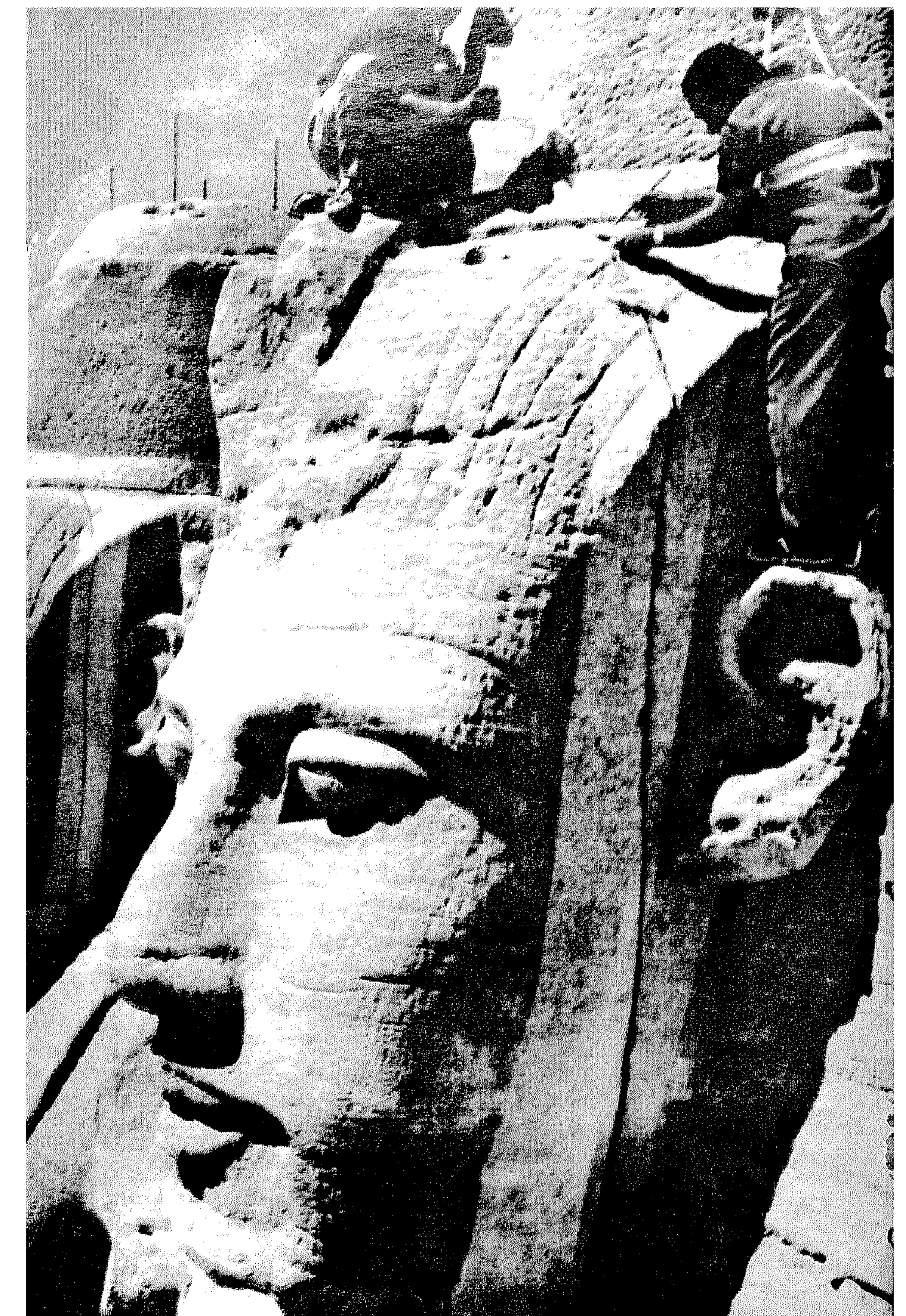
● أزمة القراءة

ولم يعد يكفى مجرد التجدد من اجل الاستمرار ، فى ظل ما جاء به العصر ، من ثورة الاتصالات وبعدها ثورة المعلومات ، بل الح على ضرورة التغير النوعى من أجل البقاء ، بعد أن تعرضت الثقافة وأوعيتها من كتب ومجلات وصحف الى ازمة خانقة ، وبعد أن أخذ التغير يطول حتى عادات الانسان التى استقرت مع الزمن .

وقد نمت عادة القراءة منذ عرف الانسان الحرف وتبين الكلمة ، وعندها خرج من ظلمات الجهالة الى المعرفة ، وانتقل نقلة حضارية واسعة ، ومرت صناعة الكتاب بتطورات مختلفة عكست مراحل تطور الحضارة ، وكانت القراءة يوما تقتصر على النخبة ،



● نقلت عدسة المصور كل ماهو فاتن وساحر في البلدان العربية . لقطة للحياة في أعماق الصحراء الجزائرية ، واخرى في اعماق مصر عند بناء السد العالي ونقل معبر أبي سمبل



كيف تعيش مجلة شهرية مائة عام؟

في عصر "الندرة" ، عندما كان "الوراقون" ينسخون ما بين أيديهم من كتب في أعداد محدودة ، توضع في قصور الأمراء والعلماء أو في المساجد والمدارس .

وعبر الجاحظ عن معنى الكتاب وقيمته أيامها بقوله : "لولا الكتب المعروفة ، والاخبار المخلدة ، والحكم المخطوطة التي تحصن الحساب وغير الحساب ، لبطل أكثر العلم ، ولغلب سلطان النسيان سلطان الذكر ، ولما كان للناس من مفزع الى موضع استذكار".

ويتغزل في الكتاب وفضله بقوله : "والكتاب هو الذي اذا نظرت فيه أطال امتاعك ، وشحذ طباعك ، وبسط لسانك ، وجود بيانك ، وفخم الفاظك ، ونجح نفسك ، وعمر صدرك ، ومنحك تعظيم العوام ، وصداقة الملوك ، وعرفت فيه في شهر ما لا تعرفه من افواه الرجال في دهر .."

وكان كبار العلماء مثل ابن الهيثم ، عندما تنفد نقوده ، يترك ما يقوم بتاليفه وينسخ احد الكتب ويعيش على ثمنها !

وانتقل الكتاب من عصر الندرة الى عصر الوفرة بعد مطبعة جوتنبرج ، وشهد طبع الكتب ثورة واسعة ، وصاحب ظهور المطبعة عصر التنوير ونمو الطبقة الوسطى ، وتربع الكتاب على عرشه ، كمتعة أولى تملأ أوقات الفراغ وتنقل الأفكار والمعارف

وفي عصرنا الحاضر ظهر التأثير السلبي على القراءة من الاذاعة والتليفزيون والفاكس والحاسب الآلي ، واهتز عرش الكتاب ، وأخذ الناشرون والقراء يتساءلون : هل انتهى عصر الكتاب ، وعصر الكلمة المطبوعة .. ؟ وهل تخلى الكتاب عن المنزلة العالية التي كان يحتلها ، وعن الولع الشديد الذي كان يحظى به .. ؟!

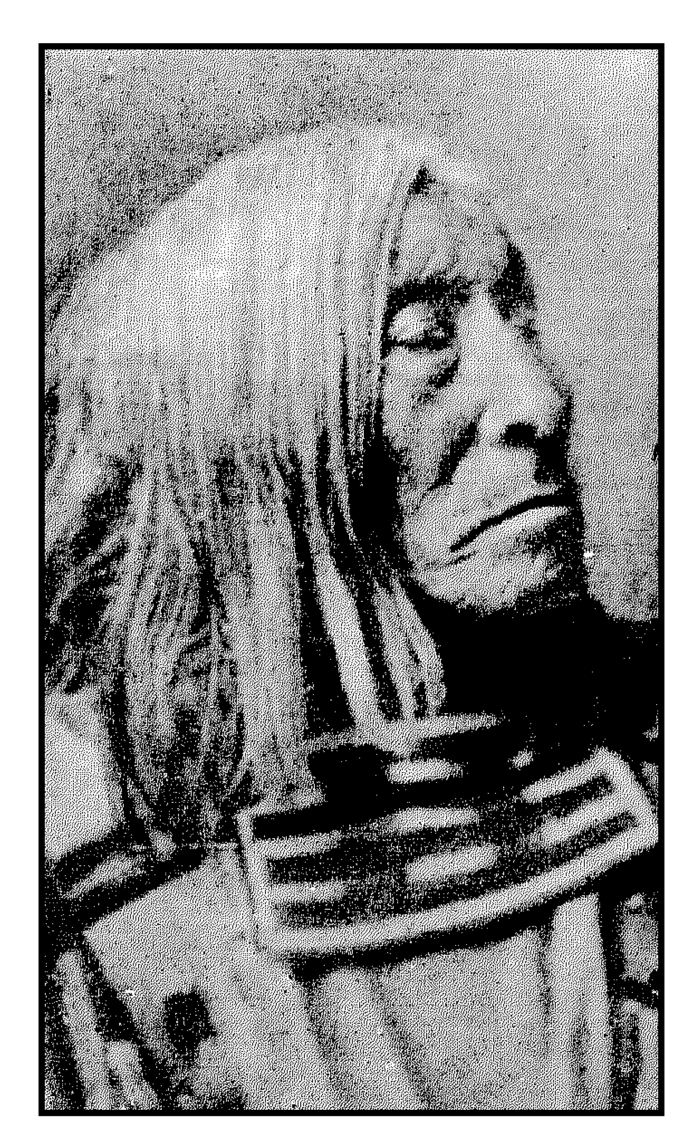
وفقدت كلمات الجاحظ معناها : "لولا الكتاب لغلب سلطان النسيان سلطان الذكر" ، وأصبحت ذاكرة

● ودعت المجلة الامريكية عالم الهنود الحمر في امريكا بأسى وحزن ، على عالم قديم يتهاوى وعالم جديد يرتفع .



الكمبيوتر بديلا عن الكتب المدونة ، وجاء التضخم العالمي وتصاعدت الأزمة بارتفاع أسعار الكتب ، ولم يعد سوى القليل من القراء القادر على اقامة مكتبته الخاصة في شقق العصر الضيقة ، واستبدلت الأجيال الجديدة أشرطة التسجيل وأفلام الفيديو والمعرفة السهلة لتحل محل الكتب على أرفف المنازل ، وقدم من جانب اخر التليفزيون تسلية أكثر تشويقا واقدر على ملء أوقات الفراغ ..

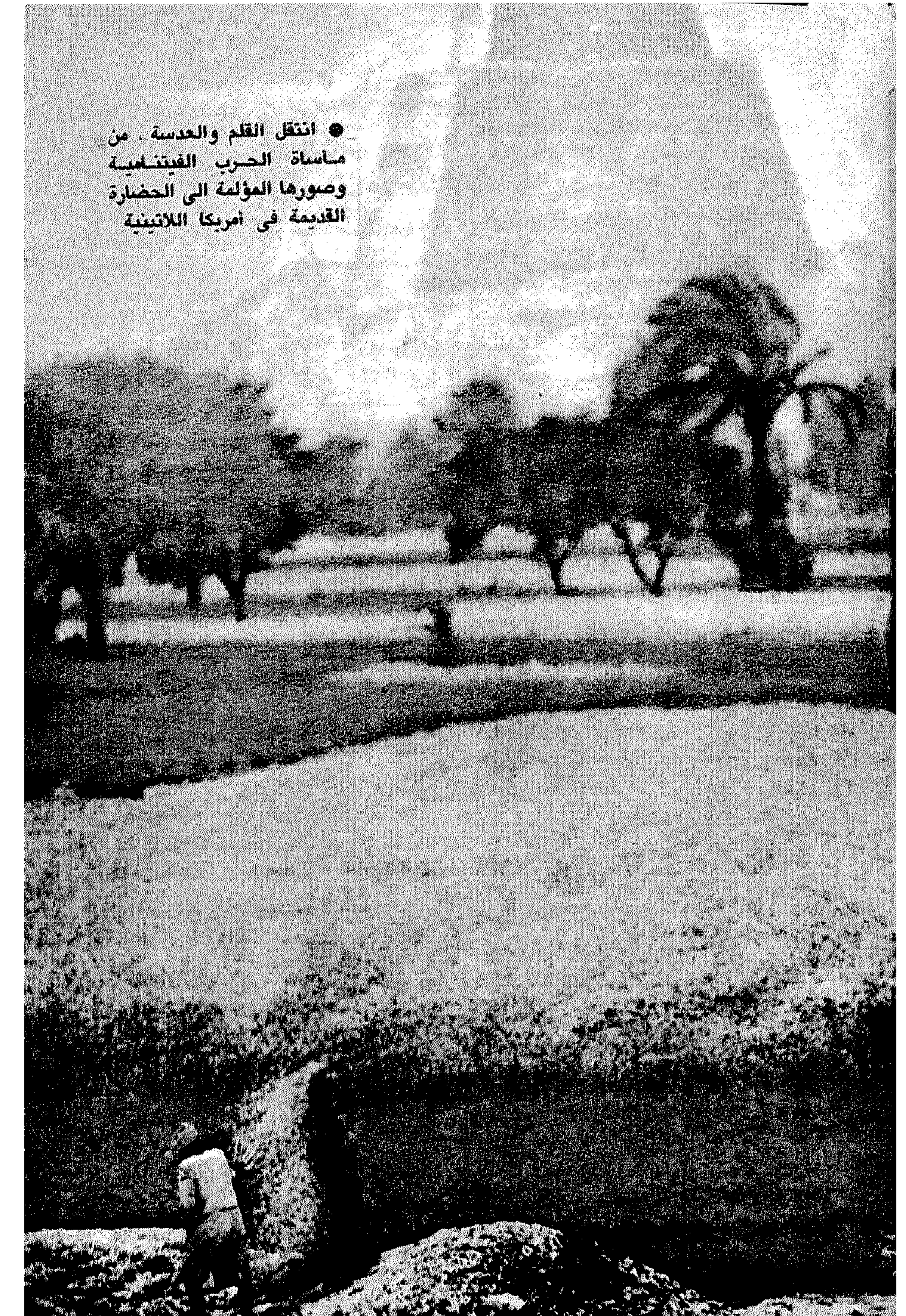
وأصبحت مكتبة المستقبل الخاصة تضم مجمعا من الأجهزة الالكترونية ، ووسائل الاتصال الحديث مثل الكابل ، وجهاز الكمبيوتر الذى يختزن المعلومات ، وشهد العالم تغيرات واسعة أمام الأجيال الجديدة ، وصاحب العصر الحديث الصخب والضجيج ، وحل الضجيج محل السكون ، ذلك السكون الذى كان أحد شروط خلق عادة القراءة والاستمتاع بها ، ولم تعد جدران البيوت الحديثة عازلة للصخب ، واظهرت البحوث النفسية والاجتماعية التى نشرت مؤخرا في الملحق الأدبي لجريدة الصنداى تايمز - أن حوالى ٨٥٪ من المراهقين الأمريكيين ، لا يستوعبون صفحة واحدة مطبوعة ، اذا لم تكن قراءتهم مصاحبة لخلفية من الضجيج المنبعث من التليفزيون ، أو المسجل !



● عزوف القراء

. وواجهت المجلة الجغرافية كل هذه التغيرات ، والتى أضيف لها انصراف القارىء عن الجغرافيا والعالم من حوله ، فكان لابد لها من أن تجد وسيلة فعالة لاعادة الاهتمام وممارسة دورها ، ومن غير مكابرة درست طبيعة الأزمة التى تواجهها ، وأثارت لدى المشرفين على المجلة روح التحدى ، والاصرار على استمرار دورهم في خدمة القارىء ، ولم يقفوا عاجزين أمام الأزمة وكأنهم أمام الزلازل والبراكين التي لا حيلة لهم بها ، وإنما أخضعوا الأزمة للتأمل والدراسة والبحث ، يتعرفون على الأسباب ويضعون البرامج والحلول ، وكانت نقطة البداية ضرورة احياء الاهتمام بالمادة الجغرافية ، وخلق التعطش الى معرفتها لدى


HAVE A PITY ON US LET



● انتقل القلم والعدسة ، من مأساة الحرب الفيتنامية وصورها المؤلمة الى الحضارة القديمة فى أمريكا اللاتينية

كيف تعيش مجلة شهرية مائة عام؟

الاجيال الجديدة ، وعليهم ان يذهبوا الى المدارس حيث البراعم التى يمكن اعادة تشكيلها ، فأخذوا ينظمون المحاضرات والندوات التى غطت كل المدارس الأمريكية ..

وأقيمت جمعية جديدة تهدف الى نشر هذه المعرفة والبحث عن وسائل تعليم الجغرافيا وتبسيطها ، وتعمل على ابتكار وسائل جديدة لتعليمها ، ودعت مدرسى الجغرافيا الى الانضمام الى صفوفها ، مع تركيز خاص على الهدف القديم وهو تنمية الحس الجغرافى .

وأكدت التجربة من جديد على وجود مكان خاص فى كل المجتمعات الحية لكل صاحب رسالة ، لديه ما يقدمه ، وان هناك متسعا لمن لديه الاصرار على تجاوز ما يواجهه من عقبات ، عندما نجحت الجمعية الجديدة فى اغراء كل من يشترك فى أهدافها فى الانضمام الى الجمعية الجديدة ، وداخل الجمعية يتفقون على خطط وبرامج تحقق ما يسعون اليه ، وتجاوزت المجلة أزمتها ، وعادت الى ارقام توزيعها السابقة .

● فن التصوير

وعندما ظهر التليفزيون الملون ، واكتسح أمامه كل وسائل الاتصال ، استطاعت المجلة الجغرافية أن تحافظ على قرائها ونفوذها ، وأن تتشبث "بالخانة" التى رسمتها لدورها ، وتواجه المتغيرات الجديدة ، عن طريق ابتكار حلول جديدة ، وتطوير فى تقديم المادة الثقافية ، وصدرت اعدادها جيدة الطبع ، ذات ورق مصقول وطباعة متقدمة ، وقفزت قفزة واسعة فى "فن التصوير الجغرافى" ، واصبحت رائدة فى فن جديد جميل ساحر ، وقدمت العدسة صورا لمناحى الحياة المختلفة ، ونقلت العدسة القارىء لكى يرى باللون أماكن يصعب عليه الوصول اليها .

وأدى تطوير طباعة المجلة الى كسب قراء جدد ، ومكنتها الطباعة الحديثة والاخراج الجيد من منافسة التليفزيون ووسائل الاتصال الحديثة الاخرى ، واثبتت تجربتها ان الحاضر والمستقبل مازالا للتحالف بين كلمات الكاتب وعدسة المصور ، وفن الطباعة الحديثة ، فالمجلة تقرأ بالعقل وترى بالعين ، ويكسر الاخراج الجيد الرتابة ، وينوع الايقاع ، ويقطع الرسم مجرى الكلمات ، فتضيف الى قارئها معنى ومغزى ، كما ساعدت الطباعة الالكترونية على حسن توظيف اللون .

ونجحت فى اقامة ركائز ثلاث تقوم عليها المطبوعة الناجحة ، وهى التحرير والتصوير والاخراج ، وبالنسبة للتحرير ، استطاعت المجلة ان تجعل القارىء يسافر على الورق فى ربوع العالم ، ويصل الى اخر اركانه ويرى خفاياه ، وتقدم جوانب من ثقافات الشعوب وعاداتهم وتقاليدهم ، وتنقل شخصية المكان وتاريخه وتطوره ، وتصحب القارىء الى آفاق

العلم وتأثيراته على مستقبل الانسانية ، وابتدعت فنا جديدا هو فن الخرائط ، وفن تقديم المعلومات في جداول مبسطة ، وكان اكبر انجازاتها ، فن التبسيط ، وهو فن صعب عندما يكون راقيا عكس ما يتصور الكثيرون ، مما ساعد المجلة على التوجه الى القارىء العادى ، من طالب الجامعة حتى الكهل ، ومن ربة البيت حتى عارضة الازياء ، وبذلك اخذت تحرك العقول ، وتترك اثرا لا يمحى في ذاكرة القراء ، واحدثت ببساطتها تأثيرات عميقة على كل من الادراك والخيال بصورة تجذب وتبهر .

وجعلت شعارها ، "العالم بما فيه .. فيها" The world and all that in it واصبح التحرير والتصوير فيها يتوازنان توازنا دقيقا ، وتجد الدراما الحية في قصص الرحالة وما يلاقونه من صعاب ، الى جانب لقطات بكر للمناطق التى وصلوا اليها ، فتهز القارىء بفتنة الاكتشاف ، وتزيح الستار عن كل غامض ومجهول ، وتتوقف عند كل غريب .. وفاتن .. وجميل .

● مائة سنة تصوير

قدمت المجلة بمناسبة عيدها المئوى معرضا لأهم وأجمل ٢٠٠ لقطة لديها ، من ثروة اللقطات التى تراكمت على مر السنين ، تضم افضل اللقطات التى سجلتها عدستها ، واذهل المعرض من رآه ، وضمت صورا لما بقى من الحياة البرية ، وجولة الكاميرا وهى تنقل عادات وازياء الشعوب المختلفة .

وهى تصحب القارىء الى الثلوج البيضاء فوق قمم الجبال ، وهى تنقل الاشجار والطيور وسط الغابات ، ووصلت عدساتها الى اعماق البحار وعنان السماء ، والهبت الخيال بلقطاتها الفريدة التى طالت كل فاتن في العالم ، وشكلت لقطاتها عرضا ثريا ومتنوعا وجليلا ..

يضم "البورتريه" لملامح الشعوب المختلفة ، ولقطة اخرى لنمر افريقى يلتهم فريسته ، ولقطات مجسمة بالعدسة المقربة لحشرات او اسماك فى اعماق البحار ، ذات الوان زاهية ، ويعكس اختيار الصور وترتيبها فى المعرض اهتمامات المجلة المتنوعة على مدار الزمن .

وهى لقطات بديعة تدهش من يراها ، تتذوقها العين ، يراها بشغف المصور المحترف والعالم المتخصص والقارىء العادى ، بعضها لوحات بديعة تلقائية وطبيعية ، تريح العين ولا تثيرها او تخدشها .

تقول لقطاتها : "لا يدهش اكثر من الحقيقة" ، وتوصف "بالايقونات المصورة" .

ولولا القفزة الواسعة التى قفزها فن الاخراج ، وتطور فن الطباعة ، ما امكن تقديم وسائل الجذب البصرى فى هذه اللقطات ، وما تمكنت المجلة الجغرافية من أن تعيش وتؤثر مائة عام .

نجيب ...

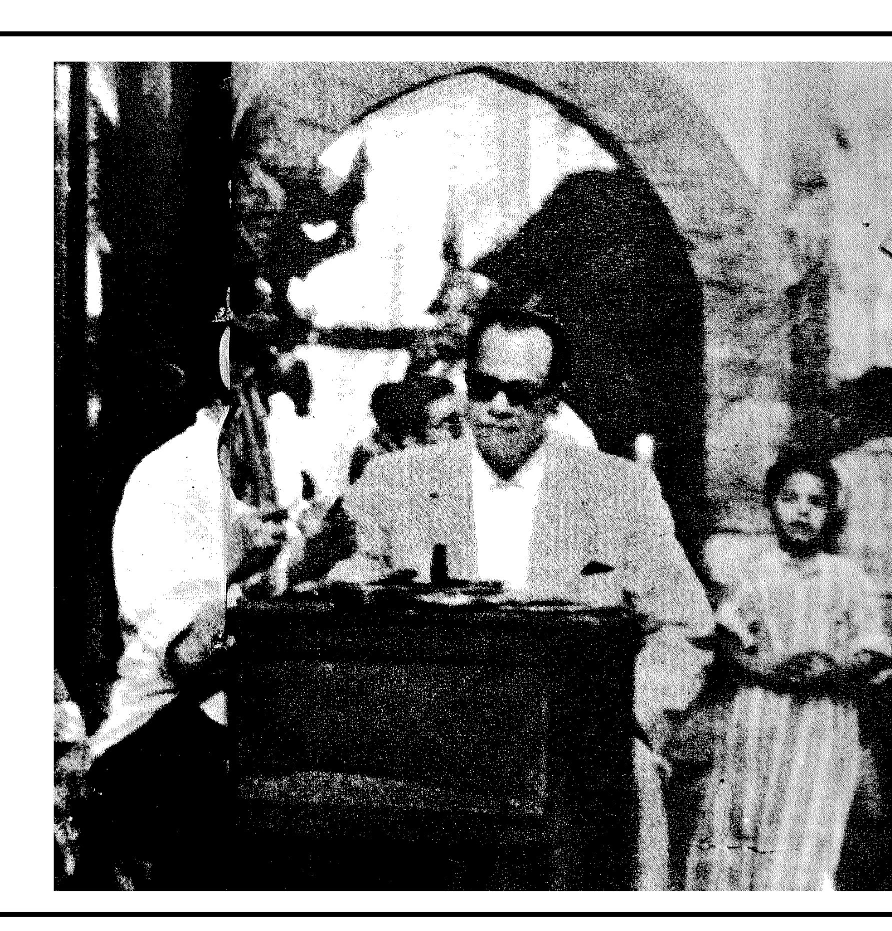
بقلم : يحيى حقي

كان من حسن حظى اننى جاورت نجيب محفوظ ثلاث سنوات فى مصلحة الفنون .. مكتبه بجانب مكتبى ، قمت ذات يوم لأطل عليه .. لم الحظ ان الباب مقفول على غير العادة .. اتوقع ان آراه جالسا إلى مكتبه انه يصل اليه كل يوم فى الساعة الثامنة بالضبط .. وينصرف فى الساعة الثانية بالضبط كانما الفيلسوف « كانت » عاد عندنا للحياة من جديد .. نجيب يلتزم الواجب وينأى بنفسه عن كل مساس بخط سيره ..

فوجئت اننى رايته وسط الحجرة قد رفع راسه إلى السقف .. علقت نظرتى بجبهته ، احب ان اتامل جباه رجال الفكر ، وضاءة كانها اشعاع نور باطنى .. يداه مشتبكتان وراء ظهره .. جسده مشدود كقوس المنجد لو لمسته باصبعك لنفضك ..

لم يحس بدخولى ، ولا بوجودى بل اخذ وهو فى هذا التوتر الشديد يزرع الحجرة ذهابا وايابا .. عرفت فيما بعد انه مقبل على تاليف رواية « اللص والكلاب » ..

حضرت لحظة هامة فى فكر المبدع ، كان نجيب قد جمع مواده الرئيسية فى ذهنه .. ووضعها مبعثرة فى كيس .. حضرت لحظة هندسة العمل وضع الاشياء فى اماكنها متناسقة مسلسلة بعضها ياخذ برقاب بعض ..







نجيب استاذ فذ في فن هندسة الرواية ، النسب والتناسب والمكان الصحيح . توقعت له ان يمر بمرحلة اخرى وتمثل في ذهني فلاحة جلست الى ملجور ، وتأملت مالديها من دقيق ، وحسبت بسابق خبرتها مايلزمه من ملح وماء ثم اخذت يداها تفركان هذا الخليط وتصطاد ما تناثر منه ثم تعمل يداها في العجن واللت لاتنقطع لحظة حتى يصبح في الماجور كتلة من العجين متماسكة لها عرق ينجيها من الفسولة .. غاب الكل في الجزء وغاب الجزء في الكل حتى الهندسة غابت في هذه الكتلة ، حينئذ ينشأ القوام الأصيل للعمل ، وتتحقق الروابط بين المعطيات وبين الالفاظ مهما تباعدت .. هي لحظة من اسعد لحظات حياتي انني حضرت مخاض اللص والكلاب ، وحينما قراتها اثنيت عليها ثناء جما ، ولعلي لم اقل حينئذ ان من اسباب انبهاري بها انني وجدت نفسي اعيش داخل محفل صوفي ، تتردد على سمعي جميع الفاظ ومصطلحات القاموس الصوفي .. لاتضحك اذا قلت لك ايضا ان العمل العظيم كالنهر العظيم له روافد جانبيه تثريه وتطغى عليه .

يجب البحث في كل ما كتب نجيب عن تلك الروافد انظر اليه في الثلاثية ، كيف كان من روافدها التاريخ للاغنية المصرية في عهد الرواية ..

انني ابحث في كل نثر عن لمسة من الشعر ، وقد خضع النثر في الرواية لارهاب استمر زمنا طويلا .. يقول بعض النقاد ان الاسلوب الأدبي في الرواية عائق يقف بين القارىء واستمتاعه بالرواية كفن مستقل قائم بذاته ، يطلبون اولا من المؤلف التزام الحياد التام ازاء شخوصه فترتب على ذلك ايضا حياده التام ازاء الاسلوب في الرواية فيصبح مستقلا عن الانفعالات التي يعبر عنها ..

فتشت عن هذه اللمسات الشعرية عند نجيب محفوظ وجدت اروع مثال لها في مناجاة كمال لنفسه في الثلاثية وهو يسير خلف نعش لايعلم انه يضم حبيبته .. لا اخجل اذا اعترفت لك ان عيني اغرورقتا بالدموع وانا اقرا هذا الشعر الجميل المنثور ، كما اغرورقتا وانا اشهد الست امينة مطرودة من بيتها لانها خرجت بدون اذن زوجها ولو لزيارة مسجد قريب ..

وضعت يد رحيمة كريمة في مهد

نجيب محفوظ موهبة ورسمت له اصلح طريق يسلكه .. هاهو ذا يدخل كلية الفلسفة لا الآداب ولا التربية فلا ينبغ كاتب قصصى الا إذا كانت له زخيرة متكاملة من الفكر الفلسفى فى جميع العصور .. وقيل له وهو فى مهده انت مخلوق للفن الروائى فالزمه ، فالتزمه ولم يحد عنه رغم اى اغراء ، وقيل له انك ابن القاهرة وحى الجمالية فالزم مسرحك ، فالتزمه رغم اى اغراء بان يستجيب الى مطلب من اهتمامه الى القرية .. صدقت موهبته وصدق هو معها ..

ورفض نجيب ايضا الخضوع لمطلب ان يكون الحوار دالا على صاحبه فيتكلم الجزار والنجار بالعامية لأنه بصدق احساسه الفنى ودراساته فهم ان كل عمل فى جميع الفنون مسبوق بكلمة كان ، فالعمل الفنى هو حقيقة متوهمة أو هو وهم محقق فى الواقع الخارجى فالتزم كتابة الحوار بالفصحى ..

ينبغى للغتنا الشريفة ان تجله وتحمد له اخلاصه لها وهاهوذا انضم الى النادى الذى يجمع جميع من نبغ بالفصحى من شعر ونثر منذ اقدم العصور الى يومنا هذا ..

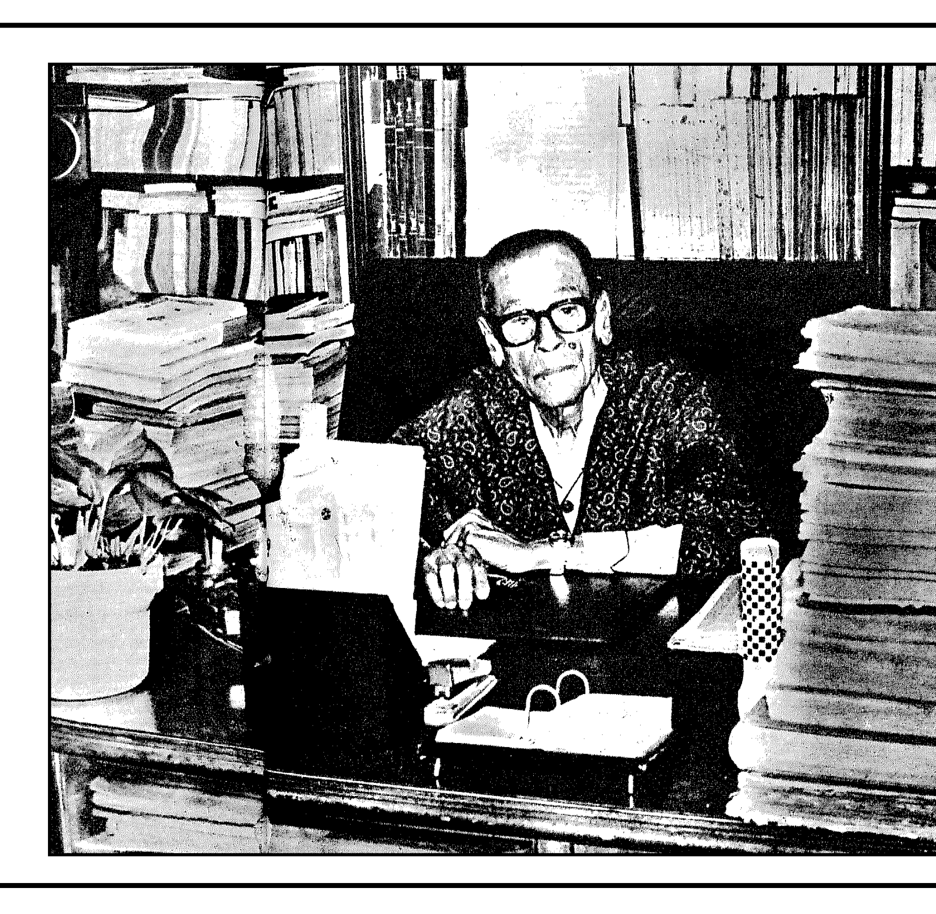
اذا مسَّك غم أو هم واردت ان تغسل قلبك فاذهب الى ندوة نجيب محفوظ ، ستدلك عليها وانت بعيد جلجلة ضحكة منطلقة بانشراح من ضميم القلب .. لأجل هذه الضحكات كنت اقصدها فيما مضى .. روح الفكاهة متفجرة ليست وليدة تلاعب لفظى أو من قبيل الدخول فى قافية فى قهوة بلدية ، بل هى وليدة فهم لمتناقضات الحياة والطبائع وخداع المظاهر مبراة من وصمة السخرية ، لاينبغ كاتب إلا إذا رأيته احيانا يضحك ضحك نجيب محفوظ ..

وهذه الأيام التى تزدحم الدنيا حول نجيب لم ينس ان يذكر صداقتنا الحميمة اين منها أخوة الدم .. اسأل نفسى كيف وصلت ذكراى اليه وسط هذا الزحام .. من اكبر نعم الله على هذه الصداقة التى ربطت بيننا لا تعادلها نعمة اخرى ..

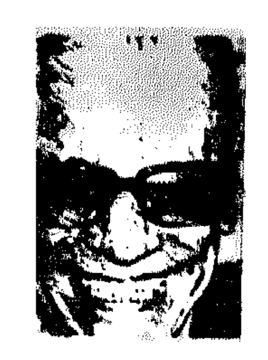
ومسك الختام اقول يانجيب انت تحس معنا جميعا بفضل التحامك بامتك مذ كنت ، ان هذه الجائزة هى كاشفة غير منشئة لقرار اجماعى من شعبك بانك تستحق هذه الجائزة ، ولذلك فلعله لأول مرة فى تاريخنا ان تعم الفرحة كل قلب وفى كل بيت لان اديبا من ابنائنا قد نال الاعتراف به على الساحة الدولية ..

درس من الجائزة

بقلم: د. شكري محمد عياد



أخلفت لجنة جائزة نوبل ظنوننا السيئة هذا العام وفاجأتنا بالخبر السعيد . ما أسرع ما تصدر نشرات الأنباء والتقطته مانشيتات الصحف . تبادلنا التهاني ، فأنا لا أعرف إنسانا واحدا يعادي نجيب محفوظ ، أو يعاديه نجيب محفوظ ، وما أجمل أن يظفر الرجل ، بعد كفاح أكثر من نصف قرن في حرفة الأدب ، بالتقدير العالمي الذي يستحقه ، وفوق ذلك مبلغ طيب من المال ، يمكن أن يقارن بالجائزة التي تمنح لملاكم محترف أو لاعبة تنس محترفة بعد مباراة واحدة من المباريات الكثيرة التي تقام كل عام .



درس من الجائزة

ولكنني ، بعد أن مرت على الخبر بضعة أيام ، وطلب مني « الهلال » أن أكتب بهذه المناسبة ، ساورتني بعض الشكوك ، كما يحدث للكثيرين غيري عقب أي نبأ سعيد وخصوصا عندما يكون النبأ سعيدا جدا ومفاجئا جدا ، كهذا النبأ الذي جاءنا عن المجمع السويدي الشهير .

تخيلت أننا ـ جماعة من الفقراء على باب الله ـ جاءتنا دعوة لحضور حفلة تنكرية راقصة في قصر أحد النبلاء ، شيء ولا في الأحلام . نلم شعثنا ونذهب . حاسبوا يا أولاد . انتبهوا جيدا لئلا تفضحونا . فنحن مازلنا أولئك الفقراء ساكني الأكواخ ، حتى حين ندعى الى قصر الأمير .

ومازلك لأننا نستصغر أنفسنا ، فنحن مازلنا ـ بحمد الله ـ نملك تلك الكبرياء التي لا يشعر بها سوى الانسان الفقير ، لأنها كل ما يملكه . إنما الذي يزعجنا ان في أعماقنا سؤالا لم نظفر له بجواب : لماذا تذكرونا هذه المرة ؟ ونحن نعلم أنهم ينظرون إلينا على أننا بشر غير كاملي الانسانية . وكل من لم يولد تحت سماء الغرب فهو جاهل شقي لايحسن أن يقوم بأمر نفسه ، وقلما يقبل التعليم لأن طبعه النكد إما أن يرفض التعليم وإما أن يسخّر ما حصله منه لخدمة نزعاته الشريرة . فهل الدعوة التي جاءتنا الى مهرجان نوبل تعني أنهم قرروا أن يتألفونا ، ولأي غرض ؟ وإلى أي أمد ؟

أود ان أقول لمجتمع القوم ، بكبرياء الفقير المنبوذ : كاتبنا العظيم نجيب محفوظ ليس في حاجة الى اعترافكم ، رواياته تدرس في جامعة القاهرة منذ الخمسينيات ، نقادنا عرفوا قدره ورافقوه في مسيرته الطويلة . وانتم ماذا قرأتم لنجيب محفوظ ؟ رواية أو روايتين ، أو ربما بضع أقاصيص ؟ أعظم أعماله « الثلاثية » التي توجّت مرحلة الواقعية ، و« الحرافيش » التي أحيت فن القاص العربي بعد عهود طويلة من التلمذة المتواضعة للغرب ، كلاهما لم يترجم بعد إلى الانجليزية أو الفرنسية ! لقد اتهمت معلوماتي ، فراجعت الدكتورة سيزا قاسم صاحبة البحث القيم عن الثلاثية ، الذي نالت به درجة الدكتوراة من جامعة القاهرة ؟ فأكدت لي صحة هذه المعلومات ، وزادت عليها أن ترجمة فرنسية للجزء الأول من الثلاثية ظهرت منذ وقت قريب .

وسمعت أن اللجنة نوهت برواية « أولاد حارتنا » ولعلها الرواية الوحيدة التي قرأوها له . ولعل معنى هذا التنوية أن الروائي العربي منح

الجائزة عن هذه الرواية (والعادة في جائزة نوبل أن تربط بعمل أساسي واحد) .

انا لا اريد ايها الأصدقاء أن اكون صوتا ناشزا في جوقة الفرح . ولكنني لا اريد ايضا أن يربط أحد في الشرق أو في الغرب ، اسم نجيب محفوظ باسم باسترناك أو سوليجنتسن ، لا تقليلا من قيمة هذين الروائيين الكبيرين ، بل لأن مثل هذا الربط يحمل دلالات كريهة .

وحسنا فعلت مصر الرسمية ومصر المثقفة حين أعلنت سعادتها بمنح جائزة نوبل لنجيب محفوظ ، إذا كان القصد من هذا الاعلان أن يعلم العالم أن نجيب محفوظ لم ينبذ ، ولم توصد أمامه أبواب النشر ، لأنه كتب « أولاد حارتنا » حسنا فعلت إذا كانت تعني بهذا الترحيب أن منع نشر « أولاد حارتنا » كان عملا سياسيا ، واضطرت اليه مصر الثقافة ، مصر الفن ، في وقت من الأوقات اتقاء لفتنة فئة جاهلة متعصبة .

يستنكر بعض الأدباء أن تبقى « أولاد حارتنا » محظورا تداولها في مصر بالذات ، بينما تقام الأفراح والليالي الملاح لكاتبها الذي منح جائزة نوبل من أجلها ! وكأنهم يرون أن الافراج عن هذه الرواية يصحح الموقف .

وأقول : « على رسلكم ! لا نريد ؟ وبكل تاكيد لايريد نجيب محفوظ ، أن ياتي أمر الافراج منْ إحدى عواصم الشمال .

إذا كان للجنوب أن يتحرر ، فعليه أن يتحرر من داخله .

إذا كان للجنوب أن يتعلم ، فعلى متعلميه أن يعلموا جهاله .

إذا كان للجنوب أن ينبذ التعصب ، ويستقبل النور ، فعلى أهله أن يتحاوروا بالحسنى ، وعلى كل صاحب دعوة أن يعلم نفسه ، قبل أن يتصدى لتعليم غيره .

من تاريخ الحكم « المصري الانجليزي » في السودان الشقيق ، أن نائب « المامور » المصري كان يأخذ أهل البلاد بالشدة تنفيذا لتعليمات رئيسه « المامور » الانجليزي . فاذا شعر السودانيون بالظلم لجئوا الى المامور الانجليزي ، فيرفع عنهم أحكام مرءوسه المصري ! وهكذا كره السودانيون المصريين . وأحبوا الانجليز .

مغزى القصة لايحتاج إلى شرح . ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين .

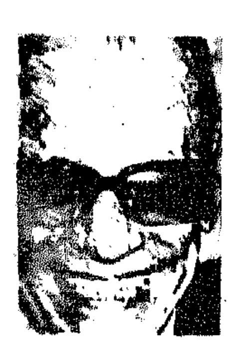
نوبل نجيب محفوظ
قيراط بخت أم.. فدان شطارة ؟

بقلم : يوسف القعيد

●● كنا جميعا في امس الحاجة لأن يحصل نجيب محفوظ بالذات على جائزة نوبل حتى نتوقف جميعا للحظات لالتقاط الانفاس نستعيد فيها ذلك المعنى البسيط "أنه لايصح فى النهاية سوى الصحيح" مهما اعوجت الأمور. وخابت الأحوال وفسدت الذمم. وأن العمل الدءوب والصامت هو المبرر الوحيد لأن يجيء الانسان الى هذا العالم.

جاءت الجائزة في التوقيت المناسب لتحاول استعادة البعض منا من الضفة الأخرى للياس. وقبل أن نقترب من الهوة السحيقة ونطل عليها ويصبح من الصعب أن لم يكن من المستحيل مقاومة السقوط فيها.





قيراط بخت أم.. فدان شطارة؟

أنا لا أتحدث عن جماعة المثقفين المصريين والعرب ، كنخبة أو صفوة تتجلى فيها صورة المجتمع المصرى والعربى بدقة . ولا اتحدث عن مصر والأمة العربية . ولكنى أتوقف بالتحديد امام سلم القيم الاجتماعية التى كانت تمثل درعا واقيا لهذه الأمة العربية ، وحبلا سحريا يجمعها حوله ولم يعد لهما الآن اى وجود .

لقد انفرط العقد الاجتماعى ، وحصلت هوجة لا احد يعرف من أين بدأت ولا أين تتوقف . وجاءت القيم البديلة . ومن الصعب حتى أن نسميها قيما .

بعد العرق والعمل والكدح فى الخمسينيات والستينيات . اذ بعقد السبعينيات اللعين يفرز قيمة رهيبة تقول كلماتها :

"قيراط بخت ولا فدان شطارة"

دعوة مخربة لعدم العمل . للبلادة والكسل والفتور وأدمان المناورات والطعن والسخرية حتى من الذين أختاروا طريق العمل . ومازالوا يرون أنه الاختيار السليم .

أكل الطوفان بداخله الجميع وسبحنا جميعا فى زمن « السداح مداح » وأصبحت الجالية الصغيرة التى مازالت تقاوم معرضة كل يوم للتاكل والانهيار وسقوط رموزها ..

دعونا من كافة التفاصيل ولكن أزمة هذا الواقع ـ والمثقفون جزء جوهرى منه ـ كانت فى الخصام الرهيب مع الشطارة . والجرى وراء البريق الكاذب للحظ والبخت بكل ما يعنيه هذا من تخريب لروح الانسان وتدمير لضميره .

ولكن الرجل كان يقف على أرض الشطارة وحدها . ينحت بأظافره ، يقرأ ويكتب . يتابع بدقة متناهية تفاصيل الوجه المصرى وما يعلوه من قسمات وتغييرات يأخذ نفسه بشدة متناهية ـ تصل الى حدود اهل التصوف . .

كان حزب الحظ ، الذى حول وجوده كله إلى محتويات حقائب سفره اليومى يسخر من نجيب محفوظ . لدرجة أنهم أطلقوا عليه النكات فى بعض الاحيان .

وخلال هذه الدراما المأساوية كنت أراه فى بعض الأحيان . وبدلا من الحديث عن أبناء الحظ . كان يسألنى عن الجديد فى الأدب .

وكان يتحدث عن مشروعاته الادبية والقصصية والروائية . ولاشىء أكثر من هذا ..

كنت أشم فيه رائحة الفلاح في قريتي . فلاح الخمسينيات والستينيات الذى كان لايشم سوى رائحة عرقه فقط . والذى كان يقول دائما أنه كلما أعطيت الزرعة أعطتك .

ولقد أعطى هذا الرجل للقلم والأوراق أكثر من نصف قرن من عمره .. بعد نوبل اقتحمت بيته ولولا نوبل وجائزته ماحدث هذا أبدا . وجلست على مكتبه . وتحرك الفضول القاتل بداخلي ورحت التقط هذه التفاصيل الصغيرة التى تصنع الصورة الكلية .

تصفحت الكتب التى على مكتب نجيب محفوظ . وأنا أعتبر أن مكتبة المثقف هي روحه وضميره . وأن ورشته الخاصة من اجل العمل . هى الوسام الحقيقي . واقصد بالورشة المكتب والأوراق والاقلام .. أى عدة الشغل ومكان العمل . وجو الابتكار والخلق والابداع ..

كان مكتب الرجل جزءا من غرفة الطعام . وتذكرت صراخنا اليومى ولهاثنا ليلا ونهارا بحثا عن شقق واسعة . أمام المكتب مباشرة مائدة الطعام .

عند التقليب فى الكتب ذهلت من أمرين . هذا الجد الذى تعدى السبعين من عمره أمامه وعلى مكتبه كتب عبارة عن مجموعتين الأولى حوالى عشرين كتابا في النحو والصرف وقواعد اللغة العربية وعلامات الترقيم فى الكتابة العربية والمجموعة الأخرى كل ما ترجم لشاعر الهند العظيم "طاغور" من أعمال ادبية الى اللغة العربية .

درسان في غاية الأهمية مازال الجد الذى تعدى السبعين يحاول أن يستنطق اللغة العربية أسرارها ورموزها ويفك طلاسمها بعد كل هذا الذى كتبه من خلالها ..

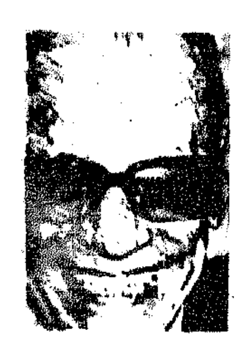
ومازال ابن السبعين يقرأ ولكن بطريقة منظمة . طاغور مرة واحدة بدلا من قراءات الفوضى والصدفة وقراءات الفعل ورد الافعال والمناسبات .

وكل هذه الاهتمامات لم تأخذ الرجل من زماننا فعلى المكتب نفسه العدد الأخير من "المصور" وكتاب الدكتور فايز منصور الطبيب الخاص لجمال عبد الناصر عنه والذى عنوانه : مشوارى مع جمال عبد الناصر .

والذى كان قد نشر قبل ذلك بأيام فقط ..

● زمن الفهلوة

فى مواجهة أحد أبناء الشطارة .. أورد واقعتين عن أبناء زمن الحظ



قيراط بخت أم.. فدان شطارة؟

والفهلوة . زمن الذين دهنوا الهواء بالدوكو وخرموا التعريفة . تحدثت مرة مع كاتب شاب انتهى من عمله الأول عن ضرورة أن يعاود قراءة قواعد اللغة العربية .. فاللغة هى سلاح الروائى الأول . وأداته الوحيدة من أجل الكتابة والابداع .

لم أكمل جملتى لأن الشاب وقف كما يفعل سفراء الدول الاجنبية عندما يقدمون انذارات خطيرة لدول اخرى . قال ..

- غيرة وصراع أجيال وأحقاد

ومضى لآخر مرة ..

ولن أتحدث عما فعله بعد ذلك ..

كاتب آخر كنت أحدثه عن الجديد فى الابداع الروائى العربى وضرورة متابعته بدأب ودقة فتوقف ونهرنى .

- كثرة القراءة تتم على حساب الكتابة نفسها . نحن أصبحنا كبارا .. إن القراءة الكثيرة تفسد صفاء الذهن ..

مرة اخرى انها بكل دقة رحلة مصر المرهقة والخاسرة معا من فدان الشطارة الى قيراط البخت .

كنت أرغب فى كتابة كلمة متفائلة عن علاقتى بنجيب محفوظ على مدى ربع قرن واعجابى الأدبى به . واختلافى السياسى معه ورحابة صدره الفريدة وقدرته المتحضرة على الاختلاف . ومشوار هذه العلاقة . ولكنى أدركت أن الوقوف أمام هذا المعنى ربما يستعديني - شخصيا- من الضفة الأخرى لليأس وربما يعصمنى من انهيار يوشك أن يأكل كل شىء بداخله .

فهل فعلا سندلف الى زمن لا يصح فيه سوى الصحيح ؟!

وهل سنقول إن فدان الشطارة افضل من كل أرض الدنيا من الحظ والبخت والفهلوة وخفة اليد ؟!

لو حدث هذا لأصبحت نوبل نجيب محفوظ معجزة بكافة المقاييس فى زمن بلا معجزات .

المسألة بأكبر قدرة على الاختصار هى :

هل يحاول كل منا أن يعدل هرم القيم الذى انقلب فى اعمق أعماقه ؟

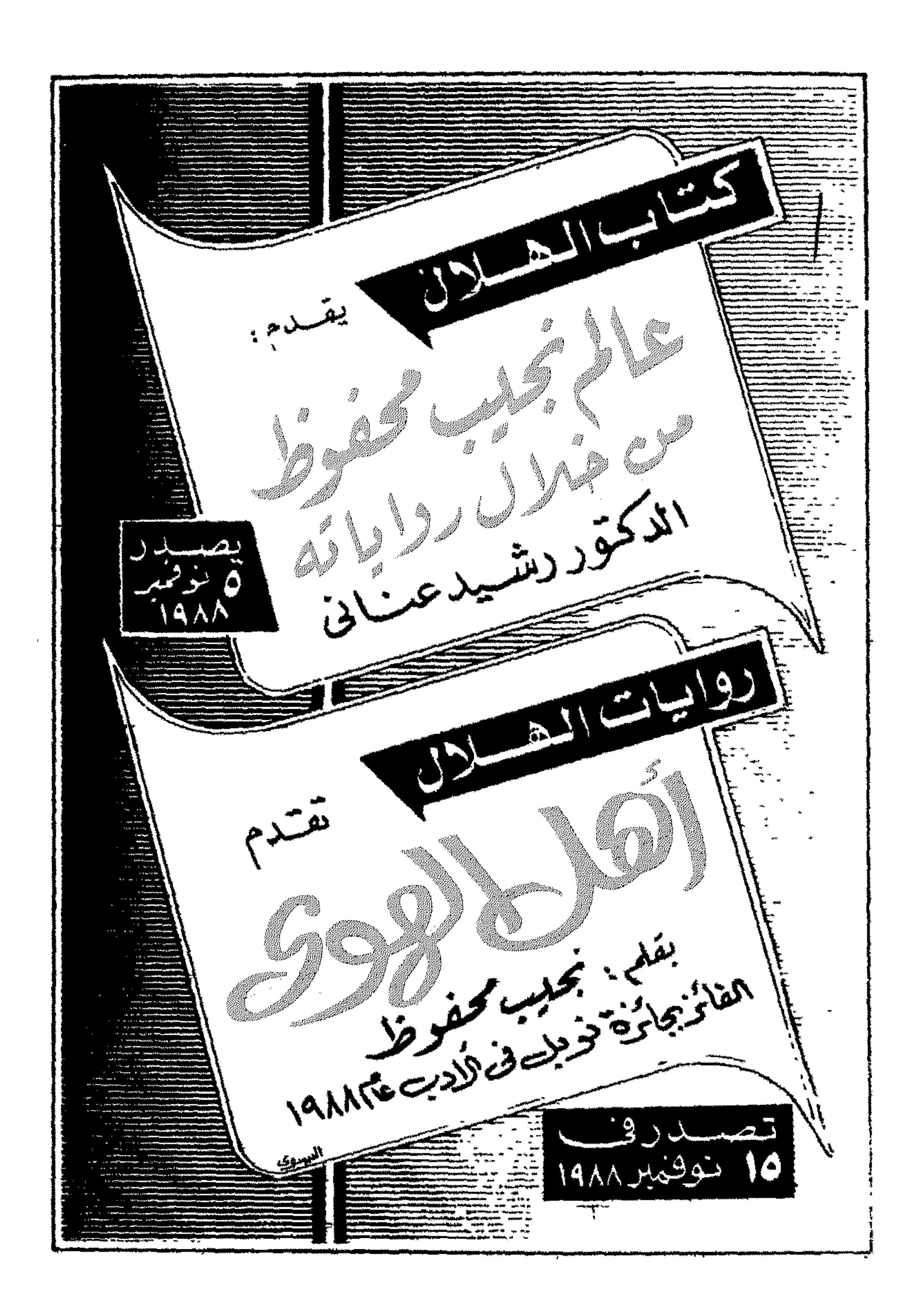
هل يبحث كل منا عن درعه الواقى من القيم النبيلة ؟!

هل يمد كل انسان الحبل السرى فى روحه وضميره بعد الانهيار الشامل الذى جرى .

وهل نعرف الآن فقط أن من يزرع فى أرضه ومن يبنى كل يوم طوبة واحدة فى الميدان الذى يجيد البناء فيه بدلا من كل التناحر والقتال اليومى على الفضلات ، افضل وأشرف من كل البدائل الأخرى ؟

هل يحاول كل منا أن يفعل هذا ؟!

مجرد محاولة أيها السادة .



كتاب الهلال
يقدم :
عالم نجيب محفوظ
من خلال رواياته
الدكتور رشيد عنانى
يصدر
٥ نوفمبر
١٩٨٨
روايات الهلال
تقدم
أهل الهوى
بقلم : نجيب محفوظ
الفائز بجائزة نوبل فى الأدب ١٩٨٨م
تصدر فى
١٥ نوفمبر ١٩٨٨

أثر الهزيمة في تقنية الرواية عند نجيب محفوظ!

بقلم : د سهير القلماوى

حظى نجيب محفوظ بدراسات حول أعماله لم يصل إليها روائى غيره فى اللغة العربية . ولكن هذه الدراسات على كثرتها وتنوعها لاتزال ناقصة ، وخاصة فى النواحى التقنية التى تكشف عن صنعة هذا الروائى العظيم . وبالرغم من ان هذه الدراسات تفترش فترة زمنية ممتدة وبالرغم من انها منوعة من حيث انها مقالات او دراسات او كتب مستقلة او اجزاء من كتب فان عناية الدارسين الجامعيين لنجيب محفوظ تعد نسبيا حديثة .

لعل ابرزها دراسة د . عبدالمحسن طه بدر « الرؤية والأداة » ودراسة د . سيزا قاسم التى قارنت بين « الثلاثية » وروايات الأجيال فى الادبين الفرنسى والانجليزى وخاصة رواية « جالزوورذى » Galsworthay « الفورسيت ساجا » ومع ذلك لاتزال صنعة نجيب محفوظ محتاجة الى تعمق فيها ودراسة لتطورها .

● لقد عنى دارسو نجيب محفوظ بابراز تطوره الزمنى من خلال مجموعات تتقارب زمنيا فى انتاجه . فهناك الطور التاريخى ثم الواقعى ، ثم الميتافيزيقى ، وهكذا . ووقفوا كثيرا عند المضامين . كما وقفوا بالمرحلة الواقعية فى انتاجه لربطها بالواقع الذى تصوره والواقع الذى بقى منه وهكذا .

مع ان الدارس لنجيب محفوظ يلمس بوضوح ثبات الرؤية عنده عند اساسيات استمدها من دراسته للفلسفة وهى الدراسة الوحيدة التى ملأت الجزء النظرى فى رؤيته واستمد سائرها من ظروف حياته . فلقد عاش طفلا يكاد يكون وحيدا ، (لفارق السن بينه وبين من هو اكبر منه مباشرة من اخوته مما جعله وحده مع والديه لأن الكبار خرجوا من البيت بالزواج او بالعمل) .

ان اسم مايجب ان نقف عنده ونحن نتأمل او ندرس فن نجيب محفوظ هو البدايات الأولى لاتجاهه نحو الادب .

ريشة : شريف

لقد سجل موضوعا لدراسته العليا مع الشيخ مصطفى عبدالرازق « مفهوم الجمال فى الفلسفة الاسلامية » واهم ماكانت ستدور حوله الرسالة هو تطورات هذا المفهوم . ومن البداية نلمح عنصر التجريد فى تفكيره وعنصر التغيير الذى سيطر بشدة دامغة على كل انتاجه فيما بعد .

ان اولى مقالات محفوظ كانت بعنوان « احتضار معتقدات وتولد معتقدات » نشرها له سلامة موسى فى مجلة الجديد سنة ١٩٣٠ وكانت سنه اذ ذاك تسع عشرة سنة . وتوالت بعد ذلك مقالاته فى الفكر والفلسفة والادب وملخصات لاعمال روائية اجنبية . ولعل اهم هذه المقالات عندى تلك المحاورة التى دارت بينه وبين العقاد فلقد هاجم العقاد القصة والرواية ، وكان محفوظ يرى ، بحق انهما ورثتا مكانة الشعر الاولى بحكم التطور، لذلك أدخل النقاش فى ماهية الفن وهو يدافع عن الرواية . ان العلم عند نجيب محفوظ « سيد جديد » كما يقول ولكن عمق الإيمان الدينى عنده ، وجنوحه نحو التصوف والتجريد ، حفظا له كيانه الدينى الاصيل الذى يطل علينا من خلال اعماله فى بساطة وعمق وجلال بشكل لافت .

ومن خلال مسيرة التغيير الرهيبة بسبب العلم وغيره من مؤثرات اقل شيئا بهرت محفوظ عملية التغيير نفسها . ففى « همس الجنون » ترتفع روح « توتى » فوق العالم فترى العالم الماضى والحاضر دفعة واحدة . ويعلق محفوظ فيقول وبدا لى كانه لا حقيقة الا « التغيير »

● النهايات مأساوية !

وامام التغيرات التى كانت تحدث



أثر الهزيمة فى تقنية الرواية عند نجيب محفوظ!

كان يقف متمهلا ثابت الاقدام راسخ النظرة وان كانت نهاية التغيير عنده مأساوية فهو يحن الى ماجرفه التغيير فى تياره من صلات انسانية حميمة وجو هادىء مستقر يتجلى فيه التسبيح بعظمة الخالق . التغيير عنده يجب أن يأتى على مهل . ولكن هل يستطيع التطور ان يبطىء من خطواته . ايام ان كان التغيير لعوامل سياسية استطاع ان يقف صلبا . « لا » للدكتاتورية واهلا بكل مايشارك الانسان فى صنعه ثم يسير مختارا فى طريقه . الديمقراطية أساس إنها وجدان الشعب وفكرة الحق إنها نتيجة بحث الشعب بنفسه لاتطبيق افكار حاكم يقول « كمال » بطل الثلاثية والذى نرى انه شخصية محفوظ نفسه « ربما كان من الخطأ ان نبحث فى هذه الدنيا عند معنى بينما مهمتنا الاولى ان نخلق هذا المعنى »

بدأ حياته بكتابة المقال ، واضطر الى ان يدافع عن شكل الرواية فى ايجابية واضحة تخلو من الغلو او الشراسة ، مع أنه تعرض الى كثير . فلقد كان مضطرا ان يخفى اسمه من المقالات والقصص المنشورة له عن زملائه فى الديوان فى مقر عمله خوفا من سخريتهم ، كما يقول ، لأن شكل القصة او الرواية كان منبوذا . ويكفى ان يهاجمه العقاد . وعندما تقدم هو وصديقه الروائى ، الذى اجهض نفسه للاسف الشديد ، عادل كامل (مؤلف « مليم أكبر » الرواية الرائعة) رفض المجمع اللغوى منحهما الجائزة لاسباب اخلاقية ربما لبعض تلميحات عن الجنس فى روايتهما المقدمتين للجائزة .

كذلك اضطر كثيرا الى الدفاع عن رؤيته لما يحدث حوله . وكان منظوره انه من خلال وصف السطح يبرز الجوهر الجذرى الكامن وراءه والذى يتحكم فيه دون ان نتبين بوضوح اثره .

وكانت التغييرات السياسية هى فوران يسهل رصده مادام الشعب كله وراء التغيير مثل ثورة التحرير سنة ١٩١٩ لكنه عندما يكون التغيير نتيجة عوامل تعمل فى الخفاء لتقوض او تحاول ان تقوض ، الجذور فهنا يكون الامر فى غاية الصعوبة ، ويحتاج عرضه الى تقنيات جديدة فى الكتابة ترتكز على القديمة منها ولكنها تتخلى واضحة صارخة بوضوح فى الجديد .

لذلك نجد نجيب محفوظ يصمت اكثر من خمس سنوات بعد ثورة سنة ١٩٥٢ . ما الذى ستقود اليه هذه الحركة ؟ لم يكن احد يعرف . ولم يكن احد يسلم بتحقيق المعلن عنها من

اهداف . اما هزيمة سنة ١٩٦٧ (وقد كانت رجّتها للمجتمع اعنف من رجة المجتمع للثورة) فقد اخرسته عامين او نحو ذلك وعاد (لانه كان قد ابتدأ بالفعل) يكتب الرواية بشكل مختلف .

● تقنيات جديدة

عندما ندرس انعكاسات الهزيمة (١٩٦٧) على الشكل الروائى نقف بظواهر عديدة فلقد تدفق الانتاج الروائى بشكل قوى ملحوظ الفلسطينيون اخرجوا فى ثلاث سنوات اضعاف أضعاف ما اخرجوا فى السنوات السابقة منذ وضوح الرؤية فى نكبة زرع إسرائيل . وكذلك غزر انتاج الروائيين فى كل اقطار الوطن العربى . وبدأت الرواية تقف على مسرح الانتاج الادبى بقوة وشموخ

واضطرت الرواية إلى اصطناع تقنيات جديدة : التركيز على الحوار ، ضغطه وتحميله وجهة نظر المؤلف فى غير سفور ، بلغة تكاد تكون شعرية . البعد عن البطل الاوحد والراوى « العليم لكل شىء » والبعد عن التعدد الكثير والتبدل الشديد للمكان وضغط زمان الرواية وهكذا ثم التناقض بين الايمان والواقع ومشكلات تصوير التناقض المضبب .

ولنأخذ رواية « ثرثرة فوق النيل » مثلا لقد كانت هى ورواية « ميرامار » ارهاصا وفتحا للعيون على الاسباب التى ستؤدى الى الهزيمة . ولذلك تعرضت إلى سخط السلطة وكادت الرقابة ان تتدخل فى أمرهما . ففى سنة ١٩٦٦ وقبيلها كانت النفس المصرية موجوعة يائسة تضمضم بالالم . أهذا ما آلت اليه ثورة بشرت بالكثير وبدأت بالكثير ثم انحدرت كل هذا الانحدار ؟ .. ولتصوير هذه البراكين التى تغلى كان لابد من ترك الرومانسية والواقعية والاتجاه نحو التجريد . وأفكار المؤلف فى التجريد لايمكن ان تجتمع فى بطل واحد ، فلابد اذن من تعدد الشخصيات ، لا مفرودين على مساحة مكان وزمان وانما مجتمعين فى جلسة (العوامة) او مقهى (خمارة القط الاسود) او بنسيون « ميرامار » والشخصية الواحدة تسلط عليها مرايا من عدة زوايا لترى وكأنها شخصيات تجتمع حول جذر عميق ، لا شخصية واحدة .

وتبهت صورة « دواوين » الحكومة وهى البؤرة المكانية الى جانب البيت



أثر الهزيمة في تقنية الرواية عند نجيب محفوظ!

والمقهى التى ألفت منها الأمكنة فى حياة محفوظ ورواياته . واصبح المكان مثل خشبة المسرح لا يحتمل الكثير من التغيير ، وليس هو بؤرة الاهتمام . فالاهتمام كله للافكار . وهنا لابد من الاستعانة كما استعان المسرح بالرمز ، والاسقاط والتاريخ والاسطورة والقصة الشجية الخ . لانها كلها ادوات تعين على رصد هذا التغيير « الزئبقى » السريع الذى يفلت منا باستمرار .

ومن هذا التغيير يعنينا تغيير وسائل الفن للتعبير ، فمن كلمة مكتوبة الى صورة متحركة (سينما) الى صورة وكلمة ممزوجة مزجا قلما يصل الى ذروة مايجب أن يصل إليه من إيحاء رسوخ الكلمة و « عبودية » الصورة ثم تكامل مجموعة الصور عبر التغيير السريع فيها وهكذا مثلما نجد فى السينما فى كثير من روايات محفوظ .

وفى « ثرثرة فوق النيل » نرى مجموعة من « المساطيل » كما يسمون كل فى فلكه . لايجتمعون الا على ان الهروب من الواقع هو طوق النجاة ، وهربوا ولم ينجوا . عوامة تهتز على النهر الخالد مثلما يهتز واقع مصر على نهر ماضيها الخالد . تقدم الينا هذه الشخصيات مثلما تتقدم الينا شخصيات المسرحية ، كل منها على حدة بمجرد وصولها او وصول الاثنين معا الى مجلس « الأنس » ويعرف المستجد من الموجود سابقا من خلال خلفية لاتجاوز اسطرا قليلة وهنا كان لابد من الوقوف على تسلسل الراوى وهو يصف الشخصية المظهر الخارجى (الملامح الخ) ثم يصف الاخلاق او السلوك ثم يحرك الشخصية دون ترتيب وانما فى تداخل فنى بين هذه العناصر . فالشخصية تعرف من خلال مظهرها واقوالها المعلنة والتى تسرها الى نفسها (مونولوج داخلى) ومن خلال اقوال الغير عنها تم اساسا من تصرفاتها وسلوكها وحركتها خلال الحدث .

وتختلط خيالات التاريخ وحكم الفلاسفة وتعاليم الدين فى رأس هؤلاء المساطيل ، وينطقون باوجاع مصر فى اسلوب مركز جميل . كأن يجول بخاطر الراوى ومن ياترى الرجل الذى قال « أن الثورات يدبرها الدهاة ، وينفذها الشجعان ثم يكسبها الجبناء » أو « وقال لنفسه لم يكن عجيبا ان يعبد الناس فرعون ولكن العجيب ان فرعون آمن حقا بأنه إله » .

او يقول خالد عن ليلى زيدان « مشكلتها الحقيقية هى مشكلة الوطن كله إنها فتاة عصرية اما الزواج فبرجوازى »

او يقول . و « هل من جديد عن العمال والفلاحين والرشوة والعملة

الصعبة والاشتراكية واكتظاظ الطرقات بالسيارات الخاصة » او يقول « وصدرت عن اوتارها الصوتية انغام رقيقة من النوع الذى لاتسمح به الرقابة الا فى اعقاب سعى طويل هادف »

وغير ذلك كثير من الاقوال التى تتطلب الوقوف بها . ولكن الأهم ان الرواية كلها تدور حول محور المسئولية . المسئولية التائهة التى تعد بحق من اسباب الهزيمة .

فالبطل انيس زكى مسطول يكتب التقرير فى اول الرواية وقد افتتحها نجيب محفوظ « بيوم من ابريل شهر الغبار والاكاذيب » وواضح انه ينظر الى مصر وقد ملئت بالغبار والاكاذيب . ثم ينضب حبر القلم ويظل انيس يكتب بقلم لاحبر فيه (ونعلق على ذلك بانه بمثل هذا القلم تدون معاهدات السلام) وهو تجسيد للموظف غير المسئول . ولما اعلنت سمارة عن مشروع مسرحية تريد أن تؤلفها . يقول رجب « أمامكم ساحرة ستحول بقلمها المهزلة الى دراما هادفة » ويسألون أليس من الجائز ان نؤمن بالعبث بجدية .

وتبرز افكار نجيب محفوظ أحيانا عارية عما يدور فى هذه الفترة « وكلنا أوغاد لا اخلاق لنا يطاردنا عفريت اسمه المسئولية » ويناجى الحكيم الفرعونى القديم ويجعله يغنى قائلا « ان ندماءك قد كذبوا عليك . هذه سنوات حرب وبلاء ... ولديك الحكمة والبصيرة ولكنك تترك الفساد ينهش البلاد ..... هل لك (ايها الحاكم) أن تأمر حتى يأتيك من يحدثك بالحقيقة !!

ولأن محفوظ قد اتقن تقنية ان تبدأ مرحلة الهبوط او الانتهاء المأساوى عندما تفيق الشخصية الرئيسية على الحقيقة . وكانت الحقيقة فى « ثرثرة فوق النيل » ان المجموعة قتلت انسانا بالسيارة التى تحملهم (جميعا) جماعية المسئولية ، ثم تنصل كل منهم من المسئولية وجادل وناقش ليبرر التنصل وعدم الاحساس بأية مسئولية .

إن تقنيات نجيب محفوظ فى الرواية تأثرت ، كما تأثر غيره بهزيمة سنة ١٩٦٧ ولكن دارسا لم يقف بالذات عند هذه التقنيات البالغة الدقة والروعة . فهل تكون التحية اللائقة لهذا الروائى العظيم دراسة أثر الهزيمة فى تقنية الرواية عنده ؟؟

اكتوبر سنة ١٩٨٨

نجيب محفوظ والفن التشكيلى

بقلم : محمود بقشيش

منذ أكثر من ربع قرن .. وكنت وقتها طالبا فى السنة النهائية فى كلية الفنون الجميلة .. دعيت إلى برنامج إذاعى عنوانه : « كاتب وثلاثة قراء » ، وكان الكاتب هو الروائى العظيم « نجيب محفوظ » .. أما القراء الثلاثة فكانوا : المرحوم « زهير الشايب » مترجم كتاب وصف مصر ، والقاص « محمد جاد » .. والعبد لله ! .. وكان محور المناقشة أو بمعنى أدق « الاستفسار » رواية « زقاق المدق » ، وكان على كل قارىء ـ كما نبّه علينا ـ أن يتقدم للكاتب الكبير باستفسارين لا ثالث لهما .. لضيق الوقت !

.. ولما جاء دورى فى الحديث قلت ما معناه : إن ميله إلى التكوين المعمارى . المجسم .. ليس فقط فى أشكال البيوت والمقاهى والأزقة .. بل فى أشكال البشر ، وعلاقات البشر بالبشر ، وعلاقاتهم بالأماكن التى يحيون فيها ؛ فالمكان عنده رغم وضوح معالمه فإنه لايقوم بدور خشبة المسرح .. أى استضافة فريق يقدم احتفالا وقتيا .. بل على العكس فإن المكان بطل من أبطال العمل الدرامى . وأذكر أننى قررت يومها ـ ثم تكاسلت ـ أن أكتب عن ميل « نجيب محفوظ » إلى البناء المجسم . والحركة الداخلية . ونبذ

الاستعراضات اللونية : ففي رسومه المكتوبة عن عمائر الأزقة والحواري تختفي أو تكاد الألوان الصدّاحة ، وألوان عماراته ، وملابس أبطاله تتجه أكثر إلى الوقار الرمادى ! .. وأزعم الآن .. إنه اكتشف فى لون مدينة القاهرة مالم ينتبه إليه كبار الفنانين التأثريين المصريين أمثال « يوسف كامل » « وكامل مصطفى » و « حسنى البنانى » ، فقد صوروا القاهرة غارقة فى الألوان الصداحة ، بينما هى فى حقيقتها غارقة فى رماديات أتربة المقطم !

إن الاحتفالية اللونية عند الفنانين التأثريين تهمل البناء المجسم . الراسخ . وهم يهملون الكتلة الراسخة .. ليس فقط لأنهم يريدون ذلك بل لأن الصراخ اللونى يتناقض بطبيعة تكوينه معها .. والمدهش حقا عند « نجيب محفوظ » هو ترجيحه « الكتلة » على « اللون » إن ميله إلى التركيب والبناء المجسم يخفض - بطبيعته - من البوْح الخطابى ، ويهذب التعبير المنطوق .. وحتى عندما يتجه بريشته إلى مناطق الابهام والحلم فإنه لايهمل التجسيم ، بل يؤكده للدرجة التى توهم بواقعية المشهد .. شأن كبار السيرياليين أمثال « ماجريت ، وسيلفادور دالى ، وماكس إرنست » ، وإذا عددنا « التهذيب » ملمحا أخلاقيا فى فنون مصر التراثية : الفرعونية والقبطية والاسلامية ، فإن الميل إلى « التجسيم » ملمح آخر من ملامح الذاكرة الفنية المصرية . وأراه فى ذلك شبيها بمثال مصر العظيم « محمود مختار » ؛ فانتاجه هو الآخر يتسم من ناحية « الشكل » بالطابع البنائى ، والحركة الداخلية ، ومن ناحية « المضمون » بالتعفف الأخلاقى ؛ فمنحوتته المسماة : أسطورة الحقول مهذبة حيية رغم عُريها على النقيض من « المرأة » فى منحوتة « رودان » المسماة بنفس الاسم ، والتى تستفز كوامن الاشتهاء . الاختلاف ليس بين فنانين . فرديين . بل بين ثقافتين مختلفتين . وإذا كان « نجيب محفوظ » قد إرتبط أشد الارتباط بذاكرة فنية مصرية تحتفل بالبناء والتجسيم ، كما تحتفل بركائز أخلاقية تميزها عن النموذج الغربى فإن إجادته لشكل فنى أبدعه ذلك النموذج الغربى وهو « الرواية » ، وتوجهه إلى كل ماهو مشترك بين البشر . جعله مستحقا لتلك الجائزة الفريدة فى تاريخنا الثقافى العربى

لقد ايقظ ذلك الفرح الذى كنا فى أشد الحاجة إليه تلك الرغبة القديمة التى ظننتها تلاشت نهائيا .. وهى عمل دراسة مقارنة بين ما يرسمه « نجيب محفوظ » بقلمه ، ويجسمه بازميله .. من أشكال ملونة وبين ما أبدعه بعض كبار الفنانين المصريين ...

فإلى لقاء !

صباح الورد

بقلم: غالى شكرى



«صباح الورد» هى احدث مؤلفات نجيب محفوظ، وقد صدرت عام ١٩٨٨

يدعوها صاحبها « مجموعة » لمجرد اشتمالها على « ام احمد » مستقلة عن « صباح الورد » ، وكلتاهما مستقلتان عن « اسعد الله مساءك » . ولكنى سأحاول هنا ان أقدم اجتهادا مغايرا اراها بمقتضاه « ثلاثية » على نحو جديد .

انها تنتمى من حيث البناء الى تلك المرحلة التى بدأها نجيب محفوظ فى الستينيات ، ومن حيث الموضوع تقترب كثيرا من « الماضى » الذى حفرته اعماله الاولى حتى ثلاثية « بين القصرين » . ولكنها ليست كالثلاثية القديمة مقسمة الى ثلاث روايات تفضى احداها الى الاخرى فيما يشبه الحتمية .

يانجيب محفوظ

● صحيح أن الثلاثيتين تتشابهان في اطروحة الزمان والمكان والانسان . لكنهما يختلفان في تجسيم هذا الثالوث نفسه ، لأن المقصود في « صباح الورد » هو ان الانتقال من زمان الى آخر ، يتضمن انتقالا موازيا للمكان والانسان . لذلك فهي ثلاثية « اجيال » كالثلاثية القديمة ، ولكن الراوى في الظل او في الضوء يكاد يكون شاهدا على فكرة « الانتقال » بحد ذاتها .

ماذا يفعل الزمن بالدنيا ؟ هذا هو السؤال المحورى على طول « صباح الورد » وعرضها .

والدنيا هي مصر التي يمسك الكاتب باطرافها ويضعها في مكانين اثيرين لديه هما حى الجمالية الشهير وحى العباسية الذى لايقل شهرة .

وتبدو مصر بين هذين المكانين في زمانين يؤرخان للراوى - الكاتب .

وبالطبع ، فليس الراوى دائما او بالضرورة هو الكاتب ، بل لعل العكس تماما هو الاغلب ولكننا في « ام احمد » و « صباح الورد » نكتشف تطابقا مثيرا بين ذكريات نجيب محفوظ الحقيقية وبين ما جاء في هذين القسمين ، ولا اقول القصتين . ربما كان التغيير الوحيد في اسماء الاشخاص .

وهو امر قريب مما فعله الكاتب في « ميرامار » اشخاصها حقيقيون وان تغيرت اسماؤهم وبعض سماتهم . وكأن الكاتب يفضل كتابة سيرته الذاتية على هذا النحو الذى يعفيه من الحرج .

غير اننا يجب أن نلاحظ ان « المرايا » ، كانت لها بؤرة محددة هي هزيمة ١٩٦٧ . هذا هو الحدث التاريخي الضخم الذين يتخذ منه الكاتب عدسة يصور بها الشخصيات والفكر والسلوك وفي « صباح الورد » نجد هذه البؤرة ايضا ، وهي « الانفتاح » مرورا بالناصرية ..

● العودة الى الماضى

والبنائية الحالية ، وفي بقية الحالات التي نجدها مبعثرة في اعمال نجيب محفوظ الاخيرة ، هو العودة الى الماضي . العودة وليس الاستحضار الحلمي او الكابوسي او التذكرى انها العودة الى الماضي قصدا مقصودا بهدف البحث عن الجذور وليست هي الهدف بحد ذاتها . وهنا فرق اصيل بين ثلاثية « صباح الورد » وثلاثية « بين القصرين » ففي الثلاثية الجديدة نتوجه الى الماضي لنربط بينه وبين



صباح الورد يانجيب محفوظ

الحاضر فنسأل ما اذا كان ذلك الماضي هو جذر هذا الحاضر حقا ، ام أن المصائر للاقدار لا تتشكل على هذا النحو الميكانيكي ، فهناك تربض دائما « المفاجآت » و « المصادفات » وغيرها من الظواهر التي تنفي حتمية النمو الجبري للبذرة على هذا النحو المحدد سلفا دون ذاك .

في جميع الاحوال ، فاننا امام ثلاثية لها مواصفات تغاير - اكرر ذلك - مواصفات الثلاثية العتيدة (التي لم تكن في الاصل سوى رواية واحدة اعتذر الناشر عن طبعها في مجلد واحد ، لضخامة حجمها وتدخل صديق آخر الامر فاقترح تقسيمها على النحو الذي عرفت به)

اننا هنا في المقطوعة الأولى المسماة « ام احمد » في قلب « الزمن القديم » و « الحي العتيق » . هكذا يقترن الزمان بالمكان من بداية الرواية ولذلك فان العين التي ترصد ، هي عين الطفولة . اي اننا برفقة راو واحد مختلف اطوار العمر ، وقد اقترن كل طور بزمان ومكان معينين . ومن ثم فاسلوب الرؤية وطريقة الحضور تختلف من زمان الى زمان ومن مكان الى مكان اختلاف درجة الابصار التي تطورت عند الراوي من الطفولة الى الشباب الى الكهولة .

وهو حين يختار « ام احمد » فليس فقط لانها وكالة انباء الحي العتيق ، وانما لانه « الطفل » الذي يرى اول ما يرى هذه المراة من خارج افراد الاسرة . والكاتب يقول صراحة « لم يبق من حياته الحافلة الا ما تعيه الطفولة » . ماذا يرى اذن من خلال « ام احمد » ؟

يرى بعينيه كبار التجار القادمين من الصعيد او من القدس وقد اصبحوا من البكوات . ولكن ام احمد تقول عن احدهم « كان ابوه يسرح باللبن على باب الكريم ، وفتح دكانا صغيرا في الخرنفش ، وقامت الحرب فأمر الله بالثراء ولا راد لأمره » . وتقول عن آخر بل تقسم « انها رأت اباه المرداني الكبير يتجول في الحارة حافيا » . هذا هو الماضي ، فماذا يكون حاضر « الذرية » التي اقبلت من صلب هؤلاء ؟

ثورة يوليو كان لها نصيب موفور في تحديد الأقدار والمصائر ، فقد فرضت الحراسة على البعض وسجنت البعض الاخر ، ورحل قائدها فتغيرت البوصلة او انقلبت . هكذا انفجر شريان في مخ على بك البنان في الستينيات ، وهكذا ايضا اصبح ابنه محمد من وحوش الانفتاح في السبعينيات .

أما عباس بك المردانى الذى اصابته رصاصة طائشة ، فقد استطاع ابنه ان يعمل فى المخابرات والقواده ابان المرحلة السابقة فتكونت لديه ثروة ساعدته لان يقفز « الى درجات خيالية من الثراء » فى ظل الانفتاح .

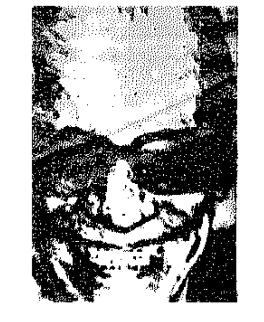
وكان الانتقال من حال الى حال انتقالا من حى الجمالية الى حى العباسية ومن العصر الملكى الى العصر الثورى ، كما أن الانتقال من العباسية الى الاحياء الجديدة او القديمة الراقية ، الأكثر رقيا ، كان انتقالا من العصر الثورى الى عهد الانفتاح .

● اكبر الأقسام

واذا كانت مقطوعة « أم احمد » نظرة سريعة شاملة لحى الجمالية اساسا - بالرغم من زيارات ام احمد المتقطعة للعباسية ومن كونها قد عمرت حتى الثمانينات - فام « صباح الورد » اكبر الاقسام واطولها تتناول بالتفصيل مجموعة محددة من العلائلات التى سكنت شارع الرضوان القديم القائم فى الزمن القديم بين شارعى العباسية وبين الجنانين . وكان الشارعان يقسمان العباسية إلى شرقية للأغنياء وغربية للمتوسطين . ويكرر نجيب محفوظ ، سبق تاكيده فى جزء « ام احمد » حول الحد الفاصل المفقود بين الحقيقة والوهم فيقول « رب كذبة اصدق من حقيقة » و « لاشك ان بعض الاساطير تتفوق على الوقائع بصدقها وجمالها » . وهما عبارتان يصوغان الاطار الفنى الذى اختاره الكاتب لهذه « الذكريات » .

و« صباح الورد » هى تفصيل ما جاء فى الجزء الاول . ولكنه التفصيل الخبرى الشديد الاختصار . اى ان نجيب محفوظ ، بعين الشباب ، اكتفى بالملامح التى توجز المرحلة الجديدة ، الوسطى . وهى مراحل الازدواجية الثقافية والتبلور الطبقى . وسنلاحظ صراعا مريرا بين الاحتفاظ بحى الجمالية فى القلب واللحاق بالعباسية الشرقية فى العقل . وهو صراع بين مجموعتين من القيم : الاولى هى القيم الدينية وشبه الدينية ، والاخرى هى القيم الاوربية ، واساسا الفرنسية .

وسنلاحظ ان عثمان بن جمال بك اسماعيل ، هو نموذج التحول العنيف الى التفرنس ثقافة وعادات وتقاليد (ولإسمه مغزى لا يغيب) . ولكن هذا الفتى الذى يكبر فيسافر فى بعثه الى



صباح الورد يانجيب محفوظ

فرنسا ينتهي به القمار الى السجن الفرنسي ، فالموت . هذه « نهاية » علينا أن نجمعها مع بقية الدلالات . فهناك حسين الجمحي الذي عاد من اوروبا دكتور في الزراعة فاكتشف ان والده الشرس الجبار قد اغتيل في وضح النهار . وامضى الابن عمره يفكر بالانتقام . وحين اقبلت هزيمة ١٩٦٧ كان في مقدمة السعداء . وفي الانفتاح اصبح من اغنى الاغنياء ، ولكنه يفكر في « هجرة بلا رجعة » . اما سامح شكري فهو لم يكن « ممن يعتبرون الحضارة الغربية حضارة غريبة عنا ، وهي لم تسم باسم خاص الا بسبب البيئة التي نشأت فيها ، ولكنها في الواقع الثمرة الأخيرة في شجرة الحضارات الانسانية التي اسهم البشر جميعا في غرسها » . وهو رأى يقترب من آراء عزت ورأفت ابني حسن قيسون ، واحدهما قال ذات مرة « اعداؤنا ليسوا الانجليز والملك فقط ولكن الجهل ايضا والخرافات » .

الا أن ابن سامح نفسه ـ شكري على اسم جده ـ هو الذي انطوى تدريجيا على ذاته ، وانضم الى احدى الجماعات الاسلامية حينئذ يسلم الاب « انه جيل يعاني من ذكريات الهزيمة والغلاء والمستقبل المسدود »

وسنضيف الى بقية النماذج ـ الدلالات من رأى في ثورة يوليو « انجازات اجتماعية رائعة » ، ومن هرب امواله الى الخارج « بمعاونة بعض اصدقائه من اليهود » ، واضحى يردد انه اذا كان لابد من جيش يحكمنا فالافضل ان يحكمنا جيش متحضر (يقصد الاحتلال) ، حتى انتهت ذات يوم الى الصراحة الكاملة « ويقولون اننا نرتمي باختيارنا في حضن الاستعمار الامريكي فالهم بارك خطانا » .

هذه اذن « الصورة المفصلة » للقطة العامة التي التقطناها بعدسة ام احمد . الانتقال من حي إلى آخر هو انتقال الثروة والزمان والمكان والبشر من حال الى حال : متابعة سريعة لما آلت اليه المصائر في اطار الصراع من اجل هوية حضارية اصيلة ومعاصرة في آن . ولكنها الهوية المضطربة ، لان القوام الاجتماعي الآخذ في التبلور عشية الثورة لم يتبلور قط ، بل تعرض لهزات عنيفة في ظل الثورة وفي ظل الانفتاح معا . ومن واقع هذه السيولة الاجتماعية المائعة ، نشأت ظواهر يصعب القول انها نبات طبيعي في

شجرة ممتدة الجذور .

نجيب محفوظ يأخذ بيدنا الى الجذور ، ويعود الى الفروع ، لنكتشف معا أن التغيرات ليست حتمية . واذا كان هناك قانون اجتماعى شامل فهو « الفوضى المخيفة » .

لذلك نصل الى الجزء الثالث واذا بالكاتب يختار لنا نموذجا واحدا مكبرا وهو النموذج الوحيد الذى يروى قصته بنفسه ، فليس هناك راو . ولكن هذا الذى يروى حكايته ينتمى الى عصر الكهولة ، فيتكامل الانتقال الزمنى من الطفولة الى الشباب والرجوله ثم الى الكهولة اخيرا . عندئذ يحتاج الفنان ، ونحن معه ، إلى عدسة مكبرة . ومقطوعة « اسعد الله مساءك » تكاد أن تكون بكاملها حوارا مع الأخر ومع النفس ولايتوانى نجيب محفوظ عن تذكيرنا بالاصل الاجتماعي الذى اطلعنا على بعضه فى القسمين السابقين ، « ان جدى البيه كان فطاطريا فى شارع الشيخ قمر » .

يجب ألا ننسى بقية الاصول ، حتى ندرك أن مصدر الالقاب والثراء كان دوما السرقة او الغش او الاختلاس او الحروب .

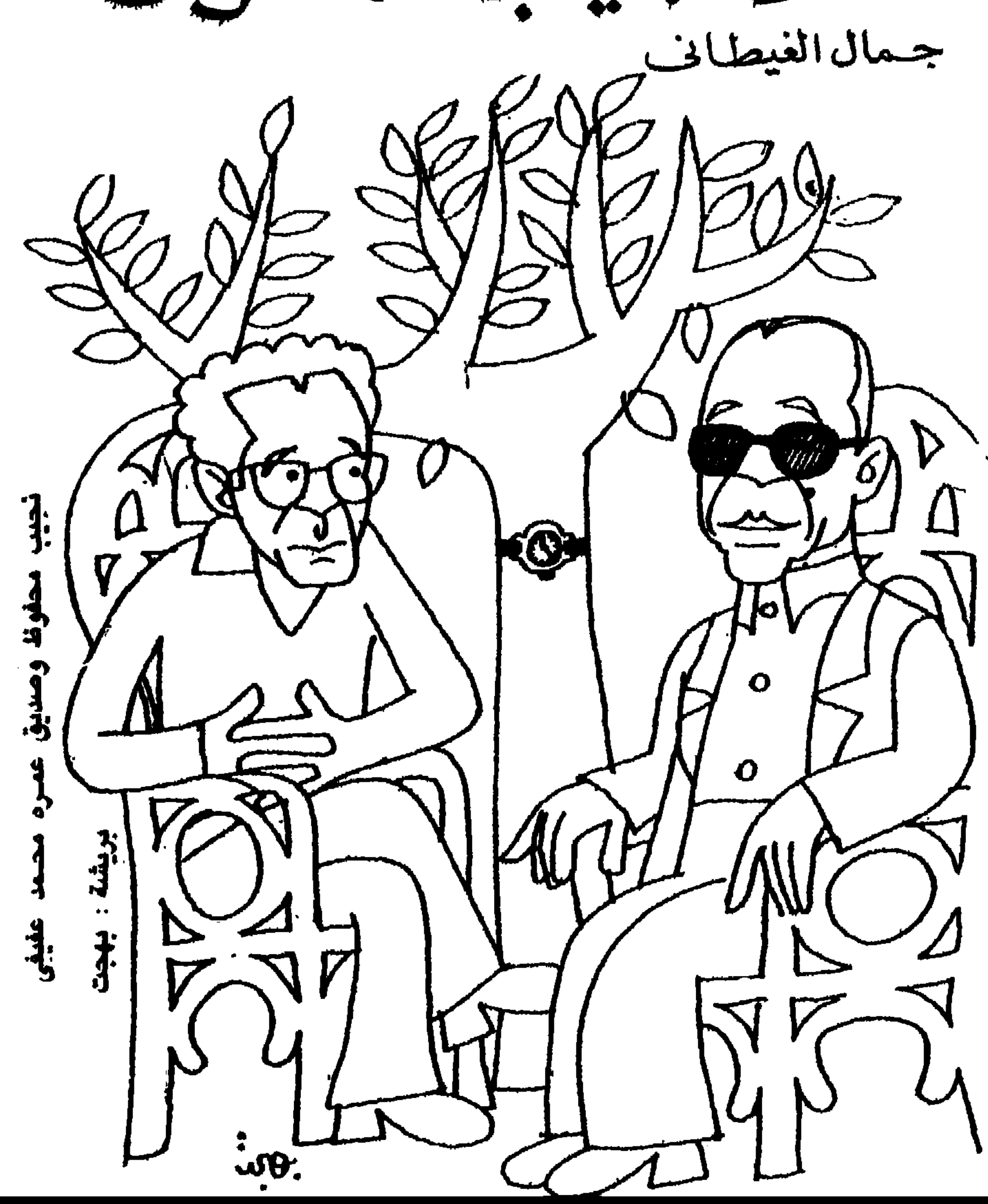
بطل « اسعد الله مساءك » انكشفت له العورة الاجتماعية بموت ابيه ، فلم يعد يستطيع ان يتزوج من « ملك » حبيبته التى انتظرته طويلا . ولكن الام والاختين العانستين لا يسمحن لمثله بمغامرة الزواج . هكذا يولى الشباب ادباره وهو اعزب .

أما الحبيبة فتتزوج وتنجب ابنين هما ـ الآن ـ فى السعودية ـ كلاهما اصبح كهلا ، وكلاهما وحيد . واذا كانت الوحدة تغرى بالعودة المستحيلة الى الماضى ، فهل تسمح الكهولة ؟ يجيب نجيب محفوظ نعم . ولكنه يقولها بمرارة وحزن كبير من خلال الحوار المستمر مع النفس والأخر وهكذا تتكامل ثلاثية « صباح الورد » التى يراها صاحبها ثلاث قصص مستقلة عن بعضها البعض ، اما انا فأراها وادعو القارىء لان يراها مثلى ثلاثية من نوع جديد . ثلاث مقطوعات تجسد « الانتقال » من زمن الى آخر ومن مكان الى مكان ومن جيل الى جيل . وليست الاصول دائما هى مصدر الجديد ، ولا الينابيع تنتهى الى مصاب معروفة سلفا

وانما هناك « الهوية » الوطنية ، القومية ، الحضارية هى محور الصراع الخفى بين الطبقات والاجيال . هذه الهوية التى تبلبلت فى الزمن الناصرى وبلغت ذروة الاضطراب فى عهد الانفتاح .

حارة نجيب محفوظ

جمال الغيطاني



نجيب محفوظ وصديق عمره محمد عفيفي

بريشة : بهجت

ولد نجيب محفوظ فى بيت مطل على ميدان بيت القاضى ، فى مواجهة قسم شرطة الجمالية ، ومبنى الشرطة الذى كان فى الأصل قصرا من قصور عائلة السرجانى مازال قائما ، اما البيت الذى ولد فيه كاتبنا العظيم ، فقد ازيل ، ومكانه الآن منزل من عدة طوابق ، وتحته مقهى شعبى ، يقع البيت على ناصية درب قرمز .. ومازال الدرب محتفظا بمعالمه الاساسية التى رآها كاتبنا فى طفولته البكرة .. والتى انطبعت فى ذاكرته .. وشكلت معالم الحارة التى اصبحت محورا لأعماله الابداعية العظمى فيما بعد .. ويقع درب قرمز بين ميدان بيت القاضى .. ويمتد لمسافة قصيرة وينتهى بالقبو المعروف بقبو قرمز والذى يقع تحت مسجد الامير متقال الذى شيد فى العصر المملوكى ..

ولد نجيب محفوظ عام ١٩١١ .. اى فى بداية القرن الحالى .. وتلك حقبة شهدت اكتمال تحول القاهرة من مدينة قديمة ، كانت لاتزال محتفظه بطابع العصور الوسطى ، الى مدينة حديثة ، اوربية الطابع ، هذا التحول بدأ فى عصر الخديو اسماعيل ، وعلى يدى على باشا مبارك ..

وتبع ذلك انشاء احياء جديدة ، وظهور مناطق جديدة للسكنى ، مثل منطقة الحلمية الجديدة ، والعباسية ، وتبع ذلك التغير الجغرافى توزيع جديد شبه طبقى .. فقد بدأت الاسر الثرية تنتقل الى الامتدادات الحديثة ، وكانت الجمالية فى القرون الوسطى مقـرا لسكنى الأمـراء ، والطبقـة الوسطى ، وايضا الحرفيين والعمال وكانت مقسمة الى خطط ، وحارات ، ودروب ، وازقـة ، وعطف ، وكانت الحارة تطلق على اسم منطقة متكاملة تضم عدة أزقة ودروب ، وكانت ايضا تضم عـدة مستويـات اجتمـاعيـة مختلفة ..

وتلك هى الحارة التى ادرك بقاياها نجيب محفوظ فى اوائل هذا القرن ..

●●●

فى عام ١٩٢٤ ، ونجيب محفوظ يبلغ من العمر اثنى عشر عاما ، انتقلت اسرته من البيت القديم الى منطقة العباسية . غير ان الاعوام الاثنى عشر التى قضاها الاستاذ فى الجمالية غاصت الى اعماقه ، وانعكست بقوة فى عالمه الروائى ، ولم تظهر ضاحية العباسية التى عاش فيها شبابه كله وصدر رجولته الا كمكان ثانوى ، يكون الذهاب اليه انطلاقا من الجمالية ، كما يبدو ذلك خاصة فى الجزء الثانى من الثلاثية « قصر الشوق » ، عندما يسعى كمال عبد الجواد من بين القصرين الى قصر آل شداد فى العباسية ، ولكن فى



حارة نجيب محفوظ

آخر اعمال نجيب محفوظ ، « صباح الورد » ، و « قشتمر » نجد العباسية بقوة ، حيث تصبح محورا اساسيا للعملين الذين اعتبرهما بمثابة ذكريات الكاتب الكبير وقد صيغت بقناع فني ..

ولكي تظل الحارة هي محور ما كتبه من اعمال عبر سيرته الطويلة .. غير ان الحارة في رواياته تتخذ ابعادا اخرى .. لتصبح ملخصا للعالم كله .. فهو لم يصور الحارة تصويرا فوتغرافيا سطحيا ، انما يمكن القول انه استوعب جيدا عناصرها ، ثم فكها واعاد ترتيبها من جديد ، خلقها مرة اخرى ، ولذلك تتضمن حارة نجيب محفوظ مستويين ، الاول واقعي ، والثانى رمزى ، فلسفى ، فالحارة ، او ملامح القاهرة القديمة خاصة في زقاق المدق ، وخان الخليلى ، والثلاثية ، محددة الملامح ، الوصف الفنى مطابق تماما للوصف الواقعى ، ولو تتبعنا حركة الشخصيات فى هذه الروايات سوف نجدها تتحرك فى المكان نفسه ، ما من خطأ فى الوصف الدقيق ، حتى يمكن بحق اعتبار هذه الأعمال تسجيلا امينا لمعالم المكان ، خاصة فى الزمن الذى دارت فيه الأحداث ، انه يصف مثلا مقهى سى عبده الذى كان يقع تحت الأرض .. وتوجد به نافورة ، وكان على مقربة من ضريح مولانا الحسين ..

هذا مقهى حقيقى تماما ازيل .. فى زقاق المدق لايزال المقهى قائما .. ودكان العطارة ، ودكان الحلاق ، الا ان انشغال كاتبنا بالمصير الانسانى ، وبتطور الزمن ، وتتابعه ، تتخذ الحارة ابعادا اشمل ، لتصبح رمزا للعالم ، ولكن هذا الرمز يتجسد اكثر فى رواية (اولاد حارتنا) التى تعتبر من اعماله الفذة بحق ..

فى (اولاد حارتنا) تطالعنا حارة اخرى ، حارة لاتحمل لافتة تشير الى مكان واقعى ، حارة لها مفرداتها من المستوحاة من الواقع ، ولكن صيغت من جديد وفقا لرؤية الكاتب .. سنجد البيوت المتجاورة ، وشجر اللبلاب ، وذقن الباشا ، والمقاهى ، والقبو ، والخلاء ، والتكية التى تتصاعد منها اناشيد الدراويش الغامضة ، المبهمة ، حيث رجال الحق قابعون يذكرونه دائما ، احيانا يسفرون فيظهرون ، واحيانا يحتجبون ، ولكن يظل الاحساس بهم ، بوجودهم قائما ، اما الخلاء ، او جبل المقطم فهو نهاية هذا كله .. نهاية حدود المكان ، وليس نهاية الحيوات المتصارعة ، والأجيال المتعاقبة ..

داخل الحارة ذاتها تتوالى الايام ، يتعاقب الزمن ، احد الهموم الرئيسية لنجيب محفوظ ..

تظهر شخصيات ، وترحل شخصيات

ويختفى البعض الى الابد ، وتنشب خناقات ، وتشج رءوس ، ويحل الجيل مكان الجيل ، ويتوه الشيخ متولى عبد الصمد بعد ان بلغ من الكبر عتيا فلا يعرف أقرب الناس اليه .. ويتساقط فتوات الزمن القديم ..

هذه الحارة التى تقف على حافة الحلم والواقع ، على حافة الرمز والتصريح ، نجدها ايضا فى الحرافيش ، هنا تبدو الحارة شفافة ، تلخص كل مافى الحياة وتعكس ملامح الانسان فى اطواره المختلفة ، انها صورة مقطرة لهذه الدنيا ، وعبقرية كاتبنا انه نفذ الى صميم المكان والزمان ، فجعل من حوارى القاهرة القديمة ، التى يتراكم فيها التاريخ ، رمزا وملخصا ليس لعالمنا فقط ، ولكن للكون كله .. والسر الانسانى ! ..



بريشة : رضا عبد السلام



سر جاذبية
أدب نجيب محفوظ
كما تراها مستشرقة سوفيتية

بقلم: ڤاليرا كيرستشانكو

فرحة الجائزة
.. نجيب محفوظ
وأســــرته
⟵



محفوظ عبد العزيز ابراهيم أحمد الباشا والد الأديب الكبير نجيب محفوظ

فاليريا كريستشانكو مستشرقة سوفييتية بمعهد الدراسات الشرقية بموسكو ، وقد أرسلت مقالها « قراءاتي في أدب نجيب محفوظ » الى مجلة الهلال .

والهلال ينشر المقال لأهميته ، ولدلالته ، على ان أدب نجيب محفوظ ، بصدقه ، قد شق طريقه الى أربعة أركان المعمورة ، وكما جاء بالمقال ، فإن نجيب محفوظ ابن بلده ، مصرى حتى النخاع ، وان مصريته أغلى ما يملكه في الحياة ..

وترجع أهمية المقال الى تتبعه بالقراءة والدرس لانتاج نجيب محفوظ من « المرحلة الفرعونية » حتى احدث كتاباته ، وهى قراءة أمينة ، بريئة من وجهات النظر المسبقة ، بل تصل الى احكامها النقدية عبر أعمال نجيب محفوظ ذاتها .



سر جاذبية أدب نجيب محفوظ

ماهو سر القوة الجاذبة فى أدب نجيب محفوظ الروائى ؟ ولماذا يعتبر اكبر الروائيين العرب بينما العالم العربى غنى بالمواهب الروائية ؟ ألأنه وضع أسس الرواية العربية المعاصرة ؟ أم لأنه كتب أكثر من ثلاثين رواية فى ظرف خمسين سنة ؟

وما هى مكانته فى الأدب اليوم ؟

تطرق أسماعنا بين الفينة والأخرى اصوات صادرة عن بعض الكتاب والنقاد العرب تؤكد ان نجيب محفوظ قد ولى زمنه وانه تخلف عن رَكْب الحياة وعن تيار الحداثة فى الأدب وانه تقليدى جدا ولاجديد لديه يقوله .

على الرغم من هذه الأقوال فان كل رواية تصدر لكاتبنا تسترعى الاهتمام وتثير المناقشة ويظهر لها عقب ظهورها المعجبون والمنكرون وقليلون هم اولئك الذين لايبالون بها ، ويدور النقاش لا فى مصر وحدها وانما يشمل مشرق العالم العربى ومغربه وهذا معناه ان مايقوله نجيب محفوظ يلقى الصدى فى نفوس قرائه .

فما هو سر جاذبيته ؟ واين تتجلى تقليديته ؟ وما هو وجه الحداثة فى أدبه ؟

أظن ان السر كان فى شخصية نجيب محفوظ نفسها ، شخصية المبدع والانسان ذى المشاعر والاحاسيس القوية الجامحة لقد اختار طريقه قبل نصف قرن وضحى بكل غالٍ ونفيس من أجل حبه للأدب .

وثمة وجهة نظر تصور نجيب محفوظ انسانا هادئا ساكنا ومتعقلا الى حد الجمود ، بيد انى اراه رجلا ذا عواطف متوترة ، متطرفا فى شغفه بالادب . ومع انه هو نفسه يميل الى التشكيك فى قيمة عمله الأدبى ويذهب مرارا الى القول بان الادب فى ايامنا هذه قد فقد دوره القيادى الذى كان له سابقا ولكنى على يقين بانه فى أعماق نفسه يؤمن ايما إيمان بقداسة رسالة الأدب وبواجب الفنان فى التوجه بكلمته الى الناس وبالقوة الفعالة للكلمة .

كان فى شبابه تلميذا للمنوِّرين العرب وبين اساتذته سلامة موسى وطه حسين وعباس محمود العقاد وهو نفسه بطبيعته وغريزته معلم ومن أصحاب الدعوة الى التنوير أمضى طيلة عمره يعظ بحرارة ويدعو الى الخير والكمال ويبذل قصارى جهوده فى سبيل فتح أعين البشر على دورهم الحقيقى فى الحياة داعيا اياهم الى الوعى والادراك بجدارتهم الانسانية وبروحانيتهم التى يسمون بفضلها مرتفعين فوق فطرتهم الحيوانية

يمكنه ان يخطيء وان يضل في اشياء ، كما يمكنه ان يتخذ مواقف سياسية غير مقبولة ، ولكنه في نتاجه الادبي ، في كتبه جاد دائما وصادق لايزيف ، دافعه الباطني في كل ما يكتبه هو البحث عن الحقيقة والحقيقة كما نعرف عسيرة المنال فهو يظل باحثا عنها بلا ملل ولا كلل .

● شمولية .. وحس مرهف

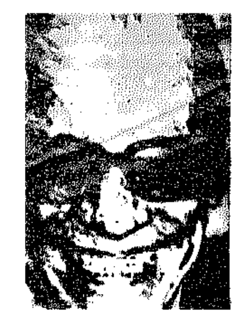
نجيب محفوظ فنان ذو عقلية روائية صحيحة وأصيلة يجمع بين شمولية الرؤية والحس المرهف بالزمن فهو كبير في قدرته على المزج مابين التاريخ الاسطورى واليوم الحاضر ، القضايا الخالدة والمتطلبات المعاصرة . يتكلم عن الأمور الشاغلة لبال الانسان منذ اقدم الزمان ولكنه يتكلم عنها من موقف انسان عصرنا الذى يحس نبض العصر ويعبر عما يقلق الناس في بلده وسواه من البلدان .

قلما يتجاوز في رواياته حدود القاهرة والاسكندرية ويفضل ان يركز أحداثها في اطار حارة واحدة وهذه الحارة تتسع عنده فتشمل العالم برمته بماضيه وحاضره ومستقبله ذلك المستقبل البعيد الذى لا يمكن للانسان ان يتصوره الا في مخيلته ، وهو يقص حكايات « أولاد حارتنا » فتواتها وحرافيشها قاصدا بها مصائر البشرية في سعادتها ومآسيها ويقصد مصائر الانسان في ضعفه وبطولته .

وهو طبعا ابن بلده فهو مصرى حتى النخاع ولعل مصريته تكون أغلى ما يملكه في الحياة عدا الأدب ولكنه يتحلى كذلك بجرأة في الكلام عن وطنه بصراحة وبرؤيته الواقعية الموضوعية يقول الحقيقة المرة احيانا عن أوضاع ، يكون الايمان والحلم بضد هذه الأوضاع هو الأفضل .

وقد اتضحت عقلية نجيب محفوظ الروائية في رواياته الثلاث الأولى من المرحلة المسماة « بالفرعونية » استخلص من الأساطير القديمة المعنى العصرى وطرح الأسئلة التى شغلت بال المصريين في أعوام الثلاثينيات وهى أسئلة عن طبيعة النظام الملكى والعلاقة بين الملك والشعب . يطرح بطله الفرعون خوفو على حاشيته سؤالا : مَن الذى ينبغى ان يبذل حياته في سبيل الآخر ؟ أالشعب لفرعون ام فرعون للشعب ؟

وأجاب الكاتب عن هذا السؤال بخلقه في رواية « كفاح طيبة » الصورة الرومانتيكية للملك المثالى أحمس وهو الفرعون البطل ذو الكرامة والشجاعة والذى يضحى بمصالحه الشخصية ويضحى بحبه من أجل وطنه وشعبه .



سحر جاذبية
أدب نجيب محفوظ

وبعد صدور الرواية الفرعونية الثالثة يغير نجيب محفوظ فجاة وبدون مهلة أسلوبه الروائي . ظهرت « كفاح طيبة » سنة ١٩٤٤ وفي السنة التالية ١٩٤٥ تصدر « القاهرة الجديدة » الرواية الأولى من سلسلة الروايات المسماة بالمرحلة « القاهرية » فهي روايات واقعية يدرس فيها الكاتب واقع الحياة الجارية في خلافاتها وتناقضاتها وصراعات القوى الاجتماعية . يدرسها ويصفها بتفاصيلها الدقيقة الأصيلة . وتسفر هذه الدراسة التي تستمر حوالي عشر سنوات عن رائعته الأولى « الثلاثية » وهي ملحمة عائلية انعكست فيها ثلاثة عقود من تاريخ مصر الحديث . ونطلع من « الثلاثية » على مصر ومصريين ، على الحياة اليومية والاحداث السياسية الهامة اكثر من أطلاعنا عليها من المؤلفات التاريخية . و« الثلاثية » في الحقيقة موسوعة عن الحياة المصرية في حدود زمنية معينة – من سنة ١٩١٧ الى سنة ١٩٤٤ . يغرق القارىء في هذه الحياة ويتعرف عليها من داخلها فهو يشاهدها بعيون الشخصيات الروائية وبعيون المؤلف نفسه . ويخيل القارىء ان هؤلاء الشخوص اناس قريبون اليه يعرفهم من زمن . التاجر المحترم والرجل المحب للعربدة أحمد عبد الجواد وزوجه الذليلة المظلومة امينة وابنهما الأصغر الحالم الحائر كمال وغيرهم من الشخصيات نراهم اناسا من لحم ودم وذلك هو سحر الفن الواقعي .

ان « الثلاثية » رواية مصرية جدا ومع ذلك وفي نفس الوقت أوربية جدا . استخدم فيها نجيب محفوظ نمط الملحمة العائلية كما يسمونها في الآداب الأوربية . وباستعمال النمط الروائي الأوربي كانه اتخذ وجهة نظر معينة الى العالم الذي يصوره . يبتعد قليلا عن هذا العالم الذي ولد ونشأ فيه ويقدر كل مايحدث فيه بعين الناقد المقارنة بينه وبين العالم الغربي الذي تعرف عليه من قراءاته .

وما تكاد تمضي سنتان على انتهاء نشر « الثلاثية » في عام ١٩٥٧ حتى تبتدىء جريدة « الاهرام » سنة ١٩٥٩ نشر رواية جديدة لكاتبنا هي « أولاد حارتنا » المكتوبة بطريقة تختلف تماما او تكاد عن اسلوبه السابق . اتسعت فيها حدود الزمن الى مالا نهاية من الماضي الأسطوري الى المستقبل البعيد كل البعد .

ومع أن المكان الذي تتطور فيه

الأحداث ضيق جدا وهو « حارتنا » وبعض الحارات المجاورة وان جبل المقطم كان هو المنفى البعيد لأبطال الرواية فرغم ذلك تتسع المسافات الروائية لتشمل اراضي الشرق الأوسط برمته هذا الشرق الذى هو مهد أديان التوحيد الثلاثة .

أما أبطال الرواية فهم ليسوا بالاناس العاديين بل انهم أصحاب الرسالة الموحى بها ولعل مصدر الوحى جدهم الجبلاوى او هو تقوسهم المملوءة بعذاب البشر . وهم مناضلون فى سبيل اقامة العدل بين أهل الحارة ومن أجل الرخاء والسعادة .

صيغت الأساطير الدينية فى « أولاد حارتنا » صيغة السيرة الشعبية معبرة عن أماني الناس البسطاء الدائمة الخالدة بالغد المشرق . وهذا الغد المشرق بعيد جدا وصعب المنال لأن السعادة والكمال لايقتصران فى نظر كاتبنا على الرخاء المادى فحسب بل ايضا السمو الروحى للانسان .

ينتقل نجيب محفوظ من أسلوب إلى أسلوب بسرعة وسهولة كأنه يلهو وهو يبدع انماطا روائية مختلفة . وهذه السهولة طبعا ظاهرية يكمن وراءها الدأب اليومى والمعرفة العميقة بالآداب العالمية والحس المرهف بروح العصر .

وما من شك فى أن انتقاء الفنان لموضوعاته ومواده وأساليبه اختيار ذاتى يمليه عليه وجدانه وغريزته ، كما ان الفاعل الخارجى وهو عامل الظروف التاريخية والاجتماعية يلعب دوره فى هذا الاختيار . اما نجيب محفوظ ففى رأيى ان اختياره لانماط الرواية وأنواع السرد يتوقف على مايطرح العصر من القضايا والمتطلبات اكثر منه على خياله الفردى وتغييرات ذوقه الفنى . إنما هو يرى واجبه كفنان وانسان فى البحث عن الجواب على الاسئلة الملحة التى يطرحها التاريخ . لذلك يظل نجيب محفوظ دائما فى طليعة الحركة الأدبية .

فى أعوام الستينيات كانت عجلة دولاب التاريخ المصرى تدور بسرعة عجيبة . واجهت البلاد القضية المصيرية ، قضية اختيار الطريق ، ولبى محفوظ نداء العصر فكتب ست روايات قصيرة ذات ديناميه وتوتر عكست الحالة السيكولوجية والايديولوجية للمجتمع الذى يجتاز مرحلة انعطاف هى احدى اهم مراحل تاريخه . يمكننا ان نسمى كل هذه الروايات باسم واحد منها « روايات الطريق » لأن كل واحد من أبطاله يبحث عن طريقه فى الحياة ، الطريق المؤدى الى السعادة والكرامة والسلام . ولا يمكن ان ينفصل هذا الجهد الفردى عن مصائر البلاد وعن اختيارها التاريخى !

وفى الرواية الأخيرة من الروايات الست نجد الجهد والبحث يسفران عن استنزاف إمكانيات الاختيار . لاتلقى بطلة



سرجاذبية

أدب نجيب محفوظ

« ميرامار » الفلاحة الحسناء زهرة ـ وهى ترمز الى مصر ـ لاتلقى فى حاشيتها اى فارس أمين ومخلص على استعداد أن يخدمها سوى الوطنى العجوز الوفدى السابق « عامر وجدى » .

مرة أخرى يخيب الأمل ويتلاشى الحلم منتقلا من الواقع الى الماضى والى المستقبل البعيد جدا .

● أصعب الفترات

الفترة ما بين ١٩٦٧ و١٩٧٥ كانت على مايظهر أصعب الفترات فى حياة كاتبنا . فى هذه السنوات علت الأصوات المدعية انه قد انتهى وصار فى خبر كان ولكن تحديا لتلك الادعاءات خرج محفوظ من مرحلتِه السوداء برائعة جديدة هى « ملحمة الحرافيش » .

ثمة للوهلة الأولى تشابه كبير بين « ملحمة الحرافيش » و« أولاد حارتنا » . فى الروايتين يحكى محفوظ حكاية الأجيال العديدة التى تعيش وتتلاحق فى حارة واحدة . وتنتظم سير الأفراد فى صف زمنى لانهائى . ولكن « ملحمة الحرافيش » خلقها فنان عاش حياة طويلة مليئة بخيبات أمل ، ذو تجارب مريرة تتسع رؤيته فى هذا الكتاب للدنيا بانحائها وللبشرية كلها . واذا كانت سيرة البشرية لاتنتهى فحياة الانسان الفرد لها أجلها المحتوم . تتجلى فى الرواية هذه الفكرة الوثنية ـ فى بساطتها وبيانها كما كانت تتجلى فى قصائد فحول شعراء الجاهلية .

وكذلك لغة الرواية تشابه كل جملة فيها برصانتها وتكاملها بيتا من الشعر وعلى الرغم من التحام الواقع والأسطورة فى « ملحمة الحرافيش » بصورة مدهشة فان شخصياتها ليست بأبطال أسطوريين بل انهم ناس عاديون بحبهم ومقتهم ، بقوتهم وضعفهم بأشواقهم ومآسيهم . ولايزال الانسان يكن حلم السعادة والعدالة . ولايرى الكاتب طريقا الى تحقيق هذا الحلم الا فى انتصار الانسان على نفسه ، على رغبتين تشكلان اضعف ما فى الانسان ، حب المال وحب السيطرة على العباد .

ويـاله من طـريق طويـل وملىء بالاشواك !

الصورة الاسطوريـة عند محفـوظ يتجسد فيها المثل الأعلى . حلم الكمال والانسجام . عندما يتهدم الواقع والاحلام وليس للمرء الأمل فى المستقبل ، ذلك المستقبل الذى يمكنه ان يتصوره كواقع حياته وحياة اولاده ، يلجأ الى الحلم الابدى ويستمد الثقة والقوة الروحية من المثل العليا لأجداده ومن التراث الثقافى للبشرية وقيمة الانسانية . وبذلك يحافظ على الحلم ولايدعه يتلاشى نهائيا .

فى السنوات الأخيرة كثيرا مايرجع نجيب محفوظ الى صيغ القص العربى التقليدى . بعدمـا جرب فى « أولاد

حارتنا » نوع السيرة الشعبية وصيغ رواية « المرايا » عبارة عن تقليد لكتب التراجم وقد واصل فى « ليالى الف ليلة » تطوير حكايات شهرزاد وملأ الرواية بالعفاريت وتقمص الأرواح والعجائب والغرائب . وفى « رحلة ابن فطومة » يبعث نوع الرحلات ويسافر بطله فى انحاء الدنيا بحثا عن « ارض الميعاد » « دار الجبل » ويقارن عادات البلدان والشعوب الأخرى مع نظم وأعراف وطنه « دار الاسلام » يسعى الكاتب الى خلق نوع الرواية العربية الاصيلة التى لاتشابه الرواية الغربية . وتعبر عن العقلية العربية والذوق العربى .

● دفاع عن القيم

ولكن هل صح القول بان كل هذه الأشكال والانماط القصصية ذوات أصل عربى حصرا ؟ اذ ان أدب الرحلات ـ والحكايات والأساطير والخرافات وأوصاف الحياة والمعيشة والسير ويضمُّ السيرة النبوية له ـ صور ماثلة فى التراث الأدبى لجميع الشعوب ويلتفت الكتاب فى جميع بلدان العالم حاليا على نطاق واسع نحو قيم التراث الثقافى معارضين اياها بخطر فقدان الذاكرة الثقافية وهو الخطر المتعاظم جدا فى عصرنا وحقبتنا حين تروج الدعاية على المدى العريض لتقدير التفرد الشخصى من جهة أما من الجهة الأخرى فيتعاظم نصيب الثقافة الجماهيرية المبسطة على المستوى الوسطى بالتعميم .

ولهذا السبب فان نجيب محفوظ محاولا بعث التقاليد يجد نفسه فى الخط الأمامى للعصر . واذ يذود منافحا عن القيم الاخلاقية « العربية » التقليدية يطلع الى النزعة الشمولية ، وذلك لكون هذه القيم ذوات دلالة بشرية عامة ومشتركة .

وهو كذلك كاتب شمولى بالنسبة الى الأدب العالمى النمط المفضل والمحبب لدى كاتب الحكايات ذوات المغزى التى يقوم بناء القص فيها على اساس من مبدأ القطع المكافىء الخارج والمبتعد عن العالم المحدد والزمن المحدد بحيث يتسنى عن طريق العودة الى اليوم الحاضر سرد التقييم الفلسفى ـ الاخلاقى لما يجرى فيه من وقائع وأمور .

ويوسعنا رؤية هذا على مثال احدى آخر رواياته « رحلة ابن فطومة » وهو فيها يقيمُ منتقدا الأعراف ونمط الحياة ونظام الادارة والحكم فى بلدان شتى . وهو فيها يلحى باللائمة ضمنا على شعب « دار الامان » لكونه يختار لنفسه حاكما على مدى العمر وطول الحياة . وكما تعرفون فان شعب هذه البلاد قد أصاغ سمعا إلى صوت الانتقاد فقرر أخيرا ادخال التعديلات المناسبة على تشريعاته محددا



سرجاذبية أدب نجيب محفوظ

فترة بقاء قائد البلاد فى منصبه كحاكم لفترتى ولاية طول كل واحدة منها خمس سنين لئلا يتحول الى زعيم مقيم ولكى يحول دون تكريس عبادة الشخصية الفردية .

ويبين هذا المثال عينة مدى ابتعاد نجيب محفوظ نفسه عن تصوراته فى عهد شبابه التى عبر عنها فى رواياته « الفرعونية » حيث يمجد سلطة الملك والحاكم الحكيم والعادل ويعترف بالطبيعة السماوية لهذه السلطة .

وينطق هذا كله بان محفوظا لم ينغلق على نفسه فى « حارته » وانه ينظر الى انه « حارة له » هذه كجزء لا يتجزأ عن عالم البشر المشترك ويشغل باله كل ما يجرى فى ذلك العالم .

اما فى حالة تحدثنا عن تقليدية نجيب محفوظ فانه تقليدى بالاحرى من حيث فحوى فهمه للرواية باعتبارها قصا ثابتا ومثابرا للمضمون متطورا مع الزمن وله بداية ونهاية (رغم ان البدايات والنهايات كما نرى فى رواياته الاخيرة تمد وتمدد لتصل الى طرفى وجود العالم) . وتستحوذ على زمن القارىء وعنايته واهتمامه المفاجآت المباغتة فى سرد سيرورة الحدث فى المحتوى والانعطافات التى تستدعيها اما ظروف خارجية ما او خواص السجية وتقلبات الاحاسيس الحماسية فى نفوس الشخوص ذواتها والتى لا قبل لها بها ولا قدرة على التحكم فيها والسيطرة عليها وخوض الصراع ضدها .

وعلى هذا يبقى اسلوب نجيب محفوظ دوما اسلوب القص الموضوعى .

والعالم بالنسبة له ماثل لا وفق تصوره الخاص ولا كثمرة من نتاج بنات افكاره وبنات مخيلته وانها الواقع الراهن الموضوعى المنسجم مع قوانينه التى يحاول معرفتها والتوصل الى بلوغ كنه امرها .

وهو من هذه الناحية يحافظ على وفائه لتقاليد النزعة الواقعية مبرهنا فى الوقت عينه على المطلقية غير المحدودة بحدود وغير المقيدة بقيود فيما يخص امكانيات واحتمالات تطورها وتجديدها الى ما لا نهاية .

* * *



العالم في سطور

نوبل ١٩٨٨

نجيب محفوظ في عيون العالم

« عبقرية المكان » وزخم الشخصيات ، وتنوعه ، هي ايضا من الاشياء التى ميزت ادب الشاب نجيب ، وايضا عالم الفتوات ومعاركهم المحترقة وهم يسيطرون على حى الجمالية ، قدمت جميعها فى أعمال محفوظ ..

« كاتب واقعى منذ بداياته ، وقد وصف ايضا ناسا من أعماق المجتمع مثل زيطة الذى يبتر الاعضاء في زقاق المدق : « لقد حدثنى صديق عن شخص يمتهن هذه المهنة واختفى » كما حدثنى الكاتب عن هذه الشخصيات في دنيا الشحاذين : « لم يعد هناك وجود اليوم لمثل هؤلاء الشحاذين .. الشحاذون الوحيدون هم نحن » اضاف الروائى وهو يجلجل في ضحكته .. وبفضله أصبح الكاتب معروفا فى مصر التى بها نسبة ٦٠٪ من الأمية ويلعب التليفزيون دورا منذ فترة طويلة حيث يتم عرض أعمال نجيب محفوظ « ليس التليفزيون منافسا بل على العكس .. فهو وسيلة ممكنة للثقافة لمختلف قطاعات الشعب .. ولذا فانا بالغ الرضا عن مسلسلات التليفزيون التى اخذت عن رواياتى فى فترة الستينيات » ..





الكسندر بوكيانتى ـ لوموند ٢٠ سبتمبر ١٩٨٥

فى عام ١٩٨٥ سالت ليبراسيون الكاتب « لماذا تكتب » ؟ ضمن نفس السؤال لادباء العالم الثالث .. فرد الكاتب بالأجابة ..

« كى أحلل الجواب الى المعاصرة التاريخية على أن اعود إلى



الماضي البعيد واطرح السؤال ، لماذا كنت اكتب في ذلك الوقت ..
« والجواب انني كنت اكتب لما استمده من الكتابة بين سرور شخصي واشباع لقدرة مجهولة في اعماقي .. كنت أكتب دون ادنى تفكير في النشر او الربح اى سبب خارجي ..
مع الزمن ، انضافت اسباب جديدة تدعم الرغبة في الكتابة مثل :
١ ـ تحقيق الذات وان اكون شخصية ذات وزن مثل فلان او علان ..
٢ ـ ان يكون لى قراء وبالتالي شهرة ومجد .
٣ ـ ان اربح من العمل ما يدره من دخل
٤ ـ ان أعبر عن مبادىء معينة تكون قد تكونت في صدرى وفكرى
٥ ـ وفي النهاية تصبح الكتابة وحياتي شيئا واحدا بحيث ان العجز عنها يفرغ الحياة من اى معنى واتمنى معه الموت ..

نجيب محفوظ
١٩٨٥/٢/٢١

منقولة عن النص العربى الذى كتبه نجيب محفوظ بيده ونشرته ليبراسون فى ١٤ أكتوبر ١٩٨٨

وصفت روايات محفوظ تحول المجتمع المصرى من الأصالة الى المعاصرة وعكست مرآته التضادات الموروثة في هذا التحول .. والعلاقة بين الرجال والنساء .. وبين الدين والدنيا .. وبين الاغنياء والفقراء .. وهو على وعى شديد بالظلم الأجتماعى .. وجذور الفساد والمعارضة فى المجتمع المصرى .. مما جعل من بعض أعماله عرضة للرقيب ..

ومن بين العديد من الكتاب الكلاسيكيين ، فتح محفوظ امكانية الكتابة حول موضوعات كانت فيما قبل من المحرمات مثل البغاء وتعاطى المخدرات ، وأهمية التطور الوظيفي في الحياة .. والجنس .. والشذوذ .. وقد بدت كلها فى أعماله جلية وواضحة ، وواقعية لم تكن معروفة من قبل فى الآدب ابان الاربعينيات والخمسينيات ..

الجارديان ـ ١٤ اكتوبر ١٩٨٨

متواضع الى حد مذهل .. مما يجعلك تشعر أن نجيب محفوظ شاب فى السابعة والسبعين استقبل فى دهشة بالغة إعلان فوزه بجائزة نوبل فى الأدب « هذه الجائزة كبيرة جدا بالنسبة لى » .

ثم انفجر في ضحكة عالية وهو يردد : « من الآن فصاعدا سوف يسميني اصدقائي محظوظ بدلا من محفوظ » ..

« ... وهو الذى استقبل سقطة الملك فاروق عام ١٩٥٢ بأمل مالبث ان خابت حدته .. فمنذ عام ١٩٦١ وكان عبد الناصر قد وصل الى قمة مجده نشر روايته الرمزية « اللص والكلاب » .. غير خائف من يد النظام الحديدية .. ونشر روايتين يتضمنان انتقادا حادا للسلطة هما « ثرثرة فوق النيل » و « ميرامار » ورغم انه مؤيد لمعاهدة السلام مع اسرائيل فإنه هاجم النظام الليبرالي والاقتصادى الذى انتهجه الرئيس السادات » ..

الكسندر بوكيانتي ـ لوموند ، ١٤ اكتوبر ١٩٨٨

ومن بين رواياته المميزة « ثرثرة فوق النيل » وهي نموذج واضح للرواية التعبيرية القصيرة .. كما ان « محفوظ » اهتم بمزج الميتافيزيقا بالواقع والخيال .. بالأضافة إلى الوضعية الفكرية لبلاده .. وقد قسم نقاد القاهرة انتاج محفوظ الى ثلاثة مراحل .. المرحلة التاريخية ، والمرحلة الواقعية ، ومرحلة الواقع الميتافيزيقى » ..

شيزارى ميدال

جريدة كوريرى ديلاسيرا الايطالية

١٤ اكتوبر ١٩٨٨

رغم كل سمات القص التى تهز المشاعر الرائعة التى تخلق جوا مميزا .فإن تميزه فى خلق الحوار قد عكس اسلوبه الفكرى ـ فلم يشأ محفوظ ان يبدع رواية تقليدية من خلال ثلاثيته التى اثارت الانتباه اليه فى العالم الغربى .. وأيضا الاذاعات ووسائل الأعلام فى الدول العربية اولا .. ثم اوربا فيما بعد وخاصة النقاد ولقد تمكنت من قراءة افضل الروايات العربية الحديثة .. إلا ان روايات نجيب محفوظ ، بلاشك .. على قمة الادب العربي بفضل حساسيته وقدرته على الوصف .. مما ساعد هذا الأدب على الدخول إلى عصر الحداثة .. وخاصة فى القصة القصيرة ..

سرجيو نوجا

بتصرف عن جريدة الجورنالى الايطالية

١٤ اكتوبر ١٩٨٨

بون

« من المثير للغرابة والفضيحة ان احدا من الكتاب العرب لم يحصل على جائزة نوبل حتى الآن ، توفيق الحكيم .. وعبد الرحمن الشرقاوى (وكلاهما رحل فى عام ١٩٨٧) ويوسف ادريس ونجيب محفوظ ككتاب مميزين ويستحقون الجائزة

واخيرا جاءت الجائزة ، وذهبت الى محفوظ وليس الى ادريس .. ونحن نشعر بسعادة لهذا الاختيار من اللجنة السويدية التى وجهت ضدها مزاعم عديدة ..

ونجيب محفوظ ينتمي الى البرجوازية السائدة وطبعت حيوتيه عن حركة التطور فى مصر .. اثناء النصف الاول من القرن العشرين .. فقد كان فى الثامنة عندما اندلعت ثورة ١٩١٩ .. ورأى شبابه وتكوينه يتشكلان فى السنوات الثرية ابان الثلاثينيات وهى فترة شهدت إحساسا عاما بالأنفتاح على الفلسفات والفكر الغربي .. وقد اختار نجيب محفوظ الفلسفة بصفة خاصة ليدرسها فى جامعة القاهرة ، حيث استكمل دراسته الجامعية .. وكان متحمسا لفلسفة هيجل الذى قراه مترجما الى اللغة العربية على عكس الغالبية من معاصريه .. لم يمتلك محفوظ ابدا اى اتقان للغة اجنبية .. ولم يفكر ابدا فى الذهاب الى اوربا لقضاء بضع سنوات كى يستكمل تشكيل فكره .. مثلما فعل الكتاب من جيله ..

مجلة بوليتيكا ـ ٢٢ اكتوبر ١٩٨٨

واشنطن

تجيء أهمية اثار رواياته ، فى الحقيقة ، من خلال واقعية الحياة فى مصر ، ففى كتبه الاخيرة توغل فى المجازات ، والمعانى السياسية والميتافيزيقية للفكر المصرى وقد نبعت شهرته من مصادر ثرية عديدة للحياة من بينها الفقراء وابناء الطبقة المتوسطة . هذا الاسلوب قد تولد من خلال قنبلة موقوتة فى « ثلاثية القاهرة » المنشورة فى الخمسينيات وهى حول عالم يعرفه كابن تاجر ..

هذه البيئة التى شهدت قليلا من التغير عبر القرون ولكنها فى كل يوم تشهد حدثا دراميا عظيما .. ومن بين اعماله العظيمة المترجمة « زقاق المدق » المنشورة عام ١٩٧٤ وفيها تبدو قدرته على وصف الشخصية ومنهم الحشاشون والشواذ وآدمى يدعى زيطة » يبتر الاعضاء وهو شخص لايزال بقايا من امثاله موجودة فى القاهرة حتى الآن ..

فى هذه الأزقة ، يعيش الاشخاص عالمهم . ويشكلون عناصر ادب نجيب محفوظ الذى يردد : « انا اكتب ما اشعر بانه يجب ان يكتب » وما كتبه كان قويا استحق به جائزة نوبل ..

كرستوفرويكى .. مجلة نيوزويك
٢٤ اكتوبر ١٩٨٨

من اقوال نجيب محفوظ

- « للمرأة حق التعليم والعمل ، وهذا هو موقفى الفكرى ، أما من الناحية الشخصية فيسعدنى أن تكون زوجتى ربة بيت ! ..

- « لم أر القرية إلا من خلال نافذة قطار » !

الأعمال المترجمة للأديب الكبير نجيب محفوظ

الأعمال المترجمة إلى الإنجليزية

زقاق المدق ١٩٤٧ ، بداية ونهاية ١٩٥١ ، أولاد حارتنا ١٩٥٩ ، اللص والكلاب ١٩٦١ ، السمان والخريف ١٩٦٢ ، دنيا الله ١٩٧٣ ، الطريق ١٩٦٤ ، الشحاذ ١٩٦٥ ، ميرامار ١٩٦٧ ، المرايا ١٩٦٢ ، افراح القبة ١٩٨١

الى الفرنسية

زقاق المدق ١٩٤٧ ، بين القصرين ١٩٥٨ ، قصر الشوق ١٩٥٧

إلى الألمانية زقاق المدق ١٩٤٧ ،

اللص والكلاب ١٩٦١

ثرثرة فوق النيل ١٩٦٦

إلى السويدية

زقاق المدق ١٩٤٧

ثرثرة فوق النيل ١٩٦٦

بين القصرين الجزء الأول من الثلاثية



بريشة : حلمى التونى



تتويج للأدب في الوطن العربي

بقلم : سليمان فياض

فوز نجيب محفوظ بجائزة نوبل لهذا العام مرحلة هامة ليس بالنسبة لنجيب محفوظ نفسه ، وهو يستحقها عن جدارة .. ولكن أيضا بالنسبة للأدب العربى عامة ، والمصرى خاصة فى القرن العشرين .

ويبدو دلالة هذا الفوز فى ان هذه الجائزة اعتراف وتتويج لما بلغه الادب القصصى فى مصر خاصة من ذرى رفيعة ، نجيب محفوظ هو واحد من دررها العديدة منذ سنوات الاربعينيات الى يومنا هذا .

واذكر من هذه الذرى يحيى حقى ، وعادل كامل ، ويوسف ادريس ، ومحمود البدوى ، وادوار الخراط ، وشكرى عياد ، ويوسف الشارونى ،



بريشة : عبد العال

وابناء موجات اخرى فى القصة المصرية القصيرة والطويلة جاءت من بعدهم منذ منتصف الستينيات .. ولكل منهم طريقته فى القص واكثرهم صدقا من بينهم اولئك الذين كان قصهم مصريا صميما ليصدق عليهم قول احد المستشرقين « هذه بضاعتنا ردت إلينا » (فى التجربة والموضوع والرؤية والشكل) ولم يكن الادب القصصى فى مصر على ايدى هؤلاء ، ولا فى الوطن العربى الكبير على ايدى امثال حنا مينا والطيب صالح والطاهر وطار ، ومحمد زفزاف ، وزكريا تامر ، وهانى الراهب ، وعبدالرحمن منيف ، وجبرا ابراهيم جبرا ، وغيرهم من احفاد رواة الأخبار والأسمار العربية كثيرون ـ لم يكن بحاجة الى فرمان غربى يشهد بجدارته كادب من الآداب العالمية ـ لم يكن ينقصه سوى ان يجتاز الباب الضيق مع آداب عالمية اخرى فى الهند واندونيسيا والصين واليابان والقارة الافريقية الى الترجمة للغات الحية وخاصة اللغتين الفرنسية والانجليزية وسوى ان ينسى الغربيون سادة الحضارة البشرية فى العصر الحديث ـ بعض الوقت ـ شعورهم بالتفوق الآرى على غيرهم من الاجناس والامم والشعوب .

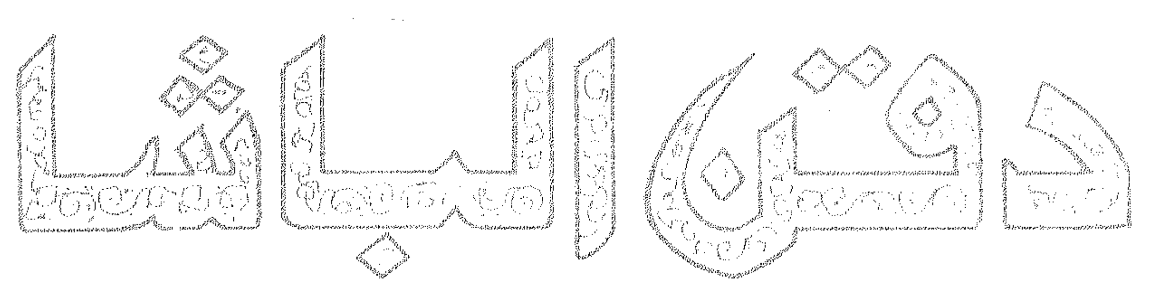
ان هذه الجائزة سوف تترتب عليها نتائج عديدة داخل الوطن العربى وخارجه ـ ان صح تنبؤنا ـ سوف نشهد لاظمعا فى جائزة مثل جائزة نوبل موجات من كتاب القصة ، ومستويات من التجويد للقص ، واتجاها معمقا الى المحلية والبحث عما هو انسانى فى تجارب الواقع ورصد للمتغيرات الحضارية والاجتماعية والسياسية فى موضوعات القص ، واستئنافا لكتابة الاعمال الروائية الطويلة والقصيرة ..

وسوف نشهد اقبالا متزايداً على ترجمة عيون الكنوز القصصى العربى المعاصرة الى شتى لغات الأرض ..وقد بدأت هذه المرحلة بالفعل منذ عشر او خمس سنوات فقط .. على حين انها بدت ظاهرة كبيرة فى دول العالم الاشتراكى منذ منتصف الستينيات .

ان نجيب محفوظ بعمله كان تتويجا مع يحيى حقى ويوسف ادريس لجيل من الرواد جهدوا من قبلهم لتعضيد طريق الأدب القصصى الحديث فى الوطن العربى على يد المازنى والحكيم وعيسى عبيد وطاهر لاشين ولطفى جمعة وطه حسين والعقاد .. ولاتحضرنى اسماء موازية لهم كرواد فى عواقب الادب العربى الحديث ، ولا ابالغ اذا قلت ان نجيب كان اكثرهم دأبا واخلاصا ومغامرة فى حياة القصص العديدة متاثراً بمعاصريه ومؤثراً فيهم عبر مدارس القص واتجاهاته .. وتكاد اعماله القصصية عبر تاريخه تمثل مغامرات بيكاسو فى الفن التشكيلى عبر مدارس الفن المختلفة ...

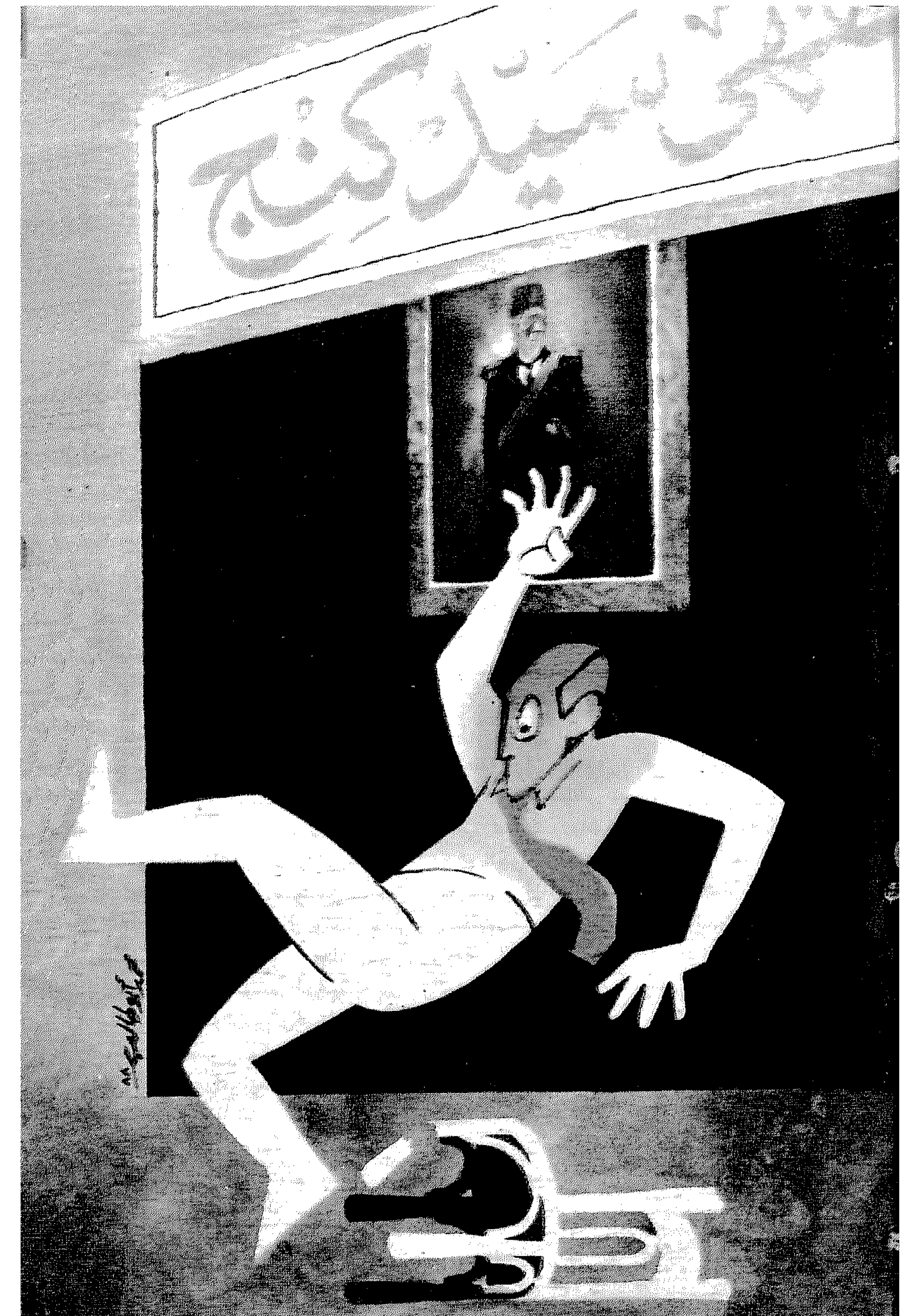
قصة قصيرة جديدة للكاتب الكبير

نجيب محفوظ



ينفرد « الهلال » بنشر هذه القصة القصيرة لأديب مصر الكبير الاستاذ نجيب محفوظ ، رأى الكاتب الكبير ان يخص بها « الهلال » ونحن نهديها إلى قرائنا فى هذه المناسبة التاريخية التى رفع فيها نجيب محفوظ راية الأدب العربى فى كل انحاء العالم ..

متى فتح هذا المقهى ؟ .. علم ذلك عند الله .. لم يخطر لى أن أطرح هذا السؤال فى الزمن القديم .. فى صباى كنت أعبر الطريق أمامه كثيرا فى الذهاب والجيئة كأكثر ابناء العباسية .. وكانت تشع منه إلى صدورنا هيبة .. واجلال ، فنمضى اذا مضينا ناحيته بسرعة وأدب متحاشين النظر اليه حيث يجلس الآباء ونخبة من مدرسى مدرستنا بكل مايحملون بين جوانحهم من وقار ورهبة .. وهو صغير إذا قيس الى مقاهى وسط البلد اوحتى مقاهى السكاكينى .. مستطيل الشكل ، أنيق المنظر ، تقوم فى عمقه المنصة الرخامية والموقد ، ويعلوها رف أول تصطف فوقه برطمانات البن والشاى والسكر والقرفة والزنجبيل والكراوية والاينسون ، ورف ثان تتجاور فوقه .. النراجيل البيضاء الشفافة والكحلى الزاهية ، أرضه مدكوكة بالبلاط المعصرانى وجدرانه وسقفه زرقاء صافية ، وفى منتصف الجدارين المتقابلين تلتصق بالغراء والمسامير المذهبة مرآتان مستديرتان مصقولتان مؤطرتان بالأبنوس .. وثمة طابوران من الموائد الرخامية المتواجهة على الجانبين ولوازمها من الكراسى الخيزران ، أما الطوار امام المقهى فمزروع ببلاط صغير ملون ، ويمتد فوقه صفان متوازيان من الموائد فى مركز الوسط منها تنطلق شجرة لبخ فارعة تتهدل فوقها اغصانها حانية ، وبها شهر المقهى باسم ذقن الباشا على حين أن لافتته تحمل اسم صاحبه « سيد كنج » .. ولا أحد يعرف اصل لقبه ، ولكن الجميع يسلمون بشطوته على الاحياء الشعبية المجاورة ، وبالرغم من عبيره البلدى ، ومن ان النُدُل العاملين به يسعون فى الجلابيب حفاة الأقدام إلا انه امتاز بالنظافة المطلقة فى ارضه وجدرانه وادواته كما عرف بجودة مشروباته .. انه



مجمع أهل الوقار من الآباء والمدرسين ، وفى مواسم الانتخابات يهرع اليه المرشحون من الباشوات يخطبون ود صاحبه المهيمن على الناخبين فى الحوارى والازقة .. ودائما يسبح فى هدوء فالحديث يتجاذب فى تؤده والضحكة تتد بحساب والحوار السياسى يمضى فى وفاق وانسجام وصورة سعد زغلول تطل على الجميع من موضعها فوق النراجيل ، وهو منتصب القامة فى بدلة التشريفة المحلاة بالقصب ..

وتغير سكان المقهى ، بصورة غير ملموسة أول الأمر ، ثم وضحت المعالم قبيل الحرب العالمية الثانية وفيما تلا ذلك من أيام .. رحل الآباء والمدرسون او لم يبق منهم الا نفر من المعمرين .. واكتسبنا مع تقدم العمر والتوظف الحق فى اقتحام أجمل مقهى فى حينا .. جلسنا مكان الآباء وشربنا القهوة والشاى ودخنا النارجيلة وخضنا فى احاديث السياسة والحب والجنس باصوات مرتفعة تترامى أحيانا الى الطريق .. ولم نعد نجفل من المعمرين من اساتذتنا فأقبلنا عليهم نصافح ونتوادد ونتبادل الذكريات ، وربما مازج حوارنا المزاح ، بل منهم من شاركنا لعب النرد ، ولكن حظى كل واحد منهم بحقه الكامل فى الأحترام .. وهلت علينا مشكلات جديدة فتنوعت احاديثنا بين الدستور والغلاء واليمين واليسار والملك والوفد والأنجليز والجلاء وفلسطين واليهود .. ولم يوقف ذلك مسيرة الحياة الطبيعية فعشق منا من عشق وتزوج من تزوج وانجب من انجب ، واستفحل التشكى وانفجر النقد ولم يسلم من السنتنا رجل أو أمرأة أو حزب ، وحتى النذل؛ الحفاة شاركوا فى الكلام بعد ان خفت رقابة سيد كنج لطعونه فى السن وتوغله فى الضعف وزهده فى الانشغال بالحياة اليومية ، وجاء وقت فبدأ ان كلا منا قد أصبح حزبا قائما بذاته له اهدافه ووسائله ، وتسلل الشيب الى الرءوس ورحل آخر المدرسين المعمرين ، وتوترت أعصابنا يوم توفى سيد كنج ، واحتل مكانه فى الادارة ابنه الاكبر الشافعى ، من جيلنا كان ، فأسدينا اليه النصيحة ان يحافظ على سمعة المقهى ، وان يعنى عناية خاصة بالنظافة وجودة الاصناف والا يتهاون فى سمعته طمعا ، فى مضاعفة ارباحه كما يفعل قصار النظر ، ووعد الرجل ، وانجز ما وعد بصفة عامة فلم يطرأ على المقهى الا تغير طفيف يمكن التسامح معه كما اعتدنا ان نتسامح مع كل مكروه يجد ..

وزحف الجيش بثورته ، فانطوت صفحة وانبثقت صفحة جديدة ، وتفجرت ينابيع الأمل وتضاربت الخواطر .. وباتت جماعتنا ركن المقهى الركين وقاعدته الثابتة .. وكالمنتظر تسلل الى الاركان شباب صاعد ، واشتبكت حباله بحبالنا بحكم الجوار والعشرة ومع تتابع الامجاد اعترضت أزمات كما عودنا التاريخ ، وحملقت أعين الأمن تطارد الخوارج ، ونادى أهل الحكمة بيننا حذارى من السياسة وحديثها يا محبى السلام والسلامة ، وعقدنا العزم على ذلك ولكن اجتاحنا الاغراء وألح علينا كحكّة الجرب .. وقبض على نفر منا لتهور التعبير ونزقه ، فتعلمنا التفاهم بالهمس والاشارة ، والرمز ونحن نستعيذ بالله من المهالك .. وكلما بد وجه غريب رمقناه بحذر ، واذا طرح شاب سؤالا محرجا تساءلنا ترى ماذا وراءه ! .. وحدثونا عن

اجهزة التسجيل التى تلتقط الخواطر من بعيد ، حتى اقترح البعض ان نقبع فى دورنا آمنين .. وعجزنا عن تنفيذ ذلك ، وقلنا إنه لاغنى لنا عن سلوى اللقاء ، وان الامان متاح لمن يصون لسانه ، وكدر صفونا الشباب الصاعد بتعاليه علينا ، وتجاهله لماضينا ، وازدرائه لأمجادنا .. نحن لاننكر المعجزات التى تقع ، ولا الانتصارات التى تتحقق ، ولا انطلاق الايدى القوية لتحرير الشرق والغرب ، ولكن ما الداعى الى انكار امجاد سلفت وانتصارات سبقت ؟ ! .. وتجنبنا مع ذلك الخصام ، وتراجعنا عن العناد ، واستبشرنا خيرا بالغد وما بعده ، وكنا اذا تحدانا سؤال مستفز مثل « من يكون سعد زغلول » أجبنا بكل تواضع « كان محاميا ناجحا » ، أو « من يكون مصطفى النحاس » .. قلنا بمنتهى اللطف « كان تاجر منى فاتورة بالغورية » .. قلنا لا داعى لتكدير الصفو بالجدل العقيم ، ولنترك للتاريخ ماينفرد بتصحيحه عندما يشاء ، ولنشارك فى الفرحة الشاملة بكل بناء يقوم او عدالة ترسخ ..

ودهمنا ونحن فى غفلة يوم ٥ يونية الأسود .. تطايرت آمالنا اشلاء وشظايا ثم سقطت فى اعماق بئر من رماد عفن .. تحول سكان المقهى الى اشباح تهيم فى وادى الظلام مهمهمة فى هذيان متواصل .. الحزن شامل .. الحزن باك ، الحزن ساخر .. لم يخل حزننا من تمرد اما حزن الاصدقاء الجدد فتلقفته دوامة الضياع .. قالوا لنا بنبرة جديدة « حدثونا عن دنياكم كيف كانت » .. ليكن ، فالحديث هو السلوى المتاحة ، ولكن ماجدواه ؟ .. وسألونا أيضا « ماحكمة خلق الانسان فى هذا الوجود » وتراكمت الاجابات مثل تل من الهواء .. واستمر الحديث واستمر الزمن .. تراجعنا الى ركن الشيوخ وانبسطوا فى كل مكان .. وحدثت أمور .. وواصلت الحياة العطاء .. والموت الافناء ، وارتفع شعار الانفتاح ، فريق هاجر بلا أسف ، وفريق ارتفع تحوطه الريب ، وفريق عوى عواء الذئاب ، لم نكن نفرح بالنصر إلا يوما وبعض يوم ، ولا بالسلام الا ساعة او بعض ساعة ، وانصبت الأحاديث على الخيار والطماطم والرغيف وزاغ البصر بين الغيم الداكن والبرق الخاطف اللامع ..

* * *

وذات مساء قال لنا الشافعى صاحب المقهى ..

« آسف ياحضرات ، تم الاتفاق على بيع المقهى ! » .

لم نصدق اول الأمر ، حتى تأكد لدينا انه سيقوم مقامه سوبر ماركت ، ياألطاف الله .. انه خبر كطعنة خنجر ، مقهى العمر والذكريات والآباء .. المقهى الذى داعب صبانا وآوى شبابنا وكهولتنا ، وشهد حبنا وزواجنا وانجابنا وهزيمتنا ونصرنا .. وتساءلنا أين نتلاقى كل مساء ؟ .. قال احدنا ..

ـ اقرب مقهى الى حينا مقهى الانشراح فى اول الظاهر .

قال آخر ..

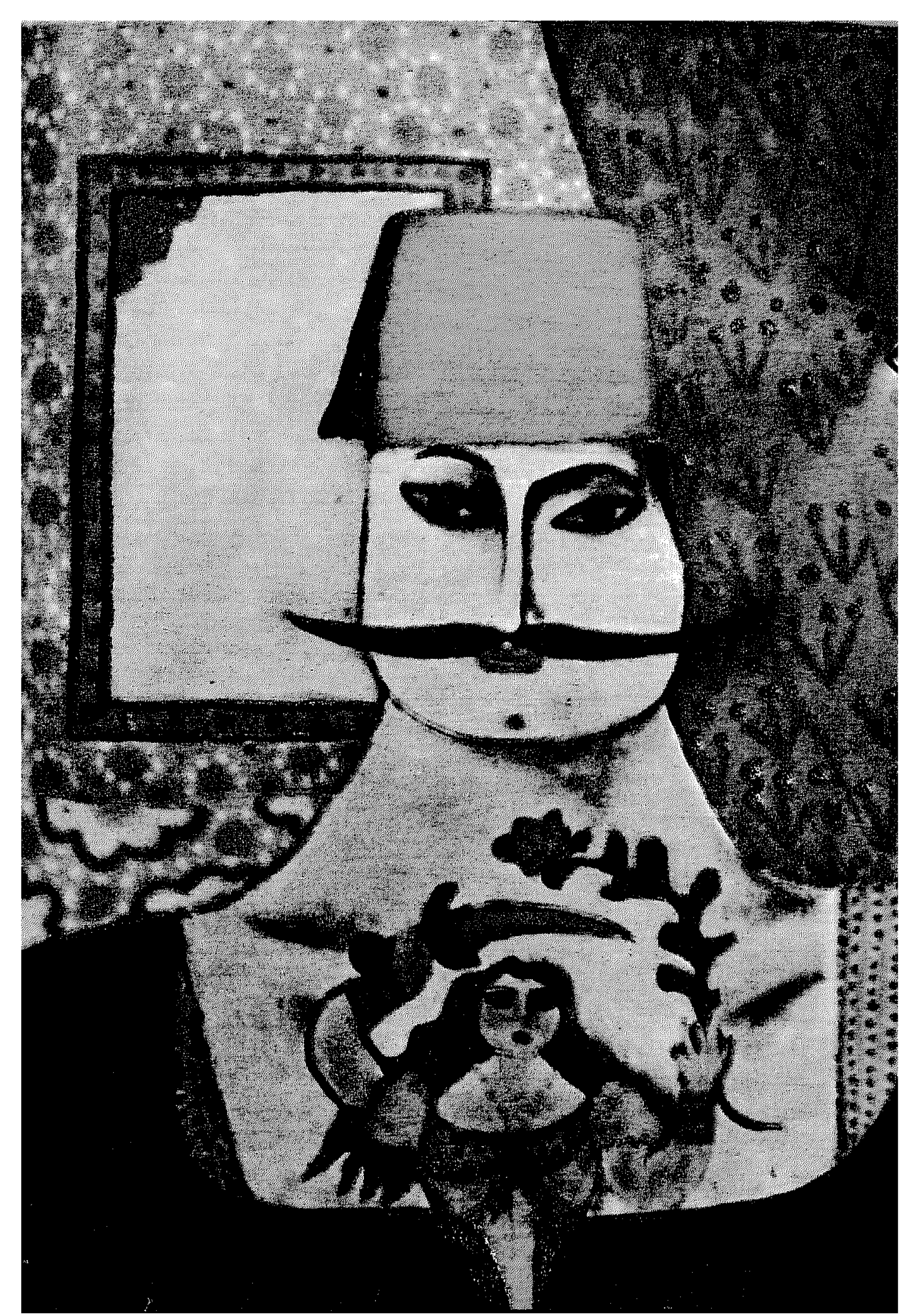
ـ لكنه مقهى الحرفيين ، غاية فى الفقر والقذارة ..

فقال الأول .

ـ اصح ، حقا مازال مقهى الحرفيين ولكنهم يذهبون اليه اليوم فى سياراتهم الخصوصية الملاكى وقد تجدد المقهى بتجددهم فأصبح انشراحا بالمعنى الصحيح ..

ثم وهو يضحك ..

ـ سنمثل فيه الطبقة الكادحة الجديدة !



شخصيات خالدة

من الأدب العربي إلى الأدب العالمي

بقلم: ألفريد فرج

بحصول نجيب محفوظ على جائزة نوبل ستنتقل شخصياته الروائية الرائعة من المكتبة العربية ، ومن السينما المصرية ، وشاشات التليفزيون .. إلى الأضواء العالمية .

وسيتعرف الناس في اربعة اركان الارض الى « سي السيد » بين القصرين ، « وسعيد مهران » اللص والكلاب ، « وعيسى الدباغ » السمان والخريف ، « ومحجوب عبدالدايم » القاهرة الجديدة ، و« صابر سيد الرحيمي » الطريق ، و « نفيسة كامل » بداية ونهاية ، و« حميدة » زقاق المدق ..

ستنضم هذه الشخصيات المؤثرة إلى المكتبة العالمية الحافلة بالشخصيات الخالدة المؤثرة ـ أنا كارنينا » تولستوى ، و« الملك لير » شكسبير ، و« أوليفر تويست » ديكنز ، و« جان فالجان » فيكتورهيجو ، و« ويلي لومان » آرثر ميللر ، « وراسكولنيكوف » ديستويفسكي ، و « دكتور زيفاجو » باسترناك » .

وبعد أن نجح نجيب محفوظ في اثراء الوجدان والفكر والتجربة لشعراء العربية ـ ستطرق شخصياته ابواب الفكر والوجدان في العالم كله لتضيف الى الفكر والوجدان والتجربة لكل قارىء في العالم ، ولكل عشاق القصص اللمسات المؤثرة لهذه الشخصيات الروائية الرائعة .

ان الشخصية الروائية الخالدة تكتسب بقدرة المؤلف حياة في واقع الحياة ، فكأنها شخص نعرفه ، نتأثر به ونتأسى بمصيره ، ونزداد به معرفة بأنفسنا وبغيرنا من الناس .

من رحاب العالم الذى اختار منه نجيب محفوظ شخصيات رواياته : اختار حلمي التوني لوحات شخصياته ، ونقل ملامح سي السيد (الثلاثية) ونفيسة (بداية ونهاية) وحميدة (زقاق المدق) ، انها عن عالم الحارة والحياة الشعبية المصرية ..

كما نزداد بهذه الشخصية قدرة على تقييم انفعالاتنا وسلوكنا .. وعلى تقييم انفعالات وسلوك الناس من حولنا .
تصبح الشخصية الروائية دليلنا فيما نحب وفيما نكره ، وأخلاقها معيارا نقيس به القيم والاخلاق الاجتماعية بالاستحسان أو الاستهجان .. وتصبح ضوءا يكشف لنا جوانب من الحياة كنا نجهلها أو لا نفهمها أو كانت غائبة عن ادراكنا قبل التعرف على الشخصية الروائية وقبل قراءة الرواية الأدبية .

● انتماء للواقعية

وأدب نجيب محفوظ ينتمي الى الواقعية ، وفيه تصوير دقيق للحياة المصرية لايغفل تفاصيل التفاصيل للبيئة المحلية .

وربما يصبح هذا ـ على خلاف الرأى الشائع ـ هو سبب الجاذبية لذلك الأدب ومصدر سحره .. لما لهذا الاسلوب الواقعى ولما لهذه البيئة المصرية التى تجرى عليها الاحداث الروائية من غرابة وطرافة لم يعهدها القارىء الأوروبى أو قارىء الادب الاوروبى .
وبهذه الواقعية التفصيلية يرسم نجيب محفوظ شخصياته بدقة فكأنها حية تتحدث للقراء بذاتها وتتحدث اليهم من صميم ذاتها .
فمن هم الرجال والنساء الذين يصنعون عالم نجيب محفوظ ويعتبرهم القراء العرب من أعلامه وعلامات قصصه البارزة .. الرجال والنساء الذين ينتظرهم القراء الاجانب فى غير اللغة العربية ليتعرفوا بهم وليعرفوا من خلالهم جوانب من الشخصية المصرية والنفس المصرية العربية الاسلامية الحديثة ..
من هم شخصيات نجيب محفوظ الروائية ؟

● سى السيد

مَن مِن القراء العرب ومشاهدى السينما ينسى « سى السيد » .. الأب المصرى القاهرى الصارم المتناقض فى عالم يتغير .
تعتبر رواية بين القصرين وثيقة تاريخية للاسرة المصرية المتوسطة فى اوائل القرن العشرين ، والاب السيد أحمد عبدالجواد هو عماد الأسرة وركن الأمان لكل افرادها .
وينتهى السيد احمد عبدالجواد الى شريحة اجتماعية كانت هى الشريحة القائدة للمجتمع المصرى فى اوائل القرن العشرين وقبل الاستقلال ١٩٢٢
فهو تاجر ومن اصحاب الوكالات ـ طبقة وسطى ـ من مساتير الناس نموذجى فى صرامتـه واستبداده الابوى بالزوجة والاولاد لا تخاطبه زوجته الا بالاسم مسبوقا باللقب ، فهو عندها دائما« سى السيد »
وقد كانت هذه الطبقة الوسطى من التجار هى معيار الاخلاق وسلوكها هو السلوك الاجتماعى النموذجى .
ولكن أحلام الاستقلال التى تفجرت بثورة ١٩١٩ وبقيادة سعد زغلول جعلت تلك الطبقة تدفع بابنائها ـ دون بناتها ـ للتعليم ، وكانت الحكومة تتهيأ للاستقلال بتمصير الوظائف وتوسيع الاداة الحكومية ..

وسرعان ما ستصبح الشريحة المتعلمة من الموظفين هى الشريحة الصاعدة الى قمة الطبقة الوسطى ، القائدة لها .. لتكون اخلاقها هى معيار الاخلاق وسلوكها هو السلوك النموذجي .. بينما تتراجع الشريحة القديمة الى الوراء وتتعرض للذبول ..

لذلك نرى نحن السيد أحمد عبدالجواد فى قمة العنفوان ثم نتابع تراخى قبضته الحديدية .

وروعة ثلاثية نجيب محفوظ تكمن فى وصفه الرائع لهذا التطور الاجتماعى التاريخى ، بقلمه الانسانى المؤثر .

السيد احمد عبدالجواد رب أسرة صارم مستبد ، ويتميز بالاستقامة والجدية فى معاملاته الاجتماعية والتجارية .. فاذا اقبل الليل اسلم امسياته للحظ والطرب والقصف والخمر .. دون أن يحس بالتناقض بين حكمه الجاد الصارم لاسرته وبين فروسيته ومجونه ساعات الفرفشة فى صحبة العالمة زبيدة ثم سلطانة ثم زنوبة الصبية .

وقد بلغ من استبداد عبدالجواد بأسرته انه طرد أم اولاده من البيت لمجرد انها خالفت أوامره بالتزام الدار ، وذهبت خفية عنه لزيارة حبيبها الحسين رضى الله عنه بصحبة أولادها للتبرك والدعاء ، وكاد أن يطلقها ..

وقد رد خطيب ابنته لانه استراب فى انه رآها فى الشباك ، وأعلن الأم انه لن يرضى بزواجها الا اذا ثبت له أن من يخطبها يفعل ذلك « بدافع من رغبته الخالصة فى مصاهرتى أنا .. أنا »

يروى نجيب محفوظ : « أن الكذب فى هذا البيت لم يكن بالرذيلة المخزية فلم يكن بوسع أحد منهم أن يتمتع بالسلامة فى ظل الأب دون حماية من الكذب . هم يجاهرون بذلك بينهم وبين أنفسهم ، بل ويتفقون عليه فى الموقف الحرج »

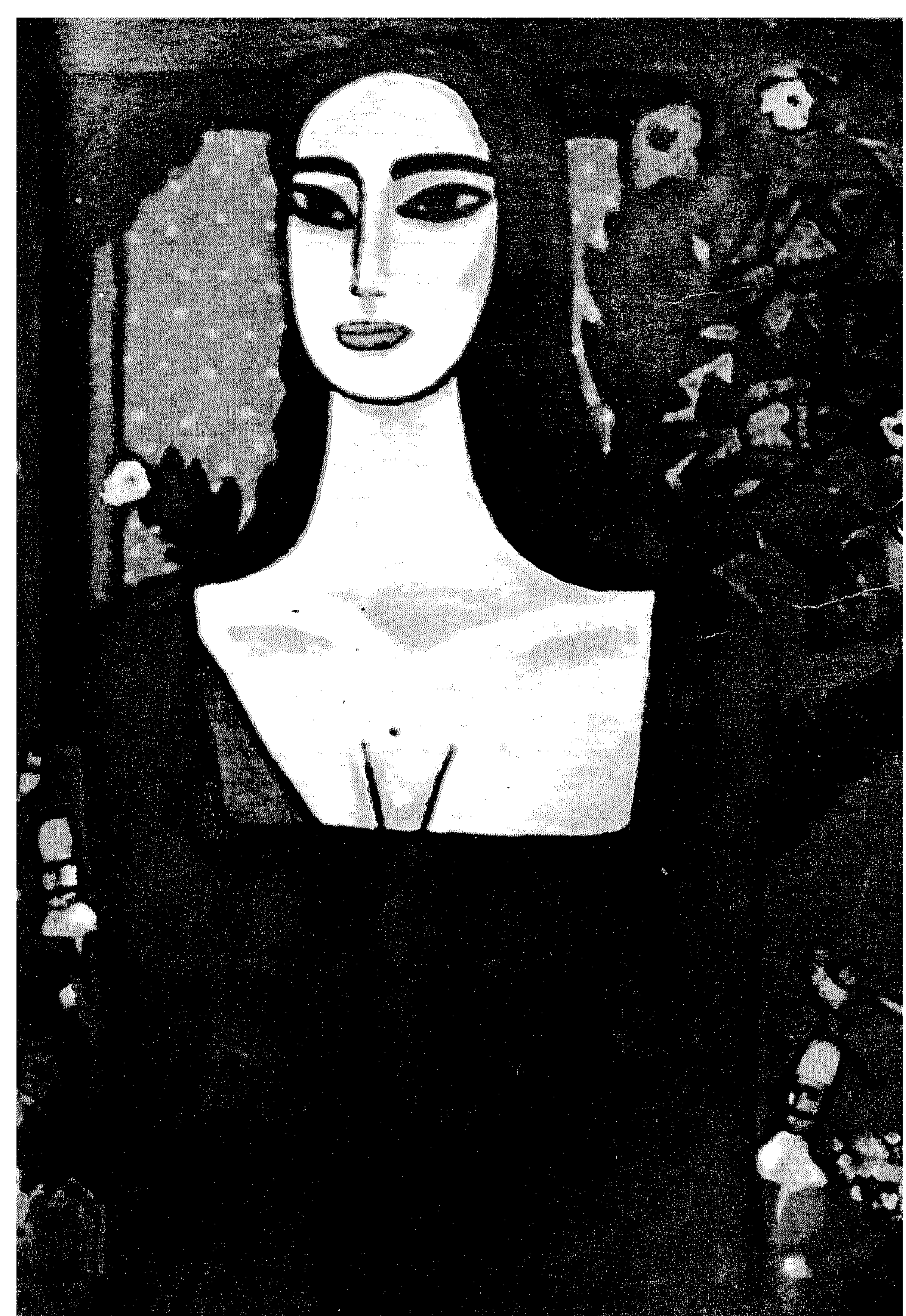
فماذا يمكن أن ينقذ الابناء من استبداد الأب الا الرياء والاكاذيب البيضاء .. .

والسيد احمد عبدالجواد رجل متدين حريص على تمسك الابناء بالقيم الدينية . وهو يعتذر عن مجونه بالليل بانه ما ارتضى لنفسه يوما أن يعتدى على عرض أو كرامة قط ، ويحمد الله على ذلك .. ثم يتعلق بثقته فى رحمة الله ..

وهو رجل وطنى يجيش قلبه بحب الوطن وكراهية الانجليز ، ويزيد من حقده عليهم أن الجنود الانجليز صادفوه وهو عائد من ليلة حمراء فارغموه على العمل بالسخرة فى رفع الأحجار .. فأحس بعمق الاهانة واهتزاز كرامته .

ولكنه يأمر ابنه البكر فهمى الطالب بمدرسة الحقوق بعدم المشاركة فى المظاهرات ويحاول أن يجعله يقسم على المصحف بأنه لن يخرج فى المظاهرات الوطنية . ولكن فهمى الذى يؤمن بقداسة القسم على المصحف ويؤمن أيضا بحق الوطن على شبابه ، يغادر الغرفة منفعلا دون أن يقسم على ما يريد أبوه .

ويدفع الأب فى سبيل استقلال الوطن اكثر مما كان يتمنى أن يدفعه - ولده فهمى نفسه الذى قتل فى مظاهرة





الابتهاج بعودة سعد باشا من منفاه .

نوهت لجنة جائزة نوبل بثلاثية بين القصرين واتوقع أن يكون لهذه الرواية البديعة ولشخصية السيد احمد عبدالجواد نجاح كاسح فى العالم .

الرواية تؤرخ للتطور الاجتماعى بمصر فيما بين الحربين العالميتين وهى فترة حاسمة فى تاريخ بلادنا .

● سعيد مهران

اللص والكلاب ..

سعيد مهران طريد يطارد الخيانة .. لص خانه أقرب معاونيه فوشى به للشرطة بالتواطؤ مع زوجته ، التى تزوج بها بعد أن طلقت سعيد وبذلك احتضن ابنته فى بيت الخيانة .

ولكن الاقدار كانت تدخر لسعيد مهران ان يكتشف خيانة أعظم .. تلك هى خيانة الصحفى المثقف رءوف علوان

رءوف كان يسكن بيت الطلبة أثناء دراسته بالحقوق بينما كان سعيد ابن البواب ، وعندما ارتكب سعيد اولى سرقاته الصغيرة حماه رءوف علوان وعلمه أن سرقة الاغنياء ليست جريمة لانها مجرد سرقة من اللصوص الكبار ، وعلمه القراءة والكتابة وشجعه على قراءة الكتب وحب الثقافة .

وحين خرج سعيد مهران من السجن وقرر الانتقام من الخونة زار رءوف صديق صباه ، ولكنه لاحظ تغير احواله الى النجاح والثراء وتغير آرائه أيضا ورأى منه الزجر والتهديد ، فوضعه فى قائمة الخونة وقرر سرقته ثم قتله مع الآخرين .

سعيد سيقاتل حتى الموت تحت تاثير شعوره بأن قتل الخونة هو ما بقى لمن فقد كل شىء ولا أمل له فى الغد .

وهو ذكى ، ماهر ، قادر على الفرار من الكمائن ، بارع فى التنكر ، ثابت القصد واليد .. الا أن حظه العاثر يضع المرة بعد المرة فى طريقه الابرياء ليسقطوا قتلى برصاص مسدسه بدلا ممن خانوه .

لايجد ملاذا من المطاردة الا بيت نور الفتاة الطيبة الساقطة التى تريد أن تثنه عن اندفاعه الطائش، ليخترق حصار الشرطة حتى يرمى اعداءه بالنار ، وتريد أن تزين له الفرار الى مكان قصى بصحبتها والحياة فى أمن بعيدا عن الانظار .. ولكنها لا تستطيع أن تفهم حافزه الغلاب لمعاقبة ما يراه شرا وخيانة . كما أنها لا تستطيع أن تخترق بمنطقها صلابة سعيه وعناده

سعيد مهران شخصية عدمية .. تعلم العدمية فى مدرسة رءوف علوان الذى أوهمه أن كل ملكية للاغنياء ليس لها سند مشروع وان سرقتهم واجب حتمى ..

ولكنه بعد خيانه زوجته وصبيه ، ثم روح العداء التى لاقاه بها رءوف علوان صاغ عدميته الأصيلة صياغة جديدة فى اتجاه القتل العمد واستئصال شأفة الخيانة .

وليس مستغربا أن سعيد مهران يلجأ لنور الفتاة الضائعة لتهيىء له مخبأه ولا نستغرب انه يلجأ الى الدرويش الذاهل ليأمن عنده خارج الدنيا الواقعية .. وليغتنم عنده لحظة هدوء خارج الزمن المضنى ، والدرويش لا يكف عن تأنيبه وتذكيره بضرورة الخلاص بالتأمل خارج الواقع الفانى ، وفى الزمن السرمدى ؟

الملجآن يهيئان له مكانا خارج المكان ليستريح فى كل منهما ساعة .
رواية اللص والكلاب فى ظاهرها من روايات الجريمة والعقاب ، وفى جوهرها المثير صورة للنفس العدمية التى قهرها المجتمع ، واظهر ما يمكن أن يصل اليه المطارد واليائس والمحروم من نزعة للانتقام الرهيب .

● مأساة نفيسة .. فى بداية ونهاية

نفيسة بنت عاطلة عن الجمال فى أسرة منكوبة .

مات عائلها فجأة وترك الأم واربعة ابناء بلا معاش يذكر .

الاخ الكبير حسن ترك المدرسة واشتغل عاملا ثم مطربا ثم فتوة وتاجر مخدرات فى حى الدعارة .

حسين وحسنين واصلا الدراسة ، بينما اشتغلت اختهم نفيسة خياطة تخيط ملابس العرس للبنات وتصابر شوقها للزواج .

وبينما كانت الأم تبيع اثاث البيت قطعة قطعة وتدبر أمور الاسرة بصعوبة بالغة ، تدرج حسين وحسنين فى الدراسة حتى حصل الأول على شهادة الكفاءة واشتغل كاتبا ليتيح لاخيه الصغير مواصلة التعليم .

نفيسة تتعرض لخديعة ابن البقال الصغير الذى يحنث بوعوده ليتزوج ابنة البقال الكبير الذى يطل دكانه على الشارع العمومى .

نفيسة يطحنها الفقر واليأس وقلة الأجر وتحيط بها الاغواءات الرخيصة للشباب فتنزلق الى الدعارة .

ولكن اكثر ما يخيفها أن ينكشف أمرها فتكون سببا فى فضيحة اخويها المحترمين ..

انها الصورة الأصلية وظلها اخوها الكبير حسن الذى يتدهور فى حى الساقطات بدوره بدافع العوز وانعدام الحيلة . والشك فى المستقبل .

الا أن حسن رجل ، ونفيسة فتاة .. حسن يصارع قدره وينافح عن وجوده بقوته البدنية وبجرأته على المخاطر .. بينما نفيسة هى الطرف الضعيف فى الصراع مع الحياة تتحايل على البقاء بالتخفى والحذر والكتمان والاستسلام .

مع أن رواية بداية ونهاية هى قصة مأساة نفيسة كامل ، فهى تدور حول محور الاخ الاصغر حسنين الذى أفسده تدليل الكبار له والتضحية من أجله حتى صار يشعر بحقه فى هذه التضحيات ويطلبها صراحة .

فهو يخطب ابنة الجيران برغم حالة الاسرة التعسة ، ويدفع اخاه حسين الى الاكتفاء بشهادته المتوسطة حتى يكمل هو تعليمه ، ثم تدفعه تطلعاته الطبقية لابتزاز واسطة من صديق قديم لأبيه من كبار الموظفين ليدخل الكلية الحربية ، وحين يتخرج ضابطا يفسخ خطبته ويحاول خطبة ابنة صديق ابيه الثرى .

اخوه حسن مشكلة يخاف أن تنفجر فتصبح فضيحة خطيرة .

لكن الضربة القاسمة تأتيه بعد ضبط نفسية فى بيت دعارة ، واستدعائه فى قسم الشرطة لاستلامها .

يشعر أن عالمه ينهدم . وأحلامه كلها تنهار ..

ولكنه ينتظر تضحية أخيرة من نفيسة .. ونفيسة التى اضناها الحرمان واحتملته مضاعفا لتخفف وطأته عن اخويها .. والتى سقطت لانها عديمة القوة واضعف حلقة فى اسرة المرحوم كامل افندى الضعيفة ، قدمت دائما التضحيات ومازال عندها ما تملكه ويمكن أن تضحى به : حياتها .

لاتقتلنى فيضيع مستقبلك .. دعنى اقوم عنك بهذه المهمة !

رحلة مؤسية ومفزعة التى رافقها فيها حسنين بسيارة التاكسى الى كوبرى ابى العلاء ، وانتظر يرقبها خلف جذع شجرة ليتأكد انها القت

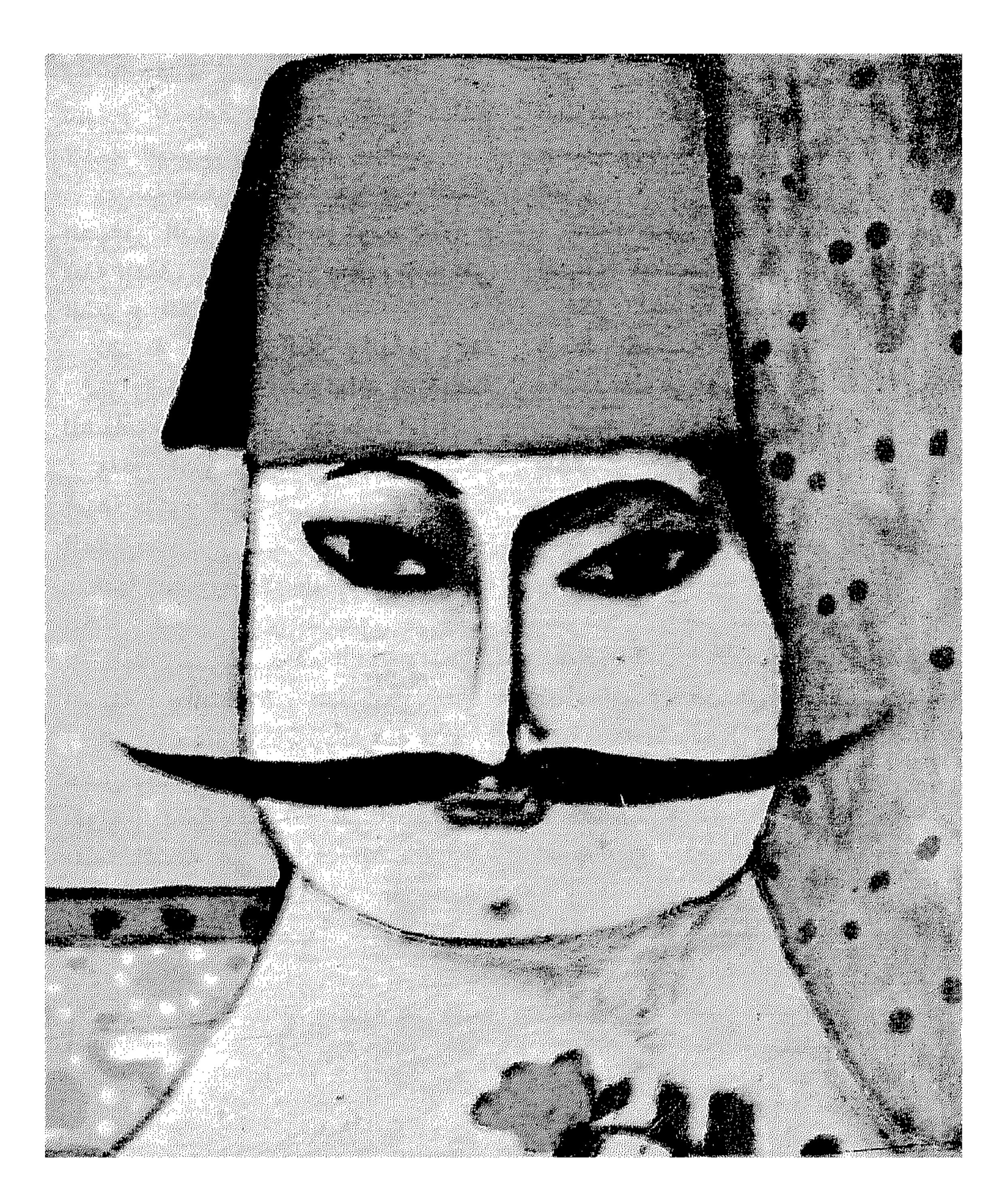
بنفسها فى النيل .. ثم تتلاطم فى نفسه النوازع ويغلبه القنوط والضعف والتمرد على الضعف فيلقى بنفسه هو الآخر منتحرا .

بداية ونهاية صيحة انسانية تحتج على ضعف الفقر ، وضعف المرأة ، وضعف حسنين امام طموحه فى الصعود الاجتماعى الذى يجعل منه الشرير الانانى .

ونفسيـة من اروع الشخصيات المأساوية فى ادب نجيب محفوظ .

● صابر سيد الرحيمى

امه تدير بيوتا للدعارة .. صودرت املاكها واعترفت لابنها الوحيد وهى على فراش الموت ان اباه مليونير كبير الشأن اسمه سيد الرحيمى واعطته





وثيقة زواجها منه وطلبت اليه ان يبحث عنه ليحتمى فى ظله .

ولما ماتت انطلق اليتيم الحزين يبحث عن أبيه فى الاسكندرية ثم فى القاهرة .

نزل بفندق متواضع يملكه خليل ابو النجا الرجل العجوز المتهالك وزوجته كريمة فتاة صغيرة جميلة .

اتصل بالصحفية الهام لنشر اعلان يطلب فيه من ابيه الاتصال به وقعد ينتظر ..

نشأت صداقة بريئة بينه وبين الهام . الا أن كريمة كانت تفتح له ابواب الاهتمام بها فلما التقيا فى غرفته وتوطدت علاقتهما اغرته بمعاونتها فى قتل زوجها لتصبح ثروته الكبيرة لهما من بعده .

لم يسفر بحثه عن ابيه عن شيء وكانت تفرغ نقوده . وكلما استبد به اليأس وروعه شبح الافلاس وهو بلا مهنة ، صار اقرب لقبول اقتراح كريمة .. وحبه لها يتمكن من قلبه . ولما تحين الفرصة ينفذا الجريمة وتنتقل كريمة الى بيت أمها لتقضى فترة الحداد .

يصبح صابر وحيدا ويداخله الخوف من الحاح المحققين على نزلاء الفندق وموظفيه .. حتى يبذر فى قلبه عامل الفندق « الساوى » بذور الشك بايعاز من الشرطة .وهمه ان كريمة تحب زوجها الأول الذى باعها لزوجها

الثاني خليل ابو النجا وربما يعود لها وتعود له .

الخيبة والاحباط والشك والخوف كلها تستبد به فيندفع بطيش الى كريمة في بيت أمها ويتهمها انها وزوجها الأول أوقعا به واستغلا غفلته .. ويدفعه العنف والغيرة لقتلها ، وتقتحم الشرطة البيت وتضبطه متلبسا .

الهام الصديقة الصحفية تساعده على توكيل محام ، ولكن يحكم عليه بالاعدام ويعرف وهو ينتظر الاستئناف طرفا من انباء أبيه وانه زار مصر أياما في طريقه الى الهند .

« الطريق » رواية غريبة في اجوائها ، وقصة البحث عن الأب لها اكثر من بعد فكري واحد .

البحث عن الهوية والاصل ؟ .. ربما البحث عن الملاذ والشعور بالأمن ؟ .. ممكن .

البحث عن المجهول ، أو الاسطورى ؟ .. يجوز ولكن شخصية صابر هي محور هذه الأحداث التى يكتنفها الغموض .. فهو يبحث بحثا فاضلا بريئا عن ابيه وعن ملاذه وعن أمنه وطمأنينته .. والطمأنينة بعيدة والأمن مستقر في الضباب والملاذ يحوط سيرته الغموض ..

إلا أن الشاب يبحث عن أصوله في مجتمع حافل بالرغبات ومخاوف الافلاس والسقوط ، مليء بالمكائد والمسالك الغريبة .. عالم واقعى صلب ابوابه عصية على شاب قليل المال عسير المطلب ..

وفى هذا المجتمع يصبح صابر سهل المنال ، ضحية لظروفه يختلط حبه بالشهوات وغرامه بالغيرة والشك

ولصابر وجه شرير وميراث شرير أوقعه في جريمة القتل .

وله وجه بريء ساقه الى حب بريء لالهام الصحفية التى عاونته في الاعلان مرارا لأبيه ، وايقظت أمله في حياة طيبة ..

ومن العجيب أن نجيب محفوظ حافظ بصدق واقعيته على توازن هذين الضدين في نفس صابر ، الذى لم يفقد أمله في حياة آمنة في كنف أبيه الغائب المجهول حتى وهو قاعد في ظلال المشنقة .

وأكد نجيب محفوظ بهذه الشخصية ان النفس الانسانية مركبة ، وان الانسان مؤهل للحياة الطيبة أو للحياة في الجريمة بنفس القدر ..

كما أكد المعنى الساحر وراء المصير الانسانى ، وهو أن المرء يحلم دائما ببلوغ الواحة الخضراء مهما طال السفر في الصحراء .

● حميدة .. زقاق المدق

« زقاق المدق » من اشهر روايات نجيب محفوظ التى صور بها احياء القاهرة الشعبية اثناء الحرب ..

وشخصياتها زيطه والدكتور بوشى صانع العاهات والمعلم كرشة ، وهى جزء لا يتجزأ من معمار الزقاق وجدرانه المهدمة وشبابيكه العربية وفقره وكفاحه من أجل الرزق .

وفى هذا الزقاق العتيد تتفتح حميدة كالزهرة الفريدة مثيرة فواحة تدير الرءوس .

لما أحبها الحلاق عباس الحلو سافر الى معسكرات الانجليز ليربح بعض

المال يعينه على الزواج منها .
ولكن القاهرة كانت حاشدة بالجنود الانجليز وغير الانجليـز ، وكانت الملاهى تنتشر فى احيائها الافرنجية . وصائدو الفتيات ينتشرون هنا وهناك طلبا للوجوه الجديدة لالحاقهن ببنات الليل فى البارات والملاهى للترفيه عن الجند .

وهكذا استطاع فرج أن يستميل حميدة وأن يغرى أمها بالخروج من الحارة الفقيرة والتطلع الى مستقبل يعد بالمال وبعض الترف .

وتحـولت حميـدة بنت الحـارة الشعبية إلى حياة غير الحياة التى كان يعدها بها عباس الحلو ، والحياة التى يمكن أن توفرها لها الحارة .

ولما جاء عباس الحلو وعلم خبرها اصطحب حسين كرشه صديق طفولته الى البار الموعود حيث رأى حبيبة القلب تجالس الجنود الانجليز ، فصرخ فى وجهها ورماها بزجاجة سأل لها دمها على وجهها ، فما كان من الجنود الانجليز الا أن قاتلوه بالايدى والأرجل حتى مات وهو ينادى على صاحبه حسين ، بينما حسين قد فر على وجهه مذعورا ..

زقاق المدق رواية تهتم بالبيئة وتحفل بالعادات الشعبية والحرف الغريبة والوصفات البلدية العجيبة .

ولكن محور الرواية هو قصة حب حميدة وعباس ، وسقوطهما معاً ..

وتبدو حميدة احيانا شخصيـة شديدة الطموح ، الا أن ما تتمناه وتحلم به فى الواقع ليس الا الحقوق الدنيا المتواضعة ، وثمن هذه المطالب الدنيا البسيطة هى السقوط المروع والخروج على القيم والتقاليد وهو ثمن فادح ، لم تدفعه وحدها وإنما دفع مثله حبيبها الشاب البرىء الذى ارغمته مطالب الزواج البسيطة أن يهجر الحارة بدوره ليعمل فى معسكرات الانجليز .. فاى مفارقة واى مقابلة بارعة رسمها نجيب محفوظ فى روايته الرائعة .

ان زقاق المدق رواية واقعية بسيطة الا انها بليغة فى تحليلها لاحوال المجتمـع المصـرى تحت وطـاة الاستعمار والفقر .. الذى أحبط أحلام الحب والشباب فى اعماق القاهرة خاصة فى مرحلة السطوة الاستعمارية الثقيلة أثناء الحرب .

ينسج نجيب محفوظ هذا المعنى الكبير بخيوط واقعية تصف باسلوبه الجذاب مصائر الناس البسطاء الذين لايملكون القدرة على تحقيق الأحلام الانسانية الصغيرة .

ومع أن زقاق المدق تصف حيا من احياء القاهرة عايشه جيلنا ، فانها قد اصبحت صورة تاريخية نادرة .. حيث ان أربعين سنة قد غيرت معالم هذه الاحياء الشعبية العتيقة فضلا عن العادات والأزياء والروح الحميمية للجيران وابناء الحرف وبساطة التفكير والسلوك .

● عوامة الثرثرة

نجيب محفوظ متنوع الانتاج جدا .

ورواية ثرثرة فوق النيل من رواياته المثيرة باسلوبها الفريد .. فهى لا تعدو أن تكون تسجيلا لجلسات عديدة يجتمع فيها جماعة من الاصدقاء حول الجوزة فى عوامة على النيل يثرثرون .

ومع ذلك فهي صورة مفعمة بالحيوية والتشويق مثيرة للدهشة .. تعكس حالة خاصة لفريق من الناس ينتمون الى شريحة الطبقة الوسطى المثقفة قد ظلل حياتهم الاحباط .

لو سألتني ماهي الشخصية الرئيسية في هذه الرواية فلن اختار احدا منْ ابطالها ولكني سأختار الموقع .

العوامة ذات الجوزة هي الشخصية الرئيسية في الرواية ، وسحابات الدخان المخدر السابح في ارجائها . الجماعة هم احمد نصر موظف ومصطفى راشد محام وعلي السيد ناقد فني وخالد عزوز فر وقصاص ورجب القاضي فنان وانيس زكي موظف ومثقف وسنية كامل وليلى زيدان مترجمة وسناء الرشيدي طالبة ، وسمارة بهجت الصحفية المعروفة بالمواضيع الجادة .

والحوار الدائر تختلط فيه الأوهام بالتهويمات ، والسخرية من الواقع بالتنقير بالذات ..

ويتميز الحوار المسترسل فصلا بعد فصل بالفكاهة السوداء والتشويق واصابة الشعارات السياسية والقيم الاجتماعية التقليدية .. الى جانب التلميحات الجنسية والملامسات الغرامية في جو موشى بالأحلام ويقجعه الواقع . وفيه مرارة ..

انهم صورة لشريحة اجتماعية استسلمت باختيارها او على رغمها للاحباط العام الذى عانى منه كثيرون من المثقفين بعد كل هزيمة وطنية او اجتماعية .

حادث واحد يقع في تلك الرواية الفريدة . ويقع خارج جدران العوامة الحالمة حيث تستقل الجماعة سيارة في منتصف الليل . تدفعها نزوة للخروج من الجدران التي احتوت احباطهم الذهاب الى سقارة .. فيصدمون رجلا صدمة قاتلة ويفرون بالسيارة فزعين .

وفي اليوم التالي لاتوقد الجوزة وانما يتبادلون الرأى حول ماحدث وما ينبغي ان يفعلوه .

وعندها يتهجم انيس زكي على رجب القاضي الذى كان يقود السيارة ويهدده بابلاغ الشرطة وهو في حالة هياج لم يسبق ان عانى مثلها .. ربما من يقظة ضمير عارضة او من غيرته على سمارة بهجت التي يبدو انه احبها ورجب يتقرب منها .. غير ان الثورة هدأت ولم يعد للتجمع مذاقة الحلو القديم وتفرقت الجماعة .

قال عم عبده خفير العوامة تعليقا على الشجار : كنت سأحل رباط العوامة لو لم تتوقف الخناقة .



فقال انيس زكى صاحب العوامة : ولكنى كنت سأغرق مع الغارقين لو فعلت !

ولكن رباط العوامة لم يحل .. ولا يزال سقفها العتيد وسحبه الطافية تظل شريحة المثقفين الذين صورهم نجيب محفوظ بمظلة الأحباط والمرارة واللاجدوى ..

فان هذه الشريحة العجيبة التى نراها فى ثرثرة فوق النيل هى ثمرة الأحلام المجنحة فى واقع راسب ، هى مرارة الطموح الذى لايناسب القدرات .

هى مرض شريحة من المثقفين فى العالم الثالث ، وهى حالة عرضت لكل مثقف فى كل انحاء العالم مرة أو مرات بعض الوقت أو لوقت طويل .

هى مرض العجز عن المطابقة بين الفكر والفعل ، بين القدرة والتحقيق ..

لذلك اقول أن رواية الثرثرة فريدة وستحتمل التأويل والتفسير على وجوه متعددة .. ولكن بطلها الحقيقى وشخصيتها الرئيسية فى نظرى هى العوامة ذاتها ، التى تثرثر فى الدخان . .

● قراءة نجيب محفوظ

هذه بعض شخصيات روايات الكاتب الكبير .. وفى أدبه الفنى مئات الشخصيات المثيرة .

ويستطيع القارىء أن يستمتع بروايات نجيب محفوظ بمجرد الأخذ بظاهر الوقائع فيها .. فهى مسلية وشيقة وتتميز بالبناء الدرامى الأخاذ .

ويستطيع القارىء أيضا أن يستمتع بما توحى به روايات نجيب محفوظ من أبعاد اجتماعية ودعوة للتطور والتقدم . وتصوير مأسوى لما يعانيه الرجال والنساء البسطاء من الظلم أو التجنى عليهم أو من الحرمان أو من العجز عن تحقيق الأحلام أو ما يحاولون الاجتهاد فيه من البحث عن السعادة والتوازن النفسى والمصالحة مع الآخرين .

والقارىء يستطيع أيضا أن يستمتع بقراءة روايات نجيب محفوظ بالتأمل فى الفلسفة الانسانية والاجتماعية التى تمثل النواة الصلبة لفن الرواية عنده ..

ولكن امتع ما فى فن نجيب محفوظ هو براعته فى تصوير الشخصيات المصرية فى مواجهة ظروفها المختلفة

ان أدبه متحف كبير يضم تماثيل الشمع الا انها مفعمة بالحياة والحيوية لألاف المصريين فى مواجهة انفسهم والمجتمع ، طامحون وقانعون ، يحبون ويكرهون ، أشرار وطيبون .. فى حالة تسامى أو فى حالة انحطاط ، فى موقف القوة أو فى موقف الضعف .. يبشرون وينذرون ، يفكرون ويشعرون . وهم دائما فى حركة دائبة ، اقدامهم فى طين هذا البلد المبارك وعيونهم مع ذلك فى السماء .. وكلهم شخصيات يحب القارىء لقاءهم ويستعذب حديثهم ويتعلم منهم ، ويمرح معهم ويأسى لهم ويعرفهم ويحس بالألفة معهم .. لانهم مواطنون اقرب شبها بمن نعرف من المواطنين .

نجيب محفوظ في ضميرنا الأدبيّ

بقلم: د. سيد حامد النساج



منذ زمن بعيد وانا استشعر في داخلي احساسا بان جائزة نوبل العالمية لن تخطيء نجيب محفوظ . ربما يعود ذلك الى الأيام الأولى التى كان ينشر فيها ثلاثيته مسلسلة في مجلة "الرسالة الجديدة" اذ بهرني معمارها الفني . واخذتني شخصياتها المتنامية . وتلك المسحة المحلية ذات المذاق الخاص . واخلاصه الشديد لبيئة محددة . قوامها تلك الأحياء الوطنية الشعبية . من القاهرة الفاطمية والاسلامية . ولما اخذت طريقي الى التخصص في فني الرواية والقصة القصيرة .. بدا اعجابي يزداد بالثلاثية . فكنت اتردد عليها بين الحين والحين . بل إني كنت أعود اليها - دائما - كلما كانت تصدر رواية جديدة لنجيب محفوظ . لأقارن بينهما . ولأحدد خطوات تطوره . ولأقف عند الظواهر الجديدة في فنه .

● وكلما كنت اقرأ عن جائزة نوبل ، وعن انها تختار بين الفنية والفينة كتابا اتسمت كتاباتهم بالمحلية وانطلقت منها الى العالمية ، كلما عمق هذا شعوري الداخلي واحساسي الباطني بأن الجائزة لن تخطيء نجيب محفوظ .

ويبدو أن اخلاص نجيب لبيئته ، وصدقه في التعبير عنها ، وحرصه على تصويرها ، هو الذى جعله يدور في فلكها في معظم رواياته منذ "القاهرة الجديدة" و"بداية ونهاية" "وخان الخليلي" و"بين القصرين" و"السكرية" و"قصر الشوق" حتى آخر رواية تنشرها جريدة "الاهرام" (قشتمر) . وعلى الرغم من محدودية البيئة الجغرافية والمساحية التى تحركت فيها معظم روايات نجيب محفوظ ، فإن ذلك زاده احتكاكا بانسانها . بل إنه عانى مشكلاتها ووعى واقعها . وفهم تناقضاتها وتنسم ترابها واختلط بعرق أبنائها . ودرس قضاياها . والتقط احلام فتواتها ، وفتياتها ، وواكب حركتها ، منذ الثلاثينيات .. لذا فاني سعدت جدا حين عرفت أن نجيب محفوظ قد حصل على جائزة نوبل . فقد صدق حدسي النقدى والانساني ، إذ ان "الثلاثية" كانت في مقدمة تقرير اللجنة تحتل ابرز مكان لأنها لا تقل بحال من الأحوال عن أعمال ديكنز وتولستوى وبلزاك ، كما انها - في ظني - تفوق اعمالا سبقتها إلى الجائزة في سنوات ماضية . وهكذا جاء تتويج تاريخ طوله نصف قرن من العمل الدءوب في ميدان الرواية . ومن الانتاج القصصي الذى يتسم بالأصالة ، والعمق ، ومواكبة حركة الحياة في المجتمع .

ذلك أن نجيب محفوظ اخلص لفنه وحده دون سواه . إلى جانب إخلاصه لمجتمعه دون غيره . فهو لم يلجأ إلى البروباجاندا ولا الاعلام الصارخ عن كتاباته . ولا الدعاية الفجة عن آرائه ، ولا اللهاث المحموم وراء من يكتبون عنه وانما حصر همه في الكتابة وحدها . ومع ذلك كله ، فقد كان أكثر



نجيب محفوظ في ضميرنا الأدبي

الكتاب المعاصرين مجالا للدرس والبحث والنقد . بل إن الجامعات العربية تنبهت لدوره الخطير بالنسبة لحركة الرواية العربية ، فوجهت طلابها نحو دراسته في مناهجها العادية ، كما هيأت لطلاب الدراسات العليا سبيل التخصص فيه .

ومن ثم لم يترك الباحثون جانبا من جوانب فنه إلا درسوه ، ولا رواية من رواياته إلا فحصوها . ولا شخصية من شخصياته الفنية إلا وقفوا عندها . ولا فترة إلا حللوها . ولم يكتف النقاد بذلك ، بل إنهم شغلوا الصحافة اليومية والأسبوعية والمجلات الشهرية المتخصصة وغير المتخصصة ، بمقالات ضافية حول نجيب محفوظ .

نذكر من المؤلفات التي كان موضوعها نجيب محفوظ ، كتاب الدكتور / عبدالمحسن طه بدر (نجيب محفوظ الرؤية والاداة) . وكتاب الدكتور محمود الربيعي (قراءة الرواية . نماذج من نجيب محفوظ) وكتاب الدكتور / غالي شكري (المنتمي دراسة في ادب نجيب محفوظ) وكتاب الدكتور/ رجاء عيد (دراسة في ادب نجيب محفوظ) وكتاب الدكتور نبيل راغب "قضية الشكل الفني عند نجيب محفوظ" . وكتاب الدكتور محمد حسن عبد الله (الاسلام والروحية في ادب نجيب محفوظ) . وكتاب الأستاذ محمود أمين العالم (تاملات في عالم نجيب محفوظ) . وكتاب الأب جاك جوفيه (ثلاثية نجيب محفوظ) وكتاب جورج طرابيشي (الله في رحلة نجيب محفوظ الرمزية) . وكتاب الأستاذ احمد محمد عطية (مع نجيب محفوظ) . وكتاب ابراهيم فتحي (العالم الروائي عند نجيب محفوظ) . وكتاب الدكتور / سليمان الشطي (الرمز والرمزية في ادب نجيب محفوظ) . وكتاب فاطمة الزهراء محمد سعيد (الرمز والرمزية في روايات نجيب محفوظ) . وكتاب الدكتورة / سيزا احمد قاسم (بناء الرواية ـ دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ) .

بالأضافة الى عدد من الرسائل الجامعية . نذكر منها (نماذج الشخصيات المكررة في روايات نجيب محفوظ) . عودة الله سالم القيسي و(البطل في روايات نجيب محفوظ) . محمود خليل عثمان العطشان . و(نجيب ـ محفوظ دراسة فنية) محمد عبدالحكم عبدالباقي . و(ثلاثية نجيب محفوظ) . جهاد عبد الجبار الكبيسي . الى غير ذلك من البحوث والدراسات التي تناولت فن القصة القصيرة عند نجيب محفوظ . مما يكشف عن ان النقاد والباحثين قد تنبهوا منذ زمان الى قيمة

هذا الكاتب الكبير ، فراحوا يتتبعون خطواته منذ بداية عهده بالكتابة .

● التزام بالتاريخ

ذلك أنه بدأ يسهم بجهوده الروائية بعد تجارب جيل الرواد بروايات تاريخية : (عبث الأقدار) ١٩٣٩ ، (رادوبيس) ١٩٤٣ ، (كفاح طيبة) ١٩٤٤ . وفيها كان مشبعا بالدعوة الى الفرعونية واحياء أمجاد مصر القديمة . متأثرا باستاذه سلامة موسى فى ذلك الوقت . وهى روايات تاريخية نعتبرها القمة التى وصلت عندها الرواية التاريخية عندئذ . وكان قد استفاد من كتاب (تاريخ مصر القديمة) فى روايته (عبث الأقدار) . كما استعان بقصة سيدنا موسى . وفى روايته الثانية (رادوبيس) صور الصراع بين الملك والكهنة ، والاحتفال بعيد النيل . وفى (كفاح طيبة) احتلت المعارك الحربية والرحلات ، الجزء الأكبر منها . والتزم فيها بالتاريخ التزاما قويا وان كان قد حملها جميعا رموزا تشير الى الواقع الاجتماعى أثناء حكم أسرة محمد على . فالأولى تدين سياسة القوة والاستبداد . والثانية تنتقد الفساد الملكى . ورواياته التاريخية عموما أكثر تماسكا من غيرها من الروايات التى عاصرتها . ويتحول نجيب محفوظ منذ روايته (القاهرة الجديدة) الى اتجاه جديد . حيث يلتقى مع الواقع الحى التقاء مباشرا . وقد تخير من قطاعات هذا الواقع شريحة البورجوازية الصغيرة فى مختلف مراحل تطورها . واستقطب الجانب الماساوى فى حياة المجتمع بعامة ، وفى التكوين الداخلى لهذه الطبقة بخاصة . ذلك أنه ابن البورجوازية المصرية الصغيرة ، المستوطنة فى مدينة القاهرة . وكانت القضية الاجتماعية هى الشغل الشاغل لنجيب محفوظ . ومشكلة الفقر بالذات هى مشكلته المفضلة . بكل ما يحيط به من فساد أخلاقى وسياسى واجتماعى .

● عناصر أساسية فى البناء

وتستمر "القاهرة الجديدة" فى "خان الخليلى" ثم تنتقل عدسته الى "زقاق المدق" داخل هذه الحارة الضيقة المحدودة . لتصور لنا أهل الزقاق . وقصة كل منهم . وحياته وأخلاقه . ومزاجه . ومواطن الخير والشر فيه . ثم تاتى روايته "بداية ونهاية" فى نهاية هذه المرحلة . لتضرب على نفس الوتر الحساس الذى



نجيب محفوظ في ضميرنا الأدبي

بدأ به نجيب محفوظ رواياته الاجتماعية . وهكذا التقينا في هذه الروايات الأربع بمجموعة من الشخصيات لم يلتفت إليها احد من الروائيين من قبل نجيب محفوظ . ولم يرسمها بدقة : عضويا ونفسيا واجتماعيا . كما وجدنا الأحداث والشخوص تتحرك في إطار بيئة مكانية ، وحيز زمني ، وظروف اقتصادية واجتماعية محلية ودولية ، لا ينحيها الكاتب جانبا . لأنها تفعل فعلها الحقيقي . ومن ثم فانه يجعلها عنصرا رئيسيا من عناصر بناء رواياته بناء فنيا . إنه يصور البيئة تصويرا دقيقا ، ويلتقط ادق جزئياتها ، ويرتب هذه الجزئيات ترتيبا عضويا لتصبح شخصية حية في الرواية . إذ يعتقد أن رد الفعل الذى تحدثه البيئة في الشخصيات قوية للغاية . وهي في (زقاق المدق) من اهم عناصر الرواية . وفي "خان الخليلي" يوفي البيئة المكانية حقها من الضبط والتحديد والتفصيل .

ونجيب محفوظ إبان الثورة استطاع أن يجرب ، وأن ينقد ، وأن يكتب في الصحف السيارة ، وأن يكون له جمهوره الكبير الذى ينتظر حلقة جديدة من "اللص والكلاب" أو "السمان والخريف" أو "الطريق" أو "الشحاذ" أو "ثرثرة فوق النيل" أو "ميرامار" التى صدرت ١٩٦٧ .

والواقع ان العالم الجديد الذى حاول نجيب محفوظ صياغته بعد هزيمة ٥ يونيو ١٩٦٧ ، جاء في شكل القصة القصيرة وليس الرواية إذ إنه كتب مجموعات قصصية كثيرة فيما بين ١٩٦٧ - ١٩٧٢ . منها "تحت المظلة" و"خمارة القط الأسود" و"حكاية بلا بداية ولا نهاية" و"شهر العسل" فقد كتب قصصا قصيرة بعد النكسة ، كانت لها سمات مميزة واضحة ، اثرت - فنيا - في الجيل الشاب الذى كان يكتب حينذاك . أو ذلك الجيل الذى اخذ طريقه نحو الكتابة بعد ١٩٦٧ :

واذا كانت الثلاثية قد حددت معالم فارس في الميدان الروائي فإنه بعدها اخذ يضرب في اكثر من اتجاه فني . وقد اثبت في الحقيقة قدرته كفنان ، لا يفصل رؤيته عن الواقع من حوله ، ولا ينعزل عن التيارات الفنية العالمية ، فيقدم روايات فنية ، لا ينفصل فيها الرمز عن الواقع . وإنما يزيده تكثيفا وتركيزا . حيث لا يكمن الرمز في جزئيات صغيرة تعادل جزئيات مشابهة لها في الواقع الموضوعي الخارجي .. وانما يكمن في البناء التعبيرى ككل خلال معادلة لواقع موضوعي شامل .

وهذا هو ما نلاحظه في "أولاد حارتنا" و"اللص والكلاب" و"السمان

والخريف" و"الطريق" و"الشحاذ" وفيها جميعا اضافات فنية ، شغلت النقاد .

فهو لا يبتعد عن الواقع ، ولا يدور حول فكرة مجردة فلسفية او اخلاقية ، وانما هو يستمد فكرته من الواقع القائم الذى يعيشه الناس جميعا ، ثم يسعى الى التعبير عن هذه الفكرة مستخدما الأدوات والوسائل الفنية التى تتواءم مع موضوعه . ولعل هذا سر اقبال الجمهور على مثل هذه الروايات . فقد وجدوا فيها شيئا غير غريب ولا شاذ ، وانما وجدوا واقعهم مصاغا بشكل فنى جيد ومشوق .

والتزم نجيب محفوظ الواقعية النقدية فى روايته "ثرثرة فوق النيل" و"ميرامار" . وهما الروايتان اللتان أثبتتا أنه قادر على اتخاذ موقف مما يجرى حوله . وأن له دورا يفهمه . فتناول كل التناقضات القائمة فى مجتمعه . وهو ما حظى باقبال شديد من الجمهور لأنه وجد فيه ضميره الحى ، وقلبه النابض ، وعقله النافذ ، ورؤيته الصائبة .

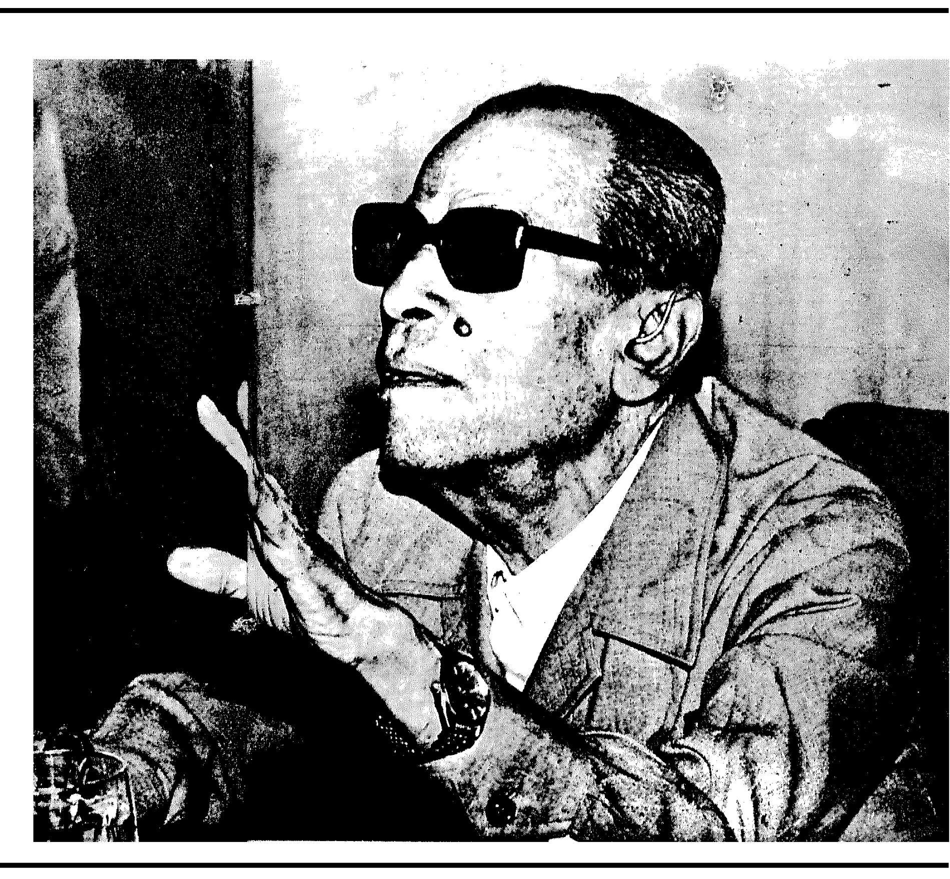
واذا كنا قد لاحظنا أن عددا كبيرا من الدراسات والمؤلفات قد تناول نجيب محفوظ فإنى أزعم أن جوانب كثيرة تحتاج الى دراسات ودراسات . ذلك أن "لغة" القصة والرواية عند نجيب محفوظ وتطورها ، تحتاج الى مزيد من البحوث . بدءا من أعماله الأولى . فأن لغته فى "بداية ونهاية" غير لغته فى "الطريق" ولغته فى "ميرامار" تختلف عن لغته فى "اللص والكلاب" . وعلى هذا النحو "الحرافيش" و"الشحاذ" وغير ذلك . كما أن جانبا هاما جدا لم يلتفت اليه حتى الآن . ذلك هو اختيار نجيب محفوظ لأسماء شخصياته : كيف ؟ ولماذا ؟ وما دلالات الأسماء عنده ؟!

وعلى الرغم أيضا من وجود دراسة تناولت المرأة فى الرواية فانى اظن أن شخصية المرأة فى أعمال نجيب محفوظ ينبغى أن تدرس دراسة فنية ، سيكلوجية اجتماعية . والمرأة عنده تحتل مكانا ملحوظا فى رواياته بل إنى أضيف الى ذلك قصصه القصار . وهى التى لم تدرس بعد دراسة مستوعبة ودقيقة كما أن تجاربه فى الكتابة المسرحية أغفلها نقاد الدراما .

يضاف الى هذا أنه أخذ فى السنوات الأخيرة يكتب وجهة نظره فى أمور سياسية واجتماعية ونفسية وفنية فى صحيفة "الاهرام" وهذه قد تلقى أضواء على فنه وفكره وأدبه .

لو أننا فعلنا ذلك لبقى طويلا طويلا فى ضميرنا الأدبى .

واخيرا . هنيئا لنجيب محفوظ رائد الرواية العربية بالجائزة . . هنيئا للرواية بنجيب محفوظ . وهنيئا لمصر بالرائد وبالجائزة معا !!

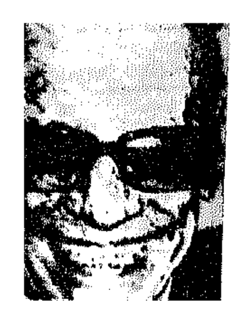


مــــع نجيب محفوظ

بقلم : محمد روميش

... لا اذكر تحديداً متى قرات نجيب محفوظ لأول مرة ، لعل ذلك فى أواخر الاربعينيات ، اثناء مرحلة الدراسة الثانوية ، وقد كنت متتبعا لكل ما كان يكتبه العقاد ، ولعله فى تلك الفترة البعيدة ، قد وقعت على الكتاب الوحيد الذى ترجمه نجيب محفوظ ، اذ لم يعد الى تجربة الترجمة بعد ذلك ، وبلغته هو ، كان قد عرف طريقه الى فن الرواية ..

والكتاب الذى ترجمه نجيب محفوظ ، وهو ذو دلالة على اتجاهاته الفكرية الاولى ، والتى استمرت بعد ذلك ، هو كتاب « مصر القديمة » تأليف جيمس بيكي ، نشر مجلة « المجلة الجديدة » التى كان يصدرها ، في الثلاثينيات ، استاذنا سلامه موسى ، وهو الأستاذ الذى وضع فى فكر نجيب محفوظ ، قيمة العلم ، كما سبق ان قرر هو ، مثلما قرر ـ ايضا ـ ان العقاد ، هو الذى وضع في فكره ، قيمة « الحرية » وهما قيمتان محوريتان فى انتاج نجيب محفوظ وان كان نجيب محفوظ ، فى لحظة فوزه ، تذكر اساتذته الكبار ، العقاد وطه حسين وتوفيق الحكيم ، فقد سها عن ذكر سلامة موسى ، صاحب الاثر البالغ في فكر نجيب محفوظ ، فالعلم ، فوق انه منهج فى التفكير ، يسم حياة صاحبه ، وكل ما تتبدى فيه صور الفكر وجزئياته ، لايغض من هذا الأثر ان نجيب محفوظ ، خريج فلسفة .



مع نجيب محفوظ

فكم خرج هذا القسم دراويش ومعادين للقيم العلمية ، وقد تجسدت هذه القيمة ، أعنى قيمة العلم ، فى شخصية « عرفة » فى رواية « اولاد حارتنا » وقد رأى فيه نجيب محفوظ آخر الانبياء ، ورأى فى عرفة ، واسمه كما هو واضح من المعرفة اى العلم ، مستقبل البشرية . وإن آخذنا نجيب محفوظ ، على سهو فى تذكر استاذه سلامه موسى ، الا اننا نفهم اعترافه بفضل العقاد ، فالعقاد هو صاحب المقولة المشهورة ، حين حصل الروائى الامريكى جون شتاينبك على جائزة نوبل ، ان نجيب محفوظ يضارع شتاينبك وقد يفوقه فى تصوير شخصياته الادبية* ، قال العقاد هذا ، قبل أن يبدع نجيب محفوظ العديد من اعماله الروائية ومن اهمها « الحرافيش » [العقاد مات فى مارس ١٩٦٤] .

ولعلماينسب نجيب محفوظ الى العقاد ، ان كليهما وفدى قديم ، وان كان العقاد قد ترك « الوفد » مضطرا فى سنة ١٩٣٥ ، فقد بقى نجيب محفوظ على تشيعه للوفد ، وثورة ١٩١٩ ، والزعيم سعد زغلول ، الذى لايرى زعيما غيره ، وعلى الجانب الفكرى ، بفكرة الحرية السياسية اعنى الديمقراطية الغربية ، التى آمن بها العقاد ، ايمانا شديدا ، قبل ان ينتقل الى أحزاب الاقلية . وقد أثرت هذه القيمة « الحرية الديموقراطية » على مجمل موقف نجيب محفوظ من ثورة يوليو ١٩٥٢ ، اذ افتقد فيها ، كمتشيع للوفد ، جانب « الحرية السياسية » ، ولم يستسغ ما كانت تعلنه ثورة يوليو من ديموقراطية اجتماعية ، رغم ما يقرره ، نجيب محفوظ ، من أن العدالة الاجتماعية واحدة من ركائزه الفكرية .

وفى جانب الابداع الادبى الخالص ، فبعد « مصر القديمة » وفى اوائل الخمسينيات ، كنت قد اهتديت الى اعمال نجيب محفوظ الابداعية : « خان الخليلى » ، « بداية ونهاية » ، « زقاق المدق » ، « القاهرة الجديدة » ، وقد أسرنى البناء العمارى ، الحتمى ، والذى يبدو ، وكأنه بناء قدرى ، فى هذه الاعمال ، كما أسرتنى كثافة الاسلوب ، وآمنت أنى بإزاء روائى موهوب ومتفرد ، بل إن هذه الكتابات ، مع غيرها من كتابات أخرى متعددة ، بنت داخلى حاسة التعرف على الكتابة الفنية عن غيرها من الكتابات التى تلتبس بها ، ومازالت هذه الحاسة تعمل وتشكل ملمحا ثابتا من ذوقى الفنى والادبى ، اتعرف بها على الكتابة التى أعدها من جسد الادب عن تلك التى لا تعدو أن تكون شيئا كتب فى غفلة من صاحبه .

وفى هذه الفترة ظهر كتاب « فى الثقافة المصرية » للاستاذين محمود العالم وعبدالعظيم انيس ، وقد تضمن الكتاب تقييما لكتابات نجيب محفوظ ، باعتباره

كاتب الطبقة المتوسطة ، الا انى مع تعاطفى الشديد مع هذا الكتاب ، فقد ظل بالنسبة لكتابات نجيب محفوظ ، مجرد معرفة خارجية ، وبقى احساسى الخاص ، وتأثرى الخاص ، بكتابات نجيب محفوظ ، بعيدا عن هذه المعرفة ، ومع ذلك حين كتبت القصة القصيرة ، كان هذا الكتاب ، مع غيره من الابداعات ذات الاتجاه الواقعى الاجتماعى ذا اثر حاسم فى مضمون ما اكتب ، وفى الموقف الاجتماعى الذى اتخذته داخل هذه القصص .

وقد تابع نجيب محفوظ تطوره الفنى مستخدما أساليب اخرى ، غير الاتجاه الواقعى ، فكتب الروايات والقصص القصيرة ذات الاتجاه الفكرى ، مثل « الطريق » ، « السمان والخريف » ، « وتحت المظلة » ، و « خمارة القط الاسود » إلا انى بقيت مشدودا إلى انتاجه الواقعى ، بداية ونهاية ، خان الخليلى ، زقاق المدق واضفت اليها الثلاثية والحرافيش .

مؤدى ما سبق ان تأثرى بكتابات نجيب محفوظ انصب على الشكل وعلى الاسلوب ، الا ان « الموقف » فيما كتبته ، كانت له مصادره الاخرى .

ولم يكن « الموقف » وحده هو ما اختلفت فيه مع نجيب محفوظ ، اللغة كذلك ، فنجيب محفوظ ، لم يستغل اللغة ، كسمة من سمات شخصياته ، فالسرد وحوار الشخصيات فى لغة عربية فصيحة ، وارى ان اللغة لايجب أن تستخدم بشكل املس ، بل بمستويات متعددة ، تنبىء عن سمات الشخصية .

وعلى مستوى التواصل مع الاجيال اللاحقة ، فلم يعرف عن نجيب محفوظ ، اتساع اهتمامه بالتواصل مع الأجيال التى اتت بعده .

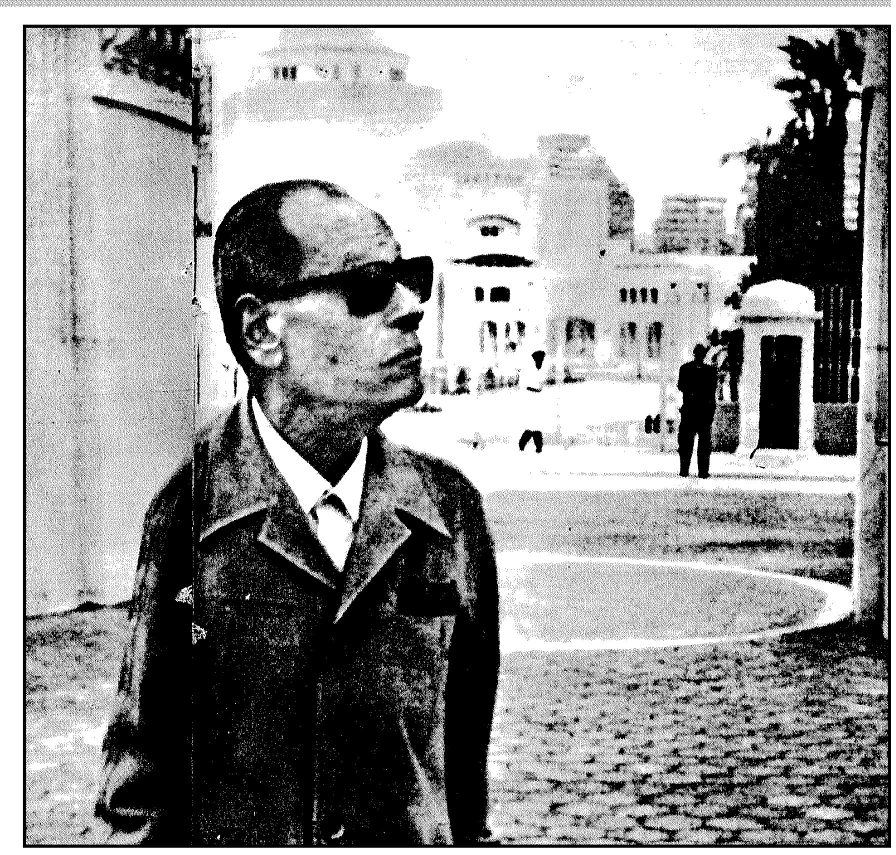
ألا أن هذا الموقف الذى يبدو انه موقف عام ، لايحول دون ان نتابع ابداعات نجيب محفوظ فى مراحلها المختلفة ، متذوقين ، ومستمتعين متعة فنية راقية ، عارفين اننا إزاء عبقرية روائية عظيمة ، جادة تماما ، صادقة مع نفسها ومخلصة فى كل ابداعاتها الفنية . بل ان المقالات القصيرة المباشرة والتى لا تخلو - ويا للغرابة - من سذاجة ، وموقفه الذى يبدو لى غير مفهوم من اسرائيل ، لم يحولا دون أن نعرف بيقين اننا بازاء عبقرية روائية فذة ، بنت مع غيرها من المواهب العديدة أدبا مصريا عربيا انسانيا باقيا .

ويقينى ان جائزة نوبل لا تضيف جديدا الى ادب نجيب محفوظ ، وانه - بدون الجائزة - قد استوى روائيا شامخا ، وما أجدره أن يردد مع الكاتب الايرلندى جورج برناردشو ، وقد قدموا له جائزة نوبل ، ان هذه الجائزة ، كطوق النجاة ، ألقى الى الغريق ، بعد وصوله الى الشاطىء .

على ان نجيب محفوظ كان دائما على الشاطىء .

بين البداية وتحقيق الحلم

بقلم: عاطف مصطفى



فى تمام الواحدة بعد ظهر الخميس الماضى ٢ ربيع أول ١٤٠٩هـ الموافق ١٣ اكتوبر ١٩٨٨ ، حينما دقت الساعة الذهبية الكبيرة فى القاعة الرئيسية للأكاديمية الملكية السويدية ، كان قرار اللجنة ، الذى أعلنه الناقد شتور اللبين امام حشد هائل من الصحفيين والمراسلين من كل بلاد الدنيا .

أعلن فوز الأديب العربى الكبير نجيب محفوظ من بين ١٥٠ أديبا وكاتبا عالميا كانوا مرشحين لجائزة نوبل ...



بين البداية وتحقيق الحلم

فاز نجيب محفوظ ... وكان نصرا عالميا لكل أديب عربي ، وبعد أن حجبت هذه الجائزة عن ادباء وعلماء العربية منذ إنشائها حتى الآن ، ولكن لماذا فاز نجيب محفوظ؟ ... ويجيء الرد من خلال حيثيات الأكاديمية السويدية .. لأن إنتاجه الأدبي يتميز بالثراء والتنوع الواسع في الألوان ، وبالواقعية ذات الرواية المباشرة الصافية ، والغموض المثير بدلالاته النافذة ، فضلا عن أن أعمال نجيب محفوظ تشكل فنا عربيا في القص والرواية ، يخاطب البشرية كلها ، وأن هذه الأعمال استهدفت إعطاء دفعة كبيرة للرواية كجنس أدبي في الآداب العربية كما أن إنتاج نجيب محفوظ الأدبي أدى إلى تطوير اللغة الأدبية في الدوائر الثقافية الناطقة باللغة العربية ، كما يخاطب أدب نجيب الانسانية كلها من خلال أعماله ، خاصة الثلاثية « بين القصرين - قصر الشوق - السكرية » وغيرها من الأعمال الهامة التي ركزت على المجتمع المصري خاصة المناطق الشعبية في القاهرة ..

هذا النبأ الذي تناقلته وكالات الأنباء العالمية كان فرحة لكل عربي بل إنه أهم حدث عربي ثقافي في السنوات الأخيرة ، لأنه تكريم لأدبنا العربي . جاءت الفرحة لتعم كل الأوساط الثقافية في القاهرة ، والتي كانت ومازالت ، تعيش فرحة اهم حدث ثقافي ، وهو افتتاح الأوبرا الجديدة التي حضر افتتاحها العديد من كبار الشخصيات العالمية والعربية ، وقلنا إن هذا اهم حدث ثقافي ، ويجيء فوز نجيب محفوظ بالجائزة تتويجا للأدب العربي ، ولدوره الرائد في الثقافة العالمية ، وما يؤديه هذا الأدب في المجال الانساني ، وفي عالمية الرواية العربية ، وما قدمته من فن متقدم ..

ونحن لا يعنينا هنا قيمة الجائزة المالية التي وصلت إلى ٣٩٣ الف دولار ولكنها تتويج لرحلة هذا الكاتب العملاق ، الذي ظل يعمل في صمت لمايزيد على نصف قرن من الزمان ، لاتزعزعه عواصف الأيام ، ولايحيد عن مبادئه قيد أنملة ، شامخ كاهرام مصر ، لا تلين قناته ، ولايخضع لحاكم ، ولا يمالىء حزبا من الأحزاب ، قوى العزيمة عالي الصوت ، شجاعا ، يقول رايه ، لم يتوقف عن العطاء أبدا .. ونجيب محفوظ هو الأب الشرعي للرواية العربية ، والتي بدأ يمارس كتابتها وعمره يقترب من السابعة عشرة ، حيث كان من أعز امنياته ان يصبح اديبا .

يحدثني عن بداياته ككاتب من خلال

حوار أجريته معه فى عام ١٩٧٦ ...

« جاءت هذه البداية بطريقة تلقائية .. فمن قراءة الروايات تولدت رغبة قوية عندى فى كتابة مثل ما أقرأ من غير هدف بعيد أن يصبح الانسان قصاصا ، ومع مرور الأيام أصبحت رغبة ثابتة ، ظلت تقوى بتقدم العمر ، وبالتقدم فى الثقافة بجميع فروعها الأدبية والفنية والعلمية .

وفى فترة التجارب كتبت الكثير مما لم يطلع عليه أحد ، وهذه التجارب الساذجة بدأت سنة ١٩٢٦ ، ومنذ التحاقى بالجامعة وبعد تخرجي بدأت أؤلف القصة حتى تجمع عندى ثلاث روايات لا أمل فى نشرها بعد أن طفت بها على جميع الناشرين ، وفى سنة ١٩٣٩ نشر لى سلامه موسى أول رواية وهى « عبث الأقدار » وفى سنة ١٩٤٣ نشر لى عبدالحميد جوده السحار الرواية الثانية « رادوبيس » وأثناء هذه السنوات كنت قد ألفت روايتين أخريين هما « كفاح طيبة » و « القاهرة الجديدة » ..

ولقد ظللت حوالى عشر سنوات فى محاولات جادة ليخرج أول عمل لى الى النور ..

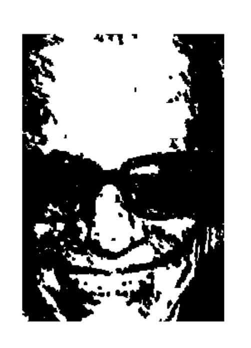
● معاناة فى بداية الطريق

... وكان مشوار نجيب محفوظ محفوفا بالأشواك ، ولم يكن سهلا ، فقد حفر طريقه وشقه بأظافره ، هو بطبيعته ومنذ صغره كان شامخا فليس بالذى يطلب أو يرجو ، أو يتشفع له أحد

ويحدثنى نجيب محفوظ قائلا : لم يكن النشر ميسرا ، رفضنا عشرات المرات قبل أن ينشر لنا شيء فى مجلة ، أما الكتاب فبدا أن النشر فيه مستحيل للغاية حتى نشأت لجنة النشر الجامعية عام ١٩٤٣ ، وكل الروايات التى رفضت « رادوبيس » « كفاح طيبة » ، « خان الخليلى » احترت بها على دور النشر ، ولم توافق على نشرها حتى نشرت عن طريق لجنة النشر الجامعية بعد ذلك .

.. كنت أحس بالحزن ، ومع هذا كنت أستمر فى الكتابة بلا أمل فى النشر على الاطلاق ، بعد سنة ١٩٣٩ أغلقت مجلة « الرواية » ، وكنت انشر فيها معظم أقاصيصى ، وحددت أزمة الورق عدد صفحات الصحف والمجلات فلم تعد تهتم كثيرا بنشر الأقاصيص ، فانصرفت بكل جهودى إلى الرواية ...

بعد أزمة النشر جاءت أزمة الاهمال ، ورغم ما كان ينشر لى فى « المجلة الجديدة » و « الرواية » و « الرسالة » و « الثقافة » بعد عذاب شديد فإن الحياة ابتسمت ، وتجددت الآمال والهمة وأحسست بالطمانينة .



بين البداية وتحقيق الحلم

بدا الاستمرار في الكتابة والتاليف بهمة متجددة ومضاعفة .. ولكن اتعلم ما الذى جعلني أستمر ولا اياس ؟

لقد اعتبرت الفن حياة لامهنة ، فحينما تعتبره مهنة لا تستطيع إلا أن تشغل بالك بانتظار الثمرة ، أما أنا فقد حصرت اهتمامي بالانتاج نفسه وليس بما وراء الانتاج .. وكنت اكتب وأكتب على أمل أن الفت النظر إلى كتاباتي ذات يوم ... بل كنت أكتب. وأنا معتقد أني ساظل على هذا الحال دائما ... وحينما نشرت « رادوبيس » كانت فرصتها لا تقل عن الأولى ، لأن هذه الرواية كانت الحقيقية ، والفرحة الاساسية في حياتي ، ووقتها اعلن عنها في « الأهرام » .. وكل هذا كان جديدا بالنسبة لي .

● أمل النهوض بالرواية العربية

ونجيب محفوظ عملاق الرواية العربية كان دائما في مواجهة الحقيقة ، خلال رحلة صعبة وشاقة ويحدثنا عن الصعوبة التى واجهت جيله من الروائيين بقوله : كان دور جيلنا من الروائيين ومازال تاسيس الفن الروائي وتاصيله في البنية العربية ، وقد سرنا في طريق مليء بالعثرات لاننا لم نجد تراثا روائيا نعتمد عليه ، سبقنا جيل من الرواد ، وقدم كل رائد عملا او عملين ، درسناها بفطرة لاتستند الى علم ، ودون أن نعرف مواقعها من التراث الروائي الضخم الذى كان مجهولا لنا ، وقمنا برحلة طويلة وارتطمنا باخطاء بدائية ، وتخبطنا كمن يسير معصوب العينين ، وكأن علينا أن نغوص في واقعنا ، وان ندرس فن الرواية ، وان نؤلف في وقت واحد ، وتبين لنا اننا مسبوقون باجيال واجيال وان تجاربنا تقتضي التعبير باشكال اعتبرت في مواطنها بالية ، وان الأشكال الحديثة تمثل رؤى لاتبصرها اعيننا ، ولكننا قمنا بواجبنا على قدر ما نستطيع ، ويتلخص هذا الواجب في تطويع لغتنا للفن الجديد ، وتمثيل أشكاله المناسبة والتعبير عن الشخصية المصرية ولكنني ساظل اقول ماحييت إن الامل معقود على الشباب في النهوض بالرواية العربية الى أعلى مستوى ، وصولا إلى المستوى العالمي فالكتاب يسيرون في كل اتجاه ، ويستفيدون من كل تجربة ، إنما الكلمة لمجهودهم تتحدد بالاصالة النابعة من اجتهاداتهم ، ومن حذرهم من الوقوع في التقليد وبيع الروح للغير .

إننا نريد الأصالة الفنية الحقيقية ، وهذا المطلوب هو هدف الأدب العربي في هذه اللحظة من حياته .

نجيب محفوظ والفكر الإنسانى فى القرن العشرين

محمود قاسم

« لم اكن أعلم اننى مرشح للجائزة .. من الذى رشحنى »

عبارة رددها الكاتب الكبير نجيب محفوظ مرات عديدة لوسائل الاعلام عقب اعلامه بنبأ فوزه بجائزة نوبل فى الادب لعام ١٩٨٨ . قالها الكاتب وقد امتزجت دهشته بسعادة وتواضع وتلقائية وبساطة .

وفى نفس التصريحات ردد الكاتب الكبير : « ... اتذكر فى هذه اللحظة اساتذتى من كبار الأدباء المصريين الذين كانوا يستحقون نيل هذه الجائزة من قبل مثل طه حسين وعباس العقاد وتوفيق الحكيم »

إذا كان ادب نجيب محفوظ قد استطاع ان يضع اسم صاحبه فى قائمة الفائزين بجائزة نوبل فانه بذلك قد استطاع ان يطال تلك القائمة الشامخة التى ضمت خمسة وثمانين من شوامخ رجال الفكر والادب فى القرن العشرين وعلى راسهم : برناردشو وتوماس من ، ويوجين اونيل وهيرمان هليسه و ت . س اليوت ، وبرتراندراسل ووليام فوكنر ، وونستون تشرشل وارنست هيمنجواى . والبيركامى وبوريس باسترناك ، وايفو اندريتش وجون شتاينبك وجان بول سارتر وشولوخوف وصموئيل بيكيت وبابلو نيرودا وجابر ييل ماركيث و ...

بريشة : ايهاب



هذه الأسماء ، وغيرها ، التى فازت بالجائزة عبر نيف وثمانين عاما بدأت مع مطلع القرن العشرين ، قد استطاعت ان تشكل الوجدان البشرى من مشرق الارض الى مغربها . وان تحرك مشاعره وتوقد منها مشاعل للتفكير واثراء الروح والعقل من خلال عطاء متدفق يحمل لواءه كل كاتب موهوب آثر ان يعطى لوطنه وللعالم من ذاته مايثرى ذوات الآخر ... وهذه الاسماء بمثابة رموز لعطاء بلادها وعصرها . ونبض لهذا التوقد الابداعى بصفة خاصة فى كل من الرواية والشعر والمسرح . واحيانا قليلة فى التنظير الانسانى .. وهذه الحالات لم تتعد كلا من الفيلسوف الفرنسى هنرى برجسون والبريطانى برتراندراسل .

فالابداع الادبى هو المنوط فى المقام الاول من قبل أكاديمية ستوكهولم ، وكل أكاديميات الدنيا التى تمنح جوائز ادبية ، الى الذين يفوزون بالجائزة . او الاسماء التى يمكن ان يتم الاقتراع على فوزها ..

اذن ، فأول ما يمكن التعليق به حول جائزة نوبل انها لم يكن يمكن ان تمنح لطه حسين او العقاد . فرغم عطائهما الفكرى العميق فى البحث والدراسة . الا ان إبداعاتهما فى الرواية والشعر لايمكن ان تجعلهما مدرجين فى قوائم النوبليين . حتى لو تردد يوما ان طه حسين قد جاء ترتيبه الستين فى احدى هذه القوائم . اما توفيق الحكيم فلعله كان يستحق الجائزة عن مسرحه . ولكن الجائزة تأخرت فى الوصول اليه مثلما تأخرت سنوات فى الوصول الى نجيب محفوظ .

● الخروج عن الوصية

من المعروف أن الفريد نوبل قد ذكر فى وصيته التى تركها قبل وفاته انه يجب ان تمنح الجائزة لأفضل عمل أدبى ظهر فى العام السابق للحصول على الجائزة . الا أن القائمين على امور الجائزة فى أكاديمية ستوكهولم يقدمونها لكاتب له تاريخه الادبى مع التركيز على كتاب بعينه .. وهذا التجاوز فى اللائحة لم يحدث اى مشاكل خاصة بهؤلاء الذين نالوا الجائزة .

ومن المهم ان نشير ان الجائزة التى منحت فى بعض الاحيان لكتاب انصاف موهوبين ، خاصة فى اوروبا ، الا انها أهملت أسماء هامة لا جدال حول شموخها مثل تولستوى وهنريك ابسن ، وتوماس هاردى ، ود . هـ . لورانس

ومارسيل بروست وجيمس جويس وآخرين .. مما اثار حولها جدلا وريبة استطاعت فى بعض الاحيان أن تحد من أوارهما بأن قدمت لأسماء لا تقل أهمية عن الاسماء التى تجاوزتها .

● الناموس الغامض

فالأكاديمية ـ ستوكهولم ـ نظام غريب ومعقد فى حيثيات منح الجائزة او عملية الاقتراع التى تتجدد كل عام وتتغير سنويا بشكل جذرى . وهو نظام غريب من الصعب فهمه وتفسيره او شرحه لأنه أشبه بطلسم لايبوح باسراره القائمون عليه وكانهم اقسموا اليمين على عدم الخروج على ناموسه مهما ابتعدوا أو اقتربوا من مسئولية العمل فيه .

فهناك لجنة ، فى فرع الادب ، تتكون من خمسة اعضاء يتم « تعيينهم » من قبل البرلمان السويدى يضاف اليهم بعض المستشارين فى مجالات محددة ويبدأ عمل اللجنة فى أول فبراير من كل عام بسرية تامة . وينتهى عملها فى اول أكتوبر بتقديم تقارير سرية عن الاقتراعات التى قدمت بالطريق القانونى الى الهيئات التى تمنح الجائزة . وتظل السرية محاطة ـ بكل ما يتعلق باسم الفائز حتى لحظة اعلانه حيث تتم غربلة الاسماء المقترع عليها الى مجموعات أصغر . والى ان يتم الاستقرار على اسماء يتم الاقتراع النهائى عليها . ولرئيس اللجنة صوتان عند حالات تساوى الاصوات . ومن غير المعروف تماما كيف يمكن للأداب المكتوبة بلغات عديدة بعيدة عن التناول ان تصل الى اعضاء اللجان . ومن المرجح ان ذلك يتم من خلال الترجمات التى حدثت لادب الكاتب الى اللغات الاوربية خاصة الانجليزية والفرنسية والالمانية .

فمن نواميس هذه الأكاديمية انه لايجوز لأديب ان يقوم بترشيح نفسه . كما لايجوز لدولته او اى هيئة فيها ان تفعل ذلك . حيث هناك نظام معقد لمتابعة الابداع العالمى خاصة لهؤلاء اقل شهرة خارج بلادهم على أن يكونوا اكثر تاثيرا فى مجتمعاتهم . ولايخفى فى ذلك الدور السياسى الذى يلعبه الكاتب سواء بالمعارضة او المباركة فى هذا المجتمع خلال تاريخه الادبى .

● رواية واحدة .. تكفى

وقد أثار هذا النظام الغريب كل من بحث فى خفايا جائزة نوبل خاصة



المتعلقة بالادب . فعندما اعلن ممثل الأكاديمية فى العام الماضى الاسماء التى تم الاقتراع النهائى عليها لم يكن من بينها اسم نجيب محفوظ . وبالتالى فمن المتوقع هذا العام ان بعض التعديل قد طرأ على النظام . حيث دخلت اسماء جديدة فى نظام الاقتراع مع وجود الاسماء التقليدية القديمة وعلى راسها جرهام جرين والبرتو مورافيا ونادين جورديمر التى على أصحابها الانتظار . او الرحيل عن الحياة فى هدوء . لان اغلب المنتظرين تجاوزوا الثمانين بسنوات .

كما اثار هذا النظام الغريب روائيا امريكيا هو ارفنج والاس . فسجله فى رواية ضخمة الحجم نشرت عام ١٩٦٢ تحت عنوان « الجائزة » ما لبثت السينما ان اختطفتها لتخرجها بعد ذلك بعام واحد للسخرية من كل هذا الغموض والهالة الكثيفة التى استطاعت اكاديمية ستوكهولم أن تمنحها لنفسها رغم انها لم تعد أعلى الجوائز العالمية قيمة مادية .

واذا كانت الجائزة تمنح للكاتب كعمل تقديرى على عطائه الابداعى طيلة حياته . فانه فى الغالب يتم التركيز على عمل واحد من بين أعماله وذلك من خلال صياغة الديباجة السنوية التى يتلوها ممثل الأكاديمية أمام رجال الاعلام . وهى ديباجة متكررة المعانى . تكشف عن مدى الهدف الانسانى والاخلاقى الذى تلعبه الأكاديمية باختيارها نوع محدد من الادب . هو فى الغالب ذى شكل كلاسيكى قريب الى عامة القراء فى وطنه والعالم . ويجب أن يبتعد عن التجريب قدر الامكان وفى حالة اصحاب التجارب الطليعية مثل فوكنر وسيمون وبيكيت كان التاكيد دوما ان هذا الادب يعمل ايضا على رقى المجتمع والانسان .

الا انه عادة ما يتم منح الجائزة للكاتب فيما يتعلق بعمل ابداعى معين مع التركيز على اهمية ما يمثله هذا العمل وسط عطائه الآخر . مثلما فعلت الأكاديمية حين اشارت إلى أن نجيب محفوظ قد منح الجائزة على روايته « اولاد حارتنا » مع الاشارة الى الثلاثية و « ثرثرة فوق النيل » وهى اعمال نشرت من عشرات السنين . هذه الحالة تكررت كثيرا مع رواية « الهة الذباب » لويليام جولدنج التى لفتت انظار الأكاديمية بعد ظهورها بنيف وثلاثين عاما . كما حدثت مع فوكنر

الذى فاز بالجائزة عام ١٩٤٩ عن روايته « الصخب والعنف » المنشورة قبل ذلك بعشرين عاما .

● لا .. للقصة القصيرة

وهذا الحال لا يسرى دوما . فرواية « العجوز والبحر » قد فازت مع كاتبها ارنست هيمنجواى عقب نشرها باشهر قليلة فى عام ١٩٥٤ . كما حدثت نفس الظاهرة بعد ذلك بأربعة اعوام مع الكاتب السوفييتى بوريس باسترناك وروايته « دكتور زيفاجو » رغم ان حيثيات المنح آنذاك اكدت انه فاز بالجائزة كشاعر وليس كروائى . والآن وبعد ثلاثين عاما من الحدث ، فان اشعار باسترناك قد دخلت الاراشيف بينما بقيت روايته . ويكشف هذا عن مدى غرابة وتعقيد حيثيات منح الجائزة أو منعها لكاتب أو آخر .

وقد فسر البعض هذا بأن الأكاديمية ترى ان لكل كاتب حالات تباين فى ابداعه من مراحل حياته . فالكاتب مخلوق زئبقى فى صعود وهبوط . وان ماضى الكاتب البعيد شىء لايمكن استعادته وانه قد رسخه من خلال ابداعات جديدة . فلايمكن مثلا لكاتب مثل هيمنجواى ان يمنح الجائزة عن اعمال مثل « الموت بعد الظهيرة » و « تملك او لا تملك » . إلا اذا اشارت الاكاديمية انها تخص عملا بذاته عن بقية الاعمال .

ومن اشهر الروايات الاخرى التى فاز اصحابها بالجائزة « الغريب » لالبير كامى ، و « مائة عام من العزلة » لماركيث . و « طريق الفلاندر » لكلودسيمون . وهى تمثل تتويجا لاعمال كتاب جاءت ابداعاتهم الاخرى جيدة . لكنها لم تكن أبدا على نفس المستوى .

واذا كانت الجائزة قد منحت للشعراء والروائيين وكتاب المسرح . فقد تجاهلت تماما كتاب القصة القصيرة . ولم يفز بالجائزة عباقرة الاقصوصة فى القرن العشرين . وعلى رأسهم تشيكوف . حتى ان الكاتب الامريكى اسحاق سنجر ، فاز بها علم ١٩٧٨ ، والمعروف بغزارة ابداعه فى الاقصوصة اثناء الاربعينيات قد فاز بالجائزة عن رواياته التى كتبها فيما بعد .

فوز نجيب محفوظ يعتبر فوزاً للحضارة العربية

حسن محسب

الحرافيش يحتفلون بنجيب محفوظ عقب نبأ فوزه بجائزة نوبل

جائزة نوبل لا تضيف جديدا لنجيب محفوظ ولا إلى انسانيته ولا إلى رواياته الشهيرة .. هذه حقيقة يجب أن نتذكرها في جلجلة الفرح الذى يجتاحنا الآن من المحيط الى الخليج .. فالجائزة لا تصنع كاتبا كما نعرف ومع ذلك يجب أن نعترف أن جائزة نوبل لفتت انظار العالم كله الى الثقافة العربية والابداع العربى المعاصر بعد أن كانت الدنيا لا تعرف عنا غير أننا متحف للآثار الفرعونية والقبطية والاسلامية إلى جانب حواديت الف ليلة وليلة .

ولعلك تذكر معى عندما زار مصر كتاب عالميون مثل البرتو مورافيا وجان بول سارتر وسألوهما هل تقرآن الادب المصرى والعربى فقالا انهما قرءا ألف ليلة وليلة وهذه كانت الحقيقة المرة طوال عهود الاستعمار الماضى وحتى لحظة إعلام نجيب محفوظ بالجائزة .. وهنا اهتزت الدنيا كلها على المفاجأة بالنسبة لهم فى الخارج وهى ان اللغة العربية فيها ابداع ادبى روائى وقصصى يفوق الأعمال المماثلة لها فى اللغات الاجنبية الحية الأخرى .

هذه أحد ابرز مكاسب جائزة نوبل لنجيب محفوظ . الدنيا كلها الآن تريد أن تعرف الحضارة العربية الجديدة والادب العربى والفنون العربية فى عصر نجيب محفوظ وما قبله ومابعده .

إن نجيب محفوظ لم يأت من فراغ كما نعلم جميعا فهو ينتسب الى حضارة كاملة شاملة عظيمة التأثير على حضارات الدنيا قديما وحديثا . فكما تعرفون فهو يتكىء على حضارة مصر القديمة الفرعونية قبل ان تمتزج بالقبطية والاسلامية ثم بعد أن امتزجت بهما لتصنع نسيج شخصيته ومداد قلمه ورؤى افكاره منذ أول رواياته عن مصر القديمة وكفاح طيبة ورادوبيس وعبث الاقدار تلك كانت جذورا فكرية مبكرة فى حياة نجيب محفوظ عندما كان يتبنى موهبته حينذاك المفكر سلامة موسى وينشر له اعماله الاولى .

وقد تركت تلك الفترة آثارا واضحة على شخصية نجيب محفوظ عقلا وابداعا وسلوكا طوال رحلته التالية بعد ذلك وصولا إلى المرحلة الواقعية والاجتماعية ولابداعاته الروائية حيث نجد امتزاج الرموز الحضارية القديمة والحديثة والمعاصرة تمتزج مع نشأته فى حى الحسين والجمالية وباب الشعرية برموزها الدينية والشعبية والوطنية العميقة ثم بزوغ وعيه السياسى المبكر وأعجابه بجهاد الأمة المصرية فى كفاحها ضد الاستعمار وضد الظلم الاجتماعى والرغبة والسعى الدءوب نحو التعليم والتعلم عند افراد الطبقات الشعبية .

كل ذلك صنع الخلفية الواقعية لثلاثيته بين القصرين وقبلها كانت زقاق المدق وبداية ونهاية ، إعلانا واضحا عن تمصير وتأصيل فن البناء الروائى وجعله عربيا



فــوز نجيـب محفـوظ

صميما متطورا مستفيدا من فن الرواية الأوروبية وبنائها الفنى المتعارف عليه عند ديكنز وديستوفسكى وغيرهما .. وأيضا مستفيدا من فنون الملاحم العربية والمعلقات الشعرية الخالدة وفن القص القرآنى ومحاولات الدكتور هيكل فى رواية زينب وعاشق الروح لتوفيق الحكيم وإبداعات يحيى حقى وطه حسين كل هذا دخل بوتقة نجيب محفوظ الذهبية لتمتزج برؤيته هو الشخصية والفكرية والابداعية وموهبته الآلهية المتفردة ليصنع لنا فى النهاية فن الرواية المصرية والقصة المصرية فمهما اختلف بعضنا مع نجيب محفوظ فى بعض رؤياه الفكرية او بعض ابداعاته الروائية لكننا جميعا نتفق ان نجيب محفوظ هو الذى أسس فن الرواية فى الادب العربى تعلم كل أدباء العالم العربى وكل الاجيال فى مصر ذلك بدون اى تعصب او نظرة استعلاء على الآخرين فإن شهرة الطيب صالح وابداعه تفرحنا نحن فى مصر ونفرح لادباء الجزائر والمغرب وتونس وليبيا وسوريا ولبنان والعراق وبلاد الخليج واى انجاز أدبى لأى اديب عربى هو شرف نباهى به جميعا الدنيا كلها .

وأخيرا : يبقى أن نكرر مرة أخرى بعد اذنكم : ان نجيب محفوظ ومؤلفاته اكبر من كل جوائز الدنيا وان نجيب محفوظ أعاد الكبرياء للثقافة العربية وان نجيب محفوظ وأعماله فتحت الطريق امام جميع الادباء العرب إلى الذيوع والانتشار عالميا وآخيرا كانت جائزة نوبل اعلانا دوليا وعالميا صريحا جدا ...

إن النهضة الجديدة فى حضارة الأمة العربية قد جاءت أخيرا لتضىء حياة البشرية جمعاء بفكر عربى لأدب عربى وبفنون عربية جديدة واننى بذلك اعتبر الجائزة ليست لنجيب محفوظ وحده وإنما جائزة لتكريم حضارة الأمة العربية الجديدة والقديمة معا .

يبقى ان يواصل ادباء الأمة العربية الطريق بنفس الاتقان والابداع الذى فعله نجيب محفوظ بل علينا جميعا أن نحاول ليس الوصول فقط إلى مستوى قمة نجيب محفوظ بل علينا أن نحاول دائما صنع قمم اخرى كثيرة فالمواهب الادبية فى مصر والوطن العربى كثيرة وعظيمة المستوى ، وقد آن للدنيا أن تقرأ الادب العربى الجديد وهذا يحتاج من الدولة والحكومة فى مصر والوطن العربى دعم وتدعيم نشر الكتب والروايات وحل مشاكل الأحبار والورق والاستيراد والتصدير بالنسبة للكتب وأيضا لابد من تنشيط وتدعيم حركة ترجمة الادب العربى إلى اللغات الاجنبية فالدنيا تنتظر لتقرأ وتتعرف كل شىء عن الثقافة التى جاء منها نجيب محفوظ .



رأى فى الثقافة

نجيب محفوظ

قضية الترجمات المدشوتة

هنا وعلى صفحات شهريات الهلال صرخنا قبل حدوث المأساة بوقت كاف نطالب النائمين في العسل أن يستيقظوا قبل أن تقع ، لكنهم ظلوا نياما حتى هذه اللحظة ، ووقعت المأساة وهم نيام ، وأعتقد انهم سيظلون نياما إلى آخر مدى ..

هذه المأساة التى طالبنا بتفاديها قبل أن تقع فى عدد الهلال فبراير ١٩٨٨ تسبب وقوعها الآن في أن نسخة واحدة من كتب نجيب محفوظ المترجمة إلى اللغة الأنجليزية غير متوافرة الآن فى مكتبات البلدان القارئة بالانجليزية ومئات الألوف من الأشخاص يتجولون في شوارع لندن ونيويورك وواشنطن وتورنتو وسيدنى وغيرها من البلدان المتكلمة بالأنجليزية بحثا عن كتاب لهذا الأديب العربى الفائز بجائزة نوبل ، لكن الخيبة تردهم على أعقابهم خاسرين ..

ذلك لأن دار النشر (هاينمان) كانت ومنذ يناير الماضي قد دشتت كتبه المترجمة للأنجليزية .. وباعتها للجامعة الأمريكية فى القاهرة بتراب الفلوس ، بعد أن قررت اغلاق سلسلة « مؤلفون عرب » التى كانت تصدرها منذ ١٩٧١ بعد ان بدأت السلسلة تخسر لعدم اهتمام العرب ونومهم وكان ضمنها كتب نجيب محفوظ المترجمة للغة الانجليزية وطالبنا في حينه وقبل أن تقع المأساة بوقت كاف بانقاذ الموقف ، بل اننى ذهبت شخصيا لمكتب السيد فاروق حسنى وزير الثقافة وسلمت الصديق سمير غريب مستشاره الصحفى نسخة من وثائق هذه القضية ، وهى الخطاب الذى وصلنى من المترجم والمشرف على السلسلة دينس جونسون ديفز يخبرني فيه بالأنذار الذى ارسله له الناشر بانه يزمع إغلاقها ، علاوة على قائمة الدار وفيها بيانات كافية بأسماء الكتب المترجمة (وضمنها ـ نذكر ـ أعمال نجيب محفوظ)

وعنوان الدار ، وأرقام التليفونات التى تسهل الاتصال بهم ، وعنوان المترجم والمشرف على السلسلة ، اى كل المعلومات المطلوبة ، ولم يتحرك أحد ، وبيعت الكتب دشتا ..

إننا نسجل هذا الموقف الآن وقد وقعت الماساة لا لشيء إلا لننبه إلى عدة حقائق :

● أن هناك من عرف ونبه وأنذر وتحرك ..

● أن أحدا من المسئولين لم يتحرك ولم يقدر الموقف التقدير الصحيح .

● انه لاتوجد الآن نسخة واحدة من مترجمات نجيب محفوظ إلى الانجليزية ، يمكن أن يحصل عليها واحد من بين مئات الوف قراء الأنجليزية المتلهفين على قراءته فى العالم كله ..

● أنه لابد من تحرك مسئول ينقذ الموقف وإلا فإن ماساة أخرى ستقع هى أن فوز كاتبنا الكبير بالجائزة لن ياتى بنتائجه المرجوة من انتشار ادبه ، وبالتالى ، من انتشار الأدب العربى بين قراء الآداب الانجليزية الذين يعدون بمئات الالوف ، وفى هذا الأطار يمكن عمل الكثير ..

● أنه لابد من تشكيل لجنة قومية تنظر فى موضوع ترجمات أعمال نجيب محفوظ لانه هو نفسه لا تتوافر له الاتصالات الكافية ، وهناك الآن من الناشرين من يقوم بالهجوم عليه لانتزاع توقيعه على عقود قد يقع كاتبنا الكبير بطيبته المعهودة فى خطأ قد يؤدى إلى نتائج وخيمة ، لا من الناحية المادية فحسب ، بل من الناحية الادبية فليس كل ترجمة يمكن أن تعبر بصدق عن النص المنقولة عنه ، وهناك افاقون كثيرون فى هذا المجال يتحينون الفرص للصيد فى الماء العكر ..

هذا فقط ما نهدف اليه ونرجوه حتى لايحس احد بالندم بعد كارثة جديدة ..

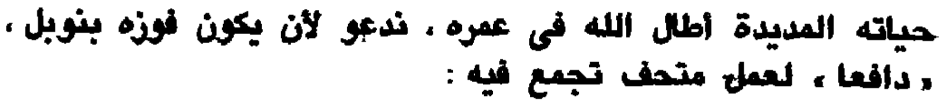
● عبده جبير ●

متحف وأرشيف نجيب محفوظ

أصبح كاتبنا الكبير الآن اول عربى يفوز بجائزة نوبل للآداب ، وهذه الحقيقة الجديدة التى قد لاتزيد كثيرا من القيمة الأدبية لكاتبنا العظيم ، بل فى تقديرنا أن الجائزة هى التى شرفت به كاول عربى يضاف إلى قائمتها ، لكنها بالتاكيد جعلت الأهتمام الدولى به يغطى القارات الخمس جميعا ..

والآن والأمور فى أيدينا ، وكسرا للعادة الرديئة التى أصطلحنا عليها ، بعمل المتاحف للموتى او إهمالهم حتى بعد ان يموتوا ، وإثناء





حياته المديدة أطال الله فى عمره ، ندعو لأن يكون فوزه بنوبل ، « دافعا » لعمل متحف تجمع فيه :

● مخطوطات أعماله التى يمكن جمعها من بين أيدى الناشرين ، ومنه شخصيا ، وعدد من النقاد ودور الصحف التى لاتزال المخطوطات فى حوذتها ، وجمع هذه المخطوطات ليس بالعمل المظهرى بل إنه من صميم عملية البحث العلمى حيث تعد دراسة مخطوطات الكتاب الكبار الآن ، علما قائما بذاته له أساتذته المتخصصون ، وأقسامه فى دور البحث والجامعات ، مما يكشف عن الكثير من المعلومات الضرورية لفهم الأعمال المنشورة نفسها ..

● المقابلات الحية التى أجريت معه فى التليفزيون والاذاعة سواء فى مصر أو فى العالم الخارجى ..

● الأفلام التسجيلية التى سجلت له وأرخت لبعض فترات حياته ..

● تسجيل كامل للمقاهى والمنتديات التى تردد عليها ..

● نصوص المسلسلات الأذاعية والتليفزيونية المأخوذة عن أعماله ..

● الأفلام السينمائية التى اخذت عن أعماله .. وهذه ايضا يمكن أن تكون موضوعا لدراسته من حيث تاثير هذه الأفلام على دائرة انتشاره بين الجماهير العريضة ، بالأضافة إلى انها موضوع درسة للفروق الحاسمة بين الروايات والأفلام الماخوذة عنها ، مما يعنى الوصول إلى حقيقة كيف فهمت الجماهير العريضة نجيب محفوظ ..

● المقابلات الأدبية التى أجريت معه فى الصحف والمجلات ..

● الصحف والمجلات التى نشر فيها قصصه القصيرة ورواياته المسلسلة ..

● الطبعات المختلفة لكتبه بالعربية ..

● نسخ من الترجمات التى صدرت لأعماله ، وهنا ايضا مجال كبير يدخل فى إطار مبحث الأدب المقارن ..

● المقالات التى كتبت عنه وعن أعماله ..

● الكتب التى صدرت عنه ..

● الرسائل الجامعية (الدبلوم والماجستير والدكتوراه) من مصر وبقية الأقطار العربية ودول العالم ..

● ثم قصاصات الصحف التى نشرت أخباره هنا وعبر أنحاء العالم !

فهل هذه مهمة شاقة لا نقدر عليها .. نخشى أن يقوم بها غيرنا قبل أن نتحرك ..

الترجمة الانجليزية « لأولاد حارتنا » هى النص الكامل الوحيد ..

الآن وكاتبنا الكبير يفوز بالجائزة نتذكر روايته « اولاد حارتنا » باعتبارها العمل الوحيد له الذى تعرض لمشاكل أدت إلى امرين الأول أنها لم تنشر فى كتاب حتى الآن فى مصر ، على الرغم من انها نشرت فى بيروت (دار الآداب) التى علم صاحبها الدكتور سهيل إدريس فى حينه بقرار منعها من الصدور فى كتاب فجمعها من جريدة الأهرام التى كانت قد نشرتها مسلسلة على صفحاتها ونشرتها فى حلقات متتالية .. عام ١٩٥٩ ..

والمعروف أنه بعد نشر الحلقات الأولى من الرواية تدخلت بعض الجهات لمنعها لكن محمد حسين هيكل رئيس تحرير الأهرام تمسك بنشر بقية الحلقات إلا انه طلب من نجيب محفوظ ممارسة دور الرقيب على نفسه وحذف فقرات عديدة منها يمكن أن تزيد المحتجين احتجاجا ..

وهكذا نشرت الرواية مسلسلة ناقصة ، ثم نشرت فى كتاب ناقصة ، وعند نشرها مترجمة للغة الانجليزية اتصل المترجم « فيليب ستيوارت » بنجيب محفوظ وحصل منه على النص الكامل وقام بترجمته للغة الانجليزية بعنوان Childrden Of gebelawi اى ابناء الجبلاوى ..

لذا فإن هذا النص المطبوع بالانجليزية هو النص الكامل لاولاد حارتنا (!!) .

نجيب محفوظ يرفض نشر أول كتاب أصدره فى حياته

بدأ كاتبنا الكبير حياته الادبية بنشر أول كتاب له على الاطلاق وهو المصنف رقم واحد فى قائمة نشاطاته ولاتخلو منه قائمة من القوائم التى تصاحب كتبه العديدة .. بنشر ترجمة لكتاب عالم المصريات الأنجليزى جيمس بيكى .. وعنوان الكتاب « مصر القديمة » ..

وقد قال : الكاتب الكبير بعد فوزه بالجائزة إجابة عن سؤال : لماذا لم يُعد نشر هذا الكتاب إنه لايرى اى اهمية له ، كما انه لايحب أن يذكر كمترجم ويفضل ان يبقى فى ذاكرة قرّائه ككاتب قصة وروائى فقط ..

هذا الكتاب يعد خلفية هامة من خلفيات أعماله الروائية التاريخية الأولى « عبث الأقدار » و « رادوبيس » و « كفاح طيبة » ..

مقالات نجيب محفوظ

لكاتبنا الكبير نجيب محفوظ ٤٧ مقالة بدأ بها حياته الأدبية ونشر

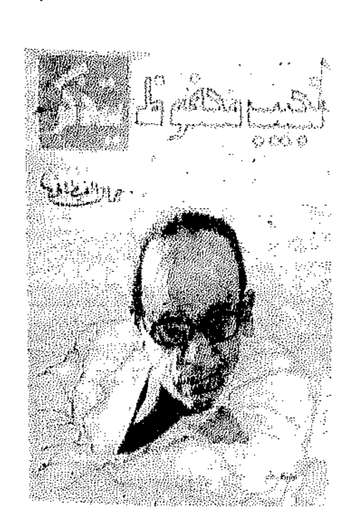
اولاها فى مجلة المجلة الجديدة بتاريخ أكتوبر ١٩٣٠ ، وحمل عنوان : احتضار معتقدات ، وتولد معتقدات .. وآخرها بتاريخ ٩ سبتمبر ١٩٤٦ فى مجلة كليوباترا وكان بعنوان قتيل برىء ..

هذه المقالات لم تجمع حتى الآن فى كتاب على الرغم من اهميتها فى تبيان اهتمامات الكاتب الكبير الثقافية والتأكيد بشكل مباشر على آرائه فى الفلسفة والأدب والحياة .



●● من بين عشرات الكتب التى صدرت عن كاتبنا الكبير نجيب محفوظ اخترنا ستة كتب طبعت اخيرا فى مصر والبلدان العربية تعكس الاهتمام الكبير الذى أولاه النقاد العرب بنجيب محفوظ .. وهو مايدل على أن « أهله » كانوا مدركين لقيمته الحقيقية التى تمثلت فى نحو ٢٠٠ كتاب خصص أربعون منها عنه وأفردت فصول خاصة به فى الباقى وحوالى ٢٠ رسالة جامعية وعدة آلاف من المقالات والمقابلات الأدبية ..

الكتاب : نجيب محفوظ يتذكر
تأليف : جمال الغيطانى
الناشر : أخبار اليوم
١٥٩ ص ، ٣ ج م



بين دفتى هذا الكتاب نقرأ مايمكن أن يعد الملامح الأساسية لسيرة نجيب محفوظ الشخصية بالاضافة الى مسيرته عبر نشاطه الأدبى منذ بداية كتابته وحتى الزمن الذى أملاه على جمال الغيطانى عام ١٩٨٧ ويقول نجيب محفوظ فى تصديره للكتاب بخط يده .. هذا الكتاب أغنانى عن التفكير فى كتابة سيرة ذاتية لما يحويه من حقائق جوهرية وأساسية فى مسيرة حياتى فضلا عن أن المؤلف يعتبر ركنا من سيرتى الذاتية .. وقد سارت الذكريات .. كما تبادرت الى ذهن المتحاورين وان كانت قد توقفت عبر تقطع زمنى أمام المحطات الرئيسية فى حياة كاتبنا الكبير منذ طفولته فى الحسين وشبابه فى العباسية ، والشخصيات التى اثرت في المرحلتين

وحبه الأول ، وبداية الصراع الذى دار فى نفسه بين الفلسفة والأدب ، وايمانه بالواقعية ورؤيته

لقضايا التراث والتاريخ والعلم وعاداته فى القراءة .. ثم يحكى كيف كتب الثلاثية ويتوقف عند فترة اليأس التى أعقبت كتابتها ويبدى آراءه فى اللغة والعقلانية والعبث والقضايا الهامة التى شغلته فى حياته.

إنه كتاب هام يكمل الصورة بشكل اساسى عبر مشوار نجيب محفوظ الذى يبلغ الآن ستين عاما من الكتابة.

الكتاب : الفن القصصى بين طه حسين ونجيب محفوظ
تاليف : د . يوسف نوفل
الناشر : هيئة الكتاب
٣١٢ ص ، ٢٩٠ ق م .



هذا هو آخر كتاب صدر عن نجيب محفوظ فى مصر.

وهو دراسة أكاديمية يقدم صورة فنية للجهود العقلية لجيلين ادبيين تركا آثارا فنية واضحة ـ باعلامهما وآثارهما ـ على الحركة الأدبية العربية المعاصرة وعلى الفن القصصى بالذات ، ويدعو فيه كاتبه الى ضرورة تبين فنون القصة المعاصرة فى البيئات العربية لافى بيئة واحدة احتراما للتراسل الفنى بينها ، كما يعد دراسة مقارنة بين طه حسين ونجيب محفوظ تبين ملامح الالتقاء وملامح الافتراق .

الكتاب : نجيب محفوظ .. حياته وادبه
تاليف : نبيل فرج
الناشر : هيئة الكتاب ،
١١٢ ص ، ١٣٥ ق م .



يتوخى مؤلف الكتاب هنا الربط العضوى بين حياة الكاتب وأدبه ، فهو المثقف القاهرى الذى ينتمى الى الطبقة الوسطى ، ويعيش حياته موظفا فى دواوين الحكومة لذا فهو يرتبط بالحبل السرى للمجتمع مما يجعل معرفته به على درجة كبيرة من الصدق .

الكتاب فى النهاية يعتمد فى تجسيده للقضايا التى يطرحها على كلام كاتبنا الكبير وحواره معه ، وان كان المؤلف قد تجنب فيه الأسلوب التقليدى فى اغلب فصوله فسرد آراء نجيب محفوظ دون ان يقحم السؤال الذى يمكننا ان نفهمه من السياق .

يتوقف المؤلف عند ظواهر الحياة المعاصرة وآراء نجيب محفوظ ومواقفه منها كالتكنولوجيا والايديولوجيات المختلفة وفن السينما ، ومشاكل الانسان المعاصر .

الكتاب : الرؤية والأداة (نجيب محفوظ)
تاليف : عبدالمحسن طه بدر
الناشر : دار التنوير ـ لبنان ، ٤٤٨ ص ، ٧ ج م .



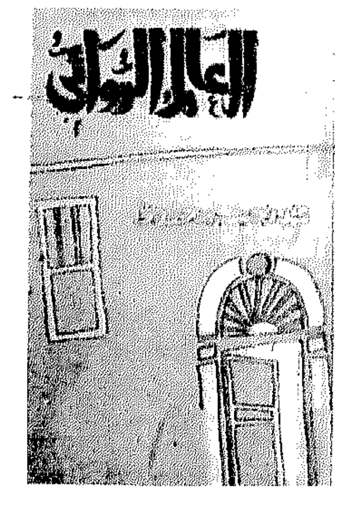
تعد هذه اشمل دراسة من الفترة الاولى من ابداع نجيب محفوظ وان كان مؤلفها يبدو على درجة كبيرة من التعصب لافكاره الا أن ميزاتها الكبرى تتمثل

فى الدأب الشديد فى جمع المعلومات وعلى دقتها، وان كان الرقم الذى أورده الدكتور بدر لعدد مقالات نجيب محفوظ التى نشرها

ولم يجمعها فى كتاب وهو ٤٧ مقالا قد صححه الدكتور حمدى السكوت الذى يؤكد على انه قد حصل على عناوين اكثر من ٣٠٠ مقال كتبها نجيب محفوظ.. وهذه قضية خلافية نرجو أن تكون موضوعا لمزيد من الدراسة.

لكن هذا الكتاب الذى هو الجزء الأول من دراسة طويلة مستفيضة يبقى على اية حالة أهم مرجع فى العربية عن كاتبنا الكبير.

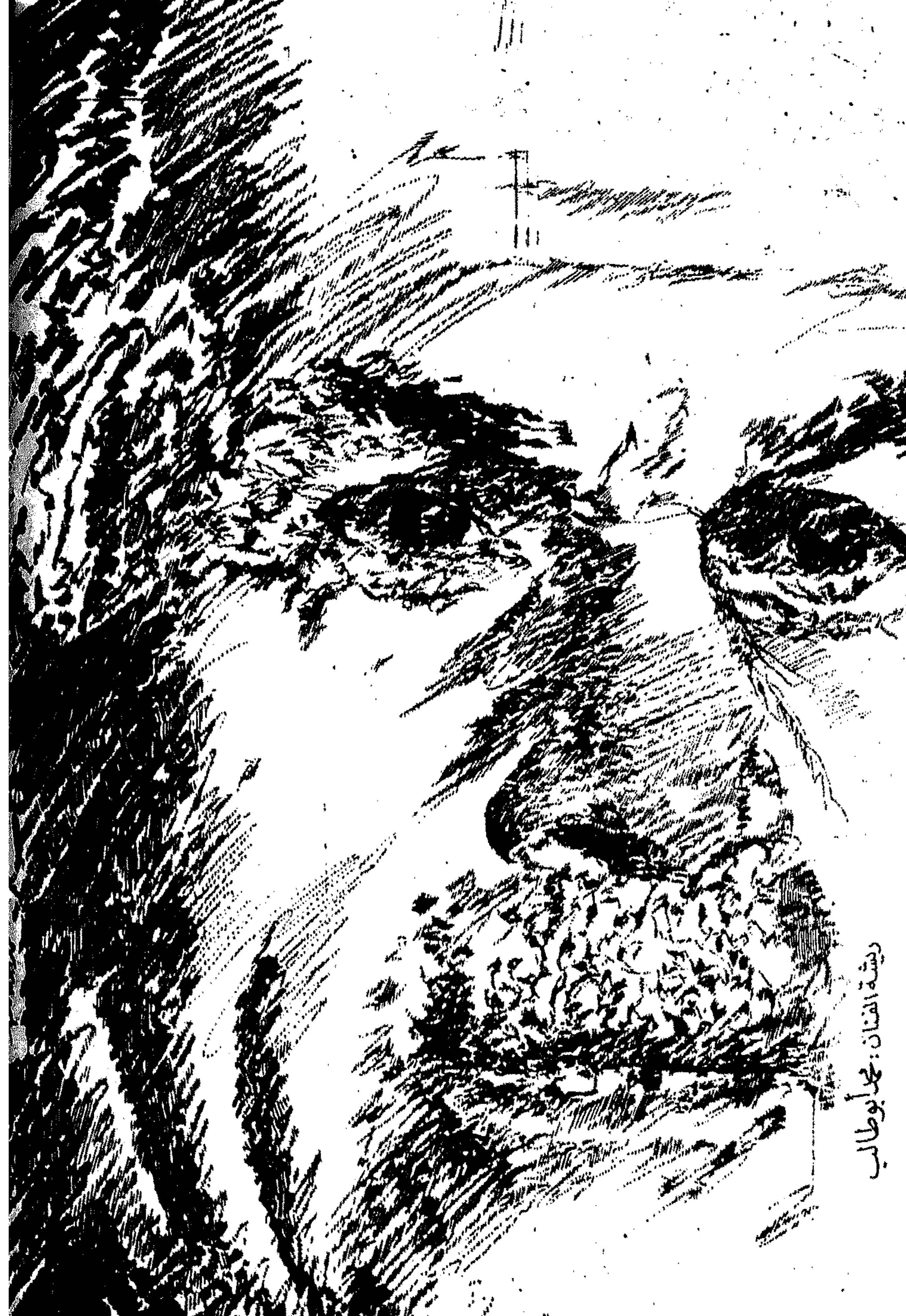
الكتاب : العالم الروائى عند نجيب محفوظ
تاليف : ابراهيم فتحى.
الناشر : دار عيون ـ المغرب ١٦٣ ص، ٢٥ د.م



هذه هى الطبعة الثانية من هذا الكتاب «الشديد» الذى صدرت طبعته الأولى بكثير من الأخطاء مما دفع مؤلفه الى نشره مرة اخرى منقحا هذه المرة، وهو يتناول بالدراسة والتحليل المرحلة الجديدة التى تلت الثلاثية عند نجيب محفوظ فى دراسة عميقة تابعت الخطوط الأساسية والملامح العامة الفارقة فى فكر نجيب محفوظ ورؤيته للعالم، واختياراته فى فنه الابداعى مؤكدا على انه «استطاع أن يضم فى عالمه الرحب ماتحتويه عوالم معاصريه من الروائيين جميعا، ولايمكن لتجربة جديدة فى الخلق الروائى لن تحقق ميلادا بلا تراث، ابتداء من الصفر والهواء المعقم بمعزل عن عالم نجيب بقبوله أو تطويره أو رفضه.

الكتاب : نجيب محفوظ على الشاشة
تاليف : هاشم النحاس
الناشر : هيئة الكتاب ـ ٢٢٤ ص، ٨٥ ق.م

يعد هذا على وجه الاجمال اهم مرجع كتب بالعربية عن علاقة السينما بالادب، واعداد الفيلم عن الرواية لذا فان الجانب النظرى فيه هام للغاية وعند التطبيق لايجد المؤلف اكثر من نجيب محفوظ جدارة لأن يكون هو المختبر، ليس فقط لأنه عمل شخصيا بكتابة السيناريو، ولكن أيضا لكثرة عدد رواياته التى اقتبست او أعدت للشاشة البيضاء.


ريشة الفنان:
أبوطالب

فتحى رضوان .. نهاية عصر

فتحى رضوان

المفكر الإسلامى الحر

بقلم: كمال النجمى

كان فتحى رضوان مثقفا مصريا عربيا اسلاميا . لايجد ادنى تناقض بين مصريته وعروبته واسلامه . ولايقول مثل بعض المتخلفين عن الزمان والمكان : انا مسلم والاسلام لايعرف الجنسية المصرية ولا القومية العربية !..

وكان اسلامه واقعيا وهو الذى يأخذ من صميم الحياة كما تأخذ الحياة من صميمه . ويجرى مع الزمن اولا وآخرا . ولايجعل نفسه نقيضا له .. ولايصيح أهلوه فى اربعة اركان الدنيا بدعاوى عريضة لم يستطيعوا هم اقامتها وراء جدران بيتهم الخاص . حتى ليتصور الغلاة السذج منهم أنهم مبعوثو العناية الالهية لانقاذ البشرية جمعاء فى القرن العشرين ومايليه من قرون .

● سمعت فتحى رضوان يحكى مرة فى سياق حديث ذى شجون قصة نشرها كاتب العربية الكبير الأمير شكيب ارسلان - رحمه الله - قبل بضعة وخمسين عاما . فحواها ان أميرا يابانيا

كبيرا - لعله كان ولى عهد اليابان - نزل ضيفا على السلطان عبدالحميد الثانى فى الاستانة منذ اكثر من تسعين عاما . والدولة العثمانية يومئذ معدودة برغم ضعفها وتخلفها احدى الدول الكبرى .

وعبدالحميد خليفة المسلمين الاعظم .. فكان مما قاله الخليفة للأمير اليابانى

- سمعت ايها الأمير انكم تبحثون عن دين لتدينوا به ، يعنى بدلا من الوثنية التى ورثوها عن أسلافهم » .. فهل تسمحون لى أن أوصيكم بالاسلام !..

فأجاب الأمير اليابانى محتدا :

- كلا : نحن راضون بديننا . ولانبحث عن دين آخر !..

قال فتحى رضوان : ان السلطان

عبدالحميد كان متاثرا بشائعات عن اسلام عشرة ملايين يابانى فى يوم واحد .. وانما راجت هذه الشائعات ايامئذ بايعاز من الانجليز للايقاع بين اعدائهم اليابانيين ، وبين المسلمين الذين كانوا يقاومون الاستعمار الانجليزى فى الهند !..

فالمسلمون فى الحقيقة لايملكون عصا سحرية لانقاذ البشرية وهم عاجزون عن انقاذ انفسهم ، وليس لهم ان يتصوروا انهم فى القرن العشرين مازالوا خير امة اخرجت للناس كما كان اسلافهم فى القرن السابع الميلادى عند نزول القرآن .. وعليهم انفسهم ، فليصلحوا امورهم ويلحقوا بركب الحضارة ويفهموا دينهم ودنياهم فى اضواء عصرهم ، لا فى ظلال احلامهم وامانيهم !

هذا هو موقف فتحى رضوان الذى تطالعنا به جميع كتبه ومقالاته الاسلامية ..

لقد كان خطيبا مفوها ولكنه لم يستسلم قط لنزعته الخطابية فى امر الدين ، والتزم الامانة والرصانة فى تبصير المسلمين بحقائق الدنيا التى يعيشون فيها بين اصحاب ديانات ومذاهب وسياسات لا اول لها ولا آخر ..

وكانت له فى بعض كتاباته سبحات صوفية يلجا اليها فى ساعات الكلل او الملل من الواقع الثقيل ، ولكنه فى كل حال كان شديد اليقظة الى الحقائق التى ينبه اليها الناس .. وبلغ غاية اليقظة فى الشوط الاخير من حياته العظيمة ، فتصدر الدعاة الى مقاومة الصهيونية والاستعمار الامريكى ، وكافح فى صفوف المناضلين من اجل العدالة الاجتماعية والسياسية وحقوق الانسان .

وفى موقفه من التشريع والجماعة الانسانية ، اوضح ان المشرع « يجب ان يكون من الجماعة التى يشرع لها ، عارفا بخصائصها وفضائلها ، عالما بنقائصها ورذائلها ، واقفا على اساليب حياتها ومداخلها ومخاربها ، مدركا لما تستجيب له وما تنفر منه » ..

والتشريع للامة العربية فى عهد النبى عليه السلام ، كانت تحدده الآية : « لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم »..

يقول فتحى رضوان :

« .. دلت هذه الآية الكريمة على ان محمدا كان من العرب ، بُعث لهم من انفسهم ، وقد كان من اعرف العرب بالعرب ، فإن طول تامله فى حياتهم قبل البعثة ، واضطراره الى العمل منذ صباه لفقره ويتمه الذى استفتح به حياته ، وانتسابه الى امجد احياء العرب واعلاها مقاما ، اطلعه من امور العرب على شئونهم السياسية والاجتماعية ، ثم جاء اشتغاله بالتجارة فى اموال السيدة خديجة رضى الله عنها ورحلاته بين الحجاز والشام ، فزادته معرفة باخلاقهم وتقاليدهم ومشكلاتهم الاقتصادية والمعيشية » ..

وهكذا جاءت الشريعة على مقتضى مصالح القبائل العربية التى صارت امة كبيرة ذات مصالح متنوعة تختلف من حال الى حال ، ولهذا كان « من الاسس فى الشريعة الاسلامية » ، ان الانسان هو الشريعة » .

اما نظام الحكم فى الاسلام فيختلف

فتحي رضوان آخر العمالقة ، سار على درب مصطفى كامل ومحمد فريد وعاش مثلهما لمبادئه ، ومات وهو يناضل في سبيل هذه المبادىء .

وآخر كلمات أطلقها قلمه البليغ كانت مسددة إلى صدر العدو الاستعماري ، وهو نفسه العدو الذى ناضل ضده مصطفى وفريد وإن تغيرت ملامحه ، وتبدلت أسماؤه ، ولبس في العقد الأخير من القرن العشرين لبوسا غير الذى كان يلبسه في العقدين الأول والثانى ..

وصورة فتحي رضوان على صفحات الهلال كانت في الأغلب هي صورة الأديب والمفكر الاجتماعي أو المتأمل أو الفيلسوف . ذلك ان فتحي رضوان الذي كان جانبه السياسي شديد الوضوح أمام الجماهير كان له جانبه الأدبي البارز في كتاباته في الصحف والمجلات الأدبية منذ كان طالبا في المدارس الثانوية خلال العشرينيات ، وكان أسلوبه الأدبي من بداية أمرة أسلوبا متميزا بارعا ينم عن مواهبه الأدبية الكبيرة .

وعلاقة فتحي رضوان بالهلال بدأت عام ١٩٣٣ عندما كتب مقالا في شهر فبراير من ذلك العام يروى فيها مشاهداته وملاحظاته في تركيا بعد أن صارت جمهورية علمانية برئاسة مصطفى كمال (أتاتورك) .. وفي هلال مارس ١٩٣٣ كتب فتحي رضوان مقالة بعنوان «المجتمع الأمثل في نظر غاندى وفي هذه المقالة يصف المدينة الفاضلة ، كما كان بتصورها غاندى ويعلق على ذلك ويصف شعب الهند وأديان الهند وماتموج به الهند من لغات وعادات وأزياء ومشكلات ، وماترزح تحته من نير استعمارى ..

وهذان المقالان وقعهما فتحي رضوان باسمه الكامل (سيد فتحي رضوان) وهو الأسم الذى ظل يكتب به في الصحف حتى راى أن يكتفى منه باسمه الذي اشتهر به بعد ذلك طوال خمسين عاما في عالم الأدب والسياسة والمحاماة والكفاح الوطني ..

وفي السنوات القلائل الماضية اتصل عطاء فتحي رضوان على صفحات الهلال شهرا بعد شهر ، فلم ينقطع قط مع أنه كان يكتب في الوقت نفسه في عدد غير قليل من الصحف والمجالات في مصر والبلاد العربية وكانت مقالاته هذه في الهلال وغيره شديدة التنوع والثراء ، تناولت الدين ، والقانون ، والتاريخ ، والأدب ، والفن ، والسياسة ، باسلوب موسوعى ، وبيان عربي مبين ، وفكر عميق ، وإخلاص في طلب الحقيقة في كل مجال .

ولسنا نحاول في هذه الكلمة أن نحيط بجميع الجوانب في حياة وفكر هذا الرجل الكبير ولكنا فقط نحاول التعليق على صورته العظيمة التى عاشت تتلألأ في عيون القراء خلال ستين عاما تقريبا .

إن صورة فتحي رضوان هي صورة المصرى العربي المسلم ، والكاتب الأديب السياسي المناضل في سبيل حقوق الوطن ، وحقوق الإنسان بلا هوادة ، وبإيمان عميق ، وبإصرار على النضال حتى آخر أيامه .

لقد لحق فتحي رضوان بالرفيق الأعلى ولم تبق لنا إلا آثاره وصورته المعلقة في قلوبنا .

« الهـــلال

من مجتمع الى مجتمع ومن عصر الى عصر ، لأن القرآن الكريم لم يورد بيانا عن نظام حكومة خاصة بالمسلمين ، فسبيلهم الى اقامة هذه الحكومة هو مادلهم عليه مصالحهم ..

ومستقبل الشريعة الاسلامية مرتبط بنجاح حركة التحرير والمقاومة للاستعمار والصهيونية ، ولن يقيم الشريعة قوم تحركهم وتلهو بهم اصابع اجنبية استعمارية وصهيونية ، مهما علا صراخهم بالشريعة ، « والشريعة الاسلامية بقدر ماتكسب من حركة التحرير والمقاومة ، ستعطى هذه الحركة زادا ووقودا »..

إلا ان الشريعة الاسلامية لن تنهض وحدها من بين ركام كتب التفسير والفقة والاصول ، ولابد أن يسبق الاحتفال بالشريعة « الاحتفال بالتراث الاسلامى والعربى كله ، من ادب وشعر وتاريخ وعلوم وفلسفة .. فهؤلاء جميعا اخوات فى عائلة واحدة ، يمشين معا ، ويتقدمن معا ، ويتاخرن معا » !

لقد كان فتحى رضوان صوتا حقيقيا من أصوات الاسلام فى عصر كثر فيه أصحاب الاصوات الزائفة الذين يصفون كل جديد بانه بدعة ، وقد كثر استخدامهم لكلمة « البدعة » حتى صارت مساوية لكلمة « الكفر » فالذين يكثرون الآن من قولهم : « هذا بدعة ».. يشبهون او يساوون القائلين : « هذا كفر »..

وقديما سئل الامام مالك عن اهل البدع .. من هم ؟!.. فاجاب : هم الذين يتكلمون فى أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته ، ولايسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون ..

اما الامام الغزالى فقال : أعنى بالبدعة ان يعتقد الرجل فى ذات الله وصفاته وافعاله خلاف الحق ..

وقال عبدالوهاب بن السبكى فى طبقاته : أهل البدع الذين هم أهل البدع حقا بلاخلاف بين المحدثين والفقهاء هم المجسمة والمعتزلة والقدرية والجهمية والرافضة ـ الشيعة ـ والمرجئة .

هذا هو كلام العلماء الكبار عن « البدعة » نقلناه بحروفه ..

فالبدعة ـ حقا بلا خلاف على حد تعبير ابن السبكى ـ هى اللجاجة فى الكلام عن ذات الله تعالى .. ولابدعة على الاطلاق فى غير هذه اللجاجة ..

اما الكلام عن الغناء والتمثيل وما الى ذلك .. فلا يتصل بكلمة « البدعة » من قريب ولا من بعيد ، ومع ذلك اقام بعضهم الدنيا واقعدها فى الزمن الاخير احتجاجا على هذه « البدعة » !

نقول هذا استطرادا فى الكلام عن هذا الداعية الاسلامى المجدد الممتلىء فطانة وزكانة فتحى رضوان ، رحمه الله .

إن فتحى رضوان لم يستنكف ان يكتب وسط الفصول الحافلة التى كتبها عن الشريعة ونظام الحكم فى الاسلام ومستقبل التشريع الاسلامى واعجاز القران فصلا عن « موسيقى القرآن » !

ولعل عشاق كلمة « بدعة » ومرادفتها « ضلالة » سيفزعون من الجمع بين « الموسيقى » و « القرآن » فى سلك واحد !

فنود ان نزيدهم فزعا بالالمام هنا بما كتبه فتحى رضوان ـ رحمه الله ـ فى هذا الشان الذى لايهرب من العلم به المسلم الحق ، ولايخشى من معرفة

اصوله وفصوله في ادق تفاصيلها ..

قال فتحي رضوان :

« لست ادرى هل لاحظ احد ان اكثر المشتغلين بالموسيقى والغناء فى بلادنا ، كانوا ممن طلبوا العلم فى الأزهر ، ولبسوا العمامة ، وحملوا لقب « شيخ » وحفظوا القرآن فجودوه ورتلوه وعرفوا أصول قراءاته ؟ »..

ويزيد الأمر ايضاحا فيذكر اسماء هؤلاء المشتغلين بالموسيقى والغناء فيقول : « حسبنا أن نذكر منهم الاعلام ، امثال سلامة حجازى ، وسيد درويش ، وزكريا أحمد ، ومحمد القصبجي ، وابو العلا ، وام كلثوم نفسها حفظت القرآن وادته ولايزال اثره واضحا فى أسلوب ادائها ومخارج الفاظها وحتى الذين اشتهروا بنظم الاغانى كانوا ممن انتسبوا الى الازهر، فالشيخ يونس القاضي وبيرم التونسي ايضا ، انتسبا الى هذا المعهد العريق »..

ثم قال :

« والمسلمون وغير المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها يعرفون اثر النظم القرآنى فى نفوسهم ، ويدركون مايبعثه فيها من النشوة الوجدانية والروحية ، وقد سمعت بنفسي سيدة إنجليزية كانت مشغولة بفن الباليه ، وطافت البلاد الإسلامية بحثا عن موضوعات للباليه من التراث الإسلامى ، سمعت هذه السيدة وهى تتلو سورة النجم ، وتردد آياتها ، ورأسها يتمايل مع ايقاع الآيات .. وقد مدت يدها وفيها منديل صغير لتمسح عبرة ترقرقت فى عيونها ».

ثم قال :

« اورد الدكتور زكي مبارك فى كتابه النثر الفنى عن فواتح السور مثل : الم ، حم ، الر ، ص ، ق .. مايلى : « كنت اتحدث عن فواتح السور مع المسيو بلانشو فعرض عليّ تأويلا جديرا بالدرس والتحقيق .. وفى رأيه ان هذه الحروف ليست الا اشارات موسيقية يتبعها المرتلون ، وقد كانت الموسيقى القديمة بسيطة يشار الى الحانها بحروف وكان ذلك كافيا لتوجيه المغنى او المرتل الى الصوت المقصود .

ثم يعلق فتحي رضوان قائلا :

ان الشعوب التى تعمل الموسيقى فى تكوين جماعاتها وتاسيس بنائها ، شعوب تتهيأ للنهوض بتبعات خطيرة وجسيمة فى عالمى الحرب والسلام .. فالشعوب التى تحب الموسيقى هى اكثر الشعوب تحملا لتكاليف واعباء النظام ، والموسيقى كالاناشيد والمسرحيات الغنائية الكبيرة والصغيرة وموسيقى الاوركسترا ، كلها عمل جماعى يعمل فيه الجميع عملا متكاملا .. على أن الموسيقى بما تودعه فى العقول والنفوس من بذور التناسق والتناسب تهيىء هذه العقول لكل ماتطلبه الحضارة من ذوق ومن استجابة لأصول البحث العلمى التى تقوم على قواعد صارمة من النظام والتكامل والاتساق ، لذلك لم يكن دور القرآن الكريم مقصورا على الآثار الواضحة من كونه أداة التبليغ وديوان بلاغة العرب ووعاء المعرفة الاسلامية وقانون المسلمين وشريعتهم الكبرى ... فهو الى جانب هذا كله اداة لصقل الأذواق .



قراءة في رسالة مصطفى كامل إلى مدام جولييت آدم

بقلم: فتحي رضوان

هذه هي المقالة قبل الاخيرة للمرحوم الاستاذ فتحي رضوان في مجلة الهلال وهي مقالة لها قصة قصيرة جـدا .. فقبل ان يطرأ المرض عليه ويدخـل المستشفى في رحلته الاخيرة من الحيـاة الى الموت ، كتب هذه المقالة عن الرسالة المشهورة التي أرسلها مصطفى كامل الى مدام جولييت ادم الكاتبة الفرنسية التي ذاع صيتها طويلا في عهد ذلك الزعيم الوطني.

وبعد أن جمعنا المقالة واعددناهـا للنشر في اواخر سنة ١٩٨٧ اتصل بنـا الاستاذ فتحي رضوان وطلب تأجيـلها ونشر مقالة أخرى كتبها بدلا منها ، ثم فوجيء الاستاذ بالمرض الذى منعه مـن الكتابة ، واحتفظنا نحن بمقالة مصطفى كامل وجولييت ادم حتى شاءت الاقدار الا ننشرها الا بعد رحيل فتحي رضوان عن الدنيا ، واتخاذه مكانا الى جـانب مصطفى كامل في مثواه الابدي !

● حدثت القاريء الكريم عن « مدام جولييت ادم » ، ومن تكون ، في هلال سـابق . واحسب انه بدأ من هـذه الترجمة الموجزة لحياة «مدام جولييت» الجانب الهام من صورتها ، كما اتضح الدور الخطير الذى لعبته في السياسـة الفرنسية من جهة ، والسياسة الدولية من جهة ثانية ، ثم السياسة المصرية من جهة ثالثة ، فمـدام « جولييت » كانت زعيمة من زعماء الفكر الفرنسى السياسى والادبى .. تكتب وتصدر الصحف ، وتفتح دارها في باريس ، وقصرها في « حف » باقليم « وادي شيفروز » ، او في منتجعها الصيفي بـ « كان » . وهي كلها ندوات يشارك فيها الساسة المشهورون من امثـال « جامبتا » السـياسى والخطيب ، والكاتب « كامي موكلير » والشاعر « بييرلوتي » ، والضابط « مارشا » ، واخيرا – وليس اخرا – « مصطفى كامل » زعيم مصر ، وباعث حركتها الوطنية بعد هجعة ما بعد الاحتلال ، ونوبة اليأس بعد هزيمة ثورة المصريين سنة ١٨٨٢ .

وقد قلت في مقالي السابق ان زعيم مصر الشاب ، تعرف في خطاب مؤرخ ١٢ من سبتمبر سنة ١٨٩٥ على هذه الاديبة والكاتبة والسياسية التي امتد عمرها الى مائة سنة كـاملة ، والتي بقيت تؤلف وتكتب وتتحـدث الى الصحفيين والادباء والنواب والشيوخ من كل دولة ومذهب ، بعد ان تجاوزت الثمانين واشرفت على التسـعين . وكانت فوق ذلك تقوم بخدمة نفسها في دورها وقصورها .. فاعداد طعامها، والعناية بثيابها ، وخدمة ضيوفها كلها اعباء تنهض بها ، لا تحفـل بالسن ، ولا تقيم وزنا لاعتبـارات

الصحة التى تقتضيها الراحة والبعد عن بذل الجهد ·

ثم اتصلت الرسائل بين «مصطفى» و « مدام جوليت » ، وتناولت من الجانبين شئون مصر والعالم كله · وقد كان خطاب الافتتاح وثيقة بيانية وسياسية وروحية،مهما اطال الناقدون والسياسيون واهل البيان التامل فيها وتحليلها ، فانهم لا يستطيعون ان يحيطوا بكل ما فيها من وجوه الحسن، ومن اتساع النفس ، وترامى الافق ·

وقد احاط الخلود بما جاء فى هذه الرسالة من عبارات ·· واليك هذه السطور ننشرها ، ثم نستخرج منها معانيها ودلالاتها ·

قال مصطفى :

سيدتى ·

انى لا ازال صغيرا · ولكن لى اطماعا جساما ، فانى اريد آن اوقظ فى مصر الهرمة « مصر الفتاة » ·

ونحن اذا آحصينا هذه الالفاظ ، لوجدناها لا تكمل العشرين عدا ،ولكن هذه الالفاظ القليلة هى فى واقع الامر محيط متلاطم من الغايات السياسية ، وعالم متالق باجمل الالفاظ ، واسمى المعانى · وهى مع ذلك الفاظ بسيطة ، ليس فيها لفظ واحد غامض ، ولا معنى واحد يصعب فهمه على ابسط الناس، واقلهم حظا من الثقافة والالمام باللغة العربية ·

لقد قدم زعيم المستقبل نفسه للسياسية التى سلخت عقودا واجيالا وهى تمارس الكتابة الادبية والصحفية وتصدر الصحف ، وتنازل اكبر حملة الاقلام فى عاصمة السياسة والفكر والفن آنذاك ·

ولكن العبارة التالية مباشرة لمحن الافتتاح ، لاشك انها اثارت انتباهها، وكانت لها بمثابة الصدمة · فقد عرفت « مصطفى كامل » آن « مدام جولييت ادم » احبت حضارة مصر القديمة حبا ملك عليها زمام قلبها ، وبلغ اعمق اعماق روحها · ولذلك فان اعترافه الموجز القصير الذى لم تزد كلماته عن اربعة الفاظ ــ وهى الخبيرة بالالفاظ وما تحويه من معان ــ لابد ان يكون قد هزها هزة بقيت تتذكرها حتى مات « مصطفى كامل » فى ريعان شبابه ، وهو فى الرابعة والثلاثين،فى العاشر من فبراير سنة ١٩٠٨ ، وحتى لفظت هى اخر انفاسها سنة ١٩٣٦ ، بعد ان اكملت قرنا من الزمان ·

فقد قال لها : « ولكن لى اطماعا جساما » · وكانت المفارقة هائلة · وهذا ضرب من ضروب البلاغة يتقنه الذين منحهم الله البلاغة الروحية التى تتدفق من القلب ، ولا يتكلف لها القلم ما يفسدها ويثقلها بالبديع والجناس والطباق ·

« وانى لاازال صغيرا » تقف جنبا الى جنب مع « لى اطماع جسام » · ثم تاتى المفاجاة الكبرى بقول مصطفى :

« انى اريد ان اوقظ فى مصر الهرمة مصر الفتاة » ·

واذا كان هناك فى عالم العواطف والمحبين ما يعرف بالحب الصاعق ، اى الحب الذى يستولى على قلب الحبيب فى لحظة ومن النظرة الاولى، فلا شك فى آن « مدام جولييت ادم » ،

قد وقعت في غرام « مصطفى كامل » حينما قرات قوله : « اريد ان اوقظ في مصر الهرمة مصر الفتاة » .

فهذا مقطع جديد بان يلهم الاف الشعراء ، فينظموا به ومنه القصائد الرائعة . وقد الهم المثال الفرنسي « سيرين » حينما صنع لمصطفى كامل تمثالا بعد وفاته ، كما الهم «مختار» حين نحت تمثال نهضة مصر سنة ١٩٢٠ عقب ثورة سنة ١٩١٩ .
فالمثالان جعلا « مصطفى » والفلاحة المصرية يوقظان ابا الهول الحضارة المصرية القديمة ، وتاريخ مصر القديم .

ولا شك ان « مدام جولييت ادم » التي عاشت السنين الطويلة تقرأ الكتب المسهبة والمزينة بالصور ، والفياضة بالوصف الذي كاد يكون شعرا وغزلا – عاشت السنين الطوال، تقرأ كتب المؤرخين والاثريين من اهل الغرب ، وهم يعرضون روائع الحضارة المصرية القديمة في النحت والتصوير والادب والشعر ، والحياة اليومية الانيقة .. واحبت كل هذا،وهامت به. ولكنها لم تتصور انه سياتي واحد من احفاد صانعي هذه الحضارة ، ويقول لها : مصر هذه القديمة الوائقة ، التي مضت عليها القرون وهي فيما يشبه السبات ، لابد ان توقظ ، وان تنفض عنها اكفان الماضي، وتقف على قدميها شابة وفتية .

ورات الكاتبة العجوز نفسها امام تجربة لم تعان قبلها على طول ما رات وسمعت وما قرات ، وكتبت . شاب صغير من بلد ذات اطول حضارة ، واطول عمر ، واطول مجد ، يقول ببساطة : اريد ان ابعث هذا الماضي . هل يمكن ان يتحقق شيء من هذا ؟ .

لقد جاء الجواب في الحال ، وبنفس الرقة ، واللطف .

« هم يقولون ان وطني لا وجود له » وتعرف « مدام جولييت ادم » بالضبط هؤلاء الذين يقولون ان مصر لا وجود لها واول هؤلاء جميعا الانجليز الذين وقفت حياتها على محاربتهم ، والوقوف في وجههم ، لانهم كرهوا ان تنافس امبراطوريتهم ، امبراطورية فرنسا . وهي تعرف ايضا ان هؤلاء نجحوا فعلا في ان يطمسوا تاريخ مصر ، ويحجبوا مكانتها ، ويحيلوها الى عدم .

ان هذا الشاب الذي خرج من ركام الاف السنين التي عاشت فيها مصر ، يعرف بالضبط ، ماذا يريد . فانه يعرف ان خصوم وطنه يقولون ان مصر لا وجود لها . لانهم لا يطيقون ان يكون لها وجود ، او ان تعود الى الوجود . والقوة الوحيدة التي تعينه على ان يقف في وجه هؤلاء الاقوياء هو هذا الايمان الواضح العميق الذي يعبر عن نفسه ببساطة تشبه بساطة خطوط الفنان المصري الذي صنع التماثيل التي تملأ وادي النيل . قال مصطفى كامل :

« انا اقول يا سيدتي انه موجود ، واشعر بوجوده » .

ببساطة هذا هو المعسكر المقابل . معسكر المؤمنين بان مصر موجودة وشعورهم بوجودها يملأ قلوبهم .
ثم تتدفق ينابيع البلاغة على نفس النسق فيقول :

« اني اشعر بوجود وطني بما انس له في نفسي من الحب الشديد الذي سوف يتغلب على كل حب سواه » .

هذا هو الجانب القابل فى المعادلة وبهذا الجانب تكمل هذه المعادلة .

هم يقولون ان وطنى لا وجود له . وانا اقول انه موجود .

والدليل على وجوده هو انى احبه حبا شديدا . وهذا الحب سوف يتغلب على كل حب سواه .

ثم يأتى العهد .

سأجنده فى سبيله جميع قواى، وافديه بشبابى ، واجعل حياتى وقفا عليه .ولا اشك فى ان شوقى ، اهتز لهذا السطور اهتزازا شديدا .

ثم يبلغ هذا الخطاب القصير قمته حينما يواصل « مصطفى » تقديم نفسه فيقول :

انى ابلغ من العمر احدى وعشرين سنة ، واريد ان انشر الحمية والاخلاص اللذين اجدهما فى نفسى .

وعاد مرة اخرى الى اللحن الاصلى يكروه : قيل لى اكثر من مرة انى احاول محالا ، وحقيقة ماتصبو نفسى الى هذا المحال »

هذه هى القمة التى يستشرف لها هذا الكاتب الصغير المبتدىء ، والتى بقى ينظر اليها ، ولا يطرف عبنه عنها والتى يعبر عنها بقوله :

قيل لى اكثر من مرة انى احاول محالا .. ولست اريد ان ادخل فى جدل مع هؤلاء القائلين.: هم يقولون انى احاول محالا .. ليكن ! هذا محال ، انا اصبو الى تحقيق هذا المجال . وعذرى فى هذه المحاولة ان ايمانى يتلخص فى انه لا معنى للحياة مع اليأس .

ويختم « مصطفى » خطابه القصير، الذى اقام علاقة استمرت نحو خمسة عشر عاما ، استطاعت ان تشيد خلالها صرحا شاهقا من التعاون المثمر العظيم بين هاتين النفسين الكبيرتين « مصطفى كامل » المصرى ، و « مدام جولييت ادم » الفرنسية .

وقد ختم « مصطفى » خطابه بالطلب الذىحققته له الكاتبة الفرنسية الكبيرة فقد قال :

يا سيدتى انك من الوطنية بمكان يغريك بمزية تقدير قولى ، وتقوية غزمى ، وشد ازرى » .

ولقد تدبرت قوله ، وقوت عزمه وشدت ازره .

وقد حددت له موعدا فى مقر المجلة الجديدة بباريس ، فلما دخل عليها ، لم تستطع ان تتصور ان ضيفها هو محرر هذا الخطاب. فقد كان«مصطفى» نحيلا ضعيف البدن ، فظلته صبيا ، فلما قال لها انه بلغ الحادية والعشرين ، قالت له انك لم تصدقنى القول ، ولكنها بعد ذلك رات نفسها امام رجل واثق بنفسه ، صديق لها ثم ابن روحى الى اخر العمر .



• تشطير الاطلال •

●ان تشطير الشعر أو تخميسه كثيرا ما يعطيه رونقا وبهاء وقد قمت بتشطير قصيدة الشاعر المرحوم ابراهيم ناجى التى تغنيها السيدة أم كلثوم ، أرسل لسيادتكم جزءا منها ٠

ضاق قلبي اليوم ذرعا بالنوى
وشكا الحرقة دهرا فذوى
قد جفا مضناك ، وقد عز الدوا
يا فؤادي لا تسل أين الهوى
كان صرحا من خيال فهوى
لا تلم فالهجر من أحواله
لا تحك دوما على منواله
لا تظن اليوم اني ساله
اسقني واشرب على أطلاله
وارو عني طالما الدمع روى
هذه الاطلال تروى عبرا
قد قضى الهجران منها وطرا
فتأمل حالنا الذاوى ترى
كيف ذاك الحب أمسى خبرا
وحديثا من أحاديث الجوى

محمد شكرى سويرجو
غزة ــ محلة الشيخ رضوان

● تعليق :

ــ التشطير فن جميل بلا جدال ولكنه مات مع موت الشعر العربى الحقيقى فى ايامنا هذه ٠ وأما تشطيركم للاطلال فلا بأس به ، غير اننا لا نسيغ قولكم : « انى ساله » ٠٠ تقصد « انى ساليه » ٠٠ فلا حق لك فى جزم الفعل بهذه الصورة مهما تكن الضرورة الشعرية ٠٠

● انت واشياء اخرى ●

صبى هواك العبقرى لعـــله ... يشـــدو فؤاد حطه الاعيــــاء
قد صرت كالحليب المصفق موجه ... يطفو وتغـــرق هامه الانـــواء
انى انازع والحيـــاة قصـــية ... وعلى دروب المجتنى اقـــذاء
هل يصبح الكلم الوديع مجاهـدا ... بلوائه تطفا الدنا وقضـــاء
هذى عيون القـــلب أمتعها رؤى ... لما زهت احـــلامنا الخضراء
وانساب من فجـــر الصبابة عالم ... ثر الخواطر شـــاده العظماء

السيد عثمان محمد المللى ـ برديس بحرى ـ البلينا

● شعرور وشعارير ●

● تستعلمون في هذا الباب احيانا كلمة « شعرور » وجمعـــها « شعارير » ·· فما معنى هاتين الكلمتين ؟

زينب عبد الرحمن رجب ـ الاسكندرية

تعليق :

ـ الشعرور هو الذى يدعى انه شاعر وليس له من الشـــاعرية والشعر نصيب حقيقى ·· والجمع شعارير ·· والشعرور غير الشويعر، لان الشويعر شاعر صغير او قليل الحظ من الشاعرية ولكنه منسوب الى الشعر على كل حال ·· ومعظم الذين نقرا لهم شعرا فى الصحف الآن·· شعارير ، وخصوصا ادعياء شعر التفعيلة ··

قصة قصيرة جدا

● العربة الطائشة ●

● افاق لطفى من نومة طويلة وارتدى ثيابه « متعجل » وهـــم « خارج » الى الشارع وبينما يعبر الطريق وجد « طفـــل صغير » امام سيارة اوشكت على أن تداهمه فاسرع لطفى ورمى بنفسه وابعد الطفـــل عن السيارة ·· فى هذه اللحظة « اندفعوا » نحو الرصيف ومرت السيارة بسلام دون أن تحدث « بهم خدوش » سوى الطفل الذى اغمى عليه فاسرع لطفى الى تليفون الشارع كى يبلغ الاسعاف وملا اسمه « كمبلغا » عـــن الحادث وفى لحظة جاءت «ســـيارة وبها مجموعة من « العاملون » « كمسعفون » اخذ الطفل واعطاه حقنة كى « يفوق » من الصـــدمة وبعد ذلك قام لطفى وسار بالطفل كى يوصله الى منزله وبينما كان «سائرون» فى الشارع اذ يصطدموا بعربة اخرى فوقع لطفى « غارق » فى دمه فقام الطفل بالاتصال بعربة الاسعاف ولكن لطفى كان قد فقد دماء كثيرة ممـــا لم يستطع ان يعيش بعد ذلك وتوفى على الفور وهكذا كان نصيبه ··

خيرى السيد ابراهيم ـ سوهاج

● **تعليق :**

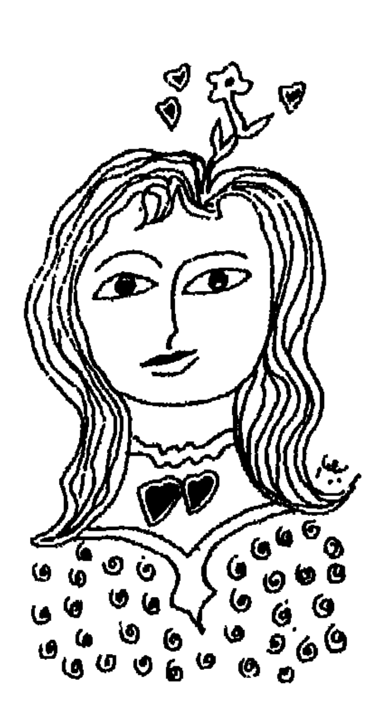
ـ يا بنى سطوركم هذه الساذجة اشبه بكلام طفل صغير يحـــكى حادثة شاهدها فى الشارع · ولغتكم فى هذه « القصة » لغة طفل ايضا ، لان الطفل فى السنة الثانية الابتدائية ربما كتب سطورا لا تحوى كل هذه



الاغلاط التى فى قصتكم وقد وضعناها لك بين القواس ، كقولك « متعجل » وصحتها « متعجلا » ·· وقولك « خارج » وصحتها « خارجا » وقـــولك طفل صغير »، وصحتها « طفلا صغيرا » وقولك « كمبلغا » وصــــحتها « كمبلغ » وقولك « من العاملون » وصحتها « من العاملين » ·· الى آخر الاغلاط الفاحشة التى وضعناها لك بين الاقواس ·· وننصحك ان تتزود بمعرفة اللغة قبل أن تكتب بها ·· وهى نصيحة نوجهها الى كل الناشئين الذين يقتحمون باب الكتابة قبل أن يعرفوا اللغة التى يكتبون بها ! ··

● وجه امرأة ●

ماذا يفعل من مثلى ·· ؟!
نزلت بأرض
كانت تخصب احلامى
ومضى عام
وأنا مهموم بين الناس
فاجأنى وجه امرأة
ـ « كان جميلا » ـ
تصرخ : ا أين الحب الاكبر ·· !؟!
أيام مرت
وأنا ابحث عن وجه المرأة
وسط جموع الناس
ـ كان الهم ثقيلا ـ
وأنا أصرخ ··· !
أين امرأة الوجه ··· !؟

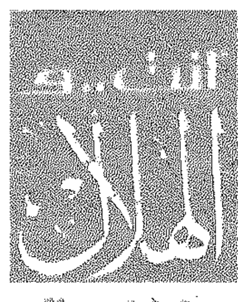


السيد ابراهيم عطية
كفر صقر ـ شرقية

● القصوصة :
فى القاهرة ·· بحر ●

● فى القاهرة الواسعة ليس هناك بحر ، لكن هناك تجمع ميـــاه بهذا المنحدر اكتسب لون الشفق لقرب مغيب الشمس ·
علا صوت غريق يطلب الاستغاثة · انها فتحية بنت عم رسلان ·
خضت المياه حتى وصلت اليها·وجدتها واقفة تضرب الماء بكلتا يديها ·

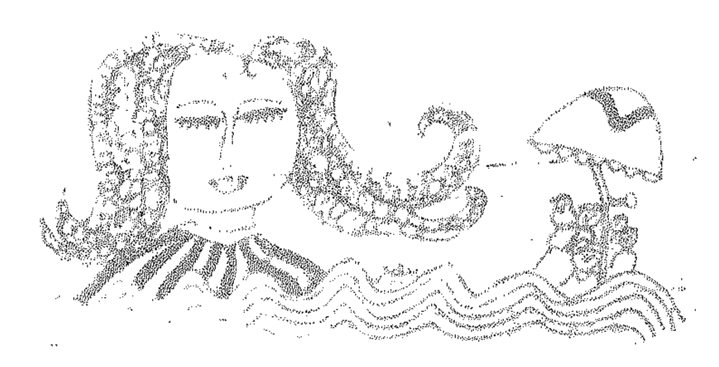
حاولت جذبها ولكن مقاومتها كانت شديدة ٠ لكمتها واجبرتـــها على الخضـــــــوع حتى استطعت أن أصل بها الى الشـــــاطيء ٠
هناني العيال الواقفون على حافة الشاطيء لبراعتي في انقاذ فتحية ٠ قلت لهم ان ما فعلته هو شيء بسيط وانه بامكاني انقاذ اي فرد فغوصوا في اعماق البحر ولا يهمكم شيء
جلست بجوار فتحية على الشاطيء الومها
ـــ اليس من العيب أن تغرقي في شبر ماء ؟
ـــ ما المانع ما دمت انت المنقذ ؟! ٠٠
مرت بجوارنا مجموعة من البنات تردد « شط اسكندرية يا شـط الغرام » ٠٠ راقبنا قرص الشمس الاحمر ونافورة المياه التي بداخـلها شوكت وجمال يتبادلان رش المياه حتى ابتلت ملابسهما ٠ الكل يضحك منهما ٠٠ اخذت انا وفتحية نكوم التراب ونبني سورا بداخله مسـاحة فضاء لمكون الجنينة ٠ في الوسط حاولنا أن نشيد قصرا واسعا ٠٠وقف على فوق قطعة حجارة يصفر مشاورا لعزت ليقترب من الشاطيء ٠٠
هجمت شوقية بنت عم حسن نحو البحر في شوق ورفعت طـــرف فستانها الى اعلى ٠ اقبل اخوها نحوها وزجرها ٠
ـ اختشي يا بنت ٠
اخذ الاولاد قطعة خشب مستطيلة ودخـــلوا بها المياه ٠ حاولوا ركوبها ولكنهم سقطوا من عليها واحدا تلو الآخر ٠٠ امسك الاولادبخناق « الواد » زكي الذي اخذ الكرة من سيدة وعلية اللتين كانتا تتبـــادلان التقاطها باليد ، ويلقي بها في المياه ٠ فيضطران الى خوض المياه للعودة بها ٠ جذبوا زكي من قدميه وساعديه والقوا به في الماء ٠
القصر الذي بنيناه تهاوى بسرعة لان التراب لم يصلح لبنـــائه ٠ هدمنا القصر وبنينا بيوتا صغيرة كالتي نسكن بها ٠
مر امامي شوقي ابن عمي حسب الله وبيده زجاجة مياه غازيـــة فارغة يدق عليها ويصيح « المثلج » ٠
نادى علينا على للاشتراك في سباق « عبور المانش » ٠ تجمعنـــا على حافة الشاطيء واخذنا نشمر سراويلنا ٠ وقف على فوق الصـخرة واطلق صفارته فانطلقنا نخوض المياه مسرعين ٠ زكي كان في المقـــدمة يحاول بكلتا يديه الا يسبقه احد ، ومن كان في المؤخرة يحاول جذب ثياب المتقدم أو دفع زميله المجاور ٠ وصلنا الى نهاية البحيرة ثم عدنا نتعارك اكثر من أن نتسابق ٠ أستطاع زكي ان يكون اول الواصلين الى نقطـة البداية على حافة الشاطيء ٠ وقف زكي فوق الصخرة وعزت بجانبـــه الايسر وانا بالجانب الايمن حيث فزت بالمركز الثالث ، والكل من حولنا يصفق ويصفر ٠
وعندما اختفى قرص الشمس وعم المكان زرقة قاتمة ، تجمعنا وعدنا الى بيوتنا معا ٠٠ اثناء سيرنا كنا ندعو الله ان لا تحمى الشمس اليوم التالي حتى يحفظ لنا بحرنا الصغير فنستطيع أن نصطاف على شاطئه ٠
هشام عبد الله قاسم



● على شاطىء الحب ●

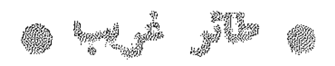
وجلست فوق الرمل انظر للمدى ... واجيل طرفي في الشطوط الساحرة
ألفيت وجهك قد تراءى صافيا ... كالبحر لم تات الرياح تعكره
عيناك تنهل من سطور كتيب ... وكانه طيف الحبيب تسامره
والكل حولك في هياج عارم ... يتقاذفون الكرة ـ تجرى طائرة
يجرون في وثب سريع مثلما ... سكنت صدور القوم روح ثائرة

رفعت محمد بروبى
اخصائي اجتماعي بمجلس مدينة سوهاج



● تعليق .

ـ فى البيت الاول والرابع والخامس جعلتم القافية راء مفتوحة (الساحرة .. طائرة .. ثائرة) .. وفي البيت الثاني والثالث جعلتم الراء مضمومة (تعكره .. تسامره ..) وهذا لا يجوز ، فلابد من فتحة أو ضمة على جميع القوافي ، ولعلك ظننت ان الراء في كلمتي « تعكره .. تسامره » مفتوحة وهذا خطأ نحوى لا يجوز في اية ضرورة شعرية .. وقولك « يتقاذفون الكرة ـ تجرى طائرة » مكسور الوزن ، واراك تخطىء في عروض بحر الكامل مع انك فى العادة لا تخطىء فيه !..



ما عدت آلس في الديار مقاما ... لفتى يذوب محبة وغراما
كالطائر الماسور يقضى نحبه ... بين الزهور على التراب حطاما
وهو الذى غنى الروابي حالما ... غررا تفيض صبابة وهياما
نوحي حمامات الاراكة واندبي ... حالى لتشجيني أسى وضراما

ابو بكر محمد محمد حسانين
مدرس الانجليزية بمدرسة ابو تشت الاعدادية

● مع الاصدقاء ●

● عكاشة فهيم غازى ـ منية النصر ـ دقهلية :

ـ لم نطالع المجلة العربية التى تذكرها فى رسالتك . نرجو أن ترسل الينا هذه المجلة ، أو ترسل صورة من المقالة التى هاجمت فيها الكتاب المصريين كما نرجو أن تكتب لنا عنوان المجلة كاملا واسم رئيس تحريرها . ونشكركم ..

● عباس صالح كنه ـ الرياض ـ السعودية :

ـ لا يوجد لدينا مع الاسف الكتاب الذى تذكره ، ولا نعرف هل هو من كتب جرجى زيدان أم لا .. نرجو موافاتنا بتاريخ صدوره ،فاننا لم نجده بين مطبوعاتنا .

● عبد الرحيم الماسخ ـ سوهاج :

ـ شعرك متفاوت لا يستقر على حال ، فتارة يكون جيدا ، وتارة يكون غير ذلك ، ولا تعرفنا بنفسك فى كل خطاب فنحن قد عرفناك من خطاباتك الكثيرة السابقة .. حاول أن تجعل شعرك مفهوما ..

● وفيقة عواد سلامة ـ مديرة مدرسة الشبان المسلمين الاسلامية الخاصة بالدقى :

ـ نرحب بك ، وقد وصلتنا قصيدتك فى ذكرى المولد متأخرة ، ولعلك قرأت قصيدة الاستاذ عبد الرحمن صالح الدين فى عدد اكتوبر من الهلال . نرحب بأعضاء ندوة شعراء العروبة .

● عبد الملاك لمعى عبد الملاك ـ كلية العلوم بجامعة المنيا :

ـ قصيدتكم عن فلسطين والصهيونية حسنة المعانى ، ولكنها مفتقرة الى الاوزان ، فليس فيها مع الاسف تفعيلة واحدة موزونة . لا تيأس ، وحاول أن تتعرف على الاوزان والتدرب عليها طويلا ..

● عمرو عبد المنعم ـ شربين :

ـ نرحب بالدراسة التى تتحدث عنها فى مقالتك،وحاول أن تجعلها وافية لا مختصرة ولا مطولة ..

● أحمد عامر ـ شبين القناطر :

ـ نعتذر اليكم من الخطأ المطبعى الذى وقع فى أحد أبيات قصيدتكم المنشورة فى عدد أكتوبر من الهلال .. وصحته كما تقولون :

أتتركنى فى اللظى سيدى .. وتعلم أنى المحب البرىء ..

● كمال محمد أبو شامة ـ المنيل ـ القاهرة :

ـ نشكركم على حسن ظنكم ، وسنحاول تنفيذ اقتراحاتكم بقدر الامكان ، وأما كبار الكتاب فكل منهم متعاقد ومرتبط مع صحيفة ولا يستطيع أن يتخطاها الى صحيفة أخرى ، ويضم « الهلال » بحمد الله مجموعة من أكبر الكتاب فى العلوم والفنون والاداب ..

● هشام محمد عبد الوهاب ـ شبين القناطر :

ـ قصيدتكم « الفاتنة » تفتقر الى الوزن ..

● عاصم فريد البرقوقى ـ ٣٧ شارع خليل مطران بالاسكندرية :

ـ نشكر لكم حسن ظنكم وتهنئتكم بعيد مجلة الهلال ..

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية سبعة جنيهات و ٢٠٠ مليم ، وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات أو مايعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال .

وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة عاليه عند الطلب .

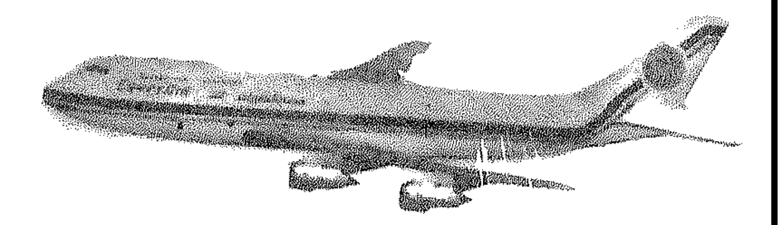
دار الهلال ـ ١٦ ش محمد عز العرب
القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط مجلة الهلال ت ٣٦٢٥٤٨١

رقم التلكس : **92703 HILAL U . N**

وكيل الاشتراكات بالكويت : السيد / عبدالعال بسيونى زغلول الصفاه ـ ص.ب ٢١٨٣٣ ـ 13079 تليفون ٤٧٤١١٦٤

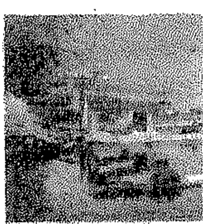
اسعار البيع للعدد العادى فئة ٦٠ قرشا

سوريا	١٧٥٠	ق . س	ابوظبى	٦	دراهم
لبنان	٣٠٠	ليرة	مسقط	٦٠٠	بيسة
الاردن	٣٥٠	فلسا	تونس	١٤٠٠	مليم
الكويت	٣٠٠	فلس	المغرب	١٢٥٠	فرنكا
العراق	١٣٠٠	فلس	غزة والضفة	٦٠	سنتا
السعودية	٥	ريالات	داكار	٦٠٠	فرنك
السودان	١٢٥	ق . سودانيا	لندن	١٢٥	بنسا
البحرين	٨٠٠	فلس	ايطاليا	٢٥٠٠	ليرة
الدوحة	٦	ريالات	البرازيل	٥٠٠	سنت
دبى	٦	دراهم	اليمن الشمالية	١٣	ريالا



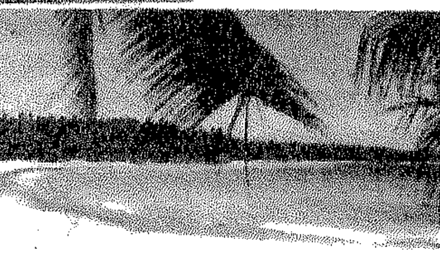




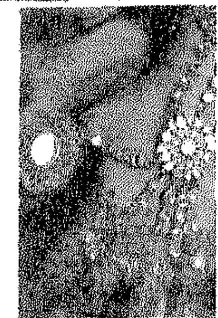















للتعليم العربي في كل مكان
العلم في الصغر كالنقش في الحجر

عام على الانتفاضة الفلسطينية



الهلال
ديسمبر ١٩٨٨
الثمن ٧٥ قرشا

المائة الأعظم في تاريخ الإسلام



نجيب محفوظ وسيد قطب

ندوة الهلال الشعرية



من روائع الفن الإسلامى

لوحة من فن المنمنمات التركى رسمها الفنان المبدع موهاسن سن فى القرن السادس عشر ..

وتصور اللوحة احدى الحملات العسكرية التى كان يقوم بها السلطان التركى سليمان المعظم ومدى ما كانت جيوشه تتمتع به من قوة وسلطان ..

وتكشف اللوحة عن مدى اهتمام الفنان التركى بتصوير المجموعات البشرية رغم انه ينظر الى الاشياء دائما من خلال منظور احادى البعد ..



السنة السادسة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية .. تصدر عن دار الهلال اسسها جورجى زيدان عام ١٨٩٢ م أول ديسمبر ١٩٨٨ م - ٢١ ربيع الثانى ١٤٠٩ هـ .

رئيس مجلس الإدارة
مكرم محمد احمد

رئيس التحرير
مصطفى نبيل

المستشار الفنى
محمد ابو طالب

مدير التحرير
عاطف مصطفى

المشرف الفنى
محمود الشيخ

سكرتير التحرير التنفيذى
عيسى دياب

• في هذا العدد •



الغلاف : تصميم الفنان
محمد ابو طالب
بريشة الفنان :
محمد حماد

• فكر وثقافة •

• كتاب الشهر •

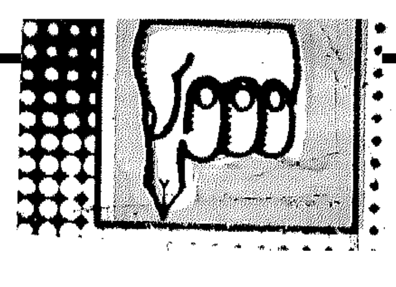
• قضايا حيوية •

● رسائل صحفية ●

● ندوة الهلال الشعرية ●

● أدب أكتوبر ●

● الأبواب الثابتة ●



عزيزى القارئ

أفراح الثقافة المصرية ومشكلاتها

● نشكرلك ـ عزيزى القارىء ـ ما أوليتنا من تشجيع فى العدد الماضى من «الهلال» الذى كان النصيب الاوفى منه خاصا بالروائى الكبير الأستاذ نجيب محفوظ صاحب جائزة نوبل ١٩٨٨ وكأنك كنت معنا تشعر بالجهد الذى بذلناه عندما فوجئنا بالنبأ الكبير ، فنحينا جانبا أكثر ما كنا أعددناه من مواد ، وأعددنا لهذا النبأ المفرح ما هو خليق به من الحفاوة التى استغرقت عشرات الصفحات ، كتبها أصحابها فى ساعات محدودات ، تعبيرا صادقا عن فرح الثقافة المصرية الذى طرق أبوابها فجأة وبغير انتظار ..

إن الدوى الذى أحدثته جائزة نوبل مازال يحيط باسم نجيب محفوظ ، بل إن شهر ديسمبر الحالى هو ذروة هذا الدوى الذى يملأ الآن ما بين المشرق والمغرب ، ففى اليوم العاشر من هذا الشهر يقام حفل الجائزة فى استكهلم عاصمة السويد ـ وطن الفريد نوبل مؤسس الجائزة ـ ولاشك أن دوى الجائزة العالمية حول نجيب محفوظ ، وبلاده مصر ، هو أبرز حدث فى تاريخ الأدب المصرى والعربى المعاصر منذ انطلق فى دنيا العرب دوى المهرجان الضخم الذى بايع فيه شعراء الأمة العربية شاعرنا أحمد شوقى بامارة الشعراء سنة ١٩٢٧ فكان المهرجان فرحا تاريخيا للثقافة المصرية والعربية .

● نتذكر الآن مهرجان شوقى ـ مرة أخرى ـ ونحن نقدم اليك ندوة الشعر التى اعتدنا تقديمها اليك فى أوقات معينة .. إننا ننشر فى كل عدد قصيدة أو قصيدتين ، ولكن «ندوة




نجيب محفوظ

احمد شوقى

الشعر» التى تطالعها فى هذا العدد تجمع قصائد كثيرة ، تتمثل فيها مذاهب الشعر من عمودية وتفعيلية ، فضلا عن اتجاهات موضوعاته واغراضه المختلفة ، وطرائف الشعراء التى تتنوع بتنوع أفكارهم ومنازعهم الوجدانية ..

ولانقول : هذا اللون من الشعر أفضل من ذاك ، ولكننا نقول مع شوقى أمير الشعراء :

والشعر فى حيث النفوس تلذه

لا فى الجديد ولا القديم العادى

نعم .. إن الشعر الجيد هو ما تلذه النفس ويأنس اليه الوجدان ، سواء كان شعرا جديدا ممعنا فى الجدة أو التجديد ، أو كان شعرا تليد الشكل ، قديم القوافى والأوزان ، عاديا فى موسيقاه ، أى منسوبا الى عهد عاد ، وهو العهد الذى مضت عليه الاحقاب ! ..

● وعلى مقربة من مجال الشعر تجد فى هذا العدد مقالا عن فن الاوبرا لمناسبة افتتاح دار الاوبرا المصرية الجديدة ، افتتاحا باهرا كان مهرجانا او فرحا ثقافيا ..

إن الاوبرا فن قديم فى أوربا ، حاولنا اللحاق به منذ سنة ١٨٦٧ حين بنى الخديو اسماعيل دار الاوبرا الرائعة التى احترقت سنة ١٩٧١ ولكن علاقتنا بفن الاوبرا تجمدت خلال هذا الزمن الطويل ، ولم تزد على استجلاب فرق اجنبية تعرض علينا الاوبرات الاوربية .. ومازال الحال يجرى على هذا المنوال بعد بناء الأوبرا الجديدة !.. وانظر معنا ـ عزيزى القارىء ـ مقال عن فن الاوبرا فى هذا العدد ، واحكم بنفسك ! ..

● ثم نلتقى فى هذا العدد بالمقالة الأولى من سلسلة مقالات بعنوان : «المائة الأعظم» .. يكتبها الاديب والباحث المعروف الاستاذ حسين احمد أمين عن أعظم مائة شخصية فى التاريخ العربى الاسلامى .

وغنى عن البيان ان هؤلاء المائة قد جاءوا جميعا بعد الصدر الاول من عظماء الاسلام ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين وكبار الصحابة ، أعظم درجة من أن تقام لهم الموازين ، وهم فوق الموازنة والمقارنة .. وكل عظيم من هذه الأمة على مدى




عزيزى القارئ

تاريخها الطويل ، فإنما هو مقتبس من نور هؤلاء العظماء الأولين الذين يتصاغر لهم أكابر الرجال فى التاريخ الانسانى كله ..

وسيجتمع من تاريخ العظماء المائة الذين اختارهم الاستاذ حسين احمد امين ما يشبه الموسوعة المبسطة التى تضم الأدب والتاريخ والسياسة والفن واللغة والعلوم المختلفة ، من خلال أسماء هؤلاء العظماء المائة المختارين من الادباء والشعراء والمؤرخين والعلماء والفقهاء والمقاتلين والساسة وغيرهم ممن لمعوا فى التاريخ العربى الاسلامى على امتداد الف سنة أو اكثر ..

وقد سبق ان قدم «الهلال» موسوعة الاشتراكية منذ عشرين عاما فى كتاب كبير ، بعد أن نشر مواد هذه الموسوعة خلال شهور طوال متوالية ، وكان لهذه الموسوعة فى حينها صداها الطيب ، ونرجو أن يكون للموسوعة العربية الاسلامية الموجزة التى ننشر لك موادها ابتداء من هذا العدد نفس الصدى الطيب ان شاء الله ..

● ثم لا نختم لقاءنا بك هنا حتى نتناجى قليلا حول «السعر» الذى تجده مكتوبا على غلاف الهلال ..

إن الصحف المصرية كلها ـ كما تعلم ـ قد زادت فى سعرها اضطرارا لمحاولة تعويض شىء من الخسائر الناجمة عن الارتفاع الشديد المتواصل فى الأسعار العالمية للورق !.. والحق أن هذا الارتفاع المستمر قد صار شغلا شاغلا لصحافتنا ، وهى لاتستطيع أن تلاحقه .. وإن أكثر الصحف عجزا عن ملاحقته لهى المجلات الثقافية والأدبية التى ليس لها موارد اعلانية تسد جانبا من الثغرة بين ما يذهب وما يجىء من النفقات ! ..

وما أشد الضيق الذى انتابنا حين اضطررنا الى زيادة السعر هذه الزيادة الطفيفة . ولكن لابد مما ليس منه بد ، ولانكتمك أن عدد «الهلال» يكلف أكثر من ضعف ثمنه . ولو كانت دار الهلال تعمل فى مجال الأدب والثقافة للكسب ، لبلغت بسعر الهلال حد التكلفة على الأقل ، ولكن مجلة الهلال هى العمل الثقافى الباقى على الزمن ، والذى تتحمل الدار فى سبيله كافة الأعباء ..

وقديما قيل لنا ان مصنعا لورق الصحف سينشأ فى مصر ، ولكن هذا المصنع مازال مشروعا يقال إنه سيقام فى احدى مدن الصعيد ، ولعله يقام فى وقت قريب ليكون أساسا لحل مشكلة الورق التى تتفاقم بلا انقطاع ! ..

وهلم ـ عزيزى القارىء ـ إلى هذه الباقة الحافلة من الشعر والأدب والتاريخ والفن ، ولتحاول أن تنسى معنا فى غمرة افراحنا الثقافية مشكلة الورق التى تطارد الثقافة والمثقفين .. ناهيك عن المشكلات الأخرى التى يضيق النطاق عن الالمام بها الآن ! ..

الطاهر



١٢ شهراً على ثورة الحجارة
مستقبل الانتفاضة الفلسطينية

بقلم : جميل مطر

راهن الكثيرون على ان الانتفاضه الفلسطينية لن تكمل عامها الاول . ولهؤلاء المراهنين عذرهم ومبررهم فى خوض هذا الرهان . فالانتفاضة عمل عربى ، ولم يتعود هذا الجيل على عمل نضالى عربى تمتع بهذا النفس الطويل وهذا الصبر . كما ان هذا الجيل واثق ان العالم الخارجى واذا اهتم بالعرب واعمالهم لفترة فانها لن تكون الافترة قصيرة يعود فيها الى طبيعته فى اهمالهم وتجاهلهم .

واستمرت الانتفاضة واكملت عامها الاول وقدمت نموذجا للصمود والصبر والنفس الطويل ولكنها مع ذلك لم تنجح فى ان تغير طبيعة علاقات العالم الخارجى مع العالم العربى . اذ بعد ان اهتم العالم بها لفترة ، عاد الى طبيعته فى التعامل مع القضايا العربية .

هذه الحقيقة تزداد ايلاما حين ينظر المراقب الى الانتفاضة نظرة مقارنة فانتفاضة الفلبينيين ايام ماركوس تلقفها الاعلام الغربى وجعلها محط اهتمام الرأى العام الدولى وحكومات الدول الكبرى حتى ان سقط ماركوس
وانتفاضة هايتى اثارت تدخل الدول الكبرى والهيئات الدينية الدولية وجماعات الضغط حتى اجبر دوفالييه على مغادرة البلاد • وانتفاضة التضامن فى بولندا تسببت فى عقوبات اقتصادية وتجميد علاقات دبلوماسية وايقاف معونات ، وتنافست دول عظمى وكبرى وصغرى واجهزة اعلامها على انها اقدر على تلميع صورة منظمة التضامن وزعيمها الذى استقبله بابا روما ، وحجت اليه السيده تاتشر •

انتفاضة اطفال وشباب فلسطين لعام كامل ، ومئات القتلى والاف الجرحى ، كلها لم تحرك العالم الخارجى مثلما تحرك لاسقاط ماركوس، ودوفالييه ، ومثلما يحاول تغيير بولندا ومؤسساتها ونمط حياتها •

هذه حقيقة نعرفها منذ زمن ، واعادت تكيدها الانتفاضة • ومن راهن على ان الانتفاضة تحرك العالم الخارجى لصالح الفلسطنيين خسر الرهان ، فالانتفاضة شأنها شأن كل الاعمال النضالية العربية ، ان لم تمس المصالح المباشرة للدول العظمى، وان لم تمس الخط الاحمر للمواجهة بين الشرق والغرب ، فان حكومة فى الغرب او الشرق لن تتحرك حركة غير عادية لتكسب للفلسطينيين حقوقا
لقد اخطأ الذين عاملوا الانتفاضة معاملة المقامر لورقة من اوراق اللعب، ورفضوا ان يتعاملوا معها كتطور اساسى وجوهرى فى قضية ممتدة طويلة الاجل • ولو نظروا اليها من هذا المنظور لادركوا حجم وعمق التغيير الذى احدثته ولادركوا حجم وعمق البذور التى غرستها فى داخل البيئة اليهودية وفى فلسطين وفى المنطقة باسرها •

لقد قامت التعبئة الصهيونية منذ وقت طويل خارج وداخل اسرائيل على اساس خطين متوازيين ، مضمون احدهما تضخم القمع الذى مورس فى اوروبا ضد الاقليات اليهودية وخصوصا فى فترة النازية ، اما مضمون الاخر فهو التهويل من نضال واستبسال المقاومة اليهودية ضد هذا القمع وخصوصا ضد النازيين بولنده •

فالخط الاول مبالغة لاشك فيها ، وفى الخط الثانى تزييف تاريخى بلا حدود • بل ان ضعف المقاومة المتناثرة كانت العقدة النفسية التى لازمت تطور الحركة الصهيونية منذ الحرب العالمية الثانية • وهى العقدة التى تثير حتى الان تبادل الاتهامات بين الجاليات اليهودية الاوربية والامريكية ، وداخل اسرائيل نفسها ، وهى ايضا العقدة التى تسببت فى ظاهرة الارهاب اليهودى ضد الفلسطينيين العزل كنوع من التعويض عن العجز او الخلاص من تعذيب النفس والضمير •

ومن خلال هذه الممارسات على مدى اربعين عاما بل اكثر وبسبب الانتصارات العسكرية ومع ظهور جيل جديد من مواليد اسرائيل ،كانت هذه العقدة تحل نفسها الى ان جاءت

انتفاضة المقاومة الفلسطينية تدق ابواب الذاكرة اليهودية بعنف ، فتفجرت ذكريات العجز اليهودى عن المقاومة ضد النازيين وغيرهم ، وتفتح جروحا فى الجسم العقائدى الصهيونى كادت تندمل ، وهو التطور الذى لا يمكن لمنظرى الصهيونية وقادتها ان يغفروه للانتفاضة وقادتها، بل هو التطور الذى سوف تكون آثاره العميقة ليس فقط على علاقات الشعبين الفلسطينين واليهودى بل على المجتمع الاسرائيلى بوجه خاص والحركة الصهيونية بشكل عام .

مرة اخرى - وعلى عكس مسار الصراع الاسرائيلى - احدثت الانتفاضة شرخا فى التكتل اليهودى العالمى ، فقد بنى اليهود لانفسهم سمعة سياسية فى مختلف المجتمعات الاوربية قوامها انهم ليبراليون ،ودعاة حضارة ، ومدافعون عن حقوق الانسان والطبقات والشعوب المغبونة ، ولم تهتز هذه السمعة خلال الحروب العربية والاسرائيلية او خلال المعارك مع المقاومة المسلحة الفلسطينية ،لان قادة اليهود استطاعوا ان يضعوا العرب فى موقف المعتدى وساعدهم على ذلك اتجاهات تقليدية فى مجتمعات الغرب تقف موقف العداء من الشعوب العربية ، وممارسات سلطوية او استبدادية عربية وظروف تخلف وقهر وقمع .

اما الانتفاضة الشعبية الفلسطينية فشىء آخر . فلم تفلح القيادة الاسرائيلية فى تصويرها كعمل ارهابى او عسكرى ، واجبرت ممارسات الانتفاضة يهود العالم على اتخاذ موقف الصمت تجاه قضية يبرز فيها بوضوح طرفاها القاهر والمقهور، وهو الموقف الذى لاشك سوف يدفع اليهود ثلمنه من خلافات وشقاقات . وربما من مكانتهم السياسية فى المجتمعات التى يعيشون فيها .

من ناحية ثالثة ، اسقطت الانتفاضة مقولة اليهود ان فلسطين ارض بلاشعب وهى المقولة التى دعمتها الممارسات الفلسطينية فى السابق ، حيث كان العمل النضالى الفلسطينى فى مجمله يتم خارج فلسطين ولا يشارك فيها شعب الداخل . لم تكن تظهر فى الصورة حينذاك سوى منظمة التحرير الفلسطينية بفصائلها المتعددة ونضالها فى اوروبا ولبنان وباكستان وغيرها، بحركتها السياسية والدبلوماسية والاعلامية ، وكلها ممارسات تبدو للرأى العام العالمى ممارسات جماعات قد تمثل او لا تمثل شعبا .اما الشعب فنضاله اما يخضع للتعتيم او لا يفرض نفسه على الرأى العام والاعلام الدولى حتى جاءت الانتفاضة لتعلن ان هناك ارضا بشعب ، وتلغى تماما مقولة ارض بلا شعب ، اذ لم يعد ممكنا ان يصدقها احد بعد ان استمر الشعب ثائرا عاما كاملا .

اما على الصعيد الفلسطينى فقد غيرت الانتفاضة تغييرا مهما فى نسيج الفكر والعلاقات الفلسطينية والعلاقات الفلسطينية العربية ، وهو التغير الذى قد يصل الى حد التحول الجذرى فى المستقبل .

فعلى جانب الفكر والعلاقات الفلسطينية ، احتلت الانتفاضة مكانة الاولوية فى النضال الفلسطينى بعد ان ازاحت المنظرين والعقائديين التقليديين . ولانها تعاملت مع الواقع على ارض الداخل ، وواجهت البطش والغطرسة دون حماية خارجية ، وحاربت بدون مخابئ ولا خنادق وبعيدا عن التلال والجبال وبغير رصاص

ولا صواريخ ، فقد صارت التعبير الاقوى ـ وربما الاكثر مصداقية ـ فى الحركة الراهنة للنضال الفلسطينى
ومن هذا الموقع فرضت على فصائل النضال الفلسطينى الاخر هدنة فى الحرب الناشبة بينها ، لانها جعلتها أى هذه الفصائل المتناحرة ـ تبدو سخيفة ، وهزيلة • وجعلت حربها تبدو على حقيقتها ، صراعات زعامات او صراعات وكالات ، وجعلت خلافاتها الايديولوجية تبدو خلافات فلسفية فى افضل الاحوال وسفسطة بيانات ومجالس ونوادى وشلل فى احوال اخرى • وكانت تقول لكل الفصائل ، لقد امهلتاكم طويلا ، والان جاء دور الشعب الصامد حقيقة على الارض ليقود النضال ، وعليكم ان تتبعوه وتنفذوا رغباته او تنفضوا

الا ان هذا التحول الجذرى فى علاقة الشعب بفصائل الخارج لا يعنى ان الشعب الثائر قد تخلى عن منظمة التحرير الفلسطينية او عن قيادته التى يجسدها ياسر عرفات • فالشعب فى حاجة للرمز الذى يجسد وحدته ومطالبه وينظم اموره الدولية ويحافظ على استمرار القضية على جدول اعمال المجتمع الدولى ويعى حقيقة ان غياب هذا الرمز يخدم قوة الاحتلال التى يسعدها ان تفصل بين شعب الداخل والمنظمة •
وفى جانب اخر اثارت الانتفاضة مجددا وبشكل حاد مشكلة قومية وقطرية النضال الفلسطينى وهى قضية مطروحة منذ بدايات النضال الفلسطينى • قضية لم تحسم بسبب ظروف النظام العربى وعلاقات اطرافه بمنظمة التحرير الفلسطينية وطبيعة تشكيل وانشطة وتواجد هذه المنظمة • فالمنظمة حين صارت طرفا فى تفاعلات النظام العربى اضطرت لان تلعب ادوارا فى عملية التحالفات والمحاور لتحافظ على نفسها ولتكسب التاييد العربى المتواصل للقضية • ولذلك كان من المعتاد التشكيك فى حقيقة تمثيلها لشعب الداخل حتى من جانب اطراف عربية التزمت دوليا وعربيا بان المنظمة هى الممثل الشرعى الوحيد •

وجاءت الانتفاضة لترفع هذه الوصاية العربية ، وتنتزع المنظمة نسبيا من اسار ثنائية القومية والقطرية ، لانها حين احتلت مكانة الصدارة الفكرية والعملية فى حركة النضال الفلسطينى ، وضعت فعليا اطارا جديدا لكل الاجتهادات من كافة الاطراف •
ولم يعد الاجتهاد من جانب قطر او حزب عربى ، او من جانب فصيل من فصائل المنظمة يقدم كحل حتمى وحيد، او يصاغ بصياغات ابتزاز وتهديد او يوضع كورقة مساومة من اجل تحقيق اهداف اخرى • هذا الاطار الجديد الذى وضعته الانتفاضة يستند الى شروط مرجعية اولها واهمها ان هناك شعبا منتفضا لمدة عام ، اى انه ليس من حق احد مهما كانت دوافعه قومية ونبيلة ونضالية • ان يزايد عليه ، او يتجاهله •
من جانب ثالث ، ولعله اهم الجوانب ، فان الانتفاضة بتواصلها اثنى عشر شهرا • قد جددت دماء الثورة الفلسطينية وبثت روحا جديدة فيها • ان الاطفال الذين يشاركون فى الانتفاضة ، انما يشاركون حقيقة فى

وضع اسس ثورة اطول عمرا مما كان يتوقع لها اليهود والعالم الخارجي ٠

ويشاركون ايضا في اعادة صياغة فكر وممارسات المقاومة السلمية والعصيان المدنى فى مواجهة احدث الاساليب والادوات التكنولوجية فى القمع ، ويقدمون نموذجا خطرا فى منطقة ملتهبة نموذج عصيان الانسان الذى يشعر بالتاكل التدريجى والمتواصل فى حقوقه وممتلكاته ومصادر دخله ومستقبله ومستقبل اولاده ٠

لقد اثمرت الانتفاضة نتيجتين مرتبطتين ، والمتوقع لهما ان تتفاعلا خلال العام القادم بشكل سوف يؤثر حتما على الكثير من تفاعلات المنطقة٠

المتوقع اولا هو استمرار المواجهة ٠ ولا يعنى هذا الاستمرار ان تستمر الانتفاضة فى ابسط درجات العنف فى مواجهة اقصى درجاته ، بل المنطقى ان يضطر الشعب الفلسطينى الى استخدام درجات اعلى ومتنوعة من العنف ، وربما لجأ فى المرحلة القادمة الى استخدام انواع واليات مختلفة من العصيان المدنى ٠

هذا التنويع فى اساليب العنف ودرجات وفتواته له مزايا متعددة ، فالى جانب انه منهك للقدرات الاسرائيلية ، وعبء على نظم التعبئة والحشد العسكرى ، فهو ايضا قد يسمح ـ اذا احسن التخطيط له ـ بتشغيل افضل الطاقات الانتاجية الفلسطينية ، وتدريب الشباب على اساس اساليب جديدة ، للمقاومة السلمية او المسلحة ونشر الاضطراب فى سوق العمل ، وبالتالى تعطيل المشروعات الاقتصادية الاسرائيلية ٠

ولاشك ان الثمن سيكون باهظا على الانتفاضة لن يأتى فقط من الجانب الاسرائيلى ، فالاطراف الدولية لن تسمح للانتفاضة بان تحقق امرين ، أن تصبح عبئا لا يحتمله الاستقرار السياسى والتفوق العسكرى فى اسرائيل ، او ان تصبح نموذجا تقتدى به حركات شعبية اخرى فى مناطق حساسة فى العالم العربى ٠

ففى الحالتين تكون الانتفاضة قد اقتربت من خطوط المصالح المباشرة للدول الكبرى ، ومن خط المواجهة الامريكية ـ السوفييتية ٠

والمتوقع فى هذه الحالة هو ان تلجأ القوى الخارجية الى اتخاذ عدد من الاجراءات المتكاملة ، اهمها مواصلة فرض الحصار الاعلامى على انباء الانتفاضة ووحشية العنف الاسرائيلى وتصعيد محاولات خنق المجتمع الفلسطينى اقتصاديا ، حلقات متصلة من المبادرات السياسية مشروطة بوقف الانتفاضة او تهدئتها خطط للايقاع بين قيادة منظمة التحرير الفلسطينية وقيادات الداخل ، تصعيد الانقسامات بين الفصائل العاملة بالوكالة ومحاولة نقل هذه الانقسامات الى الداخل ، اثارة مشكلات طائفية او اقليمية داخل الوطن المحتل ٠

والنتيجة الثانية التى اثمرتها الانتفاضة والتى يحتمل ان تكون لها اثار كبيرة ، هى المتعلقة بحالة الشلل التى اصابت النخبة السياسية الاسرائيلية ، هذا الشلل عبرت عنه افضل تعبير نتائج الانتخابات الاسرائيلية ٠

فالنخبة الاسرائيلية الحاكمة التى شاخت لم تعد قادرة على توليد افكار او مبادرات جديدة ٠

فجاءت نتيجة الانتخابات تحمل معنى توجه اسرائيل ، باكملها نحو انتهاج سياسة التخندق الجماعى امام احتمالات فلسطينية ودولية متعددة لايقوى الفكر الصهيونى التقليدى على مواجهتها ٠



• قوة الكلمة المكتوبة •

هل مضى عصر الكتاب؟

د. أحمد أبوزيد

من القصص التى يحب بعض علماء الانثربولوجيا الاستشهاد بها للتدليل على عمق التغيرات التى تطرا على انماط الحياة والفكر فى المجتمعات ((التقليدية)) حين تتعرض لتاثيرات الحضارة الحديثة ومفاهيمها قصة احد ((امراء)) غرب افريقيا القبليين الذى تلقى تعليمه فى احدى الارساليات ثم اكمل ذلك التعليم فى الغرب وكتب قصة حياته فى كتاب يعتبر فى الوقت ذاته سجلا اثنوجرافيا رائعا للعادات والتقاليد واساليب التفكير فى افريقيا ..

الامير اسمه موديبوب ، والكتاب عنوانه « كنت متوحشا » وهو عنوان له دلالته ومعناه · وجزء كبير من الكتاب يدور حول ما يمكن تسميته بالكلمة المكتوبة او الكلمة المطبوعة فمفتاح الحضارة فى نظر موديبوب والانتقال من حالة الوحشية الى حالة الحضارة الحديثة هى تعلم القراءة والكتابة · والكتاب يعكس فى اكثر من موضع مدى افتتان الامير بتلك التجربة لاول مرة · فهو يقول مثلا :

« ان المكان الوحيد المزدحم فى بيت الاب بيرى كان ارفف الكتب · ولقد بدأت ادرك شيئا فشيئا ان العلامات المرقومة على صفحات الكتب كانت عبارة عن (الفاظ محبوسة) وان اى شخص كان يستطيع ان يتعلم كيف (يفك) طلاسم تلك الرموز ويحرر هذه الالفاظ من الشرك الذى وقعت فيه فيطلق سراحها منه ويحولها الى كلام حقيقى · لقد كان حبر الطباعة يحبس الافكار ويقيدها ، ولم يكن فى استطاعة تلك الالفاظ ان تتخلص من ذلك الشرك الا بقدر ما يستطيع الحيوان الحبيس ان يخرج من الحفرة التى سقط فيها · وحين ادركت المعنى الحقيقى لهذا كله احسست بنفس النشوة ونفس الدهشة اللتين احسست بهما حين رأيت لاول مرة فى حياتى اضواء المدينة الباهرة فاهتز كيانى بعنف من قوة الرغبة فى ان اتعلم كيف افعل هذا الشىء فى الواقع بنفسى » ·

والامر لا يقتصر على الالفاظ التى تتحول الى علامات على الورق بالكتابة وانما هو يمتد لكى يشمل ويغطى كثيرا من المفاهيم والمقولات التى لها معنى واضح فى ذهن الافريقى التقليدى فاذا بها تصبح مجرد علامات ورموز تحتاج الى من يفك طلاسمها واسرارها ويحررها من الاسر ويشير الامير موديبوب الى ذلك حين يصف لنا كيف تعلم ان (يقرأ) المخرائط فى المدرسة وما حدث حين حمل معه الى القرية خريطة للنهر المجاور الذى اعتاد ابوه ان يعبره لسنوات طويلة بقصد التجارة ، ورد الفعل الذى قوبلت به الخريطة :

« كان ابى يرى ان الفكرة كلها مجرد عبث لا معنى له ·وكان يرفض تماما ان يرى فى الخريطة ذلك النهر الذى كان يعبره عند بوماكو والذى لم يكن اعمق من قامة الانسان على امتداد مساحات واسعة من المياه فى دلتا النيجر · فلم يكن لقياس المسافات بالكيلومترات ، او الاميال اى معنى او اهمية بالنسبة له · كان يرى باختصار ان الخرائط هى مجرد اكاذيب ضخمة واحسست من كلامه ومن نبرات صوته اننى جرحت شعوره بطريقة لم اتبينها تماما آنذاك فالخرائط لا تبين الاشياء التى تؤلم الانسان مثلا ، بينما يستمد المكان الفيزيقى حقيقته وواقعه من البهجة او الالم الذى يسببه ذلك المكان للانسان ··· »

وهذا كله يبين كيف ان الكلمة المكتوبة او العلامة المطبوعة تتعارض مع الثقافة التقليدية ومع الكلام المنطوق الذى هو اداة ووسيلة التواصل ونقل تلك الثقافة التقليدية والذى يحمل فى ثناياه تعبيرات وانفعالات لا يمكن ان نتبينها فى الكلمة المطبوعة · فالكلمة المنطوقة لها ذاتية ولها شخصية متميزة لانها تعبر عن ثقافة محلية محددة بكل مقوماتها الواضحة كما تعبر عن انفعال المتكلم بتلك الثقافة المحلية ، وذلك بعكس الكلمة المطبوعة التى تكتسب طابعا عالميا عاما وتستمد قوتها من (لاشخصانيتها) · ومن هنا كانت هذه العلامات المطبوعة هى مفتاح

هل مضى عصر الكِتاب؟

الحضارة الانسانية والمدخل الى هذه الحضارات لانها هى التى تنقل الى الانسان القارىء خلاصة الفكر الانسانى الذى لا تحده اية حدود مكانية او زمانية ضيقة وتفتح بالتالى امامه افاق الحضارة الانسانية العميقة المتنوعة على مصاريعها ٠ ومن هنا ايضا احتل الكتاب مكانه ومكانته بين ادوات ووسائل الاتصال والتواصل الحضارى والثقافى الرئيسية ٠

وهذا هو الذى دفع الكثيرين من علماء الانثربولوجيا الى اعتبار اختراع الكتابة بمثابة (الاعلان الرسمى) لانتهاء عصور ما قبل التاريخ ومولد الحضارة الانسانية بالمعنى المفهوم من الكلمة ٠ وبعد ان كانت الكتابة الانثربولوجية تعرف الانسان بانه (الحيوان الوحيد المتكلم) او (الناطق) اصبحت تعرفه بانه(الحيوان الوحيد الكاتب القارىء) وهذا معناه ان المسالة ليست مقصورة على (اختراع) الكتابة وانما هى تتعدى ذلك الى (استخدام) هذه الكتابة والمجالات التى تستخدم فيها٠ وبعد ان كانت الكتابة تستخدم فى اول الامر فى مجالات محددة ومحدودة لا تكاد تتعدى امور الدين والسحر وكان استخدامها مقصورا على عدد محدود من الاشخاص الذين يشتغلون بهذه الامور اصبحت تستخدم على نطاق واسع بتقدم الزمن بحيث شملت كل جوانب النشاط البشرى والمعرفة الانسانية ٠

● ازمة الكلمة المطبوعة

ومع ذلك فهناك من الكتاب من يتشككون فى الدور الذى يلعبه الكتاب الان كاداه للثقافة ووسيلة لنشرها وينظرون نظرة التشاؤم الى مستقبل الكاتب ومستقبل الكلمة المكتوبة او المبدوعة ، ويرون ان الكتاب والصحيفة والمجلة ٠ وهى كلها ادوات ووسائل نقل المعرفة وتوصيلها من خلال الكلمة المكتوبة المقروءة تتعرض لخطر التوارى والتراجع والانزواء ان لم يكن الاختفاء والانتشار تماما امام التغيرات الهائلة التى تحدث الان نتيجة للثورة الالكترونية فى مجال الاتصال والتواصل ٠ فقد ادت هذه الثورة الى ان يصبح التليفزيون هو الوسيلة الاولى والاكثر فاعلية وتاثيرا فى نشر الثقافة ليسود الان الراى بان الثقافة التليفزيونية هى ثقافة العصر نظرا لامكان توصيلها بسهولة الى اكبر عدد ممكن من افراد المجتمع ··· اى مجتمع ··· ولانها تستطيع ان تخاطب الجماهير الواسعة العريضة التى قد لا تحتاج الى الالمام بالقراءة والكتابة، كما انها تستطيع تبسيط الامور المعقده وتقريبها الى الاذهان البسيطة بشكل قد يعجز عنه الكتاب او الصحيفة أو المجلة ٠ وقد انتقل البعض من هذا الراى الى راى اكثر خطورة واثارة للقلق وهو ان هذه الثقافة التليفزيونية تنذر بنهاية عصر الكتابة والقراءة كما تمثل تهديدا حقيقيا ومباشرا للكتاب كوسيلة واداة فعالة وعملية فى المجال الثقافى ٠. وهو راى يحتاج الى تامل ومراجعة فى ضوء الواقع والشواهد العيانية ، خاصة وان الكتاب لا يزال يعتبر حتى الان فى نظر الكثيرين هو الوسيلة الاساسية للثقافة ، ولا يزال يرتبط بها فى اذهان الناس ، بينما يقوم التصور الرئيسى

للتليفزيون على انه وسيلة للترفيه اكثر منه اداة للثقافة وبخاصة الثقافة الرفيعة والعميقة ٠

● ثورة الكتاب

والواقع انه على الرغم من كل ذلك الانتشار الواسع لرسالة الراديو والتليفزيون في مجالات الثقافة المختلفة فلا تزال الكلمة المكتوبة او المطبوعة هي سيدة الموقف - ان صح هذا التعبير ، ولا يزال الكتاب هو الوسيلة الحقة للثقافة بكل مستوياتها وبالذات الثقافة الرفيعة ٠ وعلى الرغم ايضا من كل المعوقات والصعوبات التي يصادفها الكتاب والتي قد تحد من انتشاره او التي قد تصرف الكثيرين عن القراءة فان (صناعة) الكتب تعتبر واحدة من اهم الصناعات رواجا وتقدما في كثير من انحاء العالم وهذا يصدق الى حد كبير على العالم النامي او المجتمعات النامية التي تدخل مصر في دائرتها ٠ بل ان صناعة الكتاب تمر الان في راي بعض المفكرين بما يشبه الثورة ، لدرجة ان الكثيرين منهم يستخدمون الان بالفعل تعبير (ثورة الكتاب) للاشارة الى الاوضاع العامة المتعلقة بامور التاليف والطباعة والنشر والتوزيع وشدة الاقبال عليه ٠ والنظرة السريعة الى انتشار المكتبات واكشاك بيع الكتب والمحلات سواء في الشوارع والميادين او محطات السكك الحديدية وقيام موزعي الصحف ببيع الكتب - او على الاقل نوعية معينة من الكتب العامة وغير المتخصصة - دليل على ذلك الاقبال على القراءة ، وان كانت تنقصنا الاحصائيات هنا ٠

فالمشكلة الحقيقية التي يجب علينا مواجهتها ليست الآن هي رواج هذه الصناعة او كسادها وانما المشكلة التي يجب أن نعطيها مزيدا من الاهتمام هي نوع (السلعة) التي تعرضها هذه الكتب وجودتها ومستواها وطريقة عرضها والموضوعات التي تتناولها ومدى جديتها واحترامها لعقل القارىء وارتباطها بثقافة العصر والدور الذي يمكن ان تلعبه في تنوير الاذهان واثارة التفكير وخلق الوعي الكافي بمشكلات المجتمع والانسان المعاصر والقدرة على ربط القارىء بتيارات الفكر واتجاهاته في العالم الخارجي ٠ فهذه وامثالها هي المشكلات الحقيقية التي ينبغي ان تشغل اذهان الباحثين والمهتمين بشئون الثقافة ، والتخطيط لمستقبلنا الثقافي ٠

وانا لا اقصد هنا بطبيعة الحال الكتب العلمية المتخصصة فهذه يكون انتشارها محدودا للغاية بحكم تخصصها وتعمقها في معالجة الموضوعات التي تعرض لها وهذه بذلك تخرج من نطاق الكتب الثقافية او كتب الثقافة العامة وتدخل في باب الكتابات الوظيفية ٠ ولكن الذي اقصده هو الكتب الثقافية الجادة او الرصينة التي تتناول موضوعات عامة وبشكل جاد ومتعمق والتي تستحق لذلك العمل على نشرها في اوسع نطاق ممكن لانها هي التي تساعد على ظهور الفئات المثقفة في المجتمع ثقافة عالية وعميقة ٠ فهذا النوع من الكتب قلما نجد اقبالا على نشرها من الناشرين او اقبالا على اقتنائها من القارىء العام ، وهي تعاني من قلة التوزيع نسبيا حتى في المجتمعات الاكثر تقدما ٠ ومن الطريف في هذا الصدد ان احد مديري النشر باحدى الجامعات الامريكية لاحظ مدى انصراف القراء عن الكتب الجادة الرصينة فاوصى في نهاية حياته بانشاء هيئة لترويج الكتاب الجاد الذي لا يجد اقبالا شديدا عليه واقترح

هل مضى عصر الكتاب؟

ان تسمى تلك الهيئة باسم (نادى الكتاب غير الرائج) او (نادى الكتاب غير المحبوب ، وذلك اسوة بنوادى الكتب التى تنتشر فى الخارج والتى تتنافس فيما بينها تنافسا شديدا على تقديم الكتب العامة المشوقة لاعضائها باثمان مخفضة جدا تشجيعا للقراءة وتوزيع الكتاب ذاته على اوسع نطاق وقد اقترح فى سخرية ومرارة ان تفتح هذه الهيئة او النادى باب عضويتها لكل من يريد الانضمام اليه بغير قيود وان الشرط الوحيد هو ان يقبل العضو هدية مجانية عند انضمامه وهى عبارة عن كتاب (براغيث شواطىء المحيط الهادىء) ، وهى سخرية تكشف عن حقيقة الواقع المؤلم من الانصراف عن الكتاب العلمى الجاد الى الكتب الاكثر اثارة وتشويقا والتى تصطبغ فى العادة بالتفاهة والسطحية .

● الكتاب هو انتشاره

واذا نحن صرفنا النظر ولو مؤقتا عن موقف هذا الاستاذ الجامعى المهتم بعمليات نشر الجاد العلمى الرصين فاننا نجد ان (ثورة الكتاب) تعبر عن نفسها فى الحقيقة والواقع فى عدد من المظاهر الهامة مثل ازدياد الاقبال على القراءة وعلى اقتناء الكتب بشكل عام والتسهيلات الكثيرة التى تلقاها صناعة الكتاب والتى تتمثل فى تقدم اساليب الطباعة بشكل يتماشى مع زيادة الاقبال على الكتب . ليس من شك فى ان التغيرات الاجتماعية والاقتصادية التى طرأت على كثير من المجتمعات منذ اواخر القرن الماضى والتى بلغت اوجها وقمتها منذ النصف الثانى من هذا القرن ، كان لهـا دخل كبير فى قيام (ثورة الكتاب) . فالزيادة السكانية الهائلة فى كل انحاء العالم وانتشار التعليم بين مختلف الطبقات بل ومجانية التعليم فى كثير من المجتمعات وتنفيذ مشروعات محو الامية فى الدول المختلفة واتساع افاق الثقافة وتنوعها وتيسير الوصول اليها والتشجيع على الاقبال عليها ساعدت كلها على ادراك اهمية الكتاب وبالتالى الاقبال على القراءة وعلى اقتناء الكتب .

وانتشار الكتاب ورواجه هو الذى يعطى الكتاب قيمته وأهميته وهو الوسيلة الواضحة للاعتراف بوجوده وبوظيفته وبرسالته وتاثيره فى حياة الفرد والمجتمع . وهناك تعبير طريف ولكنه عميق فى دلالته وهو أن «الكتاب هو انتشاره » ، أى أن الكتاب لن يحقق وظيفته ودوره الا عن طريق الذيوع والانتشار بين الناس ، وأن الكتاب لا يصبح كتابا الا حين يجد من يقرأه وبغير ذلك فانه يكون مجرد كلمات والفاظ وحروف وعلامات مطبوعة ، وقصة الامير الافريقى موديوب وتجربته أمام الكتاب والقراءة وفك رموز العلامات المطبوعة على صفحاته مصداق لهذا القول ، بل ان تاريخ الكتاب نفسه وما طرأ عليه من تغيرات وتحولات فى الشكل وفى الاخراج وفى المادة التى كان يصنع منها فى مختلف العصور تؤكد صحة هذا القول . فقد كانت هذه التغيرات والتحولات تصدر دائما عن رغبة الانسان فى العمل على نشر (الكتاب) وتذليل الحصول عليه واقتنائه عن طريق تحسين شكله واختيار المادة التى يصنع منها والاداة التى تستعمل فى الكتابة والوسيلة

التى تساعد على انتشاره وذيوعه بين (القراء) ابتداء من النقش على الجدران والصخور فى الكهوف القديمة التى كان يسكنها الانسان الاول ، الى الكتابة على العظام ولفائف البردى والرق حتى استخدام الورق ؟ وكذلك ابتداء من استعمال أدوات الحفر الحجرية أو الحديدية الى الكتابة باليد باستخدام الاصباغ والالوان الطبيعية الموجودة فى البيئة المحلية الى الطباعة بأشكالها ومراحلها المختلفة وحتى استخدام التصوير الضوئى فى الوقت الحالى وغير ذلك من الاساليب التكنولوجية الحديثة التى تعمل بغير شك على تيسير وتسهيل طبع أعداد كبيرة جدا من النسخ بأسعار منخفضة وبالتالى تيسير القراءة والاطلاع ٠ وبعد ان كان اقتناء الكتب مقصورا على الطبقات الغنية والموسرة والتى كانت تأخذ على عاتقها فى القرون السابقة مهمة تشجيع الثقافة بألوانها المختلفة وتحيط نفسها بالمثقفين والمبدعين اصبح الكتاب الان بفضل هذا التقدم فى وسائل الطباعة والنشر فى متناول القارىء العادى الذى يتخذ من القراءة وسيلة لتوسيع أفقه أو حتى لتمضية وقت الفراغ ، فلقد اصبحت القراءة فى الوقت الحالى (هواية) عند عدد كبير جدا من الناس فى مختلف المحيطات ، وأصبحت هذه الهواية (ظاهرة) من أهم ظواهر العصر الحديث فى العالم الغربى على الاقل ، ولكنها ظاهرة تستحق الدراسة والتعمق فى معرفة ملامحها وآثارها فى المجتمع الغربى عسى ان نخرج منها ببعض الدروس التى تساعد على تشجيع القراءة واقتناء الكتب فى مجتمعاتنا نحن ، وان كانت هناك على أية حال دلائل واضحة على اتجاه كثير من الشباب عندنا الى القراءة ٠٠ ولكن السؤال المهم هنا هو : أى نوع من القراءة يقبلون عليه الان ؟ هذا هو ما يجب البحث عنه ٠

الكتاب فى مصر

ويدعونا الانصاف الى الاعتراف بالجهود الطيبة التى تبذل الان لترسيخ هذه (الثورة) وتوسيع نطاقها فى العالم كله بما فى ذلك المجتمع المصرى وتتخذ هذه الجهود أشكالا كثيرة لعل أوضحها وأهمها وأكثرها فاعلية هو الاهتمام بنشر السلاسل أو المجموعات التى تغطى جوانب الثقافة المختلفة وتباع بأسعار زهيدة لتشجيع الاقبال على القراءة ٠ ومن الخطأ الاعتقاد بأن هذه (السلاسل) أو الطبعات الشعبية لا تنشر سوى الكتب الخفيفة أو الطريفة المشوقة٠ فكثير منها ينشر أعمالا رصينة لها قيمتها ومكانتها فى تاريخ العلم والثقافة ٠ ولكن الانتاج الواسع الكبير وطبع هذه الكتب على ورق عادى رخيص وتغليفها بغلاف من الورق العادى بدلا من التجليد الفاخر هى التى تؤدى الى انخفاض الثمن وبالتالى الى سعة الانتشار والتداول٠ والفكرة ذاتها قديمة وترجع فى الحقيقة الى أواخر القرن الماضى فى أوروبا ، ثم اتسع نطاق تنفيذها قبل الحرب العالمية الثانية حين شهدت بريطانيا بالذات بعض هذه المجموعات أو السلاسل العامة مثل مجموعة بنجوين التى تعتبر أشهر هذه المجموعات والسلاسل وأرخصها وأكثرها انتشارا وذيوع حديث ٠ وقد عرفنا نحن أنفسنا هنا بعض المجموعات والسلاسل التى كانت تصدرها بعض دور النشر المصرية الكبرى والتى تتفاوت تفاوتا كبيرا فى مجال المجالات الثقافية التى تهتم بتغطيتها وفى

هل مضى عصر الكتاب؟

المستوى العلمي والثقافي • ولكن أحد الامثلة الطيبة لهذه السلاسل هي سلسلة الالف كتاب التي أصدرتها منذ سنوات ادارة الثقافة في مصر ثم سلسلة الالف كتاب الثانية التي تصدرها الان الهيئة المصرية العامة للكتاب •• فهذه كتب قيمة ورخيصة وتصلح اساسا صلبا لنشر الثقافة الرفيعة الراقية والعالمية بين عامة القراء في مصر والعالم العربي

والذي يثير في النفس الارتياح هو انه على الرغم من كل الدور الـــذي يلعبه التليفزيون في المجال الثقـــافي وعلى الرغم من كل التخوف الـــذي يبديه المهتمون بأمور الثقافة عن طريق الكلمة المكتوبة والمطبوعة فان حركـة صنع الكتاب ونشره ظلت كما قلنـــا في تقدم واطراد ولكن كان يتعين على هذه الصناعة أن تطور نفسها لتواجه المزاحمة الخطيرة من التليفزيون وبقية وسائل الاعلام والثقافة الجماهيرية • وقد أدى ذلك الى ادخـــال كثير من التجديدات على شكل الكتاب التقليدي وطريقة اخراجه وبخاصة فيما يتعـلق باخراج الغلاف الخارجي الذي يعتبـر في كثير من الاحيان لوحة فنية رائعة يتفنن الرسامون في وضعها والتخطيط لها • ولا يقتصر ذلك على كتب الثقافة العامة وانما امتد الى الكتب المدرسية في الخارج كوسيلة لتحبيب النشىء في القراءة وترغيبهم فيها وتكوين عادة القراءة عندهم منذ الصـــغر • وهي ناحية نغفلها عندنا ولا نكاد نعطيهـــا اي قدر من اهتمامنا بحيث ان الكتـب المدرسية عندنا تتولى في الحقيقة عملية تنفير التلاميذ من القراءة بسبب سوء اخراجها ورداءة الورق الذي تطبع عليه

وانحطاط مستوى الطباعة • وليس من شك في أن ذلك يعتبر من أهم الاسباب التي تجعل القـــراءة عندنا لا تؤلف عنصرا في حياتنا اليومية كمـــا هو الشأن في المجتمعات الاكثر تقـدما •

والمشاهد على اية حال ان بيوتنا تكاد تخلو من وجود مكتبة فيها الا فيما ندر مع أن الكتاب كان فيما يبدو – يؤلف حلما من الاحلام الجميلة التي يهفـــو اليها الانسان المصري في فترة قديمة من تاريخه الطويل العريق •

والحكيم المصري القـــديم خميتي دواوف يقول في أحد تعاليمه :« ليتني أستطيع أن أجعلك تحب الكتب اكثـــر مما تحب أمك ، وليت في استطاعتي أن ابرز لك ما في الكتب من روعـــة وجمـــال • فالكتابة أشرف مهنة في الوجود » •

وربما كانت هذه العبـارة هي اول حكمة أو عظة سجلها تاريخ البشريـة عن الحث على حب الكتب والتشـجيع على القراءة وابراز الدور الذي يمكن ان يلعبه الكتاب في حياة الفـــرد والمجتمع بل وفي تشكيل الحضـــارية الانسانية كلها ، ولذا فليس بغـــريب ابدا ان يكون احد التماثيل الرائعـــة التي تركها لنا المصريون القدماء هـــو تمثال الكاتب المصري الشهير •

فهل يمكن لنا ان نتعقل معنى هـذه العظة التي صدرت عن خميتي دواوف منذ الاف السنين ؟ وهل يمكن لنـــا أن نستوعب ايضا معنى ان يكون احـــد تماثيلنا القديمة العريقة هو تمثـــال كاتب يجلس وقد فتح امامه الكتاب ؟ لعل وعسى •

أقوال معاصرة

● نحن مع تيار التاريخ ٠

ياسر عرفات

● **اقوال معاصرة**

● لو حدث أن تخلى عنى الدافع للكتابة فى أى يوم ، فاننى اتمنى ان يكون هذا اليوم اخر ايام عمرى ٠

نجيب محفوظ

● نجيب محفوظ راهب من رهبان الكتابة ، والادب العربى بحاجة الى رهبان ٠

نزار قبانى

● لا اريد ان اصبح جزءا من الماضى ٠

فيروز

● لست موظفا بل فنانا ٠

المخرج السوفييتى
((ايليم كليموف))

● نحن ما نأكل ٠

رى تانهيل صاحبة كتاب
الطعام فى التاريخ

● الانتخابات اثبتت ان اسرائيل واحة الديموقراطية بالمنطقة ٠

فرانك كارلوتشي وزير
الدفاع الامريكى

● كانت الحملة الانتخابية صراعا بين البلهاء والعجزة ، وانتهت بفوز البلهاء ٠

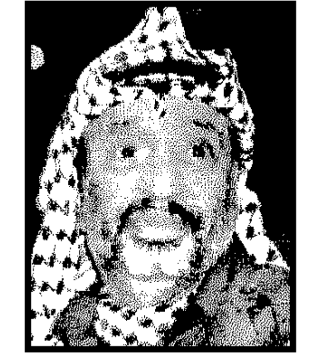
ايزر وايزمان منظم حملة
حزب العمل الانتخابية

● الانجازات التى تحققت للشعب الامريكى خلال فترة حكمى جعلت العالم كله يحسده عليها ٠

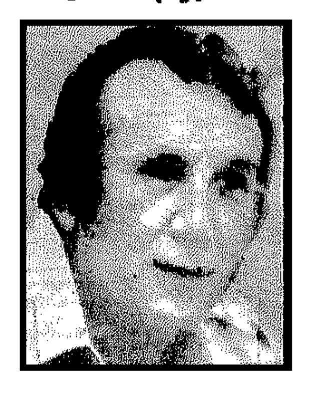
رونالد ريجان

● مازلت عند رايى فى ان الخالدين اعظمهم محمد ٠

مايكل هارت مؤلف
كتاب ((الخالدون مائه))


ياسر عرفات


نجيب محفوظ


نزار قبانى

القفز على

الأشواك

بقلم: د. شكري محمد عياد

لغة الحب

يقول ابن حزم الأندلسى فى أول « باب الإشارة بالعين » من كتاب « طوق الحمامة » :

« ثم يتلو التعريض بالقول ، اذا وقع القبول والموافقة ، الإشارة بلحظ العين ، وانه ليقوم فى هذا المعنى المقام المحمود ، ويبلغ المبلغ العجيب ، ويقطع به ويتواصل ، ويوعد ويهدد ، وينتهر ويبسط ويؤمر وينهى وتضرب به الاوعاد ، وينبه على الرقيب ، ويضحك ويحزن ويسال ويجاب ، ويمنع ويعطى ».

« ولكل واحد من هذه المعانى ضرب من هيئة اللحظ لايوقف على تحديده الا بالرؤية ، ولايمكن تصويره ولا وصفه الا بالاقل منه ، وانا اصف ماتيسر من هذه المعانى »





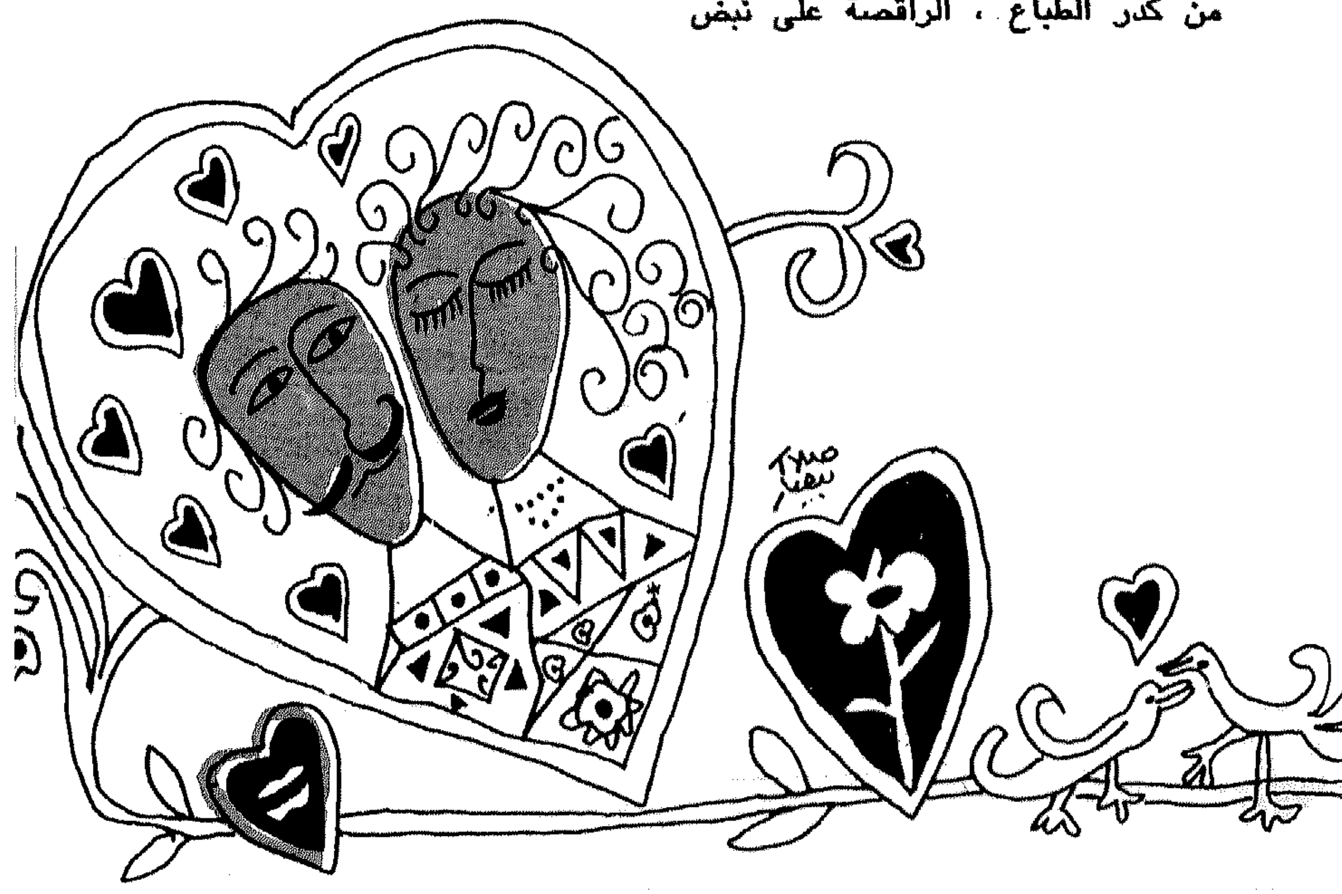
فالاشارة بمؤخر العين الواحدة نهى عن الأمر وتفترها اعلام بالقبول ، وادامة نظرها دليل على التوجع والاسف ، وكسر نظرها اية الفرح ، والاشارة الى اطباقها دليل على التهديد ، وقلب الحدقة الى جهة ماثم صرفها بسرعة تنبيه على مشار اليه ، والاشارة الخفية بمؤخر العينين كلتيهما سؤال ، وقلب الحدقة من وسط العين الى الموق بسرعة شاهد المنع ، وترعيد الحدقتين من وسط العينين نهى عام ، وسائر ذلك لايدرك الا بالمشاهدة .

ولغة العيون عامة لجميع البشر ، خالدة على مدى العصور ، والغلط فى فهمها لايكون الا عن غفلة او فساد فى الفطرة ، وعاقبته المؤكدة ان يسقط المحب من عين المحبوب ، فيلقى بعد « القبول والموافقة »الطرد والمنع ولكن العيون التى تحسن الكلام والفهم هى العيون الصافية من كدر الطباع ، الراقصة على نبض القلوب ، ورحم الله فقيه الاندلس العظيم ، ماكان اخبره بلغة العيون !

فهذه اللغة الفصيحة ، المرهفة الخالدة معرضة اليوم للفساد واللحن كلغتنا العربية الفصحى سواء بسواء . وتوشك ان تزيحها عن مكان الصدارة فى حوار المحبين ، لغة اللمس (على طريقة برايل) ولاسيما حين تطفأ انوار السنما .

فالحب يتكلم بالف لغة ، ولكن لغات الحب تتفاوت رهافة ونعومة ، فمنها مايشبه موسيقى الحجرة ، ومنها مايشبه ضجيج القرب والابواق والطبول في حفلات الزفاف هذه الايام وتعترى لغة الحب في مادتها وتشكيلها مايعترى لغات الادب والفن من تاثيرات البيئة وروح العصر .

واذكر من عهد المدرسة الثانوية انه كان لنا مدرب العاب ـ وكان يسمى ضابط ألعاب ، ويعين عادة من الجنود المسرحين



المتفزعلى

الأشواك

ولايشترط فيه الا معرفة القراءة والكتابة (فلم يوجد ، في عهد الجاهلية هذا ، معهد واحد للتربية البدنية) ، وكان من مهام هذا الضابط او المدرب ان يكلف بدخول الفصول اذا غاب احد المدرسين ، وتنحصر مهمته بطبيعة الحال في « ضبط » الفصل ، وبما ان ضبط الفصل من اصعب الامور اذا لم يشغل التلاميذ بشيء ما ، وربما لان صاحبنا اعجبه ايضا ان يتكلم امام الفصل ، مثل سائر الاساتذة ، والتلاميذ ينصتون ، بل ينصتون باهتمام لايمنحونه لاى استاذ اخر - اخترع موضوع « القزاقيز »

والقزاقيز جمع تكسير ومفرده قزقوزة ، وانا اكتبها هكذا بالقاف - مع ان صاحبنا كان ينطقها دائما بالهمزة - لانى اظنها مشتقة من « قزقزة اللب » وهذه تكتب بالقاف دائما مع ان نطقها بالهمزة ويحتمل ايضا إنها مأخوذة من « وظووظة » بعد ابدال الواو همزة والظاء زايا لمزيد من التمليح .

واراك تتساءل عن معنى القزقوزة أو الازعوزة ، فاعلم هداك الله انها كلمة ، اخترعها ذلك الشخص ، وانها كانت تعنى الفتاة الصغيرة ومع كثرة الاستعمال دخلها المجاز فاصبحت تدل ايضا على قصة غرامية مرحة بطلها يمكن ان يكون اى واحد منا ، وبطلتها بنت صغيرة جميلة والمفهوم انها بنت الجيران .

وبما ان صاحبنا كان يتمتع بموهبة تمثيلية غير عادية ، فقد كانت قصصه تتالف من مواقف ، وتعتمد على لغة الاشارات ، اذكر منها :

الصبية تنظر من شباك منزلها ، وانت قادم فى اول الشارع لمحتك ، فواربت النافذة قليلا ، ولكنك لاتزال تراها من خلف الشيش

تسير متمهلا . وعندما يصبح بينك وبين النافذة عشرة امتار تقريبا على ارض الشارع (لم يكن الاستاذ يعرف المسقط الرأسى) تخلع طربوشك . (هذه الحركة معناها انك فهمت انها فهمت)

اذا نكست رأسها فمعنى ذلك انها مستعدة لسماع اقتراحاتك عند ذلك تنفخ كأنك حران (بصرف النظر عن حالة الطقس) وتضع طربوشك على رأسك اذا كان الزر جهة اليمين فمعنى ذلك انك تريد مقابلتها امام محطة السكة الحديد فى الساعة الثالثة اذا جعلته معتدلا الى الخلف فمعنى ذلك الساعة السادسة . اذا كان جهة اليمين فموعدك الساعة السادسة طبعا لايمكنك ان تختار الساعة الثانية عشر ، مع ان الظهر موعد مناسب جدا ، لان وضع الزر فى هذه الحالة سيجعلك اضحوكة .

فيما عدا هذه المواقف العملية لا اذكر شيئا من قزاقيز « الاستاذ » ، واغلب الظن انها كانت ذات موضوع واحد ، مثل القصص الغرامية التى يكتبها بعض الروائيين المشهورين فى ايامنا ، فانت تسمعها او تقرؤها بشغف ، وتنساها على الفور .

ولا ادعى اننى جربت نصائح الاستاذ ، او حاولت اخراج هذا الموقف ، او غيره ، على ارض الواقع ، فقد كنت انذاك صبيا دون الثانية عشرة (وكانت المدرسة الثانوية فى ذلك العهد خمس سنوات تتبع الابتدائية مباشرة اعطيك هذه المعلومة

حتى لاتنسب الى عبقرية لا أستحقها) فلا يمكن ان تأخذ اى فتاة ولو كانت مثلى فى السن ، هذه الحركات مأخذ الجد ، ويحتمل ايضا الا تفهم معناها لان الانسان لايولد مزودا بهذه المعانى ، ويبعد ان يوجد فى كل مدرسة ثانوية للبنين ، فضلا عن مدارس البنات ضابط العاب من سلاح الاشارة وعندما كبرت واصبحت محتاجا الى الارشاد فى ممارسة الغزل وجدتنى اتصرف بعصبية لا تسمح باستخدام هذا التكتيك المحكم ، فكنت اما شديد الحياء واما شديد الاقتحام ، وكانت تجاربى كلها ، الناجح منها والفاشل على السواء ، خبط عشواء ، وكما يتوقع ، كان الفشل اكثر كثيرا من النجاح ولذلك قررت أن من خطل الراى أن يقدم المرء على هذه المخاطرات فى بحار الغرام دون أن يكون مسلحا ببوصلة النظرية ، فاتجهت الى الملاحظة والدراسة ، ولم ازل فيهما حتى الان ، ولم اشعر فى وقت من الاوقات أنى بلغت من العلم بلغة الغرام حدًا يسمح لى بالانتقال من حيز النظرية الى حيز التطبيق ، هكذا حتى فات الأوان ، ولكنى لن أضن عليك بخلاصة افكارى حول هذا الموضوع ، وانى لارجو ان تنفعك اكثر مما نفعتنى نصائح ضابط الالعاب .

واول ما ابدأ به انى ساتكلم عن لغة الحب بصيغة المفرد لابصيغة الجمع ، رغم انى قلت منذ قليل ، ونحن بصدد الحديث عن لغة العيون ، ان الحب يتكلم بلغات كثيرة ، لابلغة واحدة ولكن التعمق فى البحث هدانى الى ان هناك لغة واحدة للحب ، وان اختلفت وسائط التعبير ، او قل ان هناك نحوا عالميا مشتركا يجمع ـ مثلا ـ بين كلام فقيه الاندلس وكلام ضابط الالعاب وليس معنى ذلك ان اللغات سواسية فى مستواها الفكرى ، ولا ان المتكلمين بنفس اللغة يتساوون فى بلاغة التعبير ، ولكن مزية هذا النحو العام هى ـ بالضبط ـ انه يضع فى يدك « المفتاح الاستاذ » الذى يمكنك ان تطلع به على محتويات كل لغة وتحكم على براعة كل

● اختلاف التفاصيل

ويقـول بعض النـاس ان معجـزة الكمبيوتر هى انه اكتشف الوحدة اللغوية التى تصلح للتخاطب بين الانسان والالة ، ومن ثم فهذه الوحدة صالحة ايضا للتخاطب بين الانسان والانسان ، سواء اكان التخاطب بلغة من اللغات الطبيعية ، ام باشارات الايدى ام بنظرات العيون ، ولم تكن هذه الوحدة مجهولة قبل اختراع الكمبيوتر ولكنها كانت تائهة وسط تفاصيل النحو والصرف ومتن اللغة واختلاف هذه التفاصيل بين لسان ولسان ، الى درجة اتعبت المترجمين من قديم الازمان هذه الوحدة هى ببساطة الايجاب او النفى . نعم او لا . ومادمنا نتكلم عن نعم و لا كوحدة فيجب ان تمثل اصغر العناصر فى الموضوع . الحرف اذا كان الموضوع كلمة والمعلومة الواحدة اذا كان الموضوع خبرا . والمعلومة الواحدة التى يمكن التفاهم حولها بالقبول او الرفض هى المعلومة المحددة التى يمكن الاشارة الى طرفيها : اى الى المخبر عنه والمخبر به .

من هذه الوحدة البسيطة يتكون كل انجاز علمى ، وكل بحث فلسفى ، وباختصار كل ما انتجه عقل الانسان ، ومايحاول الكمبيوتر ان يقوم به نيابة عن الانسان ، وبديهى أن هذه الوحدة المتواضعة ماكانت لتنتج تلك الاثار الجليلة دون ان تدخل فى تركيبات متزايدة التعقيد

المتفرعات



، نسميها المنطق او المنهج العلمي – وان كانت التركيبات العقلية ذاتها لاتخرج عن المبدأ الاثنيني نعم او لا . ولكن هناك شرطا اخر مهما يجب الاتفاق عليه فى كل خطوة : وهو تحديد المعنى المراد بكل مخبر به ومخبر عنه . وهو شرط عزيز ، وبسبب فقدانه عجز الكمبيوتر عن ترجمة روائع الادب ، وان كان قد نجح نجاحا طيبا فى ترجمة حقائق العلم ، وبسبب فقدانه ايضا قامت الحروب ، ووقعت المنازعات وتبودلت الاتهامات على مستوى الافراد والجماعات ، فاللغة ليست الا مجموعة من الرموز ، يترجمها المتلقى فاما طابق مراد المرسل او لم يطابقه . ولان لغة الكلام عرضة دائما لاساءة التعبير واساءة التأويل ، لم يعتمد عليها العشاق فى التفاهم ، بل كانت التهتهة ، والتمتمة ، والعبارات المبتورة ، والجمل السخيفة ، ابلغ فى التعبير عن الحب من كل كلام منمق ، وناهيك بلغة الدموع ، ورحم الله ابراهيم ناجى حيث يقول :

وحبيس من عتاب فى فمى
قد عصانى فتفجرت دموعا

والمشهور ان الدموع سلاح المراة ، ولكن هذا القول لم يعد ينطبق على الواقع ، اذ لم تعد المراة اقل قدرة من الرجل على استعمال اسلحة الحرب المعتادة ، وربما نافسها الرجل فى استخدام سلاح الدموع ، وان كنت اعتقد انا شخصيا ان ابراهيم ناجى بالذات لم يكن يحسن استخدام هذا السلاح ، بل انه فى الحقيقة كان يصوبه الى نفسه ، كما فى هذا البيت المشهور ، وسألخص لك هذه المسألة وغيرها مما يتصل بلغة الحب ، راجيا ان تنتفع بها فيما لايغضب الله :

قد تبين لك مما قلناه عن كثرة وسائط التعبير ووحدة المعانى فى لغة الحب ان العبرة بما تنطوى عليه القلوب من معانى الايجاب والقبول ، او الانكار والرفض ، واذا كان التفاهم بين الاحباب والازواج قد اصبح صعبا فى هذه الايام ، حتى تجاوز الصفع والركل والعض وخمش الوجوه وتمزيق الثياب الى الضرب بالرصاص والطعن بالسكاكين فما ذاك الا ان تلك المعانى قد حالت عن مستقرها فى النفوس ، ولم تسكن بعد الى مستقر جديد .

فمعانى الحب الكلاسية لاتخرج عن اصلين :

حب المراة للرجل يعنى انها تثق به ، وتقبل ان تعيش فى ظل رعايته ، وتسبغ عليه من حنانها الذى تشعر انه محتاج اليه .

وحب الرجل للمراة يعنى انه قادر على حمايتها واشباع عواطفها بقدر حاجته الى حبها وحنانها .

ومثل هذا الحب ، من الطرفين ، لايحتاج الى « كلام » كثير ولكن الملاحظ ان المحبين والازواج فى هذه الايام يتكلمون كثيرا . والتفسير السطحى لهذه الظاهرة هو ان الرجل والمراة اصبحا متقاربين فى الاهتمامات وطريقة التفكير ويكفى للدلالة على فساد هذا التفسير اننا لانتزوج كل من نعجب بتفكيره واننا لو اقتصرنا على تبادل الافكار مع ازواجنا ، دون غيرهم او غيرهن من الزملاء والاصدقاء لكان ذلك دليلا على ضعف العقل ، وضيق الافق .

انما السبب الاساسى فى تقديرى ان لغة الحب الكلاسية قد تصدعت ، وان المشاركة فى الافكار والاهتمامات ليست الا محاولة يائسة لرأب الصدع ، وكثيرا ماتئول هذه المحاولة الى عكس المرجو منها ، فيكون الزوج زملكاويا والزوجة اهلاوية ، ويكون الزوج اشتراكيا والزوجة انفتاحية (واغلب المناقشات التى شهدتها بين الازواج الشبان لاتتجاوز هذين الموضوعين ، فلم اعثر حتى اليوم على زوجين يتناقشان فى الادب او الفن او الموسيقى) وربما كانت ميول كل من الزوجين الى هذا الجانب او ذاك ضعيفة فى البداية ، ولكنها تزداد حدة بعد الزواج .

ولب المسألة ان المرأة لم تعد تعترف بانها فى حاجة الى حماية الرجل (لها حق : سمعنا بخطف كذا رجلا ، ولم نسمع بخطف امرأة واحدة) ومن ثم فهى غير مضطرة الى تبنى ارائه : بل ولم تعد ترغب فى الانتساب اليه ، واذا كانت على علم بشىء من اخبار الحركة النسائية المعاصرة فلعلها توافق على ان الرجل لم يعد له لزوم « اصلا » ، وان صداقة المرأة للمرأة افضل كثيرا من ان تتنازل عن حريتها للرجل ، وان مسألة بقاء النوع محلولة بدون حاجة الى زواج ، وان النسوة اللائى يشعرن بميل قوى الى الامومة يمكنهن اشباع هذا الميل بالطرق الصناعية ، بل وان من المستطاع التحكم فى عدد الرجال على سطح الارض ، او فى البلاد المتقدمة فقط ، حيث يكون للعدد قيمة باستخدام العلم الحديث ، بحيث يكتفى بالعدد الضرورى لاستمرار الحياة على سطح هذا الكوكب .

والمرأة معذورة فقد كانت جدتها تقول « ظل رجل ولا ظل حيط » وكانت العروس تنتقل من بيت ابيها الى بيت زوجها معززة مكرمة ، مخدومة منعمة ، يقيها زوجها هموم العيش ، كما تقيها حيطان المنزل من الحر والبرد ، فكيف بها الان وهى ترى الزوج لا يقدم على الزواج الا بعد ان يسأل عن مرتب زوجته ، وهى تشقى مثله فى المكتب او المصنع او المتجر ، ثم تعود منهكة لتجده الخسيس ! راقدا ينتظرها لتهىء له الطعام وتصنع له كوب الشاى او فنجان القهوة ، وهو مضطجع ولا هارون الرشيد فى زمانه فكيف لاتثور ؟

ولكن الرجل لايريد ان يتعلم ، ولا يريد ان يطور لغته . وقد ضحكت من الاعماق وانا اشاهد فيلما تليفزيونيا لكاتب يقاربنى فى السن ، وقد جعل الزوجة الشابة العاملة ، تضيق بزوجها الطبيب ، المطواع وتجرى وراء رجل مغرور ، ثقيل الظل ، كل مزاياه انه يفرض عليها رأيه بالحاح سمج وفى امور هى اصلا من اختصاص النساء (ولكن بها ايحاء جنسيا) مثل لون الحمام !

المرأة الشابة كما اعرفها الان لاتقبل هذا الوضع المهين ، ورجل الاقدار هذا - وهو هنا متوسط العمر - لم يعد موجودا ايضا ، الا فى خيال بعض الكتاب الشيوخ الذين ارتدوا الى المراهقة ، ولغة الحب الجديدة المناسبة لهذا العصر ، لن يبدعها صانعو الحب ، وبائعو الحب من اشباح الماضى ، بل سيصنعها الشبان والشابات بانفسهم من احترامهم لانفسهم ، وحبهم للحياة واملهم فى المستقبل !

كل الوزراء أتوا من منازلهم..

وجاء فتحى رضوان من السجن !

بقلم : يحيى حقى

ولد فى بوتقة السياسة ، ولكن هوى قلبه مع الادب والفن .. فى السياسة سيتمسك بالمثل العليا .. يتدرى خصومه ، ويانف (ممن) يسمون انفسهم بالعمليين .. النظر كله للاستراتيجية لا الى التكتيك ، وكل تضحية فى سبيل الوطن واجبة بلا جدال وبلا جدل .. نور لواء مصطفى كامل وضع كل انسان غيره فى الظل (حتى) سعد زغلول .

وكما التصقت الزكاة بالصلاة .. التصق اخلاصه للشعب باخلاصه لقضايا وطنه السياسية .

● انضم الى ثورة يوليو لانه راى الحكم لاول مرة فى يد فتية من ابناء البلد كما يطالبون بحقوق مصر السياسية يطالبون بالعدل الاجتماعى .. كل الوزراء جاءوا من منازلهم .. اما هو فقد جاء من السجن . كل رجل خدم مصر عبر التاريخ هو من اصدقائه الحميميين ، يجلى فضلهم .. ويشيد بمن تراجع الضوء عنه .. حبه لمصر نار متقدة فى قلبه فهو دائم التحفز .. دائم القلق .. دائم الحركة .. شديد الحساسية .. احلامه مشروعات عملية ينتظر اللحظة التى يتولى هو تنفيذها .. مشروعات تتدفق كالنافورة ، ولكن هوى قلبه مع الادب .. وواسع الاطلاع على الادب العربى والاجنبى له اسلوب متدفق سيال .. كتب القصة والمسرحية والسيرة الذاتية .. والتراجم والتاريخ .. لم تقتصر بلاغته على قلمه بل هو خطيب مفوه فى المحاكم وفى كل محفل يحضره .. يغلبه التاثر احيانا خاصة فى اواخر ايامه فتدمع عيناه .

ليس فى هذا الكلام نص او تاريخ لوثائق ، ولكنه شهادة عيان امليها عن تاريخ مضى عليه اكثر من ثلاثين عاما ولامر ما طمست ملامحه ..

لما تولى وزارة الارشاد اندفع فورا بسبب حبه للادب والفن الى انشاء



فتحى رضوان

مصلحة مستقلة للفنون فى بطن الحكومة وكانت مصلحة الاستعلامات حينئذ هى التى تتولى اطرافا من اشتباك الدولة بهذه الفنون ، وبخاصة فى المسرح والسينما .. وقال لا يعقل ان يعرض على رئيس هذه المصلحة اعداد بعثة صحفية لتسافر الى موسكو .. ثم تكون الورقة الثانية التى تعرض عليه الترخيص لممثلة للسفر للخارج ، فمن بطن مصلحة الاستعلامات خرجت مصلحة الفنون التى تعتبر نواة وزارة الثقافة الحالية ، وان كان عنوانها مبهما فما هى هذه الفنون على وجه التحديد ، وهل اعدت لهــا العاملين القادرين على الوفاء بواجباتهم من خلال مصلحة الفنون ، اقيل ينفذ كل الطموحات فى الادب والفن .

● فى الادب

طلب الاستاذ حلمى سلام وقال له ان مجلتك هى عبارة عن برنامج الاذاعة بين غلافين ، وهى مجلة تدخل كل بيت فلابد ان يطعمها بأبحاث ادبية لعلنا نتسلل بها الى هذه البيوت .. وتحولت هذه المجلة الى مجلة تعنى بالادب وتستكتب كبار الادباء .

طلب الخواجا الكسندر بابا دوبولو اليونانى الاصلى وكان يصدر فى القاهرة مجلة باللغة الفرنسية اسمها مجلة القاهرة ، وقال له انك تستولى على اعانة من حكومة فرنسا تخفيها عن مصر ، واعانة من مصر تخفيها عن فرنسا ، فالعدل يقتضى ان تعطى كل صاحب فضل حقه .. كما تعرض للادب الفرنسى فى مجلتك يجب ان تعرض الادب العربى .. لم يكن فى كلامه تهديد بقطع الاعانة لكن بابا دوبولو خرج وهو يرتجف وتضمن العدد التالى حيزا كبيرا خصصه لترجمة بعض اعمال الكتاب العرب المصريين ، واستمر الحال على ذلك الى ان انقطعت بسبب دخول صاحبها الى السجن فى قضية اتهام بعثة تجارية فرنسية بالتجسس .

طلب مدير الاذاعة وقال له : فى برامجكم مادة ادبية قيمة تضيع فى الهواء ، فلماذا لا نصدر كتبا تسجل هذه المادة .. وهكذا اصدرت سلسلة احاديث الاذاعة الادبية التى لم يكتب لها البقاء بعد خروجه من الوزارة ..

قال لحسين فوزى وكيل الوزارة ان مجلاتنا الادبية هى كسلق البيض .. مقالات مكتوبة على عجل ، وبأسلوب كواجبات الانشاء عند التلاميذ ، وانا اريد مجلة تنشر ابحاثا يتعب صاحبها فى كتابتها اشد التعب ، ولو دفعنا له اجر المقال الواحد خمسين جنيها ،

كل الوزراء أتوا من منازلهم .. وجاء فتحى رضوان من السجن !

وهكذا صدرت فورا مجلة المجلة التى تولى رئاسة تحريرها المرحوم الاستاذ عوض محمد عوض ثم حسين فوزى الذى عين لها مترجما عن الفرنسية واخر عن الانجليزية ، وكان لهما ايضا فى عهد لاحق مراسل مقيم فى باريس ، وشرعت فى البحث عن مراسل يقيم فى برلين ، ولكى يعلن عن غرضه كتبت المجلة على راس غلافها عبارة سجل الثقافة الرفيعة ، وكم هممت بان احذف هذه العبارة حين اشرفت على هذه المجلة لاننى اريد ان تتحدث المجلة عن نفسها بمضمونها لا بالاعلان السافر عنها ..

● فى السينما!

كانت السينما تعانى حينئذ ازمة شديدة ، وتقدم اليه طلب بدفع اعانة مالية لبعض المخرجين المتعطلين فقال : بدلا من الاعانة والدفع من اليد العليا الى اليد السفلى ستكلفهم باخراج افلام تسجيلية قصيرة للاخذ بيد هذا الفن المهمل فى مصر ، فتم انتاج اكثر من ستة افلام الى جانب فيلم عن مختار .. اخراج ولى الدين سامح ، وتصوير الحاج وحيد .. وفيلم عن ناجى ، وفيلم عن الواحات

واما عن كبار المثلين فقد اعانهم بان طلب اليهم ان يكتبوا نظير اجر مذكراتهم الفنية .

كنت معه حين انصرفنا من مكاتبنا فى قصر عابدين فمررنا بفناء القصر فتوقف عن السير وتلفت حواليه وقال: هذا مكان جميل لنقيم فيه ندوة سينمائية على غرار الندوات التى تقام فى مراكز الثقافة التابعة للسفارات الاجنبية ، وامرنى بتنفيذ هذه الفكرة فكان لى سؤال واحد اضمرته فى سرى .. هل فى هذا الفناء مراحيض؟

وقد دفعه فرحه بتنفيذ هذه الفكرة ان دعا سفير روسيا لحضور اول حفلة اذ سيعرض فيها فيلم عطيل من اخراج روسى ، فلما اطفئت الانوار .. غابت الشاشة البيضاء فى سواد الليل لان آلة العرض كان ينقصها شىء اسمه الفحم .. ليل اسود ، وعطيل اسود ، وفحم اسود ، ووقعت الفضيحة على راسى ، ولكن الاستاذ فريد المزاوى القوة الدافعة لهذا المشروع قال : لا تبتئس كل بداية عسيرة .. وهكذا انشا ندوة الفيلم المختار التى تخرج منها عديد من الشبان المتحمسين لفن السينما .. واليه وحده يرجع الفضل فى انشاء معهد السينما ، لقد استدعى خبيرا فرنسيا فوضع لنا اسس المعهد وبرامجه

● مسرح العرائس

استغل صداقته بسفير رومانيا فى مصر ، وهى مشهورة بتقدم مسرح العرائس لديها .. طلب اليه ان يوفد الينا خبراء فى هذا الفن فاذا بنا نستقبل سيدتين تحملان موسيقات عديدة ومراجع وكراسات ، وملاحظات وابلغناه بعد ايام قليلة ان جميع هذه الاوراق سرقت منهما .. ولكن هذا لم يمنع من ظهور مسرح العرائس فى مصر لاول مرة بفضل صلاح جاهين لا ازال اعجب كيف تم تدريب الايدى اللازمة لهذا المسرح فى فترة زمنية وجيزة ..

التزمت مصر بان توفد للصين بعثة للرقص الشعبى ردا على زيارة فرقة صينية مماثلة لها ، وهكذا انشئت اوبريت ياليل ياعين التى تعتبر اول محاولة لاعتلاء هذه الفنون خشبة المسرح بل خشبة الاوبرا ..

● فى السيرك

كان يعتبر السيرك من اهم الفنون الشعبية العريقة التى لا يلقى اى انتباه من الحكومه ، فقرر ان يحتضن هذا الفن ، وامرنى ان ازور السيرك وقال : اننا لن ندفع نقدا له ، ولكن نعينهم على تحسين ادواتهم فنشترى لهم بساطا كبيرا جميلا لوضعه مكان هذا البساط الرث القذر الذى يفرشونه على الارض حين ياتى دور تقديم مسرحية قصيرة اهمها مأساة المالوث الشهير ، يحيى البرمكى والخليفه هارون واخته العباسه .

وهكذا سرعان ما اصبح السيرك من مؤسسات وزارة الثقافة المحترمة.

بل امتد نظره الى العروسه الحلاوه فى مولد النبى وقال اتمنى ان تحظى بنظرة من اساتذة الفن التشكيلى عندنا ليحاولوا ابرازها فى صورة اجمل فزرت بناء على امره ساحة الموالد ودخلت اسفل المنصات وعاينت العرائس والتهيت بزيارة المعامل فوجدت الحكاية كلها قالبا خشبيا يشق نصفين ، ويصب فيه محلول السكر ثم تذوق باقاصيص من الوان فاقعه ، فتركنا كل شىء على حاله .. هكذا كان يتردد بين الحلم والواقع..

● فى الخطابة

ساءه ولاشك ان فن الخطابه قد انحسر فقرر ان يقيم فى حضن وزارته مسابقة لاختيار احسن الخطباء بين الشبان ويمنح الفائز منهم جائزة ماليه، ولكن هذا المشروع لم يكتب له الاستقرار .

● فى المكتبة

افتتح مكتبة فى ميدان التوفيقيه لبيع مطبوعات وزارة الثقافة التى كان من المسير العثور عليها كما افتتح مكتبه فى ميدان الاوبرا لبيع مطبوعات الدولة فكان الشراء عدد من الوقائع المصريه كالبحث عن ابره فى كيس من الرده .

● فى وجه العدوان

جند كل وسائله لوقوفه بجانب الشعب فى مواجهة العدوان ..سافرت بعثة من المرحوم سعد نديم ، وحسين التلمسانى ، وتسللت داخل مدينة بورسعيد ، وصورت فيلما عن المقاومة الشعبية .. تولى الاستاذ باكثير نصا والاستاذ احمد صدقى الحانا تقديم مسرحية البيرق النبوى التى عرضت على المسارح فى ذلك الوقت .

استخرج من تحت يد احد اصدقائه نسخة من فيلم المانى اسمه العم كروجر من تمثيل .. اعظم ممثلى المانيا اميل ياننج يمثل كفاح البوير ضد الغزو الانجليزى .. وعرض هذا الفيلم صالات السينما والدخول بالمجان

ولكن الاهم من ذلك كله انه بمعاونة حسين فوزى وضع اسس المعاهد الفنية فى المسرح والموسيقى والسينما ..

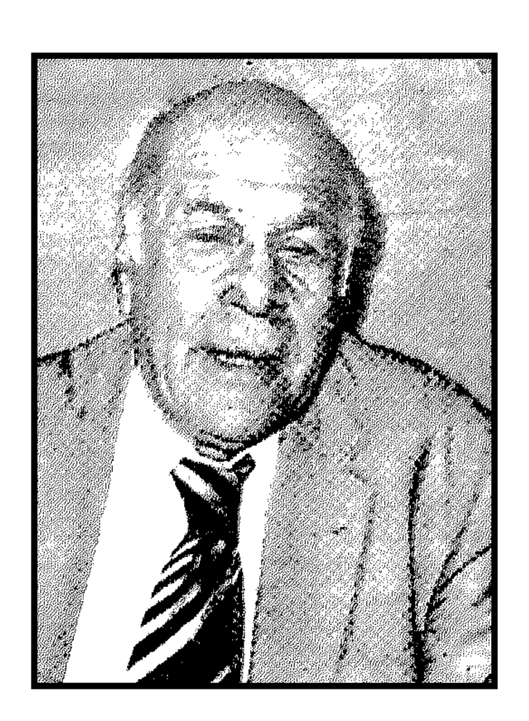
كان فتحى رضوان رجلا طاهر القلب .. طاهر اليد . جم الحياء .. نعم الصديق .. عليه رحمة الله .

فتحى رضوان
المعارض الأبدى

بقلم: د. جلال أمين

في حياتنا السياسية طراز من الناس ، يعرفه الجميع ، يمالىء الحاكم ايا كان اتجاهه وصفاته طمعا في تحقيق مغانم شخصيته . فهو يمتدح الحاكم الاشتراكي وخليفته الراسمالى ، ويبدى مظاهر الولاء للاتحاد السوفييتي ثم للولايات المتحدة حسب تقلب اهواء الحاكم ، وهو يقف يوما مع القومية العربية ويوما اخر ضدها ، وهو يظهر يوما اقصى التشدد مع اسرائيل ويبدو يوما اكثر الناس استعدادا للتودد اليها وهكذا .. الخ هذا النوع من الناس معروف ومشهور ، وهو ممن تجده ، بدرجات مختلفة في البلاد المختلفة، ولكن على الاخص فى بلاد العالم الثالث حيث اتجاهات الحكم اكثر تقلبا ، والرأى العام اقل يقظة ، والمغانم الشخصية التى يمكن تحقيقها عن طريق التقرب الى السلطة اكبر واوسع .

ولكن هناك ايضا طرازا اخر من الناس اقل شيوعا بكثير هو بالضبط نقيض ذلك النوع من الناس ، وهو طراز « المعارض الابدى » . وهو يضم اناسا يبدون احيانا وكانهم غير قادرين على غير المعارضة ، غاضبون على الجميع ، وكأن لا شيء يعجبهم ولا شيء يمكن أن يرضيهم . وهو طراز اقل شيوعا بالضرورة لان مغانمه الشخصية ، المادية على الاقل، معدومة . من بين هذا النوع الاخير



فتحي رضوان

من الناس طراز تأتي معارضتهم الابدية للسلطة من أنبل الدوافع وارفعها شأنا . ذلك انهم يتميزون اولا باعتزاز شديد بالنفس ، وبرغبة حقيقية فى تحقيق صالح الوطن ، ثم ان لديهم من الذكاء ما يمكنهم من تمييز الخط الفاصل بين الحق والباطل فى أكبر الامور وأصغرها على السواء ، ومن الشجاعة ما يجعلهم يصرون على الجهر بالحق ومعارضة الباطل . هذا النوع من الناس تجدهم لا يكادون يقتربون من السلطة حتى يبتعدون عنها ، اذ انهم حتى فى أكثر العهود صلاحا واخلاصا ، يزعجون السلطان بذلك الاعتداد الغريب بالنفس ، وتلك الجرأة الغريبة على الجهر بالحق . فالسلطان ، أيا كانت قوة ميله الى جانب الحق ، لم يظفر بالسلطان ، فى أغلب الاحوال ، الا بسبب ميل طبيعى لديه فى نفس الوقت الى الاستبداد بالرأى ، ولم ينجح فى الاحتفاظ بالسلطان الا بدرجة او بأخرى من القهر . والسلطان ، حتى اذا كان يحمل تقديرا دفينا لهذا الطراز الفريد من الناس ، طراز « المعارض الابدى » لا يجد من الحكمة ان يعترف بالخطأ ، وعلى الاخص على الملأ ، اذ أن للسلطان مصلحة محققة فى أن يظهر بمظهر المحق دائما ، الذى لا يخطىء أبدا ، ولا يجد من الحكمة دائما ان ينصر الجاهر بالحق على أهل الباطل اذ ان فى هذا تشجيعا غير مرغوب به على انتشار المعارضة لهذا نجد ان العلاقة بين هذا المعارض الابدى والسلطان ، هى فى أزهى العهود وأقربها الى قلبه ، قصيرة العمر . ان لم تفتر بسبب زهد المعارض الابدى نفسه فى علاقة تطلب منه السكوت أكثر مما تطلب الكلام والتعبير عن موقفه ، فانها تفتر لضيق صدر صاحب السلطان به لما يسببه له من متاعب مستمرة بسبب كونه دائما على حق .

فتحى رضوان
المعارض الأبدى

من هذا الطراز الفريد من الناس كان فتحى رضوان : معارضا أبديا حقا ، مدفوعا الى هذا الموقف بأنبل الدوافع وأشرفها .

***

لمحت صورته وأنا جالس فى مترو الانفاق ، منشورة بالصفحة الاولى من الجريدة التى يقرؤها جارى ، ففزعت من أن يكون الخبر الذى كنا نخشى وقوعه قد وقع بالفعل . وقد كان هو فعلا ذلك الخبر الكريه . اذن **فقد مات ذلك الرجل الذى احببناه جميعا ، وظللنا نتغذى على مقالاته ، اسبوعا بعد اسبوع لسنوات طوال ،** وفى كل مرة نقرأ له نحمد الله على أنه مازال بيننا من وصل تمييزه الفارق بين الحق والباطل الى هذا الحد من الصرامة والوضوح ، ووصلت به الشجاعة فى الجهر بالحق هذا الحد الذى عجزنا جميعا عن الوصول اليه . وفى كل مرة ندعو فى قرارة أنفسنا أن يمد الله فى عمره حتى يستمر هذا الجهر بالحق لأطول مدة ممكنة ، ونشعر بقلق حقيقى من أنه اذا حرمنا من هذا الصوت فقد لا نستطيع أبدا تعويضه ، اذ من الذى يمكن أن يحل محله ؟ .

ثم بدأت أستعيد فى ذهنى ذكرى تلك المقالات النارية التى دأب على كتابتها منذ منتصف السبعينيات وحتى مرضه الاخير فى ١٩٨٧ . وقلت لنفسى أن المسألة لم تكن أبدا أن هذه المقالات كانت تحدث التغيير المطلوب فى السياسة ، بل لعل الحقيقة هى أنها لم يكن لها أثر على الاطلاق فى مسار السياسة التى تتبعها الحكومة . ومع هذا ، ومع ادراكنا التام لهذه الحقيقة ، فان **المقالات كانت عزيزة علينا لدرجة يصعب وصفها ، ولعل السبب فى** ذلك أنها كانت تؤنس كلا منا ، نحن المعارضين ، فى وحدته ، وتوحد فى المشاعر أناسا كان كل منهم يعتريه الخوف ، بين الحين والآخر ، من أن يكون هو الوحيد الذى يشعر بالغربة فى وطنه فاذا بصوت فتحى رضوان يأتى ليس فقط ليطمئنه على انه ليس وحده ، بل وليبين له أن هناك اسبابا وجيهة للغاية للشعور بهذه الغربة ، ويشرح له هذه الاسباب شرحا مبينا ، فاذا بالمعارض يستعيد ولو لبعض الوقت ثقته بأنه على صواب ، وأن ما يحيط به من غير المعقول ، هو غير معقول فى نظر كثيرين أيضا غيره .

***

كان اسم فتحى رضوان ، منذ أيام ما قبل ثورة ١٩٥٢ يمثل لى ولجيلى اسما من ذهب ، لم تعلق به شائبة ، اذ لم يستطع أحد أو حادث أن ينال من شرفه أو يشكك فى استقلال رأيه . وكنا نقرأ له فى الشهور التى سبقت الثورة مباشرة ، وقد كان وعينا السياسى يتشكل لأول مرة ، ما يلهب حماسنا ونحن لم نبلغ العشرين بعد ، اذ نراه يتجرأ على أكبر رأس فى البلد ، فى وقت

اجمع الناس فيه على فســاد هذه الرأس دون أن يستطيع احــد ان يمنعها من الاستمرار فيما هى فيه من فجــور واســتهتار • كان من الطبيعى اذن أن يكون فتحى رضوان فى السجن عند قيام ثورة ١٩٥٢ ، بدون تهمة محددة ودون ســند من القانون •

وان كانت هناك قضية اخرى ضده أمام محكمة الجنايات بتهمة العيب فى الذات الملكية كان من الطبيعى ايضا ان يكون ، بعــد ان اطلقت الثورة سراحه ، من اوائل الناس الذين تفكر الثورة فى اسناد منصب الوزارة اليهــم • وبالفعل شــغل منصب وزير الدولة ثم وزير الارشاد القومى ثم وزيرا للثقافة والارشاد ثم وزيرا للمواصلات خلال السنوات الست الاولى للثورة• على انه كان من الطبيعى جدا الا يستمر تعاون فتحى رضوان مع الثورة لاطــول من ذلك كان الرجل طوال عمله مع عبد الناصر وحتى النهــاية يحمل تقديرا عميقا لشــخصية عبد الناصر ووطنيتــه واخلاصه •

ولكن «المعارض الابدى» كان لابد عاجلا أو اجلا ان يصطدم بالسلطان ودائما فى أمور تتعــلق بالمبدأ او الكرامة الشــخصية أو الانتصار للحق ، والسلطان يضيق صدره فى النهــاية برجل •• يجمع بينهمــا الاحترام والتقدير المتبادلان ، ولكن دواعى السلطة من ناحية والاعتزاز بالنفس من ناحية اخــرى تجعل استمرار التعاون بينهما مستحيلا •

فى كتابه الممتاز « ٧٢ شهرا مع عبد الناصر » يروى فتحى رضوان هذه القصة التى تكفى فى ذاتها لأن تبين استحالة استمرار التعاون بين مثل هذين الرجلين ، وترسم فى نفس الوقت صــورة رائعة لما لا بد انه تكرر فى التاريخ مئات المرات وفى مختلف البلدان من اصطدام صاحب الرأى الحر بالحاكم المستبد والعادل فى نفس الوقت :

« عندما قامت ثورة ســنة ٥٢ كنت معتقلا فى معتقل (الهاكستب) •• وقد كان زملائى فى المعتقل ، ممن نسب اليهم شىء يتصل بحريق القاهــرة الا أنا • وقد احتــاج زملائى فى خــارج المعتقل الى رفع دعاوى متكررة أمام مجلس الدولة طعنا فى أمر اعتقــالى الباطل •• والاجراءات القانونية فى مصر تقتضى ان من يطعن فى قرار ادارى ويلتمس من المحكمة الحكم بالغائه ان يرافق بدعوى الالغاء دعوى تعويض ••• ولما اخترت للوزارة بعد قيام الثورة بقيت القضية مرفوعة •• وفى هذه الفترة سلمنى عبد الناصر تقريرا من المخابرات ، كان أولى حلقات الدسائس الصــغيرة التى سلطها ضدى عدد من الذين ضاقوا بمكانى من قائد الثورة ••• وقد اتهمنى كاتب التقــرير انى طامع فى مال الدولــة ، مع انى أحــد وزرائها (بدلالة انى رفعت دعوى ضدها امام مجلس الدولة طلبت فيها الحكم لى بتعويض) !! •• قال عبد الناصر :

(هل صحيح ان هناك دعوى من هذا القبيل ؟) فقلت (انها دعوى مرفوعة قبل الثورة ، وضد حكومة عــزلتم أنتم رئيســها ووزراءها واعتقلتم بعضهم •• وكان لابد لى — لكى أرفــع دعوى الغاء قــرار الاعتقــال — أن يصحــبها طلب التعويض) فأجاب عبد الناصر ::

(ولكن كــل شىء انتهى ، وأنت

فتحي رضوان
المعارض الأبدي

الان مطلق السراح ، فلماذا يستمر طلب التعويض ؟) فضقت ذرعا بهذا الذى بدا لى فقلت له (وهل تعرف ما هو التعويض المطلوب ؟) فقال : (تعويض على كل حال) فصرخت : (انه قرش صاغ واحد) . وهنا بدا على عبد الناصر شيء من الارتباك وقال (ولماذا تجعل لمثل هذا الأمر هذه الاهمية مادام التعويض بهذه التفاهة ؟)فقلت : (الامر يهمنى من حيث المبدأ ، هل يجـوز أن تكتب ورقة كهذه ، يريد أن يظهـر بها كاتبها أنه ضبط لى سقطة .. وأنه رقيب على يهديني الى الصواب .. مثل هذا لا يقبله الا رجل احساسه بالشرف معدوم ، وأنا لن اتنازل له عن الدعوى ، ولن التفت الى هذا الاسلوب فى الدس الصغير ، وأرجوك ان تضع له حدا من الان ، والا فانه سـيستفحل وتهب من ورائه رياح خطرة) . ولم يهتز عبد الناصر لهذه الخطبة الحـارة ، وانما هز كتفيه وقال : (لسـت معك ، ان الموضوع صغير جـدا ، وأرى انه لا مبرر لتضخيمه) .

وما توقعته تحقق تماما ، فقـد نقلت الى وزارة المواصلات .. » .

***

منذ أربع أو خمس سنوات عقدت ندوة فى قبـرص عن « أزمـة الديمقراطية فى العالم العـربى » كانت كل الحـكومات العربية قـد رفضت أن تعقد على ارضها ندوة بهذا العنوان فعقدت فى قبرص .

وكنت مدعوا للاشتراك فى الندوة ، وكذلك كان فتحى رضوان . وظلت الندوة منعقـدة ثلاثة ايام افاض خلالها المثقفون فى الحديث والنقاش وكان اكثر الحديث والنقاش ، كما هى العادة فى مؤتمرات المثقفين ، تحذلقا وتفلسفا لا يقدمان ولا يؤخران وظل فتحى رضوان جالسا كالأسد المهيب لا يفتح فمه ، وكلما نظـرت اليه ، والنقاش والتفلسف مستمران بدا لى وكان لسان حـالة يقول : « اما لهذا اللغو من آخر ؟ » جاء تدخله فى الحـديث ، فيما أذكر ، مرتين ، مرة قرب نهاية المؤتمـر حيث صب علينا جام غضبه لاننـا كنا فى احـاديث لن تفيد القضية العـربية قيد انملة والاسرائيليون يعيثون فى بلادنا فسادا ، ويهاجمون لبنان ، ونحن ساكتون او نحاول ان نتفلسف ... وظل يتحـدث ببـلاغة وتأثر على هـذا النحو حتى قامت سيدة عربية من الجلسة لم تستطع أن تغالب دموعها من فرط تأثرهـا بحديثه وتركت القاعة على عجـل لتنفجر بالبكاء خارجها . ومال على جارى المثقف التونسى وعلى وجهـه علامات الاستغراب الشديد ليقول لى انهم فى شمالى افريقيا لم يجـد حظهم قط بمثل هذا النوع من الخطباء او هذا النوع من الخطابة السياسية.

ولكن فتحى رضوان كان قد تدخل فى النقاش مرة واحدة قبل ذلك حينـا كان النقـاش يدور حـول موقف الديمقراطية السياسية من الاقليات ،

وتطرق الحديث الى امور من بينهــا علاقة المسلمين بالاقبـاط فى مصر ، فاذا بفتحى رضوان يروى علينــا الواقعة الاتية . قال ان المرحــوم عبد الرحمن عزام باشا ، أول امين عام لجامعة الدول العربية ، روى له انه كان عائدا الى بيته يوما فوجـد امه ترتدى السواد فسالها عن الخبر فقالت انها فى طريقها لتعزية جارتها أم جرجس . فسالها : وماذا حدث ؟ هل حدث شىء لابنها جرجس ؟ فقالت : لا ، انه فقط قد اعتنق الاسلام !! فعبر عبد الرحمن عزام عن دهشته الشديدة فى ان تعتبر امه المســلمة ان من الواجــب ان تذهب لمواساة جارتهـا المسيحية اذ اعتنق ابنهــا الاسلام ، فكانت اجابة امه أن الذى يهمها فى الامر هو شعور جارتها « وانت تعرف قلب الام » . روى لنا فتحى رضوان هذه القصة باعتبارها انها هى التى تعبر عن الموقف الحقيقى للمصرى من مسألة الاقليــات اذا تركت الاعيب السياسة والقوى الخارجية المصـرى وشأنه !

***

ذهبت للاشتراك فى تشييع الجنازة وانا اتصور ان الشوارع المحيطــة بالسرادق ســتكون كلهــا مكتظة بالجماهير التى جاءت لتوديع هــذا الرجل العظيم ، وان ازدحامها لابـد ان يؤدى الى تعطيل حركة المرور ، وان الشباب بالذات سيأتون جماعات للاشتراك فى تشييع الجنــازة وهم لا يستطيعون مغالبة دموعهم لوفــاة الرجل الذى اثار مشاعرهم لسنوات طوال . ولكنى فوجئت بحركة المرور تسير كالمعتاد ، والشوارع لا يزيـد اكتظاظها بالناس عن اكتظاظها فى أى يوم اخر . صحيح ان السرادق الكبير كان قد امتلأ عن اخره ، ولم تتســع الــكراسى المرصوصة فيه لجميــع المشيعين ، فوقف من جاء متأخرا ، وصحيح ان بعض الشباب كان واقفا على الطوار ينظر الى السرادق من بعيد ولكنى لم أستطع الجزم بما اذا كان هؤلاء الناظرون الى السرادق قد أوقفهم شعورهم بالحزن والاسى ، أم رغبتهم فى تأمل وجوه بعض المشاهير الذين أتوا لتشييع الجنازة . كانت الغــالبية العظمى من المشيعين هم بالفعل أصحاب الاسماء المعروفةلدى الجميع ممن يعرفون لفتحى رضوان فضله ويعرفون تاريخه الوطنى منـذ الثلاثينيات ، ولكن الــذين افتقدتهم هم الشباب الذين كنت أظنهم يعدون بعشرات الالاف وكان فتحى رضوان يشــكل وجـدانهم السياسى فى السبعينيات والثمانينيات ، وسالت نفسى فى حزن : هل المسالة تنحصر فى أن فتحى رضوان هو نفسه الذى مات وليس قريبا له ، والا لاتى عدد اكبر لمواساته ، ام ان هموم الحيـاة اليومية ومصاعب التضخم واعبـاءه الثقيلة كانت اقوى اثرا فى الناس من فتحى رضوان وقلمه النبيل ؟

ثم طالعت الصحف والمجلات بعـد ذلك فوجدت اشادة بالرجل ولكن على نحو بدا لى اقل بكثير مما يستحق رجل مثله ، فقلت لنفسى : وما الذى تتوقعه من الصحف والمجلات اكثــر من ذلك تجاه رجل كان دائمــا فى صفوف المعارضة ؟ ان هذا المعارض الابدى لابد ان يقنع بهذا القدر من الثناء الان ، اما الباقى فسيسديه اليه التاريخ .

صعود وسقوط القوى العظمى

عرض وتقديم :

د. السيد أمين شلبى

نستكمل فى هذا الجزء الأخير من كتاب بول كنيدى تصوره لمستقبل المجموعة الأوروبية فى العشرين عاما القادمة .

ثم ننتقل إلى استعراضه لأوضاع القوتين العظمتين وهما تقبلان على القرن الواحد والعشرين ، وامكانياتهما فى الاحتفاظ بمكانيتهما المتميزة وسط ضغوط أوضاعهما الداخلية ، وتزايد تأثير وظهور قوى ومراكز دوليه مثل الصين ، واليابان وتوقع إنتقال مركز الثقل الاقتصادى فى العالم إلى منطقة الباسفيك .

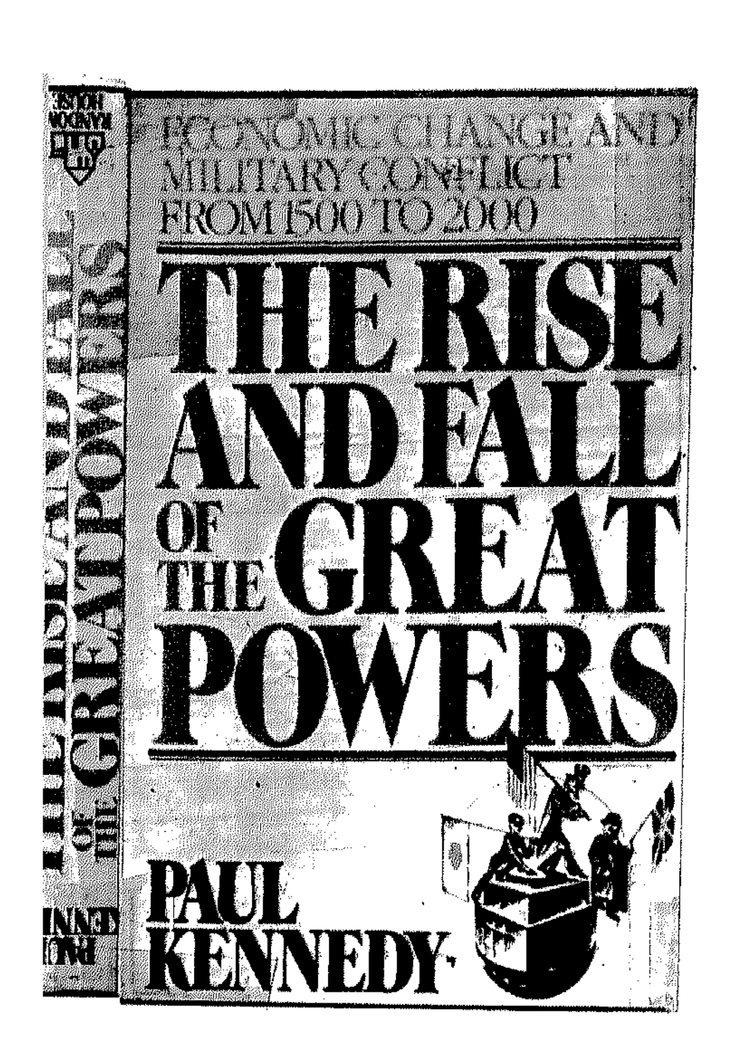
إذا كان التجمع الأوربى لايمثل دولة واحدة ذات سيادة ، فإن خطوات الوحدة الاقتصادية التى ستكتمل عام ١٩٩٢ لابد من أن تدفع المحلل إلى اعتبارها قوة ذات عوامل تدعو للتقارب . بعضها اقتصادى وبعضها عسكرى .

على أنه مع كل هذه العوامل الكامنة ، فإن قوة وفعالية اوربا الحقيقية هى اقل بكثير مما يوحى به المجموع العام لقوتها الاقتصادية والعسكرية . فقواتها المسلحة لاتقاسى فقط من تعدد اللغات وانما ايضا من تعدد نظم تسليحها وتدريبها مثلما هو قائم مثلا بين جيوش المانيا الغربية واليونان ، وبين الأسطول البريطانى والأسبانى ، ورغم محاولات الناتو المتعددة لتوحيد مستويات التسليح ، فمازلنا إزاء عشرات الجيوش والأساطيل والقوات الجوية ذات النماذج المتنوعة . وحتى هذه المشكلات تبدو ضئيلة أمام العقبات على المستوى السياسى المتصلة بأولويات السياسات الدفاعية والخارجية لأوربا مثل خلافات تركيا واليونان وموقف

فرنسا المستقل ، والاولويات الدفاعية لألمانيا المتجهة الى حدودها نحو الشرق . هناك أيضا القلق الملح من أنه بعد حقب ما بعد الحرب من النمو الاقتصادى الناجح ، فأن اوربا بدأت فى الركود بل ربما فى التراجع فالمشكلات التى سببتها الأزمة والضغوط على ميزان المدفوعات ، والركود العالمى العام فى الطلب ، والأنتاج ، والتجارة تبدو أنها سوف تضر بالأوربيين بشكل أصعب من أى اقتصاديات كبرى فى العالم . كما أن من الاهتمامات الأوربية الأساسية هى فى تأثير هذا الركود على مستويات العمالة ، فعدد الذين يفقدون وظائفهم فى غرب أوربا فى السنوات الأخيرة كان أكبر بكثير من أى وقت مضى بعد عام ١٩٤٥ (فقد ارتفع مثلا من ٥,٩ ٪ الى ١٠ ٪ بين دول المجموعة الاقتصادية من ١٩٧٩ ـ ١٩٨٢ ولم تبد الا دلائل قليلة على الهبوط ، وما استلزمه هذا من تأمينات اجتماعية الأمر الذى ترك نسبيا أقل للاستثمار ، كما لم يتم خلق وظائف جديدة على النطاق الذى حدث فى الولايات المتحدة . وماهو أكثر مدعاة للقلق هو علامات التراجع الأوربى وراء المنافسين الأمريكيين والأوربيين فيما يتعلق بالتكنولوجيا المتقدمة .

● صورة متشائمة

وقد يعتبر البعض أن هذه الصورة الأوربية المتشائمة قد رسمت بشكل قاتم ، وأن هناك مؤشرات أخرى كثيرة عن قدرات أوربا التنافسية فى مجالات هامة مثل نوعية السيارات ، والأقمار الصناعية ، والكيماويات ، ونظم



الاتصالات ، والخدمات المالية .. الخ ومع هذا فان المسألتين الاكثر ضغطا تبدوان موضع شك : الأولى هى : هل تستطيع المجموعة الاقتصادية الأوربية بتنوعها السياسى والاقتصادى ان تجارى منافسيها فى الاستجابة للتحولات السريعة والواسعة المدى ، فى أنماط التوظف ؟ أما المسألة الثانية فهى مدى قدرة دول المجموعة على تعبئة مواردها العلمية والاستثمارية لكى تقف كمنافس رئيسى فى مجال التكنولوجيا المتقدمة فى الوقت الذى لاتبدو فيه شركاتها بضخامة وامكانيات العمالقة الأمريكيين واليابانيين .

فاذا نظرنا الى أوربا ، كما تتمثل

أساسا في المجموعة الاقتصادية الأوربية ، كقوة سياسية في النظام العالمي ، فان اكثر المشكلات أهمية التي تواجهها هي : كيفية تطوير سياسة دفاعية مشتركة للقرن القادم والتي تبقى صالحة خلال حقبة من التغييرات الهامة في توازنات القوة العالمية .

● الاتحاد السوفييتي وتناقضاته :

رغم أن الاتحاد السوفييتي والنظرية الماركسية اللينينية تتحدث عن « تناقضات » النظام الرأسمالي فإن هذا المفهوم نفسه يمكن أن ينطبق على الاتحاد السوفييتي اليوم بتناقضاته التي تتمثل في الفجوة بين أهدافه والوسائل المستخدمة لتحقيقها وفي المشكلات التي يواجهها في مجالات أساسية وحاسمة وفي مقدمتها مجال الزراعة الذي يحتاج فيه الاتحاد السوفييتي الى ٧٨ بليون دولار سنويا لمجرد المحافظة على مستوى المعيشة والى ٥٠ بليون دولار لدعم أسعار الطعام . وفي مجال الصناعة فانه رغم الانجازات التي حققها هذا القطاع منذ عام ١٩٤٥ معتمدا على الاستثمار الكثيف بحيث تفوق على الولايات المتحدة في الآلات ، والجديد والصلب والأسمنت ، والمخصبات والبترول ، فان هناك اليوم مؤشرات عديدة على أن الصناعة السوفييتية تعاني ركودا وأن مراحل التوسع السهل انما تقترب من نهايتها . يضاعف من هذا مايعانيه الوضع السوفييتي من مشكلات في التكنولوجيا المتقدمة مثل الانسان الآلي ، والآلات الحاسبة ، والليزر ، والبصريات ، والاتصالات السلكية .

وفي المجال العسكري فان الأسلحة الميدانية المتقدمة ، ونظم الكشف يمكن ان تحدد المزايا الكمية السوفييتية في المعدات العسكرية وان تحدد مواقع الغواصات تحت سطح المحيط وان تتعامل مع مسرح معركة سريع التحرك وأخيرا وليس آخرا أن تحمي القواعد الذرية الأمريكية ، كما .. يمكن لنظم الرادار المتقدمة والليزر والتكنولوجيا التحكم والتوجيه ان تمكن الطائرات والمدفعية الغربية وقوى الصواريخ من تحديد وتدمير طائرات العدو ودباباته دون أن تتعرض للانتقام .

وتبدو المشكلة التي تواجه الوضع السوفييتي أعظم في المجال المدني باعتبار الحدود التي وصلتها العناصر التقليدية للإنتاج مثل العمال ورأس المال وباعتبار ان التكنولوجيا ينظر اليها اليوم كأمر حيوي لزيادة الانتاجية السوفييتية ، فمثلا كان الاستخدام الواسع للآلات الحاسبة يمكن أن يخفض بشكل كبير في اكتشاف وانتاج وتوزيع امدادات الطاقة ، غير أن تطبيق هذه التكنولوجيا الجديدة لايتطلب فحسب استثمارات ضخمة (ومن اين ستأتي ؟) ولكنها ايضا تتحدى

النظام السوفييتى القائم على السرية الشديدة والبيروقراطية والمركزية .

يضاف الى هذه المشكلات التوقعات السكانية غير المشجعة وتبدو مظاهرها فى التدهور الثابت فى الأعمار (حيث وصل معدل عمر الفرد السوفييتى ٦٠ عاما فقط) وفى تصاعد وفيات الاطفال منذ السبعينيات . والمتضمنات الخطيرة لهذا التراجع السكانى هو مايتطلبه من موارد للرعاية الطبية والاجتماعية كما أن لها معانيها السلبية للصناعة السوفييتية ، والقوات المسلحة بالنظر الى الهبوط الجذرى لمعدلات نمو قوة العمل ، فوفقا للتقديرات فسوف تزيد قوة العمل فى الفترة من ١٩٨٠ ـ ١٩٩٠ بنسبة ٥,٩٩٠,٠٠٠ فقط بينما زادت فى فترة العشر سنوات السابقة بمقدار ٢٤,٢١٧,٠٠٠ .

● صورة قاتمة

على أن هذه الصورة للوضع السوفييتى قد تبدو قاتمة بالنسبة لعدد من المراقبين الذين يعتبرون ان الانتاج السوفييتى العسكرى كان دائما فعالا ومؤثرا ويتجه دائما الى تطوير نفسه بسبب ديناميكية سباق التسلح ، وكما عبر أحد المؤرخين ، وكان هذا عام ١٩٨١ ، فان الصورة قد لاتكون فى مجموعها سلبية خاصة اذا مانظر المرء الى انجازات الاقتصاد السوفييتى خلال النصف قرن الأخير . على أن أيا كان التقدم الذى حققه الاتحاد السوفييتى فانه من الحقائق الخطيرة ان الفجوة فى مستويات المعيشة تتسع منذ السنوات الأخيرة لعهد برجنيف وحيث تفوقت معايير الأنتاج والكفاءة الأنتاجية لليابان وبعض الدول الآسيوية .

وفى سياق مايحاوله جورباتشوف من زيادة ودفع التطور الاقتصادى والاجتماعى فان ثمة عقبتين سياسيتين تقفان فى طريق تحقيق قفزة كبرى . العقبة الأولى هى مركز مسئولى الحزب والبيروقراطية ، والصفوة التى تتمتع بامتيازات ضخمة تحجبهم عن مصاعب الحياة اليومية ، ويعتبرون أى اصلاح حقيقى تهديدا لسلطتهم وامتيازاتهم ، وهنا فإن مايطالب به جورباتشوف من تحول عميق فى النظام من غير المحتمل ان يحدث اثرا كبيرا على معدلات النمو فى المدى الطويل . اما العقبة الثانية فتتمثل فى النصيب الكبير من الناتج القومى المخصص للدفاع والذى يقدر بنسبة مابين ١١ ـ ١٣ ٪ الامر الذى له تأثيره على فرص الرخاء .

وشأنه شأن كل القوى العظمى الأخرى ، فان الاتحاد السوفييتى عليه ان يختار فى تخصيصه لموارده القومية بين :

١ ـ المتطلبات العسكرية .

٢ الرغبة المتزايدة للمجتمع السوفييتى فى السلع الاستهلاكية .

٣ ـ حاجة الزراعة والصناعة لاستثمارات جديدة .

ومن الصعاب التى يواجهها المخططون السوفييت تلك المتصلة بالتكنولوجيا السوفييتية التى اختبرت فى بعض الحروب المحلية وتفوقت عليها التكنولوجيا

الامريكية والغربية وهو ما لايمثل علامة مشجعة لقوة اعتمدت تقليديا على السلاح لتنفيذ أهدافها الاستراتيجية المتعددة . كما يتعلق برنامج الدفاع الاستراتيجي الأمريكي S D I وقد يصعب تصور أن هذا البرنامج سوف يجعل الولايات المتحدة مرضية تماما ضد هجوم ذرى ، إلا انه بما لايرحب به الكرملين هو مايفرضه منذ هذا البرنامج من قيود وضغوط على نفقات الدفاع السوفييتي لأنتاج المزيد من الصواريخ والرءوس النووية لاغراق نظام الدفاع الاستراتيجي الأمريكي .

● مشكلات طويلة الأجل

وهكذا فان الاتحاد السوفييتي - او النظام الماركسي فيه - انما يختبر فى السباق العالمي على المستوى الكمي والنوعي . وقد كان من الممكن ان تكون علاقات القوى فى هذا السباق أفضل بالنسبة للاتحاد السوفييتي إذا ماكان الاقتصاد أكثر صحة وهو مايعود بنا الى مشكلات روسيا طويلة الأجل . فالاقتصاد أمر يهم العسكريين السوفييت ليس لمجرد انهم ماركسيين أو لأن الاقتصاد هو الذى ينفق على اسلحتهم واجورهم وانما لانهم يدركون اهميته بالنسبة لمحصلة حرب طويلة وممتدة بين القوى العظمى .

غير ان هذا كله فى تقدير الكتاب لايعنى أن الاتحاد السوفييتى على وشك التصدع انما يعنى انه يواجه اختبارات صعبة .

● الولايات المتحدة : القوة الأولى فى تراجعها النسبى :

فى مجال المقارنة بين القوتين العظمتين ، يعتبر الكتاب أنه رغم ان نصيب الولايات المتحدة فى القوة العالمية في الحقب الماضية يتراجع نسبيا بشكل أسرع من الاتحاد السوفييتي ، فإن المشكلات التى تواجهها لاتبدو بضخامة ما يواجهه، الاتحاد السوفييتى من مشكلات ، هذا فضلا عن أن قوة الولايات المتحدة المطلقة Absolute Strength مازالت أكبر من الاتحاد السوفييتي .

كما أن طبيعة النظام والمجتمع الأمريكي ربما تمنحه فرصة أفضل لاعادة التكيف مع الظروف المتغيرة ، غير ان هذا يعتمد على قيادة وطنية تستطيع أن تتفهم التغيرات الأوسع التى تعمل فى عالم اليوم ، وتدرك نقاط الضعف والقوة فى وضع الولايات المتحدة وهى تحاول أن تتلاءم مع البيئة الدولية المتغيرة .

وعلى الرغم من ان الولايات المتحدة مازالت تمثل قوة متميزة اقتصاديا وعسكريا فإنها لاتستطيع أن تتفادى مواجهة اختيارين : الأول قدرة كل قوة كبرى وخاصة التى تمثل مركز القوة الأولى على البقاء والاستمرار .

على ما اذا كانت تستطيع فى المجال العسكرى والاستراتيجى أن تحتفظ بتوازن معقول بين متطلبات الدفاع الوطنى وبين الوسائل الفعلية للابقاء على هذه الالتزامات .

الثانى هو ما اذا كانت تستطيع أن تحافظ على الأسس التكنولوجية والاقتصادية لقوتها من التفتت النسبى فى مواجهة الانماط المتغيرة بشكل مستمر للانتاج العالمى .

وتعتبر الدراسة ان هذا الأختبار للقدرات الامريكية سيكون هو الاختبار الأعظم لأن الولايات المتحدة ـ شأنها شأن اسبانيا الامبريالية عام ١٦٠٠ ، والامبراطورية البريطانية حتى عام ١٩٠٠ ـ هى الوارثة لنطاق واسع للارتباطات الاستراتيجية التى تمت فى حقب سابقة حين كانت قدراتها السياسية والاقتصادية ، والعسكرية فى التأثير على العالم تبدو اكثر تأكدا ووثوقا مما هى عليه اليوم . ونتيجة لهذا تتعرض الولايات المتحدة لخطر مألوف لدى المؤرخين حول

صعود وهبوط قوة عظمى سابقة وهو مايمكن أن تدعوه بالتوسع الامبريالى الذى يفوق الامكانيات والقدرات الفعلية Impereial Overstrength وهو مايعنى ان الساسة الامريكيين عليهم ان يواجهوا الحقيقة الصعبة والمستمرة وهى أن مجموع المصالح والالتزامات الأمريكية والعالمية هى اليوم أوسع من قوة الولايات المتحدة وقدرتها على الدفاع عنها جميعا فى وقت واحد .

بالاضافة لهذا فإن اهتمامات وروابط الولايات المتحدة الخاصة كانت تبررها وقتها أسباب معقولة ، وفى معظم الحالات فان اسباب الوجود الأمريكى لم تقل بل أنه فى بعض اجزاء العالم فإن مصالح الولايات المتحدة قد تبدو الآن أوسع بالنسبة لصناع القرار فى واشنطون عما كانت عليه منذ عدة حقب ماضيه . وينطبق هذا وبالتأكيد على الالتزامات الامريكية فى الشرق الأوسط حيث تواجه الولايات المتحدة أوضاعا معقدة تجعل من الصعوبة البالغة بالنسبة للادارة الأمريكية أن تتبع سياسة متماسكة طويلة فى الشرق الأوسط .

وتركز الدراسة على أن العسكريين الأمريكيين هم اكثر الدوائر اهتماما بالتباين القائم بين الالتزامات والقدرات الامريكية لانهم سيكونون أول من يعانى اذا انكشف الضعف الاستراتيجى أمام اختبار الحرب الصعب ، ومن هنا كانت تحذيرات البنتاجون من نقل القوات على نطاق عالمى ومن منطقة ساخنة الى اخرى

كما ظهر بشكل خاص فى نهاية عام ١٩٨٣ حين استخدمت قوات اضافية فى أمريكا الوسطى ، وجرانادا ، وتشاد ، ولبنان الأمر الذى جعل رئيس الأركان الأمريكى يقول « ان سوء التوافق بين القوات الامريكية وبين الاستراتيجية هو اليوم أعظم مما كان عليه من قبل » على انه من ناحية أخرى فإنه من غير المحتمل أن تواجه الولايات المتحدة موقفا تحتاج فيه ان تدافع عن مصالحها الخارجية فى وقت واحد وبدون مساعدة حلفائها الغربيين فى

اوربا او اليابان أو حتى الصين فى الباسفيك او اسرائيل فى الشرق الأوسط .

● تحديات

اما التساؤل الآخر حول العلاقة المناسبة بين « الامكانيات والأهداف » فى السياسة الأمريكية انما يتعلق بالتحديات الاقتصادية التى تواجهها وأول هذه التحديات التراجع النسبى فى الصناعة نسبة للانتاج العالمى ليس فقط فى الصناعات القديمة مثل المنسوجات او الصلب او الحديد وبناء السفن والصناعات الكيماوية ، وانما أيضا فى انصبتها العالمية فى أنتاج الأنسان الآلى ، والآلات الحاسبة ، وأجهزة الفضاء فقد أظهرت دراسة للكونجرس أن الفائض التجارى الأمريكى فى سلع التكنولوجيا المتقدمة قد انحدر من ٢٧ بليون عام ١٩٨٠ الى مجرد ٤ بليون عام ١٩٨٥ وهو يتجه بسرعة نحو العجز . اما التحدى الآخر فهو الزراعة لظهور فائض زراعى فى مناطق أخرى مثل دول السوق المشتركة بنظام أسعارها المدعم ، وعدد من دول العالم الثالث مثل الهند والصين التى كانت أسواقا للانتاج الزراعى الأمريكى الأمر الذى أدى الى هجرة كثير من المزارعين الأمريكيين للزراعة . الى جانب هذه الصعوبات فى الصناعة والزراعة الأمريكية هناك اضطرابات غير مسبوقة فى الأوضاع المالية الأمريكية .

غير أنه مقابل هذه السلبيات ينبه البعض الى ان من يركزون على العناصر السابقة انما يبالغون فى خطورة مايحدث فى الاقتصاد الأمريكى ويفشلون فى ملاحظة « طبيعية » معظم هذه التطورات وانها تمثل اتجاهات عادية بالنظر الى أن العالم يتحرك من الانتاج القائم على المواد إلى الأنتاج المعتمد على المعلومات ، ويضيفون الى هذا الظواهر الايجابية للنمو التى تتطور فى الاقتصاد الأمريكى ، فبسبب الازدهار فى قطاع الخدمات خلقت الولايات المتحدة وظائف فى الحقبة الماضية أسرع من اى وقت فى تاريخها فى زمن السلم واسرع بكثير من العالم الغربى .

ويصل بول كنيدى الى مناقشة السؤال الأشمل المترتب على دراسته الا وهو : هل تستطيع الولايات المتحدة أن تحافظ على مركزها الراهن كقوة أولى فى العالم ؟ ويقول أن الاجابة هى : لا ويفسر هذا بأنه لم يتح لأى مجتمع عبر التاريخ أن يظل بشكل دائم متقدما على المجتمعات الأخرى اذ ان هذا يعنى تجميد الانماط المتباينة لمعدلات النمو والتقدم التكنولوجى والعسكرى . غير أن هذا فى رأيه لايعنى أن الولايات المتحدة محكوم عليها بالأفول مثلما حدث مع قوى عظمى سابقة منذ اسبانيا وهولندا ، وانها سوف تتفكك مثلما حدث لامبراطوريات روما والنمسا والمجر . غير انه لكى تتفادى الولايات المتحدة هذا ، فإن على ساستها أن يدركوا ان اتجاهات عريضة تأخذ مجراها الآن فى العالم .


كتاب الهلال
يقدم:
أوراق من الرماد والجمر
متابعات مصرية وعربية ٨٥ - ١٩٨٨
بقلم: فاروق عبد القادر
يصدر ٥ ديسمبر ١٩٨٨
روايات الهلال
تقدم:
ثلاثة رجال في قارب
تأليف: جيروم ك. جيروم
ترجمة: د. أحمد مستجير
تصدر في ١٥ ديسمبر ١٩٨٨

الحبّ والجنس

فى حياة چورچ برنارد شو

عن: مايكل هودوير . بقلم: د. أمين العيوطى

فى عام ١٩٧١ شرع الأوصياء على تركة جورج برنارد شو ، وهم المتحف البريطانى وجاليرى ايرلندا الوطنى والأكاديمية الملكية للفن الدرامى ، فى البحث عن مؤلف يكتب سيرته بشكل دقيق ، ووقع اختيارهم على مايكل هولرويد لخبرته فى كتابة السير . فتح الأوصياء له ابواب المكتبات العامة وسجلات المحفوظات فى كل انحاء العالم ، فبدأ بحثا استمر خمسة عشر عاما بين الآلاف المؤلفة من مخطوطات شو ومذكراته .. اثار هذا اهتمام الأوساط الأدبية حتى ان مؤسسة شاتو وويندس دفعت مقدما رقما قياسيا ٦٢٥٠٠٠ جنيه استرلينى فى كتاب شاع عنه انه سيرة هذا العصر . السيرة تقع فى ثلاثة مجلدات .. المجلد الأول ، البحث عن الحب ، يغطى حياة شو فى الفترة ما بين ١٨٥٦ إلى ١٨٩٨ ، وقد صدر فى سبتمبر ١٩٨٨ ، المجلد الثانى ، البحث عن السلطة ، ينشر فى عام ١٩٨٩ .. أما المجلد الثالث ، فتنة الخيال ، فسوف ينشر فى ١٩٩١ .. وقد قامت جريدة الصندى تايمز بنشر مقتطفات من المجلد الأول على ثلاثة اعداد فى الفترة ما بين ٤ إلى ١٨ سبتمبر ١٩٨٨ ، تغرى بأن نستبق الزمن حتى نلاحق هذه السيرة الشاملة الموحية ..



جورج برناردشو واميرة بريطانية وشارلي شابلن

الحبّ والجنس في حياة جورج برنارد شو

في المجلد الأول يرى كاتب السيرة أن فهم ج . ب . ش يكمن في طفولته التعيسة ، إذ كان نتاج زواج غريب بلا حب بدأ في ١٨٥١ حين شرع أبوه يبحث عن زوجة ثرية ، كان الأب ينحدر من أسرة من أعيان الريف فقدت ثروتها وتركته بلا ميراث أو وظيفة أو مهارة يدوية أو مؤهلات من أي نوع ، وحين إلتقى ببيسي جيرالد كان سكيرا تعسا لا يهمه من الحياة إلا الشراب والمال ، ولا يبدى إهتماما بالنساء ، كانت بالنسبة له حبل النجاة إذ كانت ابنة أحد ملاك الأراضي لكنها حين أصرت على الزواج من جورج كارشو حرمتها خالتها الوصية عليها من الميراث .. هكذا «كسب الرجل زوجة وخسر ثروة» .. وعاشت الأسرة التي ولد لها بنتان وصبي حياة متواضعة في بيت متواضع بعد أن اتجه الأب إلى تجارة الحبوب ..

كانت أم شو هي الشخصية الرئيسية في طفولته ، وهي المرأة التي خاب ظنها في الزواج بعد ان اكتشفت أن زوجها سكير ، وعانت معه شظف العيش ، وتولد لديها الاحساس بأنها زوجة مخدوعة ، مضطهدة ، خائبة الظن في الحياة مما حدا بها إلى الهروب إلى عالم تحضير الأرواح ، ووجد الصبي نفسه مهملا لا يتهم به أحد ، يحيا حياة بلا حب ، يعيش على الأحلام ، وإن كان عدم اهتمام الأهل به قد علمه الاعتماد على النفس ، والاكتفاء الذاتي ، ومن العلاقة الفاترة بين امه وأبيه توصل إلى اكتشاف موضوعية الجنس والقدرة على أن يباعد بين نفسه وبين من يحب .. تولدت فلسفته في طفولة ضائعة جعلته يرى نفسه مجرد انسان يقيم على الارض دون أن يكون من أهلها ..

● حياة متناقضة !

في السادسة من عمره دخل حياة الأسرة مدرس موسيقى أدخل في حياة الأم عالما جديدا من الخيال وسحر الموسيقى .. كان جورج لي محدثا بارعا حتى ان الأم كانت تدب فيها الحياة تحت تأثيره وهي تصغى إليه .. كانت الموسيقى وجوده ، ودراسة الأصوات عشقه ، وتدريس الموسيقى كل حياته .. ويبدو أن المرأة كانت قد التقت به عقب زواجها وهو يجوب شوارع دبلن بحثا عن أصوات يضمها إلى الجمعية الموسيقية للهواة ، إذ كان يسكن على بعد ياردات من بيتها وسرعان ما أصبحت قائدة الكورس ومسئولة عن مهام جمعية لي الموسيقية ..

لم يكن شو يحب جورج لي ، لكنه كان يعجب به ، وكثيرا ما راودته هواجس ، كما راودت كثيرين غيره ، انه كان الابن الطبيعي لهذا الرجل ، وهناك احتمال أن شو كانت تراوده رغبة خفية في أن يكون ابن هذا الموسيقي العبقري بدلا من أن يكون ابنا لجورج كار شو التعس الضعيف الشخصية ، ولكي يطهر العلاقة بين أمه والرجل من أي شبهة جنسية فإنه أقامها في خياله حصنا جنسيا لا يقهر ، حتى انه كان يعجب كيف أمكنها أن تنجب على الاطلاق ثلاثة أطفال مالم يكن زوجها ، في لحظات سكره ، قد اغتصبها عنوة .. ولما كان يتقاسم مع الرجلين الأسم الأول «جورج» ، فقد حذف من اسمه كلمة «جورج» واكتفى بالحرف الأول من الاسم فقط ، حتى انه كان يدمدم إذا أخطأ أحد فناداه باسم جورج .. لكنه كان قانعا بأن يكون ابن جورج كار شو لمجرد حماية سمعة أمه ..

غير أن جورج لي سرعان ما أصبح أحد أفراد العائلة حين استأجر بيتا صيفيا خارج دبلن واقترح أن تتقاسمه معه أسرة شو ، حيث مكث الجميع معا قبل أن ينتقلوا إلى بيته في دبلن مع الابقاء على البيت الصيفي لقضاء

العطلات الصيفية ، كان لى يدفع الايجار للجميع بالاضافة إلى تكاليف البيت الصيفى ، وإذا كان هذا الترتيب قد وفر لأسرة شو مقاما مريحا ، إلا أنه وفر لجورج لى وجود بيسى ، وربما ابنتيها أيضا معه ملأ لى البيت بالموسيقى وأفرغه من الصلوات العائلية .. ومنه تعلم شو أن ينام والنوافذ مفتوحة ، ان يأكل الخبز الأسمر بدلا من الخبز الأبيض ، وأن يبدى احتقاره لكل أصحاب المهن من أطباء ومحامين وأكاديميين كما وفر له الكثير من الكتب التى لم يكن يقرأها والتى راح شو يلتهمها ويتذوق من بينها الف ليلة وليلة ، قصيدة «الملاح القديم» لكولريدج ، وعالم المغامرات فى كتابات وولتر سكوت واسكندر دوماس ، وأعمال شيكسبير وجورج اليوت وتشارلز ديكنز وجيته وهو بعد فى الثانية عشرة من عمره ، كان يرى شخصيات شكسبير وديكنز أكثر واقعية وأشد حيوية من الحياة ذاتها .. اما الجو الموسيقى الكورالى والأوركسترالى الذى اشاعه لى فى البيت فقد ايقظ حواس شو الموسيقية ، فعرف أعمال بيتهوفن وهاندل وموتسارت وفردى قبل أن يبلغ الخامسة عشر .. لكن الرجل مالبث ان رحل عن دبلن الى لندن ، حيث هجرت الأم أسرتها ولحقت به تاركة شو ينعى حظه ويعمل كاتبا فى وكالة لبيع الأراضى ..

غير ان هذه التجربة تركت أثرها على شو بعد ان تعلم النوتة الموسيقية والعزف بنفسه وقرا الكثير من الكتب الاكاديمية فيما بعد حين لحق بأمه وجورج لى فى لندن مركز الأدب والفن ناقدا موسيقيا كان فى الواحدة والعشرين حين أصبح مساعدا لجورج لى يكتب له مقالاته النقدية عن الحفلات الموسيقية ، حتى اكتشف رئيس تحرير مجلة «هورنيت» الحقيقة ، وأفل نجم لى وتخلت عنه أم شو ، خاصة بعد أن حاول الزواج من ابنتها لوسى ، واتخذت مهنة تعليم الغناء ..

● سطوة المرأة ●

وبموت لى فى ١٨٨٦ انتهت حياة شو كناقد



جورج برناردشو الأب وزوجته

موسيقى من الباطن ، وبدأ حياته باحثا عن الحب ، أو عن طفولة ثانية ينعم فيها بالاهتمام والسعادة اللتين افتقدهما فى أمه وهكذا بدأت أول قصة حب حقيقية ، وأول علاقة جنسية له مع احدى صديقات أمه ..

فلما كان قد حرم فى طفولته من تكوين اى ارتباطات عاطفية فإنه وجه كل عواطفه نحو الفكر ..

كان يلغى جسد المرأة ليخاطب عقلها حتى جعل النساء تظنه عنينا .. غير ان الأرملة مسز باترسون جعلت منه دون جوانا .. كانت صديقة لأمه تعلم على يديها دروسا فى الغناء وتكبره

الحبّ والجنس

في حياة جورج برنارد شو

بخمسة عشر عاما .. وكان شو حين يعود من قراءاته في المتحف البريطاني يجدها مع أمه فيشاركها الغناء ويصحبها إلى محطة الأوتوبيس المتجهة إلى بيتها في ميدان بروميتون .. وذات مرة عاد ليجدها في البيت فقضى معها الأمسية ، ثم ذهب لزيارتها في بيتها فوجدها وحيدة وظل يثرثر معها حتى منتصف الليل ، وقد أدى هذا إلى تطور في مظهر شو الذي تخلى عن ثيابه المهلهلة التي كانت تتألف من معطف بال .. شذبت أطراف اكمامه المهترئة بالقص وحذاء رث ، واشترى حلة جديدة دفع ثمنها من التأمين على حياة والده الذي توفي في ١٥ ابريل ١٨٨٥ ، ووصفها بأنها حلة لا يمكن للنساء مقاومتها .. ولعل الحقيقة انه في حلته هذه أصبح اكثر ثقة في نفسه عند مخاطبة النساء وقد شجعته مسز باترسون على الاقتراب منها وهي تتمنع وتتدلل . وفي عيد ميلاده التاسع والعشرين احتفل بالدخول في تجربة جديدة حين اخذت مسز باترسون زمام المبادرة واخترقت حاجز عفته .. ومن خلالها عرف سطوة الجنس ..

غير أنه استاء من سطوة المرأة عليه إذ قلبت كيانه واخترقت وحدته واستقلاله والنظام الصارم الذي كان يتبعه في عمله .. وتكشف مذكراته عن الأحاسيس المتضاربة التي كانت تنتابه وتتأرجح بين الملل والاحساس بالذنب وقلقه من استحواذ المرأة عليه .. لكنه ظل يتردد عليها ويقضي معها ردحا طويلا من الليل ويسجل في مذكراته عدد المرات التي طارحها فيها الغرام في كل زيارة .. لم يكن يرتب لقاءاته معها ، بل كان يزورها حين لا يستطيع ان يظل بعيدا عنها .. وكان احيانا يرفض دعوتها له ، أو يذهب متأخرا حين تكون هي قد اوت الى فراشها فيظل يتسكع في الميدان متطلعا الى نوافذ البيت المظلمة وكثيرا ما حاول ان يضع حدا لهذه العلاقة ليؤكد لنفسه تفوقه على مشاعره الجنسية ، الا انه كان لا يلبث أن يجد نفسه مشدودا إلى المرأة ، وكثيرا ما كانت المرأة تغريه ، بالذهاب اليها إذ تلوح له بأنها ستقدم له أعتابا طازجة وعسل نحل وكاكاو وخبزا أسمر ، وتؤكد له أنه حر في أن يفعل ما يشاء ، وتحذره في نفس الوقت من أن يقع في غرام امرأة أخرى ، وعلى الرغم من محاولاته أن يضع حدا لعلاقته بها إلا انه كان يؤنب نفسه لأنه استغل جسد المرأة ووجد الحل في أن يعرض عليها أن تكون علاقتهما أفلاطونية ..

غير أن هذه العلاقة الأفلاطونية لم تدم طويلا ، فظل يتردد عليها ولكن على فترات أكثر تباعدا ويغادرها مبكرا ..

كان الصراع في نفسه يدور بين قضاء الليل معها واهماله لعمله وبين التزامه بعمله وإهمالها .. وجاهد شو نفسه ليخمد مشاعره الشهوانية انما ليجد نفسه راغبا في علاقة افلاطونية مع علاقة جنسية كاملة في آن واحد ، وأدى هذا إلى شك مسز باترسون في اخلاصه والى غيرتها من علاقاته النسائية الأخرى وخاصة علاقته مع ان بيسنت ، إحدى الاشتراكيات البارزات في الحركة الفابية التي رفض شو أن يقيم معها كزوج ففكرت في الانتحار ووجدت الحل في أن تنغمس في نشر الفكر الفابي في الطرقات ، كانت علاقته الأخيرة هذه تثير مشاهد عاصفة بين شو ومسز باترسون تهدأ حين يطارحها الغرام .. غير أنها لم يغب عنها أن مشاعره نحوها قد تغيرت خاصة بعد ان اكتشفت خطاباته الى آن بيسنت ، واستبعاده لها من حياته الحافلة باللقاءات والخطب السياسية في هايد بارك وقراءاته وكتاباته .. والحقيقة انه في حين كانت هذه العلاقة جزءا من اهتمامات شو المتعددة ، إلا أنها كانت كل حياة مسز

باترسون .. كانت تحبه بكل ذرة فى كيانها ولم يكن يستطيع ان يبادلها نفس الحب .. كان هذا يثير بكاءها وثوراتها ومشاحناتها مما افقد علاقتهما مذاقها ، ودفعه إلى الأرتماء فى علاقة حب جديدة مع الممثلة فلورنس فار ..

كانت علاقته مع فلورنس فار مختلفة ، حافلة بالأحاديث الذكية والأفكار والمشاعر والضحك ، وشأنها شأن مسز باترسون كانت هى التى أخذت زمام المبادرة لتجذبه إليها .. لكنها كانت تختلف عنها فى انها كانت تنظر إلى الجنس نظرة واقعية ، فلم تكن مبهورة بالاعيب الجنس السخيفة ، كانت ترى لحظة الجنس لحظة لهو وسعادة ورياضة صحية على شرط الا تطغى على العلاقات الجادة .. وفى موقفها هذا وجمالها وقراءاتهما المشتركة كانت تكمن جاذبيتها بالنسبة لشو .. اثارت هذه العلاقة الجديدة غيرة مسز باترسون الى حد انها كانت تحاصره فى غرفته فيضطر الى استخدام القوة حتى يستطيع مغادرة بيته ، وإلى الاعتصام فى المتحف البريطانى وارسال برقيات الى امه لتخلى البيت قبل أن يعود .. حتى كان مساء اقتحمت فيه مسز باترسون غرفته لتجده مع فلورنس فار فتسبها وتحاول الاعتداء عليها ويمنعها شو بالقوة .. كان فى هذا نهاية لعلاقتهما .. فلم يعد يجيب على سيل خطاباتها وبرقياتها إليه ، وامتنع عن مخاطبتها والتراسل معها حتى ادركت انها لم تعد بالنسبة اليه سوى « شىء يلقى به جانبا مثل لعبة سئمها صاحبها » ..

جورج برناردشو اثناء تصوير بيجماليون مع الممثل ليزلى هيوارد



الحبّ والجنس
فى حياة جورج برنارد شو

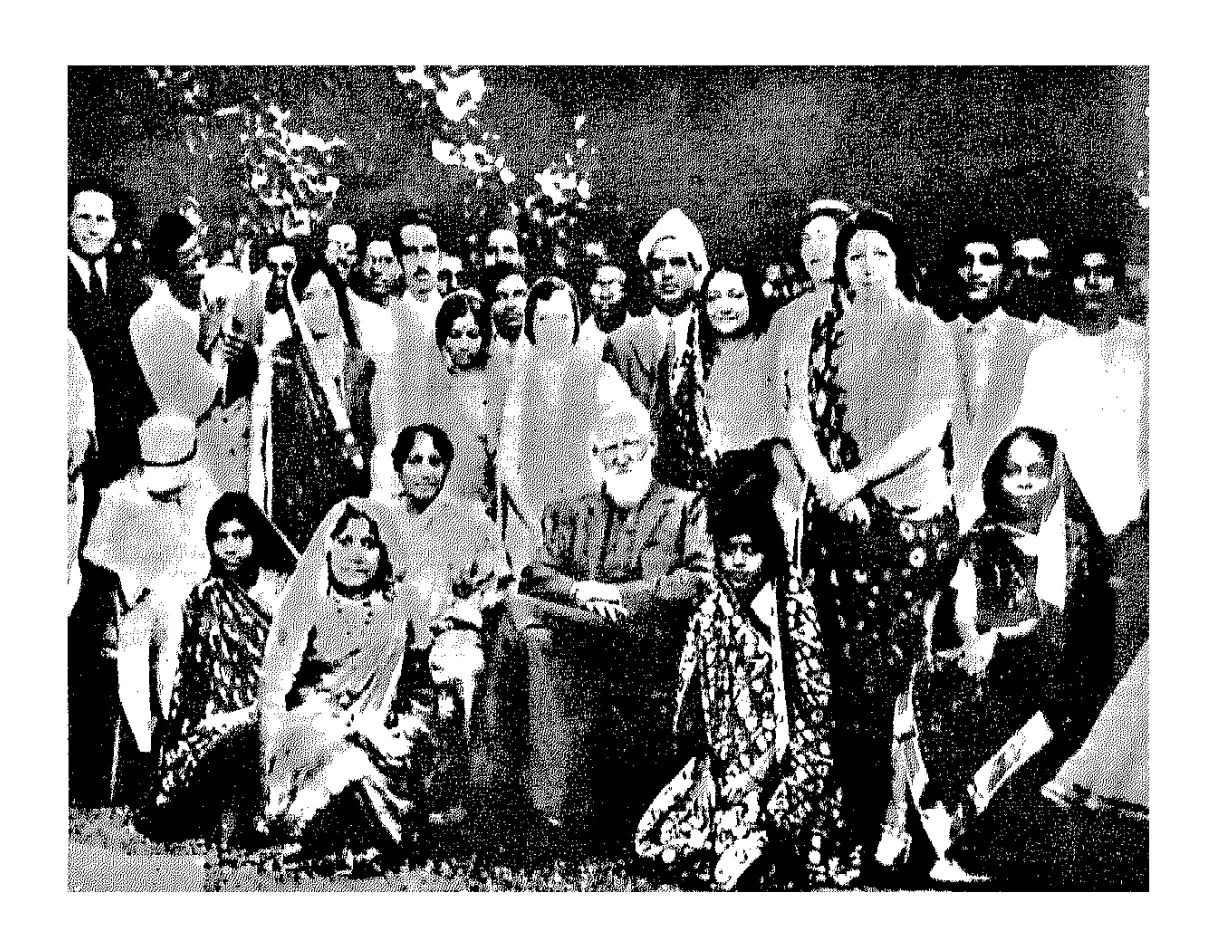
● حب حقيقى

كان شو فى الحقيقة فى حاجة إلى زوجة تمنحة الاستقرار وتحول بينه وبين مغازلة الفتيات الفابيات وزوجات الرجال الآخرين لتمكنه من التركيز على عمله .. كان الحل يكمن فى ادماج انفعالاته الجثمانية فى عمل مشترك مع زوجة .. وقد حاول ان يجد ضالته فى علاقات من هذا النوع مع بعض الممثلات .. إلا أنه فى صيف عام ١٨٩٦ التقى فى حفل غداء بسيدة ايرلندية ثرية وجميلة تدعى شارلوت بين « تاونشند » . كانت فوضوية ترفض الخضوع لأية قواعد ، واشتراكية لا عن فهم للاشتراكية ولكن لمجرد أنها كانت ذات طبيعية متمردة .. تصادق الاثنان فأصبحا رفيقين دائمين يجوبان الريف على دراجتين طول النهار ويتحادثان شطرا طويلا من الليل .. كان شو قد طلق فى تلك الفترة حب الممثلات .. واحب فى المرأة الجديدة صدقها واستقلاليتها وانخراطها فى الجانب السياسى من حياته ..

اصبحت شارلوت شيئا لا يمكن لشو الاستغناء عنه .. فقد تعلمت كيف تقرأ اختزاله وتكتب له على الآلة الكاتبة وتعد مسرحياته للطبع .. وعلى الرغم ان ذلك كان يتم فى شقتها ، إلا أنه كان لا يستطيع ان يهبط عليها دون موعد سابق كما كان يفعل مع الأخريات لم تكن شارلوت بوهيمية .. كان يدعوها الى المسارح ومتاحف الفن ومحاضرات الجمعية الفابية ـ وكانت هى تلاحقه حين يلقى خطبه عن الاشتراكية عند نواصى الشوارع وبوابات الموانىء ، وتدعوه الى تناول الغداء والعشاء ، وتهتم بأن يتعلم طباخها الاكلات النباتية .. وسرعان ما اصبحا صديقين .. بل ان شارلوت أصبحت شديدة التعلق به دون أن يبدى هو من جانبه أية عاطفة حقيقية ..

عندما عرضت عليه شارلوت من جانبها الزواج زلزل عرضها كيانه حاول ان يشرح لها انه لم يكن يستطيع ان يتصرف فى حياته الخاصة بما يتعارض مع التزاماته العامة .. كانت ثرية .. وكان فقيرا .. وكان زواجه منها سيبدو زواج مصلحة ، وهو الذى كان ينادى بأن زواج المصلحة نوع من الدعارة حاولت شارلوت ان تقنعه انه لم يكن بحاجة الى أن يكون ثريا مثلها ، بل يكفيه أن يكسب ما يفى بحاجاته من عمله وأن يظل مستقلا عنها ماليا .. واصر على موقفه .. لكن شارلوت لم تتخل عن اصرارها على الزواج منه ، بل اكتفت بتغيير تكتيكاتها .. فلم تعد تبدو حريصة على لقائه ، وبدأ هو يعترض ، وعندما رحلت إلى ليستر لزيارة اختها راح يشكو : «اين اقضى امسياتى ؟ ليس هناك من اتكلم معه وعندما عادت تعمدت ان تختفى عنه .. كلما سأل عنها قيل له انها كانت بالخارج ، حتى صاح ذات مرة فى وجهها : «لا ادرى بحق الشيطان أين اذهب ـ ولا بحق الشيطان ما افعل» .. ثم اختفت فى رحلة الى باريس ـ وعندما عادت اتجهت مباشرة الى هارتفورد شير لتمكث مع بعض الأصدقاء الفابيين الأثرياء .. ولاحقها شو على دراجته ..

كانت المفارقة الساخرة فى موقفه انه كان ينادى باستقلالية النساء ، لكنه يريدهن ان يعتمدن عليه وأن يحرمهن من سطوتهن الجنسية عليه .. كان يثير اهتمامهن ثم يجرى ، ومنه تعلمت شارلوت اسلوبه .. فجعلته مناوراتها يبدو كمن يلاحقها .. وفى صيف ١٨٩٨ رحلت شارلوت إلى روما لمدة سبعة اسابيع .. وكلما طالت اقامتها فى ايطاليا ، كلما زاد عدم احساسه بالاستقرار وعدم قدرته على اتخاذ القرار ، كان يردد احيانا انه سوف يتزوجها ثم تراجع عن قراره فى اليوم التالى غير انه حين اصيب بالتهاب فى مفاصل اصبع قدمه الكبرى ، واجريت له جراحة ، واضطر الى الاعتماد على عكازين لم



جورج برناردشو فى ضيافة البيجوم فى الهند عام ١٩٣٣

يجد سوى شارلوت تعنى به فى بيت ريفى استأجرته له ، كما استأجرت له ممرضات وخدما ..

وأدى نجاح مسرحيته حوارى الشيطان الى ازالة تردده فى الزواج منها على اساس الحجة المالية التى ساقها قبلا .. كتب مشيرا الى نجاح مسرحيته : «إنها لم تجعلنى ثريا مثل زوجتى ، لكنها وضعتنى أبعد من كل شك فى أن أكون صائد ثروة أو طفيليا» .. ففى عام ١٨٩٦ كسب ٥٨٩ جنيها وخمسة شلنات ، وفى عام ١٨٩٧ وصل دخله الى ١٠٩٨ جنيه استرلينيا ، وهكذا وصلا الى اتفاق بأن يتقاسما المصروفات الاساسية فيما بينهما ، وأن يحتفظا بدخليهما منفصلين .. وفضل أن يظل جاهلا بالرقم الحقيقى لثروة زوجته ، وأن كان يعلم أنها كانت تملك قدرا هائلا من المال ..

فى أول يونيو ١٨٩٨ أبرق شو الى صديقيه جريام والاس وهنرى سولت ليكونا شاهدى زواجه . وصل الاثنان فى ابهى ملابسهما ، فى حين حضر شو على عكازين وهو يرتدى سترة قديمة رقعت عند الأبطين بجلد مهترىء ، فظنه مسجل العقود «الشحاذ المحتوم الذى يكمل مواكب الزفاف» ، وشرع فى اجراءات الزواج ظنا منه أن والاسى كان هو العريس - غير أن والا٪ تنبه الى ان اجراءات الزواج وصياغة العقد كانت تتجه الى شخصه بصفته زوجا لا مجرد شاهد على العقد فانقذ الموقف وتخلى عن الدرة الثمينة لشو ..

وعلى الرغم من ان شو كان يريد ان يتم الزواج سرا ، إلا ان الخبر تسرب الى صحيفة «ستار» التى صدرت فى اليوم التالى تحمل خبرا صاغه شو بنفسه يقول :

حين خرجت احدى السيدات واحد السادة بالامس يقودان سيارتهما ، قادهما وابل من المطر إلى الاحتماء بمكتب مسجل الزواج ، ووسط فوضى اللحظة قام بتزويجهما ، كانت السيدة سيدة ايرلندية تدعى الآنسة بين - تاونشند ، وكان السيد هو جورج برنارد شو ..

وبهذا البيان بدأ شو ، وهو فى الثانية والأربعين ، «المغامرة الرهيبة» التى جعلت منه زوجا محترفا ..

ندوة الهلال الشعرية

٩ شعراء وشاعرات في
موسم « الهلال » للشعر

ذكرياتنا وذكرياتك ـ عزيزى القارىء ـ مازالت تتعلق بموسم الشعر الذى قدمته «الهلال» فى العام الماضى ، متضمنا عددا من قصائد الشعراء والشاعرات ..

لقد تلقينا أكثر من ألفى رسالة خلال الأثنى عشر شهرا الماضية عن قراء كرام يطلبون موسما للعام الحالى ـ ١٩٨٨ ـ قبل انقضائه .. وها نحن أولاء نلحق بالشهر الأخير من هذا العام ومعنا ٩ شعراء وشاعرات من مصر والبلاد العربية يتبارون فى إنشاد قصائدهم فى هذا الموسم الجديد المقام على صفحات الهلال كما كانت تقام مواسم الشعر قديما فوق أديم الأرض العربية العريقة فى عكاظ وذى المجاز ومربد وغيرها من أسواق البلاغة والفصاحة ..

نحن نقدم إليك هنا أجود ماتلقيناه من الشعر بغض النظر عن الأسماء التى ربما ضخمتها الدعاية بغير حق .. وبعيدا عن الانحياز إلى هذا المذهب أو ذاك من المذاهب الشعرية التى يتعارك حولها بعض الشعراء الآن ، وكان الأجدر بهم أن يتركوا جميع الأزهار تتفتح تحت شمس ربيع الشعر ! ..

إن فيما نقدمه إليك هنا شعرا تفعيليا ، وشعرا عموديا ، ومذاهب فنية مختلفة ، واتجاهات متعددة ، من الشعر العاطفى إلى الشعر الوطنى إلى الشعر السياسى ، تحت خميلة وارفة الظلال تجمع الأصوات الشعرية على أفنانها الباسقة ..

وإننا إذ نقدم إليك هذه الندوة الشعرية أو هذا الموسم الشعرى ، لنترك لك أن تختار وتتذوق كما تشاء .. ولعلنا نلتقى فى العام القادم فى موسم احتفالى حي يجمع عشرات الشعراء يلقون قصائدهم بأنفسهم على جمهورهم ، ليتحقق الشكل والمضمون الحقيقيان لمعنى الموسم كما عرفه شعراء الأمة العربية فى سالف الزمان .



لذة الخطر

شعر: جليلة رضا

أريد أن أكون بحارا على سفينة
في ليلة نامت بها السماء والأنوار
حتى احس انني نهايتي وقمتي
لا أدعي إذا ضللت انها الأقدار

★ ★ ★

لسوف أغدو رجلا في رحلتي المروعة
فإن خوفي ربما يعوق لذة الخطر
وربما شعري يجدل الرياح الطيعة
وقد يشق مهجة السفين دمعي المنهمر

★ ★ ★

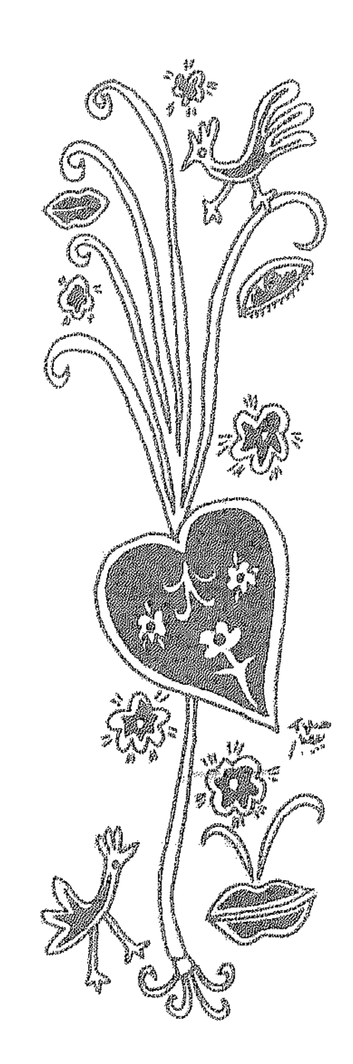
سيستقر فوق جبهتي السواد والسواد
وسوف يهبط الأسى وسوف يصعد الألم
ستمحى من خاطري أطياف قرب أو بعاد
وتستوى عندى اتجاهات العيون والقدم

★ ★ ★

وسوف لا أرقب في السما طلوع الأنجم
فما أرى أسخف من تلهفات الانتظار
لن يسيح النجم على سواعد التوهم
ولن يصير لي دُنى ولن يكون لي نهار .. !

★ ★ ★

لكنني في خلوتي بالموجة المرتعده
سيعصف الجوع بروحي بعد هداة الشبع
ساحضن المجهول في رياحه المعربده
واعبر الأهوال في اقصى مداها .. والفزع ..



قلقيلية .. المدينة الفلسطينية

شعر : مصطفى غنيم

ليس على قسماتك سيماء الحزن
ولا لون الضعف
ولايبست اغصان بساتينك
من ريح الهمجية
قلقيلية
يامجد الأمس وإصرار اليوم
وزهور المدن العربية
من بياراتك ينساب أريج الليمون
وأحجار المقلاع
وتكبير المنتصرين
وعلى ايقاع الدبكة فى سلحاتك
يهتز شباب لايسكنه الخوف
ولا الليل الشتوى
ولا ضعف البشرية
قلقيلية
رغم الدبابات الشائهة السحنة
قاموس القبح .. محاصرة الحلم
ورغم الوحشية
سيظل على جدرانك
رونقها العربى
وإصرار حجارتها
وجلال احاديث نبوية





أذوب في المطر

شعر: ماجدة بركة

بلى اذوب فى المطر
ولاتذوب فى ... انت رحمة ورقة
بلى اذوب قطرة بلا اثر
اذوب فى الحزن الجميل مرة
ومرة فى الحزن احتضر
الريح زائرى الوحيد
يرانى طائرا فريد
احلق فى سماء من رماد
وفضتى هى القمر
....
آه حبيبى وغضبى منك
جدائلى الذهب
وتمرى الرطب ... وعيناى البحور
وانت مبتعد ؟!
سلام عليك والف سلام

والف منام ورؤيا اليك .

....

سمعت همسك الخجول همهماتك الضحوك
نزلت استحم فى شمس الغروب
غمرت نفسى فى برتقالها الوضىء
سرقت انت حلتى ومئزرى وشالى الموشى بالذهب
فكيف بالله أعود ؟
أكالحقيقة عارية !

....

ياحبيبى الذى عيونه هديل
سمعت صوتك الجميل
سكبت حنتى على الطريق
وصار كفى المحنى خاويا
ياويلتى
ماذا تقول أمى التى فى البيت تنتظر
حبيبى الذى فى الصمت مسكنه
حروف ابجديتى اضعتها فى صمت محضرك
فهل لى حفنتا ماء وحفنتا كلام
لازرع ايكة من طيب الكلم
فى ظلها انام

....

ياحبيبى الذى عيونه سفر
فتشت عنك كل البلاد
حملت صرتى على ظهرى وجبت
عبرت كل بحر وجزت كل بر
سألت الطير فى السماء
والوحوش والبشر
ففاجأنى ردك فى كل صوت
بعيد أنا كنفسك عنك

لحظة صمت

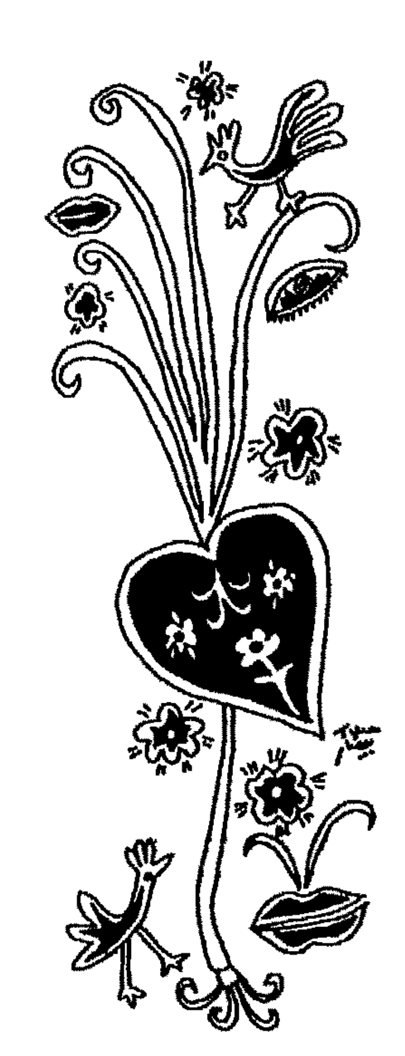
شعر: أحمد سويلم

- رائع ان تكون على أهبة الحب
ثم يجيئك نسراً يعانى الظمأ ..
- رائع ان تظل سطوراً من الحلم
ثم تصير الحروف شفاها
تصير عيونا
تصير قلوبا
وتملك من موجك المبتدأ
- رؤيتى اتسعت فى امتداد ذراعى
بالامتداد الرؤى .. وانهمار المدد
وتضيق العبارة ..
أين احتمال الحروف .. وفيم البدد
والذى كان يأسرنى فى الزمان القديم
تجدد بين يدى .. واتقد ..



- سيد وجعى .. وعميق
ومفترش لغتى .. طرقات من الجمر
فيها تسكعت
فيها كبوت
ولكننى الآن اعرف كم تتقاطع فى ناظرى
المسافات
كم يزحف الصمت يترك فى القلب نافلة
فى غياب التباريح .. قافلة
- مدن قد تغيب
وأخرى تقوم جزائر
لكن ماتغرس الآن ليست كهذى المدائن
- ياأيها اليم .. فتت كما شئت موجك
كل الرذاذ الذى يسقط الآن فوق الوجوه

طيور من العشق
ياايها اليم .. هات المفاتيح
كل المغاليق توشك أن تصدأ الآن
لن تجد اليوم من يمنح القلب .. والعين .. والصلوات
استو الآن فوق الأكف
حماما لأحلى الرسائل
نحن إليك انتماء
ونحن احتراق
ونحن ارتخاء على الموج ..
- حين غرقنا .. بعدنا
لم يجرؤ الخوف أن يخنق الماء ..
لم يجرؤ الصمت أن يتمطى مع الليل
كنت الأمان لنا .. والطيور
وكنت الجنون .. الفتون .. العبير ..
- رائع وجع العاشقين
نتطهر فيه .. فننمو نخيلا يطول .. يطول
يشق السماء جناحين
وردا هناك .. وتعويذة فى العيون هناك
وبينهما الوجه يورق صفصافة
والمسافات .. لاتتعدى انفراجة كف ..
وفاصلة الأرض فى القلب .



ياايها اليم
صوت القصيدة يبدأ من لحظة الصمت
والنور من بقعة الظل
كيف تؤرخ هذا الزمان الجديد
ولاتتوخى الحقيقة والصدق
إنا ظللنا على أهبة الحب
حتى استوى الحب فى القلب سارية
ايها اليم ..
جد بلحتوائك
إنا اتيناك من زمن المستحيل ..

الحيتان

شعر:
أحمد فضل شبلول

البحـــر البحـر البحـر
ذات صباح منى هـرب البحـر
ذات مـساء كنت أعـد النحـر
البحـــر البحـر البحـر

يدخل غرفة أحلامى ويمزلجها
ويبعثر أملاح الفوضى فى الأركان
استنشق رائحة اليود

ورائحة الاسفنج
ورائحة الطوفان

فوق سريرى ..
تتقافز أسماك البهجة والأحزان
تركلنى الحيتان
وتمر سفائن حبلى بالشمس وبالأقمار
ملاحوها يقفون على أعتاب الكون
على أعتاب جزيرة «فاروس»
ويشير الملاح الأكبر للرئتين النائمتين على صدرى
- نبنى فوق الرئة اليمنى ..
فندق رقص وسعار
... فوق الرئه اليسرى ..
قصرا للدولار
... بينهما نبنى ....
تمثالا للحرية
ومنارة خوف ابدية

تركلنى الحيتان
استنشق رائحة الطوفان
البحـــر البحـر البحـــر
البحـــر وهـــذا البحـــر

الجلوس فوق حافة الضياء

شعر: زينب محمود أحمد

(١) المخاض

وجئت كالشروق فوق صفحة
الحقول
بلون خطوة اليفة لساقية
بطعم دهشة السؤال فى
قصيـدة مـواتيـة
فانت روح ذلك المكان ...
ولحن اغنياتنا بموسم
الحصاد ،،،
وانـت فـرحـة هنـا ...
وبـهجـة هنـاك ..
لم يجيئها المخاض
بعد ،،،
وانت لحظة وشيكة الحدوث
ومستحيلـة الحـدوث

(٢) صديقى القديم

صديقى القديم كان دائما
حزين !!
فظله على الجدار مرهق ...
يفند التجهم البطىء ،،،
يمد فى الفضاء قشعريرة
الفناء
وصوته مسافة ...
تدفء التاوه الحبيس فى
العيون ..



وتحرق الصفصافة التى
بأول الطريق
صديقى القديم كان دائما
حزين !!
ومنذ موته ـ
أعيش بعض حزنه ،،
تقلصت أضالعى ..
وتهت فى مغارة السكوت
كتبت فوق قبره
رسالة قصيرة ـ قصيرة ..
وحين عدت
لم أجد رسالتى ،،،
ولم أجد جواب !!!

(٣) الجلوس فوق حافة الضياء

واستدير كى أرى ـ قبالتى ـ
أواخر النهار



تزيد من صبابتى فأعشق
الجلوس فوق حافة الضياء
واستثير غضبةً الرياح ...
كى تطارد المساء
وعندما يطل وجهك الرقيق
فوق صفحة القمر يراقص
الغصون ،،،
ويوقظ الضفادع التى على
جوانب الترع فيسقط
الخريف من سنين عمرنا
ويولد النشيد

قيلولة

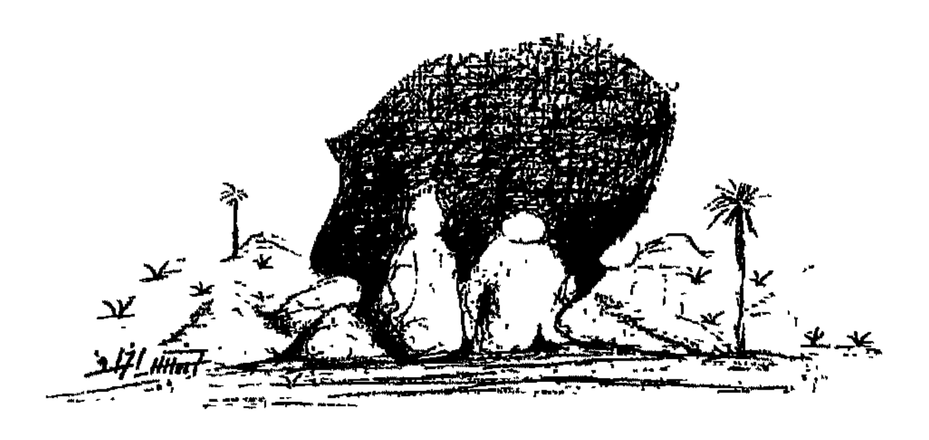
شعر : محمد محمد السنباطي

يتدلى غصن من اغصان الذكرى نحو الوجدان الغافى تحت الشجرة
ويمس جبينه
ويحرك من تحت الراس ـ يمينه
يوقظ من لم يهنا بالنوم لحيظات
فيحدق فى اشياء تسر العين واخرى مافوته
ويغمض اجفانا ارقها الوجد وارهقها
يستهويه أستجماع الأطراف على الذات ليدفئها
يتقوقع منغلقا ويريح عيونه
والشجرة آلات للموسيقى تعزف فيها الريح واحيانا يتغنى صيدح او تنعق بومه
الشجرة فى الصيف تقاوم سيف الشمس وتتحداها
تنقذ من ضربتها الآوين إلى الظل وكم آوت من وائل !
تتحدى ناب الجوع فتعطى ثمرتها المحرومين وهذا كرم ليس بزائل
والنائم تحت الشجرة فى ظل النسيان الحائل
يوقظه غصن لم يعرف بعد ذبولا ، لم يتشنق غب جفاف
والآوى لم يهنا بالنوم لحيظات ، يتمنى ـ معذرة ـ كاس سبات
والغصن المتهامس يتدلى ليعابثه ... هل يتركه ؟!
هيهات !!



ميخائيل نعيمة

شعر: سليم الرافعي - لبنان



كرموه .. فهو أولى أن يكرم ... ذلك الطيف على صهوة أدهم

ذلك العاشق في صومعه ... ماسلا الشرق ولامحراب مريم

ذلك الفاتح القي سيفه ... مثل (جبران) وصلى ثم سلم

فوق واد جبلا عاش وفي ... قمة (الشخروب) غنى حين حوّم

سيقولون : هو (الأرز) بدا ... علما .. أو نسر سوريا تقدم

سيقولون : فتى ملحمة ... من (نيويورك) إلى لبنان تضرم

سيقولون : تراب مؤمن ... في صدى الحرف تندى وترنم

أسفير هو ؟ أم مملكة ... كان (ميخائيل) من لبنان أضخم

أيها القائد .. ماذا في العلا ... غير عرش الفكر للإنسان مغنم ؟

أيها الشاعر .. ماذا في الهوى ... غير اياتك من (جبريل) تلهم

وغدا يروون من أسطورة ... في الشعاعات نبيا قد تجسم

ناسك في جبل .. لكنه ... يحكم العالم فكرا أن تكلم

مجده الحب ومن سطوته ... أنه يغفر لله .. ويرحم

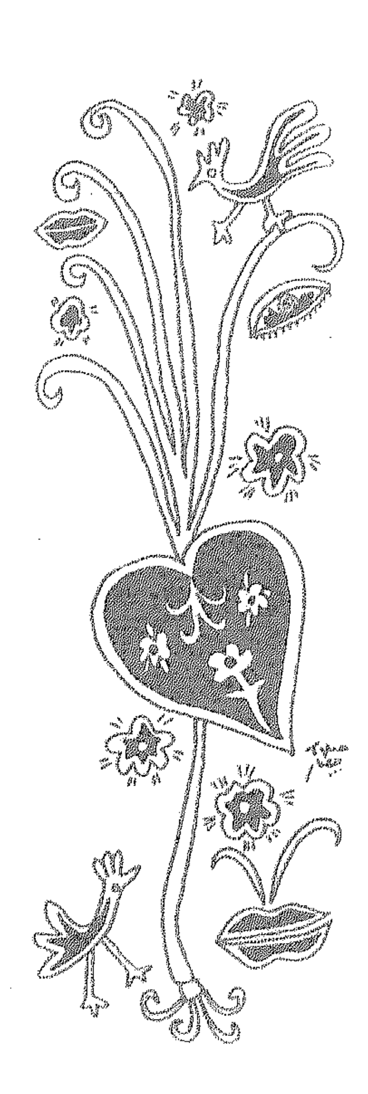
ويصلي طائفا في مكة ... عربيا في الحنيفيين أسلم

كرموه .. فهو للشرق أب ... في المساكين تجلى وتألم

واغرسوا في الجرح منه وامسحوا ... باسمه الروح .. فميخائيل بلسم

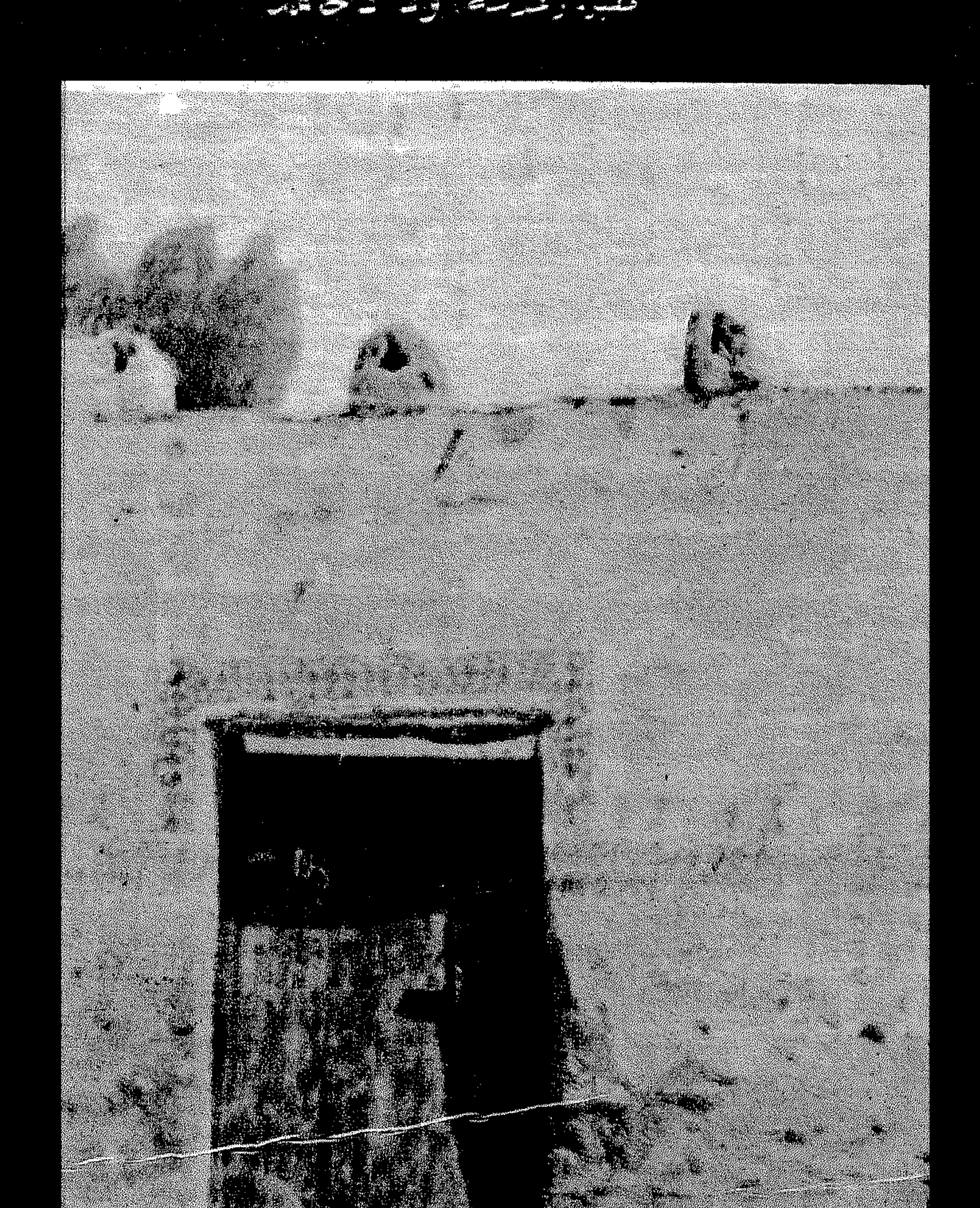
يتركنا النهر ويمضى

شعر: نبيل خالد



جاء ليروينا حبا
يجمعنا فى جسد واحد
يزرع فيه القلبا
يتركنا النهر ويمضى
لكن الأرض
طرحت هرما
طرحت انشودة عمل
مع كل العمر ستبقى
يتركنا النهر ويمضى
لكن روافده
تقشت بالقلب ..
كوشم يبقى ..
تمشى فى العقل ..
كشمس لن تمحى
تجمعنا حولك طول العمر .
كلحن يسكن وترا
يتركنا النهر ويمضى
لكن ، لن يمضى الا ..
كى يزرع حبا فى الأرض
ونجنى مايزرع
يتركنا ، لكن مبادئه
المزروعة فى داخلنا
كجذور ، لن تقلع
يتركنا ، لكن الود سيبقى
والحب سيبقى
والوصل ، سيبقى ويزيد ..
وهل الصبح ، من الشمس ، سيشبع ؟؟

سحر الجبال في الواحات البحرية



سحر الخيال في الواحات البحرية

"يبدو أن هناك أشكالا بالذات تأسر خيال شعب بعينه فيستخدم هذه الأشكال في مركبات كثيرة التنوع . وقد يتخلص من استعمالاتها غير المناسبة ولكنه ينشيء منها لغة بصرية زاهية اللون تؤكد ذاتيته وتتناسب تماما مع شخصيته وطبيعة وطنه" .

● على عكس ما نجده في مدننا ومعظم قرانا اليوم من تعقيد وقبح في تصميم المباني - رغم استخدام أحدث الوسائل الفنية والتقنية في التنفيذ - ففي الواحات المصرية تتجلى براعة الانسان في خلق وابتكار أنماطه المعمارية التي تعتمد على البساطة واستخدام الامكانيات الطبيعية وتوظيفها في أطارها الثقافي والبيئي الملائم ..

● والواحات عبارة عن سلسلة من المنخفضات الأرضية في الصحراء الغربية ، أهمها واحة سيوه في الشمال الغربي ثم الواحات البحرية والفرافرة والداخلة والخارجة .

ورغم أن طبيعة الصحراء قد فرضت خواصها على جميع تلك الواحات ، فإن تباعد المسافات بينها ، ووجود الهضاب التي تفصل بين كل واحة والأخرى ، أوجدت نوعا من العزلة ، خاصة في الماضي ، نتج عنها تفرد كل واحة عن غيرها في التقاليد واللغة والزي والفنون والعمارة .

● الموقع والسكان

تقع الواحات البحرية في منخفض أرضي جنوب غرب الجيزة في محاذاة مدينة سمالوط بمحافظة المنيا .

ومنذ العصر الحجري القديم قامت هناك حضارات متتالية ، وكان الفراعنة يسمونها واحة الشمال ، وواحة امنحتب البحرية ، وواحة هايو والبهنسا ، كما كانت تعرف في العصر الروماني بالواحة الصغيرة .

ولاتزال هناك بعض الآثار لمعابد وأديرة من العصر الروماني مثل قصور محارب والمعيصرة .

وعندما دخل الاسلام مصر ، أرسل عمرو بن العاص فرقة تحت قيادة عقبة بن نافع الى الواحات البحرية لفتحها وكانوا يسمونها أنذاك الواحة الوسطى وواح الخاص والواح الشمالية وواح الأولى .

أما اسم الواحات البحرية فقد أطلقه عليها على باشا مبارك حين ذكرها فى الخطط التوفيقية .

وتوجد عدة طرق تصل الواحات البحرية بغيرها من المدن والواحات الأخرى ،أولها الطريق الرئيسى وهو طريق الواحات ـ الجيزة ، وطوله ٣٧٦ كم ، كما أن هناك طرقا تصلها بالفيوم وواحة سيوه وواحتى الفرافرة والبهنسا .

وتتكون الواحات البحرية من عدد من البلدان والقرى ، وأهمها مدينة "الباويطى" ـ العاصمة ـ وقد سميت بهذا الاسم بسبب وجود ضريح الشيخ الباويطى بها . وهناك بلدة القصر التى تجاورها ـ وبها كثير من المعالم الأثرية ، ثم بلدة "منديشة" و"الزبو" و"الحارة" و"الحيز" و"العجوز" .

● خليط سكانى

ويرجع الدكتور "أحمد فخرى" السكان فى الواحات البحرية الى خليط من مجموعات ثلاث :

● السكان الأصليون للواحة ـ وهم قدامى المصريين الذين تحولوا للمسيحية ثم اعتنقوا الاسلام بعد ذلك .

● البدو المهاجرون من أجزاء متفرقة من الصحراء الغربية والساحل الشمالى الغربى وليبيا .

● أما المجموعة الثالثة فهم النازحون من صعيد مصر وخاصة من محافظة المنيا التى كانت الواحات البحرية تتبعها إداريا فى عهد محمد على .

ويتحدث أهالى الواحات البحرية بلهجة مميزة . وخاصة عند كبار السن ، أنهم يحولون حرف (الشين) الى (سين) فينطقون كلمة (سمس) بدلا من (شمس) . وحرف (الجيم) ينطقونه (زين) فيقولون مثلا (زوزتى) لا من (زوجتى) . أما حرف (القاف) فى الفصحى والذى ينطقه أهل القاهرة (همزة) فهم ينطقونه (جيم) مثلما نجد فى صعيد مصر .

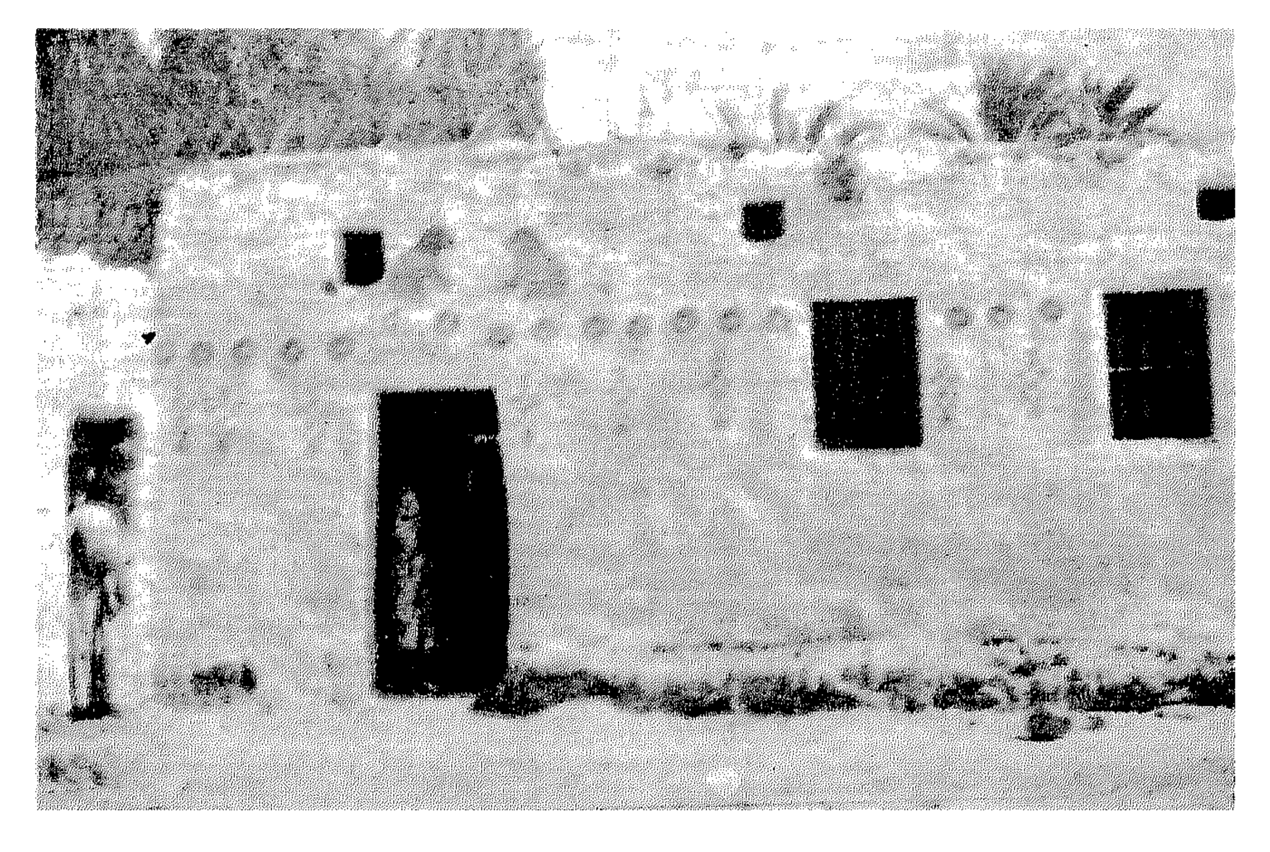
● الشكل العام للواحة

أول ما يستلفت انتباهنا عند الاقتراب من منطقة الواحات البحرية ـ تلك المساحات الشاسعة التى تمتد عليها مبان منخفضة تحيط بها الحدائق وأشجار النخيل .

فبلدان الواحات البحرية جميعها تمتد على مساحات منبسطة سهلة ، فيما عدا بلدتى القصر والعجوز المشيدتين على رواب عالية .

وتقوم الحياة الاقتصادية فى الواحات البحرية بشكل أساسى على الزراعة وخاصة زراعة الزيتون والبلح والشعير والفاكهة . ويعتمد الأهالى فى رى هذه المزروعات على مياه الآبار المنتشرة فى أرجاء الواحة ، كما أنهم يعتمدون أيضا على القنوات المشتقة من عيون المياه ، وخاصة فى الأرضى القريبة من هذه العيون ـ مثل أراضى بلدة "القصر" لقربها من "عين البشمة" .

سحر الجمال
فى الواحات البحرية



واجهة منزل عليها رسوم جدارية عبارة عن اسود وزخارف

● وحدة معمارية

رغم أن لكل بيت ملامحه الخاصة المتميزة ، فإن هناك بعض الخواص التى تجمع بين مبانى الواحة وتعطيها روحا عامة واحدة . فارتفاع البيوت لايزيد على طابقين ، والنوافذ متسعة ومعتدلة ، والأبواب معظمها تكاد تكون موحدة النمط ، تغلق "بترابيس" خشبية يسمونها (ضبة) وهى نفس (الضبة) الى مازالت تستخدم للآن فى قرى وادى النيل ، وكانت تستخدم قبل ذلك فى الحصون والقلاع الفرعونية والاسلامية .

أما الجدران فتبنى بقوالب الطوب النيىء (الأخضر) وهى عادة جدران سميكة جدا وسقوفها مغطاة بجذوع النخيل المضاف اليها الجريد "والمدهوكة بالطين" .

● تكوين البيت

يتكون البيت التقليدى فى الواحات البحرية من حوش متسع ، تمتد بمحاذاة أضلاعه الداخلية ومطلة عليه ، عدد من الغرف (المقاعد) اثنتان أو ثلاث ، تخصص للمعيشة والنوم . ومنور لوضع أدوات الطعام والخزين ، ثم مندرة أو مضيفة لاستقبال الضيوف ، يراعى أن

تكون مجاورة للباب الرئيسى للبيت ، وقد يلحق بالبيت ، عند المؤخرة ، مكان لمبيت المواشى (زريبة) يراعى أن يكون لها مدخل خاص . وتوجد أيضا دورة للمياه تسمح بتصريف الفضلات بعيدا عن باقى أجزاء المسكن .

وفى أحد أركان الحوش سلم يصعد الى الدور الثانى – الذى يحتوي على عدد من الحجرات (المقاعد) وسطح يخصص جزء منه كمنشر لتجفيف البلح والحبوب .

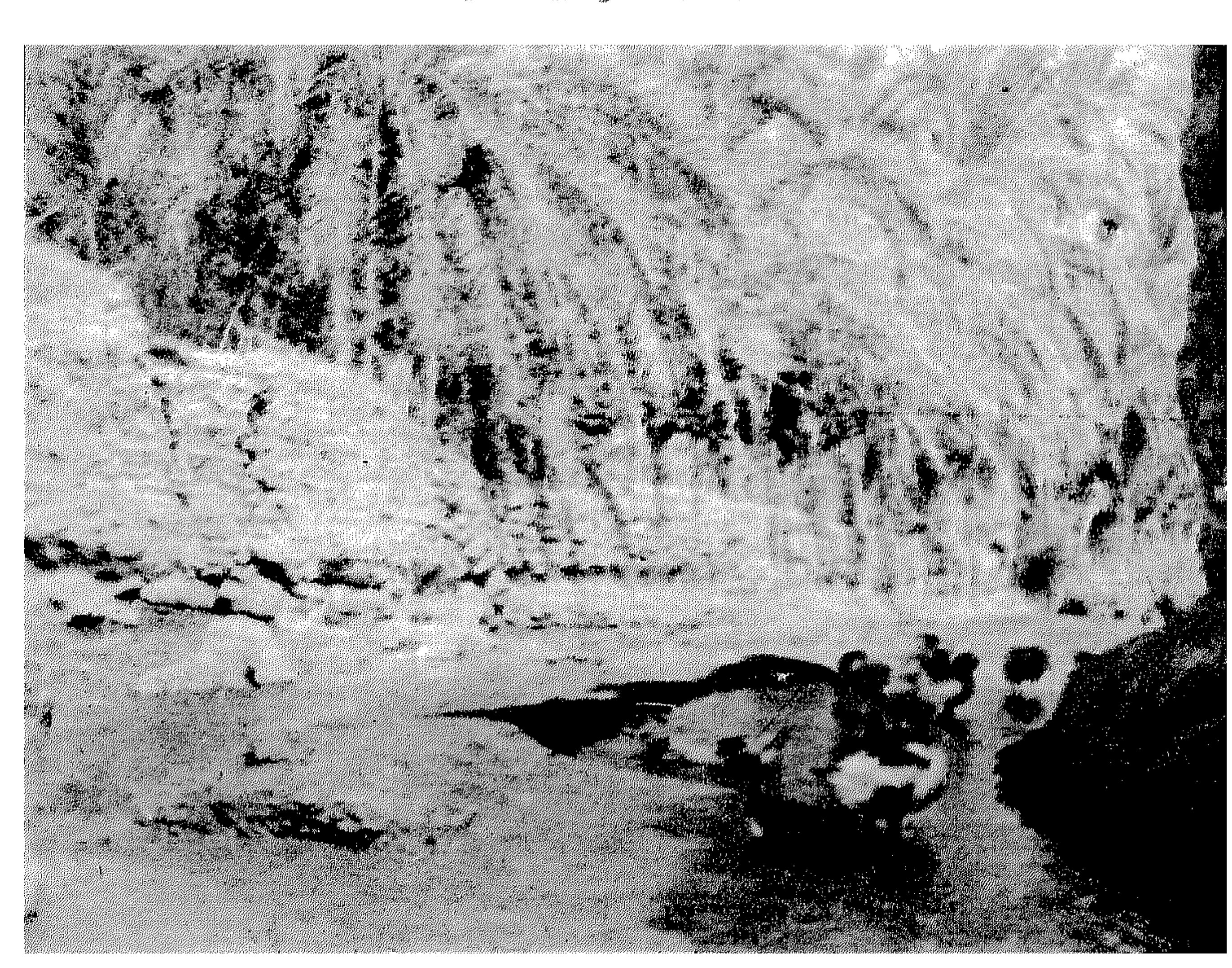
والملاحظ أنه فى داخل كل بيت وفى ركن من أركان الحوش توجد بئر خاصة لاستخدام أهل المسكن . كما أنه من الملاحظ أيضا وجود مصطبة اما أن تكون ممتدة على طول الواجهة الأمامية للبيت ، أو تكون أمام المضيفة داخل الحوش – حيث تستخدم للجلوس فى الأمسيات الصيفية .

● تخطيط المسكن

يتم تخطيط مساحة الأرض المراد إقامة البيت عليها طبقا لاحتياجات ساكنيها من عدد الحجرات ومدى اتساع كل حجرة (مقعد) .

وفى العادة يتراوح اتساع الحجرة ما

عين البشمة فى قرية القصر



سحر الجمال في الواحات البحرية

بين أربعة أمتار طولا ومثلها للعرض . أو ٤ × ٥ أمتار . اما ارتفاع الجدران فيصل الى خمسة أمتار .

● مواد البناء

يحرص أهالى الواحات البحرية على استخدام العناصر الطبيعية المتوافرة فى البيئة . فهم يصنعون الطوب (الأخضر) محليا ، ولهم طريقة خاصة فى خلطته حيث يستخدمون خليطا من الرمل الجيرى مضافا اليه بعض القش - ويعجنونه بالماء ثم يصبونه فى قوالب تترك فى الشمس حتى تجف .

وتستخدم الخلطة ذاتها فى لصق "مداميك" الطوب عند البناء ، وكذلك "دهاكة" الجدران وتبطين أرض الحجرات . أما السقف فيغطونه بجذوع النخيل بعد شقها الى نصفين (فلقين) .

● طريقة البناء

تقوم عملية البناء هناك إما على أساس التعاون والزمالة فيتبادل الناس العمل لمساعدة كل واحد منهم فى إقامة بيته أو بواسطة بناء محترف . ويروى لنا أحد البنائين طريقة البناء قائلا :

عندما يقرر أحد الأهالى بناء مسكن فإنه يتفق مباشرة مع البناء على عدد الحجرات ومساحة كل حجرة . فيقوم البناء بتخطيط قطعة الأرض بمسحوق الجير الأبيض حسب اتساعها لتلائم عدد الحجرات المطلوبة .

ثم يبدأ فى وضع الأساس . وهنا تتحكم طبيعة الأرض فى كيفية وضع الأساس . فإذا كانت الأرض صلبة ومتماسكة فيكتفى ببناء حائط أعلى سطح الأرض مباشرة ، طوله حوالى متر ونصف المتر . أما فى حالة رخاوة الأرض وإفتقادها للصلابة فإنه يلجأ للحفر بعمق يصل الى ٦٠سم تقريبا حيث يصب فيه الأساس ثم يرتفع الى مسافة متر ونصف أعلى سطح الأرض - ويبدأ فى تحديد أماكن النوافذ لتُترك مساحتها خالية ، ويستمر فى تعلية الجدران الى أن يصل للارتفاع المناسب .

ويغطى سقف البيت عادة بجذوع النخيل - فيشق كل جذع الى نصفين طوليين يرص بعضها الى جوار البعض بحيث يرتكز كل من طرفيها على أحد جانبى الحجرة ويراعى ترك مسافة خالية - ضيقة - بين كل (فلق) وآخر تغطى بعد ذلك بالجريد والسعف ثم "تُليّس" بالطين .

وتصنع النوافذ والأبواب ، فى الوقت الحالى من الخشب الأبيض ، وكانت فيما مضى تصنع من افرع الأشجار -حيث تربط بجوار بعضها البعض .

● البياض

تتم عملية بياض الجدران على مرحلتين - المرحلة الأولى هى وضع "البطانة"- ويقوم المبيض فيها "بتلييس" الجدران بالخليط السابق ذكره ، وبعد جفافه ترش الجدران بالمحارة ، وهى عبارة عن خليط من رمل الغرد الناعم جدا - الموجود فى هذه المنطقة - مع نسبة من الجير الأبيض .

وقديما كان أهالى الواحات البحرية

يستخدمون الأكاسيد الطبيعية المتوافرة فى بيئتهم لتكوين الجدران . فمن المعروف أن منطقة الواحات البحرية من أغنى مناطق مصر بمادة الحديد التى توجد على لونين : الأحمر والأصفر الغامق . وهناك أيضا بعض الأحجار ذات اللون الأخضر أو الأزرق - (الجنزارى)

أما فى الوقت الحالى فهم يستخدمون الألوان الجيرية المعروفة- فى المدن والقرى فى وادى النيل .

● رسوم جدارية

وتميل الوحدات الزخرفية التى تضاف لتزيين جدران المنازل فى الواحات البحرية الى الأشكال الهندسية ، فهى إما وحدات - متكررة - مثلثة على شكل الأحجبة التى يتيمنون بها ، أو وحدات مربعة الشكل أو دائرية ، تمتد فى شرائط مستقيمة تحيط بالمنزل .

وبالاضافة لهذه الأشكال الهندسية - التى تنفرد بها منطقة الواحات البحرية هناك بعض الرسوم التعبيرية للعناصر والرموز الشعبية المأثورة - مثل الأسد - رمز الشجاعة - والسفينة والقطار وغيرها من المفردات التشكيلية التى ترمز للحج وقد تكتب بعض الآيات القرآنية على مداخل بيوت الحجاج أيضا ، كما أن هناك بعض الرسوم المستوحاة من الحياة اليومية المنزلية .

والمساجد فى الواحات البحرية ذات طراز بسيط للغاية يذكرنا بتلك المساجد التى بنيت فى صدر الاسلام .

وتنفرد المساجد القديمة فى الواحة بوجود مآذن ، لايتجاوز ارتفاعها من ١٠ الى ١٢ مترا . أما المساجد الحديثة فهى تبنى بدون مئذنة .

وأقدم مساجد الواحات البحرية ، وهو جامع الزاوية المطل على ساحة بلدة "القصر" ويقال بأن الملك "أدريس السنوسى" ملك ليبيا السابق هو الذى أمر ببنائه .

ويتكون المسجد من مساحة مستطيلة من الأرض ، محاطة بسور من (الطوب الأخضر) ، تمتد بمحاذاة أضلاعها الداخلية صفوف من الأعمدة مقامة من جذوع النخيل .

وهناك مساحة يصل عمقها الى حوالى ثلاثة أمتار - بين هذه الأعمدة وبين السور - مسقوفة بجذوع النخيل ومفروشة بالحصير للصلاة .

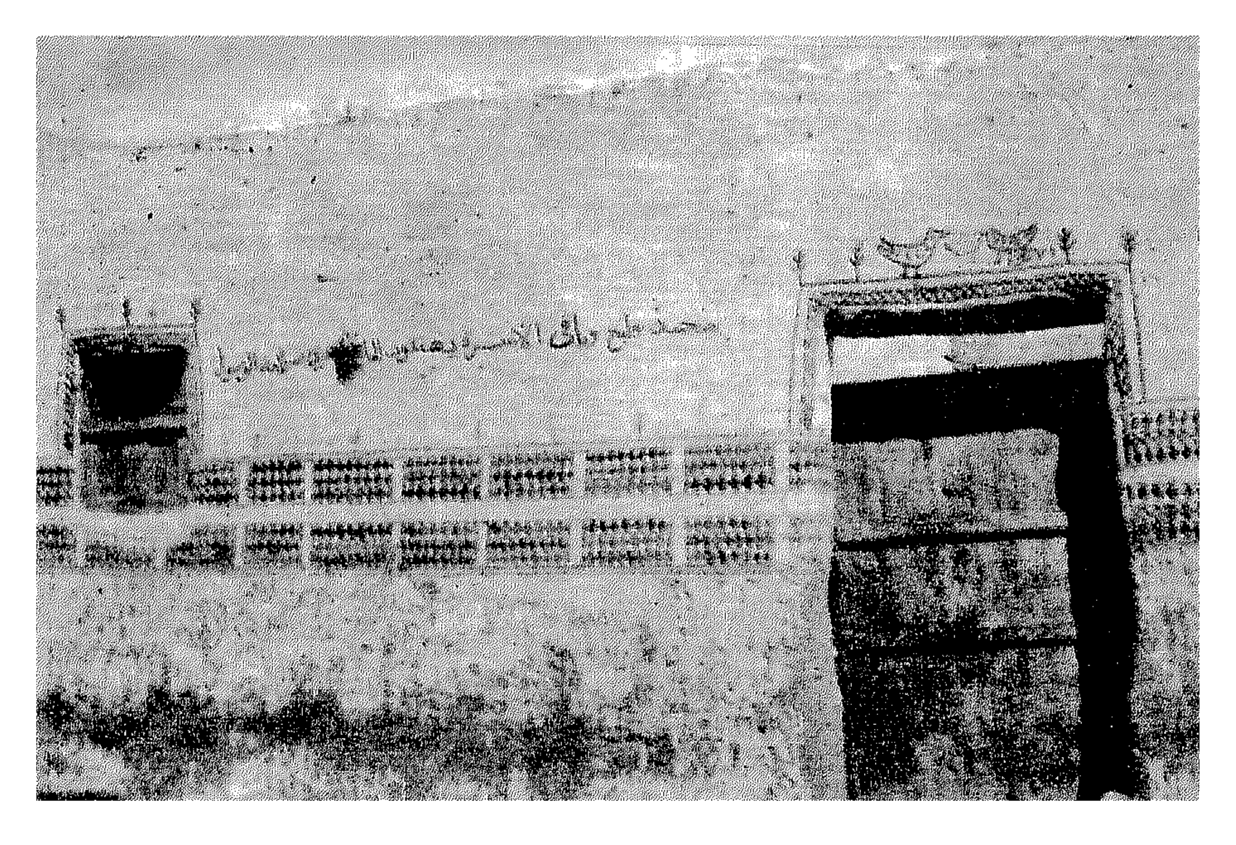
وللجامع مئذنة مخروطية الشكل طولها حوالى عشرة أمتار تحيط بها شرفة من فروع الأشجار ، ولها سلم داخلى حلزونى .

● المضيفة العامة

وكما هو متبع فى بعض المناطق ، وخاصة فى النوبة ، وبعض قرى وادى النيل ، يقام فى بعض بلدان الواحات البحرية ، بناء مستقل يتعاون "أعيان" البلدة على إقامته وتجهيزه لاستقبال الضيوف الذين يفدون اليها ولاقامة المناسبات الاجتماعية وعقد مجالس المشاورة والصلح بين الرجال . ذلك البناء هو المضيفة العامة .

ولا يختلف التصميم المعمارى والشكل

سحر الجمال في الواحات البحرية



واجهة منزل عليها زخارف وكتابات

العام للبناء عن باقى .أبنية البلدة ـ وإنما يشكل معها وحدة معمارية واحدة .

وتتكون المضيفة من قاعة متسعة ، وشرفة . وهى عادة مزدانة ـ من الداخل والخارج بالرسوم الجدارية ، ومؤثثة بـالمصـاطب أو الأرائـك الخشبيـة (الدكك) .

● أضرحة الأولياء

تتميز الواحات البحرية بوجود عدد كبير من الأولياء تنتشر أضرحتهم فى بلدان الواحة ، منهم الشيخ الباويطى فى بلدة الباويطى المسماه باسمه ، والشيخ نجيم ، ومقامه فى بلدة "الزبو" وآخر من "العجوز" . أما فى بلدة القصر فهناك ضريح "للشيخ بدوى" والشيخ "على أبو رمانة" ، وفى بلدة "منديشة" يوجد ضريح "للشيخ إسماعيل" . ويزعم بعض أهل الواحات البحرية أن هناك أضرحة لثلاثة من الصحابة .

والاضرحة فى الواحات البحرية تشيد على شكل قباب تقام على الأرض مباشرة ، أما المقابر فلا تقام لها أبنية فوق الأرض ، فيما عدا قطعة من الحجر أو جريدة نخل تقام كشاهد ـ عند رأس المتوفى .



ميلاد الأوبرا

كارمن ونفائس أخرى

بقلم: مصطفى درويش . لوحات: الفنان حلمي التوني

كان حلما ان نعود فنلتقي بفرقة باليه «انطونيو جادس» الاسبانية ، تلك الفرقة الرائعة التي سبق ان رأيناها قبل أربعة أعوام . وهي ترقص وتغني وتمثل مأساة «كارمن» على الشاشة البيضاء في فيلم من ابداع المخرج «كارلوس ساورا»

وان يكون حلم التلاقي بها هنا على ضفاف النيل لا مع اطيافها في السينما ، وانما معها بكل لحمها ودمها . نحس انفاسها الحارة وهي تتحرك وتدور ، نعيش معها لاهثين مدهوشين على خشبة مسرح يليق بعاصمة قاهرة لها من العمر الف عام أو يزيد .

● حلم أم علم

وكان جميلا ان يتحقق الحلم فور افتتاح المركز الثقافي القومي ـ دار الاوبرا المصرية ، وباسرع مما كنا نتصور .

فإذا بتلك الفرقة الآسرة بمبدعها وراقصها الاول «جادس» وراقصتها الاولى «ستيلا اراوزو» .

إذا بها متجسدة امامنا ، نستمتع بسحرها حيارى متعجبين ، أنحن في كامل وعينا يقظين ام نحن لانزال حالمين .

وكان رائعا حقا ، انه ما ان انتهت السهرة الوليمة وخرجنا الى الهواء الطلق شبعانين بعد جوع اليم ، مرتوين بعد عطش مهين ، حتى اكتشفنا ان واحدا من فنانينا افنى نفسه في محراب التشكيل . قد قادت الرقصات والاغنيات الملتهبة قلمه .

واذا بهذا القلم الذي يعشق الجمال والكمال ، ودون سابق تصميم ، وبالهام من المؤثرات العربية المنعكسة على الراقصات في الوقفات والجلسات والدبدبات والوشوشات ، اذا به يسيل ابداعا .

● مقام رفيع

وقبل الكلام عن كارمن الباليه بقليل من التفصيل ارى من المناسب ان اقول ان جميع العروض التي كانت سابقة عليها او جاءت لاحقة لها ، قد اتسمت بمستوى عال يليق بمركز ثقافي رفيع المقام .

فخلال مدة تقل عن شهر من عمر الزمان ، انطلقت بين جدران المسرح الكبير اجمل الالحان يعزفها اوركسترا الحجرة السيمفوني «برنستون» الامريكي واوركسترا بروكنر «لنز» النمساوي .

فاذا بأذاننا تسمع افتتاحيات وكونشرتات وسيمفونيات وفالسات اساطين النغم .. موزار ، بيتهوفن ، ستراوس وغيرهم كثير .

واذا بنا بعد انصات اقرب الى صلاة نطرب ونلتذ موسيقاهم ، فنتزود لرحلة الحياة ، وبالزاد نزداد نضارة وازدهارا .

وهذا الفرح الشديد ، قد بدأ بفن يابانى غير مألوف ، الا وهو الكابوكى .

ومعروف عن هذا الفن انه لم يكتب له أن يرى النور إلا قريبا من نهاية القرن السادس عشر .

وكلمة كابوكى تكتب بثلاثة حروف صينية .

أولها «كا» وتعنى الغناء ، والثانى «بو» ومعناه الرقص ، أما الحرف الاخير «كى» فينصرف إلى التمثيل الكابوكى اذا مسرح شامل جامع لهذه الفنون الثلاثة .

ولمسارح «نوه» و «كيوجين» و «العرائس» تأثير عليه كبير .

وفى الحق ، فانقه الايماءات فيه واقلها شأنا اقرب الى الرقص منها الى التمثيل .

وتكاد كل حركة جسمانية فيه ان تكون مصحوبة بموسيقى يطلق عليها «شاميسين» نسبة الى الآلة الرئيسية المستعملة فى العزف ، وهى آلة ذات اوتار ثلاثة ، ويوجد بينها وبين «البالاليكا» آلة العزف الروسية اوجه شبه كبيرة .

وعلاوة على الموسيقى فثمة مؤثرات صوتية اخرى للكابوكى ، تستعمل فى اصدارها قطع خشبية .

ومن بين مهام هذه المؤثرات غير الموسيقية الاشارة الى افتتاح المسرحية ، والتنبيه الى قرب الختام .

هذا ومن سمات الكابوكى الفريدة ان جميع الادوار ـ حتى ما كان منها نسائيا ـ مقصور اداؤها على الرجال .

وعلى كل ، فما كدنا نفيق من حفل الكابوكى الكبير ، حتى بدأنا نستعد للالتقاء ولأول مرة . اولا بفرقة لندرة للباليه الاحتفالى وثانيا بفرقة باليه جولبنكيان التى قدمت الينا من البرتغال ذلك البلد الصغير الفقير .

● الكبير والصغير

وما استطيع ان الخص خير ما فى عروض هاتين الفرقتين ، كيف كان يقفز الرجال ، وكيف كانت تتهادى النساء على رءوس اطراف الاقدام خفافا ، وكأنهن اطيافا نورانية او حوريات اساطير .

وانما اكتفى بالقول بان عروض الفرقة الثانية القادمة من البلد الصغير الفقير كانت أكثر تجديدا ومعاصرة ، وأشد التصاقا بالواقع من فرقة عاصمة الامبراطورية التى كانت لاتغرب عن ارضها شمس .

ولعل خير مثل على ذلك باليه ذكرى المغنية «اديث بياف» الذى صممت رقصاته بوحى من شجو المغنية الفرنسية بصوتها ذى الرنين والانين .

وباليه آخر صممت رقصاته ومناظره بالاستناد الى موسيقى من التراث الامريكى ، واعطوه اسم «رقصات الاشباح» .

والآن ، مرة اخرى اعود الى باليه كارمن كما ظهر على المسرح الكبير ، فامتلأت القلوب بما رأته منه رضى وسعادة .

معروف ان «كارمن» ليست من النوع الموسيقى المسمى بالباليه ، وانما هى اوبرا فاقت شهرتها معظم الاوبرات الاخرى .

وموضوعها مأخوذ عن قصة للأديب الفرنسى «بروسبير ميريميه» .



كارمن ترقص بين المرايا

كارمن تتزين ليلة العرس ◀



وبفضل الموسيقار الفرنسى «جورج بيزيه» الذى مات وهو فى ريعان الشباب ، تحولت تلك القصة الى اوبرا ترمز رمزا مزدوجا للحب والموت .

● غجرية أم عربية

ومأساة كارمن كما تحكيها الاوبرا الفرنسية تبدأ فى احدى مدن الاندلس حيث نرى العاملات يتسكعن مستعرضات مفاتنهن ، يتبادلن عبارات الغزل مع فتية لاحديث لهم ولاسؤال الا عن أكثرهن صيتا ، الكارمنسيتا «الغجرية» .

وما ان تظهر ، الا ويتدافع حولها هؤلاء الفتية اشتياقا واشتهاء .

ولكن واحدا منهم لايطير بها هياما انه «دون جوزيه» الوحيد المتعالى الذى لايسعى الى جمالها الثائر كى يحييه زاحفا .

وإذن فلابد من اشعال النار فى قلبه ، من جعل انفاسه ملتهبة راقصة مع انفاسها .

وهنا تنطلق حنجرتها بكلمات اغنية «الهابانيرا» «الحب طير متمرد» ، لا يعرف لا الحدود ولا القيود . ان كنت ما بتحبنى ، باحبك ، وان حبيتك ياويلك» .

ومع نهاية هذه الكلمات النارية تلقى اليه بوردة حمراء تغرى به قلبه المتمرد .

وبعد أن يقطف دون جوزيه الثمرة المحرمة ويذوق حلاوتها ، تبدأ المحنة .

فهو يريد من التى الهته عن واجبه ان تبقى لصيقة رفيقة الحياة حتى نهاية العمر .

وغاب عنه انها امراة لعوب ، لاتستقر على حب واحد .

وفى ختام الاوبرا يصل به الهوان الى حد الاستعطاف وتسول حبها ، بعد خيانتها له مع «اسكاميللو» مصارع الثيران .

فاذا ما تهددها بالموت ، سخرت منه متحدية « كارمن لاتركع ابدا ، كارمن ولدت حرة ، وحرة تموت » .

ثم اندفعت الى حيث عشيقها الجديد فى حلبة المصارعة ينازل الثور الهائج منتصرا .

وطبعا يغلى الدم فى عروق العاشق المجروح ، فيقطع الطريق على «كارمن» ، يغمد خنجرا فى قلبها ثم يلقى بنفسه على جسدها الذى فارقته الحياة صائحا منتحبا .

هذه الحكاية الاوبرالية مرت وقائعها امامنا على المسرح الكبير دون تبديل او تغيير .

● التحول والتجلى

ولكن بعد ان حدث لكل شىء فيها تحول جوهرى خطير وذلك بفعل الساحرين الاسبانيين «انطونيو جادس» و «كارلوس ساورا »

فبفضلهما ولدت كارمن فى ثوب قشيب جديد اما كيف ولدت ، وكيف خرجت من الاوبرا فى شكل باليه فريد ، كما خرجت



«منرفا من رأس «جوبيتر» فى سالف الزمان » ؟

فهذه الاسئلة لست املك عليها الجواب .

كل ما املكه هو ان اقول اننا رأينا على خشبة المسرح مأساة «كارمن» تحكى لنا بذوق اسبانى خالص وبمزاج روحى وجسدى مختلف عن المزاج الفرنسى اختلافا تاما .

وهذا الذوق والمزاج هو الذى ساعد المخرجين «جادس»و «ساورا» فى تنسيق وتصميم الرقصات ، وفى نبذ الكثير من اغانى الاوبرا ، مع الاحتفاظ بالقليل ، القليل منها الذى يخدم الباليه مثل اغنية «الهابانيرا» ترسلها حنجرة «ماريا كالاس» غناء حلوا يتغلغل فى السويداء من قلب «دون جوزيه» .

وفوق هذا ساعدهما هذا الذوق والمزاج على اقتباس احدى قصائد الشاعر الشهيد «فيديريكو جارسيا لوركا ، وبعض انغام مستمدة من معين الموسيقى الشعبية الاسبانية بجمال الحانها واناتها المؤلمة التى تكاد تنبثق منها الدماء .

لكل ذلك جاء باليه «كارمن» صورة صادقة عن الفن الاسباني. الاصيل .

وقد لا أكون بعيدا عن الصواب اذا ما قلت انه كان أكثر عروض الشهر نجاحا .

وفى الحق ، فكل ما سمعته عنه كان مليئا بالاشادة والاعجاب .

ولسوء الحظ فاغلب الذين استمتعوا بكارمن هنا فى القاهرة ، لم يكونوا منا بل كانوا اجانب سائحين او مقيمين وهذا هو العجب العجاب .



قصة قصيرة

بقلم

نجيب محفوظ





لفت نظرى منظر جديد فى اثناء مسيرتى اليومية على شاطىء النيل بشارع الجبلاية . الساعة السابعة صباحا ، أوائل الربيع ، الطريق تكاد تخلو تماما من أى عابر . رأيت على سفح المنحدر نحو النهر، رجلا وامرأة . الرجل عجوز يقارب الثمانين ، طويل القامة مع احديداب خفيف ، ابيض الشعر خفيفه ، عتيق القسمات ، يرتدى بدلة متهدلة من التيل السنجابى ، والمرأة فوق الستين أمحت من صفحة وجهها امارات الأنوثة وحل الجفاف والخشونة . على الأرض بينهما انطرحت خيمة مطوية وتناثرت حلل نحاسية وآنية شاى وموقد غاز خطر لى انهما جاءا يمضيان يوما على شاطىء النيل تسلية عن الوحدة والكبر ، فأشفقت على صفوهما من حصا المنحدر القاذورات المتراكمة فوق اديمه . فى اليوم التالى ادهشنى أن أرى الأثنين بنفس موضع الأسى وضاعف



من دهشتي ان اراهما متهمكين في رفع الحصا وكنس القاذورات على مدى مسافة غير قصيرة من الشاطىء . ترى ما شانهما ؟ هل يبغيان اقامة طويلة ؟ ، و تمهلت في السير ممعنا النظر . انتبها الى فتطلعا نحوى باعين متوجسة مرتابة ، فلم أر بدا من الاسراع في الخطو دفعا للحرج . هل داخلهما شك في نيتي ؟

هل حسبا انني ارقبهما من موقع مسئوليتي عن الشاطىء ؟ شعرت نحوهما بالعطف والرثاء وتمنيت على الله الا يخيب لهما رجاء . في صباح اليوم الثالث رأيت الارض قد خططت فاصبحت احواضا متتابعة على هيئة مستطيلات ، على حين ركب اسفل المنحدر شادوف لرفع المياه ، وغير بعيد جلس الزوجان يحتسيان الشاي . ولما رأياني مقبلا رفعا راسيهما نحوى في قلق قلق قلق الأمس . مررت مسرعا مشفقا متحاشيا التقاء الاعين . انه الخوف عليه اللعنة . يطاردهما في مهجرهما الجديد ولاشك . وثمة سبب تخمينه رغم جهلي بتلك الأمور . انهما يسيئان الظن بمسيرتي الصباحية ويتوهمان انها تدور من اجل مراقبتهما . كيف اعفيهما من جرعة النكد اليومية التي اصبحهما بها ؟ . لاغناء لي عن الطريق ولكن بوسعي ان اتجالهما او اشعرهما بذلك . ويوما بعد يوم أرى - بلحظ العين - المياه وهي تغمر الحقل ، والخيمة وهي تنتصب في رشاقة . ويوما بعد يوم تغير وجه الأرض فاذن بمولد حياة جديدة . ويوما بعد يوم ذرت القرون الخضراء كالاغاريد الخفيفة مبشرة بالبهجة المشرقة . تمنيت لو كان في قدرتهما ان ينشرا العمران في الشاطىء كله ويريحا البصر من سوء مطلعه . ولن يكدر صفوى الا اصرارهما على التوجس والحذر . حتى قررت يوما ان احيي وابتسم . وملكت الفعل حتى لوح لي العجوز بيده ، وصعد

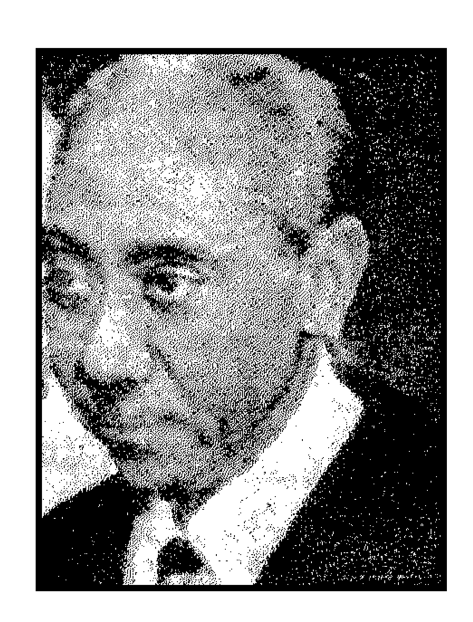
حتى وقف امامى ، ثم سألنى .
- حضرتك موظف ؟
فأجبت بالايجاب فعاد يسأل .
فى المحافظة ؟
فقلت بوضوح .
- كلا ، لا علاقة لى بالمحافظة ولا الداخلية ولا ما شاكل ذلك .
فصمت حائرا فقلت ضاحكا .
- لماذا تنظر الى فى ارتياب كأنى عدو ؟
فقال بنبرة اعترافية .
- انا رجل عجوز على المعاش ، كنت موظفا بالزراعة ، أخلت الشرطة بيتنا الآيل للسقوط فكرت فى سكنى الشاطىء بدلا من المقابر !
- فكرة جميلة .
- المعاش قليل ، قلت ازرع لآكل لا لاتاجر ، بعنا العفش القديم واشترينا ما يلزمنا كالخيمة والشادوف ..
- فعلت خيرا ..
فتردد قليلا ثم قال .
- اعتقد ان هذا لا يسىء الى احد ؟
- حسبك انك جمّلت رقعة من الشاطىء القذر .
- ولكنى اخاف التعليمات والاجراءات .
فقلت بصدق .
- الحق انه لا دراية لى بذلك .

وتمنيت له الخير ثم صافحته وذهبت . ولما هل الصيف قمت باجازتى السنوية . وعدت من المصيف بعد شهر ونصف شهر لأواصل حياتى المألوفة . واستأنفت مسيرتى الصباحية ، ولما اقتربت من شارع الجبلاية تذكرت - ربما لأول مرة -

الرجل والمرأة اقبلت نحو موضعهما تواقا للاستطلاع ولكنى لم أجد اثرا لهما ولا للحقل . رجع المنحدر الى حاله القديمة من الخراب والقذارة . لا تفسير لذلك الا ان مخاوف العجوز قد وقعت وتحققت . فاض قلبى بالاسى وانا اتساءل عن مصير العجوزين . ورأيت جندى المرور على مبعدة يسيرة من المكان ، فقصدته وتبادلنا كعادتنا منذ سنوات . قلت له .
- كان هناك رجل وامرأة يزرعان الأرض ..
فضحك الرجل قائلا .
- لم يدم الحال وسبحان من له الدوام . جاء شرطى ذات يوم للتحقيق ، وقاد الرجل الى القسم لعمل محضر مخالفة .

صمت مغتما متفكرا فقال الجندى .
- ارض الحكومة ليست لكل من هب ودب ، وجاء عمال فاقتلعوا الزرع قبل أن ينضج ولا علم لى بما حصل للرجل بعد ذلك .

انقبض صدرى حزنا على آدم وحواء وحقلهما ، وصحبتنى ذكراهما زمنا حتى تلاشت فى خضم الحياة اليومية .
مضى اليوم على ذاك التاريخ اكثر من عشرين عاما . اذكره احيانا عند مرورى بالموضع اياه . اذكر الرجل والمرأة والحقل الأخضر الذى عصفت به التعليمات المقدسة .

سيّد قطب ونجيب محفوظ

« سيد قطب » أول من قدم أعمال نجيب محفوظ ، وهو الناقد الذى اكتشف نجيب فى الأربعينيات ، عندما كان واحدا من كتاب مجلة « الرسالة » وله فيها ركن مستقر عنوانه ، « على هامش النقد » ، كان خلاله نجيب موضع اهتمام النقد من موقف الاكتشاف .

وإذا كان لأحد أن يرى فى هذا « التوافق » بين نجيب محفوظ وسيد قطب مفارقة ، فهى لا تعدو ظاهر الأمور . فالمفكر الاسلامى المعروف بدأ حياته ناقدا أدبيا ذى حس فنى متميز ، ولم تتصل اهتماماته بما أصبح معروفا به إلا فيما بعد .

والوجه الآخر لهذه القصة ، أن فى إنتاج نجيب محفوظ ، أيضا ظاهرة لم تتكرر كثيرا ، فقد كتب بدوره ، مقالا عن أحد أعمال سيد قطب هو « التصوير الفنى فى القرآن »

وفيما يلى مقتطفات من مقالات سيد قطب التى تناولت « كفاح طيبة » « وخان الخليلى » « والقاهرة الجديدة » وأخيرا الصورة العلمية التى رسمها نجيب محفوظ لسيد قطب فى المرايا .



أحاول أن أتحفظ في الثناء على هذه القصة ، فتغلبني حماسة قاهرة لها ، وفرح جارف بها ! ... هذا هو الحق ، أطالع به القارىء من أول سطر ، لأستعين بكشفه على رد جماح هذه الحماسة ، والعودة إلى هدوء الناقد واتزانه ! !

ولهذه الحماسة قصة لا بأس من إشراك القارىء فيها :

لقد ظللت سنوات وسنوات أقرأ ذلك التاريخ الميت الذى نتعلمه فى المدارس عن مصر فى جميع عصورها ، والذى لا يعلمنا مرة واحدة أن مصر هذه هى الوطن الحمى الذى يعاطفنا ونعاطفه ، ويحيا فى نفوسنا وأخلادنا بحوادثه وأشخاصه .

وظللت أستمع إلى تلك الأناشيد الوطنية الجوفاء ، التى لا تثير فى نفوسنا إلا حماسة سطحية كاذبة ، لأنها لا تنبع من صلة حقيقية بين مصر وبيننا ؛ وإن هى إلا عبارات صاخبة : تخفى ما فيها من تزوير بالصخب والضجيج .

ولم أجد – إلا مرة واحدة – كتابا عن مصر القديمة يبعثها حية فى نفوسنا ، شاخصة فى أذهاننا . ذلك هو كتاب المرحوم « عبدالقادر حمزة » : « على هامش التاريخ المصرى القديم » ففرحت به مثلما أفرح اليوم بقصة كفاح طيبة ، ودعوت وزارة المعارف إلى أن تجعله فى يد كل تلميذ وطالب ، بدل هذه الكتب الميتة التى فى أيديهم . ولكن تغيير الكتب فى وزارة المعارف أمر عسير ، لأن مصنعيها هم مقرروها فى أغلب الأحايين .

كفاح طيبة ...

وكنت أرى الطابع القومى واضحا ـ بجانب الطابع الإنسانى ـ فى آداب كل أمة ، ولا سيما فى الشعر والقصة . بينما أرى الطابع المصرى باهتا متواريا فى أعمالنا الفنية ، مع بلوغها درجة عالية تسلك بعضها بين أرقى الآداب العالمية .

وطالبت بأن تنقل إلى اللغة العربية كل قطعة أدبية كشف عنها فى مصر العريقة ، وإلى أن ترسم باللغة العربية صور الحياة المصرية بكل ما فيها من ظلال ، وإلى أن تعقد بين النشء وبين الآثار المصرية صلة وثيقة فى كل أدوار نشأتهم ؛ وإلى أن تنفث الحياة فى تلك الآثار والتماثيل والتواريخ ، بما يصاغ حولها من القصص والأساطير والملاحم والبيانات .

قلت هذا كله فى عشرات المقالات ، واليوم أتلفت فأجد بين يدى القصة والملحمة ، كلتاهما فى عمل فنى واحد . فى « كفاح طيبة » . فهى قصة بنسقها وحوادثها ، وهى ملحمة ـ وإن لم تكن شعرا ولا أسطورة ! ـ بما تفيضه من وجدانات ومشاعر ، لا يفيضها فى الشعر إلا الملحمة !

هى قصة استقلال مصر بعد استعمار الرعاة على يد « أحمس » العظيم . قصة الوطنية المصـرية فى حقيقتها بلا تزيد ولا أدعاء ، وبلا برقشة أو تصنـع . قصة النفس المصـرية الصميمة فى كل خطرة وكل حركة وكل انفعال

* * *

إن العمل الفنى هو الذى لايمكن تلخيصه . وقيمته فى هذه القصة لا تقل عن قيمتها القومية . وهذا هو المهم . فقد يحاول الكاتب إثارة العواطف القومية وينجح ، ولكنه ينسى السمات الفنية ، فيحرم عمله الطابع الذى يسلكه فى سجل الفنون .

إن كل شخصية من الشخصيات فى هذه القصة لهى شخصية إنسانية وشخصية مصرية فى آن . وإن كل موقف من مواقفها لهو الموقف الطبيعى الذى ينتظر من الآدميين المصريين . وإن السياق الفنى لهو السياق الذى يلحظ الدقة الفنية بجانب الهدف القومى ، بلا مغالطة ولا ضجة ولا بريق .

لم يحاول المؤلف أن يقلل من شجاعة الرعاة ، ولا مميزاتهم النفسية . ولم يحاول كذلك أن يستر مواطن الضعف المصرية ـ وهى مواطن ضعف إنسانية ـ لم يجعل أبطال مصر أشخاصا أسطوريين ، ولم يجعل المصريين شعبا من الملائكة ولا من الشياطين . ومرة واحدة أو مرتين جاوز بهم طاقة البشر ، ولكن بعد تهيئة وتمهيد .

لهذا كله تسير الحياة سيرة طبيعية فى القصة ، وتنبعث المشاهد شاخصة . لشد ما شعرت بالحقد الملتهب على الرعاة وحكـامهم وقضاتهم ، وهم يجلـدون المصـريين ويحقـرونهم ويدعونهم استهزاء الفلاحين (ويبدو أن هذا اللقب هو الذى يتشدق به دائما أولئك الأجانب المغتصبون فى جميع العصور ، ومن الرعاة إلى الرومان إلى

العرب إلى الترك إلى الأوربيين . وإن كان هؤلاء الفلاحون أشرف وأعرق من الجميع) ، لشد ما شعرت بالقلق واللهفة على مصير الجيش المصرى فى عدده القليل أمام أعدائه المتفوقين . لشد ما خفق قلبى وأحمس المتخفى فى زى التجار ، يلقى الملك ويصارع القائد ، وينتفض للعزة الجريحة ، ويمسك نفسه فى جهد شديد . لشد ما عطفت عليه وهو يقع فى صراع أشد وأعنف من كل صراع حربى ، ويجاهد نفسه بين قلبه وواجبه ، فيؤدى الواجب على حساب قلبه الجريح .

ولم يكن الشعور القومى وحده هو الذى يصل نبضاتى بنبضات أبطال القصة . بل كان الطابع الإنسانى الذى يطبعها ، والتنسيق الفنى الذى يشيع فيها ، هما كذلك من بواعث إحساسى بصحة ما يجرى فى القصة ، وكأنه يجرى فى الواقع المشهود ، بكل ما فى الواقع من عقد فنية ، وعقد نفسية ، ينسقها المؤلف فى مواضعها بريشة متمكنة ، ويد ثابتة ، تبدو عليها المرانة ، والثقة بمواقع التصوير والتلوين .

ولا أحب أن يفهم أحد من هذا أن مؤلف « كفاح طيبة » قد بلغ القمة الفنية . فهذا شىء آخر لم يتهيأ بعد . إنما أنا أنظر إلى المسألة من ناحية خاصة . ناحية تحقيق هدف قومى جدير بعشرات القصص والملاحم . فإذا استطاع فنان أن يحقق هذا الهدف ، دون المساس بالطابع الإنسانى والطابع الفنى ، وبلا تزوير فى المواقف والعواطف ، أو تزوير فى وقائع التاريخ ، فذلك توفيق يشاد به بكل تأكيد . وفى هذه الحدود أحب أن يعنى هذا المقال .

* * *

قصة (كفاح طيبة) هى قصة الوطنية المصرية ، وقصة النفس المصرية ، تنبع من صميم قلب مصرى ، يدرك بالفطرة حقيقة عواطف المصريين ـ ونحن لا نطمع أن يحس (المتمصرون) حقيقة هذا العواطف ، وهم عنها محجوبون .

ولقد قرأتها وأنا أقف بين الحين والحين لأقول : نعم هؤلاء هم المصريون . إننى أعرفهم هكذا بكل تأكيد ! هؤلاء هم قد يخضعون للضغط السياسى والنهب الاقتصادى ، ولكنهم يجنون حين يعتدى عليهم معتد فى الأسرة أو الدين . هؤلاء هم يخمدون حتى ليظن بهم الموت ، ثم يثورون فيتجاوزون فى ثورتهم الحدود ، ويجيئون بالمعجزات التى لم تكن تتخيل منهم قبل حين . هؤلاء هم يتفكهون فى أقسى ساعات الشدة ويتندرون . هؤلاء هم تفيض نفوسهم بحب الأرض وحب الأهل ، فلا يرتحلون عنهما إلا لأمر عظيم . فإذا عادوا إليهما عادوا مشوقين جدا ، مشوقين هؤلاء هم أبدا فى انتظار الزعيم . فإذا ما ظهر الزعيم ساروا وراءه إلى الموت راغبين .

هؤلاء هم المصريون الخالدون ، هؤلاء هم ثقة وعن يقين لو كان لى من الأمر شىء لجعلت هذه القصة فى يد كل فتى وكل فتاة ؛ ولطبعتها ووزعتها على كل بيت بالمجان ؛ ولأقمت لصاحبها ـ الذى لا أعرفه ـ حفلة من حفلات التكريم التى لا عداد لها فى مصر ، للمستحقين وغير المستحقين !

خان الخليلي

قصة مصرية

تأليف الأستاذ:

نجيب محفوظ

بقلم:

سيد قطب

نشرت في مجلة الرسالة
العدد ٦٤٩ - ديسمبر ١٩٤٥



هذه هي القصة الثالثة للمؤلف الشاب ، سبقتها قصة « رادوبيس » وقصة « كفاح طيبة » وكلتاهما قصتان معجبتان مستلهمتان من التاريخ المصري القديم .

ولكن هذه القصة الثالثة هي التي تستحق أن تفرد لها صفحة خاصة في سجل الأدب المصري الحديث ، فهي منتزعة من صميم البيئة المصرية في العصر الحاضر ؛ وهي ترسم في صدق ودقة ، وفي بساطة وعمق ، صورة حية لفترة من فترات التاريخ المعاصر ، فترة الحرب الأخيرة ، بغاراتها ومخاوفها ، وبأفكارها وملابساتها ؛ ولا ينقص من دقة هذه الصورة وعمقها أنها جاءت في القصة إطارا لحوادثها الرئيسية ، وبيئة عاشت القصة فيها .

ولكن هذا كله ليس هو الذي يقتضي الناقد أن يفرد لهذه القصة صفحة متميزة في كتاب الأدب المصري الحديث ...

إنما تستحق هذه الصفحة ، لأنها تسجل خطوة حاسمة في طريقنا إلى أدب قومي واضح السمات متميز المعالم ، ذي روح مصرية خالصة من تأثير الشوائب الأجنبية - مع انتفاعه بها - نستطيع أن نقدمه - مع قوميته الخاصة - على المائدة العالمية ، فلا يندمج فيها ، ولا يفقد طابعه وعنوانه ، في الوقت الذي يؤدي رسالته الانسانية ، ويحمل الطابع الانساني العام ، ويساير نظائره في الآداب الأخرى .

وهذه الظاهرة حديثة العهد في الأدب المصري المعاصر ، لم تبرز وتتضح إلا في أعمال قليلة من بين الكثرة الغالبة لأعمال الأدباء المصريين وهي في هذه القصة أشد بروزا وأكثر

وضوحا . فمن واجب النقد إذن أن يسجل هذه الخطوة ويزكيها .

* * *

وبعد ، فقد كنت أود أن أضع أمام القارىء ملخصا للقصة يعينه على تتبع السمات الفنية فيها ، ويشركه معى فى تحليل هذه السمات . ولكن القصة بالذات من الأعمال الفنية التى لا سبيل إلى تلخيصها ، وحين تلخص تبدو هيكلا عظميا خاليا من الملامح والقسمات التى تحدد الشخصية ، وتبرز مواضع الجمال والقبح فيها .. فلا مفر إذن من الحديث العام عن القصة دون الدخول في التفصيلات إلا بمقدار .

ليس في القصة كلها صخب ولا بريق .. إنها خلو من الالتماعات الذهنية والأفكار الكبيرة . ليس فيها « لافتة » واحدة من اللافتات التى تستوقف النظر . ومحيطها ذاته محيط عادى . وأحداثها وحوادثها مما يقع كل يوم فى أوساطنا المصرية العادية . اللهم إلا تلك الغارات الجوية التى روعت بعض المدن فى زمن الحرب والتى روعت أسرة « أحمد أفندى عاكف » فأزعجتها عن حى السكاكينى الذى استوطنته زمنا طويلا ، إلى الحى الحسينى وخان الخليلى ، لتكون فى منجاة من الغارات ، فى حى ابن بنت رسول الله !

* * *

حياة هذه الأسرة وجروحها وأحداثها وأحاديثها هى محور القصة ، وقد أدار المؤلف حول هذا المحور حياة أهل القاهرة فى هذه الفترة من فترات الهول أيام الغارات ، فعرض منها لوحات بسيطة صادقة تشبه فى بساطتها وصدقها فطرة هذا الشعب الطيب الفكه المؤمن المستسلم للقدر ، المتأثر بشتى الخرافات والدعابات .

ومن بين الصور التى عرضها صورة مقاهى خان الخليلى و « غرزه » أيضا وقد حوت أشكالا وشخصيات لم تكن لتجتمع إلا فى مثل هذا الحى الغريب حقا ؛ كما رسم صورة مقاهى حى السكاكينى و « شلل » الشبان فيه ! وسجل أطوار المقامرين ومجالسهم رسما قويا فى جو مزيج من الجد والدعابة !

ولقد كان هذا الإطار من مكملات الصورة الأصيلة كما كانت الريشة فى يد المؤلف هادئة وئيدة ، فوفق فى إبراز الملامح والقسمات الجزئية ، وساير الحياة مسايرة طبيعية بسيطة عميقة ، منتفعا إلى جانب مهارته الفنية بمباحث التحليل النفسى ، دون أن يطغى تأثره بها على حاسته الفنية الأصيلة . وعاشت فى القصة عدة شخصيات من خلق المؤلف لا تقل أصالة عن نظائرها فى الحياة !

ولكن ليست المهارة الفنية فى التسلسل القصصى ، والبراعة الصادقة فى رسم الشخصيات ، والدقة التامة فى تتبع الانفعالات ... ليست هذه السمات وحدها هى التى تعطى القصة كل قيمتها ... إن هناك عنصرا آخر هو الذى يخرج بالقصة من محيطها الضيق ، محيط شخصياتها المعدودة ، وحوادثها المحدودة فى فترة من فترات الزمان ، إلى محيط الانسانية الواسع ، ويصلها هناك بدورة الفلك وحلبة الأبد ...

إنك لتقرأ القصة ثم تطويها ، لتفتح قصة الانسانية الكبرى ... قصة الانسانية الضعيفة فى قبضة القدر الجبارة . قصة السخرية الدائبة التى تتناول بها الأقدار تلك الانسانية المسكينة .

خان الخليلي ...

هذه أسرة تفر من هول الغارات وخطر الموت من حى إلى حى : فما تغادر هذا الحى الآمن ! إلا وقد أصابها الموت فى أنضر زهرة وأقوم عود !

وهذا رجل شاخ قلبه ، وانطوى على نفسه ، وآوى إلى يأس مرير ولكنه هادىء ساكن . فما يلبث القدر أن يثير فى قلبه إعصارا على غير أوان ، ويزيح الركام عن البذور المطمورة فى قلبه الهرم ، ليعود فجاة فيقصف الأعواد التى تنبت فى بطء وحذر يقصفها فى قسوة عابثة ، وبيد من ؟ بيد أحب الناس إليه : شقيقه وربيبه ! ولو قد أمهله بضعة أيام لا نتهى إلى الواحة الممرعة بعد طول الجدب فى الصحراء . ولو قد تقدم به أياما لأعفاه من إضافة تجربة فاشلة إلى تجاربه المريرة !

وهذا شاب مستهتر عابث ، ما يكاد الحب يقومه ، ويبعث فيه الجد والمبالاة حتى يخطفه الموت ، الذى لم يخطفه أيام العبث والاستهتار !

والأرض تدور ، والزمن يمضى ، والناس يقطعون الطريق المجهول كأن لم يكن شيء مما كان : رفاق الشاب فى قهوتهم يقامرون ويعربدون ، وأصحاب الرجل فى « غرزتهم » يدخنون أو فى قهوتهم يتندرون . والقدر الساخر من وراء الجميع لايبدو عليه حتى مظهر الجد فى سخريته المريرة . والمؤلف نفسه لايكاد يلتفت إلى الدائرة الوسيعة التى تنتهى اليها قصته انه يلقى انتباهه كله إلى إدارة الحوادث ورسم الشخصيات ! ! !

* * *

ولعل من الحق حين أتحدث عن قصة « خان الخليلى » أن أقول : إنها لم تنبت فجاة ، فقد سبقتها قصة مماثلة ، تصور حياة أسرة وتجعل حياة المجتمع فى فترة حرب إطارا للصورة ... تلك هى قصة « عودة الروح » لتوفيق الحكيم .

ولكن من الحق أيضا أن أقرر أن الملامح المصرية الخالصة فى « خان الخليلى » أوضح وأقوى ، ففى « عودة الروح » ظلال فرنسية شتى . والمع ما فى عودة الروح هو الالتماعات الذهنية والقضايا الفكرية بجانب استعراضاتها الواقعية ؛ أما « خان الخليلى » ؛ فأفضل ما فيها هو بساطة الحياة ، وواقعية العرض ، ودقة التحليل .

وقد نجت « خان الخليلى » من الاستطرادات الطويلة فى « عودة الروح » . فكل نقط الدائرة فيها مشدودة برباط وثيق إلى محورها .

وكل رجائى ألا تكون هذه الكلمات مثيرة لغرور المؤلف الشاب ، فما يزال أمامه الكثير لتركيز شخصيته والاهتداء إلى خصائصه ، واتخاذ أسلوب فنى معين توسم به أعماله ، وطابع ذاتى خاص تعرف به طريقته ، وفلسفة حياة كذلك تؤثر فى اتجاهه .

وبعض هذه الخصائص قد أخذ فى البروز والوضوح فى قصصه السابقة وفى هذه القصة ؛ وهى الدقة والصبر فى رسم الخوالج والمشاعر وتسجيل الانفعالات المتوالية ، والبساطة والوضوح فى رسم صورة لحياة أبطاله .

والبقية تأتى إن شاء الله !

على هامش النقد

القاهرة الجديدة

تأليف الأستاذ : نجيب محفوظ

للأستاذ : سيد قطب

نشرت في مجلة الرسالة

العدد ٧٠٤ - ديسمبر ١٩٤٦



من دلائل « غفلة النقد في مصر » التي تحدثت عنها في كلمة سابقة ، أن تمر هذه الرواية القصصية « القاهرة الجديدة » دون أن تثير ضجة ادبية أو ضجة اجتماعية !

ألأن كاتبها مؤلف شاب ؟ لقد كان « توفيق الحكيم » قبل خمسة عشر عاما مؤلفا شابا عندما أصدر أولى رواياته التمثيلية « أهل الكهف » فتلقاها الدكتور طه حسين ، وأثار حولها فرقعة هائلة . كانت هي مولد « توفيق الحكيم » الأدبي . ولم يمنع كونه في ذلك الحين شابا من إثارة ضجة حوله ، أبرزت أدبه للناس فانتفعوا به ، كما انتفع هو نفسه لانه وجد الطريق بعدها مفتوحا أمامه للنشر والشهرة .

و « القاهرة الجديدة » شأنها شأن « خان الخليلي » للمؤلف نفسه لا تقل اهمية في عالم الرواية القصصية في الأدب العربي عن شأن « أهل الكهف » و « شهر زاد » لتوفيق الحكيم في عالم الرواية التمثيلية .

ولكن كان على النقد اليقظ - لولا غفلة النقد في مصر - أن يكشف أن أعمال « نجيب محفوظ » هي نقطة البدء الحقيقية في إبداع رواية قصصية عربية أصيلة . فلأول مرة يبدو الطعم المحلي والعطر القومي في عمل فني له صفة إنسانية ؛ في الوقت الذي لايهبط مستواه الفني عن المتوسط من الناحية الفنية المطلقة . فهو من هذه الناحية الأخيرة يساوي أعمال توفيق الحكيم في التمثيلية .

أم انه لابد لنجيب محفوظ وأمثاله أن يلقوا بأنفسهم في أحضان أحد ،

ليقدمهم إلى الناس ؟ .

لقد فات الوقت الذى كانت هذه هى الوسيلة الوحيدة للظهور ، والجمهور لم يعد ينتظر هؤلاء الشيوخ ليقرأ ويحكم فعلى هؤلاء الشيوخ أن يؤدوا واجبهم إذا شاءوا أن تظل الأنظار معلقة بهم كما كانت الحال ! .

القاهرة الجديدة ...

هى قصة المجتمع المصرى ، وما يضطرب فى كيانه من عوامل ، وما يصطدم فى أعماقه من اتجاهات .

قصة الصراع بين الروح والمادة ، بين العقائد الدينية والخلقية والاجتماعية والعلمية ، بين الفضيلة والرذيلة ، بين الغنى والفقر ، بين الحب والمال ... فى مضمار الحياة .

وهى تبدأ فى نقطة الارتكاز فى الجامعة ، حيث تصطرع الأفكار الناشئة هناك بين طلابها - بفرض أن الجامعة ستكون هى « حقل التجارب والاكثار » للأفكار النظرية التى تسير الجيل ... ثم تدفع بشتى الأفكار والنظريات النابتة فى هذا الحقل ، إلى مضمار الحياة الواقعية ، وغمار الحياة اليومية ، وتصور صراع النظريات مع الواقع خطوة فخطوة ، تصوره انفعالات نفسية فى نفوس إنسانية ، وحوادث ووقائع وتيارات فى خضم الحياة .

وصفحة فصفحة نجدنا فى صميم الحياة المصرية اليومية . هذه الأفكار المجردة نعرفها ، وهذه الوجوه شهدناها من قبل ؛ وهذه الحوادث ليست غريبة علينا . نعم فيها شىء من القسوة السوداء فى بعض المواقف ، ولكنها فى عمومها أليفة . تؤلمنا ولا ننكرها ، وتؤذينا أحيانا ، ولكننا نتقبلها !

هذا هو الصدق الفنى . فنحن نعيش فى الرواية لحظة لحظة نعيش مصريين ، ونعيش آدميين ، وفى المواقف القاسية ، فى مواقف الفضيحة ، حيث تبدو الرذيلة كالحة شوهاء مريرة ، نود لو ندير أعيننا عنها كيلا نراها ، ولكننا نقبل عليها مضطرين ففى القبح جاذبية ! . إنها الدمامل والبثور فى جسم مصر ، وفى جسم الانسانية كذلك ، وإذا انفعلنا لهامرة لأننا مصريون ، انفعلنا لها أخرى ، لأننا ناس وإنسانيون .

وبعد أن يسجل سيد قطب على نجيب محفوظ أنه كان قاسيا على بطل روايته قسوة غير مبررة ... يضيف :

وشىء آخر آخذه على الرواية : لم جعل الفتى المؤمن المتدين لا تصطدم نظرياته بواقع الحياة ؟ لقد اصطدم « على طه » صاحب الايمان بالمجتمع . اصطدم فى قلبه وشعوره . فقد كانت هذه الفتاة التى زفت إلى زميله هى فتاة أحلامه وموضع إيمانه الاجتماعى . ولكنه احتمل الصدمة ومضى يؤمن بالمجتمع الكبير . واصطدم محجوب صدمات شتى وجف لها واضطرب ،

ولكنه احتملها فى سبيل ذاته المقدسة ! فلم لم يصطدم أبدا « مأمون رضوان » ؟

هل يريد المؤلف أن يقول : إن إيمانه القوى بالله والدين والرجولة قد أعفاه من الاصطدام ، كلا . إن المجتمع الفاسد المنحل الذى صوره فى مصر ـ والذى هو مع الأسف واقع ـ لابد أن يصطدم به كل صاحب إيمان ، سواء كان إيمانا بالمجتمع أو حتى إيمانا بالحياة !

ربما لاحظ أن التنسيق الفنى يحتم عليه ألا يبرز على المسرح إلا شخصية واحدة رئيسية . ولكن لا . فالرواية القصصية من طبيعتها أن تسمح لأكثر من شخصية بالبروز ، والتنسيق الفنى يتحقق بتنويع درجات البروز .

هذه نقطة من نقط الضعف فى الرواية ، كالنقطة الأولى كذلك .

* * *

وبعد فهناك صفحات رائعة قوية فى تصوير المجتمع المصرى وما فيه من انحلال يشمل الطبقات الارستقراطية ودوائر الحكومة وآثام الفقر والثراء ، وآفات المظاهر والرياء ... الخ ، ولكن يضيق عنها المقام ، وأنا معجل عنها إلى مسألة أخرى لها أهميتها فى وزن الرواية ، وفى وزن كل عمل فنى

إن هذه الرواية على ما فيها من براعة فى العرض ، ومن قوة فى التصوير ـ تصوير النماذج وتصوير المجتمع وتصوير المشاعر والانفعالات ـ هى أصغر من قيمتها الانسانية ـ وتبعا لهذا فى قيمتها الفنية ـ من سابقتها « خان الخليلى » .

رواية خان الخليلى أضيق فى محيطها الداخلى ولكنها أوسع فى محيطها الخارجى أضيق فى المجال الذى تعالجه وتضطرب فيه حوادثها . فهى قصة أسرة تفر من الموت بالقنابل فيخترم الموت أجمل زهراتها بلا قنابل ! وقصة قلب إنسانى شاخ قبل الأوان فانطوى على نفسه ورضى بنصيبه . فاذا الأقدار تخايل له بقطرة ندية فيندى ، ثم تجف هذه القطرة قبل أن تبلغ فاه . يرشفها منه أعز إنسان عليه : أخوه المستهتر السادر . وحينما يجد هذا المستهتر ويقومه الحب العميق ، تخطفه الاقدار فيموت !

ولو استأنت الأقدار لحظة هنا أو هناك ، ولو تغير خيط واحد فى ذلك المنوال الأبدى لتغير وجه الحياة .

أما رواية « القاهرة الجديدة » فتعالج جيلا وتصور مجتمعا ومجالها مع هذا أضيق من مجال « خان الخليلى ! » .

فى « خان الخليلى » ننتهى من الرواية لنجد أنفسنا أمام رواية الحياة الكبرى : الانسانية والأقدار الضعف الانسانى والقوى الكونية ، أشواق الناس وأهدافهم أمام الغيب المجهول .

وفى « القاهرة الجديدة » نبدأ وننتهى ، ونحن أمام جيل من الناس ومجتمع قابل للزوال ، فلا تبقى إلا بعض الملامح الانسانية الخالدة .

المجال هناك أوسع لأنه خالد بخلود الانسان والقيمة الانسانية هناك أكبر ، وهى جزء من القيمة الفنية له أثره فى وزن الرواية ، وراء المهارة الفنية فى العرض والتنسيق والاختيار .

التصوير الفني في القرآن

للأستاذ : سيد قطب

بقلم : نجيب محفوظ

كتب الاديب نجيب محفوظ هذا المقال في مجلة الرسالة العدد ٦١٦ بتاريخ ٢٣ ابريل ١٩٤٥ ينقد كتاب سيد قطب . وننشره ضمن المقالات التي تبادلها الاديبان نقدا لمايكتبان .



قرأت كتابك «التصوير الفني في القرآن» بعناية وشغف ، فوجدت فيه فائدتين كبيرتين :

أولاهما للقارىء : خصوصاً القارىء الذي لم يسعده الحظ بالتفقه في علوم القرآن ، والغوص إلى أسرار بلاغته . بل حتى هذا القارىء الممتاز لاشك واجد في كتابك نوراً جديداً ولذة طريفة ، ذلك أن كتاباً خالداً كالقرآن لا يعطي كل أسراره الجمالية لجيل من الأجيال مهما كان حظه من الذوق وقدره في البيان ، فللجيل الحاضر عمله في هذا الشأن ، كما سيكون للأجيال القادمة عملها . والمهم أنك وفقت لأن تكون لسان جيلنا الحاضر في أداء هذا الواجب الجليل الجميل معاً ، مستعيناً بهذه المقاييس الفنية التي يألفها المعاصرون ويحبونها ويسرون في وادي الفن على هداها ونورها . إن عصرنا ـ من الناحية الجمالية ـ عصر الموسيقى والتصوير والقصة ، وها أنت ذا تبين لنا بقوة وبإلهام أن كتابنا المحبوب هو الموسيقى والتصوير والقصة في أسمى ما ترقى إليه من الوحي والإبداع . ألم نقرأ القرآن ؟ بلى وحفظنا ـ في زمن سعيد مضى ـ ما تيسر من سوره وآياته ، وكان ـ ولايزال ـ له في قلوبنا عقيدة وفي وجداننا سحر ، بيد أنه كان ذاك السحر الغامض المغلق ، تحسه الحواس ، ويهتز له الضمير ، دون أن يدركه العقل أو يبلغه التذوق ، كان كالنغمة المطربة التي لا يدري السامع لماذا ولا كيف أطربته ، فجاء كتابك كالمرشد للقارىء والمستمع العربي من أبناء جيلنا ، يدله على مواطن الحسن ومطاوي الجمال ، ويجلي له أسرار السحر ومفاتن الإبداع . كان القرآن في القلب فصار ملء القلب والعين والأذن والعقل جميعاً .

ولقد قلت بعد نظر طويل وتدبر «التصوير هو الأداة المفضلة فى أسلوب القرآن . فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهنى ، والحالة النفسية ، وعن الحادث المحسوس ، والمشهد المنظور ، وعن النموذج الإنسانى والطبيعة البشرية . ثم يرتقى بالصورة التى يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة ، فإذا المعنى الذهنى هيئة أو حركة ، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد ، وإذا النموذج الإنسانى شاخص حى ، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية ..» ومضيت تستشهد لكل حالة بالأمثال مفسراً شارحا موضحا ، ولم تقتنع بذلك فتوثبت للبحث عن القواعد التى يقوم عليها هذا التصوير المعجز من التخييل الحسى والتجسيم فى فيض من الأمثال والشواهد . ثم لم تقنع بما فتح الله عليك من سحر هذا الفيض الإلهى فقلت «حينما نقول إن التصوير هو القاعدة الأساسية فى تعبير القرآن وإن التخييل والتجسيم هما الظاهرتان البارزتان فى هذا التصوير لا نكون قد بلغنا المدى فى بيان الخصائص القرآنية عامة ولا خصائص التصوير القرآنى خاصة .. هنالك التناسق الذى يبلغ الذروة فى تصوير القرآن .» فكان هذا الفصل الذى بلغت به أنت أيضا الذروة فى النقد والذوق والفهم . كنت أود لو استشهد ببعض ما جاء فى كتابك من النقد التطبيقى للآيات الكريمة ، ولكن تضيق عن ذلك كلمتى الموجزة ويأباه ذوقى الذى يأبى المفاضلة بين أى الذكر على أى وجه من الوجوه .. ومهما يكن من أمر فينبغى أن اقرر هنا أنه فى فصلى «التناسق الفنى» و «القصة فى القرآن» قد بارك القرآن مجهودك فرفعك إلى مرتقى يتعذر أن يبلغه ناقد بغير بركة القرآن .. !

أما أخرى الفائدتين : فهى لك أنت ! لأن الكتاب فى جملته إعلان عن مواهبك كناقد . إنك تستطيع أن تعبر أجمل التعبير عن أثر النص فى نفسك ، ولا تقف عند هذا فتجاوزه إلى بيان مواضع الجمال فى النص نفسه وما يحفل به من موسيقى وتصوير وحياة ، ثم تستنطق الموسيقى أنغامها وضروبها ، وتستخبر الصورة عن ألوانها وظلالها ، وتستأدى الحياة حرارتها وحركتها . ولا تقنع بهذا كله ! فيقرن ذهنك بين النص والنص ، حتى تظفر وراء الظواهر بوحدة ، وخلف الآيات بطريقة عامة ، تجعل من الكتاب شخصاً حيا ذا غاية واضحة ، وسياسة بارعة ، وخطة موضوعة ، تهدف جميعاً إلى الإعجاز الفنى فتناله عن جدارة . فهذا ذوق جميل ، وتذوق عسير وفكر نفحة فلسفية ..

والآن اسمح لى أن أوجه إليك سؤالا ، وأن أسوق ملاحظة :

أما السؤال : فإنك تحدثت عن التصوير والتخييل والتجسيم والتنسيق الفنى ، وكل أولئك روح الشعر ولبابه قبل أى شىء آخر ، أفلم يخطر لك أن تحدد نوع كلام القرآن على ضوء بحثك هذا ؟ وأما الملاحظة فعن الفصل الذى خصصته للنماذج الإنسانية ، فقد وجدت فيما استشهدت به من آيات ما يعبر عن طبائع بشرية وسجايا نفسية لا نماذج إنسانية ، فالنموذج الإنسانى بمعناه العلمى شىء أشمل من هذا ، وهو قد يحوى الكثير من هذه الطبائع كما قد يحوى غيرها ، والمهم أنه يعرضها على نحو خاص يتفق ومزاجه الأساسى . والنماذج الإنسانية محدودة معروفة ـ على اختلاف تقسيم علماء النفس لها ـ أما الطبائع فلا حصر لها ، فلعلك قصدت الطبائع لا النماذج .

المرايا

من هو عبد الوهاب اسماعيل الذى رسم ملامحه نجيب محفوظ ؟

... كأن هذا الفصل من "المرايا" لنجيب محفوظ ، يرسم شخصية "سيد قطب" ويوجز تاريخ حياته فى مفاصلها الرئيسية ، انما بقدرة الفنان الذى يضمر بقدر ما يفصح ، ويستخدم الإبهام ببراعة فذة ، حتى لا يكشف عن سر معرفته بشخوصه ، فيلقى هذا العبء على القارىء الأريب .

إنه اليوم اسطورة ، وكالاسطورة تختلف فيه التفاسير . وبالرغم من اننى لم الق منه الا معاملة كريمة اخوية إلا اننى لم ارتح ابداً لسحنته ولا لنظرة عينيه الجاحظتين . وقد عرفته فى صالون الدكتور ماهر عبدالكريم فى أثناء الحرب العظمى الثانية . كان فى الثلاثين من عمره ، يعمل مدرساً للغة العربية فى احدى المدارس الثانوية وينشر أحياناً فصولاً عن النقد فى المجلات الأدبية أو قصائد من الشعر التقليدى .

كان أزهرياً ، لا علم له بلغة أجنبية ، ومع ذلك أثار اهتمامى واحترامى بقوة



منطقه وهو يناقش اشخاصا من المعروفين بثقافتهم الواسعة واطلاعهم العميق على اللغات الاجنبية مثل الدكتور إبراهيم عقل وسالم جبر وزهير كامل .

وامتاز بهدوء الاعصاب وادب الحديث فما احتد مرة أو انفعل ولا حاد عن الموضوعية ولا بدا في مستوى دون مستوياتهم الرفيعة ، فكانه ند لهم بكل معنى الكلمة ، فاقتنعت بحدة ذكائه ومقدرته الجدلية واطلاعه الواسع ، رغم اعتماده الكلي على التراث والكتب المترجمة ، ولم يداخلني شك في انه اذكى من إبراهيم عقل وسالم جبر وزهير كامل جميعاً . وحتى نقده للكتب العصرية لم يتسم بالهزال أو السطحية بالقياس إلى نقد المختصين من حملة المؤهلات الباريسية واللندنية ، وان كان ثمة فارق دقيق فلم يكن ليتكشف إلا لعين العارف المدقق .

قال لي عنه يوماً الدكتور ماهر عبدالكريم :

- انه شاب موهوب ومن المؤسف انه لم يرسل في بعثة ..

وكان الدكتور ماهر عبدالكريم ممن يزنون اقوالهم بميزان دقيق .

وبالرغم من ان عبد الوهاب اسماعيل لم يكن يتكلم في الدين . وبالرغم من تظاهره بالعصرية في افكاره وملبسه واخذه بالاساليب الافرنجية في الطعام وارتياد دور السينما إلا ان تاثره بالدين وإيمانه بل وتعصبه لم تخف على اذكر ان كاتباً قبطياً شاباً اهداه كتاباً له يحوى مقالات في النقد والاجتماع فحدثني عنه ذات يوم في مقهى الفيشاوى فقال :

- انه ذكي مطلع حساس وذو اصالة في الاسلوب والتفكير ..

فسألته ببراءة وكنت مغرماً بالكاتب :

- متى تكتب عنه ؟

فابتسم ابتسامة غامضة وقال :

- انتظر وليطولن انتظارك ..

- ماذا تعني ؟

فقال بحزم :

- لن اشترك في بناء قلم سيعمل غداً في تجريح تراثنا الإسلامي بكافة السبل الملتوية ..

فتساءلت بامتعاض :

- افهم من ذلك انك متعصب ؟

فقال باستهانة :

- لا تهددني بالاكليشيهات فانها لا تهزني ..

- يؤسفني موقفك

- لا فائدة من مناقشة وفدى في هذا الموضوع . وقد كنت وفدياً ذات يوم ، ولكني اصارحك بانه لا ثقة لي في اتباع الاديان الاخرى .

وقد كان حقاً وفدياً ، ثم انشق على الوفد وراء احمد ماهر وكان عظيم الاعجاب به . ورقى في عهد السعديين إلى وظيفة مفتش . وكم تخلى عنه حلمه بسبب مصرع الدكتور احمد ماهر ، كأنما اصيب بنفس الرصاصة التي اودت بحياة الرجل وقال لي بحزن بالغ :

- ضاع اعظم رجل في الوطن .

وكان يشكو صحته كلما سنحت مناسبة ، وبها يتعلل في إفطار رمضان ولكنه لم يصرح بحقيقة مرضه لاحد كما انه لم يهتم في حياته بالنساء ولم

يتزوج ، وعرف في تلك الناحية بالاستقامة الكاملة . وعلى جدية أخلاقه ، وحملاته الصادقة على المنحرفين ، تكشف لي جانب منه لم أكن لأصدقه لو لم أخبره بنفسي . ذلك انه كان يوجد كاتب صاحب مجلة ومطبعة تصدر سلسلة شهرية من الكتب ، وكان عبد الوهاب يحتقره ويقول عنه :

ـ لولا مجلته لما وجد مجلة تقبل أن تنشر له كلمة .

وكم أدهشني أن اطالع له مقالة في الرسالة عن صاحب المجلة رفعه فيها إلى السماء ! حرت في تفسير ذلك ، حتى علمت بأنه اتفق معه على نشر كتاب له في سلسلته الشهرية نظير أجر ممتاز لم يظفر بمثله كاتب آخر ، وتذكرت في الحال موقفه الأعمى من الكاتب القبطي فأزعجني جداً اكتشاف ذلك الجانب الانتهازي في شخصيته وساورني شك من ناحية صدقه وأمانته ، واستقر في نفسي ـ رغم صداقتنا ـ نفور دائم منه . وظل يعمل مفتشاً وكاتباً حتى ولي الوفد الحكم عام ١٩٥٠ ، فلم يرتح إلى معاملة الوزير الوفدي له ، فقدم استقالته وتفرغ للعمل في الصحافة ـ وعرف في تلك الفترة بهجومه المتواصل على حكومة الوفد ، وفي نفس الوقت شرع يكتب كتاباً عصرياً عن الدين الإسلامي لاقى نجاحاً منعدم النظير .

وقامت ثورة يوليو ١٩٥٢ وهو منغمس في محاربة الوفد والدفاع عن الدين الإسلامي ، وكان مر عامان على الأقل لم نلتق فيهما أبداً وانقطعت عني أخباره الخاصة .

ويوماً كنت في زياره للاستاذ جبر فقال لي :

ـ الظاهر أن نجم عبدالوهاب إسماعيل سيلمع قريباً .

فسألته باهتمام :

ـ ماذا تعني ؟

ـ أصبح من المقربين .

ـ ككاتب سياسي أم ككاتب ديني ؟

ـ باعتباره من الاخوان المسلمين ..

فهتفت بدهشة :

ـ الاخوان .. لكنني عرفته سعدياً متطرفاً .

فقال متهكماً :

ـ سبحان الذي يغير ولا يتغير .

وقابلته بعد ذلك بعام أو نحوه أمام «الأنجلو» فتصافحنا بحرارة وسرنا معاً نتحادث حتى جاء ذكر الثورة فقال بتحفظ :

ـ ثورة مباركة ولكن من العسير أن تعرف ماذا يريدون ..

ولمست في حديثه مرارة لم اقف على سرّها ولم يبح به . كانت له قدرة على الاحتفاظ بأسراره ليست إلا لقلة نادرة من المصريين وقلت له :

ـ بلغني أنك انضممت إلى الاخوان المسلمين ؟

فابتسم ابتسامة غامضة وقال :

ـ أي مسلم عرضة لذلك .

- من المؤسف حقاً انك نبذت النقد الأدبي .

فضحك قائلا :

- يالها من تمنيات جاهلية .

وافترقنا وانا أشعر باننا لن نلتقي مستقبلا إلا مصادفة في الشوارع . وعند أول صدام بين الثورة والاخوان قبض عليه فيمن قبض عليهم من أعضاء الجماعة ، وقدم للمحاكمة فحكم عليه بعشرة أعوام سجن . وغادر السجن ١٩٦٥ فرايت أن ازوره مهنئاً ، فذهبت إلى مسكنه بشارع خيرت والحق انه لم يتغير كثيراً ، شاب شعر راسه كما يتوقع لرجل في السابعة أو الثامنة والخمسين من عمره ، وزاد وزنه حتى خيل إليّ أن صحته تحسنت عما كانت عليه . وتبادلنا الأسئلة عن الظروف والأحوال ، وكان يحافظ على رزانته المعهودة وبرودة أعصابه الفذة . وخاض دون مقدمات في المسائل العامة فادلى بارائه بكل ثقة :

- يجب ان يحل القرآن مكان كافة القوانين المستوردة وقال عن المراة :

- على المراة ان تعود إلى البيت ، لا باس من ان تتعلم ولكن لحساب البيت لا الوظيفة ، ولا باس من ان تضمن لها الدولة معاشاً في حال الطلاق أو فقد العائل ..

وقال بقوة :

- الاشتراكية والوطنية والحضارة الاوروبية خبائث علينا ان نجتثها من نفوسنا ..

وحمل على العلم حملة شعواء حتى ذهلت فسالته :

- حتى العلم ؟

- نعم ، لن نتميز به ، نحن مسبوقون فيه وسنظل مسبوقين مهما بذلنا ، لا رسالة علمية لدينا نقدمها للعالم ولكن لدينا رسالة الإسلام وهي كفيلة بانقاذ العالم وخلاصه ، فعندنا العدالة الاجتماعية والاخوة الإنسانية وعبادة الله وحده لا راس المال ولا المادية الجدلية ..

استمعت إليه طويلا ضاغطاً على انفعالاتي حتى لا اخل بواجب المجاملة ثم قمت للانصراف وانا أساله :

- ماذا عن المسقبل ؟

- هل لديك اقتراح ؟

- لدي اقتراح ولكني اخشى أن يكون جاهلياً .. هو ان تعود إلى النقد الأدبي . فقال بهدوء :

- تلقيت دعوة للعمل في الخارج .

- وعلام عولت ؟

- اني أفكر ..

وودعته وانصرفت .. وبعد انقضاء عام على المقابلة طلعت علينا الصحف بانباء مؤامرة جديدة للاخوان ولم أعرف وقتها شيئا عن مصير عبد الوهاب إسماعيل الذي رجحت انه غادر الوطن للعمل في الخارج . غير أن الصديق قدري رزق أكد لي انه كان ضمن المؤامرة وانه قاوم القوة التي ذهبت للقبض عليه حتى اصيب بطلقة قاتلة فسقط جثة هامدة .



العلم فى أدب نجيب محفوظ

بقلم : د. صلاح خليل

«يتعرض هذا المقال لرؤية الكاتب الكبير «نجيب محفوظ» - على لسان ابطال رواياته - لقضية من اهم القضايا الفكرية المعاصرة الا وهى وضع الادب والادباء فى عصر يلعب فيه العلم والعلماء دورا رئيسيا فى توجيه الحضارة الانسانية».

● يتميز عمالقة الفكر والادب بالحساسية المفرطة لكل ما يحدث فى مجتمعاتهم من تطور ، ويستطيع القارىء - من خلال ادبهم - الاحساس بنبض العصر وادراك متغيرات الزمن وتأثيراته ، وقد يصل الامر - احيانا - بهؤلاء العمالقة الى القدرة على التنبؤ بمستقبل المجتمع وملامح تغيره .

وقد نجح كاتبنا الكبير "نجيب محفوظ" فى رصد الكثير من ملامح المجتمع المصرى وتسجيل الاحداث التى مرت به وتأثيراتها السياسية والاجتماعية خلال حقبة طويلة من الزمن - وذلك من خلال صياغة فنية رفيعة من النادر أن تتوفر - إن توافرت - لروائى اخر .

وإن كنا نعيش هذه الايام عصر العلم والتكنولوجيا - حيث اصبحت منجزات العلم تلعب دورا اساسيا فى تشكيل حياتنا



وتؤثر تأثيرا مباشرا في نمط هذه الحياة ، فقد استطاع "نجيب محفوظ" ، بحساسيته الشديدة ورؤيته الثاقبة وإدراكه الواعي لمعطيات عصره ، اظهار اهمية العلم في حياتنا ومجتمعنا المصرى المعاصر ، وهو في تناوله لهذه القضية ـ وان كان على لسان ابطال رواياته ـ انما يؤكد الحقيقة المعروفة ـ ان الاديب الحق ـ مرآة لعصره ـ فان من احدى مميزات المجتمع المصرى ـ الاهتمام بالعلم والطموح الى تعليم ابنائه اليست مصر هي نبع الفكر والعلم في منطقتنا ؟ .. اليست مصر هي مصدر الاساتذة والعلماء في منطقتنا العربية ؟ .. بل لا اعتقد انى اتجاوز الحقيقة اذا قلت ان مصر ـ بحبها للعلم والتعليم ـ قد استطاعت تصدير بعض ابنائها الى اوروبا وامريكا ـ حيث يشغل عشرات ـ بل مئات المصريين ، مراكز قيادية في جامعات الغرب المتقدم ومراكز ابحاثه ..

● تقدير للعلم

والقارىء المتأني لأدب "نجيب محفوظ" يكاد ان يلمح خطا واضحا ، يظهر تقدير "نجيب محفوظ" للعلم واعجابه وتبجيله للعلماء ، ومما يحسب لاديبنا ان ادراكه لاهمية العلم الحديث ودوره في حياتنا قد جاء مبكرا عندما كانت الثورة التكنولوجية في بدايتها بلا ضجيج او بريق كما هي هذه الايام .

ففي روايته «فضيحة في القاهرة (١٩٥٢)» يقول على لسان احد ابطاله "الايمان بالعلم بدل الغيب هو ما يحتاجه جيلنا" ص ٨ .. هل هناك اقوى من هذه العبارة ؟

اما في "السمان والخريف (١٩٦٢)" فنحس بمدى اعجاب نجيب محفوظ بالعلماء حتى ليجدهم اولى من السياسيين بامساك ناحية السلطة فيقول على لسان احد ابطال هذه الرواية (ابراهيم خيرت) .. "هذا يشير بأفول نجم الساسة ، فلينزلوا عن مكانتهم للعلماء وليذهبوا في داهية ..." (السمان والخريف ص ١٤٥)

وتعلو نغمة الاعجاب بالعلم في السكرية (١٩٦٤) فيقول في وصف احد ابطال ثلاثيته ، ".. انه كجده لا يعدل بحب العلم شيئا " ص ١٥ وتزداد النغمة شدة في نفس الرواية ، فيقول على لسان احد ابطال هذه الرواية "... لا تدهش ان يصارحك بهذا الرأى رجل مغرور من الادباء ، فالعلم اساس الحياة الحديثة .. ثم في توجيه واضح ..» ينبغى ان ندرس

العلم في أدب نجيب محفوظ

العلوم وان نتشبع بالعقلية العلمية ، الجاهل بالعلم ليس من سكان القرن العشرين ، ولو كان عبقريا ، وعلى الادباء ان ينالوا حظهم منه ، لم يعد العلم وقفا على العلماء ...." ... ثم يقول فى موقع اخر "... ادرس الاداب كما تشاء ، واعن بعقلك اكثر ما تعنى من المحفوظات ، ولا تنس العلم الحديث ولا يجب ان تخلو مكتبتك والى جانب شكسبير وشوبنهور من كانت وداروين وفرويد ..."

وتعلو النبرة مرة اخرى فيقول موضحا مدى احترامه للعلماء .. "ينبغى ان تتذكر ان لكل عصر انبياؤه وانبياء هذا العصر هم العلماء .." (السكرية .. ص ١٠٨) .

ثم يتساءل مقارنا بين العلم والفن .."الايمان بالعلم له وجاهته .. ولكن الفن ؟" ويستمر متغزلا فى العلم قائلا .. "العلم سحر البشرية ونورها ومرشدها ومعجزتها ..." (السكرية ص ١٢٧)

ترى هل هناك اقوى من هذه العبارات ، تعبر عن حب نجيب محفوظ للعلم وانبهاره بالعلماء ؟ ..

وتحتوى رائعته الشحاذ (١٩٦٥) على اشارات واضحة الى مدى تبجيله للعلم بالمقارنة بكل من الفن والأدب ، بل ان القارىء ليشعر شعورا مبهما باحساس الكاتب بشىء من الحسرة لانتمائه الى فئة الادباء .. فى عصر العلم والعلماء ، وكان لسان حاله يردد قول ابى قراط .. "ليس عندى من العلم سوى ادراكى باننى لست بعالم"

ففى هذه الراوية .. يقول نجيب محفوظ على لسان احد ابطال روايته ".. قديم كان للفن معنى حتى ازاحه العلم من الطريق وأفقده كل معنى » ثم فى فقرة اخرى "..إقرأ اى كتاب فى الفلك او فى الطبيعة او فى اى علم من العلوم ـ وتذكر ما تشاء من المسرحيات او دواوين الشعر ، ثم اختبر بدقة احساس الخجل الذى سيجتاحك .." (ص ٢٣ وما بعدها) ، ويقول فى موضع اخر مؤكدا المعنى السابق .. "هذا الشعور المخجل لا يعانيه الا الفنان المنبوذ من الزمن .." فنجيب محفوظ .. يربط العلم بالزمن برباط مباشر ، فمن لا يتطور مع العلم يصبح منبوذا من الزمن .. اى بلاغة فى التعبير عن اهمية العلم فى نظره اكثر من هذه البلاغة ؟

ويستطرد كاتبنا العظيم فى نفس الرواية مقارنا بين الفن والعلم والقانون فيقول "... لقد مات القانون قبل الفن ، وتغير مفهوم الفن ونحن لا ندرى ، عهد الفن قد مضى وانقضى وفن عصرنا هو التسلية والتهريج ، هذا هو الفن الممكن فى زمن العلم ويجب ان نتخلى للعلم عن جميع الميادين عدا السيرك ... "..وفى موضع اخر من نفس الراوية .. "بل قضى العلم على الفلسفة والفن ..."

ولعل القارىء قد يجد بعض المبالغة فى تقدير قيمة العلم بالنسبة للفن والادب والفلسفة ، ولكن الهدف الاساسى ـ فى رأيى ـ من هذه المبالغة هو ابراز وتعظيم دور العلم فى النشاط الفكرى الحديث للانسانية ـ وليس معناه إلغاء لدور الفن والادب .

ويحس القارىء بنفس النغمة فى تقديس العلم وتبجيله عندما يتابع الحوار بين بطل روايته "الشحاذ" وابنته ، وكأنها نصيحة جيل مضى الى جيل آت يقول البطل لابنته ـ التى تهوى الشعر .. "هل

اطمع ان تعدينى بالا تفرطى فى دراستك العلمية ؟ .. يمكن ان تكونى شاعرة وفى ذات الوقت مهندسة مثلا .." ثم يقول لها ".. لا احب ان تنتهى يوما فتجدى نفسك فى العصر الحجرى على حين يعيش من حولك عصر العلم .."

الا تجد معى - عزيزى القارىء - ان تقديره للعلم قد فاق كل حد ؟ ثم نقرأ له فى موضع اخر.. "نحن ادباء وانتاجنا محدود باوطاننا .. اما العلم .. فلغة عالمية ولا وطن للعلم .." وهو فى هذه العبارات يثير نقطة اخرى تؤكد مدى اهمية العلم وعالميته ومحدودية الادب ومحليته

● مستقبليــات

هذه بعض فقرات من انتاج "نجيب محفوظ" وهى تظهر بكل وضوح اهتمامه بقضية دور الادب والفن فى عصر العلم ، وتبرز ايضا موقفه من هذه القضية ، واذا كان نجيب محفوظ قد ظل قرابة اربعين عاما يدعو الى التغيير ويروج العلم فى رواياته واعماله ، فمن الظلم بل انه لمجافاة للحقيقة ، أن يزعم البعض أن كتاباته قد خلت من الرؤية المستقبلية وانها مجرد ترديد للماضى ، وحتى اذا صدقت هذه المقولة على بعض الادباء ، فانها بالقطع لا تصدق على ادب نجيب محفوظ .

وعلى الرغم من وضوح رؤيته فيما سبق مما سقته من امثلة ، فقد كتب الرجل فى باب وجهة نظر العبارات التالية - بالاهرام فى يوليو ٨٨ .. وهى تؤكد ما سقته فى مقالتى هذه .

يقول نجيب محفوظ تحت عنوان .. "عصر العلم والعلماء"

"... ذلك اننى اعتبر العلم ومنجزاته فى مقدمة مايقود الأمم الى التقدم والقوة والرخاء ، اجل ان الامم لا تعيش بالعلم وحده بل ان العلم نفسه لا يزدهر ولا يثمر الا فى احضان حضارة متكاملة تقوم على اسس متينـة من النظم السياسيـة والمبادىء الاخلاقية والعقائد الراسخة والمثل العليا ، ولكن يظل العلم جوهرة فريدة فى هذا التاج ويظل للعلماء كرسى الصدارة ومنصة القيادة..." انتهى كلام نجيب محفوظ .

وهو هنا يلخص فى جزالة ووضوح رؤيته بالنسبة لدور العلم فى العصر الحديث وبطريقة مباشرة .

ولسنا فى حاجة الى اثبات لهذه العبارات ، فقد وضعت الدول المتقدمة على اختلاف انظمتها السياسية - علماءها فى أرقى الدرجات ، ففى الاتحاد السوفييتى يتمتع العلماء بمميزات خاصة ويعاملون كطبقة شديدة التميز ويمنحون امتيازات لا مثيل لها ، وتتبنى الولايات المتحدة اى عالم عبقرى ، بصرف النظر عن جنسيته ، حتى لقد اصبحت الولايات المتحدة مركز جذب لجميع علماء العالم حتى من الغرب نفسه ، حيث يمنحون كل ما يحلمون به من امكانيات ومغريات لتحقيق احـلامهم العلميـة ، ودفـع التكنولوجيا الامريكية الى الامام ، وعالم الفضاء الامريكى المصرى - الدكتور فاروق الباز - واحد من عشرات الامثلة على ذلك ، وقد احتل العلماء كل مجالات العمل بما فيها بالطبع المجالات العسكرية ، وحتى الدبلوماسية فسفارات الدول الكبرى ، تكتظ بالدبلوماسيين حاملى الدكتوراه فى العلوم والهندسة ، فهم اقدر الناس بلاشك ، على رصد كل جديد فى مجال التكنولوجيا وسباق العلم الرهيب

وبعد .. فهل ننتبه ايها السادة الى مايقوله ويكتبه مفكرونا العظام ؟ ومتى ننصف علماءنا ونضعهم فى المرتبة التى يستحقونها ؟



قول أخير في أوراق هنري كورييل

بقلم: طارق البشري



هنرى كورييل

اعود مرة ثالثة للحديث عن هنرى كورييل . اعود اليه على مضض وارجو الا تضطرنى الظروف لعودة اخرى . كان اول حديث لى عنه ضمن طيات كتابى ((المسلمون والاقباط)) اثبت فيه ما انتهى اليه بحثى بشأن دوره السياسي، ودور امثاله من اليهود الاجانب . وهو بحث جرى فى مناسبته فى اطار ذلك الكتاب ، ودار مع الكتاب فى نطاق التوزيع المحدود للكتب ، وبين قراء الكتب الكبيرة ، لاننى اردته ان يدور فى نطاق البحوث لا فى مجالات النشر الواسع ذات الدلالات السياسية المباشرة ، واردته حديثا هادئا خافت النبرة ليسعى لاثارة نقاش رصين ، ولحسن التفاهم مع من يعنيهم الامر ، ولاعادة النظر فى المواقف الفكرية ، واستخلاص التجربة التاريخية ، وذلك كله لا من اجل الصراع ، ولكن من اجل تفادى الاخطاء وتطوير الاداء الوطنى العام .

● حاولت التزام هذا الاسلوب في الحديث عن أى من تيارات الفكر والسياسة ، سواء في ذلك الكتاب أو غيره ، مبتعدا بقدر الامكان عن مثيرات الحفائظ ، مقتربا الامكان من محركات النظر الفاحص الاواب ، ذلك أن كلا من تيار الفكـــر والسياسة — في الاطار الوطني — له وعليه . ونحـــن نرجو ان تتفـاعل ايجابياتها جميعا بدلا من ان تتفاعل في سلبياتها ، نحن نأمل ان يتغذى كل منها بايجابيات غيره بدلا من ان تتقاتل بنقائصــــها . وفي ظنى انه ليكون جهدنا خصبا ومثمرا ، يتعين ان ننهج نهــج التكامل وليس نهـج التنافى ، لينضاف بعضنا الى بعض ، بدلا من ان يخصم بعضنا من بعض ، فننحط بالتدريج الى مستوى الصفر في السياسة والحضارة وغيرها .

ومتى كنا في اطار القوى الوطنية، فان نفى اى من تياراتنا السياسية والفكرية بسبب يرجع الى ســلبيات ذلك التيار ، من شأنه أن ينقص من المحصلة العامة لقوة الامة ، وهو يهد في البنية الاســاسية التى تقوم عليها حركتها . لقد أهدرنا الكثير من قوانا بســـبب هذه المعــالجات القاتلة ، واســتنفدنا قدرا هائلا من طاقتنا السياسية والحضــارية بهذا الصنيع ، وضاعت علينا فرص وسنون، وانكسرت أوعية حضارية واجتماعية وســياسية ، وانهدت مؤسســات ، وتناثرنا اشلاء .

هذه مقدمة ضرورية للحديث حول ما ذكره الاســتاذ مصطفى طيبة في مقاله بالعدد الماضى من « الهلال » ، والذى اثار فيه جملة من الاعتراضات على عرضى لكتاب « اوراق هنـرى كورييل » الــذى كــانت نشرته لى « الهلال » في ابريل ١٩٨٨ . ووجه الضرورة انني احاول ايضاح ما يجب الا نفقده من عموم النظر الوطني ، حتى لو كنا نناقش امرا جزئيا بحتا . وما كنت احسب ان « كورييل » هذا سيكون معيارا للحكم على الناس في بلدنا ، فيوصف المرء بانه متحزب أو متقولب حسب موقفه من « كورييل »، وتثور المخاصمة بشأنه ونحـن على مشارف التسعينيات منالقرن العشرين في بلد فيه ما فيه ، وطريقه للمستقبل فيه ما فيه .

● بناء شخصية المواطن

كان يمكنني الا اتعرض لكورييل اصلا ، والا اتعرض لأوراقه « ثانيا ، لولا ان حاك في صدرى هاجس مثير ، وهو انه لا يزال فيبلدنا من لا يشعر بغرابة ان يتولى حركة سياسية مصرية نفر من يهود الاجانب . لأن الامر هنا لا يتعلق بحركة ما ولا بتاريخ فترة ما ولا باشخاص محددين ، انما هو أمر تمتد مضاعفاته لتمس خواص المناعة الوطنية ، سيما في هذه المرحلة التى نعيشها ، بما تحمل من عمليات غزو واقتحام وتسرب . ونحن في هذه المرحلة التى نحـيـاها نحتاج أول ما نحتاج في بناء شخصية المواطن، ان تنمو فيه خواص المتعة والاقتناع بما يغذى عناصر المقاومة فيه ، وبما يبقى « أهل الرباط » مرابطين دفاعا عن الحوزة والوطن وعن العقــائد والتراث والحضارة .

والاستاذ مصطفى طيبة لا يجـد غرابة في ان يتولى يهـــود أجانب قيادة تنظيمات سياسية مصرية في فترة ما ، ويعتبر ذلك ظاهرة عادية طبيعية ، بل انه يعيب على الاستاذ الكبير محمد سيد احمد وعلى ان ظنـنـــا ذلك أمرا غـــير طبيعى . والمعنيون هنا يهود أجـانب ، وقد التزمت اقتران الوصفين بشأنهما في كل ما كتبت ، الا ما عسى ان يكون ند عنه القلم — لأن الوصفين كانا

مقترنين في واقعهم . ولكن الاستاذ مصطفى استخدم لفظ « اليهود » فقط فيما نعاه علينا ، وهذا من شأنه أن يساعده لدى القارىء على استساغة وصف « التحزب » بشأني ووصف « التقولب » بشأن الاستاذ سيد احمد . لذلك انوه الى هذا التصويب ، وارجو الا يكون سعي الاستاذ العقب في الاقتصار على الوصف الديني مقصوداً ، لانه سعي يخالف واقع ما نكتب .

اننا هنا لا نتكلم عن فكر وفد ولا عن كتاب ترجم ولا عن علم ينقل من بيئة الى بيئة ، ولا نتكلم عن نظرية سياسية تشيع ولا عن نظام سياسي او اقتصادي يقلد ولا عن دعوة تذيع . اننا على وجه التحديد نتكلم عن تنظيم سياسي ومؤسسة متشخصة في افراد وقيادة وقرارات واوامر بالتحرك وكل ذلك يستهدف الوصول للحكم والسيطرة على مقاليد المجتمع . فاذا لم يكن غريبا ان يتاح ذلك لاجنبي فما الغريب في السياسة ، واذا اعتدنا هذا الامر وظنناه طبيعيا ، وبخاصة في بلد يسعى للاستقلال وتخليص نفسه من السيطرة الاجنبية ، الا ينطوي ذلك على تمام « التسليم » ، ولا اريد ان ازيد في شرح معنى « التسليم » .

وعلى اية حال ، فهناك ظاهرة نراها غريبة ويراها الاستاذ طيبة طبيعية ، ولا يملك اينا للآخر اقناعاً ، فلنترك هذا الامر لجمهور القارئين ، راجين من الله سبحانه أن يحفظ لهم قدرتهم على الاندهاش ازاء الهيمنة الاجنبية بكل اشكالها . ان كورييل يقول في أوراقه ان التنظيم صار يمثل « جميع القوميات » فهل يرى مصري انه من الطبيعي أن يتشكل حزب سياسي في بلده تمثل فيه جميع القوميات ؟!

ننتقل الى بعض التفاصيل التي وردت في تعقيب الاستاذ طيبة ، لقد عاب علي وصفي لكورييل انه منقطع الجذور ، فهل يخالفني القارىء في وصف كهذا اطلقته على من قال على نفسه انه من اسرة يهودية اسبانية نزحت لمصر قبل ميلاده بستين عاما ، وأمه يهودية من استانبول تنصرت وعمدت أولادها بالنصرانية من وراء ابيهم ، وزوروا لانفسهم جنسية ايطالية وهم بمصر حتى يتمتعوا بالامتيازات الاجنبية ، وهو (هذا زعيم الحركة المصرية) يصرح بانه لم يشعر بأن له وطنا الا فرنسا ، وانه تربى يهوديا وحيدا في مدرسة كلها مسيحيون في بلد جله مسلمون ... الى القارىء احتكم . ويعيب على قولي ان كورييل كان يوجه تنظيمه ضد حركات شعبية اسلامية وعربية بدعوى انها حركات فاشية ، واظن ان قارىء الاوراق لا يخطئه تبين هذا الامر ، واليه احتكم .

ثم هو يعيب على قولي ان كورييل كان يهتم بالدعوة المذهبية اكثر من البرنامج السياسي ، ولولا ضيق المساحة لنقلت نص عبارة كورييل في أوراقه ، ولقد نقلتها في مقالي ، وهي حول الدعوة لمضاعفة عدد من يعتنقون المذهب « كمذهب مجرد لاتزال تطبيقاته العملية مبهمة على اقل تقدير » . لقد كان يمكن للاستاذ طيبة ان يتحقظ على قولي بأن شيوعيين مصريين احالوا المذهب المجرد الى دعوة لاستقلال الوطن ، او ان تنظيمات شيوعية اخرى ظهرت وصدرت نشاطها ببرنامج سياسي اجتماعي ، كان يمكنه ذلك ، وكنت اوافقه ، لولا انه يصر على ان لا فرق بين اجنبي ومصري في ذلك الوقت .

● مشكلة مع اوراق كورييل

ثم هو يعيب على اشارتي الى ان

من أســـماهم كوربيل « يهـــود فلسطين » كشفت عن صلته بالفيلق اليهودى الذى انشاته الصــهيونية خلال الحرب ، والذى قام بعد الحرب بنشـــاطه التدميرى فى طرد عرب فلسطين من أراضيهم ووطنهم · وهنا ايضا للقارىء احتكم · ان مشكلة الاستاذ طيبة هى مع كوربيل وأوراقه وليست معى ، فأنا لم استخلص من الدلالات الا ما افصحت عنه الاوراق بوضوح لا يحتاج الى جهد توليد ولا الى فرط ذكاء ·

وينتهى الاستاذ مصطفى من ذلك الى القول بأنى قصدت الى اهـــدار « النضال الوطنى والاجتماعى للحركة الشيوعية المصرية فى ذلك التاريخ » ·· وأساس هذا الاستخلاص عنده ان الشيوعية تهاجم ، وان الهجوم عليها يتستر تحت قناع الهجوم على اليهود الماركسيين ، وبهذا الظن ساغ لديه الجزم بأن الهجوم على اليهـــود الماركسيين هو هجـــوم على الحركة الشيوعية وهجـــوم على الشيوعيين المصريين · ويبدو أن هذه الظنـــون ملكت عليه نفسه ، فجـــاءت أقواله أقوال معـــارك ، تستهدف التجييش واشاعة روح الحـــرب · لذلك جاءت استخلاصاته مسرفة فى المغـــالاة ومبالغة فى تضخيم المعانى والاثار · كمن يمسك ســـلاحه يتلفت ، يحسب الخطر اتيا من كل سكتة ونبرة ·

العلاقة بين الشيوعية واليهـــود (الاجانب) فى ذهن الاستاذ المعلق، ليست علاقة طبيعية فقط ، ولكنهـــا علاقة تلازم : وأظن ان رأى الكثيرين من الشيوعيين المصريين يخالف هذا النظـــر ، سواء الان أو منـــذ الاربعينيات ، عندما قامت تنظيمات تلزم نفسها باستبعاد اليهود الاجانب، أو تجعل استبعادهم شرط توحـــد التنظيمات · وأنالم اخض فى هـــذا الامر معركة ، انما اثرت واثير فقط حوارا ، وانا لا اتســـتر ولا ابهم ولا الغز ، ولا تعوزنى شـــجاعة الجهـــر ولا جراءة الافصاح ، ثم ان الامـــر اصلا لا يحتاج الى فرط شـــجاعة وجراءة ·

انني فى صدر مقالى حددت نطاقه بعبارة « أهم ما يلفت النظر هـــو دور اليهود الاجـــانب فى تأسيس الحركة الشيوعية ··· » ، وفى وسط المقال ذكرت القارىء بان « السؤال هو ماذا ترى فى هـــذه الاوراق (اوراق كوربيل) مما يمس موضوعنا هذا ، الوجود اليهودى فى الحـــركة الشيوعية فى مصر ودوافعه واثاره » ·· والمقال يتحدث فى خصوص هذا الامر ، ولم يتناول عموم الحـــركة الشيوعية ·

لقـــد فهمت من حديث الاســـتاذ مصطفى طيبة ، أن قد راقه ما قرأه لى عن الحركة الشيوعية فى كتـــاب « المسلمون والاقبـــاط » ·· كمـــا شـــعرت بمدى استفزازه من مقالى عن كوربيل · وهذا مما أدهشنى ، لان ما ورد فى « المسلمون والاقباط » هو جـــذر كل ما كتبت فى مقـــالى الاخير ، وقد أفصحت عن ذلك فى صدر المقال ، وكل ما اضافه المقال انه استخلص من أوراق كوربيـــل مـــا يؤكد نتـــائج البحث التى سبق ان وردت بكتاب صدر من سبع سنوات·

والسؤال هو كيف رضى الاستاذ المعلق بالكتاب ورفض المقال ؟ الجواب هو اننى فى الكتـــاب كنت اتكلم عن الحركة الشيوعية فى عمومها ، بينما قصرت حديثى فى المقال على خصوص دور الاجانب اليهود ، وكـــان من الطبيعى ان يختلف تقويم العموم عن تقويم الخصوص وان يختلف الحكم عـــلى المـــريض عـــن الحـــكم على المرض ، ولكن الاستاذ المعلق

لم يلحظ هذا الاختلاف لانه لا يفرق بين المريض والمرض ، بل انه ينادى قائلا بأن الهجوم على المرض هجوم على المريض . ولم يلحظ مغزى استعانتى بنصين للاستاذين محمد سيد احمد وسعد زهران ، لانهما شهادة شيوعيين مصريين كبيرين فى موضوع اليهود الاجانب مما يؤكد ان ثمة تمييزا بين هذه وتلك .

استحسن الاستاذ مصطفى ان يعقب على بنص اقوال لى سابقة ، لعله قصد ان يوقعنى فى حرج . وأن يترك لدى القارىء انطباعا باننى أتقلب بين رأى ورأى . وهذا الجانب « الشخصى » واضح فى مقال المعلق كله ، فقد توقعنا ان يتكلم عن كورييل وحركته ، فاذا به يصرف غالب حديثه عما كتب الاستاذ سيد احمد وعنى وعن أقوال لى سابقة ، ولم يتحدث عن كورييل الا نزرا .

وفى عرضه لاقوالى اقتطف فقرة لى نقدت بها الاخوان المسلمين على موقفهم من الجبهة السياسية منكتاب « الحركة السياسية .. » ، واقتطف قولا لى انصفت به الحركة الشيوعية عن كتاب « المسلمون والاقباط » .. وعارضنى بهذه الاقوال كما لو اننى متناقض معها الان .

وأنا اسلم ان لى اقوالا وتقويمات تغير رأيى بشأنها على مدى عشر سنوات أو يزيد . وقد جهرت بذلك فى حينه قبل ان يهمس غيرى به . بل كنت أنا من اعلم غيرى بذلك فى وضوح ، لم يعد لى فى هذا الامر فضل حديث . والاستاذ مصطفى يقول عن نفسه انه كان نصيرا لكورييل ، ثم صار خصما له ، ووعدنا ان يشرح ذلك فى مذكراته . فلا أظنه يجادل فى ذلك ، متى كان العدول صادقا والفؤاد مستقرا ..

وان كانت دعوى الاستاذ مصطفى عن عدوله عن موالاة كورييل قد صارت بعد مقاله الاخير تحتاج الى جهد من يثبت لنا صحته .

المهم أن المقتطفين اللذين أوردهما المعلق ، قد اخطأه التقدير فى ايرادهما ، لانهما لا يصلحان أداة لما كان انتواه ، وذلك لسببين :

أولهما : كان المقتطف الاول يتعلق بالجبهة السياسية ، وانا لم يتغير موقفى من هذا الامر . وفى مقدمة الطبعة الثانية من ذات الكتاب اثبت وجود التغيير فى موقفى الفكرى ، ولم يكن من بينها موضوع الجبهة . كما أن الوجود اليهودى الاجنبى فى الحركة الشيوعية لم يتغير فيه موقفى قط . ولا أدرى لماذا لم يقتطف المعلق نص حديثى فى ذلك (ص ١١٧) وهو تال مباشرة لما ذكر عن الجبهة (ص ١٠٧ ـ ١٠٨) ، كنت قلت « كان وجود اجانب ومتمصرين على رأس أهم هذه التنظيمات مما عاق انتشارها ، ولم يكن سهلا على شعب يكافح الاحتلال الاجنبى وتتسم مشاعره بالتقدير المتعاظم لكيانه وتاريخه وتراثه . ويستمد من ذلك بعضا من مناعته ضد الاستعمار ويتصل سعيه منذ ١٩١٩ خاصة الى تمصير مصر كلها ، دولة وسياسة ومؤسسات وفكرا وخبرة فنية ، لم يكن سهلا عليه قبول قيادة أجانب له أو النظر اليهم بغير حذر ، وكان عدم تدارك الحركة الماركسية لهذا الامر سريعا مما أضر بها ، وهو ايضا دليل على ضعف حسها السياسى بالنسبة لمشاعر الجماهير » .

فأمرى ازاء الاجانب فى التنظيمات السياسية لم يختلف ، وأمرى ازاء الجبهة لم يختلف وان كانت عناصر قيام الجبهة زادت من عنصرى الاستقلال السياسى والاقتصادى الى

اضافة عنصر الاستقلال العقيــدى والحضارى .

ثانيهما : « ان ما اقتطفــه عن انصافى للحــركة الشيوعية فى « المسلمون والاقبـاط » ورد فى ذات الفصل الذى اثرت فيه موضــوع اليهود الاجانب باسهاب واطنــاب وتفصيل لم يحدث من قبل فيمــا اظن . ولا ادرى كيف ساغ هــذا الفصل لدى المعلق مع انه الاصل ، وكيف نبا عنه مقالى مع انه مجــرد فرع . وعلى اية حال فان ما فـرح به المعلق من اقوال هذا المقتطف لم اعدل عنه وقد جاء ضمن نظرة كلية وتقويم فكرى سياسى اظنــه متكاملا . ولا ادرى كيف غاب عنه ذلك ، وكيف اجتزأ قولا جزئيا من تقويم كلى ، ثم عارض به الاجزاء الاخرى من التقويم ذاته .

انكر الاستاذ طيبة انكارا جـازما ان الخلافات والانقسامات داخــل الحركة الشيوعية ترجع الى نوع من الصراع بين المصريين والاجــانب بداخلها . ولقد ظننت وما ازال اظن ان كثيرا من هــذه الخــلافات والانقسامات كان يرجع لهذا السبب ، وان جزءا من نشاط المصريين كان موجها ضد العنصر الاجنبى فى هذه الحركة ، وبخاصة بعد ان نشــط تعاملهم السياسى ووجــدوا انفسهم يواجهون بهــذا الامر . وقــد كان حديثى هــذا حديث باحث ، ساغت لديه بعض النتائج استخلصها من روايات من اعتبرهم ، ثقــات ومن وجوه النظر فى الاحداث . ثم عزز نظرى كتابات الاســتاذ محمد سيد احمد بما عرف عنه من غيرة وعلم لا يضاهيه الا استقامته الخلقية .. وهذا النظر مع صحته البحثية يمثل انصافا لشباب وطنى مصرى اتخــذ هذه الحركة وعاء لكفاحه لاستقلال وطنه ، أيا كانت وجوه الخــلاف الفكرية بينهم وبين غيرهم .

لذلك فاجأنى هذا الحسم الجازم من الاستاذ مصطفى وهو ينكر فضيلته وفضيلة غيره . وهو هنا لم يتــكلم كباحث دارس ، انما تصدى للامــر بوصفه مشاهداومشاركا من «اصحاب الدار» ، تكلم بموجب حجيته الذاتية وباعتباره مرجعــا وشاهدا . ونحن نعلم ان الشاهد لا يبدى رأيا انمــا يقدم خبرا مما وقع تحت بصره وسمعه وتجربته المعيشية . ومن حقنــا ان نفحص اخباره فى ضوء ما نراه من واقع حاله ومن شــدة حرصه فى الوصول الى نتيجة معينة ، ومن حقنا ان نقوم شهادته بالقوة والضــعف والاستاذ الشاهد هنا شديد الحرص على اثبات ان الوجود الاجنبى وجود طبيعى . هذه واحدة .

والملاحظة الثانية على شهادته ، ان ثمة اخرين شهود عدول قالوا غير مقاله وأرجعوا الكثير من اضطرابات الحــركة الشيوعية الى الانفصام العضوى بين المصريين والاجانب .. ثم هنــاك اقوال كورييل نفسه فى أوراقه عندما ينتقد هؤلاء الصابين بالعقد ضد الاجانب ، وهناك تنظيم أو اكثر نشأ واســتمد بعضا من شرعية قيامه من انه خال من الاجانب، وهناك الخلاف حول هذه المسألة عند توحيد التنظيمات الشيوعية . وهناك التقويم العمــلى الذى استخلصه الاستاذ الدكتور رؤوف عباس ، سواء فى مقدمة اوراق كورييل او فى مقاله بعدد « الهلال » السابق .

كل ذلك اسقطه الاستاذ طيبة بقوله القــاطع « من حقى استنادا الى خبرتى الشخصية ... » ، وحاشاى ان انكر عليه حقه او خبرته ، فهمــا مصونتان عندنا نستخلص منهمــا الدلالات فى ضوء معرفتنا بنسبية كل

قول ، واذا كانت الشواهد تتكاثر على أن قول الاستاذ ليس حميمـا على اطلاقه ، فسيبقى لقوله دلالته من حيث كونه « خبرة شخصية » لصاحب القول • ومنهـا نستفيد ان « الشعور بالمصرية » ، وان « النفور من قيادة الاجنبي في العمل السياسي المصري » لم يكونا محركين له فيما نشط وما صارع وما خالف ، هذا قول على نفسه لا نملك أن نجحده ، ونحن مضطرون أن نسلم له به •• ويعزز شهادته على نفسه ، انه بعد اربعين سنة يقول ان هذا الامر كان طبيعيا •اما قوله ان كورييل كان هو من رفع شعار التمصير ، فقد سبق ان شرحت هذه النقطة في كتاب « المسلمون والاقباط » ولا اريد ان اشغل اكثر من المساحة المتاحة لي هنا •

لا أجد مساحة كبيرة متاحة لمزيد من الحديث عن النقاط الاخرى ، وأرجو الا يكون اجمالي لها اجمالا مخلا ، فقد تكلم الاستاذ مصطفى عن المظاهرات التي حدثت في مصر في ٢ نوفمبر ١٩٤٥ (في ذكرى وعد بلفور باقامة وطن قومي لليهود في فلسطين) • وكنت أشرت الى اتهام كورييل الاخوان المسلمين انهم قاموا بها بتحريض من الامبريالية ، ويعيب على مصطفى أن انتقد تهمة كورييل ، قائلا ان الاعتداءات على اليهود المصريين قد دفعتهم للمهاجرة الى فلسطين ، وطفق يشرح الفرق بين اليهودية والصهيونية • واذا كان الاستاذ مصطفى يتفق مع كوريل في اتهام الاخوان بتعزيز الصهيونية وبطرد اليهود من مصر بتحريض الامبريالية ، فهل يستصحب هذا الحكم بالنسبة لمسلك ثورة ٢٣ يوليه عندما شاهدت مصر في عهدها هزات واسعة لليهود والاجانب في عامي ١٩٥٥ و ١٩٥٦ • وهل صار من يغضب اليهود أو يتسبب بطريق غير مباشر في هجرتهم ، عميلا للامبريالية ، ومن يواليهم بريئا من التهم حكما على وطنية الوطنيين •

ثم يتجه الاستاذ مصطفى الى مناقشة الاستاذ محمد سيد احمد ، فيقول ان الوعي الكامل بالمخطر الصهيوني أتى متأخرا للشيوعيين المصريين ، وان الوعي القومي بالامة العربية والوعي العميق بمخاطر زرع كيان صهيوني جاء متأخرا • وتعليقا على ذلك القول ، ان كان يمكن ان نجد عذرا لهذا التأخر في الوعي من جانب طليعة سياسية بالنسبة لواحدة من اخطر القضايا ، فهل يسوغ لمن يلتمس العذر هنـا ان ينعى على الواعين السابقين في الوعي بالنسبة لهذه القضية بأنهم متخلفون او انهم خاضعون لتحريض الامبريالية •• افلا نترفق قليلا في أحكامنا •

انني اشكر للاستاذ مصطفى ما ذكره في اخر مقاله من اشارة الى ما امكن له الاعتراف به اخيرا من اخطاء نتجت عن « الاندفاع العنيف نحو الاممية » حسب تعبيره ، والذى رد اليه سبب الخطأ في الموقف من موضوع الصراع العربي الاسرائيلي ، ولكنني اتساءل ، اذا جاز نقد « الاممية » وفرط التأثر بالتوجيه السوفييتي ، فهل برىء العنصر اليهودى الاجنبي من تأثير على موضوع الصراع العربي الاسرائيلي • ان من يقرأ « أوراق كورييل » يجده يعتمد في تبرئة نفسه وامثاله على التركيز على هذا العامل الاممي •• هكذا كما فعل الاستاذ مصطفى طيبه، لان المنهج الواحد يفضى الى نتائج واحدة •



نحو خريطة جديدة لمصر

البيئة الطبيعية ومستقبل التنمية

بقلم: د. عصام الدين جلال

في خلال تطور طويل استغرق الاف الملايين من السنين تشكلت البيئة الطبيعية في مختلف مناطق الكورة الارضية الى وضعها المتميز في حقبتنا الحالية وفي خلال حقبات لاحقة من تسلسل تطور لاحق استغرق عشرات من ملايين السنين تشكلت الكائنات الحية لتتوافق مع ظروف البيئة الطبيعية المحيطة بها في المناطق والمستويات التي حددها هذا التوافق .

ولم يتجرد كائن حي من قدرة على مغالبة قدر من تذبذب مواءمة البيئة الطبيعية المحيطة به خارج المعايير النمطية الاكثر ملاءمة لاحتياجاته ولكن هذه القدرة على المغالبة دائما محدودة في اطار هامش محدد تكيبات الكائنات الدنيا لفترات في انتظار عودة درجة الحرارة والرطوبة الملائمة لنموها وتكاثرها ..

وتميز الانسان بقدرة منفردة من خلال تميز عقلي وتميز يدوي على اختلاق الظروف البيئية لترعرعه وانتشاره بداية من الملبس والمسكن الى الري والزراعة والتعدين والصناعة وهو في ذلك لم يبدأ في مجابهة مع الظروف البيئية مجابهة فريدة في الطبيعة من حيث فرض التغيير على الظروف البيئية بدلا من الاستسلام لضغوطها بتغيير ذاته فقط ، ولكنه

قضايا حيوية

فرض ايضا على الكائنات المعايشة له قدر استطاعته ملاءمة وتوافقا مع احتياجاته مثل ما استأنس من حيوان ونبات لسد احتياجاته .

وبقيت قدرة الانسان على فرض هذه المواءمة لاحتياجاته على ظروف البيئة الطبيعية وكائناتها المتوافقة مع مطالبه واغراضها اساس الحضارة الانسانية على مدى الازمان .

ورغم النجاحات الباهرة التي حققها الانسان فيبدو انه مازال في اول الطريق نحو تحقيق نجاحات اكثر ابهارا وروعة من كل ما خطر على باله او حتى خياله .

فحتى عصرنا الحاضر بقيت دائرة انتصار الانسان محددة بابعاد سطحية من بيئته الطبيعية فلم يخدش من القشرة الارضية الا سطحها وبقي الجزء الاكبر من سطح المعمورة المغطى بماء المحيطات والبحار لا تصل الفاعلية الانسانية الا الى سطحه عابرة او زائرة وبقيت الصحارى والقفار نائية مغلقة .

ولكن مرحلة التطور العلمي والتكنولوجي المقبلة لابد ان تقوض هذه العوائق وتزيل هذه الحدود على مجابهة ظروف البيئة الطبيعية في اعماق القشرة الارضية حتى تكر عليه من نبض طاقتها ومعادنها وكنوزها وكذلك اعماق المحيطات والقفار الصحارى .

ومن ثم فالانسان على ابواب عصر تتقلص فيه تدريجيا المساحات التي طالما انغلق بابها في وجهه من اعماق القشرة الارضية والمحيطات والصحارى مهما قست ظروفها واستعصت منافذها ومداخلها .

وتحرك الانسان نحو هذا الهدف يتطلب جبهة واسعة تحيط بافرع المعرفة والخبرة الانسانية كلها .

● ثروات مختزنة

فصحراؤنا الشرقية مثلا وقد كانت احراشا ومراتع للحيوانات تقوم على بحر من الماء العذب المخزون الذي ستتوفر التكنولوجيات المناسبة لاستخراجه وتوزيعه واستخدامه بما يحول قفرها الى خصب وازدهار وسماؤها متخمة بطاقة شمسية ورياح تحقق لها كفاية ذاتية لهما احتياجات الطاقة اللازمة لهذا التعمير والاستيطان وانجازات البحث العلمي في مجال استنباط وتوطين السلالات الجديدة الملائمة لظروف البيئة الجافة او الاعلى ملوحة او الاشد حرارة لا يبدو لها حدود .

وعمق الاستكشاف والاستغلال للموارد الطبيعية للبترول والثروة المعدنية تزداد كل عام ووسائل الاستخراج والاستخلاص تزداد كفاءة وفاعلية بما يوسع دائرة الجدوى والممكن والمتاح باستمرار ووسائل الاتصال والنقل لم يعد امامها صعب او مستحيل . ومصادر المواد البديلة والاساسية جعلت من حبات الرمل مصدرا لصناعة العقول الالكترونية وكوابل الاتصال وصناعة اجسام على وسائل النقل والانتقال .

واصبحت البحار بحركة امواجها وحرارتها مصادر للطاقة ومزارع للنباتات والكائنات البحرية ومناجم للمعادن النادرة والثمينة ومصادر للبترول والغازات ومنابع للمياه العذبة لا تنضب .

واصبحت مصادر المياه التي طالما

حددت مساحات العمران والمدنية امام ابواب تقدم فى خزنها وتوزيعهـــا واستغلالها بما يغطى لوسائل النقـل والرى الحديثة لاحتياجات مســاحات تساوى عشرات المساحة التاريخيـــة المحدودة وأصبحت احتمالات التنميـة الراسـيـة من حيث زيادة كثـــافة غلة الارض وتحسن خصائص ثمارها وزيـــادة فائدتهــــا وقدرتهـــا على مقـاومة الظـروف المتغيـــرة وقدرتها على التخزين والنقل والحفظ والتصنيع تضاعف العائد والفائدة •

وابواب التطوير والاستنباط والتخليق فى مجالات الكائنات الحيــــة من نبات وحيوان اللازمة للانســـان تكاد تتفتح امكانياتها وعائداتهــــا من النجاحات التى وضعت فعلا حــــدا لمجاعات الصين والهند وحولت جنوب شرق اسيا لمصدرى الغذاء بدل الجوع تبشر بفتوحات لاحد ولا نهاية لها •

ولم تقف قدرتنا العلميـــــة على مضاعفة عائد الارض المزروعــة بل زرعت القفار والارض الجافة والمالحة والمستنقعات بل وزرعت المياه والهواء والمرتفعات والمنخفضات •

ولم يعد هناك نهاية للمستنبط من المحاصـــيل التقليدية التى تواءم كل بيئة وحالة مناخية وتربة ولم يعــد هناك حد لمستقبل الاستحداث ولم يعد هناك حدود للاستنباط من نبـــاتات مطورة ومستحدثة وغير تقليدية مثـل الخمائر والفطريات والطحالب •

ويصاحب هذا مستقبلا تطور مواز فى وسائل التعمير ومواد البنـــاء ووسائله واشكاله ونظمه وتخطيطـــه ووسائل اتصاله ومواصلاته وطـرقه وقنواته من موارد البيئة المتاحة وبما يلائم طبيعتها •

ووسائل المسح والكشـف الجوى والفضائى ووسائل الاختيار والاستقصاء الاشعاعية والموجية يبدو انها ستكشف كل مكنونات الارض والمحيطـــات والفضاء •

ومصادر الطبقات الاعمق من بنية ارضنا الجيولوجية ستفتح باب كنوزها على امتداد الزمن امام تقدم وسائلنا العلمية وادواتنا التكنولوجية ومواردها بثروتها من الطاقة والمواد الاوليـة والاشعاعية ستجعل من قفارنا منابع للتنمية والازدهار •

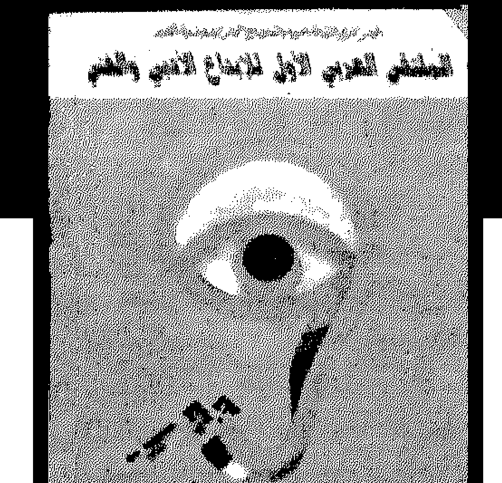
والوضع فى صحرائنا الشـــرقية لا يختلف عنه فى الغربيـــة وان بدت ثروتها المعدنية اقرب مثالا •

ان مستقبل التنمية سيغير النظرة الى مساحة سلطان الانسان على البيئـة الطبيعيةالمحيطةبه وستقلص المساحات الشاسعة الخارجة عن سلطانه اليوم من محيطات وصحارى وخيال • ولن يعود فى • يطة المستقبل ما هو مؤهل للتعمير والاستغلال وما هو متعــذر عليهما ولكن ستتدرج امكانية وتكلفة استغلال موارد كل بقعة والتفاعل مع امكانياتها وكنوزها •

واين تتحدد جدوى ومواءمة وكثافة استغلال الكنوز التى تزخر بهـــا كل بقعة على سطح ارضنا وبحـــارنا بصعوبة ظروفها البيئية واستعصاء النفاذ اليها ولكنها ســـتتحدد بتوفر المعرفة والتكنولوجيا اللازمة وتعبئـة الاستثمار والجهد والتخطيط والادارة اللائمة لها •

فخريطة التنمية المستقبل لن تتحكم فيها الحقائق الجيولوجية التقليـــدية ولكنها فى الحقيقة ستكون خريطـــة لكثافة التقدم العلمى والتكنـــولوجى والحشد الاستثمارى والتوسع العمرانى وكفاءة التنظيم والادارة ، ومن هـذه العناصر ستتشكل خريطة التنمية بما يجعل من الطبيعة البيئية والجيولوجية مجرد خلفية تسبـغ على التنميـــة خصوصية محلية بدلا من انه تكـــون كما هى اليوم موانع وعوائق •

رسالة أغادير (المغرب)



على هامش الملتقى العربي الأول للإبداع الأدبي والفني ...

المثقفون والكلام

بقلم : محمود قاسم



الفنانة منى واصف والكاتبة اعتدال عثمان ود . لطيفة الزيات وعبلة الرويني في الملتقى الاول ..

جاءت اهمية « الملتقى العربى الاول للابداع الادبى والفنى ، الذى عقد فى مدينة اغادير بالمغرب فى الفترة مابين ٢١ و ٢٥ اكتوبر ١٩٨٨ ، فى انه بالفعل « ملتقى » حقيقى للعديد من المبدعين والمفكرين العرب الذين جاءوا من مشارق الوطن ومغاربه • والذين اختاروا الحياة بعيدا عن حدوده فى اوروبا والقارة الامريكية اكثر من مائتى شخص حطت بهم الطائرات ذات صباح فوق مدينة صغيرة تعيش فى سكون وهدوء • ومصنوعة من اجل راحة السائحين القادمين من اجل نسيان ما يدور فى العالم من حولهم • فاختاروا ان يتجردوا من كل هموم الدنيا •

وسط هذه الاجواء ملأ المبدعون العرب ثلاثة فنادق كبيرة فى مدينة صغيرة • تعانقوا بحرارة فى اول اللقاء •• وتناقشوا بنفس الحرارة فى أيام الملتقى •• وعند الرحيل كانت حرارة الوداع اشد حدة وسخونة •• كل منهم يخرج بطاقته الخاصة لزميله يطلب منه ان يراسله •• وان يكتب له •• فيشعر المرء بأهمية مثل هذا الملتقى ••فالكلمات الكثيرة التى رددها المحاضرون والشهود فى قاعة الملتقى والاوراق المتكسة فى الحقائب عن الملتقى لا تساوى شيئا قياسا الى ما أحدثه الملتقى فى قلوب ابناء الوطن الواحد من حب •• وتقارب •

أهمية الملتقى اذن • انه جمع كل هذه الاسماء والاكثر أهمية انه جمع المبدعين فى مجالات العطاء المتعددة • فمن المعروف ان هناك هوات واسعة بين المبدعين العرب داخل القطر الواحد وليس داخل الوطن كله • هوة بين السينمائيين والروائيين ، واخرى بين الشعراء والمسرحيين • او بين السينما والفنون الشعبية •• او بين التشكيليين والادباء • أو نقاد الادب •• لكن فى القاعة الكبرى التى اقيمت فيها ندوات الملتقى • اجتمعت اسماء عربية تمثل كلا من الرواية والسينما والشعر والمسرح والفن التشكيلى والنقد والفن الشعبى •• مما اكد اهمية ملتقى الابداع العربى بشكل عام • وكان من الطبيعى ان يقوم فنان تشكيلى ، مثلا ليشترك فى النقاش حول هوية الرواية العربية • او ان يشترك اديب فى ادارة ندوة الفن التشكيلى • او ان يقوم السينمائيون بمناقشة مشاكل المسرح العربى والمشاركة فى الادلاء بارائهم فى الشعر او الفنون الشعبية

هذه هى أهمية الملتقى الذى نظمه المجلس القومى للثقافة العربية • ولانه من الصعب حصر كل الاسماء التى حضرت الملتقى فانه من الاهمية ان نتحدث عن هدفه •• ووقائعه •• ونتائجه •

● مصالحة •• اسرع من الخصومة

استهدف الملتقى تحقيق عدة اغراض منها : التاكيد على مكانة الابداعين الفنى والادبى فى صياغة الوجدان القومى ، وعلى الوشائج التى تربط بين مختلف مجالات الابداع الفنى والتعبير الادبى باعتبار انها تكمل بعضها البعض وتسعى لتحقيق رسالة واحدة ، كما استهدف بلورة موقف مشترك من القضايا المصيرية ، والدفاع عن حرية المبدع العربى ، والاستعانة بجهود الادباء والفنانين لوضع

استراتيجية العمل لشعبة الابداع الادبي والفني في المجلس الوطني للثقافة ، ومقره الرباط ، والمساهمة في تنفيذ برامجها مستقبلا .

وتأكيدا على مقولة أهمية الملتقى في احداث مشاعر الود الحميمة بين مبدعي الوطن . فان الجلسة الاولى التي عقدت في اليوم الاول للملتقى شهدت سجالا حادا بين الكاتب محمود أمين العالم وعمر الحامدي أمين عام المجلس . فعندما القى العالم بورقته حول جدلية الابداع والهوية اكد ان هناك اربعة اتجاهات فكرية تحكم الان العالم العربي : منها الاتجاه الديني السلفي والاتجاه القومي المثالي ، واتجاه ابداعي تجاوزي . وواقعي نقدي .

وراح العالم يؤكد على ابعاد كل اتجاه من هذه الاتجاهات . على نقائصها . وسماتها .. ثم بدأت المناقشة التي اشترك فيها كل من الدكتور محمد احمد خلف الله واخرين الا أن عمر الحامدي ، كان اخر المتحدثين ، واطلق النار على العالم بصفة شخصية . فذكر انه - أي العالم - قد اكسب القومية مرجعيته الايديولوجية ، وتكرارية ما اسماه بالخطاب السياسي الكلاسيكي الذي لم يضع في اعتباره ملامح خريطة الوطن العربي بصراعاته الفكرية والسياسية

وقد عقب كل من استمع الى رد محمود أمين العالم ان هذا الاخير لم يتكلم ابدا بهذه البلاغة والحجج القوية والاراء السديدة .. حيث اشار أن ازمة الفكر القومي ناتجة عن الطبيعة المثالية التي تحكم جانبا كبيرا منه . وأن القومية ليست حكرا على الفكر القومي . كما طالب بحركة قومية هي مشروع مفتوح لقوانين الواقع وقوانين العصر .

● المسرح .. الجمهور :

وعند مناقشة قضايا الابداع المسرحي في الوطن العربي . اكد الملتقى أن هذا الابداع لا يمكن ان يزدهر ويجد طريقه الى وجدان وعقول الناس الا اذا ارتبط بالجماهير في أوضاعها وتطلعاتها الحضارية . وأهم هذه التطلعات ان تكون هي صاحبة القرار وهي الرقيب على التنفيذ في جو من الحرية والمساواة والعدل .

وطالب الملتقى أن من حق رجال المسرح ان يأخذوا نصيبهم من الامكانات المادية والمعنوية حتى تكون الظروف مواتية لتحمل المسئولية واطلاق عنان الابداع والخيال .

وقد أدلى بشهاداته وتعليقاته في هذه المناقشة عن المسرح كل من : مصطفى كاتب (الجزائر) وأحمد الشرقي (اليمن) . وعلى سالم وسمير العصفوري ود . مراد وهبة .. أما محمد ابو العلا السلاموني فقد اكد ان النص المسرحي مكتوب أساسا ليعرض على الجمهور . مما حدا بالمسرحيين من الجيل الحالي الى خلق تيار جديد يعتمد على مفردات وأشكال فنية تراثية مثل فنون الراوي والحكواتي ، والشكل الاحتفالي وفن السامر الشعبي وحلقات الذكر والمداحين والمنشدين . كما رأى انه من خلال النص المسرحي كجنس أدبي والشكل التراثي كعرض مسرحي وفرجة شعبية ، يكتمل فرز عمر ملامح المشروع المسرحي وسمات الشخصية والهوية في المسرح العربي

● شكاوى السينمائي الفصيح

وفي ندوة السينما احتشدت مجموعة كبيرة من الاسماء لمناقشة هوية السينما قوميا . واشترك في

المناقشة كل من فردوس عبد الحميد وهاشم النحاس وهشـــام ابو النصر وعلى بدرخان • واكدت المناقشات ان هنـــاك غيابا لاى تبادل فعـلى بين السينمائيين ومختلف المثقفين العرب، الا فى بعض الحـــالات النـادرة • مما خلق هوة كبيرة بين حقول انتاج الفكر والسينما فى الثقـــافة العربية الامر الذى ادى بأحـــد المخرجين العرب الى القول بأن « المثقف العربى ليس فقط مبتعـــدا عن المساهمة فى السينما العربية ، ولكن ينظر اليها بطريقة متعالية وبكثير من الاحتقار »

وأثير ان السينما حاولت ان تتجذر فى الواقع الثقافى العـــربى ، وأن تواكب مختلف تحولاته ومشاكله •• وباستثناء النزعة الميلودرامية التى سيطرت على جل الاقلام المصرية او نماذج « الحدوتات » المقـلدة للنمـط الامريكى فان السينما المصرية عرفت خلال عمرها المديد محاولات ابداعية متقدمة سواء على مستوى الالتزام المبدئى او الصيغ الاسلوبية •

وقد تحدث العديد من السينمائيين عن مشاكلهم المتعلقة بالحرية والانتاج والرقـــابة والتوزيع • فبينما يشـــكو المخرج المغربى محمد الرحـــاب من سيطرة السينما المصرية على العقلية العربية ، وفشله فى تمويل فيلمه القادم فان على بدرخان يحكى عن تجربته مع جامعة الدول العربية حين قـــام باخراج فيلم تسجيلى لحساب جامعة الدول العـــربية عن مذبحتى صابرا وشاتيلا • وكيف واجه الصعوبات فى الحصول على المـــادة المرجعية •• فاشتراها من مصـــادر أعجمية رغم انها عن الفلسطينيين وبعد الانتهاء من الفيلم واجه مشاكل رقابية من ممولى الفيلم متمثلين فى ادارة الجامعة التى التى اختارت الاحتفاظ بهذا الفيـــلم داخـــل الادراج •• فراحت مبـــالغ طائلة ، وجهد وابداع متميز داخل اروقة البيروقراطية •

وبينما اكدت فردوس عبد الحميـد انها كلمات التصقت بالمثقفين • كلما شـــعرت اكثر بالجهـالة والاغتراب لأن لغتهم متعددة وبعيدة عن بعض الناس ، فان عزت العلايلى راح يؤكد بحماس شديد انه ابن ثورة يوليو وانه سار على ركابها منذ ان وعى بها •• فعمل من أجلها سنوات طويلة •• وانه لبى نداء السينمائيين العرب ليعمل فى كل من العـــراق والكويت والجزائر والمغرب •

● أمية العيون

وحظت مناقشـــات الرواية بنفس السخونة التى حظت بها ندوة السينما • خاصة انها اول مناقشة من نوعها عقب فوز نجيب محفوظ بجائزة نوبل فى الادب ، وبينما هنأ الحاضرون كاتبنا الكبير بجائزته • فان الملتقى اكد ان الجائزة ممنوحة لل الادب المكتـــوب باللغة العربية • ورأى الدكتور محمد برادة فى هذه المناقشات ان :

١ ــ لم يكن اهتمام الرواية العربية بالملبقى ، موجهـــا ضد القـــومى بالضرورة ، بل جسدا موصلا اليه فى اغلب الاحيان •

٢ ــ باستثناء التراثى الذى تناول القومى بطـــريقة فنية ، عبر البناء اللغوى والسردى ، فان الرواية العربية انساقت بصفة عامة ، نحو التناول الاطروحى المباشر •

٣ ــ تعتبـــر توظيفات اللهجـــات العامية ، فى النص الروائى العربى ، ضمن حـــدود معقولة ، مبررا فنيا وايديولوجيا ، غير ان تجاوز تلك الحدود يجعل ذلك التوظيف ذا طابع اشـــكالى على المســـتويين القومى والابداعى •

وقد اشترك فى النقاش حول هوية الرواية قوميا كل من الدكتـــور على

رسالة أغادير (المغرب)

شلش ود. لطيفة الزيات وكامل زهيرى والكاتبة اعتدال عثمان التى رأت فى شهادتها ان حق الكتابة هو الاثر الباقى ، هو علامة الرحلة ، والمعنى الذى يتحقق على نحو كامل . كما ان النص يصبح موضع استشهادات ومنطلق استعادات وتأويلات تتباين فى كل قراءة جديدة .

واذا كان المبدعون العرب قد ناقشوا ايضا هوية الموسيقى قوميا والفن التشكيلى وما اسماه كامل زهيرى بأمية العين العربية فى رؤية الجمال .. فاننا نؤكد معه ان هناك امية للاذن المستمعة وللعين المشاهدة فى السينما . وامية الاذن التى تسمع الشعر .

وفى رأيى ان اجمل ما فى هذا الملتقى ، بعد كونه ملتقى ... هو تلك الشهادات التى أدلى بها المبدعون العرب فى مختلف العطاءات الابداعية وكانت هذه الشهادات مليئة بالصدق والحيوية والتجربة .. ومن المعروف ان الفنان لا يجيد صياغة العبارات مثلما يفعل المثقفون .. او ما يمكن تسميتهم بمحترفى الصعود على منصات الكلام وما اكثرهم .. لذا فعندما يتكلم الفنان .. فان كلماته تجىء اقل رصانة وحرفية .. لكنه اكثر سخونة وصدقا .. فتسرى فى مسام مستمعها .. لانها مرتبطة أساسا بالوجدان. وقد بدت هذه الشهادات مليئة بكل العفوية والصدق كما اشرنا ، لدى محمد الرجب وهشام ابو النصر وعلى بدرخان ومحى الدين اللباد .. لكن اكثر هذه الشهادات حرارة هى التى جاءت من امرأتين متناقضتين فى الجذور تصبان عند منبع واحد .. هو عطاء الفن ..

● فنانة فقيرة .. فنانة ثرية

المرأة الاولى هى الفنانة السورية منى واصف التى شاهدها الجمهور المصرى فى دور زوجة المدير المستقبل فى فيلم « التقرير » ومن أبرز افلامها الاخرى « الرسالة » لمصطفى العقاد امام عبد الله غيث و « الشمس فى يوم غائم » عن رواية لحنا مينا .

لم تخف الفنانة الكبيرة كيف بدأت حياتها فى أسرة فقيرة معدمة . وكيف انها حاولت ان تكون كاتبة فى أول حياتها ففشلت .. لذا استعاضت عن هذا الفشل بأن جسدت الشخصيات المسرحية التى صنعها كل من شكسبير ، وتشيكوف ، وبيرانديللو وبرنارد شو فعوضت فشلها ككاتبة فى نجاح وصدق باديين كممثلة فى نصوص مسرحية عظيمة .. وشخصيات امتلأت بالحياة والعطاء

أما النموذج الثانى فهى الفنانة التشكيلية انجى افلاطون . التى قالت انها تربت فى اسرة ارستقراطية تتحدث اللغة الفرنسية بطلاقة .. ولكنها تمردت على كل هذا البذخ واختارت ان تعيش بين الناس وتعبر عنهم .. فاختارت ان تتعلم اللغة العربية . وناضلت من أجل حقوق الناس . فدخلت السجن ورأته اكثر رحابة وسعة من الحرية . حيث تمكنت من الرسم والابداع بشكل لم يكن يتوفر لها خارج القضبان .

مرت أيام الملتقى سريعة .. فى بدايته كنت اسمع بعض الهمسات تحسبا لتحويل هذا الملتقى الى مزايدات سياسية .. وشد البعض اعصابه .. وتحين فرص الرد .. لكن ما ان بدأ حتى ذابت كل هذه



نماذج من الحاضرين فى الندوات . كلهم عرب ومثقفون

التصورات تحت شمس اغادير الدافئة • ورغم ان برنامج الملتقى كان مشحونا بالبرامج لساعات طويلة بالنهار فان شيئا غريبا كان يعلو حوارات المبدعين العرب حين تجمعهم اية فرصة •• فراحوا ينسون الحكام والخلافات السياسية •• ويتحدثون عن عطائهم الانساني •• وايضا عن حياتهم الخاصة •• وبنفس الحرارة ايضا غنوا من اجل وحدة لبنان •• وصفقوا طويلا للدكتور سهيل ادريس وهو يتحدث عن وطنه الذبيح •• فرأيت كاتبة من المغرب تبكى مجهشة •• وبنفس الحرارة ايضا قابل ابناء اغادير المبدعين العرب •• رأيت عشرات الصبية والفتيات يأتون باوتوجرافات من اجل ان يوقع عليها روائيون وشعراء ورسامون وسينمائيون •• ومن لا يمتلك اوتوجرافا راح يحضر كراس الفصل •• وراح البعض الاخر يأتى بأوراق متناثرة حتى لا تفوته الفرصة •

وفى ليلة الرحيل ، لم يشأ احد أن ينام •• لا يمكن ان يترك لسلطان النوم سطوته عليه ولا يسامر اصدقاءه القادمين من اطراف الوطن وجنباته وتبودلت العناوين وارقام الهواتف فى المفكرات الخاصة وتتردد فى ردهات الفنادق عبارات « وحياتك خى لا تنسى أن ترسل لى خطابا » او عندما آتى بلدك سوف اتصل بك

وجاء صباح السفر •• وجاءت طائرات تقل كل عربى الى وطنه الصغير •• ويحس المرء انه نسى كل الكلام الكثير الذى تبودل فى القاعات •• وبقى فى الذاكرة شىء واحد •• هو حرارة الحب المتولدة دائما بين أبناء الشريان الواحد •



رأى فى الثقافة

اتحاد الكتاب .. الغائب الحاضر !

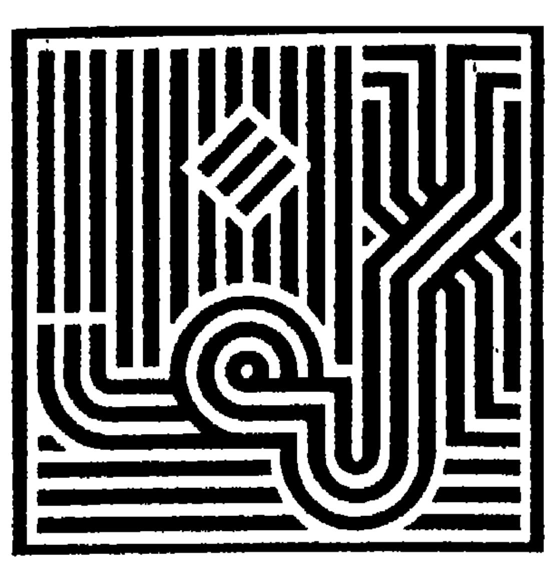
● حرام أن يكون لدينا اتحاد كتاب على هذا الشكل الذى هو عليه، فحتى حصول كاتبنا الكبير نجيب محفوظ على جائزة نوبل لم تحرك فيه طرفا .

وبدلا من أن يكون اتحاد كتاب مصر هو الداعى للاحتفاء بهذه المناسبة الكبيرة ، كان طوال الوقت مدعوا ، ثم كان غائبا طوال الوقت عن الفعل والمبادرة .. فاذا كان مثل هذا الحدث الكبير لم يحرك فيه شيئا ، فأى حدث آخر يمكن أن يحركه .

لقد بدأ اتحاد الكتاب فى آخر الصف من قائمة الهيئات المصرية والعربية والعالمية المبادرة للاحتفاء ، وحتى كتابة هذه السطور لم يقم حتى بحفل شاى من أجل المناسبة ، مع انه كان من المفروض أن يكون هو صاحب المناسبة ، وأن يكون الهيئة الأولى المتصدية لها ، بندوة جادة ، أو حلقة دراسية يدعو لها ويخطط ، أو مؤتمر عام لكتاب مصر يناقش فيه مغزى الحدث ، ولو من باب اقتناص الفرصة للتدليل على وجوده .

ان هذه الملاحظة لم تكن مجرد خاطر شخصى لكاتب هذه السطور ، وانما كانت ابنة تساؤل تكرر كثيرا طوال الأيام الماضية ، ليس فقط بين الزملاء من الكتاب المصريين ، بل من كل الضيوف الذين التقينا بهم اثر الاحتفال من كتاب العالم الذين كانوا يتساءلون ما اذا كان لدينا أصلا اتحاد للكتاب ، ثم يفاجئون بوجوده، فيعودون للتساؤل : وماذا فعل اتحاد الكتاب بالمناسبة ، سوى مشاركة الاستاذ ثروت أباظة بكلمته فى احتفال رئاسة الجمهورية ، وصدقونى لقد عجزت انا نفسى عن الاجابة .. فهل من مجيب ، والى متى يظل اتحاد كتاب مصر مجرد مقر ولائحة وبعض الخدمات الشخصية .. الى متى ؟

عبده جبير



●«« الف »» وباكورة الانتاج●

في اطار الاهتمام المتصاعد في السنوات الاخيرة بنقل الآثار العربية الى اللغات الاجنبية تاسست عام ١٩٨٦ جمعية ادبية في فرنسا قام بعبء اشهارها عدد من الكتاب والصحفيين والمهتمين بالثقافة العربية على راسهم الصحفية النشطة سلمى فاخوري والسيدة هدباء قباني بيهم ، وذلك لترجمة الآثار والاعمال الابداعية العربية من شعر وقصة ورواية وبعض الاعمال التراثية ٠

وما يشغل « الف » في الدرجة الاولى هو نقل طابع النص الاصلي وغناه ، لذا تركز خطة عملها على الترجمة المزدوجة : حرصا على حساسية اللغة العربية ، ويقوم بالترجمة المبدئية مترجم عربي اللغة ثم يعهد بهذه الترجمة الى كتاب فرنسيين يتم اختيارهم بشكل خاص بحيث يتبنى كل ترجمة كاتب فرنسي معروف بعمقه وبراعته الادبية ٠

وبعد الانتهاء من الترجمة تقوم « الف » بتقديم النصوص الى ناشرين فرنسيين لهم خبرة في مجال النشر ، بحيث توضع هذه الترجمات ضمن اعمالهم دون تفرقة ٠

ومنذ انشائها وحتى الآن ، وعلى الرغم من الصعوبات التي قابلتها فقد عملت الجمعية على ترجمة الاعمال التالية :

- مختارات من شعر نزار قباني ٠
- مواقف النفري ٠
- كتاب البخلاء للجاحظ ٠
- ملحمة الحرافيش لنجيب محفوظ
- قنديل ام هاشم والبوسطجي ليحيى حقي ٠
- مجموعة قصصية ليوسف الشاروني ٠
- اصوات لسليمان فياض ٠
- مالك الحزين لابراهيم اصلان ٠
- النزول الى البحر لجميل عطية٠

ومنذ ايام صدر بالفعل اول كتاب من هذه الترجمات المنجزة وهو مجموعة مختارات لنزار قباني تمثل مراحل مختلفة من شعره ، وهي اول مجموعة تترجم له الى الفرنسية على الرغم من شهرته في العالم العربي ٠

وقد جاء الكتاب المنشور بالنصين العربي والفرنسي متواجهين حتى تتم الفائدة لمن يريد ان يعود الى الاصل، وسوف تصدر خلال الايام القادمة ملحمة الحرافيش لنجيب محفوظ ٠

أشارات ثقافية

المطبوعات الإقليمية وتجاهل النقاد

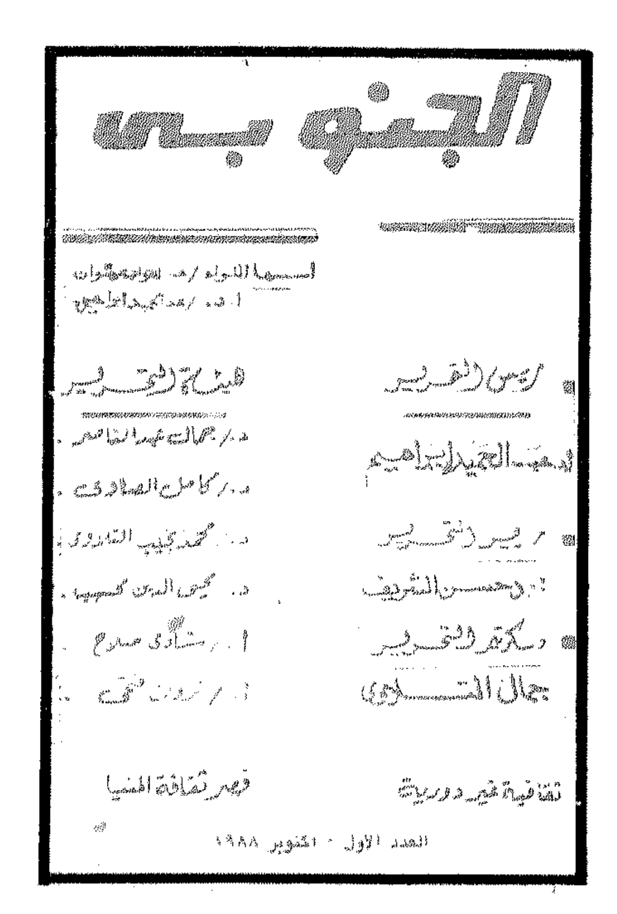
لا شك انها اضافة حقيقية لساحة الثقافة في مصر ان تعود حركة النشر في الاقاليم الى نشاطها القديم ٠ فتتعدد وتتنوع وتنتشر في كل ربوع مصر ٠٠ ولا يملك المرء الا ان يغتبط

ويشعر بالامتنان لهؤلاء الابطال المجهولين الذين يقتطعون من لقمة خبزهم لكى يصدروا هذه المجلات ومجموعات القصص والشعر فيغالب الاحيان على نفقتهم الخاصة ، وفى القليل على نفقة بعض المؤسسات ، لكن دون أن يتقاضوا مليما واحدا على انتاجهم ، منهم فى الحالتين يضحون ، وهى ظاهرة ، لو تعلمون تكاد تنفرد بها الديار المصرية ،اقصد بها ظاهرة المبدع الذى يقدم نتاجه دون مقابل ، الى أن يصل عمله للناس ، اقول هذا وفى الذهن عدد من المسائل التى لابد من الوقوف امامها ٠

الاولى هذا الاهمال الشديد من أجهزة الاعلام المقروءة والمسموعة والمرئية لمجمل هذا النتاج ، وان كانت هنا أو هناك اشارات لهذا الانتاج فهى نتيجة لسعى أهالى الاقاليم لهذه الاجهزة ، وبناء على صدف تتدخل فيها العلاقات الشخصية التى قد تتوفر لمجموعة ولا تتوفر للاخريات لا سعى الاعلام القابع فى العاصمة الى هؤلاء الابطال ، وبين المسالتين فرق هائل ٠

الثانية هو تجاهل نقاد العاصمة لمجمل هذا الانتاج الذى يعنى أن هذا النقد غير عادل ، على الاقل ، لأنه يرى الاشياء من زاوية واحدة ،ويهمل عنصر المكان فى تصديه لدوره ، وهو أمر يقع على كاهل النقاد وتتحمله ضمائرهم ٠

الثالثة هى تلك « البصمة » التى أصبحت علامة مسجلة على كل ما يصدر من الاقاليم باعتباره مواطنا من الدرجة الثانية يتعامل معه الجميع باستعلاء لا يحسدون عليه ، وهذا دليل قاطع على التخلف الذى يسود حياتنا الثقافية بشكل عام ٠



من هنا وعلى هذا الاساس فاننا ندعو جميع العاملين فيالحقل بالجدية المطلوبة ، لا الشفقة أو العطف ومعاملته بالشدة اذا جاء على غير مستوى ، ووضعه فى مكانه الذى يستحق اذا كان متميزا وله قيمة ٠

وكخطوة اولى تخطوها « شهريات » الهلال فى هذا السبيل فاننا ننوه هنا بعدة مطبوعات تقف على رأسها مطبوعة نادى القصة بالاسكندرية التى تصدر شهرية منذ ثلاث سنوات عن قصر ثقافة الحرية ، وهى مطبوعةعلى درجة كبيرة من الجدية ، وتتعامل مع ابداعات كل أدباء مصر ويرأس تحريرها عبد الله هاشم ويشاركه فى ادارتها ، سعيد بكر ، ومحمد حميدة، المطبوعة الثانية هى مجلة دشنا التى يصدرها قصر ثقافة دشنا ويشرفعلى تحريرها الاديب محمد محمود عبيد ، والثالثة مجلة الواحة ويصدرها قصر

ثقافة الخارجة ويشرف عليها قدرى عبد العزيز وقد تميز العدد الاخير بقصائد فصحى وعامية للشعراء ناصر محسب ، ايهاب علي محمد ، عمر عابدين ، أحمد مسعود ، حسين عبد المنعم ، وجدى هنادى ، اسامة حسن وقصة واحدة للاديبة عبير أحمد فوزى ، ومجمل هذا الانتاج يحتاج من النقاد الى نظر وتتبع ففيه لمحات جادة •

ثم نذهب الى جنوب الوادى حيث مجلة « اقلام اسوانية » التى تصدر بدورها عن قصر ثقافة اسوان وجاء العدد الاخير مزدوجا (السادس والسابع) خصص الاول منهما لشعر العامية وضم قصائد للشعراء حجاج الباى ، ابراهيم البان ، يسرى العزب ، يوسف فاخورى ، نجيب عطا الله ، حشمت يوسف ، فنجرى التايه، بدر عبد العظيم ، محمد مصطفى ، محمد الزمراوى ، وهو عدد متميز وجاد ويستحق من السادة النقاد النظر بعين الاعتبار •

ثم نأتي الى مجلة متميزة حقا وجادة حقا صدر عددها الاول فى الشهر الماضى ، ونقصد بها مجلة « الجنوب » التى يضطلع بمسئوليتها الدكتور عبد الحميد ابراهيم واللواء عبد التواب رشوان ، وتصدر عن قصر ثقافة المنيا ايضا ، ويشارك فيها تحريرا كل من حسن الشريف وجمال التلاوى وجمال عبد الناصر ، وكامل الصاوى ، محمد نجيب التلاوى ، ومحيي الدين محسب ، شادى صلاح، وثروت فتحى ، وهى مجلة ترى بعين الوعى دورها منذ البداية فنقرأ فى افتتاحيتها ان ٠٠ عنوان الجنوب لا يعنى التعصب بأى حال من الاحوال، فالتعصب كراهية وقبح ، والفن ضد الكراهية والجمال عكس القبح ، ولكن العنوان بالدرجة الاولى الخصوصية وهو معنى يضعنا مباشرة فى قلب الوجود والحياة ، فان تكون لك الخصوصية هو ان يكون لك وجود بالمعنى الانساني، وانعدام الخصوصية هو فقدان للهوية، وهو تحول الانسان الى شيء من الاشياء ، لا يختلف فى معناه عن بقية الكائنات •

واذا كان لنا ان نرفع هذه الدعوة باخذ هذا النتاج بالجد المطلوب فاننا لا ننكر أن هناك أشياء كثيرة مبتذلة بين ما تنشره هذه المجلات والمطبوعات، ولكن ايضا فيه جاد كثير ولنقرأ هذا العدد الاول من الجنوب لنجد نماذج ناضجة من الدراسات والنصوص الشعرية والقصصية ، وخيرا فعلت اذ أفردت مساحة لا بأس بها لشعر العامية الذى تترفع عن نشره اغلب مطبوعات العاصمة على الرغم من الجميل والجاد الذى تلقاه فى قصائد الكثيرين من شعرائه •

وعذرا لضيق المساحة عن استعراض بقية المطبوعات التى تصلنا ٠٠ والى لقاءات قادمة •

« القرد ابو برنيطة »

قرر انيس منصور (الاهرام ٢٠-١-١٠) أن ينافس داروين فى نظريته عن « أصل الانواع » بنظرية جديدة ولطيفة وبسيطة وموجزة : الانسان تطور من « القرد ابو صديرى » الى « العصر الحجرى » حتى انتهى الى « العصر السيمفونى » ، وبين « القرد ابو صديرى » و « العصر الحجرى » هناك حلقة مفقودة •

ويتميز « القرد ابو صديرى » وانسان « العصر الحجرى » ومابينهما

بأنه يجد « متعة مطلقة » فى نفخات المعلم متقال وابو دراع » و « قلتنا حنبني وادى احنا بنينا ‥ » و« لبن الجاموسة » والاخيرتان عنه الاستاذ انيس مجرد ضوضاء القاهرة ·

ولان الاستاذ انيس قد سافر « الى كل بلاد السيمفونيات شرقا وغربا ، فانه يضع نفسه فى تعداد الانسان السيمفوني ·

أما نحن جميعا ، فمكاننا الصحيح هو عصر « القرد ابو صديرى » او « العصر الحجرى» او ما بينهما والله أعلم ·

وهكذا يضعنا جميعا ، بحكم الموسيقى التى نجد فيها « متعة مطلقة» فى أدنى درجات تطور المخلوقات ،أما هو فيقف فى العلياء مع الانسان السيمفوني ، يتفرج علينا ويراقبنا ويدرسنا ، ويرى فينا اكتشافات تاريخية ·

وبالطبع لم يجد الاستاذ ان عليه ان يقنعنا لا بمكاننا فى هذا الدرك الاسفل ولا بمكانه هو فى هذه العلياء السابقة ، وقصارى علمنا ان اسلافه هم بعض اسلافنا ، وان ايا منهم لم يبدع اية سيمفونية ·

ولن نتسرع فنقول ان انيس منصور يقصد مضمون ما كتب ، فهو عادة يكتب ليتسلى ولكى يسلى ، اما مضمون ما كتب فهو ببساطة اننا ـ كشعب ابناء ثقافة منحطة ·

والذى يؤكد هذا المضمون ـ الذى لا نظنه يقصده ـ انه فى سياق مقاله القصير ، يترك لدى قارئه انطباعا بأن « الانسان السيمفوني » لا يستمع الا الى الموسيقية السيمفونية ·

وعلينا ان نصدق الاستاذ انيس ، ونعتبر من باب الوهم ما نعلمه من ان فصيلة « الانسان السيمفوني » هذه والتى ينتسب اليها الاستاذ ، عندها انواع اخرى من الموسيقى مثل البوب POP والروك ROCK والجاز JAZ والبلوز BLUES والريفية COUNTRY ، اضافة الى اللون ارقى مثل الـ الروحانيات SPIRTU ALS والانجيليات GOSPELS وفيها كلها كثير كثير مما استعاره هذا الانسان السيمفوني من موسيقى « العصر الحجرى » و « القرد ابو صديرى » وما بينهما فى افريقيا وامريكا الجنوبية قبل ان تصبح لاتينية والشرق الاقصى وشرقنا نحن ·

وعلينا ايضا ان نصدقه ونعتبر من باب الوهم ما نعلمه من ان الاغلبية العظمى من تعداد ذلك « الانسان السيمفوني » لا تستمع الا الى هذه الالوان ، وعندما يستمعون اليها يصخبون ويرقصون ويتمايلون ويتاوهون ، اكثر كثيرا مما نفعل نحن عندما نستمع الى موسيقانا التىتنتمى الى « القرد ابو صديرى » وتنسبينا اليه فى راى الاستاذ انيس ·

ومرة أخرى لن نتسرع فنقول ان الاستاذ يقصد ان يربى فينا احساسا بدونية نوعية لا فكاك منها ·

فقد كان قصده ان يسلينا · وقد تسلينا ·

فهل نتمنى عليه ان يسلينا مرة اخرى بكلمة عن « القرد ابو برنيطة »؟

فــن تشـكيـلـى

معرض خميس خلف

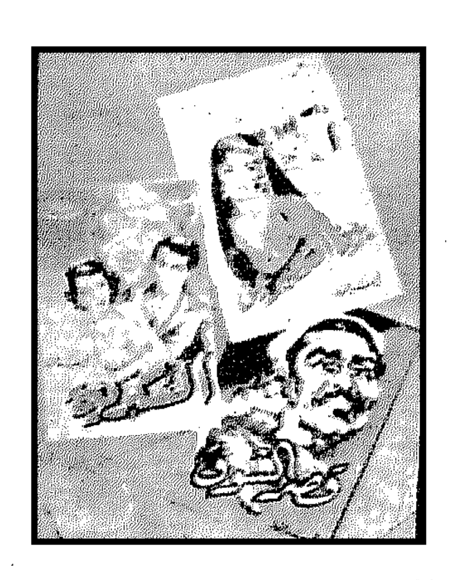
اقام الفنان « خميس خلف »سكرتير تحرير مجلة سمير معرضه الثانى فى مجال الرسم بالحبر الصيني باتيليه القاهرة للفنانين والكتاب · كان الرسم

بالحبر الصيني أو بالرصاص أو بغيرها من الخامات المتقشفة يعد فنا من الدرجة الثانية ، أو تابعا للوحة الرئيسية ، وموضعه الدائم هو التحضير والتجهيز .. غير أن هذه النظرة قد تغيرت كلية بعد جهود فنانين تتزايد أعدادهم عاما بعد عام .. للدرجة التي دفعت الى تخصيص جائزة الدولة التشجيعية لعام ١٩٨٧ لفن الرسم . ونفذ « خميس خلف » لوحاته « بالرابيدوجراف » على ورق أبيض . تكشف رسومه عن حساسية فائقة وتمكن من استخدام أدواته الفنية ، ويميل في تجسيد أشكاله الى الشكل الاسطواني ، وأشكاله مبتكرة : توحي بانتمائها الى هيئة الانسان والنبات معا ، ويعبر بها عن أشجان دفينة . مبهمة .

يقترب من السيرياليين من حيث الانشاء الآلي ، فاللوحة عنده وعندهم مجال لاستقبال التداعيات الحلمية ، وأحلامه كما أشرت حزينة .. وان كانت أقل صراخا من لوحات معرضه السابق !

« الثلاثية » بالانجليزية منذ ١٤ عاما

● من معلوماتنا المؤكدة ، وغير الشائعة في الأوساط الأدبية والثقافية في مصر والعالم أن ثلاثية نجيب محفوظ بأجزائها الثلاثة « بين القصرين ، قصر الشوق ، والسكرية » قد ترجمت بالفعل للغة الانجليزية ، وقد قامت بهذا الجهد الشاق الناقدة والمترجمة المعروفة وأستاذة الأدب الانجليزي انجيل سمعان بطرس وأنها



قضت في ترجمتها أكثر من عشر سنوات من العمل الشاق الدءوب بحيث عادت عشرات المرات لكاتبنا الكبير تستفسر منه عن بعض الكلمات والجمل وأسماء الأماكن والمصطلحات وغيرها ، بالاضافة الى بحثها الخاص في المواد المتوافرة عن الكاتب الكبير .

هذه الترجمة الكاملة للثلاثية كانت الجامعة الامريكية بالقاهرة (مركز النشر) قد اشترت حقوق طبعها من المترجمة منذ أربعة عشر عاما ولم تطبع حتى كتابة هذه السطور .

وقد علم المصدر أن المسئولين عن قسم النشر بالجامعة الآن يقومون بعدد كبير من الاتصالات مع دور النشر العالمية للاتفاق معهم على نشر الثلاثية نشرا مشتركا ، بالاضافة الى طبع أعماله الأخرى المترجمة ، وتنفيذ مشاريع ترجمة أعمال أخرى كان قد جرت مناقشتها من قبل .

جدير بالذكر أن الجامعة الامريكية كانت قد اشترت حقوق ترجمات أعمال نجيب محفوظ من دار « هاينمان » الانجليزية التي كانت قد قررت منذ يناير الماضي التخلي عن اصدار سلسلة « مؤلفون عرب » التي كانت تصدرها منذ عام ١٩٧١ .

الكتاب : حرب اكتوبر عام ١٩٧٣ دراسة ودروس
تأليف : فريق اول محمد فوزى
الناشر : دارالمستقبل العربى ، القاهرة
٢٧٠ ص ، ٠جم٠

بخبرته كوزير سابق للحربية وبوعيه الفياض كرجل استراتيجى من الطراز الرفيع يقدم لنا الفريق محمد فوزى هذا العمل الذى يوضح فيه بدراسة متأنية جميع المعارك التى وقعت خلال المدة من ٦ اكتوبر ١٩٧٣ الى ٢٨ من نفس الشهر حيث توقف القتال نهائيا عقب وصول قوات هيئة الامم المتحدة الى قطاع السويس ، وكانت القوات الاسرائيلية قد احتلت من اراضينا ١٢٠٠ كم من النطاق الخلفى لمواقع الجيش الثالث، والمعارك والعمليات التى قامت بها تشكيلات الجيشين الثانى والثالث واحتياطى القيادة العامة والوحدات الخاصة ، وكل هذه ثلاث عشرة معركة هجومية بالاضافة الى معركة العبور الشهيرة شرق القناة ، وعشر معارك دفاعية غرب القناة ٠

ويوضح بالشرح والتحليل عبر فصول مستفيضة من الكتاب معركة الشرق والغرب على جبهة قناة السويس وكيف تداخلت السياسة فى العمليات الحربية مقدرا موقف تشكيلات القوات المسلحة المقيدة بدرجة اثرت على نتيجة المعركة التى ضحى من اجلها شهداء ابرار ٠

الكتاب : أمريكا ((سرى جدا))
تأليف: احمدهريدى
الناشر: مكتبةمدبولي



مؤلف هذا الكتاب هو الاستاذ احمد هريدى ٠٠ الكاتب الصحفى الشاب الموهوب الذى حصل اخيرا على جائزة نقابة الصحفيين المصرية ٠٠٠ وهو صاحب قلم شاعرى الاسلوب ، دقيق التعبير،

ذكي الملاحظة ، واسع الثقافة .. وقد صدر له ديوان شعر جيد اسمه « الحب يسالكم المغفرة » .. والحقيقة ان احمد هريدى مجموعة مواهب وكفاءات ؟ فهو مهندس، حصل على بكالوريوس فى الهندسة الكهربائية وعمل فترة فى هذا المجال ثم حصل على دبلوم فى الترجمة من انجلترا ، وعلى دبلوم دراسات عليا فى النقد الفنى ، ودبلوم دراسات عليا فى الصحافة ،وهو يعد الآن رسالة ماجستير فى المسرح العربى ، ويعمل ناقدا فنيا بمجلة الاذاعة والتليفزيون ويواصل فيها نشر فصول نقدية ممتعة غزيرة المادة ..

ومنذ سنوات قلائل سافر احمد هريدى الى الولايات المتحدة الامريكية فى عمل يتصل بتخصصه الهندسى ، وعاش اربعة اشهر فى مدينة نيويورك ذات الشهرة العالمية ، ورأى فى هذه المدينة الهائلة وجه امريكا على حقيقته ، لبلاد يجتمع فيها الثراء والفقر ، والعلم والجهل، والابيض والاسود ، والعنف والدعوة الى محاربة الارهاب ، والطب والمخدرات ، وصناعة الاسلحة الجهنمية وصناعة ادوات الرفاهية .. وقد بلغ احمد هريدى فى كتابه هذا مستوى رفيعا فى رسم صورة شاملة، وان كانت سريعة ، للولايات المتحدة الامريكية التى يتوقف الكثير مما يجرى فى العالم على مايجرى وراء كواليس حكامها وجنرالاتها ورجال المال والصناعة فيها ، وجاء الكتاب بكل هذه الحقائق فى تعبير ادبى صحفى ممتع ، وتحليل سياسى واجتماعى وتاريخى شامل رائع ..

الكتاب : مقاطع من اغنية قديمة
تأليف : اسامة انور عكاشة
الناشر : دار الغد ، القاهرة ١٢٢ ، ٢جم



هذه هي المجموعة القصصية الثانية للكاتب المعروف اسامة انور عكاشة ، وكانت الاولى قد صدرت عام ١٩٦٧ بعنوان « خارج الدنيا » ، وعلاوة على هاتين المجموعتين فان السيناريست الشهير له ايضا رواية صدر الجزء الاول منها عام ١٩٨٤ بعنوان « أحلام فى برج بابل » وهو الجزء الاول من رباعية طويلة تحمل عنوان « الخطوط والدوائر » .

كتب اسامة انور عكاشة القصة القصيرة منذ بداية الستينيات وفاز بخمس جوائز من نادى القصة ، ومع ذلك فان نقاد الادب قد شغلتهم اعماله الدرامية عن اعماله القصصية ، والمعروف انه قد قدم خلال السنوات العشر الاخيرة للدراما التليفزيونية ما يزيد عن عشرين مسلسلا كان اشهرها الشهد والدموع ورحلة السيد البشرى - وقال البحر ، وعابر سبيل ، وعصفور النار، وليالى الحلمية .وتضم مجموعته الجديدة عشر قصص جديدة .



محمد صبري والمفاجأة السارة!

بقلم : محمود بقشيش

وقعت لي خلال الشهر الماضي مفاجأة .. ادهشتني ، واسعدتني كشفت ـ اولا ـ عن جهلي بمجال ابداعي لفنان ، كنت اظنه مكتفيا بابداعه في مجال اخر !!.. فلم اعرف من قبل ان الفنان الكبير ((محمد صبري)) يمارس الرسم الى جانب ابداعه في مجال التصوير الضوئي ، واذا بي اكتشف رساما بارعا ، يبز الكثيرين من المرموقين في هذا المجال !!.. واكتشف ايضا انه لم يتوقف ابدا عن ممارسة الرسم .. بل ان الفن الذي اشتهر بالبراعة فيه وهو فن ((التصوير الضوئي)) لم يكن هدفه الاول .. بل جاء عن طريق المصادفة .. ثم تعلق به بعد حصوله على العديد من الجوائز المحلية والدولية ..

وجه . وزهور حمراء

وصور تحت سطح الحاجز الزجاجي . للفنان محمد صبري



محمد صبري
والمفاجأة السّارة!

أنه لم يدرس الفن دراسة معهدية ، بل علم نفسه بنفسه · ويأتي - أخيرا - معرضه الشامل الأول بعد أن ترك عالم الصحافة ، وربما لو لم يورطه بعض اصدقائه فهو عزوف عن المشاركة في المعارض العامة · وعلى الرغم من أنه كان أحد صناع الأضواء فهو يلوذ - غالبا - بالظل ! لكن ها هو ذا قد وقع في المحظور ·· فأقام معرضا ·· ! ولا مفر من مناقشة أعماله ، والقاء المتاح من الضوء عليها !

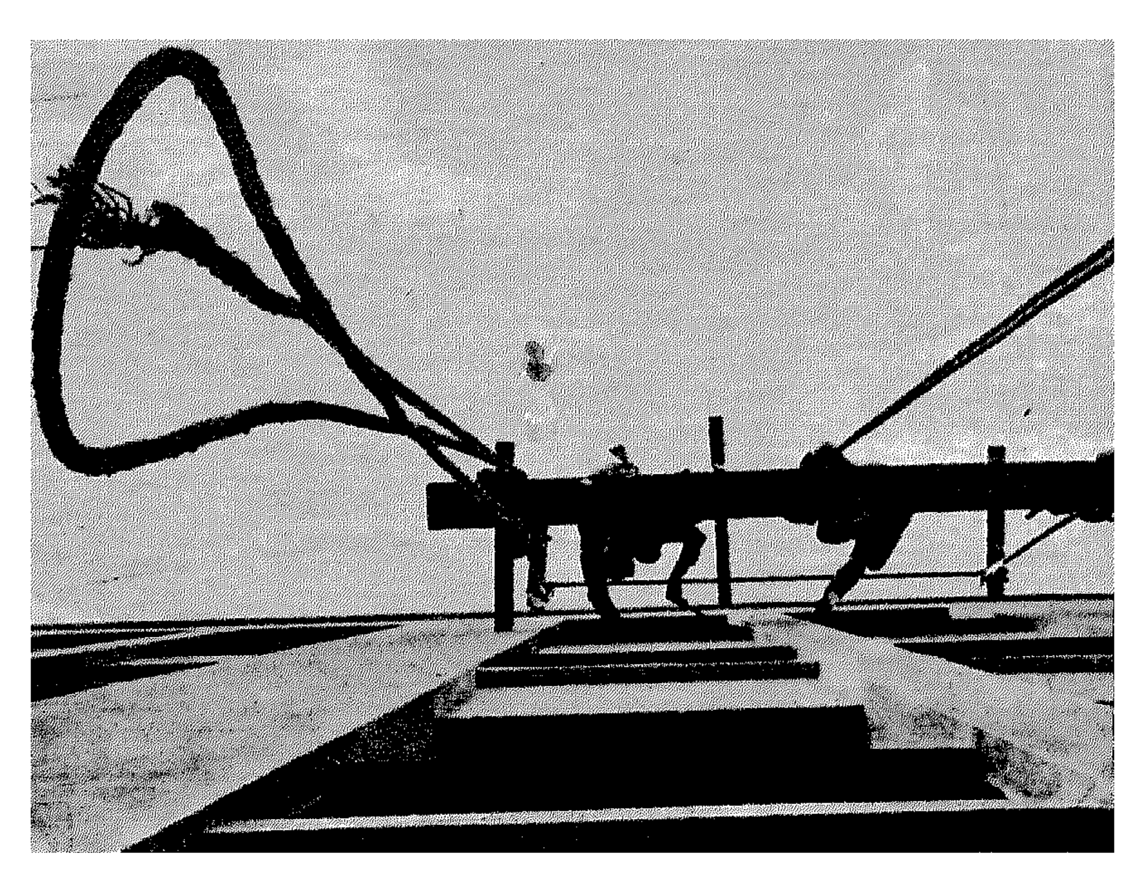
● الرسام والمصور : مقارنة

هناك نقاط التقاء ونقاط افتراق ، بين رسومه ولوحاته الفوتوغرافية · ان لوحاته جميعا ، تكشف عن روح دارسه دءوب بارعة · لا يمل صاحبها من اعادة العمل الفني مرات ومرات حتى يبلغ الدرجة التي أرادها لعمله · حدث أثناء تجوالنا معا بين لوحاته أن لفت نظرى مجموعة من العناصر المشتقة من دوائر الثمار - أو دوائر عدسات الكاميرا ؟ - تتحرك على أرضية من خطوط زرقاء أفقية ·· ظننتها للوهلة الاولى لون ورق اللوحة ، فنبهني الى أنه هو الذي قام برسم تلك الخطوط الدقيقة خمس مرات متتالية ، وان ما أراه هو النسخة التي رضى عن شكلها النهائي ! ·· واذا تخطينا تلك النقطة التي تدخل في نطاق الاستعداد الشخصي ودرجة الامانة الفنية الى نطاق فني بحت مثل « الملامح التصميمية » للوحات ·· فاننا نجد - في معظم لوحات الجانبين - حرص الفنان على وضع محاور العمل الفني الرئيسية في وسط اللوحة تماما ·· بحيث تبدو معلقة في الفراغ ، مقاومة لجاذبية الارض · واذا اضفنا حرص الفنان على ربط رؤيته بالنموذج الاوربي في الفن ·· فاننا لانجد بين رسومه وصوره الا الافتراق الطبي بينهما !

·· مع اللوحات المرسومة استخدم ادوات الهندسة : البرجل والمسطرة وقلم الجدول ، وانشأ بها لوحات تحفل باستعراض المهارة ، وتستهدف الاثارة البصرية الحادة ، ومع الكاميرا كان شاعرا للضوء ·· يسحبنا برفق الى عالم البهجة المبهمة والفرح بالاكتشاف · نبرته في الرسم عالية ومتحسبية ، ومع « الكاميرا ناعمة وعميقة !

● نظرة الى الرسم

تنتمى رسوم « محمد صبرى » الى الاسلوب الفني المعروف بال « أوب آرت » أو الفن البصرى ، أو ما اشيع عند النقاد المصريين بفن الزغللة البصرية · ولقد حدد مبدعو هذا الاسلوب وعلى رأسهم « فازاريللى » مجال « الابصار » اطارا للتراسل بين المبدع والمتلقي ، وهو تراسل يستهدف اثارة العين وابلاغها بكل شيء دفعة واحدة ! ·· ونرى تطبيقا لهذا في مجال الاعلان · ان تلك



عمال البناء .. للفنان محمد صبرى

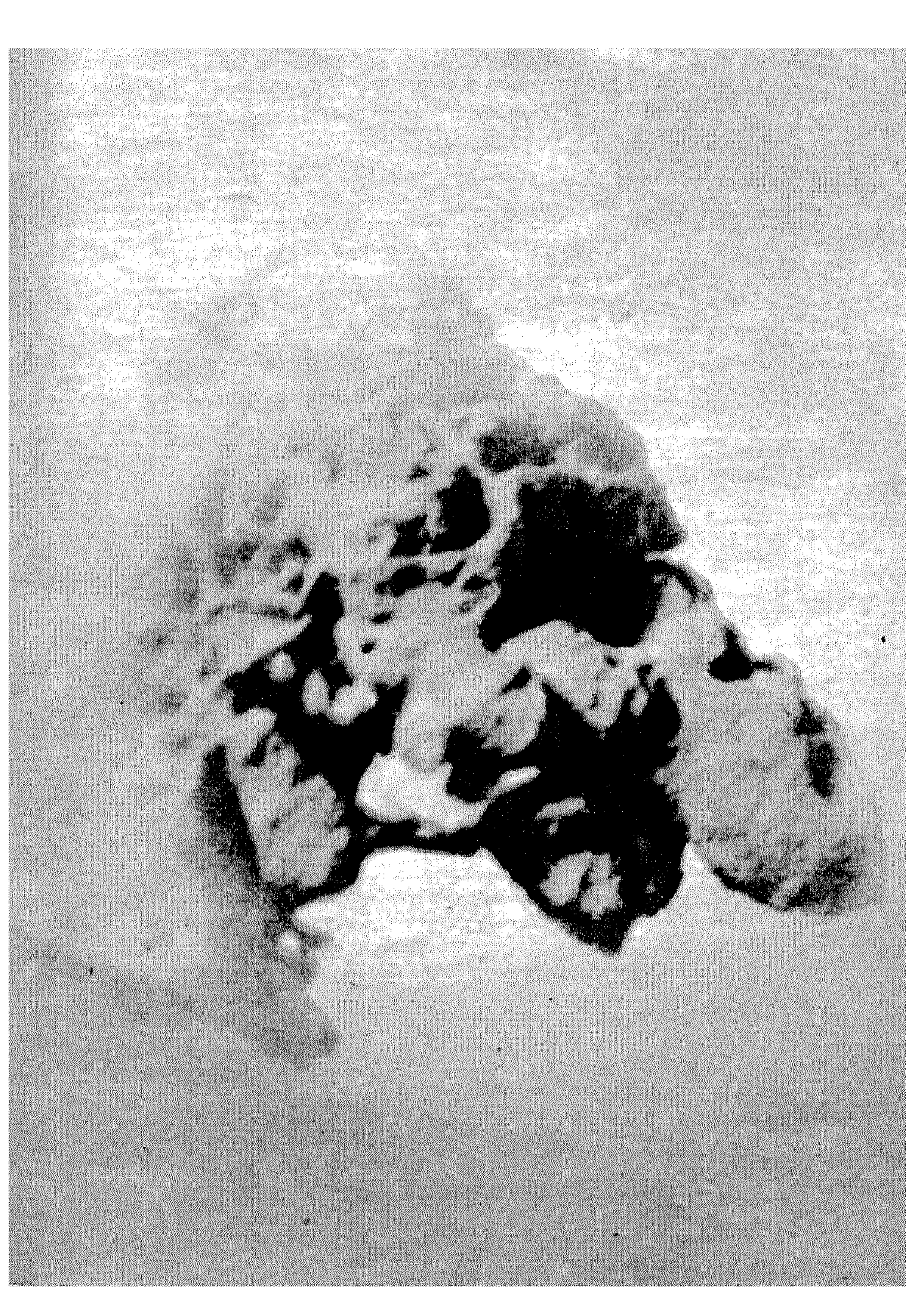
اللحظة « التليغرافية » هي ما تشغل فنان « الاوب » لهذا يتخلص هـــذا الاسلوب من كل الارتباطات السابقة لفن التصوير : الادب والرمز • وهو اسلوب لا يرى في « الانسان » صانعا لتاريخ ، بل يراه « فرداً » أو بمعنى ادق « شبكية » تستقبل ذبذبات ضوئية يشـــاغلها الفنان •• فيختفي بكل ما يجعل من مسطح اللوحة حـــالة « دينامية » للدرجه التى تثير «الدوار» •• وهو ما حدث لى على الاقل ! لقد ادركت على الفور براعة الفنان وصبره ، غير انني لم استطع النظر طويلا الى اللوحات حتى لا اسقط فى الدوار !

لقد التزم الفنان « محمد صبرى » التزاما واضحا بأصول هذا الاسلوب، وان حاول ـ على حد تعبيره ـ أن يرتاح من الادوات الهندسية ويأخذ اجازة من الزغللة والدوار ، ويرسم بخطوط حرة بالالوان المائية ، ويترك لفرشاته أن تسقط نقاطا هنا وهنـــاك ويتـــرك لبعض البقع اللونية فرصة الانتشار •• دون أن يترك الفنـــان للعشوائية بل يراقبهـــا ويضـــبط تحركاتها !•• فجاءت لوحاته الثلاث الفريدة واحة مريحة للعين والحواس وتغرى بالتأمل •

● التصوير الضوئى

•• مع الكاميرا تالق ، وابـدع ، وامتع مشـاهدة !

ونبهتا بقوة الى ان « الجمـــال » كـــامن فى أتفه الاشياء • المهم هو الطريقة التى نستطيع بهـا استنطاق هذا الكامن الجميل • المعبـــر : ان



▶ تشكيلات بالكاميرا لمحمد صبرى

موضوع التأمل · المحسورى · فى المعرض ·· قطعة صخرية صغيرة · نرى منها بالعشرات دون أن تحرك انتباهنا · وجدها عند زميلته الصحفية « بثينة البيلى » فقرر أن تكون موضوع معرضه !·· وبعد أن استخلص منها عشرات اللوحات عرضها هى ذاتها ·· حتى يقارن المشاهد بين الاصل والصور ، والفارق الهائل بين « المثير الجمالى » و « المنتج الفنى » المستخلص عبر أدوات التصوير : الضوء والمؤثرات الشكلية الاضافية كالفلتر ، والملامس المختلفة كقطرات الماء على الزجاج ، وتضبيب ملامح كتلة الصخرة بتحريف نقطة التركيز فى العدسة ، وغير ذلك من الطرائق التى يسيطر عليها الفنان · قد تظهر بعض المصادفات ·· كأن تمنح صور الصخرة ايحاءات انسانية مبهمة ـ أظن ـ لا أهمية لها عند الفنان الا من حيث كونها تشارك



محمد صبرى
والمفاجأة السّارة!

مع مجمل العناصر الفنية السابقة فى محــو كل مشابهة مع الاصل !.. بالاضافة الى المجموعة فائقة الجمال « مجموعة الصخرة » قدم لنا بعض تجاربه العملية فى لوحات جــاءت أشبه بالرسوم المرسومة بالحبــر الصينى مع لون مساعد .. بعد أن تخلص فى المعمــل من بقية الالوان الطبيعية .. كما احتفظ للانســان أو بمعنى ادق لجسد المرأة العــارى بركن مستور فى القاعة ، ظهر فيه مضببا ومخططــا .. عبر حواجــز الزجاج المبلل وانعكاسات الفانوس السحرى !

كان المعرض ـ بالفعــل ـ مفاجأة سارة !

● بطاقة تعريف ●

١٩٢٥ ـ ولد الفنان محمد صبرى بالقاهرة .

١٩٤٣ ـ مارس الرسم والتلوين بدون انقطاع حتى الان .

١٩٤٨ ـ انهى التعليم العام وبدأ دراسة التصوير الضوئى .
ـ جائزة اولى ـ مسابقة التصوير الضوئى ـ وزارة المعــارف العمومية ـ أنشأ قسم التصوير الضوئى بدار الهلال بتكليف من المرحوم « اميل زيدان » ـ رأس القسم واسس معامله وادارة حتى تقــاعد ١٩٨٥ .

١٩٥٤ ـ ميدالية فضية ـ مسابقة التصوير الضوئى الدولية التى نظمتها مؤسسة « انتر ـ بريس » ـ الاتحــاد السوفييتى .

١٩٦٤ ـ ميدالية ذهبية ـ المسابقة الدولية للتصوير الضوئى ـ فرنسا .

١٩٦٦ ـ ميدالية فضية ـ مسابقة التصوير الضوئى العالمية ـ المانيا .
ميدالية ذهبية من جمعيــة التصوير الضوئى ـ مصر .

١٩٦٩ ـ بدأ ابحاث وتجارب التصوير الضوئى عن طــريق المعمل .

الثمانينيات : اقام عدة معارض لقسم التصــوير بمؤسسة دار الهلال ، وفاز مرتين بالجائزة على المؤسسات الصحفية . الزيارات الفنية ـ اسبانيا ـ المانيــا (شرقية وغربيــة) يوغسلافيا ـ بلغاريا ـ هولندا ـ لمشاهدة المتاحف ايطاليا ـ النمسا ـ سويسرا ـ تشيكوسلوفاكيا ـ الاتحاد السوفييتى .



سنان باشا

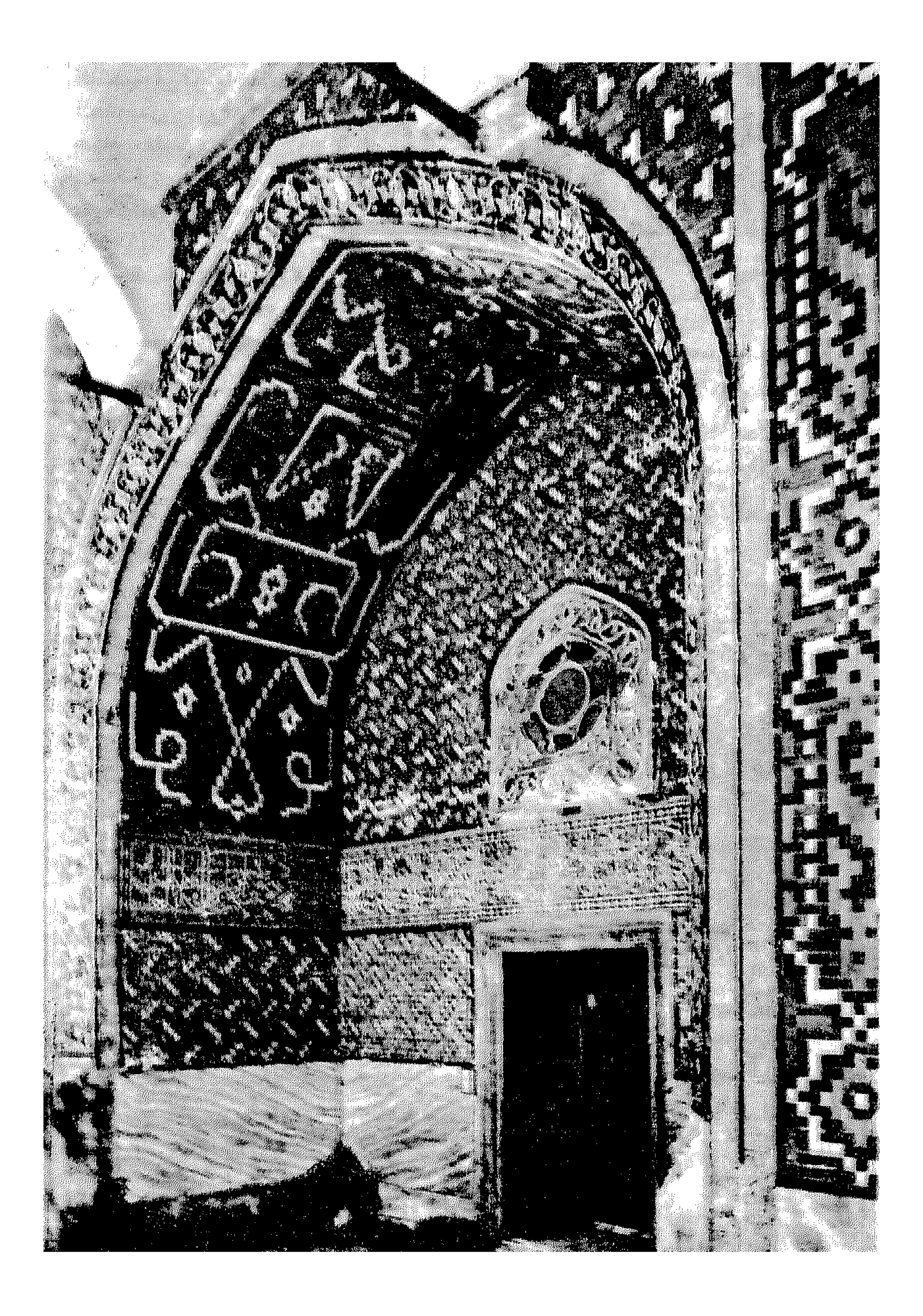
« .. تحتفل الأوساط الثقافية فى تركيا هذا العام بمرور اربعمائة عام على وفاة المعمارى الشهير سنان باشا عام (١٥٨٨) .. »

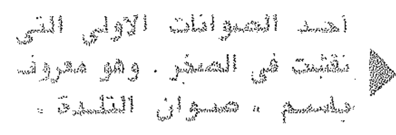
● ● ●

أعظم المعماريين الإسلاميين

بقلم : أسماء البكرى

... لقد كان فتح القسطنطينية عام ١٤٥٣ على يد العثمانيين نقطة تحول حاسمة فى تاريخ الانسانية ، فكما كان إيذانا بنهاية العصور الوسطى ، نجده قد فتح آفاقا جديدة للفن والفكر مهدت لبزوغ فجر عصر النهضة الأوروبية ، وظهرت أسماء كبيرة فى ذلك العصر تركت آثارا لاتمحى فى مختلف المجالات ، فكان « آل بورجيا » ، و« آل سفورزيا » ، و« آل الميديتيش » حماة للفنون ، وقاد « كولومبوس » ، و« ماجيلان » ، و« فاسكو داجاما » ، بكشوفهم الجغرافية الجديدة ، العالم نحو حياة اقتصادية منتعشة وآمال عريضة . كما كان اختراع الطباعة على يد « يوحنا جوتنبرج » دافعا قويا لنشر المعرفة فى انحاء المعمورة ، وبفضل « جاليليو » ، و« كوبرنيكس » أعاد الناس اكتشاف قوانين الطبيعة .... وأمام ضربات فرشاة « رافايل » . وأزميل مايكل انجلو تفتحت الأعين للجمال ، وبينما ارتفع صوت « سافانارول » ينادى بالايمان ، كان صوت « ميكيافيللى » ينادى هو الآخر بالرجوع الى العقل ... عصر اختلط فيه الجنون مع الحكمة وكانت الانسانية فيه متعطشة للخروج من ظلمات العصور الوسطى ففجرت ينابيعا فى كل ربوع الأرض ... وكان عصرا للنهضة بحق .




أحد الصوانات الاولى التي
نقشت في الصخر . وهو معروف
باسم « صوان التلدق »

جامع السلطانية ذو
المآذن الاربع صممة
سنان وبناء عام ١٥٥٧

سنان باشا

تميز القرن السادس عشر بظهور القادة العظام ... ففى إنجلترا يصل هنرى الثامن الى السلطة (١٥٠٩) ـ ملك واسع الثقافة من اتباع « إيرازموس » له طموح بلا حدود ، جسور الى حد الخروج عن كنيسة روما وانشاء كنيسة خاصة به فى انجلترا . وفى فرنسا يتولى العرش « فرانسوا الأول » (١٥١٥) الملك الفارس المتفتح للجديد ، يحيطه ثلة من الفنانين والمفكرين ويؤسس « الكوليج دى فرانس » ، كما كان من رجال السياسة الأفذاذ والأهداف الجسورة . وفى أسبانيا كان « شارل الخامس » ملك أسبانيا وامبراطور المانيا ، تضيق به أوربا ، ويمتد حلمه خلف المحيطات فيجهز الأساطيل البحرية بملايين الفرنكات الذهبية لتبحر باسمه عبر المحيط الهادى والأطلنطى ، وفى القرن السادس عشر توحدت دويلات شرق أوروبا وظهرت روسيا العظمى التى كونها « إيفان الرهيب » بالحديد والنار . وفى عام ١٥٢٠ تمتطق « سليمان الأكبر » بسيف عثمان .

تميز هذا العصر بظهور جيل من المحاربين العظام امتلكوا مهارات دبلوماسية فائقة الى جانب ولع ونهم بالفنون وكانوا هم انفسهم أحيانا من الفنانين ، كما كانت تدفعهم طموحاتهم الشخصية ونادرا ماتؤرق الأحداث ضمائرهم .. !! ، والملاحظ انهم لم يخلطوا بين العقيدة الدينية والتى دافعوا عنها بكل حماس وبين القوانين الأخلاقية ، حدث هذا فى الغرب والشرق معا .

★ ★ ★

من حسن الطالع ان يكون المرء موهوبا ، الا انه يكون أسعد حظا إذا ما عاصر أحد هؤلاء القادة العظام ... وكان « سليمان الأكبر » رجل دولة عظيما .... و« سنان » عبقريا .

أطلق على « سنان » اسم « كوشاسنان » بمعنى سنان الأكبر أما اسمه بالكامل وأين ولد وماهو أصله فلا أحد يعرف ، ويمكن القول انه ولد فيما بين عامى ١٤٩٠ ، ١٤٩١ ربما فى البانيا أو مقاطعة « كابادوتشيا » (آسيا الصغرى) ، ومن المؤكد انه اخذ كغيره من الغلمان حسبما كان معمولا به فى الدولة العثمانية (كانت قوانين الدولة تنص على جلب آلاف الصبية من المستعمرات ـ اليونان ، مقدونيا ، أرمينيا ، الصرب ، بلغاريا ، بوسفيك ، هرسيك (يوجوسلافيا) ، تشيكوسلوفاكيا مرة كل سبع سنوات أو خمس ثم أصبح ذلك سنويا) حيث يتم فرزهم وتصنيفهم ثم تدريبهم تدريبا حربيا ، عاليا القتال ليشكلوا ماعرف بوحدات الانكشارية التى كانت صفوة مقاتلى الجيش العثمانى . ولما انتهى الشاب « سنان » من فترة تدريبه الحق بكتيبة صيانة حدائق السلطان ومكنه ذلك من زيارة القسطنطينية وعمره ١٦ عاما حيث وقعت عيناه للمرة الأولى على مسجد « ايا صوفيا » الذى شيده البيزنطى ANThEMiUS « انطوميوس دى ترال » واخذ الفن المعمارى بلبه وهو

يسائل نفسه كيف يبنى الانسان الفانى قبة بهذه الروعة تبدو طائرة فى الهواء لتطاول الزمن ... ؟؟

اشترك « سنان » وعمره ١٨ عاما (١٥١٢) فى الحملات العثمانية فى اوروبا وآسيا وفى عام ١٥٢٢ كان فى رودس ، وفى بلجراد (١٥٢٦) وفى عام ١٥٢٩ كان امام فينا وصاحب سليمان فى حملته الحربية فى كورفو ، وبلاد المجر وهناك سنحت له فرصة اظهار مواهبه عندما اضطر الجيش لعبور مستنقع فقام بتصميم وإنشاء كوبرى عبر عليه الجيش فى وقت قياسى مما لفت اليه أنظار العاهل الكبير ، وكانت لحظة نادرة من تلك اللحظات التاريخية التى يتفاهم فيها رجلان عظيمان ، ويبدو ان القدر قد رتب هذه اللحظة رجلان من رجال الحرب والفن وكأنهما قد خلقا لبعضهما ... نتاجا حقيقيا لعصر النهضة . وفى غمار الحروب سنحت الفرصة لسنان كى يطلع على آيات الفن المعمارى فى جنوب شرق اوروبا وآسيا الصغرى ، والشرق الأوسط حيث زار بغداد واثينا وبلجراد وستيزيفون (إيران) فكون لديه تصورا معماريا ومعرفة وثيقة بهذا الفن .

● عشــق واحــــد

ولدى عودته للقسطنطينية عينه سليمان مهندسا للبلاط وكبيرا لمهندسى الامبراطورية العثمانية ... وتبلور عشقه لهذا الفن فلم يكن له سوى عشق واحد وطموح واحد ان يكون معماريا كبيرا .. أما الحلم الذى ظل يؤرقه فهو كيف يتفوق على « انطونيوس دى ترال » وكان لابد له من تحقيق هذا الحلم وأن يشيد قبة أكبر وأجمل من « أيا صوفيا » وفى هذا قال قولته المشهورة « ... مالفائدة أن نستولى على بيزنطة اذا كان المنتصر لايستطيع ان يشيد ما انشاه المهزوم منذ ١٠٠٠ عام ... » إن بناء قبة يمكنها منافسة قبة أيا صوفيا ليس بالأمر الهين ولن يكفيه التأمل والانبهار ، وكان على سنان أن يتعمق فى البحث والدراسة لكى يستوعب تماما الطريقة التى استطاع بها « انطونيوس » أن يبقى قبته معلقة فى الهواء تتحدى قانون الجاذبية لابد أن هناك سرا استغلق عليه فهمه ، وجاءته لحظة التنوير بعد شهور من التأمل والتفكير والدراسة ... كان يفكر فى الطريقة التى تهجم بها فرق الانكشارية ملتحمة معا فى وحدة واحدة فكانت تنتصر انتصارا ساحقا ... لو استطاع العدو اختراق تلك الكتلة البشرية لانهار الهجوم من فوره .. إذن فقد شيدت الاحجار بطريقة متداخلة متلاحمة تماما بحيث تنهار القبة اذا انهار حجر واحد منها .

وبدأ سنان عمله المجيد من فوره ... كان أول إنجازاته مسجد الأميرة « محرمة » ابنة السلطان المدللة ، وثناه بمسجد شهرزادة الذى بدأ العمل فيه عام ١٥٤٣ وانتهى منه بعد خمس سنوات ١٥٤٨ (وفى نفس الوقت (١٥٤٦) كان مايكل انجلو فى روما منكبا على قبة القديس بطرس) ، كما قام ببناء مسجد شكله بناء على رغبة الأميرة محرمة . وفى عام ١٥٤٨ كان سنان فى قمة نضوجه وأدرك أنه أصبح الآن قادرا على تحقيق حلم حياته : التفوق على البيزنطى « أنطونيوس » . وكان جامع



الوجهة الامامية لمسجد السلمانية
احد ابرز واهم الابنية المعمارية
التي بناها سنان وانتهى من بنائها
عام ١٥٥٧ م

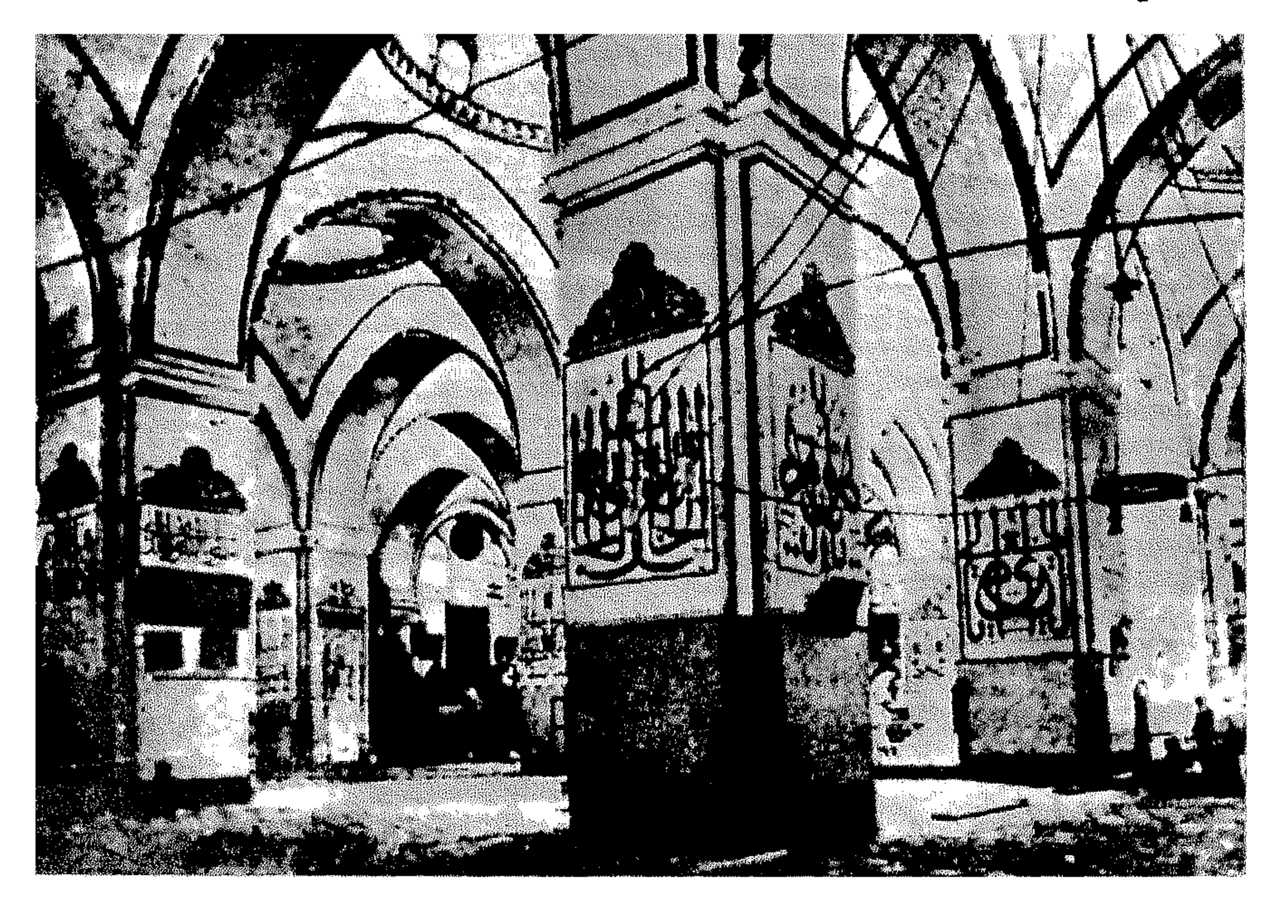
صحن جامع السلطان احمد المعروف باسم الجامع الازرق



سنان باشا

« السليمانية » الذى وضع حجر أساسه عام ١٥٥٠ وانتهى منه بعد ست سنوات ، عاونه فيه ٣٠٠٠ فنى ومهندس من الانكشارية ، وجاءت النتائج عملاقة فكان الجامع صرحا دينيا يسع ٢٧٠٠٠ شخص وبلغ ارتفاع القبة ٥٣ مترا وقطرها ٢٥,٥ مترا وضم الجامع حديقة تبلغ مساحتها ١٢٧٥٠ مترا (٢٢٥ طول × ١٥٠ عرض) وأضاف اليه عدة أبنية كمدارس ابتدائية ، ٤ أكاديميات ، وقاعة لقراءة القرآن ومدرسة للطب ومستشفى ودار ايواء للفقراء الى جانب مكتبة ونافورات . وحمامات . وافتتح مسجد السليمانية عام ١٥٥٦ يوم جمعة . وأملم الجامع الكبير كان سنان منحنيا أمام السلطان ليقدم له مفتاح المسجد الذهبى وكرمه السلطان التكريم اللائق به عندما أمره بالوقوف وناوله المفتاح قائلا : إنه صاحب الفضل الأول فى إنشاء ذلك الصرح وليكن له شرف الدخول أولا ورغم كل هذا التكريم إلا ان سنان كان حزينا ومحبطا فى أعماقه حيث لم يستطع ان يحقق حلمه كاملا ويتفوق على غريمه البيزنطى إذ كانت مقاسات القبة أقل من نظيرتها فى أيا

الجامع الكبير من الداخل

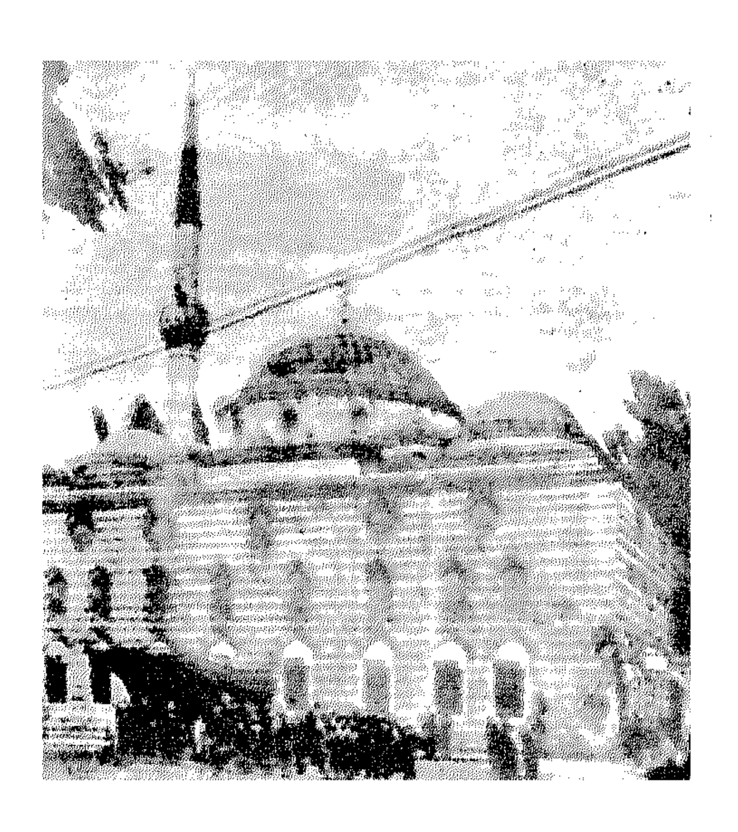


صوفيا ، رغم أن ذلك لايبدو للعين المجردة (وكانت تربيته الانكشارية لاتسمح له بالغش) الى جانب ان القبة التى أنشأها كانت محمولة على عقدين مع وجود كتيفة أمامية على شكل نصف دائرة وهو مالم يكن موجودا فى أيا صوفيا ، ولذا ظل سنان لايشعر بطعم نجاحه ويحس بمرارة طوال سنوات اختفى فيها واحتجب عن الظهور فى المحافل العامة .

ولما مات السلطان سليمان دفن فى الحديقة الملحقة بالجامع الى جانب زوجته ، وظل سنان هائما لسنوات تؤرقه فكرة تعديل الانشاء وسافر الى تراس (شمال اليونان) وآسيا الصغرى وهناك اكتشف نوعا من الأحجار المسامية انسب لتشييد القباب فقد كانت أقل وزنا ، وابتسم الحظ له مرة ثانية لدى عودته للقسطنطينية فطلب منه السلطان « سليم » الثانى ان يبنى له مسجدا فى أندر نيوبل (شمال تركيا) وهنا عاوده الأمل القديم فى تحقيق حلمه الأكبر : ان يتفوق على انطونيوس ويتفوق على نفسه أيضا !! وكان « السليمية » مسجدا أكبر من السليمانية توجته قبة رائعة اكبر من ايا صوفيا ... لقد هُزم البيزنطى أخيرا وانتهت المعركة الشرسة بانتصار العثمانيين ...

أن « لسنان » أن يستريح بعد ان حقق حلمه الكبير ، ومات عن عمر يناهز المائة عام محاطا بالتبجيل والاكبار من مريديه واصدقائه (منهم محمد اغا الذى شيد الجامع الشهير المسمى بالجامع الأزرق عام ١٦٠٩) .

ودفن الانكشارى العجوز بجوار راعيه السلطان فى ظل حديقة السليمانية .



مسجد سنان باشا فى استانبول

ترك لنا « مصطفى ساعى » وهو شاعر من أصدقاء المعمارى العظيم كتالوجا كاملا لأعماله وهى :

٨١ « جامع » (مجمع دينى)
٥٠ « مسجد »
٦٢ « مدرسة »
٣ « مستشفيات » .
٧ « مجارى لتوصيل المياه » .
٨ « كبارى » .
١٧ « خان » .
١٢ « قصر » .
٥ « مخازن » .
٣٣ « حمام » .

وقد قال سنان : ان من اعظم الانتصارات التى يقوم بها الانسان هو الانتصار على النفس .

المائة الأعظم



في التاريخ الإسلامي

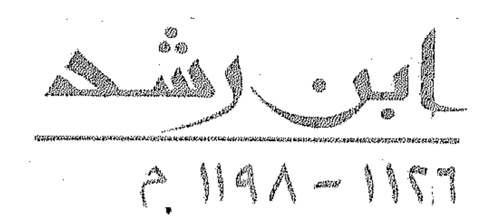
بقلم : حسين أحمد أمين

على مدى خمسة وعشرين عددا من أعداد مجلة الهلال ، وابتداء من هذا العدد ، يقدم لنا الكاتب حسين احمد امين عرضا لأهم الإسهامات التى اسهم بها فى الحضارة الإنسانية من يعتبرهم المائة الأعظم فى التاريخ الإسلامى ، من خلفاء وملوك ، وسلاطين وأمراء ، وولاة ووزراء وقواد ، ومؤرخين وفقهاء ، ونحاة وشعراء وادباء ، وعلماء وأطباء ، وجغرافيين ورحالة ، وفلاسفة ومتصوفين وموسقيين ومغنين .

وقد شاء المؤلف الا يلتزم فى المرحلة الراهنة بهذه التقسيمات أو بالترتيب الزمنى لهذه المائة . وسيعاد الترتيب عند نشر المادة كلها فى « كتاب الهلال » عقب انهاء السلسلة .

كما سيقتصر الكاتب فى عرضه على الانجازات الحضارية الخالدة لكل من الشخصيات المائة ، دون سرد ترجمتها إلا فى حدود الضرورة .

الهلال



●● فيلسوف وطبيب وفقيه اندلسى . اهم كتبه فى الطب كتاب « الكليات » الذى حوى أول وصف علمى لوظيفة شبكية العين ، وكان فيه أول من لاحظ أن من يصاب بالجدرى لايصاب به مرة ثانية . وبالكتاب عرض واف لعلمى التشريح ووظائف الأعضاء . وقد ترجم إلى اللاتينية . غير أن شهرته فى أوروبا لم تثبت طويلا أمام منافسة كتاب ابن سينا « القانون فى الطب » ●●



وأهم كتبه فى الفقة « بداية المجتهد » . وبالرغم من انه حرص فى كتبه الفقهية والفلسفية على الا يجابه الناس بكل ما يعرف ، وعلى أن يعرض آراءه بصورة غير مباشرة ، حتى لا يصدم مشاعر قومه ، فقد هوجم بما لم يهاجم به مفكر قبله ، والصقت به تهمة الالحاد ، واحرقت كتبه ، واستنكر الناس منه قوله بقدم العالم ، وإنكار حشر الأجساد ، وما ذهب إليه من أن الله لايعلم عن الجزئيات أكثر مما يعلمه الحاكم عن جزئيات تنفيذ مرءوسيه لسياسته العليا .

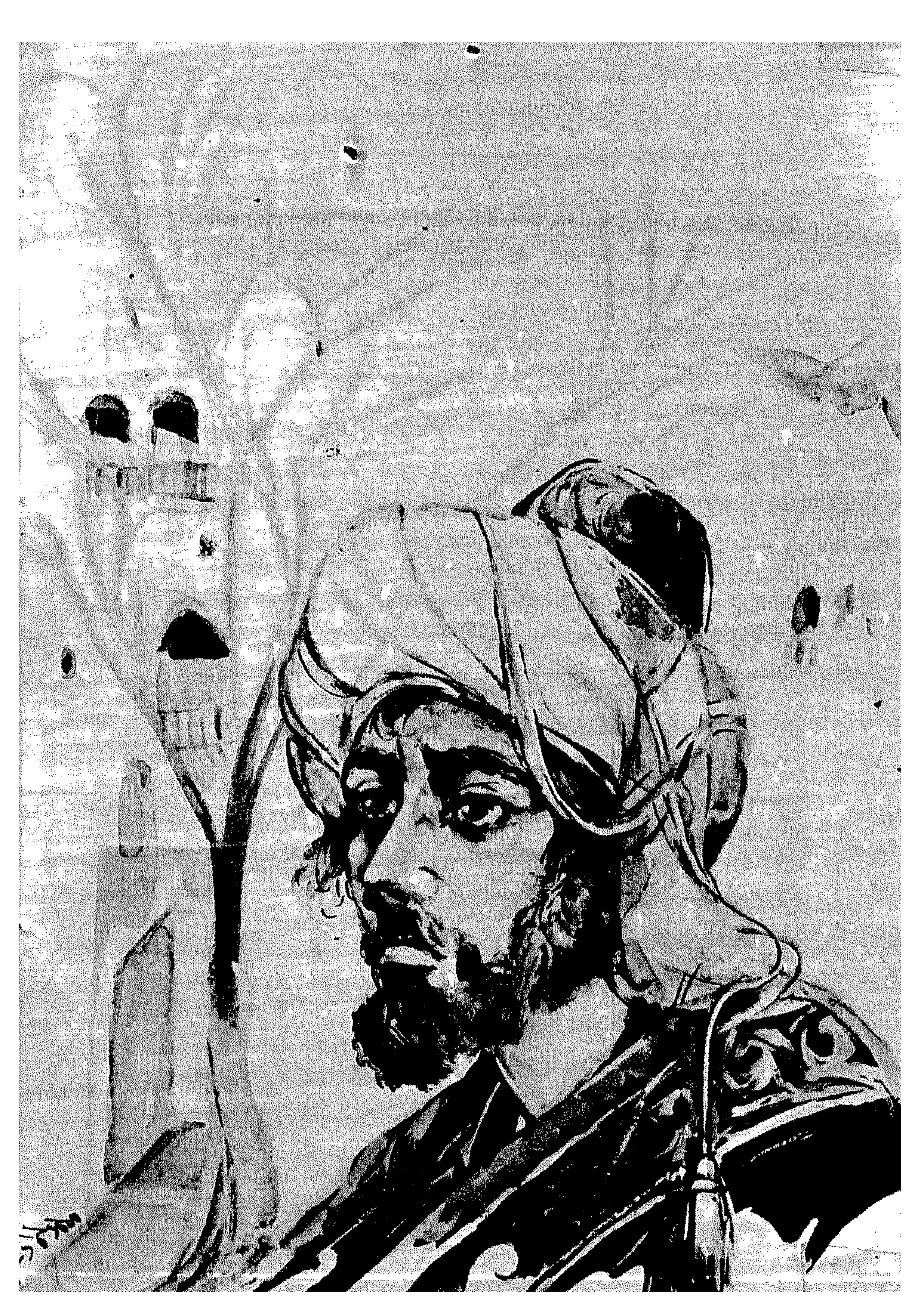
غير أن أهم إنجازاته هو فى ميدان الفلسفة . وهى قسمان : شروح لأرسطو ، وعطاء أصيل .

فهو الشارح الأكبر لفلسفة أرسطو . وكان له الفضل فى أن فرق بين هذه الفلسفة وافكار مدرسة الأفلاطونية الحديثة ، فى حين كان الفلاسفة العرب قبله يخلطون بين هذه وتلك ، وينسبون إلى ارسطو آراء غيره . وكانت شروح ابن رشد على ثلاثة مستويات ، قصد بها ثلاث فئات من القراء : المبتدئين والمتوسطين والمتقدمين من دارسى الفلسفة وكان فى شرحه الكبير للمتقدمين يورد فقرة تلو فقرة من كتب ارسطو ، ثم يتناولها بالشرح ، وذلك على غرار ما يفعله مفسرو القرآن مع الآيات . غير انه لم يقتصر على الشرح ، وإنما كان يدرج من آرائه هو ما جعل كتبه تبدو اقرب إلى أن تكون من تاليفه من أن تكون مجرد شروح . وأهم شروحه على الإطلاق هو شرحه لكتاب ارسطو فى الميتافيزيقا .

وهو وإن لم يكن أول شارح مسلم لارسطو ، فهو اعظم هؤلاء الشارحين واعمقهم تاثيرا فى الحضارة الأوروبية التى سرعان ما اغفل ابناؤها سائر الشروح السابقة عليه ، واقبلوا على دراسة ترجمات كتب ابن رشد إلى العبرية واللاتينية ، قبل أن يتجهوا إلى دراستها فى أصلها اليونانى . بل إن ثمة من بين كتب أرسطو ما فقد أصله ولم يصل إلى الأوروبيين إلا عن طريق شروح ابن رشد وغيره من المترجمين والفلاسفة العرب . وكان أن عمت « الرشدية » (أى دراسة فلسفة أرسطو كما شرحها ابن رشد) أقطار أوروبا ، وأضحت من الدراسات الرئيسية فى جامعاتها ، واهم المؤثرات فى الفكر الأوروبى على مدى ثلاثة قرون ، ومن ابرز دعامات عصر النهضة ، رغم اتهام توما الأكوينى له بالمبالغة فى الركون إلى العقل ، ومحاربة جامعة باريس لأفكاره ، وتحريم البابا عام ١٢٣١ دراسة كتبه إلا بعد أن يحذف منها مايخالف تعاليم الكنيسة . غير أن النصر فى النهاية كان لعقلانية ابن رشد ، بحيث يمكن القول بأن الفضل الأكبر لعصر التنوير الأوروبى فى القرن الثامن عشر كان لأساتذة الفلسفة الذين أخذوا على عاتقهم تعليم فلسفة ابن

رشد ونشرها أما في العالم الإسلامي فكان النصر حليف السلفية .
فشروح ابن رشد إذن لأرسطو كانت شروحا غنية بعطائه الفكرى الخاص غير أن له أيضا إلى جانبها مساهمة أصيلة في ميدان الفلسفة ، خاصة فيما يتصل بمشكلة العلاقة بين الدين والفلسفة ؛ وذلك في كتابيه الشهيرين : « تهافت التهافت » الذى رد فيه على كتاب الغزالي « تهافت الفلاسفة » ، و « فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال » ، وهما أهم كتبه على الإطلاق ، وقد ترجما أيضا إلى العبرية واللاتينية . وفي الكتابين دافع ابن رشد دفاعا مجيدا عن الفلسفة ضد تهمة الإلحاد . فهو لايرى الفلسفة مختلفة في جوهرها عن الحقيقة كما بينها الأنبياء ، وإن كان من الصعب أحيانا إيراد براهين فلسفية على بعض ما تذكره الديانات ، كالقول بخلود الروح أو فكرة المعاد . كما أكد أن التراث الفكرى الإغريقي لايتعارض مع الإسلام ، وأنه من الممكن التوفيق بينهما ، قائلا إن الحقيقة الواحدة يمكن أن يتصورها الإنسان بصور مختلفة .
وقد حاول « فصل المقال » أن يثبت وجود الله عن طريق السببية ، إذ لا شيء يمكن أن يحدث دون مسبب ، والأسباب جميعها تنتظم فتقضي إلى العلة الأولى ، وهي منشيء الكون ، أو العلة الخلاقة المتحركة التي تتجدد تلقائيا نتيجة للتغيرات التي تطرأ لحظة بعد لحظة . وهي فكرة مهدت السبيل أمام نظرية النشؤ والتطور وإن كان فقهاء المسلمين قد رأوها تتعارض مع آية « كن فيكون » .
على أى حال ، فقد أمر الخليفة الأندلسى المنصور بن أبي يعقوب بمحاكمة ابن رشد ، بنفيه وإحراق كتبه في كل من الأندلس ومراكش ، نزولا على إرادة علماء الدين ، واستجابة لنقمة عامة الشعب على الفلاسفة والفلسفة . ولهذا لم ينج من هذه الكتب التى قيل إنها لا تقل عن خمسين غير عدد جد قليل . وأهمل الشرق حتى هذا العدد القليل الباقي حتى بداية القرن العشرين ، حين نبه فرح أنطون (الصحافي المسيحى) أبناء الأمة إلى أهميته ، مما أثار جدلا عنيفا بينه وبين الشيخ محمد عبده ، بالرغم من أن محمد عبده نفسه أخذ كثيرا عن ابن رشد وفلسفته في مبدأ السببية ..
وقد كان هذا الإغفال طويل الأمد لابن رشد أصدق دليل على الانحطاط الفكرى الذى تردت فيه لثمانية قرون أمة المسلمين ، التي أهدت -دون قصد منها - إلى الحضارة الأوروبية مفكرا أسهم إسهاما جليلا في ازدهارها .

■■■■



ياقوت الحموى

١١٧٩ - ١٢٢٩ م

●● صاحب أهم موسوعة جغرافية في الأدب العربي . وهو من اب رومى ، اشتراه تاجر من حماة وهو غلام ، وسماه ياقوت بن عبدالله ، كما جرت العادة مع من كان ابوه غير معروف . ورغم أن سيده أتاح له تعليما إسلاميا جيدا ، وأصبحت العربية لغته ، فإن نثره الفنى لم يبلغ درجة عالية من البلاغة بسبب أصله الأجنبى ●●

الف معجمين لاغنى عنهما فى اية مكتبة عربية : « معجم الأدباء » الذى لا يقل حجما أو أهمية عن معجمه الجغرافى ، بل وربما يفوقه فيما يتعلق بالمادة التاريخية والحضارية عن العالم الإسلامى ، وفيه يترجم لغالبية المؤلفين العرب حتى عصره . و « معجم البلدان » الذى أصبح يعتبر بفضله واحدا من أبرز الجغرافيين فى تاريخ البشرية .

احس ياقوت بالحاجة إلى مرجع علم يجمع فيه شتات المادة الجغرافية المعروفة لعصره ، خاصة بعد اجتياح المغول لشطر عظيم من العالم الإسلامى ، واحترقت أو اندثرت كتب جمة من بينها مؤلفات جغرافية هامة . فكان أن اقبل فى همة على تاليف « معجم البلدان » ، وهو أفضل مصنف عربى من نوعه فى العصور الوسطى ، إذ تتجاوز أهميته بكثير حدود الأهداف الجغرافية الضيقة ، فهنا جماع للجغرافيا فى صورها الفلكية والوصفية واللغوية والرحلات ايضا ، كما تنعكس فيه الجغرافيا التاريخية ، إلى جانب الدين والحضارة وعلم الأجناس والفضائل البشرية والأدب الشعبى والأدب الفنى .

ومع هذه القيمة الكبرى للكاتب ، فإن أوروبا ظلت جاهلة به ومعتمدة اعتمادا اسياسيا على كتابى الإدريسى وأبى الفدا ، حتى تسربت مخطوطات « معجم البلدان » إلى اوروبا بالتدريج خلال القرن التاسع عشر ، ثم طبع المتن الكامل فيما بين عامى ١٨٦٦ و ١٩٧٣ . ومن وقتها أصبح لياقوت المكانة الأولى بين كافة الجغرافيين العرب ، لما لمس فى معجمه من دقة وأمانة بالغتين ، خاصة أنه فى تجواله باقطار العالم الإسلامى وغيره على مدى ستة عشر عاما ، زار معظم البقاع التى يتحدث عنها فى معجمه ، وبحث طويلا فى مكتباتها .

وهو فى حديثه عن الأقطار أو المدن أو القرى التى يتناولها ، يذكر ما قد يكون قد ورد بشأنها من قرآن أو حديث ، ويفسر الاسم وأصله ، ويبين النطق الصحيح له ، ثم يتعرض لتاريخ نشأة الموضع الجغرافى والظروف التى أحاطت بها ، والدور التاريخى الذى لعبه ، والأخبار والأساطير المتعلقة به . ثم يذكر تاريخ فتح المسلمين له وكيفية فتحه ، وأسماء كبار العلماء الذين نشأوا فيه أو زاروه ، خاصة الفقهاء وأهل الحديث ، وأسماء أساتذتهم وتلامذتهم ثم يورد تفاصيل دقيقة عما زاره من ابنية ومرافىء وقلاع ، ويقف طويلا ليصف عادات السكان وأخلاق القبائل . ويتخلل عرض كل هذا حكايات ونكات عن البلد الذى يتحدث عنه ، مع مختارات واسعة من الشعر الذى قيل فيه ، بحيث قد يمتد الحديث عن البلدة أو القرية الواحدة الى عشر أو خمس عشرة صفحة .

فهى إذن مادة متنوعة للغاية . وهو لم يقتصر على الحديث عن العالم الإسلامى كما اقتصر معظم من سبقوه من الجغرافيين العرب ، وإنما تطرق أيضا إلى الحديث عن الشرق الأقصى وأوروبا الشرقية والشمالية وبعض اقطار أوروبا الغربية . غير أنه كان فى إلمامه بأحوال المشرق أكثر دقة وتفصيلا من المامه بغيره ، وكان فى حديثه عن إيطاليا وكورسيكا ومالطة وكالابريا عدة أخطاء .

وقد وضع ياقوت لمعجمه هذا مقدمة طويلة فى خمسة ابواب هى بمثابة مدخل له ، يعرض أولها للنظريات المختلفة فى صورة الأرض ، معتمدا فى ذلك على معطيات الجغرافيا الرياضية ، ويذكر فيه ميله إلى اعتبار الأرض كروية لامسطحة ، تتجاذبها أطراف الفلك من جميع النواحى كالمغناطيس ، ويبحث الباب الثانى فى نظام تقسيم الأقاليم ، والطرق العملية المتبعة فى تحديد موقعه . أما الباب الثالث ففى تفسير المصطلحات التى يرد ذكرها فى المصنفات الجغرافية ، كالبريد والفرسخ والميل ، ومصطلحات الجغرافيا الفلكية ، كالطول والعرض والدرجة ، والمصطلحات الخاصة بالخراج وغلة الأرض والفىء والغنيمة . ويعطى الباب الرابع تصنيفا قصيرا للبلاد المختلفة التى فتحها المسلمون ، والخراج الذى يجبى من كل منها . أما الباب الخامس فاشبه بمقدمة فى أخبار البلاد ، وسكان النواحى المختلفة ، وتوزيع الممالك بحسب مكانتها وعراقتها .

وبعد هذه المقدمة التى تشغل نحو خمسين صفحة من الكتاب ، يبدأ المعجم بمعناه الدقيق ، موردا أسماء المواضع بحسب الترتيب الأبجدى .

وبالرغم مما طرأ على المعارف الجغرافية من اتساع عظيم منذ زمن ياقوت ، فإنه لأكبر شاهد على الأهمية التى لا تضارع لمعجمه ، أنه لايزال إلى اليوم فى أيدينا يخدم غرضه ، ويلعب دوره كمرجع موثوق به ، لاغنى عنه لكل من يكتب فى تاريخ الإسلام ، أو يدرس الحضارة الإسلامية .

صلاح الدين الأيوبي

١١٣٨ - ١١٩٣ م

●● سلطان وقائد حربى من أصل كردى . لم يكن ـ بالرغم من انتصار جيشه الساحق على الصليبيين في موقعة حطين ـ من المبرزين كقائد عسكرى ، أو كمخطط استراتيجى . وإنما كان تكتيكيا جيدا . ولا كان إداريا بارعا ؛ فالظاهر أنه لم يول اهتمامه الشخصى للتفاصيل الادارية إلا قليلا ، ودون أن يتعدى ذلك محاولة القضاء على المفاسد والفصل فى المظالم . وإنما كان إنجازه الأكبر أنه استطاع ان ينتشل الإسلام طلية فترة حاسمة (وإن كانت وجيزة) من وهدة الانحطاط الأخلاقى السياسى ، وذلك بفضل ما أوتى من صلاح وطيبة وثبات فى الخلق ، ودفاعه العنيد عن مثل أخلاقى اعلى ، وتجسيده هذا المثل فى حياته الخاصة وأعماله ، موجدا بذلك حوله حافزا للاتحاد كان كافيا لمجابهة التحدى الذى القته الأقدار فى طريق الأمة ●●

إنه من الطبيعى ، حين يقوم امرؤ بإنجاز عمل عظيم (كطرد صلاح الدين الفرنجة من فلسطين وبلاد الشام) ، ان نحسب ذلك بمثابة الهدف الذى وضعه دائما نصب عينيه . غير أن الواقع ان ما ينجزه الإنسان من أعمال ليس فى غالب الأحيان سوى جزء مما عقد العزم على إنجازه فى البداية . ولعله لم ينجح فى تحقق ما انجزه إلا لأنه وضع نصب عينيه هدفا أبعد منا لا مما أنجزه بكثير .

ولم يكن المخطط الأوسع لصلاح الدين إلا مخطط رجل يتصف بطموح لايعرف حدا ، أو ببساطة لاحد لها . وقد اتصف صلاح الدين بالأمرين معا . لكن طموحه نشا عن بساطة خلقه وسداد نظره . فقد رأى بوضوح أن ضعف الجسم السياسى الإسلامى ، (وهو الضعف الذى افسح المجال لقيام الدويلات الصليبية واستمر فى إفساحه امام بقائها) ، كان نتيجة للانحطاط فى الخلق السياسى . وعلى هذا الانحطاط ثار صلاح الدين . فلم يكن هناك



فى رأيه سوى طريق واحد لوضع حد له : وهو إحياء الكيان السياسى الاسلامى فى ظل دولة واحدة موحدة ، ليست تحت حكمه هو ، وإنما تحت إشراف الخلافة العباسية .

كان يدرك أن مشكلة العالم الإسلامى ليست سياسية فحسب ، بل هى أيضا ، وإلى حد كبير ، مشكلة أخلاقية ونفسية ، وأن التصدى لها على مجرد الصعيدين السياسى والعسكرى من شأنه أن يؤدى إلى الإخفاق فى حلها . فقد رأى أنه إن شاء الحصول على نتائج فعالة ، فمن اللازم أن يعزز الولاء السياسى بحوافز وروادع أخلاقية ونفسية . وكان إصراره على هذا الرأى مثيرا للحيرة والدهشة فى نفوس أصدقائه ومعاونيه .

كان ديدنه فى التعامل مع الأمراء والقواد ، سواء كانوا من الأصدقاء أم الأعداء ، هو الصدق فى قوله والوفاء المطلق به . حتى مع الصليبيين أنفسهم كانت الهدنة تعني له هدنة ولايحوى سجله حالة واحدة نقض فيها العهد معهم . غير أنه كان عليه من أجل تحقيق هدفه ، أن يعزز إنجازاته وانتصاراته بخلق تيار خلقى ونفسى يعمل فى صالح الأمة جمعاء ، ويكون من القوة بحيث تتعذر معه مقاومته . وقد نجح فى هذا بفضل إلزام نفسه بمبادىء العدل والاخلاص والصدق وإنكار الذات . فهو وإن لم يكن حاكما مدربا ولا قائدا ملهما ، كان المصدر الذى ألهم كافة العناصر والقوى الساعية الى وحدة الاسلام فى وجه الغزاة ، والبؤرة التى اجتمعت هذه العناصر حولها . وقد تحقق له هذا الأمر بسبب القدوة التى تجلت فى شجاعته وعزمه ، ونكرانه لذاته وتواضعه وكرمه ، وبساطته ونزاهته .

وقد أوقعت هذه الخلال فيه أعداءه من المسلمين ومن الصليبيين على السواء فى حيرة من أمره ، لأنهم توقعوا أن يجدوا الحوافز التى تحركه على غرار حوافزهم ، وتوسموا فيه أن يمارس اللعبة السياسية على طريقتهم .. كان بريئا كل البراءة ، ولا كان بالقادر حتى أن يفهم المكر عند الآخرين . وهو ضعف استغله أعداؤه بل وأفراد أسرته فى بعض الأحيان ، ثم إذا هم فى النهاية يصطدمون بصخرة إخلاصه الموطد العزم على خدمة مثله العليا ، وهو إخلاص لم يتهيأ لأحد أو لشىء أن يزعزعه أو ينتقص منه .

وكانت صفاته الخلقية هذه هى المسئولة عن أن صار صلاح الدين ، منذ زمنه وإلى يومنا هذا ، أحب وأقرب شخصية فى التاريخ الإسلامى إلى قلوب غير المسلمين . أما تشخيصه لداء بنى قومه ودينه ، وهو التشخيص الوحيد الذى كان بمقدورهم أن يفيدوا منه ، فقد تناسوه ، وركزوا بدلا منه فى حديثهم عن الرجل ، على انتصاراته وإنجازاته العسكرية .



ابن المقفع

٧٢٠ - ٧٥٦ م

●● كاتب عربي من أصل فارسي ، أحدث مايمكن اعتباره أهم نقلة في تاريخ اللغة والأدب العربيين في مضماري الأسلوب والمضمون ، وهي نقلة دعا إليها أمران : انتقال العرب من حياة البداوة إلى حضارة المدن ، ثم تغلغل غير العرب في مجال التأليف الأدبي ●●

لقد فشل الشعوبيون الذين ادعوا تفوق الشعوب غير العربية على الشعب العربي ، في الانتقاص من مكانة اللغة العربية ، واعترفوا بأن لغة القرآن قد صارت عند المسلمين ، أيا كانت لغتهم الأصلية ، جزءا لاينفصل عن حقيقة الإسلام .. غير انهم استنكروا أن تظل القواعد العربية تعتمد كلية على الاستعمال اللغوى عند عرب البادية ، لايسوق واضعوها في شواهدهم شاعرا محدثا فقط . وساءهم أن يعد البدو حجة لايعتروها الشك في جميع مسائل اللغة ، وأن يكون أبلغ آيات التقريظ التي توسم بها لغة أحد الكتاب أو المثقفين انه ينطق أو يكتب كما يتكلم البدوى . غير أن حياة الأمة ـ خاصة منذ بداية العصر العباسي ـ كانت بعيدة عن حياة البدو بعدا كبيرا ، وكان أصحاب النفوذ في تلك الدولة ، ومعظمهم من الفرس ، لايشعرون بالصلة النفسية الداخلية بحياة العرب وطبيعتهم وقيمهم الخلقية والفنية . وما كان بوسعهم أن ينطقوا كما ينطق البدو ، ولا أن يصبوا أفكارهم الحديثة الثرية العميقة في قوالب اللغة القديمة فكان لابد من تغيير جذرى في أساليب العربية ، وتطوير اللغة تطويرا يساير ما طرأ على حياة الأمة من تغيير ، ويسمح بالتعبير عن أفكار ومعان لم تخطر ببال العرب قبلهم .

وقد كان ابن المقفع هو الرائد في هذا المجال . طرح العربية القديمة جانبا ، وتبنى أسلوبا عربيا شفافا مبسطا يتكيف وفق الأغراض والمعاني . كما طرح الثروة الفياضة في المادة البدوية القديمة ، ومترادفاتها الخاصة بعالم الظواهر ، واتجه إلى التبسيط الموائم للهدف ، والتركيب النحوى الواضح ، وتجنب الجمل التعبيرية المتنوعة الدلالة ، وتصفيف الكلام ، وصيغ التعجب والاستغاثة ، والتداخل العسير الفهم ، وكل ما شاكل ذلك مما يستفيض في لغة البدويين .

كان يرى أن تقليد القدماء حجر عثرة في طريق كل تطور في الأسلوب . فاختار لموضوعاته اسلوبا أنيقا رائقا ، وبيانا ناصعا شفافا لم يسبق إليهما ، وحرص على التخلص من الطابع الوحشى للعربية القديمة ، وأن يستبدل لغة سهلة منسكبة واضحة ، هي في استوائها وعذوبتها في متناول الأفهام .

وسرعان ما احتذيت لغة ابن المقفع ، واستخدمت في الأدب من قبل جل المثقفين والكتاب في العالم الإسلامي .

وإذ كانت ثقافة ابن المقفع مدينة فى أكثر معانيها للفرس ، وكان هو شديد التحيز لهم ، راغبا فى إحياء أمته بنشر آدابها وسياستها وتاريخها ، فقد كان أسبق من كتب العربية إلى تطعيم أدبها بالتأثيرات الأجنبية ، وتوسيع أغراضها ومعانيها ومفاهيمها . وقد ترجم إلى العربية كتبا كثيرة من اللغة الفارسية ، فكان بذلك أول دعاة الوحدة العقلية التى تنشأ عن التعاون والتضامن وتظاهر الأجيال والقرون بين أمم الشرق على اختلافها ، والتى حققته الثقافة الإسلامية بعده على أحسن وجه أيام كانت هذه الحضارة حية قوية مؤثرة فى حياة الأمم والشعوب .

أما عن روعة ترجماته فإنه يكفى القول بأنه لم يعرف لمتقدم ولا لمتأخر أن نقل إلى اللسان العربى شيئا فى الأدب والعلم لاتحس فيه أثر اللغة المنقول عنها إلا ابن المقفع . فترجماته آية فى البلاغة العربية التى توصف بالسهل الممتنع .

وأهم ماترجمه كتاب «كليلة ودمنة» ، الذى دخل وعى أفراد الشعب العربى وخالط تكوينهم الذهنى كما لم يدخله غير القرآن وكتاب ألف ليلة . فقد توالت طبعاته فى العالم العربى منذ بداية الطباعة فيه وإلى اليوم ، واتخذ فى كثير من الأقطار كتابا مدرسيا ، بحيث لا تجد فيها عالما أو متعلما إلا اطلع عليه ، وقرأه كله أو بعضه .

وقد ترجم «كليلة ودمنة إلى أكثر من عشرين لغة ، أخذ معظمها عن الترجمة العربية لابن المقفع . وكان للكتاب بالأخص أثر عميق فى الأدب العربى ، إذ حذا الكثيرون حذوه ، سواء فى أسلوبه أو فى استخدام الرمز الذى يمكن به استنكار معايب الحياة السياسية والمظالم الاجتماعية فى العهود التى تغيب فيها حرية التعبير الصريح عن الرأى .

وقد أراد ابن المقفع نفسه تدارك عيوب النظم الاجتماعية والسياسية فى العصر العباسى عن طريق الدعوة إلى تطبيق الصالح من النظم الفارسية . وكان لفكره الأصيل فضل آخر ، فهو أول من أوضح من العرب أن نبل الأخلاق قد يأتى عن طريق الفكر والفلسفة كما عن طريق الدين . وفى رأيه أن رجال الخلق قد يكون خلقهم تدينا أو تفلسفا .

وكان يفخر بأن باعثه الخلقى فلسفى محض ، إن تمسك بالمكارم فلأن فى المكارم شرفا ورفعة ، ولو لم يأمر بها دين لكانت فى ذاتها مطلبا نبيلا . فهو رجل مدنى وعالم مدنى ، لا رجل دين ولا عالم دين . إن كتب فى الإيمان لم يورد مايشهر بإلمامه بتفاصيل دين بعينه ، وإن تعرض للأخلاق بررها تبريرا عقلانيا محضا ، وقل أن يستشهد فى دفاعه عنها بآية أو حديث .

وقد أعدم ابن المقفع فى عهد الخليفة المنصور ؛ قيل بتهمة الزندقة ، وقيل بسبب رسالة أرسلها إلى الخليفة وتعرف باسم «رسالة الصحابة» التى نقد فيها نظام الحكم وبين وجوه إصلاحه .

وكان وقت مقتله فى السادسة والثلاثين من العمر

فى العدد القادم : ابن خلدون ـ زرياب
حافظ الشيرازى ـ البخارى

أدب أكتوبر

وصل الينا عدد من المقالات ردا على مقال د. الطاهر أحمد مكي حول ادب اكتوبر ننشرها ، مع تعليق للدكتور مكي حول مقال الاستاذ احمد محمد عطيه .

أدب الخنادق

وفرة الابداع .. انصراف القراء .. كسل النقاد

بقلم : يوسف القعيد

●● كان إكتوبر ، مازال وسيظل شهر الانتصارات . ويبدو لى ان الفرح قد ضبط توقيت وصوله الى نصر هذا الوطن الجميل ، قليل البخث ، على ساعة اكتوبر ..

ولكن اكتوبر نفسه اصبح بالنسبة لى شهر السؤال ، واصبح اخيرا شهر الاكتشاف المتجدد الذى لا يدفع الى النفس سوى بالاحزان . الانتصارات والاغتيال الذى جرى فى اكتوبر ايضا، من امور السياسة .. ولكن السؤال والاكتشاف من قضايا الادب واكتوبر ولهذا اكتب بالتحديد عن ادب اكتوبر . ه‍ى

● وقبل ان يجيء اكتوبر من كل عام ، وقبل ان تصلنى مقدماته الخريفية ، التى احبها لحد العشق . فان السؤال كان يعلن عن مجيء اكتوبر . والسؤال تقول كلماته :

— اين ادب اكتوبر ..؟!

ولاننى روائى ، ولاننى كنت احد ابناء قوات مصر المسلحة ، خلال صدمة يونيو ٦٧ ، ويقظة اكتوبر ٧٣ كان لى دائما نصيب لا بأس به من هذه الاسئلة . والسؤال يشكل نصف الطريق الى الاجابة . ولكن التساؤلات كانت لا تحمل الاشارة الى الاجابات عليها ، وهكذا تاهت منى المسكة الى الاجابة المحفورة فى حبة القلب ..

أدب الخنادق

لكن الذين يطرحون التساؤلات معهم بعض العذر · فالبحث عن ثرثرة يومية · والوقوف امام قضايا المناسبات هو الدافع لمثل هذا الكلام المقرر والمعاد · ثم ان من يسألون هم من ابناء العمل الصحفى · ونحن لم نعرف بعد المحرر المتخصص ولا الصحفى الذى يجهد نفسه فى التجول فى دروب موضوعه · علاوة على ان المهنة تعج الان بعدد كبير من الذين يمسكون بالاقلام لان مكتب التنسيق حملهم دون اى اختيار منهم الى كلية تخرج من يقولون عن انفسهن : « صحفيين » ·

معهم اكثر من عذر ، فى زمانهم العداء للكلمة المكتوبة ، دليل تحضر ومخاصمة الفكر شكل من اشكال الشباب الدائم ·

يبقى الاكتشاف ، والحقيقة انه ليس اكتشاف اكتوبر ١٩٨٨ ولكن اكتشاف كل اكتوبر منذ ١٩٧٣ وحتى الان ··

يكتب ناقد ادبى او استاذ جامعى يدرس الادب فى احدى جامعات مصر عن الموضوع الذى عمره الان خمسة عشر عاما · والعنوان فيه الكثير من الاغراءات : اين ادب اكتوبر ؟! متى نكتب ملحمة الحرب ؟!

وبدلا من البحث والتحرى والقراءة هناك الاحكام الجاهزة · والنقل المسبقة · واحد هذه الاحكام المغرية يقول : ان ادب اكتوبر لم يكتب بعد · وملحمة الحرب والانتصار لم يروها فم حتى الان ·

انه الاستسهال الظريف · يكفى ان يكتب اى ناقد هذه الجملة ويبنى عليها مقالا طويلا وينشره · فوق المقال اسمه ـ وفى اخره اسمه مرة اخرى · وفى المرتين لقبه العلمى ووظائفه وسمتم ·

لكن هناك طريقا اخر ، الطريق الذى لم يعد احد قادرا عليه ·· ان يدرس موضوعه وتكون لديه حقيقة تدفعه الى الكتابة · وان يكون لديه هدف مهم وقضية من وراء الكتابة ·

خمسة عشر عاما مضت والمقالات تكتب فى البداية كنت افكر فى الرد · ولكنى كنت اقول لنفسى · ولماذا يحلم الانسان ان تكون الامور صحيحة هنا· النقد الادبى والمتابعة والقراءة جزء من الكل ·· والكل نعرف بالتحديد ماذا جرى له على مدى السنوات التى تفصلنا عن اكتوبر ١٩٧٣ ·

لكن فى اكتوبر الماضى نشرت الهلال مقالا للدكتور الطاهر احمد مكى عن حرب اكتوبر · وما ان قرات المقال حتى اكلتنى يداى · حزنت بدون حدود · ها هو واحد من الناس الجادين و الجيدين يقف فى طابور الاحكام المسبقة والحلول السهلة · ويدوس بقدمه على عرق وجهد من كتبوا عن اكتوبر · وكأنه يتفسح فى اصيل جميل ·

لدى دليل اكيد انه لم يقرأ شيئا من ادب اكتوبر · والدليل يخصنى فلى روايتان وعدد كبير من القصص القصيرة عن اكتوبر · وهناك سبب عام ـ اكثر اهمية من السبب الخاص ـ يتمثل فى كثير من النتاج الادبى المنشور فعلا عن حرب اكتوبر ·

دعونا من كل هذا ، الم يسمع الدكتور ان هناك سلسلة ادبية كاملة تصدر من هيئة الكتاب عنوانها « من ادب اكتوبر » ؟! وهذه السلسلة الم تكن اولى بقراءتها ودراستها بدلا من

هذه الاحكام • خاصة وان مبدعيها من المقاتلين يقدمون شهادة ادب الخنادق والبنادق •

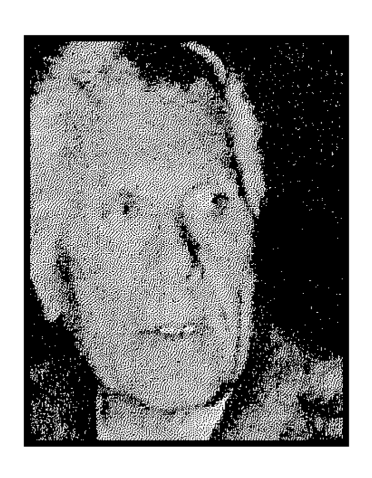
ان تناول القضية بصورة محترمة كان يقتضى قراءة ما كتب عن اكتوبر ثم متابعة ما كتب من دراسات نقدية عن هذا الادب • وهناك دراسة جيدة للناقد الادبى احمد محمد عطيه • لم يكتب غيرها حتى الان •• ثم يتابع ما استجد من انتاج ادبى ابداعى بعد هذه الدراسة الوحيدة عن ادب اكتوبر حتى يصل الى وقتنا الحاضر • ومن الدراسة يخرج بالاحكام •

لكن هذا هو الطريق الصعب • انه يتطلب ليالى من العمل والقراءة وهل يوجد الان من يوجد لديه استعداد ان يمنح اكثر من ليلة من العمل لكى يعد المادة المطلوبة لكتابة مقال ، او حتى كتاب كامل •

اقسم لو كان لدى اقل امل حقيقى فى ان يقرأ الدكتور مكى او غيره لنشرت فى اخر هذه الكلمات قائمة بأعمال كثيرة جيدة وممتازة عن اكتوبر •

ولكن الاكتشاف الذى يصل الى مشارف المأسى هو ان الصفوة او النخبة المثقفة لا تقرأ • من قبل كنا نتحدث عن القارىء العادى الذى لا يقرأ • لانه محاصر بالامية والاعلام وضيق ذات اليد واستحالة الانفراد بالنفس مع كتاب ولكننا الان على مشارف الزمان الذى لا يقرأ فيه من كنا نعتبرهم قراء بالاحتراف • اى قرأ لان جزءا من ادوارهم تتطلب بل تفترض هذه القراءة •

ولذلك لابد وان اعترف هنا بهذا الاعتراف التراجيدى ، اننا لا اكتب الان لان هناك من سيقرأ ، لا يوجد اى وهم فى التواصل •



يوسف ادريس

المسألة ببساطة اننى اكتب لان الكتابة هى الخلاص الوحيد • اكتب لان البديل الوحيد للتوقف عن الكتابة هو الجنون •

اكتب على امل ان ياتى جيل بعد الجيل القادم قد يقرأ ما نكتبه الان • فأنا لا اجرؤ على الحلم ان الغد ربما يكون افضل من اليوم • وعندما اقدر على الحلم اقول ربما كان بعد بعد الغد افضل من اليوم ••

ويا دكتور الطاهر احمد مكى متعك الله كثيرا بطريق الحلول السهلة والاحكام المسبقة • حقيقة لا ادرى من اين تأتيك هذه القدرة على الثقه فى نجوم الكتابة وما داموا يكتبوا عن اكتوبر • اذن لا ادب هناك ، لا اعرف من اين جاءك هذا الحكم الغريب ؟

لا اعرف كيف طاوعك قلمك وكتب حكما نهائيا فان من كتبوا عن اكتوبر انما هم من الكتاب المتوسطين وكتابتهم عن اكتوبر ليست افضل ما قدموا من نتاج ادبى •

لن اسالك ولكنى اسال نفسى : ماذا جرى لك •• ؟!

يبدو ان المطلوب سؤال اخر هو ماذا جرى لنا • ؟! اقصد لنا جميعا نحن المصريين • وربما العرب •

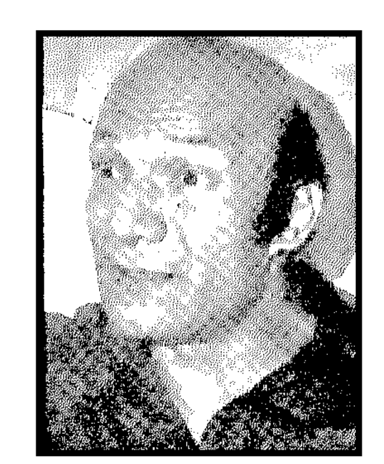
أدب أكتوبر

أستاذنا الكبير

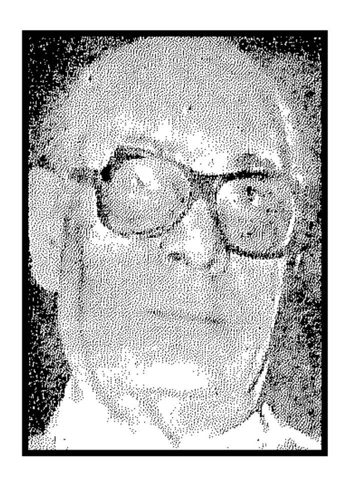
بقلم: محمد السيد سالم

●● استاذنا الكبير د. الطاهر مكي هبط فجاة في مقاله «حرب اكتوبر في الادب العربي» الذي نشر في هلال اكتوبر ٨٨ من منبر المعارضة السياسية بكل ما فيه من حوار ساخن متجسد الى اصقاع المعارك الادبية الراكدة منذ زمن بسبب انشغال الاساتذة النقاد في المعارك السياسية، وغياب اقلامهم عن الساحة الادبية، وانعدام اهتماماتهم بكافة الاعمال الثقافية والتجارب الادبية .. لهذا مضى الدكتور في مقاله فوق مناطق نائية من «ادب اكتوبر»، واصبحت بمرور الزمن اثارا غير ماهوله بالقراء دون ان تتيح له مشاغله السياسية واهتماماته الحزبية معرفة ان تجاربا جديدة وعديدة ظهرت من قلب معركة اكتوبر وباقلام نفس الرجال الذين خاضوا المعارك، واكتووا بنيرانها

ورغم ان د. الطاهر يعلن في بداية مقاله ان ما حدث في اكتوبر هو ظاهره تحتاج الى بحث متعمق (!) ومناقشة مستوعبة (!) فان سيادته ـ كما يبدو ـ لا يعلم ان ثمة سلسلة ادبية تصدر منذ سنوات عن الهيئة العامة للكتاب وتدعى (ادب اكتوبر) وانه صدر منها حتى الان تسعة اعداد تجمع بين الروايات والمجموعات القصصية، ولو كنت اعلم ان سيادته سيتولى القيام بمهمة دراسة ادب اكتوبر باعتباره ـ كما يقول ـ جديرا بان يناقش وان يقال فيه ما هو حق وعدل، لبادرت وسعيت اليه وانا احمل كل الاعداد التي صدرت عن هذه السلسلة كاضافة جديدة لمراجعة، واستكمالا لدراسته، حتى لا تصاب تجارب الادباء المقاتلين من اسنات قلمه بذلك الانصاف المهدر، والعدل الضائع .. ولكن ماذا يهم كل ذلك مادام النقد عظيما والابداع بالمقابل عقيما او لا شيء اذن لا مفر من اظلام كل الطرق، وهدم حتى الاثار .. ولكن يبدو ان نقادنا الكبار ومنهم د. الطاهر مكي لابد ان تنصب دراساتهم النقدية على اعمال الادباء









أحمد عبدالمعطى حجازى — صلاح عبدالصبور — يوسف جوهر

الكبار فحسب امثال صـــــلاح عبد الصبور واحمد عبد المعطى حجـازى ونزار قبانى ، ولا ضير عنـد ذلك من اضافة اسماء كنجيب محفـوظ ويوسف ادريس ويوسف جوهر رغم ان اقلامهم لم تغمس بعد فى حبر هذه التجارب ٠

ويبدو ان الدكتور الطـــاهر مكى متاثر والى حد بعيد بحـــكاية ذلك الثعلب الذى فشل فى الوصـــول الى عناقيد العنب ، فاضطر ازاء ذلك ان يزعم بأن هذه المناقيد البعيـــده من الدرجة الثانية ، وان ما تحمـــله من عنب اقل حلاوة من العنب الذى ذاقـه وسوف يذوقه ، اذ يغلب على هـــذه المناقيد الطابع الفج والملامح المرة ٠٠ ولكن مادام الموقف كان جـديرا بأن يناقش بلا خجل او تردد او خوف او تزويق او تحديل ، لكى تؤدى المناقشة الى نتائج صحيحة ، وان يقال فيهـــا ما هو حق وعدل ، فقد كان يتوجب فى نفس الموقف على استاذنا النـاقد ان يكون فى دراسته اكثر عمقا وشمولا ، واشد سعيا نحو الحق والعـــدل حتى لا يضل قلمه بين تخوم الاثار وبعيـدا عن اوراق كثيـــره لا يضمها ملف مراجعه ٠

٣

● جهـنـم ●

دخل ابو حازم على بشر بن مروان فى قلق وحيرة ، فقال له : ما المخرج مما نحن فيه ؟!...

فقال له بشر : تنظر ما عندك فلا تضعه إلا فى حقه ، وماليس عندك فلا تاخذه إلا بحق ..

فقال أبوحازم : من يطيق هذا يا أبا بشر ..؟

فأجاب : من أجل ذلك ملئت جهنم من الجنة والناس أجمعين



د. الطاهر احمد مكى

عفواً يادكتور مكى !!

بقلم : أحمد محمد عطيه

سررت عندما رايت الاعلان عن موضوعات عدد اكتوبر ١٩٨٨ من مجلة « الهلال » المنشور بمجلة « المصـور » فى ٣٠ من سبتمبر ١٩٨٨ اذ وجدت به مقالا يحمـل عنوان احد كتبى. وضاعف من سرورى ماتضمنه الاعلان من اسم كاتب المقال . فهو استاذ جامعى كبير، ورئيس تحرير سابق لمجلة ثقافيـة شهرية ، وكاتب له عـــدة كتب اكاديمية وعامة غـير ان سرورى لم يدم طويلا ، اذ سرعان ما تبـــدد لــدى قراءتى للمقـــال ، فقـد فوجئت بان هذا الاســـتاذ الكبير اعتمد فى مقالة على كتابى ، المنتشور فى سلسلة شهرية مصرية مشهورة ولم يشر الباحث الكبـير بايــة اشارة الى الكتاب .

● عنوان الكتاب هو « حرب اكتوبر فى الادب العربى الحديث » ، وقد نشر فى سلسلة « اقرأ » بالعدد رقم (٤٨٠) الصادر فى شهر اكتوبر ١٩٨٢ . والمقال عنوانه أيضا « حرب أكتوبر فى الادب العربى » . وجدير بالذكر انه خلاصة جهد ودراسة استغرقا عدة سنوات قضيتها فى جمع وانتقاء مصادر أدب أكتوبر المصرية والعربية .

وان هذا الكتاب لم يكن نتاج جهد سنوات فى جمع النصوص العربية ودراستها فحسب ، ولكنه جاء أيضا كنتيجة مجسدة لدراسة حرب اكتوبر العربية العظيمة على أرض المعارك بتنقلاتى وأسفارى فى الجبهتين المصرية والسورية ، وثمرة متابعة اعلامية دقيقة لكل ما نشر وأذيع عربيا واسرائيليا وعالميا .

وقد استهدفت بكتابى تأكيد الاهمية العربية لحرب اكتوبر ولادب اكتوبر العربى .

ثم جاء الاستاذ الكبير الدكتور الطاهر احمد مكى ، بمقاله المشار اليه ، لينقل من كتابى بعض محتوياته دون أى ذكر له . وقد تنوعت أساليب كاتب المقال من النقل والاقتباس الى اعادة التحرير والتضمين وانتزاع الكلمات والفقرات الواردة بالكتاب من سياقها ، محاولا اخفاء النقل ، الى نقل المقتطفات والاستشهادات من النصوص الادبية دون توثيق أو ذكر لبياناتها على النحو الذى يعرفه كل باحث .

. ولا أعرف كيف يمكن لمقال صغير ، كمقال الدكتور مكى ، أن يستوعب موضوعا كبيرا متشعبا ، مثل موضوع « حرب اكتوبر فى الادب العربى » ، الذى يتطلب قراءة المئات من الاعمال الادبية الصادرة على مدى الخمس عشرة سنة الماضية بالوطن العربى كله ، وأقول « المئات » تحديدا وقصدا ؟! ولكنه الاستسهال ، اذ وجد كتابا جاهزا عن « حرب اكتوبر فى الادب العربى » .. فظن انه بانتقائه لبعض عباراته وأحكامه ومنطلقاته واعادته لصياغتها يمكن الاستغناء عن دراسة موضوع كبير وهام استغرق عدة سنوات من صاحبه فى القراءة والمتابعة والانتقاء والكتابة . بل انه لم يكلف نفسه مشقة القراءة الدقيقة المتأنية للكتاب الذى نقل منه معظم فقرات مقاله ! كما أن انتزاعه لكلماتى من سياقها أوقعه فى الكثير من الاحكام الجزافية المجحفة بمئات المبدعين بانكاره لصدور ابداعاتهم أو باصدار أحكامه العامة المتسرعة فى كلمات وجمل قصار .

ولعل أكبر دليل على أن الاستاذ الدكتور الطاهر أحمد مكى لم يكلف نفسه عناء قراءة أو دراسة بخصوص أدب اكتوبر العربية ، فما اكثرها ، اذ انه اكتفى بذكر النصوص الواردة فى كتابى دون اضافة اية نصوص اخرى سواها ؟! مع ملاحظة ان كتابى نشر بعد مضى تسعة اعوام على حرب اكتوبر (١٩٨٢) أما هو فقد عمم أحكامه على الاعمال الصادرة خلال الخمس عشرة سنة الماضية ولم يأت على ذكر أى عمل منها ، وذلك بالرغم من صدور مئات الاعمال الابداعية المصرية والعربية ، فى الرواية والقصة القصيرة والشعر والمسرحية ، بعد كتابتى لكتبى ، اذ لم أتناول فيه سوى الاعمال الادبية العربية الصادرة قبل سنة ١٩٨١ (تاريخ اتمامى لمخطوطة الكتاب) ، ولعل أشهر وأبرز تلك الاعمال ، الصادرة بعد صدور كتابى ، سلسلة « ادب اكتوبر » التى اصدرتها الهيئة المصرية العامة للكتاب فى القاهرة .

ولكى أثبت وأؤكد أن الدكتور مكى

عفواً يادكتور مكي!!

لم يقرأ ولم يرجع الى أى نص من النصوص التى استشهد بها فى مقاله وانه اكتفى بالنقل من كتابى بانتقاء بعض كلماته وعباراته وباعادة تحرير بعضها الاخر مع اجراء بعض الحذف والتعديل فى تركيبها وترتيبها ، لكى اثبت هذا فانى اطالبه اليوم بأن يأتى بالبيانات الخاصة بهــذه النصوص ومصادرها ومراجعها وتاريخ نشرها؟! واذكر هنا ، على سبيل المثال ، قصة ابراهيم عبد المجيد « تعليقات مــن الحرب » التى استشهد بها الاستاذ الكبير وأشاد بها نقلا عنى مستخدما ذات كلماتى وعباراتى ، فليقل لنــا الدكتور أين قرأها واين نشرت ؟!

والان ســأترك التعميم والجأ الى التخصيص ، لاوضح تفصيلا ما ذكرته من قبل اجمــالا ، وذلك بذكر أمثلة محددة ومؤكدة لكل ما قلته بالمقارنة بين ما جاء فى كتابى وفى مقــاله ، تاركــا لكل ذى فطنــة استخلاص الدلالات واطلاق الاحكام على هــذا العمل الذى اقدم عليه أستاذ جامعى كبير يشرف على الدراسات العليــا وعلى رسائل الماجستير والدكتــوراه فى كليتــه ، وكاتب ودارس وباحث أصدر عــددا كبيــرا من الكتب والدراسات ؟!

وسأبدأ بذكر بعض الامثلة على قيامه بالنقل والاقتباس من كتابى ، بدءا من عنوان الكتاب : فعنوان المقال « حرب اكتوبر فى الادب العربى » ، وعنوان الكتاب « حرب اكتــوبر فى الأدب العربى الحديث » . وفى مستهل مقاله كتب الاستاذ الكبير : لقد كانت حرب اكتوبر أعظم الحروب العربية الحديثة ، ومع ذلك ظل الأدب المعبر عنها فى أقل مستوى .. » (مجــلة الهلال ـ ص ٢٠) وكتبت فى كتابى : « ومع أن حــرب اكتوبر هى اعظم الحــروب العربية الحديثة تحقيقــا لقدرات الانســان العربى فى اقتحام حصون العدوان وتحديه وقهره ، فان الادب المعبر عنهــا ظل اقــل من مستوى .. » (ص ٩٣ من الكتاب).

وكتب د . مكى أيضا : « ما كتبه توفيق الحكيم غداة أعلان الحرب فى مقاله « عبرنا الهــزيمة » : « عبرنا الهــزيمة الى سيناء .. ومهما تكن نتيجة المعارك (لاحـظ التردد) فان الاهم الوثبة . نعم عبرنا فى الروح ثم طلب من الحــكومة ان تهيىء له عملا يدويا يناسب سنه ، يشارك به فى معــركة الشرف بدلا من صناعة الكلمة التى لا مكان لها فى ســاحة القتال ، واعلن عجز الاديب عن ابداع عمل بمستوى الحرب ، ووصف الادب بأنه كلام على ورق ! » (مجلة الهلال ص ٢١ ، ٢٢) .

وجــاء فى كتابى : « فتوفيــق الحكيم لم يبدع رواية او مسرحية ولكنه اكتفى بمقالته الشهيرة « عبرنا الهزيمة » ، التى صارت مدخلا للكثير من اناشيد واغنيات الحرب ، ورأى الحكيم فى العبور تأكيدا لأصالة شعبنا وعبورا للهزيمة التى بداخل نفوسنا ، قائلا : عبرنا الهزيمة بعبــورنا الى سيناء .. ومهما تكن نتيجة المعارك فــان الاهم الوثبة .. نعم عبــرنا الهــزيمة فى الروح .. » ثم أعلن الحكيم عن عجز الأديب عن ابداع عمل بمستوى الحرب ، ووصف الأدب بأنه « كلام على ورق » ، وطلب من الدولة انْ توفر له فرصة عمل يدوى فى صنع امدادات ومعلبات) . (الكتاب ص٧)

وقد اتبع الدكتــور مكى فى هذه الفقرة اسلوب النقل والانتقاء والحذف من كلماتى وعباراتى ، ولكن الأعجب

من هذا أنه أضاف كلمتين من عنده الى كلام الحكيم ، لم يكتبهما الحكيم فى مقاله « عبرنا الهزيمة » ، هما : « يناسب سنه » ، وهما تتعارضان مع مغزى طلب الحكيم للعمل اليدوى لأنه رأى ان عمله فى الأدب مجرد كـلام على ورق ، ولكنه كان يريد المشاركة الفعلية فى المعركة بعمل يدوى ٠

وأضاف الدكتور مكى ، فى مقاله: « وحتى نزار قبانى ، والشعر الرائع فى مكنته دائما ، كتب مجموعة من المقالات ابان الحرب نفسها ، نشرها فى مجلتى الاسبوع العربى والبلاغ البيروتيتين ، يسير فيها على هـذا النهج ٠ يقول فى مقـاله « دعوة عـاجلة لاحتياطى الأدب » « عندما تبدأ آلة الحرب بالتحرك تصـبح آلة الادب فى مرتبة ثانوية » ، ثم يتجاوز الحكيم فيقدم لمقولته توضيحا وتعليلا : ليس هذا انتقاصـا من منزلة الأدب بقدر ما هو محـاولة لتقييم الأشـياء بحسب مردودها فنتائجها المباشرة ان العمل الأدبى يحتـاج الى حد ادنى من الصـبر والنضج والتخمر بينما لا تحتـاج الرصاصة الا للمسة اصبع لتنطلق من ماسورتها ان عبور قناة السويس مثلا كان يعتمد بالدرجة الاولى على لعبة الزمن ،وهو فى الحروب المعاصرة يحسب بالثوانى ، فى حين ان كتابة رواية عن العبور العظيم قد تستغرق اشهرا بل سنين لتكون بمستوى هذا العبور الاسطورى » (المجلة ص ٢٢)

وكتبت فى كتابى : « بل ان شاعرا كبيرا كنزار قبانى لم يكتب شعرا فى حرب اكتوبر ، بل كتب مقالات عبر فيها عن تضاؤل دور الكلمة امام فعل الحرب ، ولكنه لم يقلل من شان الكلمة بل دعا الادباء الى المشاركة فى الحرب باقلامهم واوراقهم ،فكتب مقالة بعنوان : « دعوة عاجلة لاحتـياطى الحرب » بمجلة « الاسبوع العربى » البيروتية قائلا :

« عندما تبدأ آلة الحرب بالتحرك تصـبح آلة الادب فى مرتبـة ثانوية ، وليس هذا انتقاصا من منزلة الأدب ، بقدر ما هو محاولة لتقييم الأشـياء بحسب مردودها فنتائجهـا المباشرة ، ان العمل الادبى بطبيعته يحتـاج الى حد ادنى من الصـبر والنضج والتخمر ، بينما لا تحتـاج الرصاصة الا للمسة أصبع لتنطلق من ماسورتها ٠ ومن هنا يتضح ان منطق المسدس هو غير منطق القصيدة ان عبور قناة السويس مثلا ، كان يعتمد بالدرجة الاولى على لعبة الزمن وهو فى الحروب المعاصرة يحسب بالثوانى فى حين ان كتابة رواية عن العبور العظيم قد تستغرق أشهرا بل سنين لتكون بمستوى هذا العبور الاسطورى» (الكتاب ص ٨) ٠

وجاء فى مقـال الدكتور مكى : « وندع الشعر الى القصة ، وهى توأمه وقادرة على التقاط نبض اللحظة ، والتعبير عن حركة الحياة اليومية ، وقابليتها للنشر فى الصحف والمجلات والاذاعة ، الى جانب قالبها البسيط ومساحتها المحدودة ، يغرى الكثيرين بكتابتها ولو ان معظمهـم ينسى ان قصرها لا يعنى الحجم ، وانما يعنى قصر الزمن ، ومحدودية الشخوص ، وانها تجىء تعبيرا عن لحظة معينة أو موقف محدد ، وهى حقيقة غابت عن كثيـرين من كتابها الشـبان ٠٠ » (المجلة ص ٢٧ و ٢٨) ٠

وكتبت ، فى كتابى : « ٠٠ان القصة القصيرة تنفرد بحضورها وحيـويتها وحساسيتها ، لانها الفن الادبى القادر على التقاط نبض العصر والتعبير عن التطورات الجارية فى المجتمع ٠ وهذا راجع الى قالبها المميز بالقصر الذى

عفواً بادكتور مكي !!

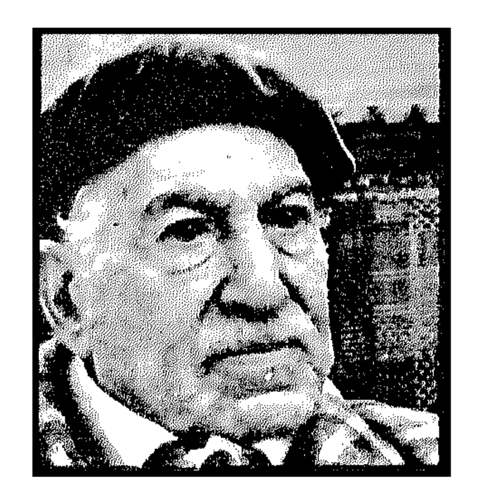
يسمح لها بالنشر السريع في الاجهزة الاعــلامية والجماهيرية الواســعة الانتشار كالصحافة والاذاعة ، كمـا أن قصرها يكفل لها ايضـا سرعة التلقي واتسـاع دائرة المتلقين ... ويغري قالب القصة القصيرة البسيط، في ظاهره ، الكثيرين بكتابتها ، لذلك يبـرز من بينهم القليلون الـــذين يستوعبونها كفن حساس وقالب شعرى .. فليس المقصود بقصر القصة هو قصر حجمها فحسب ، بل قصر زمنها ومحدودية شخصياتها أيضا » .. (الكتاب ص ٢٤ و ٢٥) .

وفي نقله وانتقـــائه لكلماتي عن قصيدتي الشاعر محمد مهران السيد: « أشواق كل ساعة » و « لغة الايام المنتصرة » ، نقل الدكتور مكي عنوان القصيدة الاولى خطـأ فذكـر انه « أشواق كل مساء » ، في حين ان صحته : « أشواق كل ساعة » ، كمـا كتبته في كتـــابي (ص ٦٩) ، وفي ديوان مهران « ثرثرة لا أعتذر عنها » (ص ١٢٢) ، كما اخطأ ايضا في نقل كلمـــة « المخلصة » وصحتهـــا « المتخلصة » .. ومضى الاستاذ الكبير في تعليقـــه على القصيدتين قائلا : « وكان محمد مهران السيد نسـيجا متميزا في قصيدته « أشواق كـــل مساء » من ديوان « ثرثرة لا أعتذر عنها » فهو يتجاوز اللحظة الى الغد ، ويستشرف المستقبل ، ويمـــزج بين الواقعي والمتخيل ، ويمسك بالامـل حريصا ، وهو في « لغة الايـام المنتصرة » من الديوان نفسه يبـــدو متفائلا ، واثقــــا في مصر ، رغم مرارات الهزيمة ، واحباطات القهر ، يتسربان الى الاعماق في لذاذة :!

يعبر عن ذلك في بســـاطة وتواضع
حين رأيت فتاتي آخر مرة
كانت تتألق أكثر من لمعان السيف
تمضي واثقة تحت غطاء الايام
المخلصة من الخوف
تضحك حينا
.. او تتحدث حينا في لغـة منتصرة (المجلة ص ٢٦ و ٢٧) .

وهذا هو ما كتبته عن القصيدتين في كتابي : « في قصيدتيه » ، « أشواق كل ســـاعة » و « لغــــة الايام المنتصرة » يبدع الشاعر محمد مهران السيد رؤيته لحرب أكتوبر ، فيرتفع من الواقع الجديد ، الذى خلقتـــه معارك الحرب ، ليحلق في ســـماء الحدس والفكـــر والتنبؤ والكشـف الشعرى الجديد ، انطلاقا من معطيات حرب أكتوبر ، فيصوغها في صياغة جديدة تمزج بين الواقعي والمتخيل ، وتعبر عن الهموم والامال المختزنة في الضمير الجمعي لشعبنا وأمتنا . فكشف الشاعر مهران الســـيد في قصيدته الاولى « أشواق كل ساعة » .. رؤيته لمصر الجــديدة ، مصر أكتوبر ، وجمع في صوره الواقعية والمتخيلـة أفراحه واشواقه وتنبؤاته للمستقبل الجديد الذى تبدعه معارك الرجال وسيوف الشـــجعان التي تمضي العروس في حمايتها ، مصورا حرب أكتوبر كتحقيق لامالنا وأشواقنا .. متمنيا دوامها حتى تتحقق كـل الاشواق والطموحات .. وفي قصيدته الثانية « لغـــة الايام المنتصرة » ، يصور محمد مهران الســـيد رؤيته المتفائلة لمصر أكتوبر ، مصر المتصرة، حيث تعلو لغة الايام المنتصرة لتؤكد صدق نبوءة الشاعر بالثقة في قدرات مصر العربية ، شعبنا وأمتنا ، برغم كل مرارات الهزيمــة واحبـــاطات القهر ... » (الكتاب ص ٦٩ و ٧٠ و ٧١) .





توفيق الحكيم



نزار قباني

. وساكتفي بهذه الامثلة ، فما اكثرها الدالة على اساليب النقل والاقتباس والتحرير وانتزاع الكلمات والعبارات من سياقها في كتابي واعادة تضمينها في مقاله ، لانتقل الى نوع اخر من النقل اقترن فيه النقل باطلاق اراء واحكام مجحفة ومخطئة ، ولعل الغريب ان يصيب الخطأ في التعميم الاراء التي انفرد بها الكاتب ؟! كوضعه ، في مستهل مقاله ، للابداع الادبي العربي عن حرب اكتوبر بانه «لاشيء» ؟ ؟! (المجلة ص ٢٠) .

ومع أنه اعتمد في فقرات مقاله على المقتطفات والاستشهادات التي درستها في كتابي للقصائد الاخاذة البديعة التي ابدعها الشاعران الكبيران صلاح عبد الصبور واحمد عبد المعطي حجازي ، وهي : « رسالتان » للاول ، و « ثلاث أغنيات للوطن » و « أغنية لدمشق » للثاني. وقد ذكر الكاتب عناوين تلك القصائد فحسب ، الا انه هاجم الشاعر صلاح عبد الصبور بل وهاجم شعر أكتوبر كله مطلقا حكما معمما مجحفا بحق كل الشعراء ، زاعما بأن « الذين قالوا الشعر في حرب أكتوبر عموديا وحرا ، « أكثر من الهم على القلب » ويتفاوت ما قالوه بين التوسط والرداءة ولا أظن شيئا منه ثبت في ذاكرة أحد « المجلة ص ٢٦ » واكد انه « مع حرب أكتوبر كانت ساحة الشعر خالية من الشعراء الكبار في مصر ، ودعت مصر اخرهم برحيل محمود حسن اسماعيل ، وبقى عدد محدود من رجال الشعر الحر ، يغنـون لانفسهم ، ولمجموعة من « السميعة » حولهم .. » (ص ٢٤ ـ مجلة الهلال) وواصل الناقد الكبير اطلاق أحكامه المجحفة ، الناتجة من كراهيته للشعر الحديث عامة ولصلاح عبد الصبور بوجه خاص ، بقوله : « وقد ظل اصحاب الشعر الحر يهاجمون الشعر العربي الاصيل بأنه شعر مناسبات ، وانهم يربأون بانفسهم ان يكونوا كذلك ، فلما واجهوا النصر أسقط في أيديهم ـ وبخاصة ان الكبار منهم كانوا موظفين في الدولة ولهم طموحاتهم الادارية ، مثل هذا الصمت يؤخذ عليهم ، فحاولوا ان يقولوا شعرا ساقطا ... » ؟! (المجلة ص ٢٥) .

وعندما أراد الاستاذ الكبير الدكتور مكي ان يؤكد أهمية الشعر في المعارك والحروب انتقى ذات

أدب أكتوبر

عفوا يا دكتور مكي !!

كلماتي وضرب الامثلة بالشـــعراء الذين ذكرتهم في كتـــابي ، فكتب : « الشعر أول ما يتوقعـــه المرء من ادب المعركة • لانه انفعال فوري ، وبالغ التكثيف ، وولد مع المعارك ، يحث عليهـــا ، أو يعبر عمـــا حدث فيهـــا ، أو يتيه بانتصاراتها ، وله تقاليد راسخة في الادب العربي منذ حرب البسوس قبل ألف ونصف الف من الاعوام ، ومرورا بالصراع بين الفرس والعرب قديما ، وبمـــدائح المتنبي لسيف الدولة في صراعه مع الدولة البيزنطية أو أبي تمام في فتح عمورية •• » (المجلة ص ٢٥) •

وجاء في كتابي : « فقد أنضجت حرب البسوس العربية ، التي وقعت بين أواخر القرن الخامس الميلادي وأوائل القرن السادس بين قبيلتي بكر وتغلب واستمرت نحو اربعين سنة ، الشعر الجـــاهلي وحققت للقصيدة العربية صورتها الفنيـــة المعروفة ، كما ظهرت في قصـــائد المهلهل بن ربيعة فارس تلك الحرب وشاعرها الاول ، وأبدعت حـــروب العرب في الجاهلية « أيام العرب » ، ذلك الادب النثري الـــذي نتج من وصف المعارك ورواية أحداثهـــا ، وخلـــد أبو تمام فتح عمـــورية ، وصاحبت قصائد المتنبي حروب سيف الدولة بتصويرها بطولات الحـــروب ووقائع المعـــارك ، وتقديم النمـــاذج البطولية التي حركت الناس ودفعتهم للمشاركة في تلك الحروب ، وشجعت سيف الدولة على المضي في طـــريق حروبه التحريرية ضـــد الروم » • (الكتاب ص ٦) •

وعنـــدما جاء دور الحديث عن الرواية وحـــرب أكتـــوبر ، اكتفى الدكتور مكي بنقـــل بعض ما جاء بمقـــدمتي عن رواية اســـماعيل ولي الدين « أيام من أكتوبر » ، وانكر وجود روايات مصرية اخـــرى ؟! • رغم ذكري لهـــا وكتابتي عنهـــا واشادتي بها ، وهي روايات مشهورة طبعت في عدة طبعات وتحول بعضها الى أعمـــال دراميـــة في الاذاعة والتليفزيون والبعض الاخر منها في طريقه للسينما ، وأيضا هناك الكثير من الروايات المصرية الصادرة عن حرب أكتوبر بعد صدور كتابي (سنة ١٩٨٢) • فكتب الباحث الكبير ، في مقاله : « وقد تأخرت الرواية وربما لم يحاولها أحد حتى اليوم ،مع انها النوع الادبي الاكبر اتساعا ، وتصور مجتمعا وجموعا ، وتستوعب أزمنة عديدة ، ماضية وحـــاضرة وقابلة ، وهي القادرة على تخليـــد نضـــال الشعوب بكل تفاصيله وتحتاج الى وقت أطول وتأمل أعمق وقدرة على الامساك ببؤرة الاحداث الاساسية • ومع ذلك ظلت ابعد الانواع الادبية عن حرب اكتوبر ولو ان بعض الكتاب العرب خارج مصر حاولها ، ولكن ما كتبـــوه تغلب الحماسة فيـــه على الفن » (المجلة ص ٢٨) •

وكتبت ، في كتابي : « الرواية هي أكبر الفنون الادبية عمقا واتساعا ، لان معمارها الفني الكبير يشـــمل اساليب التعبير الشعرية والقصصية والدرامية ويتعـــداها الى تصـــوير المجتمعات والجمـــوع ، واستيعاب الازمنة والتنبؤ باتجـــاهات المستقبل والتعجيل بها • لهذا خلدت الرواية العالمية نضـــال الشعوب والجماعات والافراد في الحروب الكبرى وحروب التحرير الانسانية •• » (الكتـــاب ص ٩٢) وأضفت : « •• فقد انتصر

التعبير الادبى والفنى على ما يمكن تسميته بفنون اللحظة الحماسية من اللوحة التشكيلية الى اللوحة الادبية والقصة القصيرة والقصيدة الشعرية. أما الفنون المركبة ، كالرواية ، والمسرحية ، التى تتطلب الكثير من الوقت والفكر والفن لبنائها وتركيبها .. فانها ظلت بعيدة عن حرب اكتوبر ... » (الكتاب ص ٩٣) .

وعندما جاء دور المسرح ، اكتفى الاستاذ الكبير بنقل عناوين ما ذكرته ودرسته من مسرحيات مسرحية فى الفصل المعنون بـ « حرب اكتوبر فى المسرح المصرى » ، رغم وجود عشرات المسرحيات المصرية والعربية الصادرة قبل وبعد صدور كتابى ، فكتب د. مكى : « والاشياء القليلة التى كتبت فى المسرح ، وهى فيما اعرف : مسرحية « عملية نوح » لعلى سالم (١٩٧٤) ، و « رسول من قرية تميره للاستفهام عن مسالة الحرب والسلام » لمحمود دياب (١٩٧٥) و « العبور » لفؤاد دواره (١٩٧٦) » (المجلة ص ٢٨) .

وجاء في كتابى : « الان ، وقد مرت ثمانية اعوام على انتهاء معارك حرب اكتوبر ، يحق لنا ان نتساءل ، اين مسرح اكتوبر ، وكيف انعكست حرب اكتوبر فى المسرح المصرى ؟. هذا ما تحاول هذه الدراسة ان تجيب عنه بمتابعتها لثلاثة نماذج من مسرحيات اكتوبر فى المسرح المصرى، الذى تصدر الانتاج العربى ، كما وكيفا فى التعبير عن حرب اكتوبر . المسرحيات الثلاث هى : « عملية نوح » لعلى سالم (١٩٧٤) ، « رسول من قرية تميرة للاستفهام عن مسالة الحرب والسلام » لمحمود دياب (١٩٧٥) ، و « العبور » لفؤاد دواره (١٩٧٦) » (الكتاب — ص ١٤٤) .

كما أن انتزاع الدكتور مكى لكلماتى من سياقها اوقعه فى العديد من الاخطاء والاراء المجحفة ، كما فعل فى القصة القصيرة عندما نقل كلماتى عن مجموعة عبد الفتاح رزق « قصص الدم والرصاص » وعممها على القصة القصيرة كلها ، كما فعل من قبل فى نقله لمقدمة كلماتى عن رواية اسماعيل ولى الدين وعممها على الرواية ، وذلك بالرغم من ان القصة القصيرة كلها تمثل أعظم إبداعات حرب اكتوبر الادبية مصريا وعربيا . كما اوضحت فى الفصل الخاص بالقصة القصيرة وحرب اكتوبر ، من كتابى ، فكتب الاستاذ الكبير : « لم يكتب نجيب محفوظ ولا يحيى حقى ولا يوسف ادريس ولا يوسف جوهر ، وهم اعمدة القصة الجديرون بالتقدير قصصا ابداعية عن حرب اكتوبر ، والذين عالجوا العبور فى هذا النوع الادبى كتاب من الدرجة الثانية ، وابداعهم فيها ادنى درجة مما كتبوه قبلها أو بعدها، فى غيرها ، اذ يغلب عليه اجمالا طابع الاستطلاع الصحفى ، أو الخطابة الحماسية ، ويغلب على تصوير الشخوص اللون الواحد ، فكل جنودنا شجعان ابطال لا يهابون الموت ، يقدمون على الحرب مبتهجين ، وليس فى حركتهم نبض انسانى واقعى ، فلا تردد امام الخطر .. ولا حنين الى الاهل ، وكل جنود العدو جبناء وضعفاء ، ولو كان ذلك حقا لفقدت روعة العبور كل أسباب وجودها ، ونحن معها بازاء قصص يفتقد اسس الفن القصصى ، ويتسم بالسطحية المفرطة ، والمباشرة الصارخة » (المجلة ص ٢٨) .

وهذه هى كلمات كتابى : « وتبرز ملاحظتان حول قصص اكتوبر العربية القصيرة ، الاولى هى أن غالبية الكتاب من الاجيال الاولى لم يكتبوا

عفواً يادكتور مكي!!

رؤيتهم القصصية لحــــرب اكتوبر والمنطلقة من وحيها ، والثــانية ان الكثير من القصص القصــيرة التى كتبت عن حرب اكتوبر ، ومعظمها لم نتعرض لها فى هذه الدراسة ، تبدو قد وقعت تحت تأثير الانفعال والمواكبة السريعة ·· » (الكتــاب ص ٥٨) وقلت ايضا : « هذه الاسس الفنية لفن القصة القصيرة ، نفتقدها فى كثير من قصص اكتــوبر العربيـــة القصيرة ، لان الحماسة طغت عليها فأربكت فنية القصة القصيرة وطولتها الى تحقيقات صحفية تغص بالوصف السطحى الخارجى والعبارات الخطابية الصارخة وأسلوب التقارير المباشر · وتمثل كل هذا بأوضح صــورة فى مجموعة عبد الفتاح رزق « قصص الدم والرصاص » ·· لان المجموعة كلها مكتوبة ، بقلم مراسل حــربى يجرى التحقيق الصحفى حول وقائع العبور المعروفة للجميع ، والتى تنتظر الفنان والاديب لينفذ الى ما تحت السطح الخارجى للناس والاشــياء ويتعمقها ويصور الحرب من خلال لحظات خاصة وشخصيات متميزة ، ولكن الحماسة والمباشرة تغلبتا على الفن فالكاتب كثيرا ما يتحدث حديثا مباشرا عن رحلته الى سيناء او يدير بعض الاحاديث الصحفية مع بعض الجنود المقاتلين · أو يسب العــدو ويتهمه بالجبن ، فكل الجنود الاعداء جبناء وضعفاء ، وكل جنودنا أبطال وشجعان ، وهكذا بسذاجة شــديدة ينقسم كل شىء الى أبيض وأسود · وكأن جنودنا حرروا ســيناء بدون مقاومة وفى رحلة عبور سهلة · فما ان يظهر جنودنا حتى يفر جنــود العدو · هكذا رفع جنودنا علمنـــا ببساطة وسهولة كما يقرر عبدالفتاح رزق ·· » (الكتاب ص ٤٦ و ٤٧)·

أما ما كتبه الدكتور الطاهر احمد مكى عن قصة ابراهيم عبد المجيــد « تعليقــات من الحـــرب » فهو : « ·· القليل جدا ، من بين هـــذه القصص له أهمية فنية ، وربما كانت قصة ابراهيم عبد المجيد « تعليقات من الحرب » تمثل خير تمثيل هـذا القليل الجيد ، فهو يلتزم البناء الفنى بدقة ، ويقول ما يود دون خطــابية أو مباشرة ، مستخدما تيار الوعى بطبقاته المتعددة استخداما جيـــدا ، ومن استطاع ان يجمع فى حيــاة شخصيتها بين رؤية النكسة ونتائجها واحداث العبور وروعتها » (المجلة ص ٢٨) ·

وكتبت فى الكتــاب : « القصة التــالية ، من قصص حرب اكتوبر القصيرة ، كتبها ابراهيم عبد المجيد بعنوان « تعليقات من الحرب » ·· وهى قصة تقـــول ما تريده دون خطابية أو مباشرة ، وتعتمد على عدة اساليب فنه من المونولوج الداخلى الى تيار الوعى الى التعبير بالصور الى الحوار القصير والرمز · فتنتقل القصة مع بطلها من رؤية النكسة القاتمة وتداعياتها الى احداث العبور واعمال الفــداء فى حرب اكتوبر » (الكتاب ص ٥٥) ·

وبعد ، هذا قليل من كثير مما نقله الدكتور الطاهر أحمد مكى فى مقاله « حرب اكتوبر فى الادب العربى » من كلمات كتابى « حرب اكتوبر فى الادب العربى الحديث » ، ومن عباراتى وارائى ومصادرى ومراجعى الواردة فى الكتاب · واللهم انى بلغت ، اللهم فاشهد · وعفوا يا دكتور مكى ؟!

تعقيب

باختصار شديد:

يقلم: د. الطاهر أحمد مكى

١ - ادع للكاتب قوله ان كتابة جهد سنوات فى جمع النصوص العربيةودراستها .. ونتيجة مجسدة لدراسة حرب اكتوبر على ارض المعارك بتنقلاته واسفاره فى الجبهتين المصرية والسورية وثمرة متابعة اعلامية دقيقة لكل مانشر واذيع عربيا واسرائيليا وعالميا .

ويلاحظ ان هذا الجهد لم يجد أحدا يقدره الا سلسلة « اقرأ » الشعبية ، وبعد عشر سنوات من انتهاء الحرب ، وحين هبط مستوى السلسلة الى الحضيض ، فلم يعد يقبل عليها أحد ، وأصبحت تباع فى المعرض بنصف ثمنها .

ظلم عظيم ، فى عصر لا يقدر عظماء الكتاب !

بالمناسبة : انت كنت تتابع ماينشر عربيا باللغة العربية طبعا ، فهل كنت تعرف العبرية لتتابعه اسرائيليا ؟ . وماذا تعرف من اللغات الاجنبية لتتابعه عالميا .

مجرد ملاحظة !

٢ - يقول السيد احمد اننى نقلت النصوص التى استشهدت بها فى مقالى من كتابه اسمع يا مولانا :

● كلمة توفيق الحكيم (وهى ليست مقالة وانما خاطرة) نشرها فى الاهرام فى اليوم التالى للعبور ، وكنت يومها أعى واقرأ ، ونصها موجود فى كتاب « أدب الحرب » للدكتورة طلعت الرفاعى وحنا مينا ، والكتاب عندى فى مكتبتى ، يا من تابعت ما نشر عن الحرب متابعة اعلامية دقيقة عربيا واسرائيليا وعالميا وأنا لم اضف ، وانما علقت ، الا تفرق بين الاضافة والتعليق ؟ .

● النصوص الخاصة بنزار قبانى لا تمثل شيئا بسيطا للغاية مما تحت يدى ، لأن الباحث عبد الرحمن

النصيرى يعد منذ سنوات رسالة ماجستير عن «نزار قباني شاعرا سياسيا» ولدينا كل ما كتبه نزار في مجلات : البلاغ والاسبوع العربي والحوادث والمستقبل ، وما لم نجده أرسل لنا الشاعر صورة ، مما يكون « ارشيفا » كاملا ، بالغ الأهمية ، ومعظم ما كتبه نزار عن الحرب نثرا أو شعرا لا يصلح للنشر ، ولو اقتباسا ، فى مجلة لا أدير انا سياستها ، ولا تستطيع ان تنشر انت منها حرفا بتوقيعك ، والا رفتوك من وظيفتك • هل تعرف شيئا عن قصائد: « مرسوم باقالة خالد بن الوليد » ، و « اليوميات السرية لبهية المصرية » و ... وغيرها كثير ! •

● لست فى حاجة لأن أنقل النصوص الخاصة بصلاح عبد الصبور أو مهران السيد من أى كتاب اخر ، لأن الديوانين عندى ، فى مكتبتى ، هدية بتوقيع الشاعرين •

وتوجد اشارة اليهما أيضا فى كتاب « أثر اكتوبر فى الشعر المصرى » ، للأستاذ ابراهيم سعفان وصدر عن الهيئة العامة للكتاب فى اكتوبر ١٩٨٦ •

● الفقرات الخاصة بالصلة بين الشعر والقصة ، هى فى كتابى « القصة القصيرة » تفصيلا ، وصدرت طبعته الاولى عام ١٩٧٧ ، وتصدر طبعته الخامسة بعد أيام ، وفيه حديث عن الفارق بين القصة والرواية ودورهما•

٣ ـ يقول السيد احمد اننى نقلت عنه القولبأن « الشعرله تقاليدراسخة منذ حرب البسوس » ، وهو يجهل أن لى كتابا عن « امرىء القيس » ، طبعته الخامسة فى المكتبات ، وفيه الكثير مما يتصل بالشعر الجاهلى ، فلست بحاجة لأن أنقل عنه هذه المعلومة التى يدرسها تلاميذ المدارس الثانوية فى السنة الاولى •

والشىء نفسه يمكن ان يقال عن طبيعة الشعر الغنائى فقد درستها فى الفصل الخاصبطبيعة الابداع الشعرى وفوريته ، فى كتاب الشعر العربى المعاصر ، روائعه ومدخل الى قراءته،

وطبعته الرابعة على وشك الصدور وبالمناسبة فيه فقرة عن شعر « ما تحت الارض » ، تتصل بالحرب، وليس مكانها مجلة الهلال ، فلم أشر اليها •

٤ ـ قصة ابراهيم عبد المجيد التى يتحدى بها ، نصها تحت يدى ، لأن كتاب « القصة القصيرة : جيل السبعينيات » يتضمنها وسوف يصدر قريبا ، وسبق أن نشرها صاحبها فى مجلة سورية •

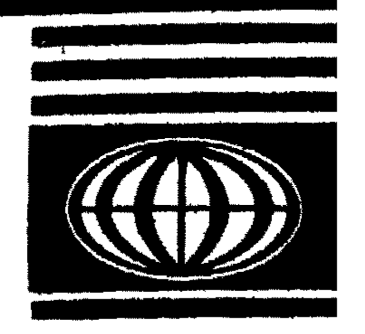
واخيرا يتحدث السيد احمد عن المصادر والمراجع ، والصفحة وتاريخ النشر ، ومكانه ، ويبدو انه لا يفرق بين المقال والبحث والدراسة ، ولا يعرف أن الاول منها يحمل رأيا ذاتيا ، فى ظل مساحة محدودة ، ولقارىء معين ، وغاية تثقيفية بحتة•

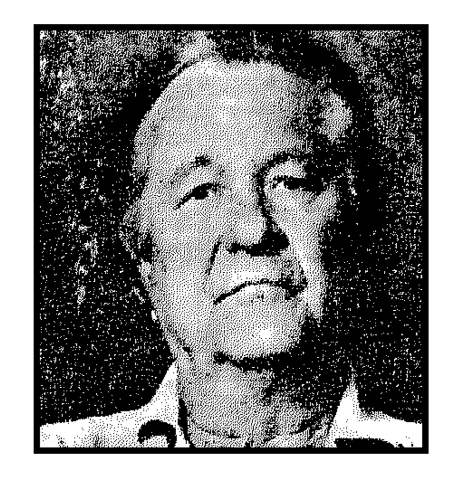
أما اختلافه معى فى الرأى فهو حر بداهة ، وله أن يعتقد ما شاء •

وتبقى كلمة انها المرة الاولى التى يرن فيها اسم السيد / احمد عطية محمد فى أذنى ، ولو كنت اعرف ان له كتابا فى موضوع المقال ، لبحثت عنه ، مهما تكن قيمته ، ولافدت منه ان كان فيه ما يفيد ، لان الحكمة ضالة المؤمن يلتمسها ان وجدها ، وأتمنى عليه شاكرا ومقدرا أن يدلنى على أسماء مؤلفاته ، فسوف أسعى بنفسى للحصول عليها •

وشيئا من التواضع يا مولانا !

العالم في سطور





ويليام ستايرون

واشنطن

● عندما يكون الرئيس مفكرا ●

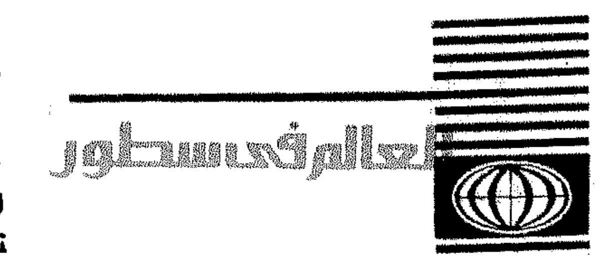
أثار الحديث الذى أجرته احدى المجلات مع الكاتب الامريكى ويليام ستايرون جدلا شديدا حيث راح يتحدث ـ كعادته فى الفترة الاخيرة ـ عن السياسة والسياسيين • وبمناسبة انتخابات الرئاسة الامريكية قال ستايرون : « يجب أن يكون رئيس الدولة جادا فيما يتعلق بالمسائل الاجتماعية لبلده • والا يتجاهل التعرض لها • وقد حدث هذا طوال سنوات حكم ريجان • لذا يجب اعادة التدخل لاعادة توزيع الثروات الهائلة التى نمتلكها » •

وردا على سؤال حول مدى امكانية أن يكون الرئيس مفكرا ، رد : « مثل ميتران • لا اعتقد هذا كثيرا • فدوكاكيس ليس مفكرا • وكذلك بوش • ولكن يجب أن يكون ذا علاقة بالثقافة والفكر ، ورؤية النظر الانسانية ليصبح رئيسا عملاقا • مثلما حدث مع توماس جيفرسون ومنذ أن مات لم نر رئيسا مثله • فقد كان الفكر فى وجدانه بمثابة فضيلة واجبة للرئيس » •

ويقول ستايرون أن الانتخابات الاخيرة اكدت ان اكثر المفكرين اللامعين فى أمريكا لم يفكروا أبدا فى التقدم للترشيح لمنصب الرئيس • لانهم يرون أن السياسة ليست سوى ديكور خارجى • رأنها بمثابة غابة ، وعالم من المؤامرات والتملق • ولا تصنع أبدا من أجل الجنتلمان •

وعن علاقته بالسياسة أكد ستايرون أنه يحبها ، اما اغلب الكتاب الامريكيين فانهم لا يبالون بها كثيرا مثلما يحدث فى فرنسا • مما يفسر أن الكتاب الامريكيين قد تخلوا عن فكرة حماية أنفسهم وعلى سبيل المثال موقفهم لثمانى سنوات من حرب نيكاراجوا الصغيرة •

ومن المعروف ان ويليام ستايرون قد أصبح شخصية أمريكية شعبية فى السنوات الاخيرة عقب نجاح روايته « اختيار صوفى » المنشورة عام ١٩٧٩ •• وهو حول معسكرات التعذيب النازية • ومن أشهر أقواله ان الثقافة الامريكية يهودية بشكل أو بآخر ••



شيكاغو

● ماذا بعد حنا .. ك ●

« يد الشيطان اليمني » .
عنوان أحدث أفلام المخرج المعروف كوستاجافراس . وهو فيلمه الاول بعد توقف عن الاخراج استمر ست سنوات عقب فيلمه « حنا .. ك » .
اختار جافراس ألا يبتعد كثيرا عن الموضوعات السياسية الساخنة التي دأب على اخراجها . من خلال يهودي امريكي يعيش على هامش المجتمع ، ولكنه يعكس صراعا سياسيا حول مدى ما تشكله النازية الجديدة من خطورة على المجتمع الامريكي والاوربي والمعاصر ..

فجاري سيمونز (يجسد الدور توم برنجر) مزارع أرمل يعيش مع ولديه الصغيرين الى أن تدخل حياته امرأة من المباحث الفيدرالية تدعى كاثي ويفر (جسدت الدور ديبراونجر) والتي تردد دائما « « اشعر انني قذرة » . وذلك من خلال طبيعتها الوظيفية التي علمتها ان تحتك بالزنوج واليهود والمشبوهين . فيرد عليها جاري : « لا تهتمي . فسوف تعتادين » . هناك عملية عليها أن تشارك فيها ضد ما أسماه الفيلم بحكومة الاحتلال الصهيوني وسط عمليات عديدة مشبوهة حول تجارة الاسلحة . ومعسكرات الاعتقال . ويقول جافراس حول بطله جاري انه ليس متوحشا ولا مصابا بالفصام . ولكنه يحلم بسمات انسانية معينة . وبلغة اجتماعية . وكأنه زميل (لوبان) .

من المعروف أن لوبان — المرشح السابق لرئاسة الجمهورية الفرنسية — قد وضع في برنامجه الانتخابي طرد العرب من فرنسا .. أما جافراس فقد قام بتمويل بعض الافلام التي يخرجها عرب في فرنسا مثل « الشاي في حريم ارشميدس » و « الانسة مني » لمهدي شرف .

يد الشيطان اليمني



باريس

● القانون الخاص لنجيب محفوظ ●

« حكايات حارتنا » ..
أول كتاب لنجيب محفوظ تم نشره الى اللغة الفرنسية عقب حصوله على جائزة نوبل . فبينما كانت اكاديمسية

ستوكهولم تعلن اسم الكاتب العربى كصاحب جائزتها لهذا العام . فان مطابع دار سندباد بباريس كانت تقوم بالرتوش الاخيرة لاعداد الكتاب وتجهيزه للمعرض .

وقد جاء فى جريدة ليبراسيون ان « سندباد » لم تكن بالدار الفرنسية الوحيدة التى عكفت على نشر اعمال نجيب محفوظ . فهناك دار نشر لاتيس وبورين . وقد ترجم محفوظ لاول مرة عام ١٩٦٩ من خلال روايته « زقاق المدق » . ومع ذلك فان القارىء الفرنسى لم ينتبه الى اهميته لدرجة أن أحد مقدمى البرامج الثقافية فى التلفاز الفرنسى قد سأل أحد النقاد عن نجيب محفوظ يوم حصوله على الجائزة فقال له : كل ما اعرفه عنه لا يزيد عن معرفتك به ..

وقد أشارت الجريدة ان مكانة نجيب محفوظ فى الادب العربى تشابه مكانة مارسيل باثيول فى الادب الفرنسى الحديث . وباثيول هو صاحب كل من « طوباز » و « فانى » وهى أعمال وجدت طريقها الى الاقتباس فى المسرح والسينما بمصر . لكن باثيول لم يكتب الرواية قط . وكانت شخصياته من التسطيح ما جعل مقارنتها بعالم نجيب محفوظ أمرا محالا ..

يقول فيليب جارونيل ان نصوص مجموعة « حكايات حارتنا » تكشف للقارىء مسألة الوعى بالشر . والنماذج البشرية السلبية التى تعيش على هامش المجتمع . وقد تميز بأن الكاتب يصنع لهذه النماذج قانونه الخاص ..



نيويورك

• مؤامرة سقراط ضد الديمقراطية •

سقراط التاريخى شخص مميز شأنه فى ذلك شأن شخص المسيح .

فهو قد خرج من الدنيا مثل المسيح دون أن يترك كتابات تدل على تعاليمه . وباستثناء « اريستوفان » مؤلف مسرحيات الملهاة فلا أحد من معاصريه وصف ما كان يعمل ويقول الا اثنان احدهما افلاطون الذى كان يكرس معظم وقته لا لشىء سوى نفسه وما تفكر .



العالم في سطور

أما الاخر « فاكسنفون » الذى لم يكن الفيلسوف « برتراند راسل » يكن لطاقاته الفكرية من التقدير الشيء الكثير ٠

ومع ذلك ، فما أكثر الذى كتب عن سقراط ، وعن ارائه الفلسفية ، وعن محاكمته بتهمة الافساد التى انتهت بخروجه من الدنيا منتحرا بالسم ٠

وهاهوذا كتاب أخير « محاكمة سقراط » للصحفى الامريكى الشهير « أ٠ ف٠ ستون » يقول فيه ان سقراط كان يمقت الديموقراطية وحرية القول وانه من فرط مقته لهما قد خطط لموته حتى يشوه سمعتهما فى نظر المواطنين الاثينيين ٠

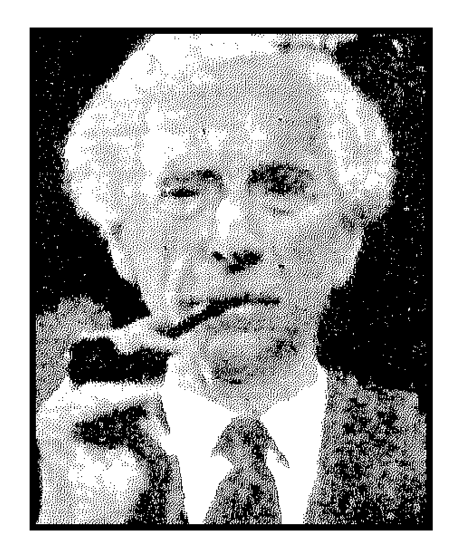
فجوهر تعاليم « سقراط » ـ حسب ادلة « ستون » ـ هو العداء لفكرة الحكم بواسطة الجماهير أو الدهماء ٠

فسقراط وفق مفاهيم السياسة فى أيامه لم يكن من المنتمين الى القلة المستأثرة (الاوليجاركية) ولا الى المؤمنين بالديموقراطية ٠

وانما كان يصيخ السمع الى صوت القديم متمثلا فى الدعوة الى اعادة احياء الحكم الملكى أو حكم الشخص العالم ببواطن الامور ٠

وعلى مر سنين كثيرة ، كان ينظر الى افكار سقراط باعتبارها مادة مناسبة للتندر بالشعر ٠

غير انه خلال سنة ٤١١ قبل الميلاد، ومرة أخرى بعد ذلك بسبع سنوات ، اطيح بالديموقراطية فى اثينا بواسطة عناصر منشقة تآمرت مع العدو اللدود فى اسبرطة ٠



برتراند راسل

وسقراط ، ولئن لم يكن أحد دعاة الاطاحة بالديموقراطية ، الا ان نفرا من تلامذته قد تورط فى المؤامرة ٠

وهكذا بدأت افكاره تبدو للمناصرين للديموقراطية أقل هزلا ٠ واكثر خطرا٠

وعند « ستون » ان تلك الخلفية هى التى وراء احالة سقراط الى المحاكمة٠

فهو فى نظر صاحب الكتاب لم يحاكم ويدان عن تعاليمه الفلسفية واللاهوتية، وانما عن تعاليمه السياسية ٠

وهنا يزعم « ستون » ان « سقراط » لو اراد البراءة لتحقق له ذلك فيما لو استند فى دفاعه الى الحريات المدنية التى تخوله حق قول ما يشاء٠

وهذا ما امتنع سقراط عن فعله ، وذلك لانه لو لم يتصرف على هذا الوجه ، لما كان ثمة مناص من ان يستند للنجاة بالحياة الى نفس المبادىء التى كان يحمل لها مقتا شديدا ٠

والظاهر انه كان فى أشد احتياج للخروج من الدنيا بالسم ، مثلما كان المسيح محتاجا للخروج منها بالصلب ، وذلك حتى تنتهى الرسالة الى غايتها ، وهى الذيوع والانتشار٠

الكتب الشرقية أكثر انتشاراً في الغرب

ليون الأفريقي

بقلم : د. سيزا قاسم

اود ان اسجل بعض الانطباعات التى تركتها فى نفسى قراءة رواية تحقق الان نجاحا جماهيريا كبيرا فى فرنسا ، وهى رواية ليون الافريقى ، او كما يقولون JEUNE AFRIQUE اريد ان اشكر الصديق الذى أعارنى اياها ، ووضعنى فى اطار ((قرائى)) ومزاجى هيأنى لاستمتع بقراءتها استمتاعا عميقا ، وذلك عندما قال لى : ((يمكن قراءة هذه الرواية على عدة مستويات فى ان واحد مستوى المغامرات ، مستوى طرافة الشخصيات وما تأتى به من نوادر ، مستوى الاحداث التاريخية ، مستوى التقاء الحضارات وتفاعلها)) . والحقيقة تقال ، فلم يتح لى منذ زمن بعيد ان استغرق فى قراءة رواية مثلما استغرقت فى قراءة هذه الرواية ، فهى من النوع الذى لايستطيع القارىء ان يضعها جانبا قبل ان ينتهى منها ، ويشعر انه يريد المزيد .

● والغريب ان صاحب هذا « البست سيللر » ، امين معلوف ، الذى يكتب بالفرنسية ، لبنانى يعيش فى باريس منذ سنة ١٩٧٦ ، يعمل فى الصحافة ، وقد شغل لفترة من الزمن رئاسة تحرير مجلة افريقيا الفتاة ، JEUNE AFRIQUER وأمين معلوف يهتم بصفة خاصة بالعلاقات بين الشرق والغرب على مر العصور ، فله مؤلف صدر عن دار لاتيس سنة ١٩٨٣ وترجم الى عدد من اللغات بعنوان الحروب الصليبية من منظور العرب يعتمد فيه على عدد من المراجع العربية ـ بطبيعة الحال يوحنا ليون دى ميتشى الذى طهره الاثير ، وابن جبير ، وابن القلنيسى ،



وابن الاثير ، بالاضافة الى المراجع « الافرنجية » و غني عن الذكـر ان تناول مثل هذه الفترة يضع الحضارتين المغربية والعربية وجها لوجه بكل دوافعهما ومحركاتهما ، بكل مصالحهما وصياغة قيمهما • غير ان كتاب الحروب الصليبية كتاب تاريخي بالمعنى الضيق للكلمة ، اى انه يوثق كل حادثة ويرجعها الى المصادر التاريخية المسجلة ، اما كتاب LEon AFRicain فرواية أى أن الكاتب يطلق خياله فى نسج الاحداث والشخصيات رغم الاعتماد على هيكل تاريخي معروف وموثق •

اختار امين معلوف بطلا لروايته شخصية عربية تاريخية مشهورة هى الحسن بن محمد الوزان الزياتي الغرناطي الفاسي • ولد الحسن سنة ١٤٨٥ م بغرناطة وتوفى سنة ١٥٥٤ م بفاس والحسن من الشخصيات المثيرة فى تاريخ الاسلام ، والمسيحية على السواء ، فيقول عن نفسه :

من بيتها مؤلفات ابن الجوزي ، وابن

« انا حسن بن محمد الوزان ، حلاق وعمده بابا • يسمونني الافريقي ولكنى لست من افريقيا ولا اوروبا ولا الجزيرة العربية • يسمونني الغرناطي والفاسي والزياتي ولكني لست اتيا من بلد او مدينة او قبيلة انا ابن السبيل، وطنى هو القافلة وحياتي من اغرب الرحلات ••• عرف رسغي ملمس الحرير وخشونة الصوف ، ذهب الامراء وقيود العبودية • كشفت اصابعي الف ستر ، واخجلت شفتاى الف عذراء ، ورأت عيناى احتضار المدن وانهيار الممالك ستسمع من فمي العربية والتركية والقشطالية والبربرية والعبرية واللاتينية والايطالية حيث امتلك كل اللغات واعتنق كل الصلوات، ولكنى لا انتمى الى اى منها • انا ملك الله والارض واليهما اعود فى يوم من الايام »

● بين التاريخ والتخيل

ومن الواضح ان اختيار مثل هذه الحقبة التى تضع حضارتين وجها لوجه بكل دوافعهما وقيمهما ، وعلى مختلف المستويات كان احد اسباب نجاح الرواية • وقد اتاحت الرواية للكاتب حرية ان يجمع بين التاريخ والتخيل • فالاسد الافريقي شخصية من تلك الشخصيات « الجسور » التى تربط بين الحضارات • وكيف يمكن الربط بين المساحات الجغرافية والحضارية المختلفة الا من خلال شخصية ترحل - وتقيم - وتتنقل من مكان الى آخر حاملة معها اللقاح مثل الطيور المهاجرة ؟ هذا ما فطن اليه امين معلوف ، ووظفه فى روايته التى قسمها الى كتب مستقلة حمل كل منها اسم مدينة :

١ - كتاب غرناطة (٥ - ١٢ - ١٤٨٨م
١ - ١٠ - ١٤٩٤ م)
٢ - كتاب فاس (٢ - ١٠ - ١٤٩٤م
٨ - ٣ - ١٥١٣ م)
٣ - كتاب القاهرة (٩ - ٣ - ١٥١٣م
٢ - ١ - ١٥١٩)
٤ - كتاب روما (٣ - ١ - ١٥١٩م
٢٦ - ٩ - ١٥٧٢ م)

المكان بطبيعته ساكن لا يتحرك الا من خلال انتقال البشر ، ولا يتغير الا بفعل الزمن والزمن فى هذه الرواية زمن تاريخي وليس زمنا « طبيعيا » اذ ان التغير الذى اجتاح المكان كان تغيرا جذريا حول وجه المنطقة والتاريخ : سقوط الاندلس ونشوء دولة الملوك الكاثوليك بصعود فرديناند وايزابللا، انشقاق الكنيسة البروتستنتية وصعود



امين معلوف

نجم شارل الخامس كارلوس كينتوس
تفتت المغرب العربى ، قيام العثمانيين

يعيش الحسن هذه الفترة شاهدا ومشاركا : ففى كل بلد يدخله ينجرف فى مسار الاحداث ، ويوضع فى بوتقة القدر الذى يعقد مصائر الممالك والافراد ويحلها : فكان الحسن هناك عندما سقطت غرناطة فنزح مع النازحين » وكان هناك عندما شنق طومان باى ، وكان هناك عندما سقطت روما واقتحمت جيوش شارل الخامس اسوار قلعة سانت – انج مقر البابوية ويمكن ان نقسم حياة الحسن الى قسمين : القسم الشرقى والقسم المغربى . عاش الحسن السنوات الاولى من طفولته وشبابه متنقلا بين الاندلس ، والمغرب العربى ، ومصر وتركيا ، ثم بعد ان اختطفه بعض القراصنة الايطاليين واهدوه للبابا جان ليون دى ميديتشى وعاش فى بلاط البابا حتى استطاع ان يعود الى دار الاسلام ، الى دينه والى جذوره .

يصعب ان اتابع مع القارىء الاحداث المثيرة التى تكون نسيج هذه الرواية الشيقة ولكن الذى اثر فى اكثر من اى شىء اخر هو الموازاة التى يعقدها الكاتب بين الحضارتين الشرقية والمغربية . يقدم امين معلوف العالم العربى الاسلامى فى العصور الوسيطة تقديما يبرز روح المرونة والسلام الاجتماعى ، فكان المسيحيون واليهود والمسلمون يعيشون فى وئام وتصالح قبل سقوط غرناطة واجتياح حملات محاكم التفتيش المجتمع الاندلسى ونزح كثير من اليهود مع النازحين الى المغرب هربا من البطش والتنكيل . وقد نجح الكاتب فى نقل هذه القيم من خلال علاقات الشخصيات بعضها بالبعض الاخر . هذا الى جانب تقديم المرأة العربية لا على انها جارية او غانية مستسلمة لمصيرها ولكن انسان يساهم فى تشكيل مسار حياتها وحياة مجتمعها . لا يحاول امين معلوف ان يقدم صورة وردية للمجتمع العربى فى العصور الوسيطة ، فحياة البشر فى هذه الحقبة كانت قاسية يتعرضون لكثير من الاهوال الطبيعية (الامراض والاوبئة مثل الجذام والطاعون) والسياسية (السجن والتنكيل وبطش الحاكم واستغلال العمال) والاجتماعية (ففى مثل هذه الفترات الانتقالية تسود الفوضى ويستشرى الفساد ، اكثر من غيرها ، ويعم تعرض الفرد للنهب والسرقة والاغتيال) . وكذا يفعل امين معلوف بالنسبة للمجتمع الاوروبى فى الفترة نفسها ، وهو يفسح دائما المجال للمقارنة (هارون الرشيد والبابا جان ليون دى ميديتشى) . فالتشابهات والاختلافات من شأنها ان توضح الصورة اكثر مما يوضحها غيرها من اساليب العرض .

وختاما احاول الرد على سؤال طرحته مجلة اليوم السابع معلقة على نجاح الرواية الجديدة لامين معلوف

ليون الافريقي

اللبناني سمرقند التي باعت نحو ٢٠٠ الف نسخة حتى الان مع انه لم يمض على نزولها الى الاسواق اكثر من ثلاثة اشهر ، بالاضافة الى نجاح روايتين اخريين هما الليلة المقدسة للطاهر بن جلون المغربى ومن طرف اميرة ميتة لكنيزه مراد التركية · تقول اليوم السابع :

« لماذا فى هذا الزمن تكثر فيه العنصرية ضد كل ما هو عربى ومسلم يقبل القراء الفرنسيون ـ وليس قراء النخبة وحدهم بالطبع على قراءة كتب شرقية عربية واسلامية من هذا النوع ؟

ان السؤال وجيه والاجابة ليست ميسرة ، ولا نستطيع ان نصدق ان الجمهور الفرنسى اصبح متعاطفا مع العرب وعاشقا لهم ، ثم ان الصورة التى تنبعث من هذه الروايات لا تطابق صورة الشرق السحرية الحالمة الشبقية التى كانت تنبعث من روايات الشرق باقلام كتاب فرنسيين فى القرن التاسع عشر ؟ بالنسبة لامين معلوف قد يفسر اقبال القراء على رواياته مجموعة من الاسباب ومن بينها انه قاص عبقرى يستحوذ على وجدان القارىء استحواذا مطلقا ويجيد كتابة الفرنسية اجادة فنية فائقة ، وانه بحسه الفنى عرف كيف يستثمر التراث العربى الاسلامى ويختار من كنوزه ما يصلح لتوصيل الرسالة التى يؤمن بها ، وقد يكون سبب آخر هو احياء ملكة التخييل التى جف معينها فى الادب الغربى ، فلقيت آداب امريكا الجنوبية فى ترجماتها الى الانجليزية والفرنسية ، والهنود او الباكستانيون الذين يكتبون بالانجليزية ، او الاستراليون ، كل هذه الروايات اقبال عليها ، بشغف وحمية ، جمهور القراء الواسع فى جميع انحاء العالم الغربى · وقد يكون من دواعى ازالة عوائق الرفض لكل ما هو عربى او اسلامى ان الجمهور العريض فى الغرب سئم ابتزاز الصهيونية العالمية مشاعرهم بعد ان رأى تحول هذا الابتزاز الى غلظة سافرة وتعنت اجرامى متبجح · اننى لا ادعى ان الغرب قد تحول من معاداة العرب الى حبهم ومساندة قضيتهم ، ولكن ما ازعمه هو ان التمييز العنصرى يفعل اليوم ضد اسرائيل ايضا مثلما يفعل ضد العرب والمسلمين ، حيث ان هذه الموجة فى الغرب تنصب ايضا على الصهيونية (وان كان اى تعصب ضدها لابد وان يلجأ الى « التقية » خوفا من زوابع الاتهام بمعاداة السامية وما تجلبه من عواقب وخيمة)

ومن ثم فان هذه الموجه الخفية تعمل عملها فى الاعماق وقد تظهر فى شكل هذا الاقبال لاحبا فى على ولكن كرها فى معاوية ! كما يبدو لى ان الجمهور فقد الثقة فى اللغة التى يسمونها فى فرنسا « اللغة الخشبية » اى لغة رجال السياسة « وبدأوا يبحثون عن الحقيقة بانفسهم : لاشك ان هذا الطريق طويل ولن يؤتى ثماره الا بعد حين ولكننا رأينا بعض انعكاساته فى رد الفعل العالمى تجاه الانتفاضة فى الارض المحتلة ارجو الا تشع من كتابتى هذه نبرة فرحة او فخر من مجرد ان بعض الكتابات العربية قد حققت هذا النجاح فى الغرب فما حقق منها نجاحا يستحقه عن جدارة بل ان بعض الاعمال التى ترجمت لم تلق حقها من النجاح لكثير من العوامل التى لا تحابى العرب او ظروف التوزيع وصعوبات الانتشار فى الخضم الهائل من المنشور يوميا ·



● الطفل المصرى عام ٢٠٠٠

اصدر الرئيس حسنى مبارك قرارا بانشاء المجلس القومى للامومة والطفولة برئاسة رئيس الوزراء وعضوية الوزراء المختصين ورئيس المجلس الاعلى للشباب والرياضة وثلاث من الشخصيات العامة . وحدد القرار ان المجلس هو السلطة العليا التى تتولى اقتراح السياسة العامة التى يسير عليها ، ووضع خطة قومية للطفولة والامومة فى اطار الخطة العامة للدولة بالاضافة الى متابعة وتقويم التطبيق ..

هذا كما اصدر الرئيس وثيقة اعلان حول اعتبار السنوات العشر القادمة (١٩٨٩ ـ ١٩٩٩) عقدا لرعاية الطفل المصرى وحمايته تدعم خلالها المبادرات الرامية الى اعطاء مزيد من الاولوية لمشروعات الطفولة ، ووضعت الوثيقة اهدافا محددة يجب الالتزام بتنفيذها حتى عام ٢٠٠٠ هى :

ـ تنمية الوعى لدى المجتمع المصرى بوجوب استخدام وسائل العصر فى مجالات حماية صحة الطفل ورعايته .

ـ القضاء على الاصابات بمرض شلل الاطفال وعلى الوفيات الناجمة عن مرض التيتانوس بين المواليد قبل عام ١٩٩٤ .

ـ خفض نسبة الوفيات بين الاطفال الرضع لاقل من خمسين فى كل الف رضيع .

ـ توفير اكبر قدر ممكن من الرعاية الصحية للامهات بهدف خفض معدلات وفيات الامهات بسبب الانجاب .

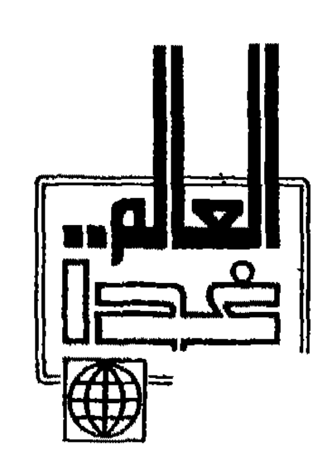
ـ كفالة التعليم الاساسى للاطفال واعطاء الطفل نصيبا عادلا من الثقافة وتوفير المساحات الرياضية واماكن ممارسة الهوايات التى تنمى الابداع ، وتوفير قدر مناسب من الرعاية الاجتماعية والصحية والنفسية للاطفال المعوقين .

وقد شكلت للمجلس القومى للامومة والطفولة لجنة فنية استشارية برئاسة السيدة قرينة الرئيس ، التى اشارت خلال الاجتماع الاول للمجلس الى اعداد مشروع اتفاقية لحقوق الطفل مع منظمة اليونسيف ، واكدت على ان الجديد فى مناقشة قضايا الطفل هو معالجتها بمنهج تكاملى بعيدا عن التناولات الجزئية .

● برنامج للاقمار الصناعية

اطلقت اسرائيل بنجاح اول قمر صناعى لها « افق ـ ٦ » الذى يبلغ وزنه ١٥٦ كجم ويحلق على مدار منخفض (٢٥٠ ـ ٣٢٠ كم) ويتم دورة حول الارض كل ٩٠ دقيقة ..

ووفق تصريحات المسئولين الاسرائيليين يعد هذا القمر خطوة



اولى فى برنامج متكامل لاطلاق سلسلة من الاقمار الصناعية يجرى وفــق خطة تنفذ بالتعاون مع وكالة الفضاء الامريكية (ناسا) ووكالة الفضــاء الاوروبيه ٠

وتسعى اسرائيل الى الوصول فى اطار هذا البرنامج الى اطلاق اقمار لما يسمى المدار الثابت (٣٦٠٠٠ كم) خلال سنوات ٠٠

ومما يلفت النظر ان اسرائيل صنعت واطلقت قمرها بنفسها وهى تشكل فى ذلك حالة خاصة بين الدول التى قدرت على هذا الانجاز مثل الدول الخمس الكبرى (الولايات المتحدة ، والاتحاد السوفييتى ، وفرنسا ، والصــين وبريطانيا) اضـافة الى اليــابان بقاعدتها التقنية الهائلة ، والهنــد بقاعدتها السكانية الضخمة ٠٠ وقـد عوضت اسرائيل ضيق ذات اليــد بالمعونات الامريكية السخية وضــيق القاعدة السكانية بقطفات متواصــلة من خلاصة كوادر (ولا نقول سـكان) البلدان المتمدينة ناهيك عن التعــاون مع وكالتى الفضاء الامريكية والاوربية

وينبغى النظر لهذه السلســلة من الاقمار الصناعية الاسرائيلية فى اطار برامج التسلح المتنوعة التى تضطلع بها اسرائيل وفى اطار استراتيجية اليد الطولى التى تسعى الى تكريسها فى المنطقة ٠٠

وجدير بالذكر ان المدار المنخفض الذى أطلق اليه « افق ــ ١ » يستخدم عادة فى الاستطلاع العســكرى ذلك انه يتيح تمييزا افضل للاهــــداف الارضية بواسطة اجهزة التصــوير المحمولة عليه والتى ترسل بصــورها الى الارض مباشرة ٠٠ ويمســـح القمر الاسرائيلى من مداره العالى كل الاراضى العربيـــة من المحيط الى الخليج اكثر من مرة يوميا ٠

على هامش الالعاب الاولمبية

على هامش الدورة الاولمبية نظمت كوريا الجنوبية مجموعة من الانشطة المرتبطة بمختلف جوانب الحيــاة ٠ وقبل الدورة بأيام عقد فى ســـول مؤتمر حول نبات الجنسن أو الجنشن وهو نبات يرجع الاهتمام به ، بالاضافة لـ « القدرات الخــارقة » التى تنسب اليه ، الى حاجته لبيئة خاصــة ، من الظل والرطوبة والصحية الشجرية ينمو فيها الامر الذى يجعل نمــوه محصورا فى مناطق خاصة مثــل كوريا والصين و ٠٠٠

والثابت ان الجنسن يحث نشــاط وحيوية الانسان ، من النــاحيتين البدنية والذهنية ، الامر الذى جعلـه «اكسيرا » يوصف للناس فى الفترات الحرجة التى يمرون بها فى حياتهم ٠ وهكذا فقد شاع منذ زمن طــويل استخدام خلاصاته وتحضيرها بطرق مختلفة ، سواء بالتخمير او باستخدام الكحول او السكر ٠٠

لكن الاشاعات التى ربطت هــذا النبات بحث القدرات الجنسية (اسمه مشتق من الجنس) ، التى تعتمد على حقيقة تكامل اداء الجسد البشــرى

حتى ان ما يرفع حالته عامة لابد وان يدعم وظائفه المختلفة .. ساعدت على فتح الباب امام المغامرات التجارية التصنيعية والتسويقية التي تروج للثبات ..

وهنا تكمن اهمية عقد مؤتمر علمي حول هذا النبات الاسطورة . والثابت ان له تاثيرات مفيدة في الظروف غير الاعتيادية التي يواجهها الانسان (الاقدام على اجراء جراحة اومواجهة اعباء مهمة محددة ليستمن نشاط الانسان المعتاد) وانه تسرى عليه المقولة الشهيرة « ما يزيد عن حده ينقلب الى ضده » .

وجدير بالذكر ان الدورة كانت مجالا لترويج كثير من النباتات والاعشاب المفيدة والمنشطة ، حيث حوت القرية الاولمبية متجرا للعطارة يبيع انواعها المختلفة ، كما كان هناك عيادة للعلاج بالابر الصينية ، وهو علاج منتشر في كوريا (يدرس في ٧ جامعات ، وهناك ٣٥٠٠ طبيب متخصص فيه) وشهدت هذه العيادة اقبالا كبيرا من رياضي الدورة ، على اختلاف جنسياتهم .

مهماز لاختبار الخيل

من الامور الطريفة في مجال اختبار تناول العقاقير ان الخضوع له يسرى على الخيول التي يستخدمها لاعبو الفروسية وان اتمام الاختبار يتطلب اخذ عينة من البول .. ولانه يتحول اجراء روتيني مثل هذا ، وفي ظروف خاصة من التوتر النفسي والعضلي الى مشكلة ..

فعلى سبيل المثال اختير فولفجانج فونكيل لاعب خط الدفاع بمنتخب المانيا الغربية لكرة القدم ، بعد مباراة فريقه ضد البرازيل في الدور قبل النهائي للبطولة ، لاخذ عينة بوله لتحليلها والتأكد من عدم تناوله مواد منشطة . ومكث فونكيل ثلاث ساعات داخل معمل التحليل . ولم يفلح في الوفاء بالعينة المطلوبة الا بعد تناول عشرة اكواب من البيرة ..

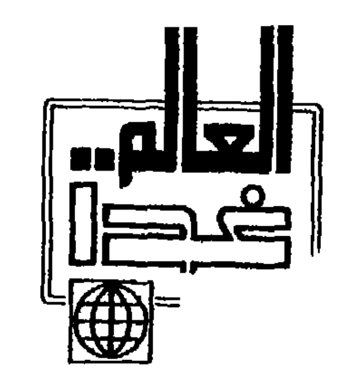
واذا كان الامر على هذا النحو مع لاعب مدرك فما بالنا بالخيول .. المهم ان الاطباء البيطريين توصلوا الى طريقة يجرى بها تنشيط الجهاز البولي للخيول تتلخص في سماع الحصان شريط كاست مسجلا عليه اصوات بعض الصفافير .. وحين استخدمت هذه الطريقة مع الحصان « هوبال فلورى » الخاص بالفارسة الفرنسية دومينيل ديسمين والذى وقع عليه الاختيار لاخذ عينة من بوله لم يتطلب الامر الا ثوان معدودة وكان لدى الاطباء العينة التي يحتاجونها .

جهاز يقرا الكتب

شهدت الاسواق اخيرا جهازا لا يتجاوز حجمه علبة السجائر بمقدوره ان يقرأ بصوت مسموع اى نص يجرى تمريره امام عدسته .

والجهاز عبارة عن مركب لاصوات الحروف ، مثل ذلك الذى شاع استخدامه في الاجهزة الكمبيوترية اخيرا ، ويعتمد على نفس نظرية عملها . ولهذا لا تتجاوز امكانياته حتى الان قراءة الحروف الطباعية ، لعدم نمطية النصوص الخطية ..

والجهاز متخصص حتى الآن في قراءة النصوص المكتوبة باللغة



الانجليزية وان حوت خطط صانعيه مشروعات لانتاج نماذج منه تقرأ النصوص المكتوبة باللغات الاخرى .

ويمكن للجهاز قراءة النصوص المختلفة بواحد من اصوات خمسة (لرجلين وامرأتين وطفل) حسب اختيار المستخدم .

وعلى الرغم من حداثة ظهور الجهاز الا ان اجيالا (تتمتع بامكانات مختلفة) منه آخذة فى الظهور بعضها قادر على اعادة قراءة اجزاء من النص حسب الطلب ، وبعضها قادر على تقسيم قراءة النص بين اكثر من صوت ، و ...

والجهاز على هذا النحو يشكل ثورة حقيقية فى طرق اطلاع المكفوفين (سواء قورن بالحروف البارزة او الشرائط المسجلة ناهيك طبعا عن القارىء البشرى) لكن ليس هناك ما يمنع سليمى الابصار من الاستعانة به لتخفيف العبء على عيونهم أو حتى للاستفادة بامكانات قرائية اوسع كقراءة مسرحية باصوات مختلفة لشخصياتها .. ذلك بالاضافة الى قيمته الهائلة بالنسبة لسبل تعلم اللغات ذاتيا ..

لكن شيوع استخدام مثل هذا الجهاز مازال رهنا بانخفاض سعره حتى يصبح فى متناول قطاعات اعرض من الناس .

● اول منظم للقلب

فى ولايه نيوجرسى زرع فريق من الجراحين اول منظم لضربات القلب متكون من غرفتين يعمل بالطاقة النووية فى صدر مريض عمره ٥٧ سنة وصرح رئيس الفريق ان هذا المنظم سيظل قادرا على العمل طوال ٤٠ سنة وأنه يمثل خطوة الى الامام مقارنة بالمنظم الذى يتكون من غرفة واحدة حيث لا تتجاوز فترة صلاحيته ١٦ سنة ..

المعروف ان الاستعانة بالطاقة النووية كقوة محركة لادارة القلب الصناعى او بعض الاجزاء المرتبطة ترجع الى الستينيات وكان قد صرف النظر عنها بعد تقرير اللجنة التى شكلت لدراسة الجوانب التشريعية والاخلاقية والاقتصادية والاجتماعية التى تحيط بمثل هذا الاستخدام .. وكان التقرير قد حذر من المخاطر التى يصعب التنبؤ بها ، وطرح تساؤلات من قبيل : « ماذا يحدث اذا اصيب حامل مثل هذا القلب فى حادث ؟ » وذلك بالاضافة الى مخاطر اصابة الجسم بالاشعاع ومخاطر الاخرين له

يبلغ ثمن « بلسار ـ ن » المنظم الجديد الذى تمت زراعته للمريض ٦٠٠٠ دولار ، غير تكاليف عملية الزرع داخل الجسم طبعا ٠

● الباز يتحدث عن الفضاء

فى مناظرة علمية جرت عبر الاقمار الصناعية بين د ٠ فاروق الباز عالم الفضاء المصرى ٠ رئيس مركز الاستشعار عن بعد بجامعة بوسطن ، وبين عدد من المهتمين بالعلوم فى مصر والسعودية والجزائر والمغرب اكد العالم المصرى ان دول العالم الثالث تأخرت فى اعداد خرائط التنمية التى تمكنها من الاستفادة من ابحاث الفضاء وتكنولوجيته ٠

واكد د ٠ الباز ان تكنولوجيا الاستشعار عن بعد كانت العامل الرئيسى فى الكشف عن وجود مياه جوفية فى الصحراء الغربية مما مكن من استخدام ٦٣ بئرا تكفى مياهها لاستزراع ٢٠٠ الف فدان لمدة قرنين ٠

هذا كما صورت الاقمار الصناعية بنفس التكنولوجيا مراكب الشمس الجديدة المدفونة خلف الهرم الاكبر على تحمل ٦ اقدام والتى يبلغ عمرها ٤٠٦٠ سنة ٠

وقال ان عدد رواد الفضاء سيشهد طفرة كبيرة خلال السنوات القادمة بعد ان وقف عند ٢٠٠ رائد (من ٢٠ دولة بينهم ١١ سيدة) وذلك لان مكوك الفضاء الذى يستخدم حاليا سيتطور فى القريب الى اوتوبيس يحمل عددا اكبر من الركاب ، ولان محطات الفضاء المدارية التى تدخل العالمعصر صناعتها ونشرها بالفعل ستسهل من عمليات السفر والاقامة ٠٠

● مستوطنة على القمر

فى برنامج تليفزيونى اعلن د ٠ الباز مدير مركز الاستشعار عن بعد فى جامعة « بوسطن » الامريكية بأن هناك تفكيرا وتخطيطا للعودة الى القمر لبناء مستوطنة يعيش فيها بشر، يستمدون احتياجاتهم من الاوكسجين والهيدروجين والماء من صخور القمر ٠

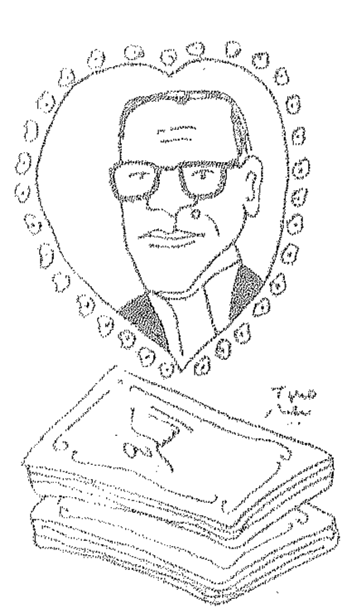
★ حذر فيرنون هول مساعد المراقب العام للصحة الامريكية من ان غاز الرادون المشع ، الذى يؤكد الخبراء انه احد نواتج اجهزة التكييف، يتسبب فى عشرين الف حالة وفاة سنويا من بين ١٤٠ الف حالة تتوفى بسبب سرطان الرئة ٠٠ وينصح الخبراء بتحسين دورة الهواء عن طريق ابقاء الابواب والنوافذ مفتوحة، واستخدام مراوح لتغيير الهواء ٠٠ بدلا من التكييف ٠

★ طرح فى اسواق الولايات المتحدة نوع جديد من السجائر يتميز بقدر اقل من الدخان ، مقارنة بالسجائر التقليدية ، كما انه لايتخلف عنها رماد ٠٠ السجائر الجديدة لن يتم الحكم على صلاحيتها الا بعد ستة اشهر على الاقل ٠٠

★ ستؤدى موجات الجفاف التى تعرض لها العالم الصيف الماضى الى نقص فى انتاج الحبوب (القمح والارز والذرة ٠٠) والمتوقع ان يصل هذا الانتاج الى ٣٥٢٠ مليون طن بعجز يزيد على ٣٥٠ مليون طن عن استهلاك العالم من الحبوب ٠وسيؤثر ذلك على احتياطى الحبوب فى العالم٠ وقد صرح ليستربراون رئيس معهد الرقابة العالمية ان موجة اخرى من الجفاف فى العام القادم ستؤدى الى تدهور شديد فى امدادات الغذاء ٠



● إلى نجيب محفوظ ●



رفعت لواءنا .. وبنيت مجدا
فعش للفن يا « محفوظ » فردا!
جعلت اصرنا ذكرا يدوى
تردده الدنا بدءا وعودا
وأنزلت العروبة فى « الثريا »
وقبلا ما ألا الباغون هدا
بيانك كان للفصحى بيانا
وزاد سراجها فى الكون وقدا
أراد عداتنا « للضاد » جزرا
فجئت بـ « نوبل » للضاد مدا
عطاؤك لم يحط يوما بمن
فكان جزاؤه الميمون خلدا
أردت القول يا « محفوظ » سيلا
يعبر عن مديح ـ ليس يهدا
ولكنى وجدت القول أوهى
واضعف أن يرى للفوز ندا
فعشت «نجيب» للفصحى نصيرا
وزدت ـ وزدتنا ـ شرفا ومجدا

احمد قاسم احمد
قنا ـ شارع على بن ابى طالب

● شكوى ●

● وجاءتنا من الاستاذ أحمد قاسم أحمد الكلمة التالية :
« كان ثمن نسخة « الهلال » خمسين قرشا ثم صار ستين ، والآن أصبح ثمنها خمسة وسبعين قرشا واشتريناها وسنشتريها ما دام فى الاجل بقية ، ونقول : رفقا بأرباب المعاشات المدمنين شراء الهلال .. اجعلوالهم اشتراكا سنويا مخفضا يسدد على أقساط » ..
ونقول للاستاذ الفاضل أحمد قاسم : انظر مقالة «عزيزى القارىء»

● اسم بقراط ●

● اختلفت مع بعض زملائي حول اسم الطبيب القديم ابو قراط ، هل هو « بقراط » أم « أبو قراط » ·· فما اسمه بالضبط ، وهل لـــه أصل لغوى ؟!

حسن على وهبة الله
اسيوط

ـــهذا الاسم يكتبه بعضهم « بقراط » وبعضـــــهم الآخر يكتبه « أبو قراط » وأصله الاغريقي « هيبوكرات» والباء هنا ثقيلة كما ينطقها الاوربيون ومشددة · وهو أشهر الاطباء القدماء ·· عاش في القـــرن الخامس قبل الميلاد · وبعض كتاباته مترجمة الى العربية من قديم ··

● خطاب من شهيد عراقى ●

عـــبق خطـــابك بالامـــل	عـــطر تـــانق فاكتمــــــل
رقـــت عـــلى افيـــائه	صـــور النضـــارة والحـــلل
رفـــت عـــلى افنـــائه	زمـــر الحمـــائم والحجـل
هـــذا خطـــابك قـــد أتى	كالمـــزن ابـــرق فانهمـــل
فيـــه المعـــاني قـــد بـدت	درا تـرقـرق اذ هطـــــل
تخطـــو منغمـــة بـــه	اشـــواقه ، وبهـــا القبـــل
نصـــر يشـــب كانـــه	نـــار عـــلى راس الجبـــل
يـــا أيهـــا الشـــعب الابي	وأيهـــا الجيـــش البطـــل

قـــد كنت نجـــما قـــد تـــــازر بالفخـــار ولـم تزل
في « الفـــــاو » قلـت وكـان دابـك في المواقـــع أن تقـــل
« وطـــن » العـــروبة ما تغـــاضى قـط عنـــك ومـا غفـل

« وطـــن » تبـــاهى أن يكن	منـــه الشـــهيد من الاول
منـــه التحـــايا سافرات	ومنـــك امجـــاد تطـــل

محمد على الخوربى
صنعاء ـ اليمن الشمالى

● الشعر التفعيلى واغراضه ●

● نراكم تحملون على الشعر التفعيلى ، فهل تطلبون من الشعراء أن يكفوا عن كتابته ، ولماذا اذن لم يطلب النقاد القدماء من الشعراء في عصرهم أن يكفوا عن نظم التواشيح وهى نوع من الشـــعر التفعيلى ؟:

عبد الله عبد الصمد أبو خشب
الاسكندرية ـ الابراهمية





● تعليق

ـــ لا نطلب من الشعراء ان يكفوا عن نظم الشعر التفعيلى ،ولكن نطلب الاحتفاظ أيضا بالشعر الموزون المقفى كما احتفظ به الوشـــاحون القدماء الذين لم يحاربوا الشعر لكي يخلو الميدان للتواشيح فقـط ٠٠ ان الشعراء التفعيليين الآن فريقان ٠٠ أحدهما يجهل الاوزان والتفاعيل، والثاني يعرف الاوزان والتفاعيل ، ولكن الفريقين يلتقيان في العـــداوة الشديدة الحمقاء للشعر العربي الموزون المقفى ، وكانهم فرقة جديدة من المبشرين الاجانب الذين تنادوا قديما يهدم اللغة العربية وادابها !٠٠



● عودة طابا ●

طفلة تصرخ ٠٠
والقلب الامـومى عليها يتلـــظى
بعد صبر كغمام النار طار
أحرق البحر ، اذاب الصخر فى ركض يدوى :
ها انا ٠٠ اين عدوى ؟
فاتقاه الوهم مخذولا وولى
ساحبا ملهاه الا احرف الشك بانقاض الجدار
وامام الطفلة ٠٠ الام ، وناس من ربوع الارض جاءوا
درسوا الدم ولون العين والروح ومالوا
فازالوا حاجز الشك بعيني القرار !!!

عبد الرحيم الماسخ
نجع الماسخ ـ المراغة ـ سوهاج

● مقلب غير برىء ●

● اندهشت وأنا اقرأ « الهلال » ـ بأن لى قصة « ساذجة »منشورة بعنوان ـ الحرية الطائشة ، ومنسوبة لى وعنوان ســـوهاج « بلدى » ٠ والحقيقة ان دهشتنى زالت ، لما أحسست بأن هذا قد يكون « مقلبا » ، أو تعبيرا عن « أحاسيس » دفينة ظهرت فى لحظات تأكيد نجـــاحات تضاف الى ٠

فالحقيقة : باختصار شديد ، انني لم أرسل للهلال قط - على الاقل في الخمس سنوات الماضية ، ناهيك ان لدى اثباتا بسيطا وسهلا يدحض هذا الافتراء ، اذ ارسل لك قصة من قصصي لتتاكد على الاقل بأنني لست بهذه السذاجة ، التي يحاول البعض تشويه صورتي ٠

خيرى السيد ابراهيم - سوهاج



● فلسطين

يا بيت المقدس والطهر
يا مهبط « احمد » اذ يسرى
يا أرضا ذابت في القهر !
ورمالا اثمن من تبر
سنبوء باثمك ما دمنا
بالنعم الحلوة ننساك
بالطفل الهانيء في حجرى
بالبهجة تمرح في صدرى
بالرزق الوافر من عملى
وتجمر الدنيا ... بالامل !
وكانك امسيت قصيدا ؟
يحكيك السامر في السهر !!
يا بيت المقدس والطهر
سنبوء باثمك في الدهر
ونلوك الذل المستشرى
ما صلى اهلك في الفجر
يدعون ونحن كما ندرى !!
ودماء شبابك كالنهر

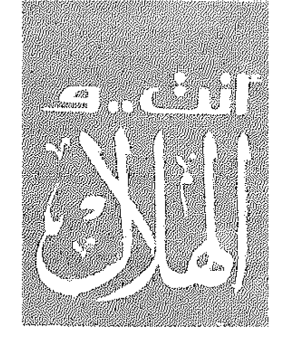
السيد مصطفى الجرف
الكويت

● فتحي رضوان فارس الكلمة ●

● تاثر فتحي رضوان بمصطفى كامل كقدوة ومثل ، ومحمد فريد، ثم تولستوى ، وديفاليرا وحركة المقاومة الايرلندية ، وغاندى ، ثم كانت الروافد الجانبية التى شكلت شخصيته الفكرية والادبية ، بقـراءاته فى تشيكوف ودستوفسكى وتورجنيف واسكاروايلد ، وبرنارد شـو ، وفي الادب الفرنسى قرأ فلوبير واناتول فرانس ، ووقف طويـلا فى قـراءاته مع ستيفان زفايج ، وفى اطار عصره تتلمذ على كل الادباء فى مصر الـذين كانوا يكتبون منذ العشرينيات ٠



وكتب فتحي رضوان تراجمه الست الاولى : غاندى - محمد ومحمد الثائر الاعظم وموسولينى وديفاليرا ومصطفى كامل فى فترات متقاربةبين



سنة ١٩٣٤ وسنة ١٩٤٥ ، متأثرا بازدهار فن التراجم على أيدى أميل لورفيج ، ومورروا ، وزفايج ، وأصدر كتابه « محام صغير » ترجمة ذاتية له عن تجاربه فى عالم المحاماة ، وكتبه الاخرى : أخي المواطن — في المعركة — آراء حرة فى الدين والحياة — الاسلام ومشكلات الفكر والقصة القرآنية — والملك والثوار فى عربه — وأفكار للكبار — وأسرار حكومة يوليو هذه الكتب تمثل بعضا من كل يمثل ما خلفه فارس الكلمة والرأى.

ولم يقتصر نضاله على مقالاته وكتبه بالكلمة المباشرة ، وانما كتب المسرحية الفكرية الهادفة ومنها : دموع ابليس ، وشقة للايجار ، والسه رغم أنفه ، وعشر شخصيات تبحث عن مؤلف ، ومسرحياته تدور حول قضية الانسان ومستقبل الانسانية .

ولهذا امتزجت حياته السياسية بحياته الفكرية والادبية ، وأصبح من الصعب الفصل بينهما ، وكانت معاصرته للحركة الوطنية منذ الثلاثينيات ملهما له فى كتاباته وابداعاته .

وشارك فتحى رضوان فى نظام عبد الناصر وزيرا للدولة ثم وزيرا للارشاد القومى ، وكان بالنسبة لعبد الناصر كما كان أندريه مالرو بالنسبة لديجول ، وسنحت له الفرصة فى تجسيد حلمه لينشر الثقافة للشعب من خلال وزارته ، فانشأ ادارة للشئون الثقافية أصدرت سلسلة من الكتب ومختارات الاذاعة بأقلام أعلام الفكر عالجت الوانا من المعرفة الانسانية ، واهتم بالفنون الشعبية وأسند الاشراف عليها الى الاديب الكبير يحيى حقى وفى ظله أنشئت دار الوثائق القومية لتجمع وثائق تاريخنا الحديث ، وفتح أبواب الاوبرا لجماهير الشعب لتتذوق زادا جديدا من الفن الرفيع ، ولاول مرة يستقدم فرقا للاوبرا العالمية لتقدم عروضها فى مصر . وكلل جهده فى نشر الثقافة الاصيلة والرفيعة باصدار مجلة « المجلة » فى نهاية الخمسينيات لتكون جسرا قويا للمثقف يصله بتيارات الفكر المعاصر ويطلعه على خير ما تجود به .

وفى غمار اهتماماته السياسية ومسئولياته الوطنية كان يرفد الهلال مجلاته وكتبه بانتاجه الفكرى والادبى من مقالات وبحوث ودراسات ، حتى انه يعد بحق من كبار كتاب الهلال الذين راكبوا مسيرته منذ الثلاثينيات .

وبعد ، فقد ذهب فتحى رضوان الى الخالدين ، ثائرا فى صوفية ، شامخا فى تواضع ، متدفقا فى عطاء . كالنيل ، راسخا وثابتا على دين الوطنية وأخلاق الانسانية كالهرم .. ذهب فى الخالدين تاركا من ورائه مصر التى شكلت عقله ووجدانه والتى عاش ومات من أجلها .

عمرو عبد المنعم حمودة

● مع الأصدقاء ●

● أبو بكر محمد محمد حسانين ـ أبو تشت :

ـــ شعركم لا بأس به ، الا أن الاوزان واللغة تكون على غير ما يرام أحيانا ، ولكن معظم أبياتكم موزونة ، ونرجو أن تثابروا حتى تبلغوا هدفكم ٠

● جميل محمود عبد الرحمن ـ سوهاج :

ـــ لم نهمل شيئا من رسائلكم ، وليس من عادتنا اهمال أية رسالة ، أما قصيدتكم فقد نشرنا قصائد مماثلة لها فى موضوعها ، ونرجو مواصلة رسائلكم الينا ٠٠

● محمد ابراهيم الجريسى ـ أبو تيج :

ـــ ليس هذا الباب مخصصا لنشر القصائد الكاملة ، ولكنا نقتطف ما تيسر من هنا وهناك لكي يتسع الباب لأكبر عدد من القراء ، وهذا هو السبب فى اجتزاء قصيدتكم ، ونأسف لذلك ٠

● محمود عبد الحفيظ ـ كفر صقر :

ـــ شعركم لا ينقصه الوزن ولا اللغة ، ولكن ينبغى أن تكونوا أقرب الى القراء حتى يفهموك ! ٠

● زينب محمود أحمد ـ قوص :

ـــ ما معنى أن تكتبى كلمة مجنون هكذا : « م ٠ ج ٠ ن ٠ و ٠ ن » هل عدت الى السنة الاولى الابتدائية لتتعلمى حروف الهجاء ؟! ٠٠ يا سيدتي ليس التجديد فى الشعر بهذه الطريقة ، ولا تقلدى أمثال أدونيس ممن يريدون هدم الشعر العربى واللغة العربية ! ٠

● عبد الحق الدسود ـ تونس :

ـــ نشكركم أجزل الشكر على كلماتكم الطيبة عن الهلال ، واذا كنتم ـ كما تقولون ـ قد انقطعتم عنها بسبب الحرب العالمية الثانية ، فان هذه الحرب قد انقضت منذ ثلاثة وأربعين عاما،ونرحب باقتراحاتكم فيما يخص العدد المئوى للهلال ٠

● درهم جبارى ـ سان فرانسيسكو :

ـــ نرحب بكم صديقا جديدا وقديما للهلال فى مهجركم بأمريكا ونحيى غيرتكم العربية التى ألهمتكم قصيدتكم عن « طفل غزة » وانتفاضة فلسطين ، ونرجو أن يتاح لنا نشر بعض ما تجود به قريحتكم فىالاعداد القادمة ان شاء الله ٠٠

● ويسعدنا ان نتلقى دائما نفثات اقلام السادة : أشرف محمد أبو العز ٠٠ حسن السيد علام ٠٠ عبد العزيز الشراكي ٠٠ هشام محمد عبد الوهاب ٠٠ رمضان الهجرسى ٠٠ كريمة ثابت ٠٠ رفعت محمد برويى ٠٠ السيد احمد زرد ٠٠ امل فرغلي احمد ٠٠ سمير أبو الحمد حافظ٠٠ رفعت عبد الوهاب المرصفى ٠٠ ابراهيم خليل ابراهيم ٠٠ عاصم فريد البرقوقى ٠٠ محمد عبد العزيز (قرية مشروع خسرما ـ فلسطين) ٠٠ محمد طه وهبة ٠٠ سعاد احمد ٠٠ حسن عمر خلف الله صالح ٠٠ شيماء عبد الفتاح رضوان ٠٠ رضا ابراهيم عبد المعطى ٠٠

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية سبعة جنيهات و ٢٠٠ مليم ، وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات أو مايعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال .

وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة عاليه عند الطلب .

دار الهلال ـ ١٦ ش محمد عز العرب

القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط مجلة الهلال ت ٣٦٢٥٤٨١

رقم التلكس : 92703 HILAL U . N

وكيل الاشتراكات بالكويت : السيد / عبدالعال بسيونى زغلول الصفاه ـ ص.ب ٢١٨٣٣ ـ 13079 تليفون ٤٧٤١١٦٤

اسعار البيع للعدد العادى فئة ٦٠ قرشا

البلد	السعر	العملة	البلد	السعر	العملة
سوريا	١٧٥٠	ق . س	ابوظبى	٦	دراهم
لبنان	٣٠٠	ليرة	مسقط	٦٠٠	بيسة
الاردن	٣٥٠	فلسا	تونس	١٤٠٠	مليم
الكويت	٣٠٠	فلس	المغرب	١٢٥٠	فرنكا
العراق	١٣٠٠	فلس	غزة والضفة	٦٠	سنتا
السعودية	٥	ريالات	داكار	٦٠٠	فرنك
السودان	١٢٥	ق . سودانيا	لندن	١٢٥	بنسا
البحرين	٨٠٠	فلس	ايطاليا	٢٥٠٠	ليرة
الدوحة	٦	ريالات	البرازيل	٥٠٠	سنت
دبى	٦	دراهم	اليمن الشمالية	١٣	ريالا


صخر
في كل بيت
AX170
تدع الفرصة تفوت أبناءك